الجزء الثاني من كتاب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب
وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب فريد زمانه
ونادرة أوانه العلامة احمد المقري المغربي
المالكي الاشعري تغمده الله تعالى
برحمته وأسكنه فسيح
جنته آمين
آمين

حلاة هوامش أجزائه الاول والثاني والثالث بالتاريخ الفائق نغمات المذاق المسمى مروج الذهب ومعادن الجوهر للامام ابي الحسن علي المسعودي احسن الله مثوبته في دار المستقر وافرد هامش جزئه الرابع بالكتاب البديع الرائع المسمى تحفة الاحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات وما يتبع ذلك للعلامة السخاوي الهمام أمطره الله تعالى بهوامع الاكرام

(الطبعة الاولى)

(بالمطبعة الازهرية المصرية)

(سنة ١٣٠٢ هجرية)

الصفحة	الاسم	الصفحة	الاسم
[illegible]	أبو الحسن [illegible]	١٦	الحكيم الطبيب محمد بن [illegible] الغساني
[illegible]	عبد الرحمن [illegible]	١٦	الأستاذ عبد الوهاب بن محمد [illegible]
٥	عبد المنعم بن عمر الغساني	١٧	عبد الله بن المظفر [illegible]
٥	أحمد بن مسعود القرطبي الخزرجي	١٧	سليمان بن إبراهيم بن [illegible]
٥	أبو العباس القرطبي صاحب المفهم	١٧	مالك بن عبد الجبار المعافري
٥	العارف الكبير جعفر بن عبد الله الخزاعي	١٨	ابن خروف [illegible]
٦	محمد بن عبد الرحمن الخزرجي	١٩	مالك بن [illegible] أهل جيان
٦	محمد بن يحيى [illegible]	١٩	أبو علي بن حفص
٧	أبو عبد الله بن الحكيم الرندي ذو الوزارتين	١٩	منصور بن لب الأنصاري
١١	الحافظ محب الدين [illegible]	١٩	مفرج بن حماد المعافري
١١	أبو بكر بن العربي حفيد الحافظ أبي بكر بن العربي	١٩	[illegible] بن الحسن
١١	ابن الخراز	١٩	مساعد بن أحمد الأصبحي
١١	محمد بن أحمد البكري الشريشي	٢٠	أبو حبيب نصر بن القاسم
١٢	أبو بكر الجياني	٢٠	النعمان بن النعمان المعافري
١٢	أبو الخطاب العلاء بن عبد الوهاب الأندلسي	٢٠	عبد الملك بن عبد الله [illegible]
١٣	عمر بن الحسن الهوزني	٢٠	ثابت بن [illegible]
١٣	يحيى بن قاسم بن هلال القرطبي	٢٠	ضمام بن عبد الله الأندلسي
١٣	يحيى بن مجاهد الفزاري	٢٠	[illegible] بن عروة
١٤	محمد بن أحمد الصدفي الإشبيلي	٢٠	عبد الله بن [illegible] المعافري
١٤	زكريا بن خطاب الكلبي	٢١	عبد الله بن حمود الزبيدي
١٤	سعد الخير البلنسي	٢١	عبد الله بن [illegible] القرطبي
١٤	سعيد بن نصر [illegible]	٢١	أبو بكر [illegible]
١٤	سعيد [illegible]	٢٢	عبد الله بن محمد بن مرزوق [illegible]
١٥	عبد الرحمن بن خلف [illegible]	٢٢	عبد الله بن محمد [illegible]
١٥	[illegible] الإشبيلي	٢٢	عبد الله بن [illegible]
١٥	عبد الله بن [illegible] المعافري	٢٣	عبد الله بن موسى الأزدي
١٥	[illegible]	٢٣	عبد الله بن [illegible]
		٢٣	عبد الله بن [illegible]
		٢٣	أحمد بن [illegible]
		٢٣	أحمد [illegible]

[illegible]

٣٦ يحيى بن ... [illegible]

٣٧ [illegible]

٣٧ يحيى بن عبد الله المعروف بالقتيل

٣٧ محمد بن علي الاصابي

٣٨ محمد بن علي القرطبي

٣٩ أبو الفضل البرقي

[illegible] ابن ... الاحنف

[illegible] شمس الدين ابن جابر الضرير

[illegible] أبو جعفر الالبيري رفيق ابن جابر

٤٤ أبو مروان عبد الملك بن ابراهيم القيسي

٤٤ ابن البيطار

٤٥ أبو الحسن القلصادي

[illegible] أبو عبد الله الراعي

[illegible] أبو عبد الله بن الازرق

[illegible] (الباب السادس) في ذكر بعض الوافدين على الاندلس من أهل المشرق

٥٣ [illegible] الذي ... تعالى

٥٣ أمير الأندلس موسى بن نصير التابعي

٥٤ حنش الصنعاني التابعي

٥٤ علي بن رباح اللخمي التابعي

٥٤ عبد الله بن ... التابعي

٥٥ حيان بن ابي جبلة التابعي

[illegible]

٥٤ [illegible]

٥٤ [illegible]

٥٤ [illegible]

[illegible]

٥٤ [illegible]

٥٦ أبو ... [illegible]

٥٦ [illegible]

٥٨ [illegible]

٦٢ عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل

٧٧ أبو الاشعث الكلبي

٧٧ جزي بن عبد العزيز أخو عمر بن عبد العزيز

٧٧ بكر بن سوادة الجذامي

٧٨ زريق بن حكيم

٧٨ زيد بن قاصد السكسكي

٧٨ زرعة بن روح الشامي

٧٨ محمد بن أوس بن ثابت الانصاري

٧٨ عبد الملك بن عمر بن مروان الاموي

٧٩ هاشم بن الحسين (من نسل سيدنا الحسين رضي الله تعالى عنه)

٧٩ عبد الله بن المغيرة الكناني

٧٩ عبد الله العمري

٧٩ عبد الرحمن بن شماسة المهري

٧٩ عبد الله بن ... رضي الله تعالى عنه

٨٠ عبد الرحمن بن ... [illegible]

٨١ [illegible]

٨١ [illegible]

٨١ [illegible]

... رتي
... ب للآمال
... دي
... ي الدارمي
... بن الصمد الخراساني
أبو الحسن البغدادي الفكيك
إبراهيم بن سليمان الشامي
أبو بكر بن الأزرق
١٠ زرياب المغني
١١ الأمير ... بن كوحيا
١١٥ أبو اليسر الرياضي
١١٦ أبو إسحاق النهوري
١١٧ ... القادي الخراساني
١١٧ زكي ... الرازي
١١٨ (ذكر جملة من النساء القادمات من المشرق على الأندلس)
١١٨ [illegible]
١١ [illegible]
١١ ... إبراهيم بن ... اللخمي
١١ [illegible]
١١ ... من القادمين على الأندلس من المشرق ...

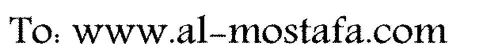
صحيفة
١١٩ أحمد بن ... [illegible]
١١٩ أحمد بن أبي عبد الرحمن القرشي الزهري
١١٩ أبو الطاهر بن ... الإسكندراني
١٢٠ أبو الحسن الأنطاكي
١٢٠ عمر بن مودود الفارسي
١٢٠ محيي الدين بن مهذب الدين
١٢١ تقي الدين بن الفرس الحنفي المصري
١٢٢ سيدي يوسف الدمشقي
١٢٣ (الباب السابع في نبذة مما من الله تعالى به على أهل الأندلس من توقد الأذهان وبذلهم في اكتساب المعارف والمعالي ما عز وهان الخ)
١٢٥ رسالة ابن حزم في بعض فضائل علماء الأندلس
١٣٨ رسالة الشقندي في تفضيل الأندلس وأهله
١٥٦ (ذكر نبذة من كلام الأندلسيين وحكاياتهم الدالة على سبقهم
١٥٨ (ذكر مذهب أهل الأندلس في القديم وانتقالهم إلى مذهب الإمام مالك
١٦١ ما قاله ابن عبد البر في الرد على من عابه بأكل طعام السلطان وقبول جوائزه
١٦٣ (ذكر جملة من شعر ابن جبير وغيره من الأندلسيين وطرف من نوادرهم)
٢٢٦ (قصة الرمادي الشاعر مع المنصور)
٢٢٧ (من حكايات الأندلسيين في الهزل)
٢٣٠ (من حكاياتهم في الوفاء وحسن الاعتذار والقيام بحق الإخاء)
٢٣١ (من حكاياتهم في علو الهمة في العلم والغنى
٢٣١ (من ... [illegible] ... الفهم ...

٢٢٤ (من حكايات ... [illegible])
٢٤٦ (من ... أهل الاندلس ... [illegible] طباعهم الخ)
٢٧٠ (خواجة حوف الزيادة) [illegible]
٣٠٤ (ترجمة ابن سهل الاسرائيلي الاشبيلي)
٣١٨ (من حكايات أهل الاندلس في الانقباض عن السلطان الخ)
٣١٩ (من دعاباتهم وملحهم)
٣١٩ (من أجوبة ملوكهم)
٣١٩ (من غريب ما يحكى من قوتهم وشجاعتهم)
٣٢٢ (من حكاياتهم في الظرف)
٣٢٢ (من حكاياتهم في البلاغة)
٣٢٤ (من حكاياتهم في عدم احتمال الضيم والذل والوصف بالانفة)
٣٢٤ (من حكاياتهم في الجود والفضل ومكارم الاخلاق)
٣٢٦ (ذكر جملة من بني مروان بالاندلس)
٣٢٧ (من حكاياتهم في علو الهمة)
٣٢٧ (الرجوع للكلام على أهل الاندلس جملة)
٣٤٢ ذكر نبذة من حسن عقيدة أهل الاندلس وان نبذ من ذلك جملة [illegible]
٣٤٩ (من حكايات أهل الاندلس في العفو)
٣٦٤ (ترجمة ابن هانئ)
٣٨٣ (ذكر ما تعلق بكلمة ... هل هو ... بالمد أو كسرها)
٣٨٤ ([illegible])
٣٨٧ ([illegible])
[illegible]

٤٢٩ [illegible]
٤٣٠ [illegible]
٤٣٠ [illegible]
٤٣٤ (ذ[illegible]
٤٤١ (ذكر [illegible]
٤٤٧ (ذكر [illegible]
٤٤٧ ولادة بنت المستكفي
٤٥١ اعتماد جارية المعتمد بن عباد بالرميكية
٤٥٣ (ذكر ما وقع للمعتمد من الاعتلاج بالعبارات وما يتعلق بذلك)
٤٦١ (ترجمة الطبيب الاديب أبي ج[illegible] البق)
٤٦٢ (ترجمة ابن اللبانة)
٤٦٢ (ترجمة ابن [illegible])
[illegible]

٥٩١ ([illegible])
٥٩٢ ([illegible])
٥٩٢ ([illegible] الأحداث)
٥٩٣ (السلطان [illegible])
٥٩٣ ([illegible] القاهرة [illegible])
٥٩٤ ([illegible])
٥٩٤ [illegible] السلطنة [illegible]
٥٩ (الثانية)
٥٩ (رجوع [illegible])
٥٠٢ (الباب الثاني) في ذكر تغلب العدو الكافر على الجزيرة [illegible]
٥٠٢ (من أول ما استرده الإفرنج من مدن الأندلس العظيمة مدينة طليطلة الخ)
٥٠٢ وقعة الزلاقة
٥٠ (ذكر بعض إنشاء لسان الدين في شأن ما يتعلق بجبل الفتح وغيره الخ)
٥٠ (وقعة بطرنة)
٥٠ (تغلب العدو على بربشتر)
٥٠ نهوض العدو للاستيلاء على بلنسية)
٥٠ (وقعة كتندة)
٥٠٨ (دخول العدو مدينة المرية عنوة)
٥٠٨ (رجوعها إلى ملك المسلمين وبقاؤها بأيديهم سنين)
٥٨٤ (أخذ العدو [illegible])
٥٨٥ (أخذ العدو [illegible])
٥٨٥ (تاريخ أخذ العدو جزيرة منورقة ومدينة سرقسطة واستيلاء الإفرنج على شرق الأندلس بأجمعه تقريبا وعلى مدينة قرطبة وعمالتها وعلى بلنسية وحمص إشبيلية وعمالتها وتاريخ وقعة [illegible])
٥٩٦ (ذكر رسالة خاطب بها ابن عميرة المخزومي أبا عبد الله بن الأبار يذكر فيها أخذ العدو مدينة بلنسية)
٦٠٠ (ذكر رسالة ابن الأبار إلى رسالة المخزومي جوابا عنها)
٦٠١ (ذكر فصول تحتوي على نص من كلام ابن الأبار في كتابه المسمى بدرر السمط في خبر السبط)
٦٠٧ (فصل تملك الإفرنج للأندلس غرناطة وما يتعلق بذلك)
٦١٧ (ذكر السلطان الذي أخذت على يده غرناطة وانقرضت بدولته مملكة الإسلام بالأندلس)
٦١٧ (ذكر الرسالة التي كتبها السلطان المذكور إلى السلطان فاس [illegible] الوطاسي)

(تمت)





*(ومن المرتحلين من الاندلس الى المشرق الامام النحوى اللغوى نور الدين أبو الحسن على ابن احمد بن محمد بن حمدون الحميرى الاندلسى المالقى) قال شرف الدين الصابونى أنشدنا المذكور لنفسه سنة ٦٦٧

فؤادا بايدى النائبات مصاب * وجفن افيض الدمع فيه مصاب
تناءت ديار قد ألفت وجيرة * فهل لى الى عهد الوصال اياب
وفارقت أوطانى ولم أبلغ المنى * ودون مرادى ابحر وهضاب
مضى زمنى والشيب حل بمفرقى * وأبعد شئ أن يرد شباب
اذا عمر المرء ليس براجع * وان حل شيب لم يفده خضاب
فحل حمام الشيب فوق لمتى * وقد طار عنها للشباب غراب
وكم عنة لى فى الزمان وأهله * وبين فؤادى والقبول حجاب
فدع عنك ان النفس عند تغزل * فعذب الامانى عندها عذاب
وسل فؤادا عن ربا نعرفه * فما القصد منها زينب ورباب
وأنوى متابا ثم أنقض نيتى * فرب صلاح بالصلاح خراب
الى الله تصبرى وأصلح فى الرضا * فما القصد الا رحمة وثواب

(واما اجناس الاكراد وأنواعهم) فقد تنازع الناس فى بدئهم فمنهم من رأى انهم من ربيعة ابن نزار بن بكر بن وائل انفردوا فى قديم الزمان وانضافوا الى الجبال والاودية دعتهم الى ذلك الانفة وجاوروا من هناك من الامم الساكنة المدن والعمائر من الاعاجم والفرس فحالوا عن لسانهم وصارت لغتهم أعجمية ولكل نوع من الاكراد لغة لهم بالكردية ومن الناس من رأى انهم من مضر بن نزار وانهم من ولد كرد بن مرد بن صعصعة بن هوازن وانهم انفردوا فى قديم الزمان لوقائع ودماء كانت بينهم وبين غسان ومنهم من رأى انهم من ربيعة ومضر وقد اعتصموا فى الجبال طلبا للمياه والمراعى فحالوا

و يعتبي في العزخل وصاحب * وهل نافع في الجامدات عتاب
أطهر أثوابي وقلبي مدنس * وأزعم صدقا والمقال كذاب
وفارقت من غرب البلاد مواطنا * فسقى ربا غرب البلاد سحاب
فبالقلب من نار التشوق حرقة * وبالعين من فيض الدموع عباب
ومابلغ المملوك قصدا ولامنى * ولاحط عن وجه المراد نقاب
واخشى سهام الموت تغتاغفلة * وماسار في نحو الرسول ركاب
وقلبي معمور بحب محمد * فمالى في غير الحجاز طلاب
يحن الى أوطانه كل مسلم * فقدس منها منزل وجناب
فأسعد ايامي اذا قيل هذه * منازل من وادى الحمى وقباب
بجسمي في مصر وروحي بطيبة * فللروح عن جسمي هناك مغاب
على مثل هذا العزو العمر منقض * تشق قلوب لاتشق ثياب
وأرجو ثوابا بامتداحي محمدا * وماكل من في الزمان يثاب
به أخمدت من قبل نيران فارس * وحقق من ظبي العلا قضاب
وكم قدسقى من كفه الجيش فارتووا * وكم قد شفى منه العيون رضاب
أجيب الى المختار في حضرة العلا * وماكل خلق حيث قال يجاب
فلم تلهه دنياه عن خوف ربه * ولاشغلته عن رضاه كعاب
محمد المختار أعلى الورى ندى * وأكرم مبعوث أتاه كتاب
أتحسب أن تحصى بعد صفاته * وهيهات ما يحصى علاه حساب
ثناء رسول الله خير ذخيرة * وقد ذل جبار وخيف عقاب
وقد نصب الميزان والله حاكم * وذلت لاحكام الاله رقاب
فكل ثناء واجب لصفاته * فما مدح مخلوق سواه صواب
اليك رسول الله أنهى مدائحى * وان رجائى راحة وثواب
اذا قيل من تعنى بمدحك كله * فانت اذا خبرت عنه جواب
فليتك تحلو والحياة مريرة * وليتك ترضى والأنام غضاب
فانت أجل العالمين مكانة * وأكرم مدفون حواه تراب

وله يرثى العز بن عبد السلام

أمد الحياة كما علمت قصير * وعليك نقادبها و بصير
عجبا لمغتر بدار فنائه * وله الى دار البقاء مصير
فليمهله [illegible] رض * وعزيزها بيد الردى مقهور
أيظن ان العمر ممدود له * والعمر فيه على الردى مقصور

وهى طويلة ولم يحضرنى سوى ماذكرته (ومنهم عبد البر بن فرسان بن ابراهيم بن عبد الرحمن الغسانى الوادى آشى أبو محمد) وله أخبار كثيرة فى الحماسة وعلو الهمة ومن قطعه لما تعصم عدوه ابن غانية بجماعة بيضاء ولبس غفارة حمراء على جبة خضراء

عن اللغة العربية لما جاورهم من الامم ومن الناس من الحقهم بأماء سليمان بن داود عليهما السلام حين سلب ملكه ووقع على امائه المنافقات الشيطان المعروف بالجسد وعصم الله منه المؤمنات أن يقع عليهن فعلق منه المنافقات فلما رد الله على سليمان ملكه ووضع تلك الاماء الحوامل من الشيطان قال اكردوهن الى الجبال والاودية فربتهم أمهاتهم وتناكحوا وتناسلوا فذلك بدء نسب الاكراد (ومن الناس) من رأى ان الضحاك ذا الافواه المقدم ذكره فى هذا الكتاب الذى تنازعت فيه الفرس والعرب من أى الفريقين هو انه خرج بكتفيه حيتان لايهدآن الا بادمغة الناس فافنى خلقا كثيرا من فارس واجتمعت الى حربه جماعة كثيرة وافاه أفريدون بهم وقد شالوا راية من الجلود تسميها الفرس درفش كاوان فاخذ أفريدون الضحاك وقيده فى جبل نهاوند على ماذكرنا وقد كان وزير الضحاك فى كل يوم يذبح كبشا ورجلا ويخلط أدمغتهما ويطعم تينك الحيتين اللتين فى كتفى الضحاك ويطرد من يخلص الى الجبل فتوحشوا وتناسلوا فى تلك الجبال فهم بدء الاكراد وهؤلاء من نسلهم وتشعبوا أفخاذا وماذكرنا من خبر

فديتك بالنفس التي قد ملكتها * بما أنت وليها من الكرم المحض
وديت لحسن الخلق بهجة * فصار لها الكلي في ذلك كالبعض
وما نالا لازور غير رتبة التي * تصرف طول البلاد وفي عرض
لمعتها أخضراه أحسن ناظر * بتت عنك إجلالا وذلك من الفرض
وأبدلت حمراء اللابس فوقها * بعشرق تاج الخضر والشرف المحض
فأصبحت بدرا ما لمعالي غمامة * على شفق دان الى خضرة الارض

وقال رحمه الله تعالى

لئن عاورني ناصري وحسامي * وعجزا وعزمي قائدي وامامي
ولي منك بطاش اليدين غضنفر * يحارب عن أشباله ويحامي

وقال رحمه الله تعالى لما أستأذن مخدومه في الحج والزيارة

أمن يتسرح عمل وفضله * سبب الزيارة للعظيم ويثرب
ولئن تقول كأنني أن الهوى * درست معالمه وأنكر مذهبي
فمقالتي ما إن ملكت وإنما * عمري أبي حل الجياد ومركبي
وعجزت عن أن أستشير كيتها * واشق بالصمصام صدر الموكب

وقال رحمه الله تعالى ولا خفاء ببراعته

فدى مخلاذاك الجناح المنمنما * وسقيا وان لم تشك ما سلجما ظلما
أعدهن الحانا لمي سمع معرب * يطارح مرتاحا على القضب مغرما
وطرغير مقصوص الجناح حرفها * مسوغ اشتات الحبوب منعما
تحلى وأقرانا بوكرك توما * ألا ليت أقراني معي كن توما

وقال رحمه الله تعالى

كفى حزنا أن الرماح صقيلة * وأن الشبا رهن الصدى بدمائه
وان يادي الجوانب فرزت * ولم يعد وخ الست بيت بنائه

وكان رحمه الله تعالى من جلة الادباء وفحول الشعراء وبرعة الكتاب كتب عن ابن غانية الامير أبي زكريا يحيى بن اسحق بن محمد بن علي المسوفي الميرقي الثائر على منصور بني عبد المؤمن ثم على من بعده من ذريته الى أيام الرشيد منهم وكان منقطعا اليه من صحبه في حركاته وكان آية في بعد الهمة والتطلب بنفسه والغناء في مواقف الحرب والحث في حملة القوم اذا ابن غانية كان غاية في ذلك أيضا ووجهه الميرقي للذكور حسبة يوم من أيامهم وبه الى المازق وقد طال العراك وكاد الناس يتفصلون عن الحرب الى أن يبا كروها من الغد فلما لمح الصدر اشتغل الناس وذم أرباب الخفية وأتى في اليسم الرزم من أمرهم في الحملة فانهزم عدوهم شر هزيمة وأبلى يومئذ أبو عبد الله آخر الليل بالاسلاب والثنية تقالله الامير وما حملك على ما صنعت فقال الذي علمت من ثباتي واذا أردت من صرف الناس عن الحرب وتغيير عليهم فاظفر غيري وتنازل أنا ولد منه عن ربه من أولاد الامير أبي زكريا فقال متعزلا الامير وقال وما قدر ابيك فلما بلغ الشابا من ج متعضا للحوف ولد

الضحاك والفرس لا يتناكرونه
الضحاك مع ابليس أخبار
عجيبة هي موجودة في
كتبهم وتزعم الفرس أن
طهمورث المقدم ذكره في
ملوك الفرس هو نوح
النبي عليه السلام وتفسيره
ادريس بالفارسية
الفهلوية وهي الاولى
الراية والمطر والعلم
(وأما الترك وأجناسها)
فقد قدمنا كثيرا من
أخبارها وقد غلط قوم
فزعموا أن الترك من
ولد طوج بن أفريدون
وهذا غلط ولى طوج على
الترك وبلغ على الروم
كيف توليه عليهم وهم
ولده وما قلنا يدل على أن
الترك من غير ولد طوج
بن أفريدون بل طوج
على الترك عقب مشهور
المتكلم في أجناس الترك
ـم الثبت وهم من حير
على حسب ما ذكرناه
من التبابعة وبقيتهم هنالك
ما قلنا من الاكراد
الاشهر عند الناس
الاصح من أنسابهم أنهم
من ولد ربيعة بن نزار فانا
ـع من الاكراد وهم
شاهجان ببلاد ما بين
بكر ربيعة والبصر وهي
من الدينور وهمدان
تناكر بينهم أنهم
ولد ربيعة بن نزار بن معد واما الشوذانيه وهم من الكيكان ببلاد أذربيجان والطبا شية والتراقية
الامر

ولا أصحاب التواريخ القديمة ولا الحديثة (والفرس) فالسفر

سوى بلاد الجبال من السادنجان والكريه والباردلكان والبارينجان

والبارسان والجبالية والجابارقية والجاوانية والمستكان ومن حل بلاد الشام من الديابلة وغيرهم فالمشهور فيهم أنهم من مضر بن نزار ومنهم اليعقوبية والجورقان وهم نصارى وديارهم مما يلي الموصل وجبل الجودي (وفي الاكراد) من رأيهم رأي الخوارج والبراءة من عثمان وعلي رضي الله عنهما فهذه جملة من أخبار بوادي العالم وقد أعرضنا عن ذكر القول فيهم (والخلج) وهم أنواع من الترك نحو بلاد غرس ونصيبين وبست مما يلي بلاد سجستان وكذلك من بلاد كرمان من أرض القفص والملوص (قال المسعودي) أيام العرب ووقائعها وحروبها فقد ذكرناها فيما سلف من كتبنا وما كان بينها في الجاهلية والاسلام كيوم الجباة وحرب ذبيان واليمن وحرب داحس والغبراء وحرب بكر بن وائل وتغلب وهي حرب البسوس ويوم الكلاب ويوم جبار ومقتل جساس ابن زهير ويوم ذي قار ويوم شعب جبلة وما كان من بني عامر وتميم وحرب الأوس والخزرج وما كان بين غسان وعك (وسنورد) بعد هذا الباب جملا من أخبار العرب البائدة وغيرها

الامير الخاطب لولده فقال حفظك الله تعالى لست أشك في أني خدمت أباك ولكني أحب أن أعرفك بنفسي ومقداري ومقدار أبيك اعلم أن أباك وجهني رسولا الى دار الخلافة ببغداد بكتاب عن نفسه فلما بلغت بغداد أنزلت في دار أكثر بيت فيها بسبعة دراهم في الشهر وأجرى علي سبعة دراهم في اليوم وطولع بكتابي وقيل من الميرقي الذي وجهه فقال بعض الحاضرين هو رجل مغربي ثائر على استاذه فأقمت شهرا ثم استدعيت فلما دخلت دار الخلافة وتكلمت مع من بها من الفضلاء وأرباب المعارف والآداب اعتذروا الي وقالوا للخليفة هذا رجل جهل مقداره فأعدت الى محل أكثري لي بسبعين درهما وأجرى علي مثلها في اليوم ثم استدعيت فودعت الخليفة واقتضيت ما تيسر من حوائجه وصدر لي شيء له خطر من صلته وانصرفت الى أبيك فالمعاملة الاولى كانت على قدر أبيك عند من يعرف الاقدار والثانية كانت على قدري وترجمته رحمه الله تعالى واسعة * (ومنهم عبد المنعم بن عمر الغساني الوادي آشي) المؤلف الرحالة المتجول ببلاد المشرق سائحا صاحب المؤلفات الكثيرة التي منها جامع أنماط السائل في العروض والخطب والرسائل ومن نظمه

ألا إنما الدنيا بحار تلاطمت * فما أكثر الغرقى على الجنبات

وأكثر من لاقيت يغرق الفه * وقل فتى ينجي من الغمرات

توفي سنة ٦٠٣ رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو العباس أحمد بن مسعود بن محمد القرطبي الخزرجي) كان إماما في التفسير والفقه والحساب والفرائض والنحو واللغة والعروض والطب وله تآليف حسان وشعر رائق فمنه قوله رحمه الله تعالى

وفي الوجنات ما في الروض لكن * لرونق زهرها معنى عجيب

وأعجب ما التعجب منه أني * أرى البستان يحمله قضيب

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ٦٠١ * (ومنهم أبو العباس القرطبي صاحب المفهم في شرح مسلم وهو أحمد بن عمر بن ابراهيم بن عمر الانصاري المالكي الفقيه المحدث المدرس الشاهد بالاسكندرية) ولد بقرطبة سنة ٥٧٨ وسمع الكثير هنالك ثم انتقل الى المشرق واشتهر وطار صيته وأخذ الناس عنه وانتفعوا بكتبه وقدم مصر وحدث بها واختصر الصحيحين وكان بارعا في الفقه والعربية عارفا بالحديث وممن أخذ عنه القرطبي صاحب التذكرة ومن تصانيفه رحمه الله تعالى المفهم في شرح مسلم وهو من أجل الكتب وبكثير عرف اعتماد الامام النووي رحمه الله تعالى في كثير من المواضع وفيه أشياء حسنة مفيدة ومنها اختصاره الصحيحين كما مر وله غير ذلك وتوفي رحمه الله تعالى بالاسكندرية رابع القعدة سنة ٦٥٦ وكان يعرف في بلاده بابن المزين وله كتاب كشف الاقناع عن الوجد والسماع أجاد فيه وأحسن وكان يشتغل أولا بالمعقول وله اقتدار على توجيه المعاني بالاحتمال قال الشيخ شرف الدين الدمياطي أخذت عنه وأجاز لي مصنفاته رحمه الله تعالى وحدث بالاسكندرية وغيرها وصنف غير ما ذكرناه وكان إماما عالما عارفا بالحديث والفقه والعربية وغيرها * (ومنهم العارف الكبير الولي الصالح الشهير أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن محمد ابن سيد بونة الخزاعي الاندلسي) أحد الاعلام المتقدمين المقربين أولي الهداية كان رضي الله

تعالى عنه ونفعنا به كثير الاتباع بعيد الصيت فذا شهيرا قال الحافظ ابن الزبير وهو أحد
الاعلام المشاهير فضلا وصلاحا قرأ ببلنسية وتفقه وحفظ نصف المدونة وأقرأها وكان يؤثر
التفسير والحديث والفقه على غيرها أخذ عن أبوي الحسن بن النعمة وابن هذيل وحج ولقي
في رحلته من الاندلس جلة أكبرهم الولي الكبير سيدي أبو مدين شعيب أفاض الله تعالى
علينا من أنواره وانتفع به ورجع عنه بما ثبت فشهر بالعبادة وتبرك الناس به فظهرت عليه
بركته توفي رحمه الله تعالى في شوال سنة ٦٢٤ وعاش نيفا وثمانين سنة وله ترجمة في الاحاطة
ملخصها ما ذكرناه *(ومنهم محمد بن عبد الرحمن بن يعقوب الخزرجي الانصاري الشاطبي
الفقيه القاضي الصدر المتفنن المحصل المجيد) له علم محكم وعقد صحيح مبرم رحل الى المشرق
وحج وكانت رحلته بعد تحصيله فزاد فضلا الى فضل ونبلا الى نبل وكان متثبتا في فقهه
لا يستحضر من النقل الكثير ولكنه يستحضر ما يحتاج اليه وكان له علم بالعربية وأصول الفقه
ومشاركة في أصول الدين له شرح على الجزولية وكان أبوه قاضيا وبيته بيت قضاء وعلم
وسودد متوارث ومجد مكتوب ومنسوب ثم ولي قضاء بجاية فكان في قضائه على سنن الفضلاء
وطريق الاولياء العقلاء بالحق مع الصدق معارضا للولاة وكان يرى أن لا يقدم الشهود الا
عند الحاجة وأما ان حصل من تحصل به الكفاية فلا يقدم غيره ويرى ان الكثرة مفسدة
وقد طلب منه الملك أن يقدم رجلا من أهل بجاية فقال له مشافهة ان شئتم قدمتموه وأخرتموه
وكان اذا جرى الامر في مجرى الشهادة وما قاله القاضي ابن العربي أبو بكر وغيره من أنها قبول
قول الغير على الغير بغير دليل يرى ان هذا من الامر العظيم الذي لا يليق أن يمكن منه الا
الآحاد الذين تبين فضلهم في الوجود وكان يرى ان جنايات الشاهد انما هي في صحيفة من
يقدمه من باب قوله عليه الصلاة والسلام من سن سنة حسنة ومن سن سنة سيئة وقد سئل
من أولياء الله فقال شهود القاضي لانهم لا يأتون كبيرة ولا يواظبون على صغيرة وان كانت
الشهادة على هذه الصفة فلا شيء أجل منها وان كانت خطة لا صفة فلا شيء أخس منها ولما
كانت واقعة ابن مرزين بطنجة عرض عليه أهلها أن يتقدم وأن يبايعوه فقال والله لا أفسد
ديني ولما توفي عجز القاضي الذي تولى بعده عن سلوك منحاه واقتفاء سننه الذي اقتفاه قال
هذا كله بمعناه وبعضه بحروفه الغبريني في عنوان الدراية في علماء بجاية *(ومنهم محمد
ابن يحيى الاندلسي اللبسي) بلام فموحدة فسين قاضي القضاة أخذ عن الحافظ ابن حجر ونوه به
عند الاشراف حتى ولاه قضاء المالكية بحماة وسار سيرة السلف الصالح ثم حج على نائبها
في بعض الامور وسافر الى حلب مظهرا ارادة السماع على حافظها البرهان ووصفه ابن حجر
في بعض مجاميعه بقوله الشيخ الامام العالم العلامة في الفنون قاضي الجماعة وقال انه انسان
حسن امام في علوم منها الفقه والنحو وأصول الدين يستحضر علوما كانها بين عينيه ووصفه
أيضا بعلامة دهره وخلاصة عصره وعين زمانه وانسان أوانه جامع العلوم وفريد
كل منثور ومنظوم قاضي القضاة لازالت رايات الاسلام به منصورة وأعلام الايمان به
منشورة ووجوه الاحكام الشرعية بحسن نظره محبورة ولد سنة ٨٠٦ وتوفي ببرسا من
بلاد الروم أواخر شعبان ٨٨٤ قاله السخاوي في الضوء اللامع *(ومنهم الوزير الشهير
ابو

وتفريقها في البلاد وذكر
والقيافة والكهانة
والنفوس والصدى والهام
وغير ذلك من شبهها
وبالله التوفيق

*(ذكر ديانات العرب
وآرائها في الجاهلية
وتفرقها في البلاد وخبر
أصحاب الفيل وعبد المطلب
وغير ذلك مما لحق بهذا
الباب)*

كانت العرب في جاهليتها
فرقا منهم الموحد المقر
بخالقه المصدق بالبعث
والنشور موقنا بان الله
يثيب المطيع ويعاقب
العاصي وقد تقدم ذكرنا
في هذا الكتاب وغيره
من كتبنا من دعا الى الله
عزوجل ونبه أقوامه على
آياته في الفترة كقس بن
ساعدة الايادي ورباب
الشني وبحيرا الراهب
وكان من عبد القيس
(وكان من العرب) من
أقر بالخالق وأثبت
حدوث العالم بالبعث
والاعادة وأنكر الرسل
وعكف على عبادة
الاصنام وهم الذين حكى
الله عزوجل قولهم
ما نعبدهم الا ليقربونا الى
الله زلفى الآية وهذا
الصنف الذين حجوا الى
الاصنام وقصدوها
ونحروا البدن ونسكوا لها النسائك وأحلوا لها وحرموا (ومنهم) من أقر بالخالق وكذب بالرسل والبعث

أبو عبد الله بن الحكيم الرندي ذو الوزارتين) رحل الى مصر والحجاز والشام وأخذ الحديث عن جماعة وقد ترجمناه في باب مشيخة لسان الدين عند تعرضنا لذكر ابنه الشيخ أبي بكر بن الحكيم ولا بأس أن نزيد هنا ما ليس هنالك فنقول ان من مشايخه برندة الشيخ الاستاذ النحوي أبا الحسن علي بن يوسف العبدوي السماتي أخذ عنه العربية وقرأ عليه القرآن بالروايات السبع وأخذ عن الخطيب بها أبي القاسم بن الايسر وأخذ رحمه الله تعالى عن جماعة من أعلام الاندلس وأخذ في رحلته عن الجلة الذين يضيق عن أمثالهم الحصر من شيوخه الحافظ أبو اليمن بن عساكر لقيه بالحرم الشريف وانتفع به وأكثر من الرواية عنه والشيخ أبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم الحراني المعروف بابن هبة الله والشيخ الشرف أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عمر بن معطي ابن الامام الجزائري جزائر العرب نزيل بغداد والشيخ أبو الصفا خليل بن أبي بكر المرادي الحنبلي لقيه بالقاهرة والشيخ رضي الدين أبو بكر القسمطيني والشيخ شرف الدين الحافظ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي امام الديار المصرية في الحديث وحافظها ومؤرخها والشهاب بن الخيمي قرأ عليه قصيدته البائية الفريدة التي أولها

يا مطلبا ليس لي في غيره أرب * اليك آل التقضي وانتهى الطلب

وفيها البيت المشهور الذي وقع النزاع فيه

يا بارقا بأعالي الرقمتين بدا * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

والشيخ جمال الدين أبو صادق محمد بن يحيى القرشي ومن تخريجه الاربعون المروية بالاسانيد المصرية وسمع الحلبيات من ابن عماد الحراني والشيخ أبي الفضل عبد الرحيم خطيب الجزيرة ومولده سنة ٥٩٨ وزينب بنت الامام أبي محمد عبد اللطيف بن يوسف البغدادي وتكنى أم الفضل وسمعت من أبيها ومن أشياخ ذي الوزارتين بن الحكيم المذكور الملك الاوحد يعقوب ابن الملك الناصر صلاح الدين داود ابن الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب والشيخ عبد الرحمن بن سليمان بن طرخان وأخوه محمد بن سليمان في طائفة كبيرة من مشايخ مصر والشام والعراق وغيرها من البلاد يطول تعدادهم وأخذ ببجاية عن خطيبها أبي عبد الله بن رحيمة الكناني وبتونس عن قاضيها أبي العباس بن الغماز البلنسي وأخذ العربية عن قدوة النحاة أبي الحسين عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله بن أبي الربيع القرشي ومن شعر ذي الوزارتين بن الحكيم المذكور قوله

هل الى رد عشيات الوصال * سبب أم ذاك من ضرب المحال

حالة يسري بها الوهم الى * أنها تثبت برأ باعتلال

وليال ما تبقى بعدها * غير أشواقي الى تلك الليال

اذ مجال الوصل فيها مسرحي * ونعيمي آمر فيها ووال

ولحالات التراضي جولة * مرحت بين قبول واقبال

فبوادي الخيف خوفي مسعد * وبأكناف منى أسنى موال

لست أنسى الانس فيها أبدا * لا ولا بالعذل في ذاك أبال

ومال الى قول أهل الدهر وهؤلاء الذين حكى الله تعالى الحادهم وخبر عن كفرهم بقوله تعالى وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيي وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون (ومنهم) من مال الى اليهودية والنصرانية (ومنهم) المار على عنجهيته الراكب لهجيته وقد كان صنف من العرب يعبدون الملائكة ويزعمون أنها بنات الله فكانوا يعبدونها لتشفع لهم الى الله وهم الذين أخبر الله عز وجل عنهم بقوله تعالى ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون وقوله تعالى أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى (فمن كان) مقرا بالتوحيد مثبتا للوعيد تاركا للتقليد عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وكان حفر بئر زمزم وكانت مطوية وذلك في ملك كسرى قباذ فاستخرج منها غزالتي ذهب عليهما الدر والجوهر وغير ذلك من الحلي وسبعة أسياف قلعية وسبعة أذرع سوابغ فضرب من الاسياف بابا للكعبة وجعل احدى الغزالتين صفائح وجعل الاخرى في الكعبة وكان عبد المطلب أول من أقام الرفادة والسقاية بمكة عذبا وجعل باب الكعبة ذهبا

وغزال قد بدا لى وجهه * فرأيت البدر فى حال الكمال
ما أمال التيه من أعطافه * لم يكن الا على خصل اعتدال
خص بالحسن فما أنت ترى * بعده للناس حظا فى الجمال
من تسلى عن هواه فأنا * بسواه عن هواه غير سال
فلئن أتعبنى حبى له * فلكم نلت به أنعم حال
اذلا لى جيده من قبلى * ووشاحاه يمينى وشمالى
خالف النوم لى السهد به * وترامى الشخص لا طيف الخيال
فتداوى بلماه ظمئى * مزجك الصهباء بالماء الزلال
أو اشادات بناء الملك الاوحد الاسمى الهمام المتعال
ملك ان قلت فيه ملكا * لم تكن الا محقا فى المقال
أبد الاسلام بالعدل فما * ان ترى رسما لاصحاب الضلال
ذو أياد شملت كل الورى * ومعال بالمآخير معال
همة هامت باحوال التقى * وصفات بالجلالات حوال
وقف النفس على اجهادها * بين صوم وصلاة ونوال

وهى طويلة ومنها

أيها المولى الذى نقساؤه * أعجزت عن شكرها كنه المقال
ها أنا انشدكم مهنئا * من بديع النظم بالسحر الحلال
فأنا العبد الذى حبكم * لم يزل والله فى قلبى و بال
أورقت روضة آمالى بكم * مذ تولاها الرباب المتوال
واقتنيت الجاه من خدمتكم * فهى ما أذخره من كنز مال

ومنها

يا امير المسلمين هذه * خدمة تنبئ عن اصدق حال
هى بنت ساعة اوليلة * سهلت بالحب فى ذاك الجلال
ما عليها اذا جادت مدحها * من بعيد الفهم يلغيها وقال
فهى فى تادية الشكر لكم * ابدا بين احتفاء واحتفال

وكتب رحمه الله تعالى يخاطب اهله من مدينة تونس

حى حى بالله يا ريح نجد * وتحمل عظيم شوق ووجد
واذا ما بثثت حالى فبلغ * من سلامى لهم على قدر ودى
ما تناسيتهم وهل فى مغيبى * هم نسونى على تطاول بعدى
لى شوق اليهم ليس يعزى * لجميل ولا لسكان نجد
يا نسيم الصبا اذا جئت قوما * ملئت ارضهم بشيح ورند
فتلطف عند المرور عليهم * وحقوقا لهم على فأد
قل لهم قد غدوت من وجدهم فى * حال شوق لكل رند وزند

وفى ذلك يقول عبد المطلب بعد كنوز الحلى والصفائح حليا لبيت الله ذى المسارح وكان قد نذر ان رزقه الله عز وجل عشرة أولاد ذكور أن يقرب أحدهم لله تعالى أحبهم اليه وهو عبد الله أبو النبى صلى الله عليه وسلم فضرب عليه بالقداح حتى افتداه بمائة من الابل فى خبر طويل (وقد كان) أبرهة حين سار بالحبشة وأتى أنصاب الحرم فنزل بالموضع المعروف بحب المحصب فاتى بعبد المطلب ابن هاشم فاخبر انه سيد مكة فعظمه وهابه لاستدارة نور النبى صلى الله عليه وسلم فى جبينه فقال له سلنى يا عبد المطلب فابى أن يسأله الا ابلا له فامر بردها وقال الا تسالنى الرجوع فقال انا رب هذه الابل وللبيت رب سيمنعه منك وانصرف عبد المطلب الى مكة وهو يقول

يا أهل مكة قد وافاكم ملك * مع الفيول على أنيابها الزرد
هذا النجاشى قد سارت كتائبه * مع الليوث عليها البيض تتقد
يريد كعبتكم والله مانعه * كمنع تبع لما جاءها احرد

وأمر قريشا أن تلحق ببطون الاودية ورؤس الجبال من معرة الحبشة وقلد الابل النعال وان

وان استهم واحد يثني فاني * باعتنائي الاله بلغت قصدي
فله الحمد اذ حباني بلطف * عنده قل كل شكر وحمد

وافتتح مخاطبته لاخيه الاكبر أبي اسحق ابراهيم بقصيدة أولها

ذكر اللوى شوقا الى أقماره * فقضى أسى أو كاد من تذكاره
وعلا زفير حريق نار ضلوعه * فرمى على وجناته بشراره
لو كنت تبصر خطه في خده * لقرأت سر الوجد من أسطاره
يا عاذليه أقصروا فلربما * أفضى عتابكم الى اضراره
ان لم تعينوه على برحائه * لا تنكروا بالله خلع عذاره
ما كان أكتمه لاسرار الهوى * لو ان جند الصبر من أنصاره
ماذنبه والبين قطع قلبه * أسفا وأذكى النار في أعشاره
بخل اللوى بالساكنيه وطيفهم * وحديثه ونسيمه ومزاره
يا برق خذ دمعي وعرج باللوى * فاسفحه في باناته وعراره
واذا لقيت بها الذي باخائه * ألقى خطوب الدهر أو بجواره
فاقر السلام عليه قدر محبتي * فيه وترفيعي الى مقداره
والمم بسائر اخوتي وقرابتي * من لم أكن لجوارهم بالكاره
ما منهم الا الأخ أو سيد * أبدا أرى دأبي على اكباره
فابثث لذاك الحي أن أخاهم * في حفظ عهدهم على استبصاره

وقال رحمه الله تعالى في غرض كافه سلطانه القول فيه

الا واصل مواصلة العقار * ودع عنك التخلق بالوقار
وقم واخلع عذارك في غزال * يحق لمثله خلع العذار
قضيب مائس من فوق دعص * تعمم بالدجى فوق النهار
ولاح بخده ألف ولام * فصار معرفا بين الدراري
رماني قاسم والسين صاد * باشفار تنوب عن الشفار
وقد قسمت محاسن وجنتيه * على ضدين من ماء ونار
فذاك الماء من دمعي عليه * وتلك النار من فرط استعاري
عجبت له أقام بربع قلبي * على ما شب فيه من الاوار
ألفت الحب حتى صار طبعا * فما أحتاج فيه الى ادكار
فمالي عن مذاهبه ذهاب * وهذا فيه أشعاري شعاري

وقال العلامة ابن رشيد في ملء العيبة لما قدمنا المدينة سنة ٦٨٤ كان معي رفيقي الوزير أبو عبد الله بن أبي القاسم بن الحكيم وكان أرمد فلما دخلنا ذا الحليفة أو نحوها نزلنا عن الاكوار وقوي الشوق لقرب المزار فنزل وبادر الى المشي على قدميه احتسابا لتلك الآثار واعظاما لمن حل تلك الديار فأحس بالشفاء فأنشد لنفسه في وصف الحال قوله

ولما رأينا من ربوع حبيبنا * بيثرب أعلاما أثرن لنا الحبا

ان عدو البيت من عاداكا
فامنعهم أن يخربوا قراكا
ويقول
يارب ان المرء يمنع رحله فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم
ومحالهم عدوا محالك
فارسل الله عليهم الطير الابابيل اشباه اليعاسيب ترميهم بحجارة من سجيل وهو طين خلط بحجارة خرجت من البحر مع كل طير ثلاثة أحجار فاهلكهم الله عز وجل (وقد ذكرنا) خبر أبي رغال فيما سلف من هذا الكتاب حين دلهم وهلاكه في الطريق وجعلت الحبشة يومئذ تسأل عن نفيل بن حبيب الخثعمي يدلها على الطريق ونفيل يسمع كلام الحبشة وسؤالها عنه وقد ريع لما عمهم من البلاء وانفرد عن جلتهم يؤمل الخلاص وقد تاه هوا فانشأ يقول
ألا ردي حييتك يا ردينا
نعماكم مع الاصباح عينا
فانك لو رأيت ولن تريه
لدى جنب المحصب ما رأينا
حمدت الله اذ عاينت طيرا
وحصب حجارة تلقى علينا
وكل القوم يسأل عن نفيل

 نى كأن على الحبشان دينا

وقد ذكرنا ما كان منهم في هلاك عنيدهم فيما سلف من هذا الكتاب فلما

و بالترب منها اذ كحلنا جفوننا * شفينا فلا بأسا نخاف ولا كربا
وحين تبدى للعيون جمالها * ومن بعدها عنا ادبلت لنا قربا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة * لمن حل فيها أن نلم به ركبا
نسح سجال الدمع في عرصاتها * ونلثم من حب لواطئه التربا
وان بقائي دونه لخسارة * ولو أن كفي تملأ الشرق والغربا
فيا عجبا ممن يحب بزعمه * يقيم مع الدعوى ويستعمل الكتبا
وزلات مثلي لا تعد كثيرة * وبعدي عن المختار أعظمها ذنبا انتهى

وخط الوزير ابن الحكيم في غاية الحسن وقد رأيته مرارا وملكت بعض كتبه ونثره رحمه الله تعالى أعلى من شعره كما نبه عليه لسان الدين في الاحاطة ومن نثره في رسالة طويلة كتبها عن سلطانه ما صورته وقد تقرر عند الخاص والعام من أهل الاسلام واشتهر في آفاق الاقطار اشتهار الصباح في سواد الظلام أنا لم نزل نبذل جهدنا في أن تكون كلمة الله هي العليا ونسمح في ذلك بالنفوس والاموال رجاء ثواب الله لا لعرض الدنيا وانا ما قصرنا عن الاستنفار والاستنصار ولا أقصرنا عن الاعتضاد بكل من أملنا معاملته والاستظهار ولا اكتفينا بمطولات الرسائل وبنات الارسال حتى اقتحمنا بنفسنا لجج البحار فسمعنا بالطارف من أموالنا والتلاد وأعطينا رجاء نصرة الاسلام موفور الاموال والبلاد واشترينا بما أنعم الله به علينا ما فرض الله على كافة أهل الاسلام من الجهاد فلم يكن بين تلبية المدعو وزهده ولا بين قبوله ورده الا كما يحسو الطائر ماء الثماد ويأبى الله أن يكل نصرة الاسلام بهذه الجزيرة الى سواه ولا يجعل فيها شيئا الا لمن أخلص لوجهه الكريم علانيته ونجواه ولما اسلم الاسلام بهذه الجزيرة الغريبة الى مناويه وبقي المسلمون يتوقعون حادثا ساءت ظنونهم لمباديه القينا الى الثقة بالله تعالى يد الاستسلام وشمرنا عن ساعد الجد في جهاد عبدة الاصنام واخذنا بمقتضى قوله تعالى وأنفقوا في سبيل الله أخذ الاعتزام * فامدنا الله تعالى في ذلك بتوالي البشائر ونصرنا بالطاف أغنى فيها خلوص الضمائر عن قود العساكر ونقلنا على أيدي قوادنا ورجالنا من السبايا والغنائم ما غدا ذكره في الآفاق كالمثل السائر وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وكيف يحصيها المحصي أو يحصرها الحاصر وحين أبدت لنا العناية الربانية وجوه الفتح سافرة المحيا وانتشقنا نسائم النصر الممنوح عبقة الريا استخرنا الله تعالى في الغزو بنفسنا ونعم المستخار وكتبنا ما قد علمتم الى ما قرب من أعمالنا بالحض على الجهاد والاستنفار وحين وافى من خف للجهاد من الاجناد والمطوعين وغدوا بحكم رغبتهم في الثواب على طاعة الله مجتمعين خرجنا بهم ونصر الله تعالى أهدى دليل وعناية الله تعالى بهذه الفئة المفردة من المسلمين تقضي بتقريب البعيد من آمالنا وتكثير القليل ونحن نسأل الله تعالى أن يحملنا على جادة الرضا والقبول وأن يرشدنا الى طريق تفضي الى بلوغ الامنية والمأمول وهذه رسالة طويلة سقنا بعضها كالعنوان لسائرها ونال ابن الحكيم رحمه الله تعالى من الرياسة والتحكم في الدولة ما صار كالمثل السائر وخدمته العلماء الاكابر الاخاير كابن خميس وغيره وأفاض عليهم سجال خيره ثم وردت

الايام

صدهم الله عزوجل عن الكعبة أنشأ عبد المطلب يقول

أيها الداعي لقد أسمعتني * ثم مابي عن نداكم من صمم
ان للبيت لربا مانعا * من يرده بآثام يصطلم
رامه تبع فيمن جندت * حمير والحي من آل قرم
فانثنى عنه وفي أوداجه * جارح أمسك عنه بالكظم
قلت والاشرم يرمي حيلة * ان ذا الاشرم غر بالحرم
فجزاك الله فيما قد مضى * لم يزل ذاك على عهد ابرهم
نحن دمرنا ثمودا عنوة * ثم عادا قبلها ذات الارم
نعبد الله وفينا سنة * صلة القربى وايفاء الذمم
لم يزل لله فينا حجة * يدفع الله بها عنا النقم

(قال المسعودي) وقد استدل قوم ممن ذهب الى الغلو في بعض المذاهب والخروج عما أوجبته قضية العقل وضرورات الحواس بهذا الشعر وقول عبد المطلب فيما كان منهم في قديم الزمان وأيدوا ذلك الشعر بشعر العباس بن عبد المطلب في مدحه النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم عليه منصرفه من تبوك فاسلم قال سمعت العباس بن عبد المطلب يقول يا رسول الله اني أريد أن أمتدحك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل لا يفضض الله فاك فانشأ يقول

الايام منه ما وهبت وانقضت أيامه كأن لم تكن وذهبت وقتل يوم خلع سلطانه ومثل
به سنة ٧٥٨ رحمه الله تعالى وانتهب من امواله وكتبه وتحفه ما لا يعلم قدره الا الله تعالى
أثابه الله تعالى بهذه الشهادة بجاه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم
*(ومن المرتحلين من الاندلس الى المشرق) الحافظ نجيب الدين أبو محمد عبد العزيز ابن
الامير القائد أبي على الحسن بن عبد العزيز بن هلال اللخمى الاندلسى ولد سنة ٥٧٧ تقريبا
ورحل فسمع بمكة من زاهر بن رستم و ببغداد من أبي بكر أحمد بن سكينة وابن طبرزد وطائفة
وبواسط من أبي الفتح بن الميدانى وباصبهان من عين الشمس الثقفية وجماعة وبخراسان
من المؤيد الطوسى وأبي روح وأصحاب الفراوى وهذه الطبقة وخطه مليح مغربى فى غاية
الدقة وكان كثير الاسفار دينا متصوفا كبير القدر قال الضياء فى حقه رفيقنا وصديقنا توفى
بالبصرة عاشر رمضان سنة ٦١٧ ودفن الى جانب قبر سهل التسترى رضى الله تعالى عنه
وما رأينا من أهل المغرب مثله وقال ابن نقطة كان ثقة فاضلا صاحب حديث وسنة كريم
الاخلاق وقال مفضل القرشى كان كثير المروءة غزير الانسانية وقال ابن الحاجب كان
كيس الاخلاق محبوب الصورة لين الكلام كريم النفس حلو الشمائل محسنا الى أهل
العلم بماله وجاهه وقيل انه أوصى بكتبه للشرف المرسى رحمه الله تعالى *(ومنهم محمد بن
عبد الله بن أحمد بن محمد أبو بكر بن العربى الاشبيلى حفيد القاضى الحافظ الكبير أبي بكر بن
العربى) قرأ النافع على قاسم بن محمد الزقاق صاحب شريح وحج فسمع من السلفى وغيره ثم
رحل بعد نيف وعشرين سنة الى الشام والعراق وأخذ عن عبد الوهاب بن سكينة وطبقته
ورجع فاخذوا عنه بقرطبة واشبيلية ثم سافر سنة ٦١٢ وتصوف وتعبد وتوفى
بالاسكندرية سنة ٦١٧ قاله الذهبى فى تاريخه الكبير *(ومن المرتحلين من الاندلس
يحيى بن عبد العزيز المعروف بابن الخراز أبو زكريا القرطبى) سمع من العتبى وعبد الله بن خالد
ونظرائهما من رجال الاندلس ورحل فسمع بمصر من المزنى والربيع بن سليمان المؤذن
ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم ويونس بن عبد الاعلى ومحمد بن عبد الله بن ميمون وعبد الغنى
ابن أبي عقيل وغيرهم وسمع بمكة من على بن عبد العزيز وكانت رحلته ورحلة سعيد
ابن عثمان الاعناقى وسعيد بن حميد وابن ابي تمام واحدة وسمع الناس من يحيى المذكور
مختصر المزنى ورسالة الشافعى وغير ذلك من علم محمد بن عبد الله بن عبد الحكم وكان يميل فى
فقهه الى مذهب الشافعى وكان مشاورا مع عبيد الله بن يحيى واضرابه وحدث عنه من أهل
الاندلس محمد بن قاسم بن بشير وابن عبادة وغير واحد ولم يسمع منه ابنه محمد لصغره وتوفى
سنة ٢٩٥ رحمه الله تعالى ورضى عنه *(ومنهم الشيخ الامام العالم العامل الزاهد الورع
العلامة جمال الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله البكرى الشريشى المالكى) كان من
أكابر الصالحين المتورعين ومولده سنة ٦٠١ بشريش وتوفى برباط الملك الناصر بسفح
قاسيون سنة ٦٨٥ فى ٢٤ رجب ودفن قبالة الرباط وله المصنفات المفيدة تولى
مشيخة الصخرة بحرم القدس الشريف وقدم دمشق وتولى مشيخة الرباط الناصرى فلما توفى
قاضى القضاة جمال الدين المالكى ولوه مشيخة المالكية بدمشق وعرضوا عليه القضاء فلم يقبل

بل نجمة تركب السفين وقد
ألجم نسرا وأهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم
اذا مضى عالم بدا طبق
أنت لما ولدت أشرقت الـ
أرض وأورى بنورك الافق
حتى احتوى بيتك المهيمن من
خندف علياء تحتها النطق
فنحن فى ذلك الضياء وفى النـ
ـور وسبل الرشاد نخترق
قالوا وهذا الخبر قد ذكره
أصحاب السير والاخبار
والمغازى ونقلوا هذا
المديح من قول العباس
وما كان من سرور النبى
صلى الله عليه وسلم بذلك
واستبشاره به فجعلت هذه
الطائفة من الغلاة ما
ذكرنا من الشعرين شعر
عبد المطلب وشعر العباس
دلالة لهم على مواطن
ادعوها وتغلغلوا الى
شبه بعيدة استخرجوها
فجمع منها ما تقدم من
أوائل العقول وموجبات
الفحص ذكر ذلك جماعة
من مصنفى كتبهم ومن
حذاق مبرزيهم من فرق
المحمدية والعليانية
وغيرهم من فرق الغلاة
منهم اسحق بن محمد النخعى المعروف بالاحمر فى كتابه المعروف بكتاب الصراط وقد ذكر ذلك الفياض بن على

و بقي في المشيخة الى أن توفي رحمه الله تعالى ونفعنا به وبامثاله آمين * (ومن الراحلين من الاندلس الفقيه الصالح أبو بكر بن محمد بن علي بن ياسر الجياني المحدث الشهير) ذكره ابن السمعاني وغيره سافر الكثير وورد العراق وطاف في بلاد خراسان وسكن بلخ وأكثر من الحديث وحصل الاصول ونسخ بخطه ما لا يدخل تحت حصر قال ابن السمعاني وله انس ومعرفة بالحديث لقيته بسمرقند وكان قدمها سنة ٥٤٩ مع جماعة من أهل الحجاز لدين له عليهم وسمعت منه جزأ خرجه من حديث يزيد بن هرون عما وقع له عاليا وجزأ صغيرا من حديث أبي بكر بن أبي الدنيا واحاديث أبي بكر الشافعي في احد عشر جزأ المعروف بالغيلانيات بروايته عن أبي الحصين عن ابن غيلان وكان مولده بجيان سنة ٤٩٣ أو في التي بعدها الشك منه ثم لقيته بنسف في أواخر سنة خمسين ولم أسمع منه شيأ ثم قدم علينا بخارى في أوائل سنة احدى وخمسين وسمعت من لفظه جميع كتاب الزهد لهناد بن السري الكوفي بروايته عن أبي القاسم سهل بن ابراهيم المسجدي عن الحاكم أبي عبد الرحمن محمد بن أحمد الشاذياخي عن الحاكم أبي الفضل محمد بن الحسين الحدادي عن حماد بن أحمد السلمي عن مصنفه وأخبرنا الجياني بسمرقند أنبانا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين الكاتب ببغداد أنبانا أبو طالب محمد بن محمد بن سلمة أنبانا يزيد بن هرون أنبانا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ناداهم مناد يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا لم تروه قالوا وما هو ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة وينجنا من النار قال فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما أعطاهم شيأ أحب اليهم من النظر اليه ثم تلا هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وقال ابن السمعاني أيضا وأخبرنا الجياني المذكور بسمرقند أنبانا هبة الله بن محمد بن عبد الواحد ببغداد انبانا أبو طالب بن غيلان أنبانا أبو بكر الشافعي أنبانا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي أنبانا محمد بن حسان أنبانا مبارك بن سعيد قال أردت سفرا فقال لي الاعمش سل ربك أن يرزقك صحابة صالحين فان مجاهدا حدثني قال خرجت من واسط فسألت ربي أن يرزقني صحابة ولم أشترط في دعائي فاستويت أنا وهم في السفينة فاذا هم أصحاب طنابير وقال ابن السمعاني أيضا أخبرنا أبو بكر الجياني المغربي بسمرقند سمعت الامام أبا طالب ابراهيم بن هبة الله يقول قرأت على أبي يعلى محمد بن أحمد العبدي بالبصرة قال قرأت على شيخنا أبي الحسين بن يحيى في كتاب العين باسناده الى الخليل بن أحمد أنه أنشد قول الشاعر

ان في بيتنا ثلاث حبالى * فوددنا أن قد وضعن جميعا
زوجتي ثم هرتي ثم شاتي * فاذا ما وضعن كن ربيعا
زوجتي للخبيص والهر للفا * ر وشاتي اذا اشتهين مجيعا

قال أبو يعلى قال شيخنا ابن يحيى وذكر عن الخليل بن أحمد في العين أن المجيع أكل التمر باللبن انتهى * (ومنهم أبو الخطاب العلاء بن عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد ابن حزم الاندلسي المري) ذكره الحميدي في تاريخه وأثنى عليه وقال كان من أهل العلم والادب

والذكاء

في نقضه لكتاب الصراط
وذكره المعروف بالمنكي في نقضه هذا الكتاب المترجم بالصراط وهؤلاء
محمدية نقضوا هذا الكتاب وهو على مذهب العليانية وقد أتينا على ذكر هؤلاء من المحمدية والنميرية وسائر فرق الغلاة وأصحاب التفويض والوسائط واستقصينا النقض عليهم وعلى سائر من ذهب الى القول بتناسخ الارواح في أنواع أشلاء الحيوان ممن ادعى الاسلام وغيرهم ممن سلف من اليونانيين والهند والثنوية والمجوس واليهود والنصارى وذكر قول أحمد بن حائط وابن يالوس وجعفر القاضي الى من نجم في وقتنا ممن تقدم وتأخر الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ممن أحدث تفريعا على ما سلف من أصولهم وأبدى شبها أيدها ما تقدم من مذاهبهم مثل الحسين بن منصور المعروف بالحلاج وأصحاب أبي يعقوب المزابلي ثم أصحاب السوق ومن تابعهم وفارقهم في أصولهم مثل أبي جعفر محمد بن علي الشلمغاني المعروف بابن أبي القراقر وغيرهم ممن أم وذكرنا الفرق بينهم وبين غيرهم من أصحاب الدورق في هذا الوقت ممن يراعي وقت الظهر وأصحاب هيج الليل والنهار اذ كان هؤلاء قد أثبتوا القول

والذكاء والهمة العالية كتب بالاندلس فأكثر ورحل الى المشرق فاحتفل فى العلم والرواية والجمع وذكره الحافظ الخطيب أبو بكر بن ثابت البغدادى وقال هو من بيت جلالة وعلم ورياسة وأخرج عنه فى غير موضع من مصنفاته وقدم بغداد ودمشق وحدث فيهما ثم عاد الى المغرب فتوفى ببلده المرية سنة ٤٥٤ وحدث عن أبى القاسم ابراهيم بن محمد بن زكريا الزهرى ويعرف بابن الافليلى الاندلسى النحوى وغيره وكان صدوقا ثقة رحمه الله تعالى *(ومنهم العالم الحسيب أبو حفص عمر بن الحسن الهوزنى) ذكره ابن بسام فى الذخيرة والحجارى فى المسهب ولما تولى المعتضد بن عباد والد المعتمد خاف منه فاستاذنه فى الحج سنة ٤٤٤ ورحل الى مصر والى مكة وسمع فى طريقه كتاب صحيح البخارى وعنه أخذه اهل الاندلس ورجع فسكن اشبيلية وخدم المعتضد فقتله ومن خاف من شئ سلط عليه وكان قتله يوم الجمعة لليلة خلت من ربيع الاول سنة ٤٦٠ رحمه الله تعالى ومن شعره يحرضه على الجهاد قوله

أعباد جل الرزء والقوم هجع * على حالة من مثلها يتوقع
فلق كتابى من فراغك ساعة * وان طال فالموصوف للطول موضع
اذا لم أبث الداء رب شكاية * أضعت وأهل للملام المضيع

ووصله بنثر وهو وما أخطأ السبيل من أتى البيوت من ابوابها ولا أرجأ الدليل من ناط الامور بأربابها ولرب امل بين أثناء المحاذر مدمج ومحبوب فى طى المكاره مدرج فانتهز فرصتها فقد بان من غيرك العجز وطبق مفاصلها فكأن قد أمكنك الحز ولا غرو أن يستمطر الغمام فى الجدب ويستصحب الحسام فى الحرب وله

صرح الشر فلا يستقل * ان نهلتم جاءكم بعد عل
بدء صعق الارض رش وطل * ورياح ثم غيم أبل
خفضوا فالداء رزء اجل * واعمدوا اسنة اعليكم يسل

وبسبب قتل بنى عباد لابى حفص الهوزنى المذكور تسبب ابنه ابو القاسم فى فساد دولة المعتمد بن عباد وحرض عليه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين صاحب المغرب حتى ازال ملكه ونثر سلكه وسبب هلكه كما ذكرناه فى غير هذا الموضع من هذا الكتاب غير مرة فليراجعه من اراده فى محاله وبيت بنى الهوزنى المذكور بالاندلس بيت كبير مشهور ومنهم عدة علماء وكبراء رحم الله تعالى الجميع *(ومنهم ابو زكريا يحيى بن قاسم بن هلال القرطبى الفقيه المالكى) احد الائمة الزهاد كان يصوم حتى يعجز توفى سنة ٢٧٢ وقيل سنة ٢٧٨ ورحل الى المشرق وسمع من عبد الله بن نافع صاحب مالك بن انس ومن سحنون بن سعيد وغيرهما وكان فاضلا فقيها عابدا عالما بالمسائل وروى عنه احمد بن خالد وكان يفضله ويصفه بالفضل والعلم وهو صاحب الشجرة قال عباس بن اصبغ كانت فى داره شجرة تسجد لسجوده اذا سجد قاله ابن الفرضى رحمه الله تعالى ورضى عنه ونفعنا به *(ومنهم ابو بكر يحيى بن مجاهد بن عوانة الفزارى الالبيرى الزاهد) سكن قرطبة قال ابن الفرضى كان منقطع القرين فى العبادة بعيد الاسم فى الزهد حج وعنى بعلم القرآن

عليه شئ مما تقدم فى كتابنا آنفا (وقد) تغلغل بنا الكلام فى ذكر عبد المطلب (تنازع) الناس فى عبد المطلب فمنهم من رأى انه كان مؤمنا موحدا وانه لم يشرك بالله عزوجل ولا أحد من آباء النبى صلى الله عليه وسلم وانه تنقل فى الاصلاب الطاهرة وانه أخبر انه ولد من نكاح لا من سفاح ومنهم من رأى ان عبد المطلب كان مشركا وغيره من آباء النبى صلى الله عليه وسلم الا من صح ايمانه وهذا موضع فيه تنازع بين الامامية والمعتزلة والخوارج والمرجئة وغيرهم من الفرق فى النص والاختيار وليس كتابنا هذا موسوما للحجاج فنذكر حجاج كل فريق منهم (وقد أتينا) على قول كل فريق منهم وما انتدبه قوله فى كتابنا المقالات فى أصول الديانات وفى كتاب الاستبصار ووصف أقاويل الناس فى الامامة وفى كتاب الصفوة أيضا (وكان) عبد المطلب يوصى ولده بصلة الارحام واطعام الطعام ويرغبهم فعل من يراعى فى المتعقب معادا ويعثا ونشورا وجعل السقاية والرفادة الى ابنه عبد مناف وهو أبو طالب واوصاه بالنبى

والقراآت والتفسير وسمع بمصر من الاسيوطي وابن الوردوابن شعبان وغيرهم وكان له حظ من الفقه والرواية الا ان العبادة غلبت عليه وكان العمل أملك به ولا أعلمه حدث توفي رحمه الله تعالى سنة ست وستين وثلثمائة ودفن في مقبرة الربض وصلى عليه القاضي محمد ابن اسحق بن السليم ثم صلى عليه حيان بن مرة ثانية رحمه الله تعالى وأفاض علينا من أنوار عنايته آمين *(ومنهم أبو بكر محمد بن أحمد بن ابراهيم الصدفي الاشبيلي الاديب البارع) له نظم حسن وموشحات رائقة قرأ على الاستاذ الشلوبين وغيره ومدح الملوك ورحل من الاندلس فقدم ديار مصر ومدح بها بعض من كان يوصف بالكرم فوصله بنزر يسير فكر راجعا الى المغرب فتوفي ببرقة رحمه الله تعالى وكان من النجباء في النحو وغيره ومن نظمه من قصيدة

مالي مواردأمربل مصادره * اللحظ أوّله والعبد آخره
أرسلت طرفي مرتادا فطل دمي * بروض من الحسن مطلول أزاهره
رعيت في خصبه لحظي فاعقبني * جدبا بجسمي مابرويه هاجره
ولي وان لم أكن بالدكر أشهره * فالوصف فيه لفقد المثل شاهره

وهي طويلة وأثنى عليه أثير الدين أبو حيان وأورد جملة من محاسن كلامه وبدائع نظامه رحم الله تعالى الجميع *(ومنهم أبو يحيي زكريا بن خطاب الكلبي التطيلي) رحل سنة ٢٩٣ فسمع بمكة كتاب النسب للزبير بن بكار من الجرجاني الذي حدث به عن علي بن عبد العزيز ابن الجهمي عن الزبير وروى موطأ مالك بن أنس رواية أبي مصعب أحمد بن عبد الملك الزهري عن ابراهيم بن سعيد الحذاء وسمع بها من ابراهيم بن عيسى الشيباني والقزاز في آخرين وقدم الاندلس وكان الناس يرحلون اليه الى تطيلة للسماع منه واستقدمه المستنصر الحكم وهو ولي عهد فسمع منه أكثر رواياته وسمع منه جماعة من أهل قرطبة وكان ثقة مأمونا ولي قضاء بلده تطيلة احدى مدائن الاندلس بعد عمر بن يوسف ابن الامام *(ومنهم سعد الخير بن محمد بن سعد أبو الحسن الانصاري البلنسي المحدث) رحل الى أن دخل الصين ولذا كان يكتب البلنسي الصيني وركب البحار وقاسى المشاق وتفقه ببغداد على أبي حامد الغزالي وسمع بها أبا عبد الله النعال وطراد اوغيرهما وباصبهان أبا سعد المطرز وسكنها وتزوج بها وولدت له فاطمة بها ثم سكن بغداد وروى عنه ابن عساكر وابن السمعاني وأبو موسى المديني وابو اليمن الكندي وأبو الفرج بن الجوزي وابنته فاطمة بنت سعد الخير في آخرين وتادب على أبي زكريا التبريزي وتوفي في المحرم سنة ٥٤١ رحمه الله تعالى ببغداد وصلى عليه الغزنوي والشيخ الواعظ بجامع القصر وكان وصيه وحضر جنازته قاضي القضاة الزينبي والاعيان ودفن الى جانب عبد الله ابن الامام احمد بن حنبل رضي الله تعالى عنهم أجمعين بوصية منه *(ومنهم ابو عثمان سعيد بن نصر بن عمر بن خلفون الاستجي) سمع بقرطبة من قاسم بن اصبغ وابن أبي دليم وغيرهما ورحل فسمع بمكة من ابن الاعرابي وببغداد من أبي علي الصفار وجماعة وبهامات *(ومنهم ابو عثمان سعيد الاعناقي ويقال العناقي القرطبي) كان ورعا زاهدا عالما بالحديث بصيرا

اسمه وان علي بن ابي طالب رضي الله عنه كتب في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ليهود خيبر باملاء النبي صلى الله عليه وسلم وكتب علي بن ابي طالب باسقاط الالف وقد ذكر عبد المطلب في شعر له وصية ابي طالب بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال

اوصيت من كنيته بطالب
بابن الذي قد غاب ليس آيب

وقد كان اكبر العرب ممن بقي وذرية رب بالصانع ويستدل على الخالق (وقد كان) في ملك النمروذ بن كوش بن حام بن نوح هيجان الريح التي نسفت صرح النمروذ ببابل من ارض العراق فبات الناس ولسانهم سرياني وأصبحوا قد تفرقت لغاتهم على اثنين وسبعين لسانا فسمي الموضع من ذلك الوقت بابل فصار من ذلك في ولد سام بن نوح تسعة عشر لسانا وفي ولد يافث بن نوح سبعة وثلاثون لسانا على حسب ماذكرنا في صدر هذا الكتاب وكان من تكلم بالعربية يعرب وجرهم وعاد وعبيل وجديس وثمود وعملاق وطسم ووبار وعبد بن ضخم فسار يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ بعلله .

بعلله سمع من محمد بن وضاح وصحبه ومن يحيى بن ابراهيم بن مزين ومحمد بن عبد السلام الخشني وغيرهم ورحل فلقى جماعة من أصحاب الحديث منهم نصر بن مرزوق كتب عنه مسند أسد بن موسى وغير ذلك من كتبه ويونس بن عبد الاعلى ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم والحرث بن مسكين فى آخرين وحدث عنه أحمد بن خالد وابن أيمن ومحمد بن قاسم وابن أبى زيد فى عدد كثير ومولده سنة ٢٣٣ وتوفى سنة ٣٠٥ بصفر والاعناقى نسبة الى موضع يقال له أعناق وعناق *(ومنهم أبو المطرف عبد الرحمن بن خلف التجيبي الاقليشى) روى عن أبى عثمان سعيد بن سالم المجريطى وأبى ميمونة دارس بن اسمعيل فقيه فاس ورحل حاجا سنة ٣٤٩ فسمع بمكة من أبى بكر الآجرى وأبى حفص الجمحى وبمصر من أبى اسحق ابن شعبان وروى عنه كتاب الزاهى جميعه وقد قرئ عليه جميعه وحمل عنه ومولده سنة ٣١٣ رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو الاصبغ عبد العزيز بن على المعروف بابن الطحان الاشبيلى المقرى) ولد باشبيلية سنة ٤٩٨ ورحل فدخل مصر والشام وحلبا وتوفى بحلب بعد سنة ٥٥٩ وله كتاب نظام الاداء فى الوقف والابتداء ومقدمة فى مخارج الحروف ومقدمة فى أصول القراآت وكتاب الدعاء وكان من القراء المجودين الموصوفين بالاتقان ومعرفة وجوه القراآت وسمع الحديث على شريح بن محمد بن أحمد بن شريح الرعينى خطيب اشبيلية وأبى بكر يحيى بن سعادة القرطبى وله شعر حسن منه قوله

دع الدنيا لعاشقها * سيصبح من رشائقها
وعاد النفس مصطبرا * ونكب عن خلائقها
هلاك المرء أن يضحى * مجدا فى علائقها
وذو التقوى يذللها * فيسلم من بوائقها

وأخذ القراآت ببلده عن أبى العباس بن عيشون وشريح بن محمد وروى عنهما وعن أبى عبد الله بن عبد الرزاق الكلبى وروى مصنف النسائى عن أبى مراون بن مسرة وتصدى للاقراء ثم انتقل الى فاس وحج ودخل العراق وقرأ بواسط القراآت وأقرأها أيضا ودخل الشام واشتهر ذكره وجل قدره وروى عنه أبو محمد عبد الحق الاشبيلى الحافظ وعلى بن يونس قال بعضهم سمعت غير واحد يقول ليس بالمغرب أعلم بالقراآت من ابن الطحان قرأ عليه الاثير أبو الحسن محمد بن أبى العلاء وأبو طالب بن عبد السميع وغيرهما رحمهم الله تعالى أجمعين *(ومنهم أبو الاصبغ عبد العزيز بن خلف المعافرى) قدم مصر سنة ٥٠٢ وولد سنة ٤٤٨ وحدث بالموطا عن سليمان بن أبى القاسم أنبانا أبو عمر بن عبد البر أنبانا سعيد بن نصر عن قاسم بن أصبغ عن محمد بن وضاح عن يحيى بن يحيى عن مالك بن أنس امام دار الهجرة رضى الله تعالى عنه * (ومنهم أبو محمد عبد العزيز بن عبد الله بن ثعلبة السعدى الشاطبى) قدم مصر ودمشق طالب علم وسمع أبا الحسن بن أبى الحديد وأبا منصور العكبرى وغيرهما وصنف غريب الحديث لابى عبيد القاسم بن سلام على حروف المعجم وسمعه عليه أبو محمد الاكفانى وتوفى بارض حوران من أعمال دمشق فى رمضان سنة ٤٦٥ رحمه الله تعالى ورضى عنه (ومنهم الحكيم الطبيب أبو الفضل محمد بن عبد المنعم الغسانى الجليانى) وهو عبد المنعم بن

ابن أرفخشذ بن سام بن نوح بمن تبعه من ولده وغيرهم وهو يقول انا ابن قحطان الهمام الافضل * الايمن المعرب ذى المهال

ياقوم سيروا فى الرعيل الاول
انا الندى باللسان المسهل
الابين المنطق غير المشكل
حنوت والامة فى تبلبل
ياقوم سيروا فى الرعيل الاول
نحو يمين الشمس فى تمهل

فحل باليمن على ما وصفنا آنفا من هذا الكتاب (وسار بعده عاد بن عوص) ابن ارم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه وهو يقول

انى انا عاد الطويل البادى
وسام جدى ابن نوح الهادى
فقد رأيتم يعرب الزيادى
وسوقه الطارف والتلادى

فحل بالاحقاف وأدانى الرمل بين عمان وحضرموت واليمن وتفرق هؤلاء فى الارض فانتشر منهم ناس كثير منهم جيرون بن سعد ابن عاد حل بدمشق فمصر مصرها وجمع عمد الرخام والمرمر اليها وشيد بنيانها وتسمى ارم ذات العماد وقد روى عن كعب الاحبار فى ارم ذات العماد غير هذا وهذا الموضع بدمشق فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة سوق من أسواقها عند باب المسجد الجامع يعرف بجيرون وجيرون هو بنيان عظيم كان قصر هذا الملك عليه أبواب من نحاس عجيبة بعضها

عمر بن عبد الله بن أحمد بن خضر بن مالك بن حسان ولد بقرية جليانة من أعمال غرناطة سابع المحرم سنة ٥٣١ وقدم الى القاهرة وسار الى دمشق فسكنها مدة ثم سافر الى بغداد فدخلها سنة ٦٠١ ونزل بالمدرسة النظامية وكتب الناس عنه كثيرا من نظمه وكان أديبا فاضلا له شعر مليح المعاني اكثر في الحكم والالهيات وآداب النفوس والرياضات وكان طبيبا حاذقا وله رياضات ومعرفة بعلم الباطن وله كلام مليح على طريق القوم وكان مليح السمت حسن الاخلاق لطيفا حاضر الجواب ومات بدمشق سنة ٦٠٢ وكان يقال له حكيم الزمان وأراد القاضي الفاضل ان يغض منه فقال له بحضرة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب كم بين جليانة وغرناطة فقال مثل ما بين بيسان وبيت المقدس ومن شعره قوله

خبرت بني عصري على البسط والقبض * وكاشفتهم كشف الطبائع بالنبض
فانتج فيهم قياسي تخيلا * عن الكل اذ هم آفة الوقت والعرض
ألازم كسر البيت خلوا وان يكن * خروج ففردا ملصق الطرف بالارض
أرى الشخص من بعد فاغضي تغافلا * كشدوه بال في مهمته يمضي
ويحسبني في غفلة وفراستي * على الامر من يحيى بما قد نوى تقضي
أجانبهم سلما ليسلم جانبي * وليس لحقد في النفوس ولا بغض
تخليت عن قومي ولو كان ممكني * تخليت عن بعضي ليسلم لي بعضي

وقال

قالوا تراك عن الاكابر تعرض * وسواك زوارلهم متعرض
قلت الزيارة للزمان اضاعة * واذا مضى زمن فما يتعوض
ان كان لي يوما اليهم حاجة * فبقدر ما ضمن القضاء تقيض

وقال

حاول مفازك قبل أن يتحولا * فالحال آخرها كحالك أولا
ان المنى من المنية لفظه * لتدل في أصل البناء على البلا

وسماه بعضهم عبد المنعم وذكره العماد في الخريدة وقال هو صاحب البديع البعيد والتوشيح والترشيح والترصيع والتصريع والتجنيس والتطبيق والتوفيق والتلفيق والتقريب والتقرير والتعريف والتعريب وهو مقيم بدمشق وقد اتى العسكر المنصور الناصري سنة ٥٨٦ بظاهر ثغر عكا وكتب الى السلطان صلاح الدين وقد جرح فرسه

أيا ملكا أفنى العداة حسامه * ومنتجعا أفنى العفاة ابتسامه
اقاؤلك يوما في الزمان سعادة * فكيف بشاو في حمالك حسامه
وعبدك شاك دينه وهو شاكر * نداك الذي يغني الغمام غمامه
ولي فرس أصماه سهم فرده * أثافي وربع بالثلاث قيامه
تعمر فيه بالجراحة ساحة * وعطل منه سرجه ولجامه
أتينا لما عودتنا من مكارم * يلوذ بها الراجي فيشفي ضرامه
فرجاك غوث لا يغيب نصيره * ونعماك غيث لا يغب انسجامه

على ما كانت عليه والبعض ابن عوص) ثمود بن عابر ابن ارم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه وهو يقول

أنا الفتى الذي دعى ثمودا
ياقوم سيروا ودعوا التريدا
لعلنا ان ندرك الوفودا
فنلحق البادي لنا الصديدا
انا أبونا اليعرب الجميدا
وعاد ما عاد الفتى الجليدا

فنزل هؤلاء الحجر الى فرع وقد تقدم ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب وخبر نبيهم صالح عليه السلام وانهم نحو وادي القرى بين الشام والحجاز (وسار بعد ثمود) جديس ابن عملاق بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه وهو يقول

انا جديس والمسير المسلكا
فدتك نفسي يا ثمود المهلكا
دعوتني فقد قصدت نحوكا
اذ سارت العيس وأبدت شجعكا

وقد قلنا فيما سلف انهم هؤلاء الذين نزلوا اليمامة (وسار بعد جديس) عملاق بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح ومن تبعه وهو يقول

لما رأيت الناس ذا تبلبل
وسار منا ذو اللسان الاول
وحدثتنا في اللعاق الاول * فسرت حثا بالسوام المهمل

وله

ولد رحمه الله تعالى غير هذا وترجمته واسعة * (ومنهم الاستاذ أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد ابن عبد الوهاب بن عبد القدوس القرطبي مؤلف المفتاح في القراآت ومقرى أهل قرطبة) رحل وقرأ القراآت على أبي على الاهوازى وبحران على أبي القاسم الزيدى وبمصر على أبي العباس بن نفيس وبمكة على أبي العباس الكازرينى وسمع بدمشق من أبي الحسن بن السمسار وكان عجبا في تحرير القراآت ومعرفة فنونها وكانت الرحلة اليه في وقته ولد سنة ٤٠٣ ومات في ذى القعدة سنة ٤٦١ قرأ عليه أبو القاسم خلف بن النحاس وجماعة رحمه الله تعالى * (ومنهم عبيد الله وقيل عبد الله بغير تصغير ابن المظفر بن عبد الله بن محمد أبو الحكم الباهلى الاندلسى) ولد بالمرية سنة ٤٨٦ وحج سنة ٥١٦ وحج أيضا سنة ٥١٨ ودخل دمشق وقرأ بصعيد مصر وبالاسكندرية ثم مضى الى العراق وأقام ببغداد يعلم الصبيان وخدم السلطان محمود بن ملك شاه سنة ٥٢١ وأنشأ له في معسكره مارستانا ينقل على أربعين جملا فكان طبيبه ثم عاد الى دمشق ومات بها سنة ٥٤٩ ودفن بباب الفراديس وكان ذا معرفة بالادب والطب والهندسة وله ديوان شعر سماه نهج الوضاعة لاولى الخلاعة ذكر فيه جملة شعراء كانوا بمدينة دمشق كطالب الصورى ونصر الهيتى وغيرهما كعرقلة وفيه نزهات أدبية ومنها لهات غريبة ممزوج جدها بسخفها وهزلها بظرفها ورثى فيه أنواعا من الدواب وأنواعا من الاثاث وخلقا من المغنين والاطراف وشرح هذا الديوان ابنه الحكيم الفاضل أبو المجد محمد بن أبي الحكم الملقب بأفضل الدولة وكان كثير الهزل والمداعبة دائم اللهو والمطايبة وكان اذا أتاه الغلام ومابه شئ فيجس نبضه ثم يقول له تصلح لك الهريسة وكان أعور فقال فيه عرقلة

لنا طبيب شاعر أعور * أراحنا من طبه الله
ما عاد في صبحة يوم فتى * الا وفى باقيه رثاه

وله يرثيه

يا عين سحى بدمع ساكب ودم * على الحكيم الذى يكنى أبا الحكم
قد كان لارحم الرحمن شيبته * ولا سقى قبره من صيب الديم
شيخا يرى الصلوات الخمس نافلة * ويستحل دم الحجاج في الحرم

ومن كنايات أبي الحكم المستحسنة قوله

ألم ترني أكابد فيك وجدى * وأحمل منك ما لا استطاع
اذا ما النجم الجو استقلت * ومال الدلو وارتفع الذراع

ومن شعره قوله

محاسن العالم قد جمعت * في حسنه المستكمل البارع
وليس لله بمستنكر * أن يجمع العالم في الجامع

* (ومنهم أبو الربيع سليمان بن ابراهيم بن صافى الغرناطى القيسانى) وقيسانة من عمل غرناطة الفقيه المالكى ولد سنة ٥٦٤ وقدم القاهرة وناب في الحسبة وله شعر حسن توفى بالقاهرة سنة ٦٣٤ رحمه الله تعالى * (ومنهم طالوت بن عبد الجبار المعافرى الاندلسى) دخل

فنزل هؤلاء أكناف الحرم والتهائم ومنهم من سار الى بلاد مصر والمغرب وقيل ان هؤلاء بعض فراعنة مصر وقد ذكرنا قول من الحق من العماليق وغيرهم ممن ذكرنا بقطور بن اسحق ابن ابراهيم الخليل وزعم أنهم من ولد العيص على حسب ما ذكرنا فيما تقدم وقد كانت العماليق ملوكا كثيرة سلفت في مواضع من الشام وغيره وقد أتينا على أخبارهم وذكر ممالكهم وحروبهم في كتابنا أخبار الزمان وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب قصة يوشع ابن نون مع ملك العماليق وأنهم انضافوا الى ملك الروم على مشارق الشام والغرب والجزيرة من ثغور الروم فيما بينهم وبين فارس (فمن ملك الروم من العماليق أذينة بن الصميدع الذى ذكره الاعشى في قوله

أزال أذينة عن ملكه * وأخرج عن ملكه ذا يزن

وقد كان ملك بعد العماليق حسان بن أذينة ابن ظرب ويقال هو الذى يعرف بامه ثم ملك عمرو ابن ظرب ويقال هو الذى كان يعرف بامه وقد كان بينه وبين جذيمة الابرش الازدى بن مالك حروب كثيرة فقتله جذيمة على ما ذكرنا وما كان من قتل الزباء لجذيمة وقول الشاعر كأن عمرو بن ظرب لم يعش ملكا

مصر وحج ولقي امامنا مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه وعاد الى قرطبة وكان ممن خرج على الحكم بن هشام بن عبد الرحمن من أهل ربض شقندة يريد خلعه واقامة أخيه المنذر وزحفوا الى قصره بقرطبة فظفر بهم وقتلهم وفر من بقي منهم فاستتر الفقيه طالوت عاما عند يهودي ثم ترامى على صديقه أبي البسام الكاتب ليأخذ له أمانا من الحكم فوشى به الى الحكم وأحضره اليه فعنفه ووبخه فقال له كيف يحل لي أن أخرج اليك وقد سمعت مالك بن أنس يقول سلطان جائر مدة خير من فتنة ساعة فقال الله تعالى لقد سمعت هذا من مالك فقال طالوت اللهم اني قد سمعته فقال انصرف الى منزلك وأنت آمن ثم سأله أين استتر فقال عند يهودي مدة عام ثم اني قصدت هذا الوزير فغدر بي فغضب الحكم على أبي البسام وعزله عن وزارته وكتب عهدا أن لا يخدمه أبدا فرؤي أبو البسام بعد ذلك في فاقة وذل فقيل استجيبت فيه دعوة الفقيه طالوت رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد ضياء الدين ونظامه ابن خروف الاديب القيسي القرطبي القيذافي الشاعر) قدم الى مصر ثم سار الى حلب ومات بها مترديا في جب حنطة سنة ٦٠٣ وقيل في التي بعدها وقيل سنة خمس وستمائة وله شرح كتاب سيبويه وحمله الى صاحب المغرب فأعطاه ألف دينار وله شرح جمل الزجاجي وكتب في الفرائض ورد على أبي زيد السهيلي وغير ذلك ومدح الافضل ابن السلطان صلاح الدين ومدح الظاهر بن الناصر أيضا وشعره جيد فمنه قوله في كاس

أنا جسم للحميا * والحميا لي روح
بين أهل الظرف أغدو * كل يوم وأروح

وقال في صبي حبس

أقاضي المسلمين حكمت حكما * غدا وجه الزمان به عبوسا
حبست على الدراهم ذا جمال * ولم تحبسه اذ سلب النفوسا

وقال

ما أعجب النيل ما أحلى شمائله * في ضفتيه من الاشجار أدواح
من جنة الخلد فياض على ترع * تهب فيها هبوب الريح أرواح
ليست زيادته ماء كما زعموا * وانما هي أرزاق وأرباح

والقيذافي بقاف ثم ياء آخر الحروف بعدها ذال معجمة ثم ألف وفاء وله رسالة كتب بها الى بهاء الدين بن شداد بحلب يطلب منه فروة وهي

بهاء الدين والدنيا * ونور المجد والحسب
طلبت مخافة الانوا * ء من جدواك جلد أبي
وفضلك عالم أني * خروف بارع الادب
حلبت الدهر أشطره * وفي حلب صفا حلبي

ذو الحسب الباهر والنسب الزاهر يسحب ذيول سيراء السيراء ويعجب النحاة من أجل الفراء ويمن على الخروف النبيه بجلد أبيه فاني الصباغ قريب عهد بالدباغ ما ضل طالب قرظه ولا ضاع بل ذاع ثناء صانعه وضاع اذا ظهر اهابه بخافه البرد ويهابه

ولم يكن حوله الرايات تختفق ٣ لاءم جذيمة من ضرسا ءمشعلة * فيها خراشف بالنيران ترتشق

(ثم سار طسم) بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح بعد عملاق بن لاوذ بولده ومن تبعه وهو يقول

اني أنا طسم وجدي سام
سام بن نوح وهو الامام
لما رأيت الاخ والاعلاما
قلت لنفسي الحقي السواما
أخاك عملاقا وذا الاقدام
يا فشلا كان ولي حام

فنزل هؤلاء البحرين وقد كان جميع من ذكرنا بيدوا وانتشروا في الارض على حسب ما ذكرنا من مساكنهم وكثرت جديس فملكت عليها الاسود بن عفار وكثرت طسم فملكت عليها عمليق بن جديس وقد ذكرنا عبيد بن شريد الجرهمي حين وفد على معاوية وأخبره أن طسم ابن لاوذ بن سام بن نوح هم العرب العاربة وقد كان منزلهم جميعا باليمامة واسمها اذ ذاك جو وكان لطسم ملك يقال له عملوق وكان ظلوما غشوما لا ينهاه شيء عن هواه مع اضراره واقدامه على جديس وتعديه عليهم وقهره اياهم فلبثوا في ذلك دهرا وهم أهل مظالم قد غمطوا النعمة وانتهكوا الحرمة وبلادهم أفضل البلاد وأكثرها خيرا فيها صنوف الشجر والاعناب وهي حدائق ملتفة

أثيث خمائل الصوف بهز بكل هوجاء عصوف ما في اللباس له ضريب اذا نزل الجليد والضريب ولا في الثياب له نظير اذا عرى من ورقه الغصن النضير والمولى يبعثه فرجى النوع أرجى الضوع يكون تارة لحافا وتارة بردا وهو في الحالين يحيى حرا ويميت بردا لا كطيلسان ابن حرب ولا كجلد عمرو الممزق بالضرب ان عزاه السواد الى حام فسام أونماه البياض الى سام فسام كانه من جلد جمل الحرباء الذي يرعى القمر والنجم لامن جلد السخلة الجرباء التى ترعى الشجر والنجم لازال مهديه سعيدا ينجز للاخيار وعدا وللاشرار وعيدا بالمنة والطول والقوة والحول *(ومنهم مالك بن مالك) من أهل جيان رحل حاجا فادى الفريضة وسكن حلبا ولقى عبد الكريم بن عمران وأنشد له قوله

يارب خذ بيدى مما دفعت له * فلست منه على ورد ولاصدر
الامر ما أنت رائيه وعالمه * وقد عتبت ولا عتب على القدر
من يكشف السوء الا أنت بارئنا * ومن يزيل بصفو حالة الكدر

*(ومنهم أبو على بن خميس وهو منصور بن خميس بن محمد بن ابراهيم اللخمى) من أهل المرية سمع من أبى عبد الله البونى وابن صالح وأخذ عنهما القرا آت وروى أيضا عن الحافظ القاضى أبى بكر بن العربى وأبوى القاسم بن رضا وابن ورد وأبى محمد الرشاطى وأبى الحجاج القضاعى وأبى محمد عبد الحق بن عطية وأبى عمر والخضر بن عبد الرحمن وأبى القاسم عبد الحق بن محمد الخزرجى وغيرهم ورحل حاجا فنزل الاسكندرية وسمع منه أبو عبد الله بن عطية الدانى سنة ٥٩٦ وحدث عنه بالاجازة أبو العباس العزفى وغيره (ومنهم منصور بن لب ابن عيسى الانصارى) من أهل المرية يكنى أبا على أخذ القرا آت ببلده عن ابن خميس المذكور قبله ورحل بعده فنزل الاسكندرية وأجازه أبو الطاهر السلفى فى صغره وقد أخذ عنه فيما ذكر بعضهم ومولده سنة ٥٧١ رحمه الله تعالى *(ومنهم مفرج بن حماد بن الحسين بن مفرج المعافرى) من أهل قرطبة وهو جد ابن مفرج صاحب كتاب الاحتفال بعلم الرجال صحب المذكور محمد بن وضاح فى رحلته الثانية وشاركه فى كثير من رجاله وصدر عن المشرق معه فاجتهد فى العبادة وانتبذ عن الناس ثم كر راجعا الى مكة عند موت ابن وضاح فنزلها واستوطنها الى ان مات فقبره هنالك وقال فى حقه أبو عمر عفيف انه كان من الصالحين رحل فحج وجاور بمكة نحو عشرين سنة الى أن مات بها رحمه الله تعالى (ومنهم محب بن الحسين) من اهل الثغر الشرقى كانت له رحلة حج فيها وسمع بالقيروان من ابى عبد الله بن سفيان الكنانى الهادى فى القرا آت من تاليفه وكان رجلا صالحا حدث عنه ابو عبد الله محمد بن عبد الملك التجيبى من شيوخ ابى مروان بن الصيقل *(ومنهم مساعد بن أحمد بن مساعد الاصبحى) من اهل اوريولة يكنى ابا عبد الرحمن ويعرف بابن زعوقة روى عن ابن ابى تليد وابن جدر والحافظين أبى على الصدفى وأبى بكر بن العربى وكتب اليه ابو بكر بن غالب بن عطية ورحل حاجا فى سنة اربع وتسعين واربعمائة فادى الفريضة سنة خمس بعدها ولقى بمكة اباعبد الله الطبرى فسمع منه صحيح مسلم مشتركا فى السماع مع ابى محمد بن جعفر الفقيه ولقى ابا محمد بن العربى واباه وابا بكر بن الوليد الطرطوشى واصحاب الامام ابى حامد الغزالى وابا

وقصور ومصطفة فلم يزل على * تقوم باذ آتته امرأة من جديس يقال لها هزيلة بنت مازن وزوج لها قد فارقها يقال له ماشق فاراد قبض ولده منها فابت عليه فارتفعا الى الملك عملوق ليحكم بينهما فقالت المرأة أيها الملك هذا الذى حملته تسعا ووضعته دفعا وأرضعته شفعا ولم أنل منه نفعا حتى اذا تمت أوصاله واستوفى خصاله أراد أن ياخذه قسرا ويسلبنيه قهرا ويتركنى منه صفرا قال زوجها قد أخذت المهر كاملا ولم أنل منه نائلا الا ولدا خاملا فافعل ما أنت فاعلا فامر الملك أن يؤخذ الولد منها ويجعل فى غلمانه فقالت هزيلة فى ذلك

أتينا أخا طسم ليحكم بيننا
فابرم حكما فى هزيلة ظالما
لعمرى لقد حكمت لامتورعا
ولافهما عند الحكومة عالما
ندمت فلم أقدر على متزحزح
واصبح زوجى حائر الراى نادما

فبلغ الملك قول هزيلة فغضب وامر أن لاتتزوج امرأة من جديس فتزف الى زوجها حتى تحمل اليه فيفترعها قبل زوجها فلقوا من ذلك ذلا طويلا ولم تزل تلك حالتهم حتى تزوجت عفيرة وقيل الشموس بنت عمار الطسمى أخت الاسود بن عفار فلما كانت ليلة هديها الى زوجها انطلق

على عادته ومعه القينات يغنين ويقلن في ... ابعملوق وقسو مخفار كي

عبد الله المازري وجماعة سواهم ساوى بلقائهم مشيختهم وانصرف الى بلده فسمع منه الناس وأخذوا عنه لعلو روايته وكان من أهل المعرفة والصلاح والورع وممن حدث عنه من الجلة أبو القاسم بن بشكوال وأبو الحجاج الثغري الغرناطي وأبو محمد عبد المنعم بن الفرس وغيرهم وأغفله ابن بشكوال فلم يذكره في الصلة مع كونه روى عنه وقال تلميذه أبو الحجاج الثغري الغرناطي أخبرني أبو سليمان بن حوط الله وغيره عنه قال أخبرني الحاج أبو عبد الرحمن بن مساعد رضي الله تعالى عنه انه لقي بالمشرق امرأة تعرف بصباح عند باب الصفا وكان يقرأ عليها بعض التفاسير فجاء بيت شعر شاهد فسألت هل له صاحب فسألوا الشيخ أبا محمد بن العرجاء فقال الشيخ لا أذكر له صاحبا فانشدت

طلعت شمس من أحبك ليلا * واستضاءت فما لها من مغيب
ان شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب دون غروب

ولد في صفر سنة ٤٦٨ وتوفي باوريولة سنة ٥٤٠ قاله ابن شعبان * (ومنهم أبو حبيب نصر بن القاسم) قال ابن الابار أظنه من اهل غرناطة له رحلة حج فيها وسمع من ابي الطاهر السلفي وحدث عنه عن ابن فتح بمسند الجوهري انتهى * (ومنهم النعمان بن النعمان المعافري) من اهل ميورقة منسوب الى جده رحل حاجا فادى الفريضة وجاور بمكة ثم قفل الى بلده واعتزل الناس وكان يشار اليه باجابة الدعوة وتوفي سنة ٦١٦ رحمه الله تعالى ونفعنا به * (ومنهم نعم الخلف بن عبد الله بن ابي ثور الحضرمي) من اهل طرطوشة اوناحيتها رحل الى المشرق وادى الفريضة ولقي بمكة ابا عبد الله الاصبهاني فسمع منه سنة ٤٢٢ حدث عنه ابنه القاسم بن نعم الخلف بيسير (ومنهم ثابت بالنون ابن المفرج بن يوسف الخثعمي) اصله من بلنسية وسكن مصر يكنى ابا الزهر قال السلفي قدم مصر بعد خروجي منها وتفقه على مذهب الشافعي وتادب وقال الشعر الفائق وكتب الى بشئ من شعره ومات في رجب سنة ٥٤٠ بمصر * (ومنهم ضمام بن عبد الله الاندلسي) رحل الى المشرق ودخل بغداد وهو ممن روى عن عبد السلام بن مسلم الاندلسي وممن روى عن ضمام أبو الفرج أحمد بن القاسم الخشاب البغدادي من شيوخ الدارقطني قال ابن الابار هكذا وقع في نسخة عتيقة من تاليف الدارقطني في رواة عن مالك في باب مسلمة منه ضمام بالضاد المعجمة وهكذا ثبت في رواية أبي ذر كريا بن مالك بن عائذ عن الدارقطني وقال فيه غيره همام بن عبد الله بالهاء وتشديد الميم وفي حرف الهاء أثبته أبو الوليد بن الفرضي من تاريخه والاول عندي أصح والله تعالى اعلم انتهى * (ومنهم ضرغام بن عروة بن حجاج بن أبي فريعة) واسمه زيد مولى عبد الرحمن ابن معاوية والداخل معه الى الاندلس من أهل لبلة له رحلة الى المشرق وكان فقيها ذكره الرازي * (ومنهم عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر المعافري) من أهل قرطبة وأصله من الجزيرة الخضراء وهو والد المنصور بن أبي عامر ويكنى أبا حفص سمع الحديث وكتبه عن محمد بن عمر بن لبابة وأحمد بن خالد ومحمد بن فطيس وغيرهم ورحل الى المشرق فادى الفريضة وكان من اهل الخير والدين والصلاح والزهد والقعود عن السلطان اثنى عليه الراوية أبو محمد الباجي وقال كان لي خير صديق انتفع به وينتفع بي

بها الى عملوق الملك ليطاها
وبادري الصبح بامر معجب
فالبكر بعدكم من مذهب
فلما دخلت عفيرة على
عملوق وافترعها وخلى
سبيلها خرجت عفيرة على
قومها في دمائها شاقة جيبها
عن قبلها ودبرها وهي
تقول

لا أحد أذل من جديس
أهكذا يفعل بالعروس

وقالت أيضا تحرض
جديس على طسم وأبت
أن تمضي الى زوجها من
كلمة

أيصلح ما يؤتى الى فتياتكم
وأنتم رجال فيكم عدد الرمل
أيصلح تمشي في الدماء فتياتكم
صبيحة زفت في النساء الى
البعل
فان أنتم لا تغضبوا بعد
هذه
فكونوا نساء لا تفروا من
الكحل
ودونكم طيب العروس
فانما
خلقتم لاثواب العروس
وللغسل
فبعدا وسحقا للذي ليس
دافعا
ويختال يمشي بيننا مشية
الفحل
فلو أننا كنا الرجال وكنتم
نساء لكنا لا نقر على الذل
فموتوا كراما واصبروا العدوكم * بحرب تلظى في القرام من الجزل

واقابل

وأقابل معه كتبه وكتبي ومات منصرفه من حجه ودفن بمدينة طرابلس المغرب وقيل بموضع يقال له وقادة وكان رجلا عالما صالحا وقال بعضهم انه توفي في آخر خلافة عبد الرحمن الناصر * (ومنهم أبو محمد عبد الله بن حمود الزبيدي الاشبيلي ابن عم أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي اللغوي) كان من مشاهير أصحاب ابي علي البغدادي ورحل الى المشرق فلم يعد الى الاندلس ولازم السيرافي ببغداد الى أن توفي فلازم بعده صاحبه أبا علي الفارسي ببغداد والعراق وحيثما جال واتبعه الى فارس وحكى ابو الفتوح الجرجاني ان أبا علي البغدادي غلس لصلاة الصبح في المسجد فقام اليه أبو محمد الزبيدي من مدود كان لدابته خارج الدار قد بات فيه او ادلج اليه ليكون اول وارد عليه فارتاع منه وقال ويحك من تكون قال انا عبد الله الاندلسي فقال له الى كم تتبعني والله انه ليس على وجه الارض انحى منك وكان من كبار النحاة واهل المعرفة التامة والشعر وجمع شرحا لكتاب سيبويه ويقال انه توفي ببغداد سنة ٣٧٣ * (ومنهم عبد الله بن رشيق القرطبي) رحل من الاندلس فاوطن القيروان واختص بابي عمران الفاسي وتفقه به وكان اديبا شاعرا عفيفا خيرا وفي شيخه ابي عمران اكثر شعره ورحل حاجا فادى الفريضة وتوفي في انصرافه بمصر سنة ٤١٩ وانشدني له ابن رشيق في الانموذج قوله رحمه الله تعالى

خير اعمالك الرضا * بالمقادير والقضا
بينما المرء ناضر * قيل قدمات وانقضى

وقوله

سأقطع حبلي من حبالك جاهدا * واهجر هجرا لا يجرانا عرضا
وقد يعرض الانسان عمن يوده * ويلقى ببشر من يسر له البغضا

قال في الانموذج واراد الحج فناله وجع فمات بمصر بعد اشتهاره فيها بالعلم والجلالة وقد بلغ عمره نحو الاربعين سنة رحمه الله تعالى وهو مخالف لما قدمناه من أنه أدى الفريضة وقد ذكر ابن الابار العبارتين والله تعالى أعلم * (ومنهم ابو بكر اليابري ويكنى ايضا ابا محمد وهو عبد الله ابن طلحة بن محمد بن عبد الله) اصله من يابرة ونزل هو اشبيلية وروى عن ابي الوليد الباجي وعن جماعة بغرب الاندلس منهم ابو بكر بن ايوب وابو الحزم بن عليم وابو عبد الله بن مزاحم البطليوسيون وغيرهم وكان ذا معرفة بالنحو والاصول والفقه وحفظ التفسير والقيام عليه وعلق به مدة باشبيلية وغيرها وهو كان الغالب عليه مع القصص فيسرد منه جملا على العامة وكان متكلما ورد على ابي محمد بن حزم وكان احد الائمة بجامع العديس ورحل الى المشرق فروى عن ابي بكر محمد بن زيدون بن علي كتابه المؤلف في الحديث المعروف بالزيدوني والف كتابا في شرح صدر رسالة ابن ابي زيد وبين ما فيها من العقائد وله مجموعة في الاصول والفقه منها كتاب سماه المدخل الى كتاب آخر سماه سيف الاسلام على مذهب مالك الامام الفه للامير علي بن تميم بن المعز الصنهاجي صاحب المهدية وذكر في فصل الحج منه انه رحل الى المهدية سنة ٥١٠ واستوطن مصر مدة ثم رحل الى مكة وبها توفي رحمه الله تعالى روى عنه ابو المظفر الشيباني وابو محمد العثماني وابو الحجاج يوسف بن محمد القيرواني

ولا تجرعوا العرب باقوام انما * تقوم باقوام كرام على رجل فيهلك فيها كل نكس موكل * ٢١ ويسلم فيها ذو النجابة والفضل

وفي ذلك يقول أخوها
جاءت تمشي طسم في خميس
كالريح في هشهشة اليبيس
يا طسم ما لقيت من جديس
حقا لك الويل فهيدي هيدي
قال فلما اسمعت جديس بذلك وغيره من قولها اجتمعت عصبا لذلك فقال لهم الاسود بن عفار وكان فيهم سيدا مطاعا يا جديس أطيعوني فيما آمركم به وادعوكم اليه ففي ذلك عز الدهر وذهاب الذل قالوا وما ذاك قال قد علمتم أن هؤلاء يعني طسما ليسوا باعز منكم ولكن ملك صاحبكم عليكم وعليهم هو الذي يدعنا اليه بالطاعة ولولا ذلك ما كان له علينا من فضل ولو امتنعنا منه لكان لنا النصف فقالوا قد قبلنا قولك ولكن القوم أقراننا وأكثر عددا وعددا منا فنخاف ان ظفروا بنا أن لا يقيلونا فقال والله يا جديس لتطيعوني فيما آمركم به وادعوكم اليه أو لاتكئن على سيفي فاقتل به نفسي قالوا فانا نطيعك فيما قد عزمت عليه قال فاني صانع للملك وقومه من طسم طعاما وداعيهم اليه فاذا جاؤا اليه منفصلين من الخيل والبغال نهضنا اليهم باسيافنا فانفردت أنا بالملك وانفرد كل رجل منكم برجل منهم قالوا فافعل ما بدا لك واجتمع

وابو عمرو عثمان بن فرج العبدوى وابو محمد بن صدقة المنكبي وأبو عبد الله بن بعيش البلنسى
وغيرهم وكان سماع ابي الحجاج منه موطأ مالك سنة ٥١٦ رحمه الله تعالى الجميع
*(ومنهم ابو محمد عبد الله بن محمد بن مرزوق اليحصبي الاندلسى) رحل حاجا فسمع منه
بالاسكندرية ابو الطاهر السلفي كتاب طبقات الامم لابى القاسم صاعد بن أحمد الطليطلى
وحدث به عنه عن ابن برال عن صاعد *(ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد الصريحي المرسى)
ويعرف بابن مطعنة روى عن أبي بكر بن الفرضي النحوى وتادب به ورحل الى المشرق
ولقى أبا محمد العثماني وغيره وحج وقعد لتعليم الآداب وممن أخذ عنه أبو عبد الله محمد بن عبد
السلام وأبو عبد الله المكناسي وغيرهما وأنشد رحمه الله تعالى قال أنشدني أبو محمد عبد الله بن
البياسي بالاسكندرية لنفسه

يمد الدهر من اجلي وعمري * كما أني أمد من المداد
لنا خطان مختلفان جدا * كما اختلف الموالي والمعادي
فأكتب بالسواد على بياض * ويكتب بالبياض على السواد

وهذا نظير قول الآخر

ولي خط وللايام خط * وبينهما مخالفة المداد
فأكتبه سوادا في بياض * وتكتبه بياضا في سواد

و بعضهم ينسب الابيات الثلاثة السابقة للسلفي الحافظ فالله تعالى اعلم *(ومنهم أبو محمد
عبد الله بن عيسى الشلبي سمع من الصدفي وغيره وكان من أهل الحفظ للحديث ورجاله والعلم
بالاصول والفروع ومسائل الخلاف وعلم العربية والهيئة مع الخير والدين والزهد وامتحن
بالامراء في قضاء بلده بعد أن تقلده نحو تسعة أعوام لاقامته الحق واظهاره العدل حتى أدى
ذلك الى اعتقاله بقصر اشبيلية ثم سرح فرحل حاجا الى المشرق ودخل المهدية فلقي بها
المازرى وأقام في صحبته نحو ثلاث سنين ثم انتقل الى مصر وحج سنة ٥٢٧ وأقام بمكة مجاورا
وحج ثانية سنة ٥٢٨ ولقي بمكة أبا بكر عتيق بن عبد الرحمن الاوربولي في هذه السنة فحمل عنه
ودخل العراق وخراسان وأقام بها اعواما وطار ذكره في هذه البلاد وعظم شأنه في العلم
والدين وكان من بيت شرف وجاه في بلده عريض مع سعة الحال والمال وتوفي بهراة سنة
٥٥١ وقيل ان وفاته سنة ٥٤٨ وذكره العماد في الخريدة والسمعاني في الذيل وانشد له

تلونت الايام لى بصروفها * فكنت على لون من الصبر واحد
فان أقبلت أدبرت عنها وان نأت * فاهون مفقود لاكرم فاقد

وولد سنة ٤٨٤ بشلب رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو محمد عبد الله بن موسى الازدى المرسى)
و يعرف بابن برطلة سمع من صهره القاضي الشهيد ابي علي الصدفي ورحل حاجا سنة ٥١٠
فأدى الفريضة وسمع من الطرطوشي والانماطي والسلفي وغيرهم وانصرف الى مرسية بلده
وكان حسن السمت خاشعا مخبتا خيرا متواضعا نبيها نزها سالم الباطن وحكى عن شيخه ابي
عبد الله الرازى عن ابيه أنه أخبره أن قاضي البرلس وكان رجلا صالحا خرج ذات ليلة الى
النيل فتوضأ واسبغ وضوءه ثم قام فقرن قدميه وصلى ما شاء الله تعالى ان يصلي فسمع قائلا

قأبيهم عليه فقالت عفيرة لاخيها الاسود لا تفعل فان الغدر فيه ذلة وعار ولكن كابدوا القوم في ديارهم تظفروا أو تموتوا كراما
قال لا ولكن نمكر بهم
فيكون ذلك أمكن لنا
من نواصيهم وأبلغ في
الانتقام منهم فقالت
عفيرة في ذلك أشعارا قد
ذكرناها فيما سلف من
كتبنا ثم ان الاسود صنع
طعاما كثيرا وأمر قومه
فاخترطوا اسيوفهم ودفنوها
في الرمل حيث أعدوا الطعام
ثم قال لهم اذا أتاكم القوم
يرفلون في حليهم فخذوا
أسيافكم ثم تقدموا عليهم
قبل أن يأخذوا مجالسهم
وابدؤوا بالرؤساء فانكم اذا
قتلتموهم لم تبالوا بالسفلة
ولم يكن بعد ذلك منهم حال
تكرهونه قالوا نفعل
ما قلت ثم دعا الاسود
بعملوق الطسمي ومن
معه من رؤساء طسم
باليمامة فاسرعوا اجابة
دعوة الاسود فلما توافوا
الى المدعاة وثبت جديس
فاستثاروا اسيوفهم من
الرمل وشدوا على عملوق
وأصحابه فقتلوهم حتى
أفنوهم عن آخرهم ومضوا
الى ديارهم فانتهبوها
وقال الاسود بن عفار في
ذلك أشعارا يرثي بها
طسما ويذكر نعيمها
وفعل عملوق باخته يطول
عن ذكرها الكتاب
وقد تقدمت فيما سلف من كتبنا قال وهرب رجل من طسم وكان اسمه رباح بن مرة الطسمي

يقول

يقول

لولا اناس لهم سرد يصومونا * وآخرون لهم ورد يقومونا
لزلزلت ارضكم من تحتكم سحرا * لانكم قوم سوء لا تبالونا

قال فتجوزت فى صلاتى وادرت طرفى فما رأيت شخصا ولا سمعت حسا فعلمت ان ذلك زاجر من الله تعالى وقال ابن برطلة رحمه الله تعالى انشدنى ابو عامر قال دخلت بعض مراسى الثغر فوجدت فى حجر منقوش هذه الابيات

نزلت ولى امل عودة * ولكننى لست ادرى متى
ودافعنى قدر لم اطق * دفاعا لمكروهه اذ اتى
ومن امره فى يدى غيره * سيغلب ان لان او ان عتا
فيا نازلا بعدنا ههنا * نحييك ان كنت نعم الفتى

فسالت عن منشدها فقيل لى هو ابو بكر بن ابى درهم الوشقى وكان قد حج واراد العودة فقال هذه الابيات ورواها بعضهم رحلت مكان نزلت وهو اصوب وأبدل قوله يا نازلا بياسا كنا والخطب سهل فيه وبعض يقول ان الابيات وجدت بجامع مصر والله تعالى اعلم (ومنهم ابو محمد عبد الله بن محمد بن خلف بن سعادة الدانى الاصبحى) لازم ابن سعد الخير واحتذى اول امره مثال خطه فتشار به وسمع منه ثم رحل الى المشرق فسمع بالاسكندرية من ابى الطاهر ابن عوف والسلفى وغير واحد قال التجيبى كان معنا بالاسكندرية بالعادلية منها و بقراءته سمعنا صحيح البخارى على السلفى سنة ٥٦٣ قال وانشدنا الشيخه الاستاذ ابى الحسن على ابن ابراهيم بن سعد الخير البلنسى

يا لاحظا تمثال نعل نبيه * قبل مثال النعل لا متكبرا
والثم له فلطالما عكفت به * قدم النبى مروحا ومبكرا
أولا ترى ان المحب مقبل * طللا وان لم يلف فيه مخبرا

وقد سبق ابن سعادة أبو عبد الله وهو غير هذا والله تعالى أعلم *(ومنهم ابو محمد عبد الله بن يوسف القضاعى المرى) سمع من أبى جعفر بن غزلون صاحب الباجى وغير واحد ورحل الى المشرق فسمع بالاسكندرية من السلفى والرازى وتجول هنالك وأخذ عنه أبو الحسن بن المفضل المقدسى وغير واحد وقال ابن المفضل أنشدنى المذكور قال أنشدنى أبو محمد بن صاره

وكوكب ابصر العفريت مسترقا * للسمع فانقض يدنى خلفه لهبه
كفارس حل اعصار عمامته * فجرها كلها من خلفه عذبه

(ومنهم شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن مهاجر الوادى آشى الحنفى) سكن طرابلس الشام ثم انتقل الى حلب وأقام بها وصار من العدول المبرزين فى العدالة بحلب يعرف النحو والعروض ويشتغل فيهما وله انتماء الى قاضى القضاة الناصر بن العديم قال الصفدى رأيته بحلب أيام مقامى بها سنة ٧٢٣ فرأيته حسن التودد وأنشدنى لنفسه من لفظه

مالاح فى درع يصول بسيفه * والوجه منه يضىء تحت المغفر

فاتى الى حسان بن تبع الحميرى ملك اليمن يومئذ فاستغاث به وقد كان عمد الى جريدة نخل رطبة فجعل عليها طينا رطبا وجلها معه وأخرج معه كلبة فلما ورد على حسان كسر يد كلبته وفرغ الطين عن الجريدة فخرجت خضراء ودخل الى حسان واستعاذ به وأخبره بالذى صنعت جديس بقومه فقال له الملك لله أبوك فمن اين مبداك قال أبيت اللعن من أرض قريبة وقوم انتهك منهم مالم ينتهك من أحد أنا رباح بن مرة الطسمى دعتنا جديس الى مدعاة لهم فاجبناهم منفصلين فى الحلل وقد أعدوا لنا السلاح عند جفانهم فاذقنا طعاما حتى صرنا حطاما بلا طلب دم ولا ترة سلفت فدونك أبيت اللعن قوما قطعوا ارحامنا وسفكوا دماءنا قال الملك حسان امعك خرجت هذه الجريدة وهذه الكلبة قال نعم فقال الملك ان كنت صادقا لقد خرجت من أرض قريبة ووعده بالنصرة ثم نادى فى حمير بالمسير واعلمهم بما فعل بطسم قالوا من فعل هذا أبيت اللعن قال عبيدهم قالوا مالنا فى هذا من ارب هم اخوانا فلا نعين بعضنا على بعض وهم عبيدك ايها الملك فدعهم فقال حسان ما هذا بحسن ارأيتم لو كان هذا فيكم أكان حسنا الملك حكم أن يهدر دماءكم وما علينا

الا حبذا البحر مدّ بجدول * والشمس تحت سحائب من عنبر

قال الصفدي جمع هذا المقطوع بين قول ابن عباد

ولما اقتحمت الوغى دارعا * وقنعت وجهك بالمغفر

حسبناك شمس الضحى * عليها سحاب من العنبر

و بين قول ابي بكر الرصافي

لو كنت شاهده وقد غشي الوغى * يختال في درع الحديد المسبل

لرأيت منه والقضيب بكفه * بحرا يريق دم الكماة بجدول

وقال يمدح الشيخ كمال الدين محمد بن الزملكاني وقد توجه الى حلب قاضي القضاة

بِن ترنم فوق الايك طائره * وطائر عمّت الدنيا بشائره

وسودد أصبح الاقبال ممتثلا * في أمره ما أخوه العز آمره

ومنها

من مخبر عني الشهباء أن كما * ل الدين قد شيدت فيه مقاصره

وان تقليده الزاهي وخلعته التي تطرز عطفيها مآثره

بالنفس أفديك من تقليد مجتهد * سواه بوجد في الدنيا مناظره

أنشدت حين ادار البشر كاس طلى * حكت أوائله فوا أواخره

وقد بدت في بياض الطرس أسطره * سود التبدي ما أهدت محابره

ساق تكون من صبح ومن غسق * فابيض خداه واسودت غدائره

وخلعة قلت اذ لاحت لنزر بنا * بالروض تطفو على نهر أزاهره

وقد رآها عدوّ كان يضمر لي * من قبل سوأ فخانته ضمائره

ورام صبرا فاعيته مطالبه * وغيض الدمع فانهلت بوادره

بعودة الدولة الغراء ثالثة * امنت منك ونام الليل ساهره

وقال أيضا

تسعر في الوغى نيران حرب * بايديهم مهندة ذكور

ومن عجب لظى قد سعرتها * جداول قد أقلتها بدور

وقال ملغزا في قالب لبن

ما آكل في فين * يغوط من مخرجين

مغرى بقبض و بسط * وماله من يدين

ويقطع الارض سعيا * من غير ما قدمين

وخمس لامية العجم مدحا في رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصفدي ولما كنت في حلب كتب الى أبياتا انتهى *(ومنهم أبو جعفر أحمد بن صابر القيسي) قال ابو حيان كان المذكور رفيقا للاستاذ أبي جعفر بن الزبير شيخنا وكان كاتبا مترسلا شاعرا حسن الخط على مذهب أهل الظاهر وكان كاتبا للامير أبي سعيد فرج ابن السلطان الغالب بالله بن الاحمر ملك الاندلس وسبب خروجه من الاندلس انه كان يرفع يديه في الصلاة على ما صح في الحديث

بالمسير فساروا وسار بهم رباح بن مرة حتى اذا صاروا من اليمامة على ثلاث قال رباح بن مرة للملك حسان ابيت اللعن ان لي أختا متزوجة في جديس ليس في الارض أبصر منها انها تبصر الراكب على مسيرة ثلاث ليال وأنا أخاف ان تنذر القوم بك فمر كل واحد من أصحابك أن يقتلع شجرة من الارض فيجعلها أمامه ثم يسير فأمر حسان بذلك ففعلوا ثم ساروا وكان اسم أخت رباح يمامة فاشرفت من منظرها فقالت يا جديس لقد سارت اليكم الشجر قالوا لها ما ذاك قالت أشجار تسير وراءها شئ واني لارى رجلا من وراء شجرة ينهش كتفا أو يخصف نعلا فكذبوها وكان ذلك كما ذكرت فغفلوا عن أخذ اهبة الحرب ففي ذلك تقول اليمامة لجديس تحذرهم

اني أرى شجرا من خلفها بشر

فكيف تجتمع الاشجار والبشر

ثوروا باجمعكم في وجه أولهم

فان ذلك منكم فاعلموا ظفر

وأقبل الملك حسان بحمير حتى اذا كان من جو على مسيرة ليلة عبى جيوشه

فبلغ ذلك السلطان أبا عبد الله فتوعده بقطع يديه فضج من ذلك وقال ان اقليما تمات فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يتوعد بقطع اليدين يقيمها لجدير ان يرحل منه فخرج وقدم ديار مصر وسمع بها الحديث وكان فاضلا نبيلا ومن شعره

أتنكر أن يبيض راسي لحادث * من الدهر لا يقوى له الجبل الراسي

وكان شعارا في الهوى قد لبسته * فـراسي أمي وقلبي عباسي

قلت لو قال شيعي لكان الغاية وأنشد له بعضهم

فلا تصحبا من عوى خلف ذي علا * لكل علي في الانام معاويه

قلت لا يخفى ما فيه من عدم سلوك الادب مع الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين ويرحم الله بعض الاندلسيين حيث قال في رجز كبير

ومن يكن يقدح في معاويه * فذاك كلب من كلاب عاويه

وأنشد ابو حيان للمذكور

أرى الدهر سادته الارذلو * ن كالسيل يطفو عليه الغثا

ومات الكرام وفات المديح * فـلم يبق للقول الا الرثا

وأنشد له أيضا

لولا ثـلاث هن والله من * أكبر آمالي في الدنيا

حج لبيت الله ارجو به * ان يقبل النية والسعيا

والعلم تحصيلا ونشرا اذا * رويت أوسعت الورى ريا

وأهل ود أسال الله أن * يمتع بالبقيا الى اللقيا

ما كنت أخشى الموت أني أتى * بل لم أكن ألتذ بالمحيا

وقال أبو حيان في هذه المادة

أما انه لولا ثـلاث أحبها * تمنيت أني لا أعد من الاحيا

فمنها رجائي أن أفوز بتوبة * تكفر لي ذنبا وتنجح لي سعيا

ومنهن صوني النفس عن كل جاهل * لئيم فلا أمشي الى بابه مشيا

ومنهن أخذي بالحديث اذا الورى * نسوا سنة المختار واتبعوا الرايا

أنترك نص للرسول وتقتدي * بشخص لقد بدلت بالرشد الغيا انتهى

(ومنهم الاستاذ أبو القاسم ابن الامام القاضي أبي الوليد الباجي) سكن سرقسطة وغيرها وروى عن أبيه معظم علمه وخلفه بعد وفاته في حلقته وغلب عليه علم الاصول والنظر وله تآليف تدل على حذقه منها العقيدة في المذاهب السديدة ورسالة الاستعداد للخلاص من المعاد وكان غاية في الورع توفي بجدة بعد منصرفه من الحج سنة ٤٩٣ رحمه الله تعالى * (ومنهم الامام الفاضل الاديب ابو اسحق ابراهيم بن محمد الساحلي الغرناطي) قال العز بن جماعة قدم علينا من المغرب سنة ٧٢٤ ثم رجع الى المغرب في هذه السنة و بلغنا انه توفي بمراكش سنة نيف وار بعين وسبعمائة وانشد والدي قصيدة من نظمه امتدحه بها وانا أسمع ومن خطه نقلت وهي

ثم صبحها فاستباح أهلها من جديس قتلا فافنى نساءهم وصبيانهم وهرب الاسود بن عفار ملكها حتى نزل بدار طيئ فاجاروه من الملك وغيره من غير ان يعرفوه فيذكر ان نسله اليوم في طيئ مذكور فلما فرغ حسان من جديس دعا باليمامة بنت مرة وكانت امرأة زرقاء فامر فنزعت عيناها فاذا في داخلها عروق سود فسالها عن ذلك فقالت حجر أسود يقال له الاثمد كنت اكتحل به فنشب الى بصري وكانت أول من اكتحل به فاتخذوه بعد ذلك كحلا وأمر الملك باليمامة فصلبت على باب جو وقال سموا جوا باليمامة فسميت بها الى اليوم (قال المسعودي) ثم سار بعد طسم بن لاوذ وبار بن أميم ابن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه من قومه فنزل بارض وبار بالارض المعروفة برمل عالج فاصابهم نقمة من الله فهلكوا لما كان من بغيهم في الارض وقد قدمنا فصلا من ذلك فيما سلف من هذا الكتاب على ما زعم الاخباريون من العرب وخروجهم بذلك عن حد العقول والعناد من الامر المفهوم بزعمهم ان الله عز وجل حين أهلك هذه الامة العظيمة المعروفة بوبار كما أهلك طسما وجديسا وداسما وكانت ديار داسم بارض السماوة فاهلكوا

قفاموردا عيناجرت بعدكم دما * أناضى أسفار طوين على ظما
غدون أهلات تناقل أنجما * ورحن حنيات تفوق أسهما
يحثهما الحادى الامرين حسرا * ويوطئها الحادى الاخيرين هيما
على منسمها للشقائق منبت * وفى فويها للشقاشق مرتما

الى أن قال

وتعسا الآمال جهام سحابها * ترجى ركاما ما استهل ولا همى
تجاذبها نفس تجيش نفيسة * ومن لم يجد الاصعيدا تيمما
فهل ذمم برعاه ليل طويته * طوانى سرا بين جنبيه مبهما
أقبل منه للبروق مباسما * وأرشف من بهماء ظلماته لمى
الى أن تجلى من كنانة بدرها * فعرس ركبى فى حماه وخيما
ثمال اليتامى حيث ليس مظلل * وكهف الأيامى أيما عزم عمى

ومنها

فيا كفه أأنت أم غيث ديمة * أسالت عبابا فى ثرى الجود عيلما
ويا سعيه يهنيك أجر تنى به * على معطفى علياه بردا مسهما
تضى بنى أوطار نفس كريمة * وروى صداها حين حل بزمزما
وناداه داعى الحق حى على الهدى * فأسرج طوعا فى رضاه وألجما
فلله ما أهدى وارشد واهتدى * ولله ما أعطى وأوفى وأنعما

ومنها

أمت بآداب وعلم كليهما * اقاما لديك الدعائم رضا والزما

وهى طويلة *(ومن الراحلين من الاندلس الوليد بن هشام) من ولد المغيرة بن عبد الرحمن الداخل فيما حكى بعض المؤرخين خرج من الاندلس على طريقة الفقر والتجرد ووصل برقة بركوة لا يملك سواها فعرف بابى ركوة واظهر الزهد والعبادة واشتغل بتعليم الصبيان وتلقينهم القرآن وتغيير المنكر حتى خدع البربر بقوله وفعله وزعم ان مسلمة بن عبد الملك بشر بخلافته بما كان عنده من علم الحدثان وكان يقال عن مسلمة انه أخذ علم الحدثان عن خالد بن يزيد بن معاوية واخرج لهم ارجوزة أسندها الى مسلمة ومنها فى وصفه

وابن هشام قائم فى برقه * به ينال عبد شمس حقه
يكون فى بربرها قيامه * وقرة العرب لها اكرامه

واتفق أن قرة انحرفوا عن الحاكم فالوا اليه وحصروا معه مدينة برقة حتى فتحوها وخطبوا له فيها بالخلافة وكان قيامه فى رجب سنة ٣٩٧ فهزم عسكر باديس الصنهاجى صاحب افريقية وعسكر الحاكم بمصر واحيا أمره وخاطبه بطانة الحاكم لكثرة خوفهم من سفك الحاكم الدماء ورغبوه فى الوصول الى اوسيم وهو مكان بالجيزة قبالة القاهرة فلما وصل اليها قام بمحاربته الفضل بن صالح القيام المشهور الى ان هزم أبا ركوة ثم جاء به الى القاهرة فامر الحاكم أن يطاف به على جمل ثم قتل صبرا ١٣ رجب سنة ٣٩٩ ولما حصل فى يد الحاكم كتب اليه

وطسم كانت ديارهم بالجولان والجيدور من أرض بواو بلاد حوران

بالريح السوداء الحارة والتبت وذلك بين دمشق وطبرية من أرض الشام وعملاق وعاد وثمود وأن الجن كانت تسكن فى ديار وبار وحمتها من كل من أرادها وقصد اليها من الانس وأنها كانت أخصب بلاد الله عز وجل وأكثرها شجرا وأطيبها ثمرا وعنبا ونخلا وموزا وان دنا احد من الناس الى تلك البلاد غالطا أو متعمدا حثت الجن فى وجهه التراب وسفت عليه سوافى الرمل وأثارت عليه الزوابع فان أراد الرجوع خبلوه وتيهوه وربما قتلوه وهذا الموضع عند كثير من ذوى الحجا باطل فاذا قيل لهم دلونا على جهته وقفونا على حده زعموا أنها من أرادها أغمى على قلبه كانهم كبنى اسرائيل الذين كانوا مع موسى فى التيه فصدهم الله تعالى عن الخروج ولم يجعل لهم سبيلا الى أن تم فيهم مراده وانتهى فيهم حكمه وقد قال فى ذلك شاعرهم يخبر بمثل ما وصفنا من قولهم فى هذه الارض المجهولة

دعا جعلا لا يهتدى لمقيله * من اللؤم حتى يهتدى لوبار
وداع دعا والليل مرخ سدوله * رجاء القرى يامسلم بن جبار

وأقوالهم فى مثل هذا كثيرة والعرب ممن سلف

فررت

فررت ولم يغن الفرار ومن يكن * مع الله لم يعجزه في الارض هارب
ووالله ما كان الفرار لحاجة * سوى فزعي الموت الذي انا شارب
وقد قادني جرمي اليك برمتي * كما اجتر ميتا في رحى الحرب سالب
وأجمع كل الناس انك قاتلي * فيا رب ظن ربه فيه كاذب
وما هو الا الانتقام وينتهي * وأخذك منه واجبا وهو واجب

ولابي ركوة المذكور أشعار كثيرة منها قوله

بالسيف يقرب كل أمر ينزح * فاطلب به ان كنت ممن يفلح

وله

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه ان يساعده الدهر

وقوله

ان لم أجلها في ديار العدا * تملأ وعر الارض والسهلا
فلا سمعت الحمد من قاصد * يوما ولا قلت له أهلا

وله غير ذلك مما يطول وخبره مشهور * (ومنهم أبو زكريا الطليطلي يحيى بن سليمان) قدم الى الاسكندرية ثم رحل الى الشام واستوطن حلب وله ديوان شعر أكثر فيه من المديح والهجاء قال بعض من طالعه ما رأيته مدح أحدا الا وهجاه وله مصنفات في الادب ومن نظمه قوله

أرض سقت غيطانها أعطانها * وزهت على كثبانها قضبانها

ومنها

فتكت بالباب الكماة فسيفها * من طرفها وسنانها وسنانها
لم يبق شخص بالبسيطة سالما * الا سبى انسانه انسانها

ومنها

وتصاحبت وتجاوبت أطيارها * وتداولت وتناولت ألحانها
وتنسمت وتبسمت أيامها * وتهللت وتكاملت أزمانها
غدرانها ومنيرها وغيرها * ومعيرها حسنا جلاه عيانها

(ومنهم أبو بكر يحيى بن عبد الله بن محمد القرطبي المعروف بالمغيلي) سمع من محمد بن عبد الملك ابن أيمن وقاسم بن اصبغ وغيرهما ورحل فسمع من أبي سعيد بن الاعرابي وكان بصيرا بالعربية والشعر ومؤلفا جيد النظر حسن الاستنباط حدث وتوفي فجأة في شهر ربيع الاول سنة ٣٦٣ قاله ابن الفرضي * (ومنهم الامام المحدث أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن سلمة الانصاري الغرناطي) قدم المشرق وتوفي بمصر سنة ٧٠٣ عن نحو خمسين سنة بالبيمارستان المنصوري قال قاضي القضاة عبد العزيز بن جماعة الكناني في كتابه نزهة الالباب أنشدنا المذكور لنفسه بالقاهرة بعد قدومه من مكة والمدينة وقد رام أن يعود اليهما فلم يتيسر له

لئن بعدت عني ديار الذي أهوى * فقلبي على طول التباعد لا يقوى

وادي الروم والصمان والدهناء والرمل الذي بدارين وغيرها من الارضين التي نزلوا فيها يجتمعون عليها طلبا للماء والكلا وزعموا أنه ليس بهذه الارض اليوم أحد الا الجن والابل الوحشية وهي عندهم من الابل التي قد ضربت فيها فحول الجن فالوحشية من نسل ابل الجن والعيدية والعسجدية والعمانية قد ضربت فيها الوحشية وفي ذلك يقول زهير بن أبي سلمى

كأني على وحشية أو نعامة * لها نسب في الطير وهو ظليم

والاشعار في ذلك كثيرة (وفي بسطنا) لجوامع أخبار العرب فيما نقلته عن أسلافها مما أمكن كونه وخرج عن حد الوجوب والجواز خروج عن حد الايجاز والاختصار وقد أتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا (وسار بعد وبار ابن أميم) عبد ضخم بن ارم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه فنزلوا الطائف فهلك هؤلاء ببعض غوائل الدهر فدثروا وذكرتهم الشعراء وفيهم يقول الازدي

وعبد ضخم اذا نسبتهم * ابيض اهل الحي بالنسب
ابتدعوا منطقا يجمعهم * فبين الخط قصة العرب

فدتك رجالك الله عن عرب رامة * فاني لهم عبد على السر والنجوى
فان مت شوقا في الهوى وصبابة * فيا بشرى ان مت في حب من أهوى
فيا أيها العذال كفوا ملامكم * فاعندكم بعض الذي بي من الشكوى
ويا جيرة الحي الذي وهي بهم * أما ترحموا صبا يحن الى حزوى
ويا أهل ذياك الحمى وحياتكم * يمين وفي صادق القول والدعوى
ملكتم قيادي فارحموا وترفقوا * فأنتم مرادي لاسعاد ولا علوى
فمالي سوا كم سادتي لاعدمتكم * فجودوا بوصل أنتم الغاية القصوى انتهى

*(ومنهم الفاضل الاديب أبو عبد الله محمد بن علي بن يحيي بن علي الغرناطي قال ابن جماعة في الكتاب المسمى قريبا أنشدني المذكور لنفسه على قبر سيدنا حمزة رضي الله تعالى عنه

يا سيد الشهداء بعد محمد * ورضيع ذي المجد المرفع أحمد
يا ابن الاعزة من خلاصة هاشم * سرج المعالي والكرام المجد
يا أيها البطل الشجاع المحتمي * دين الاله بيأسه المستأسد
يا نبعة الشرف الاصيل المعتلي * ياذروة الحسب الاثيل الاتلد
يا نجدة الملهوف في قحم الوغى * عند التهاب جحيمها المتوقد
يا غيث ذي الامل البعيد مرامه * يا غوث موتور الزمان الانكد
يا من لعظم مصابه خص الاسى * قلب الرسول وعم كل موحد
يا حمزة الخير المؤمل نفعه * يوم الهياج وعند فقد المنجد
وافاك يا أسد الاله وسيفه * وفد ألم الواهمين جمالك بمعهد
جئناك يا عم الرسول وصنوه * قصد الزيارة فاحتفل بالقصد
واسأل الملك في اغتفار ذنوبنا * شيم المزور قيامه بالعود
لذنا بجانبك الكريم توسلا * وكذا العبيد ملاذهم بالسيد
فاشفع لضيفك فالكريم مشفع * عند الكريم ومن يشفع يقصد
يا ابن الكرام المكرمين نزيلهم * أهل المكارم والعلا والسودد
نزل الضيوف جناب ساحتك التي * منها يؤمل كل عطف مسعد
فاجعل أبا يعلى قرانا عطفة * وارغب لربك في هداناواقصد
فعسى يمن على الجميع بتوبة * يهدي بها نهج الطريق الارشد
فقد اعتمدنا منك خير وسيلة * نرجو بها حسن النجاة في غد
لم لانؤم وأنت عم محمد * ولدينه قد صلت صولة أيد
وصحبته ونصرته وعضدته * وذببت عنه باللسان وباليد
وبذلت نفسك في رضاه بصولة * فقتلت في ذات الاله الاوحد
فجزاك عنا الله خير جزائه * وسقا ثراك حيا الغمام المرعد
وعلى رسول الله منه سلامه * وعليك متصل الرضا المتجدد

ولد ببعض أعمال غرناطة قبل التسعين وستمائة وتوفي بالمدينة الشريفة قاطنا بها على ساكنها

والعشرون حرفا وقد قيل غير ذلك على حسب تنازع بدء الكتابة (وسار) بعد عبد ضخم بن ارم جرهم ابن قحطان بولده ومن تبعه وطافوا البلاد حتى اتوا مكة فنزلوها وفي ذلك يقول مضاض بن عمرو الجرهمي

هذا سبيل كسبيل يعرب
البادئ القول المبين المعرب
ياقوم سيروا عن فعال الاجنب
جرهم جدي وقحطان ابي

(وسار اميم بن لاوذ بن ارم) بعد جرهم بن قحطان فحل بارض فارس فالفرس على حسب ماقدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في باب تنازع الناس في أنساب فارس من ولد كيومرث بن اميم بن لاوذ ابن ارم بن سام بن نوح وفي ذلك يقول بعض من تقدم من أهل الحكمة من شعراء فارس في الاسلام

ابونا اميم الخير من قبل فارس
وفارس ارباب الملوك بهم فخري
وماعد قوم من حديث وحادث
من المجد الاذكرنا افضل الذكر

وقد ذكر جماعة من اهل السير والاخبار ان جميع من ذكرنا من هذه القبائل كانوا اهل خيم وبدو

افضل

افضل الصلاة والسلام سنة ٧١٥ ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى انتهى * (ومنهم الشيخ نور الدين أبو الحسن المايرقي) من أقارب بعض ملوك المغرب وكان من الفضلاء العلماء الادباء وله مشاركة جيدة في العلوم ونظم حسن ومنه قوله

القضب راقصة والطير صادحة * والنشر مرتفع والماء منحدر
وقد تجلت من اللذات أوجهها * لكنها بظلال الدوح تستتر
فكل واد به موسى يفجره * وكل روض على حافاته الخضر

وقوله

وذي هيف راق العيون انثناؤه * بقد كريان من البان مورق
كتبت اليه هل تجود بزورة * فوقع لاخوف الرقيب المصدق
فأيقنت من لا بالعناق تفاؤلا * كما اعتنقت لا ثم لم تتفرق

وهذا أحسن من قول ذي القرنين بن حمدان

اني لأحسد لا في أحرف الصحف * اذا رأيت اعتناق اللام والالف
وما أظنهما طال اعتناقهما * الا لما لقيا من لوعة الاسف

وأحسن من هذا قول القيسراني

أستشعر الياس من لا ثم يطمعني * اشارة في اعتناق اللام والالف

وكانت وفاة أبي الحسن المذكور في ربيع الاول سنة ٦٠٥ ودفن بقاسيون رحمه الله تعالى والابيات التي أولها القضب راقصة الى آخره نسبها اليونيني وغير واحد والصواب انها ليست له وانما هي لنور الدين بن سعيد صاحب المغرب وقد تقدم ذكره ولعل السهو سرى من تشارك الاسم واللقب والقطر ومثل هذا كثيرا ما يقع والله تعالى أعلم * (ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق) ابن عتبة الاشبيلي وكان فارق اشبيلية حين تولاها ابن هود واضطرمت بفتنته الاندلس نارا ولما قدم مصر هاربا من تلك الاهوال تغيرت عليه البلاد وتبدلت به الاحوال فلما سئل عن حاله بعد بعده عن أرضه وترحاله بادر وأنشد

أصبحت في مصر مستضاما * أرقص في دولة القرود
واضيعة العمر في أخير * مع النصارى أو اليهود
بالجد رزق الانام فيهم * لا بذوات ولا جدود
لا تبصر الدهر من يراعي * معنى قصيد ولا قصود
أود من لؤمهم رجوعا * للغرب في دولة ابن هود

وتذكرت بقوله ارقص في دولة القرود ما وقع لابي القاسم بن القطان وهو مما يستطرف ويستظرف وذلك انه لما ولي الوزارة الزينبي دخل عليه أبو القاسم المذكور والمجلس حافل بالرؤساء والاعيان فوقف بين يديه ودعا له وأظهر الفرح والسرور ورقص فقال الوزير لبعض من يفضي اليه بسره قبح الله هذا الشيخ فانه يشير برقصه الى قول الشاعر
* وأرقص للقرد في دولته * (ومن المرتحلين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي الهراوي) من أهل المرية ويعرف بشمس الدين بن جابر الضرير وله ترجمة في الاحاطة ذكرناها مع زيادة

مجتمعين في مساكنهم من الارض وان اميما اول من ابتنى البنيان ورفع الحيطان وقطع الاشجار وسقف السقوف واتخذ السطوح وان ولد حام بن نوح حلوا ببلاد الجنوب وان ولد كوش بن كنعان خاصة هم النوبة على حسب ما قدمنا آنفا في باب السودان من هذا الكتاب وان نفذا من ولد كنعان بن حام ساروا نحو بلاد افريقية وطنجة من ارض المغرب فنزلوها وزعم هذا القائل ان البربر من ولد كنعان بن حام (وقد تنازع الناس) في بدء انساب البربر فمنهم من راى انهم من غسان وغيرهم من اليمن وانهم تفرقوا حول تلك الديار حين تفرق الناس من بلاد مارب عند ما كان من سيل العرم ومنهم من راى انهم من قيس عيلان ومنهم من رأى غير ما ذكرنا فيما سلف من كتبنا (ونزل) كنعان بن حام والاغلب من ولد كنعان بلاد الشام فهم الكنعانيون وبهم تعرف تلك الديار فقيل بلاد كنعان وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب أخبار مصر بن حام ومصر والانباط (وسار) بوقر بن لوط بن حام بولده ومن تبعه الى ارض الهند والسند وبالسند امم لهم اجسام طوال وهم من بلاد المنصورة من ارض السند فعلى هذا القول ان الهند والسند من ولد

عليها عند تعرضنا الاولاد لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى و رحل الى المشرق ودخل مصر والشام واستوطن حلبا وهو صاحب البديعية المعروفة ببديعية العميان وسكن حلبا وله أمداح نبوية كثيرة وتآليف منها شرح ألفية ابن مالك وغير ذلك وله ديوان شعر وأمداح نبوية في غاية الاجادة ومن نظمه رحمه الله تعالى موريا باسماء الكتب

عرائس مدحي كم أبين لغيره * فلما رأته قلن هذا من الاكفا
نوادر آدابي ذخيرة ماجد * شمائل كم فيهن من نكت تلفى
مطالعها هن المشارق للعلا * قلائد قد راقت جواهرها رصفا
رسالة مدحي فيك واضحة ولي * مسالك تهذيب لتنبيه من أغفى
فيا منتهى سؤلي ومحصول غايتي * لأنت امرؤ من حاصل المجد مستصفى

وقد اشتملت هذه الابيات الخمسة على التورية بعشرين كتابا وهي العرائس للثعالبي والنوادر للقالي وغيره والذخيرة لابن بسام وغيره والشمائل للترمذي والنكت لعبد الحق الصقلي وغيره والمطالع لابن قرقول وغيره والمشارق للقاضي عياض وغيره والقلائد لابن خاقان وغيره ورصف المباني في حروف المعاني للاستاذ ابن عبد النور وهو كتاب لم يصنف في فنه مثله والرسالة لابن أبي زيد وغيره والواضحة لابن حبيب والمسالك للبكري وغيره والجواهر لابن شاس وغيره والتهذيب في اختصار المدونة وغيره والتنبيه لابي اسحق وغيره ومنتهى السؤل لابن الحاجب والمحصول للامام الرازي والغاية للنووي وغيره والحاصل مختصر المحصول والمستصفى للغزالي وما أحسن قول الحكيم موفق الدين

لله أيامنا والشمل منتظم * نظما به خاطر التفريق ما شعرا
والهف نفسي على عيش ظفرت به * قطعت مجموعه المختار مختصرا

وهذه ثلاث كتب مشهورة المختار والمجموع والمختصر وأحسن منه قول الآخر

عن حالتي يا نور عيني لا تسل * ترك الجواب جواب تلك المسئله
حالي اذا حدثت لا المعا ولا * جملا لايضاحي بها من تكمله
عندي جوى يذر الفصيح مبلدا * فاترك مفصله ودونك مجمله
القلب ليس من الصحاح فيرتجى * اصلاحه والعين سحب مثقله

وقد أوردنا في ترجمة أبي عبد الله بن جزي الكاتب الاندلسي جملة مستكثرة في التورية باسماء الكتب فلتراجع ثمة *(رجع) الى الشمس بن جابر فنقول ومن نظمه رحمه الله تعالى تخميسه للابيات المشهورة

لم يبق في اصطبار
مذ خلفوني وساروا
والحبيب أشاروا
جار الكرام فجاروا
لله ذاك الاوار
بانوا فما الدار دار

بوقر بن حام بن نوح فولد حام في الجنوب من الارض الاكثر منهم وولد يافث في الشمال فيما بين المشرق والمغرب على حسب ما ذكرنا من الامم وتفرقها في الشرق وغيره مما يلي جبل الفتح والباب والابواب (و بعث عاد) في الارض وملكها الجلجان بن الوهم فكانوا يعبدون ثلاثة أصنام وهي صمود وصدا والهباء فبعث الله اليهم هودا على حسب ما قدمنا فكذبوه وهو هود بن عبد الله بن رباح بن خالد ابن الخلود بن عياذ بن عوص ابن ارم بن سام بن نوح وقد قدمنا أن قوم عاد كانوا عشر قبائل وقد تقدم ذكر أسمائهم فدعا عليهم هود فمنعوا المطر ثلاث سنين وأجدبت الارض فلم يدر عليهم ضرع (وقد كان) من ذكرنا من الامم لا يجحدون الصانع جل وعز ويعلمون أن نوحا عليه السلام كان نبيا وانه وفى لقومه بما وعدهم من العذاب الا ان القوم دخلت عليهم شبه بعد ذلك لتركهم البحث واستعمال النظر ومالت نفوسهم الى الدعة وما تدعو اليه الطبائع من الملاذ والتقليد وكان في نفوسهم هيبة الصانع والقرب اليه بالتماثيل وعبادتها لظنهم أنها مقربة لهم اليه وكانوا مع ذلك يعظمون موضع الكعبة وكان موضعها على ما ذكرنا ربوة حمراء فوفدت

يا بدر اهلك جاروا * وعلموك التجري
كالوا من الود أهلي
ما عاملوني بعدل
أصموا فؤادي بنبل
يا بين بينت تكلي
يا روح قلبي قل لي
أهم دعوك لقتلي
وحرموا الك وصلي * وحللوا لك هجري
حسبي وماذا عناد
هم المنى والمراد
وان عن الحق حادوا
أو جاملوني وجادوا
يا من به الكل سادوا
والكل عندي سداد
فليفعلوا ما أرادوا * فانهم أهل بدر

وتذكرت بهذا قول أبي البركات أيمن بن محمد السعدي رحمه الله تعالى

للعاشقين انكسار * وذلة وافتقار
وللملاح افتخار * وعزة واقتدار
وأهل بدري أثاروا * وودعوني وساروا
يا بدر الخ
كتمت والوجد يملي * جد الهوى بعد هزل
وحار ذهني وعقلي * ما بين بدري وأهلي
يا بدر فاحكم بعدل * اذا اتوك بعذل
وحرموا الخ
لولا هواك المراد * ما كنت عن بصاد
ولا شجاني البعاد * يا بدر اهلك جادوا
غلطت جاروا وزادوا * ألكنهم بك سادوا
فليفعلوا الخ
انتهى

(رجع) الى ابن جابر فنقول توفي رحمه الله تعالى في البيرة في جمادى الآخرة سنة ٧٨٠ ومن نظمه قوله

يا أهل طيبة في مغنا كم قمر * يهدي الى كل محمود من الطرق
كالغيث في كرم والليث في حرم * والبدر في أفق والزهر في خلق
وقوله

الشرب واللهو حتى جاءتهم الجرادتان قينتا معاوية بن بكر تشرحان لهم ما وردوا من أجله وهو

ألا يا قيل ويحك قم فهينم
لعل الله يمطرنا غماما
فيسقي أرض عاد ان عادا
قد امسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو
به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وان الوحش تأتي أرض عاد
فلا تخشى لراميهم سهاما
وأنتم ههنا فيما اشتهيتم
نهاركم وليلكم التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم
ولا لقيوا التحية والسلاما

ثم ان معاوية بن بكر دعا احدى الجرادتين فغنت

ألا يا قيل من عوص
ومن عاد بن سام
وعاد كالشماريخ
من الطول الكرام
سقى الله بني عاد
معاصوب الغمام

فاستيقظ القوم من غفلتهم وبادروا الى الاستسقاء لقومهم وفي مجيء السحاب واختيارهم لما اختاروه منها ما قد اتضح وفيهم يقول مرثد بن سعد من كلمة

عصت عاد رسولهم فامسوا
عطاشا لا تبلهم السماء
لهم صنم يقال له صمود * يقابله صداء والهباء
ألا قبح الاله حلوم عاد * فان قلوبهم قفر هواء

أماممعاني المعاني فهي قد جمعت * في ذاته فبدت ناراعلى علم
كالبدر في شيم والبحر في ديم * والزهر في نعم والدهر في نقم

وقال

ولما وقفنا كي نودع من نأى * ولم يبق الا أن تحث الركائب
بكينا وحق للعب اذا بكى * عشية سارت عن حماه الحبائب

وقال

ضحكت فقلت كأن جيدك قد غدا * يهدي لثغرك من جواهر عقده
وكأن ورد الخد منك بمائه * قد شاب عذب لمالك حالة ورده

وقال

منعتنا قرى الجمال وقالت * ليس في غير زادنا من مجال
فأقفنا على الرحال وقلنا * مالنا حاجة بحط الرحال

وقال

عذب قلبي رشأناعم * أسهر طرفي طرفه الناعس
يحرس باللحظ جنى خده * ياليته لوغفل الحارس

وقال

وافيت ربعهم وقد بعد المدى * ونأى الفريق من الديار وسارا
ما كدت أعرف بعد طول تأمل * دارابها طاف السرور ودارا

وله

ولست أرى الرجال سوى اناس * همومهم موافاة الرجال
أطالوا في الندى اهلاك مال * فعاشوا في الانام ذوي كمال

وقال

أيها المتهمون نفسي فداكم * أنجدوني على الوصول لنجد
وقفوا بي على منازل ليلى * فوجودي هناك يذهب وجدي

وما كتبه على كتاب نسيم الصبا لابن حبيب وصورته لما وقفت على الفصول الموسومة بنسيم الصبا المرسومة في صفحات الحسن فاذا أبصرها اللبيب صبا انتعش بها الخاطر انتعاش النبت بالغمام وهملت سحائب بيانها فاثمرت حدائق الكلام وأخرجت أرض القرائح مافيها من النبات وسمعت الآذان ضجة الاذهان بهذه الابيات

هذي فصول الربيع في الزمن * كم حسن أسندت الى حسن
رقت وراقت فمن شمائلها * بمثل صرف الشمول تحفني
كم ملح قد حوت وكم ملح * يعجبني لفظها ويحزني
كم فيه من نفث ومن نكت * أشهدني حسنها فادهشني
جمع عدمنا له النظير فلا * يصرف عن خاطر ولا أذن
ياحبر أهل العلا وبحرهم * أي بديع الكلام لم ترني

دعاهم خيفة لله هود * فما نفع النذير ولا أجابوا

بدرك

وأن اله هود هو المعلى
على الله التوكل والرجاء
واني لاحق بالامس هودا
واخوته اذا حق المساء
فارسل الله عزوجل على عاد الريح العقيم من وادلهم فلما رأوا ذلك قالوا هذا عارض ممطرنا وتباشروا بذلك فلما سمع هود ذلك من قولهم قال بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم الآية فاتتهم الريح يوم الاربعاء فلم تات الاربعاء الثانية ومنهم حي فمن أجل ذلك كره الناس يوم الاربعاء (وقد بينا) فيما يرد من هذا الكتاب كيفية ذلك وكيف وقوعه في أيام الشهر في باب الشهور فلما شاهد هود النبي صلى الله عليه وسلم ما قاله قومه انفرد هو ومن معه من المؤمنين وفي ذلك يقول الهيل بن الخليل
لوان عادا اسمعت من هود
واتبعت طريقة الرشيد
وقد أتى بالوعد والوعيد
عاداو بالتقريب والتبعيد
ما أصبحت عاثرة الجدود
خبوا على الآناف والخدود
ساقطة الاجساد بالوصيد
ماذا جنى الوفد من الوفود
احدوثة في الابد الابيد
(وقال مهد بن سعد في شعر له)

بدرك في مطلع الفضائل لا * يكون مثل له ولم يكن
هذى الفصول التي أتيت بها * قد أفحمت كل ناطق لسن
كم فن معنى بها يذكرني * شجوى لشدو الحمام في فنن
فمن نسيب مع النسيم جرى * لطفا فازرى بالجوهر الثمن
وحسن سجع كالزهر في أفق * والزهر في ناعم من الغصن
له معان أعيت مداركها * كل معان بنيلهن عنى
لازال راق للبدر راقيها * ذا سنن حاز أحسن السنن

فصول هي للحسن أصول وشمول لما على كل الاسلوب شمول لبس لقدامة على التقدم اليها حصول ولا لسحبان لان يسحب ذيلها وصول ولا انتهى قس الايادى الى هذه الايادى ولا ظفر بديع الزمان بهذه البدائع الحسان لقد قصر فيها حبيب عن ابنه وحار بين لطافة فضله وفضل ذهنه نزهت في طرف خمائلها ونبهت بلطف شمائلها تالله انها لسحر حلال وخلال ما مثلها خلال كلام كله كمال ومجال لا يرى فيه الاجمال اراقم بردها وناظم عقدها في كل فصل جاء بكمال فصل وفي كل معنى عمر بالبراعة مغنى أعرب فاغرب وأوجز فاعجز وأطال فاطاب وأجاد حين أجاب فما أنفس فرائده وأنفع فوائده وأفصح مقاله وأفسح مجاله وأطوع للنظم طباعه وأطول في النثر باعه أزاهر نبتت في كتاب وجواهر تكونت من ألفاظ عذاب ومواهب لا تدرك بيد اكتساب فسبحان من يرزق من يشاء بغير حساب فصول أحلى في الافواه من الشهد وأشهى الى النواظر من النوم بعد السهد سبك أدبها في قالب النكت الحسان وذهب بعامد عبد الحميد ومحاسن حسان فما أحقها أن تسمى فصول الربيع وأصول البديع لازال حسنها يملا الاوراق بما راق ويزين الآفاق بما فاق ولا برحت حدائق براعته نزهة للاحداق وحقائق بلاغته في جيد الاجادة بمنزلة الاطواق بمن الله تعالى وكرمه انتهى *وحيث جرى ذكر نسيم الصبا فلا باس أن نذكر تقاريظ العلماء له فمن ذلك قول القاضي شرف الدين بن ريان وقفت على هذا الكتاب الذى أبدع فيه مؤلفه ونظم فيه الجواهر النفيسة مصنفه وأينعت حدائق أدبه فدنا ثمرها لمن يقطفه وعرفت مقدار ما فيه من الانشاء وأين من يعرفه فوجدته الطف من اسمه وأحسن من الدرر في نظمه وأطيب من الورد عند شمه هبت على رياض فصوله نسيم صباها ففاحت الازهار في رباها وتشوفت قلوب الادباء الى انتشاق شذاها وطيب رياها وفاضت عليه انوار البدر فاغنى سناها عن الشمس وضحاها وتحلت نحور البلغاء من كلامه بالدر اليتيم ومن معانيه بالعقد النظيم وترنحت أغنان فنون الفصاحة لما هب عليها ذلك النسيم كل فصل له في الفضل أسلوب على بابه وطريق انفرد به منشئه محاسن لا توجد الا في كتابه صدر هذا الكتاب عن علم سابق وفكر ثاقب وذهن رائق ونفس صادق وروية ملأت تصانيفها المغارب والمشارق وقريحة اذا ذقت جناها وشمت سناها تذكرت ما بين العذيب وبارق فالله تعالى يبقى مصنفه قبلة لاهل الادب ويديه ويبلغه من سعادة الدنيا والآخرة ما يرومه بمنه وكرمه

في هذا الباب الثالث عاد وثمود وغيرهم وقيل ان أول من ملك عادا من الملوك عاد بن عوص ثلثمائة سنة ثم ملك ابن عاد بن عوص قال ولما دثرت هذه الامم من العرب والقبائل خلت منهم الديار فسكنها غيرهم من الناس فنزل قوم من بنى حنيفة اليمامة واستوطنوها وقد كان نزلوا بلادا الجحفة بين مكة والمدينة وقطنوها فقال شاعرهم يرثى من كان في تلك الديار
ان طسما وجرهما وجديسا والعماليق في السنين الخوالى
عمروا البيت حقبة ثم ولوا واستمرت بهم صروف الليالى
وأدال الزمان منهم وأضحى غيرهم ساكنا بتلك الخوالى
ورماهم ريب الزمان فامسوا دورهم بالقعر الشمال
(وقد كان) نزل بلادا الجحفة بين مكة والمدينة عبيد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح هو وولده فهلكوا بالسيل فسمى ذلك الموضع بالجحفة لاجحافها عليهم

(وكان) يثرب بن قاسة بن مهليل بن ارم بن عبيد نزل بالمدينة هو وولده ومن تبعه فسميت به يثرب

انتهى * وقرظ عليه بعضهم بقوله وقف المملوك سليمان بن داود المصري على فصول الحكم من هذه الفصول ووجد من نسيم الصبا أمارات القبول ونزه طرفه في رياض هذا الكتاب وخاطب فكره العقيم في وصفه فعجز عن رد الجواب

ماذا أقول وكل وصف دونه * أين الحضيض من السماك الأعزل

يالها كلمات نقصت قدر الأفاضل وفضحت فصحاء الأوائل وسحبت ذيل الفصاحة على سحبان وائل وزادت في البلاغة على فريد وغيرت حال القدماء فما عبد الرحيم الفاضل وما عبد الحميد وذلت لها تشبيهات ابن المعتز طوعا وملكت زمام البيان فما تركت للبديع منه نوعا

قطف الرجال القول حين نباته * وقطفت أنت القول لما نورا

وخطاب أعجز الخطباء وصفه وجواب ألقى البلغاء مرصعه وغرائب تعرفت ببديها وشوارد تألفت بهديها وجنان بلاغة لم يطمث أبكارها انس قبلك ولا جان ولم يقطف أزهارها غير ناظر ولا يدجان معان تطرب السمع لما حكم وأحكام وألفاظ هي الأرواح لا أرواح أجسام فلما ألقى فهمه عروة المتماسك وضاقت عليه في وصفه المسالك وعجز عن وصف بلوغ بلاغته عطف على حسن كتابته فرأى خطا يسبي الطرف ويستغرق الطرف نسج قلمه الكريم من وشي البلاغة ديباجا واتخذ من محاسن الحسان طريقا ومنهاجا فالفى ألفات كاعتدال القدود ونونات كأهلة السعود وسينات كالطرر ونقطا كالدرر جعل للأقلام حجة قاطعة على السيوف وحلى الأسماع بحلية زائدة على الشنوف فعطف ساعة يطنب في دعائه وشكره وآونة يميل من طربه بالفاظه وسكره فلله در ألفاظك ودرر فضلك وأحسن بوابلك الهاطل بالبيان وطلك

لسانك غواص ولفظك جوهر * وصدرك بحر بالفضائل زاخر

والله المسؤل أن يرفع قدر مقالك ومقام قدرك ويوضح منهاج الأدب بنور بدرك بمنه وكرمه انه على كل شئ قدير * وكتب قاضي القضاة تاج الدين السبكي رحمه الله تعالى في تقريظ الكتاب المذكور ما نصه الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم حدقت نحو الحدائق وفوقت سهمي تلقاء الغرض الشائق وطرقت الى ما يضيء انما بحسب أسهب الطرائق فما علل صدى كنسيم الصبا ولا كشله سهما صائبا صبابه من لا صبا ولا نظرت نظيره حديقة تنبت فضة وذهبا

وتجيء من ملح الكلا * م بطارف أو تالده
كالنجم نوابغ نحوا * فاق المطالع صاعده
لو راءها قس لما * ألفى اباه ساعده
أبدى نتائج غيبه * في ذي المعاني الشارده

فعين الله تعالى عليها كلمات عليها منه رقيب ومحاسن تسلي عهدها بالحسن حبيب وفوائد حسان يذكرنا بهما احسان البعيد حسن القريب كتبه عبد الوهاب بن السبكي انتهى * وكتب ناصر الدين صاحب دواوين الانشاء ما صورته وقفت على هذا الكتاب الذي

فهلك هؤلاء أيضا ببعض غوائل الدهر وآفاته فقال شاعرهم عين جودى على عبيد برجع * بأماق فيضانها بانسجام

عمرو ايثر باو ليس بها سقسر ولا صارخ ولا ذو سنام غرسوا اليم سا بجيري معين ثم حفوا السبيل بالارحام (وقد أخبر) القحطت قدرته عنهم فقال كذبت ثمود وعاد بالقارعة فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية (وقد تنازع) أهل الشرائع في قوم شعيب ابن نوفل بن رعبيل بن مر ابن عنقاء بن مدين بن ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم وكان لسانه العربية فمنهم من رأى انهم من العرب الدائرة والامم البائدة وبعض من ذكرنا من الاجيال الخالية ومنهم من رأى انهم من ولد المحض بن جندل بن يعصب ابن مدين بن ابراهيم وان شعيبا أخوهم في النسب وقد كانوا اعدة ملوك تفرقوا في ممالك متصلة فمنهم المسمى بأبي جاد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت وهم على ما ذكرنا بنو المحض ابن جندل وأحرف الجمل هي أسماء هؤلاء الملوك وهي التسعة والعشرون حرفا التي عليها حساب الجمل وقد قيل في هذه الأحرف غير ما ذكرنا من الوجوه على حسب ما قدمنا في هذا الكتاب وليس كتابنا هذا موضعا لما

اشبه

أشبه الدر في انتظامه والثغر في ابتسامه وقطر الندى في انسجامه وزهر الروض في البكر اذا غنت على غصونه مطربات حمامه فوجدت بين اسمه ومسماه مناسبة اقتضاها طبع مؤلفه السليم واتصالا قريبا كاتصال الصديق الحميم فتحققت أن مؤلفه أبقاه الله تعالى وحرسه أبدع في تاليفه وأصاب في تمييزه بهذا الاسم وتعريفه فهو في اللطافة كالماء في ارواثه وكالهواء المعتدل في ملاءمة الارواح بجوهر صفائه وكالسلك اذا انتقى جوهره وأجيد في انتقائه قد أينعت ثمرات فضائله فاصبحت دانية القطوف وتجلت عرائس بلاغته فظهر بدرها بلا كسوف وانجابت ظلمات الهموم بسماع موصول مقاطعه التي هي في الحقيقة لآذان الجوزاء شنوف فاكرم به من كتاب ما الروض باهى من وشيه ولا الريحان باعطر من شميمه ولا المدامة بارق من هبوب نسيمه ولا الدر بأسنى زهرا بل زهوا من رسومه اذا تدبره الاديب أغنته تلك الافانين عن نغمات القوانين واذا تأمله الاريب نزه طرفه في رياض البساتين قد سوّر على كل نوع من البديع باب لا يدخله الا من خص من البلاغة باللباب والله تعالى يؤتيه الحكمة وفصل الخطاب ويمتع بفضائله التي شهدها أهل العلم وذوو الالباب بمنه وكرمه وكتبه محمد بن يعقوب الشافعي ٭ وكتب الصفدي شارح لامية العجم ما نصه وقفت على هذا المصنف الموسوم بنسيم الصبا والتاليف الذي لو مر بالمجنون لما ألف ليلاه ولا مال اليها ولا صبا والانشاء الذي انشاه قائله جعل الكلام غيره في هبات الهواء هبا والنثر الذي أغار قائله على سبائك الذهب الابريز وسبا والكلام الذي نباع ء الجاحظ جاحدا وماله ذكر ولا نبا فسجدت جواهر حروفه لمن أوجده في هذا العصر وعلمت ان الفاظه ترمي قلوب حساده بشرر كالقصر وتحققت ان قعقعة طروسه اصوات اعلامه التي تخفق له بالنصر وتيقنت ان سطوره غصون لا تصل اليها كف جناية بجني ولا هصر

وقلت لاهل النظم والنثر قابلوا ٭ ترائبها مصقولة كالسجنجل
وميلوا باعطاف التعجب انها ٭ نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

ولما ملت بعدما ملت وعزلت بعدما هزلت جردت من نفسي شخصا اخاطبه واجاريه في اوصاف محاسنها التي اناهيمه منها واناهبه فقال لي هذا الفن الفذ والنثر الذي قهر اقران هذه الصناعة وبذ والادب الذي سد الطرق على اوابده فافاته شئ ولا شذ وهذا الانشاء الذي ماله عديل في هذا العديد ولا ضريب وهذا الكلام الذي فاق في الآفاق فالحبيب بن اوس حسن بن حبيب فمن الله تعالى على هذه الكلم الساحرة والفوائد التي ايقظت جفن الادب بعدما كان بالساهرة ومتع الله تعالى الزمان واهله بهذا النوع الغض والنقد النض والبز البض والبديع الذي رم ما تشعث من ربع هذا الفن ورض واقتض المعاني ابكاره وافتض وارسل جارح بلاغته على الجوارح فصادها وانقض وانقض وأنبط ماء الفصاحة لما تحدر وارفض واستمال القلب الفظ لما فك ختم ذهوله وفض انه على كل شئ قدير وبالاجابة جدير بمنه وكرمه وكتبه خليل الصفدي انتهى ٭ (ومنهم الاديب ابو جعفر الالبيري) رفيق ابن جابر السابق الذكر وهو

قاله الناس فيها وتنازعوا في تأويلها واد راديها وكان أبجد ملك مكة وما يليها من الحجاز وكان هوز وحطي ملكين ببلاد وج وهي أرض الطائف وما اتصل بذلك من أرض نجد وكان وسعفص وقرشت ملوكا بمدين وقيل ببلاد مصر وكان كلمن على ملك جميع من سمينا مشاعا متصلا على ما ذكرنا وان عذاب يوم الظلة كان في ملك كلمن منهم وان شعيبا دعاهم فكذبوه ووعدهم بعذاب يوم الظلة ففتح عليهم باب من السماء من نار ونجا شعيب بمن آمن معه الى الموضع المعروف بالايكة وهي غيضة تحوم دمن فلما احس القوم بالبلاء واشتد عليهم الحر وايقنوا بالهلاك طلبوا شعيبا ومن آمن معه وقد أظلتهم سحابة بيضاء طيبة النسيم والهواء لا يجدون فيهم ألم العذاب فاخرجوا شعيبا ومن آمن معه من موضعهم وأزالوهم عن اماكنهم وتوهموا أن ذلك ينجيهم مما نزل بهم فجعلها الله عليهم نارا فاتت عليهم فرثت جارية تلمت كلمن اباها فقالت وكانت بالحجاز

كلمن هدم ركني ٭ هلكه وسط المحله
سيد القوم أتاه الـحتف نارا تحت ظله ٭ كونت نارا وأضحت ٭ دار قومي مضمحله

البصير وابن جابر الاعمى وله نظم بديع منه قوله

ابدت لى الصدغ على خدها * فاطلع الليل لنا صبحه
فخدها مع قدها قائل * هذا شقيق عارض رمحه

وقوله وقد دخل حمص

حمص لمن اضحى بها جنة * يدنو لديها الآمل القاصى
حل بها العاصى الا فاعجبوا * من جنة حل بها العاصى

وقوله

ان بين الحبيب عندى موت * وبه قد حييت منذ زمان
ليت شعرى متى تشاهده العيـن وتقضى من اللقاء الامانى

قال وفيه استخدام لان البين يطلق على البعد والقرب انتهى ومن نظمه أيضا رحمه الله تعالى

ومورد الوجنات دب عذاره * فكأنه خط على قرطاس
لما رأيت عذاره مستعجلا * قد رام يخفى الورد منه بآس
ناديته قف لى أودع ورده * مافى وقوفك ساعة من باس

وهذا المعنى قد تبارى فيه الشعراء وتسابقوا فى مضماره فمنهم من جلى وبرز وحاز خصل السبق واحرز ومنهم من كان مصليا ومنهم من غدا لجيد الاحسان محليا ومنهم من عاد قبل الغاية موليا *(رجع) ومن تآليفه رحمه الله تعالى شرحه لبديعية رفيقه ابن جابر المذكور وقال فى خطبته ولما كانت القصيدة المنظومة فى علم البديع المسماة بالحلة السيرا فى مدح خير الورى التى أنشأها صاحبنا العلامة شمس الدين أبو عبد الله بن جابر الاندلسى نادرة فى فنها فريدة فى حسنها تجنى ثمر البلاغة من غصنها وتنهل سواكب الاجادة من مزنها لم ينسج على منوالها ولا سمحت قريحة بمثالها رأيت أن أضع لها شرحا يجلو عرائس معانيها لمعانيها ويبدى غرائب مافيها لموافيها لا أمل الناظر فيه بالتطويل ولا أعوقه بكثرة الاختصار عن مدارك التحصيل فخير الامور أوسطها والغرض مايقرب المقاصد ويضبطها فاعرب من ألفاظها كل خفى واسكت من اعاتها عن كل جلى والله اسأل أن يبلغنا ماقصدناه ويوردنا أحسن الموارد فيما أردناه انتهى وسمى الشرح المذكور طراز الحلة وشفاء الغلة ومما أورده رحمه الله تعالى فى ذلك الشرح من نظم نفسه قوله

طيبة ما اطيبها منزلا * سقى ثراها المطر الصيب
طابت بمن حل بأرجائها * فالترب منها عنبر طيب
ياطيب عيشى عند ذكرى لها * والعيش فى ذاك الحمى أطيب

وقال رحمه الله تعالى فى هذا الشرح بعد كلام مانصه واذا أردت ان تنظر الى تفاوت درجات الكلام فى هذا المقام فانظر الى اسحق الموصلى كيف جاء الى قصر مشيد ومحل سرور جديد فخاطبه بما يخاطب به الطلول البالية والمنازل الدارسة الخالية فقال

وفى ذلك يقول المنتصر ابن المنذر المدينى

ألا ياشعيب قد نطقت مقالة * أتيت بها عمرا وحى بنى عمرو
وهم ملكوا أرض الحجاز وأوجها * كمثل شعاع الشمس فى صورة البدر
ملوك بنى حطى وسعفص ذى الندى * وهوز أرباب الثنية والحجر
هم قطنوا البيت الحرام ورتبوا * خطورا وساموا فى المكارم والفخر

(ولهؤلاء الملوك) أخبار عجيبة من حروب وسير وكيفية تغلبهم على هذه الممالك وتملكهم عليها وابادتهم من كان فيها وعليها من الامم قد أتينا على ذكرها فيما تقدم من كتبنا فى هذا المعنى مما كتابنا هذا منبه عليها وباعث على درسها (وأما بنو حضورا) وكانت أمة عظيمة ذات بطش وشدة فغلبت على كثير من الارض والممالك وقد تنازع الناس فيهم فمنهم من ألحقهم بمن ذكرنا من العرب البائدة ممن سمينا ومنهم من رأى انهم من ولد يافث بن نوح وقيل فى أنسابهم غير ماذكرنا من الوجوه وقد كان بعث الله عز وجل اليهم شعيب ابن ذى مهدم بن حضورا بن عدى نبيا ناهيا عما كانوا عليه وهذا غير شعيب بن نوفل بن رعيل بن مر بن عنقاء بن مدين بن ابراهيم

لك البلى ومحالك * فأحزن في موضع السرور وأجرى كلامه على عكس الامور
الى قول القطامي

انا محيوك فاسلم أيها الطلل * وان بليت وان طالت بك الطيل

قال ما نائف جاء الى طلل بال ورسم خال فاحسن حين حياه ودعا له بالسلامة كالمبتهج
الثالث بياه فلم يذكر دروس الطلل وبلاه حتى آنس المسامع باوفى التحية وازكى السلامة
تلقى ثالث فتح هذا الباب واطنب فيه غاية الاطناب صاحب اللواء ومقدم الشعراء
المشار قال

وانشد

الاعم صباحا ايها الطلل البالي * وهل يعمن من كان في العصر الخالي
وهل يعمن الا سعيد مخلد * قليل هموم ما يبيت بأوجال

ين وهذا البيت الاخير يحسن ان يكون من أوصاف الجنة لان السعادة والخلود وقلة
الهموم والاوجال لا توجد الا في الجنة انتهى وقال رحمه الله تعالى عند رحيله من غرناطة
واعلام نجدة تلوح وحمائمه تشدو على الايك وتنوح

ولما وقفنا للوداع وقد بدت * قباب بنجد قد علت ذلك الوادي
تطرت فالفيت السبيكة فضة * لحسن بياض الزهر في ذلك النادي
فلما كستها الشمس عاد لجينها * لها ذهبا فاعجب لاكسيرها البادي

والسبيكة موضع خارج غرناطة وقال رحمه الله تعالى

هذه عشرة تقضت وعندي * من أليم البعاد شوق شديد
واذا ما رأيت اطفاء شوقي * بالتلاقي فذا الرأي سديد

وقال رحمه الله تعالى وقد أهدى طاقية

خذها اليك هدية * ممن يعز على أناسك
اخبرتها لك عندما * أضحت هدية كل ناسك
أرسلتها طاقية * لتنوب في تقبيل راسك

وله من رسالة وافى كتابك فوجدناه ازهى من الازهار وابهى من حسن الحباب على
الانهار يشرق اشراق نجوم السماء ويسمو الى الاسماع سمو حباب الماء وقال رحمه
الله تعالى في العروض على مذهب الخليل

خل الانام ولا تخالط منهم * أحدا ولو أصفى اليك ضمائره
ان الموفق من يكون كانه * متقارب فهو الوحيد بدائره

وقال على مذهب الاخفش

ان الخلاص من الانام لراحة * لكنه ما نال ذلك سالك
أضحى بدائرة له متقارب * يرجو الخلاص فعاقه متدارك

وله

دائرة الحب قد تناهت * فما لها في الهوى مزيد
فبحر شوقي بها طويل * وبحر دمعي بها مديد

و بينهما مشون من السنين وقد كان بين موسى بن عمران و بين المسيح ألف سنة ولما بعث الى حضورا واشتد كفرهم جد نبيهم شعيب بن ذي مهدم في دعائهم وخوفهم وتوعدهم فقتلوه من بعد ظهور معجزات كانت له ودلائل اظهرها الله على يديه تدل على صدقه وثبوت حجته على قومه فلم يضيع الله ادمه ولم يكذب وعيده فاوحى الله تعالى الى نبي كان في عصره وهو برخيا بن احيا بن روبابيل بن شاليال وكان من سبط يهوذا بن اسرائيل ابن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه السلام أن ياتي بختنصر وكان بالشام وقيل غيره من الملوك فيأمره أن يغزو العرب الذين لا اغلاق لبيوتهم فلما اتى برخيا ذلك الملك قال له الملك صدقت لي سبع ليال أوحى في نومي بما ذكرت وانادي بجيشك الى وابشر و يقال لي ما امرتني به وانا انتصر للنبي المقتول المظلوم الفريد فسار اليهم في جنوده وغشى ديارهم في عساكره وصاح بهم صائح من السماء وقد استعدوا الحرب بهم من حيث عما الصوت جميعهم و يقول

سيغلب قوم غالبوا الله جهرة * وان كايدوه كان اقوى وأكيدا

وان وجدي بها بسيط * فليفعل الحسن ما يريد

وهذا المعنى استعمله الشعراء كثيرا ومنهم الشيخ شهاب الدين بن صارو ابو جعفر المترجم به انشدنا شهاب الدين المذكور لنفسه مجماة

وبي عروضي سريع الجفا * يغار غصن البان من عطفه
الورد من وجنته وافر * لكنه يمنع من قطفه

قال وانشدنا ايضا لنفسه

وبي عروضي سريع الجفا * وجدي به مثل جفاه طويل
قلت له قطعت قلبي أسى * فقال لي التقطيع دأب الخليل

وأنشد رحمه الله تعالى لرفيقه ابن جابر الضرير السابق الترجمة في ذلك

ان صد عني فاني لا اعاتبه * فما التنافر في الغزلان تنقيص
شوقي مديد وحبي كامل أبدا * لاجل ذلك قلبي فيه موقوص

وأنشدنا في ذلك أيضا

عالم بالعروض يخبن قلبي * في مديد الهوى بلحظ سريع
عنده وافر من الردف يبدو * وخفيف من خصره المقطوع

وله

سبب خفيف خصرها وورا؟ه * من ردفها سبب ثقيل ظاهر
لم يجمع النوعان في تركيبها * الا لان الحسن فيها وافر

وله

صدوده لي مديد * وأمر حبي طويل
وفيه أسباب حسن * وتلك عندي الاصول
فخصره لي خفيف * و ردفه لي ثقيل

وقد ذكر أبو جعفر رحمه الله تعالى لرفيقه ابن جابر السابق الذكر مقطوعات كثيرة منها قوله

يا أيها الحادي اسقني كاس السرى * نحو الحبيب ومهجتي لك ساقي
حي العراق على النوى واحمل الى * أهل الحجاز رسائل العشاق
يا حسن ألحان الحداة اذا جرت * نغماتها بمسامع المشتاق

وأورد له أيضا

يا حسن ليلتنا التي قد زارني * فيها فانجز ما مضى من وعده
قومت شمس جماله فوجدتها * في عقرب الصدغ الذي في خده

*(رجع) الى أبي جعفر رحمه الله تعالى ومن فوائده انه لما ذكر فذلكة الحساب فقال هي التي يضعها أهل الحساب آخر جملهم المتقدمة فيقولون فذلك كذا وكذا انتهى ولما أنشد رحمه الله تعالى قول بعضهم

غزال قد غزا قلبي * بالحاظ وأحداق

كذلك يضل الله من كان قلبه مريضا ومن والى النفاق والحدا فلما سمعوا ذلك علموا أن الامر قد فانفضت جنودهم وتفرقت جموعهم وولت كتائبهم وأخذهم السيف فقصدوا أجمعين (وقد ذكر) أن في قصة هلاكهم قال الله عز وجل من قائل فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون وقد تنوزع في ديارهم والموضع الذي كانوا فيه فمن الناس من رأى أنهم كانوا بارض السماوة وأنها كانت عمائر متصلة ذات جنان ومياه متدفقة وذلك بين العراق والشام الى حد الحجاز وهي الآن ديار خراب براري وقفار ومنهم من رأى أن ديارهم كانت من بلاد سورية وهذه المدن في هذا كتابنا هذا قد ؟ مضافة الى أعمال حلب من بلاد قنسرين من أرض الشام (قال المسعودي) وقد أتينا على جمل من أخبار العرب الماضية والباقية وقد كان قبل ظهور الاسلام للباقي منهم مذاهب وآراء في النفوس وتغول الغيلان من الهواتف والجن سنورد جملا منها منفردة على حسب ما يقتضيه شرط الاختصار في هذا الكتاب على حسب ما نمى الينا من أخبارهم واتصل بنا من آثارهم وذكره الناس من آرائهم عن الفاني والباقي ان شاء الله تعالى

له

له الثلثان من قلبي * وثلثا ثلثه الباقى
وثلثا ثلث مايبقى * وباقى الثلث للساقى
وتبقى اسهم ست * تقسم بين عشاق

قال مانصه هذا الشاعر قسم قلبه الى ٨١ سهما فجعل لمحبوبه منها الثلثين ٥٤ وبقى الثلث ٢٧ فزاده ثلثيه ١٨ فصار له ٧٢ يبقى ثلث الثلث وهو ٩ زاده منها ثلثى ثلثها وهو اثنان وبقى من الثلث واحد اعطاه للساقى فبقى من التسعة ستة قسمها بين العشاق فاجتمع لمحبوبه ٧٤ وللساقى ١ واحد وللعشاق ستة والجملة ٨١ انتهى

وانشد رحمه الله تعالى فى علم الحساب لرفيقه ابن جبر السابق الذكر

قسم الناب فى الغرام بحظ * يضرب القلب حين يرسل سهمه
هذه فى هواه ياقوم حالى * ضاع قلبي مابين ضرب وقسمه

وانشد له فى الهندسة

محيط باشكال الملاحة وجهه * كأن به اقليدسا يتحدث
فعارضه خط استواء وخاله * به نقطة والشكل شكل مثلث

وانشد له فى خط الرمل

فوق خديه للعذار طريق * قد بدا تحته بياض وحمره
قيل ماذا اقتلت أشكال حسن * تقتضى أن ابيع قلبي بنظره

وانشد له فى علم الخط

قد حقق الحسن نور حاجبه * وخط فى الصدغ واو ريحان
ومد من حسن قده ألفا * أوقف عيني وقوف حيران

وانشد له ايضا

ألف ابن مقلة فى الكتاب كقده * والنون مثل الصدغ فى التحسين
والعين مثل العين لكن هذه * شكلت بحسن وقاحة ومجون
وعلى الجبين لشعره سين بدت * حار ابن مقلة عند تلك السين
قل للذى قد خط تحت الصدغ من * خيلانه نقطا لجلب فنون
باللزجال و بالمحاسن فتنة * فى وضع ذاك النقط تحت النون

واورد له فى ذكر الاقلام السبعة وغيرها

تعليق ردفك بالخصر الخفيف له * ثلث الجبال وقد وفته أجفان
خد عليه رقاع الروض قد جعلت * وفى حواشيه للصدغين ريحان
خط الشباب بطومار العذار به * سطر افقضاحه للناس فتان
محقق نسخ صبرى عن هواه ومن * توقيع مدمعى المنثور برهان
ياحسن ماقلم الاشعار خط على * ذاك الجبين فلا يسلوه انسان
اقسمت بالمصحف الشامى وأحرفه * مام بالبال يوما عنك سلوان
ولاغباره لى حى فعندك لى * حساب شوق له فى القلب ديوان

تنازع الناس فى كيفيتها فمنهم من زعم أن النفوس فى الدم لاغير وأن الروح الهواء الذى فى باطن جسم المرىء منه نفسه ولذلك سموا المرأة نفساء لما يخرج منها من الدم ومن أجل ذلك تنازع فقهاء الامصار فيما له نفس سائلة اذا سقط فى الماء هل ينجسه أم لا قال تابط شرا خاله الشنفرى الاكبر وكان من قصته أنه قال لحجته عضبا فسالت نفسه سكبا وقالوا ان الميت لا ينبعث منه الدم ولا يوجد فيه والكن فى حال الحياة والنماء مع الحرارة والرطوبة لان كل حى فيه حرارة ورطوبة فاذا مات بقى اليبس والبرد ونفت الحرارة قال ابن براق من كلمة

وكم لاقيت ذا حب شديد
تسيل به النفوس على الصدور
اذا الحرب العوان به استهامت
وحال فذاك يوم قمطرير

(وطائفة منهم) تزعم أن النفس طائر ينبسط فى جسم الانسان فاذا مات أو قتل لم يزل مطيفا به متصورا اليه فى صورة طائر يصرخ على قبره مستوحشا وفى ذلك يقول بعض الشعراء وذكر أصحاب الفيل

سلط الطير والمنون عليهم * فلهم فى صدى المقابر هام لان هذا الطائر يسمونه الهام والواحدة هامة وجاء

وانشد له

يا صاحب المال ألم تستمع * لقوله ماعندكم ينفد
فاعمل به خيرا فوالله ما * يبقى ولا أنت به مخلد

وله

ان شئت أن تجد العدو وقد غدا * لك صاحبا يولي الجميل ويحسن
فاعمل كما قال الخبير بخلقه * في قوله ادفع بالتي هي أحسن

وله

اذا شئت رزقا بلا حسبة * فلذ بالتقى واتبع سبله
وتصديق ذلك في قوله * ومن يتق الله يجعل له

واورد له ايضا

عمل ان لم يوافق نية * فهو غرس لا يرى منه ثمر
انما الاعمال بالنيات قد * نصه عن سيد الخلق عمر

وقوله

الخير في اشياء عن خير الورى * وردت فأبدت كل نهج بين
دع ما يريبك واعملن بنية * وازهد ولا تغضب وخلقك حسن

وقوله

حياء المرء يزجره فيخشى * فخف من لا يكون له حياء
فقد قال الرسول بان مما * به نطق الكرام الانبياء
اذا ما انت لم تستحي فاصنع * كما تختار وافعل ما تشاء

وقوله

قال الرسول الحياء خير * فاصحب من الناس ذا حياء
وعن قليل الحياء فابعد * فخيره ليس ذا رجاء

وقوله

من سلم المسلمون كلهم * وآمنوا من لسانه ويده
فذلك المسلم الحقيق بذا * جاء حديث لا شك في سنده

ولابن جابر مما كتب به الى الصلاح الصفدي

ان البراعة لفظ انت معناه * وكل شئ بديع انت مغناه
انشاد نظمك اشهى عند سامعه * من نظم غيرك لو اسحق غناه

وهي طويلة فاجابه الصفدي بقوله

يا فاضلا كرمت فينا سجاياه * وخصنا باللآلي في هداياه
خصصتني بقريض شف جوهره * لما تألق منه نور معناه
من كل بيت مبانيه مشيدة * كم من خبايا معان في زواياه

وهي طويلة *(رجع)* الى نظم ابي جعفر فن ذلك قوله

الاسلام وهم على ذلك حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم لا هام ولا صفر ويزعمون أن هذا الطائر يكون صغيرا ثم يكبر حتى يصير كضرب من البوم وهي أبدا تتوحش وتصدح وتوجد أبدا في الديار المعطلة والنواويس وحيث مصارع الموتى ويزعمون أن الهامة لا تزال عند ولد الميت في محلته بفنائهم لتعلم ما يكون بعده فتخبره به حتى قال الصلت بن أمية لبنيه

هامتي تخبرني بما تستشعر * فتجنبوا الشنعاء والمكروها

(وفي ذلك يقول في الاسلام توبة في ليلى الاخيلية)

ولو ان ليلى الاخيلية سلمت * علي ودوني جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة اوزقا * اليها صدى من جانب القبر صائح

وهذا من قولهم يدل على ان الصدى ينزل الى قبورهم ويصعد ومن ذلك ما روى عن حاتم طيئ مما سنورد خبره في هذا الكتاب

اتيت لضيفك تبغي القرى * لدى حفرة صدحت هامها

وسنذكر هذا الشعر في اخبار الحجاج بن يوسف مع ليلى الاخيلية من هذا الكتاب وقد قيل ان هذه الابيات لغير توبة وهذا كثير في اشعارهم

تريك قـذاعـلى ردف تجـاذبه * كحوطة فى كثيب الرمل قد نبتت
وبالقرنفل فى ريح الصبا سحرا * يضوع منها اذا نحوى قد التفتت

عقد بهما ألفاظ قول امرئ القيس

اذا التفتت نحوى تضوع ريحها * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

واورد له قوله

ولولا نجاء العيس حول ديارها * غداة منى لم يبق فى الركب محرم
فوق ذرى المتنين برد مهلهل * وتحت رداء الخز وجه معلم

عقد فى الاول قول ابن الخطيم

ديار التى كنا ونحن على منى * تحوط بنا لولا نجاء الركائب

وعقد فى الثانى قول ابن أبى ربيعة

أماطت رداء الخز عن حر وجهها * وأرخت على المتنين بردا مهلهلا

وأورد له قوله

ان ادعى لك مروان الجلال فقل * لا يجهل المرء بين الناس رتبته
ان الجلالة حقا للقول له * هذا الذى تعرف البطحاء وطأته

وقوله

من منصفى يا قوم من ظبية * تسرف فى هجرى وتأبى الوصال
وكلما أسأل عن عذرها * تقول لى ما كل عذر يقال

وقوله

هم حسدوا الرسول فلم يجيبوا * وكم حسدوا فصار لهم فرار
وهاجر عندما هجروا فأضحى * لخيمة أم معبد الفخار

وقوله

بحسبك أن تبيت على رجاء * ولو خطبتك للباس الخطوب
ومهما أكربتك صروف دهر * فقل ما قاله الرجل الاريب
عسى الكرب الذى أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب

وقوله

خليلى هذا قبر أشرف مرسل * ففانبك من ذكرى حبيب ومنزل
رويدكما نبكى الذنوب التى خلت * بسقط اللوى بين الدخول فحومل
منازل كانت للتصابى فأقفرت * لما نسجتها من جنوب وشمأل

قال ثم جرى على هذا النمط واستخرج الدرر النفيسة من ذلك السفط وقال قبله انه أخذ أعجاز هذه القصيدة من أولها الى آخرها على التوالى وصنع لها صدورا وصرفها الى مدح النبى صلى الله عليه وسلم فجاء فى ذلك عجبا لم يسبق اليه ولم يقف أحد فى تلك المعانى على ما وقف عليه انتهى وقوله

كم ليال خلت بكم كاللآلى * نظمتها لنا يد الازمان

ومنثور كلامهم وسجعهم وخطبهم وغير ذلك من محاوراتهم وللعرب وغيرهم من أهل الملل ممن سلف وخلف كلام كثير فى تنقل الارواح قد أتينا على مبسوطه ذلك فى كتابنا المترجم بسر الحياة وكتاب الدعاوى وبالله التوفيق

(ذكر أقاويل العرب فى الغيلان والتغول وما لحق بهذا الباب)

للعرب فى الغيلان وتغولها أخبار طريفة العرب يزعمون أن الغول يتغول لهم فى الخلوات ويظهر لخواصهم فى أنواع من الصور فيخاطبونها وربما ضيفوها وقد أكثروا من ذلك فى أشعارهم فمنها قول تأبط شرا

وأدهم قد جبت جلبابه * كما اجتابت الكاعب الخيعلا
فأصبحت والغول لى جارة * فيا جارتى أنت ما أهولا
وطالبتها بضعها فالتوت * بوجه تغول فاستغولا
فمن كان يسأل عن جارتى * فان لها باللوى منزلا

ويزعمون أن رجليها رجلا عنز وكانوا اذا اعترضتهم الغول فى الفيافى يرتجزون ويقولون

يا رجل عنز انهقى نهيقا * لن تترك السبسب والطريقا

وذلك أنها كانت تتراءى لهم فى الليالى وأوقات النهار فيتوهمون أنها انسان فيتبعونها فتزيلهم عن الطريق التى هم عليها وتتيههم وكان ذلك قد اشتهر عندهم وعرفوه فلم

أيها النازحون عن رأى عينى * وهم فى جوانحى وجنانى
ما لذا الوصال بعد التنائى * وام الفراق بعد التدانى
قد وكلنا لكرب كريم * غيروان من عبده فى أوان
مارحلنا عن اختيار ولكن * رحلتنا تلونات الزمان

وقوله

تشتكى الصفر من يديه وترضى السمر عن راحتيه عند الحروب
أحمر السيف أخضر السيب حيث الارض غبراء من سواد الخطوب

وقوله مما التزم فى أوله الدال

دفاع لمكروه أمان لخائف * سحاب لمستجد هلال لمستعدى
دروب على الحسنى عفو لمن جنى * مثيب لمن أثنى مجيب لذى قصد
دع الغيث ان أعطى دع الليث ان سطا * دع الروض اذا أهدى دع البدر اذ يهدى

وقوله

غزال ماتوسد ظل بان * بهاجرة ولا عرف الطلالا
تبسم لؤلؤا واهتز غصنا * وأعرض شادنا وبدا هلالا

وقوله

رفع الخصر فوق منصوب ردف * وبجزم القلوب فرعيه جرا
مال غصنا دنا رشا فاح مسكا * باه درا أرخى دجى لاح بدرا

وقوله حين زار قبر قس بن ساعدة بجبل سمعان

هذى منازل ذى العلا * قس بن ساعدة الايادى
كم عاش فى الدنيا وكم * اسدى اليناس أيادى
قد زانها بحلى البلا * غة مفصحا فى كل نادى
قد قر فى بطن الثرى * متفردا بين العباد

قال أبو جعفر زرنا قبره فرأينا موضعا ترتاح اليه النفس وتلوح عليه الانس وعند قبره عين ماء يقال انه ليس بجبل سمعان عين تجرى غيرها هنالك وأورد له قوله

كرام خضام من ذؤابة هاشم * يقولون للاضياف أهلا ومرحبا
نيفعل فى فقر المقاين جودهم * كفعل على يوم حارب مرحبا

(رجع) الى أبى جعفر رحمه الله تعالى فنقول انه كان بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم سنة ٧٠٠ ولما ذكر الروضة قال قيل ولا تكون الروضة الا بماسقتها أزال جنبها[٣] ولا يقال فى موضع الشجر روضة انتهى وقال

لقوامه الالف التى * جاءت بحسن ما ألف
عانقته فكأننى * لام معانقة الالف

وقال رحمه الله تعالى معتذرا عمن لم يسلم

لاتعتبن على ترك السلام فقد * جاءتك أحرفه كتبا بلا قلم

يكونوا يزولون عما كانوا ورؤس الجبال (وقد ذكر جماعة) من الصحابة منهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه شاهد ذلك فى بعض أسفاره الى الشام وان الغول كانت تغول له وانه ضربها بسيفه وذلك قبل ظهور الاسلام وهذا مشهور عندهم فى أخبارهم (وقد حكى) عن بعض المتفلسفين أن الغول حيوان شاذ من جنس الحيوان لم تحكمه الطبيعة وانه لما خرج منفردا فى نفسه وهيئته توحش من مسكنه فطلب القفار وهو يناسب الانسان والحيوان البهيمى فى الشكل وقد ذهبت طوائف من الهند الى أن ذلك انما يظهر من فعل ما كان غائبا من الكواكب عند طلوعها مثل طلوع الكوكب المعروف بكلب الجبار وهى الشعرى العبور وان ذلك يحدث داء فى الكلاب وسهيل فى الجمل والذئب فى الدب وحامل رأس الغول يحدث عند طلوعه تماثيل وأشخاص تظهر فى الصحارى وغيرها من العالم فتسميه عوام الناس غولا وهى ثمانية وأربعون كوكبا وقد

[٣] قوله الا بماسقتها الخ كذا فى نسخة المؤلف رحمه الله تعالى انتهى من هامش

فالسين

فالسين من ماتري والالام مع ألف * من عارضي وهذا الميم ميم في

وقال رحمه الله تعالى

لا يقنطنك ذنب * قد كان منك عظيم

فالله قد قال قولا * وهو الجواد الكريم

نبئ عبادي أني * أنا الغفور الرحيم

وقال

اذا ظلم المرء فاصبر له * فبالقرب يقطع منه الوتين

فقد قال ربك وهو القوى * وأملي لهم ان كيدي متين

ومن نثره لما ذكر قصيدة كعب بن زهير رضي الله تعالى عنه ما نصه وهذه القصيدة لها الشرف الراسخ والحكم الذي لم يوجد له ناسخ أنشدها كعب في مسجد المصطفى بحضرته وحضرة أصحابه وتوسل بها فوصل الى العفو عن عقابه فسد صلى الله عليه وسلم خاتمه وخلع عليه حلته وكف عنه كف من أراده وأبلغه في نفسه وأهله مراده وذلك بعد اهدار دمه وما سبق من هذر كله محت حسناتها تلك الذنوب وسترت محاسنها وجه تلك العيوب ولولاها لمنع المدح والغزل وقطع من أخذ الجوائز على الشعر الامل فهي حجة الشعراء فيما سلكوه وملاك أمرهم فيما ملكوه حدثني بعض شيوخنا بالاسكندرية باسناده ان بعض العلماء كان لا يستفتح مجلسه الا بقصيدة كعب فقيل له في ذلك فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله قصيدة كعب أنشدها بين يديك فقال نعم وأنا أحبها وأحب من يحبها قال فعاهدت الله ان لا أخلو من قراءتها كل يوم قلت ولم تزل الشعراء من ذلك الوقت الى الآن ينسجون على منوالها ويقتدون بأقوالها تبركا بمن أنشدت بين يديه ونسب مدحها اليه ولما صنع القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم على وزن بانت سعاد قال

لقد قال كعب في النبي قصيدة * وقلنا عسى في مدحه نتشارك

فان شملتنا بالجوائز رحمة * كرحمة كعب فهو كعب مبارك

انتهى

وقال رحمه الله تعالى

لقد كر العذار بوجنتيه * كما كر الظلام على النهار

فغابت شمس وجنته وجاءت * على مهل عشيات العذار

فقلت لناظري لما رآها * وقد خلعا السواد بالاحمرار

تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار

وقال

قالوا عشقت وقد أضر بك الهوى * فأجبتهم يا ليتني لم أعشق

قالوا سبقت الى محبة حسنه * فأجبتهم ما فاز من لم يسبق

ولما أنشدنا رحمه الله تعالى قول ابن الخشاب في المستضيء بالله

ورد الورى سلسال جودك فارتووا * ووقفت دون الورد وقفة حائم

ذكرها بطليموس وغيره ممن تقدم وتأخر وقد وصف ذلك أبو معشر في كتابه المعروف بالمدخل الكبير في النجوم وذكر كيفية صورة كل كوكب عند ظهوره في أنواع مختلفة (وزعمت طائفة) من الناس أن الغول شئ يعرض للسفار ويتمثل في ضروب من الصور ذكرا كان أو أنثى الا أن أكثر كلامهم على انه أنثى وقد قال أبو المطراب

وحالفني الوحوش على الوفاء
وتحت عهودهن وبالبعاد

وغولا قفرة ذكرا وأنثى
كأن عليهما قطع النجاد

وقال آخر وهو كعب بن زهير الصحابي

فما تدوم على حال تكون بها
كما تلون في أثوابها الغول

وقد قدمنا ذكر ذلك فيما سلف من هذا الكتاب في هذا المعنى وأن كل كوكب يظهر في صورة مخالفة لما تقدمه من الصور يحدث في هذا العالم نوعا من الافعال ينفرد بفعله عن غيره من الكواكب (وكانت العرب) قبل الاسلام تزعم أن الغيلان توقد بالليل النيران للعبث والتخيل واختلال السابلة قال أبو المطراب

فلله در الغول أي رفيقة * لصاحب قفر خائف وهو معبر
أرنت بلحن بعد لحن وأوقدت * حوالي نيرانا تلوح وتزهر

فلما آن أطلب خفة من زحمة ٭ والورد لا يزداد غير تزاحم

قال ما نصه فانظر حسن هذين البيتين كيف جريا كالماء في سلاسته ووقعا من القلوب كالشهد في حلاوته مع أن ناظمهما ما خرج عن وصف الماء كلامه ولا تعدى ذلك المعنى نظامه حتى قيل ان فيهما عشرة مواضع من مراعاة النظير فهما في الحسن ما لهما من نظير لكنه ما سلم مليح من عيب ولا خلا من وقوع ريب فمع هذه المحاسن الوافية ما سلما من عيب القافية انتهى واختتم ترجمته بقوله عند شرح بيت رفيقه

خير الليالي ليالي الخير في اضم ٭ والقوم قد بلغوا اقصى مرادهم

ما نصه يقول ان خير الليالي التي تنشرح لها الصدور ويحمد فيها الورود والصدور ليالي الخير في أضم حيث النزيل لم يضم والقوم قد وردوا موارد الكرم وبلغوا اقصى مرادهم في ذلك الحرم ٭(ومن الراحلين الولي الصالح ابو مروان عبد الملك بن ابراهيم بن بشر القيسي) وهو ابن اخت ابن صاحب الصلاة البجانسي نسبة الى بجانس قرية من قرى وادي آش وكان رحمه الله تعالى اواسط المائة السابعة وقد ذكره الفقيه ابو العباس احمد بن ابراهيم بن يحيي الازدي القشتالي في تاليفه الذي سماه تحفة المغرب ببلاد المغرب وقال فيه راضوا نفوسهم لانقياد للمولى سرا وعلنا وزهدوا في الدنيا فلم يقولوا معنا ولا لنا وانتدبوا لقول الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال صاحب التاليف المذكور سالت الشيخ أبا مروان يوما في مسيري معه من وادي آش الى بلده بجانس سنة تسع وأربعين وستمائة فقلت له أنت ياسيدي لم تكن قرأت ولا لازمت المشايخ قبل سفرك للشرق ولا سافرت مع عالم تقتدي به في هذا الطريق فقال لي أقام الله تعالى من باطني شيئا قلت له كيف قال كنت اذا عرض لي أمر نظرت في خاطري فيخطر لي خاطران في ذلك أحدهما محمود والآخر مذموم فكنت اجتنب المذموم وارتكب المحمود فاذا وصلت الى اقرب بلد سالت عمن فيه من المشايخ والعلماء فاساله عن ذلك فكان يذكر لي المحمود محمودا والمذموم مذموما فأحمد الله تعالى ان وفقني ومع تتابع ذلك وانه الدون مخالفة لم اعتمد على ما يقع بخاطري من الامور الشرعية الى الآن حتى اسال عنه من حضره من العلماء انتهى ومن كلام صاحب التاليف المذكور قوله في حق الصوفية نفعنا الله تعالى بهم جواطر يق الحق فاماهم ونور بصائرهم فاصمهم عن الباطل واعماهم واهانوا في رضاه نفوسهم ورفضوا نعماهم فاعلى قدرهم عنده وعند الناس واسماهم انتهى وما احسن قوله في التاليف المذكور يا هذا من حافظ حوفظ عليه ومن طلب الخير بصدق وصل اليه ومن اخلص العبودية لربه قام الاحرار خدمة بين يديه انتهى ٭(ومنهم الطبيب الماهر الشهير ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن احمد بن البيطار المالقي) نزيل القاهرة وهو الذي عناه ابن سعيد في كتابه المغرب بقوله وقد جمع ابو محمد المالقي الساكن الآن بقاهرة مصر كتابا في هذا الشان حشر فيه ما سمع به فقدر عليه من تصانيف الادوية المفردة ككتاب الغافقي وكتاب الزهراوي وكتاب الشريف الادريسي الصقلي وغيرها وضبطه على حروف المعجم وهو النهاية في مقصده انتهى وقد كرت كلام ابن سعيد هذا بجملته في غير هذا الموضع

أبيت بسعلاة وغول بقفرة اذا الليل وارى الجن فيه أرنت (وقد وصفها بعضهم فقال) وحافر العنز في ساق مدملجة وجفن عين خلاف الانس بالطول (وللناس) كلام كثير في الغيلان والشياطين والمردة والجن والقرب والقدار وهو نوع من الانواع المشيطنة يعرف بهذا الاسم يظهر في اكناف اليمن والتهائم وأعالي صعيد مصر وانه ربما يلحق الانسان فينكحه فيتدود دبره فيموت وربما يتوارى للانسان فيذعره فاذا اصاب الانسان ذلك منه يقول له اهل تلك النواحي التي سمينا امنكوح هو أم مذعور فان قالوا امنكوح يئس منه وان كان مذعورا أسكن روعه وشجع مما ناله وذلك ان الانسان اذا عاين ذلك سقط مغشيا عليه ومنهم من يظهر له ذلك فلا يكترث به لشهامة قلبه وشجاعة نفسه وما ذكرنا مشهور في البلاد التي سمينا ويمكن جمع ما قلنا مما حكيناه عما ذكرنا من

انقاع التي يكون فيها ضروب من السوانح الفاسدة والخواطر الرديئة لو غير ذلك من الآفات فليراجع

فليراجع وكان ابن البيطار اوحد زمانه في معرفة النباتات سافر الى بلاد الاغارقة واقصى
بلاد الروم والمغرب واجتمع بجماعة كثيرة من الذين يعانون هذا الفن وعاين منابته
وتحققها وعاد بعد اسفاره وخدم الكامل بن العادل وكان يعتمد عليه في الادوية
والحشائش وجعله في الديار المصرية رئيسا على سائر العشابين واصحاب البسطات ومن بعده
خدم ولده الصالح وكان حظيا عنده الى ان توفي بشعبان سنة ٦٤٦ التي توفي بها ابن
الحاجب وله من المصنفات كتاب الجامع في الادوية المفردة وكتاب المغني ايضا في الادوية
وكتاب الابانة والاعلام بما في المنهاج من الخلل والاوهام وكتاب الافعال العجيبة
والخواص الغريبة وشرح كتاب ديسقوريدوس قال الذهبي انتهت اليه معرفة تحقيق
النبات وصفاته واماكنه ومنافعه وتوفي بدمشق انتهى * (ومنهم الشيخ ابو الحسن علي
ابن محمد بن محمد بن علي القرشي البسطي) الشهير بالقلصادي بفتحات كما قال السخاوي الصالح
الرحلة المؤلف الفرضي آخر من له التآليف الكثيرة من ائمة الاندلس واكثر تصانيفه في
الحساب والفرائض كشرحيه العجيبين على تلخيص ابن البناء والحوفي وكفاه فخرا ان
الامام السنوسي صاحب العقائد اخذ عنه جملة من الفرائض والحساب واجازه جميع
مروياته واصله من بسطة ثم انتقل الى غرناطة فاستوطنها واخذ بها عن جماعة كابن فتوح
والسرقسطي وغيرهما ثم ارتحل الى المشرق ومر بتلمسان فاخذ بها عن الامام عالم الدنيا ابن
مرزوق والقاضي ابي الفضل قاسم العقباني وابي العباس بن زاغ وغيرهم ثم ارتحل فلقي
بتونس تلامذة ابن عرفة كابن عقاب والقلشاني وحلولو وغيرهم ثم حج ولقي اعلاما وعاد
فاستوطن غرناطة الى ان حل بوطنه ما حل فتحيل في خلاصه من الشرك وارتحل ومر
بتلمسان فنزل بها على الكفيف ابن مرزوق ابن شيخه ثم جدت به الرحلة الى ان وافته منيته
بباجة افريقية منتصف ذي الحجة سنة ٨٩١ وكان كثير المواظبة على الدرس والكتابة
والتأليف ومن تآليفه اشرف المسالك الى مذهب مالك وشرح مختصر خليل وشرح
الرسالة وشرح التلقين وهداية الانام في شرح مختصر قواعد الاسلام وهو شرح مفيد
وشرح رجز القرطبي وتنبيه الانسان الى علم الميزان والمدخل الضروري وشرح
ايساغوجي في المنطق وله شرح الانوار السنية لابن جزي وشرح رجز الشراز في الفرائض
الذي اوله

بحمد خير الوارثين ابتدي * وبالسراج النبوي اهتدي

وشرح حكم ابن عطاء الله ورجز ابي عمرو بن منظور في اسماء النبي صلى الله عليه وسلم وشرح
البردة ورجز ابن بري ورجز شيخه ابي اسحق بن فتوح في النجوم الذي اوله

سبحان رافع السماء سقفا * ناصبها دلالة لا تخفى

وشرح رجز ابن مقرعة وله النصيحة في السياسة العامة والخاصة وهداية النظار في تحفة
الاحكام والاسرار وكشف الجلباب عن علم الحساب وكشف الاسرار عن علم الغبار
والتبصرة وقانون الحساب في قدر التلخيص وشرحه وشرحان على التلخيص كبير وصغير
وشرح ابن الياسمين في الجبر والمقابلة ومختصره وكليات الفرائض وشرحها وشرحان

والادواء المتعرضة بجنس الحيوان من الناطقين والله اعلم بكيفية ذلك
ولنذكر في هذا الكتاب
ماذكره اهل الشرائع وما
ذكره اهل التواريخ
والمصنفون لكتب البدو
كوهب بن منبه وابن
اسحق وغيرهما ان الله
تعالى خلق الجان من نار
السموم وخلق منه زوجته
كما خلق حواء من آدم وان
الجان غشيها فحملت منه
وانها باضت احدى
وثلاثين بيضة وان بيضة
تفلقت من تلك البيض
عن قطربة وهي ام
القطارب وان القطربة
على صورة الهرة وان
الابالس من بيضة اخرى
منهم الحرث ابو مرة وان
مسكنهم الجزائر وان
الغيلان من بيضة اخرى
مسكنهم الخرابات والفلوات
وان السعالي من بيضة
اخرى سكنوا الحمامات
والمزابل وان الهوام
من بيضة اخرى سكنوا
الهواء في صورة الحيات
ذوات اجنحة يطيرون
هنالك وان من بيضة
اخرى الجاميص لانا قد
ذكرنا ذلك فيما سلف من كتبنا
وتقدم من تصنيفنا واتينا
على ذكر انسابهم والمشهور
من اسمائهم وما كنهم
من الارض والبحار وان
كان ماذكره اهل الشرع
مما وصفنا ممكنا غير ممتنع ولا واجب وان كان اهل النظر والبحث والمستعملون لقضية العقل والفحص

للتلمسانية كبير وصغير وشرح فرائض صالح بن شريف وابن الشاط وفرائض مختصر خليل والتلقين وابن الحاجب وله كتاب الغنية في الفرائض وغنية النجاة وشرحاها الكبير والصغير وتقريب المواريث ومنتهى العقول البواحث وشرح مختصر العقباني ولم يتم ومدخل الطالبين ومختصر مفيد في النحو وشرح رجز ابن مالك والجرومية وجمل الزجاجي وملحة الحريري والخزرجية ومختصر في العروض وغير ذلك وأخذ بمصر عن الحافظ ابن حجر والزين طاهر النويري وأبي القاسم النويري والعلامة الجلال المحلي والتقي الشمني وأبي الفتح المراغي وغيرهم حسبما ذكر ذلك في رحلته الشهيرة وهي حاوية لشيوخه بالمغرب والمشرق وجملة من احوالهم رحمهم الله تعالى الجميع

*(ومنهم أبو عبد الله الراعي وهو شمس الدين محمد بن اسمعيل الاندلسي الغرناطي) ولد بها سنة ٧٨٢ تقريبا ونشأ بها وأخذ الفقه والاصول والعربية عن جماعة منهم أبو جعفر أحمد بن ادريس بن سعيد الاندلسي وسمع على أبي بكر عبد الله بن محمد بن محمد المعافري ابن الدب ويعرف بابن أبي عامر والخطيب أبي عبد الله محمد بن علي بن الحفار ومحمد بن عبد الملك ابن علي القيسي المنتوري صاحب الفهرسة الكبيرة الشهيرة ومما أخذ عنه الجرومية باخذه لها عن الخطيب أبي جعفر احمد بن محمد بن سالم الجذامي عن القاضي أبي عبد الله محمد ابن ابراهيم الحضرمي عن مؤلفها أبي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي عرف بابن آجروم وجميع خلاصة الباحثين في حصر حال الوارثين للقاضي أبي بكر بن عبد الله بن يحيى ابن زكريا الانصاري باخذه لها عن مؤلفها واجازله ابو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن الجذامي والقاضي أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني والعلامة أبو الفضل محمد بن ابراهيم ابن عبد الرحمن ابن الامام وعالم الدنيا أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني وغيرهم من المغاربة ومن أشياخه من أهل المشرق الكمال بن خير السكندري والزين أبو بكر المراغي والزين محمد الطبري وأبو اسحق ابراهيم بن العفيف النابلسي في آخرين ودخل القاهرة سنة ٨٢٥ فحج واستوطنها وسمع بها من الشهاب المتبولي وابن الجزري والحافظ ابن حجر وطائفة وأم بالمؤيدية وقتا وتصدى للاشتغال فانتفع به الناس طبقة بعد أخرى لاسيما في العربية بل هي كانت فنه الذي اشتهر به وبجودة الارشاد لها وشرح كلا من الجرومية والالفية والقواعد وغيرها مما حمله عنه الفضلاء وله نظم وسط قال السخاوي كتبت عنه منه الكثير ومما لم أسمعه منه ما أودعه في مقدمة كتاب صنفه في نصرة مذهبه وأثبته دفعا لشيء نسب اليه فقال

عليك بتقوى الله ماشئت واتبع * أئمة دين الحق تهدى وتسعد
فمالكهم والشافعي وأحمد * ونعمانهم كل الى الخير يرشد
فتابع لمن أحببت منهم ولا تمل * لذي الجهل والتعصيب ان شئت تحمد
فكل سواء في وجيبة الاقتدا * متابعهم جنات عدن يخلد بها
وحبهم دين يزين وبغضهم * خروج عن الاسلام والحق يبعدهم
فلعنة رب العرش والخلق كلهم * على من قلاهم والتعصب يقصد

يمتنعون مما ذكرنا ويأبون ما وصفنا والمصنف حاطب ليل فاوردنا ماقاله الناس من اهل الشرائع وغيرهم اذ الواجب على كل ذي تصنيف ان يورد جميع ماقاله اهل الفرق في معنى ماذكرناه واتينا ايضا على سائر ماخبر بها من الاشخاص التي هي مرئية من الجن والشياطين وما قالوه في سلوك الجن في كتابنا المترجم بكتاب المقالات في اصول الديانات وبالله التوفيق

(ذكر قول العرب في الهواتف والجان)

فاما الهواتف فقد كثرت في العرب واتصلت بديارهم وكان أكثرها أيام مولد النبي صلى الله عليه وسلم وفي أولية مبعثه ومن حكم الهواتف أن تهتف بصوت مسموع وجسم غير مرئي (قال المسعودي) وقد تنازع الناس في الهواتف والجان فذكر فريق منهم وقال ان ماتذكره العرب وتنبئ به من ذلك انما يعرض لها من قبل التوحد في القفار والتفرد في الاودية والسلوك في المهامه والمرورات الموحشة لان الانسان اذا صار في مثل هذه الاماكن يوجد له تفكر ووجل وجبن واذا هو جبن داخلته الظنون الكاذبة والاوهام المؤذية والسوداوية الفاسدة فصورت له الاصوات ومثلت له الاشخاص واوهمته المحال

وكان

وكان حاد اللسان والخلق شديد النفرة من الشيخ يحيى العيسى أضر بآخره ومات بسكنه بالصالحية يوم الثلاثاء ٢٧ ذي الحجة سنة ٨٥٣ بعد أن أنشد قبيل موته بشهر في حال صحته الشيخ جمال الدين بن الامانة من نظمه قوله

أفكر في موتي و بعد فضيحتي * فيحزن قلبي من عظيم خطيئتي
وتبكي دما عيني وحق لها البكي * على سوء أفعالي وقلة حيلتي
وقد ذابت اكبادي عناء وحسرة * على بعد أوطاني وفقد أحبتي
فمالي الا الله ارجوه دائما * ولا سيما عند اقتراب منيتي
فنسأل ربي في وفاتي مؤمنا * بجاه رسول الله خير البرية

قال السخاوي ومما كتبته عنه

ألم تره حول المعلم باكيا * ودموعه قد صاغها من كوثر
نثر الدموع على الخدود كأنها * در تناثر في عقيق أحمر

وقوله

عليك بنعمة رب العلا * وراعي الملوك راعي الذمم
وذو العلم فارع له حقه * والا تفارق وتلق الندم
فهذا مقالي فلتسمعوا * نصيحة حبر من اهل الحكم
اذا كنت في نعمة فارعها * فان المعاصي تزيل النعم

وقال

للغرب فضل شائع لا يجهل * ولاهله شرف ودين يكمل
ظهرت به أعلام حق حققت * ماقاله خير الانام المرسل
من انهم حتى القيامة لن يزا * لوا ظاهرين على الهدى لن يخذلوا

وممن حدث عنه الراعي الحافظ ابن فهد والبرهان البقاعي ومن تآليفه شرح القواعد وكتاب انتصار الفقير السالك لمذهب الامام الكبير مالك في كراريس أربعة حسن في موضوعه وله النوازل النحوية في عشرة كراريس أو أكثر وفيها فوائد حسنة وابحاث رائقة تكلم معه في بعضها أبو عبد الله بن العباس التلمساني وذكر بعضهم انه اختصر شرح شيخه ابن مرزوق على مختصر الشيخ خليل من باب القضاء الى آخر الكتاب انتهى وجرت له في صغره حكاية دالة على نبله وهي انه دخل على الطلبة رجل وهم بجامع غرناطة فسألهم عمن كان وراء امام فحدث للامام عذر ذهب لاجله مثل الرعاف مثلا وصلوا بعض الصلاة لانفسهم ثم اقتدوا بامام منهم قدموه فيما بقي فهل تصح صلاتهم ام لا فلم يكن عند أحد من الحاضرين فيها علم فقال هو ان الصلاة باطلة لان النحاة يقولون الاتباع بعد القطع لا يجوز وقد حكى ذلك في شرحه للاجرومية الذي سماه بعنوان الافادة في باب النعت اذ قال مانصه كنت جالسا بمسجد قيسارية غرناطة أنتظر سيدنا وشيخنا أبا الحسن علي بن سمعت رحمه الله تعالى مع جماعة من كبار طلبته وكنت اذ ذاك من أصغرهم سنا وأقلهم علما فدخل سائل سأل عن مسألة فقهية نصها ان اماما صلى بجماعة جزأ من صلاة ثم غلب عليه

بخس وما يعرض لذوي الوسواس وقطب ذلك وأسه سوء التفكير وخروجه على غير نظام قوي او طريق مستقيم سليم لان المتفرد في القفار والمتوحد في المرورات مستشعر للمخاوف متوهم للتلاف متوقع للحتوف لقوة الظنون الفاسدة على فكره وانغراسها في نفسه فتوهم ما يحكيه من هتف الهواتف بهواء تراءى الجان له وقد كانت العرب قبل ظهور الاسلام تقول ان من الجن من هو على صورة نصف الانسان وانه كان يظهر لها في اسفارها في حين خلواتها وتسميه شقا (وذكر) عن علقمة بن صفوان بن امية ابن محرث الكناني جد مروان بن الحكم لامه انه خرج في بعض الليالي يريد مالا له بمكة فانتهى الى الموضع المعروف بحط عريان فاذا هو بشق قد ظهر له في اوصاف ذكرها فقال

علقم اني مقتول
وان لحمي ماكول
اضربهم بالمدلول
ضرب غلام مشمول
رحب الذراع بهلول

فقال علقمة

شق مالي ولك
اغمد عني منصلك
تقتل من لا يقتلك

فضرب كل منهما صاحبه فخرا ميتين وهذا مشهور عندهم وان علقمة بن صفوان قتلته الجن (وذكروا) عن الجن

الحدث فخرج ولم يستخلف لهم فقام كل واحد من الجماعة وصلى وحده جزأ من الصلاة ثم بعد ذلك استخلفوا من أتم بهم الصلاة فهل تصح تلك الصلاة أم لا فلم يكن فيها عند الحاضرين جواب فقلت أنا أجاوب فيها بجواب نحوي فقال هات الجواب فقلت هذا اتباع بعد القطع وهو ممتنع عند النحويين فصلاة هؤلاء باطلة فاستظرفها مني من حضر لصغر سني ثم طالبنا النص فيها فلم نلقه في ذلك التاريخ ولو لقيناه لكان الجواب حسنا انتهى ومن ألغازه قوله

حاجيتكم نحاتنا المصريه * أولي الذكاء والعلم والطاعميه
ما كلمات أربع نحويه * جمعن في حرفين للاحجيه

يعني فعل الامر للواحد من وأى يئى اذا أضمر فانك تقول فيه ايا ز يد على حرف واحد وهو الهمزة المقطوعة فاذا قلت قل اونقلت حركته على لغة النقل الى الساكن صار هكذا قل فذهب فعل الامر وفاعله فهي كلمات أربع فعلا أمر وفاعلاهما جمعن في حرفين القاف واللام فافهم وأحسن من هذا قوله ملغزا في ذلك أيضا

في أي لفظ يا نحاة الملة * حركة قامت مقام الجمله

و بالجملة فمحاسنه كثيرة رحمه الله تعالى و رضي عنه ومن فوائده قوله حكى لي بعض علماء المالكية قال كنا نقرأ المدونة على الشيخ سراج الدين البلقيني الشافعي فوقعت مسئلة خلافية بين مالك والشافعي فقال الشيخ في مسئلة مذهبنا كذا في مسئلة لم يقل فيها الشافعي بما قال وانما نسبها البلقيني لنفسه ثم فطن وخاف أن ينتقد عليه المالكية و يقولون له أنت شافعي وهذا ليس مذهب الشافعي فقال فان قلتم يا مالكية لسنا بمالكية وانما أنتم شافعية قلنا كذلك أنتم قاسمية وقد اجتمعنا الكل في مالك قال وهذا الكلام حلو حسن في غاية الانصاف من الشيخ قال ولما قرئ عليه كتاب الشفاء مدحه وأثنى عليه الى الغاية وكان يحضره جماعة من المالكية فقال القاضي جمال الدين ابنه مالكم يا مالكية لا تكونون مثل القاضي عياض فقال له أبوه الشيخ سراج الدين المذكور ومالك لا تقول للشافعية مالكم يا شافعية لا تكونون مثل القاضي عياض ومن فوائد الراعي في باب العلم من شرحه على الآلاهية في الكتاب عشر خصال محمودة ينبغي أن تكون في كل فقير لا يزال جائعا وهو من دأب الصالحين ولا يكون له موضع يعرف به وذلك من علامة المتوكلين ولا ينام من الليل الا القليل وذلك من صفات المحبين واذا مات لا يكون له ميراث وذلك من أخلاق الزاهدين ولا يهجر صاحبه وان جفاه وطرده وذلك من شيم المريدين و يرضى من الدنيا بادنى يسير وذلك من اشارة القانعين واذا غلب عن مكانه تركه وانصرف الى غيره وذلك من علامة المتواضعين واذا ضرب وطرد ثم دعي أجاب وذلك من أخلاق الخاشعين واذا حضر شيء من الاكل وقف ينظر من بعد وذلك من أخلاق المساكين واذا رحل لم يرحل معه بشيء وذلك من علامة المتجردين انتهى بمعناه وقد نسبه للحسن البصري رحمه الله تعالى ورضي عنه ومن تصانيفه رحمه الله تعالى كتاب الفتح المنير في بعض ما يحتاج اليه الفقير في غاية الافادة ملكته ولم أره بهذه البلاد المشرقية وحفظت منه فيما تقدم جمعه * (ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق بعد أخذ جميع بلاد الاندلس) أعادها الله تعالى

بيتين من الشعر قالتهما في حرب بن امية حين قتلته الجن وهما

وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب قبر حرب قبر

واستدلوا على ان هذا من قول الجن بان احدا من الناس لم يتأت له ان ينشد هذين البيتين ثلاث مرات متواليات لا يتتعتع في انشادها الان الناس قد ينشدون العشرين بيتا والاكثر والاقل اشد من هذا الشعر واثقل منه ولا يتتعتعون فيه (وممن قتلته) الجن مرداس السلمي وهو ابو عباس ابن مرداس السلمي ومنهم الغريض المغني بعد أن ظهر غناؤه وقد كانت الجن نهته ان يغني بابيات من الشعر فغناها فقتلته (وحدث) يحيى بن عتاب عن علي بن حرب عن ابي عبيدة معمر بن المثنى عن منصور بن زيد الطائي قال رأيت قبر حاتم طيئ ببيعة وهو اعلى جبل له واد يقال له الحامل واذا قدر عظيمة من بقايا قدوره مكفأة ناحية من القبر من القدور التي كان يطعم فيها الناس وعن يمين قبره أربع جوار من حجارة وعلى يساره اربع جوار من حجارة كلهن صاحبة شعر منشور محتجرات على قبره كالنائحات عليه لم ير مثل بياض اجسامهن وجمال وجوههن مثلهن الجن على قبره ولم يكن قبل ذلك

قاضي

قاضي الجماعة بغرناطة أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن الازرق قال السخاوي انه لازم
الاستاذ ابراهيم بن أحمد بن فتوح مفتي غرناطة في النحو والاصلين والمنطق بحيث كان جل
انتفاعه به وحضر مجالس أبي عبد الله محمد بن محمد السرقسطي العالم الزاهد مفتيها ايضا في
الفقه ومجالس الخطيب أبي الفرج عبد الله بن أحمد البقني والشهاب قاضي الجماعة
بغرناطة ابي العباس احمد بن ابي يحيى بن شرف التلمساني انتهى وله رحمه الله تعالى
تأليف منها بدائع السلك في طبائع الملك كتاب حسن مفيد في موضوعه لخص فيه كلام
ابن خلدون في مقدمة تاريخه وغيره مع زوائد كثيرة ومنها روضة الاعلام بمنزلة العربية
من علوم الاسلام مجلد ضخم فيه فوائد وحكايات لم يؤلف في فنه مثله وقفت عليه بتلمسان
وحفظت منه ما انشده لبعض اهل عصره مما يكتب في سيف

ان عمت الافق من نقع الوغى سحب * فشم بها بارقا من لمع ايماضي

وان نوت حركات النصر أرض عدا * فليس للفتح الا فعلي الماضي

ومن انشائه في التأليف المذكور ما صورته قلت ولقد كان شيخنا العلامة أبو اسحق ابراهيم
ابن أحمد بن فتوح قدس الله تعالى روحه يفسح لصاحب البحث مجالا رحبا ويوسع المراجع
له قبولا ورحبا بل يطالب بذلك ويقتضيه ويختار طريق التعليم به ويرتضيه توقيفا على
ما حاصل له تحقيقه ووضح له في معيار الاختيار تدقيقه والا فقد كان ما يلقيه غاية ما يحصل
ويتمهد به مختار ما يحفظ ويتحصل انتهى وهو يدل على ملكته في الانشاء ويحقق ما يحصله
الا أن ذلك اذا طال حتى وقع الملل وانضجر أو كاد فينبغي الامساك عن البحث لئلا يفضي
الحال الى ما ينهى عنه قال ومخالفة التلميذ الشيخ في بعض المسائل اذا كان لها وجه وعليها
دليل قائم بقوله غير الشيخ من العلماء ليس من سوء أدب التلميذ مع الشيخ ولكن مع ملازمة
التوقير الدائم والاجلال الملائم فقد خالف ابن عباس عمر وعليا وزيد بن ثابت رضي الله
تعالى عنهم وقد كان أخذ عنهم وخالف كثير من التابعين بعض الصحابة وانما أخذوا العلم
عنهم وخالف مالك كثيرا من أشياخه وخالف الشافعي وابن القاسم وأشهب مالكا في كثير
من المسائل وكان مالك أكبر أساتيذ الشافعي وقال لا أحد أمن علي من مالك وكاد كل من
أخذ العلم ان يخالفه بعض تلامذته في عدة مسائل ولم يزل ذلك دأب التلاميذ مع الاساتيذ الى
زماننا هذا قال وشاهدنا ذلك في أشياخنا مع أشياخهم رحمهم الله تعالى قال ولا ينبغي للشيخ
أن يتبرم من هذه المخالفة اذا كانت على الوجه الذي وصفناه والله تعالى أعلم انتهى ولما
أنشد ابن الازرق المذكور في كتابه روضة الاعلام قول القائل في مدح ابن عصفور

نقل النحو الينا الدؤلي * عن أمير المؤمنين البطل

بدأ النحو علي وكذا * ختم النحو ابن عصفور علي

قال بعده ما نصه على أن صاحبنا الكاتب الاديب الابرع أبا عبد الله محمد بن الازرق
الوادي آشي رحمه الله تعالى قد قال فيما يدافع ابن عصفور عما اقتضاه هذا المدح له بتفضيل
الاستاذ المحقق أبي الحسن بن الضائع عليه ولقد أبدع في ذلك ما شاء لما تضمن من التورية

بضائعك ابن الضائع الندب قد أتت * بحظ من التحقيق والعلم موفور

والجواري بالنهار كما وصفنا فاذا هدأت العيون ارتفعت أصوات الجن بالنياحة عليه ونحن في منازلنا
نسمع ذلك الى أن يطلع
الفجر سكتن وهدأن
ورعام المارف يراهن
فيفتتن بهن فيميل اليهن
عجبا بهن فاذا دنا منهن
وجدهن حجارة (وحدث)
يحيى بن عتاب الجوهري
قال حدثنا علي قال أنبأني
عبد الرحمن بن يحيى المنذري
عن أبي المنذر هشام الكلبي
قال حدثنا أبو مسكين بن
جعفر بن محرز بن الوليد
عن أبيه وكان مولى لابي
هريرة يحدث قال كان
رجل يكنى أبا البختري مر في
نفر من قومه بقبر حاتم طيئ
فنزلوا قريبا منه فبات أبو
البختري يناديه يا أبا الجعد
اقرنا فقال قومه مهلا
ما تكلم من رمة بالية قال
ان طيئا تزعم أنه لم ينزل به
أحد قط الا قراه وناموا
فانتبه صائحا وا راحلتاه
فقال له أصحابه ما بدا لك قال
خرج حاتم من قبره بالسيف
وأنا أنظر حتى عقر ناقتي
قالوا له كذبت ثم نظروا
الى ناقته بين نوقهم منجدلة
لا تنبعث فقالوا له والله
قراك فظلوا يأكلون من
لحمها شواء وطبيخا حتى
أصبحوا ثم أردفوه وانطلقوا
سائرين فاذا راكب بعير
يقود آخر قد لحقهم فقال
أيكم أبو البختري فقال أبو البختري أنا ذاك قال أنا عدي بن حاتم وان حاتما جاءني الليلة في النوم

فطرت عقابا كاسرا أو ما ترى * مطارك قد أعيا جناح ابن عصفور

انتهى وقد نقل عن ابن الازرق صاحب المعيار في جامعه وأثنى عليه غير واحد ومن أعظم تآليفه شرحه الحافل على مختصر خليل المسمى بشفاء الغليل في شرح مختصر خليل وقد توارد معه الشيخ ابن غازي على هذه التسمية وكان مولانا العم الامام شيخ الاسلام سيدي سعيد بن أحمد المقري رضي الله تعالى عنه قال لي حين سألته عن هذا التوارد لعل تسمية ابن الازرق شفاء العليل بالعين قلت بعد ذلك أن جماعة من تلامذته الاكابر كالوادي آشي وغيره كتبوه بخطوطهم بالعين فبان انه من توارد الخواطر وأن كلا منهما لم يقف على تسمية الآخر والله تعالى أعلم وقد رأيت جملة من هذا الشرح بتلمسان وذلك نحو ثلاث مجلدات ولا أدري هل أكمله أم لا لان تقديره بحسب ما رأيت يكون عشرين مجلدا اذ المجلد الاول ما أتم مسائل الصلاة ورأيت الخطبة وحدها في أكثر من كراسة أبان فيها عن علوم ولم أر في شروح خليل مع كثرتها مثله ودخل تلمسان لما استولى العدو على بلاد الاندلس ثم ارتحل الى المشرق فدخل مصر واستنهض عزائم السلطان قايتباي لاسترجاع الاندلس فكان كمن يطلب بيض الانوق أو الابيض العقوق ثم حج ورجع الى مصر فجدد الكلام في غرضه فدافعوه عن مصر بقضاء القضاة في بيت المقدس فتولاه بنزاهة وصيانة وطهارة ولم تطل مدته هنالك حتى توفي به بعد سنة خمس وتسعين وثمانمائة حسبما ذكره صاحب الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل فليراجع فانه طال عهدي به ومن بارع نظمه رحمه الله تعالى قوله في المحبوبات

ورب محبوبة تبدت * كأنها الشمس في حلاها
فاعجب لحال الانام من قد * أحبها منهم قلاها

ومنه قوله رحمه الله تعالى

عذري في هذا الدخان الذي * جاور داري واضح في البيان
قد قلتم ان بها زخرفا * ولا الى الزخرف الا الدخان

وقوله

تأملت من حسن الربيع نضارة * وقد غردت فوق الغصون البلابل
حكت في غصون الدوح قسا فصاحة * لتعلم أن النبت في الروض باقل

وقوله

وقائلة صف للربيع محاسنا * فقلت وعندي للكلام بدار
همى ببطاح الارض صوب من الحيا * فللنبت في وجه الزمان عذار

وقوله

تعجبت من يانع الورد في * سنى وجنة نبتها بارض
ولم لا أرى وردها يانعا * وقد سال من فوقها العارض

وقوله رحمه الله تعالى عند وفاة والدته

تقول لي ودموع العين واكفة * ما أفظع البين والترحال يا ولدي

ونحن نزول وراء هذا الجبل فذكر شتمك اياه وانه قرا أصحابك براحلتك وأنشد

أبا البختري لأنت امرؤ * ظلوم العشيرة شتامها
أتيت بصحبك تبغي القرى * لدى حفرة صدحت هامها
أتبغي لدى الرم عند المبيت * وحولك طي وأنعامها
فانا سنشبع أضيافنا * ونأتي المطي فنعتامها

وقد أمرني أن أحملك على بعير مكان راحلتك فدونكه وقد ذكر هذا سالم بن زرارة الغطفاني في مدحه عدي ابن حاتم حيث يقول

أبوك أبو سفانة الخير لم يزل * لدن شب حتى مات في الخير راغبا
به تضرب الامثال في الشعر ميتا * وكان له اذ ذاك حيا مصاحبا
قرى قبره الاضياف اذ نزلوا به * ولم يقر قبر قبله الدهر راكبا

(وحدث) أبو محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم السجستاني عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال سمعت شيخا من العرب قد أناف على المائة يقول انه خرج وافدا على بعض ملوك بني أمية قال فسرت في ليلة صحيا كيسة حالكة كأن السماء قد برقعت نجومها بطرائق السحاب وضللت الطريق فتوجهت واديا لا أعرفه فهمتني نفسي بطرحها حتى

فقلت

الصباح فلم آمن عريف الجن فقلت أعوذ برب هذا الوادي من شره واستجيره في طريقي ٥١ هذا واسترشده فسمعت قائلا

فقلت أين السرى قالت لرحمة من * قد عز في الملك لم يولد ولم يلد

قال تلميذه الحافظ ابن داود مما الفيته بخط قاضي الجماعة أبي عبد الله بن الازرق عن علي رضي الله تعالى عنه من أراد أن يطول الله عمره ويظفر بعدوه ويصان من فتن الدنيا ويوسع عليه باب رزقه فليقل هذا التسبيح اذا أصبح ثلاثا واذا أمسى ثلاثا سبحان الله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وعدد النعم وزنة العرش والحمد لله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وعدد النعم وزنة العرش ولا اله الا الله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وعدد النعم وزنة العرش والله أكبر ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وعدد النعم وزنة العرش ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم مثل ذلك وصلى الله على سيدنا محمد وآله مثل ذلك قال وبخطه أيضا نيل الرزق ومما رأيا باسط ياجواد ياعلي في عرشك بحق حقك على جميع خلقك ابسط لي رزقك وسخر لي خلقك وبخطه أيضا بسم الله الرحمن الرحيم الدافع المانع الحافظ الحي القيوم القوي القادر الولي الناصر الغالب الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم وبخطه أيضا يافتاح ياعليم يانور ياهادي ياحق يامبين افتح لي فتحا تنور به قلبي وتشرح به صدري واهدني الى طريق ترضاه وبين لي أمري وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا انتهى وقال رحمه الله تعالى موريا

من تكن صنعته الانشاء لا * ينكر الرزق لاقصى العمر
ولو استعلى على السبع الدرا * رى بما في فيه من درر
فانا الكاتب لكن لو يبا * ع الى العتق لكنت المشترى

هكذا رأيت نسبتها اليه واختم ترجمته بل والباب جميعا بقوله رحمه الله تعالى عند نزول طاغية النصارى بمرج غرناطة أعادها الله تعالى للاسلام بجاه النبي عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام

مشوق بخيمات الاحبة مولع * تذكره نجد وتغريه لعلع
مواضعكم يالائمين على الهوى * فلم يبق للسلوان في القلب موضع
ومن لي بقلب تلتظي فيه زفرة * ومن لي بجفن تهمي منه أدمع
رويدك فارقب للطائف موضعا * وخل الذي من شره يتوقع
وصبرا فان الصبر خير غنيمة * وياقوز من قد كان للصبر يرجع
وبت واثقا باللطف من خير راحم * فألطافه من لمحة العين أسرع
وان جاء خطب فانتظر فرجاله * فسوف تراه في غد عنك يرفع
وكن راجعا لله في كل حالة * فليس لنا الا الى الله مرجع

(الباب السادس)

في ذكر بعض الوافدين على الاندلس من أهل المشرق المهتدين في قصدهم اليها بنور الهداية المضيء المشرق والاكابر الذين حلوا بحلولهم فيها الجيد منها والمفرق والمفخرين برؤية قطرها المونق على المشئم والمعرق

أعلم أن الداخلين للاندلس من المشرق قوم كثيرون لا تحصر الاعيان منهم فضلا عن غيرهم

يقول من بطن الوادي
تيامن تجاهك تلق الكلا * تسير وتأمن في المسلك

قال فتوجهت حيث أشار الي وقد أمنت بعض الامن فاذا أنا باقباس نار تلمع أمامي في خلالها كالوجوه على قامات كالنخيل السحيقة فسرت وأصبحت باوصال ٣ وهو ماء لكلاب يقارب برية دمشق وقد ذكر الله عز وجل ذلك من فعلهم فقال وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا

(ذكر ماذهب اليه العرب من القيافة والزجر والسانح والبارح وغير ذلك)

تنازع الناس في القيافة وغيرها مما ذكر فذهبت طائفة الى تحقيق القيافة والاخذ بها لان الاشباه تنزع وغير جائز أن يكون ولد غير مشبه لابيه او احد من أهله من جهة من الجهات ومنهم من ذهب الى ان في الولد مواضع تلحقها القيافة دون غيرها من الاعضاء مما لم يحلها الشبه ولا توافق بينها بحد مشترك والى آخرون ماوصفناه اذ كان الناس قد يتشابهون في حد الانسانية وغير ذلك من الحدود ويفترقون في غيرها من الصور وليس وجود الاغلب من الاشباه مما يوجب الحاق

ومنهم من اتخذها وطنا وصيرها سكنا الى أن وافته منيته ومنهم من عاد الى المشرق بعد أن قضيت بالاندلس أمنيته ❊ (فمن الداخلين الى الاندلس المنيذر) الذى يقال انه صحابى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن الابار فى التكملة المنيذر الافريقى له صحبة وسكن أفريقية ودخل الاندلس فيما ذكره عبد الملك بن حبيب قاله أبو محمد الرشاطى ولم يذكره أحد غيره روى عنه عبد الرحمن الجبلى انتهى وأنكر غير واحد دخول أحد من الصحابة الاندلس وذكر بعض الحفاظ المنيذر المذكور وقال انه المنيذر اليمانى وذكر الحجارى انه من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وانه دخل الاندلس مع موسى بن نصير غازيا وقال ابن بشكوال يقال فيه المنيذر لكونه من احداث الصحابة رضى الله تعالى عنهم وقد حكى ذلك الرازى وذكره ابن عبد البر فى كتاب الاستيعاب فى الصحابة وسماه بالمنيذر الافريقى وقال ابن بشكوال ان ابن عبد البر روى عنه حديثا سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكره أبو على بن السكن فى كتاب الصحابة وقال روى عنه حديث واحد وأرجو أن يكون صحيحا وذكره ابن قانع فى معجم الصحابة له وذكره البخارى فى تاريخه الكبير اذ قال أبو المنيذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد حدث بافريقية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فانا الزعيم لآخذن بيده فأدخله الجنة كذا ذكره البخارى بالكنية وهذا الحديث هو الذى رووه عنه لا يعرف له غيره وذكره أبو جعفر أحمد بن رشد فى كتاب مسند الصحابة له فقال المنيذر اليمانى امامن مذحج أو غيرها وذكر الحديث سواء وقد أشرنا فيما سبق الى المنيذر هذا (ومن التابعين الداخلين الاندلس اميرها موسى بن نصير) وقد سبق من الكلام عليه ما فيه كفاية ❊ (ومن التابعين الداخلين الاندلس حنش الصنعانى) وفى كتاب ابن بشكوال قال ابن وضاح حنش لقب له واسمه حسين بن عبد الله وكنيته أبو على وقال أبو رشدين قال ابن بشكوال وهو من صنعاء الشام وذكره أبو سعيد بن يونس فى تاريخ أهل مصر وافريقية والاندلس فقال انه كان مع على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وغزا المغرب مع رفيقه رويفع بن ثابت وغزا الاندلس مع موسى بن نصير وكان فيمن ثار مع ابن الزبير على عبد الملك بن مروان فاتى به عبد الملك فى وثاق فعفا عنه وكان أول من ولى عشور افريقية فى الاسلام وتوفى بافريقية سنة مائة وذكر ابن يونس عن حنش انه كان اذا فرغ من عشائه وحوائجه وأراد الصلاة من الليل أوقد المصباح وقرب المصحف واناء فيه ماء فاذا وجد النعاس استنشق الماء واذا تعايا فى آية نظر فى المصحف واذا جاء سائل يستطعم لم يزل يصيح باهله أطعموا السائل حتى يطعم قال ابن حبيب دخل الاندلس من التابعين حنش بن عبد الله الصنعانى وهو الذى أشرف على قرطبة من الفج المسمى بفج المائدة وأذن وذلك فى غير وقت الاذان فقال له أصحابه فى ذلك فقال ان هذه الدعوة لا تنقطع من هذه البقعة الا أن تقوم الساعة هكذا ذكره غير واحد وقد كشف الغيب خلاف ذلك فلعل الرواية موضوعة أو مؤولة والله تعالى أعلم وذكره ابن عساكر فى تاريخه وطول ترجمته وقال ان صنعاء المنسوب اليها قرية من قرى الشام وليست صنعاء اليمن وقد قيل انه لم يروعن حنش الشاميون وانما روى

يخالف من حيث أوجبت قضية الاختلاف بالتباين وهذه المعانى من خواص الشبه بشبهه ودون أن ماللعرب وما تفردت به دون سائر الامم فى الاغلب منها وان كانت الكهانة قد وجدت فى غيرها فان القيافة والزجر والتفاؤل والتطير ليس لغيرها فى الاغلب من الامور وليس هو موجودا فى سائر العرب وانما هو للخاص منها الفطن والمتدرب النظير وان وجد ذلك فى بعض الامم كوجود ذلك فى الافرنجة وما جانسها من هنالك من الامم فيمكن أن يكون ذلك موروثا عن العرب ومأخوذا منها فى سالف الدهر لان العرب قد تنقلت فى البلاد وتغيرت لغاتها فنسب ذلك الى الجنس الذى قطنت بينهم العرب ويمكن أن تكون الافرنجة ومن وجد فيها ذلك من الامم أخذت بعد ظهور الاسلام عمن جاورهم من أمم العرب عمن سكن بلاد الاندلس من الارض الكبيرة وان كان ذلك قبل ظهور الاسلام فهو ما ذكرنا آنفا ويمكن ان يكون الله عز وجل خص بذلك أمما غير العرب كما خص العرب به اذ كان ذلك داخلا فى الامكان خارجا من باب الممتنع فيكون الزجر والفال شاملا لبعض العرب وغيرها من خواص الامم كوجود النمط

عنه

عنه المصريون وحدث حنش عن عبد الله بن عباس انه قال له ان استطعت أن تلقى الله تعالى
وسيفك حليته حديد فافعل وكان عبد الملك بن مروان حين غزا المغرب مع معاوية بن حديج
نزل على أبيه بافريقية سنة خمسين فحفظ له ذلك فعفا عنه حين أتى به في وثاق حين ثار مع ابن الزبير
وسئل أبو زرعة عن حنش فقال ثقة ولم يذكر ابن عساكر أن حنشا لقب له وان اسمه حسين
بل اقتصر على اسمه حنش ولعله الصواب لا ما قاله ابن وضاح والله تعالى أعلم وفي تاريخ
ابن الفرضي أبي الوليد أن حنشا كان بسرقسطة وانه الذي أسس جامعها وبها مات وقبره
بها معروف عند باب اليهود بغربي المدينة وفي تاريخ ابن بشكوال انه أخذ أيضا قبلة جامع
البيرة وعدل وزن قبلة جامع قرطبة الذي هو فخر الاندلس *(ومن التابعين الداخلين
للاندلس أبو عبد الله علي بن رباح اللخمي) ذكر ابن يونس في تاريخ مصر انه ولد سنة خمس
عشرة عام اليرموك وكان أعور ذهبت عينه يوم ذات السواري في البحر مع عبد الله بن سعيد
سنة أربع وثلاثين وكان يفد لليمانية من أهل مصر على عبد الملك بن مروان وكانت له
من عبد العزيز بن مروان منزلة وهو الذي زف أم البنين بنت عبد العزيز الى الوليد بن
عبد الملك ثم عتبت عليه عبد العزيز فاغزاه أفريقية فلم يزل بافريقية الى أن توفي بها
ويقال كانت وفاته سنة أربع عشرة ومائة قال ابن بشكوال أهل مصر يقولون علي بن
رباح بفتح العين وأما أهل العراق فعلي بضم العين وقد سبق هذا الكلام عن ابن معين
في الباب الثاني وقال ابنه موسى بن علي من قال لي موسى بن علي بالتصغير لم أجعله في حل
(ومن التابعين الداخلين أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المعافري الحبلي) قال ابن
بشكوال انه يروي عن أبي أيوب الانصاري وعبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهم وغيرهم
وروى عنه جماعة وذكر البخاري في تاريخه الكبير انه يعد في المصريين وذكر ابن
يونس في تاريخ المغرب انه توفي بافريقية سنة مائة وكان رجلا صالحا فاضلا رحمه الله
تعالى ويذكر أهل قرطبة انه توفي بقرطبة وانه دفن بقبليها وقبره مشهور يتبرك به والله
تعالى أعلم بحقيقة الامر في ذلك (ومن الداخلين من التابعين حيان بن أبي جبلة) ذكر ابن
بشكوال انه مولى قريش ويكنى أبا النضر وذكره أبو العرب محمد بن تميم في تاريخ افريقية
وقال حدثني فرات بن محمد أن عمر بن عبد العزيز أرسل عشرة من التابعين يفقهون أهل
أفريقية منهم حيان بن أبي جبلة روى عن عمرو بن العاص وعبد الله بن عباس وابن عمر
رضي الله تعالى عنهم ويقال توفي بافريقية سنة اثنتين وعشرين ومائة وقيل سنة خمس
وعشرين ومائة وذكر ابن الفرضي انه غزا مع موسى بن نصير حين افتتح الاندلس حتى
انتهى الى حصن من حصونها يقال له قرقشونة فتوفي به قال وقال لنا أبو محمد الثغري بين
قرقشونة وبرشلونة مسافة خمسة وعشرين ميلا وفيها الكنيسة المعظمة عندهم المسماة شنت
مرية ذكر أن فيها سبع سوار فضة خالصة لم ير الراؤن مثلها لا يحتزم الانسان بذراعيه
واحدة منها مع طول مفرط هكذا نقله ابن سعيد عمن ذكر والله تعالى أعلم *(ومن الداخلين
من التابعين فيما ذكر المغيرة بن أبي بردة نشيط بن كنانة العذري) روى عن أبي هريرة
رضي الله تعالى عنه وروى عنه مالك في موطئه وذكره البخاري في تاريخه الكبير وفي

من أهل البحث والتنقير
الى ان القيافة اسم مشتق
من القفو وهو معنى استدلالي
واصل ذلك ان الاشكال
انفصلت في صورة أنسابها
باشياء تخص الانواع بالتشكيل
وخواص وجدت لما به
ضربت الفواصل اضرابها
في وحيدات الاشخاص
وكان التناسل على
وساعه وقدر من الغير لما
توجبه الطبيعة من اتفاق
كل شيء في حوزته وصرفه
الى وجهه كما خصت الطبيعة
كل نوع من الجنس بفصل
اباننه من أغياره وفرقت
بينه وبين اشكاله فلذلك
أيضا خصت آحاد
الاشخاص المنفصلة في
الهيئة وتغير الغير من اغياره
ولذلك لا تكاد فنون
الصور تتراءى في المرائي
لغير من أغياره وكذلك
لا تكاد وان ضمها النوع
وشملها المادة فانما تقع
يقارب بين الهيآت فيهم كم
للاقرب صورة لان تشبيه
النسل أقرب من تشبيه
النوع وكذلك تشبيه
الشخص الى النوع أقرب
منه الى الجنس لان النوع
والشخص قد ضمهما حدان
مشتركان وانما ضمه
ضرب من ضروب البحث
والجنس حد واحد فهو أصل القيافة عند الطائفة وهو ضرب من ضروب البحث والحاق النظير في

كتاب الحافظ ابن بشكوال انه دخل الاندلس مع موسى بن نصير فكان موسى بن نصير
يخرجه على العساكر *(ومن التابعين حيوة بن رجاء التميمي) ذكر ابن حبيب انه دخل
الاندلس مع موسى بن نصير وأصحابه وانه من جملة التابعين رضي الله تعالى عنهم قاله ابن
بشكوال في مجموعه المترجم بالتنبيه والتعيين لمن دخل الاندلس من التابعين قال ابن
الابار وقد سمعته من أبي الخطاب بن واجب وسمعه هو منه انتهى وقال ابن الابار في موضع
آخر ما صورته رجاء بن حيوة مذكور في الذين دخلوا الاندلس من التابعين وفي ذلك عندي
نظر وما أراه يصح والله تعالى أعلم انتهى فانظر هذا فانه سماه رجاء بن حيوة وذلك السابق
حيوة بن رجاء فالله سبحانه أعلم بحقيقة الامر في ذلك *(ومنهم عياض بن عقبة الفهري) من
خيار التابعين ذكره ابن حبيب في الاربعة الذين حضروا غنائم الاندلس ولم يغلوا *(ومنهم
عبدالله بن شماسة الفهري) ذكر ابن بشكوال انه مصري وأن البخاري ذكره في تاريخه (ومنهم
عبد الجبار بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري) جده عبد الرحمن أحد العشرة رضي
الله تعالى عنهم وهو ممن ذكره ابن بشكوال في الاربعة من التابعين الذين لم يغلوا *(ومنهم
منصور بن خزامة فيما يذكر) قال ابن بشكوال قرأت في كتاب روايات الشيخ أبي عبد الله
ابن عائذ الراوية رحمه الله تعالى قال وممن دخل الاندلس من المعمرين فاوجدت بخط المستنصر
بالله الحكم بن عبد الرحمن الناصر رضي الله تعالى عنه في بعض كتبه المخترنة انه قال طرأ علينا
رجل أسود من ناحية السودان في سنة تسع وعشرين وثلثمائة فذكر انه منصور بن خزامة مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يزعم انه أدرك أيام عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه
وانه كان مراهقا وكان مع عائشة رضي الله تعالى عنها يوم الجمل وانه شهد صفين وأن خزامة
أعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج عن الاندلس في سنة ثلاثين وثلثمائة الى المغرب
انتهى قلت هذا كله لا أصل له ورحم الله تعالى حافظ الاسلام ابن حجر حيث كتب على
هذا الكلام ما صورته هذا هذيان لا أصل له ولا يغتر به وكذلك ترجمة أشج العرب اتفق
الحفاظ على كذبه انتهى قلت وما هو الا من نمط عكراش والله تعالى يحفظنا من سماع
الاباطيل عنه ومن هذه الاكاذيب ما يذكرون عن أبي الحسن علي بن عثمان بن خطاب
وانه يعرف بأبي الدنيا وانه كان معمرا مشهورا بصحبة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وانه
رأى جماعة من كبار الصحابة رضي الله تعالى عنهم ووصفهم بصفاتهم وانه رأى عائشة رضي
الله تعالى عنها فيما زعم وقدم قرطبة على المستنصر الحكم بن الناصر وولي عهده وسأله أبو بكر
ابن القوطية عن مغازي علي وكتبها عنه وقد ذكره ابن بشكوال وغيره في كتبهم وتواريخهم
فقد ذكر الثقات العارفون بالفن انه كذاب دجال مائن جاهل فإياك والاغترار بمثل ذلك مما
يوجد في كتب كثير من المؤرخين بالمشرق والاندلس ولا يلتفت الى قول تميم بن محمد
التميمي انه كان اذ لقيه ابن ثلثمائة سنة وخمس سنين قال تميم واتصلت بنا وفاته ببلده في نحو
سنة عشرين وثلثمائة وبالجملة فلا أصل له وانما ذكرناه للتنبيه عليه وقد عرفت بما ذكرناه
التابعين الداخلين الاندلس على أن التحقيق انهم لم يبلغوا ذلك العدد وانما هم نحو خمسة
أو أربعة كما المعنا به في غير هذا الموضع والله تعالى أعلم (ومن الداخلين الى الاندلس مغيث

الاغلب بنظيره من حيث تساويهما من حيث ذكرنا في قضية العقل وهو القياس بعينه وليس هذا
الاستدلال من كلام أحد
من فقهاء القياسيين ولا
غيرهم من المسلمين وانما
هذا انتزعناه من كلام طائفة
من الفلاسفة المتقدمين
فيجب أن يكون نظر القائف
على قول هذه الطائفة الى
القدم لانها نهاية
الشكل وغاية الهيئة والولد
لو خالف صورة أبيه في كنه
أفعاله وباينه في سائر شكله
في الاغلب لوافقه في القدم
لان النسل لابد له من
تخصيص قوته بشيء يميزه
من غيره ينسبه من سواه
ولذلك وجدوا الطول في
ازدشنوأة وكذلك صار
الجفاة الاجسام والغلظ في
الروم وأصحاب الجمال
في الاكثر من أهل الشام
وأوباش مصر واللؤم في
الخزر وأهل حران من
بلاد ديار بكر والشح بفارس
واللؤم على الطعام باصفهان
وصار تفرطح الرجلين
وفطس الانوف في السودان
والطرب في الزنج خاصة
وهذا الذي وصفنا عند
هذه الطائفة من أسرار
الطبيعة وخواص تأثير
الاشخاص العلوية
والاجسام السماوية وقد
تقصيناه هذا الشأن على
كماله في كتبنا في الاسرار
الطبيعية العلوية والغرائب النفسية في كتبنا في الصور السبعة في أنواع السياسات المدنية على من

فاتح قرطبة) وقد تقدم بعض الكلام عليه وذكر ابن حيان والحجاري انه رومي زاد الحجاري وليس برومي على الحقيقة وتصحيح نسبه انه مغيث بن الحرث بن الحويرث بن جبلة بن الايهم الغساني سبي من الروم بالمشرق وهو صغير فادبه عبد الملك بن مروان مع ولده الوليد وانجب في الولادة وصار منه بنو مغيث الذين نجبوا في قرطبة وسادوا وعظم بيتهم وتفرعت دوحتهم وكان منهم عبد الرحمن بن مغيث حاجب عبد الرحمن بن معاوية صاحب الاندلس وغيره ونشأ مغيث بدمشق ودخل الاندلس مع طارق فانحها وجاز على مافي طريقها من البلاد الى الشام وقدمه طارق ففتح قرطبة ففتحها ووقع بينه وبين طارق ثم وقع بينه وبين موسى ابن نصير سيد طارق فرحل معهما الى دمشق ثم عاد طافرا عليهما الى الاندلس وانسل بقرطبة البيت المذكور وفي المسهب انه فتح قرطبة في شوال سنة ٩٢ ثم فتح الكنيسة التي تحصن بها ملك قرطبة بعد حصار ثلاثة أشهر في محرم سنة ٩٣ ولم يذكر له مولدا ولا وفاة وذكر الحجاري انه ناداب بدمشق مع بني عبد الملك فافصح بالعربية وصار يقول من الشعر والنثر ما يجوز كتبه وتدرب على الركوب واخذ نفسه بالاقدام في مضايق الحروب حتى تخرج في ذلك تخرجا أهله للتقدم على الجيش الذي فتح قرطبة وكان مشهورا بحسن الرأى والكيد وقد قدمنا كيفية فتحه قرطبة واسره ملكها الذي لم يؤسر من ملوك الاندلس غيره لان منهم من عقد على نفسه أمانا ومنهم من فر الى جليقية وذكر الحجاري انه لما حصل بيده ملك قرطبة وحريمه رأى فيهن جارية كانها بينهن بدر بين نجوم وهي تكثر التعرض له بجمالها فوكل بها من عرض عليها العذاب ان لم تقر بما عزمت عليه في شان مغيث وانه قد فطن من كثرة تعرضها له بحسنها لما أضمرته من المكر في شانه فاقرت انها أكثرت التعرض لتقع بقلبه اذ حسنها فتان وقد أعدت له خرقة مسمومة لتمسح بها ذكره عند وقاعها فحمد الله تعالى على ما ألهمه اليه من مكرها وقال لو كانت نفس هذه الجارية في صدر أبيها ما أخذت قرطبة من ليلة وذكر أن سليمان بن عبد الملك لما أصغى الى طارق في شان سيده موسى بن نصير فعذبه واستصفى أمواله أراد أن يصرف سلطان الاندلس الى طارق وكان مغيث قد تغير عليه فاستشار سليمان مغيثا في تولية طارق وقال له كيف أمره بالاندلس فقال لو أمر أهلها بالصلاة الى أي قبلة شاء لتبعوه ولم يروا أنهم كفروا فعملت هذه المكيدة في نفس سليمان وبدا له في ولايته ولقيه بعد ذلك طارق فقال له لبتك وصفت أهل الاندلس بعصيانى ولم تضمر في الطاعة ما أضمرت فقال مغيث لينك تركت لي العلج فتركت لك الاندلس وكان طارق قد أراد أن ياخذ منه ملك قرطبة الذي حصل في يده فلم يمكنه منه فاغرى به سيده موسى ابن نصير وقال له يرجع الى دمشق وفي يده عظيم من عظماء الاندلس وليس في أيدينا مثله فاى فضل يكون لنا عليه فطلبه منه فامتنع من تسليمه قال ابن حيان فهجم موسى على العلج وانتزعه من مغيث فقيل له ان سرت به معك حيا ادعاه مغيث والعلج لا ينكر ولكن اضرب عنقه ففعل فاضغنها عليه مغيث وبالغ في اذايته عند سليمان وذكر الحجاري في المسهب ان لمغيث من الشعر ما يجوز كتبه فمن ذلك شعر خاطب به موسى بن نصير ومولاه طارقا ويكفي منه هنا قوله

زعم أن العالم متغير جوهره الى الظلمة ولذ النور فيه فصرت هكذا ستة أنفس كانوا نورا بلا أجساد شيث بن آدم وزرادشت والمسيح ويونس واثنان لا يمكن ذكرهما وان النور والظلمة قديمان وانهما لا بريان الاغير ممتزجين وان الاشياء لا تعمل الا في جوهرهما ثم امتزجا من تلقاء انفسهما من غير داخل عليهما ولا مكره أكرههما وهذا الخلف من الكلام والفاسد من المقال وأعجب من هذا القول قول زرادشت نبي المجوس ان القديم تعالى ذكره طالت وحدته فطالت فكرته فلما أن طالت فكرته واشتدت وحشته تولد الهم منه وهو الشيطان من تلك الوحشة التى ولدتها تلك الفكرة ونتجتها الوحدة وان الله عز وجل لو كان قادرا على افناء الهم منه لما ضرب له أجلا ولا أجل له أمرا يغوى عباده ويفسد بلاده وهذا هو المحال بعينه والتناقض بنفسه وعجب آخر من الآراء من قول بولص ان المسيح عليه السلام هو الذى أرسله وأن المسيح انسان واله لانه اله صار انسانا وانسان صار الها وقد اتينا على جمل من متناقضات أهل الآراء في اثناء ما تقدم لكتبنا وانما تشعب بنا الكلام الى هذا النوع وتغلغل بنا القول الى هذا المعنى لانه من جنس ما كنا فيه لكن عند ذكرنا لما عناه كتاب الاستبراج والابانة عن غرض فيه فلنرجع الآن الى ما كنا فيه من هذا الكتاب (وحدث) المنقري عن العتبي

أعنتكم ولكن ما وفيتم * فسوف أعيث في غرب وشرق

وعنوان طبقته في النثر أن موسى بن نصير قال له وقد عارضه بكلام في محفل من الناس كف لسانك فقال لسانى كالمفصل ما أكمه الا حيث يقتل وأضافه ابن حيان والحجاري الى ولاء الوليد بن عبد الملك وهو والذى وجهه الى الاندلس غازيا ففتح قرطبة ثم عاد الى المشرق فاعاده الوليد رسولا عنه الى موسى بن نصير يستحثه على القدوم عليه فوفد معه فوجدوا الوليد قد مات فخدم بعده سليمان بن عبد الملك * (ومن الداخلين أبو أيوب بن حبيب اللخمى) ذكر ابن حيان انه ابن أخت موسى بن نصير وأن أهل أشبيلية قدموه على سلطان الاندلس بعد قتل عبد العزيز بن موسى واتفقوا في أيامه على تحويل السلطان من اشبيلية الى قرطبة فدخل اليها بهم وكان قيامه بامرهم ستة أشهر وقيل ان الذى نقل السلطنة من اشبيلية الى قرطبة الحر بن عبد الرحمن الثقفي قال الرازى قدم الحر واليا على الاندلس في ذى الحجة سنة سبع وتسعين ومعه أربعمائة رجل من وجوه أفريقية فمنهم أول طوالع الاندلس المعدودين وقال ابن بشكوال كانت مدة الحر سنتين وثمانية أشهر وكانت ولايته بعد قيام أبى أيوب بن حبيب اللخمى (ومن الداخلين السمح بن مالك الخولانى) ولى الاندلس بعد الحر بن عبد الرحمن السابق قال ابن حيان ولاه عمر بن عبد العزيز وأوصاه أن يخمس من أرض الاندلس ما كان عنوة ويكتب اليه بصفتها وأنهارها وبحارها قال وكان من رأيه أن ينقل المسلمين عنها لانقطاعهم وبعدهم عن أهل كلمتهم قالوا وليت الله تعالى أبقاه حتى يفعل فان مصيرهم مع الكفار الى بوار الا أن يستنقذهم الله تعالى برحمته وذكر ابن حيان أن قدوم السمح كان في رمضان سنة مائة وانه الذى بنى قنطرة قرطبة بعد ما استاذن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى وكانت دار سلطانه قرطبة قال ابن بشكوال استشهد بارض الافرنجة يوم التروية سنة اثنتين ومائة قال ابن حيان كانت ولايته سنتين وثمانية أشهر وذكر انه قتل في الوقعة المشهورة عند أهل الاندلس بوقعة البلاط وكانت جنود الافرنجة قد تكاثرت عليه فاحاطت بالمسلمين فلم ينج من المسلمين أحد قال ابن حيان فيقال ان الاذان يسمع بذلك الموضع الى الآن * وقدم أهل الاندلس على أنفسهم بعده عبد الرحمن ابن عبد الله الغافقى وذكر ابن بشكوال انه من التابعين الذين دخلوا الاندلس وانه يروى عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال وكانت ولايته للاندلس في حدود العشر ومائة من قبل عبيدة بن عبد الرحمن القيسى صاحب أفريقية واستشهد في قتال العدو بالاندلس سنة خمس عشرة انتهى وفيه مخالفة لما سبق انه ولى بعد السمح وأن السمح قتل سنة ١٠٢ وهذا يقول تولى سنة ١١٠ فاين ذا من ذاك والله تعالى أعلم ووصفه الحميدى بحسن السيرة والعدل في قسمة الغنائم وذكر الحجارى انه ولى الاندلس مرتين وربما يجاب بهذا عن الاشكال الذى قدمناه قريبا ويضعفه أن ابن حيان قال دخل الاندلس حين وليها الولاية الثانية من قبل ابن الحبحاب في صفر سنة ثلاث عشرة ومائة وغزا الافرنج وكانت له فيهم وقائع جمة الى أن استشهد وأصيب عسكره في شهر رمضان سنة ١١٤ في موضع يعرف ببلاط الشهداء قال ابن بشكوال وتعرف غزوته هذه بغزوة البلاط وقد تقدم

قال وقف عبيد الراعي ذات يوم مع ركب من ثقيف على نفر وكانوا يريدون استقصاء رجل من تميم اذ سنحت ظباء سود منكرة ثم اعترضت الركب مقصرة في حضرها واقفة على شانها فانكر ذلك عبيد الراعي ولم يتنبه له أصحابه فقال عبيد

الم تدر ما قال الظباء السوانح
أطفن أمام الركب والركب رائح
فكبر من لم يعرف الزجر منهم
وأيقن قلبي أنهن نوائح

ثم شارفوا مقصدهم فالفوا الرئيس قد نهشته افعى فاتت عليه قال أبو عبيدة معمر بن المثنى وهذا من غريب الزجر وذلك أن السانح مرجو عند العرب والبارح هو المخوف وأظن عبيدا انما زجر الظباء في حالة رجوعها ووصف الحال الاول في شعره كما أن من شرط الواصف أن يبدأ بهوادى الاسباب فيوضح منها فهذا وجه زجر عبيد الراعي في شعره (ويقال) ان الكهانة لليمن والزجر لبنى اسد والقيافة لبنى مدلج واحياء مضر بن نزار بن معد لما كان من فعل بنى نزار الاربعة في مسيرهم نحو الافعى الجرهمى ووصفهم الجمل الشارد على ما ذكرنا وذلك منهم قيافة فمن هنالك تفرقت القيافة من احياء مضر على حسب ما تغلغل في العروق ونزع واهل العروق

مثل

مثل هذا في غزوة السمع فكانت ولايته سنة وثمانية أشهر وفي رواية سنتين وثمانية اشهر وقيل غير ذلك وكان سرير سلطانه حضرة قرطبة * وولي الاندلس بعده عنبسة بن سحيم الكلبي وذكر ابن حيان انه قدم على الاندلس واليا من قبل يزيد بن ابي مسلم كاتب الحجاج حين كان صاحب أفريقية وكان قدومه الاندلس في صفر سنة ١٠٣ فتأخر بقدومه عبد الرحمن المتقدم الذكر قال ابن بشكوال فاستقامت به الاندلس وضبط أمرها وغزا بنفسه الى أرض الافرنجة وتوفي في شعبان سنة ١٠٧ فكانت ولايته أربعة أعوام وأربعة أشهر وقيل ثمانية أشهر وذكر ابن حيان انه في أيامه قام بجليقية علج خبيث يدعى بلاي فعاب على العلوج طول القرار وذكى قرائحهم حتى سما بهم الى طلب الثار ودافع عن ارضه ومن وقته اخذ نصارى الاندلس في مدافعة المسلمين عما بقي بايديهم من ارضهم والحماية عن حريمهم وقد كانوا لا يطمعون في ذلك وقيل انه لم يبق بارض جليقية قرية فما فوقها لم تفتح الا الصخرة التي لاذ بها هذا العلج ومات أصحابه جوعا الى أن بقي في مقدار ثلاثين رجلا ونحو عشر نسوة ومالهم عيش الا من عسل النحل في جباح معهم في خروق الصخرة وما زالوا ممتنعين بوعرها الى أن أعيا المسلمين أمرهم واحتقروهم وقالوا ثلاثون علجا ما عسى أن يجيء منهم فبلغ أمرهم بعد ذلك في القوة والكثرة والاستيلاء ما لا خفاء به * وملك بعده أذفونش جد عظماء الملوك المشهورين بهذه السمة قال ابن سعيد فآل احتقار تلك الصخرة ومن احتوت عليه الى ان ملك عقب من كان فيها المدن العظيمة حتى ان حضرة قرطبة في يدهم الآن جبرها الله تعالى وهي كانت سرير السلطنة لعنبسة اه * قال ابن حيان والحجاري انه لما استشهد عنبسة قدم اهل الاندلس عليهم عذرة بن عبد الله الفهري ولم يعده ابن بشكوال في سلاطين الاندلس قال ثم تتابعت ولاة الاندلس مرسلين من قبل صاحب أفريقية اولهم يحيى بن سلمة وذكر الحجاري ان عذرة كان من صلحائهم وفرسانهم وصار لعقبه نباهة وولده هشام بن عذرة هو الذي استولى على طليطلة قصبة الاندلس وفي عقبه بوادي آش من مملكة غرناطة نباهة وادب قال ابن سعيد وهم الى الآن ذوو بيت موصل ومجد مؤثل وكان سرير سلطنة عذرة قرطبة * وولي بعده يحيى بن سلمة الكلبي قال ابن بشكوال أنفذه الى الاندلس بشر بن صفوان الكلبي والي افريقية اذ استدعى منه اهلها واليا بعد مقتل أميرهم عنبسة فقدمها في شوال سنة سبع ومائة واقام عليهم سنة وستة اشهر ولم يغز فيها بنفسه غزوة ونحوه لابن حيان وكان سريره قرطبة * وتولى بعده عثمان بن أبي نسعة الخثعمي وذكر ابن بشكوال انه قدم عليها واليا من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلمي صاحب أفريقية في شعبان سنة عشر ومائة ثم عزل سريعا بعد خمسة أشهر وكان سرير سلطانه بقرطبة وولي بعده حذيفة بن الاحوص القيسي قال ابن بشكوال وأتى اليها واليا من قبل عبيدة المذكور على اختلاف فيه وفي ابن أبي نسعة أيهما تولى قبل صاحبه وكان قدوم حذيفة في ربيع الاول سنة عشر ومائة وعزل عنها سريعا أيضا وقيل ان ولايته استتمت سنة وكان بقرطبة * وولي بعده الاندلس الهيثم بن عدي الكلابي قال ابن بشكوال ولاه عبيدة المذكور فوافى الاندلس في المحرم سنة احدى عشرة ومائة وقيل انه ولي

الجن وأهل الجبال أتوف وبأرض الحفاء وهي بلاد الرمل من بلاد مصر وأرض الشام ٧٥ في تلك الاراضي يتناول الانسان من تمر نخلهم فيغيب عنهم السنين ولم يروه ولا شاهدوه فان رأوه بعد مدة علموا انه الآخذ لتمرهم ولا يكادون يخطئون وهذا من فعلهم مشهور ولا يكاد تخفى عليهم أقدام أي الناس هم (ورأيت) بهذه الارض اناسا قدرتهم ولاة المنازل يطوفون في هذا الرمل يعرفون بالقصاص يقصون آثار الناس وغيرهم فيخبرون ولاة المنازل أي الناس هم من طرق البلاد وهم لم يروهم بل رأوا آثار أقدامهم وهذا معنى لطيف وحس دقيق (وقد قفت) القافة بقريش حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى الغار حتى أتت باب الغار على حجر صلد وصخر صم وجبال لا رمل عليها ولا طين ولا تراب يتبين عليه الاقدام فحجبهم الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم بما كان من نسج العنكبوت وما سفت عليه الريح وما لحق القائف من الحيرة وقوله الى ههنا انتهت الاقدام ومعه الجماعة من قريش لا يرون على الصلد ما يرى على الصوان وما يشاهد وأبصارهم سليمة والآفات عنهم مرتفعة والموانع زائلة ولولا ان هنالك لطيفة لا يتساوى

٨ ط ل

سنتين وأياما وقد قيل أربعة أشهر وكان بقرطبة * ووولي بعده محمد بن عبد الله الاشجعي قال ابن بشكوال قدمه الناس عليهم وكان فاضلا فصلى بهم شهرين * قال ثم قدم عليهم واليا عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي الذي تقدمت ترجمته وذكرت ولايته الاولى للاندلس وليها من قبل عبيد الله بن الحبحاب صاحب أفريقية الى ان استشهد كما تقدم * ووولي الاندلس بعده عبد الملك بن قطن الفهري وذكر الحجاري أن من نسله بني القاسم أصحاب البونت وبني الحد أعيان اشبيلية قال ابن بشكوال قدم الاندلس في شهر رمضان سنة أربع عشرة ومائة فكانت مدة ولايته عامين وقيل أربع سنين ثم عزل عنها ذميما في شهر رمضان سنة ست عشرة ومائة قال وكان ظلوما في سيرته جائرا في حكومته وغزا أرض البشكنس فاوقع بهم وذكر ابن بشكوال انه لما عزل وولي عقبة بن الحجاج وثب ابن قطن عليه فخلعه لا أدري أقتله أم أخرجه وملك الاندلس بقية احدى وعشرين ومائة الى أن رحل بلج بن بشر باهل الشام الى الاندلس فغلبه عليها وقتل عبد الملك بن قطن وصلب في ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين ومائة بعد ولاية بلج بعشرة أشهر وصلب بصحراء ربض قرطبة بعدوة النهر حيال رأس القنطرة وصلبوا عن يمينه خنزيرا وعن يساره كلبا وأقام شلوه على جذعه الى أن سرقه مواليه بالليل وغيبوه فكان المكان بعد ذلك يعرف بمصلب ابن قطن فلما ولي ابن عمه يوسف بن عبد الرحمن الفهري استأذنه ابنه أمية بن عبد الملك وبنى فيه مسجدا نسب اليه وقيل مسجد أمية وانقطع عنه اسم المصلب وكان سن عبد الملك عند مقتله نحو التسعين وذكر ابن بشكوال أن عقبة بن الحجاج السلولي ولاه عبيد الله بن الحبحاب صاحب افريقية الاندلس ودخلها سنة سبع عشرة ومائة وقيل في السنة التي قبلها فأقام بها سنين محمود السيرة مثابرا على الجهاد مفتتحا للبلاد حتى بلغ سكنى المسلمين أربونة وصار رباطهم على نهر ردونة فأقام عقبة بالاندلس سنة احدى وعشرين ومائة وكان قد اتخذ باقصى ثغر الاندلس الاعلى مدينة يقال لها أربونة كان ينزلها للجهاد وكان اذا أسر الاسير لم يقتله حتى يعرض عليه الاسلام ويبصره عيوب دينه فاسلم على يده ألفا رجل وكانت ولايته خمس سنين وشهرين قال الرازي فثار أهل الاندلس بعقبة فخلعوه في صفر سنة ثلاث وعشرين في خلافة هشام بن عبد الملك وولوا على أنفسهم عبد الملك بن قطن وهي ولايته الثانية فكانت ولاية عقبة الاندلس ستة أعوام وأربعة أشهر وتوفي في صفر سنة ١٢٣ وسريره قرطبة (ومن الداخلين الى الاندلس بلج بن بشر بن عياض القشيري) قال ابن حيان لما انتهى الى الخليفة هشام بن عبد الملك ما كان من أمر خوارج البربر بالمغرب الاقصى والاندلس وخلعهم لطاعته وعيثهم في الارض شق عليه فعزل عبيد الله بن الحبحاب عن أفريقية وولى عليها كلثوم بن عياض القشيري ووجه معه جيشا كثيفا لقتالهم كان فيه مع ما انضاف اليه من جيوش البلاد التي مر عليها سبعون ألفا ومع ذلك فانه لما تلاقى مع ميسرة البربري المدعي للخلافة هزمه ميسرة وجرح كلثوم ولاذ ببيته وكان بلج ابن أخيه معه فقامت قيامة هشام لما سمع بما جرى عليه فوجه لهم حنظلة بن صفوان فاوقع بالبربر وفتح الله تعالى على يديه ولما اشتد حصار بلج وعمه كلثوم ومن معهما من فل أهل الشام بسبتة وانقطعت عنهم الاقوات

و بلغوا

لما استأثر بذلك طائفة دون أخرى وأهل
بالابصار احصاء ادراكها

الناس في علمها ولا يتقنون
الجبال والقفار والدهاس
أزجروا وأعرف (وقد ذهب)
قوم من أهل الشريعة
من فقهاء الامصار وغيرهم
ممن سلف الى الحكم
بالقيافة استدلالا على
شرف القيافة وعظم
خطرها وكبر محلها
وتحقيق فضلها لتعجب
النبي صلى الله عليه وسلم
منها وتصديقه مجززا
المدلجي وقد أنكر جماعة
من فقهاء الامصار ممن
سلف وخلف الحكم بالقيافة
والدليل على فساد الحكم
بها الحاق النبي صلى الله
عليه وسلم الولد بابيه حين
شك فيه لعدم التشابه
فقال يا رسول الله ان
امرأتي وضعت غلاما وانه
لأسود فقال النبي صلى الله
عليه وسلم مقربا الى فهمه
وقصدا منه لفساد علته
التي قصدها وشكه هل
لك من ابل قال نعم قال فما
ألوانها قال حمر قال فهل فيها
أورق قال نعم قال النبي
صلى الله عليه وسلم فمن
أين ذلك لعل عرقا نزع
وقوله صلى الله عليه وسلم
في قصة شريك بن سحماء
ان جاءت به على النعت
المكروه فهو للذي رميت
به فلما جاءت به على النعت
المكروه وجد التشابه بينه وبين من رميت به فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا حكم الله لكان لي ولها

وبلغوا من الجهد الى الغاية استغاثوا باخوانهم من عرب الاندلس فتثاقل عنهم صاحب الاندلس عبد الملك بن قطن لخوفه على سلطانه منهم فلما شاع خبر ضرهم عند رجال العرب أشفقوا عليهم فاغاثهم زياد بن عمرو اللخمى بمركبين مشحونين ميرة أمسكا من أرماقهم فلما بلغ ذلك عبد الملك بن قطن ضربه سبعمائة سوط ثم اتهمه بعد ذلك بتغريب الجند عليه فسمل عينيه ثم ضرب عنقه وصلب عن يساره كلبا واتفق فى هذا الوقت أن برابرة الاندلس لما بلغهم ما كان من ظهور برابرة العدوة على العرب انتقضوا على عرب الاندلس واقتدوا بما فعله اخوانهم ونصبوا عليهم اماما فكثر ايقاعهم بجيوش ابن قطن واستفحل أمرهم فخاف ابن قطن أن يلقى منهم مالقى العرب ببر العدوة من اخوانهم وبلغه انهم قد عزموا على قصده فلم ير أجدى من الاستمداد بصعاليك عرب الشام أصحاب بلج الموتورين فكتب لبلج وقد مات عمه كلثوم فى ذلك الوقت فأسرعوا الى اجابته وكانت أمنيتهم فاحسن اليهم وأسبغ النعم عليهم وشرط عليهم أن يأخذ منهم رهائن فاذا فرغوا له من البربر جهزهم الى افريقية وخرجوا له عن أندلسه فرضوا بذلك وعاهدوه عليه فقدم عليهم وعلى جنده ابنيه قطنا وأمية والبربر فى جموع لا يحصيها غير رازقها فاقتتلوا قتالا صعب فيه المقام الى أن كانت الدائرة على البربر فقتلتهم العرب بأقطار الاندلس حتى ألحقوا فلهم بالثغور وخفوا عن العيون فكر الشاميون وقد امتلأت أيديهم من الغنائم فاشتدت شوكتهم وثابت هممهم وبطروا ونسوا العهود وطالبهم ابن قطن بالخروج عن الاندلس الى أفريقية فتعللوا عليه وذكروا صنيعه بهم أيام انحصارهم فى سبتة وقتله الرجل الذى أغاثهم بالميرة فخلعوه وقدموا على أنفسهم أميرهم بلج بن بشر وتبعه جند ابن قطن وحملوا عليه فى قتل ابن قطن فأبى فثارت اليمانية وقالوا قد حميت لمضرك والله لا نطيعك فلما خاف تفرق الكلمة أمر بابن قطن فأخرج اليهم وهو شيخ كبير كفرخ نعامة قد حضر وقعة الحرة مع أهل اليمامة فجعلوا يسبونه ويقولون له أفلت من سيوفنا يوم الحرة ثم طالبتنا بتلك الترة فعرضتنا لأكل الكلاب والجلود وحبستنا بسبتة محبس الضنك حتى أمتنا جوعا فقتلوه وصلبوه كما تقدم وكان أمية وقطن ابناه عند ماخلع قد هربا وحشدا الطلب لثاره واجتمع عليهما العرب الاقدمون والبربر وصار معهم عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع الفهرى كبير الجند وكان فى أصحاب بلج فلما صنع بابن عمه عبد الملك ماصنع فارقه فانحاز فيمن يطلب ثاره وانضم اليهم عبد الرحمن ابن علقمة اللخمى صاحب أربونة وكان فارس الاندلس فى وقته فأقبلوا نحو بلج فى مائة ألف أو يزيدون وبلج قد استعد لهم فى مقدار اثنى عشر ألفا سوى عبيد له كثيرة وأتباع من البلديين فاقتتلوا وصبر أهل الشام صبرا لم ير بمثله أحد قط وقال عبد الرحمن بن علقمة اللخمى أرونى بلجا فوالله لأقتلنه أو لأموتن دونه فأشاروا اليه نحوه فحمل بأهل الثغر حملة انفرج لها الشاميون والراية فى يده فضربه عبد الرحمن ضربتين مات منهما بعد ذلك بأيام قلائل ثم ان البلديين انهزموا بعد ذلك شر هزيمة قبيحة واتبعهم الشاميون يقتلون ويأسرون فكان عسكرا منصورا مقتولا أميره وكان هلاك بلج فى شوال سنة أربع وعشرين ومائة وكانت مدته أحد عشر شهرا وسريره قرطبة والعرب الشاميون الداخلون معه الى

شان فالحق الولد مع عدم الشبهة هنالك ولم يلحق بالشبه ههنا ولم يجعله حكما وقضى بوجود الفراش وثبوت النص على فساد الحكم بالتشابه (وهذا) قصدنا فيه هذا الكلام وانما ذكرنا هذا الفصل لذكر الحكم بضده من القيافة وهذا باب يطول فيه الخطب ويكثر فى معانيه الشرح لغموضه ولطفه وقد ذكرنا وجه الكلام فى ذلك وما ذهبت اليه كل فرقة من الناس ممن سلف وخلف فى كتابنا المترجم بكتاب الرؤس السبعة فى الاحاطة بسياسة العالم واسراره وهو كتاب مشهور مستوعب

(ذكر الكهانة وماقيل فى ذلك ومااتصل بهذا الباب مما يراه الناس وحد النفس الناطقة)

تنازع الناس فى الكهانة فذهبت طائفة من حكماء اليونانيين والروم الى التكهن وكانوا يدعون العلوم من الغيوب فادعى صنف منهم أن نفوسهم قد صفت فهى مطلعة على أسرار الطبيعة وعلى ماتريد أن يكون منها لان صور الاشياء عندهم فى النفس الكلية وصنف منهم ادعى أن الارواح المنفردة وهى الجن تخبرهم بالاشياء قبل كونها وأن أرواحهم كانت قد صفت حتى صارت لتلك الارواح من الجن متفقة (وذهب) قوم من النصارى أن السيد المسيح انما

الاندلس يعرفون عند أهل الاندلس بالشاميين والذين كانوا في الاندلس قبل دخوله يشهرون بالبلديين * ولما ملك بلج تقدم الشاميون عليهم بالاندلس ثعلبة بن سلامة العاملي وقد كان عندهم عهد الخليفة هشام بذلك فسار فيهم بأحسن سيرة ثم ان أهل الاندلس الاقدمين من العرب والبربر هموا بعد الوقعة لطلب الثار فآل أمرهم معهم الى أن حصروه بمدينة ماردة وهم لا يشكون في الظفر الى ان حضر عيد تشاغلوا به فأبصر ثعلبة منهم غرة وانتشارا وأشرا بكثرة العدد والاستيلاء فخرج عليهم في صبيحة عيدهم وهم ذاهلون فهزمهم هزيمة قبيحة وأفشى فيهم القتل وأسر منهم ألف رجل وسبى ذريتهم وعيالهم وأقبل الى قرطبة من سبيهم بعشرة آلاف أو يزيدون حتى نزل بظاهر قرطبة يوم خميس وهو يريد أن يحمل الاسارى على السيف بعد صلاة الجمعة وأصبح الناس منتظرين لقتل الاسارى فاذا بهم قد طلع عليهم لواء فيه موكب فنظروا فاذا أبو الخطار قد أقبل واليا على الاندلس وهو أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي وذكر ابن حيان انه قدم واليا من قبل حنظلة بن صفوان صاحب افريقية والخليفة حينئذ الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وذلك في رجب سنة خمس وعشرين ومائة بعد عشرة أشهر وليها ثعلبة بن سلامة قال وكان مع فروسيته شاعرا محسنا وكان في اول ولايته قد أظهر العدل فدانت له الاندلس الى أن مالت به العصبية اليمانية على المضرية فهاج الفتنة العمياء وكان سبب هذه الفتنة أن أبا الخطار بلغ به التعصب لليمانية أن اختصم عنده رجل من قومه مع خصم له من كنانة كان أبلج حجة من ابن عم أبي الخطار فمال أبو الخطار مع ابن عمه فاقبل الكناني الى الصميل بن حاتم الكلابي أحد سادات مضر فشكا له حيف أبي الخطار وكان ابيا للضيم حاميا للعشيرة فدخل على أبي الخطار وأمض عتابه فجبهه أبو الخطار وأغلظ له فرد الصميل عليه فامر به أبو الخطار فاقيم ووجئ قفاه حتى مالت عمامته فلما خرج قال له بعض من على الباب أبا جوشن ما بال عمامتك مائلة فقال ان كان لي قوم فسيقيمونها وأقبل الى داره فاجتمع اليه قومه حين بلغهم ذلك ممتعضين فباتوا عنده فلما أظلم الليل قال ما رأيكم فيما حدث علي فانه منوط بكم فقالوا أخبرنا بما تريد فان رأينا تبع رأيك فقال أريد والله اخراج هذا الاعرابي من هذا السلطان على ما خيلت وأنا خارج لذلك عن قرطبة فانه ما يمكنني ما أريد الا بالخروج فالى أين ترون أقصد فقالوا اذهب حيث شئت ولا تأت أبا عطاء القيسي فانه لا يواليك على أمر ينفعك وكان أبو عطاء هذا سيدا مطاعا يسكن باستجة وكان مشاحنا للصميل مساميا له في القدر فسكت عنده ذكره أبو بكر بن الطفيل العبدي وكان من اشرافهم الا انه كان حدث السن فقال له الصميل الا تتكلم فقال اتكلم بواحدة ما عندي غيرها قال وما هي قال ان عدوت اتيان أبي عطاء وشتت أمرك به لم يتم أمرنا وهلكنا وان أنت قصدته لم ينظر في شيء مما سلف بينكما وحركته الحمية لك فاجابك الى ما تريد فقال له الصميل أصبت الرأي وخرج من ليلته وقام أبو عطاء في نصرته على ما قدره العبدي وعمد الى ثوابة بن يزيد الجذامي أحد أشراف اليمن وساداتهم وكان ساكنا بمورور وقد استفسده أبو الخطار فجاء بهما في القيام والتقدم على المضرية فاجتمعوا في شذونة وآل الامر الى أن هزموا أبا الخطار على وادي لكة وحصل اسيرا في أيديهم فارادوا

قتله

ذلك النفس في غيره من أشخاص الناطقين لكان يعلم الغيب ولا امتحانات الا كان فيها لمكانه ولم يكن الاوائل من الفلاسفة اليونانية يدفعون الكهانات وشهرقيهم أن فيثاغورس كان يعلم علوما من الغيب وضروبا من الوحي لصفاء نفسه وتجردها من أدران هذا العالم والصابئة تذهب الى أن ازرياسيس وأوايس وأوريس الثاني وهما هرمس وأغاثيمون كانوا يعلمون الغيب ولذلك كانوا أنبياء عند الصابئة ومنعوا أن تكون الجن أخبرت من ذكرنا بشيء من ضروب الغيب لكن صفت نفوسهم حتى اطلعوا على ما استتر عن غيرهم من جنسهم (وطائفة) ذهبت الى أن التكهن سبب نفساني لطيف يتولد من صفاء مزاج الطباع وقوة النفس ولطافة الحس (وذكر) كثير من الناس أن الكهانة تكون من قبل شيطان يكون مع الكاهن يخبره بما غاب عنه وأن الشياطين كانت تسترق السمع وتلقيه على ألسنة الكهان فيؤدون الى الناس الاخبار بحسب ما يرد اليهم وقد أخبر الله عز وجل بذلك في كتابه فقال وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا

قتله ثم ارجوه وأوثقوه وأقبلوا به الى قرطبة وذلك فى رجب سنة ١٢٧ بعد ولاية أبى الخطار بسنتين ولما سجن أبو الخطار فى قرطبة امتعض له عبد الرحمن بن حسان الكلبى فاقبل الى قرطبة ليلا فى ثلاثين فارسا معهم طائفة من الرجالة فهجموا على الحبس وأخرجوه منه ومضوا به الى غرب الاندلس فعاد فى طلب سلطانه ودب فى يمانيته حتى اجتمع له عسكر أقبل بهم الى قرطبة فخرج اليه ثوابة ومعه الصميل فقام رجل من المضرية ليلا فصاح باعلى صوته يامعشر اليمن مالكم تتعرضون الى الحرب وتردون المنايا عن أبى الخطار أليس قد قدرنا عليه فلو اردنا قتله لفعلنا لكننا مننا وعفونا وجعلنا الامير منكم أفلا تفكرون فى أمركم فلو أن الامير من غيركم عذرتم ولا والله لانقول هذا رهبة منكم ولا نخوفا لحربكم ولكن تحرجا من الدماء ورغبة فى عاقبة العامة فتسامع الناس به وقالوا صدق فتداعوا للرحيل ليلا فما اصبحوا الا على أميال قال الرازى وركب أبو الخطار البحر من ناحية تونس فى المحرم سنة ١٢٥ وفى كتاب أبى الوليد بن الفرضى كان أبو الخطار أعرابيا عصبيا أفرط فى التعصب لليمانيين وتحامل على مضر وأسخط قيسا فثار به زعيمهم الصميل فخلعه ونصب مكانه ثوابة وهاج بين الفريقين الحروب المشهورة وخلع أبو الخطار بعد أربع سنين وتسعة أشهر وذلك سنة ١٢٨ وآل أمره الى أن قتله الصميل وولى الاندلس ثوابة بن سلامة الجذامى قال ابن بشكوال لما اتفقوا عليه خاطبوا بذلك عبد الرحمن بن حبيب صاحب القيروان فكتب اليه بعهد الاندلس وذلك سلخ رجب سنة ١٢٧ فضبط البلد وقام بامره كله الصميل واجتمع عليه أهل الاندلس وأقام والياسنة أونحوها ثم هلك وفى كتاب ابن الفرضى انه ولى سنتين ثم ولى الاندلس يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع الفهرى وجده عقبة بن نافع صاحب افريقية وبانى القيروان المجاب الدعوة صاحب الغزوات والآثار الحميدة ولهذا البيت فى السلطنة بافريقية والاندلس نباهة وذكر الرازى أن مولده بالقيروان ودخل أبوه الاندلس من افريقية مع حبيب بن أبى عبيدة الفهرى عند افتتاحهم ثم عاد الى افريقية وهرب عنه ابنه يوسف هذا من افريقية الى الاندلس مغاضبا له فهوى الاندلس واستوطنها فسادبها قال الرازى كان يوسف يوم ولى الاندلس ابن سبع وخمسين سنة وأقامه أهل الاندلس بعد أميرهم ثوابة وقد مكثوا بغير وال أربعة أشهر فاجتمعوا عليه باشارة الصميل من أجل انه قرشى رضى به الحيان فرفعوا الحرب ومالوا الى الطاعة فدانت له الاندلس تسع سنين وتسعة أشهر وقال ابن حيان قدمه أهل الاندلس فى ربيع الآخر سنة ١٢٩ واستبد بالاندلس دون ولاية أحد له غير من بالاندلس وحكى ابن حيان أنه أنشد قول حرقة بنت النعمان بن المنذر يوم خلعه بالامان من سلطانه ودخوله عسكر عبد الرحمن الداخل المروانى

فبينا نسوس الناس والامر أمرنا ✽ اذا نحن فيهم سوقة نتنصف

قال ابن حيان لما سمع أبو الخطار بتقديمه حرك يمانيته فاجابوا دعوته فادى ذلك الى وقعة شقندة بين اليمانية والمضرية فيقال انه لم يك بالمشرق ولا بالمغرب حرب أصدق منها جلادا ولا أصبر رجالا طال صبر بعضهم على بعض الى أن فنى السلاح وتجاذبوا بالشعور وتلاطموا

شديد اوشهبا الى آخر القصة وقوله تعالى يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وقوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم الآية والشياطين والجن لاتعلم الغيب وانما ذلك لاستراقها السمع عما يسمع من الملائكة بظاهر قوله عزوجل فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين (وطائفة) ذهبت الى أن وجه سبب الكهانة من الوحى الفلكى وأن ذلك فى المولد عند ثبوت عطارد على شرفه وأما ماعداه من الكواكب المدبرات من النيرين والخمسة اذا كانت فى عقد متساوية وارباع متكافئة ومناظرة متوازية وجب لصاحب المولد التكهن والاخبار بالكائنات قبل حدوثها لاشراق هذه الاشراف الكوكبية (ومن هؤلاء) من أوجب كون ذلك فى القرانات الكبار (وذهب) كثير ممن تقدم وتأخر أن علة ذلك علل نفسانية وأن النفس اذا قويت وزادت قهرت الطبيعة وأبانت للانسان كل سر لطيف وخبرته بكل معنى شريف وغاصت بلطافتها فى انتخاب المعانى اللطيفة البديعة فاقتنصتها وأبرزتها عن الكمال وكشفت هذه الطائفة وجه اعتلالها فيما ذكرنا فانهم قالوا رأينا الانسان ينسب الى قسمين

بالايدى وكل بعضهم عن بعض وثابت للصميل غرة فى اليمانية فى بعض الايام فام بتحريك أهل الصناعات باسواق قرطبة نفر جوا فى نحو أربعمائة رجل من أنجادهم عاحضرهم من السكاكين والعصى ليس فيهم حامل رمح ولاسيف الاقليلا فرماهم على اليمانية وهم على غفلة وما فيهم من يبسط يدا لقتال ولا ينهض لدفاع فانهزمت اليمانية ووضعت المضرية السيف فيهم فابادوا منهم خلقا واختفى أبو الخطار تحت سرير رحى فقبض عليه وجىء به الى الصميل فضرب عنقه وقد ذكرنا خبر انخلاع يوسف عن سلطانه فى ترجمة عبد الرحمن الداخل وهو آخر سلاطين الاندلس الذين ولوها من غير موارثة حتى جاءت الدولة المراونية وذكر ابن حيان أن القائم بدولة يوسف والمستولى عليها الصميل بن حاتم بن شمر بن ذى الجوشن الكلابى وجده شمر هو قاتل الحسين رضى الله تعالى عنه وكان شمر قد فر من المختار بولده من الكوفة الى الشام فلما خرج كلثوم بن عياض للغرب كان الصميل فيمن خرج معه ودخل الاندلس فى طالعة بلج وكان شجاعا جوادا جسورا على قلب الدول فبلغ ما بلغ وآل أمره الى أن قتله عبد الرحمن الداخل المروانى فى سجن قرطبة مخنوقا وذكر ابن حيان انه كان ممن ثار على يوسف الفهرى عبد الرحمن بن علقمة اللخمى فارس الاندلس ووالى ثغر اربونة وكان ذا باس شديد ووجاهة عظيمة فبينما هو فى تدبير غزو يوسف اذاغتاله أصحابه وأقبلوا برأسه اليه ثم ثار عليه بعد ذلك بمدينة باجة عروة بن الوليد فى أهل الذمة وغيرهم فملك اشبيلية وكثر جمعه الى أن خرج له يوسف فقتله وثار عليه بالجزيرة الخضراء عامر العبدرى فخرج له وأنزله على أمان وسكنى قرطبة ثم ضرب عنقه بعد ذلك وقيل ان أول من خرج على يوسف عمرو بن يزيد الازرق فى اشبيلية فظفر به فقتله وثار عليه فى كورة سرقسطة الحباب الزهرى الى أن ظفر به يوسف فقتله ثم جاءته الداهية العظمى بدخول عبد الرحمن ابن معاوية المروانى الى الاندلس وسعيه فى افساد سلطانه فتم له ما أراده والله تعالى أعلم *(ومن الداخلين من المشرق الى الاندلس ملكها عبد الرحمن بن معاوية ابن أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بن مروان المعروف بالداخل) وذلك انه لما أصاب دولتهم ما أصاب واستولى بنو العباس على ما كان بايديهم واستقر قدمهم فى الخلافة فر عبد الرحمن الى الاندلس فنال بها ملكا أورثه عقبه حقبة من الدهر قال ابن حيان فى المقتبس انه لما وقع الاختلال فى دولة بنى أمية والطلب عليهم فر عبد الرحمن ولم يزل فى فراره منتقلا باهله وولده الى أن حل بقرية على الفرات ذات شجر وغياض يريد المغرب لما حصل فى خاطره من بشرى مسلمة فما حكى عنه انه قال انى لجالس يوما فى تلك القرية فى ظلمة بيت تواريت فيه لرمد كان بى وابنى سليمان بكر ولدى يلعب قدامى وهو يومئذ ابن أربع سنين أو نحوها اذ دخل الصبى من باب البيت فازعا باكيا فاهوى الى حجرى فجعلت أدفعه لما كان بى ويأبى الا التعلق وهو دهش يقول ما يقوله الصبيان عند الفزع فخرجت لانظر فاذا بالروع قد نزل بالقرية ونظرت فاذا بالرايات السود عليها منحطة وأخ لى حدث السن كان معى يشتد هاربا ويقول لى النجاء يا أخى فهذه رايات المسودة فضربت بيدى على دنانير تناولتها ونجوت بنفسى والصبى أخى معى واعلمت أخواتى بمتوجهى ومكان مقتصدى وأمرتهن أن يلحقننى

فوجب أن يكون العلم للنفس والنفوس طبقات منها الصافى وهى النفس الحسية والنفس البراعية والنفس الجلية ومنها ما قوته فى الانسان أزيد منه فلما كانت النسبة النورية للانسان الى النفس كانت تهدى الانسان الى استخراج الغيب وعلم آلاته وكانت فطنته وظنونه أبعث وأعم فاذا كانت النفس فى غاية البروز ونهاية الخلوص وكانت تامة النور وكاملة الشعاع كان توجهها فى دراية الغائب بحسب ما عليه نفوس الكهنة وبهذا وجد الكهان على هذه السبيل من نقصان الاجسام وتشويه الخلق كما اتصل بنا عن شق وسطيح وسلمة وزوبعة وسديف بن هرماس وطريفة الكاهنة وعمران أخى عمرو مزيقيا وخارثة بنت جهينة وكاهنة باهلة واشباههم من الكهان (وأما العراف) وهو دون الكاهن فمثل الابلق الاسدى والاجلح الزهرى وعروة بن زيد الازدى ورباح بن كحلة عراف اليمامة الذى قال فيه عروة
جعلت لعراف اليمامة حكمه * وعراف نجد ان هما شفيانى وكهند صاحب المستير وكان فى نهاية التقدم ومولاى

ومولاى بدر معهن وخرجت فكمنت فى موضع ناء عن القرية فما كان الاساعة حتى أقبلت الخيل فاحاطت بالدار فلم تجد اثرا ومضيت ولحقنى بدر فاتيت رجلا من معارفى بشط الفرات فامرته أن يبتاع لى دواب ومايصلح لسفرى فدل على عبد سوء له العامل فما راعنا الا جلبة الخيل تحفزنا فاشتددنا فى الهرب فسبقناها الى الفرات فرمينا فيه بانفسنا والخيل تنادينا من الشط ارجعا لا باس عليكما فسبحت حانا لنفسى وكنت أحسن السبح وسبح الغلام أخى فلما قطعنا نصف الفرات قصر أخى ودهش فالتفت اليه لاقوى من قلبه واذا هو قد اصغى اليهم وهم يخدعونه عن نفسه فناديته تقتل يا اخى الى فلم يسمعنى واذا هو قد اغتر بامانهم وخشى الغرق فاستعجل الانقلاب نحوهم وقطعت انا الفرات وبعضهم قد هم بالتجرد للسباحة فى اثرى فاستكفه اصحابه عن ذلك فتركونى ثم قدموا الصبى اخى الذى صار اليهم بالامان فضربوا عنقه ومضوا براسه وانا انظر اليه وهو ابن ثلاث عشرة سنة فاحتملت فيه ثكلا ملأنى مخافة ومضيت الى وجهى احسب أنى طائر وانا ساع على قدمى فلجات الى غيضة أشبة فتواريت فيها حتى انقطع الطلب ثم خرجت هاربا أؤم المغرب حتى وصلت الى افريقية قال ابن حيان وسار حتى اتى افريقية وقد الحقت به اخته شقيقته ام الاصبغ مولاه بدرا ومولاه سالما ومعهما دنانير للنفقة وقطعة من جوهر فنزل بافريقية وقد سبقه اليها جماعة من فل بنى أمية وكان عندوا ليها عبد الرحمن بن حبيب الفهرى يهودى حدثانى صحب مسلمة بن عبد الملك وكان يتكهن له ويخبره بتغلب القرشى المروانى الذى هو من ابناء ملوك القوم واسمه عبد الرحمن وهو ذو ضفيرتين يملك الاندلس ويورثها عقبه فاتخذ الفهرى عند ذلك ضفيرتين ارسلهما رجاء ان تناله الرواية فلما جىء بعبد الرحمن ونظر الى ضفيرتيه قال لليهودى ويحك هذا هو وانا قاتله فقال له اليهودى انك ان قتلته فما هو به وان غلبت على تركه انه لهو وثقل فل بنى امية على ابن حبيب صاحب افريقية فطرد كثيرا منهم مخافة وتجنى على ابنين للوليد بن يزيد كانا قد استجارا به فقتلهما واخذ مالا كان مع اسمعيل بن ابان بن عبد العزيز بن مروان وغلبه على اخته فتزوجها بكره وطلب عبد الرحمن فاستخفى انتهى وذكر ابن عبد الحكم ان عبد الرحمن الداخل اقام ببرقة مستخفيا خمس سنين وآل امره فى سفره الى ان استجار ببنى رستم ملوك تيهرت من المغرب الاوسط وتقلب فى قبائل البربر الى ان استقر على البحر عند قوم من زناتة واخذ فى تجهيز بدر مولاه الى العبور للاندلس لموالى بنى امية وشيعتهم بها وكانت الموالى المروانية المدونة بالاندلس فى ذلك الاوان مابين الاربعمائة والخمسمائة ولهم جمرة وكانت رياستهم الى شخصين ابى عثمان عبيد الله بن عثمان وعبد الله بن خالد وهما من موالى عثمان رضى الله تعالى عنه وكانا يتوليان لواء بنى امية يعتقبان حمله ورياسة جند الشام النازلين بكورة البيرة فعبر بدر مولى عبد الرحمن الى ابى عثمان بكتاب عبد الرحمن يذكره فيه ايادى سلفه من بنى امية وسببه بهم ويعرفه مكانه من السلطان وسعيه لنيله اذ كان الامر لجده هشام فهو حقيق بوراثته ويساله القيام بشانه وملاقاة من يثق به من الموالى الاموية وغيرهم ويتلطف فى ادخاله الى الاندلس ليبلى عذرا فى الظهور عليها ويعده باعلاء الدرجة ولطف المنزلة ويامره

في العرافة (والكهانة) أصلها نفسى لا لطيفة باقية ومقارنة لاعجاز باهرة وهى تكون فى العرب على الاكثر وفى غيرهم على وجه الندرة لانه شئ يتولد على صفاء المزاج الطبعى وقوة مادة نور النفس واذا أنت اعتبرت أوطانها رأيتها متعلقة بعفة النفس وقع شرها بكثرة الوحدة وادمان التفرد وشدة الوحشة من الناس وقلة الانس بهم وذلك أن النفس اذا هى تفردت فكرت واذا هى فكرت بعدت واذا بعدت هطل عليها سحب العلم النفسى فنظرت بالعين النورية ولحظت بالنور الثاقب ومضت على الشريعة المستوية فاخبرت عن الاشياء على ماهى به وعليه وربما قويت النفس فى الانسان فاشرفت على دراية الغائبات قبل ورودها وكان كبراء اليونانيين ينعتون هذه الطائفة بالروحانية ويقولون ان النفس اذا هى أدت وكانت أكبر جزء فى الانسان تهذبت الى استخراج البدائع والاخبار المستترات واستدلوا على ذلك أن الانسان اذا قوى فكره وزادت مواد نفسه وخاطره فكر فى الطارئ قبل وروده بعلم صورته وكيف وروده الى ما على تصوره وهكذا النفس أيضا اذا تهذبت

انت الرؤيا فى النوم صادقة وفى الزمان موجودة وقد تنازع الناس فى الرؤيا والسبب الموقع لها وماهيتها وكيفية وقوعها فقال

٣م

تى

ان يستعين فى ذلك بمن يامنه و يرجو قيامه معه و ياخذ فيه مع اليمانية ذوى الحنق على المضرية لما بين الحيين من الترات فمشى ابو عثمان لما دعاه اليه و بادر اليه فيه طماعية وكان عند ورود بدر قد تجهز الى ثغر سرقسطة لنصرة صاحبها الصميل بن حاتم وجه دولة يوسف بن عبد الرحمن صاحب الاندلس فقال لصهره عبد الله بن خالد المذكور لو كنا اذا كرنا الصميل خبر بدر وما جاء به لنختبر ما عنده فى موافقتنا وكانا على ثقة فى أنه لا يظهر على سرهما أحدا لمروءته وأنفته فقال له ان نحن فعلنا لم نأمن من ان تدركه الغيرة على سلطان يوسف لما هو عليه من شرف القدر وجلالة المنزلة فيتوقع سقوط رياسته فلا يساعدنا قال أبو عثمان فنمسح اذا على أمره ونذكر له انه قصد لارادة الايواء والامان وطلب انحاس جده هشام لدينا ليتعيش بها لا يريد غير ذلك فاتفقا على هذا فلما أودعا الصميل خلوا به فى ذلك وقد ظهر لهما منه حقد على صاحبه يوسف فى ابطائه عن امداده لما حاربه الحباب الزهرى بكورة سرقسطة فقال لهما أنا معكما فيما تحبان فاكتبا اليه أن يعبر فاذا حضر سألنا يوسف أن ينزله فى جواره وأن يحسن له ويزوجه بابنته فان فعل والا ضربنا صلعته باسيافنا وصرفنا الامر عنه اليه فشكراه وقبلا يده ثم ودعاه وأقام بطليطلة وقد ولاه يوسف عليها وعزله عن الثغر وانصرفا الى وطنهما بالبيرة وقد كانا لقيا من كان معهما فى العسكر من وجوه الناس وثقاتهم فطارحاهم أمر ابن معاوية ثم دسا فى الكور الى ثقاتهما بمثل ذلك فدب أمره فيهم دبيب النار فى الجمر وكانت سنة خلف بالاندلس بعد خروج من المجاعة التى دامت بالناس وفى رواية ان الصميل لان لهما فى أن يطلب الامر عبد الرحمن الداخل لنفسه ثم دبر ذلك لما انصرفا فتراجع فيه فردهما وقال انى روّيت فى الامر الذى أردته معكما فوجدت الفتى الذى دعوتمانى اليه من قوم لو بال أحدهم بهذه الجزيرة غرقنا نحن وأنتم فى بوله وهذا رجل نتحكم عليه ونميل على جوانبه ولا يسعنا بدل منه ووالله لو بلغتما بيوتكما ثم بدا لى فيما فارقتكما عليه لرأيت أن لا أقصر حتى ألقاكما لئلا اغركما من نفسى فانى اعلمكما ان أول سيف يسل عليه سيفى فبارك الله لكما فى رأيكما فقالا له ما لنا رأى الا رأيك ولا مذهب لنا عنك ثم انصرفا عنه على أن يعينهما فى أمره ان طلب غير السلطان وانفصلا عنه الى البيرة عازمين على التصميم فى أمره ويئسا من مضرور بيعة ورجعا الى اليمانية وأخذا فى تهييج أحقاد اهل اليمن على مضر فوجداهم قوما قد وغرت صدورهم عليهم يتمنون شيأ يجدون به السبيل الى ادراك ثارهم واغتنما بعد يوسف صاحب الاندلس فى الثغر وغيبة الصميل فابتاعا مركبا ووجها فيه احد عشر رجلا منهم مع بدر الرسول وفيهم تمام بن علقمة وغيره وكان عبد الرحمن قد وجه خاتمه الى مواليه فكتبوا تحت ختمه الى من يرجونه فى طلب الامر فبثوا من ذلك فى الجهات ما دب به أمرهم ولما وجه أبو عثمان المركب المذكور مع شيعته ألفوه بشط مغيلة من بلاد البربر وهو يصلى وكان قد اشتد قلقه وانتظاره لبدر رسوله فبشره بدر بتمكن الامر وخرج اليه تمام مكثر التبشير فقال له عبد الرحمن ما اسمك قال تمام قال وما كنيتك قال أبو غالب فقال الله أكبر الآن تم أمرنا وغلبنا بحول الله تعالى وقوته وأدنى منزلة أبى غالب لما ملك ولم يزل حاجبه حتى مات عبد الرحمن وبادر عبد الرحمن بالدخول الى المركب فلما همّ بذلك أقبل البربر فرقة مرضوا دونه ففرقت فيهم من

معروف بالعين قائم الصفة يحدث النفس على معان تعبرها وتفرق بينها فتشتغل به عن استعمال الظاهر والباطن الذى أمهى الحواس عن الادراك الى المحاس أعنى الروح لاشتغال الروح عن استعمالها واذا وجب بطلانها سمى نورها عرضيا لانه ليس النوم الكلى الذى يعم الاطفال والعجائز والشيوخ الذين خرجوا من مواقع ومخالقة السحر وكذلك نوم الليل على ما وصفنا والوجه الآخر وهو النوم الكلى الذى يعم الاطفال والعجائز والطبقات الحيوانية ذوات الفكر وغيرها وهى طبيعة توجبها الخلقة فى وقت ضرورة كما يوجب الجوع فى وقته ضرورة لان الجوع عند صناعة أهل الطب علة وهى الموجبة تحديد الكبد من الفراغ والاغذية ومنهم من رأى أن النفس تدرك صورة الاشياء على ضربين أحدهما حس والآخر فكر فالصورة المحسوسة لا تدركها الا فى هيئتها فاذا تخلص علمها عندنا كان ادراكها مفردا من ابعاضها فيكون فكر الانسان اليه سمى مانعا للحس حتى اذا نام فعدمت النفس الحواس كلها كانت تلك الصورة التى أخذتها من أعيان الاشياء فيها قائمة

مال

مال كان مع عمام صلات على أقدارهم حتى لم يبق أحد حتى أرضاه فلما صار عبد الرحمن بداخل المركب أقبل عات منهم لم يكن أخذ شيأ فتعلق بحبل المودج يعقل المركب فقول رجل اسمه شاكر يده بالسيف فقطع يد البربري وأعانتهم الريح على التوجه بمركبهم حتى حلوا بساحل البيرة في جهة المنكب وذلك في ربيع الآخر سنة ١٣٨ فأقبل اليه تقيياه أبو عثمان وصهره أبو خالد فنقلاه الى قرية طرش منزل أبي عثمان فجاءه يوسف بن بخت وانثالت عليه الاموية وجاءه جدران بن عمرو المذحجي من أهل مالقة فكان بعد ذلك قاضيه في العساكر وجاءه أبو عبدة حسان بن مالك الكلبي من اشبيلية فاستوزره وانثال عليه الناس انثيالا فقوى أمره مع الساعات فضلا عن الايام وأمده الله تعالى بقوة عالية فكان دخوله قرطبة بعد ذلك بسبعة أشهر وكان خبر دخوله للاندلس قد صادف صاحبها يوسف الفهري بالثغر وقد قبض على الحباب الزهري الثائر بسرقسطة وعلى عامر العبدري الثائر معه فبينما هو بوادي الرمل بقربة من طليطلة وقد ضرب عنق عامر العبدري وابن عامر برأي الصميل اذ جاءه قبل ان يدخل رواقه رسول يركض من عند ولده عبد الرحمن بن يوسف من قرطبة يعلمه بأمر عبد الرحمن ونزوله بساحل جند دمشق واجتماع الموالي المروانية اليه وتشوف الناس لامره فانتشر الخبر في العسكر لوقته وشمت الناس بيوسف لقتله القرشيين عامرا وابنه وختره بعهدهما فسارع عدد كثير الى البدار لعبد الرحمن الداخل وتنادوا بشعارهم وقوضوا عن عسكره واتفق أن جادت السماء بوابل لا عهد بمثله لما شاءه الله تعالى من التضييق على يوسف فأصبح وليس في عسكره سوى غلمانه وخاصته وقوم الصميل قيس وأتباعه فأقبل الى طليطلة وقال للصميل ما الرأي فقال بادره الساعة قبل أن يغلظ أمره فاني لست آمن عليك هؤلاء اليمانية لحنقهم علينا فقال له يوسف أتقول ذلك ومع من نسير اليه وأنت ترى الناس قد ذهبوا عنا وقد أنفضنا من المال وأنضينا الظهر ونهكتنا المجاعة في سفرتنا هذه ولكن نسير الى قرطبة فنستأنف الاستعداد له بعد أن ننظر في أمره ويتبين لنا خبره فلعله دون ما كتب الينا فقال الصميل الرأي ما أشرت به عليك وليس غيره وسوف تتبين غلطك فيما تنكبه ومضوا الى قرطبة وسار عبد الرحمن الداخل الى اشبيلية وتلقاه رئيس عربها أبو الصباح بن يحيى اليحصبي واجتمع الرأي على ان يقصدوا به دار الامارة قرطبة فلما نزلوا بطشانة قالوا كيف نسير بامير لا لواء له ولا علم نهتدي اليه فجاؤا بقناة وعمامة ليعقدوها عليه فكرهوا أن يميلوا القناة لتعقد تطيرا فأقاموها بين زيتونتين متجاورتين فصعد رجل فرع أحداهما فعقد اللواء والقناة قائمة كما سيأتي وحكى ان فرقدا العالم صاحب الحدثان مر بذلك الموضع فنظر الى الزيتونتين فقال سيعقد بين هاتين الزيتونتين لواء لامير لا يثور عليه لواء الا كسره فكان ذلك اللواء يعقد به هو وولده من بعده ولما أقبل الى قرطبة خرج له يوسف وكانت المجاعة توالت قبل ذلك ست سنين فأورثت اهل الاندلس ضعفا ولم يكن عيش عامة الناس بالعسكر ما عدا أهل الطاقة مذ خرجوا من اشبيلية الا الفول الاخضر الذي يجدونه في طريقهم وكان الزمان زمان ربيع فسمي ذلك العام عام الخلف وكان نهر قرطبة حائلا فسار يوسف من قرطبة وأقبل ابن معاوية على بر اشبيلية والنهر بينهما فلما رأى يوسف تصميم

كانها محسوسة لان الحس بها في أعيانها كان قبيل استيلائها بالفكر ضعيفا فلما ارتفع الحس قوى الفكر فصار يصور الاشياء كأنها محسوسة فخطر على بال النائم منها ما يخطر على باله اذا كان يقظان للشئ الذي قد كان أشبه وليس لذلك نظام وانما هو ما اتفق فلذلك يرى الانسان كأنه يطير وليس بطائر وانما صورة الطيران مفردة كما تعلمها اذا غابت ولكن فكرته فيها تقوى حتى كأنها معاينة له فأما ما يراه من الاشياء التي تدل على ما يريد فانما ذلك لان النفس عالمة بالصور فاذا خلصت في المنام من شوائب الاجسام أشرفت على ما ينالها وهي عالمة أيضا في حال اليقظة لا يمكنها معرفة ذلك فتخيل خيالات تدل بها على تلك الاشياء التي تريد أن تكون حتى اذا تذكرت تلك الخيالات وتلك الاشياء فان كانت نفسه صافية لم تكدر رؤياه تكذب كثيرا ثم ما بين الكدرة والصافية وسائط على حسب مراتبها من الصفاء والكدر يكون صدق متخيلته وكذبه (وقال فريق آخر) اذا بطل استعمال النفس للحواس ظاهرا لم يبطل استعمالها في نفسها ولم يبطل استعمال قواها فتنتقل في الاماكن وتشاهد الاشخاص بالقوة الروحانية التي

عبد الرحمن الى قرطبة رجع مع النهر محاذيا له فتسايرا والنهر حاجز بينهما الى ان حل يوسف بصحراء المصارة غربى قرطبة وعبد الرحمن فى مقابلته وتراسلا فى الصلح وقد امر يوسف بذبح الجزر وتقدم بعمل الاطعمة وابن معاوية اخذ فى خلاف ذلك قد اعد للحرب عدتها واستكمل اهبتها وسهر الليل كله على نظام امره كما سنذكره ثم انهزم اهل قرطبة وظفر عبد الرحمن الداخل ونصر نصر الا كفاء له وانهزم الصميل وفر الى شوذر من كورة جيان وفر يوسف الى جهة ماردة وذكر أن أبا الصباح رئيس اليمانية قال لهم عند هزيمة يوسف يا معشر يمن هل لكم الى فتحين فى يوم قد فرغنا من يوسف وصميل فلنقتل هذا الفتى المقدام ابن معاوية فيصير الامر لنا نقدم رجلا منا ونخل عنه المضرية فلم يجبه أحد لذلك وبلغ الخبر عبد الرحمن فاسرها فى نفسه الى أن اغتاله بعد عام فقتله ولما انقضت الهزيمة أقام ابن معاوية بظاهر قرطبة ثلاثة أيام حتى أخرج عيال يوسف من القصر وعف وأحسن السيرة ولما حصل بدار الامارة وحل محل يوسف لم يستقر به قرار من افلات يوسف والصميل فخرج فى اثر عدوه واستخلف على قرطبة القائم بامره أبا عثمان واستكتب كاتب يوسف أمية بن زياد واستنام اليه اذ كان من موالى بنى أمية ونهض فى طلب يوسف فوقع يوسف على خبره فخالفه الى قرطبة ودخل القصر وتحصن أبو عثمان خليفة عبد الرحمن بصومعة الجامع فاستنزله بالامان ولم يزل عنده الى أن عقد الصلح بينه وبين ابن معاوية وكان عقد الصلح المشتمل عليه وعلى وزيره الصميل فى صفر سنة ١٣٩ وشارطه على ان يخلى بينه وبين امواله حيثما كانت وان يسكن بلاط الحر منزله بشرقى قرطبة على ان يختلف كل يوم الى ابن معاوية ويريه وجهه واعطاه رهينة على ذلك ابنه ابا الاسود محمد بن يوسف زيادة على ابنه عبد الرحمن الذى اسره ابن معاوية يوم الوقعة ورجع العسكران وقد اختلطا الى قرطبة وذكر ابن حيان أن يوسف بن عبد الرحمن نكث سنة ١٤١ وهرب من قرطبة وسعى بالفساد فى الارض وقد كانت الحال اضطربت به فى قرطبة ودس له قوم قاموا عليه فى أملاكه زعموا انه غصبهم اياها فدفعهم الى الحكام فأعنتوه وحمل عنه فى التألم بذلك كلام رفع الى ابن معاوية أصاب أعداء يوسف به السبيل الى السعاية به والتخويف منه فاشتد توحشه فخرج الى جهة ماردة واجتمع اليه عشرون ألفا من أهل الشتات فغلظ أمره وحدثته نفسه بلقاء ابن معاوية فخرج نحوه من ماردة وخرج ابن معاوية من قرطبة فبينما ابن معاوية فى حصن المدور مستعدا اذ التقى بيوسف عبد الملك بن عمر بن مروان صاحب اشبيلية فكانت بينهما حرب شديدة انكشف عنها يوسف بعد بلاء عظيم منهزما واستحر القتل فى أصحابه فهلك منهم خلق كثير وسار يوسف لناحية طليطلة فلقيه فى قرية من قراها عبد الله بن عمرو الانصارى فلما عرفه قال لمن معه هذا الفهرى يفر قد ضاقت عليه الارض وقتله الراحة له والراحة منه فقتله واحتز رأسه وقدم به الى عبد الرحمن فلما قرب وأوذن عبد الرحمن به أمره أن يتوقف به دون جسر قرطبة وأمر بقتل ولده عبد الرحمن المحبوس عنده وضم الى رأسه رأسه ووضعا على قناتين مشهرين الى باب القصر وكان عبد الرحمن لما فر يوسف قد سجن وزيره الصميل لانه قال له أين توجه فقال لا اعلم فقال ما كان ليخرج حتى يعلمك ومع ذلك فان ولدك معه واكد عليه فى ان يحضره فقال لو انه تحت قدمى هذه ما رفعتها لك

الجسمانية الغليظة وذلك أن القوة الجسدانية لاتدرك الا بمشاركة

ليست بجسم لا بالقوة وملامسة الاشياء اما باتصال كاتصال اللون واما بانفصال الجسم من الاماكن والروح تدرك المتصل والمنفصل جميعا الا بمشاركة الجسد الذى يوجب الحاجة الى قرب المدرك (ومنهم) من رأى أن النوم هو اجتماع الدم وجريانه الى الكبد (ومنهم) من رأى أن ذلك هو سكون النفس وهدوّ الروح (ومنهم) من زعم أن ما يجده الانسان فى نومه من الخواطر انما هو عمل الاغذية والاطعمة والطبائع (ومنهم) من رأى أن بعض الرؤيا من الملك وبعضها من الشيطان واعتل هؤلاء بقوله تعالى انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا (ومنهم) من رأى أنها جزء من احدى وستين جزأ من النبوة وتنازع هؤلاء فى كيفية الجزء وماهيته (ومنهم) من ذهب الى أن الانسان الحساس هو غير هذا الجسم وانه يخرج عن البدن فى حال النوم فيشاهد العالم ويرى الملكوت على حسب صفائه واعتل هؤلاء وغيرهم ممن ذهب الى نحو هذا المعنى بقوله عزوجل الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها الى قوله الى أجل مسمى (وذهب)

عنه

عنه فاصنع ماشئت فحينئذ امر به الى الحبس وسجن معه ولدى يوسف ابا الاسود محمدا المعروف
بعد بالاعمى وعبد الرحمن فتهيأ لهما الهرب من نقب فاما ابو الاسود فنجا سالما واضطرب فى
الارض يبغى الفساد الى أن هلك حتف أنفه وأما عبد الرحمن فاثقله اللحم فانبهر فرد الى
الحبس حتى قتل كما تقدم وانف الصميل من الهرب فاقام بمكانه فلما قتل يوسف ادخل ابن
معاوية على الصميل من خنقه فاصبح ميتا فدخل عليه مشيخة المضرية فى السجن فوجدوه
ميتا وبين يديه كاس ونقل كانه بغت على شرابه فقالوا والله انا لنعلم يا اباجوشن انك ما شربتها
ولكن سقيتها ومما ظهر من بطش الامير عبد الرحمن بن معاوية وصرامته فتكه باحد دعائم
دولته رئيس اليمانية ابى الصباح بن يحيى وكان قد ولاه اشبيلية وفى نفسه منه ما اوجب
فتكه به ومن ذلك النوع حكايته مع العلاء بن مغيث اليحصبى اذ ثار بباجة وكان قد
وصل من افريقية على ان يظهر الرايات السود بالاندلس فدخل فى ناس قليلين فارسى بناحية
باجة ودعا اهلها ومن حولهم فاستجاب له خلق كثير الى ان لقيه عبد الرحمن بجهة اشبيلية
فهزمه وجىء به وباعلام اصحابه فقطع يديه ورجليه ثم ضرب عنقه واعناقهم وامر فقرطت
الصكاك فى آذانهم باسمائهم وأودعت جوالق محصناة ومعها اللواء الاسود وانفذ بالجوالق
تاجرا من ثقاته وامره ان يضعه بمكة ايام الموسم ففعل ووافق اباجعفر المنصور قد حج فوضعه على
باب سرادقه فلما كشفه ونظر اليه سقط فى يده واستدعى عبد الرحمن وقال عرضنا هذا
البائس يعنى العلاء للتلف ما فى هذا الشيطان مطمع فالحمد لله الذى صير هذا البحر بيننا
وبينه ولما أوقع عبد الرحمن باليمانية الذين خرجوا فى طلب ثار رئيسهم أبى الصباح اليحصبى
وأكثر القتل فيهم استوحش من العرب قاطبة وعلم انهم على دغل وحقد فانحرف عنهم
الى اتخاذ المماليك فوضع يده فى الابتياع فابتاع موالى الناس بكل ناحية واعتضد ايضا
بالبرابر ووجه عنهم الى برالعدوة فاحسن لمن وفد عليه احسانا رغب من خلفه فى المتابعة قال
ابن حيان واستكثر منهم ومن العبيد فاتخذ أربعين ألف رجل صار بهم غالبا على أهل
الاندلس من العرب فاستقامت مملكته وتوطدت وقال ابن حيان كان عبد الرحمن راجح الحلم
فاسح العلم ثاقب الفهم كثير الحزم نافذ العزم بريئا من العجز سريع النهضة متصل الحركة
لا يخلد الى راحة ولا يسكن الى دعة ولا يكل الامور الى غيره ثم لا ينفرد فى ابرامها برأيه شجاعا
مقداما بعيد الغور شديد الحدة قليل الطمأنينة بليغا مفوها شاعرا محسنا سمحا سخيا طلق
اللسان وكان يلبس البياض ويعتم به ويؤثره وكان قد أعطى هيبة من وليه وعدوه وكان
يحضر الجنائز ويصلى عليها ويصلى بالناس اذا كان حاضرا الجمع والاعياد ويخطب على المنبر
ويعود المرضى ويكثر مباشرة الناس والمشى بينهم الى أن حضر فى يوم جنازة فتصدى له فى
منصرفه عنها رجل متظلم عامى وقاح ذو عارضة فقال له أصلح الله الامير ان قاضيك ظلمنى وأنا
أستجير بك من الظلم فقال له تنصف ان صدقت فمد الرجل يده الى عنانه وقال أيها الامير أسالك
بالله لما برحت من مكانك حتى تامر قاضيك بانصافى فانه معك فوجم الامير والتفت الى من حوله
من حشمه فرآهم قد لا ودعا بالقاضى وأمر بانصافه فلما عاد الى قصره كلمه بعض رجاله ممن
كان يكره خروجه وابتذاله فيما جرى فقال له ان هذا الخروج الكثير أبقى الله تعالى الامير

الجمهور من المتطببين فى ذلك أن الاحلام بالاخلاط وترى بقدر مزاج كل واحد منها وقوته وذلك أن الذين
تشتغل أجسادهم من
المرة الصفراء يرون فى
منامهم النيران ونحو ذلك
وما أشبهه والغالب على
من كان مزاجه البلغم أن
يرى بحورا وأنهارا وعيونا
وأحواضا وغدرانا ومياها
كثيرة وأمواجا ويرى كانه
يسبح أو يصيد سمكا ونحو
ذلك وما قاربه والغالب
على من كان مزاجه السوداء
أن يرى فى منامه أجداثا
وقبورا وأمواتا مكفنين
بسواد وبكاء ونوحا ورنينا
وصراخا وأشياء مفزعة
وأمورا مقطعة وفيلة
وأسودا والغالب على من
كان مزاجه الدم أن يرى
خمرا ونبيذا ورياحين
ولعبا ووصفا وعزفا وأنواع
الملاهى والرقص والسكر
والفرح والسرور والثياب
المصبغات من الحمرة وغيرها
وما لحق بهذا الباب مما
وصفنا من أنواع السرور
ولا خلاف بين المتطببين
فى أن الضحك واللعب
وأنواع السرور من الدم
وأن كل حزن وخوف وان
اختلفت معانيه فان ذلك
من المرة السوداء واحتجوا
بضروب من الاحتجاجات
فهذه جملتها وقد أوضحنا
هذا فى كتابنا الرؤيا
والكمال وفى كتاب طب النفوس فلا وجه لاطنابنا فى هذا الموضع من كتابنا هذا اذ كان هذا الكتاب كتاب خبر لا كتاب

لا يحمل بالسلطان العزيز وان عيون العامة تخلق بجدته ولا تؤمن بوادرهم عليه فليس الناس كما عهدوا فتركت من يومئذ شهود الجنائز وحضور المحافل ووكل بذلك ولده هشاما * ومن نظم عبد الرحمن الداخل ما كتب به الى أخته بالشام

أيها الراكب الميمم أرضي * اقر مني بعض السلام لبعضي

ان جسمي كما تراه بأرض * وفؤادي ومالكيه بأرض

قدر البين بيننا فافترقنا * وطوى البين عن جفوني غمضي

قد قضى الدهر بالفراق علينا * فعسى باجتماعنا سوف يقضي

وكتب الى بعض من وفد عليه من قومه لما سأله الزيادة في رزقه واستقل ما قابله به وذكره بحقه بهذه الابيات

شتان من قام ذا امتعاض * منتضي الشفرتين نصلا

فجاب قفرا وشق بحرا * مساميا لجة ومحلا

دبر ملكا وشاد عزا * ومنبرا للخطاب فصلا

وجند الجند حين أودى * ومصر المصر حين أجلى

ثم دعا أهله اليه * حيث انتأوا أن هلم أهلا

فجاء هذا طريد جوع * شريد روع يخاف قتلا

فنال امنا ونال شبعا * ونال مالا ونال أهلا

ألم يكن حق ذا على ذا * أعظم من منعم ومولى

وحكى ابن حيان أن عبد الرحمن لما أذعن له يوسف صاحب الاندلس واستقر ملكه استحضر الوفود الى قرطبة فانثالوا عليه والى القعود لهم في قصره عدة أيام في مجالس يكلم فيها رؤساءهم ووجوههم بكلام سرهم وطيب نفوسهم مع انه كساهم وأطعمهم ووصلهم فانصرفوا عنه محبورين مغتبطين يتدارسون كلامه ويتهافتون بشكره ويتهانئون بنعمة الله تعالى عليهم فيه وفي بعض مجالسهم هذه مثل بين يديه رجل من جند قنسرين يستجديه فقال له يا ابن الخلائف الراشدين والسادة الاكرمين اليك فررت وبك عذت من زمن ظلوم ودهر غشوم قلل المال وكثر العيال وشعث الحال فصير الى نداك المآل وأنت ولي الحمد والمجد والمرجو للرفد فقال له عبد الرحمن مسرعا قد سمعنا مقالتك وقضينا حاجتك وأمرنا بعونك على دهرك على كرهنا لسوء مقامك فلا تعودن ولا سواك لمثله من اراقة ماء وجهك بتصريح المسئلة والالحاف في الطلبة واذا ألم بك خطب أو حزبك أمر فارفعه الينا في رقعة لا تعدوك كيما نستر عليك خلتك ونكف شمات العدو عنك بعد رفعك لها الى مالكك ومالكنا عز وجهه باخلاص الدعاء وصدق النية وأمر له بجائزة حسنة وخرج الناس يتعجبون منه من حسن منطقه وبراعة أدبه وكف فيما بعد ذوي الحاجات عن مقابلته بها شفاها في مجلسه قال ابن حيان ووقع الى سليمان بن يقظان الاعرابي على كتاب منه سلك به سبيل الخداع أما بعد فدعني من معاريض المعاذير والتعسف عن جادة الطريق لتمدن يدا الى الطاعة والاعتصام بحبل

الجماعة

بحث ونظر وانما تغلغل بنا الكلام لما تشعب من مذاهبهم في اخبارنا عنهم ولم نعرض في هذا الكتاب لما ذهبت اليه الناس في تحديد النفس وما قاله أفلاطون في تحديده للنفس ان النفس جوهر ليس بمحرك للبدن وما حده صاحب المنطق أن حد النفس كمال الجسم الطبيعي وحدها من وجه آخر أنه حي بالقوة ولا الفرق بين النفس والروح لان الفرق بينهما أن الروح جسم والنفس لا جسم وأن الروح يحرو به البدن والنفس تبطل أفعالها في البدن ولا تبطل هي في ذاتها والنفس تحرك البدن وتنيله الحس وذكره أفلاطون في كتاب السياسة المدنية نهر البستان وما لحق الانسان من صفات النفس الداخلة على النفس الناطقة وذكره أفلاطون في كتابه الى طيماويس وفي كتاب قارون وكيفية سقراط الحكيم وما تكلم في ذلك في النفس والصورة (وقد تكلم الناس) في طبقات النفوس وصفاتها من أصحاب الالسن وغيرهم من الفلاسفة ثم تنازع أهل الاسلام في هيئة الانسان الحساس الدراك المأمور المنهي وما قالت المتصوفة وأصحاب المعارف والدعاوى في طبقات النفوس من النفس المطمئنة والنفس اللوامة والنفس الامارة بالسوء

وغير ذلك مما ذهب اليه اليهود والمجوس والصابئة وغير ذلك مما قد أتينا على ايضاحه فى كتاب سر الحياة وغيره من كتبنا (وقد كان سطيح) الكاهن وهو ربيع بن ربيعة بن مسعود ابن مازن بن ذئب بن عدى بن مازن بن غسان يدرج سائر جسده كما يدرج الثوب لا عظم فيه الا جمجمة الرأس وكانت اذا لمست باليد لين عظمها وكان شق بن مصعب بن شكران ابن أترك بن قيس بن عبقر بن أنمار بن ربيعة بن نزار معه فى عصر واحد وكان فيهما جمرة الكهانة وكذلك سملقة وزوبعة كانا فى عصر واحد والله أعلم

(ذكر جمل من أخبار الكهان وسيل العرم وتفرق الازد فى البلدان)

قال المسعودى قد ذكرنا جملا من الكهانة والقيافة والزجر والبارح والسانح فلنذكر الآن لمعا من أخبار الكهان وتفرق ولد سبا فى البلدان ولم يزل ولد قحطان فى أطيب عيش الى أن هلك سبا وكان القوم بعد مضى سبا تداولتهم الاعصار قرنا بعد قرن الى أن أرسل الله عليهم سيل العرم وذلك أن الرياسة انتهت فيهم الى عمرو بن عمرو مزيقيا وهو عمرو بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الازد بن الغوث بن كهلان بن سبا

الجماعة أولا زوين بنانها عن وصف المعصية نكالا بما قدمت يداك وما الله بظلام للعبيد وفى المسهب ان عبد الرحمن كان من البلاغة بالمكان العالى الذى يرتدعنه أكثر بنى مروان حسيرا وقد جرى بينه وبين مولاه بدر ما لا يجب اهماله وذلك انه لما سعى بدر فى تكميل دولته من ابتدائها الى استقرارها صحبه عجب وامتنان كاد ايردان به حياض المنية فاول ما بدا به أن قال بعنا أنفسنا وخاطرنا بها فى شأن من هانت عليه لما بلغ أقصى أمله وقال وقد أمره بالخروج الى غزاة اغا تعبنا اوّلا لنستريح آخرا وما أرانا الا فى أشد مما كنا وأطال أمثال هذه الاقوال وأكثر الاستراحة فى جانبه فهجره وأعرض عنه فزاد كلامه وكتب له رقعة منها أما كان جزائى فى قطع البحر وجوب القفر والاقدام على تشتيت نظام ممالكة واقامة أخرى غير الهجر الذى أهاننى فى عيون اكفائى وأشمت بى أعدائى وأضعف أمرى ونهيى عند من يلوذ بى وبتر مطامع من كان يكرمنى ويحفدنى على الطمع والرجاء وأظن أعداءنا بنى العباس لو حصلت بايديهم ما بالغوا فى أكثر من هذا فانا لله وانا اليه راجعون فلما وقف عبد الرحمن على رقعته أشتد غيظه عليه فوقع عليها وقفت على رقعتك المنبئة عن جهلك وسوء خطابك ودناءة أدبك ولئيم معتقدك والعجب أنك متى ما أردت أن تبنى انفسك عندنا متانا أتيت بما يهدم كل متات مشيد مما تمن به مما قد أضجر الاسماع تكراره وقدحت فى النفوس اعادته مما استخرنا الله تعالى من أجله على امرنا باستئصال مالك وزدنا فى هجرك وابعادك وهضنا جناح ادلالك فلعل ذلك يقمع منك ويردعك حتى تبلغ منك ما نريد ان شاء الله تعالى فنحن اولى بتاديبك من كل أحد اذ شرك مكتوب فى مثالبنا وخيرك معدود فى مناقبنا فلما ورد هذا الجواب على بدر سقط فى يده وسلم للقضاء وعلم انه لا ينفع فيه قول ووجه عبد الرحمن من استأصل ماله والزمه داره وهتك حرمته وقص جناح جاهه وصيره اهون من قعيس على عمته ومع هذا فلم ينته بدر عن الاكثار من مخاطبة مولاه تارة يستلينه وتارة يذكره وتارة ينفث مصدور الخط قلمه ما يلقيه عليه بلسانه غير مفكر فيما يؤل اليه الى ان كتب له قد طال هجرى وتضاعف همى وفكرى واشدما على كونى سليبا من مالى فعسى ان تامر لى باطلاق مالى واتخذ به فى معزل لا اشتغل بسلطان ولا ادخل فى شئ من اموره ما عشت فوقع له ان لك من الذنوب المترادفة ما لو سلب معها روحك لكان بعض ما استوجبته ولا سبيل الى رد مالك فان تركك بمعزل فى بلهنية الرفاهية وسعة ذات اليد والتخلى من شغل السلطان اشبه بالنعمة منه بالنقمة فايأس من ذلك فان الياس مريح فسكت لما وقف على هذه الاجابة مدة الى ان اتى عيد فاشتد به حزنه لما راى من حاجة من يلوذ به وهمهم بما يفرح به الناس فكتب اليه فى ذلك رقعة منها وقد اتى هذا العيد الذى خالفت فيه أكثر من اساء اليك وسعى فى خراب دولتك ممن عفوت عنه فقيدتك النعمة فى ذراك واقعد ذروة العز وانا على ضد من هذا سليبا من النعمة مطرحا فى حضيض الهوان آيس مما يكون واقرع السن على ما كان فلما وقف على هذه الرقعة امر بنفيه عن قرطبة الى اقصى الثغر وكتب له على ظهر رقعته لتعلم انك لم تزل بمقتك حتى ثقلت على العين طلعتك ثم زدت الى ان ثقل على السمع كلامك ثم زدت الى ان ثقل على النفس جوارك وقد امرنا باقصائك الى اقصى الثغر

فبالله الا ما اقصرت ولا يبلغ بك زائد المقت الى ان تضيق عني الدنيا وواتك تشكو لفلان
وتتألم من فلان وما تقولوه عليك ومالك عدو أكبر من لسانك فاطاح بك غيره فاقطعه قبل
ان يقطعك * ولما فتح الداخل سرقسطة وحصل في يده ثائرها الحسين الانصاري وشدخت
رؤس وجوهها بالعمد وانتهى نصره فيها الى غاية أمله اقبل خواصه يهنئونه فجرى بينهم
أحد من لا يؤبه به من الجند فهناه بصوت عال فقال والله لولا ان هذا اليوم يوم اسبغ علي فيه
النعمة من هو فوقي فاوجب علي ذلك ان انعم فيه على من هو دوني لاصليتك ما تعرضت
له من سوء النكال من تكون حتى تقبل مهنئا رافعا صوتك غير متلجلج ولا متهيب لمكان
الامارة ولا عارف بقيمتها حتى كأنك تخاطب اباك أو اخاك وان جهلك ليحملك على العود
لمثلها فلا تجد مثل هذا الشافع في مثلها من عقوبة فقال ولعل فتوحات الامير يقترن اتصالها
باتصال جهلي وذنوبي فتشفع لي متى اتيت بمثل هذه الزلة لا اعدمنيه الله تعالى فتهلل وجه
الامير وقال ليس هذا باعتذار جاهل ثم قال نبهونا على انفسكم اذا لم تجدوا من ينبهنا عليها
ورفع مرتبته وزاد في عطائه * ولما انحى اصحابه على اصحاب الفهري بالقتل يوم هزيمتهم على
قرطبة قال لا تستأصلوا شأفة اعداء ترجون صداقتهم واستبقوهم لأشد عداوة منهم يشير الى
استبقائهم ليستعان بهم على اعداء الدين ولما اشتد الكرب بين يديه يوم حربه مع الفهري
ورأى شدة مقاساة اصحابه قال هذا اليوم هو أس ما يبنى عليه اما ذل الدهر واما عز الدهر
فاصبروا ساعة فيما لا تشتهون تربحوا بها بقية اعماركم فيما تشتهون * ولما خرج من البحر أول
قدومه على الاندلس أتوه بخمر فقال اني محتاج لما يزيد في عقلي لا لما ينقصه فعرفوا بذلك
قدره ثم اهديت اليه جارية جميلة فنظر اليها وقال ان هذه من القلب والعين بمكان وان أنا
اشتغلت عنها بهمتي فيما أطلبه ظلمتها وان اشتغلت بها عما اطلبه ظلمت همتي ولا حاجة لي
بها الآن وردها على صاحبها * ولما استقامت له الدولة بلغه عن بعض من أعانه انه قال لولا
أنا ما توصل لهذا الملك ولكان منه ابعد من العيوق وأن آخر قال سعده أعانه لا عقله وتدبيره
فحركه ذلك الى أن قال

لا يلف ممتن علينا قائل * لولاي ما ملك الانام الداخل
سعدي وحزمي والمهند والقنا * ومقادر بلغت وحال حائل
ان الملوك مع الزمان كواكب * نجم يطالعنا ونجم آفل
والحزم كل الحزم أن لا يغفلوا * أيروم تدبير البرية غافل
ويقول قوم سعده لا عقله * خير السعادة ما حماها العاقل
أبني أمية قد جبرنا صدعكم * بالغرب رغما والسعود قبائل
ما دام من نسلي امام قائم * فالملك فيكم ثابت متواصل

وحكى ابن حيان أن جماعة من القادمين عليه من قبل الشام حدثوه يوما في بعض مجالسهم
عنده ما كان من الغمر بن يزيد بن عبد الملك أيام محنتهم وكلامه لعبد الله بن علي بن عبد الله
ابن عباس الداخلين بهم وقد حضروا رواقه وفيه وجوه المسودة من دعاة القوم وشيعتهم رادا
على عبد الله فيما أراقه من دماء بني أمية وسلبهم والبراءة منهم فلم تردعه هيبته وعصه غربه

وذلك ببلاد مازن من أرض اليمن وهي بلاد سبا التي ذكرها الله في القرآن أنه أرسل على
أهلها سيل العرم وهو السد كان فرسخا في فرسخ بناه لقمان الأكبر العادي وهو لقمان بن عاد بن عاديا وقد ذكرنا خبره وخبر غيره ممن كان عمر منهم عمر النسور وهذا السد هو الذي كان يرد عنهم السيل فيما سلف من الدهر اذا جاء أن يغشى أموالهم ففرقهم الله كل ممزق وباعد بين أسفارهم والناس في قصة هلكهم يختلفون وفي سياقة أخبارهم يتباينون (وذكر) أصحاب التاريخ القديم أن أرض سبا كانت من أخصب أرض اليمن وأثراها وأغدقها وأكثرها جنانا وغيضانا وأفسحها مروجا مع بنيان حسن وشجر مصفوف ومساكب للماء متكاثفة وانهار متفرقة وكانت مسيرة أكثر من شهر للراكب المجد على هذه الحالة وفي العرض مثل ذلك وان الراكب والمار كان يسير في تلك الجبال من أولها الى أن ينتهي الى آخرها لا تواجهه الشمس ولا تعارضه لاستتار الأرض بالعمارة الشجرية واستيلائها عليها
واحاطتها بها وكان أهلها في أطيب عيش وأرفهه وأهنأ حال وأرغد قرى وفي نهاية الخصب وطيب واحتفال

واحتفال جمعه عن معارضته والرد عليه بتفضيله لاهل بيته والذب عنهم وانه جاء في ذلك بكلام غاظ عبد الله وأغصه بريقه وعاجل الغمر بالحتف ففني وخلف في الناس ما خلف من تلك المعارضة في ذلك المقام وكثر القوم في تعظيم ذلك فكأن الامير عبد الرحمن احتقر ذلك الذي كان من الغمر في جنب ما كان منه في الذهاب بنفسه عن الاذعان لعدوهم والانف من طاعتهم والسعي في اقتطاع قطعة من مملكة الاسلام عنه وقام عن مجلسه فصاغ هذه الابيات بديهة

شتان من قام ذا امتعاض * فرّ ما فال واضمحلا
ومن غدا مصلتا لعزم * مجرد للاعداء نصلا
جاب قفرا وشق بحرا * ولم يكن في الانام كلا
فشاد ملكا وشاد عزا * ومنبرا للخطاب فصلا
وجند الجند حين أودى * ومصر المصر حين أجلى
ثم دعا أهله جميعا * حيث انتأوا أن هلم أهلا

وله غير ذلك من الشعر وسياتي بعضه مما يقارب هذه الطبقة * واول ناصر لعبد الرحمن سائر معه في الخمول والاستخفاء مولاه المتقدم الذكر سعى في سلطانه شرقا وغربا برا وبحرا فلما كمل له الامر سلبه من كل نعمة و[illegible] ثم أقصاه الى أقصى الثغر حتى مات وحاله أسوأ حال والله تعالى أعلم بالسرائر فلعل له عذرا و يلومه من يسمع مبدأه وما آل له ورأس الجماعة الذين توجه اليهم بدر في القيام بسلطانه أبو عثمان ولما توطدت دولة الداخل استغنى عنه وعن أمثاله فاراد أبو عثمان أن يشغل خاطره و ينظر في شيء يحتاج به اليه فجعل ابن أخته يثور عليه في حصن من حصون البيرة فوجه عبد الرحمن من قبض عليه وضرب عنقه ثم أخذ أبو عثمان مع ابن أخ له الداخل وزين له القيام عليه فسعى لعبد الرحمن بابن أخيه قبل أن يتم أمره فضرب عنقه وأعناق الذين دبروا معه وقيل له ان أبا عثمان كان معه وهو الذي ضمن له تمام الامر فقال هو أبو سلمة هذه الدولة فلا يتحدث الناس عنه بما تحدثوا عن بني العباس في شأن أبي سلمة لكن سأعتبه عتبا أشد من القتل وجعل يوعده ورجع له الى ما كان عليه في الظاهر وكان صاحبه الثاني في الموازرة والقيام بالدولة صهره عبد الله بن خالد وكان قد ضمن لابي الصباح رئيس اليمانية عن الداخل أشياء لم يف بها الداخل وقتل أبا الصباح فانعزل عبد الله وأقسم لا يشتغل بشغل سلطان حياته فمات منفردا عن السلطان وكان ثالثهما في النصرة والاختصاص تمام بن علقمة وهو الذي عبر البحر اليه وبشره باستحكام أمره فقتل هشام بن عبد الرحمن ولد تمام المذكور وكذلك فعل بولد أبي عثمان المتقدم الذكر قال ابن حيان فذاقا من ثكل ولديهما على يدي أعز الناس عليهما ما أراهما أن أحدا لا يقدر أن ينظر في تحسين عاقبته واذا تتبع الامر في الذين يقومون في قيام دولة كان مآلهم مع من يظهرونه هذا المآل وأعجب * وذكر أن أول حجاب الداخل تمام بن علقمة مولاه ذو العمر الطويل ثم يوسف بن بخت الفارسي مولى عبد الملك بن مروان وله بقرطبة عقب نابه ثم عبد الكريم ابن مهران من ولد الحرث بن أبي شمر الغساني ثم عبد الرحمن بن مغيث بن الحرث بن

الهواء وصفاء الفضاء وتدفق الماء وقوة الشوكة واجتماع الكلمة ونهاية المملكة وكانت بلادهم في الارض مثلا وكانوا على طريقة حسنة من اتباع شرف الاخلاق وطلاب الافضال على القاصد والسفر بحسب الامكان وما توجبه الندرة من الحال فكثروا على ذلك ماشاء الله من الاعصار لا يعاندهم ملك الا قصموه ولا يوافيهم جبار في جيش الا كسروه فذلت لهم البلاد واذعن لطاعتهم العباد فصاروا تاج الارض وكانت المياه التي هي أكثر ما يرد الى أرض سبا تظهر من مخراق من الحجر الصلد والحديد من السد والجبال طول المخراق فيما وصفنا فرسخ وكان وراء السد والجبال أنهار عظام وكان في هذا المخراق الآخذ من تلك الانهار ثلاثون نقبا مستديرة في استدارة الذراع طولا وعرضا مدورة على أحسن هندسة وأكمل تقدير وكانت المياه تخرج من تلك الانقاب في مجاريها حتى تأتي الجبال فترويها سقيا وتم شرب القوم وقد كانت ارض سبا قبل ما وصفنا من العمارة والخصب يركبها السيل من تلك المياه وكان ملك القوم في ذلك الزمان يقرب الحكماء ويدنيهم ويؤثرهم ويحسن اليهم فجمعهم من اقطار الارض للالتجاء الى رأيهم والاخذ من

حويرث بن جبلة بن الايهم الغساني وأبوه مغيث فاتح قرطبة الذى تقدمت ترجمته ثم منصور الخصي وكان أول خصي استعجبه بنو مروان بالاندلس ولم يزل حاجبه الى ان توفي الداخل * ولم يكن للداخل من ينطلق عليه سمة وزير لسكنه عين أشياخا للشاورة والموازرة أولهم أبو عثمان المتقدم الذكر وعبد الله بن خالد السابق الذكر وأبو عبدة صاحب اشبيلية وشهيد بن عيسى بن شهيد مولى معاوية بن مروان بن الحكم وكان من سبي البرابر وقيل انه رومي وبنو شهيد الفضلاء من نسله وعبد السلام بن بسيل الرومي مولى عبد الله بن معاوية ولولده نباهة عظيمة في الوزارة وغيرها وثعلبة بن عبيد بن النظام الجذامي صاحب سرقسطة لعبد الرحمن وعاصم بن مسلم الثقفي من كبار شيعته وأول من خاض النهر وهو عريان يوم الوقعة بقرطبة ولعقبه في الدولة نباهة * وأول من كتب له عند خلوص الامر له واستقلاله بقرطبة كبير نقبائه أبو عثمان وصاحبه عبد الله بن خالد المتقدما الذكر ثم لزم كتابته أمية بن يزيد مولى معاوية بن مروان وكان في عديد من يشاوره أيضا و يفضل امره وآراءه وكان يكتب قبله ليوسف الفهرى وقيل انه ممن اتهم في ممالاة اليزيدى في افساد دولة عبد الرحمن فاتفق أن مات قبل قتل اليزيدى واطلاع عبد الرحمن على الامر * وذكر ابن زيدون ان الداخل ألقى على قضاء الجماعة بقرطبة يحيى بن يزيد اليحصبي فاقره حينا ثم ولى بعده أبا عمرو معاوية بن صالح الحمصي ثم [illegible] بن شراحيل ثم عبد الرحمن بن طريف وكان جدار بن عمرو يقضي في العساكر * وكان الداخل يرتاح لما استقر سلطانه بالاندلس الى أن يفد عليه فل بيته بني مروان حتى يشاهدوا ما أنعم الله تعالى عليه وتظهر يده عليهم فوفد عليه من بني هشام بن عبد الملك أخوه الوليد بن معاوية وابن عمه عبد السلام بن يزيد بن هشام قال ابن حيان وفي سنة ١٦٣ قتل الداخل عبد السلام ابن يزيد بن هشام المعروف باليزيدى وقتل معه من الوافدين عليه عبيد الله بن أبان بن معاوية بن هشام المعروف باليزيدى وهو ابن اخي الداخل وكانا تحت تدبير يبرمانه في طلب الامر فوشي بهما مولى لعبيد الله بن أبان وكان قد ساعدهما على ساهمابه من الخلاف ابو عثمان كبير الدولة فلم ينله ما نالهما وذكر الحجاري ان الداخل كان يقول اعظم ما انعم الله تعالى به علي بعد تمكني من هذا الامر القدرة على ايواء من يصل الي من اقاربي والتوسع في الاحسان اليهم وكبرى في اعينهم وأسماعهم ونفوسهم بما منحني الله تعالى من هذا السلطان الذى لا منة على فيه لاحد غيره وذكر ابن حزم انه كان فيمن وفد عليه ابن اخيه المغيرة بن الوليد بن معاوية فسعى في طلب الامر لنفسه فقتله سنة ١٦٧ وقتل معه من اصحابه هذيل ابن الصميل بن حاتم ونفى أخاه الوليد بن معاوية والد المغيرة المذكور الى العدوة بماله وولده وأهله وفي المسهب حدث بعض موالي عبد الرحمن الخاصين به انه دخل على الداخل اثر قتله ابن أخيه المغيرة المذكور وهو مطرق شديد الغم فرفع رأسه الي وقال ما عجبي الا من هؤلاء القوم سعينا فيما يضعهم في مهاد الامن والنعمة وخاطرنا فيه بحياتنا حتى اذا بلغنا منه الى مطلوبنا ويسر الله تعالى أسبابه أقبلوا علينا بالسيوف ولما آويناهم وشاركناهم فيما أفردنا الله تعالى به حتى أمنوا وردت عليهم أخلاف النعم هزوا أعطافهم وشمخوا بآنافهم

يهلك الزرع ويسوق من جملته البناء فاجمع القوم رأيهم على عمل مصارف الى برارى تقذف به الى البحر واخبروا الملك أن الماء اذا حفرت المصارف الهابطة طلبها وانحدر فيها ولم يترا كم حتى يعلو الجبال لان في طباع الماء طلاب الخفض فحفر الملك المصارف حتى انحدر الماء وانصرف وتدافع الى تلك الجهة وانحدر السيل في الموضع الذى كان فيه بدء جريان الماء من الجبل الى الجبل وجعلوا فيه المخراق على ماوصفنا آنفا ثم اجتذبوا من تلك المياه نهرا مرسلا مقدارا معلوما ينتهي في جريانه الى المخراق ثم ينبعث الماء منه الى تلك الانقاب وهي الثلاثون مخرافا الصغار التي قدمنا ذكرها وكانت البلاد عامرة على ماوصفنا آنفا ثم ان تلك الامم بادت جرت عليها السنون وضربها الدهر بضرباته وطحنها كلكله وعمل الماء في أصول ذلك المخراق وأضعفه ممر السنين عليه وتدافع الماء حوله وقد قيل في المثل اذا أثر تواتر الماء على الحجر الصلد فما ظنك بسيل يتدافع على حديد وحجر مصنوع أهله سكنت أبناء قحطان

وسموا الى العظمى فما زعونا فيما خولنا الله تعالى فخذلهم الله بكفرهم النعم اذ أطلعنا على عوراتهم فعاجلناهم قبل أن يعاجلونا وأدى ذلك الى أن ساء ظننا في البرىء منهم وساء أيضا ظنه فينا وصار يتوقع من تغيرنا عليه ما نتوقع نحن منه وان أشد ما على في ذلك أخي والد هذا المخذول فكيف تطيب لي نفس بمجاورته بعد قتل ولده وقطع رحمه أم كيف يجتمع بصرى مع بصره أخرج له الساعة وأعتذر اليه وهذه خمسة آلاف دينار أدفعها اليه وأعزم عليه في الخروج عني من هذه الجزيرة الى حيث شاء من بر العدوة قال فلما وصلت الى أخيه فوجدته أشبه بالاموات منه بالاحياء فآنسته وعرفته ودفعت له المال وأبلغته الكلام فتأوه وقال ان المشؤم لا يكون بليغا في الشؤم حتى يكون على نفسه وعلى سواه وهذا الولد العاق الذي سعى في حتفه قد سرى ما سعى فيه الى رجل طلب العافيه وقنع بكسر بيت في كنف من يحمل عنه معرة الزمان وكله ولا حول ولا قوة الا بالله لا مرد لما حكم به وقضاه ثم ذكر انه أخذ في الحركة الى بر العدوة قال ورجعت الى الامير فأعلمته بقوله فقال انه نطق بالحق ولكن لا يخدعني بهذا القول عما في نفسه والله لو قدر أن يشرب من دمي ما عف عنه لحظة فالحمد لله الذي أظهرنا عليهم بما نوينا فيهم وأذلهم بما نووه فينا* واعلم انه دخل الاندلس أيام الداخل من بني مروان وغيرهم من بني أمية جماعة كثيرون سرد أسماءهم غير واحد من المؤرخين وذكر أعقابهم بالاندلس ومنهم جزى بن عبد العزيز أخو عمر بن العزيز وسيأتي قريبا* وقد ثار على عبد الرحمن الداخل من أعيان العرب وغيرهم جماعة كثيرون ظفره الله تعالى بهم وقد سبق ذكر بعضهم ومنهم الدعي الفاطمي البربري بشنت مرية فأعيا الداخل أمره وطال شره سنين متوالية الى أن فتك به بعض أصحابه فقتله ومنهم حيوة بن ملابس الحضرمي رئيس اشبيلية وعبد الغفار بن حميد اليحصبي رئيس لبلة وعمرو بن طالوت رئيس باجة اجتمعوا وتوجهوا نحو قرطبة يطلبون دم رئيس اليمانية أبي الصباح فقتلوا في هزيمة عظيمة وقيل نجوا بالفرار فأمنهم الداخل وفي سنة ١٥٧ ثار بسرقسطة الحسين بن يحيى بن سعيد بن عبادة الخزرجي وشايعه سليمان بن يقظان الاعرابي الكلبي رأس الفتن وآل أمرهما الى أن فتك الحسين بسليمان وقتل الداخل الحسين كما مر وفي سنة ١٦٣ ثار الدماحس بن عبد العزيز الكناني بالجزيرة الخضراء فتوجه له عبد الرحمن الداخل ففر في البحر الى المشرق قال ابن حيان كان مولد عبد الرحمن الداخل سنة ١١٣ وقيل في التي قبلها بالعلياء من تدمر وقيل بدير حنا من دمشق وبها توفي أبوه معاوية في حياة أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك وكان قد رشحه للخلافة وبقبر معاوية المذكور استجار الكميت الشاعر حين أهدر هشام دمه وتوفي الداخل لست بقين من ربيع الآخر سنة ١٧١ وهو ابن سبع وخمسين سنة وأربعة أشهر وقيل اثنتان وستون سنه ودفن بالقصر من قرطبة وصلى عليه ابنه عبد الله وكان منصورا مؤيدا مظفرا على أعدائه وقد سردنا من ذلك جملة حتى قال بعضهم ان الراية التي عقدت له بالاندلس حين دخلها لم تهزم قط وان الوهن ما ظهر في ملك بني أمية الا بعد ذهاب تلك الراية قال أكثر هذا مؤرخ الاندلس الثبت الثقة أبو مروان بن حيان رحمه الله تعالى ولا بأس أن نورد زيادة على ما سلف وان تكرر بعض ذلك* فنقول قال بعض المؤرخين من أهل المغرب

والبنيان فقذف به في جريه ورمى به في تياره وذلك ابان زيادة الماء واستولى الماء على تلك الديار والجبال والعمائر والبنيان حتى انقرض سكان تلك الارض وزالوا عن تلك المواطن فهذه جملة من أخبار سيل العرم وبلاد سبا ولا خلاف بين ذوي الدراية منهم أن العرم هو المسناة التي قد أحكموا عملها لتكون حاجزا بين ضياعهم وبين السيل ومجرته فارة ليكون ذلك أظهر في الاعجوبة كما أفار الله تعالى الطوفان من جوف تنور ليكون ذلك أثبت في العبرة وأوعد في الحجة ولا يتناكر اخلاف قحطان من أهل تلك الديار الى هذا الوقت ما كان من العرم لاستفاضته فيهم وشهرته عندهم (وقد فخر) بعض أولاد قحطان في مجلس السفاح بمناقب قحطان من حمير وكهلان على ولد نزار وخالد بن صفوان وغيره من نزار بن معد يسطون بابهة السفاح لان أخواله من قحطان فقال السفاح لخالد بن صفوان ألا تنطق وقد غمرتكم قحطان بشرفها وعلت عليكم بقديم مناقبها فقال خالد ماذا أقول لقوم ليس فيهم الا دابغ جلد أو ناسج برد أو سائس قرد أو راكب عرد أغرقتهم فارة وملكتهم امرأة ودل عليهم هدهد ثم مزقى ذ مهم

بعد كلام ابن حيان الذى قدمناذ كره ما نصه كان الامام عبد الرحمن الداخل راجح العقل راسخ الحلم واسع العلم كثير الحزم نافذ العزم لم ترفع له قط راية على عدو الاهزمه ولا بلد الاافتتحه شجاعا مقداما شديد الحذر قليل الطمأنينة لايخلد الى راحة ولا يسكن الى دعة ولا يكل الامر الى غيره كثير الكرم عظيم السياسة يلبس البياض ويعتم به ويعود المرضى ويشهد الجنائز ويصلى بالناس فى الجمع والاعياد ويخطب بنفسه جند الاجناد وعقد الرايات واتخذ الحجاب والكتاب وبلغت جنوده مائة ألف فارس وملخص دخوله الاندلس انه لما اشتد الطلب على فل بنى أمية بالمشرق من وارثى ملكهم بنى العباس خرج مستترا الى مصر فاشتد الطلب على مثله فاحتال حتى وصل برقة ثم لم يزل متوغلا فى سيره الى أن بلغ المغرب الاقصى ونزل بنفرة وهم أخواله فأقام عندهم أياما ثم ارتحل الى مغيلة بالساحل فارسل مولاه بدرا بكتابه الى مواليهم بالاندلس عبيد الله بن عثمان وعبد الله بن خالد وتمام بن علقمة وغيرهم فاجابوه واشتروا مركبا وجهزوه بما يحتاج اليه وكان الذى اشتراه عبيد الله بن عثمان وأركب فيه بدرا وأعطاه خمسمائة دينار برسم النفقة وركب معه علقمة بن تمام بن علقمة وبينما هو يتوضأ لصلاة المغرب على الساحل اذ نظر الى المركب فى لجة البحر مقبلا حتى أرسى أمامه فخرج اليه بدر سابحا فبشره بما تم له بالاندلس وبما اجتمع عليه الامويون والموالى ثم خرج اليه تمام ومن معه فى المركب فقال له ما اسمك وما كنيتك فقال اسمى تمام وكنيتى أبو غالب فقال تم أمرنا وغلبنا عدونا ان شاء الله تعالى ثم ركبوا المركب معه فنزل بالمنكب وذلك غرة ربيع الاول سنة ١٣٨ فلما اتصل خبر جوازه بالاموية أتاه عبيد الله ابن عثمان وجماعة فتلقوه بالاعظام والاكرام وكان وقت العصر فصلى بهم العصر وركبوا معه الى قرية طرش من كور البيرة فنزل بها وأتاه بها جماعة من وجوه الموالى وبعض العرب فبايعوه وكان من أمره ما يذكر وقيل انه أقام بالبيرة حتى كمل من معه ستمائة فارس من موالى بنى أمية ووجوه العرب فخرج من البيرة الى كورة رية فدخلت فى جماعته ثم بايعته أهلها وأجنادها ثم ارتحل الى شذونة ثم الى مدور ثم سار الى اشبيلية وقال بعضهم لما أراد عبد الرحمن قصد قرطبة عند دخوله الاندلس من المشرق نزل بطشانة فاشاروا عليه أن يعقد له لواء فجاؤا بعمامة وقناة فكرهوا أن يميلوا القناة تطيرا فاقاموها بين شجرتين من الزيتون متجاورتين وصعد رجل على فرع احداهما فعقد اللواء والقناة قائمة وتبرك هو وولده بهذا اللواء فكان بعد أن يبلى لاتحل منه العقدة التى عقدت أولا بل تعقد فوقها الالوية الجدد وهى مستكنة تحتها ولم يزل الامر على ذلك حتى انتهت الدولة الى عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل وقيل الى ابنه محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل فاجتمع الوزراء على تجديد اللواء فلما رأوا تحت اللواء أسمال الاخلاقة ملفوفة معقدة جهلوها فاسترذلوها وأمروا بحلها ونبذها وجددوا غيرها وكان جهور بن يوسف بن بخت شيخهم غائبا فحضر فى اليوم الثانى وطولع بالقصة فانكرها أشد انكار وساءه ما فعلوه وقال ان جهلتم شان تلك الاخلاق فكان ينبغى أن تتوقفوا عن نبذها حتى تسالوا المشايخ وتتفكروا فى أمرها وخبرهم خبرها فتطلبوا تلك الاخلاق فلم توجد ويقال كما قال ابن حيان

الى أن انتهى الى ما كان من قصتهم فى ملك الحبشة وما كان من استنقاذ الفرس اياهم على حسب ما قدمنا آنفا (وقد ذكروا) فى أشعارهم العرم وما كان لسبا وأرض مارب وأن مارب سمة للملك الذى يتملك على هذه البلدة وأن هذا الاسم وقع على هذا البلد فاشتهر به وصار سمة له وقال الشاعر

من سبا الحاضرين مارب اذ يبنون من دون سيله العرما

وقد قيل ان مارب سمة لقصر هذا الملك فى صدر الزمن قال ابو الطمحان فى ذلك

ألم تروا ماربا ما كان حصنه وما حواليه من سور وبنيان
ظل العباد سيقى فوق ثلته ولم يهب ريب دهر حد خوان
حتى تناوله من بعد ما هجعوا ضربا اليه الى أسباب كتان

وقد ذكر الاعشى ما وصفنا حيث يقول فى كلمته

ففى ذلك المؤتسى اسوة بمارب عفى عليها العرم
وحام بناه لهم حمير اذا جاء ماؤهم والم يرم
فاغنى الحروث وأغنى بها على ساعة ماؤهم قد قسم
فطار الفيول وفيالها بها فى فيافى سراب الظلم
وكانوا بذلكم وحقبة * فمال بهم جارف منهزم
فطاروا سراعا وما يقدمو * ن منه لشرب صبى فطم

انه

انه لم يزل يعرف الوهن في ملك بني أمية بالاندلس من ذلك اليوم وقد كان الذي عقده أولا عبد الله بن خالد من موالي بني أمية وكان والده خالد عقد لواء مروان بن الحكم جد عبد الرحمن الاعلى لما اجتمع عليه بنو أمية وبنو كلب بعد انقراض دولة بني حرب على قتال الضحاك بن قيس الفهري يوم مرج راهط فانتصر على الضحاك وقتله ولما عرف الامير بقصة اللواء حزن أشد حزن وانفتقت عليه أثر ذلك الفتوق العظام وكانوا يرون أنها جرت بسبب اللواء لانه لم ينهزم قط جيش كان تحته على ما اقتضته حكمة الله التي لا تتوصل اليها الافكار وتولى حمل هذا اللواء لعبد الرحمن الداخل أبو سليمان داود الانصاري ولم يزل يحمله ولده من بعده الى أيام محمد بن عبد الرحمن ولما تلاقى عبد الرحمن الداخل مع أمير الاندلس يوسف الفهري بالقرب من قرطبة وتراسلا لخادعه يومين آخرهما يوم عرفة من سنة ثمان وثلاثين ومائة أظهر عبد الرحمن قبول الصلح فبات الناس على ذلك ليلة العيد وكان قد أسر خلاف ما أظهر واستعد للحرب ولما أصبح يوم الاضحى لم ينشب أن غشيت الخيل ووكل عبد الرحمن بخالد بن زيد الكاتب رسول يوسف جماعة وأمرهم ان كانت الدائرة عليهم أن يضربوا عنقه والا فلا وكان خالد يقول ما كان شئ في ذلك الوقت أحب الي من غلبة عبد الرحمن الداخل عدوّ صاحبي وركب عبد الرحمن جوادا فقالت اليمانية الذين اعانوه هذا فتى حديث السن تحته جواد وما نأمن أول ردعة يردعها ان يطير منهزما على جواده ويدعنا فاتى عبد الرحمن أحد مواليه فاخبره بمقالتهم فدعا أبا الصباح وكان له بغل أشهب يسميه الكوكب فقال له ان فرسي هذا قلق تحتي لا يمكنني من الرمي فقدم الى بغلك المحمود أركبه فقدمه فلما ركب اطمأن اصحابه وقال عبد الرحمن لاصحابه اي يوم هذا قالوا الخميس يوم عرفة فقال فالاضحى غدا يوم الجمعة والمتزاحفان اموي وفهري والجندان قيس ويمن قد تقابل الاشكال جدا وارجو انه اخو يوم مرج راهط فابشروا وجدوا فذكرهم يوم مرج راهط الذي كانت فيه الوقعة بين جده مروان بن الحكم وبين الضحاك بن قيس الفهري وكانت يوم جمعة ويوم اضحى فدارت الدائرة لمروان على الضحاك فقتل الضحاك وقتل معه سبعون الفا من قبائل قيس واحلافهم وقيل انه لم يحضر مرج راهط من قيس مع مروان غير ثلاثة نفر عبد الرحمن بن مسعدة الفزاري وابن هبيرة المحاربي وصالح الغنوي وكذا لم يحضر مع عبد الرحمن الداخل يوم المصارة غربي قرطبة من قيس غير ثلاثة جابر بن العلاء بن شهاب والحصين بن الدجن العقيليان وهلال بن الطفيل العبدي وكان الظفر لعبد الرحمن وانهزم يوسف وصبر الصميل بن حاتم بعده معذرا وعشيرته يحفونه فلما خاف انهزامهم عنه تحوّل على بغله الاشهب معارضة لعبد الرحمن الداخل فمر به أبو عطاء فقال له يا أبا جوشن احتسب نفسك فان للاشياء أشباها أموي باموي وفهري بفهري وكلبي بكلبي ويوم أضحى بيوم أضحى ويمني بقيسي والله اني لاحسب هذا اليوم بمثل مرج راهط سواء فقال له الصميل كبرت وكبر علمك الآن تجلى العماء ومحرك منتفخ فانثنى أبو عطاء لوجهه منقلبا وانهزم الصميل وملك عبد الرحمن قرطبة ويوسف الفهري هو ابن عبد الرحمن بن حبيب ابن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع القهري باني القيروان وأمير معاوية على افريقية والمغرب

(وقد ذكرنا) في كتابنا أخبار الزمان الملك الذي طال عمره وحسنت سيرته وأنه بنى هذا السد الذي هو المسناة وأن عمره انتهى على عمر النسور عند ذكرنا لطول الاعمار وما أكثرت العرب في صفة طول عمر النسر وضربت به الامثال وبلبد وبصحة بدن الغراب فمن ذلك ما ذكره الخارجي في شعره عند ذكره لطول عمر معاذ بن مسلم بن رجاء مولى القعقاع بن الحكيم من قوله فيه عند ذكره سنه وهرمه وهو

ان معاذ بن مسلم رجل قد صح في طول عمره الابد
قد شاب رأس الزمان واختضب الد هر وأثواب عمره جدد
يا نسر لقمان كم تعيش وكم تلبس ثوب الحياة يا لبد
قد أصبحت دار حمير خربت وأنت فيها كانك الوتد
تسال غربانها اذا حجلت كيف يكون الصداع والرمد

(وقد قدمنا) فيما سلف في مواضع من هذا الكتاب ما قالت الاوائل في علة طول الاعمار وقصرها وعظم الاجسام في بدو الامر وتناقصها على مرور الاعصار ومضى الدهور وأن الله تبارك وتعالى لما بدأ الخلق كانت الطبيعة التي جعلها الله جبلة للاسلام في تمام الاثرة ونهاية القوة والكمال والطبيعة اذا كانت تامة القوة كانت الاعمار أطول

وهو مشهور وأما الصميل فهو ابن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن وقيل الصميل بن حاتم ابن عمرو بن جندع بن شمر بن ذي الجوشن كان جده شمر من اشراف الكوفة وهو أحد قتلة الحسين رضي الله تعالى عنه ودخل الصميل الاندلس حين دخل كلثوم بن عياض المغرب غازيا وسادبها وكان شاعرا كثير السكر أميا لا يكتب ومع ذلك فانتهت اليه في زمانه رياسة العرب بالاندلس وكان أميرها يوسف الفهري كالمغلوب معه وكانت ولاية الفهري الاندلس سنة تسع وعشرين ومائة فدانت له تسع سنين وتسعة أشهر وعنه كما انتقل سلطانها الى بني أمية واستفحل ملكهم بها الى بعد الاربعمائة ثم انتثر سلكهم وباد ملكهم كما وقع لغيرهم من الدول في القرون السالفة سنة الله التي قد خلت في عباده وكانت مدة الامراء قبل عبد الرحمن الداخل من يوم فتحت الاندلس الى هزيمة يوسف الفهري والصميل ستا وأربعين سنة وشهرين وخمسة أيام لان الفتح كان حسبما تقدم لخمس خلون من شوال سنة اثنتين وتسعين وهزيمة يوسف يوم الاضحى لعشر خلون من ذي الحجة سنة ثمان وثلاثين ومائة والله غالب على أمره * وحكي أن عبد الرحمن بن معاوية دخل يوما على جده هشام وعنده أخوه مسلمة بن عبد الملك وكان عبد الرحمن اذ ذاك صبيا فامر هشام أن ينحى عنه فقال له مسلمة دعه يا أمير المؤمنين وضمه اليه ثم قال يا أمير المؤمنين هذا صاحب بني أمية ووزرهم عند زوال ملكهم فاستوص به خيرا قال فلم أزل اعرف مزيته من جدي من ذلك الوقت وكان الداخل يقاس بابي جعفر المنصور في عزمه وشدته وضبط المملكة ووافقه في أن ام كل منهما بربرية وان كلا منهما قتل ابن اخيه اذ قتل المنصور ابن السفاح وقتل عبد الرحمن ابن اخيه المغيرة بن الوليد ابن معاوية * ومن شعر عبد الرحمن وقد رأى نخلة بالرصافة

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة * تناءت بارض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهي في التغرب والنوى * وطول التنائي عن بني وعن اهلي
نشأت بارض انت فيها غريبة * فمثلك في الاقصاء والمنتاى مثلي
سقتك غوادي المزن في المنتاى الذي * يصح ويستمري السماكين بالوبل

وكان نقش خاتمه بالله يثق عبد الرحمن وبه يعتصم واشاع سنة ١٦٣ الرحيل الى الشام لانتزاعها من بني العباس وكتب جماعة من اهل بيته ومواليه وشيعته وعمل على أن يستخلف ابنه سليمان بالاندلس في طائفة ويذهب بعامة من اطاعه ثم اعرض عن ذلك بسبب امر الحسين الانصاري الذي انتزى عليه بسرقسطة فبطل ذلك العزم * ومن شعر عبد الرحمن ايضا قوله يتشوق الى معاهد الشام

ايها الراكب الميمم ارضي * اقر مني بعض السلام لبعضي
ان جسمي كما علمت بارض * وفؤادي ومالكيه بارض
قدر البين بيننا فافترقنا * وطوى البين عن جفوني غمضي
قد قضى الله بالفراق علينا * فعسى باجتماعنا سوف يقضي

وترجمة الداخل طويلة وقد ذكرنا منها ما فيه مقنع انتهى والله تعالى الموفق للصواب وفي بنائه جامع قرطبة يقول بعضهم

الموت الطارئ يكون باعلال قوى الطبيعة فلما كانت القوة أتم كانت والاجسام أقوى لان طرق الاعمار أزيد وكان العالم في اوليته شابه تام العمر ثم لم يزل ينقص أولا أولا لنقصان المادة حتى يكون آخر ما ثمة الطبيعة في تناهي النقص في الاجسام والاعمار (وقد أبى) ما ذكرنا من عظم أجسام الناطقين في صدور الزمان كثير من أهل النظر والبحث ممن تأخر وزعموا أن تأثيرهم في بنيانهم وما ظهر في الارض من أعمالهم يدل على صغر أجسامهم وأنها كانت كاجسامنا لما شاهدوه من مساكنهم وأبوابهم وممراتهم فيما أحدثوه من البنيان والهياكل والديار والمساكن في سائر الارض كديار ثمود ونحتها المساكن في الجبال وحفرها في الحجر الصلد بيوتا صغارا وأبوابا لطافا وكذلك أرض عاد ومصر والشام وسائر بقاع الارض في الشرق والغرب وهذا ان أكثرنا القول فيه طال وان أطنبنا في صفته كثر فلنرجع الآن الى ما نحن عليه عملنا ومن وصفه خرجنا من ذكر سبا ومارب وما كان من الملك في ذلك الوقت وهو عمرو بن عامر وكان للملك عمرو بن عامر المقدم ذكره في هذا الباب أخ كاهن عقيم يقال له عمران وكان

وأبرز في ذات الاله ووجهه * ثمانين القامن لجين وعسجد
وانفقها في مسجد زانه التقى * وقر به دين النبي محمد
ترى الذهب الوهاج بين سموكه * يلوح كلمع البارق المتوقد

*(ومن الوافدين على الاندلس أبو الاشعث الكلبي) دخل الاندلس وكان شيخا مسنا يروى عن امه عن عائشة رضي الله تعالى عنها الا انه كان منددا صاحب دعابة وكان مختصا بعبد الرحمن بن معاوية وله منه مكانة لطيفة يدل بها عليه ولما توفي حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وكانت له من عبد الرحمن خاصة لم تكن لاحد من اهل بيته جعل عبد الرحمن يبكي و يجتهد في الدعاء والاستغفار لحبيب وكان الى جنبه ابو الاشعث هذا قائما وكانت له دالة عليه ودعابة يحتملها منه فاقبل عند استقباره كالمخاطب للمتوفى علانية يقول يا ابا سليمان لقد نزلت بحفرة قلما يغني عنك فيها بكاء الخليفة عبد الرحمن بعده فاعرض عنه عبد الرحمن وقد كاد التبسم يغلبه هكذا ذكره ابن حيان رحمه الله تعالى في المقتبس ونقله عنه الحافظ ابن الابار *(ومن الداخلين الى الاندلس جزي بن عبد العزيز اخو عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه) دخل الاندلس ومات في مدة الداخل وكان من اولياء الله تعالى مقتفيا سبيل اخيه عمر بن عبد العزيز رحمهما الله تعالى *(ومنهم بكر بن سوادة بن ثمامة الجذامي) ويكنى ابا ثمامة وجده صحابي وكان بكر هذا فقيها كبيرا من التابعين روى عن جماعة من الصحابة كعبد الله بن عمرو بن العاص وقيس بن سعد بن عبادة وسهل بن سعد الساعدي وسفيان بن وهب الخولاني وحبان بن سمع الصدائي وقيد اسمه الدارقطني رحمه الله تعالى حبان بكسر الحاء المهملة و بياء معجمة بواحدة ونقله الامير كذلك وهو ممن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد فتح مصر قال ابن يونس ويقال فيه حبان بالكسر وحيان بالفتح أصح انتهى وضبطه بعضهم بالياء المثناة تحت (رجع) وممن روى عنه بكر من الصحابة أبو ثور الفهمي وأبو عميرة المزني وروى عن جماعة من التابعين أيضا كسعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن وعروة بن الزبير وجماعة سواهم يكثر عددهم و يطول سردهم منهم ربيعة بن قيس الجملي وأبو عبد الرحمن الحبلي وزياد بن نعيم الحضرمي وسفيان بن هانئ الجيشاني وسعيد بن شمر السباني وعبد الله بن المستورد بن شداد الفهري وعبد الرحمن بن أوس المزني وزيادة بن نعلبة البلوي وشيبان بن أمية القتباني وعامر بن ذريح الحميري وعمير بن القيض اللخمي وأبو حمزة الخولاني وعياض بن فروخ المعافري ومسلم بن مخشي المدلجي وهانئ بن معاوية الصدفي وغيرهم ممن اشتمل على ذكرهم التاريخان لابن عبد الحكم وابن يونس وممن روى عن بكر المذكور عبد الله بن لهيعة وعمرو بن الحرث وجعفر بن ربيعة وأبو زرعة بن عبد الحكم الافريقي وغيرهم قال ابن يونس توفي بافريقية في خلافة هشام بن عبد الملك وقيل بل غرق في مجاز الاندلس سنة ثمان وعشرين ومائة قال وجده ثمامة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وله بمصر حديث رواه عمرو بن الحرث وقال أبو بكر عبد الله بن محمد القيرواني المالكي في تاريخه المسمى برياض النفوس وقد ذكر بكرا هذا انه كان أحد العشرة التابعين يعني الموجهين الى

بمأرب) وعرف من سيل العرم ان عمران الكاهن أخا عمرو رأى في كهانته ان قومه سوف يمزقون كل ممزق ويباعد بين أسفارهم فذكر ذلك لاخيه عمرو وهو الملك مزيقياء الذي كانت محنة القوم في ايام ملكه والله أعلم بكيفية ذلك وبدا طريفة الكاهنة ذات يوم نائمة اذ رأت فيما يرى النائم ان سحابة غشيت ارضها وارعدت وابرقت ثم صعقت فاحرقت ما وقعت عليه ووقعت الى الارض فلم تقع على شئ الا احرقته ففزعت طريفة لذلك وذعرت ذعرا شديدا وانتبهت وهي تقول ما رايت مثل اليوم قد اذهب عني النوم رايت غيما ابرق وارعد ثم اصعق فما وقع على شئ الا احرق فما بعد هذا الا الغرق فلما راوا ما داخلها من الرعب خفضوها وسكنوها من جاشها حتى سكنت ثم ان عمرو بن عامر دخل حديقة من حدائقه ومعه جاريتان له فبلغ ذلك طريفة فاسرعت نحوه وامرت وصيفا لها يقال له سنان ان يتبعها فلما برزت من باب بيتها عارضها ثلاث مناجد منتصبات على أرجلهن

افريقية من قبل عمر بن عبد العزيز فى خلافته ليفقهوا أهل أفريقية و يعلموهم امر دينهم
قال وأغرب بحديث عن عقبة بن عامر لم يروه غيره فيما علمت حدث عبد الله بن لهيعة عنه عن
عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان رأس مائتين فلا تأمر بمعروف
ولا تنه عن منكر وعليك بخاصة نفسك وحكى المالكى أيضا عن أبى سعيد بن يونس قال
كان فقيها مفتيا سكن القيروان و كانت وفاته كما تقدم وذ كره الحميدى فى الداخلين الى
الاندلس ولم يذ كره ابن الفرضى *(ومنهم زريق بن حكيم أحد المعدودين فى الداخلين الى
الاندلس) ذ كره أبو الحسن بن النعمة عن أبى المطرف عبد الرحمن بن يوسف الرفاء القرطبى
وحكى انه كتب ذلك من خطه وسماه مع جماعة منهم حبان بن أبى جبلة وعلى بن ابى رباح
وأبو عبد الرحمن الحبلى وحنش بن عبد الله الصنعانى ومعاوية بن صالح وزيد بن الحباب
العكلى وانتهى عددهم بزريق هذا سبعة ولم يذ كره ابن الفرضى ولا غيره قاله الحافظ أبو
عبد الله القضاعى *(ومنهم زيد بن قاصد السكسكى) قال ابن الابار وهو تابعى دخل الاندلس
وحضر فتحها وأصله من مصر يروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه وروى
عنه عبد الرحمن بن زياد بن انعم الافريقى ذ كره يعقوب بن سفيان وأورد له حديثا من كتاب
الحميدى انتهى *(ومنهم زرعة بن روح الشامى) دخل الاندلس وحدث عنه ابنه مسلمة بن
زرعة بحكاية عن القاضى مهاجر بن نوفل *(ومنهم محمد بن أوس بن ثابت الانصارى) قال
ابن الابار تابعى دخل الاندلس يروى عن أبى هريرة قرأته بخط ابن حبيش وقال أبو سعيد بن
يونس مؤرخ مصر انه يروى عنه الحرث بن يزيد ومحمد بن عبد الرحمن بن ثوبان وكان غزا
المغرب والاندلس مع موسى بن نصير و يروى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه وقال
الحميدى انه كان من أهل الدين والفضل معروفا بالفقه ولى بحر افريقية سنة ثلاث وتسعين
وغزا المغرب والاندلس مع موسى بن نصير فيما حكاه ابن يونس صاحب تاريخ مصر وكان
على بحر تونس سنة ثنتين ومائة على ما حكاه عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ولما قتل
يزيد بن أبى مسلم والى افريقية اجتمع رأى اهلها عليه فولوه أمرهم وذلك فى خلافة يزيد بن
عبد الملك بن مروان الى أن ولى بشر بن صفوان الكلبى افريقية وكان على مصر فخرج
اليها واستخلف اخاه حنظلة انتهى (ومنهم عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم الاموى) فر من
الشام خوفا من المسودة فعبر بمصر ومضى الى الاندلس وقد غلب عليها الامير عبد الرحمن
ابن معاوية الداخل فاكرمه ونوه به وولاه اشبيلية لانه كان قعدد بنى أمية ثم انه لما وجد
الداخل يدعو لابى جعفر المنصور اشار عليه بقطع اسمه من الخطبة وذ كره بسوء صنيع بنى
العباس ببنى أمية فتوقف عبد الرحمن فى ذلك فما زال به عبد الملك حتى قطع الدعاء له وذلك
انه قال له حين امتنع من ذلك ان لم تقطع الخطبة لهم قتلت نفسى فقطع حينئذ عبد الرحمن
الخطبة بالمنصور بعد أن خطب باسمه عشرة اشهر ولما زحف اهل غرب الاندلس نحو
قرطبة لحرب الامير عبد الرحمن انهض اليهم عبد الملك هذا فنهض فى معظم الجيش وقدم ابنه
امية أمامه فى اكثر العساكر فحالطهم امية فوجد فيهم قوة فخاف الفضيحة معهم فانحاز
منهزما الى ابيه فلما جاءه سقط فى يده وقال له ما حملك على ان استخففت بى وجرات الناس على

واضعات ايديهن على
وضعت يدها على عينها
وقعدت وقالت لوصيفها
اذا ذهبت هذه المناجد
عنا فاعلمنى فلما ذهبت
اعلمها فانطلقت مسرعة
فلما عارضها خليج الحديقة
التى فيها عمرو وثبت من
الماء سلحفاة فوقعت على
الطريق على ظهرها وجعلت
تريد الانقلاب فلا تستطيع
فتستعين بذنبها وتحثو
التراب على بطنها وجنبها
وتقذف بالبول فلما
رأتها ظريفة جلست الى
الارض فلما عادت السلحفاة
الى الماء مضت الى ان
دخلت على عمرو الحديقة
حين انتصف النهار فى
ساعة شديد حرها فاذا
الشجر تتكفأ من غير ريح
فقعدت حتى دخلت على
عمرو ومعه جاريتان على
الفراش فلما رآها استحيا
منها وأمر الجاريتين فنزلتا
عن الفراش ثم قال لها هلمى
يا ظريفة الى الفراش
فتكهنت وقالت والنور
والظلماء والارض والسماء
ان الشجر لهالك وسيعود
الماء لما كان فى الدهر
السالف قال عمرو ومن
خبرك بهذا قالت أخبرنى
المناجد بسنين شدائد
يقطع فيها الوالد الواحد قال ما تقولين قالت أقول قول الندمان لهفا

والعدو وان كنت فررت من الموت فقد جئت اليه فامر بضرب عنقه و جمع اهل بيته وخاصته
وقال لهم طردنا من المشرق الى أقصى هذا الصقع ونحسد على لقمة تبقى الرمق اكسروا جفون
السيوف فالموت أولى أو الظفر ففعلوا وحملوا وتقدمهم فهزم اليمانية وأهل اشبيلية ولم تقم
بعدها لليمانية قائمة وقتل بين الفريقين ثلاثون ألفا وجرح عبد الملك فأتاه عبد الرحمن
وجرحه يجري دما وسيفه يقطر دما وقد لصقت يده بقائم سيفه فقبل بين عينيه وجزاه خيرا
وقال له يا ابن عم قد أنكحت ابني وولي عهدي هشاما ابنتك فلانة وأعطيتها كذا وكذا
واعطيتك كذا ولاولادك كذا وأقطعتك واياهم كذا ووليتكم الوزارة * ومن شعره لما نظر
نخلة منفردة باشبيلية فتذكر وطنه بالشام وقال

يا نخل أنت فريدة مثلي * في الارض نائية عن الاهل
تبكي وهل تبكي مكممة * عجماء لم تجبل على جبل
ولو انها عقلت اذا لبكت * ماء الفرات ومنبت النخل
لكنها حرمت وأخرجني * بغضي بني العباس عن أهلي

* (ومن الداخلين من المشرق الى الاندلس هاشم بن الحسين بن ابراهيم بن جعفر بن محمد بن
علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم أجمعين) ونزل حين دخوله بلبلة
وتعرف منازلهم فيها بمنازل الهاشمي وذكره أمير المؤمنين الحكم المستنصر في كتابه
انساب الطالبيين والعلويين القادمين الى المغرب * (ومن الداخلين الى الاندلس عبد الله
ابن المغيرة الكناني حليف بني عبد الدار) سماه أبو محمد الاصيلي الفقيه في الداخلين الاندلس
من التابعين حكى ذلك عنه أبو القاسم بن بشكوال في مجموعه المسمى بالتنبيه والتعيين قال ابن
الابار وما أراه يتابع عليه وذكره أبو سعيد بن يونس من أهل افريقية انتهى وذكر انه روى
عن سفيان بن وهب الخولاني (ومنهم عبد الله المعمر الذي طرأ على الاندلس في آخر الزمان
وكان يزعم انه لقي بعض التابعين) قال ابن الابار وروى عنه أبو محمد أسد الجهني ذكر ذلك القسي
وفيه عندي نظر انتهى (ومنهم أبو عمرو عبد الرحمن بن شماسة بن ذئب المهري) روى عن أبي
ذر وقيل عن أبي نضرة عن أبي ذر وعائشة وعمرو بن العاص وابنه عبد الله وزيد بن ثابت
وأبي نضرة الغفاري وعقبة بن عامر الجهني وعوف بن مالك الاشجعي ومعاوية بن حديج
ومسلمة بن مخلد وأبي رهم ذكره ابن يونس في تاريخ مصر وسماه ابن بشكوال في الداخلين
الاندلس من التابعين وروى ذلك عن الحميدي قاله ابن الابار وقال ابن يونس وآخر من
حدث عنه بمصر حرملة بن عمران (ومن الداخلين الى الاندلس من المشرق عبد الله بن سعيد
ابن عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه) وقد ذكره ابن حيان في مقتبسه وأخبر أن يوسف بن
عبد الرحمن الفهري كتب له أن يدافع عبد الرحمن المرواني الداخل للاندلس وكان المذكور
اذ ذاك أميرا على اليمانية من جند دمشق وانه ركن اليه في محاربة عبد الرحمن لما بين بني
عمار وبني أمية من الثار بسبب قتل عمار بصفين وكان عمار رضي الله تعالى عنه من شيعة
علي كرم الله وجهه وهذا عبد الله بن سعيد هو جد بني سعيد أصحاب القلعة الذين منهم عدة
رؤساء وامراء وكتاب وشعراء ومنهم صاحب المغرب وغير واحد ممن عرفنا به في هذا

قد رايت سلحفاة تجرف التراب جرفا وتقذف بالبول قذفا فدخلت الحديقة فاذا الشجر يتكفا قال عمرو متى ترين ذلك قالت هي داهية كبيرة ومصائب عظيمة لامور جسيمة قال وما هي قالت أجل ان لي الويل ومالك فيها من نيل فلي ولك الويل مما يجيء به السيل فالقى عمرو نفسه على الفراش وقال ما هذا يا ظريفة قالت هو جلل جليل وحزن طويل وخلف قليل والقليل خير من تركه قال عمرو وما علامة ذلك قال تذهب الى السد فاذا رايت جرذا يكثر في السد الحفر ويقلب برجليه من الجبل الصخر فاعلم ان النقر عقر وانه قد وقع الامر قال وما هذا الامر الذي يقع قالت وعد الله نزل وباطل بطل ونكال بنا نزل فتعمده يا عمرو فليكن الثكل فانطلق عمرو الى السد يحرسه فاذا الجرذ يقلب برجليه صخرة ما يقلبها خمسون رجلا فرجع الى ظريفة فاخبرها الخبر وهو يقول

ابصرت امرا عادني منه الم * وهاج لي من هوله برح السقم
من جرذ كفعل خنزير اجم * اوتيس صرم من افاوين الغنم
يسحب صخرا من جلاميد العرم * له مخاليب وانياب قطم
ما فاته سحلا من الصخر قصم * كانما يرعى حشيرا من سلم

الكتاب ومن مشاهيرهم أبو بكر محمد بن سعيد بن خلف بن سعيد صاحب أعمال غرناطة في مدة الملثمين قال وهو القائل يفتخر

ان لم أكن للعلاء أهلا * بما تراه فمن يكون
فكل ما أبتغيه دوني * ولي على همتي ديون
ومن يرم ما يقل عنه * فذلك من فعله جنون
فرع بأفق السماء سام * وأصله راسخ مكين

وقوله

الله يعلم انى * أحب كسب المعالي
وانما اتواني * عنها لسوء المآل
تحتاج للكد والبذ * ل واصطناع الرجال
دع كل من شاء يسمو * لها بكل احتيال
فالظلم في انعكاس * بها وحالي حالي

وتراجمهم واسعة وقد بسطت في المسهب والمغرب وغيرهما وقد قدمنا في الباب قبل هذا من أخبار بني سعيد هؤلاء ما يثلج الصدر فليراجع * (ومن الوافدين على الاندلس من المشرق ابو زكريا عبد الرحيم بن أحمد بن نصر بن اسحق بن عمرو بن مزاحم بن غياث التميمي البخاري الحافظ نزيل مصر) سمع ببخارى بلده من ابراهيم بن محمد بن يزداد وأخيه أحمد وكانا يرويان معا عن عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي وعن أبي الفضل السليماني ببيكند وأبي عبد الله محمد بن أحمد المعروف بغنجار وأبي يعلى حمزة بن عبد العزيز المهلبي وأقرانه باليمن وأبي القاسم تمام بن محمد الرازي بدمشق وابن أبي كامل باطرابلس الشام وأبي محمد عبد الغني ابن سعيد الحافظ بمصر وله رواية عن أبي نصر الكلاباذي وأبي عبد الله الحاكم وأبي بكر ابن فورك المتكلم وأبي العباس بن الحاج الاشبيلي وأبي القاسم علي بن أحمد الخزاعي صاحب الهيثم بن كليب وأبي الفضل العباس بن محمد الحداد التنيسي وأبي الفتح محمد بن ابراهيم بن الجحدري وأبي بكر محمد بن داود العسقلاني وهلال الحفار وصدقة بن محمد بن مروان الدمشقي ولقي بافريقية العابد ولي الله سيدي محرز بن خلف التميمي مولاهم وصحبه وقال لقد هبته يوم لقيته هيبة لم أجدها لاحد في نفسي من الناس ودخل الاندلس وبلاد المغرب وكتب بها عن شيوخها ولم يزل يكتب الى ان مات حتى كتب عمن دونه وله رسالة الرحلة وأسبابها وقول لا اله الا الله وثوابها فسمع منه أبو عبد الله الرازي وذكره في مشيخته قال الحافظ ابن الابار ومنها نقلت اسمه وتعرفت دخوله الاندلس وحدث عنه هو وجماعة منهم أبو مروان الطبني وقال هو من الرحالين في الآفاق أخبرني انه يحدث عن مئين من أهل الحديث وأبو عبد الله الحميدي وأبو بكر الطليطلي وأبو عبد الله بن منصور الحضرمي وأبو سعيد الرهاوي وأبو محمد جعفر بن محمد السراج وأبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الباقي وأبو الحسن بن مشرف الانماطي وأبو الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي وأبو محمد شعيب بن سبعون الطرطوشي وأبو بكر بن نعمة العابر وأبو الحسن علي بن الحسين الموصلي الفراف وأبو عثمان سعد

ابن

فقالت له ظريفة ان من علامة ما ذكرت لك ان تجلس في مجلسك بين الجنتين ثم تأمر بزجاجة فتوضع بين يديك فانها ستمتلئ بين يديك من تراب البطحاء من سهله الوادي ورمله وقد علمت ان الجنان مظللة ما يدخلها شمس ولا ريح فقام عمرو بزجاجة فوضعت بين يديه فلم تمكث الا قليلا حتى امتلأت من تراب البطحاء فذهب عمرو الى ظريفة فاخبرها بذلك وقال متى ترين هلاك السد قالت فيما بينك وبين السبعين سنة قال ففي أيها يكون قالت لا يعلم ذلك الا الله تعالى ولو علمه أحد لعلمته ولا ياتي عليك ليلة فيما بينك وبين السبعين سنة الا ظننت هلاكه في غدها او في تلك الليلة ورأى عمرو في النوم سيل العرم وقيل له ان آية ذلك ان ترى الحصباء قد ظهرت في سعف النخل فذهب الى سرب النخل وسعفه فوجد الحصباء قد ظهرت فيها فعلم ان ذلك واقع بهم وان بلادهم ستخرب فكتم ذلك واخفاه وأجمع ان يبيع كل شئ له بارض سبا ويخرج منها هو وولده ثم خشي ان يستنكر ذلك فصنع طعاما وأمر بابل فنحرت وبغنم فذبحت وصنع طعاما واسعا ثم بعث الى أهل مارب أن عمرا صنع يوم مجد وذكر فاحضروا

ابن عبد الله الحيدري من شيوخ السلفي وأبو محمد عبد الكريم بن حمزة بن الخضر السلمي
وأبو اسحق الكلاعي من شيوخ أبي بحر الاسدي وأبو محمد بن عتاب كتب اليه بجميع ما رواه
ولم يعرف ذلك في حياته وسماه أبو الوليد بن الدباغ في الطبقة العاشرة من طبقات أئمة المحدثين
من تاليفه مع أبي عمر بن عبد البر وابي محمد بن حزم وأبي بكر بن ثابت الخطيب وذكره أبو
القاسم بن عساكر في تاريخه وقال سمع بما وراء النهر والعراق ومصر واليمن والقيروان ثم
سكن مصر وقدم دمشق قديما وحدث بها وسمى جماعة كثيرة من الرواة عنه وحكى انه قال لي
ببخارى اربعة عشر ألف جزء حديث أريد ان امضي وأجيء بها قال وسئل عن مولده فقال
في شهر ربيع الاول سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة قال وتوفي بالحوراء سنة احدى وسبعين
واربعمائة رحمه الله تعالى ورضي عنه انتهى قلت والذي اعتقده انه لم يدخل الاندلس
من اهل المشرق احفظ منه للحديث وهو ثقة عدل ليس له مجازفة والحق ابلج *(ومن
دخل الاندلس من المشرق عبد الجبار بن ابي سلمة الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن بن
عوف القرشي) الزهري دخل الاندلس مع موسى بن نصير وكان على ميسرة معسكره
ونزل باجة ثم بطليوس ومن نسله الزهريون الاشراف الذين كانوا باشبيلية
انتقلوا الى سكناها قديما هكذا في خبر القاضي أبي الحسين الزهري منهم عن أبي بكر بن خير
وغيره قال ابن بشكوال في مجموعه المسمى بالتنبيه والتعيين لمن دخل الاندلس من
التابعين عبد الجبار بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف من التابعين وقع ذكره في كتاب
شيخنا أبي الحسن بن مغيث انتهى قال ابن الابار ولم يزد على هذا انتهى *(ومن
الداخلين الى الاندلس من المشرق أبو محمد عبد الوهاب بن عبد الله بن عبد الوهاب) من أهل
مصر وسكن بغداد ويعرف بالطندتائي قرية بمصر نسب اليها روى عن أبي محمد
الشارمساحي وتفقه به وقدم الاندلس رسولا بزعمه من عند الخليفة العباسي فسكن مرسية
ودرس بها وخرج منها سنة اثنتين واربعين وستمائة بعد ان تملكها النصارى صلحا واسر
بناحية صقلية قال ابن الابار ثم بلغني انه تخلص ولحق ببلده رحمه الله تعالى *(ومنهم
عبد الخالق بن ابراهيم الخطيب يكنى أبا القاسم) قال ابن الابار لا اعرف موضعه من بلاد
المشرق وكان اديبا قوي العارضة مطبوع الشعر مديد النفس ومن شعره من قصيدة
صنعها في وقت رحلته الى الاندلس قوله

على الذل اوفاحلل عقال الركائب * وللضيم اوفاحلل صدور الكتائب
فما حياة بعد ادراك منية * وما ممات تحت عز القواضب
فما العيش في ظل الهوان بطيب * وما الموت في سبل العلاء بعائب

*(ومنهم ابو محمد عبد اللطيف بن أبي الطاهر احمد بن محمد بن هبة الله الهاشمي الصدفي) من
أهل بغداد يعرف بالنرسي دخل الاندلس وكان يزعم انه روى عن أبي الوقت السجزي
وأبي الفرج الجوزي وغيرهما وله تاليف سماه بالدليل في الطريق من اقاويل اهل
التحقيق ذكره ابو عبد الله محمد بن سعيد الطراز وضعفه بعد ما سمع منه أخذ عنه وسمع منه
هو وابو القاسم عبد الرحمن بن القاسم المغيلي وغيرهما وقال ورد علينا غرناطة قريبا من

طعامه ثم دعا بناله يقال له مالك ويقال بل كان يتيما في حجره فقال اذا جلست
أطعم الطعام الناس فاجلس
عندي ونازعني الحديث
واردد علي وافعل بي مثل
ما أفعله بك وجاء أهل مأرب
فلما جلسوا أطعم الناس
وجلس عنده الذي أمر به
فجعل ينازعه الحديث ويرد
عليه فضرب عمرو وجهه
وشتمه فصنع الصبي بعمرو
مثل ما صنع فقام عمرو
وصاح واذلاه يوم فخر عمرو
ومجده يضرب وجهه صبي
وحلف ليقتلنه فلم يزالوا
بعمرو حتى تركه ففي ذلك
قال حاجر الازدي
يا رب لطمة غدر قد سخنت
بها
بكف عمرو التي بالغدر قد
عرفت
ثم قال والله لا أقيم ببلدة
صنع هذا بي فيه ولا بيعن
عقاري فيه وأموالي فقال
الناس بعضهم لبعض
اغتنموا غضبة عمرو
واشتروا منه أمواله قبل أن
يرضى فابتاع الناس منه
جميع ماله بارض مأرب
وفشا بعض حديثه فيما
بلغه من شان سيل العرم
فخرج ناس من الازد وباعوا
أموالهم فلما أكثروا البيع
استنكر ذلك الناس
فامسكوا بايديهم فلما
اجتمعت الى عمرو بن عامر
أمواله أخبر الناس بشان
سيل العرم فقال أخوه عمران الكاهن قد رأيت انكم ستمزقون كل ممزق وبباعد بين أسفاركم واني

أصف لكم البلدان فاختاروا أيها شئتم ١٢ فمن أعجبه منكم صفة بلد فليصر اليها ومن كان منكم ذا هم بعيد وجمل شديد فليلحق بقصر عمان المشيد قال ومن كان منكم ذا هم بعيد وجمل غير شديد فليلحق بالشعب من كرود قال وهى أرض همدان فلحق به وادعة بن عمر فانتسبوا فيهم وقال الكاهن ومن كان منكم ذا حاجة ووطر ونظر وصبر على أزمات الدهر فليلحق ببطن مر وكان الذين سكنوه خزاعة لانخزاعها فى ذلك الموضع عمن كان معها من الناس وهم بنو عمرو بن لحى فتخزعت هنالك الى هذه الغاية وفى ذلك يقول حسان بن ثابت

ولما هبطنا بطن مر تخزعت خزاعة منا فى ملوك كراكر فى شعر له طويل ومالك وأسلم وبنو قصى بن حارثة ابن عمرو بن مزيقياء وقال الكاهن ومن كان يريد الراسيات فى الوحل المطعمات فى المحل فليلحق بيثرب ذات النخل وهى المدينة وكان الذين سكنوها الاوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن مزيقياء قال الكاهن ومن كان يريد منكم الخمر والخمير والديباج والحرير والامر والتدبير فليلحق ببصرى وحفير وهى أرض الشام قال الكاهن ومن كان منكم يريد الثياب الرقاق والكنوز والارزاق

سنة ثلاث عشرة وستمائة وتوفى عفا الله تعالى عنه باشبيلية قريبا من هذا التاريخ وقال فيه ابو القاسم بن فرقد عبد اللطيف بن عبد الله الهاشمى البغدادى النرسى منسوب الى قرية من قرى بغداد سمع صحيح البخارى من ابى الوقت السجزى وروى عن غيره وله تآليف قال ابن الابار فى التصوف منها تاليف فى اباحة السماع قرأت عليه أكثره وقرأت عليه عوالى النقيب بمدينة اشبيلية بحومة القصر المبارك عام خمسة عشر وستمائة * (ومنهم ابو بكر عمر بن عثمان بن محمد بن احمد الخراسانى الباخرزى المالينى يكنى ابا بكر) سمع من ابى الخير احمد بن اسمعيل الطالقانى القزوينى وابى يعقوب يوسف بن عمر بن احمد الخالدى الزنجانى وقدم الاندلس وحدث بصحيفتى الاشج وجعفر بن نسطور الرومى وسمع منه بغرناطة ومرسية وغيرهما من بلاد الاندلس حدث عنه ابو القاسم الملاحى وسمع منه بمالقة ابو جعفر بن عبد الجبار وابو على بن هاشم فى صفر سنة ٦٠٠ ومولده فى ربيع الاول سنة ٥٦٠ انتهى من تكملة ابن الابار قلت ولا يخفى على من له بصر بعلم الحديث أن الاشج وابن نسطور لا يلتفت اليهما ويرحم الله تعالى السلفى الحافظ اذ قال

حديث ابن نسطور وقيس ويغنم * وبعد أشج الغرب ثم خراش
ونسخة دينار ونسخة تربه * أبى هدبة القيسى شبه فراش

قال ابن عات كان الحافظ السلفى اذا فرغ من انشاد هذين البيتين ينفخ فى يديه اشارة الى أن هذه الاشياء كالريح انتهى * (ومن الوافدين على الاندلس من أهل المشرق على بن بندار ابن اسمعيل بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكى من أهل بغداد قدم الاندلس) تاجرا سنة سبع وثلاثين وثلثمائة وكان قد أخذ عن أبى الحسن عبد الله بن أحمد بن محمد بن المغلس الفقيه الداودى وتلمذ له وسمع منه الموضح والمنجح من تآليفه فى الفقه وماتم له من أحكام القرآن هكذا نقله الحافظ ابن حزم عن أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله المعتنى بهذا الشان رحمه الله تعالى (ومنهم أبو العلاء عبيد بن محمد بن عبيد أبو العلاء النيسابورى) لقيه الحافظ أبو على الصدفى ببغداد وأخذ عنه اذ قدمها حاجا وهو يحدث عن أبى سعيد عبد الرحمن ابن أحمد البصروى قال أبو على وأراه دخل الاندلس ويغلب على ظنى أنى لقيته بسرقسطة ذكر ذلك القاضى عياض فى المعجم من تآليفه والله تعالى أعلم * (ومنهم سهل بن على بن عثمان التاجر النيسابورى يكنى أبا نصر) سمع جماعة من الخراسانيين وغيرهم منهم أبو بكر أحمد بن خلف الشيرازى وأبو الفتح السمرقندى وأدرك الامام أبا المعالى الجوينى وحضر مجلسه ودرسه ولقى بعده أصحابه القشيرى والطوسى وغيرهما وكان شافعى المذهب ذكره عياض وقال حدثنى بحكايات وفوائد وأنشدنى لابى طاهر السلفى وأجازنى جميع رواياته وحدثنى ان وفاة أبى المعالى كانت بنيسابور سنة خمس أو أربع وسبعين وأربعمائة وقال أبو محمد العثمانى انشدنى ابو نصر سهل بن على النيسابورى الحقوانى قال أنشدنا ابو الفتح نصر ابن الحسن انشدنا ابو العباس العذرى قال انشدنا ابو محمد بن حزم الحافظ لنفسه

ولما رأيت الشيب حل مفارقى * نذيرا بترحال الشباب المفارق

رجعت

رجعت الى نفسى فقلت لها انظرى * الى ما اتى هذا ابتداء الحقائق
دعى دعوات اللهو قد فات وقتها * كما قد أفات الليل نور المشارق
دعى منزل اللذات ينزل اهله * وجدى لما تدعى اليه وسابقى

قال عياض توفى سهل هذا غريقا فى البحر منصرفا الى بلده من المرية رحمه الله تعالى *(ومنهم ابو المكارم هبة الله بن الحسين المصرى) كان من اهل العلم عارفا بالاصول حافظا للحديث متيقظا حسن الصورة والشارة دخل الاندلس وولى قضاء اشبيلية منها آخر شعبان سنة تسع وسبعين وخمسمائة قال ابن الابار وبه صرف ابو القاسم الخولانى واقام بها سنة وحضر غزوة شنترين وكان قدوم ابى المكارم هذا الاندلس خوفا من صلاح الدين يوسف بن ايوب فى قوم من شيعة العبيدى ملك مصر ووفد ايضا معه ابو الوفاء المصرى ثم استصحبه امير المؤمنين يعقوب المنصور معه فى غزوة قفصة الثانية وولاه حينئذ قضاء تونس وكان قد ولى قضاء فاس وولى ايضا ابو الوفاء صاحبه القضاء وتوفى وهو متولى قضاء تونس سنة ست وثمانين وخمسمائة رحمه الله تعالى (ومنهم يحيى بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن عبد الله القيسى الدمشقى) أصله من دمشق وبها ولد ويعرف بالاصبهانى فى مجلس أبى طاهر السلفى لدخوله اياها واقامته بها أزيد من خمسة أعوام لقراءة الخلافيات ويكنى أبا زكريا وسمع بها شرف أبا بكر بن ماشاده السكى وأبى الرشيد بن خالد البيع وأبا الطاهر السلفى وغيرهم وقصد المغرب بعد أداء الفريضة واتى بجاية أبا محمد عبد الحق الاشبيلى واجازه وحضه على الوعظ والتذكير فامتثل ذلك ودخل الاندلس وتجول ببلادها واستوطن غرناطة منها وكان فقيها على مذهب الشافعى عارفا بالاصول والتصوف زاهدا ورعا كثير المعروف والصدقة يعظ الناس ويسمع الحديث ولم يكن بالضابط فيما قاله الحافظ ابن الابار قال وله كتاب الروضة الانيقة من تاليفه حدث عنه جماعة من الجلة منهم أبو جعفر بن عميرة الضبى وابنا حوط الله أبو محمد وابو سليمان وأبو القاسم الملاحى وابو العباس بن الجيار وأبو الربيع بن سالم وقال أنشدنى عند توديعى اياه بغرناطة قال سمعت بعض المذكورين ينشد

يا زائرا زار وما زارا * كأنه مقتبس نارا
مر بباب الدار مستعجلا * ماضره لو دخل الدارا
نفسى فداءك من زائر * ما زار حتى قيل قد سارا

وسمع منه أبو جعفر بن الدلال كتاب المعالم للخطابى فى شرح سنن أبو داود بقراءة جميعه عليه ومولده فى شوال سنة ثمان وأربعين وخمسمائة وتوفى بغرناطة بعد أن سكنها يوم الاثنين سادس شوال سنة ثمان وستمائة قال ابن الابار وفى هذا اليوم بعينه كانت وفاة شيخنا أبى عبد الله بن نوح ببلنسية رحمهما الله تعالى *(ومن الوافدين من المشرق الى الاندلس اسمعيل بن عبد الرحمن بن على القرشى) من ذرية عبد بن زمعة أخى سودة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها رحل من مصر الى الاندلس فى زمن السلطان الحاكم المستنصر بالله أعوام الستين وثلثمائة حين ملك بنو عبيد مصر وأظهروا فيها معتقدهم الخبيث فحل يومئذ من

وولده ومن كان بالحيرة من غسان على حسب ما قدمنا آنفا فيما سلف من هذا الكتاب (قال هشام ابن الكلبى) وأما أبى فكان يقول انما نزل بالحيرة من غسان مع تبع بعد ذا بزمان ثم خرج عمرو بن عامر مزيقياء فسكنوا همدان وتخلف مالك بن اليمان بن فهم ابن عدى بن عمرو بن مازن ابن الازد وكان بعدهم بمأرب ملكا الى أن كان من أمرهم ما كان فى الهلاك ثم ساروا حتى اذا كانوا بنجران تخلف أبو حارثة ابن عمرو بن عامر مزيقياء وعيل بن كعب بن أبى حارثة فانتسبوا الى مذحج قال أبو المنذر ويقال ان أبا حارثة هو جد الحرث بن كعب بن أبى حذيفة الذى بنجران والله أعلم ثم سار عمرو بن عامر حتى اذا كان بادنى السماة ومكة قام هنالك أناس من بنى نصر من الازد وأقام معهم عمران بن عامر الكاهن أخو عمرو بن عامر مزيقياء وعدى بن حارثة بن عمرو مزيقياء وسار عمرو بن عامر وبنو مازن حتى نزلوا بين بلاد الاشعريين وعك على ماء يقال له غسان بين واديين يقال لهما زبيد ورمع وهما ماء بين صعدة ويقال له صعيد الحسك وبين الجبال التى تدفع به فى زبيد

الحكم المستنصر محل الرحب والسعة ولما ثارت الدولة العامرية أوى الى اشبيلية واوطنها دارا واتخذها قرارا و بها لقيه ابو عمر بن عبد البر علامة الاندلس فدرس عليه واقتبس عما لديه وقد ذكره فى تاريخ شيوخه ولم يزل عقبه بها الى ان نجم منهم ابو الحسين سالم بن محمد بن سالم وهو من رجال الذخيرة وله نثر كما تفتح الزهر وتدفق البحر ونظم كما اتسق الدر وسفرت عن محاسنها الانجم الغر فمن نظمه قوله

خليلى هل ليلى ونجد كعهدنا * فيا حبذا ليلى و ياحبذا نجد

عسى الدهر أن يقضى لنا بالتفاتة * فيارب عهد قد تجدده بعد

وله اثناء رسالة

قوس العلا وضعت فى كف باريها * وأسهم الخطب عادت نحو راميها

وانما الشمس لاحت فى مطالعها * بلى واجرى جياد الخيل مجريها

ونشا هذا النجم الثاقب والصيب الساكب وقد اخذ من العلوم فى غير مأخذ وحقق فيه كل ماظن وذكره فى المسهب وسمط الجمان وفضله اشهر رحمه الله تعالى *(ومنهم ابو على القالى صاحب الامالى والنوادر) وفد على الاندلس ايام الناصر امير المؤمنين عبد الرحمن فامر ابنه الحكم وكان يتصرف عن امر ابيه كالوزير عامله ابن رماحس ان يجيء مع ابى على الى قرطبة و يتلقاه فى وفد من وجوه رعيته ينتخبهم من بياض اهل الكورة تكرمة لابى على ففعل وسار معه نحو قرطبة فى موكب نبيل فكانوا يتذاكرون الادب فى طريقهم و يتناشدون الاشعار الى ان تجاوروا يوما وهم سائرون ادب عبد الملك بن مروان ومساءلته جلساءه عن افضل المناديل وانشاده بيت عبدة بن الطبيب

ثمت قمنا الى جرد مسومة * أعرافهن لأيدينا مناديل

وكان الذاكر للحكاية الشيخ أبا على فانشد الكلمة فى البيت اعرافها لايدينا مناديل فانكرها ابن رفاعة الالبيرى وكان من أهل الادب والمعرفة وفى خلقه سرج وزعارة فاستعاد أبا على البيت متثبتا مرتين فى كلتيهما أنشده اعرافها فلوى ابن رفاعة عنانه منصرفا وقال مع هذا يوفد على أمير المؤمنين و يتجشم الرحلة لتعظيمه وهو لا يقيم وزن بيت مشهور بين الناس لاتغلط الصبيان فيه والله لا تبعته خطوة وانصرف عن الجماعة وندبه أميره ابن رماحس أن لا يفعل فلم يجد فيه حيلة وكتب الى الحكم يعرفه و يصف له ماجرى لابن رفاعة و يشكوه فاجابه على ظهر كتابه الحمد لله الذى جعل فى باديتنا من بواديتنا من يخطئ وافد أهل العراق الينا وابن رفاعة أولى بالرضا عنه من السخط فدعه لشأنه واقدم بالرجل غير منتقص من تكرمته فسوف يعليه الاختبار ان شاء الله تعالى أو يحطه و بعض المؤرخين يزعم أن وفادة أبى على القالى انما كانت فى خلافة الحكم المستنصر بالاندلس لافى خلافة أبيه الناصر والصواب ان وفادته فى أيام الناصر لما ذكره غير واحد من حضوره وعيه عن الخطبة يوم احتفال الناصر لرسول الافرنج كما المعنا به فى غير هذا الموضع وفى القالى يقول شاعر الاندلس الرمادى

من حاكم بينى و بين عذولى * الشجو شجوى والعويل عويلى

امامالت فانا معشر نجب الازد نسبتنا والماء غسان والذين سموا غسان من بنى مازن الاوس والخزرج ابنا ثعلبة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن الازدى (وللقوم أخبار) فى تفرقهم ومن دخل منهم فى معد بن عدنان وما كان بينهم من الحروب الى أن ظفرت بهم بنو معد فاخرجتهم الى أن لحقوا بالسراة والسراة جبل الازد الذين يقال لهم السراة و يقال له الحجاز وانما سمى السراة من هذا الجبل ظهره فيقال لظهره السراة كما يقال لظهر الدابة السراة فاقاموا به وكانوا فى سهله وجبله وما قاربه وهو جبل على تخوم الشام وفرز بينه و بين الحجاز عمايلى أعمال دمشق والاردن و بلاد فلسطين وتلا جبل حرا (وقد كان) أهل مارب يعبدون الشمس فبعث الله اليهم رسلا يدعونهم الى الله ويزجرونهم عما هم عليه ويذكرونهم آلاء الله ونعمته عليهم فجحدوا قولهم وردوا كلامهم وأنكروا أن لله عليهم نعمة وقالوا لهم ان كنتم رسلا فادعوا الله أن يسلبنا ما أنعم به علينا ويذهب عنا ما أعطانا وفى ذلك تقول امرأة منهم

في أي جارحة أصون معذبي * سلمت من التعذيب والتنكيل
ان قلت في بصري فثم مدامعي * أو قلت في قلبي فثم غليلي
لكن جعلت له المسامع موضعا * وحجبتها عن عذل كل عذول

ولما سمع المتنبي البيت الثاني قال يصونه في استه وكان الرمادي لما سمع قول المتنبي

كفى بجسمي نحولا أنني رجل * لولا مخاطبتي اياك لم ترني

قال أظنه ضرطة والجزاء من جنس العمل وباسم أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله طرز الشيخ أبو علي القالي كتاب الامالي وكان الحكم كريما معتنيا بالعلم وهو الذي وجه الى الحافظ أبي الفرج الاصبهاني ألف دينار على أن يوجه له نسخة من كتاب الاغاني وألف أبو محمد الفهري كتابا في نسب أبي علي البغدادي ورواياته ودخوله الاندلس وحكى ابن الطيلسان عن ابن جابر انه قرأ هذين البيتين في لوح رخام كان سقط من القبة المبنية على قبر أبي علي البغدادي عند تهدمها وهما

صلوا لحد قبري بالطريق وودعوا * فليس لمن وارى التراب حبيب
ولا تدفنوني بالعراء فربما * بكى أن رأى قبر الغريب غريب

واسم أبي علي اسمعيل بن القاسم بن عيذون بن هرون بن عيسى بن محمد بن سليمان وجده سلمان مولى عبد الملك بن مروان وكان أبو علي احفظ أهل زمانه باللغة والشعر ونحو البصريين وأخذ الادب عن أبي بكر بن دريد الازدي وأبي بكر بن الانباري وابن درستويه وغيرهم وأخذ عنه ابو بكر الزبيدي الاندلسي صاحب مختصر العين ولابي علي التصانيف الحسان كالامالي والبارع وطاف البلاد وسافر الى بغداد سنة ٣٠٣ وأقام بالموصل لسماع الحديث من أبي يعلى الموصلي ودخل بغداد سنة ٣٠٣ وأقام بها الى سنة ٣٢٨ وكتب بها الحديث ثم خرج من بغداد قاصدا الاندلس وسمع من البغوي وغيره قال ابن خلكان ودخل قرطبة لثلاث بقين من شعبان سنة ثلاثين وثلثمائة انتهى وهو مما يعين انه قدم في زمن الناصر لا في زمن ابنه الحكم كما تقدم وقد صرح بذلك الصفدي في الوافي فقال ولما دخل المغرب قصد صاحب الاندلس الناصر لدين الله عبد الرحمن فأكرمه وصنف له ولولده الحكم تصانيف وبث علومه هنالك انتهى وقال ابن خلكان انه استوطن قرطبة الى أن توفي بها في شهر ربيع الآخر وقيل جمادى الاولى سنة ٣٥٦ ليلة السبت لست خلون من الشهر المذكور ودفن بظاهر قرطبة ومولده بمنازكرد من ديار بكر سنة ٢٨٨ وقيل سنة ٢٨٠ وانما قيل له القالي لانه سافر الى بغداد مع أهل قاليقلا وهي من أعمال ديار بكر وهو من محاسن الدنيا رحمه الله تعالى وعيذون بفتح العين وسكون الياء المثناة التحتية وضم الذال المعجمة وقال ابن خلكان في ترجمة ابن القوطية ان أبا علي القالي لما دخل الاندلس اجتمع به وكان يبالغ في تعظيمه قال له الحكم بن عبد الرحمن الناصر من أنبل من رأيته ببلدنا هذا في اللغة فقال محمد بن القوطية وكان ابن القوطية مع هذه الفضائل من العباد النساك وكان جيد الشعر صحيح الالفاظ حسن المطالع والمقاطع الا أنه تركه ورفضه وقال الاديب أبو بكر بن هذيل انه توجه يوما الى ضيعة له بسفح جبل قرطبة وهي من بقاع

ان كان مايصح في ضلاله * من ربكم فلينطلق بماله * اليه عنا والى عياله
لولا الاله لم يكن عيالنا ولم يسع عيالنا أموالنا هو الذي يجيبنا سؤالنا ويكشف الغم اذا ماهالنا فارسل الله عليهم سيل العرم فهدم سدهم وغشي الماء أرضهم فاهلك شجرهم وأباده وأزال أموالهم وأنعامهم فاتوا رسلهم فقالوا ادعوا الله أن يخلف علينا نعمتنا ويخصب بلادنا ويرد علينا ما شرد من أنعامنا ونعطيكم موثقا أن لا نشرك بالله شيا فسألت الرسل ربها فاجابهم الى ذلك وأعطاهم ما سألوا فأخصبت بلادهم واتسعت عمائرهم الى أرض فلسطين والشام قرى ومنازل واسواقا فأتتهم رسلهم فقالوا موعدكم أن تؤمنوا فأبوا الا طغيانا وكفرا فمزقهم الله كل ممزق وباعد بين أسفارهم (قال المسعودي) واذ قد ذكرنا جملا من أخبار السد وبلاد مأرب وعمرو بن عامر وغير ذلك مما تقدم ذكره في هذا الباب فلنرجع الآن الى أخبار الكهان وكان أول ما تكهن به سطيح الغساني انه كان نائما في ليلتها كية مظلمة مع حرمته في الطائف والحي خلوف اذ زعق من بينهم ورنو تاوه وقال والضياء والشفق والظلام والغسق ليطرقنكم ما طرق قالوا ما طرق يا سطيح قال

ماطرق الا الاجلح حين سرى الليل البهيم الاولج وولاهم فيه مدح قالوا وما علامة ذلك ياسطيح قال أمر يسد النقرة

الارض الطيبة المونقة فصادف ابا بكر بن القوطية المذكور صادرا عنها وكانت له أيضا هنالك ضيعة قال فلما رآني عرج علي واستبشر بلقائي فقلت مداعبا له

من أين اقبلت يا من لا شبيه له * ومن هو الشمس والدنيا له فلك

قال فتبسم وأجاب بسرعة

من منزل تعجب النساك خلوته * وفيه ستر على الفتاك ان فتكوا

فما تمالكت أن قبلت يده اذ كان شيخي ودعوت له انتهى وهو صاحب كتاب الافعال التي فتح فيه هذا الباب فتلاه ابن القطاع وله كتاب المقصور والممدود جمع فيه ما لا يحد ولا يعد وأعجز من بعده به وفاق من تقدمه رحمه الله تعالى ورضي عنه وممن أخذ عن ابي علي القالي بالاندلس ابو بكر محمد الزبيدي صاحب كتاب مختصر العين وغيره وكان الزبيدي كثيرا ما ينشد

الفقر في أوطاننا غربة * والمال في الغربة أوطان

والارض شئ كلها واحد * والناس اخوان وجيران

وترجمة الزبيدي واسعة وكان مؤدب المؤيد هشام ووصفه بانه كان في صباه في غاية الحذق والذكاء رحمه الله تعالى وكان القالي قد بحث على ابن درستويه كتاب سيبويه ودقق النظر وانتصر للبصريين وأملى شيأ من حفظه ككتاب النوادر والامالي والمقصور والممدود والابل والخيل والبارع في اللغة نحو خمسة آلاف ورقة ولم يصنف مثله في الاحاطة والجمع ولم يتم ورتب كتاب المقصور والممدود على التفعيل ومخارج الحروف من الحلق مستقصى في بابه لا يشذ منه شئ وكتاب فعلت وأفعلت وكتاب مقاتل الفرسان وتفسير السبع الطوال وكان الزبيدي اماما في الادب ولكنه عرف فضل القالي فمال اليه واختص به واستفاد منه وأقر له وكان الحكم المستنصر قبل ولايته الامر وبعدها ينشط أبا علي ويعينه على التأليف بواسع العطاء ويشرح صدره بالافراط في الاكرام وكانوا يسمونه البغدادي لوصوله اليهم من بغداد ويقال ان الناصر هو الذي استدعاه من بغداد ولانه فيهم وفيه يقول الرمادي متخلصا في لاميته السابق بعضها

روض تعاهده السحاب كأنه * متعاهد من عهد اسمعيل

قسه الى الاعراب تعلم أنه * أولى من الاعراب بالتفضيل

حازت قبائلهم لغات فرقت * فيهم وحاز لغات كل قبيل

فالشرق خال بعده وكأنما * نزل الخراب بربعه المأهول

فكأنه شمس بدت في غربنا * وتغيبت عن شرقهم بأفول

ياسيدي هذا ثنائي لم أقل * زورا ولا عرضت بالتنويل

من كان يامل نائلا فأنا امرؤ * لم ارج غير القرب في تأميلي

وقد تقدمت ابيات القالي التي أجاب بها منذر بن سعيد في الباب قبل هذا فلتراجع ثمة والله تعالى اعلم *(ومن الوافدين الى الاندلس من المشرق ابو العلاء صاعد بن الحسين بن عيسى البغدادي اللغوي) واصله من الموصل قال ابن بسام ولما دخل صاعد قرطبة أيام المنصور

ذو جبسة في الوجرة وحرة بعد حرة في ليلة قرة فانصرفوا عن قوله واستهانوا بامره وتعاصفت سدود من أودية هنالك فجاءتهم في ليلة باردة قرة كما ذكر فساقت الانعام والمواشي وكادت أن تذهب بعامتهم (ولسطيح الكاهن ولشق بن مصعب أخبار كثيرة) منها رؤيا تبع الحميري في ان جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بارض تهمة وكانت منها كل ذات جمجمة وما فسراه له في ذلك وكذلك خبر سطيح وعبد المسيح في رؤيا الموبذان وارتجاج الايوان وخبر سلقمة وزوبعة وما كان من أمرهما وخبر شان الظليم والسحرة وما كان بين علك وغسان من الحرب في رقة اللبن وحلاوته وثخنه ونزل غسان أعلى الوادي وعلك في أسفله وما كان في ذلك من القيافة بينهم في طلوع الشمس وغروبها على ابلهم وخبر السموأل بن حسان بن عاديا وما كان من أمره وأمر خازن الكاهن وما قاله حين طرقه ليلا وانقياده الى ذمته وما كان من العير الاقمر والظليم الاحمر والفرس الاشقر والجمل الاورق والشيخ الاسدي وغير ذلك مما ذكرناه فيما سلف من

ابن

كتبنا في أخبار الزمان والكتاب الاوسط والله أعلم ٨٧ *(ذكر سني العرب والعجم وشهورها وما اتفق منها وما اختلف)*

(قال المسعودي) عدة الشهور عند العرب وسائر العجم اثنا عشر شهرا فلنذكر الآن سني وشهور وأيام ما اشتهر أهله من جل الامم وهم العرب والفرس والروم والسريانيون والقبط اذ كان قول اليونانيين في ذلك من حسابهم ومن تبعهم على ذلك من أهل الصين وكثير من الممالك والامم اذ كان في ذلك خروج عما عليه الجمهور والمعهود بين الناس ونجعل المبتدأ بذكر سني وشهور القبط لموافقتها السريانيين وموافقتها الشهور الروم ثم نعقب ذلك بذكر سني العرب وشهورها وأيامها ولائية علة استحق عندها تسمية كل شهر منها وكل يوم وما قالته العرب في تسمية الليالي وجمل من ذكر أفعال الشمس والقمر وتاثيرهما في هذا العالم في الجماد والنبات والحيوان وغير ذلك مما يقف عليه المتامل عند قراءته ان شاء الله تعالى على ما يريد والله تعالى ولي التوفيق

(ذكر شهور القبط والسريانيين والخلاف في أسمائها من التاريخ)

[...]ل شهور القبط توت وهو ايلول وبابه وهو تشرين الاول وهاتور وهو تشرين الثاني و كيهك وهو كانون الاول

ابن ابي عامر عزم المنصور على ان يقفي به آثار ابي علي البغدادي الوافد على بني امية فما وجد عنده ما يرتضيه واعرض عنه اهل العلم وقدحوا في علمه وعقله ودينه ولم ياخذوا عنه شيئا لقلة الثقة به وكان الف كتابا سماه كتاب الفصوص فدحضوه ورفضوه ونبذوه في النهر ومن شعره قوله

وهفهف ابهى من القمر * قهر الفؤاد بفاتن النظر
خالسته تفاح وجنته * فاخذتها منه على غرر
فاخافني قوم فقلت لهم * لاقطع في ثمر ولا كثر

والكثر الجمار وهذا اقتباس من الحديث وقال الحميدي سمعت ابا محمد بن حزم الحافظ يقول سمعت ابا العلاء صاعدا ينشد بين يدي المظفر عبد الملك بن ابي عامر من قصيدة يهنيه فيها بعيد الفطر سنة ٣٩٦

حسدت المنعمين على البرايا * فالفيت اسمه صدر الحساب
وما اقدمته الا كاني * اقدم تاليا ام الكتاب

وذكر الحميدي ان عبد الله بن ما كان الشاعر تناول نرجسة فركبها في وردة ثم قال لصاعد ولابي عامر بن شهيد صفاها فاخفاوا ولم يتجه لهما القول فبينما هم على ذلك اذ دخل الرهيري صاحب ابي العلاء وتلميذه وكان شاعرا اديبا اميا لا يقرا فلما استقر به المجلس اخبر بما هم فيه فجعل يضحك ويقول

ما للاديبين قد اعيتهما * مليحة من ملح الجنه
نرجسة في وردة ركبت * كمقلة تطرف في وجنه

انتهى

ومن غريب ما جرى لصاعد أن المنصور جلس يوما وعنده اعيان مملكته ودولته من اهل العلم كالزبيدي والعاصمي وابن العريف وغيرهم فقال لهم المنصور هذا الرجل الوافد علينا يزعم انه متقدم في هذه العلوم واحب ان يمتحن فوجه اليه فلما مثل بين يديه والمجلس قد احتفل خجل فرفع المنصور محله واقبل عليه وساله عن ابي سعيد السيرافي فزعم انه لقيه وقرا عليه كتاب سيبويه فبادره العاصمي بالسؤال عن مسئلة من الكتاب فلم يحضره جوابها واعتذر بان النحو ليس جل بضاعته فقال له الزبيدي فما تحسن ايها الشيخ فقال حفظ الغريب قال فما وزن اولق فضحك صاعد وقال امثلي يسال عن هذا انما يسال عنه صبيان المكتب قال الزبيدي قد سالناك ولا نشك انك تجهله فتغير لونه وقال أفعل وزنه فقال الزبيدي صاحبكم ممخرق فقال له صاعد اخال الشيخ صناعته الابنية فقال له اجل فقال صاعد وبضاعتي انا حفظ الاشعار ورواية الاخبار وفك المعمى وعلم الموسيقى قال فناظره ابن العريف فظهر عليه صاعد وجعل لا يجري في المجلس كلمة الا انشد عليها شعرا شاهدا واتى بحكاية تجانسها فاعجب المنصور ثم اراه كتاب النوادر لابي علي القالي فقال ان اراد المنصور امليت على كتاب دولته كتابا ارفع منه واجل لا اورد فيه خبرا مما اورده ابو علي فاذن له المنصور في ذلك وجلس بجامع مدينة الزاهرة على كتابه المترجم بالفصوص فلما اكمله تتبعه ادباء الوقت فلم تمر فيه كلمة صحيحة عندهم ولا خبر ثبت لديهم وسالوا المنصور

فى تجليد كراريس بياض تزال جدتها حتى توهم القدم وترجم عليه كتاب النكت تأليف ابى الغوث الصنعانى فتراءى اليه صاعد حين رآه وجعل يقبله وقال اى والله قرأته بالبلد الفلانى على الشيخ ابى فلان فأخذه المنصور ومن يده خوفا ان يفتحه وقال له ان كنت قد قرأته كما تزعم فعلام يحتوى فقال وابيك لقد بعد عهدى به ولا احفظ الآن منه شيأ ولكنه يحتوى على لغة منثورة لا يشوبها شعر ولا خبر فقال له المنصور ابعد الله مثلك فما رأيت أكذب منك وأمر باخراجه وأن يقذف كتاب الفصوص فى النهر فقال فيه بعض الشعراء

قد غاص فى النهر كتاب الفصوص * وهكذا كل ثقيل يغوص

فأجابه صاعد

عاد الى معدنه انما * توجد فى قعر البحار الفصوص

قال ابن بسام وما أظن أحدا يجترئ على مثل هذا وانما صاعد اشترط أن لا يأتى الا بالغريب غير المشهور وأعانهم على نفسه بما كان يتنفق به من الكذب وحكى ابن خلكان أن المنصور أثابه على كتاب الفصوص بخمسة آلاف دينار ومن أعجب ماجرى له انه كان بين يدى المنصور فأحضرت اليه وردة فى غير وقتها لم يستتم فتح ورقها فقال فيها صاعد مرتجلا

أتتك أبا عامر وردة * يذكرك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر * فغطت بأكمامها راسها

فسر بذلك المنصور وكان ابن العريف حاضرا فحسده وجرى الى مناقضته وقال لابن أبى عامر هذان البيتان لغيره وقد أنشدنيهما بعض البغداديين لنفسه بمصر وهما عندى على ظهر كتاب بخطه فقال له المنصور أرنيه فخرج ابن العريف وركب وحرك دابته حتى أتى مجلس ابن بدر وكان أحسن أهل زمانه بديهة فوصف له ماجرى فقال هذه الابيات ودس فيها بيتى صاعد

غدوت الى قصر عباسة * وقد جدل النوم حراسها
فألفيتها وهى فى خدرها * وقد صرع السكر أناسها
فقالت أسار على هجعة * فقلت بلى فرمت كاسها
ومدت يديها الى وردة * يحاكى لك الطيب أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر * فغطت بأكمامها راسها
وقالت خف الله لا تفضحن * فى ابنة عمك عباسها
فوليت عنها على غفلة * وما خنت ناسى ولا ناسها

فطار ابن العريف بها وعلقها على ظهر كتاب بخط مصرى ومداد أشقر ودخل بها على المنصور فلما رآها اشتد غيظه على صاعد وقال الحاضرين غدا أمتحنه فان فضحه الامتحان أخرجته من البلاد ولم يبق فى موضع لى عليه سلطان فلما أصبح وجه اليه فأحضر وأحضر جميع الندماء فدخل بهم الى مجلس محفل قد أعد فيه طبقا عظيما فيه سقائف مصنوعة من جميع النواوير ووضع على السقائف لعب من ياسمين فى شكل الجوارى وتحت السقائف بركة ماء قد ألقى

وطوبه وهو كانون الثانى وامشير وهو شباط وبرمهات وهو أذار وبرموده وهو نيسان وبشنس وهو ايار وبؤنه وهو حزيران وأبيب وهو تموز ومسرى وهو آب وللقبط بعد هذا خمسة أيام لواحق تدعى العمائر تزيدها على ماسميناه من شهورها وهى ثلثمائة يوم وستون يوما فتصير السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما وأول يوم من السنة عند القبط هو اليوم التاسع والعشرون من آب وعدة كل شهر منها ثلاثون يوما وكانت أيام السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما بعدد أيام سنة الفرس وكانت شهور القبط فيما مضى توافق أوائلها شهور الفرس وكان أول يوم أول آذرماه ثم كل شهر كذلك على هذا الوصف الى آخر سنة القبط آخر آذرماه وهذا الحساب بعينه موجود فى كتب الزيجات فى النجوم وأهل مصر وسائر القبط فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة يستعملون فى حسابهم فى الشهور غير ما قدمنا وذلك انهم زادوا فى أيام السنة ربع يوم على مذهب اليونانيين والروم فصارت شهورهم مخالفة لشهور الفرس وموافقة لشهور السريانيين والروم فى عدد أيام السنة التى ملك فيها بختنصر وكان أولها يوم الاربعاء

الآلي لي مثل الحصباء وفي البركة حية تسبح فلما دخل صاعد ورأى الطبق قال له المنصور ان هذا يوم اما أن تسعد فيه معنا واما أن تشقى بالضد عندنا لانه قد زعم قوم أن كل ما تأتي به دعوى وقد وقفت من ذلك على حقيقة وهذا طبق ما توهمت أنه حضر بين يدي ملك قبلي شكله فصفه بجميع ما فيه وعبر بعض عن هذه القصة بقوله أمر فعبي له طبق فيه أزهار ورياحين وياسمين وبركة ماء حصباؤها اللؤلؤ وكان في البركة حية تسبح وأحضرها صاعد فلما شاهد ذلك قال له المنصور ان هؤلاء يذكرون ان كل ما تأتي به دعوى لا صحة لها وهذا طبق ما ظننت انه عمل لملك مثله فان وصفته بجميع ما فيه علمت صحة ما تذكره فقال صاعد بديهة

أبا عامر هل غير جدواك واكف * وهل غير من عاداك في الارض خائف
يسوق اليك الدهر كل غريبة * وأعجب ما يلقاه عندك واصف
وشائع نور صاغها هامر الحيا * على حافتيها عبقر ورفارف
ولما تناهى الحسن فيها تقابلت * عليها بأنواع الملاهي الوصائف
كمثل الظباء المستكنة كنسا * تظللها بالياسمين السقائف
وأعجب منها انهن نواظر * الى بركة ضمت اليها الطرائف
حصاها اللآلي سابح في عبابها * من الرقش مسموم الثعابين زاحف
ترى ما تراه العين في جنباتها * من الوحش حتى بينهن السلاحف

فاستغربت له يومئذ تلك البديهة في مثل ذلك الموضع وكتبها المنصور بخطه وكان الى ناحيته من تلك السقائف سفينة فيها جارية من النوار تجذف بمجاذف من ذهب لم يرها صاعد فقال له المنصور أحسنت الا انك أغفلت ذكر المركب والجارية فقال للوقت

وأعجب منها غادة في سفينة * مكللة تصبو اليها المهاتف
اذا راعها موج من الماء تتقي * بسكانها ما أنذرته العواصف
متى كانت الحسناء ربان مركب * تصرف في يمنى يديه المجاذف
ولم تر عيني في البلاد حديقة * تنقلها في الراحتين الوصائف
ولا غرو أن ساقت معاليك روضة * وشتها أزاهير الربا والزخارف
فأنت امرؤ لو رمت نقل متالع * ورضوى ذرتها من سطاك نواسف
اذا قلت قولا أو بدهت بديهة * فكلني له اني لمجدك واصف

أمر له المنصور بألف دينار ومائة ثوب ورتب له في كل شهر ثلاثين دينارا وألحقه بالندماء قال وكان شديد البديهة في ادعاء الباطل قال له المنصور يوما ما الخنبشار فقال حشيشة يعقد بها اللبن ببادية الاعراب وفي ذلك يقول شاعرهم

لقد عقدت محبتها بقلبي * كما عقد الحليب الخنبشار

وقال له يوما وقد قدم اليه طبق فيه تمر ما التمركل في كلام العرب فقال يقال تمركل الرجل تمركلا اذا التف في كسائه وكان مع ذلك عالما قال وكان لابن أبي عامر فتى يسمى فاتنا أوحد لا نظير له في علم كلام العرب فناظر صاعدا هذا فقطعه وظهر عليه وبكته فعجب المنصور منه

وأما تاريخ القبط في كتاب زيج بطليموس فمن أول سنة ملك فيليفوس وكان أولها يوم الاحد والذي بين تاريخ البختنصر وتاريخ يزدجرد ألف وثلثمائة وتسع وتسعون سنة فارسية وثلاثة أشهر والذي بين تاريخ فيليفوس وتاريخ يزدجرد تسعمائة واثنتان وأربعون سنة من سني الروم ومائتان وتسع وخمسون يوما وبين تاريخ يزدجرد وتاريخ الهجرة من الايام ألف وستمائة وأربعة وعشرون يوما فاول هذه التواريخ تاريخ البختنصر ثم تاريخ فيليفوس ثم تاريخ يزدجرد وتاريخ العرب من اول السنة التي هاجر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وكان اولها يوم الخميس وتاريخ الفرس من أول السنة التي ملك فيها يزدجرد بن شهريار بن كسرى بن ابرويز وكان اولها يوم الثلاثاء وتاريخ الروم والسريانيين من اول السنة من ملك الاسكندر وكان اولها يوم الاثنين والله تعالى اعلم بحقيقة ذلك

(ذكر شهور السريانيين ووصف موافقتها الشهور العرب وعدة أيام السنة ومعرفة الانواء)

فاول ذلك ان ايام السنة ثلثمائة وخمسة وستون يوما واربع يوم وهي مختلفة في العدد فنيسان ثلاثون يوما وايار احد وثلاثون

فتوفى فاتن هذا سنة ٤٠٢ وبيعت فى تركته كتب مضبوطة جليلة صحيحة وكان منقادا لما نزل به من المثلة فلم يتخذ النساء كغيره وكان فى ذلك الزمان بقرطبة جملة من الفتيان المخانيث ممن أخذ باوفر نصيب من الادب قال ورأيت تأليفا لرجل منهم يعرف بحبيب ترجمه بكتاب الاستظهار والمغالبة على من أنكر فضائل الصقالبة وذكر فيه جملة من أشعارهم وأخبارهم ونوادرهم قال ابن بسام وغيره ومن عجائب ماجرى لصاعد انه أهدى أيلا الى المنصور وكتب على يده وصله

يا حرز كل مخوف وأمان كل مشرد ومعز كل مذلل

يا سلك كل فضيلة ونظام كل جزيلة وثراء كل معيل

ومنها

ما ان رأت عيني وعلمك شاهد * جدوى علائك فى معم مخول

ومنها

وأبى مؤنس غربتى وتحفظى * من صفر أيامى ومن مستعملى

عبد جذبت بضبعه ورفعت من * مقداره أهدى اليك بايل

سميته غرسية وبعثته * فى حبله ليصح فيه تفاؤلى

فلئن قبلت فتلك أنفس منة * أهدى بها ذو منحة وتطول

منحتك غادية السرور بعزة * وحللت أوجا بالسحاب المخضل

فقضى فى سابق علم الله سبحانه وتعالى أن ملك الروم غرسية أسر فى ذلك اليوم بعينه الذى بعث فيه بالايل وسماه باسمه على التفاؤل انتهى وكان غرسية أمنع من النجم وسبب أخذه انه خرج يتصيد فلقيته خيل للمنصور من غير قصد فاسرته وجاءته به فكان هذا الاتفاق مما عظم به العجب ولنورد من أخبار صاعد فنقول حكى ان المنصور قال بسبب هذه القضية انه لم يتفق لصاعد هذا الفأل الغريب الا لحسن نيته وسريرته وصفاء باطنه فرفع قدره من ذلك اليوم فوق ما كان ورجحه على أعدائه وحق له ذلك وفى الزهرة الثامنة والعشرين من كتاب الازهار المنثورة فى الاخبار المأثورة حكى أن صاعدا قال جمعت خرق الاكياس والصرر التى قبضت فيها صلات المنصور محمد بن أبى عامر فقطعت لكافور الاسود غلامى منها قميصا كالمرقعة وبكرت به معى الى قصر المنصور فاحتلت فى تنشيطه حتى طابت نفسه فقلت يا مولانا العبدلك حاجة فقال اذكرها قلت وصول غلامى كافور الى هنا فقال وعلى هذه الحال فقلت لا أقنع بسواه الا بحضوره بين يديك فقال أدخلوه فمثل قائما بين يديه فى مرقعته وهو كالنخلة اشرافا فقال قد حضر وانه لباذل الهيئة فمالك أضعته فقلت يا مولانا هنالك الفائدة اعلم يا مولاى انك وهبت لى اليوم مل ء جلد كافور مالا فتهلل وقال لله درك من شاكر مستنبط لغوامض معانى الشكر وأمر لى بمال واسع وكسوة وكسا كافورا أحسن كسوة انتهى ولما دخل صاعد دانية وحضر مجلس الموفق مجاهد العامرى أمير البلد كان فى المجلس اديب يقال له بشار فقال للموفق دعنى أعبث بصاعد فقال له لا تتعرض اليه فانه سريع الجواب فابى الا مساءلته وكان بشار المذكور أعمى فقال لصاعد يا أبا العلاء ما

والثمان عشرة ليلة منه رجوع الشمس هابطة من السماء على ما أوجبه

يوما وحزيران ثلاثون يوما حساب الهند وهو أطول يوم فى السنة وأقصر ليلة وتموز احد وثلاثون يوما وآب احد وثلاثون يوما فاذا انسلخ ذهب الحر قال محمد بن عبد الملك الزيات

برد الماء وطال الـ ـليل والتذ الشراب

ومضى عنك حزيرا ن وتموز وآب

وايلول ثلاثون يوما ولخمس منه عيد ذكريا ولعشر منه تطلع الصرفة فينصرف الحر ولثلاث عشرة منه عيد الصليب وهو اليوم الرابع عشر منه وفى هذا اليوم تفتح الترع بمصر على حسب ما ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب ولتمام عشرين منه يستوى الليل والنهار وقال أبو نواس

مضى ايلول وارتفع الحرور

وأذكت نارها الشعرى العبور

وتشرين الاول احد وثلاثون يوما وفيه يكون المهرجان وبين النيروز والمهرجان مائة وتسعة وستون يوما وعند الفرس فى معنى المهرجان انه كان لهم ملك فى قديم الزمان من ملوك الفرس قد عم ظلمه خاص الناس وعوامهم وكان يسمى مهر وكانت الشهور تسمى باسماء الملوك فقيل مهرماه ومعنى

ما الجرنفل في كلام العرب فعرف صاعد انه وضع هذه الكلمة وليس لها أصل في اللغة
فقال بعد أن أطرق ساعة الجرنفل في اللغة الذي يفعل بنساء العميان ولا يتجاوزهن الى
غيرهن وهو في ذلك كله يصرح ولا يكني فخجل بشار وانكسر وضحك من كان حاضرا
فقال له الموفق قلت لك لا تفعل فلم تقبل انتهى والجرنفل بضم الجيم والراء وسكون النون
وضم الفاء وبعدها لام واصاعد أخبار ونوادر كثيرة غير ما تقدم وله مع المنصور بن أبي
عامر رحمه الله تعالى من ذلك كثير وبعضه ذكرناه في هذا الكتاب ومن حكاياته انه خرج
معه يوما الى رياض الزاهرة فمد المنصور يده الى شيء من الريحان المعروف بالترنجان فعبث
به ورماه الى صاعد واشار اليه ان يقول فيه فارتجل (لم أدر قبل ترنجان عبثت به) الابيات
الآتية وهذا المنصور بن ابي عامر قد تقدمت جملة من أخباره ومن أعجب ما وقع له
ما رايته بخزانة فاس في كتاب الفه صاحبه في الازهار والانوار حكى فيه في ترجمة النيلوفر
ان المنصور لما قدم عليه رسول ملك الروم الذي هو اعظم ملوكهم في ذلك الزمان ليطلع على
احوال المسلمين وقوتهم فامر المنصور ان يغرس في بركة عظيمة ذات اميال نيلوفر ثم امر باربعة
قناطير من الذهب واربعة قناطير من الفضة فسبكت قطعا صغارا على قدر ما تسع النيلوفرة
ثم ملأ بها جميع النيلوفر الذي في البركة وارسل الى الرومي فحضر عنده قبل الفجر في مجلسه
السامي بالزاهرة بحيث يشرف على موضع البركة فلما قرب طلوع الشمس جاء الف من
الصقالبة عليهم اقبية الذهب والفضة ومناطق الذهب والفضة وبيد خمسمائة اطباق
ذهب وبيد خمسمائة اطباق فضة فتعجب الرسول من حسن صورهم وجميل شارتهم فلم يدر
ما المراد فحين اشرقت الشمس ظهر النيلوفر من البركة وبادروا الاخذ الذهب والفضة
من النيلوفر وكانوا يجعلون الذهب في اطباق الفضة والفضة في اطباق الذهب حتى التقطوا
جميع ما فيها وجاؤا به فوضعوه بين يدي المنصور حتى صار كوما بين يديه فتعجب النصراني
من ذلك واعظمه وطلب المهادنة من المسلمين وذهب مسرعا الى مرسله وقال له لا تعاد هؤلاء
القوم فاني رايت الارض تخدمهم بكنوزها انتهى وهذه القضية من الغرائب وانها
لحيلة عجيبة في اظهار عز الاسلام واهله وكان المنصور بن ابي عامر آية الله سبحانه في السعد
ونصرة الاسلام قال ابن بسام نقلا عن ابن حيان انه لما انتهت خلافة بني مروان بالاندلس الى
الحكم تاسع الائمة وكان مع فضله قد استهواه حب الولد حتى خالف الحزم في توريثه الملك بعده
في سن الصبا دون مشيخة الاخوة وفتيان العشيرة ومن كان ينهض بالامر ويستقل بالملك قال
ابن بسام وكان يقال لا يزال ملك بني أمية بالاندلس في اقبال ودوام ما توارثه الابناء عن
الآباء فاذا انتقل الى الاخوة وتوارثوه فيما بينهم أدبر وانصرم ولعل الحكم لحظ ذلك فلما مات
الحكم أخفى جؤذر وفائق نعياه ذلك وعزما على صرف البيعة الى أخيه المغيرة وكان فائق قد
قال له ان هذا الايتم لنا الا بقتل جعفر المصحفي فقال له جؤذر ونستفتح أمرنا بسفك دم شيخ
مولانا فقال له هو والله ما أقول لك ثم بعثا الى المصحفي ونعيا اليه الحكم وعرفاه رأيهما في المغيرة
فقال لهما المصحفي وهل أنا الا تبع لكما وانتما صاحبا القصر ومدبرا الامر فشرعا في تدبير
ما عزما عليه وخرج المصحفي وجمع أجناده وقواده ونعى اليهم الحكم وعرفهم مقصود جؤذر

ماه هو الشهر وأن ذلك الملك طال أمره واشتدت وطأته فمات في النصف من هذا الشهر وهو مهرماه فسمي ذلك اليوم
الذي مات فيه مهرجان
وتفسيره نفس مهر ذهبت
لان الفرس تقدم في لغتها
ما تؤخر العرب في كلامها
وهذه اللغة الفهلوية وهي
الفارسية الاولى وأهل
المروآت بالعراق وغيرها
من مدن العجم يجعلون هذا
اليوم أول يوم من الشتاء
فتغير فيه الفرش والآلات
وكثيرا من الملابس
ولخمس منه وهو تشرين
الاول عيد كنيسة القمامة
ببيت المقدس وفي هذا
اليوم تجتمع النصارى من
سائر الارض وتنزل عليهم
نار من السماء فيسرج
هنالك الشمع ويجتمع فيه
من المسلمين خلق عظيم
للنظر الى العيد ويقتلع
فيه ورق الزيتون ويكون
للنصارى فيه أقاصيص
ولهذه النار حيلة لطيفة
وسر عظيم وقد ذكرنا وجه
الحيلة في ذلك في كتابنا
المترجم بكتاب القضايا
والتجارب وتشرين الثاني
ثلاثون يوما وكانون
الاول أحد وثلاثون يوما
ولسبع عشرة منه يكون
النهار تسع ساعات وربعا
وهو منتهى قصره والليل
أربع عشرة ساعة ونصفا
وربعا وهو منتهى طوله
وليلة الخامس والعشرين منه ميلاد المسيح عليه السلام وكانون الثاني أحد وثلاثون يوما وأول يوم منه الغطاس فيكون

و فائق في المغيرة وقال ان بقينا على ابن مولانا كانت الدولة لنا وان بدلنا استبدلنا فقالوا الرأي رأيك فبادر المصحفي بانفاذ محمد بن أبي عامر مع طائفة من الجند الى دار المغيرة لقتله فوافاه ولا خبر عنده فنعى اليه الحكم أخاه فجزع وعرفه جلوس ابنه هشام في الخلافة فقال أنا سامع مطيع فكتب الى المصحفي بحاله وما هو عليه من الاستجابة فاجابه المصحفي بالقبض عليه والا وجه غيره ليقتله فقتله خنقا لما قتل المغيرة واستوثق الامر لهشام بن الحكم افتتح المصحفي أمره بالتواضع والسياسة واطراح الكبر ومساواة الوزراء في الفرش وكان ذلك من أول ما استحسن منه وتوفر على الاستئثار بالاعمال والاحتجان للاموال وعارضه محمد بن أبي عامر فتى ماجد أخذ معه بطرفي نقيض بالبخل جودا وبالاستبداد اثرة وتملك قلوب الرجال الى ان تحركت همته للمشاركة في التدبير بحق الوزارة وقوي على امره بنظره في الوكالة وخدمته للسيدة صبح ام هشام وكانت حاله عند جميع الخدم أفضل الاحوال بتصديه لمواقع الارادة ومبالغته في تأديه لطيف الخدمة فاخرجت له أم هشام الخليفة الى الحاجب جعفر المصحفي بأن لا ينفرد عنه برأي وكان غير متخيل منه سكونا الى ثقته فامتثل الامر وأطلعه على سره وبالغ في بره وبالغ محمد بن أبي عامر في مخادعته والنصح له فوصل المصحفي يده بيده واستراح الى كفايته وابن أبي عامر يمكر به ويضرب عليه ويغري به الحرة ويناقضه في أكثر ما يعامل به الناس ويقضي حوائجهم ولم يزل على ماهذه سبيله الى أن انحل أمر المصحفي وهوى نجمه وتفرد محمد بن أبي عامر بالامر ومنع أصحاب الحكم وأجلاهم وأهلكهم وشردهم وشتتهم وصادرهم وأقام من صنائعهم من استغنى به عنهم وصادر الصقالبة وأهلكهم وأبادهم في أسرع مدة قال ابن حيان وجاشت النصرانية بموت الحكم وخرجوا على أهل الثغور ووصلوا الى باب قرطبة ولم يجدوا عند جعفر المصحفي غناء ولا نصرة وكان مما أتى عليه أن أمر أهل قلعة رباح بقطع سد نهرهم لما تخيله من أن في ذلك النجاة من العدو ولم تقع حيلته لا كثر منه مع وفور الجيوش وجموم الاموال وكان ذلك من سقطات جعفر فانف محمد بن أبي عامر من هذه الدنية وأشار على جعفر بتجديد الجيش بالجهاد وخوفه سوء العاقبة في تركه وأجمع الوزراء على ذلك الا من شذ منهم واختار ابن أبي عامر الرجال وتجهز للغزاة واستصحب مائة ألف دينار ونفذ بالجيش ودخل على الثغر الجوفي ونازل حصن الحامة ودخل الربض وغنم وقفل فوصل الحضرة بالسبي بعد اثنين وخمسين يوما فعظم السرور به وخلصت قلوب الاجناد له واستهلكوا في طاعته لما رأوه من كرمه ومن أخبار كرمه ما حكاه محمد بن أفلح غلام الحكم قال دفعت الى مالا أطيقه من نفقة في عرس ابنة لي ولم يبق معي سوى لجام محلى ولما ضاقت بي الاسباب قصدته بدار الضرب حين كان صاحبها والدراهم بين يديه موضوعة مطبوعة فاعلمته ما جئت له فابتهج بما سمعه مني وأعطاني من تلك الدراهم وزن اللجام بحديده وسيوره فلا تجري وكنت غير مصدق بما جرى لعظمه وعملت العرس وفضلت لي فضلة كثيرة وأحبه قلبي حتى لو حملني على خلع طاعة مولاي الحكم لفعلت وكان ذلك في أيام الحكم قبل أن يقتعد ابن أبي عامر الذروة وقال غير واحد انه صنع يومئذ قصرا من فضة لصبح أم هشام وحمله على رؤس الرجال فجلب حبها بذلك وقامت بأمره عند سيدها الحكم وحدث الحكم خواصه بذلك

في كنيسة القسيان بها من القداس عندهم وكذلك لسائر الشام وبيت المقدس ولمصر وأرض النصرانية كلها وما يظهر أهل دين النصرانية بانطاكية من الفرح والسرور وايقاد النيران والمآكل والمشارب وتساعدهم على ذلك عوام الناس وكثير من خواصهم وذلك أن مدينة انطاكية بها كرسي البطرك المعظم عندها في ديانتها وأن النصرانية تسمى انطاكية مدينة الله ويسمونها أيضا مدينة الملك وأم المدن لان بدو ظهور النصرانية كان فيها (والبطارقة عند النصرانية أربعة) أولهم صاحب مدينة رومية ثم الثاني وهو صاحب مدينة قسطنطينية وهي أقسس واسمها القديم بوزنطيا ثم الثالث وهو صاحب الاسكندرية من أرض مصر ثم الرابع وهو صاحب انطاكية ورومية وانطاكية لبطرس فبدؤا برومية لانها لبطرس ثم ختموا بانطاكية لانها له وتعظيما وقد أحدثوا كرسيا ببيت المقدس ولم يكن هذا أمقدما وانما هو محدث وكان لايليا وهو بيت المقدس اسقف (وبانطاكية) أيضا كنيسة أخرى تدعى استوست

وبها عيد عظيم للنصرانية وكذلك كنيسة مزوره وبنيانها من احدى عجائب العالم في التشييد

وقال ان هذا الفتى قد جلب عقول حرمنا بما يتحفهم به قالوا وكان الحكم لشدة نظره في علم الحدثان يتخيل في ابن أبي عامر انه المذكور في الحدثان ويقول لاصحابه أما تنظرون الى صفرة كفيه ويقول في بعض الاحيان لو كانت به شجة لقلت انه هو بلا شك فقضى الله أن تلك الشجة حصلت للمنصور يوم ضربه غالب بعد موت الحكم بمدة قال ابن حيان وكان بين المصحفي وغالب صاحب مدينة سالم وشيخ الموالي وفارس الاندلس عداوة عظيمة ومباينة شديدة ومقاطعة مستحكمة وأعجز المصحفي أمره وضعف عن مباراته وشكا ذلك الى الوزراء فاشاروا عليه بملاطفته واستصلاحه وشعر بذلك ابن أبي عامر فاقبل على خدمته وتجرد لاتمام ارادته ولم يزل على ذلك حتى خرج الامر بان ينهض غالب الى تقدمة الثغر وخرج ابن أبي عامر الى غزوته الثانية واجتمع به وتعاقدا على الايقاع بالمصحفي وقفل ابن أبي عامر ظافرا غانما وبعد صيته فخرج أمر الخليفة هشام بصرف المصحفي عن المدينة وكانت في يده يومئذ وخلع على ابن أبي عامر ولا خبر عند المصحفي وملك ابن أبي عامر الولاية للشرطة وأخذ عن المصحفي وجوه الحيلة وخلاه وليس بيده من الامر الا أقله وذلك باعانة غالب له وضبط المدينة ضبطا أنسى به أهل الحضرة من سلف من الكفاة والساسة وانهمك ابن أبي عامر في صحبة غالب ففطن المصحفي لتدبير ابن أبي عامر عليه فكاتب غالبا يستصلحه وخطب أسماء بنته لابنه عثمان فأجابه غالب لذلك وكادت المصاهرة تتم وبلغ ابن أبي عامر الامر فقامت قيامته وكاتب غالبا يخوفه الحيلة ويهيج حقوده والقى عليه أهل الدار وكاتبوه فصرفوه عن ذلك ورجع غالب الى ابن أبي عامر فأنكحه البنت المذكورة وتم له العقد في محرم سنة سبع وستين وثلثمائة فأدخل السلطان تلك الابنة الى قصره وجهزها الى محمد بن أبي عامر من قبله فظهر أمره وعز جانبه وكثر رجاله وصار جعفر المصحفي بالنسبة اليه كلاشئ واستقدم السلطان غالبا وقلده الحجابة شركة مع جعفر المصحفي ودخل ابن أبي عامر على ابنته ليلة النيروز وكانت أعظم ليلة عرس في الاندلس وايقن المصحفي بالنكبة وكف عن اعتراض ابن أبي عامر في شئ من التدبير وابن أبي عامر يسايره ولا يظاهره وانفض عنه الناس وأقبلوا على ابن أبي عامر الى أن صار المصحفي يغدو الى قصر قرطبة ويروح وهو وحده وليس بيده من الحجابة سوى اسمها وعوقب المصحفي باعانته على ولاية هشام وقتل المغيرة ثم سخط السلطان على المصحفي وأولاده وأهله وأسبابه وأصحابه وطولبوا بالاموال وأخذوا برفع الحساب لما تصرفوا فيه وتوصل ابن أبي عامر بذلك الى اجتثاث أصولهم وفروعهم وكان هشام ابن أخي المصحفي قد توصل الى أن سرق من رؤس النصارى التي كانت تحمل بين يدي ابن أبي عامر في الغزاة الثالثة ليقدم بها على الحضرة وغاظه ذلك منه فبادره بالقتل في المطبق قبل عمه جعفر المصحفي فلما استقصى ابن ابي عامر مال جعفر حتى باع داره بالرصافة وكانت من اعظم قصور قرطبة واستمرت النكبة عليه سنين مرة يحتبس ومرة يترك ومرة يقر بالحضرة ومرة ينفر عنها ولا براح له من المطالبة بالمال ولم يزل على هذا الحكم حتى استصفى ولم يبق فيه محتمل واعتقل في المطبق بالزهراء الى ان هلك واخرج الى اهله ميتا وذكر انه سمه في ماء شربه قال محمد بن اسمعيل سرت مع محمد بن مسلمة الى الزهراء لنسلم جسد

والرفعة وكان الوليد بن عبد الملك بن مروان اقتلع من هذه الكنيسة عمدا عجيبة من المرمر والرخام لمسجد دمشق وبنى الاكثر من هذه الكنيسة الى هذا الوقت (وقد كان الملك) من ملوك الرومية بانطاكية خبر عجيب في كنيسة استوست وكانت خارج السور من انطاكية وهي في أيدي اليهود فعوضت اليهود دار الملك بانطاكية بدلا من كنيسة استوست وهذه الدار التي كانت دار الملك بانطاكيه تعرف بدار اليهود ولليهود حيلة احتالوها حين خرجت الكنيسة من أيديهم حتى قتلوا من النصرانية خلقا عظيما من نشر خشب فيها وغير ذلك وقدمنا أخبار بطرس وبولص وما كان من أمرهما بمدينة رومية وغيرهما من تلاميذ المسيح وتفرقهم في البلاد وذكرنا قصة الملك الذي بنى مدينة انطاكية وهو المعروف بانطيخس وتفسير ذلك محوط الحوائط وكان اسم انطاكية بالرومية على اسمه انطيخس فلما ورد المسلمون وافتتحوها حذفت الاحرف الا الالف والنون والطاء وفي تاريخ النصارى الملكية وغيرها من أهل دين النصرانية يكون لمولد المسيح الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين

جعفر بن عثمان الى أهله بأمر المنصور وسرنا الى منزله فكان مغطى بخلق كساء لبعض البوابين ألقاه على سريره وغسل على فردة باب اختلع من ناحية الدار وأخرج وما حضر أحد جنازته سوى امام مسجده المستدعى للصلاة عليه ومن حضر من ولده فعجبت من الزمان انتهى وما احسن عبارة المطمح عن هذه القضية اذ قال قال محمد بن اسمعيل كاتب المنصور سرت بامره لتسليم جسد جعفر الى اهله وولده والحضور على انزاله فى ملحده فنظرته ولا اثر فيه وليس عليه شئ يواريه غير كساء خلق لبعض البوابين فدعا له محمد بن مسلمة بغاسل فغسل والله على فردة باب اقتلع من جانب الدار وأنا أعتبر من تصرف الاقدار وخرجنا بنعشه الى قبره وما معنا سوى امام مسجده المستدعى للصلاة عليه وما تجاسر أحد منا النظر اليه وان لى فى شأنه لخبرا ما سمع بمثله طالب وعظ ولا وقع فى سمع ولا تصور فى لحظ وقفت له فى طريقه من قصره أيام نهيه وأمره أروم أن أناوله قصة كانت به مختصة فوالله ما تمكنت من الدنو منه بحيلة لكثافة موكبه وكثرة من حف به وأخذ الناس السكك عليه وأفواه الطرق داعين ومارين بين يديه وساعين حتى ناولت قصتى بعض كتابه الذين نصبهم جناحى موكبه لاخذ القصص فانصرفت وفى نفسى ما فيها من الشرق بحاله والغصص فلم تطل المدة حتى غضب عليه المنصور واعتقله ونقله معه فى الغزوات واحتمله واتفق أن نزلت بجليقية الى جانب خبائه فى ليلة نهى فيها المنصور عن وقود النيران ليخفى على العدو أثره ولا ينكشف اليه خبره فرأيت والله عثمان ولده يسقيه دقيقا قد خلطه بماء يقيم به أوده ويمسك بسببه رمقه بضعف حال وعدم زاد وهو يقول

تعاطيت صرف الحادثات فلم أزل * أراها توفى عندموعدها الحرا
فلله أيام مضت بسبيلها * فانى لا انسى لها ابدا ذكرا
تجافت بها عنا الحوادث برهة * وابدت لنا منها الطلاقة والبشرا
ليالى ما يدرى الزمان مكانها * ولا نظرت منها حوادثه شزرا
وما هذه الايام الا سحائب * على كل ارض تمطر الخير والشرا انتهى

واما غالب الناصرى فانه حضر مع ابن ابى عامر فى بعض الغزوات وصعدا الى بعض القلاع لينظرا فى أمرها فجرت محاورة بين ابن ابى عامر وغالب فسبه غالب وقال له يا كلب انت الذى افسدت الدولة وخربت القلاع وتحكمت فى الدولة وسل سيفه فضربه وكان بعض الناس حبس يده فلم تتم الضربة وشجه فألقى ابن ابى عامر نفسه من راس القلعة خوفا من ان يجهز عليه فقضى الله تعالى انه وجد شيئا فى الهواء منعه من الهلاك فاحتمله اصحابه وعالجوه حتى برئ ولحق غالب بالنصارى فجيش بهم وقابله ابن ابى عامر بمن معه من جيوش الاسلام فحكمت الاقدار بهلاك غالب وتم لابن ابى عامر ما جده وتخلصت دولته من الشوائب قالوا ولما وقعت وحشة بين ابن ابى عامر والمؤيد وكان سببها تضريب الحساد فيما بينهما وعلم انه مادهى الا من جانب حاشية القصر فرقهم ومزقهم ولم يدع فيه منهم الا من وثق به او عجز عنه ثم ذكر له ان الحرم قد انبسطت ايديهن فى الاموال المختزنة بالقصر وما كانت السيدة صبح اخت رائق تفعله من اخراج الاموال عند ما حدث من تغيرها على ابن ابى عامر وانها اخرجت فى بعض

فى كنيسة القسيان بها من القداس عندهم وكذلك فى تاريخ الملكية فى كنيسة القسيان بمدينة انطاكية وسنذكر بعد فى هذا الكتاب جملا من التاريخ فى باب نفرده لذلك ان شاء الله تعالى فلنرجع الآن الى وصف حساب الشهور شباط ثمانية وعشرون يوما وربع ثلاث سنين متوالية والرابعة كبيسة فيكون تسعا وعشرين يوما وتكون السنة ثلثمائة وستة وستين يوما ولسبعة منه تسقط الجمرة الاولى وهى الجبهة ولاربع عشرة منه تسقط الجمرة الثانية وهى الصرفة وينصرف البرد وثلاثة أيام من آخره أيام العجوز واذار أحد وثلاثون يوما ولاربعة من أوله تتم أيام العجوز والعرب تسمى هذه السبعة الايام صنا وصنبرا ووبرا وآمرا ومؤتمرا ومعللا ومطفئ الجمر قال بعض العرب فى أسماء أيام العجوز
كسع الشتاء بسبعة غبر
صن وصنبر وبالوبر
فاذا انقضت أيام شتوتنا
أيام صادوة عن القر
كسع الشتاء موليا هربا
وأتتك واقدة من الحر

لايام مائة كوز مختومة على أعناق الخدم الصقالبة فيها الذهب والفضة ومؤهت ذلك كله
المري والشهد وغيره والاصباغ المتخذة بقصر الخلافة وكتبت على رؤس الكيزان أسماء
لك ومرت على صاحب المدينة فما شك انه ليس فيها الا ماهو عليها وكان مبلغ ما حملت فيها
من الذهب ثمانين ألف دينار فاحضر ابن أبي عامر جماعة وأعلمهم أن الخليفة مشغول عن
حفظ الاموال بانهماكه في العبادة وان في اضاعتها آفة على المسلمين وأشار بنقلها الى حيث
يؤمن عليها فيه فحمل منها خمسة آلاف ألف دينار عين قيمة ورق وسبعمائة ألف دينار
كانت صحح فيها ما ادعت عما بالقصر من الاموال ولم تمكن من اخراجها فاجتمع ابن ابي عامر
بخليفة هشام واعترف له بالفضل والغناء في حفظ قواعد الدولة فخرست ألسنة العدا
لة وعلم المنصور ما في نفوس الناس لظهور هشام ورؤيتهم له اذ كان منهم من لم يره قط
للناس وركب الركبة المشهورة واجتمع لذلك من الخلق مالا يحصى وكانت عليه
ايله والقضيب في يده زى الخلافة والمنصور يسايره ثم خرج المنصور لآخر غزواته
مرض المرض الذى مات فيه وواصل شن الغارات وقويت عليه العلة فاتخذ له سرير
ووطئ عليه ما يقعد عليه وجعلت عليه ستارة وكان يحمل على أعناق الرجال
العسكر تحف به وكان هجر الاطباء في تلك العلة لاختلافهم فيها وأيقن بالموت وكان
يقول ان زماني يشتمل على عشرين ألف مرتزق ما أصبح فيهم أسوأ حالة مني ولعله يعني
من حضر معه تلك الغزاة والافعساكر الاندلس ذلك الزمان أكثر من ذلك العدد واشتغل
هنه بأمر قرطبة وهو في مدينة سالم فلما أيقن بالوفاة أوصى ابنه عبد الملك وجماعته وخلا
بولده وكان يكرر وصاياته وكلما أراد أن ينصرف يرده وعبد الملك يبكي وهو ينكر عليه بكاءه
ويقول وهذا من أول العجز وأمره أن يستخلف أخاه عبد الرحمن على العسكر وخرج عبد الملك
الى قرطبة ومعه القاضي ابو ذكوان فدخلها أول شوال وسكن الارجاف بموت والده وعرف
الخليفة كيف تركه ووجد المنصور خفة فاحضر جماعة بين يديه وهو كالخيال لا يبين
الكلام وأكثر كلامه بالاشارة كالمسلم المودع وخرجوا من عنده فكان آخر العهد به ومات
لثلاث بقين من شهر رمضان وأوصى أن يدفن حيث يقبض فدفن في قصره بمدينة سالم
واضطرب العسكر وتلوّم ولده أياما وفارقه بعض العسكر الى هشام وقفل هو الى
قرطبة فيمن بقي معه ولبس فتيان المنصور المسوح والاكسية بعد الوشي والحبر والخزوقام
ولده عبد الملك المظفر بالامر واجراه هشام الخليفة على عادة أبيه وخلع عليه وكتب له
السجل بولاية الحجابة وكان الفتيان قد اضطربوا فقوم المائل وأصلح الفاسد وجرت الامور
الى السداد وانشرحت الصدور بما شرع فيه من عمارة البلاد فكان أسعد مولود ولد في
الاندلس ولنمسك عنان القلم في أمر ابن أبي عامر فقد قدمنا في محله جملة من أحواله وما ذكرناه
هنا وان كان محله ما سبق وبعضه قد تكرر معه فهو لا يخلو من فوائد زوائد والله تعالى ولي
التوفيق (رجع) الى أخبار صاعد اللغوي البغدادي حكى انه دخل على المنصور يوم عيد
وعليه ثياب جدد وخف جديد فمشى على حافة البركة لازدحام الحاضرين في الصحن فزلق
وسقط في الماء فضحك المنصور وأمر باخراجه وقد كاد البرد أن يأتي عليه فخلع عليه وأدني

اترى الشمس حلت الحملا * وطاب وزن الزمان واعتدلا

وغنت الطير بعد عجمتها * واستوفت الخمر حولها كملا
واكتست الارض من زخارفها
وشى ثياب تخالها حللا
فاشرب على جدة الزمان فقد
أصبح وجه الزمان معتدلا
وليس بحلول الشمس الحمل تستوفي الخمر سنة وانما أراد بحلولها قربها من الحول والقوّة (قال المسعودي) وأما شهور الروم فهي موافقة لشهور السريانيين في العدد وذلك أن أوّل شهور الروم ينواريوس وهو كانون الثاني وقد قدمنا أن في أوّل يوم منه يكون الغطاس وشباط فبرواريوس واذار مارتيوس ونيسان ابريليس وايار مايوس وحزيران يونيوس وتموز يوليوس وآب أغسطوس وايلول سبطمبر وتشرين الاوّل أقطوبر وتشرين الثاني نوعبر وكانون الاول دسمبر *(ذكر شهور الفرس)* كلها ثلاثون يوما فاولها فرودري وأول يوم منه النيروز وبينه وبين المهرجان مائة وأربعة وسبعون يوما والثاني أرديبهشت ماه وخرداد ماه وتير ماه نيروز عيد المهاجرين ومرداد ماه وشهريور ماه ويوم الرابع والعشرين منه المهرجان ومهر ماه وابان ماه وآدر ماه عيد الانصار وهذه خمسة أيام الفردوجان ودي ماه وأول

مجلسه وقال له هل حضرك شئ فقال

شيأ ن كانا في الزمان عجيبة * ضرط ابن وهب ثم وقعة صاعد

فاستبرد ما اتى به أبو مروان الكاتب الجزيري فقال هلا قلت

سروري بغرتك المشرقه * وديمة راحتك المغدقه

ثناني نشوان حتى غرقت * في لجة البركة المطبقه

لئن ظل عبدك فيها الغريق * فجودك من قبلها أغرقه

فقال له المنصور لله درك يا أبا مر وان قسنا بأهل بغداد ففضلتهم فيمن نقيسك بعد انتهى وقال في الذخيرة في ترجمة صاعد وفد على المنصور نجما من المشرق غرب ولسانا عن العرب اعرب واراد المنصور أن يقفي به آثار ابي على القالي فالفي سيفه كهاما وسحابه جهاما من رجل يتكلم علي فيه ولا يوثق بكل ما يذره ولا ما يأتيه انتهى باختصار واصل صاعد من ديار الموصل وقال ارتجالا وقد عبث المنصور بترنجان

لم ادر قبل ترنجان عبثت به * أن الزبرجد اغصان واوراق

من طيبه سرق الاترج نكهته * يا قوم حتى من الاشجار سراق

كانما الحاجب المنصور علمه * فعل الجميل فطابت منه اخلاق

وقدمه الحجاري بقوله

كأن ابريقنا والراح في فمه * طير تناول ياقوتا بمنقار

وقبله

وقهوة من فم الابريق صافية * كالدمع مفجوعة بالالف مغيار

وقال في بدائع البدائه دخل صاعد اللغوي على بعض اصحابه في مجلس شراب فملأ الساقي قدحا من ابريق فبقيت على فم الابريق نقطة من الراح قد تكونت ولم تقطر فاقترح عليه الحاضرون وصف ذلك فقال وقهوة من فم الابريق ساكبة البيتين ثم قال بعدهما وانما هدم صاعد قول الشريف ابي البركات علي بن الحسين اللغوي

كأن ريح الروض لما أتت * فتت علينا مسك عطار

كأنما أبريقنا طائر * يحمل ياقوتا بمنقار

انتهى

ومن نظم صاعد

قلت له والرقيب يعجله * مودعا للفراق أين أنا

فدكفا الى ترائبه * وقال سر وادعا فانت هنا

وقال صاعد لما أمر المنصور بن أبي عامر بمعارضة قصيدة لابي نواس

اني لاستحيي علا * ك من ارتجال القول فيه

من ليس يدرك بالرويـة كيف يدرك بالبديه

وقال حاشد البغدادي في صاعد اللغوي وكان صاعد ينشدهما ويبكي ويقول ما هجيت بشئ أشد علي منهما

اقبل هديت ابا العلاء نصيحتي * بقبولها وبواجب الشكر

وارض الشام والجزيرة ومصر واليمن لا يعرفون ذلك ويطعم مدة من الايام الجوز والثوم والهدم السمين وما عدى ذلك من الاطعمة الحارة والاشربة المسخنة الدافعة للبرد فيظهر طاردا للبرد فيصب عليه الماء البارد فلا يجد لذلك شيأ من ألمه ويصيح بالفارسية كرما كرما وهذا وقت عيد الاعاجم يطربون فيه ويظهرون السرور وكذلك في أوقات كثيرة من فصول السنة وادورون والاردحش ودزماه ودسمهر وردمنا وآذروبهمن ماه واسفندار مذرون الاسوف واسفندار موزماه فذلك ثلثمائة وخمسة وستون يوما والله اعلم

(ذكر ايام الفرس)*

وهى هرمزو بهمان وأدربهشت وشهر بن واسفندارم وخرداد ومرداد ودينا ودين وادواران وحردمله ونبر وتبرس ودي ومهر وانرويس وافرون وبهران وفيه يقول الشاعر

يا كربنا لذة المدام

في يوم سبت ويوم رام

لاتهجون أسن منك فربما * تهجو أباك وانت لاتدرى

نعوذ بالله من لسان الشعراء وانواع البلاء بجاه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومن نظم صاعد قوله

بعثت اليك من خيرى روض * مخرمة كاوراق العقيق
توكل بالغروب عن التصابى * وتصطاد الخليع من الطريق

وروى صاعد عن القاضى ابى سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى وابى على الحسن بن احمد الفارسى وأبى بكر بن مالك القطيعى وأبى سليمان الخطابى وغيرهم قال الحميدى خرج من الاندلس فى الفتنة فمات بها قريبا سنة عشر وأربعمائة وقال ابن حزم توفى بصقلية سنة سبع عشرة وأربعمائة وقال ابن بشكوال فى حقه انه يتهم بالكذب وقلة الصدق فيما يورده عفا الله تعالى عنه وقدم الاندلس من مصر أيام المؤيد وتحكم المنصور ابن أبى عامر فى حدود سنة ٣٨٠ فاكرمه المنصور وزاد فى الاحسان اليه والافضال عليه وكان عالما باللغة والآداب والاخبار سريع الجواب حسن الشعر طيب المعاشرة فكه المجالسة وقال بعضهم دخل صاعد على المنصور وعنده كتاب ورد عليه من عامل له فى بعض الجهات اسمه برمان بن يزيد يذكر فيه القلب والتزبيل وهما عندهم اسم الارض قبل زراعتها فقال له يا أبا العلاء قال لبيك يا مولانا فقال هل رأيت أو وصل اليك من الكتب القوالبة والزوالبة لبرمان بن يزيد قال اى والله ببغداد فى نسخة لابى بكر بن دريد بخطه ككراع النمل فى جوانبها فقال له أما تستحيى أبا العلاء من هذا الكذب هذا كتاب عاملى ببلد كذا واسمه كذا يذكر فيه كذا فجعل يحلف له انه ما كذب ولكنه أمر وافق ومات عن سن عالية رحمه الله تعالى *(ومن الوافدين على الاندلس من المشرق الشيخ تاج الدين بن حمويه السرخسى) ولد سنة ٥٧٣ وقد ذكر فى رحلته عجائب شاهدها بالمغرب ومشايخ لقيهم فمنهم الحافظ أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن حوط الله الانصارى قال سمعت عليه سنة سبع وتسعين وخمسمائة الحديث وشيأ من تصانيف المغاربة وروى لنا عن الحافظ أبى اسحق ابراهيم بن يوسف بن ابراهيم بن قرقول وولى ابن حوط الله المذكور قضاء غرناطة وأدرك ابن بشكوال وابن حبيش وابن حميد المرسى النحوى وأبا زيد السهيلى صاحب الروض وغيرهم ومن الشيوخ الذين لقيهم السرخسى المذكور بالمغرب الفقيه ابن أبى تميم قال وانشدنى

اسمع أخى نصيحتى * والنصح من محض الديانه
لاتقربن الى الشها * دة والوساطة والامانه
تسلم من ان تعزى لزو * ر أو فضول أو خيانه

وذكر انه أدرك الشيخ الولى العارف بالله سيدى أبا العباس أحمد بن جعفر الخزرجى السبتى صاحب الحالات والكرامات الظاهرة والطريقة الغريبة والاحوال العجيبة قال أدركته عمرا كنت سنة اربع وتسعين وخمسمائة وقد ناهز الثمانين ومهما حصل عنده مال فرقه فى الحال وتركته فى سنة ثمان وتسعين حيا يرزق انتهى وولى الله السبتى قد

وماروسعيدونيران فاما أيامهم المعروفة بالفردحان فهى وهيدكاه وست كاه هو كاه مسروكاه كاساه وكانت العرب تسمى الايام الخمسة الهرير والهبير وقالب الفهر وحافل الضرع ومدحرج البعر (وكانت الفرس) تكبس فى كل مائة وعشرين شهرا لربع اليوم الفاضل فى الشهور الرومية وتسميه الهارك فاذا كانت سنة كبيسة أخروا ذلك الى مائة وعشرين سنة لان أيامهم كانت سعودا ونحوسا فكرهوا أن يكبسوا فى كل أربع سنين يوما فتنتقل بذلك أيام السعود الى أيام النحوس ولا يكون النيروز أول يوم من الشهر والله تعالى أعلم

(ذكر سنى العرب وشهورها وتسمية أيامها ولياليها)

أشهر الاهلة أولها المحرم وأيامها ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما تنقص عن السريانى أحد عشر يوما وربع يوم فتفرق فى كل ثلاثة وثلاثين سنة فتنسلخ تلك السنة العربية ولا يكون فيها نيروز وقد كانت العرب فى الجاهلية تكبس فى كل ثلاث سنين شهرا وتسميه النسى* وقد ذم الله تبارك وتعالى فعلهم بقوله انما النسى زيادة فى الكفر ورسمت العرب الشهور فبدأت بالمحرم لانه أول السنة

ذكرت فى غير هذا الموضع بعض أحواله فلتراجع فى الباب الثامن من ترجمة لسان الدين بن الخطيب ومحله مقصود لقضاء الحاجات وقد زرته مرارا عديدة سنة ١٠١٠ وقال لسان الدين فى نفاضة الجراب كتبت عن السلطان الغنى بالله محمد بن يوسف بن نصر ونحن بفاس يخاطب الضريح المقصود والمنهل المورود والمرعى المنتجع والخوان الذى يكفى الغرثى ويمرض المرضى ويقوت الزمنى ويتعداهم الى أهل الجدة زعموا والغنى قبر ولى الله سيدى أبى العباس السبتى نفعنا الله به وجبر حالنا وأعاد علينا النعم ودفع عنا النقم

يا ولى الاله أنت جواد * وقصدنا الى جنابك المنيع
راعنا الدهر بالخطوب فجئنا * نرتجى من علاك حسن الصنيع
فمددنا اليك كف نرجى * عودة العز تحت شمل جميع
قد جعلناوسيلة تربك الزا * كى وزلفى الى العليم السميع
لم غريب أسرى اليك فوافى * برضاعاجل وخير سريع

يا ولى الله الذى جعل جاهه سببا لقضاء الحاجات ورفع الازمات وتصريفه باقيا بعد الممات وصدق نقول الحكايات ظهور الآيات نفعنى الله بنيتى فى بركة تربك وأظهر على أثر توسلى بك الى الله ربك مزق شملى وفرق بينى وبين أهلى وتعدى على وصرفت وجوه المكايد الى حتى أخرجت من وطنى وبلدى ومالى وولدى ومحل جهادى وحق الذى صار لى طوعا عن آبائى واجدادى عن بيعة لم يحل عقدتها الدين ولا ثبوت جرحة تشين وانا قد قرعت باب الله سبحانه بتأميلك فالتمس لى قبوله بقبولك وردنى الى وطنى على أفضل حال وأظهر على كرامتك التى تشد اليها ظهور الرحال فقد جعلت وسيلتى اليك رسول الحق الى جميع الخلق والسلام عليك ايها الولى الكريم الذى يأمن به الخائف وينتصف الغريم ورحمة الله انتهى *(رجع) والسرخسى المذكور قال فى حقه بعض الائمة انه الشيخ الامام شيخ الشيوخ تاج الدين ابو محمد عبد الله بن عمر بن على بن محمد بن حمويه له رحلة مغربية انتهى وهو من بيت كبير وقال البدرى فى حقه ما صورته تاج الدين شيخ الشيوخ بدمشق احد الفضلاء المؤرخين المصنفين له كتاب فى ثمان مجلدات ذكر فيه اصول الاشياء وله السياسة الملوكية صنفها للملك الكامل محمد وغير ذلك وسمع الحديث وحفظ القرآن وكان قد بلغ الثمانين وقيل لم يبلغها وقد سافر الى بلاد المغرب سنة ثلاث وتسعين واتصل بمراكش عند ملكها المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن فاقام هنالك الى سنة ستمائة وقدم مصر وولى مشيخة الشيوخ بعد اخيه صدر الدين ابن حمويه انتهى وقال غيره انه كان فاضلا متواضعا نزها حسن الاعتقاد قال ابو المظفر كان يحضر مجالسى وانشدنى يوما

لم انس تكبرا الانحولى * عند اللقاء الكبر الذى فيه
ولا حلالى من الدنيا ولذتها * الامقابلتى للتيه بالتيه

وقال السرخسى المذكور فى رحلته انى وان كنت خراسانى الطينة لكنى شامى المدينة لو ان كانت العمومة من المشرق فان الخؤلة من المغرب فخذ باعث يدعو الى الحركات والاسفار

فيها ومن تخلف عنها هلك جوعا وقال نابغة ذبيان
انى نهيت بنى ذبيان عن أفق
وعن ترفههم فى كل أصفار
وقيل انما سمى الصفر لان المدن كانت تخلو فيه من أهلها بخروجهم الى الحرب وهو مأخوذ من قولهم أصفرت الدار منهم اذا خلت وربيع وربيع لارتباع الناس والدواب فيهما فان قيل قد توجد الدواب ترتبع فى غير هذا الوقت قيل قد يمكن أن يكون هذا الاسم لزمهما فى ذلك الوقت فاستمر تعريفهما بذلك مع انتقال الزمان واختلافه وجمادى وجمادى لجمود الماء فيهما فى الزمان الذى سميت به هذه الشهور لانهم لم يعلموا أن الحر والبرد يدوران فتنتقل أوقات ذلك ورجب لخوفهم اياه يقال رجبت الشئ اذا خفته وانشد
* فلا .. ماله لا ترجبها *
وشعبان لتشعبهم الى ميسر وطلب الغارات ورمضان لشدة حر الرمضاء فيه ذلك الوقت والوجه الآخر أنه اسم من أسماء الله تعالى ذكره ولا يجوز أن يقال رمضان وانما يقال شهر رمضان وشوال لان الابل كانت تشول فيه ذلك الوقت باذنابها

الحرب والغارات وذو الحجة لأن الحج فيه (والاشهر الحرم) المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة (وأشهر الحج) شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة والايام المعلومات العشر والايام المعدودات ايام التشريق والتعجيل باتفاق غير جائز الا في اليوم الثالث من يوم النحر يدل ذلك على أن أولها ثاني يوم النحر ولو كان يوم النحر من المعدودات كان يوم التعجيل في ثلاثة أيام وهذا خلاف القرآن لاخبار الله تعالى أن التعجيل في يومين من المعدودات واذا كانت المعدودات ما وصفنا صح أن المعلومات منها والذبح في يوم النحر ذبح في المعلومات لكونه منها ولا تمانع بين العرب أن يقول القائل آتيك في الشهر والاتيان انما كان في بعضه وجئتك في اليوم والمجيء في بعض أوقاته ولا يصام يوم النحر ولا يوم الفطر ولا ايام منى لفرض ولا لتطوع لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ولم يخص فرضا من تطوع بالنهي فالواجب الامتناع على ما وصفنا (وقد ذكر عن عقبة بن

والاسفار ومشاهدة الغرائب في النواحي والاقطار وذلك في حال ريعان الشباب الذي تعضده عزائم النفوس بنشاطها والجوارح بخفة حركاتها وانبساطها فخرجت سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة الى زيارة البيت المقدس وتجديد العهد ببركاته واغتنام الاجر في حلول بقاعه ومزاراته ثم سرت منه الى الديار المصرية وهي آهلة بكل ما تجمل به البلاد وتزدهي وينتهي وصف الواصف لشؤنها ولا تنتهي ثم دخلت الغرب من الاسكندرية في البحر ودخلت مدينة مراكش ايام السيد الامام امير المؤمنين أبي يوسف يعقوب المنصور ابن يوسف بن عبد المؤمن بن علي فاتصلت بخدمته والذي علمت من حاله انه كان يحفظ القرآن ويحفظ متون الاحاديث ويتقنها ويتكلم في الفقه كلاما بليغا وكان فقهاء الوقت يرجعون اليه في الفتاوى وله فتاوى مجموعة حسبما أدى اليه اجتهاده وكان الفقهاء ينسبونه الى مذهب الظاهر وقد شرحت أحوال سيرته وما جرى في ايام دولته في كتاب التاريخ المسمى عطف الذيل وقد صنف كتابا جمع فيه متون احاديث صحاح تتعلق بها العبادات سماه الترغيب وتهدده ملك الافرنج الفنش في كتابه فمزقه وقال لرسوله ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون ان شاء الله تعالى ثم قال للكاتب اكتب على هذه القطعة يعني من كتابه الذي مزقه الجواب ما ترى لا ما تسمع

فلا كتب الا المشرفية والقنا * ولا رسل الا الخميس العرمرم

ومن شعره ابيات كتب بها الى الغرب وهي

يا ايها الراكب المزجي مطيته * على عذافرة تشقى بها الاكم
بلغ سليمى على بعد الديار بها * بيني و بينكم الرحمن والرحم
يا قومنا لا تشبوا الحرب ان خمدت * واستمسكوا بعرى الايمان واعتصموا
كم جرب الحرب من قد كان قبلكم * من القرون فبادت دونها الامم
حاشى الاعارب أن ترضى بمنقصة * يا ليت شعري اهل ترآهم علموا
يقودهم ارمني لا خلاق له * كأنه بينهم من جهلهم علم

يعني بالارمني قرقوش مملوك بني ايوب الذي كان ذهب الى بلاد الغرب الادنى واوقد النار الحربية من طرابلس الى تونس مع ابن غانية اللمتوني وحديثه مشهور وتمام الابيات

الله يعلم أني ما دعوتكم * دعاء ذي قوة يوما فينتقم
ولا لحاجات لامر يستعان به * من الامور وهذا الخلق قد علموا
لكن لأجزي رسول الله عن نسب * ينمي اليه وترعى تلكم الذمم
فان اتيتم فحبل الوصل متصل * وان ابيتم فعند السيف نحتكم

ثم قال السرخسي و بلغني ان قوما من الغرباء قصدوه ومعهم حيوانات معلمة منها اسد وغراب اما الاسد فيقصد من دون اهل المجلس ويربض بين يديه ويرعى ويومئ بالسجود ومد ذراعيه واما الغراب فكان يقول النصر والتمكين لسيدنا امير المؤمنين وفي ذلك يقول بعض الشعراء

انس الشبل ابتهاجا بالاسد * ورأى شبه ابيه فقصد

عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن صيام ثلاثة ايام التشريق وفي جميع ما ذكرنا من المعلومات والمعدودات والصيام في

أنطق الخالق مخلوقاته * شهدوا والكل بالحق شهد
أملك الخيرة من صفوته * بعد ما طال على الناس الامد

فاعطاهم وكساهم واحسن حباهم وبلغني ان قوما اتوه بفيل من بلاد السودان هدية فامر لهم بصلة ولم يقبله منهم وقال نحن لا نريد ان نكون اصحاب الفيل وقال لي يوما كيف ترى هذه البلاد وأين هي من بلادك الشامية فقلت يا سيدنا بلادكم حسنة أنيقة مجملة مكملة وفيها عيب واحد فقال ماهو فقلت انها تنسي الاوطان فتبسم وظهر لي اعجابه بالجواب وامر لي من غد بزيادة رتبة واحسان وحدثني بعض علمائهم انه فرق على الجند والامراء والفقراء في عيد سنة أربع وتسعين ثلاثة وسبعين ألف شاة من ضأن ومعز ودرج الى رحمة الله تعالى سنة خمس وتسعين وخمسمائة وكان قد استخلف ولده محمدا وقرر الامر له انتهى قلت بهذا وامثاله تعلم فساد ما زعمه غير واحد أن يعقوب المنصور هذا تخلى عن الملك وفر زهدا فيه الى المشرق وانه دفن بالبقاع لان هذه مقالة عامية لا يثبتها علماء المغرب وسبب هذه المقالة تولع العامة به فكذبوا في موته وقالوا انه ترك الملك وحكوا ما شاع الى الآن وذاع مما ليس له أصل ويرحم الله تعالى الامام العلامة القاضي الشريف الغرناطي شارح الخزرجية اذ قال في شرح مقصورة حازم عند ذكره وقعة الارك ما معناه ان بعض الناس يزعمون أن المنصور ترك الملك وذهب الى المشرق وهذا كلام لا يصح ولا أصل له انتهى وقال في المغرب كان أبوه يوسف قد استوزره في حياته وخرج بين يديه وعرس وهزم الفرنج الهزيمة القطيعة وتولع بالعلم حتى نفى التقليد وحرق كتب المذاهب وقتل على السكر انتهى وحكى لسان الدين الوزير ابن الخطيب في شرح كتابه رقم الحلل في نظم الدول أن المنصور طلب من بعض أعيان دولته رجلين لتاديب ولده يكون احدهما برا في عمله والآخر بحرا في علمه فجاءه بشخصين زعم انهما على وفق مقترح المنصور فلما اختبرهما لم يجدهما كما وصف فكتب الى الآتي بهما ظهر الفساد في البر والبحر انتهى وناهيك بهذا دلالة على قوة فطنته ومعرفته رحمه الله تعالى (رجع) الى أخبار السرخسي وقال في رحلته لما ذكر السيد أبا الربيع سليمان بن عبد الله ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي وكان في تلك المدة يلي مدينة سجلماسة وأعمالها اجتمعت به حين قدم الى مراكش بعد وفاة المنصور يعقوب لمبايعة ولده محمد فرأيته شيخا بهي المنظر حسن المخبر فصيح العبارة باللغتين العربية والبربرية ومن كلامه في جواب رسالة الى ملك السودان اغانة ينكر عليه تعويق التجار قوله نحن نتجاور بالاحسان وان تخالفنا في الاديان ونتفق على السيرة المرضية ونتآلف على الرفق بالرعية ومعلوم أن العدل من لوازم الملوك في حكم السياسة الفاضلة والجور لا تعانيه الا النفوس الشريرة الجاهلة وقد بلغنا احتباس مساكين التجار ومنعهم من التصرف فيما هم بصدده وتردد الجلابة الى البلد مفيد لسكانها ومعين على التمكن من استيطانها ولو شئنا لاحتبسنا من في جهاتنا من أهل تلك الناحية لكنا لا نستصوب فعله ولا ينبغي لنا أن ننهى عن خلق ونأتي مثله والسلام ووقع الى عامل له كثرت الشكاوى منه قد كثرت فيك الاقوال واغضائي عنك رجاء أن تتيقظ فتنصلح الحال وفي مبادرتي

الى

ايام التشريق خلاف بين الناس وايام التشريق ... أولها ثاني النحر وآخرها اليوم الثالث عشر من ذي الحجة (قال المسعودي) وقد اختلف الناس في علة أيام التشريق وهي ايام منى ولياليها فقالت طائفة انما سميت ايام التشريق لانهم كانوا يذبحون الذبائح ويشرقون اللحم في الشمس وقال آخرون انما سميت ايام التشريق لان اهل مكة وغيرهم يتشرقون منصرفين الى اوطانهم وفيه قول آخر وهو انها انما سميت ايام التشريق لانهم كانوا يخرجون من منى وغيرها كالمزدلفة الى مصليات لهم في فضاء من الارض فيسمونها المشارق واحدها مشراق يسعون ويدعون فسميت بذلك ايام التشريق وفيه قول آخر وهو ان طائفة زعمت أنه ماخوذ من ذبح البهائم وهو التشريق وقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الضحية بالمشرقة يعني المشقوقة الاذنين بالطول فهي ايام التشريق وللناس في التشريق من اهل الآراء والنحل كلام كثير لا يحتمله كتابنا هذا وانما ذكرنا ما اوردناه لتعلق الكلام بما اليه واتصاله بما قدمناه وان كان كلاما يلحق بالفقه (والايام النصاب) كل اربعاء يوافق اربعا من الشهر مثل اربع خلون واربع وعشرين واربع بقين (واما أسماء الايام) فاولها

الى ظهور الانكار عليك نسبة الى شر الاختيار وعدم الاختبار فاحذر فانك على شفا جرف هار ومن شعره المشهور قصيدة يمدح بها ابن عمه المنصور يعقوب

هبت بنصركم الرياح الاربع * وجرت بسعدكم النجوم الطلع

واستبشر الفلك الاثير تيقنا * أن الامور الى مرادك ترجع

وأمدك الرحمن بالفتح الذى * ملأ البسيطة نوره المتشعشع

لم لا وأنت بذلت فى مرضاته * نفسا تفديها الخلائق أجمع

ومضيت فى نصر الاله مصمما * بعزيمة كالسيف بل هى أقطع

لله جيشك والصوارم تنتضى * والخيل تجرى والاسنة تلمع

من كل من تقوى الاله سلاحه * ما ان له غير التوكل مفزع

لا يسلمون الى النوازل جارهم * يوما اذا أضحى الجوار يضيع

ومنها يصف انهزام العدو

ان ظن أن فراره منج له * فبجهله قد ظن ما لا ينفع

أين المفر ولا فرار لهارب * والارض تنشر فى يديك وتجمع

أخليفة الله الرضا هنيته * فتح يعد جباه ويشفع

فلقد كسوت الدين عزا شامخا * ولبست منه أنت ما لا يخلع

هيهات سر الله أودع فيكم * والله يعطى من يشاء ويمنع

لكم الهدى لا يدعيه سواكم * ومن ادعاه يقول ما لا يسمع

ان قيل من خير الخلائق كلها * فاليك يا يعقوب تومى الاصبع

ان كنت تتلو السابقين فانما * أنت المقدم والخلائق تبع

خذها أمير المؤمنين مديحة * من قلب صدق لم يشنه تصنع

واسلم أمير المؤمنين لامة * أنت الملاذ لها وأنت المفزع

فالمدح منى فى علاك طبيعة * والمدح من غيرى اليك تطبع

وعليك يا علم الهداة تحية * يفنى الزمان وعرفها يتضوع

قال لى الفقيه أبو عبد الله محمد القسطلانى دخلت الى السيد ابى الربيع بقصر سجلماسة وبين يديه أنطاع عليها رؤس الخوارج الذين قطعوا الطريق على السفار بين سجلماسة وغانة وهو ينكت الارض بقضيب من الابنوس ويقول

ولا غرو أن كانت رؤس عداته * جوابا اذا كان السيوف رسائله

ومات بعد الستمائة رحمه الله تعالى انتهى وقال لما هجره أمير المؤمنين يعقوب المنصور ووافق ذلك أن وفد على حضرة الخلافة مراكش جمع من العرب والغزمن بلاد المشرق ونزلوا بتمر تاسقت ظاهر مراكش واستاذنوا فى وقت الدخول فكتب الى المنصور

يا كعبة الجود التى حجت لها * عرب الشآم وغزها والديلم

ما لى لمن أمسى يطوف بها غدا * ويحل بالبيت الحرام ويحرم

ومن العجائب أن يفوز بنظرة * من بالشآم ومن بمكة يحرم

الكتاب ما فى الايام من بدء الخلق والاثنين وسمى لانه ثان والثلاثاء وسمى لانه ثالث والاربعاء لانه رابع والخميس لانه خامس والجمعة لان الخلق اجتمعوا فيه والسبت لان الخلق انقطع فيه ولم يخلق وهو مأخوذ من قولهم نعل سبتية اذا كانت مقطوعة الشعر ويقال سبت شعره اذا قطعه وكانت العرب تسميها فى الجاهلية الاحد أول والاثنين أهون والثلاثاء جبار والاربعاء دبار والخميس مؤنس والجمعة عروبة والسبت شيار وقال شاعرهم

أؤمل أن أعيش وأن يومى * باول أو بأهون أو جبار

أو المردى دبار فان أفته * فمؤنس أو عروبة او شيار

وكانوا يسمون الشهور المحرم ناتق وصفر ثقيل ثم طليق ناجر سماح امنح أحلك كسع زاهر برط حرف نعس وهو ذو الحجة (وقد اختلفت العرب) فى أسماء الازمنة فزعمت طائفة منها أن أولها الوسمى وهو الخريف ثم الشتاء ثم الصيف ثم القيظ ومنهم من يعد الاول من فصول السنة الربيع وهو الاشهر والاعم والعرب تقول خرفنا فى بلد كذا وشتونا فى بلد كذا وتربعنا فى بلد كذا وصيفنا فى بلد كذا

فعفا عنه وأحسن اليه وأمره بالدخول بهم والتقدم عليهم وقال في المغرب في حق السيد أبي الربيع المذكور ما ملخصه لم يكن في بني عبد المؤمن مثله في هذا الشأن الذي نحن بصدده وكان تقدم على مملكتي سجلماسة وبجاية وكان كاتباً شاعراً أديباً ماهراً وشعره مدون وله ألغاز وهو القائل في جارية اسمها الوف

خليلي قولا أين قلبي ومن به * وكيف بقاء المرء من بعد قلبه
ولو شئتما اسم الذي قد هويته * لصحفتما أمرى لكم بعد قلبه

وله الابيات المشهورة التي منها

أقول لركب أدلجوا بسحيرة * قفوا ساعة حتى أزور ركابها
وأملأ عيني من محاسن وجهها * وأشكو اليها ان أطالت عتابها
فان هي جادت بالوصال وأنعمت * والا فحسبي أن رأيت قبابها

وقال يخاطب ابن عمه يعقوب المنصور

فلأملأن الخافقين بذكركم * مادمت حياً ناظماً ومرسلا
ولأبذلن نهى لكم جهدي وذا * جهد المقل وما عسى أن أفعلا
ولأخلصن لك الدعاء وما أنا * أهل له ولعله ان يقبلا

وله مختصر كتاب الاغاني انتهى *(رجع) وذكر السرخسي أيضاً في رحلته السيد أبا الحسن علي بن عمر ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن وقال في حقه انه كان من أهل الادب والطرب ولي بجاية مدة ثم عزل عنها لاهماله واغفاله وانهماكه في ملاذه أنشدني محمد بن سعيد المهدي كاتبه قال كتب الامير أبو الحسن الى أمير المؤمنين يعقوب يمدحه ويستنجز يده ويطلب منه ما يقضي به ديونه

وجوه الاماني بكم مسفره * وضاحكة لي مستبشره
ولي أمل فيكم صادق * قريب عسى الله أن ييسره
علي ديون وتحييفها * وعندكم الجود والمغفره

يعني ذنوب وحدثني الشيخ أبو الحسن بن فشتال الكاتب وقد أنشدته

أوحشتني ولو اطلعت على الذي * لك في ضميري لم تكن لي موحشا

فقال أنشدته هذا البيت في مجلس السيد أبي الحسن فقال لي ولمن حضر هل تعرفون لهذا البيت ثانياً فما فينا من عرفه فأنشدنا

أترى رشيت على اطراح مودتي * ولقد عهدتك ليس تثنيك الرشا

أوحشتني البيت انتهى وقال في المغرب في حق السيد المذكور ما ملخصه كان هذا السيد أبو الحسن قد ولي مملكة تلمسان وبجاية وله حكايات في الجود برمكية ونفس عالية زكية كتب اليه السيد أبو الربيع يوم جمعة

اليوم يوم الجمعه * يوم سرور ودعه
وشملنا مفترق * فهل ترى ان نجمعه

فأجابه بقوله

وتارة في غيره من فصول السنة (وشهور الروم) مرسومة على ما يوافق فصول السنة التي تقطع فيها الشمس بروج الفلك من آخرها ومقادير أيام كل شهر منها ولياليه في الطول والقصر وظهور ما يظهر فيه من النجوم الثابتة للابصار واستتار ما يستتر منها على ممر الدهور والسنين وهي اثنا عشر شهراً على حسب ما ذكرنا أن أولها تشرين الى ايلول فلكل فصل من السنة أربعة شهور معلومة من هذه الاثني عشر شهراً غير حائلة ولا منتقلة انتقال الشهور العربية ولكل برج منها شهر فايلول وتشرين وتشرين لسلطان السوداء وكانون وكانون وشباط لسلطان البلغم واذار ونيسان وايار لسلطان الدم وحزيران وتموز وآب لسلطان الصفراء فايلول لبرج السنبلة وتشرين الاول لبرج الميزان وتشرين الآخر لبرج العقرب وكانون الاول برجه القوس وكانون الآخر برجه الجدي وشباط برجه الدلو واذار برجه الحوت ونيسان برجه الحمل وايار برجه الثور وحزيران برجه الجوزاء وتموز برجه السرطان وآب برجه الاسد (قال المسعودي) وسنذكر

اليوم يوم الجمعه * وربنا قد رفعه
والشرب فيه بدعه * فهل ترى أن ندعه

قال ولفظة السيد في المغرب بذلك العصر لا تطلق الا على بني عبد المؤمن بن علي انتهى *(رجع) قال السرخسي وقد ذكر في الرحلة المذكورة السيد أبا محمد عبد الله صاحب فاس وله من أبيات في الفخر وقد انتحلها غيره

ألست ابن من تخشى الليالي انتقامهم * وترجو نداهم غاديات السحائب
يخطون بالخطي في حومة الوغى * سطور المنايا في نحور المقانب
كتابا باطراف العوالي ونقشه * دم القلب مشكولا بنضح الترائب
وما كنت أدري قبلهم أن معشرا * أقاموا كتابا من نفوس الكتائب

وأنشدني المقدم الامير أبو زيد بن بكيت قال أنشدني بعض السادة من بني عبد المؤمن

فديت من أصبحت في أسره * وليس لي من حكمه فادي
ان حل يوما واديا كان لي * جنة عدن ذلك الوادي

ثم ذكر رحمه الله تعالى جملة من علماء الاندلس والمغرب لقيهم في هذه الرحلة ومن نظم السرخسي المذكور قوله رحمه الله تعالى

يا ساهر المقلة لا عن كرى * غفلت عن هجعي وأوصابي
لولم يكن وجهك لي قبلة * ما أصبح الحاجب محرابي

وكان متفننا في العلوم وهو عم الامراء الوزراء الرؤساء فخر الدين واخوته ومن مصنفاته المسالك والممالك وعطف الذيل في التاريخ وله أمالي وتخاريج وقدمه المنصور صاحب المغرب على جماعة وتوفي رحمه الله تعالى بدمشق ودفن في مقابر الصوفية عند المنيبع وكان عالي الهمة شريف النفس قليل الطمع لا يلتفت الى أحد رغبة في دنياه لا من أهله ولا من غيرهم وذكره صاحب المرآة وغيره وترجمته واسعة رحمه الله تعالى *(ومن الوافدين على الاندلس ظافر البغدادي) سكن قرطبة وكان من رؤساء الوراقين المعروفين بالضبط وحسن الخط كعباس بن عمر الصقلي ويوسف البلوطي وطبقتهما واستخدمه الحكم المستنصر بالله في الوراقة لما علم من شدة اعتناء الحكم بجمع الكتب واقتنائها وقد أشار ابن حيان في كتاب المقتبس الى ظافر هذا رحمه الله تعالى *(ومنهم الرازي وهو محمد بن موسى بن بشير بن جناد بن لقيط الكناني الرازي) والد أبي بكر محمد صاحب التاريخ غلب عليه اسم بلده وكان يفد من المشرق على ملوك بني مروان تاجرا وكان مع ذلك متفننا في العلوم وهلك منصرفه من الوفادة على الأمير المنذر بن محمد بالبيرة في شهر ربيع الآخر سنة ٢٧٣ ذكره ابن حيان في المقتبس *(ومنهم الوزير أبو الفضل محمد بن عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحرث بن أسد بن الليث بن سليمان بن الاسود بن سفيان التميمي الدارمي البغدادي) سمع من أبي طاهر محمد ابن عبد الرحمن المخلص وغيره وخرج من بغداد رسولا عن أمير المؤمنين القائم بأمر الله العباسي رضي الله تعالى عنه الى صاحب افريقية المعز بن باديس واجتمع مع أبي العلاء المعري بالمعرة وأنشده قصيدة لامية يمدح بها صاحب حلب فقبل عينيه وقال له لله أنت من ناظم

وغير ذلك مما يلحق بهذا الباب ان شاء الله تعالى والله ولي التوفيق

(ذكر قول العرب في ليالي الشهور القمرية وغيرها)

كانت العرب تخبر عن القمر في كل ليلة على حسب ما هو به من الضياء وغيره على طريق المسئلة والجواب فتقول قيل للقمر ما أنت ابن ليلة قال رضاع سخيلة حل أهلها برميلة قيل فما أنت لليلتين قال حديث مشيق ذو أفل ونيق قيل فما أنت لثلاث قال حديث فتيات يجتمعن من شتات وقيل قليل الثبات قيل فما أنت لاربع قال غنمة ربع غير جائع ولا مرضع قيل ما أنت لخمس قال حديث وانس قيل فما أنت لست قال سر وبت قيل فما أنت لسبع قال نصف في السبع وقيل حلبة للضبع قيل فما أنت لثمان قال قمر اضحيان وقيل رغيف اقتسمه اخوان قيل فما أنت لتسع قال يلتقط الجزع قيل فما أنت لعشر قال محب الفجر قيل فما أنت لاحدى عشرة قال أرى مساء وأرى بكرة قيل فما أنت لاثني عشر قال موفق للسير في البدو والحضر قيل فما أنت لثلاث عشرة قال قمر باهر يعشي

وخرج من أفر يقية من أجل فتنة العرب وخيم عند المامون بن ذى النون بطليطلة وله فيه أمداح كثيرة ومن فرائد شعره قوله

يا ليـل ألا انجليت عن فلق * طلت ولا صبر لى على الارق
جفت لحاظى التغميض فيك فما * تطبق أجفانها على الحدق
كأنني صـورة ممثلة * ناظرها الدهر غـير منطبق

وقال

بزرع ورد ناضر ناظرى * فى وجنـة كالقمر الطالع
أمنع أن اقطف ازهاره * فى سـنة المتبوع والتابع
فلم منعتم شفتى قطفها * والشرع أن الزرع للزارع

هكذا نسبها له غير واحد كابن سعيد وابن كتيلة وبعضهم ينسبها للقاضى عبد الوهاب قلت وقد اجاب عنها بعض المغاربة بقوله

سلمت أن الحكم ماقلتم * وهو الذى نص عن الشارع
فكيف تبغى شفة قطفه * وغيرها المدعو بالزارع

ورده شيخ شيوخ شيوخنا الامام الحافظ ابو عبد الله التنسى ثم التلمسانى بقوله

فى ذا الذى قد قلتم مبحث * اذ فيه ايهام على السامع
سلمتم الحكم له مطلقا * وغير ذا نص عن الشارع

يعنى انه يلزم على قول المجيب ان يباح له النظر مطلقا والشرع خلافه واجاب بعض الحنفية بقوله

لأن أهل الحب فى حكمنا * عبيد ما فى شرعنا الواسع
والعبد لا ملك له عندنا * فحقه للسـيد المانع

وهو جواب حسن لا باس به ورأيت جوابا لبعض المغاربة على غير رويه وهو

قل لابى الفضل الوزير الذى * باهى به مغربنا المشرق
غرست ظلما وأردت الجنى * وما لعرق ظالم حق

قلت وهذا مما يعين أن الابيات لابى الفضل الدارمى المذكور فى الذخيرة لا للقاضى عبد الوهاب والله تعالى أعلم ومن شعر الوزير المذكور قوله

بين كريمين منزل واسع * والود حال تقرب الشاسع
والبيت ان ضاق عن ثمانية * متسع بالوداد للتاسع

وولد رحمه الله تعالى سنة ثمان وثمانين وثلثمائة وهو من بيت علم وادب قال الحميدى أخبرنى بذلك أبو عمر رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحرث وتوفى بطليطلة سنة أربع وخمسين وأربعمائة وقال ابن حيان توفى ليلة الجمعة لاربع عشرة ليلة خلت من شوال سنة خمس وخمسين وأربعمائة فى كنف المامون يحيى بن ذى النون وذكر انه كان يتهم بالكذب فالله تعالى أعلم بحقيقة الامر وقال ابن ظافر فى كتابه بدائع البدائه مانصه حضر أبو الفضل الدارمى البغدادى مجلس المعز بن باديس وبالمجلس ساق وسيم قد مسك عذاره

عين الناظر قيل فما أنت لاربع عشرة قال مقتبل الشباب أضاء بين السحاب قيل فما أنت لخمس عشرة قال تم التمام ونفدت الايام قيل فما أنت لست عشرة قال ناقص الخلق فى الغرب والشرق قيل فما أنت لسبع عشرة قال يمكن الفقير للفقير قيل فما أنت لثمان عشرة قال قليل البقاء سريع الفناء قيل فما أنت لتسع عشرة قال بطىء الطلوع من الخشوع قيل فما أنت لعشرين قال أطلع سحرة وأرى بكرة قيل فما أنت لاحدى وعشرين قال لا أطيل السرى الاريثما أرى قيل فما أنت لاثنتين وعشرين قال منع خطب وليث حرب قيل فما أنت لثلاث وعشرين قال كالقبس أطلع فى الغلس قيل فما أنت لاربع وعشرين قال أطلع فى قسمة ولا أجلى ظلمة قيل فما أنت لخمس وعشرين قال أنا فى تلك الليالى لاقمر ولا هلال قيل فما أنت لست وعشرين قال دنا الاجل وانقطع الامل قيل فما أنت لسبع وعشرين قال دنا مادنا فليس فى من سنا قيل فما أنت لثمان وعشرين قال أطلع بكرا ولا أرى ظهرا قيل فما أنت لتسع وعشرين قال أسبق شعاع الشمس ولا أطيل الجلس قيل فما أنت لثلاثين

وردخديه وعجزت الراح أن تفعل فى الندامى فعل عينيه فامره المعز بوصفه فقال بديها

ومعذر نقش الجمال بمسكه * خدا له بدم القلوب مضرجا
لما تيقن أن سيف جفونه * من نرجس جعل العذار بنفسجا

وقوله فى جارية تبخرت بالند

ومخطوطة المتنين مهضومة الحشى * منعمة الارداف تدمى من اللمس
اذا مادخان الند من جيبها علا * على وجهها أبصرت غيما على شمس

وقوله

ولا غرزن بمهجتى فى حبه * غرزا يطيل مع الخطوب خطابى
ولئن تعززان عندى ذلة * تستعطف الاعداء للاحباب

وقوله

دعتنى عيناك نحو الصبا * دعاء يكرر فى كل ساعه
ولولا وحقك عذر المشيب * لقلت لعينيك سمعا وطاعه

وقد تمثل بهذين البيتين لسان الدين بن الخطيب فى خطبة تأليفه المسمى بروضة التعريف بالحب الشريف وقال أبو الفضل الدارمى المذكور أيضا

سطا الفراق عليهم غفلة فغدوا * من جوره فرقا من شدة الفرق
فسرت شرقا وأشواقى مغربة * يا بعد ما نزحت عن طرقهم طرقى
لولا تداركه دمعى يوم كاظمة * لأحرق الركب ما أبديت من حرق
يا سارق القلب جهرا غير مكترث * أمنت فى الحب أن تعدى على السرق
أرمق بعين الرضا تنعش بعاطفة * قبل المنية ما أبقيت من رمقى
لم يبق منى سوى لفظ يبوح بما * ألقى فيا عجبا اللفظ كيف بقى
صلنى اذا شئت أو فاهجر علانية * فكل ذلك محمول على الحدق

وقال

تذكر نجدا والحمى فبكى وجدا * وقال سقى الله الحمى وسقى نجدا
ونفحة انفاس الخزامى عشية * فهاجت الى الوجد القديم به وجدا
وأظهر سلوانا وأضمر لوعة * اذا اطفئت نيرانها وقدت وقدا
ولو أنه أعطى الصبابة حكمها * لابدى الذى أخفى وأخفى الذى أبدى

وقال أيضا

قلت للسالق على الخدين من ورد خمارا
أسبل الصدغ على خدك من مسك عذارا
أم أعان الليل حتى * قهر الليل النهارا
قال ميدان جرى الحسن عليه فاستدارا
ركضت فيه عيون * فأثارته غبارا

وقال

ليالى الشهر فتقول ثلاث غرر والثلاث التى تليها ثلاث سمر والثلاث التى تليها ثلاث زهر والثلاث التى تليها ثلاث درر والثلاث التى تليها ثلاث بهر وثلاث بيض وتقول فى النصف الثانى من الشهر فى الثلاث الاول درع وفى الثلاث التى تليها ظلم وفى الثلاث التى تليها ثلاث حناديس وفى الثلاث التى تليها ثلاث دوارى وفى الثلاث التى تليها ثلاث محاق وقيل فى وجه آخر من الروايات انه يقال لليالى الشهر ثلاث هلل وثلاث قمر وست نفل وثلاث درع وثلاث بهم وست حناديس وليلتان داريتان وليلة محاق (قال المسعودى) فاما ماذهب اليه العرب فى تسمية القمر فانها تسميه فى ليلة طلوعه هلالا ومالم يستدر فهو هلال ثم تسميه قمرا اذا ما استدار واذا ما بهر وأضاء فهو قمير قال شاعرهم

وقمير بدا ابن خمس وعشريـ * ـن له قالت الفتاتان قوما

ثم يستوى لثلاث عشرة منه وهى ليلة السواء ثم ليلة البدر لاربع عشرة ويقال غلام بدر اذا امتلأ

شبابا قبل أن يحتلم ويقال عين حذرة قرة اذا كانت حديدة كعين الفرس والليالى البيض ليلة ثلاث

في تجليد كراريس بياض تزال جدتها حتى توهم القدم وترجم عليه كتاب النكت تأليف
ابي الغوث الصنعاني فتراءى اليه صاعد حين رآه وجعل يقبله وقال اي والله قرأته بالبلاد
الفلانية على الشيخ ابي فلان فأخذه المنصور من يده خوفا ان يفتحه وقال له ان كنت قد قرأته
كما تزعم فعلام يحتوي فقال وابيك لقد بعد عهدي به ولا احفظ الآن منه شيا ولكنه يحتوي
على لغة منثورة لا يشوبها شعر ولا خبر فقال له المنصور أبعد الله مثلك فما رأيت اكذب
منك وأمر باخراجه وأن يقذف كتاب الفصوص في النهر فقال فيه بعض الشعراء

قد غاص في النهر كتاب الفصوص * وهكذا كل ثقيل يغوص

فأجابه صاعد

عاد الى معدنه انما * توجد في قعر البحار الفصوص

قال ابن بسام وما أظن أحدا يجترئ على مثل هذا وانما صاعد اشترط أن لا يأتي الا بالغريب
غير المشهور وأعانهم على نفسه بما كان يتنفق به من الكذب وحكى ابن خلكان أن
المنصور أثابه على كتاب الفصوص بخمسة آلاف دينار ومن أعجب ما جرى له انه كان
بين يدي المنصور فاحضرت اليه وردة في غير وقتها لم يستتم فتحها ورقها فقال فيها صاعد
مرتجلا

أتتك أبا عامر وردة * يذكرك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر * فغطت بأكمامها راسها

فسر بذلك المنصور وكان ابن العريف حاضرا فحسده وجرى الى مناقضته وقال لابن ابي
عامر هذان البيتان لغيره وقد أنشدنيهما بعض البغداديين لنفسه بمصر وهما عندي على
ظهر كتاب بخطه فقال له المنصور أرنيه فخرج ابن العريف وركب وحرك دابته حتى أتى
مجلس ابن بدر وكان أحسن أهل زمانه بديهة فوصف له ما جرى فقال هذه الابيات ودس
فيها بيتي صاعد

غدوت الى قصر عباسة * وقد جدل النوم حراسها
فألفيتها وهي في خدرها * وقد صرع السكر أناسها
فقالت أسار على هجعة * فقلت بلى فرمت كاسها
ومدت يديها الى وردة * يحاكي لك الطيب أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر * فغطت بأكمامها راسها
وقالت خف الله لا تفضحن * في ابنة عمك عباسها
فوليت عنها على غفلة * وما خنت ناسي ولا ناسها

فطار ابن العريف بها وعلقها على ظهر كتاب بخط مصري ومداد أشقر ودخل بها على المنصور
فلما رآها اشتد غيظه على صاعد وقال للحاضرين غدا امتحنه فان فضحه الامتحان أخرجته من
البلاد ولم يبق في موضع لي عليه سلطان فلما أصبح وجه اليه فاحضر واحضر جميع الندماء
فدخل بهم الى مجلس محفل قد أعد فيه طبقا عظيما فيه سقائف مصنوعة من جميع النواوير
ووضع على السقائف لعب من ياسمين في شكل الجواري وتحت السقائف بركة ماء قد ألقي

وطوبه وهو كانون الثاني وامشير وهو شباط وبرمهات وهو أذار وبرموده وهو نيسان وبشنس وهو ايار
وبؤنه وهو حزيران وأبيب
وهو تموز ومسرى وهو
آب والقبط بعد هذا خمسة
أيام لواحق تدعى العمائر
تزيدها على ما سمينا من
شهورها وهي ثلثمائة يوم
وستون يوما فتصير السنة
ثلثمائة وخمسة وستين
يوما وأول يوم من السنة
عند القبط هو اليوم التاسع
والعشرون من آب وعدة
كل شهر منها ثلاثون يوما
وكانت أيام السنة ثلثمائة
وخمسة وستين يوما بعدد
أيام سنة الفرس وكانت
شهور القبط فيما مضى
توافق أوائلها شهور
الفرس وكان أول يوم
أول آذرماه ثم كل شهر
كذلك على هذا الوصف
الى آخر سنة القبط آخر
آذرماه وهذا الحساب
بعينه موجود في كتب
الزيجات في النجوم وأهل
مصر وسائر القبط في هذا
الوقت وهو سنة اثنتين
وثلاثين وثلثمائة يستعملون
في حسابهم في الشهور غير
ما قلمنا وذلك انهم زادوا
في أيام السنة ربع يوم على
مذهب اليونانيين والروم
فصارت شهورهم مخالفة
لشهور الفرس وموافقة
لشهور السريانيين والروم في عدد أيام السنة التي ملك فيها بختنصر وكان أولها يوم الاربعاء

الا انى مثل الحصباء وفى البركة حية تسبح فلما دخل صاعد ورأى الطبق قال له المنصور ان هذا يوم اما ان تسعد فيه معنا واما ان تشقى بالضد عندنا لانه قد زعم قوم ان كل ما تأتى به دعوى وقد وقفت من ذلك على حقيقة وهذا طبق ما توهمت انه حضر بين يدى ملك قبل شكله فصفه بجميع ما فيه وعبر بعض من هذه القصة بقوله امر فحيى له طبق فيه ازهار ورياحين وياسمين وبركة ماء حصباؤها اللؤلؤ وكان فى البركة حية تسبح واحضرها صاعد فلما شاهد ذلك قال له المنصور ان هؤلاء يذكرون ان كل ما تأتى به دعوى لا صحة لها وهذا طبق ما ظننت انه عمل لملك مثله فان وصفته بجميع ما فيه علمت صحة ما تذكره فقال صاعد بديهة

أبا عامر هل غير جدواك واكف * وهل غير من عاداك فى الارض خائف
يسوق اليك الدهر كل غريبة * واعجب ما يلقاه عندك واصف
وشائع نور صاغها هامر الحيا * على حافتيها عبقر وزخارف
ولما تناهى الحسن فيها تقابلت * عليها بانواع الملاهى الوصائف
كمثل الظباء المستكنة كنسا * تظللها بالياسمين السقائف
واعجب منها انهن نواظر * الى بركة ضمت اليها الطرائف
حصاها اللآلى سابح فى عبابها * من الرقش مسموم الثعابين زاحف
ترى ما تراه العين فى جنباتها * من الوحش حتى بينهن السلاحف

فاستغربت له يومئذ تلك البديهة فى مثل ذلك الموضع وكتبها المنصور بخطه وكان الى ناحيته من تلك السقائف سفينة فيها جارية من النوار تجذف بمجاذيف من ذهب لم يرها صاعد فقال له المنصور احسنت الا انك اغفلت ذكر المركب والجارية فقال للوقت

واعجب منها غادة فى سفينة * مكللة تصبو اليها المهاتف
اذا راعها موج من الماء تتقى * بسكانها ما انذرته العواصف
متى كانت الحسناء ربان مركب * تصرف فى يمنى يديه المجاذف
ولم ترعينى فى البلاد حديقة * تنقلها فى الراحتين الوصائف
ولا غرو ان ساقتك معاليك روضة * وشتها ازاهيرا بها والزخارف
فانت امرؤ لو رمت نقل متالع * ورضوى ذرتها من سطاك نواسف
اذا قلت قولا او بدهت بديهة * فكلنى له انى لمجدك واصف

فامر له المنصور بالف دينار ومائة ثوب ورتب له فى كل شهر ثلاثين دينارا والحقه بالندماء قال وكان شديد البديهة فى ادعاء الباطل قال له المنصور يوما ما الخنبشار فقال حشيشة يعقد بها اللبن ببادية الاعراب وفى ذلك يقول شاعرهم

لقد عقدت محبتها بقلبى * كما عقد الحليب الخنبشار

وقال له يوما وقد قدم اليه طبق فيه تمر ما الترمك فى كلام العرب فقال يقال ترمك الرجل ترمكا اذا التقم الثريد كبارا وكان مع ذلك ثقيلا قال وكان لابن ابى عامر فتى يسمى فاتنا اوحد لا نظير له فى علم كلام العرب فناظر صاعدا هذا فقطعه وظهر عليه وبكته فاعجب المنصور منه

وأما تاريخ القبط فى كتاب تاريخ بطلميوس فمن اول سنة ملك فليلفوس وكان اولها يوم الاحد والذى بين تاريخ بختنصر وتاريخ يزدجرد الف وثلثمائة وتسع وتسعون سنة فارسية وثلاثة اشهر والذى بين تاريخ فليلفوس وتاريخ يزدجرد تسعمائة واثنتان واربعون سنة من سنى الروم ومائتان وتسع وخمسون يوما وبين تاريخ يزدجرد وتاريخ الهجرة من الايام الف وستمائة واربعة وعشرون يوما فاول هذه التواريخ تاريخ بختنصر ثم تاريخ فليلفوس ثم تاريخ يزدجرد وتاريخ العرب من اول السنة التى هاجر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وكان اولها يوم الخميس وتاريخ الفرس من اول السنة التى ملك فيها يزدجرد بن شهريار بن كسرى بن ابرويز وكان اولها يوم الثلاثاء وتاريخ الروم والسريانيين من اول السنة من ملك الاسكندر وكان اولها يوم الاثنين والله تعالى اعلم بحقيقة ذلك

(ذكر شهور السريانيين ووصف مراتبها الشهور العرب وعدة ايام السنة ومعرفة الانواء)

فاول ذلك ان ايام السنة ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم وهى مختلفة العدد فنيسان ثلاثون يوما وايار احد وثلاثون

فتوفي فاتن هذا سنة ٤٠٢ و بيعت في تركته كتب مضبوطة جليلة صحيحة وكان منقادا لما نزل به من المثلة فلم يتخذ النساء كغيره وكان في ذلك الزمان بقرطبة جملة من الفتيان المخانيث ممن أخذ بأوفر نصيب من الادب قال ورأيت تأليفا لرجل منهم يعرف بحبيب ترجمه بكتاب الاستظهار والمغالبة على من أنكر فضائل الصقالبة وذكر فيه جملة من أشعارهم وأخبارهم ونوادرهم قال ابن بسام وغيره ومن عجائب ما جرى لصاعد أنه أهدى أيلا الى المنصور وكتب على يد موصله

يا حرز كل مخوف وأمان كل مشرد ومعز كل مذال
يا سالك كل فضيلة ونظام كل جزيلة وثراء كل معيل

ومنها

ما ان رأت عيني وعلمك شاهد * جدوى علائك في مع مخول

ومنها

وابن مؤنس غربتي وتحفظي * من صفر أيامي ومن مستعملي
عبد جذبت بضبعه ورفعت من * مقداره أهدى اليك بأيل
سميته غرسية وبعثته * في حبله ليصح فيه تفاؤلي
فلئن قبلت فتلك أنفس منة * أهدى بها ذو منحة وتطول
منحتك غادية السرور بعزة * وحللت أوجابالسحاب المخضل

فقضى في سابق علم الله سبحانه وتعالى أن ملك الروم غرسية أسر في ذلك اليوم بعينه الذي بعث فيه بالايل وسماه باسمه على التفاؤل انتهى وكان غرسية أمنع من النجم وسبب أخذه أنه خرج يتصيد فلقيته خيل للمنصور من غير قصد فاسرته وجاءته به فكان هذا الاتفاق مما عظم به العجب ولنورد من أخبار صاعد فنقول حكى ان المنصور قال بسبب هذه القضية انه لم يتفق لصاعد هذا إلا أن الغريب الاحسن نيته وسريرته وصفاء باطنه فرفع قدره من ذلك اليوم فوق ما كان ورجحه على أعدائه وحق له ذلك وفي الزهرة الثامنة والعشرين من كتاب الازهار المنثورة في الاخبار المأثورة حكى أن صاعدا قال جمعت خرق الاكياس والصرر التي قبضت فيها صلات المنصور محمد بن أبي عامر فقطعت لكافور الاسود غلامي منها قميصا كالمرقعة وبكرت به معي الى قصر المنصور فاحتلت في تنشيطه حتى طابت نفسه فقلت يا مولانا لعبدك حاجة فقال اذكرها قلت وصول غلامي كافور الى هنا فقال وعلى هذه الحال فقلت لا أقنع بسواه الا بحضوره بين يديك فقال أدخلوه فمثل قائما بين يديه في مرقعته وهو كالنخلة اشرافا فقال قد حضر وانه لبأذل الهيئة فما لك أضعته فقلت يا مولانا هنالك الفائدة اعلم يا مولاي انك وهبت لي اليوم ملء جلد كافور ما لا فتهلل وقال لله درك من شاكر مستنبط لغوامض معاني الشكر وأمر لي بمال واسع وكسوة وكسا كافورا أحسن كسوة انتهى ولما دخل صاعد دانية وحضر مجلس الموفق مجاهد العامري أمير البلد كان في المجلس ديب يقال له بشار فقال للموفق دعني أعبث بصاعد فقال له لا تتعرض اليه فانه سريع الجواب فأبى الا مساءلته وكان بشار المذكور أعمى فقال لصاعد يا أبا العلاء

يوما وحزيران ثلاثون يوما حساب الهند وهو أطول يوم في السنة وأقصر ليلة وتموز احد وثلاثون يوما وآب احد وثلاثون يوما فاذا انسلخ ذهب الحر قال محمد بن عبد الملك الزيات برد الماء وطال الليل والتذ الشراب ومضى عنك حزيرا ن وتموز وآب وايلول ثلاثون يوما ولخمس منه عيد تذكر ياولعشر منه تطلع الصرفة فينصرف الحر ولثلاث عشرة منه عيد الصليب وهو اليوم الرابع عشر منه وفي هذا اليوم تفتح الترع بمصر على حسب ما ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب ولتمام عشرين منه يستوى الليل والنهار وقال أبو نواس

مضى ايلول وارتفع الحرور
وأذكت نارها الشعرى العبور

وتشرين الاول أحد وثلاثون يوما وفيه يكون المهرجان وبين النيروز والمهرجان مائة وتسعة وستون يوما وعند الفرس في معنى المهرجان انه كان لهم ملك في قديم الزمان من ملوك الفرس قد عم ظلمه سلطان الناس وعوامهم وكان يسمى مهر وكانت الشهور تسمى باسماء الملوك فقيل مهرماه ومعنى ما

ما الجرنفل فى كلام العرب فعرف صاعد انه وضع هـذه الكلمة وليس لها أصل فى اللغة فقال بعد ان أطرق ساعة الجرنفل فى اللغة الذى يفعل بنساء العميان ولا يتجاوزهن الى غيرهن وهو فى ذلك كله يصرح ولا يكنى فخجل بشار وانكسر وضحك من كان حاضرا فقال له الموفق قلت لك لا تفعل فلم تقبل انتهى والجرنفل بضم الجيم والراء وسكون النون وضم الفاء وبعدها لام ولصاعد أخبار ونوادر كثيرة غير ما تقدم وله مع المنصور بن ابى عامر رحمه الله تعالى من ذلك كثير وبعضه ذكرناه فى هـذا الكتاب ومن حكاياته انه خرج معه يوما الى رياض الزاهرة فمد المنصور يده الى شئ من الريحان المعروف بالترنجان فعبث به ورماه الى صاعد واشار اليه ان يقول فيه فارتجل (لم أدر قبل ترنجان عبثت به) الابيات الآتية وهـذا المنصور بن ابى عامر قد تقدمت جملة من أخباره ومن أعجب ما وقع له ما رايته بخزانة فاس فى كتاب الفه صاحبه فى الازهار والانوار حكى فيه فى ترجمة النيلوفر ان المنصور لما قدم عليه رسول ملك الروم الذى هو اعظم ملوكهم فى ذلك الزمان ليطلع على احوال المسلمين وقوتهم فامر المنصور ان يغرس فى بركة عظيمة ذات اميال نيلوفر ثم امر باربعة قناطير من الذهب واربعة قناطير من الفضة فسبكت قطعا صغارا على قدر ما تسع النيلوفرة ثم ملأ بها جميع النيلوفر الذى فى البركة وارسل الى الرومى فحضر عنده قبل الفجر فى مجلسه السامى بالزاهرة بحيث يشرف على موضع البركة فلما قرب طلوع الشمس جاء الف من الصقالبة عليهم اقبية الذهب والفضة ومناطق الذهب والفضة وبيد خمسمائة اطباق ذهب وبيد خمسمائة اطباق فضة فتعجب الرسول من حسن صورهم وجميل شارتهم فلم يدر ما المراد فحين اشرقت الشمس ظهر النيلوفر من البركة وبادروا الاخذ الذهب والفضة من النيلوفر وكانوا يجعلون الذهب فى اطباق الفضة والفضة فى اطباق الذهب حتى التقطوا جميع ما فيها وجاؤا به فوضعوه بين يدى المنصور حتى صار كوما بين يديه فتعجب النصرانى من ذلك واعظمه وطلب المهادنة من المسلمين وذهب مسرعا الى مرسله وقال له لا تعاد هؤلاء القوم فانى رايت الارض تخدمهم بكنوزها انتهى وهـذه القضية من الغرائب وانها لحيلة عجيبة فى اظهار عز الاسلام واهله وكان المنصور بن ابى عامر آية الله سبحانه فى السعد ونصرة الاسلام قال ابن بسام نقلا عن ابن حيان انه لما انتهت خلافة بنى مروان بالاندلس الى الحكم تاسع الائمة وكان مع فضله قد استهواه حب الولد حتى خالف الحزم فى توريثه الملك بعده فى سن الصبا دون مشيخة الاخوة وفتيان العشيرة ومن كان ينهض بالامر ويستقل بالملك قال ابن بسام وكان يقال لا يزال ملك بنى أمية بالاندلس فى اقبال ودوام ما توارثه الابناء عن الآباء فاذا انتقل الى الاخوة وتوارثوه فيما بينهم أدبر وانصرم ولعل الحكم لحظ ذلك فلما مات الحكم أخفى جوذر وفائق موته ذلك وعزما على صرف البيعة الى أخيه المغيرة وكان فائق قد قال له ان هـذا الايتم لنا الا بقتل جعفر المصحفى فقال له جوذر ونستفتح أمرنا بسفك دم شيخ مولانا فقال له هو والله ما أقول لك ثم بعثا الى المصحفى ونعيا اليه الحكم وعرفاه رأيهما فى المغيرة فقال لهما المصحفى وهل أنا الا تبع لكما وانتما صاحبا القصر ومدبرا الامر فشرعا فى تدبير ما عزما عليه وخرج المصحفى وجمع أجناده وقواده ونعى اليهم الحكم وعرفهم مقصود جوذر

ماه هو الشهر وأن ذلك الملك طال أمره واشتدت وطأته فمات فى النصف من هذا الشهر وهو مهرماه فسمى ذلك اليوم الذى مات فيه مهرجان وتفسيره نفس مهر ذهبت لان الفرس تقدم فى لغتها ما تؤخر العرب فى كلامها وهذه اللغة الفهلوية وهى الفارسية الاولى وأهل المروآت بالعراق وغيرها من مدن العجم يجعلون هذا اليوم أول يوم من الشتاء فتغير فيه الفرش والآلات وكثيرا من الملابس ولخمس منه وهو تشرين الاول عيد كنيسة القمامة ببيت المقدس وفى هـذا اليوم تجتمع النصارى من سائر الارض وتنزل عليهم نار من السماء فيسرج هناك الشمع ويجتمع فيه من المسلمين خلق عظيم للنظر الى العيد ويقتلع فيه ورق الزيتون ويكون للنصارى فيه أقاصيص ولهـذه النار حيلة لطيفة وسر عظيم وقد ذكرنا وجه الحيلة فى ذلك فى كتابنا المترجم بكتاب القضايا والتجارب وتشرين الثانى ثلاثون يوما وكانون الاول أحد وثلاثون يوما ولسبع عشرة منه يكون النهار تسع ساعات وربعا وهو منتهى قصره والليل أربع عشرة ساعة ونصفا وربعا وهو منتهى طوله وليلة الخامس والعشرين منه ميلاد المسيح عليه السلام وكانون الثانى أحد وثلاثون يوما وأول يوم منه الغطاس فيكون

و فاتق في المغيرة وقال ان بقينا على ابن مولانا كانت الدولة لنا وان بدلنا استبدلنا فقالوا الرأي رأيك فبادر المصحفي بانفاذ محمد بن أبي عامر مع طائفة من الجند الى دار المغيرة لقتله فوافاه ولا خبر عنده فنعى اليه الحكم أخاه فجزع وعرفه جلوس ابنه هشام في الخلافة فقال أنا سامع مطيع فكتب الى المصحفي بحاله وما هو عليه من الاستجابة فاجابه المصحفي بالقبض عليه والا وجه غيره ليقتله فقتله خنقا لما قتل المغيرة واستوثق الامر لهشام بن الحكم افتتح المصحفي أمره بالتواضع والسياسة واطراح الكبر ومساواة الوزراء في الفرش وكان ذلك من أول ما استحسن منه وتوفر على الاستئثار بالاعمال والاحتجان للاموال وعارضه محمد بن أبي عامر فتى ماجد أخذ معه بطرف نقيض بالبخل جودا وبالاستبداد اداثرة وتملك قلوب الرجال الى ان تحركت همته للمشاركة في التدبير بحق الوزارة وقوى على امره بنظره في الوكالة وخدمته للسيدة صبح ام هشام وكانت حاله عند جميع الخدم أفضل الاحوال بتصديه لمواقع الارادة ومبالغته في تأديه لطيف الخدمة فاخرجت له أم هشام الخليفة الى الحاجب جعفر المصحفي بأن لا ينفرد عنه برأي وكان غير متخيل منه سكونا الى ثقته فامتثل الامر واطلعه على سره وبالغ في بره وبالغ محمد بن أبي عامر في مخادعته والنصح له فوصل المصحفي يده بيده واستراح الى كفايته وابن أبي عامر يمكر به ويضرب عليه ويغري به الحرة ويناقضه في أكثر ما يعامل به الناس ويقضي حوائجهم ولم يزل على ماهذه سبيله الى أن انحل أمر المصحفي وهوى نجمه وتفرد محمد بن أبي عامر بالامر ومنع أصحاب الحكم وأجلاهم وأهلكهم وشردهم وشتتهم وصادرهم وأقام من صنائعهم من استغنى به عنهم وصادر الصقالبة وأهلكهم وأبادهم في أسرع مدة قال ابن حيان وجاشت النصرانية بموت الحكم وخرجوا على أهل الثغور ووصلوا الى باب قرطبة ولم يجدوا عند جعفر المصحفي غناء ولا نصرة وكان مما أتى عليه أن أمر أهل قلعة رباح بقطع سد نهرهم لما تخيله من أن في ذلك النجاة من العدو ولم تقع حيلته لا كثر منه مع وفور الجيوش وجموم الاموال وكان ذلك من سقطات جعفر فانف محمد بن أبي عامر من هذه الدنية وأشار على جعفر بتجديد الجيش بالجهاد وخوفه سوء العاقبة في تركه وأجمع الوزراء على ذلك الا من شذ منهم واختار ابن أبي عامر الرجال وتجهز للغزاة واستصحب مائة ألف دينار ونفذ بالجيش ودخل على الثغر الجوفي ونازل حصن الحامة ودخل الربض وغنم وقفل فوصل الحضرة بالسبي بعد اثنين وخمسين يوما فعظم السرور به وخلصت قلوب الاجناد له واستهلكوا في طاعته لما رأوه من كرمه ومن أخبار كرمه ما حكاه محمد بن أفلح غلام الحكم قال دفعت الى مالا أطيقه من نفقة في عرس ابنة لي ولم يبق معي سوى لجام محلى ولما ضاقت بي الاسباب قصدته بدار الضرب حين كان صاحبها والدراهم بين يديه موضوعة مطبوعة فاعلمته ما جئت له فابتهج بما سمعه مني وأعطاني من تلك الدراهم وزن اللجام بحديده وسيوره فلا تجري وكنت غير مصدق بما جرى لعظمه وعملت العرس وفضلت لي فضلة كثيرة وأحبه قلبي حتى لو حملني على خلع طاعة مولاي الحكم لفعلت وكان ذلك في أيام الحكم قبل أن يقتعد ابن أبي عامر الذروة وقال غير واحد انه صنع يومئذ قصرا من فضة لصبح ام هشام وحمله على رؤس الرجال فخلب حبها بذلك وقامت بأمره عند سيدها الحكم وحدث الحكم خواصه بذلك

وقال

يوقدون في ليلته النيران ويظهرون الأفراح لاسيما بمدينة انطاكية وما يكون فيه بالشام لاهله عيد في كنيسة القسيان بها من القداس عندهم وكذلك لسائر الشام وبيت المقدس ولمصر وأرض النصرانية كلها وما يظهر أهل دين النصرانية بانطاكية من الفرح والسرور وايقاد النيران والمآكل والمشارب وتساعدهم على ذلك عوام الناس وكثير من خواصهم وذلك أن مدينة انطاكية بها كرسي البطرك المعظم عندها في ديانتها وأن النصرانية تسمى انطاكية مدينة الله ويسمونها أيضا مدينة الملك وأم المدن لان بدو ظهور النصرانية كان فيها (والبطارقة عند النصرانية أربعة) أولهم صاحب مدينة رومية ثم الثاني وهو صاحب مدينة قسطنطينية وهي أقس واسمها القديم بورنطيا ثم الثالث وهو صاحب الاسكندرية من أرض مصر ثم الرابع وهو صاحب انطاكية ورومية وانطاكية لبطرس فبدؤا برومية لانها لبطرس ثم ختموا بانطاكية لانها له وتعظيما وقد أحدثوا كرسيا ببيت المقدس ولم يكن هذا مقدما وانما هو محدث وكان لايليا وهو بيت المقدس اسقف (وبانطاكية) ايضا كنيسة أخرى تدعى استوسث

وقال ان هذا الفتى قد جلب عقول حرمنا عما يتحفهم به قالوا وكان الحكم لشدة نظره في علم الحدثان يتخيل في ابن أبي عامر انه المذكور في الحدثان ويقول لاصحابه أما تنظرون الى صفرة كفيه و يقول في بعض الاحيان لو كانت به شجة لقلت انه هو بلا شك فقضى الله أن تلك الشجة حصلت للمنصور يوم ضربه غالب بعد موت الحكم بعدة قال ابن حيان وكان بين المصحفي وغالب صاحب مدينة سالم وشيخ الموالي وفارس الاندلس عداوة عظيمة ومباينة شديدة ومقاطعة مستحكمة وأعجز المصحفي أمره وضعف عن مباراته وشكا ذلك الى الوزراء فأشاروا عليه بملاطفته واستصلاحه وشعر بذلك ابن أبي عامر فاقبل على خدمة [illegible] يجرد لاتمام ارادته ولم يزل على ذلك حتى خرج الامر بان ينهض غالب الى تقدمة جيش [illegible] يخرج ابن أبي عامر الى غزوته الثانية واجتمع به وتعاقدا على الايقاع بالمصحفي وقفل ابن ابي عامر ظافرا غانما وبعد صيته فخرج أمر الخليفة هشام بصرف المصحفي عن [illegible] ينة وكانت في يده يومئذ وخلع على ابن أبي عامر ولا خبر عند المصحفي وملك ابن أبي عامر [illegible] ب بولايته للشرطة وأخذ عن المصحفي وجوه الحيلة وخلاه وليس بيده من الامر الا أقله [illegible] ابن ذلك باعانة غالب له وضبط المدينة ضبطا أنسى به أهل الحضرة من سلف من الكفاة [illegible] السياسة وانهمك ابن أبي عامر في صحبة غالب ففطن المصحفي لتدبير ابن أبي عامر عليه [illegible] كاتب غالبا يستصلحه وخطب أسماء بنته لابنه عثمان فأجابه غالب لذلك وكادت المصاهرة [illegible] وبلغ ابن أبي عامر الامر فقامت قيامته وكاتب غالبا يخوفه الحيلة و يهيج حقوده والقى [illegible] يه أهل الدار وكاتبوه فصرفوه عن ذلك ورجع غالب الى ابن أبي عامر فأنكحه البنت [illegible] كورة وتم له العقد في محرم سنة سبع وستين وثلثمائة فأدخل السلطان تلك الابنة الى قصره وجهزها الى محمد بن أبي عامر من قبله فظهر أمره وعز جانبه وكثر جاله وصار جعفر المصحفي بالنسبة اليه كلاشيء واستقدم السلطان غالبا وقلده الحجابة شركة مع جعفر المصحفي ودخل ابن أبي عامر على ابنته ليلة النيروز وكانت أعظم ليلة عرس في الاندلس وايقن المصحفي بالنكبة وكف عن اعتراض ابن أبي عامر في شيء من التدبير وابن أبي عامر يسايره ولا يظاهره وانفض عنه الناس وأقبلوا على ابن أبي عامر الى أن صار المصحفي يغدو الى قصر قرطبة ويروح وهو وحده وليس بيده من الحجابة سوى اسمها وعوقب المصحفي باعانته على ولاية هشام وقتل المغيرة ثم سخط السلطان على المصحفي وأولاده وأهله وأسبابه وأصحابه وطولبوا بالاموال وأخذوا برفع الحساب لما تصرفوا فيه وتوصل ابن أبي عامر بذلك الى اجتثاث أصولهم وفروعهم وكان هشام ابن أخي المصحفي قد توصل الى أن سرق من رؤس النصارى التي كانت تحمل بين يدي ابن أبي عامر في الغزاة الثالثة ليقدم بها على الحضرة وغاظه ذلك منه فبادره بالقتل في المطبق قبل عمه جعفر المصحفي فلما استقصى ابن ابي عامر مال جعفر حتى باع داره بالرصافة وكانت من اعظم قصور قرطبة واستمرت النكبة عليه سنتين مرة يحبس ومرة يترك ومرة يقرب بالحضرة ومرة ينفر عنها ولا براح له من المطالبة بالمال ولم يزل على هذا الحكم حتى استصفى ولم يبق فيه محتمل واعتقل في المطبق بالزهراء الى ان هلك واخرج الى اهله ميتا و ذكر انه سم في ماء شربه قال محمد بن اسمعيل سرت مع محمد بن مسلمة الى الزهراء لنسلم جسد

وبها عيد عظيم للنصرانية وكذلك كنيسة مزورة وهي كنيسة مزورة وبنيانها من
* واستوفت الحجر حولها كلا واكتست الارض من من هذه السعيد[illegible] عجيبة من المرمر والرخام لمسجد دمشق وبقي الاكثر من هذه الكنيسة الى هذا الوقت (وقد كان للملك) من ملوك الرومية بانطاكية خبر عجيب في كنيسة اشتوست وكانت خارج السور من انطاكية وهي في أيدي اليهود فعوضت اليهود دار الملك بانطاكية بدلا من كنيسة أشتوست وهذه الدار التي كانت دار الملك بانطاكية تعرف بدار اليهود ولليهود حيلة احتالوها حين خرجت الكنيسة من أيديهم حتى قتلوا من النصرانية خلقا عظيما من نشر خشب فيها وغير ذلك وقدمنا أخبار بطرس وبولص وما كان من أمرهما بمدينة رومية وغيرهما من تلاميذ المسيح وتفرقهم في البلاد وذكرنا قصة الملك الذي بنى مدينة انطاكية وهو المعروف بانطنحس وتفسير ذلك محيط الحوائط وكان اسم انطاكية بالرومية على اسمه افطنحس فلما ورد المسلمون وافتتحوها حذفت الاحرف الا الالف
والنون والطاء وفي تاريخ النصارى الملكية وغيرها من أهل دين النصرانية يكون لمولد المسيح الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين

مجلسه وقال له هل حضرك شئ فقال

شيا ٓن كانا في الزمان محية * ضرط ابن وهب ثم وقعة صاعد

فاستبرد ما اتى به أبو مروان الكاتب الجزيري فقال هلا قلت

سروري بغرتك المشرقه * وديمة راحتك المغدقه

ثنانى نشوان حتى غرقت في لجة البركة المطبقه

لئن ظل عبدك فيها الغريق * بجودك من قبلها أغرقه

فقال له المنصور لله درك يا أبا مروان قسنا بك أهل بغداد ففضلتهم فبمن نقيسك بعدا انتهى

وقال في الذخيرة في ترجمة صاعد وفد على المنصور نجما من المشرق غرب ولسانا عن العرب اعرب واراد المنصور أن يقفي به آثار ابي على القالي فالفي سيفه كهاما وسحابه جهاما من رجل يتكلم على ءفيه ولا يوثق بكل مايدره ولا ماياتيه انتهى باختصار واصل صاعد من ديار الموصل وقال ارتجالا وقد عبث المنصور بترنجان

لم ادر قبل ترنجان عبثت به * أن الزمرد اغصان واوراق

من طيبه سرق الاترج نكهته * ياقوم حتى من الاشجار سراق

كانما الحاجب المنصور علمه * فعل الجميل فطابت منه اخلاق

وقدمه الجاري بقوله

كا ٓن ابريقنا والراح في فمه * طير تناول ياقوتا بمنقار

وقبله

وقهوة من فم الابريق صافية * كالدمع مفجوعة بالالف مغيار

وقال في بدائع البدائه دخل صاعد اللغوي على بعض اصحابه في مجلس شراب فملأ الساقي قدحا من ابريق فبقيت على فم الابريق نقطة من الراح قد تكونت ولم تقطر فاقترح عليه الحاضرون وصف ذلك فقال وقهوة من فم الابريق ساكبة البيتين ثم قال بعدهما وانما هدم صاعد قول الشريف ابي البركات على بن الحسين اللغوي

كا ٓن ريح الروض لما أتت * فتت علينا مسك عطار

كانما ابريقنا طائر * يحمل ياقوتا بمنقار انتهى

ومن نظم صاعد

قلت له والرقيب يعجله * مودعا للفراق أين أنا

غدكفا الى ترائبه * وقال سر وادعا فانت هنا

وقال صاعد لما أمر المنصور بن أبي عامر بمعارضة قصيدة لابي نواس

انى لاستحيي علا * ك من ارتجال القول فيه

من ليس يدرك بالرويـة كيف يدرك بالبديه

وقال حاشد البغدادي في صاعد اللغوي وكان صاعد ينشدهما و يبكي و يقول ما هجيت بشئ أشد على منهما

اقبل هديت ابا العلاء نصيحتي * بقبولها و بواجب الشكر

يوم منه يخرج الكوسج فيه را كبا بغاله بالعراق وأرض فارس ولا يعرفها وصفنا الا بالعراق وأرض العجم وأرض الشام والجزيرة ومصر واليمن لا يعرفون ذلك ويطعم مدة من الايام الجوز والثوم واللحم السمين وما عدى ذلك من الاطعمة الحارة والاشربة المسخنة الدافعة للبرد فيظهر طاردا للبرد فيصب عليه الماء البارد فلا يجد لذلك شيا من ألمه ويصيح بالفارسية كرما كرما وهذا وقت عيد الاعاجم يطربون فيه ويظهرون السرور وكذلك في أوقات كثيرة من فصول السنة وادورون والاردحش ودرماه ودسمهر وردمنا وآذرويهمن ماه واسفندار مدرون الاسوف واسفندار موزماه فذلك ثلثمائة وخمسة وستون يوما والله اعلم

(ذكر ايام الفرس) * وهي هرمزو بهمان وأدر بهشت وشهر ين واسفندارموز خرداد ومرداد ودينا ودين وادواران وحردمله ونير ونيرس ودي ومهر وانرويس وافرون وبهران وفيه يقول الشاعر

يا كربنا لذة المدام في يوم سبت ويوم رام

شريطلى فيه أن تراني * وقت الضحى فاتر الكلام

وبادورو نسبرين واردواسال واسار وحامار لا

لاتهجون أسن منك عما * تهجو أباك وانت لاتدرى

نعوذبالله من لسان الشعراء وانواع البلاء بجاه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومن نظم صاعد قوله

بعثت اليك من خيرى روض * مخرمة كأوراق العقيق
توكل بالغروب عن التصابى * وتصطاد الخليع من الطريق

وروى صاعد عن القاضى ابى سعيد الحسن بن عبدالله السيرافى وابى على الحسن بن احمد الفارسى وابى بكر بن مالك القطيعى وابى سليمان الخطابى وغيرهم قال الحميدى خرج من الاندلس فى الفتنة فمات بها قريبا سنة عشر وأربعمائة وقال ابن حزم توفى بصقلية سنة سبع عشرة وأربعمائة وقال ابن بشكوال فى حقه انه يتهم بالكذب وقلة الصدق فيما يورده عفا الله تعالى عنه وقدم الاندلس من مصر أيام المؤيد وتحكم المنصور ابن أبى عامر فى حدود سنة ٣٨٠ فاكرمه المنصور وزاد فى الاحسان اليه والافضال عليه وكان عالما باللغة والآداب والاخبار سريع الجواب حسن الشعر طيب المعاشرة فكه المجالسة وقال بعضهم دخل صاعد على المنصور وعنده كتاب ورد عليه من عامل له فى بعض الجهات اسمه برمان بن يزيد يذكر فيه القلب والتزبيل وهما عندهم اسم الارض قبل زراعتها فقال له يا أبا العلاء قال لبيك يا مولانا فقال هل رأيت أو وصل اليك من الكتب القوالبة والزوالبة لبرمان بن يزيد قال اى والله ببغداد فى نسخة لابى بكر بن دريد بخطه كأكارع النمل فى جوانبها فقال له أما تستحى يا أبا العلاء من هذا الكذب هذا كتاب عاملى ببلد كذا واسمه كذا يذكر فيه كذا فجعل يحلف له انه ما كذب ولكنه أمر وافق ومات عن سن عالية رحمه الله تعالى *(ومن الوافدين على الاندلس من المشرق الشيخ تاج الدين بن حمويه السرخسى) ولد سنة ٥٧٣ وقد ذكر فى رحلته عجائب شاهدها بالمغرب ومشايخ لقيهم منهم الحافظ أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن حوط الله الانصارى قال سمعت عليه سنة سبع وتسعين وخمسمائة الحديث وشيأ من تصانيف المغاربة وروى لنا عن الحافظ أبى اسحق ابراهيم بن يوسف بن ابراهيم بن قرقول وولى ابن حوط الله المذكور قضاء غرناطة وأدرك ابن بشكوال وابن حبيش وابن حميد المرسى النحوى وأبا زيد السهيلى صاحب الروض وغيرهم ومن الشيوخ الذين لقيهم السرخسى المذكور بالمغرب الفقيه ابن أبى تميم قال وانشدنى

اسمع أخى نصيحتى * والنصح من محض الديانه
لاتقربن الى الشها * دة والوساطة والامانه
تسلم من ان تعزى لزو * ر أو فضول أو خيانه

وذكر انه أدرك الشيخ الولى العارف بالله سيدى أبا العباس أحمد بن جعفر الخزرجى السبتى صاحب الحالات والكرامات الظاهرة والطريقة الغريبة والاحوال العجيبة قال أدركته بمراكش سنة أربع وتسعين وخمسمائة وقد ناهز الثمانين ومهما حصل عنده مال فرقه فى الحال وتركته فى سنة ثمان وتسعين حيا يرزق انتهى وولى الله السبتى قد

هو كاه مسروكاه كاساه وكانت العرب تسمى الايام الخمسة الهريروالهبير وقالب الفهر وحافل الضرع ومدحرج البعر (وكانت الفرس) تكبس فى كل مائة وعشرين شهرا لربع اليوم الفاضل فى الشهور الرومية وتسميه المبارك فاذا كانت سنة كبيسة أخروا ذلك الى مائة وعشرين سنة لان أيامهم كانت سعودا ونحوسا فكرهوا أن يكبسوا فى كل أربع سنين يوما فتنتقل بذلك أيام السعود الى أيام النحوس ولا يكون النيروز أول يوم من الشهور والله تعالى أعلم

(ذكر سنى العرب وشهورها وتسمية أيامها ولياليها)

أشهر الاهلة أولها المحرم وأيامها ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما تنقص عن السريانى أحد عشر يوما وربع يوم فتتفرق فى كل ثلاثة وثلاثين سنة فتنسلخ تلك السنة العربية ولا يكون فيها نيروز وقد كانت العرب فى الجاهلية تكبس فى كل ثلاث سنين شهرا وتسميه النسىء وقد ذم الله تبارك وتعالى

 فعلهم بقوله انما النسىء زيادة فى الكفر وسمت العرب الشهور فبدأت بالمحرم لانه أول السنة

ذ كرت في غير هذا الموضع بعض أحواله فلتراجع في الباب الثامن من ترجمة لسان الدين بن الخطيب ومحله مقصود لقضاء الحاجات وقد زرته مرارا عديدة سنة ١٠١٠ وقال لسان الدين في نفاضة الجراب كتبت عن السلطان الغني بالله محمد بن يوسف بن نصر ونحن بفاس يخاطب الضريح المقصود والمنهل المورود والمرعى المنتجع والخوان الذي يكفي الغرقى ويبرئ المرضى ويقوت الزمنى ويتعداهم الى أهل الجد ممن زعموا والغنى قبر ولي الله سيدي أبي العباس السبتي نفعنا الله به وجبر حالنا وأعاد علينا النعم ودفع عنا النقم

يا ولي الاله أنت جواد * وقصدنا الى جمالك المنيع
راعنا الدهر بالخطوب فجئنا * نرتجي من علاك حسن الصنيع
فد دنالك الا كف نرجي * عودة العز تحت شمل جميع
قد جعلنا وسيلة تربك الزا * كي وزلفى الى العليم السميع
كم غريب أسرى اليك فوافى * برضا عاجل وخير سريع

يا ولي الله الذي جعل جاهه سببا لقضاء الحاجات ورفع الازمات وتصريفه باقيا بعد الممات وصدق نقول الحكايات ظهور الآيات نفعني الله بنيتي في بركة تربك وأظهر على أثر توسلي بك الى الله ربك مزق شملي وفرق بيني وبين أهلي وتعدى علي وصرفت وجوه المكايد الي حتى أخرجت من وطني وبلدي ومالي وولدي ومحل جهادي وحق الذي صار لي طوعا عن آبائي واجدادي عن بيعة لم يحل عقدتها الدين ولا ثبوت جرحة تشين وانا قد قرعت باب الله سبحانه بتأميلك فالتمس لي قبوله بقبولك وردني الى وطني على أفضل حال وأظهر على كرامتك التي تشد اليها ظهور الرحال فقد جعلت وسيلتي اليك رسول الحق الى جميع الخلق والسلام عليك ايها الولي الكريم الذي يأمن به الخائف وينتصف الغريم ورحمة الله انتهى *(رجع) والسرخسي المذكور قال في حقه بعض الائمة انه الشيخ الامام شيخ الشيوخ تاج الدين ابو محمد عبد الله بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه له رحلة مغربية انتهى وهو من بيت كبير وقال البدري في حقه ما صورته تاج الدين شيخ الشيوخ بدمشق احد الفضلاء المؤرخين المصنفين له كتاب في ثمان مجلدات ذكر فيه اصول الاشياء وله السياسة الملوكية صنفها للملك الكامل محمد وغير ذلك وسمع الحديث وحفظ القرآن وكان قد بلغ الثمانين وقيل لم يبلغها وقد سافر الى بلاد المغرب سنة ثلاث وتسعين واتصل بمراكش عند ملكها المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن فاقام هنالك الى سنة ستمائة وقدم مصر وولي مشيخة الشيوخ بعد اخيه صدر الدين ابن حمويه انتهى وقال غيره انه كان فاضلا متواضعا نزها حسن الاعتقاد قال ابو المظفر كان يحضر مجالسي وانشدني يوما

[illegible] مستكبرا الا تحول لي * عند اللقاء له الكبر الذي فيه
وقال حاشد البغدادي في صاعد اللغوي [illegible] * الا مقابلتي للتيه بالتيه

بشيء أشد علي منهما

اقبل هديت ابا العلاء نصيحتي * بقبولها وبواجب الشكر

واغا سمته المحرم لتحريمها الحرب والغارات فيه وصفر بالاسواق التي كانت باليمن تسمى الصفرية وكانوا يمتارون فيها ومن تخلف عنها هلك جوعا وقال نابغة ذبيان

اني نهيت بني ذبيان عن أقق * وعن تربعهم في كل أصفار

وقيل انما سمي الصفر لان المدن كانت تخلو فيه من أهلها بخروجهم الى الحرب وهو مأخوذ من قولهم أصفرت الدار منهم اذا خلت وربيع وربيع لارتباع الناس والدواب فيهما فان قيل قد توجد الدواب ترتبع في غير هذا الوقت قيل قد يمكن أن يكون هذا الاسم لزمهما في ذلك الوقت فاستمر تعريفهما بذلك مع انتقال الزمان واختلافه وجمادى وجمادى لجمود الماء فيهما في الزمان الذي سميت به هذه الشهور لانهم لم يعلموا أن الحر والبرد يدوران فتنتقل أوقات ذلك ورجب لخوفهم اياه يقال رجبت الشيء اذا خفته وانشد

* فلا تهبها ولا ترجبها *

وادوارات وحرذمسا وبهم ونبرس ودي وهمروا نرويس وافرونو بهران وفيه يقول الشاعر

با كرنا لذة المدام * في يوم سبت ويوم رام
شبريطي فيه أن تراني * وقت الضحى فاتر الكلام

وبادورونبرين واردواسال واسار وحامار لا

والاسفار ومشاهدة الغرائب في النواحي والاقطار وذلك في حال ريعان الشباب الذي تعضده عزائم النفوس بنشاطها والجوارح بخفة حركاتها وانبساطها فخرجت سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة الى زيارة البيت المقدس وتجديد العهد ببركاته واغتنام الاجر في حلول بقاعه ومزاراته ثم سرت منه الى الديار المصرية وهي آهلة بكل ما تجمل به البلاد وتزدهي وينتهي وصف الواصف لشؤنها ولا تنتهي ثم دخلت الغرب من الاسكندرية في البحر ودخلت مدينة مراكش ايام السيد الامام امير المؤمنين أبي يوسف يعقوب المنصور ابن يوسف بن عبد المؤمن بن علي فاتصلت بخدمته والذي علمت من حاله انه كان يجيد حفظ القرآن ويحفظ متون الاحاديث ويتقنها ويتكلم في الفقه كلاما بليغا وكان فقهاء الوقت يرجعون اليه في الفتاوى وله فتاوى مجموعة حسبما أدى اليه اجتهاده وكان الفقهاء ينسبونه الى مذهب الظاهر وقد شرحت أحوال سيرته وما جرى في ايام دولته في كتاب التاريخ المسمى عطف الذيل وقد صنف كتابا جمع فيه متون احاديث صحاح تتعلق بها العبادات سماه الترغيب وتهدده ملك الافرنج الفنش في كتابه فمزقه وقال لرسوله ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون ان شاء الله تعالى ثم قال للكاتب اكتب على هذه القطعة يعني من كتابه الذي مزقه الجواب ما ترى لا ما تسمع

فلا كتب الا المشرفية والقنا * ولا رسل الا الخميس العرمرم

ومن شعره ابيات كتب بها الى الغرب وهي

يا ايها الراكب المزجي مطيته * على عذافرة تشقى بها الاكم
بلغ سليمى على بعد الديار بها * بيني و بينكم الرحمن والرحم
يا قومنا لا تشبوا الحرب ان خمدت * واستمسكوا بعرى الايمان واعتصموا
كم جرب الحرب من قد كان قبلكم * من القرون فبادت دونها الامم
حاشى الاعارب أن ترضى بمنقصة * ياليت شعر اهل ترآدم علموا
يقودهم ارمني لا خلاق له * كأنه بينهم من جهلهم علم

يعني بالارمني قرقوش مملوك بني ايوب الذي كان ذهب الى بلاد الغرب الادنى واوقد النار الحربية من طرابلس الى تونس مع ابن غانية اللتوني وحديثه مشهور وتمام الابيات

الله يعلم أني ما دعوتكم * دعاء ذي قوة يوما فينتقم
ولا لحاجات لامر يستعان به * من الامور وهذا الخلق قد علموا
لكن لاجزي رسول الله عن نسب * ينمي اليه وترعى تلكم الذمم
فان اتيتم فحبل الوصل متصل * وان ابيتم فعند السيف نحتكم

ثم قال السرخسي و بلغني ان قوما من الغرب باعه سدوه ومعهم حيوانات معلمة منها اسد وغراب اما الاسد فيقصد من دون اهل المجلس ويربض من [illegible] عمر الخزرجي السبتي ذراعيه واما الغراب فكان يقول النص [illegible] الغريبة والاحوال العجيبة قال [illegible] ذكرته عمرا [illegible] سنة أربع وتسعين وخمسمائة وقد ناهز الثمانين ومهما حصل عنده مال فرقه في الحال وتركته في سنة ثمان وتسعين حيا يرزق انتهى وولي الله السبتي قد

تشاءمت به العرب ولذلك كرهت التزويج فيه وذو القعدة لقعودهم فيه عن الحرب والغارات وذو الحجة لان الحج فيه (والاشهر الحرم) المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة (وأشهر الحج) شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة والايام المعلومات العشر والايام المعدودات ايام التشريق والتعجيل باتفاق غير جائز الا في اليوم الثالث من يوم النحر يدل ذلك على أن أولها ثاني يوم النحر ولو كان يوم النحر من المعدودات كان يوم التعجيل في ثلاثة أيام وهذا خلاف القرآن لاخبار الله تعالى أن التعجيل في يومين من المعدودات واذا كانت المعدودات ما وصفنا صح أن المعلومات منها والذبح في يوم النحر ذبح في المعلومات لكونه منها ولا تمانع بين العرب أن يقول القائل آتيك في الشهر والاتيان انما كان في بعضه وجئتك في اليوم والمجيء في بعض أوقاته ولا يصام يوم النحر ولا يوم الفطر [illegible] السنة العربية ولا يكون فيها نيروز وقد كانت العرب في الجاهلية تكبس في كل ثلاث سنين شهرا وتسميه النسيء وقد ذمه الله تبارك وتعالى فعلمهم بقوله انما النسيء زيادة في الكفر وسمت العرب الشهور فبدأت بالمحرم لانه أول السنة

أنطق الخالق مخلوقاته * شهدوا والكل بالحق شهد
أنك الخيرة من صفوته * بعدما طال على الناس الامد

فاعطاهم وكساهم واحسن حباهم وبلغني ان قوما أتوه بفيل من بلاد السودان هدية فأمر لهم بصلة ولم يقبله منهم وقال نحن لا نريد ان نكون اصحاب الفيل وقال لي يوما كيف ترى هذه البلاد واين هي من بلادك الشامية فقلت يا سيدنا بلادكم حسنة أنيقة مجملة مكملة وفيها عيب واحد فقال ماهو فقلت انها تنسي الاوطان فتبسم وظهر لي اعجابه بالجواب وأمر لي من غد بزيادة رتبة واحسان وحدثني بعض عماله انه فرق على الجند والايتام والفقراء في عيد سنة أربع وتسعين ثلاثة وسبعين ألف شاة من ضأن ومعز ودرج الى رحمة الله تعالى سنة خمس وتسعين وخمسمائة وكان قد استخلف ولده محمدا وقرر الامر له انتهى قلت بهذا وامثاله تعلم فساد ما زعمه غير واحد أن يعقوب المنصور هذا تخلى عن الملك وفر زهدا فيه الى المشرق وانه دفن بالبقاع لان هذه مقالة علمية لا يثبتها علماء المغرب وسبب هذه المقالة تولع العامة به فكذبوا في موته وقالوا انه ترك الملك وحكوا ما شاع الى الآن وذاع مما ليس له أصل ويرحم الله تعالى الامام العلامة القاضي الشريف الغرناطي شارح الخزرجية اذ قال في شرح مقصورة حازم عند ذكره وقعة الارك ما معناه ان بعض الناس يزعمون أن المنصور ترك الملك وذهب الى المشرق وهذا كلام لا يصح ولا أصل له انتهى وقال في المغرب كان أبوه يوسف قد استوزره في حياته وخرج بين يديه وعرس وهزم الفرنج الهزيمة الفظيعة وتولع بالعلم حتى نفى التقليد وحرق كتب المذاهب وقتل على السكر انتهى وحكى لسان الدين الوزير ابن الخطيب في شرح كتابه رقم الحلل في نظم الدول أن المنصور طلب من بعض أعيان دولته رجلين لتاديب ولده يكون احدهما برا في عمله والآخر بحرا في علمه فجاءه بشخصين زعم انهما على وفق مقترح المنصور فلما اختبرهما لم يجدهما كما وصف فكتب الى الآتي بهما ظهر الفساد في البر والبحر انتهى وناهيك بهذا دلالة على قوة فطنته ومعرفته رحمه الله تعالى (رجع) الى أخبار السرخسي وقال في رحلته لما ذكر السيد أبا الربيع سليمان بن عبد الله ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي وكان في تلك المدة يلي مدينة سجلماسة واعمالها اجتمعت به حين قدم الى مراكش بعد وفاة المنصور يعقوب لمبايعة ولده محمد فرأيته شيخا بهي المنظر حسن المخبر فصيح العبارة باللغتين العربية والبربرية ومن كلامه في جواب رسالة الى ملك السودان بغانة ينكر عليه تعويق التجار قوله نحن نتجاور بالاحسان وان تخالفنا في الاديان ونتفق على السيرة المرضية ونتآلف على الرفق بالرعية ومعلوم أن العدل من لوازم الملوك في حكم السياسة الفاضلة والجور لا تعانيه الا النفوس الشريرة الجاهلة وقد بلغنا احتباس مساكين التجار ومنعهم من التصرف فيما هم بصدده وتردد الجلابة الى البلد مفيد لسكانها ومعين على التمكن من استيطانها ولو شئنا لاحتبسنا من في جهاتنا من أهل تلك الناحية لكنا لا نستصوب فعله ولا ينبغي لنا أن ننهى عن خلق ونأتي مثله والسلام ووقع الى عامل له كثرت الشكاوى منه قد كثرت فيك الاقوال واغضائي عنك رجاء أن تتيقظ فتنصلح الحال وفي مبادرتي

الى

ايام التشريق خلاف بين الناس وايام التشريق ... أولها ثاني النحر وآخرها اليوم الثالث عشر من ذي الحجة (قال المسعودي) وقد اختلف الناس في علة أيام التشريق وهي ايام منى ولياليها فقالت طائفة انما سميت ايام التشريق لانهم كانوا يذبحون الذبائح ويشرقون اللحم في الشمس وقال آخرون انما سميت ايام التشريق لان اهل مكة وغيرهم يتشرقون منصرفين الى اوطانهم وفيه قول آخر وهو انها انما سميت ايام التشريق لانهم كانوا يخرجون من منى وغيرها كالمزدلفة الى مصليات لهم في فضاء من الارض فيسمونها المشارق واحدها مشراق يسعون ويدعون فسميت بذلك ايام التشريق وفيه قول آخر وهو ان طائفة زعمت أنه ماخوذ من ذبح البهائم وهو التشريق وقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الضحية بالمشرقة يعني المشقوقة الاذنين بالطول فهي ايام التشريق وللناس في التشريق من اهل الآراء والنحل كلام كثير لا يحتمله كتابنا هذا وانما ذكرنا ما اوردناه لتغلغل الكلام بنا اليه واتصاله بما قدمناه وان كان كلاما يلحق بالفقه (والايام النحسات) كل اربعاء يوافق اربعا من الشهر مثل اربع خلون واربع وعشرين واربع بقين (واما أسماء الايام) فاولها

الى ظهور الانكار عليك نسبة الى شر الاختيار وعدم الاختبار فاحذر فانك على شفا جرف هار ومن شعره المشهور قصيدة يمدح بها ابن عمه المنصور يعقوب

هبت بنصركم الرياح الاربع * وجرت بسعد كم النجوم الطلع
واستبشر الفلك الاثير تيقنا * أن الامو والى مرادك ترجع
وأمدك الرحمن بالفتح الذى * ملأ البسيطة نوره المتشعشع
لم لا وأنت بذلت فى مرضاته * نفسا تفديها الخلائق أجمع
ومضيت فى نصر الاله مصمما * بعزيمة كالسيف بل هى أقطع
لله جيشك والصوارم تنتضى * والخيل تجرى والاسنة تلمع
من كل من تقوى الاله سلاحه * ما ان له غير التوكل مفزع
لا يسلمون الى النوازل جارهم * يوما اذا ضحى الجوار يضيع

ومنها يصف انهزام العدو

ان ظن أن فراره منج له * فيجهله قد ظن ما لا ينفع
أين المفر ولا فرار لهارب * والارض تنشر فى يديك وتجمع
أخليفة الله الرضا هنيته * فتح يعم بعاسواه ويشفع
فلقد كسوت الدين عزا شامخا * ولبست منه أنت ما لا يخلع
هيهات سر الله أودع فيكم * والله يعطى من يشاء ويمنع
لكم الهدى لا يدعيه سواكم * ومن ادعاه يقول ما لا يسمع
ان قيل من خير الخلائق كلها * فاليك يا يعقوب تومى الاصبع
ان كنت تتلو السابقين فانما * أنت المقدم والخلائق تبع
خذها أمير المؤمنين مديحة * من قلب صدق لم يشنه تصنع
واسلم أمير المؤمنين لأمة * أنت الملاذ لها وانت المفزع
فالمدح منى فى علاك طبيعة * والمدح من غيرى اليك تطبع
وعليك يا علم الهداة تحية * يفنى الزمان وعرفها يتضوع

قال لى الفقيه أبو عبد الله محمد القسطلانى دخلت الى السيد ابى الربيع بقصر سجلماسة وبين يديه أنطاع عليها رؤس الخوارج الذين قطعوا الطريق على السفار بين سجلماسة وغانة وهو ينكت الارض بقضيب من الآبنوس ويقول

ولا غرو ان كانت رؤس عداته * جوابا اذا كان السيوف رسائله

ومات بعد الستمائة رحمه الله تعالى انتهى وقال لما هوره أمير المؤمنين يعقوب المنصور ووافق ذلك أن وفد على حضرة الخلافة مراكش جمع من العرب والغز من بلاد المشرق ونزلوا بتمرتاسقت ظاهر مراكش واستأذنوا فى وقت الدخول فكتب الى المنصور

يا كعبة الجود التى حجت لها * عرب الشآم وغزها والديلم
طوبى لمن أمسى يطوف بها غدا * ويحل بالبيت الحرام ويحرم
ومن العجائب أن يفوز بنظرة * من بالشآم ومن بمكة يحرم

الاحد وانما سمى بذلك لانه أول يوم خلقه الله من الزمان وبذلك نطقت التوراة وقد قدمنا فى صدر هذا الكتاب ما فى الايام من بدء الخلق والاثنين وسمى لانه ثان والثلاثاء وسمى لانه ثالث والاربعاء لانه رابع والخميس لانه خامس والجمعة لان الخلق اجتمعوا فيه والسبت لان الخلق انقطع فيه ولم يخلق وهو مأخوذ من قولهم نعل سبتية اذا كانت مقطوعة الشعر ويقال سبت شعره اذا قطعه وكانت العرب تسميها فى الجاهلية الاحد أول والاثنين أهون والثلاثاء جبار والاربعاء دبار والخميس مؤنس والجمعة عروبة والسبت شيار قال شاعرهم

أؤمل أن أعيش وأن يومى * باول أو بأهون أو جبار
أو المردى دبار فان أفته * فمؤنس أو عروبة او شيار

وكانوا يسمون الشهور المحرم ناتق وصفر ثقيل ثم طليق ناجر سماح أمنح احلك كسع زاهر برك حرف نعس وهو ذو الحجة (وقد اختلفت العرب) فى أسماء الازمنة فزعمت طائفة منها أن أولها الوسمى وهو الخريف ثم الشتاء ثم الصيف ثم القيظ ومنهم من يعد الاول من فصول السنة الربيع وهو الاشهر والاعم والعرب تقول خرفنا فى بلد كذا وشتونا فى بلد كذا وتربعنا فى بلد كذا وصيفنا فى بلد كذا

فغافصه وأحسن المؤامرة بالدخول بهم والتقدم عليهم وقال في المغرب في حق السيد أبي الربيع المذكور ما نصه لم يكن في بني عبد المؤمن مثله في هذا الشان الذي نحن بصدده وكان تقدم على مملكتي سجلماسة وبجاية وكان كاتبا شاعرا أديبا ماهرا وشعره مدون وله الغازوهو القائل في جارية اسمها الوف

خليلي قولا أين قلبي ومن به * وكيف بقاء المرء من بعد قلبه
ولو شئتما اسم الذي قد هويته * لصفتما أمري الكم بعد قلبه

وله الابيات المشهورة التي منها

أقول لركب أدلجوا بسحيرة * قفوا ساعة حتى أزور ركابها
واملأ عيني من محاسن وجهها * وأشكو اليها ان أطالت عتابها
فان هي جادت بالوصال وأنعمت * والا فحسبي أن رأيت قبابها

وقال يخاطب ابن عمه يعقوب المنصور

فلأملأن الخافقين بذكركم * مادمت حيا ناظما ومرسلا
ولأبذلن نعمى لكم جهدي وذا * جهد المقل وما عسى أن أفعلا
ولأخلصن لك الدعاء وما أنا * أهل له ولعله ان يقبلا

وله مختصر كتاب الاغاني انتهى * (رجع) وذكر السرخسي أيضا في رحلته السيد أبا الحسن علي بن عمر ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن وقال في حقه انه كان من أهل الادب والطرب ولي بجاية مدة ثم عزل عنها لاهماله واغفاله وانهماكه في ملاذه أنشدني محمد بن سعيد المهدي كاتبه قال كتب الامير أبو الحسن الى أمير المؤمنين يعقوب يمدحه ويستجديه ويطلب منه ما يقضي به ديونه

وجوه الأماني بكم مسفره * وضاحكة لي مستبشره
ولي أمل فيكم صادق * قريب عسى الله أن ييسره
علي ديون وتصحيفها * وعندكم الجود والمغفره

يعني ذنوب وحدثني الشيخ أبو الحسن بن فشتال الكاتب وقد أنشدته

أوحشتني ولو اطلعت على الذي * لك في ضميري لم تكن لي موحشا

فقال أنشدته هذا البيت في مجلس السيد أبي الحسن فقال لي ولمن حضر هل تعرفون لهذا البيت ثانيا فما فينا من عرفه فأنشدنا

أترى رشيت على اطراح مودتي * ولقد عهدتك لبس تنفيك الرشا

أوحشتني البيت انتهى وقال في المغرب في حق السيد المذكور ما نصه كان هذا السيد أبو الحسن قد ولي مملكة تلمسان وبجاية وله حكايات في الجود برمكية ونفس عالية زكية كتب اليه السيد أبو الربيع يوم جمعة

اليوم يوم الجمعه * يوم سرور ودعه
وشملنا مفترق * فهل ترى ان نجمعه

فأجابه بقوله

وتارة في غيره من فصول السنة (وشهور الروم) مرسومة على ما يوافق فصول السنة التي تقطع فيها الشمس بروج الفلك عن آخرها ومقادير أيام كل شهر منها ولياليه في الطول والقصر وظهور ما يظهر فيه من النجوم الثابتة للابصار واستتار ما يستتر منها على ممر الدهور والسنين وهي اثنا عشر شهرا على حسب ما ذكرنا أن أولها تشرين الى أيلول فلكل فصل من السنة أربعة شهور معلومة من هذه الاثني عشر شهرا غير حائلة ولا منتقلة انتقال الشهور العربية ولكل برج منها شهر فأيلول وتشرين وتشرين لسلطان السوداء وكانون وكانون وشباط لسلطان البلغم واذار ونيسان وايار لسلطان الدم وحزيران وتموز وآب لسلطان الصفراء فأيلول لبرج السنبلة وتشرين الاول لبرج الميزان وتشرين الآخر لبرج العقرب وكانون الاول برجه القوس وكانون الآخر برجه الجدي وشباط برجه الدلو واذار برجه الحوت ونيسان برجه الحمل وايار برجه الثور وحزيران برجه الجوزاء وتموز برجه السرطان وآب برجه الاسد (قال المسعودي) وسنذكر

اليوم يوم الجمعه * وربنا قد رفعه
والشرب فيه بدعه * فهل ترى أن ندعه

قال ولفظة السيد فى المغرب بذلك العصر لاتطلق الاعلى بنى عبد المؤمن بن على انتهى *(رجع) قال السرخسى وقد ذكر فى الرحلة المذكورة السيد أبا محمد عبد الله صاحب فاس وله من أبيات فى الفخر وقد انتحلها غيره

ألست ابن من تخشى الليالى انتقامهم * وترجو نداهم غاديات السحائب
يخطون بالخطى فى حومة الوغى * سطور المنايا فى نحور المقانب
كتابا باطراف العوالى ونقسه * دم القلب مشكولا بنضح الترائب
وما كنت ادرى قبلهم أن معشرا * أقاموا كتابا من نفوس الكتائب

وانشدنى المقدم الامير أبو زيد بن بكيت قال أنشدنى بعض السادة من بنى عبد المؤمن

فديت من أصبحت فى أسره * وليس لى من حكمه فادى
ان حل يوما واديا كان لى * جنة عدن ذلك الوادى

ثم ذكر رحمه الله تعالى جملة من علماء الاندلس والمغرب لقيهم فى هذه الرحلة ومن نظم السرخسى المذكور قوله رحمه الله تعالى

ياساهر المقلة لاعن كرى * غفلت عن هجعى وأوصابى
لولم يكن وجهك لى قبلة * ماأصبح الحاجب محرابى

وكان متفننا فى العلوم وهو عم الامراء الوزراء الرؤساء فخر الدين واخوته ومن مصنفاته المسالك والممالك وعطف الذيل فى التاريخ وله أمالى وتخاريج وقدمه المنصور صاحب المغرب على جماعة وتوفى رحمه الله تعالى بدمشق ودفن فى مقابر الصوفية عند المنيبع وكان عالى الهمة شريف النفس قليل الطمع لايلتفت الى أحد رغبة فى دنياه لامن أهله ولامن غيرهم وذكره صاحب المرآة وغيره وترجمته واسعة رحمه الله تعالى *(ومن الوافدين على الاندلس ظافر البغدادى) سكن قرطبة وكان من رؤساء الوراقين المعروفين بالضبط وحسن الخط كعباس بن عمر الصقلى ويوسف البلوطى وطبقتهما واستخدمه الحكم المستنصر بالله فى الوراقة لما علم من شدة اعتناء الحكم بجمع الكتب واقتنائها وقد أشار ابن حيان فى كتاب المقتبس الى ظافر هذا رحمه الله تعالى *(ومنهم الرازى وهو محمد بن موسى بن بشير بن جناد بن لقيط الكنانى الرازى) والد أبى بكر محمد صاحب التاريخ غلب عليه اسم بلده وكان يفد من المشرق على ملوك بنى مروان تاجرا وكان مع ذلك متفننا فى العلوم وهلك منصرفه من الوفادة على الامير المنذر بن محمد بالبيرة فى شهر ربيع الآخر سنة ٢٧٣ ذكره ابن حيان فى المقتبس *(ومنهم الوزير أبو الفضل محمد بن عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحرث بن أسد بن الليث بن سليمان بن الاسود بن سفيان التميمى الدارمى البغدادى) سمع من أبى طاهر محمد ابن عبد الرحمن المخلص وغيره وخرج من بغداد رسولا عن أمير المؤمنين القائم بأمر الله العباسى رضى الله تعالى عنه الى صاحب أفريقية المعز بن باديس واجتمع مع أبى العلاء المعرى بالمعرة وأنشده قصيدة لامية يمدح بها صاحب حلب فقبل عينيه وقال له لله أنت من ناظم

وغير ذلك مما يلحق بهذا الباب ان شاء الله تعالى والله ولى التوفيق

(ذكر قول العرب فى ليالى الشهور القمرية وغيرها)

كانت العرب تخبر عن القمر فى كل ليلة على حسب ماهو به من الضياء وغيره على طريق المسئلة والجواب فتقول قيل للقمر ما أنت ابن ليلة قال رضاع سخيلة حل أهلها برميلة قيل فما أنت لليلتين قال حديث أمتين بكذب ومين وقيل حديث مشيق ذو أفلونيق قيل فما أنت لثلاث قال حديث فتيات يجتمعن من شتات وقيل قليل الثبات قيل فما أنت لاربع قال غنمة ربع غير جائع ولا مرضع قيل ما أنت لخمس قال حديث وانس قيل فما أنت لست قال سر وبت قيل فما أنت لسبع قال نصف فى السبع وقيل حلمة للضبع قيل فما أنت لثمان قال قمر اضحيان وقيل رغيف اقتسمه اخوان قيل فما أنت لتسع قال يلتقط الجزع قيل فما أنت لعشر قال محب الفجر قيل فما أنت لاحدى عشرة قال أرى عشاء وأرى بكرة قيل فما أنت لاثنى عشر قال موفق للسير فى البدو والحضر قيل فما أنت لثلاث عشرة قال قمر باهر يعشى

وخرج من أفريقية من أجل فتنة العرب وخيم عند المأمون بن ذى النون بطليطلة وله فيه أمداح كثيرة ومن فرائد شعره قوله

يا ليل الا انجليت عن فلق * طلت ولا صبر لى على الارق
جفت لحاظى التغميض فيك فما * تطبق أجفانها على الحدق
كأننى صورة ممثلة * ناظرها الدهر غير منطبق

وقال

بزرع وردا ناضرا ناظرى * فى وجنة كالقمر الطالع
أمنع أن اقطف ازهاره * فى سنة المتبوع والتابع
فلم منعتم شفتى قطفها * والشرع أن الزرع للزارع

هكذا نسبها له غير واحد كابن سعيد وابن كتيلة وبعضهم ينسبها للقاضى عبد الوهاب قلت وقد اجاب عنها بعض المغاربة بقوله

سلمت أن الحكم ما قلتم * وهو الذى نص عن الشارع
فكيف تبغى شفة قطفه * وغيرها المدعو بالزارع

ورده شيخ شيوخ شيوخنا الامام الحافظ ابو عبد الله التنسى ثم التلمسانى بقوله

فى ذا الذى قد قلتم بحث * اذ فيه ايهام على السامع
سلمتم الحكم له مطلقا * وغير ذا نص عن الشارع

يعنى انه يلزم على قول المجيب ان يباح له النظر مطلقا والشرع خلافه واجاب بعض الحنفية بقوله

لأن أهل الحب فى حكمنا * عبيدنا فى شرعنا الواسع
والعبد لا ملك له عندنا * فحقه للسيد المانع

وهو جواب حسن لا باس به ورأيت جوابا لبعض المغاربة على غير رويه وهو

قل لابى الفضل الوزير الذى * باهى به مغربنا الشرق
غرست ظلما وأردت الجنى * وما لعرق ظالم حق

قلت وهذا مما يعين أن الابيات لابى الفضل الدارمى المذكور فى الذخيرة لا للقاضى عبد الوهاب والله تعالى أعلم ومن شعر الوزير المذكور قوله

بين كريمين منزل واسع * والود حال تقرب الشاسع
والبيت ان ضاق عن ثمانية * متسع بالوداد للتاسع

وولد رحمه الله تعالى سنة ثمان وثمانين وثلثمائة وهو من بيت علم وادب قال الحميدى أخبرنى بذلك أبو عمر رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحرث وتوفى بطليطلة سنة أربع وخمسين وأربعمائة وقال ابن حيان توفى ليلة الجمعة لاربع عشرة ليلة خلت من شوال سنة خمس وخمسين وأربعمائة فى كنف المأمون يحيى بن ذى النون وذكر انه كان يتهم بالكذب فالله تعالى أعلم بحقيقة الامر وقال ابن ظافر فى كتابه بدائع البداءة ما نصه حضر أبو الفضل الدارمى البغدادى مجلس المعز بن باديس وبالمجلس ساق وسيم قد مسك عذاره

تم التمام ونفدت الايام قيل فما أنت لست عشرة قال ناقص الخلق فى الغرب والشرق قيل فما أنت لسبع عشرة قال يكن الفقير للفقير قيل فما أنت لثمان عشرة قال قليل البقاء سريع الفناء قيل فما أنت لتسع عشرة قال بطىء الطلوع من الخشوع قيل فما أنت لعشرين قال أطلع سحرة وأرى بكرة قيل فما أنت لاحدى وعشرين قال لا أطيل السرى الا ريثما أرى قيل فما أنت لاثنتين وعشرين قال منع خطب وليث حرب قيل فما أنت لثلاث وعشرين قال كالقبس أطلع فى الغلس قيل فما أنت لاربع وعشرين قال أطلع فى قتمة ولا أجلى ظلمة قيل فما أنت لخمس وعشرين قال أنا فى تلك الليالى لا قمر ولا هلال قيل فما أنت لست وعشرين قال دنا الاجل وانقطع الامل قيل فما أنت لسبع وعشرين قال دنا ما دنا فليس فى من سنا قيل فما أنت لثمان وعشرين قال أطلع بكرا ولا أرى ظهرا

قيل فما أنت لتسع وعشرين قال أسبق شعاع الشمس ولا أطيل الجلس قيل فما أنت لثلاثين

ورد

وردخديه وتحيرت الراح أن تفعل فى الندامى فعل عينيه فامره المعز بوصفه فقال بديها

ومعذر نقش الجمال بمسكه * خدا له بدم القلوب مضرجا

لما تيقن أن سيف جفونه * من نرجس جعل العذار بنفسجا

وقوله فى جارية تبخرت بالند

ومخطوطة المتنين مهضومة الحشى * منعمة الارداف تدمى من اللمس

اذا مادخان الند من جيبها علا * على وجهها أبصرت غيما على شمس

وقوله

ولا غرو أن يمسى فى حبه * غرز يطيل مع الخطوب خطابى

ولئن تعززان عندى ذلة * تستعطف الاعداء للاحباب

وقوله

دعتنى عيناك نحو الصبا * دعاء يكرر فى كل ساعه

ولولا وحقك عذر المشيب * لقلت لعينيك سمعا وطاعه

وقد تمثل بهذين البيتين لسان الدين بن الخطيب فى خطبة تأليفه المسمى بروضة التعريف بالحب الشريف وقال أبو الفضل الدارمى المذكور أيضا

سطا الفراق عليهم غفلة فغدوا * من جوره فرقا من شدة الفرق

فسرت شرقا وأشواقى مغربة * يابعدما نزحت عن طرقهم طرقى

لولا تدارك دمعى يوم كاظمة * لأحرق الركب ما أبديت من حرق

ياسارق القلب جهرا غير مكترث * أمنت فى الحب أن تعدى على السرق

ارمق بعين الرضا تنعش بعاطفة * قبل المنية ما أبقيت من رمقى

لم يبق منى سوى لفظ يبوح بما * ألقى فيا عجبا للفظ كيف بقى

صلنى اذا شئت أو فاهجر علانية * فكل ذلك محمول على الحدق

وقال

تذكر نجدا والحمى فبكى وجدا * وقال سقى الله الحمى وسقى نجدا

وخفة انفاس الخزامى عشية * فهاجت الى الوجد القديم به وجدا

فأظهر سلوانا وأضمر لوعة * اذا طفئت نيرانها وقدت وقدا

ولو أنه أعطى الصبابة حكمها * لابدى الذى أخفى وأخفى الذى أبدى

وقال أيضا

قات للاتى على الخدين من ورد نجارا

أسبل الصدغ على خدك من مسك عذارا

أم أعان الليل حتى * قهر الليل النهارا

قال ميدان جرى الحسن عليه فاستدارا

ركضت فيه عيون * فاثارته غبارا

وقال

غرر والثلاث التى تليها ثلاث سمر والثلاث التى تليها ثلاث زهر والثلاث التى تليها ثلاث درر والثلاث التى تليها قمر وثلاث بيض وتقول فى النصف الثانى من الشهر فى الثلاث الاول درع وفى الثلاث التى تليها ظلم وفى الثلاث التى تليها ثلاث حناديس وفى الثلاث التى تليها ثلاث دوارى وفى الثلاث التى تليها ثلاث محاق وقيل فى وجه آخر من الروايات انه يقال لليالى الشهر ثلاث هلل وثلاث قمر وست نقل وثلاث درع وثلاث بهم وست حناديس وليلتان داريتان وليلة محاق (قال المسعودى) فاما ماذهب اليه العرب فى تسمية القمر فانها تسميه فى ليلة طلوعه هلالا ومالم يستدر فهو هلال ثم تسميه قمرا اذا ما استدار واذا ما بهر وأضاء فهو قمير قال شاعرهم

وقمير بدا ابن خمس وعشريـ
ـن له قالت الفتاتان قوما

ثم يستوى لثلاث عشرة منه وهى ليلة السواء ثم ليلة البدر لاربع عشرة ويقال غلام بدر اذا امتلأ شبابا قبل أن يحتلم ويقال عين حدرة بدرة اذا كانت حديدة كعين الفرس والليالى البيض ليلة ثلاث

وكاتب أهديت نفسى له * فهى من السوء فدى نفسه
فلست أدرى بعد ما حل بى * بمسكه أتلف أم نقسه
سلط خديه على مهجتى * فاستأصلتها وهى من غرسه

وقال

وشادن أسرف فى صده * وزاد فى التيه على عبده
الحسن قد بث على خده * بنفسج بازهو على ورده
رأيته يكتب فى طرسه * خطا يبارى الدر من عقده
فقلت ما قد خطه كفه * للحسن قد خط على خده

وقال

انى عشقت صغيرا * قد دب فيه الجمال
وكاد يغشى حديث الفضول منه الدلال
لوم فى عاشق الهجر لا اعتراه ضلال
يريك بدرا منيرا * فى الحسن وهو هلال

وقال

على اذا حرك أصداغه * لم يلتفت خلق الى العطر
غنى بشعرى منشد البينى اللفظ الذى أودعه شعرى
فكلما كرر انشاده * قبلته فيه ولم يدر

وقال

أينفع قولى انى لا أحبه * ودمعى بما عليه وجدى يكتب
اذا قلت للواشين لست بعاشق * يقول لهم فيض المدامع يكذب

وقال

وهبنى قد أنكرت حبك جملة * وآليت أنى لا أروم محطها
فمن أين لى فى الحب جرح شهادة * سقامى أملاها ودمعى خطها

وقال

انا أخشى ان دام ذا الهجر أن ينشط من حبه عقال وثاق
نار ع الفؤاد مما اعتراه * وارد الهوى على العشاق

وقال

كلانا لعمرى ذا ثبات من الهوى * فنارك من جمر ونارى من هجر
فأنت على ما قد تقاسين من أذى * فصدرى فى نارى ونارى فى صدرى

وقال

ومن عجب العشق أن القتيل * يحن ويصبو الى القاتل

وقال

ألم أجعل مثار النقع بحرا * على أن الجياد له سفين

عشرة وأربع عشرة وخمس طلعت عليه الشمس والسواد حين يستتر فيكون قد خلف الشمس ويقال قد عبر القمر اذا استدار بخط رقيق من غير أن يغلظ ويقال أفتق اذا أصابته فرجة من السحاب فخرج وافتق علينا فأبصرنا الطريق وكل سواد من الليل حندس والليالى الزهر الليالى البيض والله الموفق للصواب

(ذكر القول فى تأثير النيرين فى هذا العالم وجمل مما قيل فى ذلك وغير ذلك مما لحق بهذا الباب)

ذهب الحكماء جميعا من اليونانيين وغيرهم الى أن أفعال القمر فى الجواهر التى قلنا عظيمة الا أنها أقصر من أفعال الشمس وهى الثانية بعدها وذلك أن الشهور ما يكون على حسب حركته يجرى أمرها وأفعالها ترى أعظم وأبين فى حيوان البحر خاصة وهى تنمى النبات وغيره وتعظم البحار وتسمن الحيوان وتلزم النساء الطمث أزمانا محدودة (قال المسعودى) رحمه الله وقد تنازع الناس فى كيفية تصور الجنين فى الرحم فذهب قوم من أهل القدم الى أن فى المنى قوة تصور الجنين اما منه واما من دم الطمث وذهب قوم الى ان فى الرحم قالبا يتصور فيه

وقال

اصبحت أحاب تيساً لامدرله * والتيس من ظن أن التيس مطلوب

وأما الحكيم أبو محمد المصرى وهو القائل

رعى الله دهراً قد نعمنا بطيبه * لياليه من شمس الكؤس أصائل

ونرجسنا دوعلى التبر جامد * وخمرتنا تبرعلى الدر سائل

فقد ترجم فى الذخيرة فليراجع فإن الذخيرة غريبة فى البلاد المشرقية وقد كان عندى بالمغرب من هذا النوع ما أستعين به فخلفته هنالك والله تعالى يلم الشمل وقد ذكر فيها انه مغربى سافر الى مصر فقيل له المصرى لذلك فليعلم والله تعالى أعلم *(ومن الوافدين على الاندلس أشهب بن العضد الخراسانى) قال ابن سعيد أنشدنا لما وفد على ابن هود فى اشبيلية قصيدة ابن النبيه (طاب الصبوح لنا فهاتها) وادعاها وفيها

فى روضة غنا تخال طيورها * وغصونها همزا على ألفات

ولم أجد هذا البيت فى قصيدة ابن النبيه انتهى *(ومن الوافدين على الاندلس من المشرق أبو الحسن البغدادى الفكيك) وهو مذكور فى الذخيرة وكان حلو الجواب مليح النندر يضحك من حضر ولا يضحك هو اذا اندر وكان قصيرا دميما قال ورأيته يوما وقد لبس ثوبا أحمر على بياض وفى رأسه طرطور أخضر عم عليه عمة لازوردية وهو بين يدى المعتمد بن عباد ينشد شعرا قال فيه

وأنت سليمان فى ملكه * وبين يديك أنا الهدهد

وانشده فى المعتمد

أبا القاسم الملك المعظم قدره * سواك من الاملاك ليس يعظم

لقد أصبحت حمص بعدلك جنة * وقد أبعدت عن ساكنيها جهنم

ولى فى عيالك الربيع وانني * أزخرف أعلام الثناء وأرقم

وأنفقت ما أعطيتنى ثقة بما * أؤمل فالدينار عندى درهم

وقلبى الى بغداد يصبو وانني * لنشر صباها دائما أتنسم

وقال

وروّى على ربع العقيق دموعه * عقيقا ففيها توأم وفريد

شهدت وما تغنى شهادة عاشق * بان قتيل الغانيات شهيد

ومنها

اذا قابلوه قبلوا ترب أرضه * وهم سم لعلا مركع وسجود

وقد هزمنه الله للملك صارما * تقام بحدى شفرتيه حدود

وقال

لأتيه حال حال عن سنة الكرى * ولم أصغ يوما فى هواه الى العذل

ومنها

كأن بقاء الطل فوق جفونها * دموع التصابى حرن فى الاعين النجل

وقال صاحب المنطق أن ذلك بمنزلة الفاعل وان الجنين يتصور فى دم الطمث من المنى قال والمنى يعطى الدم مثل الحركة ثم يستحيل ويحافيخرج من الرحم وزعم جالينوس أن الجنين يكون فى المنى وقد يحدث اليه الدم الذى هو الروح من العروق والشريانات فيكون من المنى ومن ذلك الدم الذى يجذبه ومن الريح الذى يصير اليه من الشريانات قال وكون الجنين بمنزلة كون النبات والطبيعة تصوّره من المنى والدم وتفعل الطبيعة فى الجنين ما تفعله فى النبات لان بزر النبات يحتاج الى أرض لينال منها ما يغتذى به فالجنين والرحم والنبات يرسل عروقه من الاصول ليجذب بها من الارض غذاءه وللجنين فى المشيمة شريانات والعروق نظير لذلك وهى أصول الجنين وبزر النبات منه سوق ومن السوق أغصان كبار ثم من هذه الاغصان أغصان أخرى تتفرع أولا حتى تنتهى الى الاقاصى ونظير ذلك يوجد فى الجنين فتجد العرق فى بدنه ثلاثة من كل من الاغصان الاصول وهى الشريان الاعظم والعرق الاجوف والنخاع ثم تجد كل واحد من هذه يتشعب منه شعب

ومنها

تملكت رقي بالعوارف منعما * وأغنيتني بالجود عن كل ذي فضل
وأنسيتني أرض العراق ودجلة * وربعي حتى ما احن الى اهلي

وقال في المقتدر بن هود

لعزك ذلت ملوك البشر * وعفرت تيجانهم في العفر
وأصبحت أخطرهم بالقنا * وأركبهم لجواد الخطر
سهرت وناموا على المأثرات * فمالهم في المعالي أثر
وجليت في حيث ضل الملوك * فكل بذيل العلا قد عثر

ومنها

وأنتم ملوك اذا شاجروا * اظلتهم من قفاهم شجر

وقال فيه من قصيدة

غنى حسامك في ارجاء قرطبة * صوتا أباد العدا والليل معتكر
حيث الدماء مدام والقنا زهر * والقوم صرعى بكاس الحتف قد سكروا

وكان مشهورا بالهجاء وله في نقيب بعداد وكانت في عنقه غدة

بلع الامانة فهي في حلقومه * لا ترتقي صعدا ولا تتنزل

وقال في ناصر الدولة بن حمدان

ولئن غلطت بأن مدحتك طالبا * جدواك مع علمي بانك باخل
فالدولة الغراء قد غلطت بان * سمتك ناصرها وأنت الخاذل
ان تم أمرك مع يدلك أصبحت * شلاء فالامثال شئ باطل

ومما ينسب اليه وقيل لغيره

ووعدتني وعدا حسبتك صادقا * فعلمت من طمعي أجيء وأذهب
فاذا جمعت أنا وأنت بمجلس * قالوا مسيلمة وهذا أشعب

*(ومنهم ابراهيم بن سليمان الشامي) دخل الاندلس من المشرق في أخريات أيام الحكم شاديا للشعر وهو من موالي بني أمية ولم ينفق على الحكم وتحرك في أيام ولده الامير عبد الرحمن فنفق عليه ووصله ثم في أيام الامير محمد بن عبد الرحمن وكان أدرك بالمشرق كبار المحدثين كأبي نواس وأبي العتاهية ومن شعره ما كتب به الى الامير عبد الرحمن

يا من تعالى عن أمية في الذرا * قدما فاصبح عالي الاركان
ان الغمام غياثه في وقته * والغيث من كفيك كل أوان
فالغيث قد عم البلاد وأهلها * وظمئت بينهم فبل لساني

وله في الامير عبد الرحمن بن الحكم

ومن عبد شمس بالمغار بعصبة * فاسعدها الرحمن حيث أحلها
دحا تحتها مهدا من العز آمنا * ومد جناحا فوقها فاظلها

*(ومنهم ابو بكر بن الازرق وهو محمد بن احمد بن محمد بن عبد الله بن حامد بن موسى بن

العباس

الجنين يكون من الرجل والمرأة ودم الطمث (وحكى جالينوس) عن أبيمبليس أن أجزاء الولد منقسمة في مني الذكر والانثى وان شهوة الجماع تسبق هذه الاجزاء الى أن لا ينام وهذا موجود في كتبهم فيما ذكروه من مذاهبهم في كيفية تركيب العالم واتصال النفس بعالمها وغير ذلك (وقد ذهب قوم) من أهل القدم الى أن ذلك هو أجزاء تخرج من أعضاء الانسان اللطيفة من جنس سائر أعضاء الانسان فتنصب في الرحم فيتغذى منه وينمو فيكون من ذلك الجنين (ومنهم) من رأى أن هذه الاجزاء الواردة من سائر أعضاء الذكر تقارنها مواد من الرحم ومن ماء المرأة عند اجتماعها فيكون الجنين من ذلك فمن ذلك صار الولد يشبه أباه في الاغلب من سائر الاعضاء وتشكيله واهل بيت ابيه ولهذا وقع الشبه بين البنين والآباء في الاغلب من تشابه الاعضاء ومن ههنا أدركت القافة الحاق النسب عند الشبه والشك في النسب وذلك على قول من راى الحاق النسب بالقيافة من القافة وقد تقدم الكلام في هذا المعنى فيما سلف من هذا الكتاب في باب القيافة (والتناس)

العباس بن محمد بن يزيد وهو الحمصى ابن محمد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان) من اهل مصر خرج من مصر سنة ثلاث وار بعين وثلثمائة وصار الى القيروان وامتحن بهامع الشيعة وأقام محبوسا بالمهدية ثم اطلق ووصل الاندلس سنة تسع وار بعين فاحسن اليه المستنصر بالله الحكم وكان اديبا حكيما سمع من خاله أبى بكر أحمد بن مسعود الزهرى وولد سنة تسع عشرة وثلثمائة بمصر وتوفى بقرطبة فى ذى القعدة سنة خمس وثمانين وثلثمائة رحمه الله تعالى

*(ومن الوافدين على الاندلس من المشرق رئيس المغنين أبو الحسن على بن نافع الملقب بزرياب مولى أمير المؤمنين المهدى العباسى) قال فى المقتبس زرياب لقب غلب عليه ببلاده من أجل سواد لونه مع فصاحة لسانه وحلاوة شمائله شبه بطائر أسود غرد عندهم وكان شاعرا مطبوعا وكان ابنه أحمد قد غلب عليه الشعر أيضا وكان من خبره فى الوصول الى الاندلس انه كان تلميذ الاسحق الموصلى ببغداد فتلقف من أغانيه استراقا وهدى من فهم الصناعة وصدق العقل مع طيب الصوت وصورة الطبع الى مافاق به اسحق واسحق لا يشعر بما فتح عليه الى أن جرى للرشيد مع اسحق خبره المشهور فى الاقتراح عليه بمغن غريب مجيد للصنعة لم يشتهر مكانه اليه فذكر له تلميذه هذا وقال انه مولى لكم وسمعت له نزعات حسنة ونغمات رائقة ملتاطة بالنفس اذا أنا وقفته على ما استغرب منها وهو من اختراعى واستنباط فكرى وأحدس أن يكون له شان فقال الرشيد هذا طلبتى فأحضرنيه لعل حاجتى عنده فاحضره فلما كلمه الرشيد أعرب عن نفسه باحسن منطق وأوجز خطاب وسأله عن معرفته بالغناء فقال نعم أحسن منه ما يحسنه الناس وأ كثر ما أحسنه لا يحسنونه مما لا يحسن الا عندك ولا يدخر الا لك فان أذنت غنيتك مالم تسمعه أذن قبلك فامر باحضار عود استاذه اسحق فلما أدنى اليه وقف عن تناوله وقال لى عود نحته بيدى وأرهفته باحكامى لا أرتضى غيره وهو بالباب فليأذن لى أمير المؤمنين فى استدعائه فامر بادخاله اليه فلما تامله الرشيد وكان شبيها بالعود الذى دفعه قال له ما منعك أن تستعمل عود أستاذك فقال ان كان مولاى يرغب فى غناء أستاذى غنيته بعوده وان كان يرغب فى غنائى فلا بد لى من عودى فقال له ما أراهما الا واحدا فقال صدقت يامولاى ولا يؤدى النظر غير ذلك ولكن عودى وان كان فى قدر جسم عوده ومن جنس خشبه فهو يقع من وزنه فى الثلث أو نحوه وأوتارى من حرير بغزل بماء سخن يكسبها اناثة ورخاوة وبمها ومثلثها اتخذتهما من مصران شبل أسد فلها فى الترنم والصفاء والجهارة والحدة أضعاف ما لغيرها من مصران سائر الحيوان ولهما من قوة الصبر على تاثير وقع المضارب المتعاورة بها ماليس لغيرها فاستبرع الرشيد وصفه وأمره بالغناء فجس ثم اندفع فغناه

يا أيها الملك الميمون طائره * هرون راح اليك الناس وابتكروا

فاتم النوبة وطار الرشيد طربا وقال لاسحق والله لولا انى أعلم من صدقك لى على كتمانه اياك لما عنده وتصديقه لك من أنك لم تسمعه قبل لانزلت بك العقوبة لتركك اعلامى بشانه فخذه اليك واعتن بشانه حتى أفرغ له فان لى فيه نظرا فسقط فى يد اسحق وهاج به من داء الحسد ما غلب على صبره فخلا بزرياب وقال ياعلى ان الحسد أقدم الادواء وادوؤها والدنيا

الى المضغة الى استكمال شكله كلام كثير منهم أصحاب الانبيق وغيرهم ممن تقدم وتأخر أعرضنا عن ذكر ذلك اذ كان فيه خروج عما اليه قصدنا فى هذا الباب (قال المسعودى) رحمه الله والذى يقضى على سائر ما تقدم وصفه وينقطع علم العقول عنده هو ما أخبر به البارئ عز وجل فى كتابه بقوله هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم ولم يخبر عن كيفية ذلك وما سبب مواده بل استاثر بتلك الدلالة وظهور حكمته ثم أخبر عن المبدا الذى خلقهم منه فقال يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وقال عز وجل يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر الآية (قال المسعودى) وللناس فيما سلف من الاوائل وخلف من الشرعيين كلام كثير فى كيفية أفعال النيرين وتاثيرهما فى هذا العالم وما قالوه فى ذلك وما نصوا به كل

فتانه والشركة فى الصناعة عداوة ولا حيلة فى حسمها وقد مكرت بى فيما انطوى بيت عليه من
اجادتك وعلو طبقتك وقصدت منفعتك فاذا أنا قد أتيت نفسى من مأمنها بادنائك وعن قليل
تسقط منزلتى وترتقى أنت فوقى وهذا ما لا أصاحبك عليه ولو أنك ولدى ولولا رعى لذمة
تربيتك لما قدمت شيأ على ان أذهب نفسك يكون فى ذلك ما كان فتخير فى ثنتين لابد لك
منهما اما أن تذهب عنى فى الارض العريضة لا أسمع لك خبرا بعد أن تعطينى على ذلك
الايمان الموثقة وأنهضك لذلك بما أردت من مال وغيره واما أن تقيم على كرهى ورغمى
مستهدفا الى فخذ الآن حذرك منى فلست والله أبقى عليك ولا أدع اغتيالك باذلا فى ذلك
بدنى ومالى فاقض قضاءك فخرج زرياب لوقته وعلم قدرته على ما قال واختار الفرار قداماه
فاعانه اسحق على ذلك سريعا وراش جناحه فرحل عنه ومضى يبغى مغرب الشمس واستراح
قلب اسحق منه وتذكره الرشيد بعد فراغه من شغل كان منغمسا فيه فامر اسحق بحضوره
فقال ومن لى به يا أمير المؤمنين ذاك غلام مجنون يزعم ان الجن تكلمه وتطارحه ما يزهى به
من غنائه فما يرى فى الدنيا من يعدله وما هو الا أن ابطأت عليه جائزة أمير المؤمنين وترك
استعادته فقدر التقصير به والتهوين بصناعته فرحل مغاضبا ذاهبا على وجهه مستخفيا عنى
وقد صنع الله تعالى فى ذلك لامير المؤمنين فانه كان به لمم يغشاه ويفرط خبطه فيفزع من رآه
فسكن الرشيد الى قول اسحق وقال على ما كان به فقد فاتنا منه سرور كثير ومضى زرياب الى
المغرب فنسى بالمشرق خبره اذ لم يكن اسمه شهر هنالك شهرته بالصقع الذى قطنه ونزعت
اليه نفسه وسمت به همته فام أمير الاندلس الحكم المباين لمواليه وخاطبه وذكر له نزاعه اليه
واختياره اياه ويعلمه بمكانه من الصناعة التى ينتحلها وسأله الاذن فى الوصول اليه فسر
الحكم بكتابه وأظهر له من الرغبة فيه والتطلع اليه واجمال الموعد ما تمناه فسار زرياب نحوه
بعياله وولده وركب بحر الزقاق الى الجزيرة الخضراء فلم يزل بها حتى توالت عليه الاخبار
بوفاة الحكم فهم بالرجوع الى العدوة فكان معه منصور اليهودى المغنى رسول الحكم اليه
فثناه عن ذلك ورغبه فى قصد القائم مقام الحكم وهو عبد الرحمن ولده وكتب اليه بخبر
زرياب فجاءه كتاب عبد الرحمن يذكر تطلعه اليه والسرور بقدومه عليه وكتب الى عماله
على البلاد أن يحسنوا اليه ويوصلوه الى قرطبة وامر خصيا من أكابر خصيانه أن يتلقاه ببغال
ذكور واناث وآلات حسنة فدخل هو وأهله البلد ليلا صيانة للحرم وأنزله فى دار من أحسن
الدور وحمل اليها جميع ما تحتاج اليه وخلع عليه وبعد ثلاثة أيام استدعاه وكتب له فى كل
شهر بمائتى دينار راتبا وأن يجرى على بنيه الذين قدموا معه وكانوا أربعة عبد الرحمن
وجعفر وعبيد الله ويحيى عشرون دينارا لكل واحد منهم كل شهر وأن يجرى على زرياب
من المعروف العام ثلاثة آلاف دينار منها لكل عيد ألف دينار ولكل مهرجان ونوروز
خمسمائة دينار وأن يقطع له من الطعام العام ثلثمائة مدى ثلثاها شعير وثلثها قمح وأقطعه من
الدور والمستغلات بقرطبة وبساتينها ومن الضياع ما يقوم باربعين ألف دينار فلما قضى له
سؤله وانجز موعوده وعلم أن قد أرضاه وملك نفسه استدعاه فبدأ بمجالسته على النبيذ
وسماع غنائه فما هو الا أن سمعه فاستهوله واطرح كل غناء سواه وأحبه حبا شديدا وقدمه

على

واحد منهما وأفردوه وما ذهبوا اليه من فعل الثانى منهما وهو القمر وما يظهر من تأثيره فى
الجزر والمد فى بحر الصين
والحبش واليمن على
حسب ما قدمنا فى هذا
الكتاب وكذلك فعله فى
المعادن وأدمغة الحيوان
والبيض وسائر الحيوان
والنبات وما يظهر من
الزيادات فيه عند
امتلائه والنقص عند
نقصانه وما يكون من
بحرانات المرضى فى اليوم
السابع من العلة والرابع
عشر والحادى والعشرين
والثامن والعشرين لان
للقمر أربعة أشكال هى
أثبت صورة فيه شكل
التنصيف وشكل التمام
وشكل التنصيف عند
التمام وشكل المحاق
ولكل شكل من هذه
سبعة أيام لانه فى سبع
ليال يتنصف وفى الرابعة
عشرة يتم وفى الحادية
والعشرين يتنصف وفى
الثامنة والعشرين يمحق
فكذلك البحرانات وعند
هذه الطائفة يصح فى
السابع والرابع عشر
والحادى والعشرين
ويصح أيضا فى تنصيفات
هذه اذ كانت هذه
الاشكال أثبت أشكال
الشئ المقسم وقد خالف
هؤلاء خلق ممن ذهب الى
غير هذا القول وان ذلك من قبل الاخلاط وغير ذلك والطبائع الاربع وغيرها مما قد أتينا على

على جميع المغنين وكان لما خلا به أكرمه غاية الاكرام وأدنى منزلته وبسط أمله وذاكره في أحوال الملوك وسير الخلفاء ونوادر العلماء فحرك منه بحرا زخر عليه مده فأعجب الامير به وراقه ما أورده وحضر وقت الطعام فشرفه بالاكل معه هو وأكابر ولده ثم أمر كاتبه بان يعقد له صكا بما ذكرناه آنفا ولما ملك قلبه واستولى عليه حبه فتح له بابا خاصا يستدعيه منه متى أراد وذكر أن زريابا ادعى أن الجن كانت تعلمه كل ليلة ما بين نوبة الى صوت واحد فكان يهب من نومه سريعا فيدعو بجاريتيه غزلان وهنيدة فيأخذان عودهما ويأخذ هو عوده فيطارحهما ليلته ثم يكتب الشعر ثم يعود عجلا الى مضجعه وكذلك يحكى عن ابراهيم الموصلي في لحنه البديع المعروف بالماخوري ان الجن طارحته اياه والله تعالى أعلم بحقيقة ذلك وزاد زرياب بالاندلس في أوتار عوده وترا خامسا اختراعا منه اذ لم يزل العود ذا أربعة أوتار على الصنعة القديمة التي قوبلت بها الطبائع الاربع فزاد عليها وترا خامسا أحمر متوسطا فاكتسب به عوده ألطف معنى وأكمل فائدة وذلك أن الزير صبغ أصفر اللون وجعل في العود بمنزلة الصفراء من الجسد وصبغ الوتر الثاني بعده أحمر وهو من العود مكان الدم من الجسد وهو في الغلظ ضعف الزير ولذلك سمي مثنى وصبغ الوتر الرابع أسود وجعل من العود مكان السوداء من الجسد وسمي البم وهو أعلى أوتار العود وهو ضعف المثلث الذي عطل من الصبغ وترك أبيض اللون وهو من العود بمنزلة البلغم من الجسد وجعل ضعف المثنى في الغلظ فلذلك سمي المثلث فهذه الاربعة من الاوتار مقابلة للطبائع الاربع تقضي طبائعها بالاعتدال فالبم حار يابس يقابل المثنى وهو حار رطب وعليه تسويته والزير حار يابس يقابل المثلث وهو حار رطب تو بل كل طبع بضده حتى اعتدل واستوى كاستواء الجسم باخلاطه الا انه عدل من النفس والنفس مقرونة بالدم فاضاف زرياب من أجل ذلك الى الوتر الاوسط الدموي هذا الوتر الخامس الاحمر الذي اخترعه بالاندلس ووضعه تحت المثلث وفوق المثنى فكمل في عوده قوى الطبائع الاربع وقام الخامس المزيد مقام النفس في الجسد وهو الذي اخترع بالاندلس مضراب العود من قوادم النسر معتاضا به من مرهف الخشب فابرع في ذلك للطف قشر الريشة ونقائه وخفته على الاصابع وطول سلامة الوتر على كثرة ملازمته اياه وكان زرياب عالما بالنجوم وقسمة الاقاليم السبعة واختلاف طبائعها وأهويتها وتشعب بحارها وتصنيف بلادها وسكانها مع ما سنح له من فك كتاب الموسيقي مع حفظه لعشرة آلاف مقطوعة من الاغاني بالحانها وهذا العدد من الالحان غاية ما ذكره بطليموس واضع هذه العلوم ومؤلفها وكان زرياب قد جمع الى خصاله هذه الاشتراك في كثير من ضروب الظروف وفنون الادب ولطف المعاشرة وحوى من آداب المجالسة وطيب المحادثة ومهارة الخدمة الملوكية ما لم يجده أحد من أهل صناعته حتى اتخذه ملوك أهل الاندلس وخواصهم قدوة فيما سنه لهم من آدابه واستحسنه من أطعمته فصار الى آخر ايام أهل الاندلس منسوبا اليه معلوما به فمن ذلك انه دخل الى الاندلس وجميع من فيها من رجل او امرأة يرسل جمته مفروقا وسط الجبين عاما للصدغين والحاجبين فلما عاين ذوو التحصيل تحذيقه هو وولده ونساؤه لشعورهم وتقصيرها دون جباههم وتسويتها

بيضاحه في كتابنا المترجم بكتاب الزلف وفي كتاب المبادي والتراكيب وغير ذلك في كيفية تأثير الشمس والقمر (وأما الدلائل) وأن السماء تدل على مثال الكرة وتدويرها بجميع ما فيها من الكواكب كدورة الكرة وأن الارض بجميع أجزائها من البر والبحر على مثال الكرة وأن كرة الارض مثبتة في وسط السماء كالكرة وقدرها عند قدر السماء قدر النقطة في الدائرة صغرا ووصف الربع المسكون من الارض وما يعرض فيها من دور الفلك واختلاف الليل والنهار ووصف المواضع التي تطلع الشمس فيها شهورا لا تغرب وتغرب شهورا لا تطلع فقد أتينا على وصف جميع ذلك وما اتضح عليه وما انتصب من البراهين وما قاله الناس في ذلك في كتابنا المترجم بكتاب أخبار الزمان وما أوضحنا فيه من هيئة الافلاك والكواكب وأن الارض مع ما وصفنا في تدويرها موضوعة في جوف الفلك كالمحة في البيضة والنسيم جاذب أيضا لما في أبدان الخلق من الخفة والارض جاذبة لما في أبدانهم من الثقل اذ كانت الارض بمنزلة حجر المغناطيس الذي يجذب بطبعه الحديد وأن الارض مقسومة نصفين و بينهما خط الاستواء وهو من المشرق

مع حواجبهم وتدويرها الى آذانهم واسدالها الى أصداغهم حسبما عليه اليوم الخدم الخصية والجواري هوت اليه أفئدتهم واستحسنوه ومما سنه لهم استعمال المرتك المتخذ من المرداسنج لطرد ريح الصنان من مغابنهم ولا شيء يقوم مقامه وكانت ملوك الاندلس تستعمل قبله ذرور الورد وزهر الريحان وما شاكل ذلك من ذوات القبض والبرد فكانوا لا تسلم ثيابهم من وضر فدلهم على تصعيدها بالملح وتبييض لونها فلما جربوه أحمدوه جدا وهو أول من اجتنى بقلة الهليون المسماة بلسانهم الاسفراج ولم يكن أهل الاندلس يعرفونها قبله ومما اخترعه من الطبيخ اللون المسمى عندهم بالتقايا وهو مصطنع بماء الكزبرة الرطبة محلى بالسنبوسق والكباب ويليه عندهم لون التقلية المنسوبة الى زرياب ومما أخذه عنه الناس بالاندلس تفضيله آنية الزجاج الرفيع على آنية الذهب والفضة وايثاره فرش انطاع الاديم اللينة الناعمة على ملاحف الكتان واختياره سفر الاديم لتقديم الطعام فيها على الموائد الخشبية اذ الوضر يزول عن الاديم بأقل مسحة ولبسه كل صنف من الثياب في زمانه الذي يليق به فانه راى ان يكون ابتداء الناس للباس البياض وخلعهم للملون من يوم مهرجان اهل البلد المسمى عندهم بالعنصرة الكائن في ست بقين من شهر يونيه الشمسي من شهورهم الرومية فيلبسونه الى اول شهر اكتوبر الشمسي منها ثلاثة اشهر متوالية ويلبسون بقية السنة الثياب الملونة وراى ان يلبسوا في الفصل الذي بين الحر والبرد المسمى عندهم الربيع من صبغهم جباب الخز والملحم والمحرر والدراريع التي لا بطائن لها لقربها من لطف ثياب البياض الظهائر التي ينتقلون اليها لخفتها وشبهها بالمحاشي ثياب العامة وكذا راى ان يلبسوا في آخر الصيف وعند اول الخريف المحاشي المروية والثياب الصمتة وما شاكلهما من خفائف الثياب الملونة ذوات الحشو والبطائن الكثيفة وذلك عند قرص البرد في الغدوات الى أن يقوى البرد فينتقلوا الى أثخن منها من الملونات ويستظهرون من تحتها اذا احتاجوا الى صنوف الفراء واستمر بالاندلس ان كل من افتتح الغناء فيبدأ بالنشيد اول شدوه باي نقر كان ويأتي اثره بالبسيط ويختم بالمحركات والاهزاج تبعا لمراسم زرياب وكان اذا تناول الالقاء على تلميذ يعلمه امره بالقعود على الوساد المدور المعروف بالمسورة وان يشد صوته جدا اذا كان قوي الصوت فان كان لينه امره ان يشد على بطنه عمامة فان ذلك مما يقوي الصوت ولا يجد متسعا في الجوف عند الخروج على الفم فان كان الص الاضراس لا يقدر على ان يفتح فاه او كانت عادته زم اسنانه عند النطق راضه بان يدخل في فيه قطعة خشب عرضها ثلاث اصابع يبيتها في فمه ليالي حتى ينفرج فكاه وكان اذا اراد ان يختبر المطبوع الصوت المراد تعليمه من غير المطبوع امره ان يصيح باقوى صوته يا حجام او يصيح آه ويمد بها صوته فان سمع صوته بها صافيا نديا قويا مؤديا لا يعتريه غنة ولا حبسة ولا ضيق نفس عرف أن سوف ينجب واشار بتعليمه وان وجد خلاف ذلك ابعده وكان له من ذكور الولد ثمانية عبد الرحمن وعبيد الله ويحيى وجعفر ومحمد وقاسم واحمد وحسن ومن الاناث ثنتان علية وحمدونة وكلهم غنى ومارس الصناعة واختلفت بهم الطبقة فكان اعلاهم عبيد الله ويتلوه عبد الرحمن لكنه ابتلي من فرط

الى المغرب كما أن منطقة الارض أكبر من الفلك وعرض الارض من القطب الجنوبي الذي تدور حوله بنات نعش وأن استدارة الارض من خط الاستواء ست وثلاثون درجة والدرجة خمسة وعشرون فرسخا والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع والذراع اثنان وأربعون أصبعا والاصبع ست حبات وتسعان مصفوفة بعضها الى بعض يكون ذلك تسعة آلاف فرسخ (وقد قدمنا) فيما سلف من هذا الكتاب في باب ذكر الارض والبحار ومبادي الانهار مقدار الميل والذراع الأسود واغاناذكر في كل موضع من هذا الكتاب ما سنح لنا ونجده في كتب الناس فننقل ذلك عنهم على ما وجدناه في كتبهم الا أنا لانقطع على صحته اذ كان ما يذهب اليه في مقدار الميل من الأذرع والذراع من الاصابع هو ما بيناه آنفا في باب ذكر الارض والبحار وبين الاستواء وكل واحد من القطبين تسعون درجة واستدارتها عرضا مثل ذلك وزعم هؤلاء أن العمارة في الارض بعد خط الاستواء أربع وعشرون درجة وان الباقي قد غمه البحر الكبير وان الخلق على الشمال من الارض والربع الجنوبي خراب لشدة الحر فيه والنصف الباقي من الارض

النيه

التيه وشدة الزهو وكثرة العجب بغناه والذهاب بنفسه وبما لم يكن له شبه فيه وقلما يسلم مجلس حضوره من كدر يحدثه ولا يزال يجترئ على الملوك ويستخف بالعظماء وقد حملت سخفه على ان حضر يوما مجلس بعض اكابر الاعاظم فى انس قد طاب به سروره وكان صاحب قنص تغلب عليه لذته فاستدعى بازيا كان كلفا به كثير التذكر له بفضل يسع اعطافه ويعدل قوادمه ويرتاح لنشاطه فسأله عبد الرحمن أن يهبه له فاستحيا من رده واعطاه اياه مع ضنه به فدفعه عبد الرحمن الى غلامه ليحمل به الى منزله وأسر اليه فيه بسر لم يطلع عليه فمضى لشأنه ولم يلبث أن جاءه بطيفورية مغطاة مكرمة بطابع مختوم عليها من فضة فاذا به لون مصوص قد اتخذ من البازى بعد ذبحه على ما حدده لاهله وذهب الى الانتقال اليه فى شرابه وقال لصاحب المجلس شاركنى فى تنقلى هذا فانه شىء بديع الصنعة فلما رآه الرجل أنكر صفته وعاب لحمه وساله عنه فقال هو البازى الذى كنت تعظم قدره ولا تصبر عنه قد صيرته الى ما ترى فغضب صاحب المنزل حتى ربا فى أثوابه وفارقه حلمه وقال له قد كان والله أيها الكلب السفيه على ما قدرته وما اقتديت فيه الا بكبار الناس المؤثرين لمثله وما استعقلته الا معظما من قدرك ما صغرت من قدرى وأظهرت من هوان السنة عليك باستحلالك لسباع الطير المنهى عنها ولا أدع والله الآن تاديبك اذ أهملك أبوك معلم الناس المروءة ودعا له بالسوط وأمر بنزع قلنسوته وساط هامته مائة سوط فاستحسن جميع الناس فعله به وابدوا الشماتة به وكان محمد منهم مؤنثا وكان قاسم أحذقهم غناء مع تجويده وتزوج الوزير هشام بن عبد العزيز حمدونة وذكر عبادة الشاعر أن أول من دخل الاندلس من المغنين علون وزرقون دخلا فى أيام الحكم بن هشام فنفقا عليه وكانا محسنين لكن غناؤهما ذهب لغلبة غناء زرياب عليه وقال عبد الرحمن بن الشمر منجم الامير عبد الرحمن ونديمه فى زرياب

يا على بن نافع يا على * أنت أنت المهذب اللوذعى
أنت فى الاصل حين يسئل عنه * هاشمى وفى الهوى عبشمى

قال ابن سعيد وأنشد لزرياب والدى فى حمه

علقتها ريحانة * هيفاء عاطرة نضيره
بين السمينة والهزيلة والطويلة والقصيره
لله أيام لنا * سلفت على دير المطيره
لا عيب فيها للنديم غير أن كانت يسيره

انتهى

وكان لزرياب جارية اسمها متعة أدبها وعلمها أحسن أغانيه حتى شبت وكانت رائعة الجمال وتصرفت بين يدى الامير عبد الرحمن بن الحكم تغنيه مرة وتسقيه أخرى فلما فطنت لاعجابه بها أبدت له دلائل الرغبة فابى الا التستر فغنته بهذه الابيات وهى لها فى ظن بعض الحفاظ

يا من يغطى هواه * من ذا يغطى النهارا
قد كنت أملك قلبى * حتى علقت فطارا

لاساكن فيه وقال ربع من الشمال والجنوب سبعة أقاليم قد ذكرناها فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا الارض والاقاليم السبعة وأن عدد المدن عند صاحب كتاب الجغرافيا أربعة آلاف مدينة ومائتا مدينة فاما قبلة المشرق والمغرب والتيمن والجنوبى فقد ذكرنا جملا من ذلك فى كتابنا أخبار الزمان (وقد حرر ذلك) فى كتابه أبو حنيفة الدينورى وقد سلب ذلك ابن قتيبة ونقله الى كتبه نقلا وجعله عن نفسه وقد فعل ذلك فى كثير من كتب أبى حنيفة الدينورى هذا وكان أبو حنيفة هذا ذا محل من العلم كبير وبطليموس فى كتاب المجسطى وغيره ممن تقدم ثم لمن طرأ بعد ظهور الاسلام مثل الكندى وابن المنجم وأحمد ابن الطيب وماشاء الله وأبى معشر والخوارزمى ومحمد بن كثير الفرغانى فيما ذكره فى كتابه فى الاصول الثلاثين وثابت ابن قرة والسديدى ومحمد ابن جابر البتانى وغير هؤلاء ممن قد عنى بعلوم الهيئة علوم كثيرة فى هذا المعنى وانما ننقل من ذلك الى هذا الكتاب لمعا طلبا للاختصار والايجاز

*(ذكر ارباع العالم والطبائع وما خص به كل جزء منه من المشرق والمغرب والتيمن والجنوب والاهوية

يا و يلـتنا أتراه * لى كان أومستعارا
يا بأبى قـــرشى * خلعت فيه العذارا

فلما انكشف لزرياب أمرها أهداها اليه فحظيت عنده وكانت حمدونة بنت زرياب متقدمة في أهل بيتها محسنة لصناعتها متقدمة على أختها علية وهى زوجة الوزير هشام بن عبد العزيز كام وطال عمر علية بعد أختها حمدونة ولم يبق من أهل بيتها غيرها فافتقر الناس اليها وحملوا عنها وكانت مصابيح جارية الكاتب أبى حفص عمر بن قلهيل أخذت عن زرياب الغناء وكانت غاية في الاحسان والنبل وطيب الصوت وفيها يقول ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد وكتب به الى مولاها

يامن يضن بصوت الطائر الغرد * ما كنت أحسب هذا الضن من أحد
لوان أسماع أهل الارض قاطبة * أصغت الى الصوت لم ينقص ولم يزد

من أبيات فخرج حافيا الماو قف على ذلك وأدخله الى مجلسه وتمتع من سماعها رحم الله تعالى الجميع وقال علوية كنت مع المامون لما قدم الشام فدخلنا دمشق وجعلنا نطوف فيها على أماكن بنى أمية فدخلنا قصرا مفروشا بالرخام الاخضر وفيه بركة يدخلها الماء ويخرج منها فيسقى بستانا وفى القصر من الاطيار ما يغنى صوته عن العود والمزمار فاستحسن المامون ما رأى وعزم على الصبوح فدعا بالطعام فأكلنا وشربنا ثم قال لى غن بأطيب صوت وأطربه فلم يمر على خاطرى غير هذا الصوت

لو كان حولى بنو أمية لم * ينطق رجال أراهم نطقوا

فنظر الى مغضبا وقال عليك لعنة الله وعلى بنى أمية فعلمت أنى قد أخطأت فجعلت أعتذر من هفوتى وقلت يا أمير المؤمنين اتلومنى أن أذكر موالى بنى أمية وهذا زرياب مولاك عندهم بالاندلس يركب فى أكثر من مائة مملوك وفى ملكه ثلثمائة ألف دينار دون الضياع وانى عندكم أموت جوعا وفى الحكاية طول واختلاف ومحل الحاجة منها ما يتعلق بزرياب رحم الله تعالى الجميع وذكرها الرقيق فى كتاب معاقرة الشراب على غير هذا الوجه ونصه وركب المامون يوما من دمشق يريد جبل الثلج فمر ببركة عظيمة من برك بنى أمية وعلى جانبها أربع سروات وكان الماء يدخل سيحا فاستحسن المامون الموضع ودعا بالطعام والشراب وذكر بنى أمية فوضع منهم وتنقصهم فأخذ علوية العود واندفع يغنى

أرى أسرتى فى كل يوم وليلة * يروح بهم داعى المنون ويغتدى
أولئك قوم بعد عز وثروة * تفانوا فالا أذرف العين أكمد

فضرب المامون بكاسه الارض وقال لعلوية يا ابن الفاعلة لم يكن لك وقت تذكر مواليك فيه الا هذا الوقت فقال مولاكم زرياب عند موالى بالاندلس يركب فى مائة غلام وأنا عندكم بهذه الحالة فغضب عليه نحو شهر ثم رضى عنه انتهى ونحوه لابن الرقيق فى كتابه قطب السرور وقال فى آخر الحكاية وأنا عندكم أموت من الجوع ثم قال وزرياب مولى المهدى ووصل الى بنى أمية بالاندلس فعلت حاله حتى كان كما قال علوية انتهى ولما غنى زرياب بقوله

وغير ذلك من سلطان الكواكب وما لحق بهذا الباب) * فاما الطبائع الاربعة فالنار حارة يابسة والطبيعة الثانية باردة رطبة وهى الماء والطبيعة الثالثة الهواء وهو حار رطب والطبيعة الرابعة الارض وهى باردة يابسة فاثنتان تذهبان الصعداء وهما النار والهواء واثنتان ترسخان سفلا وهما الارض والماء والعالم أربعة أجزاء فالمشرق الربع الاول وجميع ما فيه حار رطب الهواء والدم وهذا الربع ريحه الجنوب وله من الساعات الاولى والثانية والثالثة وله من قوى البدن قوة الطبيعة الهاضمة ومن المذاقات حظه الحلاوة وله من الكواكب القمر والزهرة وله من البروج الحمل والثور والجوزاء وللحكماء فى هذا خطب طويل فى وصف هذه الارباع هذه جمل منها ما مضى وما ياتى والمغرب هو الربع الثانى وجميع ما فيه بارد رطب الماء والبلغم فى الشتاء وريحه الدبور وله من الساعات العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة وله من المذاقات المالح وما شابه ذلك وله من القوى القوة الدافعة وله من الكواكب المشترى وعطارد ومن البروج الجدى والدلو والحوت والجزء الثالث التيمن وجميع ما فيه حار يابس النار والمرة الصفراء فى الصيف وريحه الصبا

ولو

ولولم يشقنى الظاعنون لشاقنى * حمام تداعت فى الديار وقوع
تداعين فاستبكين من كان ذا هوى * نوائح ماتجرى لهن دموع

ذيلها عباس بن فرناس يمدح بعض الرؤساء بديهة فقال

شددت بمحمود يدا حين خانها * زمان لاسباب الرجاء قطوع
بنى لمساعى الجود والمجد قبلة * اليها جميع الاجودين ركوع

وكان محمود جوادا فقال له ياابا القاسم أعز ما يحضرنى من مالى القبة يعنى قبة قامت عليه بخمسمائة دينار وهى لك بما فيها مع كسوتى هذه ونكون فى ضيافتك بقية يومنا ودعا بكسوة فلبسها ودفع اليه الكسوة *(ومن الوافدين من المشرق الامير شعبان بن كوجيا) من غز الموصل وفد على أمير المؤمنين يعقوب المنصور ملك الموحدين ورفع له أمدا حا جليلة وقدمه على امارة مدينة بسطة من الاندلس قال أبو عمران بن سعيد أنشدنى لنفسه

يقولون ان العدل فى الناس ظاهر * ولم أرشيئا منه سرا ولا جهرا
ولكن رأيت الناس غالب أمرهم * اذا ماجنى زيد أقادوا به عمرا
والا فما بال النطاسى كلما * شكوت له عينى يدى قصد اليسرى

*(ومن الوافدين من المشرق على الاندلس أبو اليسر ابراهيم بن أحمد الشيبانى) من أهل بغداد وسكن القيروان ويعرف بالرياضى وكان له سماع ببغداد من جلة المحدثين والفقهاء والنحويين لقى الجاحظ والمبرد وثعلبا وابن قتيبة ولقى من الشعراء أبا تمام والبحترى ودعبلا وابن الجهم ومن الكتاب سعيد بن حميد وسليمان بن وهب وأحمد بن أبى طاهر وغيرهم وهو الذى أدخل أفريقية رسائل المحدثين وأشعارهم وطرائف أخبارهم وكان عالما أديبا ومترسلا بليغا ضاربا فى كل علم وأدب سمع وكتب بيده أكثر كتبه مع براعة خطه وحسن وراقته وحكى انه كتب على كبره كتاب سيبويه كله بقلم واحد مازال يبريه حتى قصر فادخله فى قلم آخر وكتب به حتى فنى بتمام الكتاب وله تآليف منها لقط المرجان وهو أكبر من عيون الاخبار وكتاب سراج الهدى فى القرآن ومشكله واعرابه ومعانيه والمرصعة والمدبجة وجال فى البلاد شرقا وغربا من خراسان الى الاندلس وقد ذكر ذلك فى أشعاره وكان أديب الاخلاق نزيه النفس كتب لامير افريقية ابراهيم بن أحمد بن الاغلب ثم لابنه أبى العباس عبد الله وكان أيام زيادة الله بن عبد الله آخر ملوك الاغالبة على بيت الحكمة وتوفى بالقيروان سنة ثمان وتسعين ومائتين فى أول ولاية عبيد الله الشيعى وهو ابن خمس وسبعين سنة ومن لم يذكره المؤرخ الاديب أبو اسحق ابراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق وقال على بن سعيد فى حقه انه كان أديبا شاعرا مترسلا حسن التاليف وقدم الاندلس على الامام محمد بن عبد الرحمن وذكر له معه قصة ذكرها ابن الابار فى كتابه افادة الوفادة وحكى ان له مسندا فى الحديث وكتابا فى القرآن سماه سراج الهدى والرسالة الوحيدة والمؤنسة وقطب الادب وغير ذلك من الاوضاع قال وكتب لبنى الاغلب حتى انصرمت أيامهم ثم كتب لعبيد الله حتى مات ومن الرواة عنه أبو سعيد عثمان ابن سعيد الصيقل مولى زيادة الله بن الاغلب وأسند اليه الحافظ ابن الابار رواية شعر أبى

وله من المذاقات المرارة وله من الكواكب المريخ والشمس ومن البروج السرطان والسنبلة والميزان والجزء الرابع هو الجنوبى وجميع ما فيه بارد يابس مثل الارض وله من الساعات السابعة والثامنة والتاسعة وله من قوى البدن القوة الماسكة ومن المذاقات العفص وله من الكواكب زحل وله من البروج الميزان والعقرب والقوس والارض وما وصفنا فى الهيئة وتختلف فى التاثير على مقادير الخطوط فاذا بعد الخط كان التاثير بخلاف ماهو اذا قرب لموجبات متنافية متغايرة وأفضل المواضع فى السكنى ما تطرح الشمس ضوء شعاعها اليه والى الاقليم الرابع ينتهى عند هذه الطائفة شعاعها فى صفوه وارتفاع كدره ولا فرق بين شعاع الشمس يهبط مساويا الى هذا الموضع هو العراق (قال المسعودى) والمواضع التى لا تسكن عند هذه الطائفة عدمت السكنى لعلتين احداهما افراط الحر واحراق الشمس وكثرة تواتر شعاعها على تلك الارضين جعلتها يابسة واغاضت مياهها لكثرة التنشيف والعلة الاخرى بعد الشمس عن الاقاليم وارتفاعها عن حوزاته

تمام بن قال قرأت شعر حبيب على أبي الربيع بن سالم وقرأت جملة منه على غيره وناولني جميعه وحدثني به عن أبي عبد الله بن زرقون عن الخولاني عن أبي القاسم حاتم بن محمد عن أبي غالب تمام بن غالب بن عمر اللغوي عن أبيه عن أبي تمام عن أبي سعيد المذكور يعني ابن الصيقل عن أبي اليسر عن حبيب وهو اسناد غريب انتهى ﴿ومنهم أبو اسحق ابراهيم ابن خلف بن منصور الغساني الدمشقي المعروف بالسنهوري﴾ وسنهور من بلاد مصر روى عن أبي القاسم بن العساكر وأبي اليمن الكندي وأبي المعالي الفراوي وأبي الطاهر الخشوعي وغيرهم قال أبو العباس النباتي قدم علينا يعني اشبيلية سنة ثلاث وستمائة وسمى جماعة من شيوخه وحكى انه كان يروي موطأ أبي مصعب وصحيح مسلم بعلو وقال سليمان بن حوط الله أجازني وابني محمدا جميع ما رواه عن شيوخه الذين منهم أبو الفخر فناخسرو بن فيروز الشيرازي وذكر أن روايته بنزول لانه لم يرحل الا بعد وفاة الشيوخ المشاهير بهذا الشان وقال أبو الحسن بن القطان وسماه في شيوخه قدم علينا تونس سنة اثنتين وستمائة واستجزته لابني حسن فاجازه واياي قال وانصرف من تونس الى المغرب ثم الاندلس وقدم علينا بعد ذلك مرا كش مغلتا من الاسر فظهر في حديثه عن نفسه تجازف واضطراب وكذب زهدني فيه واثر ذلك انصرف الى المشرق راجعا وقد كان اذ أجازني كتب بخطه جملة من أسانيده وسمى كتبا منها الموطأ والصحيحان وغير ذلك قال وقد تبرأت من عهدة جميعه لما أثبت من حاله وحدثني أبو القاسم بن أبي كرامة صاحبنا بتونس أن السنهوري هذا لما انصرف الى مصر امتحن بملكها الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب لاجل معاداته أبا الخطاب بن الجميل فضرب بالسياط وطيف به على جمل مبالغة في اهانته انتهى وقال بعض المؤرخين في حقه ما نصه الشيخ المحدث الرحالة ابراهيم السنهوري صاحب الرحلة الى البلاد دخل الاندلس كما ذكره ابن النجار وغيره وهو الذي ذكر لمشايخ الاندلس وعلمائها أن الشيخ أبا الخطاب بن دحية يدعي انه قرأ على جماعة من شيوخ الاندلس القدماء فانكروا ذلك وأبطلوه وقالوا لم يلق هؤلاء ولا أدركهم وانما اشتغل بالطلب أخيرا وليس نسبه بصحيح فيما يقوله ودحية لم يعقب فكتب السنهوري محضرا وأخذ خطوطهم فيه بذلك وقدم به ديار مصر فعلم أبو الخطاب بن دحية بذلك فاشتكى الى السلطان منه وقال هذا يأخذ عرضي ويؤذيني فأمر السلطان بالقبض عليه فقبض وضرب وأشهر على حمار وأخرج من ديار مصر وأخذ ابن دحية المحضر وحرقه ولم يزل ابن دحية على قرب من السلطان الى حين وفاته وبنى له دار الحديث وهي الكاملية بين القصرين فلم يزل يحدث بها الى أن مات وقد ذكرنا في ترجمة ابن دحية من هذا الكتاب شيأ من أحواله وأن الناس فيه معتقد ومنتقد وهكذا جرت العادة خصوصا في حق الغريب المنتسب للعلم ﴿وعند الله تجتمع الخصوم﴾ ومن كان عليه لا له أبو المحاسن محمد بن نصر المعروف بابن عنين فانه قال فيه

دحية لم يعقب فلم تعتزي ✻ اليه بالبهتان والافك

ما صح عند الناس شئ سوى ✻ انك من كلب بلا شك

وكذا ذكره ابن النجار وأطال في الوقيعة في أبي الخطاب بن دحية وقال الذهبي قرأت

فاكتنف تلك الارضين البرد واستولى عليها القر والجمد فزاد افراط البرد في الجنوبي فزال حسن الاعتدال ورفع خصلة التنف فلم تلبث الحرارة في الاجسام ولم تظهر الرطوبة واغذاء الحيوان هنالك فصارت تلك البلاد قاعا صفصفا من الحيوان والنبات وهذه البلدان التي تراها مفرطة الحرارة والبرودة هي تناسب ما ذكرنا من هذه الديار البلاقع ولهذه الطائفة كلام كثير في فناء العالم ونقضه وعوده جديدا وذكروا ان السلطان في هذا الوقت السنبلة والمشتري في التدبير وأن نهاية العالم في كثرة قطع الكوكب المدبر المسافة التامة بالقوى فاذا استكمل وبلغ المسافة التي ذكروها في الفلك فهنالك يقع النفاد ويكون الدثور بالعالم والكواكب اذا كملت ما بها من كرور وعاد التدبير الى الاول منها وعادت أشخاص كل عالم وصوره مع اجتماع المواد التي كانت له في حدوث حركة تأثير الكوكب الذي كان التدبير اليه هكذا عند هؤلاء كان يجري شأن العالم سرمدا (وزعموا) أن سلطان الحمل اثنا عشر ألف سنة وسلطان العقرب خمسة آلاف سنة وسلطان الجدي ثلاثة آلاف سنة وسلطان الدلو الفا سنة وعند ذلك هو انقضاء العالم ونقض ما فيه ورجوعه

الى كونه (وتكلم هؤلاء) في الجن الذين كانوا في الارض قبل خلق آدم واستقلاله ١١٧ في الارض وان المتولي لهم كوكب

ضبط الضياء عندما ذكر ابن دحية انه قال لقيته باصبهان ولم أسمع منه شيأ واخبرني ابراهيم السهوردي باصبهان انه دخل المغرب وان مشايخه كتبوا الدرجمه وتضعيفه وقد رأيت أنا منه غير شئ مما يدل على ذلك وبسببه بنى السلطان الملك الكامل دار الحديث بالقاهرة وجعله شيخها وقد سمع منه الامام أبو عمرو بن الصلاح الموطا سنة نيف وستمائة وأخبره بمن جماعة منهم أبو عبد الله بن زرقون وقال ابن واصل كان أبو الخطاب مع فرط معرفته بالحديث وحفظه الكثير منه متهما بالمجازفة في النقل وبلغ ذلك الملك الكامل فامره أن يعلق شيأ على كتاب الشهاب فعلق كتابا تكلم فيه على أحاديثه وأسانيده فلما وقف الملك الكامل على ذلك قال له بعد أيام قد ضاع مني ذلك الكتاب فعلق لي مثله ففعل فجاء في الثاني مناقضة للاول فعلم الملك الكامل صحة ما قيل عنه ونزلت مرتبته عنده وعزله عن دار الحديث أخيرا وولى أخاه أبا عمرو عثمان وقال ابن نقطة كان أبو الخطاب موصوفا بالمعرفة والفضل ولم أره الا انه كان يدعي أشياء لا حقيقة لها ذكر لي أبو القاسم بن عبد السلام وكان ثقة قال نزل عندنا ابن دحية فقال اني أحفظ صحيح مسلم والترمذي فاخذت خمسة أحاديث من الترمذي ومثلها من المسند ومثلها من الموضوعات فجعلتها في جزء ثم عرضت عليه حديثا من الترمذي فقال ليس بصحيح وآخر فقال لا أعرفه ولم يعرف منها شيأ فافسد نفسه بذلك وقال سبط ابن الجوزي انه كان يتزيد في كلامه ويثلب المسلمين ويقع فيهم فترك الناس الرواية عنه وكذبوه وقد كان الملك الكامل مقبلا عليه فلما انكشف له شانه أخذ منه دار الحديث وأهانه وقال العماد بن كثير قد تكلم الناس فيه بانواع من الكلام ونسبه بعضهم الى وضع حديث في قصر صلاة المغرب وكنت أود أن أقف على اسناده ليعلم كيف رجاله وقد أجمع العلماء كما ذكره ابن المنذر وغيره على أن صلاة المغرب لا تقصر واتفق انه وصل في جمادى الاولى سنة ٦١٦ الى غزة فخرج كل من في غزة بالاسلحة والعصي والحجارة الى الموضع الذي هو فيه وضربوه ضربا شديدا بعد أن انهزم من كان معه انتهى وقدمنا في ترجمته توثيق جماعة له فربك أعلم بحاله * (ومنهم عبد الله بن محمد بن آدم القاري الخراساني) رحل من خراسان الى الاندلس يكنى أبا محمد ذكره أبو عمرو المقري وقال سمعته يقرأ مرات كثيرة فكان من أحسن الناس صوتا ولم يكن له معرفة بالقراءة ولا دراية بالاداء انتهى * (ومنهم عبد الرحمن بن داود بن علي الواعظ) من أهل مصر يعرف بالبزاري يكنى أبا البركات وأبا القاسم ويلقب زكي الدين قدم على الاندلس وتجول في بلادها واعظا ومذكرا وسمع منه الناس بقرطبة واشبيلية ومرسية وبلنسية سنة ٦٠٨ قال ابن الابار وسمعت وعظه اذ ذاك بالمسجد الجامع من بلنسية وادعى الرواية عن أبي الوقت السجزي والسلفي وأبي الفضل عبد الله بن أحمد الطوسي وأبي محمد بن المبارك بن الطباخ وأبي الفضل محمد بن يوسف الغزنوي وشهدة الكاتبة بنت الابري وزعم انه قرأ عليها صحيح البخاري وجماعة بالمشرق والاندلس لم يلقهم ولم يسمع منهم بما حدث به سقطعن بعضهم وأكثرهم مجهولون وقفت على ذلك في فهرست روايته فزهد أكثر السامعين منه واطرحوا الرواية عنه ومنهم أبو العباس النباتي وأبو عبد الله بن أبي البقاء وجمع أربعين حديثا مسلسلة سماها بالآلئ

من الكواكب الثابتة (وتكلم كلا الفريقين) في أوج الشمس عند انتصالها الى البروج الجنوبية وما يحدث في العالم في كون الشمال جنوبا والجنوب شمالا وتحول العامر غامرا والغامر عامرا على حسب ما ذكرنا في كتابنا المترجم بكتاب الزلف (وقد ذهب) هؤلاء ممن تقدم من الاوائل أن التي وجد بها سائر الموجودات كالاول والثواني والثوالث على قدر مراتبها في العقل والنفس والصورة والهيولى وانها المبادي على حسب ما رتبناه وقدمناه في كتاب الزلف فاما عداما وصفنا فهي الاجسام وأجناسها ستة الجسم السماوي والحيواني الناطق والحيواني غير الناطق والنبات والاحجار المجرية وهي المعدنية والاستقصاءات الاربعة وهي النار والهواء والماء والارض (وتكلم هؤلاء) فيما يخص كل واحد مما ذكرنا مما لا يحتمله كتابنا هذا اذ كان فيه خروج عن الغرض المتقدم فيه وقد أتينا على بسط ذلك في كتاب الرؤس السبعة في باب السياسة المدنية وعدد أجزائها ومائتها الطبيعية وهل ملك تلك المدنية جزء من أجزائها أو من غيرها وانه نهاية أجزائها

المفصلة حدث فيها عن ابن بشكوال وابن غالب الشراط وغيرهما من الأندلسيين الذين لم يلقهم ولا أجازوا له أخذها عنه ابن الطيلسان وغيره وكان مع هذا فقيها على مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه فصيحا مشاركا في فنون من العلم سمح الله تعالى له انتهى * (ولا بأس أن نذكر جملة من النساء القادمات من المشرق على الأندلس ثم نعود أيضا الى ذكر أعلام الرجال فنقول) * (من النساء الداخلات الأندلس من المشرق عابدة المدنية أم ولد حبيب ابن الوليد المرواني المعروف بدحون) وكانت جارية سوداء من رقيق المدينة حالكة اللون غير أنها تروي عن مالك بن أنس امام دار الهجرة وغيره من علماء المدينة حتى قال بعض الحفاظ انها تروي عشرة آلاف حديث وقال ابن الابار انها تسند حديثا كثيرا وهي أم ولد بشر بن حبيب والذي وهبها الدحون في رحلته الى الحج هو محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان فقدم بها الأندلس وقد أعجب بعلمها وفهمها واتخذها لفراشه رحم الله تعالى الجميع * (ومنهن فضل المدنية) وكانت حاذقة بالغناء كاملة الخصال وأصلها لاحدى بنات هرون الرشيد ونشأت وتعلمت ببغداد ودرجت من هنالك الى المدينة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام فازدادت ثم طبقتها في الغناء واشتريت هنالك للأمير عبد الرحمن صاحب الأندلس مع صاحبتها علم المدنية وصواحب غيرها اليهن تنسب دار المدنيات بالقصر وكان يؤثرهن لجودة غنائهن ونصاعة ظرفهن ورقة أدبهن وتضاف اليهن جارية قلم وهي ثالثة فضل وعلم في الحظوة عند الأمير المذكور وكانت أندلسية الأصل رومية من سبي البشكنس وحملت صبية الى المشرق فوقعت بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم وتعلمت هنالك الغناء فحذقته وكانت أديبة ذاكرة حسنة الخط راوية للشعر حافظة للأخبار عالمة بضروب الآداب * (ومن النساء الداخلات الى الأندلس من المشرق قمر جارية ابراهيم بن حجاج اللخمي صاحب اشبيلية) وكانت من أهل الفصاحة والبيان والمعرفة بصوغ الألحان وجلبت اليه من بغداد وجمعت أدبا وظرفا ورواية وحفظا مع فهم بارع وجمال رائع وكانت تقول الشعر بفضل أدبها ولها في مولاها تمدحه

ما في المغارب من كريم يرتجى * الا حليف الجود ابراهيم
اني حللت لديه منزل نعمة * كل المنازل ما عداه ذميم

وأنشد لها السالمي لما ذكرها عدة أشعار منها قولها تتشوق الى بغداد

آها على بغدادها وعراقها * وظبائها والسحر في أحداقها
ومجالها عند الفرات بأوجه * تبدو أهلتها على أطواقها
متبخترات في النعيم كأنما * خلق الهوى العذري من أخلاقها
نفسي الفداء لها فأي محاسن * في الدهر تشرق من سنى اشراقها

* (ومنهن الجارية العجفاء) قال الأرقي قال لي أبو السائب وكان من أهل الفضل والنسك هل لك في أحسن الناس غناء فمضينا الى دار مسلم بن يحيى مولى بني زهرة فأذن لنا فدخلنا بيتا عرضه اثنا عشر ذراعا في مثلها وطوله في السماء ستة عشر ذراعا وفي البيت غرفتان قد ذهب عنهما السلم وبقي السدى وقعدنا بالليف وكرسيان قد تفككا من قدمهما ثم اطلعت

علينا

على حسب ماذكره فرفوريوس في كتابه في وصف منازعة أفلاطون وارسطاطاليس في ذلك فأما علة كون الشتاء بأرض الهند في الحالة التي يكون الصيف بها عندنا والشتاء يكون الصيف عندهم فقد ذكرنا علة ذلك ووجه البرهان عليه وأن فلك الشمس في قربها وبعدها وكذلك علة تكون السودان في بعض البقاع من الأرض دون بعض وتعطر ألوان الصقالبة وشقرتهم وصهوبة شعورهم وما لحق الترك من استرخاء مفاصلهم وتعوج سيقانهم ولين عظامهم حتى ان أحدهم ليرمي بالنشاب من خلف كرميه من قدام فيصير وجهه قفاه وقفاه وجهه ومطاوعة فقارات الظهور لهم على ذلك وكون الحمرة في وجوههم عند تكامل الحرارة في الوجه على الأغلب من كونها وارتفاعها لغلبة البرد على أجسامهم فقد أتينا بحمد الله على ما ذكرنا فيما سلف من كتبنا في هذه المعاني المقدم ذكرها ولم نتعرض لذكر ما لم يصح عندنا في العالم وجوده حسا ولا خبرا قاطعا للعذر ولا دافعا للرأي ومزيلا للشك كأخبار العامة في كون النسناس وأن وجوههم على نصف وجوه الناس وأنهم ذوو ألباب وقولهم في عنقاء مغرب وقد زعم كثير من الناس أن الحيوان الناطق ثلاثة

علينا الجفاء كلفاء عليها هروى أصفر غسيل وكأن وركيها في خبط من وسخها فقلت لابي السائب بابي أنت ما هذه فقال اسكت فتناولت عودا فغنت

بيد الذي شغف الفؤاد بكم * تفريج ما ألقى من الهم
فاستبقي أن قد كلفت بكم * ثم افعلي ما شئت عن علم
قد كان صرم في الممات لنا * فعجلت قبل الموت بالصرم

قال فحسنت في عيني وبدا ما أذهب الكلف عنها وزحف أبو السائب وزحفت معه ثم تغنت

برح الخفاء فأيما بك تكتم * ولسوف يظهر ما تسر فيعلم
مما تضمن من عزيز قلبه * يا قلب انك بالحسان لمغرم
يا ليت أنك يا حسام بارضنا * تلقي المراسي طائعا وتخيم
فتذوق لذة عيشنا ونعيمه * ونكون اخوانا فماذا تنقم

فقال أبو السائب ان يقم هذا فاعضه الله تعالى بكذا وكذا من أبيه ولا يكني فزحفت مع أبي السائب حتى فارقنا النمرقتين وربت الجفاء في عيني كابر بو السويق بماء مزنة ثم غنت

يا طول ليلى أعالج السقما * أدخل كل الاحبة الحرما
ما كنت أخشى فراقكم أبدا * فاليوم أمسى فراقكم عزما

فالقيت طيلساني وأخذت شاذكونة فوضعتها على رأسي وصحت كما يصاح على اللوبيا بالمدينة وقام أبو السائب فتناول ربعة في البيت فيها قوارير ودهن فوضعها على رأسه وصاح صاحب الجارية وكان ألثغ قوانيني يعني قواريري فاصطكت القوارير وتكسرت وسال الدهن على رأس أبي السائب وصدره وقال للجفاء لقد هجت لي داء قديما ثم وضع الربعة وكنا نختلف اليها حتى بعث عبد الرحمن بن معاوية صاحب الاندلس فابتيعت له الجفاء وحملت اليه * (ومن القادمين على الاندلس من المشرق الشيخ عبد القاهر ابن محمد بن عبد الرحمن الموصلي) قال أبو حيان قدم علينا رسولا من ملك مصر الى ملك الاندلس فسمعت منه بالمرية انتهى * (ومنهم أحمد بن الحسن بن الحرث بن عمرو بن جرير ابن ابراهيم بن مالك المعروف بالاشتر بن الحرث النخعي) يكنى أبا جعفر دخل الاندلس في أيام الامير محمد بن عبد الرحمن وأصله من الكوفة وكان يروي أحاديث عظيمة العدد ذكر ذلك الرازي وحكى أن الامير محمدا روى عنه منها وأنزله بربة * (ومنهم أحمد بن أبي عبد الرحمن واسمه يزيد بن أحمد بن عبد الرحمن القرشي الزهري من ولد عبد الرحمن بن عوف) من أهل مصر وفد على الناصر بقرطبة وكان دخوله اليها في محرم سنة ٣٤٣ فاكرم الناصر مثواه وكان فقيه أهل مصر ذكره ابن حيان * (ومنهم أبو الطاهر اسمعيل بن الاسكندراني) لقي ببلده أبا طاهر السلفي وسمع منه ودرس عليه كتاب الاصطلاح للسمعاني وقدم الاندلس ودخل مرسية تاجرا وكان فقيها على مذهب الشافعي وأنشد على السلفي قوله

أنا من أهل الحديث وهم خير فئه

أجناس ناس ونسناس ونسناس وهذا محال من القول لان النسناس انما وقع هذا الاسم على السفلة من الناس والرذال وقد قال الحسن ذهب الناس وبقي النسناس قال الشاعر

ذهب الناس فاستقلوا وصرنا * خلفا في أراذل النسناس

أراد به ما وصفنا أي ذهب الناس وبقي من لا خير فيه (وقد ذهب) كثير من الناس الى ان الجن نوعان اعلاهم وأشدهم الجن وأضعفهم الجن وأنشد الراجز

* يختلف سحرهم جن وجن *

وهذا التفصيل بين الجنسين من الجن لم يرد به خبر ولا صح به أثر وانما ذلك من توهم الاعراب على ما بينا آنفا وقد غلب على كثير من العوام الاخبار عن معرفة النسناس وصحة وجوده في العالم كالاخبار عن وجود الصين وغيرها من الممالك النائية والامصار القاصية فبعضهم يخبر عن وجودهم في المشرق وبعضهم في المغرب فأهل المشرق يذكرون كونها بالمغرب وأهل المغرب يذكرون أنها بالمشرق وكذلك كل صقع من البلاد يشير سلطانه الى ان النسناس فيما بعد عنهم من البلاد ونأى عن الديار وقد رووا في ذلك خبرا أغرب به من طريق الآحاد ان ذلك في بلاد حضرموت من الشحر وهو ما ذكرناه عن عبد الله بن كثير بن عفير المصري

عشت تسعين وأر * جوان أعيش مائة

فعاش كما تمنى رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو الحسن علي بن محمد بن اسمعيل بن بشر الانطاكي الامام أبو الحسن التميمي) نزيل الاندلس ومقربها ومسندها أخذ القراءة عرضا وسماعا عن ابراهيم بن عبد الرزاق ومحمد بن الاخرم وأحمد بن يعقوب التائب وأحمد بن محمد بن خشيش ومحمد بن جعفر بن بيان وصنف قراءة ورش قرأ عليه جماعة منهم أبو الفرج الهيثم الصباغ وابراهيم بن مبشر المقرى وطائفة آخرون من قراء الاندلس وسمع منه عبيد الله بن أحمد بن معاذ الداراني قال أبو الوليد بن الفرضي أدخل الانطاكي الاندلس علما جما وكان بصيرا بالعربية والحساب وله حظ من الفقه قرأ الناس عليه وسمعت أنا منه وكان اماما في القراآت لا يتقدمه أحد في معرفتها في وقته وكان مولده بانطاكية سنة ٢٩٩ ومات بقرطبة في ربيع الاول سنة ٣٧٧ رحمه الله تعالى * (ومنهم عمر بن مودود بن عمر الفارسي البخاري يكنى أبا البركات) ولد بسلماس ونشأ بها وكتب الحديث هنالك وتعلم العربية والفقه وهو من أبناء الملوك وانتقل الى المغرب فدخل الاندلس ونزل مالقة في حدود ثلاثين وستمائة ودخل اشبيلية وكانت له رواية بالمشرق قال ابن الابار أجاز لي ما رواه ولم يسم أحدا من شيوخه وبلغني أنه سمع صحيح البخاري بالدامغان على أبي عبد الله محمد بن محمود وكانت اجازته لي سنة ٦٣١ وعاش بعد ذلك وتوفي بمراكش بعد الاربعين وستمائة وحدث بالاندلس وأخذ عنه الناس وكان من أهل التصوف والتحقق بعلم الكلام رحمه الله تعالى * (ومنهم الشريف الاجل الرحالة الشيخ نجم الدين بن مهذب الدين) وكنت لا أتحقق من أي البلاد هو من المشرق ثم اني علمت انه من بغداد اذ وقفت على كتابين كتبهما في شان العناية به الاديب العلامة أبو المطرف احمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي احدهما لابي العلاء حسان والثاني للكاتب ابي الحسن العنسي وهو الذي يفهم منه انه من بغداد (ونص الاول)

يا ابن الوصي اذا حللت وصيتي * اوجبت حقا للحقوق يضاف
وتحيتي كل التحايا دونها * وكذاك دون رسولها الاشراف
أحسن بان تلقى ابن حسان بها * مهتزة لورودها الاعطاف
كالروض باكره الندى فلعرفها * يا ابن النبي على الندى مطاف
وعلاك أن أبا العلاء مكانه * يلفى به الاسعاد والاسعاف
وأحق من عرف الكرام بوصفهم * من جمعت منهم له اوصاف

هذه يا سيدي تحية تجب لها اجابة وحية وتصلح بها هشاشة وأريحية أودعتها بطن هذه العجالة وبعثتها مع صدر من ابناء الرسالة ولله دره من راضع در النبوة متواضع مع شرف الابوة نازعته طرف الاشعار وأطراف الاخبار فوجدته بحرا لحصباء الدر النفيس وروضا يجتنى منه أطايب السمر الجليس وينعت بنجم الدين وهو كنعته نجم ضئ سناه ومحل يتامن التشريف بيمناه وقد جاب الفضاء العريض ورأى القصير الجم والبيض وورد الجون بعد ما شرب من ماء جيحون وزار مشاهد الحرمين ثم سار في أرض الحرمين وفارق

عن أبيه يعقوب بن الحرث بن نجيم من شيخين الحرث التميمي قال قلت انتصر قرأت على رأسها فقد اذا
الناس قلت سيروا انا منها فلما أن رحت اليه اذا بنسناس منها مع بعض أصوانه الهمر فقال لي النسناس أنا بالله وبك فقلت لهم خلوه فخلوه فلما حضر الغداء قال هل اصطدتم منها شيا قالوا نعم ولكن خلاه ضيفك قال استعدوا فانا خارجون في قنصه فلما خرجنا الى ذلك المرج خرج منها واحد يعدو وله وجه كوجه الانسان وشعرات في ذقنه ومثل الثدي في صدره ومثل رجلي انسان رجلاه وقد ألظ به كلبان وهو يقول
الويل لي مما به دهاني
دهر من الهموم والاحزان
قفا قليلا ايها الركبان
واستمعا قولي وصدقاني
انكما حين تحاربا ني
القيتماني حضرا عناني
لولا سباقي ما ملكتماني
حتى تموتا او تفارقاني
لست بخوار ولا جبان
ولا بنكس رعش الجنان
لكن قضاء الملك الرحمن
يذل ذا القوة والسلطان
قال فالتقيا به كلبان فاخذاه ويزعمون أنهم ذبحوا منها نسناسا فقال آخرون من شجرة كان باكل السماق قال فقالوا نسناس آخر خذوه فاخذوه وذبحوه وقال أبو سكتة هذا لم يعلم مكانه فقال نسناس من شجرة أخرى أنا صمت فاخذوه فذبحوه وقال أبو سكتة هذا لم يعلم بمكانه

وفارق افريقية لهذا الافق مختارا وعبر الى الاندلس فاطال بها اعتبارا وتشوق الى حضرة الانوار المفاضة والنعم السابغة الفضفاضة وجعل قصدها بحجة سفره طواف الافاضة وهمه أن يشاهد سناها العلوى ويبصر ما يحقر عنده المرقى والمروى وهى غاية يقول الآمل عليها اطلت حومى وجنة يتلو الداخل لها ياليت قومى وسيدى هو منها باب على الفتح بنى وجناب عنان الامل اليه ثنى وقصده من هذا الشريف أجل قاصد واظلته سماء المجد بجمال المشترى وظرف عطارد ومتى نعتناه فالخبر ليس كالعيان ومتى شبهناه فالتمويه بالشبه عقوق العقيان ومن يفضح قريحته بان يقول لها صفيه لكن يعرف من نفسه بما ليس فى وسع واصفيه ويقتضى من عزيمة برمها الاسعة للترخص فيه ان شاء الله تعالى وهو يديم علاكم ويحرس مجدكم وسناكم عنه والسلام الكريم الطيب العميم يخصكم به معظم مجدكم المعتد بذخيرة ودكم المحافظ على كريم عهدكم ابن عميرة ورحمة الله تعالى وبركاته فى الرابع والعشرين لربيع الآخر من سنة ٦٣٩ انتهى (ونص الثانى) هل لك ياسيدى أبا الحسن فيمن له كل شاهد حسن فى الشرف المنتقى له قدم أثبتها بالوصى والحسن أيها الاخ الذى ملكته قيادى واسكنته فؤادى عهدى بك تعتام الآداب النقية وتشتاق اللطائف المشرقية وتنصف فترى أن فى سيلنا جفاء وفى مغربنا جفاء وأن المحاسن بنت أرض ما بها ولدنا وزدع وادلس عما عهدنا وأنا فى هذا أشايعك وأتابعك وأناضل من ينازلك وينازعك وقد أتانا الله تعالى بحجة تقطع الحجج وتسكت المهج وهو الشريف الاجل السيد المبارك نجم الدين بن مهذب الدين نجل الذرية المختارة ونجم الدرية السيارة جرى مع زعزع ونسيم ورتع فى جميم وهشيم وشاهد عجائب كل اقليم وشرق الى مطلع ابن جلا وغرب حتى نزل بشاطئ سلا وقد توجه الآن الى حضرة الامامة الرشيدية أيدها الله تعالى لينتهى من أصابع العد الى العقدة ويحصل من محض الحقيقة على الزبدة وقد علم انه ما كل الخطب كخطبة المنبر ولا جميع الايام مثل يوم الحج الاكبر وأدبه ياسيدى من نسبة أفقه بل على شكل حسبه وخلقه فاذا رأيته شهدت بان الشرق قد اتحفه أبرقه بغداذه بل رمى بالجملة أفلاذه والحظ فيما يجب من بره وتأنيسه انما هو فى الحقيقة لجليسه فيا غبطة من يسبق لجواره ويقبس من أنواره وأنت لا محالة تفهمه فهمى وتشيم من شيمه عارضا يرى القلوب الهيم يهمى وتضرب فى الاخذ من فوائده وقلائده بسهم وددت أنه سهمى والسلام انتهى * (ومنهم تقى الدين محمد ابن الشيخ شهاب الدين أبى العباس أحمد بن الغرس الحنفى المصرى) قال الوادى آشى فيه انه من أعيان مصر قال وسألته هل يقع بين أهل مصر تنازع فى تفضيل بعض المذاهب على بعض فاجابنى بان هذا لا يقع عندهم بين أهل الرسوخ فى العلم وذوى المعرفة والفهم وانما يصدر هذا بين الناشئين قال وللحنفية الظهور عليهم حين يقولون لهم لنا عليكم اليد الطولى فى الخبز لكونه بمصر يطبخ فى الفرن بأرواث الدواب وكذلك تسخين الحمام فان المالكية وغيرهم بمصر يقلدون الحنفية فى ذلك قال وسألته حفظه الله تعالى هل للوباء بمصر وقت معلوم فقال لى جرت العادة عندهم بقدر الله تعالى وسره فى خليقته أن كل سنة

فقال نسناس من شجرة أخرى يا السان احفظ الراس قالوا انسناس خذوه فاخذوه وزعم من روى هذا الخبر أن المهرة تصطادها فى بلادها وتأكلها (قال المسعودى) ووجدت أهل الشحر من بلاد حضرموت وساحلها وهى تسعون مدينة على الشاطئ من أرض الاحقاف وهى أرض الرمل وغيرها مما اتصل بهذه الديار من أرض اليمن وغيرها من عمان وأرض المهرة يستظرفون أخبار النسناس اذا ما حدثوها ويتعجبون من وصفه ويتوهمون أنه ببعض بقاع الارض مما قد نأى عنهم وبعد كسماع غيرهم من أهل البلاد بذلك عنهم وهذا يدل على عدم كونه فى العالم وانما ذلك من هوس العامة واختلاطها كما وقع لهم أخبار عنقاء مغرب وهذا يدل على عدم كونه فى العالم وروواقيه حديثا عزوه الى ابن عباس ونحن لم نحل وجود النسناس والعنقاء وغير ذلك مما اتصل بهذا النوع من الحيوان الغريب النادر فى العالم من طريق العقل فان ذلك غير ممتنع فى القدرة لكن أحلنا ذلك لان الخبر القاطع للعذر لم يرد بصحة وجود ذلك فى العالم وهذا باب هو داخل فى حيز الممكن الجائز خارج عن باب الممتنع والواجب ويحتمل هذه الانواع من الحيوان

أولها ثاء مثلثة يكون فيها الوباء والله تعالى أعلم وان هذا امتعارف عندهم هكذا قال لي وعيب ما يقع من بعض النقاد بتونس وما يصدر عنهم بكثرة من القائهم الاسئلة العويصة في أصول الدين وغيرها على من يردعليهم قصدا في تعجيزه وتعنيته ثم قال ان من المنقول عن الامام أبي حنيفة رحمه الله تعالى ان من حفظت عنه تسعة وتسعون خصلة تقتضي الكفر وواحدة تقتضي الايمان ان الواحدة المقتضية للايمان تغلب وتبقى حرمتها عليه انتهى وقد ذكرنا في الباب الاول من هذا القسم حكاية البصري المغني القادم من المشرق من البصرة على عبد الوهاب الحاجب بافريقية في دولة بني المعز بن باديس وسرعنا دخوله عليه في مجلس أنسه وما اتفق في ذلك له معه وانه وصف له بلاد الاندلس وحسنها وطيبها فارتحل المغني اليها وماتت بها حسبما لخصناه من كلام الكاتب ابن الرقيق الاديب المورخ في كتابه قطب السرور ولولا انه لم يسم المغني المذكور لجعلنا له ترجمة في هذا الباب انهو به أليق والامر في ذلك سهل والله تعالى الموفق للصواب *(ومنهم الولي الصالح العارف بالله سيدي يوسف الدمشقي رضي الله تعالى عنه) وهو كما قال ابن داود من كبار الاولياء شاذلي الطريقة قدم من المشرق الى الاندلس وكان يأتي مدينة وادي آش الكرة بعد الكرة لزيارة معارف له بها وكان من الذين أخفاهم الله لا يتعرف به الا من تعرف له أعاد الله تعالى علينا من بركاته قال العلامة ابن داود وحدثني مولاي والدي رضي الله تعالى عنه من لفظه بتلمسان امنها الله تعالى يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول الشريف سنة ٨٩٥ قال دخل علي سنة شهر رمضان المعظم في زمان ولايتي الخطابة والامامة بالدراص من خارج وادي آش أعادها الله تعالى فقعدت أول ليلة منه منفردا بالمسجد الاعظم من الرباط المذكور بين العشاءين وفكرت في ذكر اتخذه في هذا الشهر المبارك يكون جامعا بين الدنيا والآخرة فاجمعت على مطالعة حلية النواودي لعلي اقف على ما أختاره لذلك فلما أصبحت دخلت الى المدينة ولم أكن اطلعت على فكرتي أحدا فلقيني الحاج الاستاذ أبو عبد الله بن خلف رحمه الله تعالى في الطريق فقال لي سيدي يوسف الدمشقي يسلم عليك ويقول لك الذكر الذي تعمر به هذا الشهر الفاضل اللهم ارزقني الزهد في الدنيا ونور قلبي بنور معرفتك قال والدي رضي الله تعالى عنه وكان هذا سبب تعرفي له ولقائي اياه وكنت قبل ذلك منكرا عليه لكثرة الدعاوي في هذا الطريق نفع الله تعالى به انتهى ولنجعل هذه الترجمة آخر هذا الباب تبركا بهذا الولي الصالح نفعنا الله تعالى ببركاته مع علمي بان الوافدين من المشرق على الاندلس كثيرون جدا الا أن عدم المادة التي أستعين بها في هذه البلاد تبين عذري ولو اجتمعت على كتبي المخلفة بالمغرب لأتيت في ذلك وغيره بما يشفي ويكفي * وفي الاشارة ما يغني عن الكلام *

(الباب السابع)

في نبذة مما من الله تعالى به على أهل الاندلس من توقد الاذهان وبذلهم في اكتساب المعارف والمعالي ما عزوهان وحوزهم في ميدان البراعة من قصب اليراعة خصل الرهان وجملة من اجوبتهم الدالة على لوذعيتهم وأوصافهم المؤذنة بألمعيتهم وغير ذلك

والعنقاء والعربد وما اتصل بهذا المعنى أن تكون أنواعا من الحيوان أخرجتها النادر ذكرها كالنسناس الطبيعة من القدرة الى الفعل ولم تحكم ولم يتات فيه الطبع كتاتيه في غيره من الحيوان فبقي شاذا فريدا متوحشا نادرا في العالم طالبا للبقاع النائية من البرمايا السائر أنواع الحيوان من الناطقين وغيرهم للضدية التي فيه لغيره مما قد أحكمته الطبيعة وعدم تشاكله بعوالمناسبة التي بينه وبين غيره من أجناس الحيوان وأنواعه على حسب ما قدمنا في باب الغيلان فيما سلف من هذا الكتاب وفي الاكثار من هذا خروج عن الغرض الذي اليه قصدنا في هذا الكتاب وقدمنا فيما سلف من هذا الكتاب من الاخبار عمن زعم ان المتوكل أمر حسين بن اسحق أو غيره من أهل عصره وممن عني بهذا الشان من الحكماء أن يأتي له ويحتال في حمل النسناس والعربد من أرض اليمامة وأن حسينا حمل له شيأ من ذلك وقد أتينا على شرح هذا الخبر فيمن ارسل الى اليمامة في حمل العربد الى بلاد الشحر وفي حمل النسناس في كتابنا أخبار الزمان والله تعالى أعلم بقصة هذا الخبر وليس لنا في ذلك الا النقل وأن نعزوه الى راويه وهو المقلد بعلم ذلك

من

فيما حكاه ورواه فننظمه على حسب ما يأتى نظمه فى ذلك الموضع المحقق له والله ولى التوفيق برحمته

من أحوالهم التى لها على فضلهم أوضح برهان

اعلم أن فضل أهل الاندلس ظاهر كما أن حسن بلادهم باهر ولذلك ذكر ابن غالب فى فرحة الانفس لما أثنى على الاندلس وأهلها أن بطليموس جعل لهم من أجل ولاية الزهرة لبلادهم حسن الهمة فى الملبس والمطعم والنظافة والطهارة والحب للهو والغناء وتوليد اللحون ومن اجل ولاية عطارد حسن التدبير والحرص على طلب العلم وحب الحكمة والفلسفة والعدل والانصاف * وذكر ابن غالب أيضا ما خصوا به من تدبير المشترى والمريخ * واتفق عليه بعضهم بان أقاليم الاندلس الرابع والخامس والسادس فى ساحلها الشمالى والسابع فى جزائر الجوس وللاقليم الرابع الشمس وللخامس الزهرة وللسادس عطارد وللسابع القمر والمشترى للاقليم الثانى والمريخ للثالث ولا مدخل لهما فى الاندلس انتهى * ثم قال صاحب الفرحة وأهل الاندلس عرب فى الانساب والعزة والانفة وعلو الهمم وفصاحة الالسن وطيب النفوس واباء الضيم وقلة احتمال الذل والسماحة بما فى أيديهم والنزاهة عن الخضوع واتيان الدنية هنديون فى افراط عنايتهم بالعلوم وحبهم فيها وضبطهم لها وروايتهم بغداديون فى نظافتهم وظرفهم ورقة أخلاقهم ونباهتهم وذكائهم وحسن نظرهم وجودة قرائحهم ولطافة أذهانهم وحدة افكارهم ونفوذ خواطرهم يونانيون فى استنباطهم للمياه ومعاناتهم لضروب الغراسات واختيارهم لاجناس الفواكه وتدبيرهم لتركيب الشجر وتحسينهم للبساتين بانواع الخضر وصنوف الزهر فهم أحكم الناس لاسباب الفلاحة ومنهم ابن بصال صاحب كتاب الفلاحة الذى شهدت له التجربة بفضله وهم أصبر الناس على مطاولة التعب فى تجويد الاعمال ومقاساة النصب فى تحسين الصنائع أحذق الناس بالفروسية وأبصرهم بالطعن والضرب وعد رحمه الله تعالى من فضائلهم اختراعهم للخطوط المخصوصة بهم قال وكان خطهم أولا مشرقيا انتهى

قال ابن سعيد اما أصول الخط المشرقى وما تجد له فى القلب والحظ من القبول فسلم له لكن خط الاندلس الذى رأيته فى مصاحف ابن غطوس الذى كان بشرق الاندلس وغيره من الخطوط المنسوبة عندهم له حسن فائق ورونق آخذ بالعقل وترتيب يشهد لصاحبه بكثرة الصبر والتجويد انتهى ونحو صدر كلام ابن غالب السابق مذكور فى رسالة لابن حزم وقال فيها ان أهل الاندلس صينيون فى اتقان الصنائع العملية واحكام المهن الصورية تركيون فى معاناة الحروب ومعالجات آلاتها والنظر فى مهماتها انتهى * وعد ابن غالب فى فضائلهم اختراعهم للموشحات التى استحسنها أهل المشرق وصاروا ينزعون نزعها وأما نظمهم ونثرهم فلا يخفى على من وقف عليهما علو طبقاتهم * ثم قال ابن غالب ولما نفذ قضاء الله تعالى على أهل الاندلس بخروج أكثرهم عنها فى هذه الفتنة الاخيرة المبيرة تفرقوا ببلاد المغرب الاقصى من بر العدوة مع بلاد افريقية فاما أهل البادية فمالوا فى البوادى الى ما اعتادوه وداخلوا أهلها وشاركوهم فيها فاستنبطوا المياه وغرسوا الاشجار وأحدثوا الارحى الطاحنة بالماء وغير ذلك وعلموهم أشياء لم يكونوا يعلمونها ولا رأوها فشرفت بلادهم وصلحت امورهم وكثرت مستغلاتهم وعمتهم الخيرات فهم أشبه الناس

(وأما ما ذكره) عن ابن عباس فهو خبر يتصل بخبر خالد بن سنان العبسى وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب خبر خالد بن سنان العبسى وانه ذكر انه كان فى الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وذكر خبره مع النار واطفائه لها (فلنذكر الآن خبر العنقاء) على حسب ما رووه فلا بد من اعادة خبر خالد لذكر العنقاء واتباع الخبرين ومخرج هذه الاخبار كلها عن ابن عفير حدث الحسن بن ابراهيم قال حدثنا محمد بن عبد الله المروزى قال حدثنا أسد بن سعيد بن كثير عن ابن عفير عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق طائرا فى الزمان الاول من أحسن الطير وجعل فيه من كل جنس قسطا وخلق وجهه على مثال وجوه الناس وكان فى أجنحته كل لون حسن من الريش وخلق له أربعة أجنحة من كل جانب منه وخلق له يدين فيهما مخالب وله منقار على صفة منقار العقاب غليظ الاصل وجعل له أنثى على مثاله وسماها بالعنقاء وأوحى الله تعالى الى موسى بن عمران انى خلقت طائرا عجيبا خلقت ذكرا وأنثى وجعلت رزقه

باليونانيين فيما ذكرت ولان اليونانيين سكنوا الاندلس فورثوا منهم ذلك وأما أهل الحواضر فمالوا الى الحواضر واستوطنوها فاما أهل الادب فكان منهم الوزراء والكتاب والعمال وجباة الاموال والمستعملون فى أمور المملكة ولا يستعمل بلدى ما وجد أندلسى وأما أهل الصنائع فانهم فاقوا أهل البلاد وقطعوا معاشهم وأجلوا أعمالهم وصيروهم أتباعا لهم ومتصرفين بين أيديهم ومتى دخلوا فى شغل عملوه فى أقرب مدة وأفرغوا فيه من أنواع الحذق والتجويد ما يميلون به النفوس اليهم ويصير الذكر لهم قال ولا يدفع هذا عنهم الا جاهل أو مبطل انتهى * وقال ابن سعيد لما ذكر جملة من محاسن الاندلسيين يعلم الله تعالى انى ما أقصد الا انصاف المصنفين الذين لا يميل بهم التعصب ولا يجمح بهم الهوى ولكن الحق أحق ان يتبع فلعل مطلعا يقف على ما ذكره ابن غالب فيقول هذا الرجل تعصب لاهل بلده ثم يغمص التابع له والراضى بنقل قوله فى هذه الصيغة ويحمله على ذلك بعده عن الارضين

ولو أبصروا ليلى أقروا بحسنها * وقالوا بانى فى الثناء مقصر

ويكفى فى الانصاف أن أقول ان حضرة مراكش هى بغداد المغرب وهى أعظم ما فى بر العدوة وأكثر مصانعها ومبانيها الجليلة وبساتينها انما ظهرت فى مدة بنى عبد المؤمن وكانوا يجلبون لها صناع الاندلس من جزيرتهم وذلك مشهور معلوم الى الآن ومدينة تونس بافريقية قد انتقلت اليها السعادة التى كانت فى مراكش بسلطان افريقية الآن أبى زكريا يحيى ابن أبى محمد بن أبى حفص فصار فيها من المبانى والبساتين والكروم ما شابهت به بلاد الاندلس ومرفاعه نامه من الاندلس وتماثيله التى يبنى عليها وان كان أعرف خلق الله تعالى باختراع محاسن هذا الشان فانما أكثرها من أوضاع الاندلسيين وله من خاطره تنبيهات وزيادة ظهر حسن موقعها ووجوه صنائع دولته لا تجدهم الا من الاندلس فصح قول ابن غالب انتهى * قال الحميدى أنشد بحضرة بعض ملوك الاندلس قطعة لبعض أهل المشرق وهى

وماذا عليهم لو أجابوا فسلموا * وقد علموا أنى المشوق المتيم
سروا ونجوم الليل زهر طوالع * على انهم بالليل للناس انجم
واخفوا على تلك المطايا مسيرهم * فنم عليهم فى الظلام التبسم

فأفرط بعض الحاضرين فى استحسانها وقال هذا ما لا يقدر اندلسى على مثله وبالحضرة أبو بكر يحيى بن هذيل فقال بديها

عرفت بعرف الريح أين تيمموا * وأين استقل الظاعنون وخيموا
خليلى ردانى الى جانب الحمى * فلست الى غير الحمى أتيمم
أبيت سمير الفرقدين كأنما * وسادى قتاد أو ضجيعى أرقم
واحور وسنان الجفون كأنه * قضيب من الريحان لدن منعم
نظرت الى اجفانه والى الهوى * فايقنت انى است منهن اسلم
كما ان ابراهيم اول نظرة * رأى فى الدرارى أنه سوف يسقم انتهى

ومن كلام ابن بسام صاحب الذخيرة فى جزيرة الاندلس اشراف عرب المشرق افتتحوها

فوحش بيت المقدس وآنست بهما ليكونا مما فضلت به بنى اسرائيل فلم يزالا يتناسلان حتى كثر نسلهما وأدخل الله موسى وبنى اسرائيل فى التيه فمكثوا فيه أربعين سنة حتى مات موسى وهرون فى التيه وجميع من كان مع موسى من بنى اسرائيل وكانوا ستمائة ألف وخلفهم نسلهم فى التيه ثم أخرجهم الله تعالى من التيه مع يوشع بن نون تلميذ موسى ووصيه فانتقل ذلك الطائر فوقع بنجد والحجاز فى بلاد قيس عيلان ولم يزل هنالك يأكل من الوحوش ويأكل الصبيان وغير ذلك من البهائم الى أن ظهر نبى من بنى عبس بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم يقال له خالد بن سنان فشكا اليه الناس ما كانت العنقاء تفعل بالصبيان فدعا الله عليها فانقطع نسلها فبقيت صورتها تحكى فى البسط وغير ذلك (وقد ذهب جماعة) من ذوى الدراية الى أن أقوال الناس فى أمثالهم عنقاء مغرب انما هو للامر العجيب النادر وقوعه وقولهم جاء فلان بعنقاء مغرب يريدون أنه جاء بأمر عجيب قال شاعرهم وصبحهم بالجيش عنقاء مغرب والعنق السرعة قال ابن عباس وكان خالد بن سنان نبى بنى عبس بشر برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما حضرته الوفاة قال

وسادات اجناد الشام والعراق نزلوها فبقى النسل فيها بكل اقليم على عرق كريم فلا يكاد بلد منها يخلو من كاتب ماهر وشاعر قاهر وذكر ان اباعلى البغدادى صاحب الامالى الوافد على الاندلس فى زمان بنى مروان قال لما وصلت القيروان وانا اعتبر من أمر به من اهل الامصار فاجدهم درجات فى العبارات وقلة الفهم بحسب تفاوتهم فى مواضعهم منها بالقرب والبعد كأن منازلهم من الطريق هى منازلهم من العلم محاصة ومقايسة قال ابوعلى فقلت ان نقص اهل الاندلس عن مقادير من رأيت فى افهامهم بقدر نقصان هؤلاء عمن قبلهم فسأحتاج الى ترجمان فى هذه الاوطان قال ابن بسام فبلغنى انه كان يصل كلامه هذا بالتعجب من اهل هذا الافق الاندلسى فى ذكائهم ويتغطى عنهم عند المباحثة والمناقشة ويقول لهم ان على علم رواية وليس عندى علم دراية فخذوا عنى ما نقلت فلم آل لكم أن صححت هذا مع اقرار الجميع له يومئذ بسعة العلم وكثرة الروايات والاخذ عن الثقات انتهى * ومن كلام الحجارى فى المسهب الاندلس عراق المغرب عزة انساب ورقة آداب واشتغالا بفنون العلوم واقتنانا فى المنثور والمنظوم لم تضق لهم فى ذلك ساحة ولا قصرت عنه راحة فهام فيه بصر الاوفيه نجوم وبدور وشموس وهم اشعر الناس فيما كثره الله تعالى فى بلادهم وجعله نصب اعينهم من الاشجار والانهار والطيور والكؤس لا ينازعهم احد فى هذا الشان وابن خفاجة سابقهم فى هذا المضمار الحائز فيه قصب الرهان واما اذا هب نسيم ودار كاس فى كف ظبى رخيم ورجع بم وزير وصفق للماء خرير اورقت العشية وخلعت السحب ابرادها الفضية والذهبية او تبسم عن شعاع ثغر نهر او ترقرق بطل جفن زهر او خفق بارق اووصل طيف طارق اووعد حبيب فزار من الظلماء تحت جناح وبات مع من يهواه كالماء والراح الى أن ودع حين اقبل رائد الصباح اوازهرت دوحة السماء بزهر كواكبها اوقوضت عند فيض نهر الصباح بيض مضاربها فاولئك هم السابقون السابقون الذين لا يجارون ولا يلحقون وليسوا بالمقصرين فى الوصف اذا تقعقعت السلاح وسالت خلجان الصوارم بين قضبان الرماح وبنت الحرب من العجاج سماء واطلعت شبه النجوم اسنة واجرت شبه الشفق دماء وبالجملة فانهم فى جميع الاوصاف والتخيلات ائمة ومن وقف على اشعارهم فى هذا الشان فضلهم فيه على اصناف الامة وقد اعانتهم على الشعر انسابهم العربية وبقاعهم النضرة وهممهم الابية ولشطار الاندلس من النوادر والتنكيتات والتركيبات وانواع المضحكات ما تملأ الدواوين كثرته وتضحك الثكلى وتسلى المسلوب قصته مما لو سمعه الجاحظ لم يعظم عنده ما حكى وما ركب ولا استغرب أحد ما أورده ولا تعجب الا أن مؤلفى هذا الافق طمحت هممهم عن التصنيف فى هذا الشان فكاد يمر ضياعا فقمت محتسبا بالظرف فتداركته جامعا فيه ما أمسى شعاعا انتهى * وقد رأيت أن اذكر رسالة أبى محمد بن حزم الحافظ التى ذكر فيها بعض فضائل علماء الاندلس لاشتمالها على ما نحن بصدده وذلك انه كتب أبو على الحسن بن محمد بن أحمد ابن الربيب التميمى القيروانى الى أبى المغيرة عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن حزم يذكر تقصير أهل الاندلس فى تخليد أخبار علمائهم ومآثر فضائلهم وسير ملوكهم ما صورته

لقومه اذا أنامت فادفنونى فى حقف من هذه الاحقاف وهى تلول عظام من الرمل واحرسوا قبرى أياما فاذا رأيتم حمارا أشهب أبتر يدور حول الحقف الذى فيه قبرى أياما فاجتمعوا ثم انبشوا قبرى وأخرجونى الى شفير القبر وأحضروا الى كاتبا ومعه ما يكتب فيه حتى أملى عليكم ما يكون وما يحدث الى يوم القيامة قال فرصدوا قبره واجتمعوا عليه لينبشوه كما أمرهم فحضر ولده وشهر واسيوفهم وقالوا والله لا تتركنا أحدا ينبشه أتريدون أن نعير بذلك غدا وتقول لنا العرب هؤلاء ولد المنبوش فانصرفوا عنه وتركوه قال ابن عباس ووردت ابنة له عجوز قد عمرت على النبى صلى الله عليه وسلم فتلقاها بخير وأكرمها وأسلمت وقال لها مرحبا بابنة نبى ضيعه أهله قال شاعر بنى عبس بنى خالد لو أنكم اذ حضرتم نبشتم عن الميت المغيب فى القبر

لابقى عليكم آل عبس ذخيرة
من العلم لا تبلى على سالف الدهر

(وقد روى) عن ابن عفير أخبار كثيرة فى هذا المعنى واشباهه من فنون الاخبار من أخبار بنى اسرائيل وغيرها (منها) خبر خلوق ...

وهو ما حدثنا به الحسن بن ابراهيم الشعبى القاضى قالا حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله المروزى قال حدثنا ...

كتبت يا سيدى وأجل عددى كتب الله تعالى لك السعادة وأدام لك العز والسيادة سائلا مسترشدا وباحثا مستخبرا وذلك انى ذكرت فى بلادكم اذ كانت قرارة كل فضل ومنهل كل خير ونبل ومصدر كل طرفة ومورد كل تحفة وغاية آمال الراغبين ونهاية أمانى الطالبين ان بارت تجارة فاليها تجلب وان كسدت بضاعة ففيها تنفق مع كثرة علمائها ووفور ادبائها وجلالة ملوكها ومحبتهم فى العلم واهله يعظمون من عظمه علمه ويرفعون من رفعه أدبه وكذلك سيرتهم فى رجال الحرب يقدمون من قدمته شجاعته وعظمت فى الحروب نكايته فشجع الجبان واقدم الهيبان ونبه الخامل وعلم الجاهل ونطق العيى وشعر البكى واستنسر البغاث وتثعبن الحفاث فتنافس الناس فى العلوم وكثر الحذاق بجميع الفنون ثم هم مع ذلك فى غاية التقصير ونهاية التفريط من أجل ان علماء الامصار دونوا فضائل امصارهم وخلدوا فى الكتب مآثر بلدانهم وأخبار الملوك والامراء والكتاب والوزراء والقضاة والعلماء فابقوا لهم ذكرا فى الغابرين يتجدد على مر الليالى والايام ولسان صدق فى الآخرين يتأكد مع تصرف الاعوام وعلماؤكم مع استظهارهم على العلوم كل امرئ منهم قائم فى ظله لا يبرح وراتب على كعبه لا يتزحزح يخاف ان صنف أن يعنف وان ألف أن يخالف ولا يؤالف او تخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق لم يتعب أحد منهم نفسا فى جمع فضائل أهل بلده ولم يستعمل خاطره فى مفاخر ملوكه ولا بل قلما بمناقب كتابه ووزرائه ولا سود قرطاسا بمحاسن قضاته وعلمائه على انه لو أطلق ما عقل الاغفال من لسانه وبسط ما قبض الاهمال من بيانه لوجد للقول مساغا ولم تضق عليه المسالك ولم تحرج به المذاهب ولا اشتبهت عليه المصادر والموارد ولكن هم أحدهم ان يطلب شأو من تقدمه من العلماء ليحوز قصبات السبق ويفوز بقدح ابن مقبل ويأخذ بكظم دغفل ويصير ثجا فى حلق أبى العميثل فاذا أدرك بغيته واخترمته منيته دفن معه أدبه وعلمه فمات ذكره وانقطع خبره ومن قدمنا ذكره من علماء الامصار احتالوا لبقاء ذكرهم احتيال الاكياس فالفوا دواوين بقى لهم بها ذكر مجدد طول الابد فان قلت انه كان مثل ذلك من علمائنا والفوا كتبا لكنها لم تصل الينا فهذه دعوى لم يصحبها تحقيق لانه ليس بيننا وبينكم غير روحة راكب او رحلة قارب لو نفث من بلدكم مصدور لاسمع من ببلدنا فى القبور فضلا عمن فى الدور والقصور وتلقوا قوله بالقبول كما تلقوا ديوان احمد بن عبد ربه الذى سماه بالعقد على انه يلحقه فيه بعض اللوم لاسيما اذ لم يجعل فضائل بلده واسطة عقده ومناقب ملوكه يتيمة سلكه أكثر الحز وأخطأ المفصل وأطال الهز لسيف غير مصقل وقعد به ما قعد باصحابه من ترك ما يعنيهم واغفال ما يهمهم فارشد أخاك ارشدك الله واهده هداك الله ان كانت عندك فى ذلك الجلية وبيدك فصل القضية والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

* فكتب الوزير الحافظ أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم عند وقوفه على هذه الرسالة ما نصه الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى أصحابه الاكرمين وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته الفاضلين الطيبين أما بعد يا أخى يا أبا بكر سلام عليك سلام على نفوسها

سلام وسادات

أسد بن سعيد بن كثير بن عفير عن أبيه عن جده كثير عن أبيه عفير قال أخبرني عكرمة مولى ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لما أراد أن يخلق الخيل أوحى الى الريح الجنوب انى خالق منك خلقا فاجتمعت فأمر جبريل فاخذ منها ثم قال الله هذه قبضتى قال ثم خلق الله منها فرسا كميتا ثم قال الله خلقتك فرسا وجعلتك عربيا وفضلتك على سائر ما خلقته من البهائم لسعة الرزق والغنائم تقتاد على ظهرك والخير معقود بناصيتك ثم أرسل فصهل فقال باركت فيك بصهيلك أرعب المشركين وأملأ مسامعهم وأزلزل أقدامهم ثم وسمه بغرة وتحجيل فلما خلق الله آدم قال يا آدم أخبرنى أى الدابتين أحب اليك الفرس أو البراق قال وصورة البراق على صورة البغل لا ذكر ولا أنثى فقال يا رب اخترت أحسنهما وجها فاختار الفرس فقال الله يا آدم اخترت عزك وعز ولدك باقيا ما بقوا وخلدوا قال ابن عباس فذلك الوسم فيه وفى ولده الى يوم القيامة يعنى الغرة والتحجيل ولولا أن المصنف حاطب ليل ذكر كل نوع لما ذكرنا (مسعودى) رحمه الله والعد كر عيسى بن لهيعة المصرى فى كتابه المترجم بكتاب الحلائب والجلائب وذكره لكل

سلام أخ مشوق طالت بينه وبينك الاميال والفراسخ وكثرت الايام والليالى ثم لقيتك في حال سفر ونقلة ووادلك في خلال جولة ورحلة فلم يقض من محاورتك أربا ولا بلغ في محاورتك مطلبا وانى لما احتللت بك وجالت يدى في مكنون كتبك ومضمون دواوينك لحت عينى في تضاعيفها درجا قد أملته فاذا فيه خطاب لبعض الكتاب من مصاقبنا في الدار أهل افريقية ثم ممن ضمته حاضرة قيروانهم الى رجل اندلسى لم يعينه باسمه ولا ذكره بنسبه يذكر له فيها ان علماء بلدنا بالاندلس وان كانوا على الذروة العليا من التمكن بأفانين العلوم وفى الغاية القصوى من التحكم على وجوه المعارف فان هممهم قد قصرت عن تخليد مآثر بلادهم ومكارم ملوكهم ومحاسن فقهائهم ومناقب قضاتهم ومفاخر كتابهم وفضائل علمائهم ثم تعدى ذلك الى أن أخلى أرباب العلوم منا من أن يكون لهم تأليف يحيى ذكرهم ويبقى علمهم بل قطع على أن كل واحد منهم قد مات فدفن علمه معه وحقق ظنه في ذلك واستدل على صحته عند نفسه بان شيئا من هذه التآليف لو كان منا موجودا لكان اليهم منقولا وعندهم ظاهرا لقرب المزار وكثرة السفار وترددهم اليهم وتكررهم علينا ثم لما ضمنا المجلس الحافل باصناف الآداب والمشهد الآهل بانواع العلوم والقصر المعمور بانواع الفضائل والمنزل المحفوف بكل لطيفة وسيعة من دقيق المعانى وجليل المعالى قرارة المجد ومحل السودد ومحط رحال الخائفين وملقى عصا التسيار عند الرئيس الاجل الشريف قديمه وحسبه الرفيع حديثه ومكسبه الذى أجله عن كل خطة يشركه فيها من لا توازى قومته نومته ولا ينال حضره هوينا ه وأربى به عن كل مرتبة يلحقه فيها من لا يسمو الى المكارم سموه ولا يدنو من المعالى دنوه ولا يعلو في جيد الخلال علوه بل اكتفى من مدحه باسمه المشهور واجتزى من الاطالة في تقريظه بمنتماه المذكور فحسبي بذينك العلمين دليلا على سعيه المشكور وفضله المشهور أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن قاسم صاحب البونت أطال الله بقاءه وأدام اعتلاءه ولا عطل الحامدين من تحليهم بحلاه ولا أخلى الايام من تزينها بعلاه فرأيته أعزه الله تعالى حريصا على أن يجاوب هذا المخاطب وراغبا في أن يبين له ما لعله قد رآه فنسى أو بعد عنه فخفى فتناولت الجواب المذكور بعد أن بلغنى ان ذلك المخاطب قد مات رحمنا الله تعالى واياه فلم يكن لقصده بالجواب معنى وقد صارت المقابر له مغنى فلسنا بمسمعين من في القبور فصرفت عنان الخطاب اليك اذ من قبلك صرت الى الكتاب المجاوب عنه ومن لدنك وصلت الى الرسالة المعارضة ووفق وصول كتابى على هذه الهيئة حيثما وصل كفاية لمن غاب عنه من اخبار تآليف اهل بلدنا مثل ما غاب عن هذا الباحث الاول ولله الامر من قبل ومن بعد وان كنت في اخبارى اياك بما ارسمه في كتابى هذا كمهدى البركان نار الحباحب وبانى رضوى في مهيع القصد اللاحب فانك وان كنت المقصود والمواجه فانما المراد من أهل تلك الناحية من نأى عنه علم ما استجليه السائل الماضى وما توفيقى الا بالله سبحانه فاما مآثر بلدنا فقد ألف في ذلك أحمد بن محمد الرازى التاريخى كتبا جمة منها كتاب ضخم ذكر فيه مسالك الاندلس ومراسيها وأمهات المدن واجنادها الستة وخواص كل بلد منها وما فيه مما ليس في غيره وهو كتاب مريح

سنة أجريت فيها الخيل في الجاهلية والاسلام ان سليمان بن داود زود أناسا من الأزد فرسا يسمون عليه فسمى زاد الراكب وكذلك ذكر ابن دريد في كتاب الخيل وغيره (وللناس في الخيل) أخبار عظيمة كثيرة قد أتينا على ذكرها في السالف من كتبنا (وقد ذهبت) طائفة الى أن الاخبار التى تقطع العذر وتوجب العلم والعمل هى أخبار الاستفاضة ما رواه الكافة عن الكافة وأن ما عدا ذلك فغير واجب قبوله (وذهب الجمهور) من فقهاء الامصار الى قبول خبر الاستفاضة وهو خبر التواتر وأنه يوجب العلم والعمل وأوجبوا العمل بخبر الواحد وزعموا أنه موجب العمل دون العلم باوصاف ذكروها (ومن الناس) من ذهب الى غير هذه الوجوه في فنون الاخبار من الضرورة وغيرها وما ذكرنا من حديث النسناس والعنقاء وخلق الخيل فغير داخل في أخبار التواتر الموجبة للعقل واللاحقة بما أوجب العمل دون العلم ولا بالاخبار المضطرة لسامعها الى قبولها عند ورودها واعتقاد صحيحها عن مخبرها وهذا النوع من الاخبار قد قدمنا في وهو من الممكن الذى ليس بواجب أنه لاحق بالاسرائيليات من الاخبار والاخبار عن عجائب البحار ولولا ما قدمنا آنفا

ملح وأنا أقول لو لم يكن لاندلسنا الا ما رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر به ووصف أسلافنا المجاهدين فيه بصفات الملوك على الاسرة في الحديث الذي رويناه من طريق أبي حمزة أنس بن مالك أن خالته أم حرام بنت ملحان زوج أبي الوليد عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه ومنهم أجمعين حدثته عن النبي صلى الله عليه وسلم انه أخبرها بذلك لكفى شرفا بذلك يسر عاجله و يغبط آجله فان قال قائل لعله صلوات الله تعالى عليه انما عنى بذلك الحديث أهل صقلية واقريطش وما الدليل على ما ادعيته من انه صلى الله عليه وسلم عنى الاندلس حتما ومثل هذا من التأويل لا يتساهل فيه ذوورع دون برهان واضح وبيان لائح لا يحتمل التوجيه ولا يقبل التجريح فالجواب وبالله التوفيق انه صلى الله عليه وسلم قد أوتي جوامع الكلم وفصل الخطاب وأمر بالبيان لما أوحي اليه وقد أخبر في ذلك الحديث المتصل سنده بالعدول عن العدول بطائفتين من أمته يركبون ثبج البحر غزاة واحدة بعد واحدة فسالته أم حرام أن يدعو ربه تعالى أن يجعلها منهم. فأخبرها صلى الله عليه وسلم وخبره الحق بانها من الاولين وهذا من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وهو اخباره بالشئ قبل كونه وصح البرهان على رسالته بذلك وكانت من الغزاة الى قبرس وخرت عن بغلتها هنالك فتوفيت رحمها الله تعالى وهي أول غزاة ركب فيها المسلمون البحر فثبت يقينا ان الغزاة الى قبرس هم الاولون الذين بشر بهم النبي صلى الله عليه وسلم وكانت ام حرام منهم كما أخبر صلوات الله تعالى وسلامه عليه ولا سبيل ان يظن به وقد اوتي ما أوتي من البلاغة والبيان أنه يذكر طائفتين قد سمى احداهما اولى الا والتالية لها ثانية فهذا من باب الاضافة وتركيب العدد وهذا مقتضى طبيعة صناعة المنطق اذ لا تكون الاولى اولى الا للثانية ولا الثانية ثانية الا للاولى فلا سبيل الى ذكر ثالث الا بعد ثان ضرورة وهو صلى الله عليه وسلم انما ذكر طائفتين و بشر بفئتين وسمى احداهما الاولين فاقتضى ذلك بالقضاء الصدق آخرين والآخر من الاول هو الثاني الذي أخبر صلى الله عليه وسلم انه خير القرون بعد قرنه واولى القرون بكل فضل بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه خير من كل قرن بعده ثم ركب البحر بعد ذلك ايام سليمان بن عبد الملك الى القسطنطينية وكان الامير بها في تلك السفن هبيرة الفزاري واما صقلية فانها افتتحت صدر ايام الاغالبة سنة ٢١٢ ايام قاد اليها السفن غازيا أسد بن الفرات الغازي صاحب أبي يوسف رحمه الله تعالى وبها مات وأما اقريطش فانها افتتحت بعد الثلاث والمائتين افتتحها أبو حفص عمر بن شعيب المعروف بابن الغليظ من أهل قرية بطروج من عمل فحص البلوط المجاور لقرطبة من بلاد الاندلس وكان من فل الربضيين وتداولها بنوه بعده الى ان كان آخرهم عبد العزيز بن شعيب الذي غنمها في أيام أرمانوس بن قسطنطين ملك الروم سنة ٣٥٠ وكان أكثر المفتتحين لها أهل الاندلس وأما في قسم الاقاليم فان قرطبة مسقط رؤسنا ومعق تمائمنا مع سر من رأى في اقليم واحد فلنا من الفهم والذكاء ما اقتضاه اقليمنا وان كانت الانوار لا تأتينا الا مغربة عن مطالعها على الجزء المعمور وذلك عند المحسنين للاحكام التي تدل عليها الكواكب ناقص من قوى دلائلها فلها من ذلك على كل حال حظ يفوق حظ أكثر البلاد بارتفاع أحد النيرين بها

من اشتراطنا على أنفسنا الاختصار والايجاز لذكرنا ما اتصل بهذا المعنى من الاخبار عما رواه أصحاب الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم حملة السنن ونقلة الآثار مما لا يتناكرونه ويعرفونه ولا يدفعونه مع حديث القرد الذي كان في السفينة في عهد بني اسرائيل مع رجل كان يبيع الخمر لاهل السفينة ويشوب الخمر بالماء وأنه جمع من ذلك دراهم كثيرة وان القرد قبض على الكيس الذي كانت فيه الدراهم وصعد على الدور وهو صاري المركب ويدعى بالعراق الدقل فحل الكيس ولم يزل يرمي درهما الى الماء ودرهما الى السفينة حتى قسم ذلك نصفين ومثل ما روى الشعبي عن فاطمة بنت قيس عن النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك قد رواه عن فاطمة بنت قيس عدة من الصحابة وهو خبر تميم الداري ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر عنه أنه أخبره أنه ركب البحر في جماعة من بني عمه في سفينة فاضل بهم البحر وألقاهم الى جزيرة فنظروا الى دابة عظيمة قد نشرت شعرها فقالوا لها أيتها الدابة ما أنت فقالت أنا الجساسة التي أخرج آخر الزمان وذكروا عنها كلاما غير هذا وأنها قالت عليكم بصاحب الصومعة فضروا فاذا هم بقصر من حاله ووصفه كذا واذا هم برجل

تسعين درجة وذلك من أدلة التمكن في العلوم والنفاذ فيها عند من ذكرنا وقد صدق ذلك
الخبر وأبانته التجربة فكان أهلها من التمكن في علوم القرا آت والروايات وحفظ كثير
من الفقه والبصر بالنحو والشعر واللغة والخبر والطب والحساب والنجوم بمكان رحب
الفناء واسع العطن متنائي الاقطار فسيح المجال والذى نعاه علينا الكاتب المذكور لو كان
كما ذكر لكافيه شركاء لا كثر أمهات الحواضر وجلائل البلاد ومتسعات الاعمال فهذه
القيروان بلد المخاطب لنا ما أذكر أني رأيت في أخبارها تأليفا غير المعرب عن أخبار المغرب
وحاشى تأليف محمد بن يوسف الوراق فانه ألف للمستنصر رحمه الله تعالى في مسالك افريقية
وممالكها ديوانا ضخما وفي أخبار ملوكها وحروبهم والقائمين عليهم كتبا جمة وكذلك ألف
أيضا في أخبار تيهرت ووهران وتونس وسجلماسة ونكور والبصرة وغيرها تآليف حسانا
ومحمد هذا أندلسي الاصل والفرع آباؤه من وادي الحجارة ومدفنه بقرطبة وهجرته اليها
وان كانت نشأته بالقيروان ولابد من اقامة الدليل على ما أشرت اليه هنا اذ مرادنا ان نأتي منه
بالمطلوب فيما يستأنف ان شاء الله تعالى وذلك ان جميع المؤرخين من أئمتنا السالفين
والباقين دون محاشاة احد بل قد تيقنا اجماعهم على ذلك متفقون على أن ينسبوا الرجل الى
مكان هجرته التي استقر بها ولم يرحل عنها رحيل تارك لسكناها الى ان مات فان ذكروا
الكوفيين من الصحابة رضي الله تعالى عنهم صدروا بعلي وابن مسعود وحذيفة رضي الله تعالى
عنهم وانما سكن علي الكوفة خمسة اعوام واشهرا وقد بقي ٥٨ عاما واشهرا بمكة والمدينة
شرفهما الله تعالى وكذلك ايضا اكثر عمار من ذكرنا وان ذكروا البصريين بدؤا بعمران
ابن حصين وانس بن مالك وهشام بن عامر وابي بكرة وهؤلاء موالدهم وعامة زمن اكثرهم
واكثر مقامهم بالحجاز وتهامة والطائف وجمهرة اعمارهم خلت هنالك وان ذكروا الشاميين
نوهوا بعبادة بن الصامت وابي الدرداء وابي عبيدة بن الجراح ومعاذ ومعاوية والامر في
هؤلاء كالامر فيمن قبلهم وكذلك في المصريين بعمرو بن العاص وخارجة بن حذافة العدوي
وفي المكيين بعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير والحكم في هؤلاء كالحكم فيمن قصصنا
فيمن هاجر الينا من سائر البلاد فنحن أحق به وهو منا بحكم جميع أولي الامر منا الذين اجماعهم
فرض اتباعه وخلافه محرم اقترافه ومن هاجر منا الى غيرنا فلا حظ لنا فيه والمكان الذي
اختاره أسعد به فكما لا ندع اسمعيل بن القاسم فكذلك لا ننازع في محمد بن هانئ سوانا
والعدل أولى ما حوص عليه والنصف أفضل ما دعي اليه بعد التفصيل الذي ليس هذا
موضعه وعلى ما ذكرنا من الانصاف تراضي الكل وهذه بغداد حاضرة الدنيا ومعدن كل
فضيلة والمحلة التي سبق اهلها الى حمل ألوية المعارف والتدقيق في تصريف العلوم ورقة
الاخلاق والنباهة والذكاء وحدة الافكار ونفاذ الخواطر وهذه البصرة وهي عين المعمور في
كل ما ذكرنا وما أعلم في أخبار بغداد تآليف غير كتاب أحمد بن أبي طاهر وأما سائر التواريخ
التي ألفها أهلها فلم يخصوا بلدتهم بها دون سائر البلاد ولا أعلم في أخبار البصرة غير كتاب
عمر بن شبة وكتاب لرجل من ولد الربيع بن زياد المنسوب الى أبي سفيان في خطط البصرة
وقطائعها وكتابين لرجلين من أهلها يسمى أحدهما عبد القاهر كريزي النسب وصفاهما

بالحديد والقيود مسلسل الى عمود من حديد بوصفه ووجهه كذا وأنه خاطبهم
وسأعلمهم وأنه الدجال وأنه
أخبرهم بجمل الملاحم
وأنه لا يدخل مدينة النبي
صلى الله عليه وسلم وغير
ذلك مما ذكر في هذا
الحديث وغيره مما ورد
من الاخبار في معناه وهذا
باب كبير يتسع وصفه ويعظم
شرحه (ثم رجع بنا القول)
الى ما كنا فيه آنفا من ذكر
أرباع العالم والطبائع وما
اتصل بهذا المعنى وقد
قدمنا فيما سلف من هذا
الكتاب جوامع من
الكلام في الطبائع وغيرها
مما ينبه على عظم هذا
الكتاب ومبسوطه وقد
زعم جماعة ممن تقدم وتأخر
من الاطباء ومصنفي الكتب
في الطبيعيات وغيرها أن
للطعام ثلاث انهضامات
أما الاول فهي المعدة تهضم
الطعام فتأخذ قوته فيصير
مثل ماء الكشك ثم تدفعه
الى الكبد في العروق الى جميع
الجسد كاندفاع الماء من
النهر الى السواقي والمشارب
فتهضمه باعضاء الجسد
البالية فتصيره الى شبهها
اللحم لحما والشحم شحما
وكذلك العروق والعصب
وما سوى ذلك وأن أقدارها
اذا استوت استوت أقدار
القوى واذا استوت القوى
استوى الجسد واعتدل

 ويصح باذن الله تعالى وأن الزمان أربعة فصول الصيف والخريف والشتاء والربيع فبالصيف تقوى

وذكرا أسواقها ومحالها وشوارعها ولا أعلم في أخبار الكوفة غير كتاب عمر بن شبة وأما الجبال وخراسان وطبرستان وجرجان وكرمان وسجستان والسند والري وارمينية واذربيجان وتلك الممالك الكثيرة الضخمة فلا أعلم في شيء منها تأليفا قصد به أخبار ملوك تلك النواحي وعلمائها وشعرائها وأطبائها ولقد تاقت النفوس الى أن يتصل بها تأليف في أخبار فقهاء بغداد وما علمناه علم على أنهم العلية الرؤساء والاكابر العظماء ولو كان في شيء من ذلك تأليف لكان الحكم في الاغلب أن يبلغنا كما بلغ سائر تآليفهم وكما بلغنا كتاب حمزة بن الحسن الاصبهاني في أخبار أصبهان وكتاب الموصلي وغيره في أخبار مصر وكما بلغنا سائر تآليفهم في أنحاء العلوم وقد بلغنا تأليف القاضي أبي العباس محمد بن عبدون القيرواني في الشروط واعتراضه على الشافعي رحمه الله تعالى وكذلك بلغنا رد القاضي احمد بن طالب التميمي على أبي حنيفة وتشنيعه على الشافعي وكتب ابن عبدوس ومحمد بن سحنون وغير ذلك من خوامل تآليفهم دون مشهورها وأما جهتنا فالحكم في ذلك ما جرى به المثل السائر أزهد الناس في عالم اهله وقرأت في الانجيل ان عيسى عليه السلام قال لا يفقد النبي حرمته الا في بلده وقد تيقنا ذلك بما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من قريش وهم أوفر الناس احلاما واصحهم عقولا واشدهم تثبتا مع ما خصوا به من سكناهم افضل البقاع وتغذيتهم با كرم المياه حتى خص الله تعالى الاوس والخزرج بالفضيلة التي ابانهم بها عن جميع الناس والله يؤتي فضله من يشاء ولا سيما اندلسنا فانها خصت من حسد اهلها للعالم الظاهر فيهم الماهر منهم واستقلالهم كثير ما يأتي به واستهجانهم حسناته وتتبعهم سقطاته وعثراته واكثر ذلك مدة حياته باضعاف ما في سائر البلدان ان اجاد قالوا سارق مغير ومنتحل مدع وان توسط قالوا غث بارد وضعيف ساقط وان باكر الحيازة لقصب السبق قالوا متى كان هذا ومتى تعلم وفي اي زمان قرأ ولامه الهبل وبعد ذلك ان ولجت به الاقدار احد طريقين اما شفوفا بائنا يعليه على نظرائه او سلوكا في غير السبيل التي عهدوها فهنالك حمي الوطيس على البائس وصار غرضا للاقوال وهدفا للمطالب ونصبا للتسبب اليه ونهبا للالسنة وعرضة للتطرق الى عرضه وربما نحل ما لم يقل وطوق ما لم يتقلد والحق به ما لم يفه به ولا اعتقده قلبه وبالحرا وهو السابق المبرز ان لم يتعلق من السلطان بحظ أن لا يسلم من المتالف وينجو من المخالف فان تعرض لتأليف غمز ولمز وتعرض وهمز واشتط عليه وعظم يسير خطبه واستشنع هين سقطه وذهبت محاسنه وسترت فضائله وهتف ونودي بما أغفل فتنكسر لذلك همته وتكل نفسه وتبرد حميته وهذا عندنا نصيب من ابتدأ يحوك شعرا أو يعمل رسالة فانه لا يفلت من هذه الحبائل ولا يتخلص من هذه النصب الا الناهض الفائت والمطفف المستولي على الامد وعلى ذلك فقد جمع ما ظنه الظان غير مجموع وألفت عندنا تآليف في غاية الحسن لنا خطر السبق في بعضها فمنها كتاب الهداية لعيسى بن دينار وهي أرفع كتب جمعت في معناها على مذهب مالك وابن القاسم وأجمعها للمعاني الفقهية على المذهب فمنها كتاب الصلاة وكتاب البيوع وكتاب الجدار في الاقضية وكتاب النكاح والطلاق ومن الكتب المالكية التي ألفت بالاندلس كتاب القاضي مالك بن علي

المرة الصفراء ويكون اهتياجها والخريف يقوى السوداء والشتاء يقوى البلغم والربيع يقوى الدم ثم ينقسم عمر الانسان أربعة أقسام الصبا وفيه تقوى الصفراء والفتوة وفيه يقوى الدم والكهولة وفيه تقوى السوداء والشيخوخة وفيه يقوى البلغم وأن البلدان أيضا تنقسم على أربعة أقسام ٣ المشرق وطبيعته الحرارة والرطوبة وفيه يقوى الدم والجنوب وطبيعته البرد والرطوبة وفيه تقوى المرة الصفراء وأن بقية الاصول من الجسد وربما كانت مستوية معتدلة الاخلاط وربما كان أحد الاخلاط أغلب في البنية فتظهر قوته بأعلامه حتى يكون مقوما لذلك الخلط اذا هاج (وقد قال أبقراط) ينبغي أن يكون كل شيء في هذا العالم مقدرا على سبعة أجزاء فالنجوم سبعة والاقاليم سبعة وأسنان الناس سبعة أولها طفل ثم صبي الى أربع عشرة سنة ثم غلام الى احدى وعشرين سنة ثم شاب مادام يشب ويقبل الزيادة الى خمس وثلاثين سنة ثم كهل الى الاربعين ثم شيخ الى سبع وأربعين سنة ثم هرم الى آخر العمر وجميع تغير أحوال الحيوان من الناطقين وغيرهم من الهواء يكون ذلك وقد قال الحكيم أبقراط ان تغير حالات الهواء هو

وهو

وهو رجل قرشي من بني فهر لقي أصحاب مالك وأصحاب أصحابه وهو كتاب حسن فيه
غرائب ومستحسنات من الرسائل المولدات ومنها كتاب أبي إسحق ابراهيم بن مزين في
تفسير الموطا والكتب المستقصية لما في الموطا وتوصيل مقطوعاته من تآليف ابن مزين
أيضا وكتابه في رجال الموطا وما لمالك عن كل واحد منهم من الآثار في موطئه وفي تفسير
القرآن كتاب أبي عبد الرحمن بقي بن مخلد فهو الكتاب الذي أقطع قطعا لا أستثني فيه انه
لم يؤلف في الاسلام تفسير مثله ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره ومنها في الحديث
مصنفه الكبير الذي رتبه على أسماء الصحابة رضي الله تعالى عنهم فروى فيه عن ألف
وثلثمائة صاحب ونيف ثم رتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه وأبواب الاحكام فهو
مصنف ومسند وما أعلم هذه الرتبة لاحد قبله مع ثقته وضبطه واتقانه واحتفاله في الحديث
وجودة شيوخه فانه روى عن مائتي رجل و ٨٤ رجلا ليس فيهم عشرة ضعفاء وسائرهم
أعلام مشاهير ومنها مصنفه في فضل الصحابة والتابعين ومن دونهم الذي أربى فيه على
مصنف أبي بكر بن أبي شيبة ومصنف عبد الرزاق بن همام ومصنف سعيد بن منصور وغيرها
وانتظم علما عظيما لم يقع في شئ من هذه فصارت تآليف هذا الامام الفاضل قواعد
الاسلام لا نظير لها وكان متخيرا لا يقلد أحدا وكان ذا خاصة من أحمد بن حنبل رضي الله
تعالى عنه ومنها في أحكام القرآن كتاب ابن أمية الحجاري وكان شافعي المذهب بصيرا
بالكلام على اختياره وكتاب القاضي أبي الحكم منذر بن سعيد وكان داودي المذهب
قويا على الانتصار له وكلاهما في أحكام القرآن غاية ولمنذر مصنفات منها كتاب الابانة
عن حقائق أصول الديانة ومنها في الحديث مصنف أبي محمد قاسم بن اصبغ بن يوسف بن
ناصح ومصنف محمد بن عبد الملك بن أيمن وهما مصنفان رفيعان احتويا من صحيح الحديث
وغريبه على ما ليس في كثير من المصنفات ولقاسم بن اصبغ هذا تآليف حسان جدا
منها أحكام القرآن على أبواب كتاب اسمعيل وكلامه ومنها كتاب المجتبى على أبواب
كتاب ابن الجارود المنتقى وهو خير منه وانقى حديثا وأعلى سندا وأكثر فائدة ومنها كتاب
في فضائل قريش وكنانة وكتابه في الناسخ والمنسوخ وكتاب غرائب حديث مالك بن
أنس مما ليس في الموطا ومنها كتاب التمهيد لصاحبنا أبي عمر يوسف بن عبد البر وهو
الآن بعد في الحياة لم يبلغ سن الشيخوخة وهو كتاب لا أعلم في الكلام على فقه الحديث
مثله أصلا فكيف أحسن منه ومنها كتاب الاستذكار وهو اختصار التمهيد المذكور
ولصاحبنا أبي عمر بن عبد البر المذكور كتب لا مثل لها منها كتابه المسمى بالكافي
في الفقه على مذهب مالك وأصحابه خمسة عشر كتابا اقتصر فيه على ما بالمفتي الحاجة اليه
وبوبه وقربه فصار مغنيا عن التصنيفات الطوال في معناه ومنها كتابه في الصحابة ليس
لاحد من المتقدمين مثله على كثرة ما صنفوا في ذلك ومنها كتاب الاكتفاء في قراءة نافع
وأبي عمرو بن العلاء والحجة لكل واحد منهما ومنها كتاب بهجة المجالس وأنس المجالس
مما يجري في المذاكرات من غرر الابيات ونوادر الحكايات ومنها كتاب جامع بيان
العلم وفضله وما ينبغي في روايته ومنها كتاب شيخنا القاضي أبي الوليد عبد الله بن محمد بن

الذي يغير حالات الناس مرة الى الغضب ومرة الى السكون الى الهم والسرور وغير ذلك واذا استوت
حالات الهواء استوت حالات
الناس وأخلاقهم وقال
ان قوى النفس تابعة
لمزاجات الابدان ومزاجات
الابدان تابعة لتصرف
الهواء اذا برد مرة وسكن
أخرى خرج الزرع نضيجا
ومرة غير نضيج ومرة قليلا
ومرة كثيرا ومرة حارا ومرة
باردا فتتغير لذلك صورهم
ومزاجاتهم واذا اعتدل
الهواء واستوى خرج الزرع
معتدلا فاعتدل بذلك
الصور والمزاجات (فأما علة
تشابه صور الترك) فانه لما
استوى هواء بلدانهم في
البرد استوت صورهم
وتشابهوا وكذلك أهل
مصر لما استوت أهواؤهم
تشابهت صورهم ولما
كان الغالب على هواء
الترك البرد وعجزت الحرارة
عن تنشيف رطوبات
أبدانهم كثرت شحومهم
ولانت أبدانهم وتشبهوا
بالنساء في كثير من أخلاقهم
فضعفت شهوة الجماع فيهم
وقل ولدهم لبرد مزاجهم
والرطوبة الغالبة عليهم
وقد يكون ضعف الشهوة
أيضا لكثرة ركوب الخيل
وكذلك نساؤهم لما
سمنت أبدانهن ورطبت
ضعفت أرحامهن عن جذب
الزرع اليها (وأما حمرة ألوانهم) فالبرد كما ذكرنا لان البياض اذا لحقت عليه البرودة صار الى الحمرة وبيان ذلك أن

يوسف بن الفرضي في المختلف والمؤتلف في أسماء الرجال ولم يبلغ عبد الغني الحافظ البصري في ذلك الا كتابين وبلغ أبو الوليد رحمه الله تعالى نحو الثلاثين لا أعلم مثله في فنه البتة ومنها تاريخ أحمد بن سعيد ما وضع في الرجال أحد مثله الا ما بلغنا من تاريخ محمد بن موسى العقيلي البغدادي ولم أره وأحمد بن سعيد هو المتقدم في التاليف القائم في ذلك ومنها كتب محمد بن يحيى بن مفرج القاضي وهي كثيرة منها أسفار سبعة جمع فيها فقه الحسن البصري وكتب كثيرة جمع فيها فقه الزهري ومما يتعلق بذلك شرح الحديث لعامر بن خلف السرقسطي فما شاء أبو عبيد الا بتقدم العصر فقط ومنها في الفقه الواضحة والمالكيون لا تمانع بينهم في فضلها واستحسانهم اياها ومنها المستخرجة من الاسمعة وهي المعروفة بالعتبية ولها عند أهل افريقية القدر العالي والطيران الحثيث والكتاب الذي جمعه أبو عمر أحمد بن عبد الملك بن هشام الاشبيلي المعروف بابن المكوي والقرشي أبو مروان المعيطي في جمع أقاويل مالك كلها على نحو الكتاب الباهر الذي جمع فيه القاضي أبو بكر محمد بن أحمد بن الحداد البصري أقاويل الشافعي كلها ومنها كتاب المنتخب الذي ألفه القاضي محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة وما رأيت لمالكي قط كتابا أنبل منه في جمع روايات المذهب وشرح مستغلقها وتفريع وجوهها وتآليف قاسم بن محمد المعروف بصاحب الوثائق وكلها حسن في معناه وكان شافعي المذهب نظارا جاريا في ميدان البغداديين ومنها في اللغة الكتاب البارع الذي ألفه اسمعيل بن القاسم يحتوي على اللغة وكتابه في المقصور والممدود والمهموز لم يؤلف مثله في بابه وكتاب الافعال لمحمد بن عامر العزي المعروف بابن القوطية بزيادات ابن طريف مولى العبيديين فلم يوضع في فنه مثله وكتاب جمعه أبو غالب تمام بن غالب المعروف بابن التياني في اللغة لم يؤلف مثله اختصارا واكثارا وثقة نقل وهو أظن في الحياة بعد وههنا قصة لا ينبغي أن تخلو رسالتنا عنها وهي ان أبا الوليد عبد الله ابن محمد بن عبد الله المعروف بابن الفرضي حدثني أن أبا الجيش مجاهدا صاحب الجزائر ودانية وجه الى أبي غالب أيام غلبته على مرسية وأبو غالب ساكن بها ألف دينار اندلسية على ان يزيد في ترجمة الكتاب المذكور مما ألفه تمام بن غالب لابي الجيش مجاهد فرد الدنانير وابى من ذلك ولم يفتح في هذا بابا البتة وقال والله لو بذل لي الدنيا على ذلك ما فعلت ولا استجزت الكذب لاني لم أجمعه له خاصة بل لكل طالب فاعجب لهمة هذا الرئيس وعلوها واعجب لنفس هذا العالم ونزاهتها ومنها كتاب أحمد بن ابان بن سيد في اللغة المعروف بكتاب العالم نحو مائة سفر على الاجناس في غاية الايعاب بدأ بالفلك وختم بالذرة وكتاب النوادر لابي علي اسمعيل بن القاسم وهو مبار لكتاب الكامل لابي العباس المبرد ولعمري لئن كان كتاب أبي العباس أكثر نحوا وخبرا فان كتاب أبي علي لاكثر لغة وشعرا وكتاب الفصوص لصاعد بن الحسن الربعي وهو جار في مضمار الكتابين المذكورين ومن الانحاء تفسير الحوفي لكتاب الكسائي حسن في معناه وكتاب ابن سيده في ذلك المترجم بالعالم والمتعلم وشرح له لكتاب الاخفش ومما ألف في الشعر كتاب عبادة بن ماء السماء في أخبار شعراء الاندلس كتاب حسن وكتاب الحدائق لابي عمر

أطراف الاصابع والشفتين والانف اذا أصابها برد شديد احمرت (وذكر الحكيم أبقراط) أن في بعض البلدان من الجنوب بلدة كثيرة الامطار كثيرة النبات والعشب وأن أشجارها ذاهبة في الهواء ومياهها عذبة ودوابها عظيمة وهي خصبة لان تلك البلاد بلاد لم يلحقها حر الشمس ولم يلحقها يبس البرد فاجسام أهلها عظيمة وصورهم جميلة وأخلاقهم كريمة فهم في صورهم وقاماتهم واعتدال طبائعهم يشبهون باعتدال زمان الربيع غير أنهم أصحاب دعة لا يحتملون الشدائد والكد وقال أبقراط في معنى ما وصفنا واليه قصدنا من بيان الاهوية وتأثيرها في الحيوان والنبات ان الروح المطبوعة فيها هي التي تجذب الهواء الينا وان الرياح تقلب الحيوان من حال الى حال ومن حر الى برد ومن يبس الى رطوبة ومن سرور الى حزن وكما تغيرها في البيوت من بدن أو عسل أو فضة أو شراب أو سمن فتسخنها مرة وتبردها أخرى وعلة ذلك أن الشمس والكواكب تغير الهواء بحركاتها واذا تغير الهواء تغير بتغيره كل شئ فمن تقدم وعرف أحوال الازمنة وتغيرها والدلائل التي فيها عرف السبب الاعظم من أسباب العالم وتقدم في صحة الابدان (وقال أيضا) ان الجنوب اذا هبت اذابت الهواء وبردته وسخنت البحار ... احد

لاحمد بن فرج عارض به كتاب الزهرة لابى محمد بن داود رحمه الله تعالى الا ان ابا بكر اغا ادخل مائة باب في كل باب مائة بيت وأبو عمر أورد مائتي باب في كل باب مائة بيت ليس منها باب تكرر اسمه لابي بكر ولم يورد فيه لغير أندلسي شيأ وأحسن الاختيار ما شاء وأجاد فبلغ الغاية واتى الكتاب فردا في معناه ومنها كتاب التشبيهات من أشعار أهل الاندلس جمعه أبو الحسن علي بن محمد بن أبي الحسن الكاتب وهو حي بعد ومما يتعلق بذلك شرح أبي القاسم ابراهيم بن محمد الافليلي لشعر المتنبي وهو حسن جدا ومن الاخبار تواريخ احمد بن محمد بن موسى الرازي في أخبار ملوك الأندلس وخدمتهم وغزواتهم ونكباتهم وذلك كثير جدا وكتاب له في صفة قرطبة وخططها ومنازل الاعيان بها على نحو ما بدأ به ابن أبي طاهر في أخبار بغداد وذكر منازل صحابة أبي جعفر المنصور بها وتواريخ متفرقة رايت منها أخبار عمر بن حفصون القائم برية ووقائعه وسيره وحروبه وتاريخ آخر في أخبار عبد الرحمن بن مروان الجليقي القائم بالجوف وفي أخبار بني قيس والتجيبيين وبني الطويل والثغر وقد رايت من ذلك كتبا مصنفة في غاية الحسن وكتاب بجزأين في اجزاء كثيرة في اخبار ريه وحصونها وحروبها وفقهائها وشعرائها تاليف اسحق بن سلمة ابن اسحق الليثي وكتاب محمد بن الحرث الخشني في اخبار القضاة بقرطبة وسائر بلاد الاندلس وكتاب في اخبار الفقهاء بها وكتاب لاحمد بن محمد بن موسى في انساب مشاهير اهل الاندلس في خمسة اسفار ضخمة من احسن كتاب في الانساب واوسعها وكتاب قاسم ابن اصبغ في الانساب في غاية الحسن والايعاب والايجاز وكتابه في فضائل بني امية وكان من الثقة والجلالة بحيث اشتهر امره وانتشر ذكره ومنها كتب مؤلفة في اصحاب المعاقل والاجناد الستة بالاندلس ومنها كتب كثيرة جمعت فيها أخبار شعراء الاندلس للمستنصر رحمه الله تعالى رايت منها اخبار شعراء البيرة في نحو عشرة اجزاء ومنها كتاب الطوالع في انساب اهل الاندلس ومنها كتاب التاريخ الكبير في اخبار اهل الاندلس تاليف ابي مروان بن حيان نحو عشرة اسفار من اجل كتاب الف في هذا المعنى وهو في الحياة بعد لم يتجاوز الاكتهال وكتاب المآثر العامرية لحسين بن عاصم في سير ابن ابي عامر واخباره وكتاب الافشين محمد بن عاصم النحوي في طبقات الكتاب بالاندلس وكتاب سكن بن سعيد في ذلك وكتاب احمد بن فرج في المنتزين والقائمين بالاندلس واخبارهم وكتاب اخبار اطباء الاندلس لسليمان بن جلجل واما الطب فكتب الوزير يحيى بن اسحق وهي كتب حسان رفيعة وكتب محمد بن الحسن المذحجي استاذنا رحمه الله تعالى وهو المعروف بابن الكتاني وهي كتب رفيعة حسان وكتب التصريف لابي القاسم خلف بن عباس الزهراوي وقد ادركناه وشاهدناه ولئن قلنا انه لم يؤلف في الطب اجمع منه ولا احسن للقول والعمل في الطبائع لنصدقن وكتب ابن الهيثم في الخواص والسموم والعقاقير من اجل الكتب وانفعها واما الفلسفة فاني رايت فيها رسائل مجموعة وعيونا مؤلفة لسعيد بن فتحون السرقسطي المعروف بالحمار دالة على تمكنه من هذه الصناعة واما رسائل استاذنا ابي عبد الله محمد بن الحسن المذحجي في ذلك فمشهورة متداولة وتامة

الكسل وتحدث ثقلا في السماع وغشاوة في البصر لانها تحلل المرة وتنزل الرطوبة الى أصل العصب الذي يكون فيه الحس وأما الشمال فانها تطب الابدان وتصح الادمغة وتحسن اللون وتصفي الحواس وتقوي الشهوة والحركة غير أنها تحرك السعال ووجع الصدر (وقد) زعم بعض من تأخر في الاسلام من الحكماء أن الجنوب اذا هبت بارض العراق تغير الورد وتناثر الورق وسخن الماء واسترخت الابدان وتكدر الهواء وذلك شبه ما قال أبقراط ان الصيف أوبأ من الشتاء لانه يسخن الابدان فيرخيها ويضعف قواها وان أهل العراق يكون الرجل منهم نائما في فراشه يسخن بهبوبها وانه اذا هبت الشمال برد الخاتم في أصبعه واتسع لانضمام البدن بها واذا هبت الجنوب سخن الخاتم وضاق واسترخى البدن وحدث فيه الكسل وهذا يجده سائر من بالعراق ممن له حس اذا صرف همته الى تامل ذلك وكذلك يجده من تامل ما وصفنا في سائر الامصار في بقاع الارض والبلدان واذا كان ذلك بالعراق فهو أظهر لعموم الاعتدال (ثم قال الحكيم) أبقراط في معنى ما ذكرنا أن الرياح العامة أربعة احداها تهب من جهة

الحسن فائقة الجودة عظيمة المنفعة واما العدد والهندسة فلم يقسم لنا في هذا العلم نفاذ
ولا تحققنا به فلسنا نثق بانفسنا في تمييز الحسن من المقصر في المؤلفين فيه من اهل بلدنا الا اني
سمعت من اثق بعقله ودينه من اهل العلم ممن اتفق على رسوخه فيه يقول انه لم يؤلف في
الازياج مثل زيج مسلمة وزيج ابن السمح وهما من اهل بلدنا وكذلك كتاب لاحمد بن نصر
فيما تقدم الى مثله في معناه واعاذ كرنا التآليف المستحقة للذكر والتي تدخل تحت الاقسام
السبعة التي لا يؤلف عاقل عالم الا في احدها وهي اما شيء يخترعه لم يسبق اليه او شيء ناقص
يتمه او شيء مستغلق يشرحه او شيء طويل يختصره دون ان يخل بشيء من معانيه او شيء
متفرق يجمعه او شيء مختلط يرتبه او شيء اخطأ فيه صاحبه يصلحه واما التآليف المقصرة
عن مراتب غيرها فلم نلتفت الى ذكرها وهي عندنا من تاليف اهل بلدنا اكثر من ان نحيط
بعلمها واما علم الكلام فان بلادنا وان كانت لم تتجاذب فيها الخصوم ولا اختلفت فيها
النحل فقل لذلك تصرفهم في هذا الباب فهي على كل حال غير عرية عنه وقد كان فيهم
قوم يذهبون الى الاعتزال نظار على اصوله ولهم فيه تآليف منهم خليل بن اسحق ويحيى بن
السمينة والحاجب موسى بن حدير واخوه الوزير صاحب المظالم احمد وكان داعية الى الاعتزال
لا يستتر بذلك ولنا على مذهبنا الذي تخيرناه من مذاهب اصحاب الحديث كتاب في هذا
المعنى هو وان كان صغير الجرم قليل عدد الورق يزيد على المائتين زيادة يسيرة فعظيم
الفائدة لانا استقصينا فيه المشاغب كلها واضربنا عن التطويل جملة واقتصرنا على البراهين
المنتخبة من المقدمات الصحاح الراجعة الى شهادة الحس وبديهة العقل بالصحة ولنا فيما
تحققنا به تآليف جمة منها ما قد تم ومنها ما شارف التمام ومنها ما قد مضى منه صدر
ويعين الله تعالى على باقيه لم نقصد به قصد مباهاة فنذكرها ولا اردنا السمعة فنسميها والمراد
بها ربنا جل وجهه وهو ولي العون فيها والملي بالمجازاة عليها وما كان لله تعالى فسيبدو
وحسبنا الله ونعم الوكيل وبلدنا هذا على بعده من ينبوع العلم ونأيه من محلة العلماء فقد
ذكرنا من تآليف اهله ما ان طلب مثلها بفارس والاهواز وديار مضر وديار ربيعة واليمن
والشام اعوز وجود ذلك على قرب المسافة في هذه البلاد من العراق التي هي دار هجرة الفهم
وذويه ومراد المعارف وارباربها ونحن اذا ذكرنا ابا الاجرب جعونة بن الصمة الكلابي في
الشعر لم نباه به الا جريرا والفرزدق لكونه في عصرهما ولو انصف لاستشهد بشعره فهو جار
على مذهب الاوائل لا على طريقة المحدثين واذا سمينا بقي بن مخلد لم نسابق به الا محمد بن
اسمعيل البخاري ومسلم بن الحجاج النيسابوري وسليمان بن الاشعث السجستاني واحمد بن
شعيب النسائي واذا ذكرنا قاسم بن محمد لم نباه به الا القفال ومحمد بن عقيل الفريابي وهو
شريكهما في صحبة المزني بن ابراهيم والتلمذة له واذا نعتنا عبد الله بن قاسم بن هلال
ومنذر بن سعيد لم نجار بهما الا ابا الحسن بن المغلس والخلال والدياجي ورويم بن احمد وقد
شاركهم عبد الله في ابي سليمان وصحبته واذا اشرنا الى محمد بن عمرو بن لبابة وعمه محمد بن
عيسى وفضل بن سلمة لم نناطح بهم الا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ومحمد بن سحنون ومحمد
بن عبدوس واذا صرنا نذكر محمد بن يحيى الرباحي وابي عبد الله محمد بن عاصم لم يقصرا من

المشرق وهي القبول والثانيا تهب من المغرب وهي الدبور والثالث من التيمن وهي الجنوب والرابع من
التيسر وهي الشمال (قال
المسعودي) وقد قدمنا
فيما سلف من هذا الكتاب
جوامع من الاخبار عن
الطبائع والاهوية والبلدان
وانواع الارض من العامر
والغامر وغير ذلك مما تقدم
ذكره وانتظم تصنيفه واتصل
بحمد الله ايراده فرأينا
ان نختم هذا الباب بجوامع
من مساحات الممالك وما
بينها من البعد والقرب على
حسب ما حكاه الفزاري
صاحب كتاب الزيج
والقصيدة في هيئة النجوم
والفلك زعم الفزاري ان
عمل أمير المؤمنين من
فرغانة واقصى خراسان
الى طنجة بالمغرب ثلاثة
آلاف وسبعمائة فرسخ
والعرض من باب الابواب
الى جدة ستمائة فرسخ ومن
الباب الى بغداد ثلثمائة
فرسخ ومن مكة الى جدة
اثنان وثلاثون ميلا (عمل
الصين) من المشرق احد
وثلاثون الف فرسخ في
احد عشر الف فرسخ (عمل
الهند) في المشرق احد عشر
الف فرسخ في سبعة آلاف
فرسخ (عمل التبت) خمسمائة
فرسخ في مائتين وثلاثين
فرسخا (عمل ماين شاه)
اربعمائة فرسخ في ستين
فرسخا (عمل البلغار) بالترك
الف فرسخ في خمسمائة فرسخ (عمل الترك) خاقان سبعمائة فرسخ في خمسمائة فرسخ (عمل برجان) الف اسكاير

أ كابر أصحاب محمد بن يزيد المبرد ولولم يكن لنا من فحول الشعراء الا أحمد بن محمد بن دراج
القسطلي لما تأخرعن شأو بشار وحبيب والمتنبي فكيف ولنا معه جعفر بن عثمان الحاجب
وأحمد بن عبد الملك بن مروان وأغلب بن شعيب ومحمد بن شخيص وأحمد بن فرج وعبد الملك
ابن سعيد المرادي وكل هؤلاء فحل يهاب جانبه وحصان ممسوح الغرة ولنا من البلغاء أحمد
ابن عبد الملك بن شهيد صديقنا وصاحبنا وهو حي بعد لم يبلغ سن الاكتهال وله من التصرف
في وجوه البلاغة وشعابها مقدار يكاد ينطق فيه بلسان مركب من لساني عمرو وسهل ومحمد
ابن عبد الله بن مسرة في طريقته التي سلك فيها وان كنا لا نرضى مذهبه في جماعة يكثر
تعدادهم وقد انتهى ما اقتضاه خطاب الكاتب رحمه الله تعالى من البيان ولم نتزيد فيما
رغب فيه الا ما دعت الضرورة الى ذكره لتعلقه بجوابه والحمد لله الموفق لعلمه والهادي الى
الشريعة المزلفة منه والموصلة وصلى الله على محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه وسلم
وشرف وكرم انتهت الرسالة *وكتب الحافظ ابن حجر على هامش قوله فيها واغاسكن على
الكوفة خمسة أعوام وأشهرا ما نصه صوابه أربعة أعوام انتهى *وقال ابن سعيد بعد ذكره
هذه الرسالة ما صورته رأيت أن أذيل ما ذكره الوزير الحافظ أبو محمد بن حزم من مفاخر أهل
الاندلس بما حضرني والله تعالى ولي الاعانة *أما القرآن فمن أجل ما صنف في تفسيره كتاب
الهداية الى بلوغ النهاية في نحو عشرة أسفار صنفه الامام العالم الزاهد أبو محمد مكي بن أبي
طالب القرطبي وله كتاب تفسير اعراب القرآن وعد ابن غالب في كتاب فرحة الانفس
تآليف مكي المذكور فبلغ بها ٧٧ تأليفا وكانت وفاته سنة ٤٣٧ ولابي محمد بن عطية
الغرناطي في تفسير القرآن الكتاب الكبير الذي اشتهر وطار في الغرب والشرق وصاحبه
من فضلاء المائة السادسة وأما القرا آت فلمكي المذكور فيها كتاب التبصرة وكتاب
التيسير لابي عمرو الداني مشهور في أيدي الناس وأما الحديث فكان بعصرنا في المائة
السابعة الامام ابو الحسن علي بن القطان القرطبي الساكن بحضرة مراكش وله في تفسير
غريبه وفي رجاله مصنفات واليه كانت النهاية والاشارة في عصرنا وسمعت انه كان
اشتغل بجمع أمهات كتب الحديث المشهورة وحذف المكرر وكتاب رزين بن عمار
الاندلسي في جمع ما يتضمنه كتاب مسلم والبخاري والموطا والسنن والنسائي والترمذي
كتاب جليل مشهور في أيدي الناس بالمشرق والمغرب وكتاب الاحكام لابي محمد عبد
الحق الاشبيلي مشهور متداول القراءة وهي أحكام كبرى وأحكام صغرى قيل ووسطى
وكتاب الجمع بين الصحيحين للحميدي مشهور واما الفقه فالكتاب المعتمد عليه الآن
الذي ينطلق عليه اسم الكتاب عند المالكية حتى بالاسكندرية فكتاب التهذيب
للبراذعي السرقسطي وكتاب النهاية لابي الوليد بن رشد كتاب جليل معظم معتمد عليه عند
المالكية وكذلك كتاب المنتقى للباجي واما أصول الدين وأصول الفقه فللامام أبي بكر
ابن العربي الاشبيلي من ذلك ما منه كتاب العواصم والقواصم المشهور بايدي الناس وله
تصانيف غير هذا ولابي الوليد بن رشد في أصول الفقه ما منه مختصر المستصفى وأما
التواريخ فكتاب ابن حيان الكبير المعروف بالمتين في نحو ستين مجلدة وانما ذكر ابن حزم

وخمسمائة فرسخ في ثلثمائة فرسخ (عمل الصقالبة) ثلاثة آلاف وخمسمائة
فرسخ في أربعمائة فرسخ
وعشرين فرسخا (عمل
الروم) ثلاثة آلاف فرسخ
في سبعمائة فرسخ (عمل
الاندلس) لعبد الرحمن
ابن معاوية ثلثمائة فرسخ في
(عمل ادريس) الفاطمي
ألف ومائتا فرسخ في
مائة وعشرين فرسخا (عمل
فاس) لابي المنتصر اربعمائة
فرسخ في ثمانين فرسخا
(عمل سجلماسة) ألفان
وخمسمائة فرسخ في ستمائة
فرسخ (عمل غانة) بلاد
الذهب ألف فرسخ في
ثمانين فرسخا (عمل ذمار)
مائتا فرسخ في ثمانين فرسخا
(عمل بجاية) مائة فرسخ
وعشرون فرسخا في ستين
فرسخا (عمل واح) ستون
فرسخا في أربعين فرسخا
(عمل البجه) مائتا فرسخ
في ثمانين فرسخا (عمل
النجاشي) ألف وخمسمائة
فرسخ في أربعمائة فرسخ
بالمغرب (عمل الزنج)
بالمشرق وبلاد صعدة ألف
وستمائة فرسخ في مائتين
وخمسين فرسخا فذلك
الطول اثنان وسبعون
ألفا وأربعمائة وثمانون
فرسخا والعرض خمسة
وعشرون ألفا ومائتان
وخمسون فرسخا وأما
الكلام في وصف أصول
الطب وهل ذلك مأخوذ من طريق الرياضة والقياس أو من غيره ووصف تنازع الناس في ذلك فلم نتعرض لايراده في هذا

الكتاب وان كان متعلقا ومتصلا بالكلام فى الطبائع وجمل المعانى المذكورة فى هذا الباب لانا قد أوردنا فيما رد

كتاب المقتبس وهو فى عشر مجلدات والمتين يذكر فيه أخبار عصره ويعين فيها مما شاهده
ومنه ينقل صاحب الذخيرة وقد ذيل عليه أبو الحجاج البياسى أحد معاصرينا وهو الآن
بافريقية فى حضرة تونس عند سلطانها تحت احسانه الغمر وكتاب المظفر بن الافطس
ملك بطليوس المعروف بالمظفرى نحو كتاب المتين فى الكبر وفيه تاريخ على السنين وفنون
آداب كثيرة وتاريخ ابن صاحب الصلاة فى الدولة اللمتونية وذكر ابن غالب أن ابن
الصيرفى الغرناطى له كتاب فى أخبار دولة لمتونة وأن أبا الحسن السالمى له كتاب فى أخبار
الفتنة الثانية بالاندلس بدأ من سنة ٥٢٩ ورتبه على السنين وبلغ به سنة ٥٤٧ وأبو القاسم
خلف بن بشكوال له كتاب فى تاريخ أصحاب الاندلس من فتحها الى زمانه وأضاف الى ذلك
من أخبار قرطبة وغيرها ما جاء فى خاطره وله كتاب الصلة فى تاريخ العلماء والحميدى
قبله جذوة المقتبس وقد ذيل كتاب الصلة فى عصرنا هذا أبو عبد الله بن الابار البلنسى
صاحب كتاب سلطان افريقية وذكر ابن غالب أن الفقيه أبا جعفر بن عبد الحق الخزرجى
القرطبى له كتاب كبير بدأ فيه من بدء الخليقة الى أن انتهى فى أخبار الاندلس الى دولة عبد
المؤمن قال وفارقته سنة ٥٦٠ وأبو محمد بن حزم صاحب الرسالة المتقدمة الذكر له كتب
جمة فى التواريخ مثل كتاب نقط العروس فى تواريخ الخلفاء وقد صنف أبو الوليد بن
زيدون كتاب التبيين فى خلفاء بنى أمية بالاندلس على منزع كتاب التعيين فى خلفاء
المشرق للمسعودى والقاضى ابى القاسم صاعد بن أحمد الطليطلى كتاب التعريف بأخبار علماء
الامم من العرب والعجم وكتاب جامع أخبار الامم وأبو عمر بن عبد البر له كتاب القصد والامم
فى معرفة أخبار العرب والعجم وعريب بن سعيد القرطبى له كتاب اختصار تاريخ
الطبرى قد سعد باغتباط الناس به وأضاف اليه تاريخ افريقية والاندلس ولاحمد
ابن سعيد بن محمد بن عبد الله بن الفياض كتاب العبر وكتاب أبى بكر الحسن بن محمد
الزبيدى فى أخبار النحويين واللغويين بالمشرق والاندلس وكتاب القاضى أبى الوليد بن
الفرضى فى أخبار العلماء والشعراء وما يتعلق بذلك وليحيى بن حكم الغزال تاريخ الفقه
كله منظوما كما صنع أيضا بعده أبو طالب المتنبى من جزيرة شقر فى التاريخ الذى أورد منه
صاحب الذخيرة ما أورد وكتاب الذخيرة لابن بسام فى جزيرة الاندلس ليس هذا مكان
الاطناب فى تفضيلها وهى كالذيل على حدائق ابن فرج وفى عصرها صنف الفتح كتاب
القلائد وهو مع علوه وبلاغته والمحاكمة بين الكتابين ذكرت فى مكان آخر ولصاحب القلائد
كتاب المطمح وهو ثلاث نسخ كبرى ووسطى وصغرى يذكر فيها من الذين ذكرهم فى القلائد
ومن غيرهم الذين كانوا قبل عصرهم وكتاب سمط الجمان وسقط المرجان لابى عمرو بن
الامام بعد الكتابين المذكورين ذكر من أخلا به وفيته حقه من الفضلاء واستدرك من
أدركه بعصره فى بقية المائة السادسة وذيل عليه وان كان ذيلا قصيرا أبو بحر صفوان بن
ادريس المرسى بكتاب زاد المسافر ذكر فيه جماعة ممن أدرك المائة السابعة وكتاب أبى محمد
عبد الله بن ابراهيم الحجارى المسمى بالمسهب فى فضائل المغرب صنفه بعد الذخيرة والقلائد
من أول ما عمرت الاندلس الى عصره وخرج فيه عن مقصد الكتابين الى ذكر البلاد وخواصها

من هذا الكتاب فى
أخبار الواثق على ايضاح
ما جرى بحضرته وقد حضر
مجلسه حنين بن اسحق وابن
ماسويه وغيرهم من
الفلاسفة والمتطببين فاغنى
ذلك عن ايراده فى هذا
الباب ولولا أن الكتاب يرد
على اغراض من الناس
لما هم عليه من اختلاف
الطبائع والتباين فى المراد
لما ذكرنا ما يورد فيه من
أنواع العلوم وفنون الاخبار
وقد يلحق الانسان الملل
بقراءته ما لا تهوى نفسه
فينتقل منه الى غيره فقصدنا
فيه من سائر ما يحتاج الناس
من ذوى المعرفة الى علمه
ولما تغلغل بنا الكلام
فى نظمه وتشعبه واتصاله
بغيره من المعانى عما لم يتقدم
ذكره وقد اتينا على مبسوط
سائر ما ذكرناه على الاتساع
والايضاح فى كتابنا
اخبار الزمان وفى الكتاب
الاوسط والله تعالى اعلم

*(ذكر البيوت المعظمة
والهياكل المشرقة وبيوت
النيران والاصنام وذكر
الكواكب وغير ذلك من
عجائب العالم)*

كان كثير من اهل الهند
والصين وغيرهم من
الطوائف

عاجتص بعلم الجغرافيا ويخلطه بالتاريخ وفنون الادب على ما هو مذكور في غير هذا المكان ولم يصنف في الاندلس مثل كتابه ولذلك فضله المصنف له عبد الملك بن سعيد وذيل عليه ثم ذيل على ذلك ابناه احمد ومحمد ثم موسى بن محمد ثم علي بن موسى كاتب هذه النسخة ومكمل كتاب فلك الادب المحيط بحلى لسان العرب المحتوي على كتابي المشرق في حلى المشرق والمغرب في حلى المغرب فيكفي الاندلس في هذا الشان تصنيف هذا الكتاب بين ستة اشخاص في ١١٥ سنة آخرها سنة ٦٤٠ وقد احتوى على جميع ما يذاكر به ويحاضر بحلاه من فنون الادب المختارة على جهد الطاقة في شرق وغرب على النوع الذي هو مذكور في غير هذا الموضع ومن أغفلت التنبيه على عصره وغير ذلك من المصنفين المتقدمي الذكر فيطلب الملتمس منهم في مكانه المنسوب اليه كابن بسام في شنترين والفتح في اشبيلية وابن الامام في استجة والحجاري في وادي الحجارة *وأما ما جاء منثورا من فنون الادب فكتاب سراج الادب لابي عبد الله بن أبي الخصال الشقوري رئيس كتاب الاندلس صنفه على منزع كتاب النوادر لابي علي وزهر الآداب للحصري وكتاب واجب الادب لوالدي موسى بن محمد بن سعيد واسمه يغني عن المراد به وكتاب اللآلئ لابي عبيد البكري على كتاب الامالي لابي علي البغدادي مفيد في الادب وكذلك كتاب الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابي محمد بن السيد البطليوسي وأما شرح سقط الزند له فهو الغاية ويكفي ذكره عند أرباب هذا الشان وثناؤهم عليه وشروح أبي الحجاج الاعلم لشعر المتنبي والحماسة وغير ذلك مشهورة *وأما كتب النحو فلاهل الاندلس من الشروح على الجمل ما يطول ذكره فمنها شرح ابن خروف ومنها شرح الرندي ومنها شرح شيخنا أبي الحسن بن عصفور الاشبيلي واليه انتهت علوم النحو وعليه الاحالة الآن من المشرق والمغرب وقد اتيت له من افريقية بكتاب المقرب في النحو فتلقي باليمين من كل جهة وطار بجناح الاغتباط ولشيخنا أبي علي الشلوبين كتاب التوطئة على الجزولية وهو مشهور ولابن السيد وابن الطراوة والسهيلي من التقييدات في النحو ما هو مشهور عند أصحاب هذا الشان معتمد عليه ولابي الحسن بن خروف شرح مشهور على كتاب سيبويه *وأما كتب علم الجغرافيا فيكفي في ذلك كتاب المسالك والممالك لابي عبيد البكري الاونبي وكتاب معجم ما استعجم من البقاع والاماكن وفي كتاب المسهب للحجاري في هذا الشان وتذييلنا عليه في هذا الكتاب الجامع ما جمع زبد الاولين والآخرين *وأما كتب علم الموسيقى فكتاب أبي بكر بن باجة الغرناطي في ذلك يغنيه كفاية وهو في المغرب بمنزلة أبي نصر الفارابي بالمشرق واليه تنسب الالحان المطربة بالاندلس التي عليها الاعتماد وليحيى الخدج المرسي كتاب الاغاني الاندلسية على منزع الاغاني لابي الفرج وهو ممن أدرك المائة السابعة *وأما كتب الطب فالمشهور بأيدي الناس الآن في المغرب وقد سار أيضا في المشرق لنبله كتاب التيسير لعبد الملك بن أبي العلاء بن زهر وله كتاب الاغذية أيضا مشهور ومغتبط به في المغرب والمشرق ولابي العباس بن الرومية الاشبيلي من علماء عصرنا بهذا الشان كتاب في الادوية المفردة وقد جمع أبو محمد المالقي الساكن الآن بقاهرة مصر كتابا في هذا

يعتقدون أن الله عزوجل جسم وأن الملائكة أجسام لطاف أنداد وأن الله تعالى وملائكته احتجبوا بالسماء فدعاهم ذلك الى أن اتخذوا تماثيل واصناما على صورة البارى عزوجل وبعضها على صورة الملائكة مختلفة القدود والاشكال ومنها على صورة الانسان وعلى خلافها من الصور يعبدونها وقربوا لها القرابين ونذروا لها النذور لشبهها عندهم بالبارى تعالى وقربها منه فاقاموا على ذلك برهة من الزمان وجملة من الاعصار حتى نبههم بعض حكمائهم على أن الافلاك والكواكب أقرب الاجسام المرئية الى الله تعالى وأنها حية ناطقة وأن الملائكة تختلف فيما بينها وبين الله وأن كل ما يحدث في هذا العالم فانما هو على قدر ما تجرى به الكواكب على أمر الله فعظموها وقربوا لها القرابين لتنفعهم فكثوا على ذلك دهرا فلما رأوا الكواكب تخفى بالنهار وفي بعض أوقات الليل لما يعرض في الجو من السواتر امرهم بعض من كان فيهم من حكمائهم ان يجعلوا لها اصناما وتماثيل على على صورها واشكالها فجعلوا لها اصناما وتماثيل بعدد الكواكب الكبار المشهورة وكل صنف منهم يعظم كوكبا منها و يقرب له انواعا من القربان بخلاف ما للآخر على أنهم إذا

الشأن حشر عليه ما سمع به تقدر عليه من تصانيف الادوية المفردة ككتاب الغافقي وكتاب الزهراوي وكتاب الشريف الادريسي الصقلي وغيرها وضبطه على حروف المعجم وهو النهاية في مقصده * وأما كتب الفلسفة فامامها في عصرنا أبو الوليد بن رشد القرطبي وله فيها تصانيف جحدها لما رأى انحراف منصور بني عبد المؤمن عن هذا العلم وسجنه بسببها وكذلك ابن حبيب الذي قتله المأمون بن المنصور المذكور على هذا العلم باشبيلية وهو علم ممقوت بالاندلس لا يستطيع صاحبه اظهاره فلذلك تخفى تصانيفه * وأما كتب التنجيم فلابن زيد الاسقف القرطبي فيه تصانيف وكان مختصا بالمستنصر بن الناصر المرواني وله ألف كتاب تفضيل الازمان ومصالح الابدان وفيه من ذكر منازل القمر وما يتعلق بذلك ما يستحسن مقصده وتقريبه وكان مطرف الاشبيلي في عصرنا قد اشتغل بالتصنيف في هذا الشأن الا أن أهل بلده كانوا ينسبونه الى الزندقة بسبب اعتكافه على هذا الشأن فكان لا يظهر شيأ مما يصنف ثم قال ابن سعيد أخبرني والدي قال كنت يوما في مجلس صاحب سبتة أبي يحيى بن أبي زكريا صهر ناصر بني عبد المؤمن فجرى بين أبي الوليد الشقندي وبين أبي يحيى بن المعلم الطنجي نزاع في التفضيل بين البرين فقال الشقندي لولا الاندلس لم يذكر بر العدوة ولا سارت عنه فضيلة ولولا التوقير للمجلس لقلت ما تعلم فقال الامير أبو يحيى أتريد أن تقول كون أهل برنا عربا وأهل بركم بربر فقال حاش لله فقال الامير والله ما أردت غير هذا فظهر في وجهه انه أراد ذلك فقال ابن المعلم أتقول هذا وما الملك والفضل الا من بر العدوة فقال الامير الرأي عندي أن يعمل كل واحد منكما رسالة في تفضيل بره فالكلام هنا يطول ويمر ضياعا وأرجو اذا اخليتماله فكركما يصدر عنكما ما يحسن تخليده ففعلا ذلك فكانت رسالة الشقندي الحمد لله الذي جعل لمن يفخر بالاندلس أن يتكلم ملء فيه ويطنب ما شاء فلا يجد من يعترض عليه ولا من يثنيه اذ لا يقال للنهار يا مظلم ولا لوجه النعيم يا قبيح

وقد وجدت مكان القول ذا سعة * فان وجدت لسانا قائلا فقل

أحمده على أن جعلني ممن أنشأته وحباني بان كنت ممن أظهرته فامتد في الفخر باعي وأعانني على الفضائل كرم طباعي وأصلي على سيدنا محمد نبيه الكريم وعلى آله وصحبه الاكرمين وأسلم تسليما أما بعد فانه حركني من ساكنا وملأ مني فارغا فخرجت عن سجيتي في الاغضاء مكرها الى الحمية والاباء منازع في فضل الاندلس أراد أن يخرق الاجماع ويأتي بما لم تقبله النواظر والاسماع اذ من رأى ومن سمع لا يجوز عنده ذلك ولا يضله من تاه في تلك المسالك رام أن يفضل بر العدوة على بر الاندلس فرام أن يفضل على اليمين اليسار ويقول الليل أضوأ من النهار فيا عجبا كيف قابل العوالي بالزجاج وصادم الصفاة بالزجاج فيا من نفخ في غير ضرم ورام صيد البزاة بالرخم كيف تتكثر بما جعله الله قليلا وتتعزز بما حكم الله ان يكون ذليلا ما هذه المباهتة التي لا تجوز كيف تبدي امام الفتاة العجوز سل العيون الى وجه من تميل واستخبر الاسماع الى حديثه من تصغي

لشتان ما بين اليزيدين في الندى * يزيد سليم والاغر بن حاتم

أقن حياءك أيها المغرد بالعجب المتزين بالخلق المتحبب الى الغواني بالمشيب المخضب

عظموا اصوروا من الاصنام ثم ركبت لهم الاجسام العلوية من السبعة بكل ما يريدون وبنوا الكل صنم بيتا وهيكلا مفردا وسموا تلك الهياكل باسماء تلك الكواكب (وقد ذهب قوم) الى أن البيت الحرام على مرور الدهور معظم في سائر الاعصار لانه بيت زحل وان زحل تولاه ولان زحل من شأنه البقاء والثبوت فما كان له فغير زائل ولا داثر وعن التعظيم غير حائل وذكروا أمورا أعرضنا عن ذكرها لشناعة وصفها ولما طال عليهم العهد عبدوا الاصنام على أنها تقربهم الى الله وألغوا عبادة الكواكب فلم يزالوا على ذلك حتى ظهر بوداسف بأرض الهند وكان هنديا خرج من أرض الهند الى السند ثم سار الى بلاد سجستان وبلاد زابلستان وهي بلاد فيروز بن كبك ثم دخل السند الى كرمان فتنبأ وزعم أنه رسول الله وأنه واسطة بين الله وبين خلقه وأتى أرض فارس وذلك في أوائل ملك طيمورث ملك فارس وقيل ذلك في جرسند وهو أول من أظهر مذاهب الصابئة على حسب ما قدمنا آنفا فيما سلف من هذا الكتاب وقد كان بوداسف أمر الناس بالزهد في هذا العالم والاشتغال بما علا من العوالم اذ كان من هنالك بدو النفوس واليها يقع

القدر من هذا العالم (وجدد دواسف) عند الناس عبادة الاصنام والسجود لها الشبه ذكرها وقرب الى عقولهم عبادتها بضروب من الحيل والخدع وذكر ذوو الخبرة بشان هذا العالم واخبار ملوكهم انه اول من عظم النار ودعا الناس الى تعظيمها وقال انها تشبه ضوء الشمس والكواكب لان النور عنده افضل من الظلمة وجعل للنور مراتب (ثم تنازع هؤلاء) بعده فعظم كل فريق منهم ما يرون تعظيمه من الاسماء تقربا الى الله بذلك ثم تنازعوا برهة من الزمان (ونشا عمرو بن لحى) فسار بقومه الى مكة واستولى على امر البيت ثم سار الى مدينة البلقاء من عمل دمشق من ارض الشام فراى قوما يعبدون الاصنام فسالهم عنها فقالوا هذه ارباب نتخذها نستنصر بها فننصر ونستسقى بها فنسقى وكل من سألها يعطى فطلب منهم صنما يدعونه هبل فسار به الى مكة ونصبه على الكعبة ومعه اساف ونائلة ودعا الناس الى تعظيمها وعبادتها ففعلوا ذلك الى ان اظهر الله الاسلام وبعث محمدا عليه السلام فطهر البلاد واتقذ العباد (وقد قال هؤلاء) ان البيت الحرام من البيوت السبعة المعظمة المتخذة على أسماء الكواكب من النيرين والخمسة (و بيت ثان) معظم

ابن عز بعقلك وكيف نكص على عقبه فهمك ولبتك ابلغت العصبية من قلبك ان تطمس على نورى بصرك ولبك اما قولك الملوك منا فقد كان الملوك منا ايضا ومانحن الا كما قال الشاعر

فيوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر

ان كان الآن كرسى جميع بلاد المغرب عندكم بخلافة بنى عبد المؤمن ادامها الله تعالى فقد كان عندنا بخلافة القرشيين الذين يقول فيهم مشرقيهم

وانى من قوم كرام اعزة * لاقدامهم صيغت رؤس المنابر
خلائف فى الاسلام فى الشرك قادة * بهم واليهم فخر كل مفاخر

ويقول مغربيهم

السنا بنى مروان كيف تبدلت * بنا الحال اودارت علينا الدوائر
اذا ولد المولود منا تهللت * له الارض واهتزت اليه المنابر

وقد نشأ فى مدتهم من الفضلاء والشعراء ما اشتهر فى الآفاق وصار اثبت فى صحائف الايام فى اعناق الحمام من الاطواق

وسار مسير الشمس فى كل بلدة * وهب هبوب الريح فى البر والبحر

ولم تزل ملوكهم فى الاتساق كما قيل

ان الخلافة فيكم لم تزل نسقا * كالعقد منظومة فيه فرائده

الى ان حكم الله بتر سلكهم وذهاب ملكهم فذهبوا وذهبت اخبارهم ودرسوا ودرست آثارهم

جمال ذى الارض كانوا فى الحياة وهم * بعد الممات جمال الكتب والسير

فكم مكرمة انالوها وكم عثرة أقالوها

وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعى

وكان من حسنات ملكهم المنصور بن أبى عامر وما أدراك الذى بلغ فى بلاد النصارى غازيا الى البحر الاخضر ولم يترك أسيرا فى بلادهم من المسلمين ولم يبرح فى جيش الهرقل وعزمة الاسكندر ولما قضى نحبه كتب على قبره

آثاره تنبيك عن أوصافه * حتى كانك بالعيان تراه
تالله لا يأتى الزمان بمثله * أبدا ولا يحمى الثغور سواه

وقد قيل فيه من الامداح وألف له من الكتب ما سمعت وعلمت حتى قصد من بغداد وعم خيره وشره أقاصى البلاد ولما ثار بعد انتثار هذا النظام ملوك الطوائف وتفرقوا فى البلاد كان فى تفرقهم اجتماع على النعم لفضلاء العباد اذ نفقوا سوق العلوم وتباروا فى المثوبة على المنثور والمنظوم فما كان أعظم مباهاتهم الا قول العالم الفلانى عند الملك الفلانى والشاعر الفلانى مختص بالملك الفلانى وليس منهم الا من بذل وسعه فى المكارم ونبهت الامداح من مآثره ماليس طول الدهر بنائم وقد سمعت ما كان من الفتيان العامرية مجاهد ومنذر وخيران وسمعت عن الملوك العربية بنو عباد وبنو

صمادح و بنو الافطس و بنو ذى النون و بنو هود كل منهم قد تخذ من الامداح ما لو مدح به الليل لصار اضوأ من الصباح ولم تزل الشعراء تتهادى بينهم تهادى النواسم بين الرياض وتفتك فى اموالهم فتكة البراض حتى ان احد شعرائهم بلغ به ما رآه من منافستهم فى امداحه ان حلف ان لا يمدح احدا منهم بقصيدة الا بمائة دينار وان المعتضد بن عباد على ما اشتهر من سطوته وافراط هيبته كلفه ان يمدحه بقصيدة فابى حتى يعطيه ما شرطه فى قسمه ومن اعظم ما يحكى من المكارم التى لم يسمع لها اخت ان ابا غالب اللغوى الف كتابا فبذل له مجاهد العامرى ملك دانية الف دينار ومركوبا وكسا على ان يجعل الكتاب باسمه فلم يقبل ذلك ابو غالب وقال كتاب الفته لينتفع به الناس واخلد فيه همتى اجعل فى صدره اسم غيرى واصرف الفخر له لا افعل ذلك فلما بلغ هذا مجاهدا استحسن انفته وهمته واضعف له العطاء وقال هو فى حل من ان يذكرنى فيه لا نصده عن غرضه وان كان كل ملوك الاندلس المعروفين بملوك الطوائف قد تنازعوا فى ملاءة المحضر فانى اخص منهم بنى عباد كما قال الله تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان فان الايام لم تزل بهم كاعياد وكان لهم من الحنو على الادب ما لم يقم به بنو حمدان فى حلب وكانوا هم وبنوهم ووزراؤهم صدورا فى بلاغتى النظم والنثر مشاركين فى فنون العلم وآثارهم منذكورة واخبارهم مشهورة وقد خلدوا من المكارم التامة ما هو متردد فى السن الخاصة والعامة و بالله الا سميت لى من تفخرون قبل هذه الدعوة المهدية ابمقمودت الحاجب ام بصالح البرغواطى ام بيوسف بن تاشفين الذى لولا توسط ابن عباد لشعراء الاندلس فى مدحه ما اجروا له ذكرا ولا رفعوا لملكه قدرا و بعد ما ذكروه بوساطة المعتمد بن عباد فان المعتمد قال له وقد انشدوه ايعلم امير المسلمين ما قالوه قال لا اعلم ولكنهم يطلبون الخبز ولما انصرف عن المعتمد الى حضرة ملكه كتب له المعتمد رسالة فيها

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت مآقينا

حالت لفقدكم ايامنا فغدت * سودا وكانت بكم بيضا ليالينا

فلما قرئ عليه هذان البيتان قال للقارئ يطلب منا جوارى سودا و بيضا قال لا يا مولانا ما اراد الا ان ليله كان بقرب امير المسلمين نهارا لان ليالى السرور بيض فعاد نهاره بعده ليلا لان ليالى الحزن ليالى سود فقال والله جيدا كتب له فى جوابه ان دموعنا تجرى عليه ورؤسنا توجعنا من بعده فليت العباس بن الاحنف قد عاش حتى يتعلم من هذا الفاضل رقة الشوق

ولا تنكرن مهما رأيت مقدما * على حمر بغلا فثم تناسب

فاسكتوا فلولا هذه الدولة لما كان لكم على الناس صولة

وان الورد يقطف من قتاد * وان النار تقبس من رماد

وانك ان تعرضت لنا صلة بالعلماء فاخبر فى هل لكم فى الفقه مثل عبد الملك بن حبيب الذى يعمل باقواله الى الآن ومثل ابى الوليد الباجى ومثل ابى بكر بن العربى ومثل ابى الوليد بن رشد الاكبر ومثل ابى الوليد بن رشد الاصغر وهو ابن الاكبر نجوم الاسلام ومصابيح شريعة

ممن راس جبل باصبهان يقال ١٤٠ لمدارس وكانت فيه اصنام الى ان اخرجها منه ... وجعله بيت نار وذلك على ثلاثة فراسخ من اصبهان وهذا البيت معظم عند المجوس الى هذه الغاية (والبيت الثالث) يدعى شذوساب ببلاد الهند وله قرابين تقرب وفيه اخبار المتناطسين الجاذبة والرافعة والمنفردة من اوصاف لا يسعنا الاخبار عنها فمن اراد ان يبحث عن ذكرها فليبحث فانه بيت مشهور ببلاد الهند (والبيت الرابع) هو النوبهار الذى بناه منوشهر بمدينة بلخ من خراسان على اسم القمر وكان من يلى سدانته تعظمه الملوك فى ذلك الصقع وتنقاد الى امره وترجع الى حكمه وتحمل اليه الاموال وكانت عليه وقوف وكان الموكل بسدانته يدعى البرمك وهو سمة عامة لكل سدنته ومن اجل ذلك سميت البرامكة لان خالد ابن برمك كان من ولد من كان على هذا البيت وكان بنيان هذا البيت من اعلى البنيان تشييدا وكان تنصب على اعلاه الرماح عليها الشقاق الحرير الاخضر طول الشقة منها مائة ذراع فما دونها قد نصب لذلك رماح وخشب تدفع قوة الريح عما عليها من الحرير فيقال والله اعلم ان الريح خطفت يوما من بعض تلك الشقاق

عليه السلام وهل لكم في الحفظ مثل أبي محمد بن حزم الذي زهد في الوزارة والمال ومال الى رتبة العلوم اذ هي فوق كل رتبة وقال وقد احترقت كتبه

دعوني من احراق رق وكاغد * وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري
فان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي * تضمنه القرطاس اذ هو في صدري

ومثل أبي عمر بن عبد البر صاحب الاستيعاب والتمهيد ومثل أبي بكر بن العربي حافظ الاندلس في هذه الدولة وهل لكم في حفاظ اللغة كابن سيده صاحب كتاب المحكم وكتاب السماء والعالم الذي ان أعمى الله بصره فما أعمى بصيرته وهل لكم في النحو مثل أبي محمد بن السيد وتصانيفه ومثل ابن الطراوة ومثل أبي علي الشلوبين الذي بين اظهرنا الآن وقد سار في المغارب والمشارق ذكره وهل لكم في علم اللحون والفلسفة كابن باجة وهل لكم في علم النجوم والهندسة والفلسفة ملك كالمقتدر بن هود صاحب سرقسطة فانه كان في ذلك آية وهل لكم في الطب مثل ابن طفيل صاحب رسالة حي بن يقظان المقدم في علم الفلسفة ومثل بني زهر أبي العلاء ثم ابنه عبد الملك ثم ابنه أبي بكر ثلاثة على نسق وهل لكم في علم التاريخ كابن حيان صاحب المتين والمقتبس وهل عندكم في رؤساء علم الادب مثل أبي عمر بن عبد ربه صاحب العقد وهل لكم في الاعتناء بتخليد مآثر فضلاء اقليمه والاجتهاد في حشد محاسنهم مثل ابن بسام صاحب الذخيرة وهب أنه كان يكون لكم مثله فما تصنع الكيسة في البيت الفارغ وهل لكم في بلاغة النثر كالفتح بن عبيد الله الذي ان مدح رفع وان ذم وضع وقد ظهر له من ذلك في كتاب القلائد ما هو أعدل شاهد ومثل ابن أبي الخصال في ترسله ومثل أبي الحسن سهل بن مالك الذي بين أظهرنا الآن في خطبه وهل لكم في الشعر ملك مثل المعتمد بن عباد في قوله

وليل بسد النهر أنسا قطعته * بذات سوار مثل منعطف النهر
نضت بردها عن غصن بان منعم * فيا حسن ما انشق الكمام عن الزهر

وقوله في أبيه

سميدع يهب الآلاف مبتدئا * وبعد ذلك يلفى وهو يعتذر
له يد كل جبار يقبلها * لولا نداها لقلنا انها الحجر

ومثل ابنه الراضي في قوله

مروا بنا أصلا من غير ميعاد * فاوقدوا نار قلبي أي ايقاد
لا غرو أن زاد في وجدي مرورهم * فرؤية الماء تذكي غلة الصادي

وهل لكم ملك ألف في فنون الادب كتابا في نحو مائة مجلدة مثل المظفر بن الافطس ملك بطليوس ولم تشغله الحروب ولا المملكة عن همة الادب وهل لكم من الوزراء مثل ابن عمار في قصيدته التي سارت اشرد من مثل واحب الى الاسماع من لقاء حبيب وصل التي منها

اثمرت رمحك من رؤس ملوكهم * لما رايت الغصن يعشق مثمرا
وصبغت درعك من دماء كماتهم * لما رايت الحسن يلبس احمرا

ورتبه فاصيب على مسافة خمسين فرسخا وقيل أكثر من تلك المسافة

وهذا يدل على زيادته في العلو وتشييد بنيانه وكانت مسافة البصر المحيط بهذا البنيان أميالا لم نذكرها اذ كان أمر ذلك مشهورا من وصف علو السور وعرضه (قال المسعودي) وقد ذكر بعض أهل الرواية والتنقير أنه قرأ على باب بلخ كتابا بالفارسية ترجمته قال بوداسف أبواب الملوك تحتاج الى ثلاث خصال عقل وصبر ومال واذا فحته بالعربية كتب بوداسف الواجب على الحر اذا كان معه واحدة من هذه الخصال أن لا يلزم باب السلطان (والبيت الخامس) بيت غمدان الذي بمدينة صنعاء من بلاد اليمن وكان الضحاك بناه على اسم الزهرة وخربه عثمان بن عفان رضي الله عنه فهو في وقتنا هذا خراب قد هدم فصار تلا عظيما وقد كان الوزير علي بن موسى الجراح حين نفي الى اليمن وصار الى صنعاء بنى فيه سقاية وحفر فيه بئرا (ورأيت غمدان) وهو تل عظيم قد انهدم بنيانه وصار جبل تراب كأنه لم يكن وقد كان أسعد بن يعفر صاحب قلعة كحلان المنازل بها وصاحب مخاليف اليمن في هذا الوقت وهو المتغلب في اليمن أراد أن يبني غمدان فأشار عليه يحيى بن الحسين الحسني أن لا يتعرض

ومثل ابن زيدون فى قصيدته التى لم يقل مع طولها فى التشبيب ارق منها وهى التى يقول فيها

كأننا لم نبت والوصل ثالثنا * والسعد قد غض من أجفان واشينا

سران فى خاطر الظلماء يكتمنا * حتى يكاد لسان الصبح يفشينا

وهل لكم من الشعراء مثل ابن وهبون فى بديهته بين يدى المعتمد بن عباد واصابته الغرض حين استحسن المعتمد قول المتنبى

اذا ظفرت منك العيون بنظرة * أثاب بها معيى المطى ورازمه

فارتجل

لئن جاد شعر ابن الحسين فانما * يجيد العطايا واللها تفتح اللها

تنبأ عجبا بالقريض ولو درى * بانك تروى شعره لتألها

وهل لكم مثل شاعر الاندلس ابن دراج الذى قال فيه الثعالبى هو بالصقع الاندلسى كالمتنبى بصقع الشام الذى ان مدح الملوك قال مثل قوله

ألم تعلمى ان الثواء هو التوا * وأن بيوت العاجزين قبور

وأن خطيرات المهالك ضمن * لراكبها أن الجزاء خطير

تخوفنى طول السفار وانه * بتقبيل كف العامرى جدير

مجير الهدى والدين من كل ملحد * وليس عليه للضلال مجير

تلاقت عليه من تميم ويعرب * شموس تلاقت فى العلا وبدور

هم يستقلون الحياة لراغب * ويستصغرون الخطب وهو كبير

ولما توافوا للسلام ورفعت * عن الشمس فى أفق الشروق ستور

وقد قام من زرق الاسنة دونها * صفوف ومن بيض السيوف سطور

رأوا طاعة الرحمن كيف اعتزازها * وآيات صنع الله كيف تنير

وكيف استوى بالبر والبحر مجلس * وقام بعبء الراسيات سرير

فخاؤا المعالى والقلوب خوافق * وولوا بطاء والنواظر صور

يقولون والاجلال يخرس ألسنا * وحازت عيون ملاءها وصدور

لقد حاط أعلام الهدى بك حائط * وقدر فيك المكرمات قدير

وأنا أقسم بما حازته هذه الابيات من غرائب الآيات لو سمع هذا المدح سيد بنى حمدان لسلا به عن مدح شاعره الذى ساد كل شاعر ورأى أن هذه الطريقة أولى بمدح الملوك من كل ما تفنن فيه كل ناظم وناثر وان ذكر الغربة عن الاوطان ومكابدة نوائب الزمان قال

قالت وقد مزج الفراق مدامعا * بمدامع وترائبا بترائب

أنفرق حتى بمنزل غربة * كم نحن للايام نهبة ناهب

ولئن جنيت عليك ترحة راحل * فأنا الزعيم لها بفرحة آيب

هل أبصرت عيناك بدرا طالعا * فى الافق الا من هلال غارب

وان شبه قال

تأثير اعظمه اوقد ذكر هذا البيت جد أمية بن أبى الصلت أخو أمية واسمه ربيعة فى مدحه لسيف بن ذى يزن وقيل بل الممدوح بهذا الشعر معديكرب بن سيف حيث يقول

اشرب هنيأ عليك التاج مرتفعا * برأس غمدان دارا منك محلالا

وكان أبو أمية جاهليا وهو القائل فى أصحاب الفيل

ان آيات ربنا بينات * ما يمارى بهن الا كفور

غلب الفيل بالمغمس حتى * ظل يحبو كانه معقور

حوله من شباب كندة فتيا * ن ملاويث فى الحروب صقور

واضعا خلبه الجران كما قطـ * ـر صخر من جانب محرور

وقيل ان ملوك اليمن كانوا اذا قعدوا فى هذا البنيان بالليل واشتعلت الشموع رأى الناس ذلك من مسيرة ثلاثة أيام كثيرة (والبيت السادس) كارشان شاه بناه كارش الملك بناء محيبا على الاسم المدبر الاعظم من الاجسام السماوية وهو الشمس بمدينة فرغانة من مدائن خراسان وخربه المعتصم بالله ولهدمه هذا البيت خبر ظريف قد اتينا على ذكره فى كتاب اخبار الزمان (والبيت السابع) بأعالى بلاد لمعاقل

لما قل من سوسن قدشيدت * أيدى الربيع بناءها فوق القضب
شرفاتها من فضة وجناتها * حول الامير لهم سيوف من ذهب

هل من شعرائكم من تعرض لذكر العفة فاستنبط ما يسحر به السحر ويطيب به الزهر وهو عمرو بن فرج فى قوله

وطائعة الوصال عففت عنها * وما الشيطان فيها بالمطاع
بدت فى الليل سافرة فباتت * دياجى الليل سافرة القناع
وما من لحظة الا وفيها * الى فتن القلوب لها دواعى
فملكت النهى جماح شوقى * لأجرى فى العفاف على طباعى
وبت بها مبيت السقب يظما * فيمنعه العكام من الرضاع
كذاك الروض ما فيه لمثلى * سوى نظر وشم من متاع
ولست من السوائم مهملات * فأتخذ الرياض من المراعى

وهل بلغ أحد من مشبهى شعرائكم أن يقول مثل قول أبى جعفر اللماى

عارض أقبل فى جنح الدجا * يتهادى كتهادى ذى الوجا
بددت ريح الصبا لؤلؤه * فانبرى يوقد عنها سرجا

ومثل قول أبى حفص بن برد

وكأن الليل حين لوى * ذاهبا والصبح قد لاحا
كلة سوداء احرقها * عامد أسرج مصباحا

وهل منكم من وصف ما تحدثه الخمرة من الحمرة على الوجنة بمثل قول الشريف الطليق

أصبحت شمسا وفوه مغربا * ويد الساقى المحيى مشرقا
واذا ما غربت فى فمه * تركت فى الخد منه شفقا

مثل هذا الشعر فليطلق اللسان ويفخر على كل انسان وهل منكم من عمد الى قول امرئ القيس

سموت اليها بعد ما نام أهلها * سمو حباب الماء حالا على حال

فاختلسه اختلاس النسيم لنفحة الازهار وسلبه بلطف استلاب الشمس لرضاب طل الاسحار فلطفه تلطيفا يمتزج بالارواح ويغنى فى الارتياح عن شرب الراح وهو ابن شهيد فى قوله

ولما تملأ من سكره * ونام ونامت عيون الحرس
دنوت اليه على قربه * دنو رفيق درى ما التمس
أدب اليه دبيب الكرى * وأسمو اليه سمو النفس
أقبل منه بياض الطلى * وأرشف منه سواد اللعس
فبت به ليلتى ناعما * الى أن تبسم ثغر الغلس

وقد تناول هذا المعنى ابن أبى ربيعة على عظم قدره وتقدمه فعارض الصهيل بالنهاق وقابل العذب بالزعاق فقال وليته سكت

منشأ هذا الملك ومسده وباعث الامور اليه وقيل انما بناه بعض ملوك الترك فى قديم الزمان وجعل له سبعة أبيات فى كل بيت منها سبع كوى يقابل كل كوة صورة منصوبة على صورة من الخمسة والنيرين من انواع الجواهر المضافة الى تأثير تلك الكواكب من ياقوت اوزمرذ على اختلاف الوان الجواهر ولهم فى هذا الهيكل سر يسرونه فى بلاد الصين بما قد زخرف لهم فيه القول وزينه لهم الشيطان ولهم فى هذا الهيكل علوم فى اتصال الاجسام السماوية وأفعالها بعالم الكون الذى تحدثه وما يحدث فيه من الحركات والافعال عند تحرك الاجسام السماوية فى هذا العالم وهو على حسب الذى نسج فيه بنصب من حركات الطبائع بتلك الخشب والخيوط الابريسم تحدث ضروب من الحركات فاذا اتصلت أفعاله وتواترت حركاته من النسج للثوب الديباج تمت الصورة فيه فبضرب من الحركات يظهر جناح طائر وبآخر رأسه وبآخر رجلاه فلا يزال كذلك حتى تتم الصورة على حسب مراد الصانع بجعلوا هذا المثال واتصال الابريسم بآلة النسج وما يحدثه الصانع فى ذلك من الافعال مثالا لما

ذكرنا من الكواكب العلوية وهي ١٤٤ الاجسام السماوية فبضرب من الحركات ظهر في العالم الطائر وبضرب آخر فرخ

وتقصت عني العين أقبلت مشية الحباب وركني خيفة القوم أزور

وأنا أقسم لو زار رجل محبوبة له لكان الطف في الزيارة من هذا الازور الركن المنقص للعيون لكنه ان أساء هنا فقد أحسن في قوله

قالت لقد أعيتنا حيـــلة * فأت اذا ما هجع الساهر
واسقط علينا كسقوط الندى * ليـــلة لا ناه ولا زاجر

ولله در محمد بن سفر أحد شعرائنا المتأخرين عصرا المتقدمين قدرا حيث نقل السعي الى محبوبته فقال وليته لم يزل يقول مثل هذا فمثله ينبغي أن يتكلم ومثله يليق أن يدون

وواعدتها والشمس تجنح للنوى * بزورتها شمسا وبدر الدجى يسري
فجاءت كما يمشي سنى الصبح في الدجى * وطورا كما مر النسيم على النهر
فعطرت الآفاق حولي فأشعرت * بمقدمها والعرف يشعر بالزهر
فتابعت بالتقبيـل آثار سعيها * كما يتقصى قارئ أحرف السطر
فبت بها والليـل قد نام والهوى * تنبه بين الغصن والحقف والبدر
أعانقها طـــورا وألثم تارة * الى أن دعتنا للنوى راية الفجر
ففضت عقود التعانـق بيننا * فيا ليلة القدر اتركي ساعة النفر

وهل منكم من قيد بالاحسان فأطلق لسانه الشكر فقال وهو ابن اللبانة

بنفسي وأهلي جيرة ما استعنتهم * على الدهر الا وانثنيت معانا
أراشوا جناحي ثم بلوه بالندى * فلم أستطع من أرضهم طيرانا

ومن يقول وقد قطع عنه ممدوحه ما كان يعتاده منه من الاحسان فقابل ذلك بقطع مدحه له فبلغه أنه عتبه على ذلك وهو ابن وضاح

هـل كنت الا طائرا بثنائكم * في دوح مجدكم أقوم وأقعد
ان تسلبوني ريشكم وتقلصوا * عني ظلالكم فكيف أغرد

وهـل منكم شاعر رأى الناس قد ضجوا من سماع تشبيه الثغر بالأقاح وتشبيه الزهر بالنجوم وتشبيه الخدود بالشقائق فتلطف لذلك في أن يأتي به في منزع يصير خلقه في الاسماع جديدا وكليله في الافكار حديدا فأغرب أحسن اغراب وأعرب عن فهمه بحسن تخيله أنبل اعراب وهو ابن الزقاق

وأغيد طاف بالكؤوس ضحا * وحثها والصباح قد وضحا
والروض أهدى لنا شقائقه * وآسه العنبري قد نفحا
قلنا وأين الأقاح قال لنا * أودعته ثغر من سقى القدحا
فظل ساقي المدام يجحدها * قال فلما تبسم افتضحا

وقال

أدراها على الروض المندى * وحكم الصبح في الظلماء ماضي
وكأس الراح تنظر عن حباب * ينوب لنا عن الحدق المراض
وما غربت نجوم الأفق لكن * نقلن من السماء الى الرياض

وقال

و كذلك سائر ما يحدث في العالم ويسكن ويتحرك ويوجد ويعدم ويتصل وينفصل ويجتمع ويفترق ويزيد وينقص من جماد ونبات أو حيوان ناطق أو غير ناطق فانما يحدث عن حركات الكواكب على حسب ما وصفنا من نسج الديباج وغيره من الصنائع وأهل صناعة النجوم لا ينكرون أن يقولوا أعطته الزهرة كذا وأعطاه المريخ كذا كالشقرة وصهوبة الشعر وأعطاه عطارد دقة الصنعة وأعطاه المشتري الحياء والعلم والدين وأعطته الشمس كذا وأعطاه القمر كذا وهذا باب يكثر القول فيه ويتسع وصف مذاهب الناس فيه وما قالوه في بابه

(ذكر البيوت المعظمة عند اليونانيين)

البيوت المضاف بناؤها الى من سلف من اليونانيين ثلاثة بيوت فبيت منها كان بأنطاكية من أرض الشام على جبل بها داخل المدينة والسور محيط بها وقد جعل المسلمون في موضعه مرقبا لينذرهم من قد رتب فيه من الرجال بالروم اذا وردوا من البر والبحر وكانوا يعظمونه ويتقربون فيه القرابين فخرب عند مجيء الاسلام وقد قيل ان قسطنطين الاكبر بن هيلانه

وقال

وریاض من الشقائق اضحت * يتهادى بهانسيم الرياح
زرتها والغمام يجلد منها * زهرات تروق لون الراح
قلت ماذنبهافقال مجيبا * سرقت حمرة الخدود الملاح

فانظر كيف زاد مهذا الاختيال المخترعين وكيف سابق بهذا اللفظ المبتدعين وهل منكم من برع فى اوصاف الرياض والمياه ومايتعلق بذلك فانتهى الى غاية السباق وفضح كل من طمع بعده فى اللحاق وهوابو اسحق بن خفاجة القائل

وعشى انس اضجعتني نشوة * فيهايمهد مضجعي ويدمث
خلعت على بها الاراكة ظلها * والغصن يصغى والحمام يحدث
والشمس تجنح للغروب مريضة * والرعد يرقى والغمامة تنفث

والقائل

لله نهرسال فى بطحاء * أشهى ورودا من لمى الحسناء
متعطف مثل السوار كانه * والزهر يكنفه مجر سماء
قدرق حتى ظن قرصا مفرغا * من فضة فى بردة خضراء
وغدت تحف به الغصون كانها * هدب تحف بمقلة زرقاء
ولطالما عاطت فيه مدامة * صفراء تخضب أيدى الندماء
والريح تعبث بالغصون وقد جرى * ذهب الاصيل على لجين الماء

والقائل

حث المدامة والنسيم عليل * والظل خفاق الرواق ظليل
والروض مهتز المعاطف نعمة * نشوان تعطفه الصبا فيميل
ريان فضضه الندى ثم انجلى * عنه فذهب صفحتيه أصيل

والقائل

أذن الغمام بديمة وعقار * فامزج لجينا منهما بنضار
واربع على حكم الربيع باجرع * هزج الندامى مفصح الاطيار
متقسم الالحاظ بين محاسن * من ردف رابية وخصر قرار
نثرت بحجر الروض فيه يد الصبا * درر الندى ودراهم الانوار
وهفت بتغر يدهنالك أيكة * خفاقة بهبوب ريح عرار
هزت له أعطافها ولربما * خلعت عليه ملاءة النوار

والقائل

سقيا ليوم بطاح نخر * ودوح نهر بها مطل
اذلاترى غير وجه شمس * أظل فيه عذار ظل

والقائل

نهر كماسال اللمى سلسال * وصبا بليل ذيلها مكسال

والسماثيل من الذهب والفضة وأنواع الجواهر وقد قيل ان هذا البيت هو بيت بمدينة انطاكية على يسرة الجامع الى اليوم وكان هيكلا عظيما والصابئة تزعم أن الذى بناه سفلانيوس وهو فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة يعرف بسوق الجزارين وقد كان ثابت بن قرة بن كرايا الصابئ الحرانى حين وافى المعتضد فى سنة تسع وثمانين ومائتين فى طلب وصيف الخادم ابن ثابت أتى هذا الهيكل وعظمه وأخبر من شانه ماوصفنا (والبيت الثانى) من بيوت اليونانيين هو بعض تلك الاهرام التى ببلاد مصر وهو يرى من الفسطاط على أميال منها (والبيت الثالث) هو بيت المقدس على مازعم القوم والشريعة انما تخبر أن داود عليه السلام بناه وأتمه سليمان بعد وفاة أبيه والمجوس تزعم أن الذى بناه الضحاك وأنه سيكون له فى المستقبل من الزمان خطب طويل ويقعد فيه ملك عظيم وذلك عند ظهور موسى على بقرة من صفتها كذا ومعه من الناس كذا من العدد وأقاصيص تدعيها المجوس فى هذا المعنى واختلاط طويل نتنزه كتابنا عن ذكره والله تعالى ولى التوفيق

بيت ببلاد المغرب بمدينة قرطاجنة وهي تونس وراء بلاد القيروان وهي من أرض الافرنجة وبني على اسم الزهرة بأنواع من الرخام والبيت الثاني بافرنجة وهو بيت عظيم عندهم والبيت الثالث عندهم بمقدونية وقد أتينا على أخباره وأخبار غيره فيما سلف من كتبنا والله تعالى أعلم

(ذكر البيوت المعظمة عند الصقالبة)

كانت في ديار الصقالبة بيوت تعظمها منها بيت كان لهم في هذا الجبل الذي ذكرت الفلاسفة أنه أحد جبال العالم العالية وهذا البيت له خبر في كيفية بنائه وترتيب أحجاره واختلاف ألوانه والمخاريق المصنوعة وما أودع فيه من الجواهر والآثار المرسومة فيه الدالة على الكائنات المستقبلة وما تدل به تلك الجواهر من الاحداث قبل كونها وظهور أصوات من أعاليه بهم وما كان يلحقهم من سماع ذلك (وبيت) اتخذه ملوكهم على الجبل الاسود تحيط به مياه عجيبة ذوات ألوان وطعوم مختلفة عامة المنافع وكان لهم فيه صنم عظيم على صورة رجل قد انحنى على نفسه وهو شيخ بيده عصا يحرك بها

ومهب نفحة روضة مطلولة * في جانبيها للنسيم مجال
غازلتها والاقحوانة مبسم * والآس صدغ والبنفسج خال

والقائل

وساق كحيل اللحظ في شأو حسنه * جماح وبالصبر الجميل حران
ترى الاصبا نارا بخديه لم يثر * لها من سوادي عارضيه دخان
سقاها وقد لاح الهلال عشية * كما اعوج في درع الكمي سنان
عقارا غاها الكرم فهي كريمة * ولم ترزن بابن المزن فهي حصان
وقد جال من جون الغمامة أدهم * له البرق سوط والسنان عنان
وضمخ درع الشمس نحر حديقة * عليه من الطل السقيط جمان
ونمت باسرار الرياض خميلة * لها النور ثغر والنسيم لسان

والقائل في وصف فرس ولم يخرج عن طريقته

واشقر تضرم منه الوغى * بشعلة من شعل الباس
من جلنار ناضر لونه * واذنه من ورق الآس
تطلع للغرة في شقرة * حبابة تضحك في كاس

وهل منكم من يقول منادما لنديمه وقد باكر روضا بمحبوب وكاس فالفاه قد غطى محاسنه ضباب يخاف ان يكسل نديمه عن الوصول اذا رأى ذلك وهو ابو الحسن بن بسام

الا بادر فما ثان سوى ما * عهدت الكاس والبدر التمام
ولا تكسل برؤيته ضبابا * تغص به الحديقة والمدام
فان الروض ملتثم الى أن * توافيه فينحط اللثام

وهل منكم من تغزل في غلام حائك بمثل قول الرصافي

قالوا وقد اكثروا في حبه عذلي * لو لم تهم بمذال القدر مبتذل
فقلت لو كان امري في الصبابة لي * لاخترت ذاك ولكن ليس ذلك لي
علقته حببي الثغر عاطره * حلو اللمى ساحر الاجفان والمقل
غزيل لم تزل في الغزل جائلة * بنانه جولان الفكر في الغزل
جذلان تلعب بالمحواك انمله * على السدى لعب الايام بالاجل
ضما بكفيه أو فحصا بأخمصه * تخبط الظبي في أشراك محتبل

ومثل قوله في تغلب مسكة الظلام على خلوق الاصيل

وعشي رائق منظره * قد قطعناه على صرف الشمول
وكأن الشمس في أثنائه * ألصقت بالارض خدا للنزول
والصبا ترفع أذيال الربا * ومحيا الجو كالنهر الصقيل
حبذا منزلنا مغتبقا * حيث لا يطرقنا غير الهديل
طائر شاد وغصن منثن * والدجى تشرب صهباء الاصيل

وهل منكم من يقول في موشح فيما يجره هذا المعنى

وورداء الاصيل تطو به كف الظلام

وهو أبو القاسم بن الفرس وهل منكم من وصف غلاما جميل الصورة راقصا بمثل قول ابن خروف

ومنزع الحركات يلعب بالنهى * لبس المحاسن عند خلع لباسه
متأودا كالغصن وسط رياضه * متلاعبا كالظبي عند كناسه
بالعقل يلعب مدبرا أو مقبلا * كالدهر يلعب كيف شاء بناسه
ويضم للقدمين منه راسه * كالسيف ضم ذبابه لرياسه

وهل منكم من وصف خالا بأحسن من قول النشار

ألوامى على كلفي بحي * مني من حبه أرجو سراحا
وبين الخد والشفتين خال * كزنجي أتى روضا صباحا
تحير في جناه فليس يدرى * أيجني الورد أم يجني الاقاحا

وهل منكم الذى اهتدى الى معنى فى لثم وردة الخدود رشف رضاب الثغر لم يهتد اليه أحد غيره وهو أبو الحسن بن سلام المالقى فى قوله

لما ظفرت بليلة من وصله * والصب غير الوصل لا يشفيه
أنضجت وردة خده بتنفسى * وطفقت أرشف ماءها من فيه

وهل منكم من هجا من غير النطق باقذاع فبلغ مالم يبلغه المقذع وهو المخزومى فى قوله

يود عيسى نزول عيسى * عساه من دائه يريح
وموضع الداء منه عضو * لا يرتضى مسه المسيح

ولما أقذع أتى أيضا بابدع فقال

يا فارس الخيل ولا فارس * الاعلى متن جواد الخصى
زدت على موسى وآياته * تفجر الماء وتخفى العصا

وهل منكم من مدح بمعنى فبلغ به النهاية من المدح ثم نقله الى الهجاء فبلغ به النهاية من الذم وهو البكى فى قوله مادحا

قوم لهم شرف العلا فى حمير * واذا انتموا لمتونة فهم هم
لما حووا احراز كل فضيلة * غلب الحياء عليهم فتلثموا

وفى قوله هاجيا

ان المرابط باخل بنواله * لكنه بعياله يتكرم
الوجه منه مخلق لقبيح ما * ياتيه فهو من اجله يتلثم

وهل منكم من هجا أشتر العين بمثل قول أبى العباس بن جنون الاشبيلى

يا طلعة أبدت قبائح جمة * فالكل منها ان نظرت قبيح
أبعينك الشتراء عين ثرة * منها ترقرق دمعها المسفوح
شترت فقلنا زورق فى لجة * مالت باحدى دفتيه الريح
وكانما انسانها ملاحها * قد خاف من غرق فظل يصيح

صور الغداف وغيرها وصور عجيبة لانواع من الاحابيش والزنج (وبيت آخر) على جبل لهم يحيط به خليج من البحر قد بنى باحجار المرجان الاحمر وأحجار الزمرذ الاخضر فى وسطه قبة عظيمة تحتها صنم عظيم أعضاؤه من جواهر أربعة زمرذ أخضر وياقوت أحمر وعقيق أصفر وبلور أبيض ورأسه من الذهب الاحمر وبازائه صنم آخر على صورة جارية وكان يقرب له قرابين ودخن وكان ينسب هذا البيت الى حكيم كان لهم فى قديم الزمان وقد أتينا على خبره وما كان من أمره بارض الصقالبة وما أحدث فيهم من الدبول والحيل والمخاريق المصطنعة التى اجتذب بها قلوبهم وملك نفوسهم واسترق بها عقولهم مع شراسة أخلاق الصقالبة واختلاف طبائعهم فيما سلف من كتبنا والله تعالى ولى التوفيق

(ذكر بيوت معظمة وهيا كل شريفة للصابئة وغيرها مما لحق بهذا الباب)

للصابئة من الحرانيين هيا كل على اسم الجواهر العقلية والكواكب (فمن ذلك) هيكل العلة الاولى وهيكل العقل وما أدرى أشاروا الى العقل

صاحب المنطق فى كتابه فى المقالة الثالثة من كتاب النفس العقل الاوّل الفعال الاول أم الثانى وقد ذكر والعقل الثانى وذكر ذلك ثامسطيوس فى كتابه فى شرح كتاب النفس الذى عمله صاحب المنطق وقد ذكر العقل الاول والثانى الاسكندر والافروديسى فى مقالة أفردها فى ذلك قد ترجمها اسحق بن حنين (ومن هياكل الصابئة) هيكل السنبلة وهيكل الصورة وهيكل النفس وهذه مدوّرات الشكل وهيكل زحل مسدّس وهيكل المشترى مثلث وهيكل المريخ مستطيل وهيكل الشمس مربع وهيكل عطارد مثلث الشكل فى جوف مربع مستطيل وهيكل الزهرة مثلث فى جوف مربع وهيكل القمر مثمن الشكل (وقد حكى رجل) من ملكية النصارى من أهل حران يعرف بالحرث بن سنبساط للصابئة الحرانيين أشياء ذكرها من قرابين يقربونها من الحيوان ودخن للكواكب يبخرونها وغير ذلك عما امتنعنا من ذكره مخافة التطويل (والذى بقى) من هياكلهم المعظمة فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بيت لهم بمدينة حران فى باب الرقة يعرف بمغليتيا وهو هيكل آزر أبى ابراهيم الخليل عليه السلام

وهل منكم من حضر مع عدو له جاحد لما فعله معه من الخير وأمامهما زجاجة سوداء فيها خمر فقال له المحسود المذكور ان كنت شاعرا فقل فى هذه فقال ارتجالا وهو ابن مجير

ساشكو الى الندمان أمر زجاجة * تردت بثوب حالك اللون أسحم
نصب بها شمس المدامة بيننا * فتغرب فى جنح من الليل مظلم
وتجحد أنوار الحميا بلونها * كقلب حسود جاحد يد منعم

وهل منكم من قال لفاضل جمع بينه وبين فاضل وهو أبو جعفر الذهبى

ايها الفاضل الذى قد هدانى * نحو من قد حمدته باختيار
شكر الله ما أتيت وجازا * ك ولا زلت نجم هدى لسارى
أى برق أفاد أى غمام * وصباح أدى لضوء نهار
واذا ما غدا النسيم دليلى * لم يخلنى الا على الازهار

وهل منكم أعمى قال فى ذهاب بصره وسواد شعره وهو الطليطلى

أما اشتفت منى الايام فى وطنى * حتى تضايق فيما عن من وطرى
ولا قضت من سواد العين حاجتها * حتى تكر على ما طل فى الشعر

وهل منكم الذى طار فى مشارق الارض ومغاربها وهو ابو القاسم محمد بن هانئ الالبيرى

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر * وأمدكم فلق الصباح المسفر
وجنيتم ثمر الوقائع يانعا * بالنصر من ورق الحديد الاخضر

وقد سمعت قافيته فى النجوم ولولا طولها لانشدتها هنا فانها أحسن ما قيل فى معناها

وهل منكم من قال فى الزهد مثل قول أبى وهب العباسى القرطبى

انا فى حالتى التى قد ترانى * ان تأملت أحسن الناس حالا
منزلى حيث شئت من مستقر الارض أسقى من المياه زلالا
ليس لى كسوة أخاف عليها * من مغير ولا ترى لى مالا
أجعل الساعد اليمين وسادى * ثم أثنى اذا انقلبت الشمالا
ليس لى والد ولا مولود * لا ولا حزت مذ عقلت عيالا
قد تلذذت حقبة بامور * فتأملتها فكانت خيالا

ومثل قول أبى محمد عبد الله بن العسال الطليطلى

انظر الدنيا فان أبصرتها شيئا يدوم
فاغد منها فى أمان * ان يساعدك النعيم
واذا أبصرتها منك على كره تهيم
فاسل عنها واطرحها * وارتحل حيث تقيم

وهل نشأ عندكم من النساء مثل ولادة المروانية التى تقول مداعبة للوزير ابن زيدون وكان له غلام اسمه على

ما لابن زيدون على فضله * يغتابنى ظلما ولا ذنب لى
ينظر فى شزرا اذا جئته * كأنما جئت لأخصى على

ومثل

ومثل زينب بنت زياد المؤدب الوادي آشية التي تقول

ولما أبى الواشون الا فراقنا * ومالهم عندي وعندك من ثار
وشنوا على اسماعنا كل غارة * وقل حماتي عند ذاك وانصاري
غزوتهم من مقلتيك وأدمعي * ومن نفسي بالسيف والماء والنار

وأنا أختم هذه القطع المقتضبة بقول أبي بكر بن بقي ليكون الختام مسكا

عاطيته والليل يسحب ذيله * صهباء كالمسك الفتيق لناشق
وضممته ضم الكمي لسيفه * وذؤابتاه حمائل في عاتقي
حتى اذا مالت به سنة الكرى * زحزحته شيئا وكان معانقي
باعدته عن أضلع تشتاقه * كيلا ينام على وساد خافق

وبقول القاضي أبي حفص بن عمر القرطبي

هم نظروا لواحظها فهاموا * وتشرب لب شاربها المدام
يخاف الناس مقلتها سواها * أيذعر قلب حامله الحسام
سما طرفي اليها وهو باك * وتحت الشمس ينسكب الغمام
وأذكر قدها فانوح وجدا * على الاغصان تنتدب الحمام
وأعقب بينها في الصدر غما * اذا غربت ذكاء أتى الظلام

وبقوله أيضا

لها ردف تعلق في لطيف * وذاك الردف لي ولها ظلوم
يعذبني اذا فكرت فيه * ويتعبها اذا رامت تقوم

وقد أطلت عنان النظم على اني اكتفيت عن الاستدلال على النهار بالصباح فبالله الا ما أخبرتني من شاعركم الذي تقابلون به شاعرا ممن ذكرت لا أعرف لكم أشهر ذكرا وأضخم شعرا من أبي العباس الجراوي وأولى لكم ان تجحدوا فخره وتنسوا ذكره فقد كفا كم ما جرى من الفضيحة عليكم في قوله من قصيدة يمدح بها خليفة

اذا كان املاك الزمان اراقما * فانك فيهم دائم الدهر ثعبان

فما اقبح ما وقع ثعبان وما اضعف ما جاء دائم الدهر ولقد أنشدت احد ظرفاء الاندلس هذا البيت فقال لا ينكر هذا على مثل الجراوي فسبحان من جعل روحه ونسبه وشعره تتناسب في الثقالة وان اردت الافتخار بالفرسان والتفاضل بالشجعان فمن كان قبلنا منهم في مدة المنصور بن ابي عامر ومدة ملوك الطوائف اخبارهم مشهورة وآثارهم مذكورة وكفاك من ابطال عصرنا ما سمعت عن الامير ابي عبد الله بن مردنيش وانه كان يدفع في مواكب النصارى ويشقها يمينا ويسارا منشدا

أكر على الكتيبة لا ابالي * أحتفي كان فيها ام سواها

حتى انه دفع يوما في موكب من النصارى فصرع وقتل وظهر منه ما أعجبت به نفسه فقال لشيخ من خواصه عالم بامور الحرب مشهور بها كيف رأيت فقال له لو رآك السلطان ان زاد فيما لك في بيت المال واعلى مرتبتك امن يكون راس جيش يقدم هذا الاقدام ويتعرض

عدسون الحراني القاضي وكان ذا فهم ومعرفة وتوفي بعد الثلثمائة قصيدة طويلة يذكر فيها مذاهب الحرانيين المعروفين بالصابئة ذكر فيها هذا البيت وما تحته من السراديب الاربعة المتخذة لانواع صور الاصنام التي جعلت مثالا للاجسام السماوية وما ارتفع من ذلك من الاشخاص العلوية وأسرار هذه الاصنام وكيفية ايرادهم لاطفالهم الى هذه السراديب وعرضهم لهم على هذه الاصنام وما يحدث ذلك في ألوان صبيانهم من الاستحالة الى الصفرة وغيرها لما يسمعون ظهور أنواع الاصوات وفنون اللغات في تلك الاصوات من الاصنام والاشخاص بحيل قد اتخذت ومنافيخ قد عملت تقف السدنة من ورائها فتكلم بانواع من الكلام فتجري الاصوات في تلك المنافيخ والمخاريق والمنافذ الى تلك الصور المجوفة والاصنام المشخصة فيظهر منها نطق على حسب ما قد عمل في قديم الزمان فيصطادون بها العقول وتسترق بها الرقاب ويقام بها الملك والممالك

بهلاك نفسه الى هلاكهم فقال له دعني فاني لا أموت مرتين واذا مت انا فلا عاش من بعدي
والقائد ابو عبد الله بن قادوس الذي اشتهر من شجاعته ومواقعه في النصارى وحسن بلائه
ما صير النصارى من رعبه والاقرار بفضله في هذا الشان أن يقول احدهم لفرسه اذا سقاه فلم
يقبل على الماء مالك ارايت ابن قادوس في الماء وهذه مرتبة عظيمة * والفضل ما شهدت به
الاعداء * ولقد اخبرني من اثق به انه خرج من عسكر في كتيبة مجردة برسم الغارة على بلاد
النصارى فوقع في جمع كبير منهم فجهد جهده في الخلاص منهم والرجوع الى العسكر فجعل
يقاتل مع اصحابه في حالة الفرار الى ان كبا باحد جنده فرسه وفرعنه فناداه مستغيثا فقال
اصبر ثم نظر الى فارس من النصارى قد طرف فقال اجر الى هذا النصراني نخذ فرسه
وركض نحوه فاسقطه وقال لصاحبه اركب فركب ونجا معه سالما وامثال هذا كثير وانما
جئت بحصاة من ثبير واما كرم النفس وشمائل الرياسة فانا احكي لك حكاية تتعجب منها
وهي مما جرى في عصرنا وذلك ان ابا بكر بن زهر نشات بينه وبين الحافظ ابي بكر بن الجد
عداوة مفرطة للاشتراك في العلم والرياسة وكثرة المال والبلدية فاجرى ابن زهر يوما ذكره
في جماعة من اصحابه وقال لقد آذانا هذا الرجل أشد اذية ولم يقصر في القول عند امير
المؤمنين وعند خواص الناس وعوامهم فقال له احد عوامهم اني اذكرك عليه عقدا فيه
مخاصمة في موضع مما يعز عليه من مواضعه ومتى خاصمته في ذلك بلغت منه في النكاية
اشد مبلغ فخرج ابن زهر واظهر الغضب الشديد والانكار لذلك وقال لوكيله امثلي يجازي
على العداوة بما يجازي به السفل والاوباش واني اجعل ابن الجد في حل من موضع الخصام
وامر بان يحمل له العقد ثم قال واني والله ما اروم بذلك اصالحه فان عداوته شديدة من حسد
وانا أسال الله تعالى ان يديمها لانها مقترنة بدوام نعم الله علي * وان تعرضت الى ذكر البلاد
وتفسير محاسنها وما خصها الله تعالى به مما حرمه على غيرها فاسمع ما يميت الحسود كمدا * أما
اشبيلية فمن محاسنها اعتدال الهواء وحسن المباني وتزيين الخارج والداخل وتمكن التمصر
حتى ان العامة تقول لو طلب لبن الطير في اشبيلية وجد ونهرها الاعظم الذي يصعد المد فيه
اثنين وسبعين ميلا ثم يحسر وفيه يقول ابن سفر

شق النسيم عليه جيب قميصه * فانساب من شطيه يطلب ثاره
فتضاحكت ورق الحمام بدوحها * هزأ فضم من الحياء ازاره

وزيادته على الانهار كون ضفتيه مطرزتين بالمنازه والبساتين والكروم والانسام متصل ذلك
اتصالا لا يوجد على غيره واخبرني شخص من الاكياس دخل مصر وقد سالته عن نيلها انه
لا تتصل بشطيه البساتين والمنازه اتصالها بنهر اشبيلية وكذلك اخبرني شخص آخر دخل
بغداد وقد سمد هذا الوادي بكونه لا يخلو من مسرة وان جميع ادوات الطرب وشرب الخمر
فيه غير منكر لا ناه عن ذلك ولا منتقد ما لم يؤد السكر الى شرور عربدة وقد رام من وليها من الولاة
المظهرين للدين قطع ذلك فلم يستطيعوا ازالته واهله اخف الناس ارواحا واطبعهم نوادر
واحملهم لمزاح باقبح ما يكون من السب قد مرنوا على ذلك فصار لهم ديدنا حتى صار عندهم من
لا يتبذل فيه ولا يتلاعن ممقوتا ثقيلا وقد سمعت عن شرف اشبيلية الذي ذكره احد الوشاحين

مضافون لخواص حكمائهم
اضافة سبب لا اضافة حكمة
لانهم يونانية وليس كل
اليونانيين فلاسفة انما
الفلاسفة حكماؤهم
(ورأيت) على باب مجمع
الصابئة بمدينة حران مكتوبا
بالسريانية قولا لافلاطون
فسره مالك بن عقنون منهم
وهو من عرف ذاته تأله
وقد قال أفلاطون
الانسان نبات سماوي
والدليل على هذا أنه شبيه
شجرة منكوسة أصلها
الى السماء وفروعها
في الارض ولافلاطون
كلام كثير في هل النفس
في البدن أو البدن في النفس
كالشمس أهي في الدار
أو الدار في الشمس وهذا
قول تغلغل بنا الكلام
فيه كالكلام في تنقل
الارواح في انواع الصور
(وقد تنازع) أهل هذه
الآراء ممن قصد هذه
المقالة في النقلة على وجهين
وطائفة من الفلاسفة
القدماء اليونانيين والهند
ممن لم يثبت كلاما منزلا ولا
نبيا مرسلا منهم افلاطون
ومن يمم طريقهم فانه حكي
عنهم أنهم زعموا أن النفس
جوهر ليست بجسم وانها
حية عالمة مميزة لاجل ذاتها
وجوهرها وانها هي المدبرة للاجسام المركبة من طبائع الارض المتضادة وغرضها في ذلك أن تقيمها

في موشحة مدح بها المعتضد بن عباد اشبيلنا عروسا وبعلها عباد وتاجها الشرف ومسلكها الواد اى شرف قد حاز ماشاء من الشرف اذ عم اقطار الارض خيره وسفر ما يعصر من زيتونه من الزيت حتى بلغ الاسكندرية وتزيد قراه على غيرها من القرى بانتخاب مبانيها وتهمم سكانها فيها داخلا وخارجا اذ هى من تبييضهم لها نجوم فى سماء الزيتون وقيل لاحد من رأى مصر والشام ايهما رأيت أحسن هذا أم اشبيلية فقال بعد تفضيل اشبيلية وشرفها غابة بلا أسد ونهرها نيل بلا تمساح وقد سمعت عن جبال الرحمة بخارجها وكثرة ما فيهما من التين القوطى والشعرى وهذان الصنفان أجمع المتجولون فى أقطار الارض أن ليس فى غير اشبيلية مثل لهما وقد سمعت ما فى هذا البلد من أصناف ادوات الطرب كالخيال والكريج والعود والروطة والرباب والقانون والمؤنس والكثيرة والفنار والزلامى والشقرة والنورة وهما مزماران الواحد غليظ الصوت والآخر رقيقه والبوق وان كان جميع هذا موجودا فى غيرها من بلاد الاندلس فانه فيها أكثر وأوجد وليس فى بر العدوة من هذا شئ الا ما جلب اليه من الاندلس وحسبهم الدف واقوال والبرا وأبو قرون ودبدبة السودان وحماقى البرابر وأما جواريها ومراكبها برا وبحرا ومطابخها وفواكهها الخضراء واليابسة فاصناف اخذت من التفضيل باوفر نصيب واما مبانيها فقد سمعت عن اتقانها واهتمام اصحابها بها وكون اكثر ديارها لا تخلو من الماء الجارى والاشجار المتكاثفة كالنارنج والليم والليمون والزنبوع وغير ذلك واما علماؤها فى كل صنف رفيع اووضيع جدا اوهزلا فاكثر من أن يعدوا واشهر من ان يذكروا واما ما فيها من الشعراء والوشاحين والزجالين فلو قسموا على بر العدوة ضاق بهم والكل ينالون خير رؤسائها ورفدهم ومامن جميع ما ذكرت فى هذه البلدة الشريفة الا وقصدى به العبارة عن فضائل جميع الاندلس فلا تخلو بلادها من ذلك ولكن جعلت اشبيلية بل الله حملها ام قراها ومركز فخرها وعلاها اذ هى اكبر مدنها واعظم امصارها

*واما قرطبة فكرسى المملكة فى القديم ومركز العلم ومنار التقى ومحل التعظيم والتقديم بها استقرت ملوك الفتح وعظماؤه ثم الملوك المروانية وبها كان يحيى بن يحيى راوية مالك وعبد الملك بن حبيب وقد سمعت من تعظيم أهلها الشريعة ومنافستهم فى السودد بعلمها وملوكها كانوا يتواضعون لعلمائها ويرفعون أقدارهم ويصدرون عن آرائهم وانهم كانوا لا يقدمون وزيرا ولا مشاورا ما لم يكن عالما حتى ان الحكم المستنصر لما كره له العلماء شرب الخمر هم بقطع شجرة العنب من الاندلس فقيل له فانها تعصر فى سواها فامسك عن ذلك وانهم كانوا لا يقدمون أحدا للفتوى ولا لقبول الشهادة حتى يطول اختباره وتعقد له مجالس المذاكرة ويكون ذا مال فى غالب الحال خوفا من أن يميل به الفقر الى الطمع فيما فى أيدى الناس فيبيع به حقوق الدين ولقد أخبرت أن الحكم الربضى أراد تقديم شخص من الفقهاء يختص به للشهادة فاخذ فى ذلك مع يحيى بن يحيى وعبد الملك وغيرهما من اعلام العلماء فقالوا له هو أهل ولكنه شديد الفقر ومن يكون فى هذه الحالة لا تؤمنه على حقوق المسلمين لاسيما وأنت تريد انتفاعه وظهوره فى الدخول فى المواريث والوصايا وأشباه ذلك فسكت ولم يرد منازعتهم وبقى مهموما من كونهم لم يقبلوا قوله فنظر اليه ولده عبد الرحمن الذى ولى الملك بعده وعلى

من الحركة المضطربة الى المنتظمة (وزعموا) أنها تلذ وتألم وتموت وموتها عندهم انتقالها من جسد الى جسد بتدبير وبطلان ذلك الشخص الذى فسد ووصف بالموت لان شخصها يفسد ولا أن جوهرها ينتقل (وزعموا) أنها عالمة بذاتها وجوهرها وفيها قبول علم المحسوسات من جهة الحس ولافلاطون وغيره فى هذه المعانى كلام يطول ذكره ويعجز عن وصفه واظهاره لاعتياصه وغموضه وكذلك صاحب المنطق وفيثاغورس وغيرهما من الفلاسفة ممن تقدم وتاخر لان الطالب لعلم هذه الاشياء والاحاطة بفهمها وبلوغ غايتها لا يدرك ذلك لما نصبوا من الكتب ورتبوا من التصنيف للعلوم المؤدية الى معرفة الالفاظ الخمس وهى الجنس والفصل والنوع والخاصة والعرض ثم معرفة المقولات وهى عشرة الجوهر والكمية والكيفية والاضافة وهى النسبة وهذه أربع بسائط والست الاخر مركبات وهى الزمان والمكان والجدة وهى الملك والوضع والفاعل والمنفعل ثم بعد ذلك مما يترقى فيه الطالب الى ان ينتهى الى علم ما بعد الطبيعة من معرفة الاول والثانى (ثم

وجهه اثر ذلك فقال مابالك يامولاي فقال ألا ترى لهؤلاء الذين نقدمهم وننوه عند الناس بمكانهم حتى اذا كلفناهم ماليس عليهم فيه شطط بل لا يعيبهم ولا هو عار زوهم صدوا عنه وغلقوا ابواب الشفاعة وذكر له ما كان منهم فقال يامولاي أنت أولى الناس بالانصاف ان هؤلاء ماقدمتهم أنت ولا نوهت بهم وانما قدمهم ونوه بهم علمهم أو كنت تأخذ قوما جهالا فتضعهم في مواضعهم قال لا قال فأنصفهم فيما تعبوا فيه من العلم لينالوا به لذة الدنيا وراحة الآخرة قال صدقت ثم قال وأما كونهم لم يقبلوا هذا الرجل لشدة فقره فالعلة في ذلك تخصم بما يبقى لك في الصالحات ذكرا قال وما هو قال تعطيه من مالك قدر ما يلحق به من الغنى ما يؤهله لتلك المنزلة وتزيل عنك خجل رده مما لك وتكون هذه مكرمة ما سبقك اليها أحد فتهلل وجه الحكم وقال الى الى انها والله شنشنة عبشمية وان الذي قال فينا الصادق

وأبناء أملاك خضارم سادة * صغيرهم عند الانام كبير

ثم استدعى عبد الملك بن حبيب وساله عن قدر ما يؤهله لتلك المرتبة من الغنى فذكر له عددا فامر له به في الحين ونبه قدره بان أعطاه من اصطبله مركوبا وكانت هذه أكرومة لاخفاء بعظمها * يفنى الزمان وما بنته مخلد * ثم انه اذا كان له من الغنى ما يكفيه عن اموال الناس ومن الدين ما يصده عن محارم الله تعالى ومن العلم ما لا يجهل به التصرف في الشريعة أباحوا له الفتوى والشهادة وجعلوا علامة لذلك بين الناس القلانس والرداء وأهل قرطبة أشد الناس محافظة على العمل باصح الاقوال المالكية حتى انهم كانوا لا يولون حاكما الا بشرط أن لا يعدل في الحكم عن مذهب ابن القاسم وقال ابن سارة لما دخل قرطبة الحمد لله قد وافيت قرطبة دار العلوم وكرسي السلاطين وهي كانت مجمع جيوش الاسلام ومنها نصر الله على عبدة الصليب يقال ان المنصور بن أبي عامر حين تم له ملك البرين وتوفرت الجيوش والاموال عرض بظاهر قرطبة خيله ورجله وقد جمع من أقطار البلاد ما ينهض به الى قتال العدو وتدويخ بلاده فنيف الفرسان على مائتي ألف والرجالة على ستمائة ألف وبها حتى الآن من صناديد المسلمين وقوادهم ممن لا يفتر عن محاربة ولا يمل من مضاربة من أسماؤهم باقاصي بلاد النصارى مشهورة وآثارهم فيها مأثورة وقلوبهم على البعد بخوفهم معمورة ويحكى أن العمارة في مباني قرطبة والزاهرة والزهراء اتصلت الى أن كان يمشي فيها بضوء السرج المتصلة عشرة أميال وأما جامعها الاعظم فقد سمعت أن ثرياته من نواقيس النصارى وأن الزيادة التي زاد في بنائه ابن أبي عامر من تراب نقله النصارى على رؤسهم مما هدم من كنائس بلادهم وقد سمعت أيضا عن قنطرتها العظمى وكثرة أرحي واديها يقال انها تنيف على خمسة آلاف حجر وعن كنبانيتها وما فضل الله تعالى به تربها من بركة ما ينبت فيه من القمح وطيبه وفيها جبال الورد الذي بلغ الربع منه مرات الى ربع درهم وصار أصحابه يرون الفضل لمن قطف بيده ما يحتاجونه منه ونهرها ان صغر عندها عن عظمه عند اشبيلية فان لتقارب بريه هنالك وتقمع غدره ومروجه معنى آخر وحلاوة أخرى وزيادة انس وكثرة أمان من الغرق وفي جوانبه من البساتين والمروج ما زاده نضارة وبهجة * وأما جيان فانها بلاد الاندلس قلعة اذ هي أكثرها زرعا وأصرمها أبطالا وأعظمها منعة وكم

رجع) بنا الاخبار عن أحوالهم (فمن ذلك) كتاب رأيته لابي بكر محمد بن زكريا الرازي والفيلسوف صاحب كتاب المنصوري في الطب وغيره ذكر فيه مذاهب الصابئة الحرانيين منهم دون من خالفهم من الصابئة وهم الكنياريون وذكر أشياء يطول ذكرها ويقبح عند كثير من الناس وصفها أعرضنا عن حكايتها اذ كان في ذلك خروج عن حد الغرض في كتابنا الى وصف الآراء والديانات وقد خاطب مالك بن عقنون وغيره منهم بشيء مما ذكرنا وغيره مما عنه كتبنا فمنهم من اعترف ببعضه وأنكر بعضا من ذكر القرابين وغيره مثل فعلهم بالثور الاسود فانه يضرب وجهه بالملح اذا سدت عيناه ثم يذبح ويدعى كل عضو من أعضائه وما يظهر منه من الحركات والاختلاج على ما يدل ذلك من أحوال السنة وغير ذلك من أسرارهم ومحالاتهم وأحوال قرابينهم (قال المسعودي) وقد ذكر جماعة ممن له تأمل بشأن أمور هذا العالم والبحث عن الاخبار بان باقاصي بلاد الصين هيكلا مدور له سبعة أبواب في داخله قبة مسبعة عظيمة الشأن عالية السمك في أعلى القبة شبه الجوهر

رامتها

رامتها عساكر النصارى عند فترات الفتن فرأوها أبعد من العيوق وأعز منالا من بيض الانوق ولا خلت من علماء ولا من شعراء ويقال لها جبان الحرير لكثرة اعتناء باديتها وحاضرتها بدود الحرير ومما يعد في مفاخرها أنها بياسة احدى بلاد أعمالها من الزعفران الذى يسفر برا وبحرا وما في أبدة من الكروم التي كاد العنب لا يباع فيها ولا يشترى كثرة وما كان بأبدة من أصناف الملاهى والرواقص المشهورات بحسن الانطباع والصنعة فانهن أحذق خلق الله تعالى باللعب بالسيوف والدك واخراج القرى والمرابط والمتوجه * وأما غرناطة فانها دمشق بلاد الاندلس ومسرح الابصار ومطمح الانفس لها القصبة المنيعة ذات الاسوار الشامخة والمبانى الرفيعة وقد اختصت بكون النهر يتوزع على ديارها وأسواقها وحماماتها وأرحائها الداخلة والخارجة وبساتينها وزانها الله تعالى بان جعلها مرتبة على بسيطها الممتد الذى تفرغت فيه سبائك الانهار بين زبرجد الاشجار ولنسيم نجدها وبهجة منظرحورها فى القلوب والابصار استلطاف يروق الطباع ويحدث فيها ما شاءه الاحسان من الاختراع والابتداع ولم تخل من أشراف أماثل وعلماء أكابر وشعراء أفاضل ولو لم يكن لها الا ما خصها الله تعالى به من كونها قد نبغ فيها من الشواعر مثل نزهون القلاعية وزينب بنت زياد وقد تقدم شعرهما وحفصة بنت الحاج وناهيك فى الظرف والادب وهل ترى أظرف منها فى جوابها للعسيب الرزير الناظم الناثر أبى جعفر ابن القائد الاجل أبى مروان بن سعيد وذلك انهما باتا بحور مؤمل على ما يبيت به الروض والنسيم من طيب النفحة ونضارة النعيم فلما حان الانفصال قال أبو جعفر

رعى الله ليلا لم يرح بمذمم * عشية وارانا بحور مؤمل
وقد خفقت من نحو نجد أريجة * اذا نفحت هبت بريا القرنفل
وغرد قمرى على الدوح وانثنى * قضيب من الريحان من فوق جدول
ترى الروض مسرورا بما قد بدا له * عناق وضم وارتشاف مقبل

وكتبه اليها بعد الافتراق لتجاوبه على عادتها فى ذلك فكتبت له ما لا يخفى فيه قوتها

لعمرك ما سر الرياض بوصلنا * ولكنه أبدى لنا الغل والحسد
ولا صفق النهر ارتياحا لقربنا * ولا صدح القمرى الا لما وجد
فلا تحسن الظن الذى أنت أهله * فما هو فى كل المواطن بالرشد
فما خلت هذا الافق أبدى نجومه * لامر سوى كيما تكون لنا رصد

وأما مالقة فانها قد جمعت بين منظر البحر والبر بالكروم المتصلة التى لا تكاد ترى فيها فرجة لموضع غامر والبروج التى شابهت نجوم السماء كثرة عدد وبهجة ضياء وتخلل الوادى الزائر لها فى فصلى الشتاء والربيع فى سرر بطحائها وتوشيحه لخصور أرجائها ومما اختصت به من بين سائر البلاد التين الربى المنسوب اليها لان اسمها فى القديم ربه ولقد أخبرت انه يباع فى بغداد على جهة الاستطراف وأما ما يسفر منه المسلمون والنصارى فى المراكب البحرية فاكثر من أن يعبر عنه بما يحصره ولقد اجتزت بها مرة وأخذت على طريق الساحل من سهيل الى أن بلغت الى بليش قدر ثلاثة أيام متعجبا فيما حوته هذه

يزيد على رأس الجبل تضيء منه جميع أقطار ذلك الهيكل وان جماعة من الملوك حاولوا أخذ تلك الجوهرة ثم لم يدن أحد منها على مقدار عشرة أذرع شيئا وان حاول أحد منهم أخذ هذه الجوهرة بشئ من الآلات الطوال كالرماح وغيرها وانتهت الى هذا المقدار من الذرع انعكست وعطلت وان رميت بشئ كان كذلك فليس شئ من الحيل يؤدى الى تناولها ولا يسبب وان تعرض لشئ من هدم هذا الهيكل مات من يروم ذلك من أهل الخبرة لقوة دافعة منفردة قد عملت فى أنواع الاحجار المغناطيسية وفى هذا الهيكل بئر مربعة الرأس متى أكب الانسان على رأس البئر آكبا مستمكنا تهور فى البئر فصار فى أسفلها على أم رأسه وعلى رأس هذه البئر شبه الطوق مكتوب عليه بقلم قديم أراه بقلم السند هند هذه بئر تؤدى الى مخزن الكتب وتاريخ الدنيا وعلوم السماء وما كان فيما مضى من الدهر وما يكون فيما يأتى منه وتؤدى هذه البئر أيضا الى خزائن رغائب هذا العالم لا يصل الى الوصول اليها والاقتباس منها الا من وازت قدرته قدرتنا واتصل علمه بعلمنا وساوت حكمته حكمتنا فمن قدر على الوصول الى هذا المخزن فليعلم أنه قد وازانا ومن عجز عن الوصول الى ما وصفنا

المسافة من شجر التين وان بعضه والعجني جميعها الطفل الصغير من لزوقها بالارض وقد حوت ماينعب الجماعة كثرة وتين بلش هو الذى قيل فيه لبربرى كيف رأيته قال لاتسألني عنه وصب فى حلقي بالقفة وهو لعمر الله معذور لانه نعمة حرمت بلاده منها وقد خصت بطيب الشراب الحلال والحرام حتى سار المثل بالشراب المالقي وقيل لاحد الخلفاء وقد أشرف على الموت اسال ربك المغفرة فرفع يديه وقال يارب أسالك من جميع ما فى الجنة خمر مالقة وزبيب اشبيلية وفيها تنسج الحلل الموشية التى تجاوز اثمانها الآلاف ذات الصور العجيبة المنتخبة برسم الخلفاء فمن دونهم وساحلها محط تجارة لمراكب المسلمين والنصارى * وأما المرية فانها البلد المشهور الذكر العظيم القدر الذى خص أهله باعتدال المزاج ورونق الديباج ورقة البشرة وحسن الوجوه والاخلاق وكرم المعاشرة والصحبة وساحلها أنظف السواحل وأشرحها وأملحها منظرا وفيها الحصا الملون العجيب الذى يجعله رؤساء مراكش فى البراريد والرخام الصقيل الملوكى وواديها المعروف بوادى بجانة من أفرج الاودية ضفتاه بالرياض كالعذار بن حول الثغر فحق أن ينشد فيها

أرض وطئت الدر رضراضها * والترب مسكا والرياض جنانا

وفيها كان ابن ميمون القائد الذى قهر النصارى فى البحر وقطع سفرهم فيه وضرب على بلاد الرمانية فقتل وسبى وملأ صدور أهلها رعبا حتى كان منه كما قال أشجع

فاذا تنبه رعته واذا غفا * سلت عليه سيوفك الاحلام

وبها كان محط مراكب النصارى ومجتمع ديوانهم ومنها كانت تسفر لسائر البلاد بضائعهم ومنها كانوا يوسقون جميع البضائع التى تصلح لهم وقصد بضبط ذلك بها حصر ما يجتمع فى أعشارهم ولم يوجد لهذا الشان مثلها لكونها متوسطة ومتسعة قائمة بالوارد والصادر وهى أيضا مصنع للحلل الموشية النفيسة وأما مرسية فانها حاضرة شرق الاندلس ولاهلها من الصرامة والاباء ماهو معروف مشهور وواديها قسيم وادى اشبيلية كلاهما ينبع من شقورة وعليه من البساتين المتهدلة الاغصان والنواعير المطربة الالحان والاطيار المغردة والازهار المتنضدة ماقد سمعت وهى من أكثر البلاد فواكه وريحانا وأهلها أكثر الناس راحات وفرجا لكون خارجها معينا على ذلك بحسن منظره وهى بلدة تجهز منها العروس التى تنتخب شورتها لاتفتقر فى شئ من ذلك الى سواها وهى للمرية ومالقة فى صنعة الوشى ثالثة وقد اختصت بالبسط التنتلية التى تسفر لبلاد المشرق وبالحصر التى تغلف بها الحيطان المبهجة للبصر الى غير ذلك مما يطول ذكره ولم تخل من علماء وشعراء وأبطال * وأما بلنسية فانها لكثرة بساتينها تعرف بطيب الاندلس ورصافتها من أحسن متفرجات الارض وفيها البحيرة المشهورة الكثيرة الضوء والرونق ويقال انه لمواجهة الشمس لتلك البحيرة يكثر ضوء بلنسية اذهى موصوفة بذلك ومما خصت به النسيج البلنسى الذى يسفر لاقطار المغرب ولم تخل من علماء ولاشعراء ولافرسان يكابدون مضايقة الاعداء ويتجرعون فيها النعماء ممزوجة بالضراء وأهلها أصلح الناس مذهبا وأمتنهم دينا وأحسنهم صحبة وأرفقهم بالغريب * وأما جزيرة ميورقة فمن أخصب بلاد الله تعالى أرجاء وأكثرها زرعا وزرعا

فيعلم انا اشد منه باسا

واقوى حكمة واكثر علما وابعث دراية واتم عناية والارض التى عليها هذا الهيكل والقبة وفيها البئر أرض حجرية صلبة عالية من الارض كالجبل الشامخ لاترام قلعته ولايتاتى نقب ماهو تحته فاذا أدرك البصر ذلك الهيكل والقبة والبئر وقع للرائى عند رؤيته ذلك جزع وحزن واجتذاب للقلب اليه وحريق على بنيته وتاسف على افساد شئ منه أوهدمه والله أعلم بذلك

(ذكر الاخبار عن بيوت النيران وغيرها)

فامابيوت النيران ومن رسمها من ملوك الفرس الاولى والثانية فاول ما يحكى ذلك عنه افريدون الملك وذلك انه وجد نارا يعظمها أهلها وهم معتكفون على عبادتها فسالهم عن خبرها ووجه الحكمة منهم فى عبادتها فاخبروه أنها واسطة بين الله وبين خلقه وانها من جنس الالهة النورية واشياء ذكروها اعرضنا عن ذكرها لاتساعها وذلك انهم جعلوا للنور مراتب وفرقوا بين طبع النار والنور وان الحيوان يجتذب فيحرق نفسه كالفراش الطائر فا لطف يطرح نفسه فى السراج فيحرقها وغير ذلك مما يقع فى صيد الليالى من الغزلان والطير والوحوش وظهور الحيتان من الماء اذا قربت من السراج

وماشية

وماشية وهي على انقطاعها من البلاد مستغنية عنها يصل فاضل خيرها الى غيرها اذ فيها من الحضارة والتمكن والتمصر وعظم البادية ما يغنيها وفيها من الفوائد ما فيها ولها فضلاء وأبطال اقتصروا على حمايتها من الاعداء المحدقة بها

من كل من جعل الحسام خليله * لا يبتغي أبدا سواه معينا

هذا ان الله تعالى فضلك بالانصاف وشرف كرمك بالاعتراف ما حضرني الآن في فضل جزيرة الاندلس ولم أذكر من بلادها الا ما كل بلد منها مملكة مستقلة يليها ملوك بني عبد المؤمن على انفراد وغيرها في حكم التبع * وأما علماؤها وشعراؤها فاني لم أعرض منهم الا لمن هو في الشهرة كالاصباح وفي مسير الذكر كمسير الرياح وأنا أحكي لك حكاية جرت لي في مجلس الرئيس الفقيه أبي بكر بن زهر وذلك اني كنت يوما بين يديه فدخل علينا رجل عجمي من فضلاء خراسان وكان ابن زهر يكرمه فقلت له ما تقول في علماء الاندلس وكتابهم وشعرائهم فقال كبرت فلم أفهم مقصده واستبردت ما أتى به وفهم مني أبو بكر بن زهر أني نظرته نظر المستبرد المنكر فقال لي أقرأت شعر المتنبي قلت نعم وحفظت جميعه قال فعلى نفسك اذن فلتنكر وخاطرك بقلة الفهم فلتتهم فذكرني بقول المتنبي

كبرت حول ديارهم لما بدت * منها الشموس وليس فيها المشرق

فاعتذرت للخراساني وقلت له قد والله كبرت في عيني بقدر ما صغرت نفسي عندي حين لم أفهم نبل مقصدك فالحمد لله الذي أطلع من المغرب هذه الشموس وجعلها بين جميع أهله بمنزلة الرؤس وصلى الله على سيدنا محمد نبيه المختار من صفوة العرب وعلى آله وصحبه صلاة متصلة الى غابر الحقب كملت رسالة الشقندي وهو أبو الوليد اسمعيل بن محمد وشقندة المنسوب اليها قرية مطلة على نهر قرطبة مجاورة لها من جهة الجنوب قال ابن سعيد وهو ممن كان بينه وبين والدي صحبة أكيدة ومجالسات انس عديدة ومزاورات تصل ومحاورات لا تكاد تنفصل وانتفعت بمجالسته وله رسالة في تفضيل الاندلس يعارض بها أبا يحيى في تفضيل بر العدوة أورد فيها من المحاسن ما يشهد له بلطافة المنزع وعذوبة المشرع وكان جامعا للفنون من العلوم الحديثة والقديمة وعني بمجلس المنصور فكانت له فيه مشاهد غير ذميمة وولي قضاء بياسة وقضاء لورقة ولم يزل محفوظ الجانب محمود المذاهب سمعته ينشد والدي قصيدة في المنصور وقد نهض للقاء العدو منها

اذا نهضت فان السيف منتهض * ترمى السعود سهاما والعدا غرض

لك البسيطة تطويها وتنشرها * فليس في كل ما تنويه معترض

قال وسمعته يقول له أنشدت الوزير أبا سعيد بن جامع قصيدة أولها

استوقف الركب قد لاحت لك الدار * واسأل بربع تناءت عنه أقمار

لا خفف الله عني بعد بينهم * فانني سرت والاحباب ما ساروا

ومنها

ألا رعى الله ظبيا في قبابهم * منه لهم في ظلام الليل انوار

وله

في الزوارق كما يصطاد ببلاد البصرة السمك في الليل يظ
سع في جوف المركب والسرج قد جعلت حواليه وان بالنور صلاح هذا العالم وشرف النور على الظلمة ومضادتها لها ومرتبة الماء وزيادته على النار باطفائه ومضادته لها وانه أصل لكل شئ ومبدأ لكل شئ ومبدأ الكل تمام فلما أخبر أفريدون بما ذكرنا أمر بحمل جزء منها الى خراسان فاتخذ لها بيتا بطوس وبني آخر من بيوت النار بسجستان كراكركان اتخذه بهمن بن اسفنديار باذ ابن يستاسف وبيت آخر ببلاد السيروان والري وكان فيه أصنام فاخرجها أنوشروان وقيل ان أنوشروان صادف هذا البيت وفيه نار معظمة فنقلها الى الموضع المعروف بالبركة وبيت آخر للنار يقال له كوسجه بناه كيخره الملك وقد كان بقومس بيت للنار معظم لا يدري من بناه يقال له جريس ويقال ان الاسكندر لما غلب عليها تركها ولم يطفئها ويقال انه كان في ذلك الموضع فيما مضى مدينة عظيمة عجيبة البناء فيها بيت كبير عجيب الهيئة فيه أصنام فاخربت تلك المدينة بما فيها من البيوت
ثم بنى بعد ذلك بيت وجعلت فيه تلك النار وبيت آخر بناه فارس بن كاوش الجبار وذلك زمان ابشه بشرق

علاني بذكره همت فيه * وعداني عنه ما ارتجيه
واذا ما طربت بما لارتياحي * فاجعلا خمرتي مدامة فيه
ليت شعري وكم أطيل الاماني * أي يوم في خلوة التقيه
واذا ما ظفرت يوما بشكوى * قال لي أين كل ما تدعيه
لا دموع ولا سقام فماذا * شاهد عنك بالذي تدعيه
قلت دعني أمت بدائي فاني * لو براني الغرام لا أبديه

وقال في عواده لما مرض

اني مرضت مرضة * اسقطت منها في يدي
فكان في الاخوان من * لم أره في العود
فقلت في كلهم * قول امرئ مقتصد
أيا الذي قد عادني * في است الذي لم يعد

مات باشبيلية سنة ٦٢٩ انتهى * وقال ابن سعيد أنشدني والدي للحافظ أبي الطاهر السلفي قال وكفى به شاهدا ويقوله مفتخرا

بلاد أذربيجان في الشرق عندنا * كأندلس بالغرب في العلم والادب
فان تكاد الدهر تلقى مميزا * من اهليهما الا وقد جد في الطلب

وحكى غير واحد كابن الابار ان عباس بن ناصح الشاعر لما توجه من قرطبة الى بغداد ولقي أبا نواس قال له أنشدني لابي الاجرب قال فانشدته ثم قال أنشدني لبكر الكناني فانشدته وهذان شاعران من شعراء الأندلس واعلم انا ان تتبعنا كلام الاندلسيين وحكاياتهم الدالة على سبقهم طال بنا الكتاب ولم نستوف المراد فرأينا أن نذكر بعضا من ذلك بحسب ما اقتضاه الحال وأبداه ليكون عنوانا دالا على ما عداه * يكفي من الحلي ما قد حف بالعنق * ولنبدأ ما نسوقه من أخبار الاندلسيين وأشعارهم وحكاياتهم في الجد والهزل والتوليه والعزل بقول الفقيه الزاهد أبي عمران موسى بن عمران المارتلي وكان سكن اشبيلية

لا تبدلن ثوبك ان أبليت جدته * وابك الذي أبلت الايام من بدنك
ولا تكونن مختالا بجدته * فربما كان هذا الثوب من كفنك
ولا تعفه اذا أبصرته دنسا * فانما اكتسب الاوساخ من درنك

وقال أبو عمرو اليعصبي اللوشي

شردا النوم عن جفونك وانظر * حكمة توقظ النفوس النياما
غرام على امرئ لم يشاهد * حكمة الله أن يذوق المناما

وقال أيضا

ليس للمرء اختيار في الذي * يتمنى من حراك وسكون
انما الامر لرب واحد * ان يشأ قال له كن فيكون

وقال أبو وهب القرطبي

تنام وقد أعد لك السهاد * وتوقن بالرحيل وليس زاد

...من أرض فارس اتخذه في آخر ... بهراسف وهذه البيوت الصين عابلى البركة وبيت المشرة كانت قبل ظهور زرادشت بن اسفنجان نبي المجوس ثم اتخذ زرادشت ابن اسفنجان بعد ذلك بيوت النيران وكان مما اتخذ بيت بمدينة نيسابور من بلاد خراسان وبيت آخر بمدينة نسا والبيضاء من أرض فارس وقد كان بستاسف الملك يطلب نارا معظمها جمر فوجدت بمدينة خوارزم فنقلها بعد ذلك بستاسف الى مدينة دارابجرد من ارض فارس وكورها بهذا البيت وهذه النار تسمى في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة اذر وخوا وتفسير ذلك نار النهر وذلك أن آذر أحد أسماء النار بالفارسية الاولى والمجوس تعظم هذه النار ما لا تعظم غيرها من النيران والبيوت (وذكرت) الفرس ان كيخسرو لما خرج غازيا الى الترك سار الى خوارزم فمر على تلك الديار فلما وجدها عظمها وسجد لها ويقال ان أنوشروان هو الذي نقلها الى الكاربان فلما ظهر الاسلام تخوفت المجوس أن تطفئها المسلمون فتركوا بعضها بالكاربان ونقلوا بعضها الى نسا والبيضاء من كورة فارس لتبقى احداهما ان طفئت الاخرى (والفرس) بيت نار باصطخر فارس تعظمه المجوس كان في قديم الزمان فأخرجته جاني بنت بهمن

وتصبح

وتصبح مثل ما تمشى مضيعا * كانك لست تدرى ما المراد
أتطمع أن تفوز غدا هنيا * ولم يك منك فى الدنيا اجتهاد
اذا فرطت فى تقديم زرع * فكيف يكون من عدم حصاد

وقيل ان الابيات السابقة التى أولها أنا فى حالتى الى آخره وجدت فى تركته بخطه فى شقف وبعضهم ينسبها لغيره واسم أبى وهب المذكور عبد الرحمن وذكره ابن بشكوال فى الصلة وأثنى عليه بالزهد والانقطاع وكان فى أول أمره قد حسب عامة الناس انه مختل العقل فجعلوا يؤذونه ويرمونه بالحجارة ويصيحون عليه يا مجنون يا أحمق فيقول

ياعاذلى أنت به جاهل * دعنى به لست بمغبون
أما ترانى أبدا والها * فيه كمسحور ومفتون
أحسن ما أسمع فى حبه * وصفى بمختل ومجنون

وقال الخطيب أبو محمد بن برطلة

بأربعة أرجو نجاتى وانها * لاكرم مذخور لدى واعظم
شهادة اخلاصى وحبى محمدا * وحسن ظنونى ثم أنى مسلم

وقال ابن حبيش

قالوا تصبر عن الدنيا الدنية او * كن عبدها واصطبر للذل واحتمل
لابد من احد الصبرين قلت نعم * الصبر عنها بعون الله اوفق لى

وقال ابن الشيخ

اطلب لنفسك فوزها واصبر لها * نظر الشفيق وخف عليها واتق
من ليس يرحم نفسه ويصدها * عما يهلكها فليس بمشفق

وقال ابو محمد القرطبى

لعمرك ما الدنيا وسرعة سيرها * لسكانها الا طريق مجاز
حقيقتها أن المقام بغيرها * ولكنهم قد أولعوا بمجاز

وقال الشميس

لله فى الدنيا وفى اهلها * معميات قد فككناها
من بشر نحن فمن طبعنا * نحب فيها المال والجاها
دعنى من الناس ومن قولهم * فانما الناس اخلاها
لم تقبل الدنيا على ناسك * الا وبالرحب تلقاها
وانما يعرض عن وصلها * من صرفت عنه محياها

وقال ابو القاسم بن بقى

الا انما الدنيا كراح عتيقة * اراد مديروها بها جلب الانس
فلما اداروها أثارت حقودهم * فعاد الذى راموا من الانس بالعكس

وقال ابو محمد عبد الله بن العسال الطليطلى

انظر الدنيا فان ابصرتها شيأ يدوم

ابن استيذ اباذ وجعلته بيت نار ثم نقلت عنه النار فخرب والناس فى وقتنا هذا يذكرون أنه مسجد سليمان ابن داود وبه يعرف وقد دخلته وهو على فرسخ من مدينة اصطخر فرأيت بنيانا عجيبا وهيكلا عظيما واساطين صخر عجيبة على أعلاها صور من الصخر طريفة ومن الحلى وغيره كالحيوان عظيمة القدر والاشكال محيط بذلك جبل عظيم وسور منيع من الحجر وفيه صور لاشخاص قد تشكلت وأبقيت صورها فزعم من جاور هذا الموضع أنها صور الانبياء وهو فى سفح الجبل والريح غير خارجة من ذلك الهيكل فى ليل ولا نهار لها هبوب ودوى يذكر من هنالك أن سليمان بن داود عليهما السلام حبس الريح فى ذلك الموضع وأنه كان يتغدى ببعلبك من ارض الشام ويتعشى فى هذا المسجد وينزل بمدينة تدمر وقلعتها المتخذة فيها ومدينة تدمر فى البرية بين العراق ودمشق وحمص من أرض الشام يكون منها من الشام نحو خمسة أميال أو ستة وهى بنيان عجيب من الحجر وكذلك الملعب الذى فيها وفيها خلق من الناس من العرب من قحطان وفى مدينة سابور من أرض فارس بيت للنار معظم عندهم اتخذه دارا بن دارا (وفى مدينة جور) من ارض فارس وهو البلد الذى يحمل منه ماء الورد

فاغد منها في امان * ان يساعدك النعيم
واذا ابصرتها منـــك على كره تهيم
فاسل عنها واطرحها * وارتحل حيث تقيم

وقال ابن هشام القرطبي

واني المدامة لا اريد بشربها * صلف الرقيع ولا انهماك اللاهي
لم يبق من عهد الشباب وطيبه * شيء كعهدي لم يحل الاهي
ان كنت أشربها لغير وفائها * فتركها للناس لا لله

وقال ابو محمد بن السيد البطليوسي مما نسبه اليه في المغرب

اخو العلم حي خالد بعد موته * واوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى * يظن من الاحياء وهو عديم

وقال أبو الفضل بن شرف

لعمرك ما حصلت على خطير * من الدنيا ولا أدركت شيا
وها أنا خارج منها سليبا * أقلب نادما كلتا يديا
وأبكي ثم أعلم أن مبكا * ي لا يجدي فأمسح مقلتيا
ولم أجزع لهول الموت لكن * بكيت لقلة الباكي عليا
وان الدهر لم يعلم مكاني * ولا عرفت بنوه مالديا
زمان سوف أنشر فيه نشرا * اذا أنا بالحمام طويت طيا
أسر بانني ساعيش ميتا * به ويسوءني أن مت حيا

وقال الزاهد العارف بالله سيدي أبو العباس بن العريف نفعنا الله تعالى به

سلوا عن الشوق من أهوى فانهم * أدنى الى النفس من وهمي ومن نفسي
فمن رسولي الى قلبي ليسالهم * عن مشكل من سؤال الصب ملتبس
حلوا فؤادي فما يندى ولو وطئوا * صخرا لجاد بماء منه منبجس
وفي الحشا نزلوا والوهم يخرجهم * فكيف قروا على أذكى من القبس
لا نهضن الى حشري بحبهم * لا بارك الله فيمن خانهم ونسي

قلت وقد زرت قبره المعظم بمراكش سنة عشر وألف وهو ممن يتبرك به في تلك الديار ويستسقى به الغيث وهو من أهل المرية وأحضره السلطان الى مراكش فمات بها وله كرامات شهيرة ومقامات كبيرة نفعنا الله تعالى به * واعلم ان أهل الاندلس كانوا في القديم على مذهب الاوزاعي وأهل الشام منذ اول الفتح في دولة الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل وهو ثالث الولاة بالاندلس من الامويين انتقلت الفتوى الى رأي مالك بن أنس وأهل المدينة فانتشر علم مالك ورأيه بقرطبة والاندلس جميعا بل والمغرب وذلك برأي الحكم واختياره واختلفوا في السبب المقتضي لذلك فذهب الجمهور الى أن سببه رحلة علماء الاندلس الى المدينة فلما رجعوا الى الاندلس وصفوا فضل مالك وسعة علمه وجلالة قدره فاعظموه كما قدمناه ذلك وقيل ان الامام مالكا سأل بعض الاندلسيين عن سيرة ملك الاندلس فوصف

عيدوهو احد منتزهات فارس وفي وسط مدينة جور بنيان كانت تعظمه الفرس يقال له البرمال اخربه المسلمون وبين جور ومدينة كوار عشرة فراسخ وبها يعمل ماء الورد الكواري واليها يضاف وهذا الماء الورد المعمول بجور وكوار أطيب ماء ورد يعمل في العالم لصحة البرية وصفاء الهواء وألوان سكان هذه البلاد حمرة في بياض ليست لغيرهم من الامصار ومن كوار الى مدينة شيراز وهي قصبة فارس عشرة فراسخ (وبجور وكوار وشيراز وغيرها) من كور فارس أخبار ولما فيها من البنيان اقاصيص يطول ذكرها قد دونتها الفرس وكذلك ما كان بارض فارس من الموضع المعروف بماء النار وقد بني عليه هيكل وكان كورش الملك حين ولد المسيح عليه السلام بعث ثلاثة انفس دفع الى احدهم صرة من لبان والى آخر صرة من مر والى آخر صرة من تبر وسيرهم يهتدون بنجم وصفه لهم فساروا حتى انتهوا الى السيد المسيح وامه بارض الشام والنصارى تغلو في قصة هؤلاء النفر وهذا الخبر موجود في الانجيل وان هذا الملك كورش نظر الى نجم قد طلع بمولد

له سيرته فاعجبت مالكا لكون سيرة بني العباس في ذلك الوقت لم تكن بمرضية وكابد لما صنع
أبو جعفر المنصور بالعلوية بالمدينة من الحبس والاهانة وغيرهما ماهو مشهور في كتب
التاريخ فقال الامام مالك رضي الله تعالى عنه لذلك المخبر نسأل الله تعالى أن يزين
حرمنا بملككم أو كلاما هذا معناه فنميت المسئلة الى ملك الاندلس مع ماعلم من
جلالة مالك ودينه فحمل الناس على مذهبه وترك مذهب الاوزاعي والله تعالى
أعلم * وحكي أن القاضي الزاهد أبا اسحق ابراهيم بن عبد الله بن أبي يغمور لما ندبه أهل
الامر لولاية القضاء بمدينة فاس استعفى فلم يقبل منه وخرج الى تلك الناحية وخرج الناس
لوداعه فانشد

عليكم سلام الله اني راحل * وعيناي من خوف التفرق تدمع
فان نحن عشنا فهو يجمع بيننا * وان نحن متنا فالقيامة تجمع

وأنشد أصحابه رحمه الله تعالى ولا أدري هل هي له أو لغيره

كنا نعظم بالآمال قدركم * حتى انقضت فتساوى عندنا الناس
لم تفضلونا بشيء غير واحدة * هي الرجاء فسوّى بيننا الياس

وأنشد أيضا

بلوتهم مذ كنت طفلا فلم أجد * كما أشتهي منهم صديقا وصاحبا
فصوّبت رأيي في فراري منهم * وشمرت أذيالي وأمعنت هاربا

وأنشد لغيره في الكتمان

أخفي الغرام فلا جوارحه * شعرت بذاك ولا مفاصله
كالسيف يصحبه الحمام ولم * يعلم بما حملت حمائله

وأنشد

قد كنت أمرض في الشبيبة دائما * والموت ليس يمر لي في البال
والآن شبت وصحتي موجودة * وأرى كأن الموت في أذيالي

ولما أنشده تاج الدين بن حمويه السرخسي الوافد على المغرب من المشرق قول بعضهم

فلا تحقرن عدوّا رماك * وان كان في ساعديه قصر
فان السيوف تحز الرقاب * وتعجز عما تنال الابر

قال حسن جيد ولكن اسمع ما قال شاعرنا القسطلي وأنشد

أثرني لكشف الخطب والخطب مشكل * وكلني لليث الغاب وهو هصور
فقد تخفض الاسماء وهي سواكن * ويعمل في الفعل الصحيح ضمير
وتنبو الردينيات والطول وافر * ويبعد وقع السهم وهو قصير

وكان الوزير الكريم أبو محمد عبد الرحمن بن مالك المعافري أحد وزراء الاندلس كثير الصنائع
جزل المواهب عظيم المكارم على سنن عظماء الملوك وأخلاق السادة لم ير بعده مثله في رجال
الاندلس ذاكرا للفقه والحديث بارعا في الآداب شاعرا مجيدا وكاتبا بليغا كثير الخدم
والاهل ومن آثاره الحسان بحوفي الجامع الاعظم من غرناطة وزاد في سقف الجامع من صحنه

وقد آتينا في كتابنا اخبار
الزمان على شرح هذا الخبر
وماقالت فيه المجوس
والنصارى وخبر الزعفران
التي دفعتها اليهم مريم
وما كان من الرسل وجعل
الخبز تحت الصخرة وغوصها
في الارض وذلك بفارس
وكيف حضر عليها الماء
وأنها وجدت وقد صارت
شعلتي نار على وجه الارض
تتقدان وغير ذلك مما
قيل في هذا الخبر (وقد
كان أردشير) بنى بيتا آخر
يقال له بارنو في الروم
الثاني من غلبة فارس
وبيت نار على خليج
القسطنطينية في عساكره
فلم يزل هذا البيت هنالك
الى خلافة المهدي فخرب
وله خبر عجيب وقد كان
سابور الجنود اشترط على
الروم بناء هذا البيت
وعمارته عند حصاره
القسطنطينية وكان مسيره
في جيوش فارس وغيرها
من الترك وملوك الامم
فسمي سابور الجنود لكثرة
من تبعه من الجنود (وقد
كان سابور) لما سار الى بلاد
الحيرة عدل عن طريقه
فنزل الحصن المعروف
بالحضر وقد كان هذا
الحصن للساطرون بن
اسطرون ملك السريانيين
في رستاق يقال له أباجرمي بلاد الموصل (وقد ذكرته الشعراء) لعظم ملكه وكثرة جيوشه وحسن بنائه بهذا الحصن المعروف

وعوّض أبو جعل قسيه أعمدة الرخام وجلب الرؤس والموائد من قرطبة وفرش صحنه بكذان الحضر ووجهه أميره علي بن يوسف بن تاشفين الى طرطوشة برسم بنائها فلما حاها سأل قاضيها فكتب له جملة من أهلها ممن ضعفت حاله وقل تصرفه من ذوى البيوتات فاستعملهم امناء ووسع أرزاقهم حتى كمل له ما أراد من عمله ومن عجز أن يستعمله وصله من ماله فصدر عنها وقد أنعش خلقا رضي الله تعالى عنه ورحمه ومن شعره في مجلس أطربه سماعه وبسطه احتشاد الانس فيه واجتماعه فقال

لا تلمني بان طربت لشجو * يبعث الانس فالكريم طروب
ليس شق الجيوب حقا علينا * انما الحق أن تشق القلوب

وخطف غلام من غلمانه نوارة ومد بها يده الى أبي نصر الفتح بن عبيد الله فقال أبو نصر

وبدر بدا والطرف مطلع حسنه * وفي كفه من رائق النور كوكب
يروح لتعذيب النفوس ويغتدي * ويطلع في أفق الجمال ويغرب

فقال أبو محمد بن مالك

ويحسد منه الغصن أي مهفهف * يجيء على مثل الكثيب ويذهب

وقد سبق هذا وكتب الى الفتح من غير تروّ يا سيدي جرت الايام بفراقك وكان الله جارك في انطلاقك فغيرك روّع بالظعن وأوقد للوداع جاحم الشجن فانك من أبناء هذا الزمن خليفة الخضر لا يستقر على وطن كانك والله يختار لك ما تأتيه وما تدعه موكل بفضاء الارض تذرعه فحسب من نوى بعشرتك الاستمتاع ان يعدّك من العواري السريعة الارتجاع فلا يأسف على قلة الثوى وينشد * وفارقت حتى لا أبالي من أهوى * ومات رحمه الله تعالى بغرناطة سنة ٥١٨ وحضر جنازته الخاصة والعامة وهو من محاسن الاندلس رحمه الله تعالى * ومن نوادر الاتفاق أن جارية مشت بين يدى المعتمد وعليها قيص لا تكاد تفرق بينه وبين جسمها وذوائبها تخفي آثار مشيها فسكب عليها ماء ورد كان بين يديه وقال

علقت جائلة الوشاح غريرة * تختال بين أسنة وبواتر

وقال لبعض الخدم سر الى أبي الوليد البطليوسي المشهور بالنحلي وخذه باجازة هذا البيت ولا تفارقه حتى يفرغ منه فاجاب النحلي لاول وقوع الرقعة بين يديه

راقت محاسنها ورق أديمها * فتكاد تبصر باطنا من ظاهر
وتمايلت كالغصن في دعص النقا * والتف في ورق الشباب الناضر
يندى بماء الورد مسبل شعرها * كالطل يسقط من جناح الطائر
تزهى برونقها وعز جمالها * زهو المؤيد بالثناء العاطر
ملك تضاءلت الملوك لقدره * وعناله صرف الزمان الجائر
واذا لمحت جبينه ويمينه * أبصرت بدرا فوق بحر زاخر

فلما قرأها المعتمد استحضره وقال له أحسنت أو معنا كنت فقال له يا قاتل المحل ما تلوت وأوحى ربك الى النحل * وأصبح المعتمد يوما ثملا فدخل الحمام وأمر أن يدخل النحلي معه فجاء وقعد في مسلخ الحمام حتى يستاذن عليه فدخل المعتمد يجبق في الحمام وهو خال وقد بقيت في

بالحضر فمن ذكره منهم

وأرى الموت قد تدلى من الحضـ
ـر على رب أهله الساطرون
ولقد كان آمنا للدواهي
ذا ثراء وجوهر مكنون

وقد قيل ان النعمان بن المنذر من ولد الساطرون ابن استطرون والساطرون واستطرون هذه ألقاب وهم ملوك ملكوا على السريانيين ثم تملك تلك الديار بعد من ذكرنا ممن أفناهم الدهر الضيزن بن جبهلة وجبهلة أمه وهو الضيزن بن تدت بن معاوية ابن العبيد بن حرام بن سعد ابن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وكان كثير الجنود مهادنا للروم متحيزا اليهم يعبر رجاله على العراق والسواد وكان في نفس سابور عليهم ذلك فلما نزل على حصنه تحصن الضيزن في الحصن فاقام سابور عليه شهرا لا يجد سبيلا الى فتحه ولا يتأتى له حيلة في دخوله فنظرت النظيرة بنت الضيزن يوما وقد أشرفت من الحصن الى سابور فهويته وأعجبها جماله وكان من أجمل الناس وأمدهم قامة فارسلت اليه ان أنت ضمنت لي ان تتزوجني وتفضلني على نسائك دللتك على فتح هذا الحصن فضمن لها ذلك فارسلت اليه ائت البرثار وهو نهر في أعلاه

رأسه بقية من السكر وجعل كلما سمع دوى ذلك الصوت يقول الجوز الاوز القسطل ومر على هذا ساعة الى أن تذكر النصلى فصادفه ولما دخل قال له من أى وقت أنت هنا قال من أول مارتب مولانا الفواكه فى النصبة فغشى عليه من الضحك وأمر له باحسان والنصبة مائدة يصبون فيها هذه الاصناف * ولما استحسن المعتمد قول المتنبي

اذا ظفرت منك العيون بنظرة * الى آخره قال ابن وهبون بديهة وقالوا أجاد ابن الحسين الخ وقد تقدم ذكرهما فامر له بمائتى دينار * ولما قال ابن وهبون المذكور

غاض الوفاء فما تلقاه فى رجل * ولا يمر لمخلوق على بال
قد صار عندهم عنقاء مغربة * أو مثل ما حدثوا عن ألف مثقال

فقال له المعتمد عنقاء مغربة وألف مثقال يا عبد الجليل عندك سواء فقال نعم قال قد أمرنا لك بالف دينار وبالف دينار أخرى تنفقها * وذكر القرطبي صاحب التذكرة فى كتابه قمع الحرص بالزهد والقناعة ما صورته روينا أن الامام أبا عمر بن عبد البر رضى الله تعالى عنه بلغه وهو بشاطبة أن أقواما عابوه باكل طعام السلطان وقبول جوائزه فقال

قل لمن ينكر أكلى * لطعام الامراء
أنت من جهلك هذا * فى محل السفهاء

لان الاقتداء بالصالحين من الصحابة والتابعين وأئمة الفتوى من المسلمين من السلف الماضين هو ملاك الدين فقد كان زيد بن ثابت وكان من الراسخين فى العلم يقبل جوائز معاوية وابنه يزيد وكان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما مع ورعه وفضله يقبل هدايا صهره المختار بن أبى عبيد ويأكل طعامه ويقبل جوائزه وقال عبد الله بن مسعود وكان قد ملئ علما لرجل ساله فقال ان لى جارا يعمل بالربا ولا يجتنب فى مكسبه الحرام يدعونى الى طعامه أفاجيبه قال نعم لك المهنا وعليه المأثم مالم تعلم الشئ بعينه حراما وقال عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه حين سئل عن جوائز السلاطين لحم ظبي ذكى وكان الشعبي وهو من كبار التابعين وعلمائهم يؤدب بنى عبد الملك بن مروان ويقبل جوائزه ويأكل طعامه وكان ابراهيم النخعى وسائر علماء الكوفة والحسن البصرى مع زهده وورعه وسائر علماء البصرة أبو سلمة بن عبد الرحمن وأبان بن عثمان والفقهاء السبعة بالمدينة حاشى سعيد بن المسيب يقبلون جوائز السلطان وكان ابن شهاب يقبلها ويتقلب فى جوائزهم وكانت أكثر كسبه وكذلك أبو الزناد وكان مالك وأبو يوسف والشافعى وغيرهم من فقهاء الحجاز والعراق يقبلون جوائز السلاطين والامراء وكان سفيان الثورى مع ورعه وفضله يقول جوائز السلطان أحب الى من صلة الاخوان لان الاخوان يمنون والسلطان لا يمن ومثل هذا عن العلماء والفضلاء كثير وقد جمع الناس فيه أبوابا ولاحمد بن خالد فقيه الاندلس وعالمها فى ذلك كتاب حمله على وضعه وجمعه طعن أهل بلده عليه فى قبوله جوائز عبد الرحمن الناصر اذ نقله الى المدينة بقرطبة وأسكنه دارا من دور الجامع قربه وأجرى عليه الرزق من الطعام والادام والناس وله ولامثاله فى بيت المال حظ والمسؤل عن التخليط فيه هو السلطان كما قال عبد الله بن مسعود لك المهنا وعليه المأثم مالم تعلم الشئ بعينه حراما ومعنى قول ابن مسعود هذا قد أجمع العلماء عليه فمن علم

فاثر فيه تبنا ثم أتبعه النظر أن يدخل فادخل الرجال منه فان ذلك المكان يفضى الى الحصن ففعل ذلك سابور فلم يشعر أهل الحصن الا وأصحاب سابور معهم فى الحصن وقد عمدت النظيرة فسقت أباها حتى اسكرته طمعا فى تزويج سابور اياها وأمر سابور بهدم الحصن بعد أن قتل الضيزن ومن معه وعرس سابور بالنظيرة بنت الضيزن فباتت مسهدة فقال لها سابور ما لك لا تنامين قالت ان جنبي يتجافى عن فراشك قال ولم فوالله ما نامت الملوك على ألين منه وأوطا وان حشوه لزغب النعام فلما أصبح سابور نظر فاذا ورقة آس بين عكنها قد أولها وكاد بطنها أن يدمى فقال لها وبحك بما كان أبوك يغذيك فقالت بالزبد والمخ والقمح والشهد وصفو الخمر فقال لها سابور انى لجدير أن لا أستبقيك بعد اهلاك أبويك وقومك وكانت حالتك عندهم الحالة التى تصفين فامر بها فربطت بغدائرها الى فرسين جموحين ثم خلاسبيلهما فقطعاها ففى هذا الم ومن كان مما جدى بن الدهمى فى المحزنك والانبين بما لاقت سراة بنا

نى ومصرع ضيزن وبنى أبيه * وأحلاف الكتائب من يزيد أتاهم بالفيول مجللات * وبالابطال سابور

الشئ بعينه حراماماخوذا من غير حله كالجريمة وغيرها وشبههامن الطعام والدابة وما كان مثل ذلك كله من الاشياء المتعينة غصبا أوسرقة أوماخوذة بظلم بين لاشبهة فيه فهذا الذى لم يختلف أحد فى تحريمه وسقوط عدالة آكله واخذه وتملكه وماأعلم من علماء التابعين احدا اورع عن جوائز السلطان الاسعيد بن المسيب بالمدينة ومحمد بن سيرين بالبصرة وهما قد ذهبا مثلا فى التورع وسلك سبيلهما فى ذلك احمد بن حنبل واهل الزهد والورع والتقشف رحمة الله تعالى عليهم اجمعين والزهد فى الدنيا من افضل الفضائل ولا يحل لمن وفقه الله تعالى وزهد فيها ان يحرم ما اباح الله تعالى منها والعجب من أهل زماننا يعيبون الشبهات وهم يستحلون المحرمات ومثالهم عندى كالذين سالوا عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما عن المحرم يقتل القراد والحلمة فقال للسائلين له من انتم فقالوا من اهل الكوفة فقال تسالونى عن هذا وانتم قتلتم الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما وروى ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما أتاك من غير مسئلة فكله وتموّله وروى هذا الحديث أيضا عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما ما أتاك من غير مسئلة فكله وتموّله وروى أبو سعيد الخدرى وجابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم معناه وفى حديث أحدهما انما هو رزق رزقكه الله تعالى وفى لفظ بعض الرواة ولا ترد على الله رزقه وهذا كله مبنى على ما أجمعوا عليه وهو الحق فمن عرف الشئ المحرم بعينه فانه لا يحل له المسئلة من كلام ابن عبد البر انتهى * وحضر ابن مجبر مع عدوله جاحد لمعروفه وأمامهما زجاجة سوداء فيها خمر فقال له المحسود ان كنت شاعرا فقل فى هذه فقال ارتجالا الاساشكو الى الندمان الى آخر الحكاية وقد تقدمت فى رسالة الشقندى رحمه الله تعالى وابن مجبر هو أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجبر الفهرى كان فى وقته شاعر المغرب ويشهد له بقوة عارضته وسلامة طبعه قصائده التى صارت مثالا وبعدت على قربها منالا وشعره كثير يشتمل على أكثر من تسعة آلاف وأربعمائة بيت واتصل بالامير أبى عبد الله بن سعد بن مردنيش وله فيه أمداح وأنشد يوسف بن عبد المؤمن يهنيه بفتح

ان خير الفتوح ما جاء عفوا * مثل ما يخطب الخطيب ارتجالا

وكان أبو العباس الجراوى حاضرا فقطع عليه لحسادة وجدها وقال ياسيدنا اهتدم بيت وضاح

خير شراب ما كان عفوا * كانه خطبة ارتجالا

فبدر المنصور وهو حينئذ وزير أبيه وسنه قريب العشرين وقال ان كان اهتدمه فقد استحقه لنقله اياه من معنى خسيس الى معنى شريف فسر أبوه بجوابه وعجب الحاضرون * ومر المنصور أيام امرته باوقية من أرض شلب فوقف على قبر الحافظ أبى محمد بن حزم وقال عجبا لهذا الموضع يخرج منه مثل هذا العالم ثم قال كل العلماء عيال على ابن حزم ثم رفع رأسه وقال كما ان الشعراء عيال عليك يا أبا بكر يخاطب ابن مجبر * ومن شعر ابن مجبر يصف خيل المنصور من قصيدة فى مدحه

له حلبة الخيل العتاق كانها * نشاوى تهادت تطلب العزف والقصفا
عرائس أغنتها الحجول عن الحلى * فلم تبغ خلخالا ولا التمست وقفا
فمن يقق كالطرس تحسب أنه * وان جردوه فى ملاءته اللفا
وابلق اعطى الليل نصف اهابه * وغار عليه الصبح فاحتبس النصفا

فهدم من بروج الحصن صخرا * كان بناؤه زبر الحديد وفى قتل سابور للنظيرة بنت الضيزن وما كان منهامن الغدر بابيها وقومها وارشاد سابور الى دخول الحصن يقول عدى ابن زيد العبادى

والحصن صب عليه داهية من قصره قد أبدّسا كنها
أتته اذلم يوف والدها محبها اذ أضاع راقبها
وأسلمت أهلها الليلتها تظن أن الرئيس خاطبها
وكان حظ العروس اذ حشر الصبح دماتجدين سبائبها

والشعر فى هذه القصة كثير (وبارض العراق) بيت للنار فى مدينة السلام بنته بوران بنت كسرى أبرويز الملكة فى الموضع المعروف باسبيا وبيوت النيران كثيرة مما بنته المجوس بالعراق وأرض فارس وكرمان وسجستان وخراسان وطبرستان والجبال وأذربيجان والران وفى الهند والسند والصين أعرضنا عن ذكرها وانما ذكرنا ما اشتهر منها (والهيا كل) المعظمة عند اليونانيين وغيرهم ايو مثل بيت بعل وهو جبنى ذكره الله التنزيل بقوله أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين وهو بمدينة بعلبك ثم من أعمال دمشق من كور سنير وقد كانت اليونانية اختارت لهذا الهيكل قطعة من الارض

وورد تغشى جلده شفق الدجى * فاحرزه دلى له الذيل والعرفا
واشقر مج الراح صرفا اديمه * واصفر لم يمح بها جلده صرفا
واشهب فضى الاديم مدنر * عليه خطوط غير مفهمة حرفا
كما خطط الراهى بمهرق كاتب * فخر عليه ذيله وهو ما جفا
تهب على الاعداء منها عواصف * ستنسف ارض المشركين بها نسفا
ترى كل طرف كالغزال فتمترى * اظبيا ترى تحت العجاجة ام طرفا
وقد كان فى البيداء يالف سربه * فربته مهرا وهى تحسبه خشفا
تناوله لفظ الجواد لانه * على ما اودت الجرى اعطاكه ضعفا

ولما اتخذ المنصور مقصورة الجامع بمراكش بدار ملكها وكانت مدبرة على انتصابها اذا استقر المنصور ووزراؤه بمصلاه واختفائها اذا انفصلوا عنها انشد فى ذلك الشعراء فقال ابن جبير من قصيدة اولها

اعلمتنى التى عصا ارالتسيار * فى بلدة ليست بدار قرار

الى ان قال

طورا تكون بمن حوته محيطة * فكانها سور من الاسوار
وتكون حينا عنهم مخبوءة * فكانها سر من الاسرار
وكانها علمت مقادير الورى * فتصرفت لهم على مقدار
فاذا احست بالامام يزورها * فى قومه قامت الى الزوار
يبدو فتبدو ثم تخفى بعده * كتكون الهالات للاقمار

وممن روى عنه ابو على الشلوبين وطبقته وتوفى بمراكش سنة ٥٨٨ وعمره ٥٣ سنة رحمه الله تعالى * وقد حكى الشريف الغرناطى شارح المقصورة هذه الحكاية باتم مما ذكرناه فقال عن الكاتب ابن عياش كاتب المنصور والموحدى قال كانت لابى بكر بن مجبر وفادة على المنصور فى كل سنة فصادف فى احدى وفاداته فراغه من احداث المقصورة التى كان احدثها بجامعه المتصل بقصره فى حضرة مراكش وكانت قد وضعت على حركات هندسية ترفع بها لخروجه وتخفض لدخوله وكان جميع من بباب المنصور يومئذ من الشعراء والادباء قد نظموا اشعارا انشدوه اياها فى ذلك فلم يزيدوا على شكره وتجزيته الخير فيما جدد من معالم الدين وآثاره ولم يكن فيهم من تصدى لوصف الحال حتى قام أبو بكر بن مجبر فانشد قصيدته التى أولها أعلمتنى ألقى عصا التسيار واستمر فيها حتى الم بذكر المقصورة فقال يصفها طورا تكون الخ فطرب المنصور لسماعها وارتاح لاختراعها انتهى وقد بطلت حركات هذه المقصورة الآن وبقيت آثارها حسبما شاهدته سنة عشر وألف والله تعالى وارث الارض ومن عليها * ومن نظم ابن مجبر أيضا ما كتب به الى السلطان ملك المغرب رحمه الله تعالى وقد ولد له ولد أعنى لابن مجبر

ولد العبد الذى انعامكم * طينة أنشئ منها جسده
وهو دون اسم لعلمى أنه * لا يسمى العبد الا سيده

فيهما من النقوش العجيبة المحفورة فى الحجر الذى لا يتأتى حفر مثله فى الخشب مع علو وسمكهما وعظم أحجارهما وطول أساطينهما ووسع فقدهما وعجيب بنيانهما وقد أتينا على خبر هذه الهياكل وما كان من خبر القتل على رأس ابنة الملك وما نال أهل هذه المدينة من سفك الدماء (وهيكل عظيم البنيان) فى مدينة دمشق وهو المعروف بجيرون وقد ذكرنا خبره فيما سلف من هذا الكتاب وأن بانيه جيرون بن أسعد العادى ونقل اليه عمد الرخام وأنه ارم ذات العماد المذكورة فى القرآن لا ما ذكر عن كعب الاحبار أنه دخل على معاوية بن أبى سفيان وساله عن خبرها وذكر عجيب بنيانها من الذهب والفضة والمسك والزعفران وانه يدخلها رجل من العرب يتيه له جملان فيخرج فى طلبهما فيقع اليها وذكر حلية الرجل ثم التفت فى مجلس معاوية فقال هذا هو الرجل وكان الاعرابى قد دخلها يطلب ماندمن ابله فاجاز معاوية كعبا وتبين صدق مقالته وايضاح برهانه فان كان هذا الخبر عن كعب حقا فى هذه المدينة فهو حسن وهو خبر يدخله الفساد من

وقوله

ملك تروبك منه شيمة * انست الظما آن زرق النطف

جمعت من كل مجد فلكت * لفظة قد جمعت من أحرف

يعجب السامع من وصفي لها * ووراء العجز مالم اصف

لو أعار السهم ما في رايه * من سداد وهدى لم يصف

حلمه الراجح ميزان الهدى * يزن الاشياء وزن المنصف

وقال ابن خفاجة

صح الهوى منك ولكنني * اعجب من بين لنا يقدر

كأننا في فلك دائر * فانت تخفي وانا اظهر

وهما الغاية في معناهما كما قاله ابن ظافر رحمه الله تعالى * وقال الاعمى التطيلي

اذا اشتفت مني الايام في وطني * حتى تضايق فيما عز من وطري

فلا قضت من سواد العين حاجتها * حتى تكر على ما طل في الشعر

وقال القاضي أبو حفص بن عمر القرطبي

هم نظروا لواحظها فهاموا * وتشرب لب شاربها المدام

يخاف الناس مقلتها سواها * أيذعر قلب حامله الحسام

سما طرفي اليها وهو باك * وتحت الشمس ينسكب الغمام

وأذكر قدها فانوح وجدا * على الاغصان تنتدب الحمام

فأعقب بينها في الصدر غما * اذا غربت ذكاء أتى الظلام

وقال الحاجب عبد الكريم بن مغيث

طارت بنا الخيل ومن فوقها * شهب بزاة لحمام الحمام

كأنما الايدي قسي لها * والطير اهداف وهن السهام

وقال أخوه أحمد

اشرب على البستان من كف من * يسقيك من فيه وأحداقه

وانظر الى الايكة في برده * ولاحظ البدر باطواقه

وقد بدا السرو على نهره * كنافض شمر عن ساقه

وقال ابو العباس أحمد بن أبي عبد الله بن أمية البلنسي

اذا كان ودي وهو أنفس قربة * يجازى ببغض فالقطيعة أحزم

ومن أضيع الاشياء ود صرفته * الى غير من تحظى لديه وتكرم

ومن حكايات اهل الاندلس في خلع العذار والطرب والظرف وغير ذلك كسرعة الارتجال ما حكاه صاحب بدائع البدائه قال أخبرني من أثق به بما هذا معناه قال خرج الوزير ابو بكر بن عمار والوزير ابو الوليد بن زيدون ومعهما الوزير ابن خلدون من اشبيلية الى منظرة لبني عباد بموضع يقال له الفنت تحف بها مروج مشرقة الانوار متنسمة الانجاد والاغوار متبسمة عن ثغور النوار في زمان ربيع سقى الارض السحب فيه بوسميها

جهات من النقل وغيره هو عند كثير من الاخباريين ممن وفد على معاوية من أهل الدراية باخبار الماضين وسنن الغابرين من العرب وغيرهم من المتقدمين وما كان فيها من الكوائن والحوادث وتشعب الانساب وكتاب عبيد بن شرية متداول في أيدي الناس مشهور (وقد ذكر كثير) من الناس ممن له معرفة باخبارهم أن هذه أخبار موضوعة من خرافات مصنوعة نظمها من تقرب للملوك بروايتها وصال على أهل عصره بحفظها والمذاكرة لها وأن سبيلها سبيل الكتب المنقولة الينا والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية وسبيل تاليفها مما ذكرنا مثل كتاب افسان وتفسير ذلك من الفارسية ويقال له اقشابه والناس يسمون هذا الكتاب ألف ليلة وليلة وهو خبر الملك والوزير وابنته ودايتها شيرزاد وسازاد ومثل كتاب وزره وشماس وما فيه من أخبار ملوك الهند والوزراء ومثل كتاب السندباد وغيرها من الكتب في هذا المعنى (وقد كان) مسجد دمشق قبل ظهور النصرانية هيكلا عظيما فيه التماثيل والاصنام على رأس منابره

ووايها وجلتها في زاهر ملبسها وباهر حليها وأرداف الربا قد تأزرت بالازر الخضر من نباتها وأجياد الجداول قد نظم النوار قلائده حول لباتها ومجامر الزهر تعطر أردية النسائم عند هباتها وهنالك من البهار ما يزرى على مداهن النضار ومن النرجس الريان ما يهزأ بنواعس الاجفان وقد دنوا والانفراد للهو والطرب والتنزه في روض النبات والادب وبعثوا صاحبا لهم يسمى خليفة هو قوام لذتهم ونظام مسرتهم ليأتيهم بنبيذ يذهبون الهم بذهبه في لجين زجاجه ويرمونه منه بما يقضي بتحريكه للهرب عن القلوب وازعاجه وجلسوا لانتظاره وترقب عوده على آثاره فلما بصروا به مقبلا من أول الفج بادروا الى لقائه وسارعوا الى نحوه وتلقائه واتفق أن فارسا من الجند ركض فرسه فصدمه ووطئ عليه فهشم أعظمه وأجرى دمه وكسر قمقال النبيذ الذي كان معه وفرق من شملهم ما كان الدهر قد جمعه ومضى على غلوائه راكضا حتى خفي عن العين خائفا من متعلق به يحين بتعلقه الحين وحين وصل الوزراء اليه تأسفوا عليه وأفاضوا في ذكر الزمان وعدوانه والخطب والوائه ودخوله بطوام المضرات على تمام المسرات وتكديره لاوقات المنعمات بالآفات المؤلمات فقال ابن زيدون

أنلهو والحتوف بنا مطيفه * ونأمن والمنون لنا مخيفه

فقال ابن خلدون

وفي يوم وما أدراك يوم * مضى قمعالنا ومضى خليفه

فقال ابن عمار

هما أخوان راح وروح * تكسر ذا فاشقاق وجيفه

وذكر ابن بسام ما معناه أن أبا عامر بن شهيد حضر ليلة عند الحاجب أبي عامر بن المظفر ابن المنصور بن أبي عامر بقرطبة فقامت تسقيهم وصيفة عجيبة صغيرة الخلق ولم تزل تسهر في خدمتهم الى أن هم جند الليل بالانهزام وأخذ في تقويض خيام الظلام وكانت تسمى أسماء فعجب الحاضرون من مكابدتها السهر طول ليلتها على صغر سنها فسأله المظفر وصفها فصنع ارتجالا

أفدي أسماء من نديم * ملازم للكؤوس راتب

قد عجبوا في السهاد منها * وهي لعمري من العجائب

قالوا تجافى الرقاد عنها * فقلت لا ترقد الكواكب

وحكى ابن بسام ما معناه أن ابن شهيد المذكور كان يوما مع جماعة من الادباء عند القاضي ابن ذكوان فجيء بباكورة باقلا فقال ابن ذكوان لا ينفرد بها الا من وصفها فقال ابن شهيد أنا لها وارتجل

ان لآليك أحدثت صلفا * فاتخذت من زمرذ صدفا

يسكن ضراتها العوروذى * تسكن للحسن روضة أنفا

هامت بلطف الجبال فاتخذت * من سندس في جنانها لحفا

شبهتها بالثغور من لطف * حسبك هذا من وزمن لطفا

مقصورة وقد كان بني على المشترى وطالع سعد ثم ظهرت النصرانية فجعلته كنيسة وظهر الاسلام وأحكم بناءه الوليد بن عبد الملك والصوامع لم تغير وهي منائر الاذان الى هذا الوقت (وقد كان) بدمشق أيضا بناء عجيب يقال له البريص وهو مبنى الى هذا الوقت في وسطها وكان يجرى فيه الخمر في قديم الزمان وقد ذكرته الشعراء في مدحها لملوك غسان من مارب وغيرهم (وهيكل) بانطاكية يعرف بالديماس على يمين مسجدها الجامع مبني بالآجر العادي والحجر عظيم البنيان وفي كل سنة يدخل القمر عند طلوعه من باب من ابوابه من أعاليه في بعض الادلة الصيفية وقد ذكر ان هذا الديماس من بناء الفرس حين ملكت انطاكية وأنه بيت نار لهم (قال المسعودي) وقد ذكر ابو معشر المنجم في كتابه المترجم بكتاب الالوف الهياكل والبنيان العظيم الذي يحدث بناؤه في العالم في كل ألف عام وكذلك ذكره ابن المازيار تلميذ أبي معشر في كتابه المنتخب من كتاب الالوف وقد ذكر غيرهما ممن تقدم عصرهما وممن تأخر عنهما كثيرا من البنيان والعجائب في الارض وقد أعرضنا عن ذكرها وذكر السد الاعظم وهو سد ياجوج وماجوج وتنازع الناس في كيفية بنائه

جازابن ذكوان فى مكارمه * حدود كعب ومابه وصفا
قدم درالرياض منتقيا * منه لافراس مدحه علفا
أكل ظريف وطعم ذى أدب * والنول يهواه كل من ظرفا
رخص فيه شيخ له قدر * فكان حسبى من المنى وكفا

وقال ابن بسام ان جماعة من أصحاب ابن شهيد المذكور قالوا له ياأبا عامر انك لآت بالعجائب وجاذب بذوائب الغرائب ولكنك شديد الاعجاب بما يأتى منك هازلعطفك عند النادر يتاح لك ونحن نريد منك أن تصف لنا مجلسنا هذا وكان الذى طلبوه منه زبدة التعنت لان المعنى اذا كان جلفا ثقيلا على النفس قبيح الصورة عند الحس كلت الفكرة عنه وان كانت ماضية وأساءت القريحة فى وصفه وان كانت محسنة وكان فى المجلس باب مخلوع معترض على الارض ولبد أحمر مبسوط قد صففت خفافهم عند حاشيته فقال مسرعا

وفتية كالنجوم حسنا * كلهم شاعر نبيل
متقد الجانبين ماض * كأنه الصارم الصقيل
راموا انصرافى عن المعالى * والحسد من دونها قليل
فالشد فى أمرها فسيح * كل كثير له قليل
فى مجلس زانه التصابى * وطاردت وصفه العقول
كأنما بابه أسير * قد عرضت دونه نصول
يراد منه المقال قسرا * وهو على ذاك لا يقول
ينظر من لبده لدينا * بحر دم تحتنا يسيل
كأن أخفافنا عليه * مراكب مالها دليل
ضلت فلم تدر أين تجرى * فهل على شطه تقيل

فعجب القوم من أمره ثم خرج من عندهم فرعلى بعض معارفه من الطراثفيين و بين يديه زنبيل ملآن خرشفا فجعل يده فى لجام بغلته وقال له لا أتركك أو تصف الخرشف فقد وصفه صاعد فلم يقل شيئا فقال له ابن شهيد ويحك أعلى مثل هذه الحال قال نعم فارتجل

هل أبصرت عيناك ياخليلى * قنافذا تباع فى زنبيل
من خرشف معتمد جليل * ذى ابر تنفذ اذا الفيل
كأنها أنياب بنت الغول * لونخست فى است امرئ ثقيل
لقفزته نحو أرض النيل * ليس يرى طى حشا منديل
نقل السخيف المائق الجهول * وأكل قوم نازحى العقول
أقسمت لا أطعمها أكيلى * ولا طعمتها على شمول انتهى

وقال فى بدائع البدائه دخل الوزير أبو العلاء زهر ابن الوزير أبى مروان عبد الملك بن زهر على الامير عبد الملك بن رزين فى مجلس أنس و بين يديه ساق يسقى خمرين من كاسه ولحظه ويبدى درين من حبابه ولفظه وقد بدا خط عذاره فى صحيفة خده وكمل حسنه باجتماع الضد منه مع ضده فكأنه بسحر لحظه أبدى ليلا فى شمس وجعل يومه فى الحسن أحسن

المرسومة وما بصعيد مصر من البرابى المصنوعة و بغير أرض الصعيد من أرض مصر واخبار مدينة العقاب وماذكر الناس فيها وكونها فى وهاده مصر وأنها فى جهة الواحات مما يلى المغرب والحبشة وخبر العمود الذى ينزل منه الماء فى فصل من السنة بارض عاد وأخبار النمل الذى على قدر الذباب والكلاب وقصة ارض الذهب التى حذاء سجلماسة من ارض المغرب ومن هنالك من وراء النهر العظيم ومبايعتهم من غير مشاهدتهم ولا مخاطبتهم وتركهم المتاع وغدو الناس الى امتعتهم فيجدون اعمدة الذهب وقد ترك الى جنب كل متاع من تلك الامتعة فان شاء مالك المتاع اختار الذهب وترك المتاع وان شاء اخذ متاعه وترك الذهب وان أحب الزيادة ترك الذهب و المتاع وهذا مشهور بارض المغرب بسجلماسة ومنها حمل التجار الامتعة الى ساحل هذا النهر وهو نهر عظيم واسع الماء وكذلك باقاصى خراسان مما يلى الترك من أقاصى ديارهم أمة تبايع على هذا الوصف من غير مخاطبة ولا مشاهدة وهم هنالك على نهر عظيم أيضا وخبر البئر المعطلة والقصر

من أمس فسأله ابن رزين أن يصنع فيه فقال بديها

تضاعف وجدي أن تبدي عذاره * ونم بخسران القلب مني اصطباره
وقد كان ظني أن سيمحق ليله * بدائع حسن هام فيها نهاره
فاظهر ضدا ضده فيه اذ وشت * بعنبره في صفحة الخد ناره

واستزاده فقال

محيت آية النهار فاضحى * بدر تم وكان شمس نهار
كان يعشى العيون نورا الى أن * شغل الله خده بالعذار

وصنع أيضا

عذار ألم فابدى لنا * بدائع كنا لها في عمى
ولو لم يجن النهار الظلا * م لم يستبن كوكب في السما

وصنع أيضا

تمت محاسن وجهه وتكاملت * لما استدار به عذار مونق
وكذلك البدر المنير جماله * في أن يكنفه سماء أزرق انتهى

وحكى الحميدي وغيره أن عبد الله بن عاصم صاحب الشرطة بقرطبة كان أديبا شاعرا سريع البديهة كثير النوادر وهو من جلساء الامير محمد بن عبد الرحمن الاموي ملك الاندلس وحكوا انه دخل عليه في يوم ذي غيم وبين يديه غلام حسن المحاسن جميل الزي كريم الاخلاق فقال الامير يا ابن عاصم ما يصلح في يومنا هذا فقال عقار ينفذ الدنان ويؤنس الغزلان وحديث كقطع الروض قد سقطت فيه مؤنة التحفظ وأرخى له عنان التبسط يديرها هذا الاغيد المليح فاستضحك الامير ثم أمر باحضار آلات الغناء وآلات الصهباء فلما دارت الكاس واستمطر الامير نوادره أشار الى الغلام ان يلح في سقيه ويؤكد عليه فلما أكثر رفع راسه اليه وقال على البديهة

يا حسن الوجه لا تكن صلفا * ما لحسان الوجوه والصلف
تحسن أن تحسن القبيح ولا * ترثي لصب متيم دنف

فاستبدع الامير بديهته وامر له بدرة وبقال انه خيره بينها وبين الوصيف فاختارها نفيا للظنة عنه انتهى قلت اذكرتني هذه الحكاية ما حكاه علي بن ظافر عن نفسه اذ قال كنت عند المولى الملك الاشرف بن العادل بن ايوب سنة ٦٠٣ بالرها وقد وردت اليه في رسالة فعلني بين سمعه وبصره وأنزلني في بعض دوره بالقلعة بحيث يقرب عليه حضوري في وقت طلبني وارادة الحديث معي فلم اشعر في بعض الليالي وانا نائم في فراشي الا به وهو قائم على راسي والسكر قد غلب عليه والشمع تزهر حواليه وقد حف بما يليه به وكانهم الاقمار الزواهر في ملابس كالرياض ذات الازاهر فقمت مروعا فامسكني وبادر بالجلوس الى جانبي بحيث منعني عن القيام عن الوساد وابدى من الجميل ما ابدلني بالنفاق بعد الكساد ثم قال غلبني الشوق اليك ولم اورد ازعاجك والتثقيل عليك ثم استدعى من كان في مجلسه من خواص القوالين فحضروا واخذوا من الغناء فيما يملأ المسامع التذاذا ويجعل القلوب من الوجد

والفضاء من اعلاها واسفلها وماقاله الناس في تاويل هذه الآية فيها وهل المراد بالقصر والبئر هذا القصر والبناء أو غيره واخبار مخاليف اليمن وهي القلاع والحصون كقلعة نحل وغيرها واخبار مدينة رومية وكيفية بنائها وما حوته من عجيب البنيا كل والكنائس والعمود الذي عليه السودانية من النحاس وما يحمل اليها من الزيتون في أيامه بالشام وغيره ويحمل ذلك الزيتون المعروف بالسودانية طير في مخالبه ومناقره فيطرحه على السودانية النحاس فيكثر زيتون رومية وزيتها من ذلك على حسب ما ذكرنا في أخبار الطلسمات عن ماليماس وغيره في كتابنا أخبار الزمان ثم أخبار البيوت السبعة التي ببلاد الاندلس وخبر مدينة الصفر وقبة الرصاص التي بمفاوز الاندلس وما كان من خبر الملوك السالفة فيها وتعذر الوصول اليها ثم ما كان من أمر صاحب عبد الملك ابن مروان في نزوله عليها وما تهافت فيه المسلمون عند الطلوع على سورها واخبارهم عن أنفسهم أنهم وصلوا الى نعيم الدنيا والآخرة وخبر المدينة التي أسوارها من الصفر على ساحل البحر الحبشي في أطراف مفاوز الهند وما

جذاذا وكان له فى ذلك الوقت مملوكان هما نيرا سماء ملكه وواسطتا در سلكه وقطبا فلك طربه ووجده وركنا بيت سروره ولهوه وكانا يتناوبان فى خدمته فحضر احدهما فى تلك الليلة وغاب الآخر وكان كثيرا ما يداعبنى فى أمرهما ويستجلب منى القول فيهما والكلام فى التفضيل بينهما فقلت للوقت

يامالكا لم يحك سيرته * ماض ولا آت من البشر
اجمع لنا تفديك أنفسنا * فى الليل بين الشمس والقمر

فطرب وأمر فى الحال باحضار الغائب منهما فحضر والنوم قد زاد أجفانه تفتيرا ومعاطفه تكسيرا فقلت بين يديه بديهة فى وصف المجلس

سقى الرحمن عصرا قد مضى لى * بأكناف الرها صوب الغمام
وليلا بات الانوار فيه * تعاون فى مدافعة الظلام
فنور من شموع أو ندامى * ونور من سقاة أو مدام
يطوف بأنجم الكاسات فيه * سقاة مثل أقمار التمام
تريك به الكؤس جود ماء * فتحسب راحها ذوب الضرام
يميل به غصونا من قدود * غناء مثل أصوات الحمام
فكم من موصلى فيه يشدو * فينسى النفس عادية الحمام
وكم من زلزل للضرب فيه * وكم للزمر فيه من زنام
لدى موسى بن أيوب المرجى * اذا ما ضن غيث بانسجام
ومن كمظفر الدين المليك الاجل الاشرف الندب الهمام
فاشمس تقاس الى نجوم * تحاكى قدره بين الكرام
فدام مخلدا فى الملك يبقى * اذا ما ضن دهر بالدوام

فلما أنشدتها قام فوضع فرجية من خاص ملابسه كانت عليه على كتفى ووضع شربوشه بيده على رأس مملوك صغير كان لى انتهى ولابن ظافر هذا بدائع منها ما حكاه عن نفسه اذ قال ومن أعجب ما دهيت به ورميت الا أن الله بفضله نصر وأعطى الظفر وأعان خاطرى الكليل حتى مضى مضاء السيف الصقيل أنى كنت فى خدمة مولانا السلطان الملك العادل بالاسكندرية سنة احدى وستمائة مع من ضمته حاشية العسكر المنصور من الكتاب والحواشى والخدام ودخلت سنة اثنتين وستمائة ونحن بالثغر مقيمون فى الخدمة مرتضعون لافاويق النعمة فحضرت فى جملة من حضر الهناء من الفقهاء بالثغر والعلماء والمشايخ والكبراء وجماعة الديوان والامراء واتفق أن كان اليوم من أيام الجلوس لامضاء الاحكام والعرض لطوائف الاجناد فلم يبق أحد من أهل البلد ولا من أهل العسكر الا حضر مهنيا ومثل شاكرا وداعيا فحين غص المجلس بأهله وشرق بجمع السلطان وحفله وخرج مولانا السلطان الى مجلسه واستقر فى دسته أخرج من بركة قبائه كتابا ناوله للصاحب الاجل صفى الدين أبى محمد عبد الله بن على وزير دولته وكبير جملته وهو مفضوض الختام مفكوك الفدام ففتحه فاذا فيه قطعة وردت من المولى الملك المعظم كتبها اليه يتشوقه

المتخذة للاصنام التى على صورة البدر المتقدم ظهورها فى قديم الزمان بارض الهند وخبر الهيكل المعظم الذى ببلاد الهند المعروف ببلاد الرى وهذا عند الهند يقصد من البلدان الشاسعة وله بلد قد وقف عليه وحوله ألف مقصورة فيها جوار لم تنظر لتعظيم هذا الصنم من الهند وخبر الهيكل الذى فيه الصنم ببلاد المولتان على نهر مهران من أرض السند وخبر سندار كسرى ببلاد قرماسين من أعمال الدينور من ماه الكوفة وكثير من أخبار العالم وخواص بقاعه وأبنيته وجباله وتدافع ما فيه من الخلق وغيره مما قد أتينا على ذكره فيما سلف من كتبنا وكذلك ما خص به كل بلد من اللباس والاخلاق دون غيرهم وما انفردوا به من أنواع الاغذية والمآكل والمشارب والشم وعجائب كل بلد وذكرنا أخبار البحار وما قيل فى اتصال بعضها ببعض وتغلغل مياهها وما يحدث فى كل بحر منها من الآفات وما فيه من الجوهر دون غيره من البحار ككون المرجان ببحر المغرب وعدمه فى غيره ووجود اللؤلؤ فى البحر الحبشى دون غيره

و يستعطفه لزيارته و يرققه و يستحثه على عود ركابه الى بلاد الشام للشاغرة بها وقع عدوها
ويعرض بذكر مصر وشدة حرها ووقد حرها وذلك بعد أن كان وصل الى خدمته بالثغر
ثم رجع اليها والابيات

أروى رماحك من نحور عداكا * وانهب بخيلك من أطاع سواكا
واركب خيولا كالسعالي شزبا * واضرب بسيفك من يشق عصاكا
واجلب من الابطال كل سميدع * يفرى بعزمك كل من يشناكا
واستعطف السمر الطوال وروّها * واسق المنية سيفك السفاكا
وسر العداة الى العداة مبادرا * بالضرب فى هام العدو دراكا
وانكح رماحك للثغور فانها * مشتاقة أن تبتنى بعلاكا
فالعز فى نصب الخيام على العدا * تردى الطغاة وتدفع الهلاكا
والنصر مقرون بهمتك التى * قد أصبحت فوق السماك سماكا
فاذا عزمت وجدت من هو طائع * واذا نهضت وجدت من يخشاكا
والنصر فى الاعداء يوم كريهة * أحلى من الكاس الذى روّاكا
والعجز أن تضحى بمصر راهنا * وتحل فى تلك العراص عراكا
فارحم حشاشتك الكريمة من لظى * مصر لكى تحظى الغداة بذاكا
ولقد غدا قلبى عليك بحرقة * شغفا ولا حر البلاد هناكا
وانهض الى راجى لقائك مسارعا * فمناه من كل الامور لقاكا
واردد فؤاد المستهام بنظرة * وأعد عليه العيش من رؤياكا
واشف الغداة عليل صب هائم * أضحى مناه من الحياة مناكا
فسعادتى بالعادل الملك الذى * ملك الملوك وقارن الافلاكا
فبقيت لى يا مالكى فى غبطة * وجعلت من كل الامور فداكا

فلما تلا الصاحب على الحاضرين محكم آياتها وجلى منها العروس التى حازت من المحاسن أبعد غاياتها أخذ الناس فى الاستحسان لغر نظامها وتناسق التئامها والثناء على الخاطر الذى نظم بديع أبياتها وأطلع من مشرق فكره آياتها فقال السلطان نريد من يجيبه عنا بأبيات على قافيتها فالتفت مسرعا الى وأنا عن يمينه وقال يا مولانا مملوكك فلان هو فارس هذا الميدان والمعتاد التخلص فى مضايق هذا الشان ثم قطع وصلا من درج كان بين يديه وألقاه الى وعمد الى دواته فادارها بين يدى فقال له السلطان أهكذا على مثل هذا الحال وفى مثل هذا الوقت فقال نعم أنا جربته فوجدته متقد الخاطر حاضر الذهن سريع اجابة الفكر فقال السلطان وعلى كل حال قم الى هنا لتنكف عنك أبصار الناظرين وتنقطع عنك ضوضاء الحاضرين واشار الى مكان عن يمين البيت الخشب الذى هو بالجلوس فيه منفرد فقمت وقد فقدت رجلى انخذالا وذهنى اختلالا لهيبة المجلس فى صدرى وكثرة من حضره من المترقبين لى المنتظرين حلول فاترة الشماتة بى فما هو الا أن جلست حتى ثاب الى خاطرى وانثال الكلام على سرائرى فكتبت أتوهم

(وقد كان) بعض من ملك من الروم حفر بين القلزم وبحر الروم طريقا فلم يتأت له ذلك لارتفاع القلزم وانخفاض بحر الروم وان الله عزوجل قد جعل ذلك حاجزا على حسب ما أخبر فى كتابه والموضع الذى حفره ببحر القلزم يعرف بذنب التمساح على ميل من مدينة القلزم عليه قنطرة عظيمة يجتاز عليها من يريد الحج من مصر واجرى خليجا من هذا البحر الى موضع يعرف بالهامة صنعه محمد ابن على الخرانى من أرض مصر فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فلم يتأت له اتصال ما بين بحر الروم وبحر القلزم (وحفر خليج) آخر مما يلى بلاد تنيس ودمياط وبحيرتهما يعرف هذا الخليج بالزنير والحسة واستمر الماء فى هذا الخليج من بحر القلزم الذى فى نحو من هذه القرى ومن بحر القلزم فى خليج ذنب التمساح فيتتابع أرباب المراكب وتقرب حمل ما فى كل بحر الى آخر ثم ارتدم ذلك على تطاول الدهور وملأته السوافى من الرمل وغيره (وقد رام الرشيد) أن يوصل بين هذين البحرين مما يلى النيل من أعالى مصبه من نحو بلاد الحبشة وأقاصى صعيد مصر فلم يتأت له قسمة ماء النيل فرام ذلك مما يلى بلاد الفرما نحو بلاد تنيس على أن يكون مصب بحر

أن فكرى كالبازى الصيود لا يرى كلمة الا أنشب فيها مذمره ولا معنى الا شك فيه ظفره فقلت فى أسرع وقت

وصلت من الملك المعظم تحفة * ملأت بفاخر درها الاسلاكا
أبيات شعر كالنجوم جلالة * فلذا حكت أوراقها الافلاكا
عجبا وقد جاءت كمثل الروض اذ * لم تذوها بالحر نار ذكاكا
جلت الهموم عن الفؤاد كمثل ما * تجلو بغرة وجهك الاحلاكا
كقميص يوسف اذ شفت يعقوب ر * باه شفتنى مثله رياكا
قد أعجزت شعراء هذا العصر كلهم فلم لا تعجز الاملاكا
ما كان هذا الفضل يمكن مثله * أن يحتويه من الانام سواكا
لم لا أغيب عن الشآم وهل له * من حاجة عندى وأنت هناكا
أم كيف أخشى والبلاد جميعها * محمية فى جاه طمن قناكا
يكفى الاعادى حر باسك فيهم * أضعاف ما يكفى الولى نداكا
مازرت مصر لغير ضبط ثغورها * فلذا صبرت فديت عن رؤياكا
أم البلاد علا عليها قدرها * لا سيما مذ شرفت بخطاكا
طابت وحق لها ولم لا وهى قد * حوت المعلى فى القداح أخاكا
أنا كالسحاب أزور أرضا ساقيا * حينا وامنح غيرها سقياكا
مكنى جهاد للعدو لأننى * أغزوه بالرأى السديد دراكا
لولا الرباط وغيره لقصدت بالسير الحثيث اليك نيل رضاكا
ولئن أتيت الى الشآم فانما * يحثنى شوقى الى لقياكا
انى لامنحك المحبة جاهدا * وهواى فيما تشتهيه هواكا
فافخر فقد أصبحت بى وبباسك السامى وكل ممالك يخشاكا
لازلت تقهر من يعادى ملكنا * أبدا ومن عاداك كان فداكا
وأعيش أبصر ابنك الباقى أبا * وتعيش تخدم فى السعود أباكا

ثم عدت الى مكانى وقد بيضتها وحليت بزهرها ساحة القرطاس وروضتها فلما رآنى السلطان قد عدت قال لى هل عملت شيئا ظنا منه أن العمل فى تلك اللمحة القريبة معجز متعذر وبلوغ الغرض فيها غير متصور فقلت قد أجبت فقال أنشدنا فصمت الناس وحدقت الابصار وأصاخت الاسماع وظن الناس بى الظنون وترقبوا منى ما يكون فما هو الا أن توالى الانشاد لابياتها حتى صفقت الايدى اعجابا وتغامزت الاعين استغرابا وحين انتهيت الى ذكر مولانا الملك الكامل بانه المعلى فى البنين اذا ضربت قداحهم وسردت أمداحهم اغرورقت عيناه دمعا للذكره وأبان صمته مخفى المحبة حتى أعلن بسره وحين انتهيت الى آخرها فاض دمعه ولم يمكنه دفعه فمد يده مستدعيا للورقة فناولتها الى يد الصاحب فناولها له وعند حصولها فى يده قام من غير اشعار لاحد بادار من ارادة القيام فى خلده ستر الما ظهر عليه من الرقة على الموالى الاولاد * وكتما لما عليه من الوجد بهم

فقال يحيى بن خالد يخطف الروم الناس من المسجد الحرام والطواف وذلك

القلزم الى البحر الرومى أن مراكبهم تنتهى من بحر القلزم الى بحر الحجاز فتطرح سراياها مما يلى جدة فيخطف الناس من المسجد الحرام ومكة والمدينة على ماذكرنا فامتنع من ذلك (وقد حكى) عن عمرو بن العاص حين كان بمصر أنه رام ذلك فمنعه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وذلك لما وصفنا من فعل الروم وسراياهم وذلك فى حال ما افتتحها عمرو بن العاص فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وآثار الحفر بين هذين البحرين فيما ذكرنا من المواضع والخلجان على حسب ما شرعت فيه الملوك السالفة طلبا لعمارة الارض وخصب البلاد وعيش الناس بالاقوات وان يحمل الى كل بلد ما فيه من الاقوات وغيرها من ضروب المنافع وضروب المرافق والله تعالى أعلم

(ذكر جامع التاريخ من بدء العالم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لحق بهذا الباب)

قد ذكرنا فيما سلف من كتبنا جملا من تباين الناس فى بدء العالم ممن اثبت حدوثه ونفاه وما جرت الآراء بهم فيه الى جهات شتى وقد أخبرنا أنهم طوائف وفرق من اليونانيين ومن وافقهم على القول

والمحبة

والمحبة لهم وانفض المجلس وانما حمل الصاحب على هذا الفعل الذى غمر رقى وخاطرى بالتعريض له أشياء كان يقترحها على فانفذفيها من بين يديه ويخفف الامر منها على لدالتى عليه ومنها انى كنت فى خدمته سنة ٥٩٩ بدمشق فورد عليه كتاب من الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر تقى الدين صاحب حماة وقد بعث صحبته نسخة من ديوان شعره فتشاغل بتسويد جواب كتابه فلما كتب بعضه التفت الى وقال اصنع أبياتا أكتبها اليه فى صدر الجواب وأذكر فيها شعره فقلت له على مثل هذه الحال فقال نعم فقلت بقدر ما انجز بقية النسخة

أيا ملكا قد أوسع الناس نائلا * وأغرقهم بذلا وعمهم عدلا
قد بنالذهب الناس فضلا بنعم * فقد حزت دون الناس كلهم الفضلا
ودونك فانحهم من العلم والحجا * كما نحتهم كفك الجود والبذلا
اذا حزت أوفى الفضل عفوا فما الذى * تركت لمن كان القريض له شغلا
وماذا عسى من طال بالشعر قاصدا * لبابك أن يأتى به جل أوقلا
فلازلت فى عز يدوم ورفعة * تحوز ثناء يملأ الوعر والسهلا انتهى

ووقع لابن ظافر أيضا من هذا النمط انه دخل فى أصحاب له يعودون صاحبا لهم وبين يديه بركة قد راق ماؤها وصحت سماؤها وقد رص تحت دساتيرها نارنج فتن قلوب الحضار وملأ بالمحاسن عيون النظار فكانما رفعت صوالج فضة على كرات من النضار فأشار الحاضرون الى وصفها فقال بديها

أبدعت يا ابن هلال فى فسقية * جاءت محاسنها بما لم يعهد
عجبا لأمواه الدساتير التى * فاضت على نارنجها المتوقد
فكانهن صوالج من فضة * رفعت لضرب كرات خالص عسجد انتهى

ومن بديع الارتجال ما حكاه المذكور عن ابن قلاقس الاسكندرى رحمه الله تعالى اذقال دخل الاعز أبو الفتوح بن قلاقس على بلال بن مدافع بن بلال الفزارى فعرض عليه سيفا قد نظم الفرند فى صفحته جوهره وأذكى الدهر ناره وجد نهره والبسه من سلخ الافاعى ردا وجسمه ردى لايمنع من برقه بدرجن ولاثريا مغفر ولايسلم من حده من ثبت ولاينجو لطوله من فر فهو يبكى للنفاق ويضحك ويرعد للغيظ ويفتك وأمره بصفة شانه فقال على لسانه

أروق كما أروع فان تصفنى * فانى رائق الصفحات رائع
تدافع بى خطوب الدهر حتى * نقلت الى بلال عن مدافع
وقال أيضا فيه
رب يوم له من النقع سحب * ما لها غير سائل الدم ودق
قد جلته يمنى بلال بحدى * فكانى وراحة الشمس برق
وقال أيضا فيه
أنا فى الكريهة كالشهاب الساطع * من صفحة تبدو وحد قاطع

للاشخاص الحالة فيها الارواح متى قطعت المسافة التى بين العقدة التى ابتدأت منها حتى تنتهى اليها راجعة ثم تنفصل عنها عادت كل ما بدأت أولا كهيئته وأشخاصه وصوره وضروب أشكاله اذ كانت العلة والسبب اللذين بوجودهما توجد الاشياء ووجود الوجود بدء فوجب ظهور الاشياء متى عادت الى المبدا الذى كان عند الصدر ثم ما نعقب هذا القول من قول الطبيعيين ان علة كون الاشياء الجسمانية والنفسانية من قبل حركات الطبائع واختلاطها لان الطبيعة عندهم تحركت فى بدوها واختلطت فاظهرت الحيوان والنبات وسائر الموجودات فى العالم وجعلت لها أصلا فى التناسل فحركت عن تبقية الاشخاص وعبرت الى الذبل وأن الطبائع تنتقل من مركب الى بسيط ومن بسيط الى مركب حتى أورى المركب كنه ما فيه وعادت الاشياء الى البسط وابتدأ التكون على طريقة لان الذى أوجبه أولا قد وجد عنه ان يوجد منه بوجود المعنى الذى أوجده فظهر ذلك الظهور كالنبات فى الربيع وتحرك قوته تحت الثرى وذلك ان الشمس

فكأنما استمليت تلك وهذه * من وصف كف بلال بن مدافع

وقال أيضا فيه

انظر لمطرد المياه بصفحتى * ولنار حدى كم بها من صالى

قد عاد شذى فى المضايق شيمتى * كبلال بن مدافع بن بلال

وسأله صاحب له وصف مشط عاج قد أشبه الثريا شكلا ولونا وشق ليلا من الشعر جونا فقال

ومتيم بالآبنوس وجسمه * عاج ومن أدهانه شرفاته

كمت دياجى الشعر منه بدرها * فوشت به للعين عيوقاته

وقال فيه

وأبيض ليل الآبنوس اذا سرى * تمزق عن صبح من العاج باهر

وان غاص فى بحر الشعور رأيته * تبشرنا أطرافه بالجواهر

وقال فيه

ومشرق يشبه ضوء الضحى * حسنا ويسرى فى الدجى الفاحم

وكلما قلب فى لمة * أضحكها عن ثغره الباسم

وجلس بمصر فى دار الانماط يوما مع جماعة فمرت بهم امرأة تعرف بابنة أمين الملك وهى شمس تحت سحاب النقاب وغصن فى أوراق الشباب فحدقوا اليها تحديق الرقيب الى الحبيب والمريض الى الطبيب فجعلت تلفت الظبى المذعور أفرقه القانص فهرب وتثنى تثنى الغصن المطلول عانقه النسيم فاضطرب فسألوه العمل فى وصفها فقال هذا يصلح أن يعكس فيه قول العطار الازدى القيروانى

أعرضن لما أن عرضن فان يكن * حذرا فاين تلفت الغزلان

ثم صنع

لما ناظر فى ذرا ناضر * كمركب السن فوق القناة

لوت حين وات لنا جيدها * فأى حياة بدت من وفاة

كما ذعر الظبى من قانص * فروكر فى الالتفات

ثم صنع أيضا

ولطيفة الالفاظ لكن قلبها * لم أشك منه لوعة الاعتا

كملت محاسنها فود البدر أن * يحظى ببعض صفاتها أو ينعتا

قد قلت لما أعرضت وتعرضت * يا مؤيسا يا مطمعا قل لى متى

قالت انا الظبى الغرير رواغا * ولى وأوجس نبوة فتلفتا

قال على بن ظافر وحضر يوما عند بنى خليف بظاهر الاسكندرية فى قصر رسا بناؤه وسما وكاد يمزق بعزاجته أثواب السما قد ارتدى جلابيب السحائب ولاث عمائم الغمائم وابتسمت ثناياشرفاته واتسمت بالحسن حنايا غرفاته وأشرف على سائر نواحى الدنيا وأقطارها وحبته الرياض بما اشتملتها عليه السحب من ودائع أمطارها والرمل بفنائه قد نثر تبره فى

الثمر والزهور فى الشجر بادئا كان ظاهرا بالمثال الاول الذى قد باد فى الشتاء و يبسه وبرده لان علة الكون الحرارة والرطوبة وعلة الفساد البرد واليبس فاذا انتقلت الاشياء من الحرارة والرطوبة الى البرد واليبوسة فارقت الكون المتمم ودخلت الفساد فاذا انتهى بها الفساد الى غايته وأوصلها الى نهايته عاقبها الكون بوصول الشمس الى رأس الحمل فبدأ بها بعادته فى انشائها وأبرزها من خساسة الفساد الى نفاسة الكون ولو كانت الحواس تضبط شان الاجسام وتحيط بانتقالها من حال الى حال لشاهدت عمرها فى دائرة الزمان مبتدئة فى رتبها راجعة اليها متشكلة فى محيط الدائرة باشكال توافق بعضها والشكول مختلفة باختلاف العلل متفرقة فى المرور كاختلاف الاسباب وفى هذا القول من هذه الطائفة ما صرح بالقول وأبان عنه وقضية الفحص توجب ان الاشياء الموجودة غير خالية من أحد منزلين اما أن يكون بدأ وانتهاء واما أن يكون بدأ لا انتهاء فوجب أن تكون أجزاؤها وأبعاضها غير متناهية ووجب أن يكون الزمان غير عاد لها

زبرجد كرومه والجو قد بعث بنخار الطيب لطيمة نسيمه والنخل قد أظهرت جواهرها ونشرت غدائرها والطل ينثر لؤلؤه في مسارب النسيم ومساحبه والبحر يرعد غيظا من عبث الرياح به فسأله بعض الحضور أن يصف ذلك الموضع الذي تمت محاسنه وغبط به ساكنه فجاشت لذلك لجج بحره وألقت اليه جواهره لترصيع لبة ذلك القصر ونحره فقال

قصر بدرجة النسيم تحدثت * فيه الرياض بسرها المستور
خفض الخورنق والسدير سموه * وثنى قصور الروم ذات قصور
لاث الغمام عمامة مسكية * وأقام في أرض من الكافور
غنى الربيع به محاسن وصفه * فافتر عن نور وبروق ونور
فالدوح يسحب حلة من سندس * تزهو بلؤلؤ طلها المنثور
والنخل كالغيد الحسان تقرطت * بسبائك المنظوم والمشذور
والرمل في حبك النسيم كأنما * أبدى غصون سوالف المذعور
والبحر يرعد متنه فكأنه * درع تشن بعطفي مقرور
وكأننا والقصر يجمع شملنا * في الافق بين كواكب وبدور
وكذاك دهر بني خليف لم يزل * يثني المعاطف في حبير حبور

ثم قال ابن ظافر وأخبرني الفقيه أبو الحسن علي بن الطوسي المعروف بابن السيوري الاسكندري النحوي بما هذا معناه قال كنت مع الاعز بن قلاقس في جماعة فمر بنا أبو الفضائل بن فتوح المعروف بالمصري وهو راجع من المكتب ومعه دواته وهو في تلك الايام قرة العين ظرفا وجمالا وراحة القلب قربا ووصالا كل عين الى وجهه محدقة ولمشهد خديه بخلوق الخجل مخلقة فاقترحنا عليه أن يتغزل فيه فصنع بديها

علقته متعلقا * بالخط معتكفا عليه
حمل الدواة ولا دوا * ء لعاشق يرجى لديه
فدماء حبات القلو * ب تلوح صبغا في يديه
لم أدر ما أشكو اليـ * ـه أهجره أم مقلتيه
والحب يخرسني على * أني الكميع سيبويه
مالي اذا أبصرته * شغل سوى نظري اليه

انتهى

وقد آن وقت الرجعة الى كلام الاندلسيين الذين حلوا وبعدنا عنهم بما أمر النجعة فنقول ذكر الفتح في قلائد العقيان كما قال ابن ظافر ما معناه أخبرني الوزير أبو عامر بن بشتغير أنه حضر مجلس القائد أبي عيسى بن لبون في يوم سفرت فيه أوجه المسرات ونامت عنه أعين المضرات وأظهرت سقاته غصونا تحمل بدورا وتطوف من المدام بنار مازجت من الماء نورا وشموس الكاسات تطلع في أكفها كالورد في السوسان وتغرب بين أقاحي نجوم الثغور فتذبل نرجس الأجفان وعنده الوزير أبو الحسن بن الحاج اللورقي وهو يومئذ قد بذل الجهد في التحلي بالزهد فأمر القائد بعض السقاة أن يعرض عليه ذهب كاسه ويحييه بزبرجد آسه

ولا حاصر يجمعها وقد وجدنا التناهي والابتداء في أجزائها وأبعاضها على الدوام وأنا في كل يوم جديد زمان نخلق جديدا وصورا في العالم لم تكن وصورا بادئة قد كانت متماثلة وفي هذا ما يدل على حصر الاشياء وأوقعها في غاية انتهاء صدرها وأوجب أن للاشياء بدأ وانتهاء وبطل قسم المتوهم أن الاشياء بلا نهاية وأن ليس لها ابتداء ولا غاية وذلك باطل ومحال فاسد ولو وجب أن تكون الاشياء الموجودة بلا بدء ولا نهاية لوجب أن لا يزول شيء من مركزه ولا يتحول عن رتبته ولبطلت الاستحالة وبطلت المتضادة وهذا مستحيل ولوجب أن تكون الاشياء على غير نهاية ولما كان لقولنا اليوم وأمس وغدا معنى لان هذه الازمان بعد ماهو بالنهاية ويوجد في حوزتها ايجاد ما لم يكن ودخلها في حوزتها ما هو كائن وفيما ذكرنا ما أوضح عن تنقل شأن المعاني ودل على حدوث الاجسام وهذه الدلالة مأخوذة من الحس ومستظهرة بالعقول والبحث واذ قد وضح أن الاشياء محدثة لكونها بعد أن لم تكن فلا بد من محدث هو بخلافها لا شكل له ولا مثل لان العقل لا يقيم شيئا مثلا حتى يعلم له قدرا أو وزنا يعادله بمثله وشكله وتعالى وجل وعز من لا تعبر عن ذاته اللغات وتعجز العقول أن

ويغازله بطرفه ويميل عليه بعطفه ففعل ذلك عجلا فانشد أبو الحسن مرتجلا

ومهفهف مزج الفتور بشدة * وأقام بين تبدل وتمنع

يثنيه من فعل المدامة والصبا * سكران سكر طبيعة وتطبع

أومأ الى بكأسه فكففتها * ورنا فشفعها بلحظ مطمع

والله لولا أن يقال هوى الهوى * منه بفضل عزيمة وتورع

لاخذت في تلك السبيل بمأخذي * فيما مضى ونزعت فيها منزعي انتهى

وحكى الحميدي أن عبد الملك بن ادريس الجزيري كان ليلة بين يدي الحاجب بن أبي عامر والقمر يبدو تارة ويخفيه السحاب تارة فقال بديها

أرى بدر السماء يلوح حينا * فيبدو ثم يلتحف السحابا

وذلك لانه لما تبدى * وأبصر وجهك استحيا فغابا

مقال لو نمى عني اليه * لراجعني بتصديقي جوابا انتهى

وكان صاعد اللغوي صاحب كتاب الفصوص وقد تكرر ذكره في هذا الكتاب كثيرا ما يمدح بلاد العراق بمجلس المنصور بن أبي عامر ويصفها ويقرظها فكتب الوزير أبو مروان عبد الملك بن شهيد والد الوزير أبي عامر أحمد بن شهيد صاحب الغرائب وقد تقدم بعض كلامه قريبا الى المنصور في يوم برد وكان أخص وزرائه به بهذه الابيات

أما ترى برد يومنا هذا * صيرنا للكمون أفذاذا

قد فطرت شدة الكبود به * حتى لكادت تعود أفلاذا

فادع بنا للشمول مصطليا * نغذ سيرا اليك اغذاذا

وادع المسمى بها وصاحبه * تدع نبيلا وتدع أستاذا

ولا تبالي أبا العلاء زها * بخمر قطربل وكلواذا

مادام من أرملاط مشربنا * دع دير عمى وديرنا باذا

وكان المنصور قد عزم ذلك اليوم على الانفراد بالحرم فأمر باحضار من جرى رسمه من الوزراء والندماء وأحضر ابن شهيد في محفة لنقرس كان يعتاده وأخذوا في شأنهم فمر لهم يوم لم يشهدوا مثله ووقت لم يعهدوا نظيره وطما الطرب وسما بهم حتى تهايج القوم ورقصوا وجعلوا يرقصون بالنوبة حتى انتهى الدور الى ابن شهيد فأقامه الوزير أبو عبد الله بن عباس فجعل يرقص وهو متوكئ عليه ويرتجل ويومئ الى المنصور وقد غلب عليه السكر

هاك شيخا قاده عذر لكا * قام في رقصته مستهلكا

لم يطق يرقصها مستثبتا * فانثنى يرقصها مستمسكا

عاقه عن هزها منفردا * نقرس أخنى عليه فاتكا

من وزير فيهم رقاصة * قام للسكر يناغي ملكا

انا لو كنت كما تعرفني * قمت اجلالا على رأسي لكا

قهقه الابريق مني ضاحكا * ورأى رعشة رجلي فبكى

قال ابن ظافر وهذه قطعة مطبوعة وطرفها الاخير واسطتها وكان حاضرهم ذلك اليوم رجل

حصر تاريخ العالم لما ذكرنا قول من قال بقدمه ودل على أزليته وقد تقدم ذكرنا لقول الهند في ذلك فيما سلف من هذا الكتاب وأما اليهود فانهم زعموا أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة وأخذوا في ذلك مأخذا سريعا وذهبت النصارى الى أن عمر العالم ما ذهبت اليه اليهود وأما الصابئة من الحرانيين والكتابيين فقد ذكرنا قولهم في ذلك في جملة قول اليونانيين وأما المجوس فانهم ذهبوا في ذلك الى حد معلوم من نفاد قوة اهرميد وكيده وهو الشيطان ومنهم من ذهب في ذلك الى نحو ما ذهب اليه أصحاب الانيس والمجلاس وان العالم سيعود بدأ متخلصا من الشرور والآفات وزعمت المجوس أن من وقت زرادشت بن سيمان نبيهم الى الاسكندر مائتين وثمانين سنة وملك الاسكندر ست سنين ومن ملك الاسكندر الى ملك أردشير خمسمائة سنة وأربع وستون سنة فذلك من هبوط آدم الى هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ستة آلاف سنة وستمائة سنة وست وعشرون سنة منها من هبوط آدم عليه السلام الى الطوفان ألفان ومائتان وست وخمسون سنة ومن

بغدادي يعرف بالفكيك حسن النادرة سريعها وكان ابن شهيد استحضره الى المنصور فاستطيبه فلما رأى ابن شهيد يرقص قائما مع ألم المرض الذى كان يمنعه من الحركة قال الله دركُ يا وزير ترقص بالقائمة وتصلي بالقاعدة فضحك المنصور وأمر لابن شهيد بمال جزيل ولسائر الجماعة وللبغدادي *وقال ابن بسام حدث أبو بكر محمد بن أحمد بن جعفر بن عثمان المصحفي قال دخلت يوما على أبي عامر بن شهيد وقد ابتدأت به علته التى مات بها فانس بي وجرى الحديث الى ان شكوت له تجني بعض أصحابي على ونفاره عني فقال لي ساسعى في اصلاح ذات البين فخرجت عنه واتفق لقائي لذلك المتجني على مع بعض أصحابي وأعزهم على فلما رآني ذلك الصديق مولياعنه أنكر عليه وساله عن السبب الموجب فاخبره وزاد في مشيه حتى لحقاني وعزم على في مكالمة صاحبي وتعاتبنا عتابا أرق من الهوى وأشهى من الماء على الظما حتى جئنا دار أبي عامر فلما رآنا جميعا ضحك وقال من كان الذى تولى اصلاح ما كنا سررنا بفساده قلنا قد كان ما كان فاطرق قليلا ثم أنشد

من لا اسمى ولا أبوح به * أصلح بيني وبين من أهوى
أرسلت من كان الهوى قدري * كيف يداوي مواقع البلوى
ولي حقوق في الحب ثابتة * لكن الى بعد هادعوى

وقد ذكرنا في هذا الكتاب من غرائب أبي عامر بن شهيد في مواضع متفرقة الغرائب وقدمنا في الباب الرابع حكايته مع المرأة الداخلة في رمضان لجامع قرطبة وحكيناها هنالك بلفظ المطمع فلتراجع وعبر ابن ظافر عن معناها بقوله ان أباعامر كان مع جماعة من أصحابه بجامع قرطبة في ليلة السابع والعشرين من رمضان فمرت امرأة به من بنات أجلاء قرطبة قد كملت حسنا وظرفا ومعها طفل يتبعها كالظبية تستتبع خشفا وقد حفت بها الجواري كالبدر حف بالدراري فحين رأت تلك الجماعة المعروفة بالخلاعة وقد رمقوا ذلك الظبي بعيون اسود رأت فريسة ارتاعت وتخوفت أن تخطف منها تلك الدرة النفيسة فاستدنت اليها خشفها والزمته عطفها فارتجل ابن شهيد قائلا * وناظرة تحت طي القناع الخ* ومرت في الباب الرابع هذه الابيات *وقال الرئيس أبو الحسن عبد الرحمن بن راشد الراشدي لما نعيت أباعامر بن شهيد الى أبي عبد الله الحياط الشاعر وكان قد عرف ما بينهما من المنافسة فبكى وأنشدني لنفسه بديهة

لما نعى الناعي أباعامر * أيقنت أني لست بالصابر
أودى فتى الظرف وترب الندى * وسيد الاول والآخر

وقال ابن بسام اصطبح المعتصم بن صمادح يوما مع ندمائه فأبرز لهم وصيفة مهدوية متصرفة في أنواع اللعب المطرب من الدك وحضر أيضا هنالك لاعب مصري ساحر فكان لعبه حسنا فارتجل أبو عبد الله بن الحداد

كذا فلتلح قمرا زاهرا * وتجنى الهوى ناظرا ناضرا
وسيبك سيب ندى مغدق * أقام لناها ميا هامرا
وان لم يوسك ذا رونقا * منيرا كنور الضحى باهرا

موسى بعد ثمانين سنة خلت من عمر موسى بن عمران وهو وقت خروجه بني اسرائيل من مصر الى التيه خمسمائة وخمس وستون سنة ومن خروجهم الى سنة أربع من ملك سليمان بن داود عليه السلام وذلك وقت ابتدائه في بناء بيت المقدس ستمائة وست وثلاثون سنة ومن بناء بيت المقدس الى ملك الاسكندر سبعمائة وسبع عشرة سنة ومن ملك الاسكندر الى مولد المسيح ثلثمائة سنة وتسع وستون سنة ومن مولد المسيح الى مولد النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة واحدى وعشرون سنة وبين ان رفع الله المسيح وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة الى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وست وأربعون سنة وبين مبعث المسيح وهجرة النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة وأربع وتسعون سنة (وكانت وفاة نبينا) صلى الله عليه وسلم في سنة تسعمائة وخمس وثلاثين سنة من سني ذي القرنين ومن داود الى محمد صلى الله عليه وسلم ألف سنة وسبعمائة سنة وسنتان وستة أشهر وعشرة أيام ومن ابراهيم الى محمد صلى الله عليه وسلم ألفا سنة وسبعمائة سنة وعشرون سنة وستة أشهر وعشرة ايام ومن نوح الى محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثة آلاف سنة وسبعمائة

صباح اصطباح باسفاره * تخططنا بها العلا سافرا
واطلعت فيه نجوم الكؤس * فازال كوكبها زاهرا
واسمعتنا لاحنافاتنا * واحضرتنا لاعباساحرا
يرفرف فوق رؤس القيان * فننظر مايذهل الناظرا
ويخطفها ذيل سرباله * فننظر طالعها غائرا
فظاهرها ينثني باطنا * وباطنها ينثني ظاهرا
وشاه ثان لا لعابه * دقائق تثنى الحجا حائرا
وفى سورة الراح من سحره * خواطر دلهت الخاطرا
اذا ورد اللحظ أثناءها * فالوهم عن وردها صادرا
ومن حسن دهرك ابداعه * فالفك عارضها ماطرا
وسعدك يجتلب المغربات * فيجعل غائبها حاضرا

قال وحضر الاديب أحمد بن الشقاق عند القائد بن در يد بجيان هو وأبو زيد بن مقانا الاشبونى فاحضر لهما عنبا أسود مغطى بورق أخضر فارتجل ابن الشقاق

عنب تطلع من حشى ورق لنا * صبغت غلائل جلده بالاثمد
فكانه من بينهن كواكب * كسفت فلاحت فى سماء زبرجد

قال وحضر ابن مرزقان ليلة عند ذى النون بن خلدون وبحضرته وصيفة تحمل شمعة فاستحسنها ابن مرزقان فقال بديها

ياشمعة تحملها اخرى * كانها شمس علت بدرا
امتعت احداكما مهجتى * بمثل ماتمحن الاخرى

قال ودخل الاديب غانم يوما على باديس صاحب غرناطة فوسع له على ضيق كان فى المجلس فقال بديها

صيرفؤادك للمحبوب منزلة * سم الخياط مجال للمحبين
ولاتسامح بغيضا فى معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

وأخذه من قول الخليل ماتضايق سم الخياط بمتحابين ولا اتسعت الدنيا لمتباغضين وكان الخليل على نمرقة صغيرة والمجلس متضايق فدخل عليه بعض أصحابه فرحب به وأجلسه معه على النمرقة فقال له الرجل انها لاتسعنا فقال ماذكر * وقال ابن بسام ايضا أمر الحاجب المنذر بن يحيى التجيبى صاحب سرقسطة بعرض بعض الجند فى بعض الايام ورئيسهم مملوك له رومى يقال له خيار فى نهاية الجمال فجعل ينفخ فى القرن ليجتمع أصحابه على عادتهم فى ذلك فقال ابن هند الدانى فيه ارتجالا

أعن بابل أجفان عينيك تنفث * ومن قوم موسى أنت للعهد تنكث
أفى الحق أن تحكى سرافيل نافخا * وامكث فى رمس الصدود والبث
فسالك نبى الحسن تاتى باية * فتنفخ فى ميت الصدود فيبعث

قال وكان بقرطبة غلام وسيم فر عليه ابن فرج الجيانى ومعه صاحب له فقال صاحبه انه

سنة وعشرون سنة وعشرة النبى صلى الله عليه وسلم اربعة آلاف سنة واحدى عشرة سنة وستة اشهر وعشرة ايام بجملة التاريخ من هبوط آدم الى الارض الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة من خلافة المتقى بالله ونزوله الرقة من ديار مضر خمسة آلاف سنة ومائة وست وخمسون سنة (وقد ذكرنا) جملا من التاريخ فيما سلف من هذا الكتاب فلم نعد منه ماتقدم (والمجوس) فى التواريخ أقاصيص يطول ذكرها وعود الملك اليهم والى غيرهم من الطوائف السالفة فى بدو العالم وفنائه ومن قال منهم ببقائه وان لابدء له ولانهاية ومن ذهب منهم الى ان له انتهاء ولابدء له قد اتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا فأغنى ذلك عن الاعادة فى هذا الكتاب لاشتراطنا فيه على انفسنا الاختصار والايجاز والتنبيه على ماسلف لنا من الكتب (وقد ذهب) جماعة من اهل البحث والنظر من أهل الاسلام ان الدلالة قد قامت على حدوث العالم وكونه بعد أن لم يكن وأن المحدث له الخالق البارى جل وعز احدثه لامن شئ وبدأه لامن شئ فى الآخر ليصح بذلك وعده ووعيده

لصبح لولا صفرة فيه فقال ابن فرج ارتجالا

قالوا به صفرة عابت محاسنه * فقلت ماذاك من عيب به نزلا
عيناه تطلب فى أوتار من قتلت * فلست تلقاه الا حائما وجلا

قال وكان يوما مع لمة من أهل الادب فى مجلس أنس فاحتاج رب المنزل الى دينار فوجه الى السوق فدخل به عليهم غلام من الصيارف فى نهاية الجمال فرمى بالدينار اليهم من فيه عاجنا فقال ابن فرج

أبصرت دينارا بكف مهفهف * يزهى به من كثرة الاعجاب
أومابه من فيه ثم رمى به * فكانه بدر رمى بشهاب

قال وخرج الاديب أبو الحسن بن حصن الاشبيلى الى وادى قرطبة فى نزهة فتذكر اشبيلية فقال بديها

ذكرتك يا حمص ذكرى هوى * أمات الحسود وتعنيته
كانك والشمس عند الغروب * عروس من الحسن منحوته
غدا النهر عقدك والطود تا * جك الشمس أعلاه ياقوته انتهى

وعبر بعضهم وهو صاحب بدائع البداءة عن بعض حكايات صاحب القلائد عا يقار بها فى المعنى فقال ان المستعين بن هود ملك سرقسطة والثغور ركب نهر سرقسطه يوما لتفقد بعض معاقلها المنتظمة بجيد ساحله وهو نهر رق ماؤه وراق وأزرى على نيل مصر ودجلة العراق قد اكتنفته البساتين من جانبيه وألقت ظلالها عليه فاتكاد عين الشمس ان تنظر اليه هذا على اتساع عرضه وبعد سطع مائه من أرضه وقد توسط زورقه زوارق حاشيته توسط البدر للهالة وأحاطت به احاطة الطاوة بالغزالة وقد أعدوا من مكايد الصيد ما استخرج ذخائر الماء وأخاف حتى حوت السماء وأهلة الهالات طالعة من الموج فى سحاب وقانصة من بنات الماء كل طائرة كالشهاب فلاترى الا صيودا كصيد الصوارم وقدود اللهاذم ومعاصم الابكار النواعم فقال الوزير أبو الفضل بن حسداى والطرب استهواه وبديع ذلك المرأى قد استرق هواه

لله يوم أنيق واضح الغرر * مفضض مذهب الآصال والبكر
كانما الدهر لما ساء أعتبنا * فيه بعتبى فابدى صفح معتذر
نسير فى زورق حف السرور به * من جانبيه بمنظوم ومنتثر
مد الشراع به فدا على ملك * بذ الاوائل فى أيامه الاخر
هو الامام الهمام المستعين حوى * عليا مؤتمن فى هدى مقتدر
تحوى السفينة منه آية عجبا * بحر تجمع حتى صار فى نهر
تثار من قعره النينان مصعدة * صيدا كما ظفر الغواص بالدرر
وللندامى به عب ومرتشف * كالريق يعذب فى ورد وفى صدر
والشرب فى ود مولى خلقه زهر * يذكو وبهجته أبهى من القمر انتهى

ثم قال مامعناه وقوله نينان غير معرب وفيه نون تونا لم يجئ جمعها على نينان وقد كان سيبويه

السنين واحصاؤها وتنازع الناس فى بدء التاريخ والكتاب لم يخبر بحصر اوقاته ولا بين عن كيفيته ولا اعداد سنيه فيما مضى وليس علم ذلك مما تهجم عليه الآراء ولا تحصره قضيات العقول وموجبات القصص وضرورات الحواس عند مذاكرتها لمحسوساتها فكيف توجب أن يوقت عمر الدنيا بسبعة آلاف سنة والله عز وجل يقول وقد ذكر الاجيال ومن ضمه الهلاك وعادا وثمودا وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا والله تعالى ذكره يقول فى الشئ الكثير الشئ الحقير وأعلمنا فى كتابه خلق آدم وما كان من أمره وأمر الانبياء بعده وأخبر عن شان بدء الخلق ولم يخبرنا بمقدار ذلك فنقف عليه كوقوفنا عند ما أخبرنا به ولا سيما مع علمنا أن الامد بيننا وبينه متفاوت وأن الارض كثرت بها المدن والملوك والعجائب فلانحصر مالم يحصر الله عز وجل ولا يقبل من اليهود ما أوردته لنطق القرآن انهم يحرفون الكلم عن مواضعه ويكتمون الحق وهم يعلمون ونفيهم النبوآت وجحدهم ما أتوا به من الآيات

لحن بشار بن برد في قوله في صفة السفينة

تلاعب نينان البحور ربما * رأيت نفوس القوم من جريها تجري

فغيره بشار بتيار البحور وقد قال أبو الطيب يصف خيلا

فهن مع السيدان في البر عسل * وهن مع النينان في البحر عوّم   انتهى

والمستعين بن هود هو أحمد بن المؤتمن على أمر الله يوسف بن المقتدر بالله أحمد بن المستضىء بالله سليمان بن هود الجذامي رحم الله تعالى الجميع * وعبر المذكور عن قضية ابن وهبون في هلال شوّال بما نصه خرج ابن وهبون يوما لنظر هلال شوّال وأبو بكر بن القبطرنة الوزير يسايره وهو يومئذ غلام يخجل البدر ويذوي الغصن النضر وصفحته لم يسطرها العذار بانقاسه ووردة خده لم يسترها الشعر بآسه فارتجل عبد الجليل

يا هلال استتر بوجهك عني * ان مولاك قابض بشمالي

هبك تحكي سناه خذ الخد * قم فجئني لخده بمثال   انتهى

وقد ذكرنا هذه الحكاية في غير هذا الموضع بلفظ الفتح في القلائد ولكنا أعدناها هنا لتعبير صاحب البدائع عنها كما الطري بقته * وذكر ابن بسام ان الوزير أبا عبد الله بن أبي الخصال وقف بباب بعض القضاة واستأذن عليه فحجب عنه فكتب اليه بديها

جنابك للعاجة المطول صاحبها * وأنت تنعم والاخوان في بوس

وقد وقفنا طويلا عند بابكم * ثم انصرفنا على رأي ابن عبدوس

أشار به الى قول الوزير أبي عامر بن عبدوس

لنا فاض له خلق * أدل قميصه الترق

اذا جئناه يحجبنا * فنلعنه ونفترق

وهو تمليح مليح سامح الله تعالى الجميع * وقال أبو جعفر الكاتب القرطبي الربضي

وأبى المدامة ما أريد بشربها * صلف الرقيع ولا انتهاك اللاهي

لم يبق من عصر الشباب وطيبه * شيء كعهدي لم يحل الاهي

ان كنت أشربها لغير وفائها * فتركتها للناس لا لله

وبعضهم ينسبها لابي القاسم عامر بن هشام والصواب كما قال ابن الابار الاوّل * وقال أبو جعفر المذكور في قوّارة زجاج كلفه وصفها والي قرطبة

ما شغل الطرف مثل فائرة * مج صرف الحياة من فيها

أشرب بها والحباب في جذل * يظهره حسنها ويخفيها

تكاد من رقة تنمنمها * تخطئها العين اذ توافيها

كأنها درة منعمة * زهراقد ذاب تصفهافيها

ومن شعره أيضا

ضحك المشيب براسه * فبكى باعين كاسه

رجل تخوّنه الزما * ن بيؤسه وبباسه

يجري على غلوائه * طلق الجموح بناسه

مما أظهره الله عزوجل على يدي عيسى بن مريم من المعجزات وعلى يدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من البراهين الباهرات والدلائل والعلامات والله عز وجل يخبر بما أهلك من الامم لما كان من فعلهم وكفرهم بربهم قال الله عزوجل الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة فأما ثمود فاهلكوا بالطاغية وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية الى قوله فهل ترى لهم من باقية ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم كذب النسابون وأمر أن ينسب الى معد ونهى أن يتجاوز بالنسب الى ما فوق ذلك لعلمه بما مضى من الاعصار الخالية والامم الفانية ولولا أن النفوس الى الطارف أحن وبالنوادر أشغف والى قصار الاحاديث أميل وبها أكلف لذكرنا من أخبار المتقدمين وسير الملوك الغابرين ما لم نذكره في هذا الكتاب ولكن ذكرنا فيه ما قرب تناوله تلويحا بالقول دون الايضاح والشرح اذ كان معوّلنا في جميع ذلك على ما سلف من كتبنا وتقدم من تصنيفنا واذا علم الله عزوجل موقع النية ووجه القصد أعان على السلامة من كل مخوف (وقد ذكرنا) في هذا الكتاب من كل فن من العلوم وكل باب من الآداب على حسب الطاقة أخذا

أخذا بأوفر حظه * لرجائه من يأسه

وقال أحد بني القبطرنة الوزراء

ذكرت سليمى ونار الوغى * بقلبي كساعة فارقتها
وأبصرت قد القنا شبهها * وقد ملن نحوي فعانقتها

وهذا معنى بديع ما أراه سبق به وقال أبو الحسن بن الغليظ المالقي قلت يوما للاديب أبي عبد الله بن السراج المالقي ونحن على خرير ماء أجز * شربنا على ماء كأن خريره * فقال مبادرا * بكاء محب بان عنه حبيب

فمن كان مشغوفا كئيبا بالفه * فاني مشغوف به وكئيب

وكتب أبو بكر البلنسي الى الاديب أبي بحر صفوان بن ادريس هذين البيتين يستجيزه القسيم الأخير منهما

خليلي أبا بحر وما قرقف اللمى * بأعذب من قولي خليلي أبا بحر
أجز غير مأمور قسيما نظمته * تأمل على مجرى المياه حلى الزهر

فأجازه

تأمل على مجرى المياه حلى الزهر * كعهدك بالخضراء والانجم الزهر
وقد ضحكت للياسمين مباسم * سرورا بآداب الوزير أبي بكر
وأصغت من الآس النضير مسامع * لتسمع ما يتلوه من سور الشعر

وقال ابن خفاجة

وما الانس الا في مجاج زجاجة * ولا العيش الا في صرير سرير
واني وان جئت المشيب لمولع * بطرة ظل فوق وجه غدير

وقال ابن خفاجة أيضا

وأسود يسبح في لجة * لا تكتم الحصباء غدرانها
كأنها في شكلها مقلة * وذلك الاسود انسانها

وكتب الوزير الشهير أبو الوليد بن زيدون الى الوزير أبي عبد الله بن عبد العزيز اثر صدوره عن دانية

راحت فصح بها السقيم * ريح معطرة النسيم
مقبولة هبت قبولا * فهي تعبق في الشميم
أفضيض مسك أم بلنسية لرياها نميم
بلد حبيب أفقه * لفتى يحل به كريم
ايه أبا عبد الاله نداء مغلوب الغريم
ان عيل صبري من فراقك فالعذاب به أليم
او أتبعتك حنينها * نفسي فانت لها قسيم
ذكرى لعهدك كالعرا * وسرى فبرح بالسليم
مهما ذممت فما لزما * ني في زمانك بالذميم

اليه المبتدي والمنتهي من علوم العالم وأخباره فلنذكر الآن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولده ومبعثه وهجرته ووفاته وأيام الخلفاء والملوك عصرا فعصرا الى وقتنا هذا ولم نعرض في كتابنا هذا الكثير من الاخبار بل لوحنا بالقول بها تخوفا من الاطالة ووقوع الملل اذ ليس ينبغي للعاقل أن يحمل البنية على ما ليس في طاقتها ويسوم النفس ما ليس في حيلتها وانما الالفاظ على قدر المعاني وقليلها القليلها وهذا باب كبير وبعضه ينوب عن بعض والجزء منه يوهمك الكل والله تعالى ولي التوفيق

(ذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم ونسبه وغير ذلك مما لحق بهذا الباب)

وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا بدء التاريخ في أخبار العالم وأخبار الانبياء والملوك وعجائب البر والبحر وجوامع التاريخ للفرس والروم والقبط وشهور الروم والقبط وما كان من مولد النبي صلى الله عليه وسلم الى مبعثه ومن آمن به قبل رسالته وقد قدمنا في هذا الكتاب من كان بينه وبين المسيح من أهل الفترة فلنذكر الآن مولده

زمن كالوف الرضا * ع يشوق ذكراه القطيم
أيام أعقد ناظرى * فى ذلك المرأى الوسيم
وأرى الفتوة غضة * فى ثوب أواه حليم
الله يعلم ان حبك من فؤادى فى الصميم
ولئن تحمل عنك لى * جسم فعن قلب مقيم
قل لى باى خلال سرك فيك أقبل أو أهيم
ألجدك العمم الذى * نسق الحديث مع القديم
أم طرفك الغض الجنى * أم عرضك الصافى الاديم
أم برك العذب الجما * م و بشرك الغض الجميم
ان أشمت تلك الطلا * قة فالندى منها مغيم
أم بالبدائع كاللآ * لى من نثير أو نظيم
ابلاغة ان عد أهلوها فانت بها زعيم
فقر تسوغ بها المدا * م اذا يكررها النديم
ان الذى قسم الحظو * ظ حباك بالخلق العظيم
لا أستزيد الله نعمى فيك لا بل أستديم
فلقد أقر العين أنك غرة الزمن البهيم
حسبى الثناء بحسن برك ما بدا برق وشيم
ثم الدعاء بان تهنا أطول عيشك فى نعيم
ثم السلام تبلغنه فغيب مهديه سليم

ولما ورد اشبيلية نزل بدار الوزير الكاتب ذى الوزارتين أبى عامر بن سلمة وهو يبنى مجلسا فصنع أبياتا كتبت فيه

عمر من يعمر ذا المجلسا * أطول عمر يبهج الانفسا
و بعد ذا عوض من داره * عدنا ومن ديباجه السندسا
ولقى النور بها والرضا * ووقى الاسواء والابؤسا
ودام عباد لعضد الهدى * يحرس حتى يفنى الاحرسا
معتضدا بالله احسانه * جم اذا ما الدهر يوما أسا
الملك الغمر الندى المقتنى * من كل حمد علقه الانفسا
ان رام يوما وصف عليائه * مفوه مقتدرا خرسا
لا زال بدرا طالعا نيرا * يكشف عن آمالنا الحندسا

وقال فيه أيضا

أدرها فقد حسن المجلس * وقد آن أن تترع الا كؤس
ولا تنس أن أوان الربيع * اذا لم تجد فقده الانفس
فان خلال أبى عامر * بها يحقر الورد والنرجس

قبل بعثته (وهو محمد) بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى ابن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤى بن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن الياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان بن أدد بن أدد بن ناحور بن يعرب بن يشجب بن ثابت ابن اسمعيل بن ابراهيم خليل الرحمن بن تارخ بن آزر بن ناحور بن ساروغ ابن ارعواء بن فالغ بن عابر ابن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلخ بن خنوخ بن برد بن مهلاييل بن معسوف بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام هذا ما فى نسخة ابن هشام فى كتاب جمهرة النسب والنسخ مختلفة الاسماء فى النسب من نزار وفى نسخة ان نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن نام بن يشجب بن يعرب بن الهميسع بن صانوع ابن يافث بن قيدر بن اسمعيل بن ابراهيم بن تارخ بن ناحور بن ارعواء ابن اسرع وح بن فالخ بن شالخ بن ارفخشذ بن سام ابن نوح بن متوشلخ بن خنوخ بن مهلاييل بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم (وفى رواية ابن الاعرابى) عن هشام بن محمد الكلبى

وكتب الى الوزير أبي المعالى المهلب بن عامر يستدعيه

طابت لنا ليلتنا الخاليه * فلنتبعها هذه الثانيه
أبا المعالى نحن فى راحة * فانقل الينا القدم العاليه
لانها عاطلة ان تغب * عنا فزرنا كى ترى حاليه
أنت الذى لو نشترى ساعة * منه بدهر لم تكن غاليه

وكتب اليه ذو الوزارتين أبو عامر المذكور معاتبا

تباعدنا على قرب الجوار * كأنا أصدقاء شط المزار
تطلع لى هلال الهجر بدرا * وصار هلال وصلك فى سرار
وشاع شنيع قطعك لى بوصلى * فهلا كان ذلك فى استتار
أيجمل أن ترى عنى صبورا * فاصبح مولعا دون اصطبار
وكنت أزيد سمعك من عتابى * ولكن عاقنى فرط الخمار
فراع مودتى واحفظ جوارى * فان الله أوصى بالجوار
وزرنى منعما من غير أمر * وآنس موحشا من عقر دارى

فكتب اليه ابن زيدون

هواى وان تناءت عنك دارى * كمثل هواى فى حال الجوار
مقيم لا تغيره عواد * تباعد بين احيانى المزار
رأيتك قلت ان الهجر بدر * متى خلت البدور من السرار
ورابك أننى جلد صبور * وكم صبر يكون عن اصطبار
ولم أهجر لعتب غير أنى * أضرت بى معاقرة العقار
وان الخمر ليس لها اختيار * يبرح بى فكيف مع الخمار
وهل انسى لديك نعيم عيش * كوشى الخد طرز بالعذار
وساعات يجول اللهو فيها * مجال الظل فى حدق النهار
وان يك فر عنك اليوم جسمى * فديت فما القلب من فرار
وكنت على البعاد أجل شئ * لدى فكيف اذ أصبحت جارى

وكان أبو العطاف اذ ورد اشبيلية رسولا قد سأله ان يريه شيأ من شعره فمطله به حتى كتب اليه شعرا يستبطئه فاجابه ابن زيدون فى العروض والقافية

أفدتنى من نفائس الدرر * ما أبرزته غوائص الفكر
من لفظة قارنت نظائرها * قران سقم الجفون للحور

وهى أكثر مما ذكر * وكتب رحمه الله تعالى أعنى ذا الوزارتين بن زيدون الى ولادة

أضحى التنائى بديلا من تدانينا * وناب عن طيب دنيانا تجافينا
الا وقد قام صبح البين صبحنا * حينا فقام لنا للعين ناعينا
من مبلغ الملبسينا بانتزاحهم * حزنا مع الدهر لا يبلى و يبلينا
ان الزمان الذى ما زال يضحكنا * انسا بقربهم قد عاد يبكينا

ابن ناحور بن ساروخ بن ارعواء بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلخ بن خنوخ بن برد بن مهلاييل ابن معسوف بن شيث بن آدم عليه السلام (وفى التوراة) أن آدم عليه السلام عاش تسعمائة سنة وثلاثين سنة فيجب والله أعلم أن آدم عليه السلام كان عند مولد لمك وهو أبو نوح النبى عليه السلام ابن ثمانمائة سنة وأربع وستين سنة وشيث ابن سبعمائة وأربع وأربعين سنة فيجب على هذا الوصف من الحساب أن مولد نوح عليه السلام كان بعد وفاة آدم بمائة وست وعشرين سنة (وقد نهى) النبى صلى الله عليه وسلم على حسب ما ذكرنا من نهيه ان يتجاوز عن معد فقد ثبت ان نتوقف فى النسب على ما ذكرنا فالواجب الوقف عند أمره عليه السلام ونهيه (قال المسعودى) وقد وجدت نسب بن عدنان فى السفر الذى أثبته تاروخ بن باريا كاتب أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن معدا بن عدنان بن أد بن الهميسع بن

غيظ العدامن تساقينا الهوى فدعوا * بان نغص فقال الدهر آمينا
فانحل ما كان معقودا بانفسنا * وانبت ما كان موصولا بايدينا
بالامس كنا ومايخشى تفرقنا * واليوم نحن ومايرجى تلاقينا
ياليت شعرى ولم نعتب أعاديكم * هل نال حظامن العتبى اعادينا
لم نعتقد بعدكم الاالوفاء لكم * رأياولم نتقلدغيره دينا
كنا نرى اليأس تسلينا عوارضه * وقد يئسنا فما لليأس يغرينا
بنتم و بنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت ماقينا
تكاد حين تناجيكم ضمائرنا * يقضى علينا الاسى لولا تأسينا
حالت لفقدكم ايامنا فغدت * سودا وكانت بكم بيضا ليالينا
اذجانب العيش طلق من تألفنا * ومورد اللهو صاف من تصافينا
واذهصرنا فنون الوصل دانية * قطوفها فجنينا منه ماشينا
ليسق عهدكم عهد السرور فما * كنتم لارواحنا الاريا حينا
لاتحسبوا نأيكم عنا يغيرنا * ان طال ماغير النأى المحبينا
والله ماطلبت أهواؤنا بدلا * منكم ولاانصرفت عنكم أمانينا
ياسارى البرق غادالقصر فاسق به * من كان صرف الهوى والود يسقينا
واسال هنالك هل عنى تذكرنى * الفاتذكره أمسى يعنينا
و يانسيم الصبا بلغ تحيتنا * من لوعلى البعدحى كان يحيينا
من لايرى الدهر يقضينا مساعفة * فيه وان لم يكن عنا يقاضينا
و بيت ملك كأن الله أنشاه * مسكا وقدأنشاالله الورى طينا
اوصاغه ورقامحضا وتوجه * من ناصع التبرابداعا وتحسينا
اذاتأود أدته رفاهية * تدمى العقول وأدمته البرى لينا
كانت له الشمس ضئرافى تكلله * بل ماتجلى بها الااحايينا
كانما ثبتت فى صحن وجنته * زهرالكواكب تعويذا وتزيينا
ماضران لم نكن أكفاءه شرفا * وفى المودة كاف من تكافينا
يارو ضة طالما أجنت لواحظنا * ورداجناه الصبا غضا ونسرينا
و ياحياة تملأنا بزهرتها * منى ضروبا ولذات أفانينا
و يانعيما خطرنا من نضارته * فى وشى نعمى سحبنا ذيله حينا
لسنا نسميك اجلالا وتكرمة * وقدرك المعتلى عن ذاك يغنينا
اذا انفردت وماشوركت فى صفة * فحسبنا الوصف ايضاحا وتبيينا
ياجنة الخلد أبدلنا بسلسلها * والكوثر العذب زقوما وغسلينا
كاننا لم نبت والوصل ثالثنا * والسعد قدغض من أجفان واشينا
سران فى خاطر الظلماء تكتمنا * حتى يكادلسان الصبح يفشينا
لاغروفى أن ذكرنا الحزن حين نهت * عنه النهى وتركنا الصبر ناسينا

ابن عنصى بن هنف بن عبيد بن الرعى بن حمران بن تبسيس بن قنرى بن فخرى بن بلخى بن ارعوا بن هنقاء بن حسان ابن عيسى بن افياد بن ايهام ابن معصر بن ماحب بن رواح ابن سماى بن مر بن عوص بن عوام بن قيدر بن اسمعيل ابن ابراهيم الخليل عليه السلام وقد كان لارمياء مع معد بن عدنان أخبار يطول ذكرها وما كان من أمرهما بالشام وقد اتينا على ذكر ذلك فيما سلف من كتبنا وانما ذكرنا هذا النسب من هذا الوجه ليعلم تنازع الناس فى ذلك (وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن تجاوز معد لعلمه من تباعد الانساب وكثرة الآراء فى طول هذه المدة والاعصار (وكنيته) صلى الله عليه وسلم أبو القاسم وفى ذلك يقول الشاعر

لله عن قد براصفوة
وصفوة الخلق بنو هاشم
وصفوة الصفوة من هاشم
محمد النور أبو القاسم

وهو محمد وأحمد والماحى الذى يمحو الله به الذنوب والعاقب والحاشر الذى يحشر الناس على عقبه صلى الله عليه وسلم (وكان مولده) عليه السلام عام الفيل و بين عام الفيل وعام الفجار عشرون سنة والفجار حرب كانت بين قيس عيلان و بين كنانة استحلوا فيها القتال فى الاشهر الحرم فسميت الفجار وكنانة بن خزيمة بن مدركة هو

انا

اناقرأنا الاسى يوم النوى سورا * مكتوبة وأخذنا الصبر تلقينا
أما هواك فلم نعدل بمشربه * شربا وان كان يروينا فيظمينا
لم نجف أفق جمال انت كوكبه * سالين عنه ولم نهجره قالينا
ولا اختيارا تجنبناك عن كثب * لكن عدتنا على كره عوادينا
نأسى عليك اذا حثت مشعشعة * فينا الشمول وغنانا مغنينا
لا أكؤس الراح تبدي من شمائلنا * سيما ارتياح ولا الاوتار تلهينا
دومي على العهد مادمنا محافظة * فالحر من دان انصافا كما دينا
فما استعضنا خليلا عنك يحبسنا * ولا استفدنا حبيبا منك يغنينا
ولو صبا نحونا من أفق مطلعه * بدر الدجى لم يكن حاشاك يصبينا
أبكي وفاء وان لم تبذلي صلة * فالطيف يقنعنا والذكر يكفينا
وفي الجواب امتناع قد شغفت به * بيض الايادي التي مازلت تولينا
عليك مني سلام الله مابقيت * صبابة بك نخفيها وتخفينا

وانما ذكرت هذا القصيدة مع طولها لبراعتها ولان كثيرا من الناس لا يذكر جملتها ويظن أن ما في القلائد وغيرها منها هو جميعها وليس كذلك فهي وان اشتهرت بالمشرق والمغرب لم يذكر جملتها الا القليل وقد كنت وقفت بالمغرب على تسديس لها لبعض علماء المغرب ولم يحضرني منه الآن الا قوله في المطلع

ماللعيون بسهم الغنج ترمينا * وعن قطاف جني الاعطاف تحمينا
تالف كان يحيينا ويضنينا * تفرق عاث في شمل المحبينا
أضحى التنائي بديلا من تدانينا * وناب عن طيب دنيانا تجافينا

وما أحسن قوله في هذا التسديس

ماللاحبة دانوا بالنوى ورأوا * تعويض عهد اللقا بالبعد حين ناوا
رعاهم الله كانوا للعهود رعوا * فغيرتهم وشاة بالفساد سعوا
غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا * بان نغص فقال الدهر آمينا

وقد ذكرنا في الباب الرابع موشحة ابن الوكيل التي وطأفيها النونية ابن زيدون هذه فلتراجع (رجع) وقال ذو الوزارتين ابن زيدون يتغزل

وضح الصبح المبين * وجلا الشك اليقين
ورأى الاعداء ماغرتهم منك الظنون
أملوا مالبس يمنى * ورجوا مالا يكون
وتمنوا أن يخون العبد مولى لا يخون
فاذا الغيب سليم * واذا العهد مصون
قل لمن دان بهجري * وهو اني اذ يدين
أرخص الحب فؤادي * لك والعلق ثمين
باهلا لا تتراآ * ه نفوس لا عيون

وكانت أمهم ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وهي خندف فغلب على من ذكرنا الالقاب ونسب ولد الياس الى أمهم خندف وفي ذلك يقول قصي بن كلاب بن مرة
اني أرى الحرب نحي وأبي
عند تناديهم بآل وهب
معترم الصولة عالي النسب
أمي خندف والياس أبي
(وقريش) خمسة وعشرون بطنا وهم بنو هاشم بن عبد مناف بنو الحرث بن عبد المطلب بنو اسد بن عبد العزى بنو عبد الدار بن قصي وهم حجبة الكعبة بنو زهرة بن كلاب بنو تيم بن مرة بنو مخزوم بنو يقظة بنو مرة بنو عدي بن كعب بنو سهم بنو جمح والى هنا تنتهي قريش البطاح على حسب ماقدمنا فيما سلف من هذا الكتاب بنو مالك بن حنبل بنو معيط بن عامر بنو لؤي بنو أسامة بن لؤي بنو الادوم وهم تيم بن غالب بنو محارب بن فهر بنو الحرث بن عبد الله بن كنانة بنو عائذة وهم خزيمة بن لؤي بنو بنانة وهم سعيد بن لؤي ومن بني مالك الى آخر القبائل من قريش الظواهر على حسب ماقدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند

عجبا للقلب يقسو * منك والعطف يلين
ما الذي ضرك لوسر * بمسراك الحزين
وتلطفت بصب * حينه فيك يحين
فوجوه اللطف شتى * والمعاذير فنون

وقال أيضا

اليك من الانام غدا ارتياحي * وأنت من الزمان مدى اقتراحي
وما اعترضت هموم النفس الا * ومن ذكراك ريحاني وراحي
فديتك ان صبري عنك صبري * لدى عطشي عن الماء القراح
ولي أمل لو الواشون كفوا * لاطلع غرسه ثمر النجاح
وأعجب كيف يغلبني عدو * رضاك عليه من أمضى سلاحي
ولما أن جلتك لي اختلاسا * أكف الدهر للعين المتاح
رأيت الشمس تطلع في نقاب * وغصن البان يرفل في وشاح
فلو اسطيع طرت اليك شوقا * وكيف يطير مقصوص الجناح
على حالي وصال واجتناب * وفي يومي دنو وانتزاح
وحسبي أن تطالعك الاماني * بافقك في مساء أو صباح
فؤادي من أسى بك غير خال * وقلبي من هوى لك غير صاح
وأن تهدى السلام الي شوقا * ولو في بعض أنفاس الرياح

وقال

كم ذا أريد ولا أراد * لله ما لقي الفؤاد
أصفي الوداد الى الذي * لم يصف لي منه الوداد
كيف السلو عن الذي * مثواه من قلبي السواد
يقضي على دلاله * في كل حين أو يكاد
ملك القلوب بحسنه * فلها اذا أمر انقياد
ياهاجري كم أستفيد الصبر عنك فلا أفاد
أولا ترثي لمن يبيت وحشو مقلته السهاد
ان أجن ذنبا في الهوى * خطا فقد يكبو الجواد
كان الرضا وأعيذه * أن يعقب الكون الفساد

وقال

متى أبثك مابي * ياراحتي وعذابي
متى ينوب لساني * في شرحه عن كتابي
الله يعلم أني * أصبحت فيك كما بي
فما يلذ منامي * ولا يسوغ شرابي
يافتنة المتعري * وحجة المتصابي

شوال وكان حلف الفضول بعد منصرفهم من الفجار فقال بعضهم
نحن كنا الملوك من آل نجد
وحماة الذمار عند الدمار
ومنعنا الحجون من كل حي
ومنعنا الفجار يوم الفجار
وفي ذلك قال خداش بن زهير العامري
فلا توعديني بالفجار فانه
أحل بيطحاء الحجون المخازيا
(وقد كان) الحلف في ذي القعدة بسبب رجل من زبيد من اليمن وكان باع سلعة له من العاص بن وائل السهمي فطاله بالثمن حتى يئس فعلا جبل أبي قبيس وقريش في مجالسها حول الكعبة فنادى بشعر يصف فيه ظلامته رافعا صوته مناديا يقول
ياللرجال لمظلوم بضاعته
ببطن مكة نائي الحي والنفر
ان الحرام لمن تمت حرامته
ولا حرام لثوبي لابس الغدر
فمشت قريش بعضها الى بعض وكان أول من سعى في ذلك الزبير بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف واجتمعت قبائل قريش في دار الندوة وكانت للحل والعقد
* وكان ممن اجتمع بها من قريش بنو هاشم بن عبد مناف و بنو المطلب بن عبد مناف وزهرة بن كلاب

الشمس انت توارت * عن ناظري بالحجاب
ما النور شف سناه * على رقيق السحاب
الا كوجهك لما * أضاء تحت النقاب

وقال

هل لداعيك مجيب * أم لشاكيك طبيب
يا قمرا ياحين ينأى * حاضرا حين يغيب
كيف يسلوك محب * زانه منك حبيب
انما أنت نسيم * تتلقاه القلوب
قد علمنا علم ظن * هو لا شك مصيب
أن سر الحسن مما * أضمرت تلك القلوب

وقال

أنى تضيع عهدك * أم كيف تخلف وعدك
وقد رأتك الاماني * رضا فلم تعدك
ياليت شعري وعندي * ما ليس في الحب عندك
هل طال ليلك بعدي * بطول ليلي بعدك
سلني حياتي أهبها * فلست أملك ردك
الدهر عبدي لما * أصبحت في الحب عبدك

وقال رحمه الله تعالى وقد أمره السلطان أن يعارض قطعا كان يغنى بها واستحسن ألحانها

يقصر قربك ليلي الطويلا * ويشفي وصالك قلبي العليلا
وان عصفت منك ريح الصدود * فقدت نسيم الحياة البليلا
كما أنني ان أطلت العثار * ولم يبد عذري وجها جميلا
وجدت ابا القاسم الظافر المؤيد بالله مولى مقيلا
لأقلامه فعل أسيافه * يظل الصرير يباري الصليلا

وقال يهنيه بالقدوم من السفر

ايها الظافر أبشر بالظفر * واجتل التأييد في ابهى الصور
وتفيأ ظل سعد يجتني * فيه من غرس المنى احلى الثمر
ورد النجح فكم مستوحش * شائق منك الى انس الصدر
كان من قربك في عيش ندٍ * عاطر الآصال وضاح البكر
فثوى دونك مثوى قلق * يشتكي من ليله مطل السحر
قل لساقينا يجدد كأسه * ولشادينا يطل قطع الوتر

ومنها

لي فيه المثل السائر في * جالب التمر الى ارض هجر
ثم قد وفق عبد عظمت * نعمة المولى عليه فشكر

فساروا الى دار عبد الله ابن جدعان فتحالفوا هنالك ففي ذلك يقول الزبير بن عبد المطلب
حلفت لتعقدن حلفا عليهم * وان كنا جميعا أهل دار
نسميه الفضول اذا عقدنا * يعز به الغريب لدى الجوار
ويعلم من حوالي البيت أنا * أباة الضيم نهجر كل عار
وقد قدمنا في كتابنا الاوسط أخبار الاحلاف والفجارات الاربعة فجار الرجل وفجار زيد بن معشر وفجار ألف وذو فجار المرأة والفجار الرابع هو فجار البراض ومن الفجار الرابع وحضور النبي صلى الله عليه وسلم ومشاهدته الفجار الرابع الى أن خرج الى الشام في تجارة خديجة ونظر نسطور الراهب اليه وهو في صومعته والنبي صلى الله عليه وسلم مع ميسرة وقد أظلته غمامة فقال هذا نبي وهذا آخر الانبياء أربع سنين وتسعة أشهر وستة أيام والى أن تزوج خديجة بنت خويلد شهران وأربعة وعشرون يوما والى أن شهد بنيان الكعبة وحضر منازعة قريش في وضع الحجر الاسود عشر سنين وقد كان السيل هدم الكعبة فبرق منها لما انهدمت غزال من الذهب وحلي وجواهر فقضها

لاعد احظلك اقبال يرى * قاضيا ابناؤه كل وطر
واصطبح كاس الرضا من ملك * سرت في ارضائه ازكى السير
حين صممت الى اعدائه * فانتهم منك صماء الغير
فاض غمر للندى من فوقهم * كان يروى شربهم منه الغمر
سبق الناس فصلى سابق * اذراى آثاره مثل الزهر

وقال رحمه الله تعالى وهي طويلة

لم يكن هجر حبيبي عن قلا * لاولاذاك التجني مللا
سره دعوى ادعائي ثم لم * يدر ماغاية صبري فابتلى
انا راض بالذي يرضى به * لي من لو قال مت ماقلت لا
مثل في كل حسن مثل ما * صار حالي في هواه مثلا
يافتيت المسك ياشمس الضحى * ياقضيب البان ياظبي الملا
ان يكن لي امل غير الرضا * منك لابلغت ذاك الاملا

وقال رحمه الله تعالى

أذكرني سالف العيش الذي طابا * باليت غائب ذاك الوقت قد آبا
اذنحن في روضة للوصل انعمها * من السرور غمام فوقها صابا
اني لاعجب من شوق يطالبني * فكلما قيل فيه قد قضى نابا
كم نظرة تلك عندي قد علمت بها * يوم الزيارة أن القلب قد ذابا
قلب يطيل معاصاتي لطاعتكم * فان اكلفه يوما سلوة يابى

وقال رحمه الله تعالى

عاودت ذكر الهوى من بعد نسياني * واستحدث القلب بعد العشق سلواني
من حب جارية يبدو بها صنم * من اللعين عليها تاج عقيان
غريرة لم تفارقها تمائمها * تسبي القلوب بساجي الطرف وسنان
لاستجدن من عشقي لها بدلا * يحيي سوالف ايامي وازماني
حتى يكون لمن احببت خاتمة * نسخت في حبها كفرا بايمان

وقال رحمه الله تعالى

انت معنى الهوى وسر الدموع * وسبيل الهوى وقصد الولوع
انت والشمس ضرتان ولكن * لك عند الغروب فضل الطلوع
ليس يامؤنسي نكلفك العتب دلالا من الرضا الممنوع
انما انت والحسود معنى * كوكب يستقيم بعد الرجوع

وقال رحمه الله تعالى

ياليل طل لااشتهي * الابعهدي قصرك
لوبات عندي قمري * مابت أرعى قمرك
ياليل خبراني * ان لعندي خبرك

قريش وكان في حيطانها الازلام ويقابلها صورة اسمعيل ابنه على فرس يخبر الناس مقبضا والعاروب قائم على وفد الناس يقسم فيهم وبعد هذه الصورة صور كثيرة من أولادهم الى قصي بن كلاب وغيرهم في نحو من ستين صورة مع كل واحد من تلك الصور آلة صاحبها وكيفية عبادته وما اشتهر من فعاله (ولما بنت قريش) الكعبة ورفعت سمكها وتاتى لها ما أرادت في بنيانها من الخشب الذي ابتاعوه من السفينة التي رمى بها البحر الى ساحلهم التي بعث بها ملك الروم من القلزم من بلاد مصر الى الحبشة لتبنى هنالك له كنيسة وانتهوا الى موضع الحجر وتنازعوا على ماذكرنا أيهم يضعه فاتفقوا على أن يرضوا باول من يطلع عليهم من باب بني شيبة فكان أول من ظهر لابصارهم النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك الباب وكانوا يعرفونه بالامين لوقاره وهديه وصدق لهجته واجتنابه القاذورات والادناس فحكموه فيما تنازعوا فيه وانقادوا الى قضائه فبسط ماكان عليه من رداء وقيل كساء واخذ عليه السلام الحجر فوضعه في وسطه ثم قال لاربعة رجال من قريش

بالله قل لي هل وفى * فقال لا بل غدرك

وقال رحمه الله تعالى

لئن فاتني منك حظ النظر * لأكتفين بسماع الخبر
وان عرضت غفلة للرقيب * فحسبي تسليمة تختصر
أحاذر أن يتجنى الوشاة * وقد يستدام الهوى بالحذر
فاصبر مستيقنا أنه * سيحظى بنيل المنى من صبر

وقال أيضا رحمه الله تعالى

أيها البدر الذي يملأ عيني من تأمل
حمل القلب تباريح التمني فتحمل
ثم لا تيأس فكم قد * نيل أمر لم يؤمل

وقال أيضا رحمه الله تعالى

أجد ومن أهواه في الحب عابث * وأوفي له بالعهد اذ هو ناكث
حبيب نأى عني مع القرب والاسى * مقيم له في مضمر القلب ماكث
جفاني بألطاف العدا وأزاله * عن الوصل رأي في القطيعة حادث
تغيرت عن عهدي وما زلت واثقا * بعهدك لكن غيرتك الحوادث
وما كنت اذ ملكتك القلب عالما * باني عن حتفي بكفي باحث
ستبلى الليالي والوداد بحاله * مقيم وغض وهو للارض وارث
فلو انني أقسمت انك قاتلي * واني مقتول لما قيل حانث

وقال رحمه الله تعالى

يا غزالا أصارني * موثقا في يد المحن
انني مذ هجرتني * لم أذق لذة الوسن
ليت حظي اشارة * منك أو لحظة بعن
شافعي يا معذبي * في الهوى وجهك الحسن
كنت خلوا من الهوى * وأنا اليوم مرتهن
كان سري مكتما * وهو الآن قد علن
ليس لي عنك مذهب * فكما شئت لي فكن

وقال رحمه الله تعالى

أيوحش لي الزمان وأنت أنسي * ويظلم لي النهار وأنت شمسي
وأغرس في محبتك الاماني * وأجني الموت من ثمرات غرسي
لقد جازيت غدرا عن وفائي * وبعت مودتي ظلما ببخس
ولو ان الزمان أطاع حكمي * فديتك من مكارهه بنفسي

ومحاسن ابن زيدون كثيرة وقد ذكرنا منها في غير هذا المحل جملة وسألت جارية من جواري الاندلس ذا الوزارتين أبا الوليد بن زيدون أن يزيد على بيت أنشدته اياه وهو

وأهل الرياسة فيهم والزعماء منهم وهم عتبة بن ربيعة بن عبدشمس بن عبدمناف والاسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي وأبو حذيفة بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم وقيس بن عدي السهمي ليأخذ كل واحد منهم بجنب من جنبات هذا الرداء فنالوه حتى ارتفع من الارض وأدناه من موضعه فأخذ عليه السلام الحجر ووضعه في مكانه وقريش كلها حضور وكان ذلك أول ما ظهر من فعله وفضائله وأحكامه فقال قائل لمن حضر من قريش متعجبا من فعلهم وانقيادهم الى أصغرهم سنا واعجبا القوم أهل شرف ورياسة وشيوخ وكهول عمدوا الى أصغرهم سنا وأقلهم مالا فجعلوه عليهم رئيسا وحاكما أما واللات والعزى ليفوقنهم سبقا وليقسمن بينهم حظوظا وجدودا وليكونن له بعد هذا اليوم شأن ونبأ عظيم (وقد تنوزع) في هذا القائل فمن الناس من رأى أنه ابليس ظهر في ذلك اليوم في جمعهم في صورة رجل من قريش كان قد مات وزعموا أن اللات والعزى أحياه لذلك المشهد ومنهم من رأى أنه بعض رجالهم وحكمائهم ومن كانت له فطنة فلما استتمت قريش بناء الكعبة كستها أردية الزعماء وهي الوصائل وأعادوا الصور التي كانت مصورة في الكعبة

يا معطشي من وصال كنت وارده * هل منك لي غلة إن صحت واعطشي

قال وكانت الجارية المذكورة تتعشق فتى قرشيا والوزير يعلم ذلك وهي لا تعلم أنه يعلم فقال

كسوتني من ثياب السقم أسبغها * فظلت أوصيرت من لحف الضنى فرشي
أني بصرف الهوى عن مقلة كحلت * بالسحر منك وخد بالجمال وشي
لما بدا الصدغ مسودا بأحمره * أرى التشاكل بين الروم والحبش
أوفى إلى الخد ثم انصاع منعطفا * كالعقربان انثنى من خوف محترش
لو شئت زرت وسلك الليل منتظم * والأفق يختال في ثوب من الغبش
جفا إذا التذت الأجفان طيب كرى * جفني المنام وصاح الليل يا قرشي
هذا وإن تلفت نفسي فلا عجب * قد كان قتلي في تلك الجفون حشي

وكان لابن الحاج صاحب قرطبة ثلاثة أولاد من أجل الناس صورة رحمون وعزون وحسون فأولع بهم الحافظ الشهير أبو محمد بن السيد البطليوسي صاحب شرح أدب الكاتب وغيره وقال فيهم

أخفيت سقمي حتى كاد يخفيني * وهمت في حب عزون فعزوني
ثم ارحموني برحمون وإن ظمئت * نفسي إلى ريق حسون فحسوني

قال ثم خاف على نفسه فخرج من قرطبة وهو القائل

نفسي الفداء لجؤذر حلو اللمى * مستحسن بصدوده أفناني
في فيه سمط جوهر يروي الظما * لو علني ببروده أحياني

وهذان البيتان تخرج منهما عدة مقطعات كما لا يخفى * وقال أبو بكر محمد بن أحمد الأنصاري الإشبيلي المعروف بالأبيض في تهنئة بمولود قال ابن دحية وهذا أبدع ما قيل في هذا المعنى

أصاخت الخيل آذانا لصرخته * واهتز كل هزبر عندما عطسا
تعشق الدرع مذ شدت لمائفه * وأبغض المهد لما أبصر الفرسا
تعلم الركض أيام المخاض به * فما امتطى الخيل إلا وهو قد فرسا

وقال الوزير الكاتب أبو عامر السالمي في غلام يرش الماء على خديه فيزداد حمرتهما

لقد نعمت بحمام تطلع في * أرجائه قمر والحسن يكمله
أبصرته كلما راقت محاسنه * ونعمة الجسم والأرداف تخجله
يرش بالماء خديه فقلت له * صف لي لما أحمر الياقوت تصقله
فقال طرفي سفاك بصارمه * دماء قوم على خدي فأغسله

وقال أيضا

أوقد النار بقلبي * ثم هبت ريح صده
فشرار النار طارت * فانطفت في ماء خده

وهو تخييل عجيب * وقال ابن الخياط المكفوف الأندلسي في المعنى المشهور

لم يخل من نوب الزمان أديب * كلا فشأن النائبات عجيب

صلى الله عليه وسلم وما يكون من أمره في المستقبل أنشأ يقول

إن لنا أوله وآخره
في الحكم العدل الذي لا ينكره
وقد جهدنا جهدنا لنعمره
وقد عمرنا أوله وآخره
فإن يكن حقا ففينا كثره

(وكان) من بناء الكعبة إلى أن بعثه الله صلى الله عليه وسلم خمس سنين (ومن مولده) إلى يوم مبعثه أربعون سنة ويوم (والذي صح) من مولده عليه السلام أنه كان بعد قدوم أصحاب الفيل بمكة بخمسين يوما وكان قدومهم مكة يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ثمانمائة واثنتين وثمانين من عهد ذي القرنين وكان قدوم أبرهة مكة لسبع عشرة خلت من المحرم لست عشرة ومائتين من تاريخ العرب الذي أوله حجة العدة ولسنة أربعين من ملك كسرى أنوشروان (وكان مولده عليه السلام) لثمان خلون من ربيع الأول من هذه السنة بمكة في دار ابن يوسف ثم بعد ذلك بنتها الخيزران أم الهادي والرشيد مسجدا وكان أبوه عبد الله فأتبلا بأرض الشام فانصرف مريضا فمات بالمدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل وقد

وغضارة الايام تابى أن يرى * فيها لابناء الذكاء نصيب
وكذاك من صحب الليالى طالبا * جدا وفهما فاته المطلوب

وكان ابن الرقاق الاندلسى الشاعر المشهور وقد تكررذكره فى هذا الكتاب مرات كثيرة يسهر فى الليل ويشتغل بالادب وكان أبوه فقيرا جدا فلامه وقال له نحن فقراء ولا طاقة لنا بالزيت الذى تسهر عليه فاتفق أن برع فى الادب والعلم ونظم الشعر فقال فى أبى بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية قصيدة أولها

ياشمس خدر ما لها مغرب * أرامة خدك أم يثرب
ذهبت فاستعبر طرفى دما * مفضض الدمع به مذهب

ومنها

ناشدتك الله نسيم الصبا * أنى استقرت بعدنا زينب
لم نسر الا بشذا عرفها * أولا فماذا النفس الطيب
ايه وان عذبنى حبها * فمن عذاب النفس ما يعذب

فاطلق له ثلثمائة دينار فجاء بها الى أبيه وهو جالس فى حانوته مكب على صنعته فوضعها فى حجره وقال خذها فاشتر بها زيتا وقال رحمه الله تعالى فى غلام رام يرمى حجرا فشدخ وجهه

والهوى رمى عن قسى الحور * سهاما يفوقهن النظر
يقولون وجنته قسمت * ورسم محاسنه قد دثر
وما شق وجنته عابثا * ولكنها آية للبشر
جلاها لنا الله كيما نرى * بها كيف كان انشقاق القمر

وقال أيضا

بابى وغير أبى أغن مهفهف * مهضوم ما خلف الوشاح خميصه
لبس السواد ومزقته جفونه * فاتى كيوسف حين قد قميصه

وقال أيضا

سقتنى بيمناها وفيها فلم أزل * يجاذبنى من ذا ومن هذه سكر
ترشفت فاها اذ ترشفت كاسها * فلا والهوى لم أدر أيهما الخمر

وقال

رق النسيم وراق الروض بالزهر * فنبه الكاس والابريق بالوتر
ما العيش الا اصطباح الراح أو شنب * يغنى من الراح من سلسال ذى أشر
قل للكواعب غضى للكرى مقلا * فاعين الزهر أولى منك بالسهر
وللصباح ألا فانشر رداء سنى * هذا الدجى قد طوته راحة السحر
وقام بالقهوة الصهباء ذو هيف * يكاد معطفه يعقد بالنظر
يطفو عليها اذا ما شجها درر * تخالها اختلست من ثغره الخصر
والكاس من كفه بالراح محدقة * كهالة أحدقت فى الافق بالقمر

ثم وزع فى ذلك فمنهم من قال انه مات بعد مولد النبى صلى الله عليه وسلم بشهر

ومنهم من قال انه مات فى السنة الثانية من مولده (وامه آمنة) بنت وهب ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب (وفى السنة الاولى) من مولده دفع الى حليمة بنت عبد الله ابن الحرث ترضعه (وفى السنة الثانية) من كونه فى بنى سعد كان أبوه يقول الحمد لله الذى أعطانى هذا الغلام الطيب الاردان قد ساد فى المهد على الغلمان أعيذه بالبيت ذى الاركان (وفى رواية أن عبد المطلب قال)
لاهم رب الراكب المسافر
محمد قلب بخير طائر
تنحى عن طريقه الفواجر
وحيه برصد الطواهر
واحبس كل حلف فاجر
فى درج الريح والاعاصر
(وفى السنة الثالثة) من مولده شق الملكان بطنه واستخرجا قلبه فشقاه وأخرجا منه علقة سوداء ثم غسلا بطنه وقلبه بالثلج وقال أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمته فوزنه ثم قال ما زال يزيد حتى بلغ الالف فقال والله لو وزنته بامته لوزنها (وفى السنة الرابعة) ردته الى أمه مرضعته حليمة وقيل فى مستهل السادسة وبين ذلك وبين عام الفيل خمس سنين وشهران وعشرة أيام (وفى السنة السابعة) من مولده ثم جيء به الى

وقال

تضوّعن أنفاسا واشرقن أوجها * فهن منيرات الصباح بواسم
لئن كن زهرا فالجوانح أبرج * وان كن زهرا فالقلوب كمائم

وهو من بديع التقسيم * وقال السميسر

تحفظ من ثيابك ثم صنها * والا سوف تلبسها حدادا
وميز فى زمانك كل حبر * وناظر أهله تسد العبادا
وظن بسائر الاجناس خيرا * وأما جنس آدم فالبعادا
أرادونى بجمعهم فردوا * على الاعقاب قد نكصوا فرادى
وعادوا بعد ذا اخوان صدق * كبعض عقارب رجعت جرادا

وقال ابن رزين وهو من رجال الذخيرة

لأسرحن نواظرى * فى ذلك الروض النضير
ولآكلنك بالمنى * ولأشربنك بالضمير

وقال سلطان بلنسية عبد الملك بن مروان بن عبد الله بن عبد العزيز

ولا غرو بعدى أن يسود معشر * فيضحى لهم يوم وليس لهم أمس
كذاك نجوم الجو تبدو زواهرا * اذا ما توارت فى مغاربها الشمس

وتحاكم الى أبى أيوب سليمان بن محمد بن بطال البطليوسى المعروف بالمتلمس غلامان جيلان لاحدهما وفرة شقراء وللآخر سوداء أيهما أحسن والمتلمس المذكور هو صاحب كتاب الاحكام فيما لا يستغنى عنه الحكام فقال

وشادنين المانى على مقة * تنازعا الحسن فى غايات مستبق
كأن لمة ذا من نرجس خلقت * على بهار وذا مسك على ورق
وحكما الصب فى التفضيل بينهما * ولم يخافا عليه رشوة الحدق
فقام يبدى اليه الريم حجته * مبينا بلسان منه منطلق
فقال وجهى بدر يستضاء به * ولون شعرى مصبوغ من الغسق
وكحل عينى سحر للنهى وكذا * والسحر أحسن ما يعزى الى الحدق
فقال صاحبه أحسنت وصفك لكن فاستمع لمقال فى متفق
أنا على أفق شمس النهار ولم * تغرب وشقرة شعرى حمرة الشفق
وفضل ما عيب فى عينى من زرق * أن الاسنة قد تعزى الى الزرق
قضيت للة الشقراء حيث حكت * لونى كذا حبها يقضى على رمقى
فقام ذو اللمة السوداء يرشقنى * سهام أجفانه من شدة الحنق
وقال جرت فقلت الجور منك على * قلبى ولى شاهد من دمعى الغدق
فقلت مقولك اذ أصبحت متهما * فقال دونك هذا الحبل فاختنق

وقال أبو محمد عبد الله بن غالب

ومهفهف نفث الجفون كأنما * من أرجل النمل استفاد عذارا

أخواله تزورهم فتوفيت بالابواء وقدمت به أم أيمن الى مكة بعد خمسة من موت أمه (وفى السنة الثامنة) من مولده توفى جده عبد المطلب وضمه عمه أبو طالب اليه وكان فى حجره وخرج مع عمه الى الشام وله ثلاث عشرة سنة ثم خرج فى تجارة لخديجة بنت خويلد الى الشام مع غلامها ميسرة وهو ابن خمس وعشرين سنة (قال المسعودى) وقد أتينا على مبسوط هذا الباب فى كتابنا أخبار الزمان

(ذكر مبعثه صلى الله عليه وسلم وما جاء فى ذلك الى هجرته)

ثم بعث الله رسوله وأكرمه بما اختصه به من نبوته بعد بنيان الكعبة بخمس على ما قدمنا آنفا وهو ابن أربعين سنة كاملة فاقام بمكة ثلاث عشرة سنة واخفى أمره ثلاث سنين ونكح خديجة بنت خويلد وانزل عليه بمكة من القرآن اثنتان وثمانون سورة ونزل تمام بعضها بالمدينة واول ما نزل عليه من القرآن اقرأ باسم ربك الذى خلق واتاه جبريل صلى الله عليه وسلم فى ليلة السبت ثم فى ليلة الاحد وخاطبه بالرسالة فى يوم الاثنين وذلك بحرا وهو اول موضع نزل فيه القرآن وخاطبه باول السورة الى قوله علم الانسان ما لم يعلم ونزل تمامها بعد ذلك وخوطب بفرض الصلوات ركعتين ركعتين ثم امر

فتخاله ليلا اذا استقبلته * وتخال ما يجري عليه نهارا

وقال أبو القاسم خلف بن فرج السميسر المتقدم

الناس مثل حباب * والدهر لجة ماء
فعالم في طفو * وعالم في انطفاء

وقال أحمد بن بردا الاندلسي في النرجس وهو البهار عند الاندلسيين و يسمى العنبر

تنبه فقد شق البهار مغلسا * كمائمه عن نوره الخضل الندى
مداهن تبر في أنامل فضة * على أذرع مخروطة من زبرجد

وقال الوزير عبد المجيد بن عبدون في دار أنزله بها المتوكل بن الافطس وسقفها قديم فهطل عليه المطر منه

أيا سامياً من جانبيه الى العلا * سمو حباب الماء حالا الى حال
لعبدك دار حل فيها كأنها * ديار لسلمى عافيات بذي الخال
يقول لها لما رأى من دثورها * ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي
فقالت ولم تعيا بردّ جوابه * وهل يعمن من كان في العصر الخالي
فرصاحب الانزال فيها بفاصل * فان الفتى يهذي وليس بفعال

قيل وهو أبو عذرة تضمين لامية امرئ القيس وقد أولع الناس بعده بتضمينها * وقال أبو الفضل بن حسداي وكان يهوديا فاسلم و يقال انه من ولد موسى على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء الصلاة والسلام

تور بخدك للاحداق لذات * عليه من عنبر الاصداغ لامات
نيران هجرك للعشاق نار لظى * لكن وصالك ان واصلت جنات
كأنما الراح والراحات تحملها * بدور تم وأيدي الشرب هالات
حشاشة ما تركنا الماء يقتلها * الا لتحييها منا حشاشات
قد كان من قبلها في كأسها ثقل * فخف اذ ملئت منها الزجاجات

وقد تبارى المشارقة والمغاربة من المتقدمين والمتأخرين في هذا الوزن والقافية ولولا خوف السآمة لذكرت من ذلك الجملة الشافية الكافية * ومن سرعة جواب أهل الاندلس أن ابن عبد ربه كان صديقا لابي محمد يحيى القلفاط الشاعر ففسد ما بينهما بسبب ان ابن عبد ربه مر به يوما وكان في مشيه اضطراب فقال أبا عمر ما علمت انك أبرا لا اليوم لما رأيت مشيك فقال له ابن عبد ربه كذبتك عرسك أبا محمد فعز على القلفاط كلامه وقال له أتتعرض للحرم والله لأرينك كيف الهجاء ثم صنع فيه قصيدة أولها

يا عرس أحمد اني مزمع سفرا * فودعيني سرا من أبي عمرا

ثم تهاجيا بعد ذلك وكان القلفاط يلقب بطلاس لانه كان أطلس اللحية و يسمى صاحب المعقد حبل الثوم فاتفق اجتماعهما يوما عند بعض الوزراء فقال الوزير للقلفاط كيف حالك اليوم مع أبي عمر فقال مرتجلا

حال طلاس لي عن رأيه * وكنت في قعدد أبنائه

صلى الله عليه وسلم على رأس عشرين سنة من ملك كسرى أبرويز وذلك على رأس مائتي سنة من يوم التحالف بالربذة وذلك لستة آلاف ومائة وثلاث عشرة سنة من هبوط آدم عليه السلام وقد ذكر مثل هذا عن بعض حكماء العرب في صدر الاسلام ممن قرأ الكتب السالفة على حسب ما استخرج من عاد الكبير وفي ذلك يقول الشاعر

في رأس ألف من السنين
الى ثلاث حصلت يقين
والمائة المعدودة التمام
الى ألوف سدست نظام
أرسله الله لنا رسولا
وكان فينا هادي السبيلا

(وقد تنوزع) في علي بن أبي طالب كرم الله وجهه واسلامه فذهب كثير من الناس الى أنه لم يشرك بالله شيأ فيستأنف الاسلام بل كان تابعا للنبي صلى الله عليه وسلم في جميع أفعاله مقتديا به وبلغ وهو على ذلك وأن الله عصمه وسدده ووفقه لتبعيته لنبيه عليه السلام لانهما كانا غير مضطرين ولا مجبورين على فعل الطاعات بل مختارين قادرين فاختارا طاعة الرب وموافقة أمره واجتناب منهياته ومنهم من رأى أنه أول من آمن وأن الرسول دعاه وهو موضع التكليف بظاهر قوله جل وعز وأنذر عشيرتك الاقربين وكان بدؤه بعلي اذ كان

قبدرابن عبدربه وقال

ان كنت في قعدد أبنائه * فقد سبقي أسك من مائه

فانقطع القلقاط خجلا وعاش ابن عبد ربه ٨٢ سنة رحمه الله تعالى * (ومن الحكايات) في مروءة أهل الاندلس ما ذكره صاحب الملتمس في ترجمة الكاتب الاديب الشهير أبي الحسين بن جبير صاحب الرحلة وقد قدمنا ترجمته في الباب الخامس من هذا الكتاب وذكرنا هنالك انه كان من أهل المروآت عاشقا في قضاء الحوائج والسعي في حقوق الاخوان وأنشدنا هنالك قوله * يحسب الناس بأني متعب * الى آخره وقد ذكر ذلك كله صاحب الملتمس ثم قال أعني صاحب الملتمس ومن أغرب ما يحكي أني كنت أحرص الناس على أن أصاهر قاضي غرناطة أبا محمد عبد المنعم بن الفرس فجعلته يعني ابن جبير الواسطة حتى تيسر ذلك فلم يوفق الله بيني و بين الزوجة ففتنه وشكوت له ذلك فقال أنا ما كان القصد لي في اجتماعكما ولكن سعيت جهدي في غرضك وها أنا أسعى أيضا في افتراقكما اذ هو من غرضك وخرج في الحين ففصل القضية ولم أر في وجهه أولا ولا آخرا عنوانا لامتنان ولا تصعيب ثم انه طرق بابي ففتحت له ودخل وفي يده محفظة فيها مائة دينار مؤمنية ثم قال يا ابن أخي اعلم أني كنت السبب في هذه القضية ولم أشك انك خسرت فيها ما يقارب هذا القدر الذي وجدته الآن عندي فبالله الا ما سررتني بقبوله فقلت له أنا ما أستحيي منك في هذا الامر والله ان أخذت هذا المال لاتلفنه فيما أتلفت فيه مال والدي من أمور الشباب ولا يحل لك أن تمكنني منه بعد أن شرحت لك أمري فتبسم وقال لقد احتلت في الخروج عن المنة بحيلة وانصرف بماله انتهى ثم قال صاحب الملتمس وتذاكرنا يوما معه حالة الزاهد أبي عمران المارتلي فقال صحبته مدة فما رأيت مثله وأنشدني شعرين ما نسيتهما ولا أنساهما ما استطعت فالاول قوله

الى كم أقول فلا أفعل * وكم ذا أحوم ولا انزل
وأزجر عيني فلا ترعوي * وأنصح نفسي فلا تقبل
وكم ذا تعلل لي ويحها * بعل وسوف وكم تمطل
وكم ذا أؤمل طول البقا * وأغفل والموت لا يغفل
وفي كل يوم ينادي بنا * منادي الرحيل ألا فارحلوا
أمن بعد سبعين أرجو البقا * وسبع أتت بعدها تعجل
كأني بي وشيكا الى مصرعي * يساق بنعشي ولا أمهل
فياليت شعري بعد السؤال * وطول المقام لما أنقل

والثاني قوله

اسمع أخي نصيحتي * والنصح من محض الديانه
لا تقربن الى الشها * دة والوساطة والامانه
تسلم من ان تعزى لزو * ر أو فضول أو خيانه

قال فقلت له أراك لم تعمل بوصيته في الوساطة فقال ما ساعدتني رقة وجهي على ذلك انتهى (رجع) الى نظم الاندلسيين وقال ابن أبي الصلت أمية بن عبد العزيز

أقرب الناس اليه وأتبعهم له ومنهم من رأى غير ما وصفناه وهذا موضع قد تنازع الناس فيه من الشيعة وقد احتج كل فريق لقوله ومنهم من قال بالنص في الامامة والاختيار وأرض كل فريق وكيفية اسلامه ومقدار سنيه قد أتينا على الكلام في ذلك على الشرح والايضاح في كتابنا المترجم بكتاب الصفوة في الامامة وفي كتاب الاستنصار وفي كتاب الزاهي وغيره من كتبنا في هذا المعنى * ثم أسلم أبو بكر رضي الله عنه ودعا قومه الى الاسلام فاسلم على يديه عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن ابن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة وعبيد الله فجاء هم النبي صلى الله عليه وسلم فاسلموا فهؤلاء النفر سبقوا الناس بالايمان وقد قال بعض من تقدم من الشعراء في صدر الاسلام يذكرهم

فياسائلي عن خيار العباد * صادفت ذا العلم والخبره
خيار العباد جميعا قريش * وخير قريش ذوو الهجره
وخير ذوي الهجرة السابقون * ثمانية وحدهم نصره
علي وعثمان ثم الزبير * وطلحة واثنان من زهره
وشيخان قد جاورا أحمدا * وجاور قبرا هما قبره
فمن كان بعدهما فاذكروا * فلا تذكروا عندهم فخره

(وقد اختلف) في أول من أسلم فمنهم من رأى ... افضل

أفضل ما استصحب النبيل فلا * تعدل به في المقام والسفر
جرم اذا ما التبست قيمته * جل عن التبر وهو من صفر
مختصر وهو اذ تفتشه * عن ملح العلم غير مختصر
ذو مقلة تستبين ما رمقت * عن صائب اللحظ صادق النظر
تحمله وهو حامل فلكا * لو لم يدر بالبنان لم يدر
مسكنه الارض وهو ينبئنا * عن كل ما في السماء من خبر
أبدعه رب فكرة بعدت * في اللطف عن أن تقاس بالفكر
فاستوجب الشكر والثناء به * من كل ذي فطنة من البشر
فهو لذي اللب شاهد عجب * على اختلاف العقول والصور

قلت وهي من أحسن ما سمعت في الاصطرلاب وأمر رحمه الله تعالى أن يكتب على قبره

سكنتك يا دار الفناء مصدقا * بأني الى دار البقاء أصير
وأعظم ما في الامر أني صائر * الى عادل في الحكم ليس يجور
فياليت شعري كيف ألقاه عندها * وزادي قليل والذنوب كثير
فان أك مجزيا بذنبي فانني * بشر عقاب المذنبين جدير
وان يك عفو من غني ومفضل * فثم نعيم دائم وسرور

وقال ابن خفاجة وهو مما أورده له صاحب الذخيرة

لقد زار من أهوى على غير موعد * فعاينت بدر التم ذاك التلاقيا
وعاتبته والعتب يحلو حديثه * وقد بلغت روحي لديه التراقيا
فلما اجتمعنا قلت من فرحي به * من الشعر بيتا والدموع سواقيا
وقد يجمع الله الشتيتين بعدما * يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

ومن مجون الاندلسيين هذه القصيدة المنسوبة لسيدي أبي عبد الله بن الازرق وهي

عم باتصال الزمن * ولا تبالي بمن
وهو يواسي بالرضا * من سمج أو حسن
أو من عجوز تحتظي * والظهر منها منحني
أو من مليح مسعد * موافق في الزمن
مهما تبدى خده * يبدو لك الورد الجني
والغصن في أثوابه * اذا تمشى ينثني
لا أم لي لا أم لي * ان لم أبرد شجني
واخلعن في المجو * ن والتصابي رسني
وأجعل الصبر على * هجر الملاح ديدني
يا عاذلي في مذهبي * اردك شرب اللبن
أعطيت في البطن سنا * نا ان تخالف سنني
أي فتى خالفني * يوما وما يلقني

ذهب الى أن أول من أسلم من النساء خديجة ومن الرجال علي ومنهم من رأى أن أول من أسلم زيد بن حارثة حب النبي صلى الله عليه وسلم ثم خديجة ثم علي كرم الله وجهه وقد ذكرنا ما أحببنا من القول في ذلك فيما قدمنا ذكره في هذا المعنى والله تعالى ولي التوفيق

(ذكر هجرته وجوامع مما كان في أيامه صلى الله عليه وسلم الى وقت وفاته)

أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بالهجرة وفرض عليه الجهاد وذلك في سنة احدى من الهجرة وهي السنة التي نزل فيها الأذان وكانت سنة أربع عشرة من المبعث وكان ابن عباس يقول بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة وهاجر عشرا وقبض وهو ابن ثلاث وستين سنة وكانت سنة احدى من الهجرة وهي سنة اثنتين وثلاثين من ملك كسرى ابرويز وسنة تسع من ملك هرقل ملك النصرانية وسنة تسعمائة وثلاث وثلاثين من ملك الاسكندر

 المقدوني (قال المسعودي) وقد ذكرنا في الكتاب الاوسط كيفية فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في

وسلم من مكة ومعه أبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وعبد الله بن أريقط الديلي دليل بهم على الطريق ولم يكن مسلما وكان مقام على بن أبي طالب بعده بمكة ثلاثة أيام الى أن أدى ما أمر باداثه ثم لحق بالرسول صلى الله عليه وسلم وكان دخوله عليه السلام الى المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الاول فأقام بها عشر سنين كوامل وكان نزوله عليه السلام في حال موافاته المدينة بقباء على سعد بن خيثمة وكان مقامه بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وسار يوم الجمعة ارتفاع النهار وأتته الانصار حيا حيا يسأله كل فريق النزول عليه ويتعلقون بزمام راحلته وهي تجذبه فيقول عليه السلام خلوا عنها فانها مأمورة حتى أدركته الصلاة في بني سالم فصلى بهم يوم الجمعة وكانت تلك أول جمعة صليت في الاسلام وهذا موضع تنازع الفقهاء في العدد الذي بهم تتم صلاة الجمعة فذهب الشافعي في آخرين معه الى أن الجمعة لا تجب اقامتها حتى يكون عدد المصلين أربعين فصاعدا وأقل من ذلك لا يجزي وخالفه غيره من

فانني انا صح * وانني وانني
فلا تكن لي لاحيا * وفي الامور استفتني
فلم أزل أعرب عن * نعمى لمن لم يلحني
وان تسفه نظري * ومذهبي وتنهني
فاصفع تستوجبه * نعم و نتف الذقن
والزبل في وجهك يعلو باتصال الزمن
و بعد هذا أشتفي * منك و يبرا شجني
وأضرب السكف أماما * م ذلك الوجه الدني
طقطق طق طقطق طق * أصخ بسمع الاذن
قعقع قع قعقع قع * الضحك يغلبني
قد كان أولى بك عن * هذي المخازي تنثني
النفي تستوجبه * لواسط أو عدن
عرضت بالنفس كذا * الى ارتكاب المحن
أفدي صديقا كان لي * بنفسه يسعدني
فتارة أنصحه * وتارة ينصحني
وتارة ألعنه * وتارة يلعنني
وربما أصفعه * وربما يصفعني
أستغفر الله فهذا القول لا يعجبني
ياليت هذا كله * فيما مضى لم يكن
أضحكت والله بذا الحديث من يسمعني
دهر تولى وانقضى * عني كطيف الوسن
ياليتني لم اره * وليته لم يرني
دنست فيه جانبي * وملبسي بالدرن
وبعت فيه عيشتي * لكن بخس الثمن
كانني ولست أد * ري الآن ما كانني
والله ما التشبيه عند شاعر بهين
لكنه أنطقني * بالقول ضيق العطن
واحسرتي وا أسفي * زلت وضاعت فطني
لو أنصف الدهر لما * أخرجني من وطني
وليس لي من جنة * وليس لي من مسكن
أسرح الطرف وما * لي دمنة في الدمن
وليس لي من فرس * وليس لي من سكن
ياليت شعري وعسى * ياليت أن تنفعني

هل امتطى يوما الى الشرق ظهور السفن
واجتلى ماشئته * في المنزل المؤتمن
حينئذ أخلع في * هذي القوافي رسني
وتحسن الفكرة بالفدوش والسمنسني
واللحم مع شحم كذا * طوابق الكبش الثني
والبيض في المقلاة بالزيت اللذيذ الدهن
وجلدة الفروج مشويا كثير السمن
من منقذي أفديه من * ذا الجوع والتمسكن
وعله قد استوى * فيها الفقير والغني
هل للثريد عودة * الى قد شوقني
تغوص فيه أغلى * غوص الاكول المحسن
ولي الى الاسفنج شو * ق دائم يطربني
وللارز الفضل اذ * تطبخه باللبن
وللشواء والرقا * ق من هيام أذني
واسكت عن الجبن فان نتنه يذهلني
ظاهرها كالورد أو * باطنها كالسوسن
أي امرئ أبصرها * يوما ولم يفتتن
تهيم فيها وكرا الاستاذ والمؤذن
لو كان عندي معدن * لبعت فيها معدني
لكنني عزمت أن * أبيع كم البدن
والكم قد أكسبه * بعد ولا يكسبني
لا تنسبوا الى سفها * فالجوع قد أرشدني
وهات ذكر الكسكسو * فهو شريف وسني
لا سيما ان كان مصنوعا بفعل حسن
أرفع منه كورا * بهن تدري أذني
وان ذكرت غيرذا * أطعمة في الوطن
فابدأ من المشوما * ت بالجبن الممكن
من فوقها الفروج قد * أنهى في التسمن
وثن بالعصيدة التي بها تطربني
لا سيما ان صنعت * على يدي ممركن
كذلك البلياط بالزيت الذي يقنعني
تطبخه حتى يرى * يحمر في التلون
والزبزبن في القصا * في حسب أهل البطن

استوى على ناقته فسارت لا تعرج على شيء ولا يردها راد حتى أتت الى موضع مسجده عليه السلام والموضع يومئذ لغلامين يتيمين من بني النجار فبركت ثم سارت فمضت غير بعيد ثم عادت الى مبركها فبركت واطمأنت والنبي صلى الله عليه وسلم يراعي مكارم الباري منه وتوفيقه له فنزل عنها وسار الى منزل أبي أيوب الانصاري وهو خالد بن كليب بن ثعلبة بن عوف ابن سحيم بن مالك بن النجار فاقام في منزله شهرا حتى ابتنى المسجد من بعد ابتياعه الموضع واحدقت به الانصار واشتد سرورهم به وأظهروا التأسف على ما فاتهم من نصرته وفي ذلك يقول صرمة بن أنس احد بني عدي بن النجار من قصيدة

ثوى في قريش بضع عشرة حجة * يذكر لا يلقى صديقا مواتيا
ويعرض في أهل المواسم نفسه * فلم ير من يوفي ولم ير داعيا
فلما أتانا أظهر الله دينه * واصبح مسرورا بطيبة راضيا
واصبح لا يخشى من الناس واحدا * بعيدا ولا يخشى من الناس دانيا

فاسمع قضايا ناصح * يأتى بنصح بين
من افتنى النقى منى فهو نعم المقتنى
وان فى شاشية الفقير انسا للغنى
تبعدنى من وصلها * من وصلها تبعدنى
تؤنسنى عن اللقا * عن اللقا تؤنسنى
فأضلعى ان ذكرت * تهفو كمثل الغصن
كم رمت تقريبا لها * لكنه لم يهن
وصدنى عن ذاك قلة الوفا بالثمن
ايه خليلى هذه * مطاعم لكننى
أعجب من ريقك اذ * يسيل فوق الذقن
هل نلت منها شبعا * فذكرها أشبعنى
وان تكن جوعان يا * صاح فكل بالاذن
فليس عند شاعر * غير كلام الالسن
يصور الاشياء وهى ابدا لم تكن
فقوله يريك ما * ليس يرى بالممكن
فاسمع وسامح واقتنع * واطو حشاك واسكن
ولننصرف فقصدنا * أطراف هذا الموطن
انتهى

وقال ابن خفاجة رحمه الله تعالى

درسوا العلوم ليملكوا بجدالهم * فيها صدور مراتب ومجالس
وتزهدوا حتى أصابوا فرصة * فى أخذ مال مساجد وكنائس

وهذا المعنى استعمله الشعراء كثيرا * وقال فيما أظن الفقيه الكاتب المحدث الاديب الشهير أبو عبد الله محمد بن الابار القضاعى وقد تكرر ذكره فى هذا الكتاب فى مواضع

لقد غضت حتى على السمط نخوة * فلم تتقلد غير مبسمها سمطا
وأنكرت الشيب المسلم بلمتى * ومن عرف الايام لم ينكر الوخطا

وقال ابن سعيد فى القدح المعلى فى حقه كاتب مشهور وشاعر مذكور كتب عن ولاة بلنسية وورد رسولا حين أخذ النصارى بمخنق تلك الجهات وأنشد قصيدته السينية

أدرك بخيلك خيل الله اندلسا * ان السبيل الى منجاتها درسا

وعارضه جمع من الشعراء ما بين مخطئ ومحروم وأغرى الناس بحفظها اغراء بنى تغلب بقصيدة عمرو بن كلثوم الا أن أخلاقه لم تعنه على الوفاء باسباب الخدمة فقلصت عنه تلك النعمة وأخرج عن تلك العناية وارتحل الى بجاية وهو الآن بها عاطل من الرتب خال من حلى الأدب مشتغل بالتصنيف فى فنونه متنقل بواجبه ومسنونه ولى معه مجالسات آنق من الشباب وأبهج من الروض عند نزول السحاب ومما أنشدنيه من شعره

بذلنا له الاموال فى كل ملكنا * ١٩٦ وأنفسنا عند الوغى والتآسيا ونعلم أن الله لا رب غيره * وان رسول الله نعادى الذى عادى من الناس كلهم جميعا وان كان الحبيب المصافيا

فافترض شهر رمضان وحولت القبلة الى الكعبة بعد قدومه بثمانية عشر شهرا وقد قيل انه أنزل عليه بالمدينة من القرآن اثنتان وثلاثون سورة ثم قبضه الله يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الاول سنة عشر فى الساعة التى دخل فيها المدينة فى منزل عائشة رضى الله عنها وكانت علته اثنى عشر يوما وكانت غزواته صلى الله عليه وسلم بنفسه ستا وعشرين غزوة ومنهم من رأى أنها سبع وعشرون الاولون جعلوا منصرف النبى صلى الله عليه وسلم من خيبر الى وادى القرى غزوة واحدة والذين جعلوها سبعا وعشرين جعلوا غزوة خيبر مفردة ووادى القرى منصرفه اليها غزوة أخرى غير خيبر فوقع التنازع فى أعداد الغزوات من هذا الوجه وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم حين فتح الله خيبر انصرف منها الى وادى القرى من غير أن يأتى المدينة وكان أول

غزواته صلى الله عليه وسلم من المدينة بنفسه الى ودان وهى المعروفة بغزوة الابواء ثم غزوة بواط الى ناحية

يا حبذا بحديقة دولاب * سكنت الى حركاته الالباب
غنى ولم يطرب وسقى وهو لم * يشرب ومنه العود والا كواب
لو يدعي لطف الهواء أو الهوى * ما كنت في تصديقه أرتاب
وكأنه مما شدا مستهزئ * وكأ نه مما بكى نداب
وكأنه بنشاره ومداره * فلك كواكبه لها أذناب

انتهى

وقال أبو المعالي القيجاطي

فقلت يا ربعهم أين من * أحببته فيك وأين النديم
فقال عهد قد غدا شمله * كمثل ما ينتثر در نظيم

وقال أبو عمرو بن الحكم القبطلي وقبطلة من أعمال وادي اشبيلية

كم أقطع الدهر بالمطال * ساءت وحق الاله حالي
رحلت أبغي بكم نجاحا * فلم تفيدوا سوى ارتحالي
وعدتم ألف ألف وعد * لكنني عدت بالمحال

وقال أبو عمران القابسي

طلعت على والاحوال سود * كما طلع الصباح على الظلام
فقل لي كيف لا أوليك شعري * واخلاص التحية والسلام

وقال أبو اسحق ابراهيم بن أيوب المرسي

أما سكران ولكن * من هوى ذاك الفلاني
كلما رمت سلوا * لم يزل بين عياني

وقال

حبيبي مالصبك من مراد * سوى أن لا تدوم على البعاد
وان كان ابتعادك بعد هذا * مقيما فالسلام على فؤادي

قال ابن سعيد وكان المذكور اذا غنى هذه الاشعار اللطيفة على الاوتار لم يبق لسامعه عند المعموم من ثار مع أخلاق كريمة وآداب كانسكاب الديمة انتهى * وقال ابن سعيد في أبي بكر محمد بن عمار البرجي كاتب ابن هود القائل لمن يشهد حربا تحت رايات ابن هود الخ

يا ابن عمار لقد أحييت لي ذاك السميا
في حلى نظم ونثر * علقا في مسمعيا
ولقد حزت مكانا * من ذرى الملك عليا
مثل ما قد حاز لكن * عش بنعماك هنيا

وقال أبو بكر عبد الله بن عبد العزيز الاشبيلي المعروف بابن صاحب الرد

يا أبدع الخلق بلا مرية * وجهك فيه فتنة الناظرين
لا سيما اذ تلتقي خطرة * فيغلب الورد على الياسمين
طوبى لمن قد زرته خاليا * فتمتع النفس ولو بعد حين
من ذلك الثغر الذي ورده * ما زال فيه لذة الشاربين

بدر الثانية التي قتل فيها صناديد قريش وأشرافها وأسر من أسر من زعمائهم ثم غزوة بني سليم حتى بلغ الموضع المعروف بالكدر ماء لبني سليم ثم غزوة السويق طلبا لابي سفيان ابن حرب فبلغ فيها الموضع المعروف بقرقرة الكدر ثم غزوة غطفان الى نجد وتعرف هذه الغزوة بغزوة ذي أمر ثم غزوة بحران وهو موضع بالحجاز من فوق الفرع ثم غزوة احد ثم غزوة حمراء الاسد ثم غزوة بني النضير ثم غزوة ذات الرقاع من نجد ثم غزوة بدر الاخيرة ثم غزوة دومة الجندل ثم غزوة المريسيع ثم غزوة الخندق ثم غزوة بني قريظة ثم غزوة بني لحيان بن هذيل بن مدركة ثم غزوة ذي قرد ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة ثم غزوة الحديبية لا يريد قتالا فصده المشركون ثم غزوة خيبر ثم اعتمر عليه السلام عمرة القضاء ثم غزوة مكة ثم غزوة حنين ثم غزوة الطائف ثم غزوة تبوك قاتل منها في تسع غزوات بدر واحد والخندق وقريظة وخيبر والفتح وحنين والطائف وتبوك هذا قول محمد بن اسحق فاما ما ذهب اليه الواقدي فانه وافق ابن اسحق في قتال النبي صلى الله عليه

وماحوى ذلك الازار الذي * لم يعد عنه أمل الزائرين

وهذه الابيات يقولها في غلام كان من أدباء اشبيلية قد فتنوا به وكان مروره على داره وحكي عنه انه أعطاه في زيارة خمسين دينارا ومرت أيام ثم صادفه عند داره فقال له أتريد أن أزورك ثانية فقال لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين وهذا الجواب على ما فيه من قلة الادب وهتك حجاب الشرع يعد من أشد الاجوبة اصابة للغرض والله تعالى يسمح له فقد قال ابن سعيد في حقه انه بيته باشبيلية من أهل البيوت ولم يزل له مع تقلب الزمان ظهور وخفوت وكان أديبا شاعرا ذواقا لاطراف العلوم انتهى ومن المشهورين بالمجون والخلاعة بالاندلس مع البلاغة والبراعة أبو جعفر أحمد بن طلحة الوزير الكاتب وهو من بيت مشهور من جزيرة شقر من عمل بلنسية وكتب عن ولاة من بني عبد المؤمن ثم استكتبه السلطان ابن هود حين تغلب على الاندلس وربما استوزره في بعض الاحيان وقال ابن سعيد وهو ممن كان والدي يكثر مجالسته ولم أستفد منه الا ما كنت أحفظه في مجالسته وكان شديد التهور كثير الطيش ذاهبا بنفسه كل مذهب سمعته مرة وهو في محفل يقول تقيمون القيامة لحبيب والبحتري والمتنبي وفي عصركم من يهتدي الى ما لم يهتدوا اليه فأهوى له شخص له قحة واقدام فقال يا أبا جعفر فأرنا برهان ذلك ما أظنك تعني الا نفسك فقال نعم ولم لا وأنا الذي أقول ما لم يتنبه اليه متقدم ولا يهتدي لمثله متأخر

يا هل ترى أظرف من يومنا * قلد جيد الافق طوق العقيق

وأنطق الورق بعيدانها * مرقصة كل قضيب وريق

والشمس لا تشرب خمر الندى * في الارض الا بكؤوس الشقيق

فلم ينصفوه في الاستحسان وردوه في الغيظ الى أضيق مكان فقلت له يا سيدي هذا هو السحر الحلال فبالله الا ما زدتني من هذا النمط فقال

أدرها فالسماء بدت عروسا * مضمخة الملابس بالغوالي

وخد الروض أحمر ذو أصيل * وجفن النهر كحل بالظلال

وجيد الغصن يشرق من لآل * تضيء بهن أكناف الليالي

فقلت زد وعد فعاد والارتياح قد ملأ عطفه والتيه قد رفع أنفه فقال

لله نهر عند ما زرته * عاين طرفي منه سحرا حلال

اذ أصبح الطل به ليلة * وجال فيها الغصن شبه الخيال

فقلت زد فأنشد

ولما ماج بحر الليل بيني * وبينكم وقد جددت ذكرا

أراد لقاءكم انسان عيني * فمد له المنام عليه جسرا

فقلت ايه فقال

ولما أن رأى انسان عيني * بصحن الخد منه غريق ماء

أقام له العذار عليه جسرا * كما مد الظلام على الضياء

فقلت أعد فأعاد وقال حسبك لئلا تكثر عليك المعاني فلا تقوم بحق قيمتها وأنشد

وسلم في هذه التسع الغزوات وزاد أن النبي صلى الله عليه وسلم قاتل في غزوة وادي القرى وذلك ان غلامه المعروف بمدعم رمي بسهم فقتل وقاتل في يوم الغابة فقتل من المشركين ستة نفر وقتل يومئذ محرز بن نضلة ففي قول الواقدي انه قاتل في احدى عشرة غزوة وفي قول ابن اسحق في تسع فقتاله في التسع باتفاق منهما وزاد الواقدي على ما ذكر وقد قيل ان اول غزوة غزاها عليه السلام ذات العشيرة (وقد تنازع) من سلف من اهل السير والاخبار في عدد سراياه وبعوثه فقال قوم ان عدة سراياه وبعوثه بين ان قدم المدينة وبين أن قبضه الله خمس وثلاثون بعثا وسرية وذكر محمد بن جرير الطبري في كتابه في التاريخ قال حدثني الحرث قال حدثنا ابن أسعد قال قال محمد بن عمر الواقدي كانت سرايا النبي صلى الله عليه وسلم ثمانيا واربعين سرية وقيل ان سراياه عليه السلام وبعوثه كانت ستة وستين (وقبض صلى الله عليه وسلم) وهو ابن ثلاث وستين سنة على حسب ما تقدم في صدر هذا الكتاب من قول ابن عباس ولم يخلف من الولد الا فاطمة عليها السلام وتوفيت بعده بأربعين يوما وقيل سبعين يوما وقيل غير ذلك (وكان تزويج علي) بن أبي طالب

لفاطمة عليها السلام بعد سنة مضت من الهجرة وقيل أقل من ذلك

هات المدام اذا رأيت شبيهها * في الافق يا فرداً بغير شبيه
فالصبح قد ذبح الظلام بنصله * فغدت تخاصمه الحمائم فيه انتهى

ثم قال وكان قد تهتك في غلام لابن هود ولكثرة انهزام ابن هود ربما انهزم مع العلج وفيه يقول

ألفت الحرب حتى علمتني * مقارعة الحوادث والخطوب
ولم أك عالماً وأبيك حربا * بغير لواحظ الرشا الربيب
فها أنا بين تلك وبين هذي * مصاب من عدو أو حبيب

ولما هرب العلج الى سبتة احسن اليه القائم بها ابو العباس اليبتي فلم يقنع بذلك الاحسان وكان يأتي بما يوغر صدره فقال يوماً في مجلسه رميت مرة بقوس فبلغ السهم الى كذا فقال ابن طلحة لشخص بجانبه لو كان قوس قزح ما بلغ الى كذا فشعر بقوله فاسرها في نفسه ثم بلغه انه هجاه بقوله

سمعنا بالموفق فارتحلنا * وشافعنا له حسب وعلم
ورمت يداً اقبلها واخرى * اعيش بفضلها ابداً واسمو
فانشدنا لسان الحال فيه * يد شلا وأمر لا يتم

فزاد في حنقه وبقي مترصداً له الغوائل فحفظت عنه ابيات وهو في حالة استهتار في شهر رمضان وهي

يقول اخو الفضول وقد رآنا * على الايمان يغلبنا المجون
أتنتهكون شهر الصوم هلا * حماه منكم عقل ودين
فقلت اصحب سوانا نحن قوم * زنادقة مذاهبنا فنون
ندين بكل دين غير دين الرعاع فانه ابداً نـدين
نحي على الصبوح الزهر ندعو * وابليس يقول لنا أمين
فيا شهر الصيام اليك عنا * اليك ففيك أكفر ما نكون

فارسل اليه من هجم عليه وهو على هذه الحال وأظهر انه يرضى العامة بقتله فقتله وذلك سنة ٦٣١ انتهى وحاكي الكفر ليس بكافر والله سبحانه وتعالى للزلات غير الكفر غافر

وقال محمد بن أحمد الاشبيلي بن البناء

كانك من جنس الكواكب كنت لم * يفتك طلوعا حالها وتواريا
تجليت من شرق تروق تلالؤا * فلما نحيت الغرب أصبحت هاويا

ولما أمر المستنصر الموحدي بضرب ابن غالب الداني ألف سوط وصلبه وضرب باشبيلية خمسمائة فمات وضرب بقية الالف حتى تناثر لحمه ثم صلب قال ابنه أبو الربيع يرثيه

جهلا المثلث أن يبكي لما قدرا * وأن يقول أسى يا ليته قبرا
فاضت دموعك أن قاموا باعظمه * وقد تطاير عنه اللحم وانتثرا

ومنها

ضاقت به الارض عما كان حملها * من الايادي فلت شلوه شجرا

(وكانت) أول امرأة تزوج بها النبي صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد بن أسد ابن عبد العزى بن قصي وكانت وفاتها في شوال بعد مبعثه بثلاث سنين (وأسرى به) وهو ابن احدى وخمسين سنة وثمانية أشهر وعشرين يوما (وكانت) وفاة عمه أبي طالب واسمه عبد مناف بعد وفاة خديجة بثلاثة أيام وهو ابن تسع وأربعين سنة وثمانية أشهر وقد قيل ان ابا طالب اسمه (وتزوج) بعد وفاة خديجة بسودة بنت زمعة بن قيس ابن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل (وتزوج) بعائشة رضي الله عنها بعد الهجرة بسبعة أشهر وتسعة ايام وقد أتينا على ذكر سائر أزواجه في الكتاب الاوسط فأغنى عن اعادته (روى جعفر) بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم انه قال ان الله عز وجل أدب محمداً صلى الله عليه وسلم فاحسن تأديبه فقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فلما كان كذلك قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم فلما قبل من الله فوض اليه فقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وكان يضمن

وعـزجسمك أن يحظى به كفن * فما تسربل الا الشمس والقمرا

وقال ابو العلاء عبد الحق المرسي رحمه الله تعالى

يا ابا عمران دعني والذى * لم يمل بى خاطرى الا اليه

ماندیمی غیر من یخدمنی * لا الذی یجلسنی بین یدیه

يرفع الكلفة عني ويرى * انها واجبة مني عليه

وقال ابن غالب الكاتب بمالقة

لاتخش قولا قد عقدت الالسنا * وابعث خيالك قد سحرت الاعينا

واعطف على فان روحی زاهق * وانظر الى بنظرة ان أمكنا

لا يخدعنك أن تراني لابسا * ثوبي فقد اصبحت فيه مكفنا

مازال سحرك يستميل خواطرى * بارق من ماء الصفاء والينا

حتى غدوت بحر حب زاخر * فرمت بى الامواج فى شط الضنا

وقال

ما للنسيم لدى الاصيل عليلا * اتراه يشكو زفرة وغليلا

جر الذيول على ديار أحبتى * فأتى يجر من السقام ذيولا

وقال أبو عبد الله بن عساكر الغسانى قاضي مالقة

أهواك يابدر وأهوى الذى * يعذلني فيك وأهوى الرقيب

والجار والدار ومن حلها * وكل من مر بها من قريب

ما ان تنصرت ولكنني * أقول بالتثليث قولا غريب

يطابق الالحان والكاس اذ * تبسم عجبا والغزال الربيب

وكان أبو أمية بن عفير قاضي اشبيلية مع براعته وتقدمه فى العلوم الشرعية أقوى الناس بالعلوم الادبية المرعية وقد اشتهر بسرعة الخاطر فى الارتجال وعدم المناظر له فى ذلك المجال قال ابن سعيد رأيته كثيرا ما يصنع القصائد والمقطعات وهو يتحدث أو يفصل بين الغرماء فى أكثر الاوقات ومن شعره

ديارهم صاح نصب عيني * وليس لى وصلة اليها

الا سلامى لدى ابتعاد * من بعد سكانها عليها

وقوله رحمه الله تعالى

ووجه تغرق الابصار فيه * ولكن يترك الارواح هيما

أتانى ثم حيانى حبيب * به وأباحنى الخد الرقيما

فمر لنا مجون فى فنون * سلكت به الصراط المستقيما

قلت أما مجرد الارتجال فامر عن الكثير صادر وأما كونه مع التحدث أو فصل الخصومات فهو نادر وقد حكينا منها فى هذا الكتاب فى القسم الاول موارد ومصادر ويعجبني من الواقع لاهل المشرق من ذلك قضية على بن ظافر اذ قال بت ليلة والشهاب يعقوب بن أخت نجم الدين فى منزل اعترفت له مشيدات القصور بالانخفاض والقصور وشهدت له

يدخل باربع وقبض عليه السلام عن تسع (قال المسعودى) وقد تنوزع فى مقدار عمره عليه السلام وقد قدمنا ما روى فى ذلك عن ابن عباس وهو ما ذكره حماد بن سلمة عن أبى حمزة عن ابن عباس وقد روى عن أبى هريرة مثل قول ابن عباس وذكر عن يحيى بن سعيد انه سمع سعيد بن المسيب يقول أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وهو ابن ثلاث وأربعين سنة وأقام بمكة عشرا وتوفى وهو ابن ثلاث وستين سنة وكذلك ذكر عن عائشة قالت توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة وقد روى عن ابن عباس من وجه آخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو ابن خمس وستين سنة وكذلك ذكر ابن هشام قال حدثنا على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس وذكر قتادة عن الحسن عن دعفل يعنى ابن حنظلة أن النبي صلى الله عليه وسلم توفى وهو ابن خمس وستين وقد قيل انه قبض وهو ابن ستين وذكر ذلك عن ابن عباس وعائشة وعروة بن الزبير وذكر حماد قال أخبرنا عمرو بن دينار عن عروة بن الزبير قال

شيبان عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة قال حدثتني عائشة رضي الله عنها وابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث وهو ابن أربعين سنة فلبث بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين وقبض وهو ابن ستين صلى الله عليه وسلم (وانما حكينا) هذا الخلاف ليعلم من نظر في كتابنا هذا انا لم نغفل شيأ مما قالوه ولا تركنا شيأ مما ذكروه الا ذكرنا منه ما يتأتى لنا ذكره وأشرنا اليه ميلا الى الاختصار وطلبا للايجاز والذي وجدنا عليه آل محمد عليه الصلاة والسلام أنه ابن ثلاث وستين سنة ولما غسل عليه السلام كفن في ثلاثة أثواب ثوبين صحاريين وثوب حبرة أدرج فيها ادراجا ونزل في قبره علي بن أبي طالب والفضل وقثم بن العباس وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر في مقدار الثياب للكفن غير ما ذكرنا والله أعلم بكيفية ذلك ولنرجع الآن الى ذكر لمع من اموره وأخبار كانت من مولده الى وفاته صلى الله عليه وسلم وشرف وعظم

ساميات البروج بالاعتلاء والعروج قد ابيضت حيطانه وطاب استيطانه وابتهج به سكانه وقطانه والبدر قد محا خضاب الظلماء وحكى محياه في زرقة قناع السماء وكسا الجدران ثيابا من فضة ونثر كافوره على مسك الثرى بعد أن سحقه ورضه والروض قد ابتسم محياه ووشت بأسرار محاسنه رباه والنسيم قد عانق قامات الاغصان فيلها وغص بها مباسم نورها فقبلها وعندنا من قد وقع على تفضيله الاجماع وتغايرت على محاسنه الابصار والاسماع ان بدا فالشمس طالعة وان شدا فالورق ساجعة تغازله مقلة سراج قد قصر على وجهه تحديقه وقابله فقلنا البدر قابل عيوقه وهو يغار عليه من النسيم كلما خفق وهب ويستجيش عليه بتلويح بارقه الموشى بالذهب ويديم حرقته وسهده ويبذل في الطافه طاقته وجهده فتارة يضحكه بحلوقه وتارة يحلبه بعقيقه وآونة يكسوه أثواب شقيقه فلم يزل كذلك حتى نعس طرف المصباح واستيقظ نائم الصباح فصنعت بديها في المجلس وكتبت بها الى الاعز بن المؤيد رحمه الله تعالى أصف تلك الليلة التي ارتفعت على أيام الاعياد كارتفاع الرؤس على الاجياد بل فضلت ليلات الدهر كفضل البدر على النجوم الزهر

غبت عني يا ابن المؤيد في وقت شهي يلهي المحب المشوقا
ليلة ظل بدرها يلبس الجد * ران ثوبا مفضضا مرموقا
وغدا الظل فيه ينثر كافو * را فيعلو مسك التراب السحيقا
وتبدى النسيم يعتنق الاغـ * ـصان لما سرى عنا فا رفيقا
بت فيها منادما الصديق * ظل بين الانام خلا صدوقا
هو مثل الهلال وجها صبيحا * ومثال النسيم ذهنا رقيقا
وغزال كالبدر وجها وغصن البان قدا والخمرة الصرف ريقا
مظهر للعيون ردفا مهيلا * وحشا ناحلا وقدا رشيقا
ان تغنى سمعت داود أولا * ح تأملت يوسف الصديقا
واذا قابل السراج رأينا * منه بدرا يقابل العيوقا
وأظن الصباح هام بعمر آ * ه فابدى قلبا حريقا خفوقا
هو نجم ما لاح في الجدر كافو * ربياض الا كساه خلوقا
ما بدا نرجس الكواكب الا * قام في قومه يرينا الشقيقا
واذا ما بدت جواهرها في السـ * ـماء أبدى في الارض منهم عقيقا
فغدونا تحت الدجى نتعاطى * من رقيق الآداب خمرا رقيقا
وجعلنا ريحاننا طيب ذكرا * ك تخذناه عنبرا مفتوقا
ذاك وقت لولا مغيبك عنه * كان بالمدح والثنا مخليقا

قال فاجاب عنها من الوزن دون الروي

قد أتتني من الجمال قصيد * يا لها من قصيدة غراء
جمعت رقة الهواء وطيب الـ * ـمسك في سبكها وصفو الماء

* (ذكر أمور وأحوال من مولده الى وفاته صلى الله عليه وسلم) * وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب

فارتنا طباعــه وشــذاه * والذي حاز ذهنه من ذكاه

سيدي هل جمعت فيها اللآلي * يا أخا المجد أم نجوم السماء

أفحمتني حسـنا وحق أياديـــك التي لا تعـد بالاحصاء

فتركت الجواب والله عجـزا * فابسط العذر فيه يا مولائي

هل يسامي الثرى الثريا وأني * يدعي النجم فرط نور ذكاه انتهى

(رجع) الى أهل الاندلس * وقال ابن السمان

اياك أن تكثر الاخوان مغتنما * في كل يوم الى أن يكثر العدد

فواحـــد منهم تقتضي الوداد له * من التكاليف ما يفنى به الجلد

وله

تحن ركابي نحو أرض ومالها * ومالي من ذاك الحنين سوى الهم

وكم راغب في موضع لا يناله * وأمسيت منه مثل يونس في اليم

بهذا قضى الرحمن في كل ساخط * يموت على كره ويحيا على رغم

ولما قام الباجي باشبيلية وخلع طاعة ابن هود وأبدل شعاره الاسود العباسي في البنود قال أبو محمد عبد الحق الزهري القرطبي في ذلك

كأنما الراية السوداء قد نصبت * لهـم غرابا بين الاهل والولد

مات الهوى تحتها من فرط روعته * فاظهر الدهر منها لبسة الكمد

وأنشدهما القاسم الباجي في جملة قصيدة * وقال الوزير أبو الوليد اسمعيل بن حجاج الاعلم الاشبيلي

أمسى الفراش يطوف حول كؤوسنا * اذ خالها تحت الدجى قنديلا

مازال يخفق حولها بجناحه * حتى رمته على الفراش قتيلا

وله

لاموا على حب الصبا والكاس * لما بدا وضح المشيب براسي

والغصن أحوج ما يكون لسقيه * أيام يبدو بالازاهر كاسي

وله وقد رأى على نهر قرطبة ثلاثين نفسا مصلوبين من قطاع الطريق

ثلاثون قد صففوا كلهم * وقد فتحوا أذرعا للوداع

وما ودعوا غير أرواحهم * فكان وداعا لغير اجتماع

وله في فتى وسيم عض كلب وجنته

وأغيد وضاح المباسم باسم * اذا قام الارواح ناظر مقمر

تعمد كلب عض وجنته التي * هي الورد ايناعا وأبقى بها اثر

فقلت لشهب الافق كيف صماتكم * وقد أثر العواء في صفحة القمر

وقال الفقيه أبو الحجاج يوسف بن محمد البياسي المؤرخ الاديب المصنف الشهير وكان حافظا لنكت الاندلسيين حديثا وقديما ذاكرا لفكاهاتهم التي صيرته للملوك خليلا ونديما في صبي من أعيان الجزيرة الخضراء تهافت في حبه جماعة من الادباء والشعراء وكان من

القوم

من ذكر مولده عليه السلام ومبعثه ووفاته جوامع يكتفي بها العالم المستبصر ويتنبه بها الطالب المسترشد وذكرنا جملا من الكوائن والاحداث في تضاعيف ذلك وأفردنا هذا الباب لذكر ترتيب جمل من السنين من مولده الى وفاته وجمل أحداث وكوائن كانت في أيامه ليقرب تناول ذلك على مريده ويسهل مأخذه على الطالب له وان كنا قد أتينا على لمع من مبسوط هذا الباب فيما تقدمه من الابواب ان شاء الله تعالى (ففي أول) سنة من مولده دفع الى حليمة بنت عبد الله ابن الحرث بن شجنة بن جابر بن رزام بن نصر بن معد بن عدنان (وفي السنة الخامسة) من مولده ردته حليمة الى أمه على حسب ما ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب (وفي السنة السادسة) أخرجته أمه الى أخواله زائرة فتوفيت بالابواء بين مكة والمدينة ونعي ذلك الى أم أيمن فخرجت اليه وقدمت به الى مكة وكانت مولاة له قد ورثها عن أمه (وفي السنة التاسعة) خرج مع عمه أبي طالب الى الشأم وقيل انه خرج مع عمه أبي طالب الى الشأم وله ثلاث عشرة سنة وقد كان أبو طالب أخا عبد الله أبي النبي صلى الله عليه وسلم لابيه وأمه فلذلك كفل بأمر النبي صلى الله عليه وسلم

القوم الذين هاموا بالمذكور وقاموا فيه المقام المشهور أديب يقال له الفار فقاط على البياسي حتى سافر من الجزيرة وكان يلقب بالقط

عذرت أبا الحجاج من رب شيبة * غدا لابسا فى الحب ثوبا من القار
وأجاه الفار المشارك للنوى * ولم ار قطا قبله فر من فار

وله

قد سلوناعن الذى تدريه * وجفوناه اذجفا بالتيه
وتركناه صاغر الانف * خدعوه بالزور والتمويه
لمصل يسوقه لمصل * وسفيه يقوده لسفيه

وله وقد كتب الى بعض اصحابه يذكره بالايام السوالف

أباحسن لعمرك ان ذكرى * لايام النعيم من الصواب
امثلى ليس يذكر عهد حمص * وقد جمعت بنا خيل التصابى
ونحن نجر أثواب الامانى * مطرزة هنالك بالشباب
وعهد بالجزيرة ليس ينسى * وان أغفلته عند الخطاب
هو الأحلى لدى وان حمانى * عن العسل اجتماع للذباب

وسار الى المحبوب وكان كثير الاجتماع به فى جنة لوالده على وادى العسل فقال

جنة وادى العسل * كم لى بها من امل
لولم يكن ذبابها * يمنع ذوق العسل

قال ابن سعيد ولما التقينا بتونس بعد ايابى من المشرق وقدو لج ظلام الشعر على وجهه المشرق قلت لابى الحجاج مشيرا الى محبوبه وقد غطى هواه عنده على عيوبه

خل ابا الحجاج هذا الذى * قد كنت فيه دائم الوجد
وانظر الى لحيته واعتبر * مما جنى الشعر على الخد

والله سبحانه يسمع للجميع فى هذا المنزل الشنيع ويصفح عنا فى ذكره انه مجيب سميع *وقال صاحب البدائع ركب الاستاذ أبو محمد بن صارة مع اصحاب له فى نهر اشبيلية فى عشية سال أصيلها على لجين الماء عقيانا وطارت زواريقها فى سماء النهر عقبانا وابدى نسيمها من الامواج والداوات سررا وأعكانا فى زورق يجول جولان الطرف ويسود اسوداد الطرف فقال بديها

تامل حالنا والجو طلق * محياه وقد طفل المساء
وقد جالت بنا عذراء حبلى * تجاذب مرطها ريح رخاء
بنهر كالسجنجل كوثرى * تعبس وجهها فيه السماء

واتفق أن وقف أبو اسحق بن خفاجة على القطعة واستظرفها واستلطفها فقال يعارضها على وزنها ورويها وطريقتها

ألا يا حبذا ضحك الحيا * بحانتها وقد عبس المساء
وأدهم من جياد الماء مهر * تنازع جله ريح رخاء

وكان لعبد المطلب ستة عشر ولدا عشرة ذكور وهم من سمينا وستة اناث وهم عاتكة وصفية وأميمة والبيضاء وبرة وأروى ولم يسلم منهن الا صفية أم الزبير بن العوام وقد تنوزع فى أروى فمنهم من قال انها أسلمت وفى خروجه عليه السلام مع عمه فى هذه السنة نظر اليه بحيرا الراهب وأوصاهم بمراعاته من اليهود فانهم أعداؤه اعلمهم بما يكون من نبوته على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا الخبر بحيرا الراهب وما كان من اخباره بنبوة النبى صلى الله عليه وسلم وذلك فى باب أهل الفترة ممن كان بين المسيح ومحمد عليهما السلام وقد قدمنا انه عليه السلام شهد يوم حرب الفجار وذلك فى سنة احدى وعشرين وانها حرب كانت بين قريش وقيس عيلان فيما سلف من هذا الكتاب وغيره وأنها انما سميت بهذا الاسم الذى هو الفجار لانها كانت فى الاشهر الحرم وكانت لقيس على قريش وأن النبى صلى الله عليه وسلم لما شهدها صارت لقريش

على قيس وكان على قريش يومئذ عبد الله بن جدعان التيمى وكان نخاسا فى الجاهلية بياعا للجوارى وكانت هذه احدى

اذا بدت الكواكب فيه غرقى * رأيت الارض تحسدها السماء انتهى

وقال الاديب ابن خفاجة في ديوانه صاحبت في صدري من المغرب سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة أبا محمد عبد الجليل بن وهبون شاعر المعتمد وكان أبو جعفر بن رشيق يومئذ قد تمنع ببعض حصون مرسية وشرع في النفاق فقطع السبيل وأخاف الطريق ولما حاذينا قلعته وقد احتدمت جمرة الهجير وملّ الراكب رسيمه وذميله وأخذ كل منا يرتاد مقيله اتفقنا على أن لا نطعم طعاما ولا نذوق مناما حتى نقول في صورة تلك الحال وذلك الترحال ما حضر وشاء الله أن أجبل ابن وهبون واعتذر وأخذت عفو خاطري فقلت أتربص به وأعرض بعظم لحيته

ألا قل للمريض القلب مهلا * فان السيف قد ضمن الشفاء
ولم أر كالنفاق شكاة غمر * ولا كدم الوريد له دواء
وقد دحي النجيع هناك أرضا * وقد شمل العجاج به سماء
ودس به انحطاطا بطن واد * مذاعب شعر لحيته ضراء

وقال ابن خفاجة أيضا حضرت يوما مع أصحاب لي ومعهم صبي متهم في نفسه واتفق انهم تحاوروا في تفضيل الرمان على العنب فانبرى ذلك الصبي فافرط في تفضيل العنب فقلت بديها أعبث به

صلني لك الخير برمانة * لم تنتقل عن كرم العهد
لا عنبا أمتص عنقوده * ثديا كأني بعد في المهد
وهل يرى بينهما نسبة * من عدل الخصية بالنهد

فخجل خجلا شديدا وانصرف قال وخرجت يوما بشاطبة الى باب السمار بن ابتغاء الفرجة على خرير ذلك الماء بتلك الساقية وذلك سنة ٤٨٠ واذا بالفقيه أبي عمران بن أبي تليد رحمه الله تعالى قد سبقني الى ذلك فالفيته جالسا على دكان كانت هنالك مبنية لهذا الشان فسلمت عليه وجلست اليه مستانسا به فجرى أثناء ما تناشدناه ذكر قول ابن رشيق

يا من يمر ولا تمر به القلوب من الفرق
بعمامة من خده * أو خده منها استرق
فكأنه وكأنها * قمر تعمم بالشفق
فاذا بدا واذا انثنى * واذا شدا واذا نطق
شغل الخواطر والجوا * نح والمسامع والحدق

فقلت وقد أعجب بها جدا وأثنى عليها كثيرا أحسن ما في القطعة سياقه الاعداد والا فانت تراه قد استرسل فلم يقابل بين ألفاظ البيت الاخير والبيت الذي قبله فينزل بازاء كل واحدة منها ما يلائمها وهل ينزل بازاء قوله واذا نطق قوله شغل الحدق وكأنه نازعني القول في هذا غاية الجهد فقلت بديها

ومهفهف طاوي الحشا * خنث المعاطف والنظر
ملأ العيون بصورة * تليت محاسنها سور

فاذا

وهي يومئذ بنت أربعين وقيل في سنها غير هذا (وفي سنة ست وثلاثين) بنت قريش الكعبة وتراضت به في وضع الحجر على حسب ما قدمنا (وفي سنة احدى وأربعين) بعثه الله نبيا ورسولا الى كافة الناس وذلك لعشر خلون من ربيع الاول على حسب تنازع الناس في تاريخ مبعثه عليه السلام (وفي سنة ست وأربعين) كان حصار قريش للنبي صلى الله عليه وسلم وبني هاشم وبني عبد المطلب في الشعب (وفي سنة خمسين) كان خروجه عليه السلام ومن تبعه الى الطائف (وفي هذه السنة) كانت وفاة خديجة زوجه على حسب ما ذكرناه على غير هذا التفصيل (وفي سنة احدى وخمسين) كان الاسراء به صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس على حسب ما نطق به التنزيل (وفي سنة) أربع وخمسين كانت هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة (وفيها) بنى صلى الله عليه وسلم مسجده (وفيها) دخل بعائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها وهي ابنة تسع تزوجها بعد الهجرة بسبعة أشهر وقيل عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهي بنت ثمان

فاذا رنا واذا مشى * واذا شدا واذا سفر
فضح الغزالة والغما * مة والحمامة والقمر

فخن بها استحسانا انتهى قال ابن ظافر والقطعة القافية ليست لابن رشيق بل هي لابى الحسين على بن بشر الكاتب أحد شعراء اليتيمة * وكان بين السميسر الشاعر وبين بعض رؤساء المرية واقع لمدح مدحه فلم يجزه عليه فصنع ذلك الرجل دعوة للمعتصم بن صمادح صاحب المرية واحتفل فيها بما يحتفل مثله فى دعوة سلطان مثل المعتصم فصبر السميسر الى أن ركب السلطان متوجها الى الدعوة فوقف له فى الطريق فلما حاذاه رفع صوته بقوله

يا أيها الملك الميمون طائره * ومن لذى مأتم فى وجهه عرس
لا تفرسن طعاما عند غيركم * ان الاسود على المأكول تفترس

فقال المعتصم صدق والله ورجع من الطريق وفسد على الرجل ما كان عمله * ونظير هذه الحكاية أن عباد بن الحريش كان قد مدح رجلا من كبار أصبهان أرباب الضيع والاملاك والتبع الكثير فطاله بالجائزة ثم أجازه بما لم يرضه فرده عليه و بعد ذلك بحين عمل الرجل دعوة غرم عليها الوف دنانير كثيرة لابى دلف القاسم بن عيسى العجلى على أن يجىء اليه من الكرج ووصل أبو دلف فلما وقعت عين عباد عليه وهو يساير بعض خواصه أوما الى ذلك السائر وأنشد باعلى صوته

قل له يا فديته * قول عباد ذا سمع
جئت فى ألف فارس * لغداء من الكرج
ما على النفس بعد ذا * فى الدناآت من حرج

فقال أبو دلف وكان أخوف الناس من شاعر صدق والله أجىء من الكرج الى أصبهان حتى أتغدى بها والله ما بعد هذا فى دناءة النفس من شئ ثم رجع من طريقه وفسد على الرجل كل ما غرمه وعرف من أين أتى وتخوف أن يعود عباد عليه بشر منها فسير اليه جائزة سنية مع جماعة من أصحابه فاجتمعوا به وسالوه فيه وفى قبول الجائزة فلم يقبل الجائزة ثم أنشد بديها

وهبت يا قوم لكم عرضه

فقالوا جزاك الله تعالى خيرا فقال

كرامة للشعر لا للفتى
لانه أبخل من ذرة * على الذى تجمعه فى الشتا انتهى

وذكر أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الاندلسى ما معناه انه عزم بمصر هو ورفقة له على الاصطباح فقصدوا بركة الحبش فى وقت ولاية الغبش وحلوا منها روضا باسم زهره ونسم عطره فاداروا كؤسا تطلع من المدام شموسا وعاينوها نجوما تكون لشياطين الهموم رجوما فطرب حتى أظهر الطارب نشاطه وأبرز ابتهاجه وانبساطه فقال

لله يومى ببركة الحبش * والجو بين الضياء والغبش
النيل تحت الرياح مضطرب * كصارم فى يمين مرتعش
ونحن فى روضة مفوقة * دبج بالنور عطفها ووشى
قد نسجتها يد الغمام لنا * فنحن من نورها على فرش

ابن زيد كيفية الاذان فى منامه (وفيها) كان تزوج على بن أبى طالب بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسب ما ذكرنا من التنازع فى التاريخ (وفى سنة اثنتين) من الهجرة افترض على المؤمنين صوم شهر رمضان (وفى هذه السنة) أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالتوجه الى الكعبة (وفيها) توفيت ابنته رقية (وفى آخر هذه السنة) وهى سنة اثنتين من الهجرة كان دخول على ابن أبى طالب بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم (وفيها) كانت وقعة بدر وذلك فى يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان (وفى سنة ثلاث) كان تزويجه بزينب بنت خزيمة وكانت وفاتها بعد شهرين (وفى هذه السنة) كان تزويجه بحفصة بنت عمر بن الخطاب (وفيها) كان تزويج عثمان ابن عفان بأم كلثوم ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وفيها) كان مولد الحسن بن على بن أبى طالب على ما فى ذلك من التنازع فى التاريخ (وفيها) كانت

فعاطني الراح ان تاركها * من سورة الهم غير منتعش
واسقني بالكبار مترعة * فهن أروى لشدة العطش
فاثقل الناس كلهم رجل * دعاه داعي الصبا فلم يطش

وهذا أبو الصلت أمية من كبراء أدباء الاندلس العلماء الحكماء وقد ترجمناه في الباب الخامس في المرتحلين من الاندلس الى المشرق * وقال رحمه الله تعالى كنت مع الحسن بن علي بن تميم بن المعز بن باديس بالمهدية في الميدان وقد وقف يرمي بالنشاب فصنعت فيه بديها

ياملكا مذخلقت كفه * لم تدر الا الجود والباسا
ان النجوم الزهر مع بعدها * قد حسدت في قربك الناسا
وودت الاملاك لو أنها * تحولت تحتك أفراسا
كما تمنى البدر لو أنه * عاد لنشابك برجاسا انتهى

وصنع الوزير أبو جعفر أحمد الوقشي وزير الرئيس أبي اسحق بن همشك صهر الامير أبي عبد الله محمد بن مردنيش في غلام أسود في يده قضيب نور بديها

و زنجي أتى بقضيب نور * وقد زفت لنا بنت الكروم
فقال فتى من الفتيان صفها * فقلت الليل أقبل بالنجوم

ولما أفرط أبو يحيى البكي في هجاء أهل فاس تعسفوا عليه وساعدهم واليهم مظفر الخصي من قبل أمير المسلمين علي بن يوسف والقائد عبد الله بن خيار الجياني وكان يتولى أمورا سلطانية بها ففقده وارجلا ادعى عليه بدين وشهد عليه به رجل فقيه يعرف بالزناتي ورجل آخر يكنى بابي الحسين من مشايخ البلد فاثبت الحق عليه وأمر به الى السجن فرفع اليه وسيق سوقا عنيفا فلما وصل الى بابه طلب ورقة من كاتبه وكتب فيها وأنفذها الى مظفر مع العون الذي أوصله الى السجن فكان ما كتب

ارشوا الزناتي الفقيه بيضة * يشهد بان مظفرا ذو بيضتين
واهدوا اليه دجاجة يحلف لكم * ما نالك عبد الله رس أبي الحسين

وقال أبو الحسن علي بن عتيق بن مؤمن القرطبي الانصاري محمل والذي محملا الاكتب من قضبان تشبه سلما فدخل عليه أبو محمد عبد الله بن مفيد فرآه فقال ارتجالا

أيها السيد الذكي الجنان * لا تقسني بسلم البنيان
فضل شكلي على السلالم اني * محمل للعلوم والقرآن
حزت من حلية المحبين ضعفي * واصفراري ورقة الابدان
فادع للصانع المجيد بفوز * ثم وال الدعاء للاخوان

ثم عمل أيضا

أيها السيد الكريم المساعي * التفت صنعتي وحسن ابتداعي
أنا للنسخ محمل خفحلي * أنا في الشكل سلم الاطلاع

وقال أحمد بن رضى المالقي

سلمة بنت أمية (وفيها) كانت غزوته الى اليهود من بني النضير وامتنعوا منه بحصونهم فقطعوا نخلهم وشجرهم واضرموا النار عليهم فلما رأى ذلك صالحهم (وفيها) كانت غزوته الى بني المصطلق (وفيها) وهي سنة أربع كان مولد الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وقد قيل ان مولد فاطمة رضي الله تعالى عنها قبل الهجرة بثمان سنين (وفي سنة خمس) كانت غزوة الخندق وما كان من حفر الخندق (وفيها) غزا اليهود من بني قريظة وكان من أمرهم ما قد شهر (وفيها) كان تزويجه بزينب بنت جحش (وفيها) كان تقول أهل الافك على عائشة رضي الله تعالى عنها (وفي سنة ست) كان استسقاؤه عليه السلام لما لحق الناس من الضر والجدب (وفيها) اعتمر عمرته المعروفة بعمرة الحديبية وواعد المشركين (وفيها) أخذ فدك (وفيها) تزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان ووجه بالرسل الى كسرى وقيصر وكان فيها أداؤه لكتابته جويرية بنت الحرث وتزويجه بها (وفي سنة سبع) غزا خيبر فافتتحها واصطفى

ليس المدامة مما أستريح له * ولا مجاوبة الاوتار والنغم
وانما الذى كتب اطالعها * وخادمى ابدا فى نصرتى قلمى

وقال ابو القاسم البلوى الاشبيلى

لمن اشكو مصابى فى البرايا * ولا القى سوى رجل مصاب
امور لو تدبرها حكيم * اماش مدى الزمان اخا اكتئاب
اما فى الدهر من افشى اليه * باسرارى فيؤنس بالجواب
يئست من الانام فما جليس * يعز على نهاى سوى كتابى

وقال ابو زكريا يحيى بن صفوان بن ادريس صاحب كتاب العجالة وزاد المسافر وغيرهما

ليت شعرى كيف انتم * وانا الصب المعنى
كل شئ لم تكونوا * فيه لفظ دون معنى

وله فى نصرانى وسيم لقيه يوم عيد

توحد فى الحسن من لم يزل * يثلث والقلب فى صده
يشف لك الماء من كفه * ويقتدح النار من خده

وهذان البيتان نسبهما له بعض معاشريه وابوه صفوان سابق الميدان * وقال ابن بسام سايرابن عمار فى بعض اسفاره غلامان من بنى جهور احدهما اشقر العذار والآخر اخضره فجعل يميل بحديثه لمخضر العذار ثم قال ارتجالا

تعلقت جوهرى النجار * حلى الحلى جوهرى الثنايا
من النفر ابيض اسد الزمان * رقاق الحواشى كرام السجايا
ولا غرو ان تغرب الشارقات * وتبقى محاسنها بالعشايا
ولا وصل الا جمان الحديث * تساقطه من ظهور المطايا
شنئت المثلث للزعفران * وملت الى خضرة فى التغايا انتهى

ومعناه ان ابن عمار ابغض المثلث لدخول الزعفران فيه لشبهه بعذار الاشقر منهما واحب خضرة التغايا وهو لون طعام يعمل بالكزبرة لشبهها بعذار الاخضر منهما * وقال ابو العرب ابن معيشة الكنانى السبتى اخبرنى شيخ من اهل اشبيلية كان قد ادرك دولة آل عباد وكان عليه من اثر كبر السن ودلائل التعمير ما يشهد له بالصدق وينطق بان قوله الحق قال كنت فى صباى حسن الصورة بديع الخلقة لا تلمحنى عين احد الا ملكت قلبه وخلبت لبه وسلبت لبه واطلت كربه فبينا انا واقف على باب دارنا اذا بالوزير ابى بكر بن عمار قد اقبل فى موكب زجل على فرس كالعقرة الصماء قدت من قنة الجبل فحين حاذانى ورآنى اشرأب الى ينظرنى وبهت يتاملنى ثم دفع بمخصرة كانت بيده فى صدرى وانشد

كف هذا النهد عنى * فبقلبى منه جرح
هو فى صدرك نهد * وهو فى صدرى رمح

وعبر فى البدائع على طريقة القلائد عما صورته ذكر الفتح بن خاقان ما هذا معناه اخبرنى ذو الوزارتين ابو المطرف بن عبد العزيز انه حضر عند المؤتمن بن هود فى يوم اجرى الجو فيه

اعتمر فى عمرة القضاء على ما ذكرنا من التنازع فى نكاحه لها أفى حال حله نكحها أم فى حال احرامه وما قال الفقهاء فى ذلك وتنازع الناس فى نكاح المحرم (وفيها) كان قدوم حاطب بن ابى بلتعة من مصر من عند المقوقس ملكها ومعه مارية القبطية أم ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من هدايا المقوقس اليه (وفيها) كان قدوم جعفر بن ابى طالب من أرض الحبشة وركوبهم البحر (وفى سنة ثمان) استشهد جعفر بن ابى طالب وزيد بن حارثة وعبدالله بن رواحة بأرض موتة من ارض البلقاء من أرض الشام واعمال دمشق فى وقعتهم مع الروم (وفيها) كانت وفاة زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل غير ذلك من التاريخ (وفى سنة ثمان) كان افتتاح النبى صلى الله عليه وسلم مكة وقد تنازع الناس فى فتحها اصلحا كان أم عنوة (وفيها) كسرت الاصنام وهدمت العزى ثم قال النبى صلى الله عليه

وسلم يا معشر قريش ما ترون انى فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء (وفيها) غزا غزوة حنين

اشقر برقه ورمى بنبل ودقه وحملت الرياح فيه اوقار السحاب على اعناقها وتمايلت قامات الاغصان فى الحلل الخضر من اوراقها والازهار قد تفتحت عيونها والكمائم قد ظهر مكنونها والاشجار قد انصقلت بالقطر ونشرت ما يفوق الوان البز وبثت ما يعلو العطر والراح قد اشرقت نجومها فى بروج الراح وحاكت شمسها شمس الافق فتلفعت بغيوم الاقداح ومديرها قد ذاب ظرفا فكاد يسيل من اهابه واخجل خدها حسنا فتكلل بعرق حبابه اذا بفتى رومى من اصبح فتيان المؤتمن قد اقبل متدرعا كالبدر اجتاب سحابا والنهر اكتست حبابا والطاوس انقلب حبابا فهو ملك حسنا الا انه جسد وغزال لينا الا انه فى هيئة الاسد وقد جاء يريد استشارة المؤتمن فى الخروج الى موضع كان عول فيه عليه وأمره ان يتوجه اليه فحين وصل الى حضرته لمحه ابن عمار والسكر قد استحوذ على لبه وانبثت سراياه فى ضواحى قلبه فاشار اليه وقربه واستبدع ذلك اللباس واستغربه وجد فى ان يستخرج تلك الدرة من ماء ذلك الدلاص وان يجلى عنه كما يجلى الخبث عن الخلاص وان يوفر على ذلك الوفر نعمة جسمه ويكون هو الساقى على عادته القديمة ورسمه فامره المؤتمن بقبول امره وامتثاله واحتذاء امثاله فحين ظهرت تلك الشمس من حجبها ورمت شياطين النفوس من كت المدام بشهبها ارتجل ابن عمار

وهويته يسقى المدام كانه * قمر يدور بكوكب فى مجلس
متناوح الحركات يندى عطفه * كالغصن هزته الصبا بتنفس
يسقى بكاس فى انامل سوسن * و يدير اخرى من محاجر نرجس
ياحامل السيف الطويل نجاده * ومصرف الفرس القصير المحبس
اياك بادرة الوغى من فارس * خشن القناع على عذار املس
جهم وان حسر القناع فانما * كشف الظلام عن النهار المشمس
يطغى و يلعب فى دلال عذاره * كالمهر يلعب فى اللجام المجرس
سلم فقد قصف القنا غصن النقا * وسطا بليث الغاب ظبى المكنس
عنا بكاسك قد كفتنا مقلة * حوراء قائمة بسكر المجلس

وصنع فيه ايضا

واحور من ظباء الروم عاط * بسالفتيه من دمعى فريد
قسا قلبا وشن عليه درعا * فباطنه وظاهره حديد
بكيت وقد دنا ونأى رضاه * وقد يبكى من الطرب الجليد
وان فتى تملكه برق * واحرز حسنه لفتى سعيد

انتهى

وقال فى البدائع مؤلفه مانصه خرج المعتصم بن صمادح صاحب المرية يوما الى بعض منتزهاته فحل بروضة قد سفرت عن وجهها البهيج وتنفست عن مسكها الاريج وماست معاطف اغصانها وتكللت بلؤلؤ الطل اجياد قضبانها فتشوف الى الوزير ابى طالب بن غانم احد كبراء دولته وسيوف صولته فكتب اليه بديها بورقة كرنب بعود من شجرة

اقبل اباطالب الينا * واسقط سقوط الندى علينا

للمؤلفة قلوبهم وفيهم ابو سفيان صخر بن حرب وابنه معاوية (وفيها) كان مولد ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مارية القبطية (وفى سنة تسع) حج ابو بكر الصديق رضى الله عنه بالناس وقرأ على ابن ابى طالب عليهم سورة براءة وأمر ان لا يحج مشرك وانه لا يطوف بالبيت عريان (وفيها) كانت وفاة ام كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم (وفى سنة عشر) حج رسول الله عليه الصلاة والسلام حجة الوداع وقال ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض (وفيها) كانت وفاة ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وله سنة وعشرة اشهر وثمانية ايام وقيل غير ذلك (وفيها) كان بعثه عليه السلام بعلى الى اليمن واحرم كاحرام النبى صلى الله عليه وسلم على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب قبل هذا الباب من ذكر وفاته ومقدار عمره وما قاله الناس فى ذلك وفى وفاة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسب ما ذكرنا من تنازع الناس فى مقدار عمرها ومدة بقائها بعد ابيها ومن الذى صلى عليها

وجلس المعتصم بن صمادح المذكور يوما وبين يديه ساقية قد أخذت بردها حر الاوار والتوى ماؤها فيها التواء فضة السوار فقال ارتجالا

انظر الى الماء كيف انحط في صببه * كأنه أرقم قد جد في هربه

وقال السميسر

بعود شربن دعي قهوة * وغنيني بضروب الاغاني
كأن عروقي أوتارهن * وجسمي الرباب وهن القناني

وقيل

بعوض وبرغوث وبق لزمنني * حسبن دمي خمرا فلذ لها الخمر
فيرقص برغوث لزمر بعوضة * وبقهم سكت ليستمع الزمر

ومنه

بق وبرغوث أتوا * نحوي وقد شدوا اعذابي
وأتى البعوض بزمره * ياقوم أخرج من ثيابي

وأحسن منه قول ابن شرف القيرواني

لك مجلس كملت بشارة لهونا * فيه ولكن تحت ذاك حديث
غنى الذباب فظل يزمر حوله * فيه البعوض ويرقص البرغوث

والسابق الى هذا المعنى أبو أحمد بن أيوب من شعراء اليتيمة اذ قال

لا أعذل الليل في تطاوله * لو كان يدري مانحن فيه نقص
لي والبراغيث والبعوض اذا * أجننا حندس الظلام قصص
اذا تغنى بعوضه طربا * أطرب برغوثه الغنا فرقص

ونحو هذا قول الحصري فيما نسبه اليه ابن دحية

ضاقت بلنسية بي * وذادعني غموضي
رقص البراغيث فيها * على غناء البعوض

(رجع) الى أهل الاندلس فنقول كان ابن سعد الخير البلنسي الشاعر كثير الذهول مفرط النسيان ظاهر التغفل على جودة نظمه ورطوبة طبعه وكان كثيرا ما يسلك سكة الاسكافيين الذين يعملون الخفاف على بغلة له فاتخذت البغلة المغوور من أطراف الادم وفضلات الجلود الملقاة في السكة عادة لها واتفق أن عبر في السكة راجلا ومعه جماعة من أصحابه فلما رأى الجلود الملقاة قفز ووثب راجعا على عقبيه فقال له أصحابه ما هذا أيها الاستاذ فقال البغلة نفرت فعجبوا من تغفله كيف ظن مع مايقاسيه من ألم المشي ونصب التعب انه راكب وأن حركته الاختيارية منه حركة الدابة الضرورية له فكان تغفله ربما أوقعه في بهمة عند من لم يعرفه فاقترح عليه بعض الامراء أن يصنع بيتين أول أحدهما كتاب وآخره ذئب وأول الآخر جوارح وآخره أنابيب فصنع بديها

كتائب تجيع لاح في حومة الوغى * وقارنه نسر هنالك أوذيب
جوارح أهليهم وفروعها * تولته من نقط الطعان أنابيب

واشتد بكاؤه وظهر أنينه وحنينه وقال في ذلك

لكل اجتماع من خليلين فرقة
وكل الذى دون الممات قليل
وان افتقادي فاطما بعد أحمد
دليل على أن لا يدوم خليل

(وكان أولاده) صلى الله عليه وسلم من خديجة خلا ابراهيم ولد له صلى الله عليه وسلم القاسم وبه يكنى وكان أكبر بنيه سنا ورقية وأم كلثوم وكانتا تحت عتبة وعتيبة ابني ابي لهب فطلقاهما لخبر يطول ذكره فتزوجهما عثمان بن عفان واحدة بعد واحدة وزينب وكانت تحت أبي العاص بن الربيع وفرق الاسلام بينهما ثم أسلم فردها عليه بالنكاح الاول وهذا موضع خلاف بين أهل العلم في كيفية رده عليه السلام لزينب على أبي العاص وولدت من أبي العاص أمامة وتزوجها علي بعد موت فاطمة عليهما السلام وولد له عليه الصلاة والسلام بعد مابعث عبد الله وهو الطيب والطاهر الثلاثة الاسماء له لانه ولد في الاسلام وفاطمة وابراهيم وقد

أتينا في كتابنا أخبار الزمان والكتاب الاوسط على ماكان من سنة مولده عليه السلام الى مبعثه

وقال الحميدي ذكر لي أبو بكر المرواني أنه شاهد مجبوبا الشاعر النحوي قال بديهة في صفة ناعورة

وذات حنين ما تغيض جفونها * من اللجج الخضر الصوافي على شط
وتبكي فتبكي من دموع جفونها * رياضا تبدت بالازاهر في بسط
فمن أحمر قان وأصفر فاقع * وأزهر مبيض وادكن مشمط
كأن ظروف الماء من فوق متنها * لآلي جمان قد نظمن على قرط

وقال أبو الخطاب بن دحية دخلت على الوزير الفقيه الاجل أبي بكر عبد الرحمن بن محمد بن مغاور السلمي فوقع الكلام في علوم لم تكن من جنس فنونه فقال بديها

أيها العالم ادركني سماحا * فلمثلي يحق منك السماح
ان تخالني اذا نطقت عييا * فبناني اذا كتبت وقاح
أحرز الشأو في نظام ونثر * ثم أثني وفي العنان جماح
فيهز لي كما تأود غصن * ويجد كما تهز الصفاح

وقال دخلت عليه منزله بشاطبة في اليوم الذي توفي فيه وهو يجود بنفسه فانشد بديها

أيها الواقف اعتبارا بقبري * استمع فيه قول عظمي الرميم
أودعوني بطن الضريح وخافوا * من ذنوب كلومها باديمي
ودعوني بما اكتسبت رهينا * غلق الرهن عند مولى كريم

وقال ابن طوفان دعا أبي أبا الوليد النحلي فلما قضوا وطرهم من الطعام سقيتهم وجعلت أترع الكاسات فلما امشت في النحلي سورة الحميا ارتجل

لابن طوفان أياد * قل فيها مشبهوه ملأ الكاسات حتى * قيل في البيت أبوه

ونظيره قول المتقبل من شعراء الذخيرة في الشاعر ابن الفراء

فاذا ما قال شعرا * نفقت سوق أبيه

وذكر في بدائع البدائه أن جماعة من الشعراء في أيام الافضل خرجوا متنزهين الى الاهرام ليروا عجائب مبانيها ويتاملوا ما سطره الدهر من العبر فيها فاقترح بعض من كان معهم العمل فيها فصنع أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الاندلسي

بعيشك هل أبصرت أعجب منظرا * على ما رأت عيناك من هرمي مصر
أنافا بأعنان السماء فأشرفا * على الجو اشراف السماك أو النسر
وقد وافيا نشزا من الارض عاليا * كأنهما نهدان قاما على صدر

وصنع أبو منصور ظافر الحداد

تأمل هيئة الهرمين وانظر * وبينهما أبو الهول العجيب
كعماريتين على رحيل * بمحبوبين بينهما رقيب
وفيض البحر عندهما دموع * وصوت الريح بينهما نحيب
وظاهر سجن يوسف مثل صب * تخلف فهو محزون كئيب

انتهى

وقال ابن بسام كان للمتوكل بن الافطس فرس أدهم أغر محجل على كفله ست نقط بيض فندب

المتوكل

وثلثمائة وما كان من ذلك من المغازي والسرايات والبعوث والطرائق والاحداث وانما نذكر في هذا الكتاب لمعا منبهين بذلك على ما سلف من كتبنا ومذكرين لما تقدم من تصنيفنا وبالله التوفيق

(ذكر ما بدأ به عليه الصلاة والسلام من الكلام مما لم يحفظ قبله عن احد من الانام)

قال أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن عبد الله المسعودي بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ومبشرا للناس أجمعين وقرنه الله بالآيات والبراهين النيرات وأتى بالقرآن المعجز فتحدى به قومه وهم الغاية في الفصاحة والنهاية في البلاغة وأولو العلم باللغة والمعرفة بانواع الكلام من الرسائل والخطب والسجع والمقفى والمنثور والمنظوم والاشعار في المكارم وفي الحث والزجر والتحضيض والاغراء والوعد والوعيد والمدح والتهجين فقرع به أسماعهم وأعجم به أذهانهم وقبح به أفعالهم وذم به آراءهم وسفه به أحلامهم وأزال به دياناتهم وأبطل سنتهم ثم أخبر عن عجزهم مع تظاهرهم أن لا يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض

المتوكل الشعراء لصفته فصنع النحلى أبو الوليد فيه بديها

وكب البدر جوادا سابحا * تقف الريح لادنى مهله
لبس الليل قميصا سابغا * والثريا نقط فى كفله
وغدير الصبح قد خيض به * فبدا تحجيله من بلله
كل مطلوب وان طالت به * رجله من أجله فى أجله

ثم انتدب الشعراء بعد ذلك للعمل فيه فصنع ابن اللبانة

لله طرف جال يا ابن محمد * فحبت به حو بأقوى التأميلا
لما رأى أن الظلام أديمه * أهدى لأربعه الهدى تحجيلا
وكأنما فى الردف منه مباسم * تبغى هناك لرجله تقبيلا

وقال فيه أبو عبد الله بن عبد البر الشنتريني من قطعة

وكأنما عمر على صهواته * قمر تسير به الرياح الاربع

و يعنى بعمر المتوكل المذكور لان اسمه عمر * وقال أحمد بن عبد الرحمن بن الصقر الخزرجى قاضى اشبيلية

لله اخوان تناءت دارهم * حفظوا الوداد على النوى أو خانوا
يهدى لنا طيب الثناء ودادهم * كالند يهدى الطيب وهو دخان

وحكى أن أيوب بن سليمان السهيلى المروانى حضر يوما عند ابن باجة الشاعر وأبو الحسن ابن جودى هناك فتكلم المروانى بكلام ظهر فيه نبل وأدب فتشوف أبو الحسن بن جودى لمعرفته وكان اذ ذاك فتى السن فقال له من أنت أكرمك الله تعالى فقال هلا سألت غيرى عنى فيكون ذلك أحسن لك أدبا ولى توقيرا فقال ابن جودى قد سألت من المعرف عنك فلم يعرفك فقال يا هذا طالما مر علينا زمان يعرفنا من يجهل ولا يحتاج من يرانا فيه الى أن يسأل وأطرق ساعة ثم رفع رأسه وأنشد

انا ابن الالى قد عوض الدهر عزهم * بذل وقلوا واستعبوا التنكرا
ملوك على مر الزمان بمشرق * وغرب دهاهم دهرهم وتغيرا
فلا تذكرنهم بالسؤال مصابهم * فان حياة الرزء أن يتذكرا

ففطن ابن جودى انه من بنى مروان فقام وقبل رأسه واعتذر اليه ثم انصرف المروانى فقال ابن باجة لابن جودى أساء أدبك بعد ما عهدت منك كيف تعمد الى رجل فى مجلسى تجد فى قد قربته وأكرمته وخصصته بالاصغاء الى كلامه فتقدم عليه بالسؤال عن نفسه فاحذر أن تكون لك عادة فانها من أسوأ الادب فقال ابن جودى لم نزل من الشيخ على ما قاله أبو تمام * نأخذ من ماله ومن أدبه * وحكى أن بكارا المروانى لما ترك وطنه وخرج فى الجهاد وقتل قال صاحب السقط انه اجتمع به فى اشبونة فقال قصدت منزله بها وقرعت الباب فنادى من هذا فقلت رجل ممن يتوسل لرؤيتك بقرابة فقال لا قرابة الا بالتقى فان كنت من أهله فادخل والا فتنح عنى فقلت أرجو فى الاجتماع بك والاقتباس منك أن أكون من أهل التقى فقال ادخل فدخلت عليه فاذا به فى مصلاه وسبحة أمامه وهو يعذبها

أقاويل المختلفين والاخبار عن كلام المتنازعين اذ كان كتاب خبر لا كتاب بحث ونظر (ثبت) عنه عليه السلام بالعلم الموروث ونقل الينا الباقى عن الماضى من بعد قيام الادلة على صدقه وما أورده من المعجزات والدلائل والعلامات التى أظهر الله على يديه ليؤدى رسالات ربه الى خلقه أنه قال أوتيت جوامع الكلم وقال اختصر لى الكلام مخبرا عما أوتيه من الحكمة والنطق اليسير والكلام القصير البعيد المعانى الكثيرة الوجوه المتفرقة مع ما فيه من الحكمة وتمام المصلحة (وكان كلامه) صلى الله عليه وسلم أحسن المقال وأوجزه لقلة ألفاظه وكثرة معانيه (فمن ذلك) قوله صلى الله عليه وسلم عند عرضه لنفسه على القبائل بمكة وأبو بكر وقومه على بكر بن وائل وتقدم أبى بكر اليهم وما جرى بينه وبين دغفل من الكلام فى النسب البلاء موكل بالمنطق وهذا مما سبق اليه من الكلام ولم يضف الى غيره من الانام ثم اخباره عن الحرب وقوله

الحرب خدعة فعلم بهذا اللفظ اليسير والكلام الوجيز أن آخر مكايد الحرب القتال بالسيف اذ كان بدؤها خدعة كما

وسجع فيها فقال لي ارفق على أتمم وظيفتي من هذا التسبيح وأقض حقك فقعدت الى أن فرغ فلما قضى شغله عطف علي وقال ما القرابة التي بيني و بينك فانتسبت له فعرف أبي وترحم عليه وقال لي لقد كان نعم الرجل وكان لديه أدب ومعرفة فهل لديك أنت مما كان لديه شيء فقلت له انه كان يأخذني بالقراءة وتعلم الادب وقد تعلقت من ذلك بما أتميز به فقال لي هل تنظم شيأ قلت نعم وقد ألجأني الدهر الى أن أرتزق به فقال يا ولدي انه بئسما يرتزق به ونعم ما يتحلى به اذا كان على غير هذا الوجه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة ولكن تحل الميتة عند الضرورة فانشدني أصلحك الله تعالى مما على ذكرك من شعرك قال فطلبت بخاطري شيئا أقابله به مما يوافق حاله فما وقع لي الا مما لا يوافقه من مجون ووصف خمر وما أشبه ذلك فأطرقت قليلا فقال لعلك تنظم فقلت لا ولكن أفكر فيما أقابلك به فقولي أكثره فيما حملني عليه الصبا والسخف وهو غير لائق بمجلسك فقال يا بني ولا هذا كله انا لا نبلغ من تقوى الله الى حد نخرج به عن السلف الصالح واذا صح عندنا أن عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومفسر كتاب الله تعالى ينشد مثل قول القائل * ان يصدق الطير ننك لميسا * فنحن حتى نأبى أن نسمع مثل هذا والله لا نشذ عن السلف الصالح أنشدني ما وقع لك غير متكاف فلم يعد بي خاطري الى غير قولي من شعر أمجن فيه

أبطأت عني واني * لفي اشتياق شديد
وفي يدي لك شيء * قد قام مثل العمود
لو ذقته مرة لم * تعد لهذا الصدود

فتبسم الشيخ وقال أما كان في نظمك أطهر من هذا فقلت له ما وفقت لغيره فقال لا باس عليك فانشدني غيره ففكرت الى أن أنشدته قولي

ولما وقفت على ربعهم * تجرعت وجدي بالاجرع
وأرسل دمعي شرارا لدموع * لنار تأجج في الاضلع
فقام عذولي لما رأى * بكائي وقفا على الادمع
فقلت له هذه سنة * لمن حفظ العهد في الاربع

قال فرأيت الشيخ قد اختلط وجعل يجيء و يذهب ثم أفاق وقال أعد بحق آبائك الكرام فأعدت فأعاد ما كان فيه وجعل يردد فقلت له لو علمت أن هذا يحركك ما أنشدتك اياه فقال وهل حرك مني الا خيرا وعظة يا بني ان هذه القلوب المخلاة لله كالورق التي جفت وهي مستعدة لهبوب الرياح فان هب عليها أقل ريح لعب بها كيف شاء وصادف منها طوعه فأعجبني منزعه وتأنست به ولم أر عنده ما يعتاد من هؤلاء المتدينين من الانجماع والانكماش بل ما زال يسطني ويحدثني بأخبار فيها هزل و يذكر لي من تاريخ بني أمية وملوكها ما أرتاح له ولا أعلم أكثره فلما كثر تأنسي به أهويت الى يده كي أقبلها فضمها بسرعة وقال ما شأنك فقلت راغبا لك في أن تنشدني شيأ من نظمك فقال أما نظمي في زمان الصبا فكان له وقت ذهب و يجب للنظم أن يذهب معه وأما نظمي في هذا الوقت فهو فيما أنا بسبيله وهو يثقل

قال عليه السلام وهذا كالعائد في قيئه زاجرا بهذا القول للواهب أن لا يسترجع شيأ وهبه اذ كان القيء لا يرجع فيه من قاءه (والناس) في هذا المعنى كلام كثير وخطب طويل وانما الغرض فيما نذكر ايراد كلامه صلى الله عليه وسلم ووصف قوله الذي لم يتقدمه به أحد من الناس وقوله أحثوا في وجوه المداحين التراب المراد من ذلك اذا كذب المادح ولم يرد عليه السلام اذا شكر الانسان غيره بما أولاه أو وصفه بما هو فيه أو قال ماله أن يقول أن يحثى في وجهه التراب ولو كان هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم اذن ما مدح أحد أحدا اذا كان هذا النهي عموما للصادق والكاذب وأن يحثى في وجه الجميع التراب وهذا اخلاف ما جاء به التنزيل حيث يقول عز وجل مخبرا عن نبيه يوسف وقوله للملك اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم فقدم مدح نفسه ووصف حاله وجميع ما نذكر في هذا مستفيض في السير والاخبار متقارب عند العلماء متداول بين الحكماء يتمثل به كثير من الناس و يستعمل العوام كثيرا منه في ألفاظها وتورده في أمثالها وخطاباتها والا كثر منهم لا يعلم أن

عليك فقلت له ان أنصف سيدي الشيخ نفعنا الله تعالى به أنشدني من نظم صباه ومن نظم شيخوخته فيأخذ كلا بحظه فضحك وقال ما أعصيك وأنت ضيف وللحرمة أدب ووسيلة قصد ثم أنشدني وقد بدا عليه الخشوع وخنقته العبرة

ثق بالذي سواك من * عدم فانك من عدم
وانظر لنفسك قبل قر * ع السن من فرط الندم
واحذر وقيت من الورى * واصحبهم أعمى أصم
قد كنت في تيه الى * أن لاح لي أهدى علم
فاقتدت نحو ضيائه * حتى خرجت من الظلم
لكن قناديل الهوى * في نور رشدى كالحمم

قال فوالله لقد أدركني فوق ما أدركه وغلب على خاطري بما سمعته من هذه الابيات وفعلت بي من الموعظة غاية لم أجد منها التخلص الا بعد حين فقال لي الشيخ ان هذه يقظة يرجى نفعها خيرك والله مرشدك ومنقذك ثم قال لي يا بني هذا ما نحن بسبيله الآن فاسمع فيما مضى الله ولي المغفرة وانا نرجو منه غفران الفعل فكيف القول وأنشد

أطل عذار على خده * فظنوا سلوى عن مذهبي
وقالوا غراب لوشك النوى * فقلت اكتسى البدر بالغيهب
وناديت قلبي أين المسير * وبدر الدجى حل بالعقرب
فقال ولو رمت عن حبه * رحيلا عصيت ولم أذهب

قال فسمعت منه ما يقصر عنه صدور الشعراء وشهدت له بالتقدم وقلت له لم أر أحسن من نظمك في جد ولا هزل ثم قلت له أأروبه عنك فقال نعم ما أرى به باسا بعد اطلاع من يعلم السرائر على ما في الضمائر فما قدر هذه الفكاهة في اغضاء من يغفر الكبائر ويغضى عن العظائم قال فقلت له فان أسبغت على النعمة بزيادة شيء من هذا الفن فعلت ما تملك به قلبي آخر الدهر فقال يا بني لا املك قلبك غير حب الله تعالى ثم قال ولا أجمع عليك رد قول ومنعا وأنشد

ايها الشادن الذي * حسنه في الورى غريب
لحظ ذاك الجمال يطـ * ـفئ ما بي من اللهيب
وعليه أحوم دهـ * ـرى ولكنني أخيب
كلما رمت زورة * قيض الله لي رقيب

قال فمازج قلبي من الرقة واللطافة لهذا الشعر ما أعجز عن التعبير عنه فقلت له زدني زادك الله تعالى خيرا فانشدني

ما كان قلبي يدري قدر حبكم * حتى بعدتم فلم يقدر على الجلد
وكنت أحسب أني لا أضيق به * فرعاغاما حتى فت في عضدي
ثم استمرت على كره مريرته * فكاد يفرق بين الروح والجسد
عساكم أن تلافوا بالتلاقي * فليس لي مهجة تقوى على الكمد

وقوله الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف رأس الحكمة معرفة الله يا خيل الله اركبي وبشري بالجنة الآن حمى الوطيس لا ينتطح فيها عنزان لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين لا يجني على المرء الا يده ليس الخبر كالمعاينة الشديد من غلب نفسه بورك لامتي في بكورها ساقي القوم آخرهم شربا المجالس بالامانات لو بغى جبل على جبل لدك الباغي منهما ابدا عن تعول مات حتف أنفه يريد بذلك الفجأة وأنه مات من غير علة ولا تزال أمتي بخير مالم تر الامانة مغنما والزكاة مغرما قيدوا العلم بالكتابة خير المال عين ساهرة لعين نائمة المسلم مرآة المسلم رحم الله من قال خيرا فغنم اوسكت عن شر فسلم المرء كثير باخيه اليد العليا خير من اليد السفلى ترك الشر صدقة فضل العلم خير من فضل العبادة الغنى غنى النفس الاعمال بالنيات أي داء أدوأ من البخل الحياء خير كله الخيل معقود بنواصيها الخير السعيد من وعظ بغيره عدة المؤمن كالاخذ باليد ان من الشعر لحكمة ومن البيان لسحرا

ثم قال حسبك وان كلفتني زيادة فالله حسبك فقلت له قد وكلتني الى كريم غفور رحيم فبالله الا ما زدتني وأ كببت لاقبل رجليه فضمهما وأنشد

لله من قال لما * شكوت فيه نحولي
أما السبيل لوصل * فماله من وصول
فقلت حسبي التماح * بحسن وجه جميل
وجه تلوح عليه * علامة للقبول
فقال دعني فهذا * تعرض للفضول
فقلت عاتب وخاطب * بالامن أهل العقول

فلا "سمعي عجائب وبسط أنسي وكتبت كل ما أنشدني ثم قلت له لولا خوفي من التثقيل عليك لم أزل أستدعي منك الانشاد حتى لا تجد ما تنشد فقال ان عدت ان شاء الله تعالى الى هنا تذكرت وانشدتك فما عندي مما أضيفك غير ما سمعته وما تراه ثم قام وجاء من بيت آخر في داره بصحفة فيها حسا من دقيق وكسور باردة فجعل يفت فيها ثم أشار الى أن اشرب فشربت ثم شرب الى أن أتينا على آخرها ثم قال لي هذا غداء عمك نهاره وانه لنعمة من الله تعالى أستديم بشكرها اتصالها قال فقلت له يا عم ومن أين عيشك فقال يا بني عيشتي بتلك الشبكة أصطاد بها في سواحل البحر ما أقتات به ولي زوجة وبنت نعود من غزلهما مع ذلك ما نجد به معونة وهذا مع العافية والاستغناء عن الناس خير كثير جعلنا الله تعالى ممن يلقاه على حالة يرضاها وختم لنا بخاتمة لا يخاف معها فضيحة قال فتركته وقت وفي نيتي أن أعود الى زيارته ونويت أن يكون ذلك بعد أيام خوف التثقيل فعدت اليه بعد ثلاثة أيام فنقرت الباب فكلمتني المرأة بلسان عليه أثر الحزن وقالت ان الشيخ خرج الى الغزو وذلك بعد انفصالك عنه بيوم ناله كالجنون فقلت له ما شأنك فقال اني أريد أن أموت شهيدا في الغزو وهؤلاء جيران لي قد عزموا على الغزو وأما ان شاء الله تعالى ماض معهم ثم احتال في سيف ورمح وتوجه معهم وقال نفسي هي التي قتلتني بهواها أفلا أقتص منها فاقتلها قال فقلت لها من خلف للنظر في شانكم فقالت ليس ذلك لك فالذي خلقنا لا نحتاج معه الى غيره فادركني من جوابها روعة وعلمت انها مثله زهدا وصلاحا فقلت اني قريبه ويجب على أن أنظر في حالكم بعده فقالت يا هذا انك لست بذي محرم ولنا من العثائر من ينظر منا ويبيع غزلنا ولا يتفقد أحوالنا فجزاك الله تعالى عنا خيرا انصرف عنا مشكورا فقلت لها هذه دراهم خذوها لتستعينوا بها فقالت ما اعتدنا أن نأخذ شيأ من غير الله تعالى وما كان لنا أن نخل بالعادة فانصرفت نادما على ما فاتني من الاستكثار من شعر الشيخ والتبرك بزيادة دعائه ثم عدت بعد ذلك لداره سائلا عنه فقالت لي المرأة انه قد قبله الله تعالى فعلمت أنه قد قتل فقلت لها أقتل فقرأت ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الآية فانصرفت معتبرا من حاله رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به وكانت للمروانيين بالاندلس يد عليا في الدين والدنيا

*وقال محمد بن أيوب المرواني لما كلف قوما حاجة له سلطانية فانهضوا بها فكلفها رأس بني مروان القائد سعيد بن المنذر فنهض بها

من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا المستشار مؤتمن من قتل دون ماله فهو شهيد لا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث الدال على الخير كفاعله الندم توبة الولد للفراش وللعاهر الحجر كل معروف صدقة لا يشكر الله من لا يشكر الناس لا يؤذي الضالة الاضال حبك الشيء يعمي ويصم السفر قطعة من العذاب (وقوله للانصار) انكم لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع وقوله المسلمون عند شروطهم الاشرطا احل حراما أو حرم حلالا الرجل احق بصدر مجلسه وصدر دابته الناس معادن كمعادن الذهب والفضة الظلم ظلمات يوم القيامة تمام التحية المصافحة جبلت القلوب على حب من أحسن اليها امنك من اعتبك ما نقص مال من صدقة التائب من الذنب كمن لا ذنب له الشاهد يرى ما لا يرى الغائب خذ حقك في عفاف واف أو غير واف أعطوا الاجير أجرته قبل أن يجف عرقه أهل المعروف في الدنيا أهل المعروف يوم القيامة الجنة تحت ظلال السيوف ليس بمؤمن من خاف جاره بوائقه اتقوا النار ولو بشق تمرة أعروا

نهضت بما سألتك خيروان * وقد صعبت لسالكها الطريق

وليس يبين فضل المرء الا * اذا كلفته ما لا يطيق

وعتبه يوما سعيد بن المنذر في كونه يتعرض لمدح خدام بني مروان فقال له أعز الله تعالى القائد الوزير انكم جعلتموني ذنبا وجعلوني رأسا والنفس تتوق الى من يكرمها وان كان دونها اكثر ممن يهينها وان كان فوقها واني من هذا وهذا في أمر لا يعلمه الا الله الذي بلاني به ويا ويح الشجي من الخلي وأنا الذي أقول فيما يتخلل هذا المنزع

نسبت لقوم ليتني بحل غيرهم * فلي نسب يعلو وحظي يسفل

أقطع عمري بالتعلل والمنى * وكم يخدع المرء اللبيب التعلل

فمالي مكان أرتضيه لهمة * ولا مال منه أستعف وأفضل

ولكنني أقضي الحياة تجملا * وهل يهلك الانسان الا التجمل

فقال له سعيد قصدنا لومك فعطفت اللائمة علينا ونحن أحق بها وسننظر ان شاء الله تعالى فيما يرفع اللوم عن الجانبين ثم تكلم مع الناصر في شأنه فاجرى له رزقا أغناه عن التكفف فكانت هذه من حسنات سعيد وأياديه * وقال المطرف بن عمر المرواني يمدح المظفر بن المنصور بن أبي عامر

ان المظفر لا يزال مظفرا * حكما من الرحمن غير مبدل

وهو الاحق بكل ما قد حازه * من رفعة ورياسة وتفضل

تلقاه صدرا كلما قلبته * مثل السنان بجحفل وبجحفل

وحضر يوما مع شاعر الاندلس في زمانه ابن دراج القسطلي فقال له القسطلي أنشدني أبياتك التي تقول فيها * على قدر ما يصفو الخليل يكدر * فانشده

تخيرت من بين الانام مهذبا * ولم أدر أني خائب حين أخبر

فمازجني كالراح بالماء واغتدى * على كل ما جشمته يتصبر

الى أن دهاني اذ أمنت غروره * سفاها وأداني لما ليس يذكر

وكدر عيشي بعد صفو وانما * على قدر ما يصفو الخليل يكدر

فاهتز القسطلي وقال والله انك في هذه الابيات لشاعر وأنا أنشدك فيما يقابلها لبلال بن جرير

لو كنت أعلم ان آخر عهدهم * يوم الفراق فعلت ما لم أفعل

لكن جعل نفسه فاعلا وعرضت نفسك لان يقال انك مفعول فقال ومن اين يلوح ذلك قال القسطلي من قولك وأداني لما ليس يذكر فما يظن في ذلك الا انه اداك الى موضع فعل لك فيه فاغتاظ الاموي وقال يا أبا عمر ومن أين جرت العادة بأن تمزح معي في هذا الشأن قال له حلم بني مروان يحملنا على ان نخرق العادة في الحمل على مكارمهم فسكن غيظه وكتب المرواني المذكور الى صاحب له يستعير منه دابة يخرج عليها للفرجة والخلاعة نهض الله تعالى سيدي يا عباد المكارم ان هذا اليوم قد تبسم أفقه بعدما بكى ودقه صقلت أصداء أوراقه وفتحت حدائق أحداقه وقام نوره خطيبا على ساقه وفضت

النساء يلزمن الحجاب. الكلمة الطيبة صدقة لاخير لك في صحبة من لا يرى لك ما يرى لنفسه

الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ما أملق تاجر صدق الدعاء سلاح المؤمن خير الامور أوسطها اذا أتاكم الزائر فاكرموه اشفعوا تحمدوا وتؤجروا الايمان الصبر والسماحة أفضلكم أفضلكم معرفة ما هلك امرؤ عن مشورة ما عال امرؤ اقتصد ما هلك امرؤ عرف قدره شر العمى عمى القلب الكذب مجانب للايمان ما قل وكفى خير مما كثر وألهى من أتى فقد كفى قلة الحياء كفر المؤمنون هينون لينون شر الندامة يوم القيامة شر المعذرة عند الموت أقيلوا عثرات الكرام اطلبوا الخير عند صباح الوجوه الدنيا حلوة خضرة وان الله مستعملكم فيها فينظر كيف تعملون انتظار الفرج عبادة وكادت الفاقة ان تكون كفرا لم يبق من الدنيا الا بلاء وفتنة في كل عام ترذلون زر غبا تزدد حبا الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس أو قال جميع الناس (وقوله) لا يلقى الله احد الا نادما من عمل خيرا قال ياليتني ازددت ومن عمل غير ذلك قال ياليتني قصرت وهذا مثل قوله اياكم والتسويف وطول الامل فانه كان سبب الهلاك الامم وقوله ليس منا من غشنا وهذا القول يحتمل معاني

غدرانه وتوجت اغصانه وبرزت شمسه من حجابها بعدما تلفعت بسحابها وتنبه في ارجاء الروض ارج النسيم وعرف في وجهه نضرة النعيم وقد دعا كل هذا أنا ظر اخيك الى أن يحيله في هذه المحاسن ويجدد نظره في المنظر الذي هو غير مبتذل والماء الذي هو غير آسن والفصل اليوم احسن ما ملح وابدع ما حرن فيه وجمح فخلي با طارقما انهض عليه لمشاهدته ويرفع عني بخل الابتذال بمناكبة الانذال لا زلت نهاضا بالآمال مسعفا بمراد كل خليل غير مقصر ولا آل ＊ وكتب الامير هشام بن عبد الرحمن الى اخيه عبد الله المعروف بالبلنسي حين فر كتابا يقول في بعض فصوله والعجب من فرارك دون أن ترى شيا تخاطبه بجواب يقول فيه ولا تتعجب من فراري دون ان أرى شيأ الا اني خفت ان ارى ما لا اقدر على الفرار بعده ولكن تعجب مني ان حصلت في يدك بعدما افلت منك ＊ وقال له وزيره احمد بن شعيب البلنسي أليس من العار أن يبلغ بك الخور من هذا الصبي ان تجعل بينك وبينه البحر وتترك بلاد ملكك وملك ابيك فقال ما اعرف ما تقول وكل ما وقي به اتلاف النفس ليس بعار بل هو محض العقل واول ما ينظر الاديب في حفظ راسه فاذا نظر في ذلك نظر فيما بعده

＊ وقال عبد الله بن عبد العزيز الاموي ويعرف بالحجر

احعل لنا منك حظا ايها القمر ＊ فانما حظنا من وجهك النظر
رآك ناس فقالوا ان ذا قمر ＊ فقلت كفوا فعندي منهما الخبر
البدر ليس بغير النصف بهجته ＊ حتى الصباح وهذا كله قمر

وقال ابو عبد الله محمد بن محمد بن الناصر يرثي ابا مروان بن سراج

وكم من حديث للنبي أبانه ＊ والبسه من حسن منطقه وشيا
وكم مصعب للنحو قد راض صعبه ＊ فعاد ذلولا بعدما كان قد اعيا

وحكي انه دخل بعض شعراء الاندلس على الفقيه سعيد بن اضحى وكان من اعيان غرناطة فمدحه بقصيدة ثم بموشحة ثم بزجل فلم يعطه شيأ بل شكا اليه فقرا حتى انه بكى فاخذ الدواة والقرطاس وكتب ووضع بين يديه

شكا مثال الذي اشكوه من عدم ＊ وساءه مثل ما قد ساءني فبكى
ان المقل الذي أعطاك دمعته ＊ نعم الجواد فتى اعطاك ما ملكا

وقال ابن خفاجه

نهر كما سال اللجي سلسال ＊ وصبا بليل ذيلها مكسال
ومهب نفحة روضة مطلولة ＊ فيها لافراس النسيم مجال
غازلته والاقحوانة مبسم ＊ والآس صدغ والبنفسج خال

وقال

وساق كحيل الطرف في شأو حسنه ＊ جماح وبالصبر الجميل حران
ترى للصبا نارا بخديه لم يثر ＊ لها من سوادي عارضيه دخان
سقاها وقد لاح الهلال عشية ＊ كما اعوج في درع الكمي سنان
عقارا نماها الكرم فهي كريمة ＊ ولم تزن بابن المزن فهي حصان

كثيرة منها ان يكون اخبارا ان من غش المسلمين على حسب الحال في الوقت ان بعض اهل الكتاب او لا نافقين اخبر عنه عما كان من فعله ويحتمل ان يكون على طريق الزجر والنهي عن الغش وقد قيل غير ذلك والله اعلم مثل ما روي عنه ابو مسعود البدري قال لا يبقى على وجه الارض بعد مائة احد الامات فاستفاضت هذه الرواية عن ابي مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم ففزع الاكثر فافضى ذلك الى علي رضي الله عنه فقال صدق ابو مسعود فيما قال وذهب عنه المراد بذلك وانما مراد النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يبقى على وجه الارض احد بعد رأس مائة ممن رأى النبي صلى الله عليه وسلم الامات وقوله استعينوا على اموركم بالكتمان وعلى قضاء حوائجكم بالاسرار (قال المسعودي) وقد جمع كثير ممن تقدم ومن شاهدناه كثيرا من ألفاظ النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك ذكر ابو اسحق الزجاجي النحوي صاحب أبي العباس المبرد وابو عبد الله نفطويه وجعفر ابن محمد بن حمدان الموصلي وغير هؤلاء ممن تقدمهم وتأخر عنهم اوردنا من ذلك في هذا الكتاب ما سهل ايراده وتأتى لنا ذكره على حسب الحاجة اليه واستحقاق الموضع له وان كنا قد اتينا على جميع ما يحتاج اليه في هذه المعاني

وقد حان من جون الغمامة أدهم * له البرق سوط والعنان عنان
وضمخ درع الشمس نحر حديقة * عليه من الطل السقيط جمان
ونمت بأسرار الرياض خميلة * لها النور ثغر والنسيم لسان

وقال الفحوه في فرس أصفر ولم يخرج عن طريقته

وأشقر تضرم منه الوغى * بشعلة من شعل الباس
من جلنار ناضر لونه * وأذنه من ورق الآس
يطلع للغرة في شقرة * حبابة تضحك في الكاس

وقال أبو بكر محمد بن سهل البكي يهجو

أعد الوضوء اذا نطقت به * مستعجلا من قبل أن تنسى
واحفظ ثيابك ان مررت به * فالظل منه ينجس الشمسا

وقال ابن اللبانة

أبصرته قصر في المشيه * لما بدت في خده لحيه
قد كتب الشعر على خده * أو كالذى مر على قريه

وقال الوزير الكاتب أبو محمد عبد الغفور الاشبيلى فى الامير الكبير أبي بكر سير من أمراء المرابطين وكتب بها اليه فى غزاة غزاها

سرحيث سرت يحله النوار * وأراك فيه مرادك المقدار
واذا ارتحلت فشيعتك سلامة * وغمامة لاديمة مدرار
تنفى الهجير بظلها وتنيم بالرش القتام وكيف شئت تدار
وقضى الاله بان تعود مظفرا * وقضت بسيفك نحرها الكفار

هذا غير ما تمناه الجعفى حيث قال حيث ارتحلت وديمة وما كاد تنفذ معها عزيمة واذا سفعت على ذى سفر فما أحراها بان تعوق عن الظفر ونعتها بمدرار فكان ذلك أبلغ فى الاضرار وما أحسن قول القائل

فسرذا راية خفقت بنصر * وعد فى جحفل بهج الجمال
الى حمص فانت بها حلى * تغاير فيه ربات الحجال

وقال الحجارى فى المسهب كتبت الى القاضى أبى عبد الله محمد اللوشى أستدعى منه شعره لا كتبه فى كتابى فتوقف عن ذلك وانقبض عنى فكتبت اليه

يا مانعا شعره عن سمع ذى أدب * نائى المحل بعيد الشخص مغترب
يسير عنك به فى كل مجمعه * كما يسير نسيم الريح بالعذب
انى وحقك أهل أن أفوز به * واسأل فديتك عن ذاتى وعن أدبى

فكان جوابه

يا طالبا شعر من لم يسم فى الادب * ماذا تريد بنظم غير منتخب
انى وحقك لم أبخل به صلفا * ومن يضن على جيد بمختلب
لكننى صنت هذرى عن روايته * فمثله قل عن سام الى الرتب

(باب ذكر خلافة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه)

قال المسعودى ثم بايع الناس أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فى سقيفة بنى ساعدة بن كعب ابن الخزرج الانصارى فى يوم الاثنين الذى توفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفى أبو بكر ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين سنة مستوفيا العمر النبى صلى الله عليه وسلم وهذا اتفاق فى سائر الروايات على ماذكرنا وكان مولد أبى بكر بعد الفيل بثلاث سنين وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام ودفن الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك قالت عائشة وقد قيل ان أبا بكر كانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوما وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من أيامهم ومقادير ولايتهم وكذلك نفرد بعد ما نورده فى هذا الكتاب بعد ذكرنا الايام بنى أمية و بنى العباس بابا نذكر فيه جميع التاريخ

خذه اليك كما أكرهت مضطربا * محلا الذم مولاه مدى الحقب

قال ثم كتب لى مما تحفنى به من نظمه محاسن أبهى من الاقمار وأرق من نسيم الاسحار وقال صالح بن شريف فى البحر وهو أحسن ما قيل فيه

البحر أعظم مما أنت تحسبه * من لم ير البحر يوما ما رأى العجبا
طام له حبب طاف على زرق * مثل السماء اذا ما ملئت شهبا

وقال أيضا

ما أحسن العقل وآثاره * لو لازم الانسان ايثاره
يصون بالعقل الفتى نفسه * كما يصون الحر أسراره
لاسيما أن كان فى غربة * يحتاج أن يعرف مقداره

وقال ابن برطلة

خطوب زمانى ناسبتنى غرابة * لذلك يرمينى بهن مصيب
غريب أصابته خطوب غريبة * وكل غريب للغريب نسيب

وهذا من أحسن التضمين الذى يزرى بالدر الثمين ودخل ابن بقى الحمام وفيه الاعمى التطيلى فقال له أجز

حمامنا كزمان القيظ محتدم * وفيه للبرد برد غير ذى ضرر

فقال الاعمى

ضدان ينعم جسم المرء بينهما * كالغصن ينعم بين الشمس والمطر

ولا يخفى حسن ما قال الاعمى * وقد ذكر فى بدائع البدائه البيتين معا منسوبين الى ابن بقى ولنذكر كلامه برمته لما اشتمل عليه من الفوائد ونصه ذكر ابن بسام قال دخل الاديبان أبو جعفر بن هريرة التطيلى المعروف بالاعمى وأبو بكر بن بقى الحمام فتعاطيا العمل فيه فقال الاعمى

يا حسن حمامنا وبهجته * مرأى من السحر كله حسن
ماء ونار حماهما كنف * كالقلب فيه السرور والحزن

ثم أعجبه المعنى فقال

ليس على لهونا مزيد * ولا لحمامنا ضريب
ماء وفيه لهيب نار * كالشمس فى ديمة تصوب
وابيض تحته رخام * كالثلج حين ابتدا يذوب

وقال ابن بقى حمامنا فيه فصل القيظ البيتين فقال الاعمى وقد نظر فيه الى فتى صبيح

هل استمالك جسم ابن الامير وقد * سالت عليه من الحمام أنداء
كالغصن باشر حر النار من كثب * فظل يقطر من أعطافه الماء

قلت تذكرت هنا عند ذكر الحمام ما حكاه بدر الدين الحسن بن زفير الاربلى المتطبب اذ قال رأيت ببغداد فى دار الملك شرف الدين هرون ابن الوزير الصاحب شمس الدين محمد الجوينى حماما متقن الصنعة حسن البناء كثير الاضواء قد اجتمعت به الازهار والاشجار فادخلنى

مقادير السنين والشهور والايام ونبين تاريخ أصحاب السير والاخباريين وغيرهم اذ كان التفاوت بين الفريقين ومعولنا فى ذلك على ما ذكره أصحاب الزيجات

(ذكر نسبه ولمع من اخباره وسيره)

كان اسم أبى بكر رضى الله عنه عبد الله بن عثمان وهو أبو قحافة بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب وفى مرة يجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم ولقبه عتيق لبشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه عتيق الله من النار فسمى يومئذ عتيقا وقيل انما سمى عتيقا لعتق امهاته واستخلف وأبوه فى الحياة وكان أزهد الناس وأكثرهم تواضعا فى أخلاقه ولباسه ومطعمه ومشربه وكان لبسه فى خلافته الشملة والعباءة وقدم اليه زعماء العرب واشرافهم وملوك اليمن وعليهم الحلل وبرد الوشى المثقل بالذهب والتيجان والحبرة فلما شاهدوا ما عليه من اللباس والزهد والتواضع والنسك وما هو عليه من الوقار والهيبة ذهبوا مذهبه ونزعوا ما كان عليهم (وكان ممن وفد عليه) من ملوك اليمن ذو الكلاع ملك حمير

اليه سائسه وذلك بشفاعة الصاحب بهاء الدين بن الفخر عيسى المنشى الاربلى وكان سائس هذا الحمام خادما حبشيا كبير السن والقدر فطاف بى عليه وأبصرت شبابيكه وأنابيبه المتخذ بعضها من فضة مطلية بالذهب وغير مطلية وبعضها على هيئة طائر اذا خرج منها الماء صوّت بأصوات طيبة ومنها أحواض رخام بديعة الصنعة والمياه تخرج من سائر الانابيب الى الاحواض ومن الاحواض الى بركة حسنة الاتقان ثم منها الى البستان ثم أرانى نحو عشر خلوات كل خلوة منها صنعتها أحسن من صنعة أختها ثم انتهى بى الى خلوة عليها باب متقفل بقفل حديد ففتحه ودخل بى الى دهليز طويل كله مرخم بالرخام الأبيض الساذج وفى صدر الدهليز خلوة مربعة تسع بالتقريب أربعة أنفس اذا كانوا قعودا وتسع اثنين اذا كانوا نياما ورأيت من العجائب فى هذه الخلوة أن حيطانها الاربعة مصقولة صقالا لا فرق بينه وبين صقال المرآة يرى الانسان سائر بشرته فى اى حائط شاء منها ورأيت ارضها مصورة بفصوص حمر وصفر وخضر ومذهبة وكلها متخذة من بلور مصبوغ بعضه اصفر وبعضه احمر فاما الاخضر فيقال انه حجارة تأتى من الروم واما المذهب فزجاج ملبس بالذهب وتلك الصور فى غاية الحسن والجمال على هيئات مختلفة فى اللون وغيره وهى ما بين فاعل ومفعول به اذا نظر المرء اليها تحركت شهوته وقال لى الخادم السائس هذا صنع على هذه الصفة لمخدومى حتى انه اذا نظر الى ما يفعل هؤلاء بعضهم مع بعض من المجامعة والتقبيل ووضع ايدى بعضهم على اعجاز بعض تحرك شهوته سريعا فيبادر الى مجامعة من يحبه قال الحاكى وهذه الخلوة دون سائر الخلوات التى دخلت اليها مخصوصة بهذا الفعل اذا اراد الملك شرف الدين هرون الاجتماع فى الحمام بمن يهواه من الجوارى الحسان والصور الجميلة والنساء الفائقات الحسن لم يجتمع به الا فى هذه الخلوة من اجل انه يرى كل محاسن الصور الجميلة مصوّرة فى الحائط ومجسمة بين يديه ويرى كل منهما صاحبه على هذه الصفة ورأيت فى صدر الخلوة حوض رخام مضلع وعليه انبوب مركب فى صدره وأنبوب آخر برسم الماء البارد والانبوب الاوّل برسم الماء الفاتر وعن يمنة الحوض ويساره عمدان صغار منحوتة من البلور يوضع عليهما باخر الند والعود وابصرت منها خلوة شديدة الضياء مفرحة بديعة قد أنفق عليها اموال كثيرة وسالت الخادم عن تلك الحيطان المشرقة المضيئة من اى شئ صنعت فقال لى ما اعلم قال الحاكى فما رأيت فى عمرى ولا سمعت بمثل تلك الخلوة ولا باحسن من ذلك الحمام مع أنى ما أحسن ان اصفهما كما رأيتهما فانه لم تتكرر رؤيتى لهما ولا اتفق لى الظفر بصناعتهما ومباشرتهما وفى الذى ذكرت كفاية انتهى ولما اتصل أبو القاسم على بن أفلح البغدادى الكاتب بامير المؤمنين المسترشد بالله العباسى ولقبه جمال الملك وأعطاه اربع ديار فى درب الشاكرية اشترى دورا أخرى الى جانبها وهدم الكل وأنشأ دارة الكبيرة وأعانه الخليفة فى بنائها أطلق له اموالا وآلات البناء وكان فى جملة ما أطلق له ما ثنا الف آجرة وأجريت الدار بالذهب وصنع فيها الحمام العجيب الذى فيه بيت مستراح فيه أنبوبان ان فركه الانسان يمينا خرج ماء حار وان فركه شمالا خرج ماء بارد وكان على ايوان الدار مكتوبا

ومعه القسعيد دون ما كان معه من عشيرته وعليه التاج وما وصفنا من البرود والحلى فلما شاهد من ابى بكر ما وصفنا التى ما كان عليه وتزيابزيه حتى انه رؤى يوما فى سوق من اسواق المدينة على كتفيه جلد شاة ففزعت عشيرته وقالوا له فضحتنا بين المهاجرين والانصار قال فاردتم ان اكون ملكا جبارا فى الجاهلية جبارا فى الاسلام لاها الله لا تكون طاعة الرب الا بالتواضع لله والزهد فى هذه الدنيا وتواضعت الملوك ومن ورد عليه من الوفود بعد التكبر وتذللوا بعد التجبر (وبلغ) ابا بكر رضى الله عنه عن ابى سفيان صخر بن حرب امر فأحضره واقبل يصيح عليه وابو سفيان يتملقه ويتذلل له وأقبل أبو قحافة فسمع صياح أبى بكر فقال لقائده على من يصيح ابنى فقال له على أبى سفيان فدنا من أبى بكر وقال له أعلى أبى سفيان ترفع صوتك يا عتيق لقد تعديت طورك وجزت مقدارك فتبسم أبو بكر ومن حضره من المهاجرين والانصار وقال له يا أبت ان الله قد رفع بالاسلام قوما وأذل به آخرين (ولم يتقلد) الخلافة وابوه باق غير أبى بكر (وام ابى بكر) سلمى وتكنى ام الخير [بنت] صخر بن عمرو بن عامر بن كعب بن اسعد بن تيم بن مرة (وارتدت العرب) بعد استخلافه بعشرة ايام (وكان له) من الولد

ان عجبت الراؤون من ظاهري * فباطني لو علموا أعجب
شيدني من كفه مزنة * يهمل منها العارض الصيب
ودبجت روضة أخلاقه * في رياضا نورها مذهب
صدر كسا صدري من نوره * شمسا على الايام لا تغرب

وكتب على الطرز

ومن المروءة للفتى * ماعاش دار فاخره
فاقنع من الدنيا بها * واعمل لدار الآخره
هاتيك وافية بما * وعدت وهذي ساخره

وكتب على النادي

وناد كأن جنان الخلود * أعارته من حسنها رونقا
وأعطته من حادثات الزما * ن أن لا تلم به موثقا
فاضحى يتيه على كل ما * بني مغربا كان أومشرقا
تظل الوفود به عكفا * وتمسي الضيوف به طرقا
بقيت له يا جمال الملو * ك والفضل مهما أردت البقا
وساله فيك ريب الزمان * ووقيت فيه الذي يتقى

انتهى

وعلى ذكر الحمام فما أحكم قول ابن الوردي فيما أظن

وما أشبه الحمام بالموت لامرئ * تذكر لكن أين من يتذكر
يجرد عن أهل ومال وملبس * ويصحبه من كل ذلك مئزر

وقال الشهاب بن فضل الله

وحامكم كعبة للوفود * تحج اليه حفاة عراه
يكرر صوت أنابيبه * كتاب الطهارة باب المياه

وقد تمثل بهذين البيتين البرهان القيراطي في جواب كتاب استدعاه فيه بعض أهل عصره الى الحمام وافتتح الجواب بقوله

قد أجبنا وأنت أيضا صحبت بصحبي سوالف وسلاف
وبساق يسبي العقول بساق * وقوام وبين العناق خلاف

ووصله بنثر تمثل فيه بالبيتين كما مر ولبعضهم

ان حمامنا الذي نحن فيه * أي ماء به وأية نار
قد نزلنا به على ابن معين * ورويناعنه صحيح البخاري

والغز بعضهم في الحمام بقوله

ومنزل أقوام اذا ما تقابلوا * تشابه فيه وغده ورئيسه
ينفس كربي اذ ينفس كربه * ويعظم أنسي اذ يقل أنيسه
اذا ما أعرت الجو طرفا تكاثرت * على من به أقماره وشموسه

(رجع) الى ما كنا فيه من كلام أهل الاندلس فنقول وكان محمد بن خلف بن موسى البيري

الى خلافة أبي بكر ومات في خلافته وخلف سبعة دنانير فاستكثرها أبو بكر ولا عقب لعبد الله وأما عبد الرحمن ابن أبي بكر فانه شهد مع المشركين ثم أسلم فحسن اسلامه ولعبد الرحمن أخبار وله عقب كثير بدو وحضر من ناحية الحجاز مما يلي الجادة من طريق العراق في الموضع المعروف بالصفيسان والمسح ومحمد ابن أبي بكر أمه أسماء بنت عميس الخثعمية ومنها عقب جعفر بن أبي طالب وخلف عليها حين استشهد عبدالله وعونا ومحمدا بني جعفر فقتل عون ومحمد ابنا جعفر بالطف مع الحسين ابن علي ولا عقب لهما وعقب عبدالله بن جعفر علي واسمعيل واسحق ومعاوية وتزوجها بعده أبو بكر الصديق فخلف منها محمدا ثم تزوجها علي بن أبي طالب فاولدها أولادا درجوا ولا عقب له منها وأم أسماء العجوز الحرشية كان لها أربع بنات وهذه العجوز أكثر الناس أصهارا كانت ميمونة الهلالية تحت النبي صلى الله عليه وسلم وأم الفضل تحت العباس بن عبد المطلب وسلمى تحت حمزة بن عبد المطلب وخلف منها بنتا

مشكلا مصقعا برأى الاشعرية وذاكر الكتب الاصول فى الاعتقاد مشاركا فى الادب متقدما فى الطب ومن نظمه يمدح امام الحرمين رحمه الله تعالى

حب حبر يكنى أبا المعالى * هو دينى ففيه لا تعذلونى

أنا والله مغرم بهواه * علاوزى بذكره علاونى

وكتب أبو الوليد بن الجنان الشاطبى يستدعى بعض اخوانه الى مجلس أنس بما صورته نحن فى مجلس أغصانه الندامى وغمامه الصهبا فبالله الاما كنت لروض مجلسنا نسيما ولزهر حد يثنا شميما وللنسيم روحا وللطيب ريحا و بيننا عذراء زجاجتها خدرها وحبابها ثغرها بل شقيقة حوتها كمامة أو شمس حجبتها غمامة اذا طاف بها معصم الساقى فوردة على غصنها أو شرر بها مقهقهة فحمامة على فننها طافت علينا طوفان القمر على منازل الحلول فأنت وحياتك اكليلنا وقد آن حلولها فى الا كليل انتهى وقال أبو الوليد المذكور

فوق خد الورد دمع * من عيون السحب يذرف

برداء الشمس أضحى * بعد ما سال يجفف

وتذكرت هنا بذكر الورد ما حكاه الشيخ ابو البركات هبة الله بن محمد النصيبى المعروف بالوكيل وكان شيخا ظريفا فيه آداب كثيرة انه قال كنت فى زمن الربيع والورد فى دارى بنصيبين وقد احضر من بستانى من الورد والياسمين شئ كثير وعملت على سبيل الولع دائرة من الورد تقابلها دائرة من الياسمين فاتفق أن دخل على شاعران كانا بنصيبين احدهما يعرف بالمهذب والآخر يعرف بالحسن بن البرقعيدى فقلت لهما اعملا فى هاتين الدائرتين ففكرا ساعة ثم قال المهذب

ياحسنها دائرة * من ياسمين مشرق

والورد قد قابلها * فى حلة من شفق

كعاشق وحبه * تغامزا بالحدق

فاحمر ذا من خجل * واصفر ذا من فرق

قال فقلت للحسن هات فقال سبقنى المهذب الى ما لحته فى هذا المعنى وهو قولى

ياحسنها دائرة * من ياسمين كالحلى

والورد قد قابلها * فى حلة من خجل

كعاشق وحبه * تغامزا بالمقل

فاحمر ذا من خجل * واصفر ذا من وجل

قال فعجبت من اتفاقهما فى سرعة الاتحاد والمبادرة الى حكاية الحال انتهى وما ألطف قول بعضهم

أرى الورد عند الصبح قد مد لى يدا * يشير الى التقبيل فى حالة اللمس

وبعد زوال الشمس ألقاه وجنة * وقد أثرت فى وسطها قبلة الشمس

وقال ابن ظافر فى بدائع البدائه اجتمع الوزير أبو بكر بن القبطرنة والاديب أبو العباس بن صارة الاندلسيان فى يوم جلا ذهب برقه واذاب ورق ودقه والارض قد ضحكت لتعبيس

وسنذكر خبره فيما يرد من هذا الكتاب ومقتله فى ايام معاوية بن ابى سفيان (ومات ابو قحافة) فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وهو ابن تسع وتسعين سنة وذلك فى سنة ثلاث عشرة من الهجرة وهى السنة التى استخلف فيها عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وقد قيل انه مات فى سنة اربع عشرة (ولما بويع) ابو بكر فى يوم السقيفة وجددت البيعة له يوم الثلاثاء على العامة خرج على فقال أفسدت علينا امورنا ولم تستشر ولم ترع لنا حقا فقال ابو بكر بلى ولكن خشيت الفتنة وكان للمهاجرين والانصار يوم السقيفة خطب طويل ومحادثة فى الامامة وخرج سعد بن عبادة ولم يبايع فصار الى الشأم فقتل هنالك فى سنة خمس عشرة وليس كتابنا هذا موضعا لخبر مقتله ولم يبايعه احد من بنى هاشم حتى ماتت فاطمة رضى الله تعالى عنها ولما ارتدت العرب الا اهل المسجدين ومن بينهما واناسا من العرب قدم عدى ابن حاتم باهل الصدقة الى ابى بكر رضى الله تعالى عنه ففى ذلك يقول الحزت

ابن مالك الطائى وفينا وفاء لم ير الناس مثله * وسربلنا مجدا عدى بن حاتم وكان ابو بكر رضى الله عنه قد سمته اليهود

السماء واهتزت وربت عند نزول الماء فقال ابن القبطرنة

هذى البسيطة كاعب أبرادها * حلل الربيع وحليها النوّار

فقال ابن صارة

وكأن هذا الجو فيها عاشق * قد شفه التعذيب والاضرار

ثم قال ابن صارة أيضا

واذا شكا فالبرق قلب خافق * واذا بكى فدموعه الامطار

فقال ابن القبطرنة

من أجل ذلة ذا وعزة هذه * يبكى الغمام وتضحك الازهار

وتذكرت هنا ما حكاه ابن ظافر فى الكتاب المذكور انه اجتمع مع القاضى الاعز يوما فقال له ابن ظافر أجز   طار نسيم الروض من وكر الزهر

فقال الاعز   وجاء مبلول الجناح بالمطر   انتهى ويعجبنى قول ابن قرناص

أظن نسيم الروض والزهر قد روى * حديثا ففاحت من شذاه المسالك

وقال دنا فصل الربيع فكله * ثغور لما قال النسيم ضواحك

(رجع) الى الاندلسيين وما أرق قول ابن الزقاق

ورياض من الشقائق أضحت * يتهادى بها نسيم الرياح

زرتها والغمام يجلد منها * زهرات تفوق لون الراح

قلت ما ذنبها فقال مجيبا * سرقت حمرة الخدود الملاح

وقال أبو اسحق بن خفاجة

تعلقته نشوان من خمر ريقه * له رشفها دونى ولى دونه السكر

ترقرق ماء مقلتاى ووجهه * ويذكى على قلبى ووجنته الجمر

أرق نسيبى فيه رقة حسنه * فلم أدر أى قبلها منهما السحر

وطبنا معا شعرا وثغرا كانما * له منطقى ثغر ولى ثغره شعر

وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز

وقائلة ما بال مثلك خاملا * أأنت ضعيف الرأى أم أنت عاجز

فقلت لها ذنبى الى القوم أننى * لما لم يحوزوه من المجد حائز

وما فاتنى شئ سوى الحظ وحده * وأما المعالى فهى عندى غرائز

وقال

جسد بقلبى وعبث * ثم مضى وما اكترث

واحربا من شادن * فى عقد الصبر نفث

يقتل من شاء بعينيه ومن شاء بعث

وقال الفاضل البليغ يحيى بن هذيل أحد أعيان شعراء الاندلس

نام طفل النبت فى حجر النعامى * لاهتزاز الطل فى مهد الخزامى

وسقى الوسمى أغصان النقا * فهوت تلثم أفواه الندامى

كحل الفجر لهم جفن الدجى * وغدا فى وجنة الصبح لثاما

فى شئ من الطعام فأكل معه الحرث ابن كلدة فعمى وكان السم لسنة فمرض ابو بكر قبل وفاته بخمسة عشر يوما ولما احتضر قال ما انا الا على ثلاث فعلتها وددت انى تركتها وثلاث تركتها وددت أنى فعلتها وثلاث وددت انى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فاما الثلاث التى فعلتها فوددت أنى تركتها فوددت انى لم أكن فتشت بيت فاطمة وذكر فى ذلك كلاما كثيرا ووددت انى لم أكن حرقت الفجاءة وأطلقته نجيحا أو قتلته صريحا ووددت أنى يوم سقيفة بنى ساعدة قد رميت الامر فى عنق أحد الرجلين فكان أميرا وكنت وزيرا والثلاث التى تركتها وددت أنى فعلتها وددت أنى يوم أتيت بالاشعث بن قيس أسيرا ضربت عنقه فانه قد خيل الى أنه لا يرى شرا الا أعانه ووددت أنى كنت قد قذفت المشرق بعمر ابن الخطاب فكنت قد بسطت يمينى وشمالى فى سبيل الله ووددت أنى يوم جهزت جيش الردة رجعت أقمت مكانى فان سلم المسلمون سلموا وان كان غير ذلك كنت صدرا للقاء أو مددا وكان أبو بكر قد بلغ مع الجيش مرحلة من المدينة وهو الموضع المعروف بذى القصة والثلاث التى وددت أنى سألت رسول الله صلى الله

تحسب البدر محياً ثمل * قد سقته راحة الصبح مداما
حوله الزهر كؤوس قد غدت * مسكة الليل عليهن ختاما

وتذكرت هنا قول الآخر وأظنه مشرقيا

بكر العارض تحدوه النعامى * فسقاك الري يا دار أماما
وتمشت فيك أرواح الصبا * يتأرجن بأنفاس الخزامى
قد قضى حفظ الهوى أن تصبحي * للمحبين مناخا ومقاما
وبجرعاء الحمى قلبي فعج * بالحمى واقرأ على قلبي السلاما
وترحل فتحدث عجبا * أن قلبا سار عن جسم أقاما
قل لجيران الغضى آها على * طيب عيش بالغضى لو كان داما
حلوا ريح الصبا من نشركم * قبل أن تحمل شيحا وثماما
وابعثوا أشباحكم لي في الكرى * ان أذنتم لجفوني أن تناما

وخرج بعض علماء الاندلس من قرطبة الى طليطلة فاجتاز بمجريط بن عكاشة الشجاع المشهور الذي ذكرنا في هذا الباب ما يدل على شجاعته وقوته وأيده بقلعة رباح فنزل بخارجها في بعض جنباتها وكتب اليه

يا فريدا دون ثان * وهلالا في العيان
عدم الراح فصارت * مثل دهن البلسان

فبعث اليه بها وكتب معها

جاء من شعرك روض * جاده صوب اللسان
فبعثناها سلافا * كحبياك الحسان

وقال الوزير أبو عامر بن شهيد يتغزل

أصباح شيم أم برق بدا * أم سنى المحبوب أورى زندا
هب من مرقده منكسرا * مسبلا للكم مرخي الردا
يمسح النعسة من عيني رشا * صائد في كل يوم أسدا
أوردته لطفا آياته * صفوة العيش أرعته ددا
فهو من دل عراه زبدة * من مريج لم تخالط زبدا
قلت هب لي يا حبيبي قبلة * تشف من عمك تبريح الصدى
فانثنى يهتز من منكبه * مائلا لطفا وأعطاني اليدا
كلما كلمني قبلته * فهو واما قال قولا رددا
كاد أن يرجع من لثمي له * وارتشاف الثغر منه أزردا
واذا استنجزت يوما وعده * أمطل الوعد وقال اصبر غدا
شربت أعطافه ماء الصبا * وسقاه الحسن حتى عربدا
فاذا بت به في روضة * أغيد يغزو بشانا أغيدا
قام في الليل بجيد أتلع * ينفض اللمة من دمع الندى

سألته هل للانصار في هذا نصيب فنعطيهم اياه وخلف من البنات أسماء ذات النطاقين وهي أم عبد الله بن الزبير وعمرت مائة سنة حتى عميت وعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم (وقد تنوزع في بيعة علي) بن أبي طالب اياه فمنهم من قال بايعه بعد موت فاطمة بعشرة أيام وذلك بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنيف وسبعين يوما وقيل بثلاثة اشهر وقيل ستة وقيل غير ذلك ولما انفذ ابو بكر الامر الى الشام كان فيما وصى به يزيد بن أبي سفيان وهو مشيع له فقال له اذا قدمت على أهل عملك فعدهم الخير وما بعده واذا وعدت فانجز ولا تكثرن عليهم الكلام فان بعضه ينسي بعضا وأصلح نفسك تصلح الناس لك واذا قدمت عليك رسل عدوك فأكرم منزلتهم فانه اول خيرك اليهم وأقلل حبسهم حتى يخرجوا وهم جاهلون بما عندك وامنع من قبلك من محادثتهم وكن أنت الذي تلي كلامهم ولا تجعل سرك مع علانيتك فيمرج عملك واذا استشرت فاصدق الخبر تصدق لك المشورة ولا تكتم المستشار فتؤتى من قبل نفسك واذا بلغك عن العدو عورة فاكتمها حتى تعاينها

ومكان عازب عن جيرة * أصدقا وهم عين العدا
ذي نبات طيب أعراقه * كعذار الشعر في خد بدا
تحسب المضبة منه جبلا * وحدو رالماء منه أبردا

وقال يرثي القاضي ابن ذكوان نجيب ذلك الاوان وقد افتن في الآداب وسن فيها سنة ابن داب وما فارق ربع الشباب شرخه ولا استبعد في الكهولة عقاره ولا مرخه وكان لابي عامر هذا قسيم نفسه ونسيم أنسه

ظعننا الذي نادى محقا بصوته * لعظم الذي أضحى من الرزء كاذبا
وخلنا الصباح الطلق ليلا وانما * هبطنا خداريا من الحزن كاربا
ثكلنا الدنا لما استقل وانما * فقدناك يا خير البرية ناعبا
وماذهبت اذ حل في القبر نفسه * ولكنما الاسلام أدبر ذاهبا
ولما أبى الا التحمل رائما * منحناه أعناق الكرام ركائبا
يسير به النعش الاعز وحوله * أباعد كانوا للمصاب أقاربا
عليه حفيف للملائك أقبلت * تصافح شيخا ذاكر الله تائبا
تخال لفيف الناس حول ضريحه * خليطا تخطى في الشريعة هاربا
اذا ما امتروا سحب الدموع تفرعت * فروع البكا عن بارق الحزن لاهبا
فمن ذا لفصل القول يسطع نوره * اذا نحن ناوينا الالد المناوبا
ومن ذا ربيع المسلمين يقوتهم * اذا الناس شاموها بروقا كواذبا
فيا لهف قلبي آه ذابت حشاشتي * مضى شيخنا الدفاع عنا النوائبا
ومات الذي غاب السرور لموته * فليس وان طال السرى منه آيبا
وكان عظيما يطرق الجمع عنده * ويعنو له رب الكتيبة هائبا
وذا مقول عضب الغرارين صارم * يروح به عن حومة الدين ضاربا
أباحاتم صبرا الاديم فانني * رأيت جميل الصبر أحلى عواقبا
وما زلت فينا ترهب الدهر سطوة * وصعبا به نعيي الخطوب المصاعبا
سانتعتب الايام فيك لعلها * لصحة ذاك الجسم تطلب طالبا
لئن أفلت شمس المكارم عنكم * لقد أسأرت بدر الها وكواكبا

قال في المطمح وديت الى أبي عامر بن شهيد أيام العلويين عقارب برئت بها منه أباعد وأقارب واجهه بها صرف قطوب وانبرت اليه منها خطوب نبا لها جفنه عن المضجع وبقي بها بالي يأرق ولا يهجع الى أن أعلقت في الاعتقال آماله وعقلته في عقال أذهب ماله فأقام مرتهنا والتي وهنا وقال

قريب بمحتل الهوان مجيد * يجود ويشكو حزنه فيجيد
صبره عند الامام فياله * عدو لابناء الكرام حسود
وماضره الا مزاح ورفقة * ثنته سفيه الذكر وهو رشيد
جنى ماجنى في قبة الملك غيره * وطوق منه بالعظيمة جيد

واستوف عسكرك وأذن حرسك وا كثر مفاجأتهم في ليلك ونهارك واصدق اللقاء اذا لقيت ولا تجبن فيجبن من سوالك (وقد اعرضنا) عن ذكر كثير من الاخبار في هذا الكتاب طلبا للاختصار والايجاز (منها) خبر العنسي الكذاب المعروف بلهيعة وما كان من خبره باليمن وصنعاء وتنبيه ومقتله وما كان من فيروز وغيره من الابناء في امرهم وخبر طليحة وتنبيه وخبر سجاح بنت الحرث بن سويد وقيل بنت غطفان وتكنى ام صادرة وهي التي يقول فيها قيس بن عاصم

أضحت نبيتنا انثى نطيف بها * واصبحت انبياء الناس ذكرانا

(وفيها يقول الشاعر)

اضل الله سعي بني تميم * كما ضلت بخطبتها سجاح

وقد كانت مع ادعائها النبوة مكذبة بنبوة مسيلمة الكذاب ثم آمنت بنبوته وكانت قبل ادعائها النبوة متكهنة تزعم ان سبيلها سبيل سطيح والمأمون الحارثي وعمرو بن يحيي وغيرهم من الكهان وصارت الى مسيلمة فنكحها وما كان من خبر مسيلمة كذاب اليمامة وحربه لخالد بن الوليد وقتل وحشي له مع رجل من الانصار وذلك في سنة احدى عشرة وما كان من امره مع الانصار في يوم سقيفة بني ساعدة والمهاجرين وما

وما فى الا الشعر أثبته الهوى * فسار به فى العالمين مريد
أفوه بما لم آته متعرضا * لحسن المعانى تارة فازيد
فان طال ذكرى بالمجون فانها * عظائم لم يصبر لهن جليد
وهل كنت فى العشاق أول عاقل * هوت بحجاه أعين وخدود
فراق وشجو واشتياق وذلة * وجبار حفاظ على عنيد
فمن يبلغ الفتيان أنى بعدهم * مقيم بدار الظالمين وحيد
مقيم بدار ساكنوها من الاذى * قيام على جمر الحمام قعود
ويسمع للعيدان فى جنباتها * بسيط كثر جيع الصبا ونشيد
ولست بذى قيد يرن وانما * على اللحظ من سخط الامام قيود
وقلت لصداح الحمام وقد بكى * على القصر الفا والدموع تجود
ألا أيها الباكى على من تحبه * كلانا معنى بالخلاء فريد
وهل أنت دان من محب ناى به * عن الالف سلطان عليه شديد
فصفق من ريش الجناحين واقفا * على القرب حتى ما عليه مزيد
ومازال يبكينى وأبكيه جاهدا * وللشوق من دون الضلوع وقود
الى أن بكى الجذلان من طول شجونا * وأجهش باب جانباه حديد
أطاعت أمير المؤمنين كتائب * تصرف فى الاموال كيف تريد
فللشمس عنها بالنهار تأخر * وللبدر شخنا بالظلام صدود
الا انها الايام تلعب بالفتى * نحوس تهادى تارة وسعود
وما كنت ذا أيد فاذعن ذا قوى * من الدهر مبدى صرفه ومعيد
وراضت صعابى سطوة علوية * لها بارق نحو الندى ورعود
تقول التى من بيتها كف مركبى * أقربك دان أم مداك بعيد
فقلت لها أمرى الى من سمت به * الى المجد آباء له وجدود

ثم قال ولزمته آخر عمره علة دامت به سنين ولم تفارقه حتى تركته يدجنين وأحسب أن الله أراد بها تمحيصه واطلاقه من ذنب كان قنيصه فطهره تطهيرا وجعل ذلك على العفو له ظهيرا فانها اقعدته حتى حل فى المحفة وعاودته حتى غدت لرونقه مشتفة وعلى ذلك فلم يعطل لسانه ولم يبطل احسانه ولم يزل يستريح الى القول ويزيح ما كان يجده من الغول وآخر شعر قاله قوله

ولما رأيت العيش لوى برأسه * وأيقنت أن الموت لا شك لاحق
تمنيت أنى ساكن فى عباءة * بأعلى مهب الريح فى رأس شاهق
أرد سقيط الطل فى فضل عيشتى * وحيدا وأحسو الماء ثنى المعالق
خليلى من رام المنية مرة * فقد رمتها خمسين قولة صادق
كأنى وقد حان ارتحالى لم أفز * قديما من الدنيا بلمحة بارق
فمن مبلغ عنى ابن حزم وكان لى * يدا فى ملماتى وعند مضايقى

وقول المنذر بن الحباب أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب أما والله ان شئتم لنعيدنها جذعة وقصة سعد بن عبادة وما كان من بشر بن سعد وتخلى الاوس عن معاضدة سعد خوفا أن يفوز بها الخزرج وأخبار من قعد عن البيعة ومن بايع وما قالت بنو هاشم وما كان من قصة فدك وما قاله أصحاب النص والاختيار فى الامامة وما قالوه فى امامة المفضول وغيره وما كان من فاطمة وكلامها متمثلة حين عدلت الى قبر أبيها عليه السلام من قبر صفية بنت عبد المطلب

قد كان عندك أنباء وهينمة
لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

الى آخر الشعر الى غير ذلك مما تركنا ذكره من الاخبار فى هذا الكتاب اذ كنا قد أتينا على جميع ذلك فى كتابنا أخبار الزمان والكتاب الاوسط فاغنى ذلك عن ذكره ههنا والله أعلم

(ذكر خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه)

وبويع عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلما أن دخلت سنة ثلاث وعشرين خرج حاجا فاقام الحج فى تلك السنة ثم أقبل حتى دخل المدينة فقتله فيروز أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة يوم الاربعاء لاربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين فكانت ولايته

عليك سلام الله اني مفارق * وحسبك زادا من حبيب مفارق
فلا تنس تأبيني اذا ما ذكرتني * وتذكار أيامي وفضل خلائقي
وحرك له بالله مهما ذكرتني * اذا غيبوني كل سهم غرانق
عسى هامتي في القبر تسمع بعضه * بترجيع شاد او بتطريب طارق
فلي في ادكاري بعد موتي راحة * فلا تمنعوها لي علالة زاهق
واني لارجو الله فيما تقدمت * ذنوبي به مما دري من حقائق

وكان أبو مروان عبد الملك بن حصن مستوليا على وزارة ابن عبدة ولسانه ينشد

وشيدت مجدي بين أهلي ولم أقل * ألا ليت قومي يعلمون صنيعي

وهجا ابن ذي النون بقوله

تلقبت بالمأمون ظلما وانني * لآمن كلبا حيث لست أؤمنه
حرام عليه أن يجود ببشره * وأما الندى فاندب هنالك مدفنه
سطور المخازي دون أبواب قصره * بحجابه للقاصدين معنونه

فلما تمكن منه المأمون سجنه فكتب الى ابن هود من أبيات

أيا راكب الوجناء بلغ تحية * أمير جذام من أسير مقيد
ولما دهتني الحادثات ولم أجد * ملاوذ أقبلت نحوك أعتدي
ومثلك من يعدى على كل حادث * رمى بسهام للردى لم ترصد
فعلك أن تخلو بفكرك ساعة * لتنقذني من طول هم مجدد
وها أنا في بطن الثرى وهو حامل * فيسر على رقي الشفاعة مولدي
حنانيك ألفا بعد ألف فانني * جعلتك بعد الله أعظم مقصدي
وأنت الذي يدري اذا رام حاجة * تنزل بها الآراء من حيث يهتدي

فرق له ابن هود وتحيل حتى خلصه بشفاعته فلما قدم عليه أنشده

حياتي موهوبة من علاكا * وكيف أرى عادلا عن ذراكا
ولو لم يكن لك من نعمة * علي وأصبحت أبغي سواكا
لناديت في الارض هل مسعف * مجيب فلم يصغ الا نداكا

فطرب ابن هود وخلع عليه ثوب وزارته وجعله من أعلام سلطنته وامارته وقال المنصور ابن أبي عامر للشاعر المشهور أبي عمر يوسف الرمادي كيف ترى حالك معي فقال فوق قدري ودون قدرك فاطرق المنصور كالغضبان فانسل الرمادي وخرج وقد ندم على ما بدر منه وجعل يقول أخطأت لا والله ما يفلح مع الملوك من يعاملهم بالحق ما كان ضرني لو قلت له اني بلغت السماء وتمنطقت بالجوزاء وأنشد

متى يأت هذا الموت لا يلف حاجة * لنفسي الا قد قضيت قضاها

لا حول ولا قوة الا بالله ولما خرج كان في المجلس من يحسده على مكانه من المنصور فوجد فرصة فقال وصل الله لمولانا الظفر والسعد ان هذا الصنف صنف زور وهذيان لا يشكرون نعمة ولا يرعون الا ولا ذمة كلاب من غلب وأصحاب من أخصب وأعداء من أجدب

وحسبك

عشر سنين وستة أشهر وأربع ليال وقتل في صلاة الصبح وهو ابن ثلاث وستين سنة ودفن مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر عند رجلي النبي صلى الله عليه وسلم وقيل ان قبورهم مسطرة أبو بكر الى جنب النبي صلى الله عليه وسلم وعمر الى جنب أبي بكر وحج في خلافته عشر حجج وبعد أن قتل صلى بالناس عبد الرحمن بن عوف وجعلها شورى الى ستة وهم علي وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن ابن عوف وصلى عليه صهيب الرومي وكانت الشورى بعد ثلاثة أيام

(وذكر نسبه ولمع من أخباره وسيره)

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن قرط ابن رباح بن عبد الله بن رداح بن عدي بن كعب وفي كعب يجتمع نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم وأمه حنتمة بنت هشام بن المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وكانت سوداء وانما سمي الفاروق لانه فرق بين الحق والباطل وكنيته أبو حفص وهو أول من سمي بأمير المؤمنين سماه عدي ابن حاتم وقيل غيره والله أعلم وكان أول من سلم عليه بها المغيرة بن شعبة وأول من دعا له بهذا الاسم على المنبر أبو موسى الاشعري فلما قرئ ذلك على عمر قال اني لعبد الله واني لأمير المؤمنين الحمد لله رب العالمين وكان متواضعا خشن

وحسبك منهم ان الله جل جلاله يقول فيهم والشعراء يتبعهم الغاوون الى ما لا يفعلون
والابتعاد منهم أولى من الاقتراب وقد قيل فيهم ما ظنك بقوم الصدق يستحسن الا منهم
فرفع المنصور رأسه وكان محامي أهل الادب والشعر وقد اسود وجهه وظهر فيه
الغضب المفرط ثم قال ما بال أقوام يشيرون في شيء لم يستشاروا فيه ويسيئون الادب بالحكم
فيما لا يدرون أرضي ام سخط وأنت أيها المنبعث للشر دون ان يبعث قد علمنا غرضك
في أهل الادب والشعر عامة وحسدك لهم لان الناس كما قال القائل

من رأى الناس له فضلا عليهم حسدوه

وعرفنا غرضك في هذا الرجل خاصة ولسنا ان شاء الله تعالى نبلغ احدا غرضه في احد
ولو بلغناكم بلغنا في جانبكم وانك ضربت في حديد بارد واخطأت وجه الصواب فزدت بذلك
احتقارا واصغارا واني ما أطرقت من كلام الرمادي انكارا عليه بل رأيت كلاما يحل
عن الاقدار الجليلة وتعجبت من تهديه له بسرعة واستنباطه له على قلة من الاحسان
الغامر ما لا يستنبطه غيره بالكثير والله لو حكمته في بيوت الاموال لرأيت انها لا ترجح
ما تكلم به قلبه ذرة واياكم ان يعود احد منكم الى الكلام في شخص قبل ان يؤخذ معه
فيه ولا تحكموا علينا في أوليائنا ولو أبصرتم منا التغير عليهم فاننا لا نتغير عليهم بغضا لهم
وانحرافا عنهم بل تأديبا وانكارا فانا من نريد ابعاده لم نظهر له التغير بل ننبذه مرة واحدة
فان التغير انما يكون لمن يراد استبقاؤه ولو كنت مائل السمع لكل احد منكم في صاحبه
لتفرقتم ايدي سبا وجونبت انا مجانبة الاجرب واني قد اطلعتكم على ما في ضميري
فلا تعدلوا عن مرضاتي فتعتبوا اسخطي بما جنيتموه على انفسكم ثم امر ان يرد الرمادي
وقال له أعد لي كلامك فارتاع فقال الامر على خلاف ما قدرت الثواب أولى بكلامك
من العقاب فسكن لتأنيسه واعاد ما تكلم به فقال المنصور بلغنا ان النعمان بن المنذر حشا
فم النابغة بالدر لكلام استحسنه منه وقد امرنا لك بما لا يقصر عن ذلك ما هو انوه واحسن
عائدة وكتب له بمال وخلع وموضع يتعيش منه ثم رد رأسه الى المتكلم في شان الرمادي
وقد كاد يغوص في الارض لو وجد لشدة ما حل به مما رأى وسمع وقال والعجب من قوم
يقولون الابتعاد من الشعراء أولى من الاقتراب نعم ذلك لمن ليس له مفاخر يريد تخليدها
ولا أياد يرغب في نشرها فأين الذين قيل فيهم

على مكثريهم رزق من يعتريهم * وعند المقلين السماحة والبذل

وأين الذي قيل فيه

إنما الدنيا أبو دلف * بين مبداه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف * ولت الدنيا على أثره

أما كان في الجاهلية والاسلام أكرم ممن قيل فيه هذا القول بلى ولكن صحبة الشعراء
والاحسان اليهم أحيت غابر ذكرهم وخصتهم بمفاخر عصرهم وغيرهم لم تخلد الامداح
مآثرهم فدثر ذكرهم ودرس فخرهم انتهى * ومن حكاياتهم في العدل انه لما بنى
المعتصم بن صمادح ملك المرية قصوره المعروفة بالصمادحية غصبوا لأحد الصالحين في جنة

يلبس الجبة الصوف المرقعة بالأديم ويشتمل بالعباءة ويحمل القربة على كتفه مع هيبة قد رزقها وكان أكثر ركابه الابل ورحله مشدودة بالليف وكذلك عماله مع ما فتح الله عليه من البلاد وأوسعهم من الاموال (وكان من عماله) سعد ابن عامر بن حريم فشكاه أهل حمص اليه وسألوه عزله فقال عمر اللهم لا تفل فراستي فيهم ماذا تشكون منه قالوا لا يخرج الينا حتى يرتفع النهار ولا يجيب احدا بليل وله يوم في الشهر لا يخرج الينا فقال عمر علي به فلما جمع بينهم وبينه فقال ما تنقمون منه قالوا لا يخرج الينا حتى يرتفع النهار فقال ما تقول يا سعد قال يا أمير المؤمنين انه ليس لأهلي خادم فأعجن عجيني ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزي ثم أتوضأ وأخرج اليهم قال وماذا تنقمون منه قالوا لا يجيب بليل قال قد كنت أكره أن أذكر هذا اني جعلت الليل كله لربي وجعلت النهار لهم قال وماذا تنقمون منه قالوا له يوم في الشهر لا يخرج الينا قال نعم ليس
لي خادم فأغسل ثوبي ثم أجففه فأمسي فقال عمر الحمد لله الذي لم يفل فراستي فيكم يا أهل حمص فاستوصوا به خيرا

وألحقوها بالصمادحية وزعم ذلك الصالح انها لايتام من أقاربه فبينا المعتصم يوما يشرب على الساقية الداخلة الى الصمادحية اذ وقعت عينه على انبوب قصبة مشمع فامر من يأتيه به فلما أزال عنه الشمع وجد فيه ورقة فيها اذا وقفت أيها الغاصب على هذه الورقة فاذكر قوله تعالى ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب لا اله الا الله أنت ملك قد وسع الله تعالى عليك ومكن لك فى الارض ويحملك الحرص على ما يفنى أن تضم الى جنتك الواسعة العظيمة قطعة أرض لايتام حرمت بها حلالها وخبثت طيبها ولئن تحجبت عنى بسلطانك واقتدرت على بعظم شانك فنجتمع غدا بين يدى من لا يحجب من حق ولا تضيع عنده شكوى فلما استوعب قراءتها دمعت عيناه وأخذته خشية خيف عليه منها وكانت عادته رحمه الله تعالى وقال على بالمشتغلين ببناء الصمادحية فاحضروا فاستفسرهم عما زعم الرجل فلم يسعهم الاصدقه واعتذروا بان نقصها من الصمادحية يعيبها فى عين الناظر فاستشاط غضبا وقال والله ان عيبها فى عين الخالق أقبح من عيبها فى عين المخلوق ثم أمر بان تصرف اليه واحتمل تعويرها الصمادحيته ولقد مر بعض اعيان المرية وأخيارها مع جماعة على هذا المكان الذى أخرجت منه جنة الايتام فقال أحدهم والله لقد عورت هذه القطعة هذا المنظر العجيب فقال له اسكت فوالله ان هذه القطعة طراز هذا المنظر وفخره وكان المعتصم اذا نظر اليها قال اشعرتم أن هذا المكان المعوج فى عينى أحسن من سائر ما استقام من الصمادحية ثم ان وزيره ابن أرقم لم يزل يلاطف الشيخ والايتام حتى باعوها عن رضا بما اشتهوا من الثمن وذلك بعد مدة طويلة فاستقام بها بناء الصمادحية وحصل للمعتصم حسن السمعة فى الناس والجزاء عند الله تعالى ولما مات المعتصم بن صمادح ركب البحر ابنه ولى عهده الواثق عز الدولة أبو محمد عبد الله وفارق الملك كما أوصاه المعتصم والده وفى ذلك يقول

لك الحمد بعد الملك أصبحت خاملا * بارض اغتراب لا أمر ولا أحلى

وقد أصدأت فيها الجذاذة أنملى * كما نسيت ركض الجياد بها رجلى

فلا مسمعى يصغى لنغمة شاعر * وكفى لا تمتد يوما الى بذل

قال ابن اللبانة الشاعر ما علمت حقيقة جور الدهر حتى اجتمعت ببجاية مع عز الدولة بن المعتصم بن صمادح فانى رأيت منه خير من يجتمع به كأنه لم يخلقه الله تعالى الا للملك والرياسة واحياء الفضائل ونظرت الى همته تنم من تحت خموله كما ينم فرند السيف وكرمه من تحت الصدا مع حفظه لفنون الادب والتواريخ وحسن استماعه واسماعه ورقة طباعه ولطافة ذهنه ولقد ذكرته لاحد من صحبته من الادباء فى ذلك المكان ووصفته بهذه الصفات فتشوق الى الاجتماع به ورغب الى فى أن استأذنه فى ذلك فلما أعلمت عز الدولة قال يا أبا بكر لتعلم أنا اليوم فى خمول وضيق لا يتسع لنا معهما ولا يجمل بنا الاجتماع مع أحد لا سيما مع ذى ادب ونباهة يلقانا بعين الرحمة ويزورنا بمنة التفضل فى زيارتنا ونكابد من ألفاظ توجعه والحاظ تفجعه ما يجدد لنا هما قد بلى ويحيى كمدا قد فنى وما لنا قدرة على ان نجود عليه بما يرضى به عن همتنا فدعنا كأننا فى قبر نتدرع لسهام الدهر بدرع الصبر

قال ثم بعث اليه عمر بالف دينار وقال استعن بها فقالت له امرأته قد أغنانا الله عن خدمتك فقال لها الا ندفعها الى من يأتينا وأحوج ما كنا اليه قالت بلى فصرها صررا ثم دفعها الى من يثق به وقال انطلق بهذه الى فلان وبهذه الى يتيم بنى فلان ومسكين آل فلان حتى بقى منها شئ يسير فدفعه الى امرأته وقال انفقى هذه ثم عاد الى خدمته فقالت له امرأته الا تبعث بذلك المال فتشترى لنا منه خادما فقال سيأتيك أحوج ما تكونين اليه (ومن عماله على المدائن) سلمان الفارسى وكان يلبس الصوف ويركب الحمار ببردعته بغير اكاف ويأكل خبز الشعير وكان ناسكا زاهدا فلما احتضر بالمدائن قال له سعد بن أبى وقاص يا أبا عبد الله قال نعم قال اذكر الله عند همك اذا هممت وعند لسانك اذا حكمت وعند يدك اذا قسمت فجعل سلمان يبكى فقال له يا أبا عبد الله ما يبكيك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان فى الآخرة عقبة لا يقطعها الا المخفون وأرى هذه الاساودة حولى فنظروا فلم يجدوا فى البيت الا دواة وركوة ومطهرة (وكان عامله) على الشام أبا عبيدة بن الجراح وكان يظهر للناس وعليه الصوف الجافى فعذل على ذلك وقيل له

واما

وأما أنت فقد اختلطت بنا اختلاط اللحم بالدم وامتزجت امتزاج الماء بالخمر فكأنا لم نكشف حالنا لسوانا ولا أظهرنا ما بنا لغيرنا فلا نحمل غيرك تحملك قال ابن اللبانة فلا والله ما سمعت بلاغة لا تصدر إلا عن سداد ونفس أبية متمكنة من أعنة البيان وانصرفت متمثلا

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * ولم يبق إلا صورة اللحم والدم
وكائن ترى من صامت لك معجب * زيادته أو نقصه في التكلم

وكتب إليه ابن اللبانة

يا ذا الذي هز أمداحي بحليته * وعز أن يهز المجد والكرما
واديك لا زرع فيه اليوم تبذله * فخذ عليه لأيام المنى سلما

فتحيل في قليل بر وجهه إليه وكتب إليه

المجد يخجل من يفديك من زمن * ثناك عن واجب البر الذي علما
فدونك النزر من مصفى مودته * حتى يوفيك أيام المنى السلما

ومن شعر عز الدولة المذكور

أفدي أبا عمرو وإن كان عاتبا * فلا خير في ود يكون بلا عتب
وما كان ذاك الود إلا كبارق * أضاء لعيني ثم أظلم في قلبي

وقال الشقندي في الطرف إن عز الدولة أشعر من أبيه وأما أخوه رفيع الدولة الحاجب أبو زكريا يحيى بن المعتصم فله أيضا نظم رائق ومنه ما كتب به إلى يحيى بن مطروح يستدعيه لأنس

يا أخي بل سيدي بل سندي * في مهمات الزمان الأنكد
نح بأفق غاب عنه بدره * في اختفاء من عيون الحسد
وتعجل فحبيي حاضر * وفمي يشتاق كأسي في يدي

فأجابه ابن مطروح وهو من أهل باغة بقوله

أنا عبد من أقل الأعبد * قبلتي وجه بأفق الأسعد
كلما أظمأني وردفا * منهل إلا بذاك المورد
ها أنا بالباب أبغي إذنكم * والظما قد مد للكاس يدي

وكان قد سلط عليه إنسان مختل إذا رآه يقول هذا ألف لا شيء عليه يعني أن ملكه ذهب عنه وبقي فارغا منه فشكا رفيع الدولة ذلك إلى بعض أصحابه فقال أنا أكفيك مؤنته واجتمع مع الأحمق واشترى له حلواء وقال له إذا رأيت رفيع الدولة بن المعتصم فسلم عليه وقبل يده ولا تقل هذا ألف لا شيء عليه فقال نعم واشترط الوفاء بذلك إلى أن لقيه فجرى نحوه وقبل يده وقال هذا هو باء بنقطة من أسفل فقامت قيامة رفيع الدولة وكان ذلك أشد عليه وكان به علة الحصا فظن أن الأحمق علم ذلك وقصده وصار كلما أحس به في موضع تجنبه واستأذن يوما على أحد وجوه دولة المرابطين فقال أحد جلسائه تلك أمة قد خلت استحقارا له واستثقالا للإذن له فبلغ ذلك رفيع الدولة فكتب إليه

انك بالشأم وأمير المؤمنين وحولنا الأعداء فغير من زيك وأصلح من شارتك فقال ما كنت بالذي أتركه ما كنت عليه في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم (وذكر الواقدي) في كتابه في فتوح الأمصار أن عمر قام في المسجد فحمد الله وأثنى عليه ثم دعاهم إلى الجهاد وحثهم عليه وقال إنكم قد أصبحتم في غير دار مقام بالحجاز وقد وعدكم النبي صلى الله عليه وسلم فتح بلاد كسرى وقيصر فسيروا إلى أرض فارس فقام أبو عبيدة فقال يا أمير المؤمنين أنا أول من انتدب من الناس فلما انتدب أبو عبيدة انتدب الناس وقيل لعمر أمر على الناس رجلا من المهاجرين أو الأنصار فقال لا أؤمر عليهم إلا أول من انتدب فأمر أبا عبيدة وفي حديث آخر أنه قيل له أتؤمر رجلا من ثقيف على المهاجرين والأنصار فقال كان أول من انتدب فوليته وقد أمرته أن لا يقطع أمرا دون سلمة بن أسلم بن حويس وسليط بن قيس وأعلمته أنهما من أهل بدر وخرج فلقي جمعا من العجم عليهم رجل يقال له جالينوس فانهزم وسار أبو عبيدة حتى عبر الفرات وعقد له بعض الدهاقين جسرا فلما خلف الفرات وراءه أمر بقطع الجسر فقال له سلمة بن أسلم أيها الرجل إنه ليس لك علم بما نرى وأنت تخالفنا وسوف تهلك من معك من المسلمين

خلت أمتي لكن ذاتي لم تخل * وفي الفرع ما يغني اذا ذهب الاصل
وناضر كم لو قلتم قول ماجد * يكون له فيما يجيء به الفضل
وكل اناء بالذي فيه راشح * وهل ينضح الزنبور ما يجه النحل
سأصرف وجهي عن جناب تحله * ولو لم تكن الا الى وجهك السبل
فما وضع تحتله برفع * ولا يرتضي فيه مقال ولا فعل
وقد كنت ذا عذل لعلك ترعوي * ولكن بار باب العلا يحمل العذل

وأما أخوهما أبو جعفر بن المعتصم فله ترجمة في المسهب والمطرب والمغرب ومن شعره

كتبت وقلبي ذو اشتياق ووحشة * ولو أنه يسطيع مر يسلم
جعلت سواد العين فيه سواده * وأبيضه طرسا وأقبلت ألثم
فخيل لي أني أقبل موضعا * يصافحه ذاك البنان المسلم

وأما أختهم أم الكرم فذكرناها مع النساء فلتراجع * وقال أبو العلاء بن زهر

تمت محاسن وجهه وتكاملت * لما بدا وعليه صدغ مونق
وكذلك البدر المنير جماله * في أن تكنفه سماء أزرق

وقال أبو الفضل بن شرف

يا من حكى البيدق في شكله * أصبح يحكيك وتحكيه
أسفله أوسع أجزائه * ورأسه أصغر ما فيه

وقال ابن خفاجة

يا أيها الصب المعنى به * ها هو لا خل ولا خمر
سوّد ما ورد من خده * فصار فحما ذلك الجمر

وقال أبو عبد الله البياسي

صغر الرأس وطول العنق * شاهدا عدل بفرط الحمق

ولما سمعه أبو الحسن بن حريق قال

صغر الرأس وطول العنق * خلقة منكرة في الخلق
فاذا أبصرتها من رجل * فاقض في الحين له بالحمق

وقال أبو الحسن بن الفضل يذكر مقاما قامه سهل بن مالك وابن عياش

لعمري لقد سر الخلافة قائما * بخطبتها الغراء سهل بن مالك
وأما ابن عياش وقد كان مثله * فضلوا جميعا بين تلك المسالك
ومات وماتوا حسرة وحسادة * وغيظا فقلناها الك في الهوالك

وسهل بن مالك له ترجمة مطولة رحمه الله تعالى * ومن حكاياتهم في الوفاء وحسن الاعتذار والقيام بحق الاخاء أن الوزير الوليد بن عبد الرحمن بن غانم كان صديق الوزير هاشم بن عبد العزيز ثابتا على مودته ولما قضى الله تعالى على هاشم بالاسر أجرى السلطان محمد بن عبد الرحمن الاموي ذكره في جماعة من خدامه والوليد حاضر فاستقصره ونسبه للطيش والعجلة والاستبداد برأيه فلم يكن فيهم من اعتذر عنه غير الوليد فقال أصلح الله تعالى الامير

بنو سياستك تأمر بجسر قد عقد أن يقطع فلا يجد المسلمون ملجأ من هذه الصحارى والبراري فلا تريد الا أن تهلكهم في هذه القطعة فقال أيها الرجل تقدم فقاتل فقد ترى ما ترى وقال سليط ان العرب لم تلق مثل جمع فارس قط ولا كان لهم بقتالهم فاجعل لهم ملجأ ومرجعا من هزيمة ان كانت فقال والله لا فعلت جبنت والله يا سليط فقال سليط والله ما جبنت وأنا أجرأ منك نفسا وقبيلا ولكن أشرت بالرأي فلما قطع أبو عبيدة الجسر والتحم الناس واشتد القتال نظرت العرب الى الفيلة عليها التجافيف فرأوا شيأ لم يروا مثله قط فانهزم الناس جميعا ثم مات بالفرات أكثر ممن قتل بالسيف وخالف أبو عبيدة سليطا وقد كان عمر أوصاه أن يستشيره ولا يخالفه وكان رأي سليط أن لا يعبر حتى يعبروا عليه ولا يقطع الجسر فخالفه وقال سليط في بعض قوله لولا أني أكره خلاف الطاعة لانحزت بالناس ولكني أسمع وأطيع وان كنت قد أخطأت وأشركني عمر معك فقال له أبو عبيدة تقدم أيها الرجل فقال أفعل فتقدما فقتلا جميعا وقد كان أبو عبيدة في هذا اليوم ترجل وقد قتل من الفرس نحو ستة آلاف فدنا من الفيل ورمحه في يده فطاعنه في عينه فقتل الفيل أبا عبيدة بيده وجال الناس وتراجعت رجال فارس فأخذ الناس

إنه

انه لم يكن على هاشم التحير فى الامور ولا الخروج عن المقدور بل قد استعمل جهده واستفرغ نصحه وقضى حق الاقدام ولم يكن ملاك النصر بيده فخذله من وثق به ونكل عنه من كان معه فلم يزحزح قدمه عن موطن حفاظه حتى ملك مقبلا غير مدبر مبليا غير فشل فجوزي خيرا عن نفسه وسلطانه فانه لا طريق للائم عليه وليس عليه ما جنته الحرب الغشوم وأيضا فانه ما قصد أن يجود بنفسه الا رضا الامير واجتنابا لسخطه فاذا كان ما اعتمد فيه ا. ضا جالب التقصير فذلك معدود فى سوء الحظ فأعجب الامير كلامه وشكر له وفاءه وأقصر فيما بعد عن تفنيد هاشم وسعى فى تخليصه واتصل الخبر بهاشم فكتب اليه الصديق من صدقك فى الشدة لا فى الرخاء والاخ من ذب عنك فى الغيب لا فى المشهد والوفى من وفى لك اذا خانك زمان وقد أتانى من كلامك بين يدى سيدنا جعل الله تعالى نعمته سرمدا ما زادنى بمودتك اغتباطا وبصداقتك ارتباطا ولذلك ما كنت أشد يدى على وصلك وأخصك باخائى وأنا الآن بموضع لا أقدر فيه على جزاء غير الثناء وأنت اقدر منى على أن تزيد ما بدأت به بان تتم ما شرعت فيه حتى تتكمل لك المنة ويستوثق عقد الصداقة ان شاء الله تعالى وكتب اليه بشعر منه

أباذا كرى بالغيب فى محفل به * تصامت جمع عن جواب به نصرى
أتتنى والبيداء بينى وبينها * رقى كلمات خلصتنى من الاسر
لئن قرب الله اللقاء فاننى * سأجزيك ما لا ينقضى غابر الدهر

فأجابه الوليد خلصك الله أيها البدر من سرارك وعجل بطلوعك فى أكمل تمامك وابدارك وصلنى شكرك على أن قلت ما علمت ولم أخرج عن النصح للسلطان بما ذكرته من ذلك والله تعالى شاهد على أن ذلك فى مجالس غير المجلس المنقول لسيدى ان خفيت عن المخلوق فما تخفى عن الخالق ما أردت بها الا أداء بعض ما أعتقده لك وكم سهرت وانا نائم وقمت فى حقى وأنا قاعد والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ثم ذكر أبياتا لم تحضرنى الآن * ومن حكاياتهم فى علو الهمة فى العلم والدنيا انه دخل أبو بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة جامع غرناطة وبه نحوى حوله شباب يقرؤن فنظروا اليه وقالوا له مستهزئين به ما يحمل الفقيه وما يحسن من العلوم وما يقول فقال لهم احمل اثنى عشر الف دينار وها هى تحت ابطى وأخرج لهم اثنتى عشرة ياقوتة كل واحدة منها بالف دينار وأما الذى احسنه فاثنا عشر علما أدونها علم العربية الذى تبحثون فيه وأما الذى أقول فانتم كذا وجعل يسبهم هكذا انقلت هذه الحكاية من خط الشيخ أبى حيان النحوى رحمه الله تعالى * ومن حكاياتهم فى الذكاء واستخراج العلوم واستنباطها أن أبا القاسم عباس بن فرناس حكيم الاندلس أول من استنبط بالاندلس صناعة الزجاج من الحجارة وأول من فك بها كتاب العروض للخليل وأول من فك الموسيقى وصنع الآلة المعروفة بالمنقالة ليعرف الاوقات على غير رسم ومثال واحتال فى تطيير جثمانه وكسا نفسه الريش ومد له جناحين وطار فى الجو مسافة بعيدة ولكنه لم يحسن الاحتيال فى وقوعه فتأذى فى مؤخره ولم يدر أن الطائر انما يقع على زمكه ولم يعمل له ذنبا وفيه قال مؤمن بن سعيد الشاعر

السيف لما قتل أبو عبيدة وبادر رجل من بكر بن وائل والمثنى بن حارثة فحمى الناس حتى عقدوا الجسر فعبروا ومعهم المثنى بن حارثة وقد فقد من الناس أربعة آلاف غرقا وقتلا وكان على جيش فارس فى هذا اليوم جادويه ومعه راية فارس التى كانت لافريدون حتى ثار الناس من الوهاد وهى المعروفة بدرفس كاسان وكانت من جلود النمور طولها اثنا عشر ذراعا وفى عرض ثمانية أذرع على خشب طوال موصل وكانت فارس تتيمن بها وتظهرها فى الامر الشديد وقد قدمنا الخبر عن هذه الراية فى أخبار الفرس الاول فيما سلف من هذا الكتاب ولما قتل أبو عبيدة الثقفى بالجسر شق ذلك على عمر وعلى المسلمين فخطب عمر بالناس وحثهم على الجهاد فامرهم بالتأهب لارض العراق وعسكر عمر وهو يريد الشخوص وقد استعمل على مقدمته طلحة بن عبيد الله وعلى ميمنته الزبير بن العوام وعلى ميسرته عبد الرحمن ابن عوف ودعا الناس فاستشارهم فاشاروا عليه بالمسير ثم قال لعلى ما ترى يا أبا الحسن اسير أم ابعث قال سر بنفسك فانه أهيب للعدو وأرهب له فخرج من عنده فدعا العباس فى جلل مشيخة قريش وشاورهم فقالوا أقم وابعث غيرك ليكون للمسلمين ان انهزموا فئة وخرجوا فدخل اليه

من أبيات

يطم على العنقاء في طيرانها * اذا ما كسا جثمانه ريح قشعم

وصنع في بيته هيئة السماء وخيل للناظر فيها النجوم والغيوم والبروق والرعود وفيه يقول مؤمن بن سعيد أيضا

سماء عباس الاديب أبي القاسم ناهيك حسن رائقها

أما ضراط استه فراعدها * فليت شعري ما لمع بارقها

لقد تمنيت حين دونها * فكرفي البصق في است خالقها

وأنشد ابن فرناس الامير محمدا من أبيات

رأيت أمير المؤمنين محمدا * وفي وجهه بذر المحبة يثمر

فقال له مؤمن بن سعيد قبحا لما ارتكبته جعلت وجه الخليفة محرثا يثمر فيه البذر فخجل وسبه * وأول من اشتهر في الاندلس بعلم الاوائل والحساب والنجوم أبو عبيدة مسلم بن احمد المعروف بصاحب القبلة لانه كان يشرق في صلاته وكان عالما بحركات الكواكب وأحكامها وكان صاحب فقه وحديث دخل المشرق وسمع بمكة من على بن عبد العزيز وبمصر من المزني وغيره * ومنهم يحيي بن يحيي المعروف بابن السمينة من أهل قرطبة وكان بصيرا بالحساب والنجوم واللغة والعروض ومعاني الشعر والفقه والحديث والاخبار والجدل ودخل الى المشرق وقيل انه كان معتزلي المذهب * وأبو القاسم أصبغ بن السمح وكان بارعا في علم النجوم والهندسة وله تآليف منها كتاب المدخل الى الهندسة في تفسير اقليدس وكتاب كبير في الهندسة وكتابان في الاسطرلاب وزيج على مذاهب الهند المعروف بالسند هند * وأبو القاسم بن الصفار وكان عالما بالهندسة والعدد والنجوم وله زيج مختصر على مذاهب السند هند وله كتاب في عمل الاسطرلاب * ومنهم أبو الحسن الزهراوي كان عالما بالعدد وبالطب والهندسة وله كتاب شريف في المعاملات على طريق البرهان * ومنهم أبو الحكم عمر الكرماني من أهل قرطبة من الراسخين في علم العدد والهندسة ودخل المشرق واشتغل بحران وهو أول من دخل برسائل اخوان الصفا الى الاندلس * ومنهم أبو مسلم بن خلدون من أشراف اشبيلية وكان متصرفا في علوم الفلسفة والهندسة والنجوم والطب وتلميذه ابن برغوث وكان عالما بالعلوم الرياضية وتلميذه أبو الحسن مختار الرعيني وكان بصيرا بالهندسة والنجوم وعبد الله بن أحمد السرقسطي كان نافذا في علم الهندسة والعدد والنجوم ومحمد بن الليث كان بارعا في العدد والهندسة وحركات الكواكب وأبو جعفر قرطبي بصير بالهندسة والنجوم وخرج عن الاندلس سنة اثنتين واربعين واربعمائة ولحق بمصر ودخل اليمن واتصل باميرها الصليحي القائم بدعوة المستنصر العبيدي فحظي عنده وبعثه رسولا الى بغداد الى القائم بامر الله وتوفي باليمن بعد انصرافه من بغداد وأبو الوقشي الطليطلي عارف بالهندسة والمنطق والزيوج ممن يطول تعدادهم وكان الحافظ أبو الوليد هشام الوقشي من أعلم الناس بالهندسة وآراء الحكماء والنحو واللغة ومعاني الاشعار والعروض وصناعة الكتابة والفقه والشروط والفرائض وغيرها وهو كما قال الشاعر

عبد الرحمن بن عوف فليس ذلك بهزيمة لك وانك ان تهزم أو تقتل يكفر المسلمون ولا يشهدوا أن لا اله الا الله أبدا قال أشر علي من أبعث قال قلت سعد بن أبي وقاص قال عمر اعلم أن سعدا رجل شجاع ولكني أخشى أن لا يكون له معرفة بتدبير الحرب قال عبد الرحمن هو على ما تصف من الشجاعة وقد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد بدرا فاعهد اليه عهدا وشاورنا فيما أردت أن تحدث اليه فانه لن يخالف أمرك ثم خرج فدخل عثمان عليه فقال له يا أبا عبد الله أشر علي أسير أم اقيم فقال عثمان اقم يا امير المؤمنين وابعث بالجيوش فانه لا آمن ان اتى عليك آت أن ترجع العرب عن الاسلام ولكن ابعث الجيوش ودار كها بعضها على بعض وابعث رجلا له تجربة بالحرب ومضر بها قال عمر ومن هو قال علي بن ابي طالب قال فالقه وكلمه وذاكره ذلك فهل تراه مسرعا اليه اولا فخرج عثمان فلقي عليا فذاكره ذلك فابى علي ذلك وكرهه فعاد عثمان فاخبره فقال له عمر ومن ترى قال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قال لنس بصاحب ذلك

وكان من العلوم بحيث يقتضي * له في كل فن بالجميع

ومن شعره قوله

قد بينت فيه الطبيعة أنها * بدقيق أعمال المهندس ماهره
عنيت بجسم مخطت فوقه * بالمسك خطا من محيط الدائره

وعزم على ركوب البحر الى الحجاز فهاله ذلك فقال

لا اركب البحر ولو انني * ضربت فيه بالعصا فانفلق
ما ان رأت عيني أمواجه * في فرق الا تناهى الفرق

وكان الوزير أبو المطرف عبد الرحمن بن شهيد مصنف الادوية المفردة آية الله تعالى في الطب وغيره حتى انه عانى جمع ما في كتابه من الادوية المفردة وعرف ترتيب قواها ودرجاتها وكان لا يرى التداوي بالادوية ما أمكن بالاغذية او ما يقرب منها واذا اضطر الى الادوية فلا يرى التداوي بالمركبة ما وجد سبيلا الى المفردة واذا اضطر الى المركب لم يكثر التركيب بل يقتصر على اقل ما يمكنه وله غرائب مشهورة في الابراء من الامراض الصعبة والعلل المخوفة بأيسر علاج واقربه * ومنهم ابن البيطار وهو عبد الله بن احمد المالقي الملقب بضياء الدين وله عدة مصنفات في الحشائش لم يسبق اليها وتوفي بدمشق سنة ست واربعين وستمائة اكل عقارا قاتلا فمات من ساعته رحمه الله تعالى * ومن حكاياتهم في الحفظ أن الاديب الاوحد حافظ اشبيلية بل الاندلس في عصره ابا المتوكل الهيثم بن احمد بن ابي غالب كان اعجوبة دهره في الرواية للاشعار والاخبار قال ابن سعيد اخبرني من اثق به انه حضر معه ليلة عند احد رؤساء اشبيلية فجرى ذكر حفظه وكان ذلك في اول الليل فقال لهم ان شئتم تختبروني اجبتكم فقالوا له بسم الله انا نريد ان نحدث عن تحقيق فقال اختاروا اي قافية شئتم لا اخرج عنها حتى تعجبوا فاختاروا القاف فابتدأ من اول الليل الى ان طلع الفجر وهو ينشدون (أرق على ارق ومثلي يأرق) وسماره قد نام بعض وضجع بعض وهو ما فارق قافية القاف وقال ابو عمران بن سعيد دخلت عليه يوما بدار الاشراف باشبيلية وحوله أدباء ينظرون في كتب منها ديوان ذي الرمة فمد الهيثم يده الى الديوان المذكور فمنعه منه أحد الادباء فقال يا ابا عمران أواجب أن يمنعه مني وما يحفظ منه بيتا وأنا أحفظه فأكذبته الجماعة فقال اسمعوني وامسكوه فابتدأ من أوله حتى قارب نصفه فأقسمنا عليه أن يكف وشهدنا له بالحفظ وكان آية في سرعة البديهة مشهورا بذلك قال أبو الحسن بن سعيد هدي به في اشبيلية على أحد الطلبة شعرا وعلى ثان موشحة وعلى ثالث زجلا كل ذلك ارتجالا ولما أخذ الحصار بمخنق اشبيلية في مدة الباجي خرج خروج القارظين ولا يدري حيث ولا اين ومن شعره وقد نزل بداره عبيد السلطان وكتب به الى صاحب الانزال

كم من يد لك لا اقوم بشكرها * وبها أشير اليك ان خرست فمي
وقد استترت في الحديث فهل ترى * أن يدخل الغربان وكر الهيثم

وله

يجفى الفقير ويغشى الناس قاطبة * باب الغني كذا حكم المقادير

ضروب بالسيف رام بالنبل ولكني اخشى ان لا يكون له معرفة بتدبير الحرب قال ومن هو يا أمير المؤمنين قال سعد قال عثمان هو صاحب ذلك ولكنه رجل غائب في عمل قال عمر أرى ان اوجهه واكتب اليه ان يسير من وجهه ذلك قال عثمان ان ومر فليشاور قوما من اهل التجربة والتبصر بالحرب ولا يقطع الامور حتى يشاورهم ففعل عمر ذلك وكتب الى سعد بالتوجه نحو العراق (وقد كان جرير) بن عبد الله البجلي قدم على عمر وقد اجتمعت اليه بجيلة فسرحهم نحو العراق وجعل لهم ربع ما ظهروا عليه من السواد وساهمهم مع المسلمين وخرج عمر فشيعهم ولحق جرير بناحية الايلة ثم صاعدا الى ناحية المدائن ونمى قدوم جرير الى مرزبان المدائن وكان في عشرة آلاف من فارس من الاساورة وذلك بعد يوم الجسر ومقتل ابي عبيدة وسليط فقال بجيلة لجرير اعبر الدجلة الى المدائن فقال جرير ليس ذلك بالرأي وقد مضى لكم في ذلك عبرة من قتل اخوانكم يوم الجسر ولكن أمهلوا القوم فان جمعهم كثير حتى يعبروا اليكم فان فعلوا فهو الظفر ان شاء الله تعالى فاقامت الفرس أياما بالمدائن ثم

وإنما الناس أمثال الفراش فهم * بحيث تبدو مصابيح الدنانير

وله

عندي لفقدك أوجال أبيت بها * كأنني واضع كفي على قبس

ولاملامة إن لم أهدنيه * حتى تمد إليها كف مقتبس

قد كنت أودع سر الشوق في طرس * لكنني خفت أن يعدو على الطرس

وأنشد له أبو سهل شيخ دار الحديث بالقاهرة في إملائه

قف بالكثيب لغيرك التأنيب * إن الكثيب هوى له محبوب

ياراحلين أنا عليكم وقفة * ولكم علينا دمعنا المسكوب

تخلى الديار من الحبة والهوى * أبدا وتعمر أضلع وقلوب

وقال ارتجالا في وصف فرس أصفر

أطرف فات طرفي أم شهاب * هفا كالبرق ضرمه التهاب

أعار الصبح صفحته نقابا * فغر به وضع لنا النقاب

فهما احث خال الصبح وافى * ليطلب ما استعار فما يصاب

إذا ما انقض كل النجم عنه * وضلت عن مسالكه السحاب

فيا عجبا له فضل الدراري * فكيف أزال أربعه التراب

سل الأرواح عن أدنى مداه * فعند الريح قد يلفى الجواب

وقال أبو عمر الطلمنكي دخلت مرسية فتشبث بي أهلها يسمعون على الغريب المصنف فقلت انظروا من يقرأ لكم وأمسكت أنا كتابي فأتوني برجل أعمى يعرف بابن سيده فقرأه على من أوله إلى آخره فعجبت من حفظه وكان أعمى وابن سيده المذكور هو أبو الحسن علي بن أحمد ابن سيده وهو صاحب كتاب المحكم ومن نظمه مما كتب به إلى ابن الموفق

ألا هل إلى تقبيل راحتك اليمنى * سبيل فإن الأمن في ذاك واليمنا

ضحيت فهل في برد ظلك نومة * لذي كبد حرى وذي مقلة وسنا

وتوفي ابن سيده المذكور سنة ثمان وخمسين وأربعمائة وعمره نحو الستين رحمه الله تعالى ومن حكاياتهم في حب العلم أن المظفر بن الأفطس صاحب بطليوس كان كما قال ابن الأبار كثير الأدب جم المعرفة محبا لأهل العلم جماعة للكتب ذا خزانة عظيمة لم يكن في ملوك الأندلس من يفوقه في أدب ومعرفة قاله ابن حيان وقال ابن بسام كان المظفر أديب ملوك عصره غير مدافع ولا منازع وله التصنيف الرائق والتأليف الفائق المترجم بالتذكرة والمشتهر أيضا اسمه بالكتاب المظفري في خمسين مجلدا يشتمل على فنون وعلوم من مغاز وسير ومثل وخبر وجميع ما يختص به علم الأدب أبقاه للناس خالدا وتوفي المظفر سنة ستين وأربعمائة وكان يحضر العلماء للمذاكرة فيفيد ويستفيد رحمه الله تعالى ومن التآليف الكبار لأهل الأندلس كتاب السماء والعالم الذي ألفه أحمد بن أبان صاحب شرطة قرطبة وهو مائة مجلد رأيت بعضه بفاس وتوفي ابن أبان سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة رحمه الله تعالى ولأهل الأندلس دعابة وحلاوة في محاوراتهم وأجوبة بديهية مسكتة والظرف فيهم والأدب كالغريزة حتى في صبيانهم ويهودهم فضلا عن علمائهم وأكابرهم ولنذكر جملة

المرزبان وأخذهم السيف وغرق أكثرهم في دجلة وأخذ المسلمون ما كان في عسكرهم وسار جرير فاجتمع مع المثنى بن حارثة الشيباني بالبجلة فأقبل إليهما مهران في جيوشه فامتنع المسلمون من العبور إليهم فعبر مهران فقتله جرير بن عبد الله البجلي وحسان بن المنذر بن ضرار الضبي ضربه البجلي وطعنه الضبي وفاز جرير بمنطقته وسلبه وتنازع جرير وحسان في أيهما القاتل لمهران وقد كان جرير ضربه بعد أن طعنه حسان ولحسان في ذلك أبيات

ألم ترني خالست مهران نفسه
بأسمر فيه كالخلال طرير
فخر صريعا والقنا في برجله
وبادر في رأس الهمام جرير
فقال قتيلي والحوادث جمة
وكاد جرير للسرور يطير
فقال أبا عمرو وقتلي قتلته
ومثلي قليل والرجال كثير
فأرسل يمينا أن رعلك ناله
وأكرم أن تحلف وأنت أمير

(وقد تنازع) أهل الأخبار والسير في جرير والمثنى فمن الناس من ذهب إلى أن جريرا كان المولى على الجيش ومنهم

من ذكر الجملة فنقول حكي عن عالم المرية القاضي ابي الحسن مختار الرعيني وكان فيه حلاوة ولوذعية ووقار وسكون انه استدعاه يوما زهير ملك المرية من مجلس حكمه فجاءه يمشي مشية قاض قليلا قليلا فاستعجله رسول زهير فلم يعجل فلما دخل عليه قال له يا فقيه ماهذا البطء فتأخر الى باب المجلس وطلب عصا وشمر ثيابه فقال له زهير ماهذا قال هذا يليق باستعجال الحاجب لي فوقع في خاطري انه عزلني عن القضاء وولاني الشرطة فضحك زهير واستقلاه ولم يعد الى استعجاله وهذا القاضي هو القائل وقد دخل حماما فجلس بازائه عامي اساء الادب عليه

الا لعن الحمام دارا فانه * سواء به ذو العلم والجهل في القدر
تضيع به الآداب حتى كانها * مصابيح لم تنفق على طلعة الفجر

وروى ان المقري ابا عبدالله محمد بن الفراء امام النحو واللغة في زمانه وكانت فيه فطنة ولوذعية ابطأ من وجهه يوما الى تلامذته فطال بهم الكلام في المذاكرة فقال احدهم نصف بيت وكان فيهم وسيم من ابناء الاعيان وكان ابن الفراء كثير الميل اليه فلما خرج قال له يا استاذ عملت نصف بيت ولم يدان تتمه فقال ماهو فقال * الا بأبي شادن اوطف * فقال الاستاذ ابن الفراء بديها

اذا كان وردك لا يقطف * وثغر ثناياك لا يرشف
فأي اضطرار بنا ان نقول * الا بأبي شادن اوطف

وهذا ابن الفراء هو القائل

قيل لي قد تبدلا * فاسل عنه كاسلا
لك سمع وناظر * وفؤاد فقلت لا
قيل غال وصاله * قلت لما غلا حلا
ايها العاذل الذى * بعذابي توكلا
عد صحيحا مسلما * لا تعير فتبتلى

وتذكرت بهذا ما انشده لسان الدين في كتابه روضة التعريف بالحب الشريف

قلت للساخر الذى * رفع الانف فاعتلى
انت لم تأمن الهوى * لا تعير فتبتلى

ومن بديع نظم ابن الفراء المذكور قوله

شكوت اليه بفرط الدنف * فأنكر من قصتي ما عرف
وقال الشهود على المدعي * واما انا فعلى الحلف
فجئنا الى الحاكم الالمعي * قاضي المجون وشيخ الطرف
وكان بصيرا بشرع الهوى * ويعلم من اين اكل الكتف
فقلت له اقض ما بيننا * فقال الشهود على ما تصف
فقلت له شهدت ادمعي * فقال اذا شهدت تنتصف
ففاضت دموعي من حينها * كفيض السحاب اذا ما يكف

الفرس ذلك وسار شيراز في جمع فارس الاعظم ويقال له بوران وقد كانت جمهرة الاساورة تقدمت وتقدم أمامهم رستم فتنحى المسلمون لما بلغهم مسيره فلحق جرير بكاظمة فنزلها وسار المثنى بقومه من بكر ابن وائل فنزل بسيراف وبها آثار كثيرة وهي من الكوفة على ثلاثة أميال من المنزل المعروف بواقصة وكان المثنى قد أصيب بجراحات كثيرة في بدنه في يوم الجسر وغيره فمات بسيراف رحمه الله تعالى (ولما ورد كتاب عمر) على سعد بن أبي وقاص فنزل زبالة على حسب ما أمره عمر ثم أتى سيراف وأتاه الناس من الشام وغيرها ثم سار فنزل العذيب وهو على فم البر وطرف السواد مما يلي القادسية فالتقى جيش المسلمين وجيش الفرس وعليهم رستم والمسلمون يومئذ في ثمانية وثمانين ألفا وقيل ان من أسهم له ثلاثون ألفا والمشركون في ستين ألفا امام جيوشهم الفيلة عليها الرجال وحرض الناس بعضهم بعضا وبرزوا أهل النجدات فأنشبوا القتال وخرج اليهم أقرانهم من صناديد قريش فاعتوروا الضرب والطعن وخرج غالب بن عبدالله الاسدي في ذلك اليوم وهو يقول

فخرك راسا الينا وقال * دعوا يا امها تيك هذا الصاف
كذا تقتلون مشاهيرنا * اذا مات هذا فأين الخاف
واوما الى الورد ان يجتني * واوما الى الريق ان يرتشف
فلما رآه حبيبي معي * ولم يختلف بيننا مختلف
ازال العناد فعانقته * كأني لام وحبي الف
فظلت اعاتبه في الجفا * فقال عفا الله عما سلف

وحكى عن الزهري خطيب اشبيلية وكان اعرج انه خرج مع ولده الى وادي اشبيلية فصادف جماعة في مركب وكان ذلك بقرب الاضحى فقال بعضهم له بكم هذا الخروف واشار الى ولده فقال له الزهري ماهو للبيع فقال بكم هذا التيس واشار الى الشيخ الزهري فرفع رجله العرجاء وقال هو معيب لا يجزئ في الضحية فضحك كل من حضر وعجبوا من لطف خلقه * وركب مرة هذا النهر مع الباجي يوم خميس فلما أصبحوا صعد الزهري يخطب يوم الجمعة والباجي حاضر قدامه فنظر اليه الباجي واومأ الى محل الحدث واخرج لسانه فجعل الزهري يلمس عصا الخطابة يشير بالعصا الى جوابه على ماقصد رحمه الله تعالى * ومر العالم ابو القاسم بن ورد صاحب التآليف في علم القرآن والحديث بجنة لاحد الاعيان فيها ورد فوقف بالباب وكتب اليه

شاعر قد اتاك يبغي اباه * عندما اشتاق حسنه وشذاه
وهو بالباب مصغيا للجواب * يرتضي بالندا اذا تراه

فعندما وقف على البيتين علم انه ابن ورد فبادر من جنته اليه واقسم في النزول عليه ونثر من الورد ما استطاع بين يديه * وحكى ان ابا الحسن سليمان بن الطراوة نحوي المرية حضر مع ندماء والى جانبه من اخذ بجامع قلبه فلما بلغت النوبة اليه استعفى من الشرب وابدى القطوب فأخذ ابن الطراوة الجام من يده وشربها عنه ويا بردها على كبده ثم قال بديها

يشربها الشيخ وأمثاله * وكل من تحمد أعماله
والبكر ان لم يستطع صولة * تلقى على البازل أثقاله

ودخل عليه وهو مع ندمائه غلام والكاس في يده فقال

ألا بابي وغير أبي غزال * اتى وبراحه للشرب راح
فقال منادمي في الحسن صفه * فقلت الشمس جاء بها الصباح

وقال فيمن جاء بالراح

ولما رأيت الصبح لاح بخده * دعوتهم رفقاتهم لكم الشمس
وأطلعها مثل الغزالة وهو كالـ * غزال فتم الطيب واكتمل الانس

وقال وقد شرب ليلة في القمر

شربنا بأصباح السماء مدامة * بشاطي غدير والازاهر تنفح
وظل جهول يرقب الصبح ضلة * ومن أكؤس لم يبرح الليل يصبح

وكان عبد الله بن الحاج المعروف بعد غليس صاحب الموشحات يشرب مع ندماء ظراف في جنة

فخرج اليه هرمز وكان من ملوك الباب والابواب وكان متوجا فاسره غالب أسرا فاتى سعدا وكر راجعا الى المطاردة وحمي الوطيس وخرج عاصم بن عمرو وهو يقول

قد علمت بيضاء صفراء اللبب
مثل اللجين يتغشاه الذهب
أني امرؤ لامن يعيبه السبب
مثلي على مثلك يغريه الكتب

فبرز اليه عظيم من أساورتهم فالتقيا فولى الفارس ولى واتبعه عاصم حتى لجأ الى صفوفهم وعموه وغاص عاصم بينهم حتى ايس الناس منه ثم خرج في مجنبات القلب وقدامه بغل عليه صناديق موكية بآلة حسنة فأتى به سعد من مالك وعلى البغل رجل عليه مقطعات ديباج وقلنسوة مذهبة واذا هو خباز الملك وفي الصناديق لطائف الملك من الاخبصة والعسل المعقود فلما نظر اليه سعد قال انطلقوا الى أهل موقفه وقولوا ان الامير قد نفلكم هذا فكلوه (وكانت وقعة القادسية) في المحرم سنة أربع عشرة ومال سبعة عشر فيلا على كل فيل عشرون رجلا وعلى الفيلة

بهجة بقائهم ووقع من ثقيل يرغب في الاذن وكان له ابن مليح فكتب اليه مدغليس

سيدي هذا مكان * لا يرى فيه بجيه
غير تيس مصفعاني له بالصفع كديه
أوله ابن شافع فيه فيلقى بالتحيه
أيها القابل أقبل * سائقا تلك المطيه

وكان مدغليس هذا مشهورا بالانطباع والصنعة في الازجال خليفة ابن قزمان في زمانه وكان أهل الاندلس يقولون ابن قزمان في الزجالين بمنزلة المتنبي في الشعراء ومدغليس بمنزلة أبي تمام بالنظر الى الانطباع والصناعة فابن قزمان ملتفت الى المعنى ومدغليس ملتفت للفظ وكان أديبا معربا لكلامه مثل ابن قزمان ولكنه لما رأى نفسه في الزجل أنجب اقتصر عليه ومن شعره قوله

ماضر كم لو كتبتم * حرفا ولو باليسار
اذ انتم نور عيني * ومطلبي واختياري

وقال الخطيب الاديب النحوي أبو عبد الله بن الفراء المذكور قبل هذا بقريب الضرير في صبي كان يقرأ عليه النحو اسمه حسن وهو في غاية الجمال بعد أن سأله كيف تقول اذا تعجبت من حسنك فقال أقول ما أحسني

يا حسنا مالك لم تحسن * الى نفوس بالهوى متعبه
رقت بالوردو بالسوسن * صفحة خد بالسنى مذهبه
وقد أبى صدغك أن أجتني * منه وقد أدلغى عقربه
يا حسنه اذ قال ما أحسني * ويالذاك اللفظ ما أعذبه
فوّق السهم ولم يخطني * واذرآني ميتا أعجبه
وقال كم عاش وكم حبني * وحبه اياي قد عذبه
يرحمه الله على أنني * قتلى له لم أدر ما أوجبه

وقد كان ابن الفراء من فضلاء المائة السادسة ذكره ابن غالب في فرحة الانفس في فضلاء العصر من الاندلس وكان شاعرا مجيدا يعلم بالمرية القرآن والنحو واللغة وكانت فيه فطنة ولوذعية وذكاء والمعية خرق بها العوائد وحكي ان قاضي المرية قبل شهادته في سطل ميزه في حمام باللمس واختبره في ذلك بحكاية طويلة وذكره صفوان في زاد المسافر ووصفه بالخطيب وجده القاضي أبو عبد الله بن الفراء مشهور بالصلاح والفضل والزهد ومن العجائب انه ليس له ترجمة في المغرب ولما كتب أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الى أهل المرية يطلب منهم المعونة جاوبه بكتابه المشهور الذي يقول فيه ماصورته فاذ كره أمير المسلمين من اقتضاء المعونة وتأخري عن ذلك وان الباجي وجميع القضاة والفقهاء بالعدوة والاندلس أفتوا بأن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه اقتضاها وكان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وضجيعه في قبره ولا يشك في عدله فليس أمير المسلمين بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بضجيعه في قبره ولا ممن لا يشك في عدله فان كان الفقهاء والقضاة أنزلوك بمنزلته في العدل

الى بني أسد لما نظر الى المواكب والفيول قد مالت الى بجيلة فأرهم بعونتهم ومالت عشرون فيلا نحو القلب فخرج طليحة بن خويلد الاسدي مع فرسان بني أسد فقتل منهم خمسمائة رجل سوى من قتل من غيرهم فباشروا قتال الفيلة حتى أوقفوها واشتد الجلاد على بني أسد في هذا اليوم من سائر الناس وهذا اليوم يعرف بيوم اغواث فلما أصبح الناس في اليوم الثاني أشرف على الناس خيول المسلمين من الشأم والامداد سائرة قد غطت بأسنتها الشمس عليها هاشم بن عتبة بن أبي وقاص في خمسة آلاف فارس من بني ربيعة ومضر وألف من اليمن ومعه القعقاع بن عمرو وذلك بعد فتح دمشق بشهر وقد كان عمر رضي الله عنه كتب الى أبي عبيدة ابن الجراح بصرف أصحاب خالد بن الوليد الى العراق ولم يذكر في كتابه خالدا فشح أبو عبيدة بتخلية خالد عن يده وبعث برجاله وعليهم هاشم بن عتبة على ماذكرنا وقد كان في نفس عمر على خالد أشياء من

أيام أبي بكر في قصة مالك بن نويرة وغير ذلك وكان خالد بن الوليد بن خالد بن عمر تقدم القعقاع في أوائل المدد فأبقن

فالله تعالى سائلهم عن تقلدهم قبلك وما اقتضاه عمر رضي الله تعالى عنه حتى دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلف أن ليس عنده درهم واحد في بيت مال المسلمين ينفقه عليهم فلتدخل المسجد الجامع هنالك بحضرة من أهل العلم وتحلف أن ليس عندك درهم واحد ولا في بيت مال المسلمين وحينئذ تستوجب ذلك والسلام انتهى وأما ابن الفراء الاخفش بن ميمون الذي ذكره الحجاري في المسهب فليس هو من هؤلاء بل هو من حصن القيداق من أعمال قلعة بني سعيد وأدب في قرطبة ثم عاد الى حضرة غرناطة واعتكف بها على مدح وزيرها اليهودي وهو القائل

صابح محياه تلق النجح في الامل * وانظر بناديه حسن الشمس في الحمل
ما ان يلاقي خليل فيه من خلل * وكلما حال صرف الدهر لم يحل

وكان يهاجي المنفتل شاعر البيرة ومن هجاء المنفتل له قوله

لابن ميمون قريض * زمهرير البرد فيه
فاذا ما قال شعرا * نفقت سوق أبيه

ولما وفد على المرية مدح رفيع الدولة بن المعتصم بشعر فقال له بعض من أراد ضره يا سيدي لا تقرب هذا اللعين فانه قال في اليهودي

ولكن عندي للوفاء شريعة * تركت بها الاسلام يبكي على الكفر

فقال رفيع الدولة هذا والله هو الحر الذي ينبغي أن يصطنع فلولا وفاؤه ما بكى كافرا بعد موته وقد وجدنا في أصحابنا من لا يرعى مسلما في حياته فقال فيه المنفتل

ان كنت أخفش عين * فان قلبك أعمى
فكيف تنثر نثرا * وكيف تنظم نظما

ومن شعر الاخفش المذكور قوله

اذا زرتكم غبا فلم ألق بالبر * وان غبت لم أطلب ولم أجر في الذكر
فاني اذن أولى الورى بفراقكم * ولا سيما بعد التجلد والصبر

ولما وفد على المنصور بن أبي عامر الشاعر المشهور أبو عبد الله محمد بن مسعود الغساني البجاني اتهم برهق في دينه فسجنه في المطبق مع الطليق القرشي والطليق غلام وسيم وكان ابن مسعود به كلفا يومئذ وفيه يقول

غدوت في السجن خدنا لابن يعقوب * وكنت أحسب هذا في التكاذيب
رامت عداتي تعذيبي وما شعرت * ان الذي فعلوه ضد تعذيبي
راموا ابعادي عن الدنيا وزخرفها * فكان ذلك ادناني وتقريبي
لم يعلموا أن سجني لا أبا لهم * قد كان غاية مأمولي ومرغوبي

وسجن ابن مسعود والطليق قبله ووقع بينه وبين الطليق وعاد المدح هجاء فقال فيه

ولي جليس قربه مني * بعد الاماني كذبا عني
قد قذيت من لحظه مقلتي * وقرحت من لفظه أذني
هون لي في السجن من قربه * أشد في السجن من السجن

أهل القادسية بالنصر على فارس وزال منهم ما لحقهم بالامس من القتل والجراح وبرز القعقاع حين وروده أمام الصف ونادى هل من مبارز فبرز اليه عظيم منهم فقال له القعقاع من أنت قال أنا بهمن جاذويه وهو المعروف بذي الحاجب فنادى القعقاع يا لثارات أبي عبيد وسليط وأصحابهم يوم الجسر وقد كان ذو الحاجب مبارز القوم على ما ذكرنا من قتله اياهم فالاقتله القعقاع ويقال أن القعقاع حمل في ذلك اليوم ثلاثا وثلاثين حملة كل حملة يقتل فيها وكان آخر من قتل عظيما من عظمائهم يقال له بزرجمهر ففيه يقول القعقاع

حبوته جياشة بالنفس * هدارة مثل شعاع الشمس
في أغوات من قبيل الفرس * أنخس بالقوم أشد نخس
* حتى يفيض معري ونفسي *

وبارز في ذلك اليوم الاعور بن قطبة شهريار سجستان فقتل كل واحد منهما صاحبه فقال أخو الاعور في ذلك

لم أر يوما كان أحلى وأمر * من يوم أغوات دواوين الثعر
من غير ضحك كان أسوا وأشر

واعتل سعد فتخلف في حصن العذيب وجلس في أعلاه يشرف على الناس وقد تواقف الفريقان جميعا وأمسى الناس يشتمون فلما سمع ذلك سعد قال ان

لو

لو أن خلقا كان ضدّا له * زاد على يوسف فى الحسن
اذا ارتقى فكرى فى وجهه * سلط أبطيه على ذهنى
كانما يجلس من ذا وذا * بين كنيفين من النتن

وقال يخاطب المنصور من السجن

دعوت لماعيل صبرى فهل * يسمع دعواى المليك الحليم
مولاى مولاى الاعطفة * تذهب عنى بالعذاب الاليم
ان كنت أضمرت الذى زخرفوا * عنى فذعنى للقدير الرحيم
فعنده نزاعة للشوى * وعنده الفردوس ذات النعيم

وركب بعض أهل المرية فى وادى اشبيلية فى طاقة من طاقات شنتبوس وهو يغنى ٣خلنى من واد ومن قوارب ومن تراها فى شنتبوس غرس الحبق الذى فى دارى أحب عندى من الفردوس فأخرجت رأسها جارية وقالت له من أى بلد أنت يا من غنى فقال من المرية فقالت وما أعجبك فى بلدك حتى تفضله على وادى اشبيلية وهو بوجه مالح وقفا أحرش وهذا من أحسن تعييب وذلك انها أتته بالنقيض من اشبيلية فان وجهها النهر العذب وقفاها بجبال الرحمة أشجار التين والعنب لا تقع العين الا على خضرة فى أيام الفرج وأين اشبيلية من المرية وفى المرية يقول السميسر شاعرها

بئس دار المرية اليوم دارا * ليس فيها لساكن ما يحب
بلدة لا تمار الاريح * ربما قد تهب أولا تهب

يشير الى أن مرافقها مجلوبة وأن الميرة تأتيها فى البحر من بر العدوة وفيها يقول أيضا

قالوا المرية فيها * نظافة قلت ايه
كانها طست تبر * و يبصق الدم فيه

وحكى مؤرخ الاندلس أبو العباس البياسى انه دخل عليه فى مجلس انس شيخ ضخم الجثة مستثقل فقال البياسى

اسقنى الكاس صاحبه * ودع الشيخ ناحيه

فقال الكاتب أبو جعفر أحمد بن رضى

ان تكن ساقيا له * ليس ترويه ساقيه

وحكى ان العالى ادريس الحمودى لما عاد الى مالكه عاتبه ووبخ قاضيها الفقيه أبا على بن حسون وقال له كيف بايعت عدوّى من بعدى وصحبته فقال وكيف تركت أنت ملكك لعدوك فقال ضرورة القدرة حملتنى على ذلك فقال وأنا أيضا حصلت فى يد من لا يسعنى الا طاعته ومن نظم القاضى المذكور

رفعت من دهرى الى جائر * و يبتغى العدل باحكامى
أصحت به أملا كه مثل أشكال خيال طوع أيامى
هذا لما أبرم ذا ناقض * كانهم فى حكم أحلام

وكان الفقيه العالم أبو محمد عبد الله الوحيدى قاضى مالقة قبرى كما قال الحجارى فى صباه طلق

فأيقظونى فان ذلك شر واشتد القتال فى الليل وكان أبو محجن الثقفى محبوسا فى أسفل القصر فسمع انتماء الناس فى آبائهم وعشائرهم ووقع الحديد وشدة الباس فتأسف على ما يفوته من تلك المواقف فحبا حتى صعد الى سعد يستشفعه و يستقيله ويسأله أن يخلى عنه ليخرج فرآه سعد ورده فانحدر راجعا فنظر الى سلمى بنت حفصة زوجة المثنى بن حارثة الشيبانى وقد كان سعد تزوجها بعده فقال يا بنت حفصة هل لك فى خير فقالت وماذاك قال تخلين عنى وتعيرنى البلقاء ولله على ان سلمنى الله أن أرجع اليك حتى أضع رجلى فى القيد فقالت وما أنا وذلك فرجع يرسف فى قيده وهو يقول

كفى حزنا أن ترتدى الخيل بالقنا
وأترك مشدودا على وثاقيا
اذا قمت عنانى الحديد وأغلقت
مصارع من دونى وصم المناديا
وقد كنت ذا مال كثير وثروة
فقد تركونى واحدا لا أخاليا

٣قوله خلنى الخ هكذا بالاصل وليحرر وقوله من الفردوس فى نسخة من العروس هكذا بهامش الاصل

الجموح بعاقب بين غبوق وصبوح الى أن دعاه النذير فاهتدى منه بسراج منير واحلته تلك الرجعة فيما شاء من الرفعة وقال بعض معاشريه كنت أماشيه زمن الشباب فكلما مر رنا على امرأة يدعو حسنها وشكلها الى أن تحير فيه الالباب أمال اليها طرفه ولم يثن عنها صرفه ثم سايرته بعد ما ارعوى عن ذلك واقتصر فرأيته يغض البصر ويخلي الطريق معرضا الى ناحية متى واجهته امرأة ولو حكت الشمس صاحية فقلت له في ذلك فقال

ذلك وقت قضيت فيه غرامي * من شبابي في سترة الاظلام
ثم لما بدا الصباح لعيني * من مشيبي ودعته بسلام

ومن شعره في صباه

لا تزجروا رجعتي باللوم عن غرض * ولا تتركوني وصيدي فرصة الخلس
طلبتم رد قلبي عن صبابته * ومن يرد عنان الجامح الشرس

ولما أقصر باطله وعريت أفراس الصبا ورواحله قال

ولما بدا شيبي عففت عن الهوى * كما يهتدي حاف السرى بنجوم
وفارقت أشياع الصبابة والطلا * وملت الى أعلى علا وعلوم

ولما تألب بنو حسون على القاضي الوحيدي المذكور وصادر عنه العالم الاصولي أبو عبد الله بن الفخار وطلع في حقه الى حضرة الامامة مراكش وقام في مجلس أمير المسلمين ابن تاشفين وهو قد غص بأربابه وقال انه لمقام كريم نبدأ فيه بحمد الله على الدنو منه ونصلي على خيرة أنبيائه محمد الهادي الى الصراط المستقيم وعلى آله وصحابته نجوم الليل البهيم أما بعد فانا نحمد الله الذي اصطفاك للمؤمنين أميرا وجعلك للدين الحنيفي نصيرا وظهيرا ونفزع اليك مما دهمنا في جانبك ونبث اليك ما لحقنا من الضيم ونحن تحت ظل علائك ويأبى الله ان يدهم من احتمى بأمير المسلمين وصاب بضيم من ادرع بحصنه الحصين شكوى قدمتها بين يديك في حق أمرك الذي عضده مؤيده لتسمع منها ما تخبره برأيك وتنقده وان قاضيك ابن الوحيدي الذي قدمته في مالقة للاحكام ورضيت بعدله فيمن بها من الخاصة والعوام لم يزل يدل على حسن اختيارك بحسن سيرته ويرضي الله تعالى ويرضي الناس بظاهره وسريرته ما علمنا عليه من سوء ولا ادرينا له موقف خزي ولم يزل جاريا على ما يرضي الله تعالى ويرضيك ويرضينا الى أن تعرضت بنو حسون الى الطعن في أحكامه والهدم من أعلامه ولم يعلموا أن اهتضام المقدم راجع على المقدم بل جمحوا في لجاجهم فعموا وصموا وفعلوا ما فعلوا وامضوا ما به هموا والى السحب يرفع الكف من قد دفعنه مسيل عين ونهر فلا سمعه بلاغة أعقبت نصره ونصر صاحبه * ومن شعر ابن الفخار المذكور ويعرف بابن نصف الربض قوله

أستنكر شيب المفارق في الصبا * وهل ينكر النور المفتح في الغصن
اظن طلاب المجد شيب مفرقي * وان كنت في احدى وعشرين من سني

وقوله

اقلل عتابك ان الكريم * يجازي على حبه بالقلى

ولله عهد لا أخيس بعهده لئن فرجت أن لا أزور الجوانيا فقالت سلمى اني استخرت الله ورضيت بعهدك فأطلقته وقالت شأنك وما أردت فاقتاد بلقاء سعد وأخرجها من باب القصر الذي يلي الخندق فركبها ثم دب عليها حتى اذا كان بحيال ميمنة المسلمين كبر ثم حمل على ميسرة القوم يلعب برمحه وسلاحه بين الصفين فأوقف ميسرتهم وقتل رجالا كثيرا من نساكهم ونكس آخرين والفريقان يرمقونه بأبصارهم وقد تنوزع في البلقاء فمنهم من قال انه ركبها عريا ومنهم من قال بل ركبها بسرج ثم غاص في المسلمين فخرج في ميسرتهم وحمل على ميمنة القلب فأوقفهم وجعل يلعب برمحه وسلاحه لا يبدو له فارس الا هتكه فأوقفهم وهابته الرجال ثم رجع فغاص في قلب المسلمين ثم برز امامهم ووقف بازاء قلب المشركين ففعل مثل أفعاله في الميمنة والميسرة وأوقف القلب حتى لم يبرز منهم فارس الا اختطفه وحمل على المسلمين الحرب فتعجب الناس منه وقالوا من هذا الفارس الذي لم نره في يومنا فقال بعضهم هو ممن قدم علينا من اخواننا من الشام من أصحاب هاشم ابن عتبة المرقال وقال بعضهم ان كان الخضر عليه السلام شهد الحرب

ونحل

وخل اجتنابك ان الزمان * ير بتكديره ماحلا

وواصل اخاك بعلاته * فقد يلبس الثوب بعد البلى

وقل كالذى قاله شاعر * نبيل وحقك ان تنبلا

اذا ماخليل اساء مرة * وقد كان فيما مضى مجملا

ذكرت المقدم من فعله * فلم يفسد الآخر الاولا

ولما وفد ابو الفضل بن شرف بن برجة فى زى تظهر عليه البداوة بالنسبة الى اهل حضرة المملكة العظمى انشده قصيدته القافية

مطل الليل بوعد الفلق * وتشكى النجم طول الارق

ضربت ريح الصبا مسك الدجى * فاستفاد الروض طيب العبق

والاح الفجر خدا خجلا * جال من رشح الندى فى عرق

جاور الليل الى انجمه * فتساقطن سقوط الورق

واستفاض الصبح فيه فيضة * أيقن النجم لها بالغرق

فانجلى ذلك السنى عن حلك * وانمحى ذاك الدجى عن شفق

بأبى بعد الكرى طيف سرى * طارقا عن سكن لم يطرق

زارنى والليل ناع سدفه * وهو مطلوب بباقى الرمق

ودموع الطل تمرجها الصبا * وجفون الروض غرقى الحدق

فتأنى فى ازار ثابت * وتثنى فى وشاح قلق

وتجلى وجهه عن شعره * فتجلى فلق عن غسق

نهب الصبح دجى ليلته * فحبا الخد ببعض الشفق

سلبت عينا محدى سيفه * وتحلى خده بالرونق

وامتطى من طرفه ذا خبب * يلثم الغبراء ان لم يعنق

أشوس الطرف علته نخوة * يتهادى كالغزال الخرق

لو تمطى بين أسراب المها * نازعته فى الحشا والعنق

حسرت دهمته عن غرة * كشفت ظلماؤها عن يقق

لبست أعطافه ثوب الدجى * وتحلى خده باليقق

وانبرى تحت به أجفل عن * لعة أوجنة أوا ولق

مدركا بالمهل مالا ينتهى * لاحقا بالرفق مالم يلحق

ذو رضا مستتر فى غضب * ذو وقار منطو فى خرق

وعلى خد كعضب أبيض * اذن مثل سنان أزرق

كلما نصبها مستمعا * بدت الشهب الى مسترق

حاذرت منه شباخطية * لا يجيد الخط مالم يمشق

كلما شامت عذارى خده * خفقت خفق فؤاد فرق

فى ذرا ظمآن فيه هيف * لم يدعه للقضيب المورق

لولا أن الملائكة لا تباشر الحروب لقلنا انه ملك وأبو محجن بر ز كالليث الضرغام قد هتك الفرسان كالعقاب يجول عليهم ومن حضر من فرسان المسلمين مثل عمرو ابن معديكرب وطليحة بن خويلد والقعقاع وهاشم ابن عتبة المرقال وسائر قبائل العرب وأبطالها ينظرون اليه وقد حارت فى أمره وجعل سعد يفكر و يقول وهو مشرف على الناس من فوق القصر والله لولا محبس أبى محجن لقلت هذا أبو محجن وهذه البلقاء فلما انتصف الليل تحاجز الناس وتراجعت الفرس على أعقابها وتراجع المسلمون الى مواضعهم على تعبيتهم ومصافهم وأقبل أبو محجن حتى دخل القصر من حيث خرج ولا يعلم به ورد البلقاء الى مربطها ووضع رجله فى القيد ورفع عقيرته وهو يقول

لقد علمت ثقيف غير فخر * بأنا نحن أكرمهم سيوفا

وأكرمهم دروعا سابغات * وأصبرهم اذا كرهوا الوقوفا

وليلة قادس لم يشعروا بى * ولم أشعر بمخرجتى الزحوفا

فان أحبس فذلكم بلائى

وانا وفدهم فى كل يوم * فان عتبوا فسل بهم عريفا

يتلقاني بكف مصقع * يقتني شأو عذار مغلق
ان يدر دورة طرف يلقمع * أو يجل جول لسان ينطلق
عصفت ريح على أثوابه * وجرت أكعبه في زئبق
كلما قلبه باعدعن * متن ملساء كمثل البرق
جمع السرد قوى أزرارها * فتأخذن بعهد موثق
أوجبت في الحرب من وخز القنا * فتوارت حلقا في حلق
كلما دارت بها أبصارها * صورت منها مثال الحدق
زل عنه متن مصقول القوى * يرتمي في مائها بالحرق
لو نضا وهو عليه ثوبه * لتعرى من شواظ محرق
اكهب من هبوات أخضر * من فرند أحمر من علق
وارتوت صفحاه حتى خلته * بحيا من لكفيك سقي
يا بني معن لقد ظلت بكم * شجر لولا كم لم تورق
لو سقى حسان احسانكم * ما بكى ندمانه في جلق
أودنا الطائي من حيكم * ما حدا البرق لربع الابرق
أبدعوا في الفضل حتى كلفوا * كاهل الايام مالم يطق

فلما سمعها المعتصم لعبت بارتياحه وحسده بعض من حضر وكان من جملة من حسده ابن أخت غانم فقال له من أي البوادي أنت قال أنا من الشرف في الدرجة العالية وان كانت البادية على بادية ولا أنكر خالي ولا أعرف بخالي فمات ابن اخت غانم خجلا وشمت به كل من حضر وابن شرف المذكور هو الحكيم الفيلسوف أبو الفضل جعفر ابن أديب افريقية أبي عبد الله محمد بن شرف الجذامي ولد ببرجة وقيل انه دخل الاندلس مع ابيه وهو ابن سبع سنين ومن نظمه قوله

رأى الحسن ما في خده من بدائع * فاعجبه ماضم منه وحرفا
وقال لقد الفيت فيه نوادرا * فقلت له لا بل غريبا مصنفا

وقوله

قد وقف الشكر بي لديكم * فلست أقوى على الوفاده
ونلت أقصى المراد منكم * فصرت أخشى من الزياده

وقوله

اذا ما عدوك يوما سما * الى رتبة لم تطق نقضها
فقبل ولا تأنفن كفه * اذا أنت لم تستطع عضها

وقوله وقد تقدم به على كل شاعر

لم يبق للجور في أيامهم أثر * غير الذي في عيون الغيد من حور

وأول هذه القصيدة قوله

قامت تجر ذيول العصب والحبر * ضعيفة الخصر والميثاق والنظر

وكان قد قصر أمداحه على المعتصم وكان يفد عليه في الاعياد وأوقات الفرج والفتوحات فوفد عليه مرة يشكو عاملا ناقشه في قرية يحرث فيها وأنشده الرائية التي مطلعها الى أن بلغ

قوله

وان أترك أذيقهم الحتوف فا(قال) والله ما حبسني بحرام أكلته ولا شربته ولكني كنت صاحب شراب في الجاهلية وأنا امرؤ شاعر يدب الشعر على لساني فأصف القهوة وتداخلني أريحية فألتذ بمدحي اياها فلذلك حبسني لاني قلت فيها

اذا مت فادفني الى جنب كرمة
تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني بالفلاة فانني
أخاف اذا ما مت أن لا أذوقها

وهي أبيات وقد كان بين سلمى وسعد كلام كثير أوجب غضبه عليها لذكرها المثنى عند مختلف القنا فأقامت مغاضبة له عشية ازمار وليلة الهدار وليلة السواد حتى اذا أصبحت أتته فرضته وصالحته ثم أخبرته خبرها مع أبي محجن فدعا به فاطلقه وقال اذهب فما أنا مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله قال لاجرم والله لا أجبت لساني الى صفة قبيح أبدا وأصبح الناس في اليوم الثالث وهم على مصافهم وهو يوم عماس وأصبحت الاعاجم على مواقفها وأصبح بين الفريقين كالدجلة العوراء والفرات في عرض ما بين الصفين وقد قتل من

قوله لم يسق للعور البيت فقال له كم فى القرية التى تحرث فيها فقال فيها نحو خمسين بيتا فقال له أنا أسوغك جميعها لهذا البيت الواحد ثم وقع له بها وعزل عنها نظر كل وال وله ابن فيلسوف شاعر مثله وهو أبو عبد الله محمد بن الفضل المذكور وهو القائل

وكريم أجازنى من زمان * لم يكن من خطوبه لى بد
منشد كلما أقول تناهى * ما لمن يبتغى المكارم حد

وابن أخت غانم هو العالم اللغوى أبو عبد الله محمد بن معمر من أعيان مالقة متفنن فى علوم شتى الا أن الغالب عليه علم اللغة وكان قد رحل من مالقة الى المرية فحل عند ملكها المعتصم بن صمادح بالمكانة العلية وهو القائل فى ابن شرف المذكور

قولوا الشاعر برجة هل جاء من * أرض العراق فحاز طبع البحترى
وأتى بأشعار تضج بكفه * وتقول هل أعزى لمن لم يشعر
ياجعفر اردد القريض لاهله * واترك مباراة لتلك الابحر
لاتزعمن مالم تكن أهلا له * هذا الرضاب لغير فيك الابخر

وذكره ابن اليسع فى مغربه وقال انه حدثه بداره فى مالقة وهو ابن مائة سنة وأخذ عنه عام أربعة وعشرين وخمسمائة وله تآليف منها شرح كتاب النبات لابى حنيفة الدينورى فى ستين مجلدا وغير ذلك *وغانم خاله الذى يعرف به هو الامام العالم غانم المخزومى نسب اليه لشهرة ذكره وعلو قدره ولما قرأ العالم الشهير أبو محمد بن عبدون فى أول شبابه على أبى الوليد بن ضابط النحوى المالقى جرى بين يديه ذكر الشعر وكان قد ضجر منه فقال

الشعر خطة خسف

فقال ابن عبدون معرضا به حين كان متجديا بالشعر وكان اذذاك شيخا

لكل طالب عرف

للشيخ عيبة عيب * وللفتى ظرف ظرف

وابن ضابط هو القائل فى المظفر بن الافطس

نظمنا لك الشعر البديع لاننا * علمنا بأن الشعر عندك ينفق
فان كنت منى بامتداحك ظفرا * فانى فى قصدى اليك موفق

ودخل غانم المخزومى السابق ذكره وهو من رجال الذخيرة على الملك ابن حبوس صاحب غرناطة فوسع له على ضيق كان فى المجلس فقال

صير فؤادك للمحبوب منزلة * سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا فى معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

وهو القائل

وقد كنت أغدو نحو قطرك فارحا * فها أنا أغدو نحو قبرك ثاكلا
وقد كنت فى مدحيك سحبان وائل * فها أنا من فرط التأسف باقلا

وله أيضا

الصبر أولى بوقار الفتى * من ملق يهتك ستر الوقار
من لزم الصبر على حالة * كان على أيامه بالخيار

فقال سعد أيها الناس من شاء غسل الشهيد الميت والرثيث ومن شاء فليدفنهم بدمائهم وأقبل المسلمون على قتلاهم فاحرزوهم وجعلوهم وراء ظهورهم وكان النساء والصبيان يدفنون الشهيد ويحملون الرثيث الى النساء ويعالجن فى كلومهم وكان بين موضع الوقعة مما يلى القادسية وبين حصن العذيب نخلة فاذا حمل الجريح وفيه تمييز وعقل ونظر الى تلك النخلة ولم يكن هنالك يومئذ نخلة غيرها واليوم بها نخل كثير قال لحامله قد قربت من السواد فأريحونى تحت ظل هذه النخلة فيرتاح تحتها ساعة فسمع رجل من الجرحى يقول

ألا فاسلمى يانخلة بين فارس
وبين العذيب لايجاورك النخل

وسمع آخر من بنى تيم الله وقد أريح تحتها وحشوته خارجة من جوفه وهو يقول

أيا نخلة الجرعى ويانخلة العدا
سقتك الغوادى والغيوث الهواطل

وأثخن الاعور بن قطنة فحمل من المعركة فسأل حامله أن يريحه تحتها حتى اذا بلغ اليها قال

وكتب أبو علي الحسن بن الغليظ الى صاحبه ابي عبد الله بن السراج وقد قدم من سفر

يا من أقلب طرفي في محاسنه * فلا أرى مثله في الناس انسانا
لو كنت تعلم ما لاقيت بعدك ما * شربت كأسا ولا استحسنت ريحانا

فورد عليه من حينه وقال أردت مجاوبتك فخفت أن أبطئ وصنعت الجواب في الطريق

يا من اذا ما سقتني الراح راحته * أهدت الي بها روحا وريحانا
من لم يكن في صباح السبت يأخذها * فليس عندي بحكم الظرف انسانا
فكن على حسن هذا اليوم مصطبحا * مذاكرا حسننا فيه واحسانا
وفي البساتين ان ضاق المحل بنا * مندوحة لا عدمنا الدهر بستانا

ووفد أبو علي الحسن بن كسرى المالقي المشهور على ملك اشبيلية السيد أبي اسحق ابراهيم ابن أمير المؤمنين يوسف ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي فأنشده قصيدة طار مطلعها في الأقطار كل مطار وهو

قسما بحمص انه لعظيم * فهي المقام وأنت ابراهيم

ووصف الشاعر عطاء المالقي غادة جعلت على رأسها تاجا فقال

وذات تاج رصعوا دوره * فزاد في لألائها اللال
كأنها شمس وقد توجت * بأنجم الجوزاء فوق الهلال
قد اشتكى الخلخال منها الى * سوارها فاشتبها في المقال
وأجريا ذكر الوشاح الذي * لم يزل من خصرها في مجال
فقال لم أرض بما نالته * وليتني مثلكما لا ازال
أغص بالخصر وأعيا به * كغص ظمآن بماء زلال
وانما الدهر بغير الرضا * يقضي فكل غير راض بحال

وهو القائل

سل بحماماتنا الذي * كل عن شكره فمي
كم أراني بقربه * جنة في جهنم

وكان يحضر حلقة الامام السهيلي وضيء الوجه من تلامذته فانقطع لعارض فخرج السهيلي مارا الى الطريق الذي جرت عادته بالمشي فيه فوجد قناة تصلح فمنعته من المرور فرجع وسلك طريقا آخر فمر على دار تلميذه الوضيء فقال له بعض أصحابه مازحا بعبوره على منزله فقال نعم وأنشد ارتجالا

جعلت طريقي على بابه * ومالي على بابه من طريق
وعاديت من أجله جيرتي * وآخيت من لم يكن لي صديق
فان كان قتلي حلالا لكم * فسيروا بروحي سير الرفيق

وأبو القاسم السهيلي مشهور عرف به ابن خلكان وغيره ويكنى أيضا بأبي زيد وهو صاحب كتاب الروض الأنف وغيره واختار على سهيل وقد نزل به العدو لما أغار عليه وقتلوا أهله وأقاربه وكان غائبا عنهم فاستأجر من أركبه دابة وأتى به اليه فوقف بإزائه وأنشد

يادار

وهي صبيحة ليلة الهرير وهي تسمى ليلة القادسية من تلك الايام والناس حيارى ولم يغمضوا ليلتهم كلها وحرض رؤساء القبائل عشائرهم واشتد الجلاد الى أن جاء وقت الزوال فكان أول من زال حين قام قائم الظهيرة الهرمزان فتأخر وسار حتى انتهى وانفرج القلب حين قام قائم الظهيرة وهبت ريح عاصف فقطعت طيارة رستم عن سريره فهوت في نهر العتيق والريح دبور فمال الغبار عليهم وانتهى القعقاع وأصحابه الى سرير رستم فعثروا به وقد قام رستم عنه حين طارت الريح بالطيارة الى بغال قد قدمت عليهم بمال يومئذ فهي واقفة فاستظل في ظل بغل منها وحمله وضرب هلال بن علقمة الحمل الذي رستم في ظله فقطع حباله ووقع على رستم أحد العدلين ولا يراه هلال ولا يشعر به فأزال من ظهره فقارا ومضى رستم الى نحو نهر العتيق فرمى بنفسه فيه واقتحم هلال عليه فتناوله برجله ثم خرج به الى الخندق وضربه بالسيف حتى قتله ثم جاء به يجره حتى رماه بين أرجل البغال وصعد السرير ونادى قتلت رستم ورب الكعبة الي الي

يادار أين البيض والآرام * أم أين جيران على كرام
راب المحب من المنازل انه * حيا فلم يرجع اليه سلام
لما أجابني الصدى عنهم ولم * يلج المسامع للحبيب كلام
طارحت ورق حمامها مترنما * بمقال صب والدموع سجام
يادار ما فعلت بك الايام * ضامتك والايام ليس تضام

وجرى بين السهيلي والرصافي الشاعر المشهور ما اقتضى قول الرصافي

عفا الله عني فاني امرؤ * اتيت السلامة من بابها
على أن عندي لمن هاجني * كنائن غصت بنشابها
ولو كنت ارمي بها مسلما * لكان السهيلي اولى بها

وتوفي السهيلي بمراكش سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وزرت قبره بها مرارا سنة عشر والف وسكر رحمه الله تعالى اشبيلية مدة ولازم القاضي ابابكر بن العربي وابن الطراوة وعنه اخذ لسان العرب وكان ضريرا ومن شعره ايضا ماقال كيف أمسيت مكان كيف اصبحت

لئن قلت صبحا كيف امسيت مخطئا * فما انا في ذلك الخطا ملوم
طلعت وافقي مظلم لفراقكم * فخلتك بدرا والمساء هموم

*وحكي ان الوزير الكاتب ابا الفضل بن حسداي الاسلامي السرقسطي وهو من رجال الذخيرة عشق جارية ذهبت بلبه وغلبت على قلبه فجن بها جنونه وخلع عليها دينه وعلم بذلك صاحبها فزفها اليه وجعل زمامها في يديه فتعامى عن موضعه من وصلها أنفة من أن يظن الناس أن اسلامه كان من أجلها فحسن ذكره وخفي على كثير من الناس أمره ومن شعره قوله

وأطر بنا غيم يمازج شمسه * يستر طورا بالسحاب ويكشف
ترى قزحا في الجو يفتح قوسه * مكبا على قطن من الثلج يندف

وكان في مجلس المقتدر بن هود ينظر في مجلد فدخل الوزير الكاتب أبو الفضل بن الدباغ وأراد أن يندر به فقال له وكان ذلك بعد اسلامه يا أبا الفضل ما الذي تنظر فيه من الكتب لعله التوراة فقال نعم وجلدها من جلد بغيه من تعلم فبات خجلا وضحك المقتدر وأراد الشاعر أبو الربيع سليمان السرقسطي حضور نديم له فكتب اليه

بالراح والريحان والياسمين * وبكرة الندمان قبل الاذين
وبهجة الروض بأنداته * مقلدا منه بعقد ثمين
الا أجب سباقنا الى الكاس تبدت لذة الشاربين
هامت بها الاعين من قبل أن * يخبرها الذوق بحق اليقين
لاحت لدينا شفقا معلنا * فكن لها بالله صبحا مبين

وكتب علي بن خير التطيلي الى ابن عبد الصمد السرقسطي يستدعيه الى مجلس أنس أنا أطال الله تعالى بقاء الكاتب سراج العلم وشهاب الفهم في مجلس قد عبقت تفاحه وضحكت راحه وخفقت حولنا للطرب ألوية وسالت بيننا للهو أودية وحضرتنا مقلة

وانهزموا واخذهم السيف فمن غريق وقتيل وقد كان ثلاثون الفا منهم قرنوا انفسهم بعضهم الى بعض بالسلاسل والحبال وتحالفوا بالنور وبيوت النيران لا يبرحون حتى يقتصوا أو يقتلوا فجثوا على الركب وقرع بين ايديهم قنابيل النشاب فقتل القوم جميعا (وقد تنوزع) فيمن قتل رستم فذهب الاكثر الى ان قاتله هلال بن علقمة بن تيم الرباب على ماقدمنا ومنهم من راى ان قاتله رجل من بني اسد ولذلك يقول شاعرهم في ذلك اليوم وهو عمرو بن شاس الاسدي من ابيات

جلبنا الخيل في اكناف هف
الى كسرى يوافقها رعالا
تركن بهم على الاصنام سمرا
وبالحقوين أياما طوالا
قتلنا رستما وبنيه قسرا
تثير الخيل فوقهم المهالا
تركنا منهم حيث التقينا
قياما لا يريدون ارتحالا

وأخذ ضرار بن الخطاب في ذلك اليوم من فارس الراية العظمى المقدم ذكرها أنها من جلود النمور المعروفة بدرفس كاسان وكانت مرصعة بالياقوت واللؤلؤ وانواع الجوهر فعوض منها بثلاثين ألفا وكانت قيمتها ألفي ألف ومائتي ألف وقتل في ذلك اليوم حول هذه الراية

تسأل منك انسانها وصحيفة فلان عنوانها فان رأيت أن تجمل الينا القصد لنحصل بك في جنة الخلد صقلت نفوسا أصداها بعدك وأبرزت شمسا أدجاها فقدك فأجابه ابن عبيد الصمد فضضت أيها الكاتب العليم والمصقع الحبر الصميم طابع كتابك فنفى منه جوهر منتخب لا يشوبه مخشلب هو السحر الا انه حلال دل على ودحنيت ضلوعك عليه ووثيق عهد انتدب كريم سجيتك اليه فبالت فالق الحب وعامر القلب بالحب أن يصون لى حظي منك ويدرأ النوائب عنك ولم يثنني أن أصرف وجه الاجابة الى مرغوبك وامتطي جواد الانحدار الى محبوبك الا عارض ألم ألم بي فقيد بقيده نشاطى وتركني أتحامل على فراشي كالسليم واستمطر الاصباح من الليل البهيم وانا منتظر لادباره (ومن لطف أهل الاندلس ورقة طباعهم) ما حكاه ابو عمرو بن سالم المالقي قال كنت جالسا بمنزلى بمالقة فهاجت نفسي أن اخرج الى الجبانة وكان يوما شديد الحر فراودتها على القعود فلم تمكني من القعود فمشيت حتى انتهيت الى مسجد يعرف برابطة الغبار وعنده الخطيب ابو محمد عبد الوهاب بن على المالقي فقال لى اني كنت ادعو الله تعالى ان يأتيني بك وقد فعل فالحمد لله فأخبرته بما كان مني ثم جلست عنده فقال انشدني فأنشدته لبعض الاندلسيين

غضبوا الصباح فقسموه خدودا * واستوعبوا قضب الاراك قدودا
ورأوا حصا الياقوت دون نحورهم * فتقلدوا شهب النجوم عقودا
لم يكفهم حد الاسنة والظبا * حتى استعاروا أعينا وخدودا

فصاح الشيخ وأغمى عليه وتصبب عرقا ثم أفاق بعد ساعة وقال يا بني اعذرني فشيئان يقهراني ولا أملك نفسي عندهما النظر الى الوجه الحسن وسماع الشعر المطبوع انتهى وستأتي هذه الابيات في هذا الباب أتم من هذا وعلى كل حال فهي لاهل الاندلس لا لابن دريد كما ذكره بعضهم وسيأتي تسمية صاحبها الاندلسي كما في كتاب المغرب لابن سعيد العنسي المشهور رحمه الله تعالى وقال بعض الادباء ليحيى الجزار وهو يبيع لحم ضأن لحم اناث الكباش مهزول فقال يحيى يقول للمشترين مهزولوا وقال التطيلي الاعمى في وصف أسد رخام يرمى بالماء على بحيرة

أسد ولو اني أنا * قشه الحساب لقلت صخره
وكانه أسد السما * يمج من فيه المجره

وحضر جماعة من أعيان الادباء مثل الابيض وابن بقي وغيرهما من الوشاحين واتفقوا على أن يصنع كل واحد منهم موشحة فلما أنشد الاعمى موشحته التي مطلعها

ضاحك عن جمان * سافر عن بدر
ضاق عنه الزمان * وحواه صدري

خرق كل منهم موشحته وتحاكمت امرأة الى القاضي أبي محمد عبد الله الازدي الاصبحي وكانت ذات جمال ونادرة تحكم لزوجها عليها فقالت له من يضيع قلبه كل طرف فاتر جدير أن يحكم بهذا تشير الى قوله

أين قلبي أضاعه كل طرف * فاتر يصرع الحليم لديه

غير ما ذكرنا من المقربين وغيرهم عشرة آلاف (وقد تنازع الناس) ممن سلف وخلف في عام القادسية والعذيب فذهب كثير من الناس الى ان ذلك كان في سنة خمس عشرة ومنهم من رأى انه كان في سنة أربع عشرة والذى قطع عليه محمد بن اسحق انها كانت في خمس عشرة وقال في سنة أربع عشرة أمر عمر بن الخطاب بالقيام في شهر رمضان لصلاة التراويح وذهب كثير من الناس منهم المدائني وغيره أن عمر انفذ عتبة بن غزوان في سنة أربع عشرة الى البصرة فنزلها ومصرها وذهب كثير من الناس انها مصرت في ربيع سنة ست عشرة وان عتبة بن غزوان انما خرج اليها من المدائن بعد فراغ سعد بن أبي وقاص من حرب جلولاء وتكريت وان عتبة قدم البصرة وهي يومئذ تدعى أرض الهند وفيها حجارة بيض فنزل موضع الخريبة ومصر سعد بن ابي وقاص الكوفة في سنة خمس عشرة ودلهم على موضعها نفيلة الغساني وقال لسعد أدلك على أرض ارتفعت عن البر وانحدرت عن الفلاة فدله على موضع الكوفة الى اليوم (قال المسعودي) وكان عمر لا يترك أحدا من العجم يدخل المدينة فكتب اليه المغيرة بن شعبة ان عندي غلاما

نقاشا نجارا حدادا فيه منافع لاهل المدينة فان رأيت ان تأذن لي في الارسال به فعلت فأذن له

كلما ازداد ضعفه ازداد فتكا * أي صبر ترى يكون عليه

وحضر أبو اسحق بن خفاجة مجلسا بمرسية مع أبي محمد جعفر بن عنق الفضة الفقيه السالمي وتذاكرا فاستطال ابن عنق الفضة ولعب بأطراف الكلام ولم يكن ابن خفاجة يعرفه فقال له يا هذا لم تترك لاحد حظا في هذا المجلس فليت شعري من تكون فقال أنا القائل

الهوى علمني سهد الليال * ونظام الشعر في هذي اللآل
كلما هبت شمال منهم * لعبت بي عن يمين وشمال
وأرقت فكري أرواحها * فأتت منهن بالسحر الحلال
كان كالملح اجاجا خاطري * وسحاب الحب أبدته زلال

فاهتز ابن خفاجة وقال من يكون هذا قوله لا ينبغي أن يجهل ولك المعذرة في جهلك فانك لم تعرفنا بنفسك فبالله من تكون فقال أنا فلان فعرفه وقضى حقه وحكى ابن غالب في فرحة الانفس ان الوزيرا أبا عثمان بن شنتفير وأبا عمر بن عبد شلب وفدا رسولين على المعتمد بن عباد عن اقبال الدولة بن مجاهد والمعتصم بن صمادح والمقتدر بن هود لاصلاح ما كان بين المعتمد وبين ابن ذي النون فسر المعتمد بهم وأكرمهم ودعاهم الى طعام صنعه لهم وكان لا يظهر شرب الراح منذ ولي الملك فلما رأوا انقباضه عن ذلك تحاموا الشراب فلما أمر بكتب أجوبتهم كتب له أبو عامر

بقيت حاجة لعبد رغيب * لم يدع غيرها له من نصيب
هي خبرية المساء حديثا * وأنا في الصباح أخشى رقيبي
فاذا أمس كان عندي نهارا * لم تخفني عليه بعد الغروب
واذا الليل جن حدثت جلا * سي بما كان من حديث غريب
قيل ان الدجى لذيك نهار * وكذاك الدجى نهار الاريب
فتمنيت ليلة ليس فيها * لذكاء السنى من مغيب
حيث أعطيك في الخلاء وتعطيـ * ـني مداما كمثل ريق الحبيب
ثم أغدو كأنني كنت في النو * م وأخفي المنام خوف هزيب

والهزيب الرقيب العتيد في كلام أهل الاندلس فسر المعتمد وانبسط بانبساطه وضحك من مجونه وكتب اليه

يا مجابا دعا الى مستجيب * فسمعنا دعاءه من قريب
ان فعلت الذي دعوت اليه * كنت فيما رغبت عين رغيب

واستحضره فنادمه خاليا وكساه ووصله وانقلب مسرورا وظن المعتمد أن ذلك يخفى من فعله عن ابن شنتفير فاعلمه بالامر القائد بن مرتين فكاد يتفطر حسدا وكتب الى المعتمد

أنا عبد لدولتيـ ـه كل بر * لم تدع من فنون برك فنا
غير رفع الحجاب في شربك الرا * ح فماذا احناه أن يتمنى
وتمنى شراب سؤرك في الكا * س فبالله أعطه ما تمنى

فسرته أبياته وأجابه

وقد كان المغيرة جعل عليه كل يوم درهمين وكان يدعى أبا لؤلؤة وكان مجوسيا من أهل نهاوند فلبث ماشاء الله ثم أتى عمر يشكو اليه ثقل خراجه فقال له عمر وما تحسن من الاعمال قال نقاش نجار حداد فقال له عمر ما خراجك بكثير في كنه ما تحسن من الاعمال فمضى عنه وهو مدبر قال ثم مر بعمر يوما آخر وهو قاعد فقال له عمر ألم احدث عنك أنك تقول لو شئت ان اصنع رحا تطحن بالريح لفعلت فقال أبو لؤلؤة لاصنعن لك رحا يتحدث الناس بها ومضى ابو لؤلؤة فقال عمر اما العلج فقد توعدني آنفا فلما ازمع بالذي اوعد به أخذ خنجرا فاشتمل عليه ثم قعد لعمر في زاوية من زوايا المسجد في الغلس وكان عمر يخرج في السحر فيوقظ الناس فمر به فثار اليه فطعنه ثلاث طعنات احداهن تحت سرته وهي التي قتلته وطعن اثني عشر رجلا من أهل المسجد فمات منهم ستة وبقي ستة ونحر نفسه بخنجره فمات فدخل عليه ابنه عبد الله ابن عمر وهو يجود بنفسه فقال له يا أمير المؤمنين استخلف على امة محمد فانه لو جاءك راعي ابلك أو غنمك وترك ابله او غنمه لا راعي بها للمته وقلت له

يا كريم الخل في كل معنى * والكريم الخل ليس يعني
هذه الخمر تبتغيك فخذها * أو فدعها أو كن ماشئت كنا

وكان يقرأ في مجلس ملك السهلة ابي مروان بن رزين ذي الرياستين ديوان شعر محمد بن هانئ وكان القارئ فيه بله فلما وصل الى قوله *حرام حرام زمان الفقير* اتفق أن عرض للملك ما اشتغل به فقال للقارئ اين وقفت فقال في حرام فقام الملك وقال هذا موضع لا أقف معك فيه ادخل أنت وحدك ثم دخل الى قصره وانقلب المجلس ضحكا وكان للملك المذكور وزير من أعاجيب الدهر وهو الكاتب أبو بكر بن سدراي وذكره الحجاري في المسهب وقال ان له شعرا أرق من نسيم السحر وأندى من الطل على الزهر ومنه قوله

ماضركم لو بعثتم * ولو بأدنى تحيه
تهزني من شذاها * اليكم الاريحيه
خذوا اسلامي اليكم * مع الرياح النديه
في كل سحرة يوم * تترى وكل عشيه
يارب طال اصطباري * ما الوجد الا بليه
غيلان بالشرق أضحى * وحلت الغرب ميه

وقوله

سابغي المجد في شرق وغرب * فما ساد الفتى دون اغتراب
فان بلغت مأمولا فاني * جهدت ولم اقصر في الطلاب
وان انا لم افز بمراد سعيي * فكم من حسرة تحت التراب

وقال ملك بلنسية مروان بن عبد العزيز لما ولي مكانه من لا يساويه

ولا غرو بعدي أن يسود معشر * فيضحي لهم يوم وليس لهم امس
كذاك نجوم الجو تبدو زواهرا * اذا ما توارت في مغاربها الشمس

وقال ابن دحية دخلت عليه وهو يتوضأ فنظر الى لحيته وقد اشتعلت بالشيب اشتعالا فانشد لنفسه ارتجالا

ولما رايت الشيب أيقنت أنه * نذير لجسمي بانهدام بنائه
اذا ابيض مخضر النبات فانه * دليل على استحصاده وفنائه

واعتل ابن ذي الوزارتين ابي عامر بن الفرج وزير المأمون بن ذي النون وهو من رجال الذخيرة والقلائد فوصف له ان يتداوى بالخمر العتيق وبلغه ان عند بعض الغلمان منها شيأ فكتب اليه يستهديه

ابعث بها مثل ودك * ارق من ماء خدك
شقيقة النفس فانضح * بها جوى ابن عبدك

وهو القائل معتذرا عن تخلفه عن جاهه منذرا

ما تخلفت عنك الا لعذر * ودليلي في ذاك خوفي عليكا
هبك أن الفرار من غير عذر * اتراه يكون الا اليكا

وله من رسالة هناء

فقد استخلف أبو بكر وان اتركهم فقد تركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيئس منه عبد الله حين سمع ذلك منه (وكان اسلام عمر) قبل الهجرة باربع سنين وكان يخضب بالحناء والكتم وكان له من الولد عبد الله وحفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وعاصم وفاطمة وزيد من ام وعبد الرحمن وفاطمة وبنات اخر وعبد الرحمن الاصغر وهو المحدود في الشراب وهو المعروف بابي شحمة من ام (وذكر عبد الله بن عباس) ان عمر ارسل اليه فقال يا ابن عباس ان عامل حمص هلك وكان من أهل الخير واهل الخير قليل وقد رجوت أن تكون منهم وفي نفسي منك شئ لم اره منك واعياني ذلك فما رأيك في العمل قال لن اعمل حتى تخبرني بالذي في نفسك قال وما تريد الى ذلك قال اريده فان كان شيأ اخاف منه على نفسي خشيت منه عليها الذي خشيت وان كنت بريأ من مثله علمت اني لست من أهله فقبلت عملك هنالك فاني قلما رأيت اوظننت شيأ الا عاينته فقال يا ابن عباس اني خشيت ان ياتي على الذي هو آت وأنت في عملك فتقول هلم الينا

اهنئ بالعيد من وجهه * هو العيد لو لاح لى طالعا
وادعو الى الله سبحانه * بشمل يكون لنا جامعا

وكتب الى الوزير الحصرى يستدعيه ان يكون من ندمائه فكتب اليه الوزير الحصرى يستعفيه اليوم فلما اراده كتب اليه

ها قد اهبت بكم وكلكم هوى * واحقكم بالشكر منى السابق
كالشمس انت وقد اطل طلوعها * فاطلع وبين يديك فجر صادق

وله فى رئيس مرسية ابى عبد الرحمن بن طاهر وكان ممتع المجالسة كثير النادرة

قد رأينا منك الذى قد سمعنا * فغدا الخبر عاضد الاخبار
قد وردنا لديك بحرا غزيرا * وارتقينا حيث النجوم الدرارى
ولكم مجلس لديك انصرفنا * عنه مثل الصبا عن الازهار

وشرب الاديب الفاضل ابو الحسن على بن حريق عشية مع من يهواه ورام الانفصال عنه لداره فمنعه سيل حال بينه وبين داره فبات عنده على غير اختياره فقال ابن حريق

باليلة جادت الليالى * بها على رغم أنف دهرى
للسيل فيها على نعمى * يقصر عنها لسان شكرى
أبات فى منزلى حبيبى * وقام فى أهله بعذر
فبت لا حالة كحالى * ضجيع بدر صريع سكر
باليلة القدر فى الليالى * لأنت خير من ألف شهر

ومن حسنات ابن حريق المذكور قوله

يا ويح من بالمغرب الاقصى ثوى * حلف النوى وحبيبه بالمشرق
لولا الحذار على الورى لأتما * بيى وبينك من زفير محرق
وسكبت دمعى ثم قلت لسكبه * من لم يذب من زفرة فليغرق
لكن خشيت عقاب ربى ان أنا * أحرقت أو أغرقت من لم اخلق

وله لم يبق عندى للصبابة * الا الاحاديث على الخمر

وله فقبلت اثرك فوق الثرى * وعانقت ذكرك فى مضجعى

وله ان ما ءكان فى وجنتها * وردته السن حتى نشفا
وذوى العناب من أعلها * فاعادته الليالى حشفا

وأورد له ابو بحر فى زاد المسافر قوله

كلمته فاحمر من خجل * حتى اكتسى بالعسجد الورق
وسألته تقبيل راحته * فأبى وقال أخاف أحترق
حتى زفيرى عاق عن املى * ان الشفاء بريقه شرق

وقوله فى السواقى

وكانما سكن الاراقم جوفها * من عهد نوح مدة الطوفان
فاذا رأينا الماء يطفح نضنضت * من كل خرق حية بلسان

وتركتكم قال والله قد رأيت من ذلك فلم تراه فعل ذلك قال والله ما أدرى أضن بكم عن العمل فأهل ذلك أنتم أم خشى ان تبايعوا بمنزلتكم منه فيقع العتاب ولا بد من عتاب فقد فرغت للشغال فما رأيك قال قلت ارانى لا اعمل لك قال ولم قلت ان عملت لك وفى نفسك ما فيها لم ابرح قذى فى عينك قال فأشر على قلت انى ارى ان تستعمل صحيحا منك صحيحا لك (وذكر) علقمة بن عبد الله المزى عن معقل بن يسار أن عمر بن الخطاب شاور الهرمزان فى فارس واصبهان واذربيجان فقال له اصبهان الرأس وفارس واذربيجان الجناحان فان قطعت احد الجناحين نأى الرأس بالجناح الآخر وان قطعت الرأس وقع فابدأ بالرأس فدخل المسجد فاذا هو بالنعمان بن مقرن يصلى فقعد الى جنبه فلما قضى صلاته قال ما أرانى الا مستعملك قال أما جابيا فلا ولكن غازيا قال فانك غاز فوجهه وكتب الى أهل الكوفة أن يمدوه وبعث معه الزبير بن العوام

 وعمرو بن معديكرب وحذيفة وابن عمر والاشعث بن قيس فارسل النعمان المغيرة بن شعبة الى ملكهم

وقال الفيلسوف أبو جعفر بن الذهبي فيمن جمع بينه وبين أحد الفضلاء

أيها الفاضل الذى قد هدانى * نحو من قد حمدته باختيار
شكر الله ما أتيت وجازا * ك ولا زلت نجم هدى لسارى
أى برق أفاد أى غمام * وصباح أدى لضوء نهار
واذا ما النسيم كان دليلى * لم يدلنى الا على الازهار

وأنشد أبو عبد الله محمد بن عبادة الوشاح المعتصم بن صمادح شعرا يقول فيه

ولو لم أكن عبد الآل صمادح * وفى أرضهم أصلى وعيشى ومولدى
لما كان لى الا اليهم ترحل * وفى ظلهم أمسى وأضحى وأغتدى

فارتاح وقال يا ابن عبادة ما أنصفناك بل أنت الحر لا العبد فاشرح لنا فى أملك فقال أنا عبدكم كما قال ابن نباتة

لم يبق جودك لى شيأ أؤمله * تركتنى أصحب الدنيا بلا أمل

فالتفت الى ابنه الواثق يحيى ولى عهده وقال اذا اصطنعت الرجال فمثل هذا فاصطنع ضمه اليك وافعل معه ما تقتضيه وصيتى به ونبهنى اليه كل وقت فأقام نديما لولى العهد المذكور وله فيهما الموشحات المشهورة كقوله

كم فى قدود البان تحت اللمم من أقرع واطى
بأغصل وبنان مثل العنم لم تبرى للعاطى

ولما بلغ المعتصم أن خلف بن فرج السميسر هجاه احتال فى طلبه حتى حصل فى قبضته ثم قال له انشدنى ما قلت فى فقال له وحق من حصلنى فى يدك ما قلت شرا فيك وانما قلت

رأيت آدم فى نومى فقلت له * أبا البرية ان الناس قد حكموا
أن البرابر نسل منك قال اذن * حواء طالقة ان كان ما زعموا

فأباح ابن بلقين صاحب غرناطة دمى فخرجت الى بلادك هاربا فوضع على من أشاع ما بلغك عنى لتقتلنى أنت فيدرك ثاره بك ويكون الاثم عليك فقال وما قلت فيه خاصة مضافا الى ما قلته فى عامة قومه فقال لما رأيته مشغوفا بتشييد قلعته التى يتحصن فيها بغرناطة قلت

يبنى على نفسه سفاها * كأنه دودة الحرير

فقال له المعتصم لقد أحسنت فى الاساءة اليه فاختر هل أحسن اليك وأخلى سبيلك أم أجيرك منه فارتجل

خيرنى المعتصم * وهو بقصدى أعلم
وهو أن يجمع لى * امناومنا أكرم

فقال خاطرك خاطر شيطان ولك الأمن والامان فأقام فى احسانه بأوطانه حتى خلع عن ملكه وسلطانه ولما أنشده عمر بن الشهيد قصيدته التى يقول فيها

سبط البنان كأن كل غمامة * قد ركبت فى راحتيه أناملا
لا عيش الا حيث كنت وانما * تمضى ليالى العمر بعدك باطلا

التفت الى من حضر من الشعراء وقال هل فيكم من يحسن أن يجلب القلوب بمثل هذا فقال

وهو يقال له ذو الجناحين فقطع اليهم نهرهم فقيل لذى الجناحين ان رسول العرب ههنا فشاور أصحابه فقال ما ترون فقالوا اقعد له فى بهجة الملك فقعد على سريره ووضع التاج على رأسه وأقعد أبناء الملوك سماطين عليهم الاقراط واسورة الذهب والديباج وأذن للمغيرة فأخذ بضبعيه رجلان ومعه سيفه ورمحه قال فجعل المغيرة يطعن برمحه فى بسطهم يخرقها ليتطيروا فيغضبهم بذلك حتى قام بين يديه وجعل يكلمه والترجمان يترجم بينهما فقال انكم معشر العرب أصابكم جهد فان شئتم مرناكم ورجعتم فتكلم المغيرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال انا معشر العرب كنا أذلة يطؤنا الناس ولا نطؤهم ونأكل الكلاب والجيف ثم ان الله تعالى بعث منا نبيا فى شرف منا أوسطنا حسبا وأصدقنا حديثا وبعث النبى صلى الله عليه وسلم بمثله وأخبرنا بأشياء وجدناها كما قال لنا وانه وعدنا فيما وعدنا به أنا سنملك ما ههنا ونغلب عليه وانى أرى ههنا هيئة وبزة ما من خلفى بتاركيها يصيبونها أو يموتوا فقالت لى نفسى لو جمعت جراميزى ووثبت فقعدت مع العلج على سريره حتى يتطير قال فوثبت وثبة فاذا أنا معه على سريره فجعلوا يلكزونى بأرجلهم ويجذبونى بأيديهم

أبو جعفر الخراز البطرني نعم ولكن للسعادة هبات وقد أنشدت مولانا قبل هذا أبياتا أقول فيها

وما زلت أجني منك والدهر ممحل * ولا ثمر يجنى ولا الزرع يحصد
ثمارا أيادداتيات قطوفها * لأغصانها ظل علي ممدد
يرى جاريا ماء المكارم تحتها * وأطيار شكري فوقهن تغرد

فارتاح المعتصم وقال أأنت أنشدتني هذا قال نعم قال والله كأنها مامرت بسمعي الى الآن صدقت للسعد هبات ونحن نجيزك عليها بجائزتين الاولى لها والثانية لمطل واجبها وغمط احسانها انتهى * وقال بعض ذرية ملوك اشبيلية

نثر الورد بالخليج وقد درج أمواهه هبوب الرياح
مثل درع الكمي مزقها الطعن فسالت بها دماء الجراح

وقال ابن صارة في النارنج

كرات عقيق في غصون زبرجد * بكف نسيم الريح منها صوالج
نقبلها طورا وطورا نشمها * فهن خدود بيننا ونوافج

وقال أبو الحسن بن الزقاق ابن أخت ابن خفاجة

وماشق وجنته عابثا * ولكنها آية للبشر
جلاها لنا الله كما ترى * بها كيف كان انشقاق القمر

وقال

ضربوا ببطن الواديين قبابهم * بين الصوارم والقنا المياد
والورق تهتف حولهم طربا بهم * فبكل محنية ترنم شادي
يا بانة الوادي كفى حزنا بنا * أن لا نطارح غير بانة وادي

وقال

نحن في مجلس به كمل الانس ولو زرتنا لزاد كمالا
طلعت فيه من كئوس الحميا * ومن الزهر أنجم تتلالا
غير أن النجوم دون هلال * فلتكن منعما لهن الهلالا

وقال

وهويتها سمراء غنت وانثنت * فنظرت من ورقاء في أملودها
تشدو ووسواس الحلي يجيبها * مهما انثنت في وشيها وعقودها
أوليس من بدع الزمان حمامة * غنت فغنى طوقها في جيدها

وقال

لئن بكيت دما والعزم من شيمي * على الخليط فقد يبكي الحسام دما

وقال أبو تمام غالب بن رباح الحجام في دولاب طار منه لوح فوقف

وذات شدو ما الماحلم * كل فتى بالضمير حياها
وطار لوح بها فأوقفها * كلمعة العين حين أجراها

وكان المذكور رحي في قلعة رباح غربي طليطلة ولا يعلم له أب وتعلم الحجامة فأتقنها ثم تعلق بالأدب حتى صار آية وهو القائل في ثريا الجامع

تحكي الثريا الثريا في تألقها * وقد عراها نسيم فهي تتقد
كأنها النوى الايمان افئدة * من التخشع جوف الليل ترتعد

هكذا فقال الملك ان شئتم قطعنا اليكم وان شئتم قطعتم الينا فلت بل نقطع اليكم فقطعنا اليهم فقال فنسالوا كل خمسة وستة حتى لا تغزوا فدنونا اليهم فضايقناهم فرشقونا حتى أسرعوا فينا فقال المغيرة للنعمان انه قد أسرع في الناس وقد جرحوا فلو حملت فقال النعمان انك لذو مناقب وقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القتال وكان اذا لم يقاتل أول النهار انتظر حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر ثم قال اني هازلوائي ثلاث مرات فاما اول هزة فليقض الرجل حاجته وليتوضا وأما الثانية فلينظر الرجل الى شسعه وليلزم سلاحه فاذا هززت الثالثة فاحملوا ولا يلوين أحد على أحد وان قتل النعمان واني داع الى الله بدعوته واقسمت على كل امرئ منكم لما أمن عليها وقال اللهم ارزق النعمان اليوم شهادة في نصر وفتح عليهم فأمن القوم فهز ثلاثا ثم أدنى درعه وحمل ثم حمل الناس فكان أول صريع قال معقل فأتيت عليه فذكرت عزمة لا أقف عليها وعلمت علما لا أعرف مكانه ووضعنا القتل فيهم ووقع ذو الجناحين عن بغلة له شهباء فانشق

وقال
زرت الحبيب ولا شيء أحاذره * في ليلة قد لوت بالغمض أشفارا
في ليلة خلت من حسن كواكبها * دراهما وحسبت البدر دينارا

وقال في الثريا أيضا

انظر الى سرج في الليل مشرقة * من الزجاج تراها وهي تلتهب
كأنها ألسن الحيات قد برزت * عند الهجير فما تنفك تضطرب

وقال
ترى النسر والقتلى على عدد الحصا * وقد مزقت أحشاءها والترائبا
مضرجة مما أكلن كأنها * عجائز بالحناء خضبن ذوائبا

وقال وقد أبدع غاية الابداع وأتى بما يحير الالباب وان كان أبو نواس فاتح هذا الباب

وكأس ترى كسرى بها في قرارة * غريقا ولكن في خليج من الخمر
وما صورته فارس عبثا به * ولكنهم جاؤا بأخفى من السحر
أشاروا بما كانوا له في حياته * فتومي اليه بالسجود وما تدري

وما أحلى قوله

الا فعوان رمى عليك ظلامة * لما عففت عليه بالمسواك
لا يحمل النور الانيق تمسه * كف بعود بشامة واراك
وجلاؤه المخلوق فيه قد كفى * من أن يراع عراره بسواك

وقوله
صغار الناس أكثرهم فسادا * وليس لهم لصالحة نهوض
ألم ترفي سباع الطير سرا * تسالمنا وأكلنا البعوض

وقد بلغ غاية الاحسان في قوله

فما الملك ليس يرى مكاني * وقد كحلت لواحظه بنوري
كذا المسواك مطرحا مهانا * وقد أبقى جلاه في الثغور

ومن حسناته قوله

لي صاحب لا كان من صاحب * فانه في كبدي جرحه
يحكي اذا أبصر لي زلة * ذبابة تضرب في قرحه

ولقيه أبو حاتم الحجاري على فرس في غاية الضعف والرذالة قد أهلكها الوجى وكانا في جماعتين فقال له يا أبا تمام أنشدني قولك

وتحتي ريح تسبق الريح ان جرت * وما خلت أن الريح ذات قوائم
لها في المدى سبق الى كل غاية * كأن لها سبقا يفوق عزائمي
وهمة نفسي نزهتها عن الوجى * فيا عجبا حتى العلا في البهائم

فلما أنشده اياها رد رأسه أبو حاتم الى الجماعتين وقال ناشدتكم الله أيجوز لحجام على فرس مثل هذه الرمكة المهزولة العرجاء أن يقول مثل هذا فضحك جميع من حضر وأقبل أبو تمام من غيظه يسبه ومن شعر الحجام المذكور قوله

لا يفخر السيف والاقلام في يده * قد صار قطع سيوف الهند للقصب
فان يكن أصلها لم يقو قوتها * فان في الخمر معنى ليس في العنب

بطانه وفتح الله على المسلمين فأتيت الى مكان النعمان فصادفته وبه رمق فأثبته باداوة فغسلت وجهه فقال من هذا قلت معقل بن يسار قال ما فعل الله بالناس قالت فتح الله عليهم قال الحمد لله كثيرا اكتبوا بذلك الى عمر وفاضت نفسه واجتمع الناس الى الاشعث ابن قيس وأرسلوا الى أم ولده هل عهد اليك النعمان عهدا أم عندك كتاب قالت سفط فيه كتاب فأخرجوه فاذا فيه ان قتل فلان ففلان وان قتل فلان ففلان فاقتتلوا وفتح الله على المسلمين فتحا عظيما (قال المسعودي) رحمه الله وهذه وقعة بنهاوند وقد كان للاعاجم جمع كثير وقتل هناك من المسلمين خلق كثير منهم النعمان بن مقرن وعمرو بن معديكرب وغيرهم وقبورهم الى هذا الوقت مبنية معروفة على نحو فرسخ من نهاوند فيما بينها وبين الدينور وقد أتينا على وصف هذه الوقعة فيما سلف من كتبنا (وذكر) أبو مخنف لوط بن يحيى قال لما قدم عمرو بن معديكرب من الكوفة على عمر سأله عن سعد بن أبي وقاص فقال فيه ما قال من الثناء ثم سأله عن السلاح فأخبره بما علم ثم سأله عن قومه فقال له أخبرني عن قومك مذحج ودع طيا قال سلني عن أيهم شئت قال أخبرني عن مسلمة بن

وقال

وقال
ثقلت على الاعداء الا انها * خفت على السباب والابهام
أخذت من الليل البهيم سواده * وبدت تمزق أوجه الايام

وقال
نظر الحسود فازدرى لي هيئة * والفضل مني لا يزال مبينا
قبحت صفاتي من تغير وده * صدأ المراة يقبح التحسينا

وقال
تصبروا ان أبدى العدو مذمة * فهما رمي ترجع اليه سهامه
كما يفعل النحل الملم بلسعه * يريد به ضرا وفيه حمامه

وقال
وبارد الشعر لم يؤلم به ولقد * أضر منه بجميع الناس واعتزلا
كانه الصل لا تؤذيه ريقته * حتى اذا مجها في غيره قتلا

وقال ابن الزقاق
دعاك خليل والاصيل كانه * عليل يقضي مدة الرمق الباقي
الى شط منساب كانك ماؤه * صفاء ضمير أو عذوبة أخلاق
ومهوى جناح للصبا يمسح الربا * خفي الخوافي والقوادم خفاق
على حين راح البرق في الجو مغمدا * ظباه ودمع المزن من جفنه راق
وقد حان مني للرياض التفاتة * حبست بها كاسي قليلا عن الساقي
على سطح خيري ذكرتك فانثني * يميل بأعناق ويرنو بأحداق
فصل زهرات منه هذا كانها * وقد خضلت قطر محاجر عشاق

ولما مدح الحسيب أبو القاسم بن سعدة الاوسي أمير المؤمنين عبد المؤمن بقوله
حنانيك مدعوا ولبيك داعيا * فكل بما ترضاه أصبح راضيا
طلعت على أرجائنا بعد فترة * وقد بلغت منا النفوس التراقيا
وقد كثرت منا سيوف لدى العلا * ومن سيفك المنصور نبغي التقاضيا
وغيرك نادينا زمانا فلم يجب * وعزمك لم يحتج علاه مناديا

كتب اسمه وزير عبد المؤمن في جملة الشعراء فلما وقف على ذلك عبد المؤمن ضرب على اسمه وقال انما يكتب اسم هذا في جملة الحساب لا تدنسوه بهذه النسبة فلسنا ممن يتغاضى على غمط حسبه ثم أجزل صلته وأمر له بضيعة يحرث له بها يعني بذلك انه من ذرية ملوك لان جده كان ملك وادي الحجارة * وقال أبو بكر محمد بن أزرق
هل علم الطائر في ايكه * بأن قلبي للحمى طائر
ذكرني عهد الصبا شجوه * وكل صب للصبا ذاكر
سقى عهود الهم بالحمى * دمع له ذكرهم ناثر

وقال أبو جعفر بن ازرق
أراك ملكت الخافقين مهابة * بها ما تلي الشهب بالخفقان
وتغضي العيون عن سناك كانه * تقابل منك الشمس في اللمعان
وتصفر ألوان العداة كانما * رموا منك طول الدهر باليرقان

وقال أبو القاسم بن أزرق

خالقال هم فرسان اعراضنا وشفاة امراضنا وهم أعتقنا وأنجبنا وأسرعنا ٢٠٣ طلبا وأقلنا هربا وهم أهل
الصباح والسماح والرماح قال عمر فما أبقيت لبعد العشيرة قال هم أعظمنا خميسا وأسخانا نفوسا وخيرنا رئيسا قال فما أبقيت لمراد قال هم أوسعنا دارا وخيرنا جارا وأبعدنا ثارا وهم الاتقياء البررة والساعون الفخرة قال فاخبرني عن بني زبيد قال أنا عليهم ضنين ولو سألت الناس عنهم لقالوا هم الرأس والناس الاذناب قال فأخبرني عن طيء قال خصوا بالجود وهم جمرة العرب قال فما تقول في عبس قال هم عظيم وزين أثير قال أخبرني عن حمير قال رعوا العفو وشربوا الصفو قال فاخبرني عن كندة قال ساسوا العباد وتمكنوا من البلاد قال فاخبرني عن همدان قال أبناء الليل وأهل النيل يمنعون الجار ويوفون الذمار قال فاخبرني عن الازد قال هم أقدمنا ميلادا وأوسعنا بلادا قال فأخبرني عن الحرث بن كعب قال هم الحسكة المسكة تلقى المنايا على أطراف رماحهم قال فاخبرني عن لخم قال آخرنا ملكا وأولنا هلكا قال فاخبرني عن جذام قال أولئك كالعجوز العيراء
وهم أهل مقال وفعال قال فاخبرني عن غسان قال أرباب في الجاهلية نجوم في الاسلام قال

فأخبرني عن الاوس والخزرج قال هم الانصار وهم أعز نادارا وأمنعنا ذمارا وقد كفانا الله مدحهم اذ يقول والذين تبوّؤا الدار والايمان الآية قال فأخبرني عن خزاعة قال أولئك مع كنانة لنا نسبهم وبهم نصرنا قال فأي العرب أبغض اليك أن تلقاه قال أما من قومي فوادعة من همدان وغطيف من مراد وبلحرث من مذحج وأما من معد فعدى من فزارة ومرة من ذبيان وكلاب من عامر وشيبان من بكر ابن وائل ثم لو جلت بفرسي على مياه معد ماخفت هيج أحد مالم يلقني حراها وعبداها قال ومن حراها وعبداها قال أما حراها فعامر بن الطفيل وعيينة ابن الحرث بن شهاب التيمي وأما عبداها فعنترة وسليك ثم سأله عن الحرب فقال سألت عنها خبيرا هي والله يا أمير المؤمنين مرة المذاق اذا شمرت عن ساق من صبر فيها ظفر ومن ضعف فيها هلك قلت ولقد أحسن واصفها وأجاد

الحرب أول ما تكون فتية
تبدو بزينتها لكل جهول
حتى اذا حميت وشب ضرامها
عادت عجوزا غير ذات حليل
شمطاء جزت رأسها وتنكرت
مكروهة للشم والتقبيل

ثم سأله عن السلاح فأخبره حتى بلغ السيف قال هنالك قارعتك أمك عن ثكلها فعلاه عمر بالدرة وقال بل

ذاك الزمان الذي تقضى * ياليته عاد منه حين
بكل عمري الذي تبقى * وما أنا في الشراغبين

وقال راشد بن عريف الكاتب

جمع في مجلس ندامى * تحسد في غيم النجوم
فقال لي منهم نديم * مالك اذ قمت لا تقوم
فقلت ان قمت كل حين * فان حظي بكم عظيم
وليس عندي اذن ندامي * بل عندي المقعد المقيم

وقال الحسيب أبو جعفر بن عائش

ولي أخ أوردة سلسلا * لكنه يورد في مالحا
ألقاه كي أبسطه ضاحكا * ويلتقيني أبدا كالحا
وليس ينفك عناني به * مارمت من فاسده صالحا

قال الحجاري وكتب الى جدي ابراهيم في يوم صحو بعد مطر

اذا رأيت الجو يصحو فلا * تصحو سقاك الله من سكر
تعال فانظر لدموع الندى * مافعلت في مبسم الزهر
ولا تقل انك في شاغل * فليس هذا آخر الدهر
تخلف ما فات سوى ساعة * تقتص فيها لذة الخمر

فأجابه

لبيك لبيك ولو أنني * أسعى على الراس الى مصر
فكيف والدار جواري وما * عندي من شغل ولا عذر
ولو غدا ألف شغل بلا * عذر تركت الكل للعشر
وكلما أبصرني ناظر * يا بأبكم عظم من قدري
الا الذي يشرب هادائما * ماحضرت في الصحو والقطر
وليس نقلي أبدا بعدها * الا الذي يعهد من شكري

قال وفيه يقول جدي يمدحه

ولو كان ثان في الندى لابن عائش * لما كان في شرق وغرب أخو فقر
يهش الى الامداح كالغصن للصبا * ونشر محياه ينوب عن الزهر
فيا رب زد في عمره ان عمره * حياة أناس قد كفوا كلفة الدهر

وقتله ابن مسعدة ملك وادي الحجارة الثائر بها ولما قدمه ليقتله قال ارفق على حتى أخاصم عن نفسي فقال على لسانك قتلناك فقال له لا رفق الله عليك يوم تحتاج الى رفقه فقال بجبروتيته ما رهبنا السيوف الحداد ونرهب دعاء الحداد وقال أبو الحسن علي بن شعيب

انزعي الوشي فهو يستر حسنا * لم تحزه برقهن الثياب
ودعيني عسى اقبل ثغرا * لذ فيه الى وطاب الرضاب
وعجيب أن تهجريني ظلما * وشفيعي الى صباك الشباب

أمك قارعتك والله انى لاهم أن أقطع لسانك فقال الحى أصرعتنى اليوم وخرج من عنده وهو يقول

وقال اخوه ابو حامد الحسين حين كبا به فرسه فحصل فى اسر العدو

وكنت اعد طرفى للرزايا * يخلصنى اذا جعلت تحوم
فاصبح للعدا عونا لانى * املت عناءه فانا الظلوم
وكم دامت مسراتى عليه * وهل شئ على الدنيا يدوم

وقال ابو الحسن على بن رجا صاحب دار السكة والاحباس بقرطبة

ياسائلى عن حالتى انى * لا اشتكى حالى لمن يضعف
مع انى احذر من نقده * لا سيما ان كان لا ينصف

وانشد له الحميدى فى الجذوة

قل لمن نال عرض من لم ينله * حسبنا ذو الجلال والاكرام
لم يزدنى شيأ سوى حسنات * لا ولا نفسه سوى آثام
كان ذا منعة فنقل ميزا * نى بهذا فصار من خدامى

وقال ابو محمد القاسم بن الفتح

ايام عمرك تذهب * وجميع سعيك يكتب
ثم الشهيد عليك منك فاين اين المهرب

وقال ابو مروان عامر بن غصن

فديتك لا تخف منى سلوا * اذا ما غير الشعر الصغارا
اهيم بدن خمر صار خلا * واهوى لحية كانت عذارا

وقال

قد لحف الغيم بانسكابه * والتحف الجو فى سحابه
وقام داعى السرور يدعو * حى على الدن وانتهابه
وتاه فيه النديم مما * يزدحم الناس عند بابه

وكان أحد الاعلام فى الآداب والتاريخ والتأليف ونقم عليه المأمون بن ذى النون بسبب صحبته لرئيس بلده ابى عبيدة و بلغه انه يقع فيه فنكبه اشر نكبة وحبسه فكتب اليه من السجن

فديتك هل لى منك رحمى لعلنى * أفارق قبرا فى الحياة فانشر
وليس عقاب المذنبين بمنكر * ولكن دوام السخط والعتب منكر
ومن عجب قول العداة مثقل * ومثلى فى الحاجة الدهر يعذر

والف للمأمون رسالة السجن والمسجون والحزن والمحزون ورسالة اخرى سماها بالعشر كلمات وقال

ياقتية خيرة فدتهم * من حادثات الزمان نفسى
شربهم الخمر فى بكور * ونطقهم عندها بهمس
أما ترون الشتاء يلقى * فى الارض بسطا من الدمقس
مقطب عابس ينادى * يوم سرور و يوم انس

وأخبر عنه الحميدى فى الجذوة انه شاعر أديب دخل المشرق وتأدب وحج ورجع وشعره كثير

أتوعدنى كأنك ذو رعين * بانعم عيشة أو ذى نواس
فكم قد كان قبلك من مليك * عظيم ظاهر الجبروت قاسى
فأصبح أهله بادوا وأمسى * ينقل من أناس فى أناس
فلا يغررك ملك كل ملك * يصير مذلة بعد الشماس

قال فاعتذر عمر اليه وقال ما فعلت ما فعلته الا لتعلم أن الاسلام أفضل وأعز من الجاهلية وفضله ... الوفد وقد كان عمر آنس عمرا بعد ذلك وأقبل يسائله ويذاكره الحروب وأخبار فى الجاهلية فقال له عمر ياعمرو هل انصرفت عن فارس قط فى الجاهلية هيبة له قال نعم والله ما كنت أستحل الكذب فى الجاهلية فكيف أستحله فى الاسلام لاحدثنك حديثا لم أحدث به أحدا قبلك خرجت فى جريدة خيل لبنى زبيد أريد الغارة فاتينا قوما سراة فقال عمر كيف عرفت أنهم سراة قال رأيت مزاود وقدورا مكفأة وقباب أدم حمرا ونعما كثيرا وشاء قال عمرو فاهويت الى أعظمها قبة بعد ما حوينا السبى وكان منتبذا من البيوت واذا امرأة بادية الجمال على فرش لها فلما نظرت الى والى الخيل استعبرت فقلت ما يبكيك قالت والله ما أبكى على نفسى ولكنى أبكى

ذاك الزمان الذي تقضى * ياليته عاد منه حين
بكل عمري الذي تبقى * وما أنا في الشرا غبين

وقال راشد بن عريف الكاتب

جمع في مجلس ندامى * تحسدني فيهم النجوم
فقال لي منهم نديم * مالك اذ قمت لا تقوم
فقلت ان قمت كل حين * فان حظي بكم عظيم
وليس عندي اذن ندامى * بل عندي المقعد المقيم

وقال الحسيب أبو جعفر بن عائش

ولي أخ أورده سلسلا * لكنه يوردني مالحا
ألقاه كي أبسطه ضاحكا * ويلتقيني أبدا كالحا
وليس ينفك عنائي به * مارمت من فاسده صالحا

قال الحجاري وكتب الى جدي ابراهيم في يوم صحو بعد مطر

اذا رأيت الجو يصحو فلا * تصحو سقاك الله من سكر
تعال فانظر لدموع الندى * مافعلت في مبسم الزهر
ولا تقل انك في شاغل * فليس هذا آخر الدهر
تخلف مافات سوى ساعة * تقتض فيها لذة الخمر

فأجابه

لبيك لبيك ولو أنني * أسعى على الرأس الى مصر
فكيف والدار جواري وما * عندي من شغل ولا عذر
ولو غدا الى ألف شغل بلا * عذر تركت الكل للعشر
وكلما أبصرني ناظر * يبابكم عظم من قدري
الا الذي يشرب هادائما * ماحضرت في الصحو والقطر
وليس تقلى أبدا بعدها * الا الذي يعهد من شكري

قال وفيه يقول جدي يمدحه

ولو كان ثان في الندى لابن عائش * لما كان في شرق وغرب أخو فقر
يهش الى الامداح كالغصن للصبا * ونشر محياه ينوب عن الزهر
فيارب زد في عمره ان عمره * حياة أناس قد كفوا كلفة الدهر

وقتله ابن مسعدة ملك وادي الحجارة الثائر بها ولما قدمه ليقتله قال ارفق على حتى أخاصم عن نفسي فقال على لسانك قتلناك فقال له لا رفق الله عليك يوم تحتاج الى رفقه فقال بجبر وتيته مارهبنا السيوف الحداد ونرهب دعاء الحساد وقال أبو الحسن علي بن شعيب

انزعي الوشي فهو يستر حسنا * لم تحزه برقهن الثياب
ودعيني عسى أقبل ثغرا * لذ فيه المى وطاب الرضاب
وعجيب أن تهجريني ظلما * وشفيعي الى صباك الشباب

فأخبرني عن الاوس والخزرج قال هم الانصار وهم أعز نادارا وأمنعا ذمارا وقد كفانا القصد بهم اذ يقول والذين تبوؤا الدار والايمان الآية قال فأخبرني عن خزاعة قال أولئك مع كنانة لنا نسبهم وبهم نصرنا قال فأي العرب أبغض اليك أن تلقاه قال أما من قومي فوادعة من همدان وغطيف من مراد وبلحرث من مذحج وأما من معد فعدي من فزارة ومرة من ذبيان وكلاب من عامر وشيبان من بكر ابن وائل ثم لو جلت بفرسي على مياه معد ماخفت هيج أحد مالم يلقني حراها وعبداها قال ومن حراها وعبداها قال أما حراها فعامر بن الطفيل وعيينة ابن الحرث بن شهاب التيمي وأما عبداها فعنترة وسليك ثم سأله عن الحرب فقال سألت عنها خبيرا هي والله ياأمير المؤمنين مرة المذاق اذا شمرت عن ساق من صبر فيها ظفر ومن ضعف فيها هلك قلت ولقد أحسن واصفها وأجاد

الحرب أول ماتكون فتية * تبدو بزينتها لكل جهول
حتى اذا حميت وشب ضرامها * عادت عجوزا غير ذات حليل
شمطاء جزت رأسها وتنكرت * مكروهة للشم والتقبيل

ثم سأله عن السلاح فأخبره حتى بلغ السيف قال هنالك قارعتك أمك عن ثكلها فعلاه عمر بالدرة وقال بل

وقال

وقال اخوه ابو حامد الحسين حين كبا به فرسه فحصل في اسر العدو

وكنت اعد طرفي للرزايا * يخلصني اذا جعلت تحوم
فاصبح للعداعونا لاني * اطلت عناءه فانا الظلوم
وكم دامت مسراتي عليه * وهل شيء على الدنيا يدوم

وقال ابو الحسن علي بن رجاء صاحب دار السكة والاحباس بقرطبة

يا سائلي عن حالتي انني * لا اشتكي حالي لمن يضعف
مع انني احذر من نقده * لا سيما ان كان لا ينصف

وانشد له الحميدي في الجذوة

قل لمن نال عرض من لم ينله * حسبنا ذو الجلال والاكرام
لم يزدني شيأ سوى حسنات * لا ولا نفسه سوى آثام
كان ذا منعة فنقل ميزا * ني بهذا فصار من خدامي

وقال ابو محمد القاسم بن الفتح

ايام عمرك تذهب * وجميع سعيك يكتب
ثم الشهيد عليك منك فاين اين المهرب

وقال ابو مروان عامر بن غصن

فديتك لا تخف مني سلوا * اذا ما غير الشعر الصغارا
اهيم بدن خمر صار خلا * واهوى لحية كانت عذارا

وقال

قد لحف الغيم بانسكابه * والتحف الجو في سحابه
وقام داعي السرور يدعو * حي على الدن وانتهابه
وتاه فيه النديم مما * يزدحم الناس عند بابه

وكان احد الاعلام في الآداب والتواريخ والتاليف ونقم عليه المأمون بن ذي النون بسبب صحبته لرئيس بلده ابي عبيدة وبلغه انه يقع فيه فنكبه اشر نكبة وحبسه فكتب اليه من السجن

فديتك هل لي منك رحمى لعلني * أفارق قبراني الحياة فانشر
وايس عقاب المذنبين بمنكر * ولكن دوام السخط والعتب منكر
ومن عجب قول العداة مثقل * ومثلي في الحاجة الدهر يعذر

والف للمأمون رسالة السجن والمسجون والحزن والمحزون ورسالة اخرى سماها بالعشر كلمات وقال

يا فتية خيرة فدتهم * من حادثات الزمان نفسي
شربهم الخمر في بكور * ونطقهم عندها بهمس
أما ترون الشتاء يلقي * في الارض بسطا من الدمقس
فقطب عابس ينادي * يوم سرور ويوم انس

واخبر عنه الحميدي في الجذوة انه شاعر اديب دخل المشرق وتأدب وحج ورجع وشعره كثير

أمك فارعتك والله اني لاهم أن أقطع لسانك فقال الحمى أصرعتني اليوم وخرج من عنده وهو يقول

أتوعدني كانك ذو رعين
بانعم عيشة أو ذي نواس
فكم قد كان قبلك من مليك
عظيم ظاهر الجبروت قاسي
فأصبح أهله بادوا وأمسى
ينقل من أناس في أناس
فلا يغررك مالك كل ملك
يصير مذلة بعد الشماس

قال فاعتذر عمر اليه وقال ما فعلت ما فعلته الا لتعلم أن الاسلام أفضل وأعز من الجاهلية وفضله على الوفد وقد كان عمر آنس عمرا بعد ذلك وأقبل يسائله ويذاكره الحروب وأخبارها في الجاهلية فقال له عمر يا عمرو هل انصرفت عن فارس قط في الجاهلية هيبة له قال نعم والله ما كنت أستحل الكذب في الجاهلية فكيف أستحله في الاسلام لاحدثنك حديثا لم أحدث به أحدا قبلك خرجت في جريدة خيل لبني زبيد أريد الغارة فأتينا قوما باسراة فقال عمر كيف عرفت أنهم سراة قال رأيت مزاود وقدورا مكفأة وقباب أدم حمرا ونعما كثيرا وشاء قال عمرو فاهويت الى أعظمها قبة بعد ما حوينا السبي وكان متبددا من البيوت واذا امرأة بادية الجمال على فرش لها فلما نظرت الي والى الخيل استعبرت فقلت ما يبكيك قالت والله ما أبكي على نفسي ولكني أبكي

وله أبيات كتبها في طريق الحج الى أحد القضاة

يا قاضيا عدلا كأن أمامه * ملك يريه واضح المنهاج
طافت بعبدك في بلادك علة * قعدت به عن مقصد الحجاج
واعتل في البحر الاجاج فكن له * بحرا من المعروف غير أجاج

وقال الزاهد الورع المحدث أبو محمد اسمعيل بن الديواني

ألا أيها العائب المعتدي * ومن لم يزل مؤذيا ازدد
مساعيك يكتبها الكاتبون * فبيض كتابك أو سوّد

وقال ابنه أبو بكر

خاصم عدوك باللسا * ن وان قدرت فبالسنان
ان العداوة ليس يصلحها الخضوع مدى الزمان

وقال ابراهيم الحجاري جد صاحب المسهب

لئن كرهوا يوم الوداع فانني * أهيم به وجدا من أجل عناقه
أصافح من أهواه غير مساتر * وسر التلاقي مودع في فراقه

وقال

كن كما شئت انني لا أحول * غير مصغ لما يقول العذول
لك والله في الفؤاد محل * ماله مدى الزمان وصول
ومرادي بأن تزور خفيا * ليت شعري متى يكون السبيل

وقال

قد توالت في حالتينا الظنون * فلتصدق ما كذبته العيون
ومرادي أن تلوح بأفقي * بدر تم وذاك ما لا يكون
أنا قد دلت ما دعاني اليه * كثرة الياس والحديث شجون
واذا شئت أن تسفه رأيي * فهو لي من الرقيب مصون
وبه ما تشاء من كل معنى * كل من لم يجب له مجنون
والى كم تضل ليل الاماني * ومن الياس لاح صبح مبين

وقال

سألته عن أبيه * فقال خالي فلان
فانظر عجائب ما قد * أتت به الازمان
دهر عجيب لديه * عن المعالي حران
فماله غير ذم * كما تدين تدان

وقال الكاتب العالم أبو محمد بن خيرة الاشبيلي صاحب كتاب الريحان والريعان يمدح السيد أبا حفص ملك اشبيلية ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن من قصيدة

كأنما الافق صرح والنجوم به * كواعب وظلام الليل حاجبه
وللهلال اعتراض في مطالعه * كأنه أسود قد شاب حاجبه
وأقبل الصبح فاستحيت مشارقه * وأدبر الليل فاستخفت كواكبه
كالسيد الماجد الاعلى الهمام أبي * حفص لرحلته ضمت مضاربه

وأنشد له ابن الامام في سمط الجمان

الوادي فقلت لاصحابي لا تحدثوا شيئا حتى آتيكم ثم همزت فرسي حتى علوت كثيبا فاذا أنا بغلام أصهب الشعر أهدب أقنى أقب يخصف نعاله وسيفه بين يديه وفرسه عنده فلما نظر الي رمى النعل من يده ثم أحضر غير مكترث فأخذ سلاحه وأشرف على ثنية لما نظر الى الخيل محيطة ببيته ركب ثم أقبل نحوي وهو يقول

أقول لما منحتني فاها
والبستني بكرة رداها
اني سأحوي اليوم من حواها
فليت شعري اليوم من دهاها

فحملت عليه وأنا أقول

عمرو على طول الردى دهاها
بالخيل تتبعها على هواها
حتى اذا حل بها حواها

فاذا هو أروغ من هر فزاغ عني ثم حمل علي فضربني بسيفه ضربة جرحني فلما أفقت من ضربتي حملت عليه فزاغ والله ثم حمل علي ثم صرعني ثم استاق ما في أيدينا ثم استويت على فرسي فلما رآني أقبل وهو يقول

أنا عبيد الله محمود الشيم * وخير من يمشي بساق وقدم عدوه يفديه من كل السقم فحملت عليه وأنا أقول رعيا

رعيا لمنزله الخصيب وظله * وسقى الثرى النجدي سح ربابه
ولها على ساداته لا أدعي * كلفا بزينبه ولا بربابه

ويعرف رحمه الله تعالى بابن المواعيني * وقال ابنه أبو جعفر أحمد

يا أخي هاتها وجب سناها * عن مشيربها جفونا وسدفا
هذه الشمس ان بدت اضعف السعين زادت في ذلك الضعف ضعفا
انما شرب المدامة من ان * خشنت كفه جفاها وكفا

وكتب الوزير أبو الوليد اسمعيل بن حبيب الملقب بحبيب الى أبيه لما خلق الربيع من أخلاقك الغر وسرق زهره من شيمك الزهر حسن في كل عين منظره وطاب في كل سمع خبره وتاقت النفوس الى الراحة فيه ومالت الى الاشراف على بعض ما يحتويه من النور الذي بسط على الارض حللا لا ترى في أثنائها خللا سلوك نثرت على الثرى وقد ملئت مسكا وعنبرا ان تسمتها فأوجه أو توسمتها فبهجه

فالارض في بردة من يانع الزهر * تزري اذا قستها بالوشي والحبر
قد أحكمتها أكف المزن واكفة * وطرزتها بما تهمي من الدرر
تبرجت فسبت منا العيون هوى * وفتنة بعد طول الستر والخفر

فأوجد لي سبيلا الى اعمال بصري فيها لاجلو بصيرتي بمحاسن نواحيها والفصل على أن يكمل أوانه وبتصرم وقته وزمانه فلا نخلي من بعض التشفي منه لاصدر نفسي متيقظة عنه فالنفوس تصدأ كما يصدأ الحديد ومن سعى في جلاء صدئها فهو الرشيد السديد ومن شعره يصف وردا بعث به الى أبيه

يا من تأزر بالمكارم وارتدى * بالمجد والفضل الرفيع الفائق
انظر الى خد الربيع مركبا * في وجه هذا المهرجان الرائق
ورد تقدم اذ تأخر واغتدى * في الحسن والاحسان أول سابق
وافاك مشتملا بثوب حيائه * خجلا لأن حياك آخر لاحق

وله

أرى الباقلاء الباقل اللون لابسا * جرود سماء من سمائها غذي
ترى نوره يلتاح في ورقاته * كبلق جياد في جلال زمرد

وقال

اذا ما أدرت كؤس الهوى * ففي شربها لست بالمؤتلي
مدام تعتق للناظرين * وتلك تعتق بالارجل

وكان وهو ابن سبع عشرة سنة ينظم النظم الفائق وينثر النثر الرائق وأبو جعفر بن الابار هو الذي صقل مرآته وأقام قناته وأطلعه شهابا ثاقبا وسلك به الى فنون الآداب طريقا لاحبا وله كتاب سماه بالبديع في فصل الربيع جمع فيه أشعار أهل الاندلس خاصة أعرب فيه عن أدب غزير وحظ من الادب موفور وتوفي وهو ابن اثنتين وعشرين سنة واستوزره داهية الفتنة ورحى المحنة قاضي اشبيلية عباد جد المعتمد ولم يزل يصغي الى مقاله ويرضى بفعاله وهو ما جاوز العشرين اذ ذاك وأكثر نظمه ونثره في الازاهر وذلك يدل على رقة نفسه رحمه الله تعالى * وقال الوزير الكاتب أبو الحسن علي بن حصن

أتركهما على ظهر وضم فزاع والله عني ثم حمل على فضربني ضربة أخرى ثم صرخ صرخة ورأيت الموت والله يا أمير المؤمنين ليس دونه شيء وخفته خوفا لم أخف قط احدا مثله وقلت له من أنت ثكلتك أمك فوالله ما اجترأ على أحد قط الاعامر بن الطفيل لاعجابه بنفسه وعمرو بن كلثوم لسنه وتجربته فمن أنت قال بل من أنت خبرني والا قتلتك قلت أنا عمرو ابن معديكرب قال وأنا ربيعة بن مكدم قلت اختر مني احدى ثلاث خصال ان شئت اجتلدنا بسيفينا حتى يموت الاعجز منا وان شئت اصطرعنا وان شئت السلم وانت يا ابن أخي حدث فدجرحتني جراحتين ولا بر الان بي فوالله ما كف عني حتى نزلت عن فرسي فاخذ بعنانه ثم أخذ بيدي في يده وانصرفنا الى الحي وأنا أجرجلي حتى طلعت علينا الخيل فلما رأوني غمز واخيولهم الى فنا ديتهم الكم وأرادوا ربيعة فضي والله كانه ليث حتى شقهم ثم أقبل على فقال يا عمرو لعل أصحابك يريدون غير الذي تريد فصحت والله القوم ما فيهم أحد ينطق وأعظموا ما رأوا منه فقلت يا ربيعة بن مكدم لا يريدون الا خيرا

وزير المعتضد بن عباد

عـلى أن أتذلل * له وأن يتـذلل

خد كأن الثريا * عليه قرط مسلسل

وقال

طل على خده العذار * فافتضح الآس والبهار

وابيض ذا واسود هذا * فاجتمع الليل والنهار

وقال الوزير أبو الوليد بن طريف في المعتمد بعد خلعه

يا آل عباد الاعطفة * فالدهر من بعدكم مظلم

من الذي يرجى لنيل العلا * ومن اليه يفد المعدم

ما أنكر الدهر سوى أنه * بجودكم في فعله يزعم

وله

من حلقت لحية جار له * فليسكب الماء على لحيته

وقد أجرينا في هذا الكتاب ذكر جملة من أخبار المعتمد بن عباد ونظمه في أماكن متعددة فلتراجع ومن نظمه

ثلاثة منعتها عن زيارتنا * خوف الرقيب وخوف الحاسد الحنق

ضوء الجبين ووسواس الحلي وما * تحوي معاطفها من عنبر عبق

هب الجبين بفضل الكم تستره * والحلي تنزعه ما حيلة العرق

وقال

يوم يقول الرسول قد أذنت * فأت على غير رقبة ولج

أقبلت أهوى الى رحالهم * أهدى اليها بريحها الارج

قال ويستدل على الملوكية بالطيب في المواطن التي يكون الناس فيها غير معروفين كالحمام ومعارك الحرب ومواسم الحج (رجع) الى ما كنا فيه وقال أبو العباس أحمد الخزرجي القرطبي

وفي الوجنات ما في الروض لكن * لرونق زهرها معنى عجيب

وأعجب ما التعجب منه أني * أرى البستان يحمله قضيب

وقال الوزير أبو سليمان بن أبي أمية يخاطب رئيسا قد بلغه عن بعض أصحابه كلام فيه غض منه

هون عليك كلامه * واسمع له فيمن سمع

ماذا يسوءك ان هجا * ماذا يسرك ان مدح

أوما علمت بلى جهلت بأنه غل طمع

وخفي حقد كامن * دأبوا له حتى اتضح

هذا ابن تين الوقا * ر فكيف لو دار القدح

فاشكر عوارف ذي الجلا * ل عما وقى وعما منح

وقال أبو علي عمر بن أبي خالد يخاطب أبا الحسن علي بن الفضل

أبا حسن وما قدمت عهود * لنا بين المنارة والجزيره

أتذكر أنسنا والليل داج * بخمر في زجاجتها منيره

وانما سميته ليعرفه القوم فقال لهم ماتريدون فقالوا ومانريد قد جرحت فارس العرب وأخذت سيفه وفرسه ومضى ومضينا معه حتى نزل فقامت اليه صاحبته وهي ضاحكة تمسح وجهه ثم أمر بابل فنحرت فضربت علينا قباب فلما أمسينا جاءت الرعاء ومعهم أفراس لربيعة لم أر مثلها قط قال أما لو كان عندي بعضها مالبثت في الدنيا الا قليلا لانحلث وما ينطق أحد من أصحابي فاقمنا عنده يومين ثم انصرفنا (قال) وقد كان عمرو بن معديكرب بعد ذلك بزمان أغار على كنانة في صناديد قومه فأخذ غنائمهم وأخذ امرأة ربيعة ابن مكدم فبلغ ذلك ربيعة وكان غير بعيد فركب في الطلب على فرس عرى ومعه رمح بلا سنان حتى لحقه فلما نظر اليه قال يا عمرو خل عن الظعينة وما معك فلم يلتفت اليه ثم أعاد اليه فلم يلتفت اليه فقال يا عمرو وأما تقف فوقف عمرو وقال لقد أنصف القارة من راماها قف لي يا ابن أخي فوقف له ربيعة فحمل عليه عمرو وهو يقول

أنا ابن ثوار ووقاف الزلق

لست بمأفون ولا في خرق

وأسد القوم اذا احمر الحدق * اذا الرجال عضهم ناب الفرق * وجدتني بالسيف هتاك الخلق

اذا

اذا الملاح ضلل ربانا اليها * فابصر في مناحيه مسيره

وقال الكاتب عبد الله المهيريس وكان حلو النادرة لما شرب عند الوزير أبي العلاء بن جامع وقد نظر الى فاختة فأعجبه حسنها ولحنها

ألا خذها اليك أبا العلاء * على الامداح ترفل في الثناء
وهبها قينة تجلى عروسا * خضيب الكف قانية الرداء
لأجعلها محل جليس انسي * واغنى بالهديل عن الغناء

وحكى انه ناوله ليمونة وأمره بالقول فيها فقال

أهدى الى بروضة ليمونة * وأشار بالتشبيه فعل السيد
فصمت حينا ثم قلت كجلجل * من فضة تعلوه صفرة عسجد

وقال الكاتب ابو بكر بن الباء يرثي احد بني عبد المؤمن وقد عزل من بلنسية وولى اشبيلية ومات بها

كانك من جنس الكواكب لم تكن * تفارق طلوعا حالها وتواريا
تجليت عن شرق تروق تلألؤا * فلما انتحيت الغرب أصبحت هاويا

وكان محمد بن مروان بن زهر كما في المغرب والمسهب والمطرب وقد قدمنا بعض أخباره منشأ الدولة العبادية أول من تثنى عليه الخناصر وتستحسنه البواصر فضاقت الدولة العبادية عن مكانه وأخرج عن بلده فاستصفيت أمواله فلحق بشرق الاندلس وأقام فيه بقية عمره ونشأ ابنه الوزير ابو مروان عبد الملك بن محمد فبلغ اشده حتى سد مسده ومال الى التفنن في انواع التعاليم من الطب وغيره ورحل الى المشرق لاداء الفرض فلا البلاد جلالة ونشأ ابنه أبو العلاء زهر بن عبد الملك فاخترع فضلا لم يكن في الحساب وشرع نبلا قصرت عنه نتائج اولي الالباب ونشأ بشرق الاندلس والآفاق تتهادى عجائبه والشام والعراق تتدارس بدائعه وغرائبه ومال الى علم الابدان فلولا جلالة قدره لقلنا جاذب هاروت طرفا من سحره ولولا ان الغلو آفة المديح لما اكتفى فيه بالكناية عن التصريح ولم يزل مقيما بشرق الاندلس الى ان كان من غزاة امير المسلمين يوسف بن تاشفين ومن انضم اليه من ملوك الطوائف ما علم وشخص أبو العلاء معهم فلقيه المعتمد بن عباد واستماله واستهواه وكاد يغلب على هواه وتصرف عليه املاكه فحن الى وطنه حنين الكئيب الى عطنه والكريم الى سكنه ونزع الى مقر سلفه نزوع الكوكب الى بيت شرفه الا انه لم يستقر باشبيلية الا بعد خلع المعتمد وحل عند يوسف بن تاشفين محلا لم يحله الماء من العطشان ولا الروح من جسد الجبان ولما كتب اليه حسام الدولة بن رزين ملك السهلة بقوله

عاد اللئيم فانت من اعدائه * ودع الحسود بغله وبدائه
لا كان الامن غدت أعداؤه * مشغولة أفواههم بحفائه
أأبا العلاء لئن حسدت لطالما * حسد الكريم بجوده ووفائه
نفر العلاء فكنت من آبائه * وزها السناء فكنت من أبنائه
كن كيف شئت مشاهدا أو غائبا * لا كان قلب لست في سودائه

ثم وقف له عمرو فحمل عليه ربيعة وهو يقول أنا الغلام بن الكناني لا ابذخ كم من هزبر قد رآني فانشدخ فقرع بالرمح رأسه ثم قال خذها اليك يا عمرو ولولا اني اكره قتل مثلك لقتلتك فقال عمرو لا ينصرف الا احدنا فقف لي فحمل عليه حتى اذا ظن انه قد خالطه السنان اذا هو حزام لفرسه ثم حمل عليه ربيعة فقرع بالرمح راسه ايضا وقال خذها اليك يا عمرو ثانية واغا العفو مرتان وصاحت به امراته السنان لله درك فاخرج سنانا من مسبل ازاره كانه شعلة نار فركبه على رمحه فلما نظر اليه عمرو وذكر طعنته بلا سنان قال له عمرو خذ الغنيمة قال دعها وانج فقالت بنو زبيد اتترك غنيمتنا لهذا الغلام فقال لهم عمرو يا بني زبيد والله لقد رأيت الموت الاحمر في سنانه وسمعت صريره في تركيبه فقالت بنو زبيد لا يتحدث العرب ان قوما من بني زبيد فيهم عمرو بن معديكرب تركوا غنيمتهم لمثل هذا الغلام قال عمرو انه لا طاقة لكم به وما رأيت مثله قط

فانصرفوا عنه واخذ ربيعة امرأته والغنيمة وعاد الى قومه (قال المسعودي) رحمه الله تعالى ولعمر بن الخطاب رضي الله تعالى

أجابه

يا صارماً حسم العدا أعضائه * وتعبد الأحرار حسن وفائه

ما أثر العضب الحسام بذاته * الا بأن سميت من أسمائه

وكافه الحسام المذكور القول في غلام قائم على رأسه وقد عذر فقال

محيت آية النهار فأضحى * بدر تم وكان شمس نهار

كان يعشي العيون نارا الى أن * أشغل الله خده بالعذار

وقال

عذار ألم فأبدى لنا * بدائع كنا لها في عمى

ولو لم يجن النهار الظلا * م لم يستبن كوكب في السما

وقال

يا راشقي بسهام ما لها غرض * الا الفؤاد وما منه له عوض

وممرضي بجفون لحظها غنج * صحت وفي طبعها التمريض والمرض

أمنن ولو بخيال منك يؤنسني * فقد يسد مسد الجوهر العرض

وهذا معنى في غاية الحسن وكان بينه وبين الامام أبي بكر بن باجة بسبب المشاركة ما يكون بين النار والماء والارض والسماء ولما قال فيه ابن باجة

يا ملك الموت وابن زهر * جاوزتما الحد والنهايه

ترفقا بالورى قليلا * في واحد منكما الكفايه

قال أبو العلاء

لابد للزنديق أن يصلبا * شاء الذي يعضده أو أبى

قد مهد الجذع له نفسه * وسدد الرمح اليه الشبا

والذي يعضده مالك بن وهيب جليس أمير المسلمين وعالمه وأما حفيده أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر فهو وزير اشبيلية وعظيمها وطبيبها وكريمها ومن شعره

ورمت كبدي أخت السماء فأقصدت * الا بأبي رام يصيب ولا يخطي

قريبة ما بين الخلاخيل ان مشت * بعيدة ما بين القلادة والقرط

نعمت بها حتى أتيحت لنا النوى * كذا شيم الايام تأخذ ما تعطي

وتوفي سنة خمس وتسعين وخمسمائة وأمر أن يكتب على قبره

تأمل بفضلك يا واقفا * ولاحظ مكانا دفعنا اليه

تراب الضريح على صفحتي * كأني لم أمش يوما عليه

أداوي الانام حذار المنون * فها أنا قد صرت رهنا لديه

رحمه الله تعالى وعفا عنه وفي هذه الابيات اشارة الى طبه ومعالجته للناس رحمه الله تعالى وقد ذكرت بعض أخباره في غير هذا الموضع وقال ابو الوليد بن حزم

مرآك مرآك لا شمس ولا قمر * وورد خديك لا ورد ولا زهر

في ذمة الله قلب أنت ساكنه * ان بنت بان فلا عين ولا أثر

وقال

لله أيام على وادي القرى * سلفت لنا والدهر ذو ألوان

اذ نجتني في ظله ثمر المنى * والطير ساجعة على الاغصان

والشمس تنظر من محاجر أرمد * والطل يركض في النسيم الواني

فلثمت فاه والتزمت عناقه * ويد الوصال على قفا الهجران

وقال

عنه اخبار كثيرة في أسفاره في الجاهلية الى الشام والعراق مع كثير من ملوك العرب والعجم وسير في الاسلام واخبار وسياسات حسان وما كان في ايامه من الكوائن والاحداث وفتوح مصر قد اتينا على مبسوطها في كتابنا اخبار الزمان والكتاب الاوسط وانما نذكر في هذا الكتاب لمعا لم نذكره فيما سلف من كتبنا وبالله التوفيق

(ذكر خلافة عثمان ابن عفان رضي الله تعالى عنه)

بويع يوم الجمعة غرة محرم سنة ثلاث وعشرين وقيل غير ذلك مما سنورده بعد هذا الموضع الى اثنين وعشرين من ذي الحجة سنة اربع وثلاثين فجميع ما ولي اثنتا عشرة سنة الا ثمانية ايام وقتل وهو ابن اثنتين وستين سنة ودفن بالمدينة بموضع يعرف بحش كوكب وكانت خلافته رضي الله تعالى اثنتي عشرة سنة الا ثمانية ايام

(وذكر نسبه ولمع من اخباره وسيره)

هو عثمان بن عفان بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف ويكنى بابي عبد الله وامه اروى بنت بكر بن جابر بن حبيب ابن عبد شمس وكان له من الولد عبد الله الاكبر وعبد الله الاصغر امهما رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابان وخالد وسعيد والوليد والمغيرة وعبد الملك

وقال ابن عبد ربه

ياقابض الكف لازالت مقبضة * فما أناملها للناس أرزاق
وغب اذا شئت حتى لاترى أبدا * فما لفقدك فى الاحشاء اقلاق

وقال فى المدح

وماخلقت كفاك الا لاربع * عقائل لم تخلق لهن يدان
لتقبيل أفواه واعطاء نائل * وتقليب هندى وحبس عنان

وقال الكاتب أبو عبد الله بن مصادق الرندى الاصل

صارمته اذ رأت عارضه * عادمن بعد الشباب أشيبا
قلت ماضرك شيب فلقد * بقيت فيه فكاهات الصبا
هو كالعنبر غال نفعه * وشذاه أخضرا أو اشهبا

وقال

ووردة وردت فى غير موقتها * والسحب قد هملت أجفانها هطلا
وانما الروض لما لم يفد ثمرا * يقريكه انفقدت فى خده خجلا

وله

لم أحتفل لقدوم العيد من زمن * قد كان يبهجنى اذ كنت فى وطنى
لم ألق أهلى ولا الفى ولا ولدى * فليت شعرى سرورى واقع بمن

وقال

يقول لى العاذل تب عن هوى * من ليس يدنيك الى مطلب
وكيف لى والدين دين الهوى * فلا أرى أرجع من مذهبى
ألدس باب التوب قد سده * طلوع شمسا من المغرب

وله

امنع كرائمك الخروج ولا * تظهر لذلك وجه منبسط
لاتعتبر منهن مسخطة * نيل الرضا فى ذلك السخط
أولسن مثل الدر فى شبه * والدر من صدف الى سفط

وقال المعتمد بن عباد

تم له الحسن بالعذار * واختلط الليل بالنهار
أخضر فى أبيض تبدى * فذاك آسى وذا بهارى
فقد حوى مجلسى تماما * ان يك من ريقه عقارى

وقال ابن فرج الجيانى رحمه الله تعالى

وطائعة الوصال صدرت عنها * وما الشيطان فيها بالمطاع
بدت فى الليل سافرة فباتت * دياجى الليل سافرة القناع
ومامن لحظة الا وفيها * الى فتن القلوب لها دواعى
فملكت الهوى جمحات قلبى * لأجرى فى العفاف على طباعى
كذاك الروض ما فيه لمثلى * سوى نظر وشم من متاع
ولست من السوائم مهملات * فأتخذ الرياض من المراعى

وقال

بأيهما أتاق الحسن بادى * بشكر الضيف أم طيف الرقاد
سرى لى فازدرى أملى ولكن * عففت فلم أنل منه مرادى

بجماله وحسنه وكان كثير التزوج كثير الطلاق وكان ابان ابرص احول قد حمل عنه اصحاب الحديث عدة من السنن وولى لبنى مروان مكة وغيرها وكان الوليد صاحب شراب وفتوة ومجون وقتل ابوه وهو مخلق الوجه سكران عليه مصبغات واسعة وبلغ عبد الله من السن ستا وسبعين عاما فنقره ديك على عينه فكان ذلك سبب موته وعبد الله مات صغيرا ولا عقب له (وكان عثمان) فى نهاية الجود والكرم والسماحة والبذل فى القريب والبعيد فسلك عماله وكثير من اهل عصره طريقته وتأسوا فى فعله وبنى داره فى المدينة وشيدها بالحجر والكلس وجعل ابوابها من الساج والعرعر واقتنى اموالا وجنانا وعيونا بالمدينة (وذكر) عبد الله بن عتبة ان عثمان يوم قتل كان عند خازنه من المال خمسون ومائة الف دينار والف الف درهم وقيمة ضياعه بوادى القرى وحنين وغيرهما مائة الف دينار وخلف خيلا كثيرا وابلا (وفى ايام عثمان) اقتنى جماعة من اصحابه الضياع والدور منهم الزبير بن العوام بنى داره بالبصرة وهى المعروفة فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة

وماذكر من دوره وضياعه فمعلوم غير مجهول الى هذه الغاية (وبلغ مال الزبير) بعد وفاته خمسين ألف دينار وخلف الزبير ألف فرس وألف عبد وألف امة وخططا بحيث ذكرنا من الامصار وكذلك طلحة ابن عبيد الله التيمي ابتنى داره بالكوفة المشهورة به هذا الوقت المعروفة بالكناس بدار الطلحتين وكانت غلته من العراق كل يوم ألف دينار وقيل اكثر من ذلك وبناحية سراة اكثر مما ذكرنا وشيد داره بالمدينة وبناها بالآجر والجص والساج وكذلك عبد الرحمن بن عوف الزهري ابتنى داره ووسعها وكان على مربطه مائة فرس وله ألف بعير وعشرة آلاف من الغنم وبلغ بعد وفاته ربع ثمن ماله اربعة وثمانين الفا (وابتنى سعد) بن ابى وقاص داره بالعقيق فرفع سمكها ووسع فضاءها وجعل اعلاها شرفات (وقد ذكر) سعيد بن المسيب ان زيد بن ثابت حين مات خلف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس غير ما خلف من الاموال والضياع بقيمة مائة الف دينار (وابتنى المقداد) داره بالمدينة في الموضع المعروف بالجرف على اميال من المدينة

وما في النوم من حرج ولكن * جريت مع العفاف على اعتيادي

وقال الرصافي

وعشي أنس للسرور وقد بدا * من دون قرص الشمس ما يتوقع
سقطت فلم يملك نديمك ردها * فوددت يا موسى لو انك يوشع

وقال ابن عبدوبه

براعة غرني منها وميض سنى * حتى مددت اليها الكف مقتبسا
فصادفت حجرا لو كنت تضربه * من لؤمه بعصا موسى لما انبجسا
كانما صيغ من لؤم ومن كذب * فكان ذاك له روحا وذا نفسا

وقال ابن صارة في فروة

أودت بذات يدي فرية أرنب * كفؤاد عروة في الضنى والرقة
يتجشم الفراء من ترقيعها * بعد المشقة في قريب الشقة
لو أن ما أنفقت في ترقيعها * يحصى لزاد على رمال الرقة
ان قلت بسم الله عند لباسها * قرأت على اذا السماء انشقت

وقال الغزالي

والمرء يعجب من صغيرة غيره * أى امرئ الا وفيه مقال
لسنا نرى من ليس فيه غميزة * أى الرجال القائل الفعال

وقال أبو حيان

لا ترجون دوام الخير من أحد * فالشر طبع وفيه الخير بالعرض
ولا تظن امرأ أسدى اليك يدا * من أجل ذاتك بل أسداه للغرض

وقال ابن شهيد

ولما فشا بالدمع ما بين وجدنا * الى كاشحينا ما القلوب كواتم
أمرنا بامساك الدموع جفوننا * ليشجى بما نطوي عذول ولائم
أبى دمعنا يجرى مخافة شامت * فنظمه بين المحاجر ناظم
وراق الهوى منا عيون كريمة * تبسمن حتى ما تروق المباسم

وقال في الانتحال

وبلغت أقواما تجيش صدورهم * على وانى فيهم فارغ الصدر
أصاخوا الى قولي فاسمعت معجزا * وغاصوا على سرى فأعجزهم أمري
فقال فريق ليس ذا الشعر شعره * وقال فريق أيمن الله ما ندري
فمن شاء فليخبر فانى حاضر * ولا شئ أجلى للشكوك من الخبر

وينظر الى مثل هذا قصة أبي بكر بن بقي حين استهدى من بعض اخوانه أقلاما فبعث اليه بثلاث من القصب وكتب معها

خذها اليك أبا بكر العلا قصبا * كأنما صاغها الصواغ من ورقه
يزهي بها الطرس حسنا ما نثرت بها * مسك المداد على الكافور من ورقه

فاجابه

فأجابه أبو بكر

أرسلت نحوى ثلاثا من قنا شلب * منآدة تطعن القرطاس فى ورقه
فاللفظ ينكرها والخط يعرفها * والرق يخدمها بالرق فى عنقه

فحسده عليه بعض من سمعه ونسبه الى الانتحال فقال ابو بكر يخاطب صاحبه الاول

وجاهل نسب الدعوى الى كلمى * لما رآ مثل النبل فى حدقه
فقالت سن حنق لما تعرض لى * من ذا الذى اخرج اليربوع من نفقه
ماذم شعرى وايم الله لى قسم * الا امرؤليست الاشعار من طرقه
الشعر يشهد أنى من كواكبه * بل الصباح الذى يستن من أفقه

وقال ابن شهيد أيضا فى ضيف

وما انفك معشوق الثنايا نعده * ببشر وترحيب و بسط بنان
الى أن تشهى البين من ذات نفسه * وحن الى الاهلين حنة حانى
فأتبعته ما سد خلته حاله * وأتبعنى ذكرا بكل مكان

وقال

و بتنا نراعى الليل لم يطوبرده * ولم يحل شيب الصبح فى فوده وخطا
تراه كملك الزنج من فرط كبره * اذا رام مشيا فى تبختره أبطا
مطلا على الآفاق والبدر تاجه * وقد جعل الجوزاء فى أذنه قرطا

وقال بعضهم فى لباس أهل الاندلس البياض فى الحزن مع ان أهل المشرق يلبسون فيه السواد

ألا يا أهل أندلس فطنتم * بلطفكم الى أمر عجيب
لبستم فى مآتمكم بياضا * فجئتم منه فى زى غريب
صدقتم فالبياض لباس حزن * ولا حزن أشد من المشيب

وقال ابو جعفر بن خاتمة

هل جسوم من النوى ودعوها * باقيات لسوء ما اودعوها
ياحداة القلوب ما العدل هذا * أتبعوها اجسامها اودعوها

وقال القسطلى يصف هول البحر

اليك ركبنا الفلك تهوى كأنها * وقد ذعرت من مغرب الشمس غربان
على لجج خضر اذا هبت الصبا * ترامى بها فيها ثبير وثهلان
مواثل ترعى فى ذراها مواثلا * كما عبدت فى الجاهلية اوثان
مقاتل موج البحر والهم والدجا * يموج بها فيها عيون وآذان
الا هل الى الدنيا معاد وهل لنا * سوى البحر قبر أو سوى الماء اكفان

وقال الرمادى يهنى ابن العطار الفقيه بمولود

يهنيك ما زادت الايام فى عددك * من فلذة برزت للسعد من كبدك
كأنما الدهر دهر كان مكتئبا * من انفرادك حتى زاد فى عددك
لاخلفتك الليالى تحت ظل ردى * حتى ترى ولدا قد شب من ولدك

وقال ابن صارة فى النار

خمسمائة الف دينار وديونا على الناس وعقارات وغير ذلك من التركة ماقيمته مائة الف دينار وهذا باب يتسع ذكره و يكثر وصفه فيمن تملك من الاموال فى ايامه ولم يكن مثل ذلك فى عصر عمر ابن الخطاب بل كانت جادة واضحة وطريقة بينة (وحج عمر) فانفق فى ذهابه ومجيئه الى المدينة ستة عشر دينارا وقال لولده عبد الله لقد اسرفنا فى نفقتنا فى سفرنا هذا ولقد شكا الناس اميرهم سعد بن ابى وقاص وذلك فى سنة احدى وعشرين فبعث عمر محمد بن مسلمة الانصارى حليف بنى عبد الاشهل فحرق عليه باب قصر الكوفة وجمعهم فى مساجد الكوفة يسالهم عنه فحمده بعضهم وساءه بعض فعزله و بعث الى الكوفة عمار بن ياسر على الثغر وعثمان بن حنيف على الخراج وعبد الله بن مسعود على بيت المال وامره ان يعلم الناس القرآن و يفقههم فى الدين وفرض لهم فى كل يوم شاة فجعل شطرها وسواقطها لعمار ابن ياسر والشطر الآخر بين عبد الله بن مسعود وعثمان بن حنيف فاين عمر ممن ذكرنا واين هو ممن وصفنا (وقدم) على عثمان عمه الحكم بن ابى العاص وعمه مروان وغيرهما من بنى امية ومروان هو طريد رسول

هات التى للايك اصل ولادها * ولها جبين الشمس فى الاشماس
يتقشع الياقوت فى لباتها * بوساوس تشفى من الوسواس
انس الوجد وصبح عين المجتلى * ولباس من امسى بغير لباس
حمراء ترفل فى السواد كانما * ضربت بعرق فى بنى العباس

وقال فيها أيضا

لابنة الزند فى الكوانين جمر * كالدرارى فى الليلة الظلماء
خبرونى عنها ولا تكذبونى * الديها صناعة الكيمياء
سبكت فحمها سبائك تبر * رصعته بالفضة البيضاء
كلما ولول النسيم عليها * رقصت فى غلالة حمراء
سفرت عن جبينها فأرتنا * حاجب الليل طالعا بالعشاء
لو ترانا من حولها قلت قوم * يتعاطون أكؤس الصهباء

وقال فيها الفقيه الاديب ابن اللبان

فحمة كانى حشاه جمر * فقلت مسك وجلنار
أو خده من قده ويت لما * أطل من فوقه العذار

وكان أبو المطرف الزهرى جالسا فى باب داره مع زائر له فخرجت عليهما من زقاق جارية سافرة الوجه كالشمس الطالعة فى بين نظرتهما على حين غفلة منهما نفرت خجلة فرأى الزائر ما أبهته فكلفه وصفها فقال مرتجلا

ياظبية نفرت والقلب مسكنها * خوفا لمجتلى بل عمدا للتعذيب
لاتخشى فابن عبد الحق أنحلنا * عدلا يؤلف بين الظبى والذيب

وقال ابن شهيد

أصباح لاح أم بدر بدا * أم سنى المحبوب أورى زندا
هب من نعسته منكسرا * مسبلا للكم مرخ للردا
يمسح النعسة من عينى رشا * صائد فى كل يوم أسدا
قلت هب لى ياحبيبى قبلة * تشف من حبك تبريح الصدى
فانثنى يهتز من منكبه * فائلا لا ثم أعطانى اليدا
كلما كلفنى قبلته * فهو ماقال كلاما رددا
قال لى يلعب صد لى طائرا * فترانى الدهر أجرى بالكدى
واذا استنجزت يوما وعده * قال لى يمطل ذكرنى غدا
شربت أعضاؤه خمر الصبا * وسقاه الحسن حتى عربدا
رشأ بل غادة ممكورة * عممت صبحا بليل أسودا
أخجلت من عضة فى نهدها * ثم عضت حرو جهى عمدا
فأنا المجروح من عضتها * لاشفانى الله منها أبدا

وقال محمد بن هانئ فى الشيب

ابن ابى معيط على الكوفة وهو ممن اخبر النبى صلى الله عليه وسلم انه من اهل النار وعبد الله بن ابى سرح على مصر ومعاوية بن ابى سفيان على الشام وعبد الله ابن عامر على البصرة وصرف عن الكوفة الوليد ابن عقبة وولاها سعيد بن العاص وكان السبب فى صرف الوليد وولاية سعيد على ماروى ان الوليد بن عقبة كان يشرب مع ندمائه ومغنيه من اول الليل الى الصباح فلما آذنه المؤذنون بالصلاة خرج منفصلا فى غلائله فتقدم الى المحراب فى صلاة الصبح فصلى بهم اربعا وقال تريدون ان ازيدكم وقيل انه قال فى سجوده وقد اطال اشرب واسقنى فقال له بعض من كان خلفه فى الصف الاول ماتريد لا زادك الله مزيد الخير والله لا اعجب الامن بعثك الينا واليا وعلينا اميرا وكان هذا القائل عتاب بن غيلان الثقفى (وخطب) الناس الوليد فحصبه الناس بحصباء المسجد فدخل قصره يترنح و يتمثل بابيات لتأبط شرا ولست بعيدا عن مدام وقينة

ولا بصفا صلد عن الخير معزل ولكننى اروى من الخمر هامتى * وامشى الملا بالساحب المسلسل

بنتم فلولا ان اغبرانى ٭ ألقاكم يوما على غضابا
لخضبت شيبا فى مفارقى التى ٭ ومحوت محو النقس عنه شبابا
وخضبت مبيض الحداد عليكم ٭ لوأننى اجد البياض خضابا
واذا أردت على المشيب وفادة ٭ فاجعل مطيك دونه الاحقابا
فلتأخذن من الزمان حمامة ٭ ولتدفعن الى الزمان غرابا

وكتب ابن عمار الى ابن وزير وقد عتب عليه ان اجتاز ببلاده ولم يلقه

لم تثن عنك عنانى سلوة خطرت ٭ ولا فؤادى ولا سمعى ولا بصرى
لكن عدتنى عنكم خجلة خطرت ٭ كفانى العذر منها بت معتذر
لواختصرتم من الاحسان زرتكم ٭ والعذب يهجر للافراط فى الخصر

وقال ابن الحداد

وانى لصب للتلاقى وانما ٭ يصدركانى عن معاهدك العصر
أذوب حياء من زيارة صاحب ٭ اذا لم يساعدنى على بره الوفر

وقال ابن عبد ربه

يامن عليه حجاب من جلالته ٭ وان بدا لك يوما غير محجوب
ما أنت وحدك مكسو ثياب ضنى ٭ بل كلما يك من مضنى ومشحوب
ألقى عليك يدا للضر كاشفة ٭ كشاف ضر نبى الله أيوب

وقال النحلى

ولاعبة الوشاح بغصن بان ٭ لها أثر بتقطيع القلوب
اذا سوت طرئق العود نقرا ٭ وغنت فى محب أوحبيب
فيمناها تقدبها فؤادى ٭ ويسراها تعذبها ذنوبى

وقال ابن شهيد

كلفت بالحب حتى لودنا أجلى ٭ لما وجدت لطعم الموت من ألم
وعاقنى كرمى عمن ولهت به ٭ و يلى من الحب أو و يلى من الكرم

وكان صوفى بشريش حافظ للشعر فلا يعرض فى مجلسه معنى الاوهو ينشد عليه فاتفق أن عطس رجل بمجلسه فشمته الحاضرون فدعالهم فرأى الصوفى انه ان شمته قطع انشاده بمالا يشاكله من النظم وان لم يشمته كان تقصيرا فى البر فرغب حين أصبح من الطلبة نظم هذا المعنى فقال الوزير الحسيب أبو عمرو بن أبى محمد

ياعاطسا يرحمك الله اذ ٭ أعلنت بالحمد على عطستك
ادع لنا ربك يغفر لنا ٭ وأخلص النية فى دعوتك
وقل اياسيدى رغبتى ٭ حضور هذا الجمع فى حضرتك
وأنت يارب الندى والنوى ٭ باركت رب الناس فى ليلتك
فان يكن منكم لنا عودة ٭ فأنت محمود على عودتك

وهذا الوزير المذكور كان يصرف شعره فى أوصاف الغزلان ومخاطبات الاخوان وكتب

أأزيدكم عملا ومايدرى ليزيدهم أخرى ولو قبلوا لقرنت بين الشفع والوتر حبسوا اعنانك فى الصلاة ولو خلوا اعنانك لم تزل تجرى وأشاعوا بالكوفة فعله وظهر فسقه ومداومته شرب الخمر فهجم عليه جماعة من المسجد منهم أبو زينب ابن عوف الازدى وابو جندب ابن زهير الازدى وغيرهما فوجدوه سكران مضطجعا على سريره لايعقل فايقظوه من رقدته فلم يستيقظ ثم تقايأ عليهم ماشرب من الخمر فانتزعوا خاتمه من يده وخرجوا من فورهم الى المدينة فاتوا عثمان ابن عفان فشهدوا عنده على الوليد انه شرب الخمر فقال عثمان ومايدريكما انه شرب خمرا فقالا هى الخمر التى كنا نشربها فى الجاهلية وأخرجا خاتمه فدفعاه اليه فرزأهما ودفع فى صدورهما وقال تنحيا عنى فخرجا واتيا على ابن ابى طالب رضى الله عنه واخبراه بالقصة فاتى عثمان وهو يقول دفعت الشهود وابطلت الحدود فقال له عثمان فما ترى قال ارى ان تبعث الى صاحبك فان

 اقاما الشهادة عليه فى وجهه ولم يدل بحجة اقمت عليه الحد فلما حضر الوليد دعاهما عثمان فأقاما الشهادة

الى الشريشي شارح المقامات يستدعي منه كتاب العقد

ايامن غدا لـ لـكالجيد معارفه * ومن لفظه زهر أنيق لقاطفه
محبك أضحى عاطل الجيد فاتجد * بعقد علي لباته وسوالفه

ووعك في بعض الاعياد فعاده من أعيان الطلبة جملة فلما هموا بالانصراف أنشدهم ارتجالا

لله در أفاضـــل أمجاد * شرف الندى بقصدهم والنادي
لما أشار وا بالسلام وأزمعوا * أنشدتهم وصدقت في الانشاد
في العيد عدتم وهو يوم عروبة * يا فـرحتي بثلاثة الاعياد

قال الشريشي في شرح المقامات ولقد زرته في مرضه الذي توفي فيه رحمه الله تعالى انا وثلاثة فتيان من الطلبة فسألني عنهم وعن آبائهم فلما أرادوا الانصراف ناول أحدهم محبرة وقال له اكتب وأملى عليه ارتجالا

ثلاثة فتيان يؤلف بينهـم * ندى كريم لا أرى الله بينهـم
تشابه خلق منهـم وخليقة * فان قلت أين الحسن فانظره أين هم
وزينهم استاذهم اذ غدا لهم * معـلم آيات فتمم دينهم
فان خفت من عين في الكل فلتقل * وقى الله رب الناس للكل عينهم

وقال الشريشي حدثنا شيخنا أبو الحسين بن زرقون عن أبيه أبي عبد الله قعد مع صهره أبي الحسن عبد الملك بن عياش الكاتب على بحر المجاز وهو مضطرب الامواج فقال له ابو الحسن أجز

وملتطم الغوارب موجته * بوارح في منا كبها غيوم

فقال أبو عبد الله

تمنع لا يعوم به سفين * ولو جذبت به الزهر النجوم

وكان لابن عبدربه فتى يهواه فأعلمه انه يسافر غدا فلما أصبح عاقه المطر عن السفر فانجلى عن ابن عبدربه همه وكتب اليه

هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر * هيهات يأبى عليك الله والقدر
مازلت أبكي حذار البين ملتهبا * حتى رثى لي فيك الريح والمطر
يا برده من حيا مزن على كبد * نيرانها بغليل الشوق تستعر
آليت أن لا أرى شمسا ولا قمرا * حتى أراك فأنت الشمس والقمر

وقال ابن عبدربه

صل من هويت وان أبدى معاتبة * فأطيب العيش وصل بين الفين
واقطع حبائل خـدن لا تلائمه * فقلما تسع الدنيا بغيضين

وقال أبو محمد غانم بن الوليد المالقي

صير فؤادك للمحبوب منزلة * سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا في معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

وكان المتوكل صاحب بطليوس ينتظر وفود أخيه عليه من شنترين يوم الجمعة فأتاه يوم السبت

عليه ولم يدل بحجة فالقى عثمان السوط الى علي فقال علي لابنه الحسن قم يابني فأقم عليه ما أوجب الله عليه فقال يكفيه بعض ما ترى فلما نظر الى امتناع الجماعة عن اقامة الحد عليه توقيا لغضب عثمان لقرابته منه اخذ علي السوط ودنا منه فلما أقبل نحوه سبه الوليد وقال يا صاحب مكس فقال عقيل بن ابي طالب وكان ممن حضر انك لتتكلم يا ابن أبي معيط كانك لا تدري من انت وانت علج من اهل صفورية وهي قرية بين عكا واللجون من اعمال الاردن من بلاد طبرية كان ذكر أن اباه كان يهوديا منها فاقبل الوليد يروغ من علي فاجتذبه فضرب به الارض وعلاه بالسوط فقال عثمان ليس لك ان تفعل به هذا قال بلى وشر من هذا اذا فسق ومنع حق الله تعالى أن يؤخذ منه (وولي الكوفة) بعده سعيد ابن العاص فلما دخل سعيد الكوفة وابى ان يصعد المنبر حتى يغسل وامر بغسله وقال ان الوليد كان نجسا رجسا فلما اتصلت ايام سعيد بالكوفة ظهرت منه امور منكرة واشتبه بالاموال وقال في بعض الايام وكتب به الى عثمان انما هذا السواد فلير لقريش فقال له الاشتر وهو مالك بن الحرث النخعي اتجعل ما افاء الله علينا بظلال سيوفنا ومراكز رماحنا بستانا لك ولقومك ثم خرج

الى عثمان فى سبعين راكبا من اهل الكوفة فذكروا سوء سيرة سعيد بن العاص وسألوا عزله عنهم فمكث

السبت فلما لقيه عانقه وأنشده

تخيرت اليهود السبت عيدا * وقلنا فى العروبة يوم عيد
فلما أن طلعت السبت فينا * أطلت لسان محتج اليهود

وقال أبو بكر بن بقى

أقمت فيكم على الاقتار والعدم * لو كنت حرا أبى النفس لم أقم
فلا حديقتكم يجنى لها ثمر * ولا سماؤكم تنهل بالديم
أنا امرؤ وان نبت بى أرض أندلس * جئت العراق فقامت بى على قدم
ما العيش بالعلم الا حيلة ضعفت * وحرفة وكلت بالعقد والبرم

وقال الابيض فى الفقهاء المرائين

أهل الرياء لبستم ناموسكم * كالذئب يدلج فى الظلام العاتم
فملكتم الدنيا بمذهب مالك * وقسمتم الاموال بابن القاسم
وركبتم شهب البغال بأشهب * وبأصبغ صبغت لكم فى العالم

وقال

قل للامام سنا الائمة مالك * نور العيون ونزهة الاسماع
لله درك من همام ماجد * قد كنت راعينا فنعم الراعى
فمضيت محمود النقيبة طاهرا * وتركتنا قنصا لشر سباع
أكلوا بك الدنيا وأنت بمعزل * طاوى الحشا متكفت الاضلاع
تشكوك دنيا لم تزل بك برة * ماذا رفعت بها من الاوضاع

وقال ابن صارة

يا من يعذبنى لما تملكنى * ماذا تريد بتعذيبى واضرارى
تروق حسنا وفيك الموت أجمعه * كالصقل فى السيف أو كالنور فى النار

وقال عبدون البلنسى

يا من محياه جنات مفتحة * وهجره لى ذنب غير مغفور
لقد تناقضت فى خلق وفى خلق * تناقض النار بالتدخين والنور

وقال الوزير ابن الحكيم

رسخت أصول علاكم تحت الثرى * ولكم على خط المجرة دار
ان المكارم صورة معلومة * أنتم لها الاسماع والابصار
تبدو شموس الدجى من أطواقكم * وتفيض من بين البنان بحار
ذات لكم نسم الخلائق مثلما * ذلت لشعرى فيكم الاشعار
فتى مدحت ولا مدحت سواكم * فدحكم فى مدحه اضمار

وقال القاضى أبو جعفر بن بطال

أستودع الرحمن من لوداعهم * قلبى وروحى آذنا بوداعى
بانوا وطرفى والفؤاد ومقولى * باك ومسلوب الفؤاد وداعى
فقول يا مولاى حفظهم ولا * تجعل تفرقنا فراق وداع

الاشتر وأصحابه أياما لا يخرج لهم من عثمان فى سعيد شئ وامتدت أيامهم بالمدينة وقدم على عثمان أمراؤه من الامصار منهم عبد الله بن سعد بن أبى سرح من مصر ومعاوية من الشام وعبد الله بن عامر من البصرة وسعيد بن العاص من الكوفة فأقاموا بالمدينة أياما لا يردهم الى أمصارهم كراهة أن يرد سعيدا الى الكوفة وكره أن يعزله حتى كتب اليه من بأمصارهم يشكون كثرة الخراج وتعطيل الثغور فجمعهم عثمان وقال ما ترون فقال معاوية أما أنا فراض بى جندى وقال عبد الله بن عامر بن كريز ليكفك امرؤ ما قبله أكفك ما قبلى وقال عبد الله بن سعد بن أبى سرح ليس بكثير عزل عامل للعامة وتولية غيره وقال سعيد بن العاص انك ان فعلت هذا كان أهل الكوفة هم الذين يولون ويعزلون وقد صاروا حلقا فى المسجد ليس لهم غير الاحاديث والخوض فجهزهم فى البعوث حتى يكون هم أحدهم أن يموت على ظهر دابته قال فسمع مقالته عمرو بن العاص فخرج الى المسجد فاذا طلحة والزبير جالسان فى ناحية منه فقالا له تعال الينا فصار اليهما فقالا ما وراءك

وقال ابن خفاجة

وماهاجني الا تألق بارق * لبست به برد الدجنة معلما

وهي طويلة وقال من أخرى

جمعت ذوائبه ونور جبينه * بين الدجنة والصباح المشرق

وقال ذوالو زارتين أبو الوليد بن الحضرمي البطليوسي في غلام للمتوكل بن الافطس يرثيه

غالته أيدي المنايا * وكن في مقلتيه
وكان يسقي الندامى * بطرفه ويديه
شمس ذوى وهلال * جار الكسوف عليه

وقال الفقيه العالم أبو أيوب سليمان بن محمد بن بطال البطليوسي عالما في المذهب المالكي وقد تحاكم اليه وسيمان أشقر وأكحل فيمن يفضل بينهما

وشادنين أمالي على مقة * تنازعا الحسن في غايات مستبق
كأن لمة ذا من نرجس خلقت * على بهار وذا مسك على ورق
وحكما الصب في التفضيل بينهما * ولم يخافا عليه رشوة الحدق
فقام يبدي هلال الدجن حجته * مبينا بلسان منه منطلق
فقال وجهي بدر يستضاء به * ولون شعري مقطوع من الغسق
وكحل عيني سحر للنهى وكذا * لك الحسن أحسن ما يعزى الى الحدق
وقال صاحبه أحسنت وصفك لكن فاستمع لمقال في متفق
أنا على أفقي شمس النهار ولم * تغرب وشقرة شعري شقرة الشفق
وفضل ماعيب في العينين من زرق * أن الاسنة قد تعزى الى الزرق
قضيت للمة الشقراء حيث حكت * نورا كذا حبها يقضي على رمقي
فقام ذو اللمة السوداء يرشقني * سهام أجفانه من شدة الحنق
وقال جرت فقلت الجور منك على * قلبي ولي شاهد من دمعي الغدق
وقلت عفوك اذ أصبحت بينهما * فقال دونك هذا الحبل فاختنق

وكان فيه ظرف وأدب وعنوان طبقته هذه الابيات وقال

وغاب من الاكواس فيها ضراغم * من الراح ألباب الرجال فريسها
قرعت بها سن الحلوم فأقطعت * وقد كاد يسطو بالفؤاد رسيسها

وله رحمه الله تعالى شرح البخاري وأكثر ابن حجر من النقل عنه في فتح الباري وله كتاب الاحكام وغير ذلك وترجمته شهيرة * وقال الاديب النحوي المؤرخ أبو اسحق ابراهيم ابن الاعلم البطليوسي صاحب التآليف التي بلغت نحو خمسين

ياحمص لازلت دارا * لكل بؤس وساحه
مافيك موضع راحه * الا ومافيه راحه

وهو شيخ أبي الحسن بن سعيد صاحب المغرب وأنشده هذين البيتين لما ضجر من الاقامة باشبيلية أيام فتنة الباجي * وقال الاديب الطبيب أبو الاصبغ عبد العزيز البطليوسي

قال الشر ماترك شيأ من المنكر الا اتى به وامر به وجاء الاشتر فقالا له ان عاملكم الذى قمتم فيه خطباء قد ردعليكم وامر بتجهيزكم في البعوث وبكذا وكذا فقال الاشتر والله قد كنا نشكو سوء سيرته وما قمنا به خطباء فكيف وقد قمنا وايم الله على ذلك لولا أني انفذت النفقة وانضيت الظهر لسبقته الى الكوفة حتى امنعه دخولها فقالا له فعندنا حاجتك التي تقوتك في سفرك قال فاسلفاني اذن مائة ألف درهم قال فاسلفه كل واحد منهما خمسين ألف درهم فقسمها بين اصحابه وخرج الى الكوفة فسبق سعيدا وصعد المنبر وسيفه في عنقه ماوضعه بعد ثم قال اما بعد فان عاملكم الذي أنكرتم تعديه وسوء سيرته قد رد عليكم وامر بتجهيزكم في البعوث فبايعوني على أن لا يدخلها فبايعه عشرة آلاف من اهل الكوفة وخرج راكبا متخفيا يريد المدينة اومكة فلقي سعيدا بواقصة فاخبره بالخبر فانصرف الى المدينة وكتب الاشتر الى عثمان انا والله مامنعنا عاملك الا ليفسد عليك عملك ول من احببت فكتب اليهم انظروا من كان عاملكم ايام عمر بن الخطاب فولوه فنظروا فاذا هو ابو موسى الاشعري فولوه (وفي سنة خمس وثلاثين) كثر الطعن على عثمان رضي الله عنه وظهر عليه النكير لاشياء ذكروها

الملقب

الملقب بالقلندر

جرت منى الخمر مجرى دمى * فخل حياتى من سكرها
ومهما دجت ظلم للهموم * فتمزيقها بسنى بدرها

وخرج يوما وهو سكران فلقى قاضيا فى نهاية من قبح الصورة فقال سكران خذوه فلما أخذه الشرطة قال للقاضى بحق من ولاك على المسلمين بهذا الوجه القبيح عليك الا ما فضلت على وتركتنى فقال القاضى والله لقد ذكرتنى بفضل عظيم ودرأ عنه الحد * وقال ابن جاخ الصباغ البطليوسى وهو من أعاجيب الدنيا لا يقرأ ولا يكتب

ولما وقفنا غداة النوى * وقد أسقط البين ما فى يدى
رأيت الهوادج فيها البدور * عليها البراقع من عسجد
وتحت البراقع مقلوبها * تدب على ورد خد ندى
تسالم من وطئت خده * وتلدغ قلب الشجى المكمد

وقال فى المتوكل وقد سقط عن فرس

لا عتب للطرف ان زلت قوائمه * ولا يدنسه من عائب دنس
حملت جودا و باسا فوقه ونهى * و كيف يحمل هذا كله الفرس

وقال الشاعر المشهور بالكميت البطليوسى

لا تلومونى فانى عالم * بالذى تأتيه نفسى وتدع
بالحميا والمحيا صبوتى * وسوى حبهما عندى بدع
فضل الجمعة يوم وأنا * كل أيامى باقراحى جمع

وقال أبو عبد الله محمد بن البين البطليوسى وهو ممن يميل الى طريقة ابن هانئ

غصبوا الصباح فقسموه خدودا * واستنهبوا قضب الاراك قدودا
ورأوا حصا الياقوت دون محلهم * فاستبدلوا منه النجوم عقودا
واستودعوا حدق المها أجفانهم * فسبوا بهن ضراغما واسودا
لم يكفهم حمل الاسنة والظبا * حتى استعانوا أعينا ونهودا
وتضافروا بضفائر أبدوا لنا * ضوء النهار بليلها معقودا
صاغوا الثغور من الاقاحى بينها * ماء الحياة لو اغتدى مورودا

وكان عند المتوكل مضحك يقال له الخطارة فشرب ليلة مع المتوكل وكان فى السقاة وسيم فوضع عينه عليه فلما كان وقت السحر دب اليه وكان بالقرب من المتوكل فاحس به فقال له ما هذا يا خطارة فقال له يا مولاى هذا وقت تفريغ الخطارة الماء فى الرياض فقال له لا تعد لئلا يكون ماء أحمر فرجع الى نومه ولم يعد فى ذلك كلمة بقية عمره معه ولا أنكر منه شيأ ولم يحدث بها الخطارة حتى قتل المتوكل رحمه الله تعالى والخطارة صنف من الدواليب الخفاف يستقى به أهل الاندلس من الاودية وهو كثير على وادى اشبيلية وأكثر ما يباكرون العمل فى السحر * وقال الوزير أبو زيد عبد الرحمن بن مولود

أرنى يوما من الدهر على وفق الامانى

من فعله (منها) ما كان بينه وبين عبد الله بن مسعود وانحراف هذيل عن عثمان من اجله (ومن ذلك) ما نال عمار بن ياسر من الفتن والضرب وانحراف بنى مخزوم عن عثمان من أجله (ومن ذلك) فعل الوليد بن عقبة فى مسجد الكوفة وذلك انه بلغه عن رجل من اليهود من ساكنى قرية من قرى الكوفة مما يلى جسر بابل يقال له زرارة يعمل انواعا من الشعبذة والسحر يعرف بطروى فاحضر فأراه فى المسجد ضربا من التخاييل وهو أن اظهر له فى الليل فيلا عظيما على فرس فى صحن المسجد ثم صار اليهودى ناقة يمشى على حبل ثم اراه صورة حمار دخل من فيه ثم خرج من دبره ثم ضرب عنق رجل ففرق بين جسده وراسه ثم امر السيف عليه فقام الرجل وكان جماعة من اهل الكوفة حضورا منهم جندب بن كعب الازدى فجعل يستعيذ بالله من فعل الشيطان ومن عمل يبعد من الرحمن وعلم ان ذلك هو ضرب من التخييل والسحر فاخترط سيفه وضرب به اليهودى ضربة ادار راسه ناحية من بدنه وقال جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وقد قيل ان ذلك كان نهارا وان جندبا خرج الى السوق ودنا من بعض الصياقلة واخذ سيفا ودخل فضرب به عنق اليهودى وقال ان كنت صادقا فأحى نفسك

ثم دعني بعد هذا * كيفما شئت تراني

وقال أديب الاندلس وحافظها أبو محمد عبد المجيد بن عبدون الفهري اليابري وهو من رجال الذخيرة والقلائد وشهرته مغنية عن الزيادة يخاطب المتوكل وقد أنزله في دار وكفت عليه

أيا ساميا من جانبيه كليهما * سمو حباب الماء حالا على حال
لعبدك دار حل فيها كأنها * ديار لسلمى عافيات بذي خال
يقول لها لما رأى من دثورها * ألا عم صباحا أيها الطلل البالي
فقالت وما عيت جوابا بردها * وهل يعمن من كان في العصر الخالي
فر صاحب الانزال فيها بعاجل * فان الفتى يهذي وليس بفعال

وقال في جمع حروف الزيادة حسبما ذكره عنه في المغرب

سألت حروف الزائدات عن اسمها * فقالت ولم تكذب أمان وتسهيل

قلت وعلى ذكر حروف الزيادة فقد أكثر الناس في انتقاء الكلمات الضابطة لها وقد كنت جمعت فيها نحو مائة ضابط ولنذكر الآن بعضها فنقول منها أهوى تلمسانا ونظمتها فقلت

قالت حروف زيادات لسائلها * هل هويت بلدة أهوى تلمسانا

وجمعها ابن مالك في بيت واحد بأربعة أمثلة من غير حشو وهو

هناء وتسليم تلا يوم انسه * نهاية مسؤل أمان وتسهيل

ومنها هويت السمان وحكى أن أبا عثمان سئل عنها فانشد

هويت السمان فشيبنني * وقد كنت قدما هويت السمانا

فقيل له اجبنا فقال اجبتكم مرتين ويروى انه قال سألتمونيها فاعطيتكم ثلاثة اجوبة هكذا حكاه بعض المحققين وهو ارق مما حكاه غير واحد على غير هذا الوجه * ومنها اليوم تنساه الموت ينساه اسلمني وتاه هم يتساءلون النهاية سمو تمنى وسائله اسلمي تهاون تهاوني اسلم التمس هواني ما سألت يهون مؤنس التياه لم يأتنا سهو يا أويس هل نمت نوبت سؤالهم نويت مسائله سألتم هواني تأملها يونس أتاني وسهيل هونى مسألتها سألت ما يهون وسليمان أتاه تسال من يهوى استملاني هو اسلمت وهناي هو استماني سايل وانت هم يا هول استنم أتاه وسليمان قلت وليس هذا تكرارا مع السابق الذي هو وسليمان أتاه لان التقديم والتأخير يصيرهما شيئين * ومنها الوسمي هتان اوليتم سناه واليتم أنسه امسيت وناله انله توسم امانتي سهوا اتوسل بها سألتهن يوما سامت يومنها سألت ما يوهن نهوى ما سألت يهون ما سألت وقد سبق سألت ما يهون وعدهما شيئين من اجل التقديم والتأخير كما مر نظيره الانس يومه ليتاس ماؤه سله موتى انا انسته اليوم سألتم هوينا آوى من تسأله وهي ما سألت وهي ما سألت مسألتي نواه * ومنها مسألتي هاون سهوان يتالم أيلتم سهوان اوليتم ناسه مسألتي اهون اوميت تنساه سموت اليها امليت سهوان وسألتم هينا يهون ما تسال اتلومن سهيا

فانكر عليه الوليد ذلك واراد ان يقيده بقيد فمنعه الازد فحبسه واراد قتله غيلة ونظر السجان الى قيامه ليله الى الصبح فقال له انج بنفسك فقال له جندب تقتل بي قال ليس ذلك بكثير في مرضاة الله والدفع عن ولي من اولياء الله فلما اصبح الوليد دعا به وقد استعد لقتله فلم يجده فسأل السجان فاخبره بهربه فضرب عنق السجان وصلبه بالكناس (ومن ذلك) ما فعل بابي ذر وهو انه حضر مجلسه ذات يوم فقال عثمان ارأيتم من زكى ماله هل فيه حق لغيره فقال كعب لا يا امير المؤمنين فدفع ابو ذر في صدر كعب وقال له كذبت يا ابن اليهودي ثم تلا ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الآية فقال عثمان اترون بأسا ان نأخذ مالا من بيت مال المسلمين فننفقه فيما ينوبنا من امورنا ونعطيكموه فقال كعب لا باس بذلك فرفع ابو ذر العصا فدفع بها في صدر كعب وقال يا ابن اليهودي ما اجرأك على القول في ديننا فقال له عثمان ما اكثر اذاك لي غيب وجهك عني فقد آذيتني فخرج ابو ذر الى الشام فكتب معاوية الى عثمان ان ابا ذر تجتمع اليه الجموع ولا آمن ان يفسدهم عليك فان كان لك في القوم حاجة فاحمله اليك فكتب اليه عثمان بحمله

اسلم

اسلم وانتهى يتأمل سهوان يتأمل ناسوه يتأمل اسوه اذ يأمل نسوه الهوى اتنسم وليت ماه آسن تولين اسهما اتلوا سهمين اول ساهمتني اسماؤه تنيل يتأمله سوا اولم يتسناه آمن و يتساهل امسين لهوا توسميه لنساء هو ماتسألين لايهانتوسم ايهما نتوسل اتاني لسموه سميتهن اولا اولاهن سميت سلمتني اهوا اسلمتني هوا اونستميلها ابستهلونا هنأت الموسى سليم انتهوا وانت سائلهم ساءله يمنو تهنألا يسمو اسألي مؤنته سألتي موهنا التمسي هونا استملي اهون التناه موسى لهواه يتسنم نهوى ماتسأل ماؤه لينأسن تنسمي لهواه تلومي ان سها المتني سهوا ستولينا امه يتمهلون اسا امهلتني سوا التناسي وهم اهو يت سلمان هو يت المأنس المانس تهوى هو يتام ناسل اوليس تم هنا استوهن املي استهون الى استمان وهيأ اتسلمونيها ايتسلمونها الايتسمونه اليس توهمنا الايتسمو فهذه مائة وار بعة وثلاثون تركيبا منها ماهو متين ومنها ماهو غير متين وقد جمع ابن خروف فيها اثنين وعشرين تركيبا محكيا وغير محكي واحسنها بيت ابن عبدون السابق و يليه بيت ابن مالك وقال الطغمى جامها الدار بع مرات

آلمتي سهوا تلومي ان سها * اوليس تم هنا الهوا يتسنم

هكذا بخطه يتسنم ولو قال يتنسم لكان انسب وقال ايضا

وليت ماء اسناه وا لتمسي هنا * ماتسألين هو الهنا يتوسم انتهى

قلت وقد جمعت في المغرب زيادة على ماتقدم وكنت قدرت رسالة فيها اسميتها اتحاف اهل السيادة بضوابط حروف الزيادة * وقال ابو محمد عبد الله بن الليث يستدعي الوزير ابا الحسن اليابري في يوم غيم

رقم الربيع بروضنا ازهاره * فجرى على صفحاته انهاره
فمتى تشرفنا بمهجة سيد * ألقى على ليل الخطوب نهاره
تتمتع الآداب من نفحاته * فيشم منها ورده وبهاره
ياسيدا بهر البرية سوددا * أبدى اليناسره وجهاره
يوم أظل الغيم وجه ضيائه * فعليك ياشمس العلا اظهاره

وقال ابو القاسم بن الابرش

أدر كاس المدام فقد تغنى * بفرع الايك طائره الصدوح
وهب على الرياض نسيم صبح * يمر كما دنا سار طليح
ومال النهر يشكو من حصاه * جراحات كما أن الجريح

وقال

حلفت ويشهد دمعي بما * أقاسيه من هجرك الزائد
فان كنت تجحد ماأدعي * وحاشاك تعرف بالجاحد
فان النبي عليه السلام * قضى باليمين مع الشاهد

وقال ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني صاحب الذخيرة وشهرته تغني عن ذكره ونظمه دون نثره يخاطب أبا بكر بن عبد العزيز

أبا بكر المجتبي للإدب * رفيع العماد فريع الحسب

وكاد ان يتلف فقيل له انك تموت من ذلك فقال هيهات لن اموت حتى انفى وذكر جوامع مانزل به بعد ومن يتولى دفنه فأحسن اليه في داره اياما ثم دخل اليه فجاس على ركبتيه وتكلم باشياء وذكر الخبر في ولد ابي العاص اذا بلغوا ثلاثين رجلا اتخذوا عباد الله خولا ومر في الخبر بطوله وتكلم بكلام كثير وكان في ذلك اليوم قد اتي عثمان بتركة عبد الرحمن بن عوف الزهري من المال فنصت البدر حتى حالت بين عثمان وبين الرجل القائم فقال عثمان اني لارجو لعبد الرحمن خيرا لانه كان يتصدق ويقري الضيف وترك ماترون فقال كعب الاحبار صدقت يا أمير المؤمنين فشال ابو ذر العصا فضرب بها راس كعب ولم يشغله ماكان فيه من الالم وقال ياابن اليهودي تقول لرجل مات وترك هذا المال ان الله اعطاه خير الدنيا وخير الآخرة وتقطع على الله بذلك وأنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مايسرني أن

اموت وادع مايزن قيراطا فقال له عثمان وارعني وجهك فقال اسير الى مكة قال لا والله قال فتمنعني من بيت ربي اعبده

أيلحن فيك الزمان الخؤون * و يعرب عنك لسان العرب
وان لم يكن أفقنا واحدا * فينظمنا شمل هـذا الادب

وقد ذكرناه في غير هذا المحل قوله

ألا بادر فلا ثان سوى ما * عهدت الكاس والبدر التمام

الابيات وتأخرت وفاته الى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة وهو منسوب الى شنترين من الكور الغربية البحرية من أعمال بطليوس * وقال أبو عمر يوسف بن كوثر

مررت به يوما يغازل مثله * وهذا على ذا بالملاحة يمتن
فقلت أجمعا في الوصل رأيكما فما * لمثلكما كان التغزل والمجن
عسى الصب يقضي الله بينكما له * بخير فقالا لي اشتهى العسل السمن

وقال أبو محمد بن سارة

أعندك أن البدر بات ضجيعي * فقضيت أوطاري بغير شفيع
جعلت ابنة العنقود بيني و بينه * فكانت لنا ماء وكان رضيعي

وقال

أيا من حارت الافكار فيه * فلم تسلم له الاقدار كنها
بجيد النيل منا عقد أنس * أقام بغير واسطة فكنها

وقال أبو الحسن منذر الاشبوني

فديتك اني عن جنابك راحل * فهل لي يوما من لقائك زاد
وحسبك والايام خون غوادر * فراق كما شاء العداة بعاد

وقال خلف بن هرون القطيني

من أنبت الورد في خديك يا قمر * ومن حمى قطفه اذ ليس مصطبر
الزهر في الروض مقرون بأزمنة * وروض خدك موصول به الزهر

وكان لابن الحاج صاحب قرطبة ثلاثة أولاد من أجمل الناس حسون وعزون ورحمون فأولع بهم الامام أبو محمد بن السيد النحوي وقال فيهم

أخفيت سقمي حتى كاد يخفيني * وهمت في حب عزون فعزوني
ثم ارحموني برحمون فان ظمئت * نفسي الى ريق حسون فحسوني

ثم خاف على نفسه فخرج من قرطبة هكذا رأيته بخط بعض المورخين انتهى والله أعلم * وقال ابن خفاجة يداعب من بقل عذاره

أيها التائه مهـلا * ساءني أن تهت جهلا
هـل ترى فيما ترى الاشـبابا قد تولى
وغراما قد تسرى * وفؤادا قد تسلى
أين دمع فيك يجري * أين جنب يتقلى
أين نفس بك تهذي * وضلوع فيك تصلى
أي بالـ كان لولا * عارض وافى لولى
وتخلى عنك الا * أسفا لا يتخلى

فيه حتى أموت قال اى والله قال فالى الشام قال لا والله قال البصرة قال لا والله فاختر غير هذه البلدان قال لا والله ما اختار غير ما ذكرت لك ولو تركتني في دار هجرتي ما اردت شيأ من البلدان فسيرني حيث شئت من البلاد قال فاني مسيرك الى الربذة قال الله أكبر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبرني بكل ما أنا لاق قال عثمان وما قال لك قال أخبرني باني أمنع عن مكة والمدينة واموت بالربذة ويتولى مواراتي نفر ممن يردون من العراق نحو الحجاز وبعث أبو ذر الى جمل له فحمل عليه امرأته وقيل ابنته وامر عثمان ان يتجافاه الناس حتى يسير الى الربذة فلما طلع عن المدينة ومروان يسيره عنها اذ طلع عليه علي ابن ابي طالب رضي الله عنه ومعه ابناه وعقيل اخوه وعبد الله بن جعفر وعمار بن ياسر فاعترض مروان فقال يا علي ان امير المؤمنين قد نهى الناس ان يصحبوا ابا ذر في مسيره ويشيعوه فان كنت لم تدر بذلك فقد اعلمتك فحمل عليه علي بن ابي طالب بالسوط بين اذني راحلته وقال تنح نحاك الله الى النار ومضى مع ابي ذر فشيعه ثم ودعه وانصرف فلما اراد على الانصراف بكى ابو ذر وقال رحمكم الله اهل البيت اذا رأيتك يا ابا الحسن وولدك ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وسلم

وانطوى الحسن فهلا * أجمل الحسن وهلا

أما بعد أيها النبيل النبيه فانه لا يجتمع العذار والتيه قد كان ذلك وغصن تلك الشبيبة رطب ومنهل ذلك المقبل عذب وأما والعذار قد بقل والزمان قد انتقل والصب قد صحا فعقل فقد ركدت رياح الاشواق ورقدت عيون العشاق فدع عنك من نظرة التجني ومشية التثني وغض من عنانك وخذ في تراضي اخوانك وهش عند اللقاء هشة أريحية واقنع بالايماء رجع تحية فكأني بفنائك مهجورا وبزائرك مأجورا والسلام *وقال الرصافي لما بعث اليه من يهواه سكينا

تفاءلت بالسكين لما بعثته * لقد صدقت مني القيافة والزجر
فكان من السكين سكاك في الحشا * وكان من القطع القطيعة والهجر

وحضر الفقيه أبو بكر بن حبيش ليلة مع بعض الجلة وطفئ السراج فقال ارتجالا

أذلك السراج برينا غرة سفرت * فباتت الشمس تستحيي وتستتر
أوخله فكفانا وجه سيدنا * لا يطلب النجم من في بيته قمر

وقصد أحد الادباء مرسية أحد السادة من بني عبد المؤمن فأمر له بصلة خرجت على يد ابن له صغير فقال المذكور ارتجالا

تبرك بنجل جاء باليمن والسعد * يبشر بالتأييد طائفة المهدي
تكلم روح الله في المهد قبله * وهذا براء بدل اللام في المهد

وخرج الاستاذ أبو الحسن بن جابر الدباج يوما مع طلبته للنزهة بخارج اشبيلية وأحضرت بجنات ما خبا نارها ولا هدأ أوارها فما حادعنها ولا كف ولا صرف حرها عن اقتضابها البنان ولا الكف فقال

أحلى مواقعها اذا قربتها * وبخارها فوق الموائد سام
ان أحرقت لسانا فان أوارها * في داخل الاحشاء برد سلام

وقال أبو بكر احمد بن محمد الابيض الاشبيلي يتهكم برجل زعم انه ينال الخلافة

أمير المؤمنين نداء شيخ * أفادك من نصائحه اللطيفه
تحفظ أن يكون الجذع يوما * سريرا من أسرتك المنيفه
أفكر فيك مصلوبا فأبكي * ونضحكني امانيك السخيفه

وقال صفوان

ونهار أنس لو سألنا دهرنا * في ان يعود مثله لم يقدر
خرق الزمان لنا به عاداته * فلو اقترحنا النجم لم يتعذر
في فتية علمت ذكاء بحسنهم * فتلفعت من غيمها في مئزر
والسرحة الغناء قد قبضت بها * كف النسيم على لواء اخضر
وكأن شكل الغيم منخل فضة * يلقي على الآفاق رطب الجوهر

واجتاز بعض الغلمان على أبي بكر بن يوسف فسلم عليه باصبعه فقال أبو بكر في ذلك وأشار في البيت الثالث الى أن والد الغلام كان خطيب البلد

من يعذرني من علي رد رسولي عما وجهته له وفعل كذا والله لنعطينه حقه فلما رجع علي استقبله الناس فقالوا ان أمير المؤمنين عليك غضبان لتشييعك اباذر فقال علي غضب الخيل على اللجم ثم جاء فلما كان بالعشي جاء الى عثمان فقال له ما حملك على ماصنعت بمروان واجترأت علي ورددت رسولي وأمري قال اما مروان فانه استقبلني يردني فرددته عن ردي وأما أمرك فلم أرده قال عثمان أولم يبلغك اني قد نهيت الناس عن أبي ذر وعن تشييعه فقال علي أوكل ما أمرتنا به من شيء نرى طاعة الله والحق في خلافه اتبعنا فيه أمرك بالله لا نفعل قال عثمان أقد مروان قال وما أقيده قال ضربت بين أذني راحلته قال علي أما راحلتي فهي تلك فان أراد أن يضربها كما ضربت راحلته فليفعل وأما أنا فوالله لئن شتمني لاشتمنك أنت مثلها بما لا أكذب فيه ولا أقول الا حقا قال عثمان ولم لا يشتمك اذا شتمته فوالله ما أنت عندي بأفضل منه فغضب علي بن أبي طالب وقال الي تقول هذا القول وبمروان

تعدلني فانا والله أفضل منك وأبي أفضل من أبيك وأمي أفضل من أمك وهذه نبلي قد نثلتها وهلم

مر الغـــزال بنــامر وعانافـــرا * كشبيهه فى القفر ريع بصائده
لثم السلامى فى السلام تسترا * ثم انثنى حذر الرقيب الراصـده
هلا تكلف وقفـة لمحبـه * ولو انهـا قصرا كجلسة والده

وقال أبو الحسن بن الحاج

فى حرّان المشارع جمة * وعنـدى اليها غلة وأوام
ومن نكد الايام أن يعدم الغنى * كريم وأن المكثرين لئام

وقال أبو القاسم القبتورى

واحسرتا لامور ليس يبلغها * مالى وهن منى نفسى وآمالى
أصبحت كالآل لا جدوى لدى وما * آليت جدا ولكن جدى الآل لى

وقال أحمد بن أمية البلنسى

قال رئيسى حين فاوضته * ومادرى أن مقامى عسير
أقم فقلت الحال لا تقتضى * فقال سر قلت جناحى كسير

وقال ابن برطلة

لله ما ألقاه من همة * لا ترتضى الا السها منزلا
ومن نحول كلما رمت أن * اسمو به بين الورى قال لا

وكتب ابن خروف لبعض الرؤساء

يا من حوى كل مجد * بجده وبجده
أتاك نجل خروف * فامنن عليه بجده

وكتب أيضا لبعضهم يستدعى فروة

بهاء الدين والدنيا * ونور المجد والحسب
طلبت مخافة الانوا * ء من جدواك جلد أبى
وفضلك عالم أنى * خروف بارع الادب
حلبت الدهر أشطره * وفى حلب صفا حلبى

وبعد كتبى لما ذكر خشيت أن يكون لابن خروف المشرقى لا الاندلسى والله تعالى أعلم * وركب محبوب أبى بكر بن مالك كاتب ابن سعد بغلة رديف رجل يعرف بالدب فقال أبو بكر فى ذلك

وبغلة ما لها مثال * يركبها الدب والغزال
كأن هذا وذا عليها * سحابة خلفها هلال

وخرج محبوب لابى الحسن بن حريق يوم النزهة وعرض سيل عاقه عن دخول البلد فبات ليلة عند أبى الحسن فقال فى ذلك

يا ليلة جادت الامانى * بها على رغم أنف دهرى
تسيل فيها على نعمى * يقصر عنها لسان شكرى
أبات فى منزلى حبيبى * وقام فى أهله بعذر

فأقبل بنيك فغضب عثمان واحمر وجهه فقام ودخل داره وانصرف على فاجتمع اليه أهل بيته ورجال من المهاجرين والانصار فلما كان من الغد واجتمع الناس الى عثمان شكا اليهم عليا وقال انه يعيبنى ويظاهر من يعيبنى يريد بذلك أبا ذر وعمار بن ياسر وغيرهما فدخل الناس بينهما وقال له على والله ما أردت تشييع أبا ذر الا الله وقد كان عمار حين بويع عثمان بلغه قول أبى سفيان صخر ابن حرب فى دار عثمان عقيب الوقت الذى بويع فيه عثمان ودخل داره ومعه بنو أمية فقال أبو سفيان أفيكم أحد من غيركم وقد كان عمى قالوا لا قال يا بنى أمية تلقفوها تلقف الكرة فوالذى يحلف به أبو سفيان مازلت أرجوها لكم ولتصيرن الى صبيانكم وراثة فانتهره عثمان وساءه ما قال ونمى هذا القول الى المهاجرين والانصار وغير ذلك من الكلام فقام عمار فى المسجد فقال يا معشر قريش أما اذا صرفتم هذا الامر عن أهل بيت نبيكم ههنا مرة وههنا مرة فما أنا بآمن أن ينزعه الله فيضعه فى غيركم كما نزعتموه من أهله ووضعتموه فى غير أهله وقام المقداد فقال ما رأيت مثل ما أوذى به أهل هذا البيت بعد نبيهم فقال له عبد الرحمن بن عوف وما أنت وذاك يا مقداد بن عمرو فقال انى

وبت لاحالة كحالى * صريع سكر صحيح بدر
ياليلة القدر فى الليالى * لانت خير من الف شهر

وقال أبو الحسن بن الزقاق

عذيرى من هضيم الكشح أحوى * رخيم الدل قد لبس الشبابا
أعد الهجر هاجرة لقلبى * وصير وعده فيها سرابا

وقال أبو بكر بن الجزار السرقسطى

ثناء الفتى يبقى ويفنى ثراؤه * فلا تكتسب بالمال شيأ سوى الذكر
فقد أبلت الايام كعبا وحاتما * وذكرهما غض جديد الى الحشر

وقال الاديب أبو عبد الله الجذامى كان لشخص من أصحابنا قينة فبينما هو ذات يوم قد رام تقبيلها على اثر سواك أبصره بمبسمها اذ مر قوال ينادى على فول بيده قال فكلفنى أن أقول فى ذلك شيأ فقلت

ولما نسيوم الانس حين سمعت لى * واهديت لى من فيك فول سواك
ومر بنا القوال للفول مادحا * وما قصده فى المدح فول سواك

وشرب يوما ابو عبد الله المذكور عند بعض الاجلة وذرعه القىء فارتجل فى العذر

لاتؤاخذ من اخل به * قهوة فى الكاس كالقبس
كيف يلحى فى المدام فتى * اخذته اخذ مفترس
دخلت فى الحلق مكرهة * ضاق عنها موضع النفس
خرجت من موضع دخلت * انفت من مخرج النجس

وجلس سلمة بن احمد الى جنب وسيم يكتب من محبرة فانصب الحبر منها على ثوب سلمة فخجل الغلام فقال سلمة

صب المداد وما تعمد صبه * فتورد الخد المليح الازهر
يامن يؤثر حبره فى ثوبنا * تأثير لحظك فى فؤادى اكبر

وكان لابى الحسن بن حزمون بمرسية محبوب يدعى اباعامر وسافر ابو الحسن فبينما هو بخارج المرية اذ لقى فتى يشبه محبوبه وساله عن اسمه فأخبره بأنه يدعى اباعامر فقال ابو الحسن فى ذلك

الى كم افر أمام الهوى * وليس لذا الحب من آخر
وكيف أفر أمام الهوى * وفى كل واد ابو عامر

وحضر ابو بكر بن مالك كاتب ابن سعد مع محبوبه لارتقاب هلال شوال فاغمى على الناس ورآه محبوبه فقال ابو بكر فى ذلك

توارى هلال الافق عن اعين الورى * ولاح لمن اهواه منه محياه
فقلت لهم لم تفهموا كنه سره * ولكن خذوا عنى حقيقة معناه
بدا الافق كالمرآة راق صفاؤه * فابصر دون الناس فيه محياه

وكتب ابو بكر بن حبيش لمن يهواه بقوله

متى ما ترم شرحا لحالى وتبيينا * فصحف على قلبى علومك تحيينا

أعجب من قريش وأنت تطولهم على الناس أهل هذا البيت قد اجتمعوا على نزع سلطان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده من أيديهم أما وايم الله يا عبد الرحمن لو أجد على قريش أنصارا لقاتلتهم كقتالى اياهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وجرى بينهم من الكلام خطب طويل قد أتينا على ذكره فى كتابنا أخبار الزمان فى اخبار الشورى والدار (ولما كان سنة) خمس وثلاثين سار مالك ابن الحرث النخعى من الكوفة فى مائتى رجل وحكيم بن جبلة العبدى فى مائة رجل من أهل البصرة ومن اهل مصر ستمائة رجل عليهم عبد الرحمن بن عديس الشلوى وقد ذكر الواقدى وغيره من أصحاب السير انه ممن بايع تحت الشجرة الى آخرين ممن كان بمصر مثل عمرو بن الحموح الخزاعى وسودان بن احمد التجيبى ومنهم محمد بن ابى بكر الصديق وقد كان تكلم بمصر وحرض الناس على عثمان لام يطول ذكره كان السبب فيه مروان بن الحكم فنزلوا فى الموضع المعروف بخشب فلما علم عثمان نزولهم بعث الى على بن ابى طالب فاحضره وساله ان يخرج اليهم ويضمن لهم عنه كل ما يريدون من العدل وحسن السيرة فسار

اذاهم بغلام على بعيره وهو مقبل من المدينة فتاملوه فاذا هو ورش غلام عثمان ففرروه فاقروا واظهر كتابا الى ابن ابى سرح صاحب مصر اذا قدم عليك الجيش فاقطع يد فلان واقتل فلانا وافعل بفلان كذا واحصى اكثر من فى الجيش وأمر فيهم بما أمر وعلم القوم ان الكتاب بخط مروان فرجعوا الى المدينة واتفق رأيهم ورأى من قدم من العراق ونزلوا المسجد وتكلموا وذكروا ما نزل بهم من عمالهم ورجعوا الى عثمان فحصروه فى داره ومنعوه الماء فاشرف على الناس وقال ألا احد يسقينا وقال بم تستحلون قتلى وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان او زنا بعد احصان او قتل نفس بغير نفس ووالله ما فعلت ذلك فى جاهلية ولا اسلام فبلغ عليا طلبه للماء فبعث اليه بثلاث قرب ماء فما وصل اليه ذلك حتى خرج جماعة من موالى بنى هاشم وبنى امية وارتفع الصوت وكثر الضجيج واحدقوا بداره بالسلاح وطالبوه بمروان فابى ان يخلى عنه وفى الناس بنو زهرة لاجل عبد الله بن مسعود لانه كان من

اراد انى بحبك مولع * وكتب القاضى بن السليم الى الحكم المستنصر بالله

لو ان اعضاء جسمى ألسن نطقت * بشكر نعمائك عندى قل شكرى لك

او كان ملكنى الرحمن من اجلى * شيأ وصلت به ياسيدى اجلك

ومن تمكن فى الورى آماله كثرت * فاغا املى فى ان ترى أملك

وقال الوزير ابن ابى الخصال

وكيف أؤدى شكر من ان شكرته * على بر يوم زادنى مثله غدا

فان رمت اقضى اليوم بعض الذى مضى * رايت له فضلا على مجددا

وقال الرصافى

قلدت جيد المكرمن تلك الحلى * ماشاءه المنثور والمنظوم

وأشرت قدامى كانى لاثم * وكأنك فى ذلك الملثوم

وقال

وبالك نعمة رمنا مداها * فاوصل اللسان ولا الضمير

عجزنا أن نقوم لها بشكر * على أن الشكور لها كثير

وقال ابن باجة

قوم اذا انتقبوا رأيت أهلة * واذا هم سفروا رأيت بدورا

لا يسألون عن النوال عفاتهم * شكرا ولا يحمون منه نقيرا

لو أنهم مسحوا على جدب الربا * باكفهم نبت الاقاح نضيرا

وقال ابن الابار يمدح اباز كريا سلطان افريقية

تحلت بعلياك الليالى العواطل * ودانت لسقياك السحاب الهواطل

ومازينة الايام الا مناقب * يفرعها أصلان باس ونائل

اذا الطول والصول استقلا براحة * ترقت لها نحو النجوم أنامل

وقال ايضا فى سعيد بن حكم رئيس منرقة

سيد أيد رئيس بئيس * فى اسارير ه صفات الصباح

قمر فى افق المعالى تجلى * وتحلى بالسؤدد الوضاح

سلم البحر فى السماحة منه * لجواد سموه بحر السماح

وقال ابو العباس احمد الاشبيلى

يا افضل الناس اجماعا ومعرفتى * تغنى وما الحسن فى ريب ولا ريب

ورثت عن سلف ماشئت من شرف * فقد بهرت بموروث ومكتسب

وقال ابن زهر الحفيد

يامن يذكرنى بعهد احبتى * طاب الحديث بذكرهم ويطيب

اعد الحديث على من جنباته * ان الحديث عن الحبيب حبيب

ملأ الضلوع وفاض عن احنائها * قلب اذا ذكر الحبيب يذوب

مازال يخفق ضاربا بجناحه * ياليت شعرى هل تطير قلوب

وقال فى زهر الكتان

اهـلا بزهر اللاز وردوم حبا * فى روضة الـكتان تعطفه الصبا
لو كنت ذا جهـل لحلتك لجة * وكشفت عن ساق كما فعلت سبا

ولما قال الموشحة المشـهورة التى أولها *صادنى ولم يدر ماصادا* قال ابو بكر بن الجد لوسئل عما صـاد لقال تيس بلحية حمراء ولما قال الموشحة التى اولها هات بنت العنب واشرب الى قوله وفدء بأبى ثم بى سمعها ابوه فقال يفديه بالعجوز السوداء واما انا فلا* وهنالك ابو بكر بن زهر الاصغر وهو ابن عم هذا الاكبر ومن نظم الاصغر

والله ما ادرى بما اتوسـل * اذليس لى ذات بها اتوصـل
لـكن جعلت مودتى مع خدمتى * لعلاك احظى شافع يتقبـل
ان كنت من ادوات زهر عاطـلا * فالزهر منهن السماك الاعزل

وهـذه الابيات خاطب بها المأمون بن المنصور صاحب المغرب *وقال الاديب ابو جعفر عمر ابن صاحب الصلاة

ومازالت الدنيا طريقا لهالك * تباين فى احوالها وتخالف
ففى جانب منها تقوم مآتم * وفى جانب منها تقوم معازف
فمن كان فيها قاطنا فهو ظاعن * ومن كان فيها آمنا فهو خائف

وقال ابو بكر محمد بن صاحب الصلاة يخاطب اخيل لما انتقل الى العدوة

لاتنكـرن زمانا * رماك منه بسـهم
وانت غاية مجـد * فى كل علم وفهم
هـذى دموعى حتى * يراك طرفى تهمى
ياليت ما كنت اخشى * عليك عدوان هم
وانما الدهـر يبدى * مالايجوز بوهـم
مازال شـيهم مس * لـكل يقظان شهم

ولما وفد اهل الاندلس على عبد المؤمن قام خطيبا ناثرا وناظما فاتى بالعجب وباهى به اهل الاندلس فى ذلك الوقت وله فى عبد المؤمن

هم الالى وهبوا للعرب انفسـهم * وانهبوا ماحوت ايديهم الصفدا
مال ان يغبون كحل الشمس من رهج * كانما عينها تشكو لهم رمدا

وقال ابن السيد البطليوسى فى ابى الحـكم عمرو بن مذحج بن حزم وقد غلب على لبه واخذ بمجامع قلبه

راى صاحبى عمرا فكلف وصفه * وحملنى من ذاك مالبس فى الطوق
فقلت له عمرو كعمر وفقال لى * صدقت ولـكن ذاك شب عن الطوق

وفيه يقول ابن عبدون

ياعمر رورد على الصدور قلوبها * من غير تقطيع ولاتحريق
وأدر علينا من خلالك اكؤسا * لم تأل تسكرنا بغـير رحيق

وفيه يقول احدهما

ابى ذر وتميم بن مرة مع محمد بن ابى بكر وغير هؤلاء ممن لايحمل ذكره كما ابنا فلما بلغ عليا انهم يريدون قتله بعث بابنيه الحسن والحسين ومواليه بالسلاح الى بابه لنصرته وأمرهم أن يمنعوه منهـم وبعث الزبير ابنه عبد الله وبعث طلحة ابنـه محمـدا وأكـثر أبناء الصحابة أرسلهم آباؤهم اقتداء بمن ذكرنا فصدوهم عن الدار فرمى من وصفنا بالسهام واشتبك القـوم وجرح الحسن وشج قنبر وجرح محمد بن طلحة فخشى القوم أن يتعصب بنو هاشم وبنو أمية فتركوا القوم فى القتال على البـاب ومضى نفر منهم الى دار قوم من الانصـار فتسوروا عليهـا وكان ممن وصل اليه محمد ابن أبى بكر ورجلان آخران وعند عثمـان زوجته وأهله ومواليه مشاغيل بالقتال فأخذ محمد بن أبى بكر بلحيته فقال يامحمد والله لو رآك أبوك لساءه مكانك فتراخت يده وخرج عنه الى الدار ودخل رجـلان فوجـداه فقتلاه وكان المصحف بـين يديه يقرأ فيه فصعدت امرأته فصرخت وقالت قد قتل أمير المؤمنين فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما من بنى أمية فوجدوه قد فاضت نفسه رضى الله عنه فبكوا فبلغ ذلك عليا وطلحة والزبير وسعدا وغيرهم من المهاجرين

والانصار فاسترجع القوم وأتيا على الباب ولطم الحسن وضرب الحسين وشتم محمد بن طلحة ولعن عبد الله بن الزبير فقال له طلحة لاتضرب يا أبا الحسن ولا تشتم ولا تلعن لو دفع مروان ما قتل وهرب مروان وغيره من بني أمية وطلبوا ليقتلوا فلم يوجدوا وقال على لزوجته نائلة بنت الفرافصة من قتله وأنت كنت معه فقالت دخل اليه رجلان وقصت خبر محمد بن أبي بكر فلم ينكر ما قالت وقال والله لقد دخلت عليه وأنا أريد قتله فلما خاطبني بما قال خرجت ولا أعلم بتخلف الرجلين عني والله ما كان لي في قتله سبب ولقد قتل وأنا لا أعلم بقتله وكان مدة ما حوصر عثمان في داره تسعا وأربعين يوما وقيل أكثر من ذلك (وقتل) في ليلة الجمعة لثلاث بقين من ذي الحجة وذكر أن أحد الرجلين كنانة بن بشر التجيبي ضربه بعمود على جبهته والآخر منهما سودان ابن حمران المرادي ضربه بالسيف على حبل عاتقه فحله (وقد قيل) ان عمرو ابن الحمق طعنه بسهام تسع طعنات وكان فيمن مال

قل لعمرو بن مذحج * جاء ما كنت ارتجي
شارب من زبرجد * وطلى من بنفسج

وكتب اليه ابن عبدون

سلام كما هبت من المزن نفحة * تنفس عند الفجر من وجهها الزهر

ومنها

أبا حسن أبلغ سلام في يدي * أبي حسن وارفق فكلتاهما بحر
ولا تنس عينك التي هي والندى * رضيعا لبان لا اللجين ولا التبر

فأجابه من أبيات

تحير ذهني في مجاري صفاته * فلم أدر شعر ما به فهت أم سحر
أرى الدهر أعطاك التقدم في٣ * وان كان قدوا في أخيرا بك الدهر
لئن حازت الدنيا لك الفضل آخرا * ففي آخريات الليل ينبلج الفجر

ولعمرو في أبي العلاء بن زهر

قدمت علينا والزمان جديد * ومازلت تبدي في الندى وتعيد
وحق العلا لولا م اتبك العلا * لما اخضر في أفق المكارم عود
فلو حوا بني زهر فان وجوهكم * نجوم بأفلاك العلا سعود

وقوله لابي الوليد ابن عمه

أني لاعجب أن يدنو بنا وطن * ولا يقضى من العليا لنا وطر
لا غرو ان بعدت دار ومصاقبة * بنا وجدّ بنا للحضرة السفر
فمعمر العين لا يلقاه ناظرها * وقد توسع في الدنيا به النظار

وقال ابن عمه أبو بكر محمد بن مذحج يخاطب ابن عمه أبا الوليد

ولما رأى حمص استخفت بقدره * على انها كانت به ليلة القدر
تحمل عنها والبلاد عريضة * كما سل من غمد الدجى صارم الفجر

وقال أبو الوليد المذكور

أتجزع من دمعي وأنت أسلته * ومن نار أحشائي وأنت لهيبها
وتزعم أن النفس غيرك علقت * وأنت ولا منّ عليك حبيبها
اذا طلعت شمس على بسلوة * أثار الهوى بين الضلوع غروبها

وله أيضا

لما استمالك معشر لم أرضهم * والقول فيك كما علمت كثير
داريت دونك مهجتي فتماسكت * من بعدما كادت اليك تطير
فاذهب فغير جوانحي لك منزل * واسمع فغير وفائك المشكور

وقال

يقول وقد لمته في هوى * فلان وعرضت شيأ قليلا
أتحسدني قلت لا والذي * أحلك في الحب مرعى وبيلا
وكيف وقد حل ذاك الجناب * وقد سلك الناس ذاك السبيلا

وله مما يكتب على قوس

اني اذا رفعت سماء عجاجتي * والحرب تقعد بالردى وتقوم

٣ قوله ارى الدهر الخ هكذا بالاصل ووزنه ومعناه غير مستقيمين ولعل اصله التقدم في الورى وان اخ اه

وعمرو الابطال في جنباتها * والموت من فوق النفوس يحوم
مرقت لهم منا الحتوف كانما * نحن الاهلة والسهام نجوم

وقال أبو الحسين بن قندلة في كلب صيد

فجعت بمن لورمت تعبير وصفه * لقل ولوأني غرفت من البحر
بأخطل وثاب طموح مؤدب * ثبوت يصيد النسر لوحل في النسر
كلون الشباب الغض في وجهه سنى * كأن ظلاما ليس فيه سوى البدر
اذا سار والبازي أقول تعجبا * ألا ليت شعري يسبق الطير من يجري

ولا يلتفت الى قول أبي العباس بن سيد فيه

الموت لا يبقي على مهجة * لا أسدا يبقي ولا نعثله
ولا شريفا لبني هاشم * ولا وضيعا لبني قندله

وكان ابن سيد مسلطا على هذا البيت قال ابن سعيد وانما يبهج الكاتب القمر قال أبو العباس النبار كان أبو الحسين يلقب بالوزغة فوصلت الى بابه يوما فحجب عني فكتبت على الباب

تحجب القندلي عني * فساء من فعله ضميري
ينفر من رؤيتي كاني * مضمخ الجيب بالعبير

قال ومن عادة الوزغة أن تكره رائحة الزعفران وتهرب منه *وقال أبو القاسم بن حسان

الا ليتني ما كنت يوما معظما * ولا عرفوا شخصي ولا علموا قصري
أكافى في حال المشيب بمثل ما * تحملته والغصن في ورق نضر
فما عاش في الايام في حرعيشة * سوى رجل ناء عن النهي والامر

وقال أبو بكر بن مرتين

صحبت منك العلا والفضل والكرما * وشيمة في الندى لا ترتضي السأما
مودة في ثرى الانصاف راسخة * وسمكها فوق أعناق السماء سما

وقال

أنصفتني فعضتك الود الذى * يجزى بصفوته الخليل المنصف
لا تشكرن سوى خلالك انها * جلبت اليك من الثنا ما يعرف

وقال

ياهلالا يتجلى * وقضيبا يتثنى
كل أنس لم تكنه * فهو لفظ دون معنى

وقال القاضي أبو عبد الله محمد بن زرقون

ذكر العهد والديار غريب * فجرى دمعه ولج النحيب
ذكر العهد والنوى من حبيب * حبذا العهد والنوى والحبيب
اذ صفاء الوداد غير مشوب * بتجن وودنا مشبوب
واذا الدهر دهرنا واذا الدا * رقريب واذ يقول الرقيب

ومنها

أسأل الله عفوه فلئن سا * ء مقالي لقد تعف القلوب
قد ينال التقي الصغائر طرفا * لا سواها وللذنوب ذنوب
وأخو الشعر لا جناح عليه * وسواء صدوقه والكذوب

في الموضع المعروف بحش كوكب وهذا الموضع فيه مقابر بني أمية ويعرف أيضا بحل وصلى عليه جبير ابن مطعم وحكيم بن حزام وأبو جهم بن حذيفة (ولما حوصر عثمان) كان أبو ايوب الانصاري رضي الله عنه يصلي بالناس ثم امتنع فصلى بهم سهل بن حنيف فلما كان يوم النحر صلى بهم علي وقيل ان عثمان قتل ومعه في الدار من بني أمية ثمانية عشر رجلا فيهم مروان بن الحكم (وفي مقتله) تقول زوجته نائلة بنت الفرافصة

ألا ان خير الناس بعد ثلاثة * قتيل التجيبي الذى جاء من مصر
ومالي لا أبكي وتبكي قرابتي * وقد غيبوا عنا فضول أبي عمرو

وقال حسان بن ثابت فيمن تخلف عنه وخذله من الانصار وغيرهم وأعان على قتله والله أعلم بما قاله من أبيات

خذلته الانصار اذ حضر المو * ت وكانت ولاية الانصار
من عذيري من الزبير ومن طلـ * ـحة اذ جاء أمر له مقدار
فتولى محمد بن أبي بكـ * ـر عيانا وخلفه عمار

في شعر له طويل يذكر فيه غير من ذكرنا وينسبهم الى التمالئ على قتله والرضا بما فعل به والله أعلم وكان

وقال يا معدن الفضل وطود الحجا * لازلت من بحر العلا تغترف
عبدك بالباب فقل منعما * يدخل أو يصبر أو ينصرف

وقال الخطيب أبو عبد الله محمد بن عمر الاشبيلي

وكل الى طبعه عائد * وان صده المنع عن قصده
كذا الماء من بعد اسخانه * يعود سريعا الى برده

وقال امام اللغة أبو بكر محمد بن الحسين الزبيدي الاشبيلي

ما طلبت العلوم الالافى * لم أزل من فنونها في رياض
ماسواها له بقلبي حظ * غير ما كان للعيون المراض

وقال أشعرن قلبك ياسا * ليس هذا الناس ناسا
ذهب الابريز منهم * فبقوا بعد نحاسا
سام بين يقولو * ن جميعا لامساسا

وكان كتاب العين للخليل مختل القواعد فاعتنى له هذا الامام وصقل صداه كما يصقل الحسام وأبرزه في أجمل منزع حتى قيل هذا انما أبدع واخترع وله كتاب في النحو يسمى الواضح وصيره الحكم المستنصر مؤدبا لولده هشام المؤيد وبالجملة فهو في المغرب بمنزلة ابن دريد في المشرق * وقال النحوي أبو بكر محمد بن طلحة الاشبيلي وشعره رقيق خارج عن شعر النحاة ومنه

الى أي يوم بعده يرفع الخمر * وللورق تغريد وقد خفق النهر
وقد صقلت كف الغزالة افقها * وفوق متون الروض أردية خضر
وكم قد بكت عين السماء بدمعها * عليها ولولا ذاك ما ابسم الزهر

وقال بدا الهلال فاما * بدا انقصت وتما
كان جسمي فعل * وسحر عينيه لما

وكان لا يملك نفسه في النظر الى الصور الحسان وأتاه يوما أحد أصحابه بولد له فتان الصورة فعندما دخل مجلسه قصر عليه طرفه ولم يلتفت الى والده وجعل والده يوصيه عليه وهو لا يعلم ما يقول ولم يلتفت الى والده وقد افتضح في طاعة هواه فقال له الرجل يا أبا بكر حقق النظر فيه لعله مملوك ضاع لك وقد جبره الله تعالى عليك ولكن على من يتركه عندك لعنة الله هذا ما علمت بحضري والله ان غاب معك عن بصري لمحة لتفعلن به ما اشتهر عنك وأخذ ولده وانصرف به فانقلب المجلس ضحكا * وقال أبو جعفر أحمد بن الابار الاشبيلي وهو من رجال الذخيرة

زارني خيفة الرقيب مريبا * يتشكى منه القضيب الكثيبا
رشأ راش لي سهام المنايا * من جفون يسبين القلوبا
قال لي ما ترى الرقيب مطلا * قلت دعه اتى الجناب الرحيبا
عاطه أكؤس المدام دراكا * وأدرها عليه كوبا فكوبا
واسقنيها من خمر عينيك صرفا * واجعل الكاس منك ثغرا شنيبا

عثمان حسانيا منحرفا عن غيره وكان عثمان اليه محسنا وهو المتوعد للانصار في قوله في شعره

يا ليت شعري وليت الطير تخبرني
ما كان شأن علي وابن عفانا
لتسمعن وشيكا في ديارهم
الله اكبر يا ثارات عثمانا

وكان عثمان رضي الله عنه كثيرا ما ينشد أبياتا قالها ويطيل ذكرها مالا يعرف لغيرها منه وهي

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها
من الحرام ويبقى الاثم والعار
يلقى عواقب سوء من مغبتها
لا خير في لذة من بعدها النار

وكان الوليد بن عقبة بن أبي معيط أخا عثمان لامه فسمع في الليلة الثانية من مقتل عثمان يندبه وهو يقول

بني هاشم ايه فما كان بيننا
وسيف ابن أروى عندكم وحرائبه
بني هاشم ردوا سلاح ابن أختكم
ولا تنهبوه ما تحل مناهبه
غدرتم به كي ما تكونوا مكانه
كما غدرت يوما بكسرى مرازبه

وهي أبيات فأجابه عن هذا الشعر وفيما رمى به بني هاشم ونسب اليهم الفضل ابن العباس بن عبد المطلب فقال

فلا تسألونا سيفكم ان سيفكم * اضيع والقاه لدى الروع صاحبه

قال

قال لابد أن ندب عليه * قلت أبغي رشا وآخذ ذيبا
قال فابدأ بنا ونثن عليه * قلت عمري لقد أتيت قريبا
فوثبنا على الغزال ركوبا * وسعينا على الرقيب دبيبا
فهل ابصرت أو سمعت بصب * نال مجو به ونال الرقيبا

وأنشد له ابن حزم

أو ما رأيت الدهر أقبل معتبا * متنصلا بالعذر مما أذنبا
بالامس اذبل في رياضك أيكة * واليوم أطلع في سمائك كوكبا

وقيل انه خاطب بهما ابن عباد ملك اشبيلية وقد ماتت له بنت وولد له ابن وبعضهم ينسبهما لغيره * ودخل الاديب أبو القاسم العطار الاشبيلي حماما باشبيلية فجلس الى جانبه وسيم نجري العينين فافتتن بالنظر اليه والمحادثة الى أن قام وقعد في مكانه اسود فقال

مضت جنة المأوى وجاءت جهنم * فها أنا أشقى بعدما كنت أنعم
وما كان الا الشمس حان غروبها * فاعقبها جنح من الليل مظلم

وقال الاديب المصنف أبو عمرو عثمان بن علي بن عثمان بن الامام الاشبيلي صاحب سمط الجمان

عذيري من الايام لا در درها * لقد جاءتني فوق ما كنت أرهب
وقد كنت جلدا ما يهنهني النوى * ولا يستبيني الحادث المتغلب
يقاسي صروف الدهر مني مع الصبا * جذيل حكاك أو عذيق مرجب
وكنت اذا ما الخطب مد جناحه * على تراني تحته أتقلب
فقد صرت خفاق الجناح يروعني * غراب اذا أبصرته وهو ينعب
واحسب من ألقى حبيبا مودعا * وان بلاد الله طرا محصب

قدام تعرض للآداب في صدر دولة بني عبد المؤمن فجمع شمل الفضلاء الذين اشتملت عليهم المائة السابعة الى مبلغ سنه منها في ذلك الاوان واستولى بذلك على خصل الرهان وانفرد بهذه الفضيلة التي لم ينفرد بها الافلان وفلان * وكان الاديب العالم الصالح أبو الحسن علي بن جابر الدباج الاشبيلي اماما في فنون العربية ولكن شهر باقراء كتب الآداب كالكامل للمبرد ونوادر القالي وما أشبه ذلك وكان مع زهده فيه ملوذعيه ومن ظرفه ان أحد تلامذته قال لغلام جميل الصورة بالله أعطني قبلة فمطل رمقي فشكاه الى الشيخ فقال له يا سيدي فار لي هذا كذا فقال له الشيخ واعطيته ما طلب فقال لا فقال له ما هذه الثقالة أكفاك أن حرمته حتى تشتكي به ايضا وحسبك من جلالة قدره ان اهل اشبيلية رضوا اماما في جامع العديس وله

لما تبدت وشمس الافق بادية * ابصرت شمسين من قرب ومن بعد
من عادة الشمس تعشي عين ناظرها * وهذه نورها يشفي من الرمد

قال مالك بن وهب

أراميتي بالسحر من لحظاتها * نعيذك كيف الرمي من دون اسهم

سلوا أهل مصر عن سلاح ابن أختنا
فهم سلبوه سيفه وحرائبه
وكان ولي العهد بعد محمد
علي وفي كل المواطن صاحبه
علي ولي الله أظهر دينه
وأنت مع الاشقين فيما تحاربه
وأنت امرؤ من اهل صيفور مارح
فمالك فينا من حميم تعاتبه
وقد أنزل الرحمن أنك فاسق
فمالك في الاسلام سهم تطالبه

(قال المسعودي) رحمه الله ولعثمان أخبار وسير وما ترجمان قد أتينا على ذكرها في كتابنا أخبار الزمان والكتاب الاوسط وكذلك ما كان في أيامه من الكوائن والاحداث والفتوح والحروب مع الروم وغيرهم والله ولي التوفيق
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تم الجزء الاول ويليه الجزء الثاني اوله ذكر خلافة امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله تعالى وجهه ورضي عنه

الا فاعلمي أن قد اصبت قواءلي * سهاملك او ... في واستعلم
فانسان عين الدهر أصميت فاحذري * مطالبة بالقلب واليد والفم
اما هو في غيل غدا غابه القنا * تحف به آساد كل ملثم
ولوان لي ركائبا ديدابجدة * او يت له من باس لحظك فارجي

وهو اشبيلي كان من اهل الفلسفة كما في المسهب قال وهو فيلسوف المغرب ظاهر الزهد والورع استدعاه من اشبيلية امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين الى حضرة مراكش وصيره جليسه وانيسه وفيه يقول بعض اعدائه

دولة لابن تاشفين علي * طهرت بالكمال من كل عيب
غير أن الشيطان دس اليها * من خبايا مالك بن وهيب

وامر على مناظرة محمد بن تومرت الملقب بالمهدي الذي انشأ دولة بني عبد المؤمن * وقال أبو الصلت امية بن عبد العزيز المذكور في غير هذا الموضع من هذا الكتاب يستدعي بعض اخوانه

بعلا ليك وجدك * جد باقبالك لعبدك
حضر الكل ولكن * لم يطب شئ لفقدك

وقال

وراغب في العلوم مجتهد * لكنه في القبول جلمود
فهو كذي عنة به شبق * ومشتهي الاكل وهو معمود

وقال

لئن عرضت نوى وعدت عواد * أدالت من دنوك بالبعاد
فما بعدت عن اللقيا جسوم * تدانت بالمحبة والوداد
ولكن قرب دارك كان اندى * على كبدي واحلى في فؤادي

وله في مجمرة

ومحرورة الاحشاء لم تدر ما الهوى * ولم تدر ما يلقى المحب من الوجد
اذا ما بدا برق المدام رأيتها * تثير غماما في الندى من الند
ولم أر نارا كلما شب جمرها * رأيت الندامى منه في جنة الخلد

وقوله من قصيدة

وان هم نكصوا يوما فلا عجب * قد يكهم السيف وهو الصارم الذكر
العود أحمد والايام ضامنة * عقبى النجاح ووعد الله منتظر

وقال

تقريب ذي الامر لاهل النهى * أفضل ما ساس به أمره
هذا به أولى وماضره * تقريب أهل اللهو في الندره
عطارد في جل أوقاته * أدنى الى الشمس من الزهره

وقوله

تفكر في نقصان مالك دائما * وتغفل عن نقصان جسمك والعمر
و يثنيك خوف الفقر عن كل بغية * وخيفة حال الفقر شر من الفقر

وقوله

يالهم لم تبن من القصر * كأنها قبلة على حذر
لم تك الا كلا ولا ومضت * تدفع في صدرها يد السحر

وقال

اليوم الذي قتل فيه عثمان ابن عفان رضي الله عنه فكانت خلافته الى أن استشهد أربع سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام وقيل اربع سنين وتسعة أشهر الا يوما وكانت الفرقة بينه و بين معاوية على ما ذكرنا في خلافته وكان مولده في الكعبة وقيل ان خلافته كانت خمس سنين وثلاثة أشهر وسبع ليال واستشهد وهو ابن ثلاث وستين سنة وعاش بعد الضربة الجمعة والسبت وتوفي ليلة الاحد وقد قيل في مقدار عمره أقل مما ذكرنا وقد تنوزع في موضع قبره فمنهم من قال انه دفن في مسجد الكوفة ومنهم من قال انه حمل الى المدينة فدفن عند فاطمة ومنهم من قال حمل في تابوت على جمل وان الجمل تاه ووقع الى وادي طي وقد قيل من الوجوه غير ما ذكرنا وقد أتينا على ذلك في كتابنا في أخبار الزمان والكتاب الاوسط (ذكر نسبه ولمع من أخباره وسيره) هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف و يكنى أبا الحسن وامه فاطمة بنت أسد بن هاشم ابن عبد مناف ولم يكن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم الى وقتنا هذا من خلافة المتقي من اسمه علي

وقال فيمن نظر اليه فأعرض عنه

قالوا ثني عنك بعد البشر صفحته * فهل اصاخ الى الواشي فغيره
فقلت لا بل درى وجدي بعارضه * فرد صفحته عمدا الابصره

وقال

حكت الزمان تلونا * لمحبها العاني الاسير
فوصالها برد الاصيل وهجرها حر الهجير

وقال يستدعي

هو يوم كما تراه مطير * جلب القرفيه والزمهرير
وأرانا الغمام والبرد ثوبيـن علينا كلاهما مجرور
ولدينا شمسان شمس من الرا * ح وشمس تسعى بها وتدور
فن الرأى ان تشب الكوانيـن باجزالها وترخى الستور
فاترك الاعتذار فيه فترك الشرب في مثل يومنا تغرير

وقال

هو البحر غص فيه اذا كان ساكنا * على الدر واحذره اذا كان مزبدا

وقال

غبت عنا فغاب كل جمال * ونأى اذ نأيت كل سرور
ثم لما قدمت عاودنا الانس وقرت قلوبنا في الصدور
فلوانا نجزى البشير بنعمى * لوهبنا حياتنا للبشير

وقال

كم ضيعت منك المنى حاصلا * كان من الاحزم أن يحفظا
فالفظ بها عنك فن حق ما * يخفى صواب الرأى أن يلفظا
فان تعلقت باطماعها * فانما تخلب مستيقظا

وقال

يقولون لي صبرا واني لصابر * على نائبات الدهر وهي فواجع
سأصبر حتى يقضي الله ما قضى * وان أنا لم أصبر فما أنا صانع

وقال

بأبي خود شموع * أقبلت تحمل شمعه
فالتقى نوراهما واختلفا قدرا ورفعه
ومسير الشمس تستهدي بضوء النجم بدعه

وقال في فرس أشهب

واشهب كالشهاب أضحى * يلوح في مذهب الجلال
قال حسودي وقد رآه * يخب تحتي الى القتال
من ألجم الصبح بالثريا * واسرج البرق بالهلال

وقال

ومتى صروف الدهر بين معاشر * اصحهم ودا عدو مقاتل
وما غربة الانسان في غير داره * ولكنها في قرب من لا يشاكل

وقال

أصبحت صبا دنفا مغرما * أشكو جوى الحب وأبكي دما
هذا وقد سلم اذ مر بي * فكيف لو مر وما سلما

وقال

وقفنا للنوى فهفت قلوب * أضر بها الجوى وهمت شؤون
يناجي بعضنا بالمعظ بعضا * فتعرب عن ضمائرنا العيون

وقد قيل انه بويع البيعة العامة بعد قتل عثمان بأربعة أيام وقد ذكرنا البيعة الاولى فيما سلف من هذا الكتاب وتنازع الناس في اسم أبي طالب أبيه وولد أبي طالب بن عبد المطلب أربعة ذكور وابنتان فطالب وعقيل وجعفر وعلي وفاختة وجمانة لاب وأم أمهم فاطمة بنت أسد بن هاشم وبين كل واحد من البنين عشر سنين بين جعفر وعلي عشر سنين وبين جعفر وعقيل عشر سنين وبين عقيل وطالب عشر سنين وأخرج مشركو قريش طالب بن أبي طالب يوم بدر الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم كرها ومضى ولم يعرف له خبر وحفظ من قوله هذا اليوم

يارب اما خرجوا بطالب * في مقنب من تلكم المقانب
فاجعلهم المغلوب غير الغالب * والرجل المسلوب غير السالب

وكان زوج فاختة بنت أبي طالب أبو وهب هبيرة ابن عمرو بن عائذ بن عمرو ابن مخزوم وخلف عليها ابنا وبنتا وهاجرت ومات زوجها بنجران مشركا وفيها يقول بيلاد نجران من أبيات كثيرة

أشاقتك هند أم نآك سؤالها * كذاك النوى أسبابها وانتقالها

فـلا والله ما حفظت عهود * كما ضمنوا ولا قضيت ديون
ولو حكم الهوى يوما بعـــدل * لانصف من يفي ممن يخون
أمر بداركم وأغض طرفي * مخافة أن تظن بي الظنون

ولما رأى عبد الرحمن بن سبلاق الحضرمي الاشبيلي في النوم انه مر على قبر وقوم يشربون حوله وسط أزاهر فأمروه أن يرثي صاحب القبر وهو أبو نواس الحسن بن هانئ قال

جادك يا قبر انسكاب الغمام * وعاد بالروح عليك السلام
فيك أضحى الظرف مستودعا * واستترت عنا عيون الظلام

وقال أبو بكر محمد بن نصر الاشبيلي

وكانما تلك الرياض عرائس * ملبوسهن معصفر ومزعفر
او كالقيان لبسن موشي الحلي * فلهن في وشي اللباس تبختر

وقال أحمد بن محمد الاشبيلي

اما ترى النرجس الغض الذكي بدا * كانه عاشق شابت ذوائبه
او المحب شكا لما أضر به * فرط السقام فعادته حبائبه

وقال

رب نيلوفر غدا مجتل الرا * ئي اليه نفاسة وغرابه
كمليك للزنج في قبة بيـضاء يدنو الدجا فيغلق بابه

وقال أبو الاصبغ بن سيد

كانما النرجس في منظر الـحسن الذي امثاله تبتغي
أنامل من فضة فوقه * كاس من التبر به أفرغا

وقال أبو اسحق ابراهيم بن خيرة الصباغ مما أنشده له أبو عامر بن سلمة في كتاب حديقة الارتياح

يوم كأن سحابه * لبست عمائم المصامت
حجبت به شمس الضحى * بمثال أجنحة الفواخت
فالغيث يبكي فقدها * والبرق يضحك مثل شامت
والرعد يخطب مفصحا * والجو كالمحزون ساكت
والروض يسقيه الحيا * والنور ينظر مثل باهت
فاشرب ولذ بجنـــه * واطرب فان العمر فائت

وله

رب ليـــل طال لا صبح له * ذي نجوم اقسمت ان لا تغور
قد هتكنا حجبه من فلق * من خمور ووجوه كالبدور
ان بدت تشبهها في كاسها * نار ابراهيم في برد ونور
صرعتنا ان علونا ظهرها * في ميادين التصابي والسرور
وكأنا حين قمنا معشر * نشروا بعد ممات من قبور

وقال أبو بكر بن حجاج

لما كتمت الحب لاعن قلى * ولم أجد الا البكا والعويل
ناديت والقلب به مغرم * يا حسبي الله ونعم الوكيل

وأرقني في رأس حصن ممرد * بنجران يسري بعد نوم خيالها فان تك قد تابعت دين محمد * وقطعت الارحام منك حبالها
وهي طويلة وكانت تكنى أم هانئ وقد استعمل علي حين أفضت الخلافة اليه ابنها جعدة بن هبيرة وجعدة هو القائل
وأبي من مخزوم ان كنت سائلا * ومن هاشم أمي لخير قبيل
فمن ذا الذي يناى علي بخاله * وخالي علي ذو الندى وعقيل
وجمانة بنت أبي طالب كان بعلها سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وهي أول هاشمية ولدت بهاشمي كذلك ذكر الزبير بن بكار في كتابه في أنساب قريش وأخبارها وهاجرت وماتت بالمدينة في أيام النبي صلى الله عليه وسلم وكان مسير علي الى البصرة في سنة ست وثلاثين وفيها كانت وقعة الجمل وذلك في يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الاولى منها وقتل فيها من أصحاب الجمل وأهل البصرة وغيرهم ثلاثة عشر ألفا وقتل من أصحاب علي خمسة آلاف وقد تنازع الناس في مقدار ما قتل من الفريقين فمن مقلل ومكثر فالمقلل يقول قتل بينهم سبعة آلاف على حسب ميل الناس وأهوائهم الى كل فريق منهم وكانت وقعة واحدة في يوم واحد وقيل انه كان بين خلافة علي الى وقعة الجمل وبين أول الهجرة خمس وثلاثون سنة وقال

وقال يقولون ان السحر فى أرض بابل * وما السحر الا ما أرتك محاجره
وما الغصن الا ما انثنى تحت برده * وما الدعص الا ما انطوت عليه مآزره
وما الدر الا ثغره وكلامه * وما الليل الا صدغه وغدائره

وهذه الابيات من قصيدة فى محمد بن القاسم بن حمود ملك الجزيرة الخضراء أعادها الله تعالى * وقال الرصافى أبو عبد الله الشاعر المشهور وهو ابن رومى الاندلس فى حريرى

وبنفسى من لا أسميه الا * بعض الماسة وبعض اشاره
هو والظبى فى الجمال سواء * ما استعار الغزال منه استعاره
اغتدى يمسك الحرير بفيه * مثل ما يمسك الغزال العراره

وهو القائل يمدح أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على

لو جئت نار الهدى من جانب الطور * قبست ما شئت من علم ومن نور

ولابى جعفر أحمد بن الجزار

ومازلت أجنى منك والدهر ممحل * ولا ثمر يجنى ولا زرع يحصد
ثمار اياد دانيات قطوفها * لاوراقها ظل على ممدد
يرى جاريا ماء المكارم تحتها * واطيار شكرى فوقهن تغرد

ولما نفى ابو جعفر بن البنى من ميورقة واقلع فى البحر ثلاثة اميال ونشأت ريح ردته لم يتجاسر احد من اخوانه على اتيانه فكتب اليهم

احبتنا الالى عتبوا علينا * وأقصونا وقد ازف الوداع
لقد كنتم لنا جذلا وانسا * فما بالعيش بعدكم انتفاع
اقول وقد صدرنا بعد يوم * اشوق بالسفينة ام نزاع
اذا طارت بنا حامت عليكم * كأن قلوبنا فيها شراع

وله

غصبت الثريا فى البعاد مكانها * وأودعت فى عينى صادق نوئها
وفى كل حال لم تزالى بخيلة * فكيف اعرت الشمس حلة ضوئها

وله فى غلام يرمى الطيور

قالوا تصيب طيور الجو أسهمه * اذا رماها فقلنا عندها الخبر
تعلمت قوسها من قوس حاجبه * وأيد السهم من اجفانه الحور
يلوح فى بردة كالنقس حالكة * كما اضاء بجنح الليلة القمر
وربما راق فى خضراء مونقة * كما تفتح فى اوراقه الزهر

وقال الاديب الكاتب القاضى ابو المطرف بن عميرة المخزومى لما قص شعر ملك الاندلس زيان بن مردنيش مزين فى يوم رفع فيه ابو المطرف شعرا فخرجت صلة المزين ولم تخرج صلة أبى المطرف

أرى من جاء بالموسى مواسى * وراحة من أذاع المدح صفرا
فأنجح سعى ذا اذ قص شعرا * وأخفق سعى ذا اذ قص شعرا

واسم أبى المطرف احمد وهو من جزيرة شقر من كورة بلنسية وكان الكاتب الحسيب

وثلاثة عشر يوما وبين ذلك وأول الهجرة ست وثلاثون سنة وثلاثة عشر يوما وقتل بصفين سبعون ألفا من أهل الشام ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفا وكان المقام بصفين مائة يوم وعشرة أيام وقتل بها من الصحابة ممن كان مع على خمسة وعشرون رجلا منهم عمار بن ياسر أبو اليقظان المعروف بابن سمية وهو ابن ثلاث وسبعين سنة وكانت عدة الوقائع بين أهل العراق والشام سبعون وقعة وفى سنة ثمان وثلاثين كان التقاء الحكمين وهما عمرو بن العاص وأبو موسى الاشعرى بارض البلقاء من أرض دمشق وقيل بدومة الجندل وهى على عشرة أميال من دمشق وكان من أمرهما ماقد شهر وسنورد فى هذا الكتاب جوامع ما ذكرنا وان كنا قد أتينا على مبسوط ذلك فيما سلف من كتبنا وفى هذه السنة حلت الخوارج وهم الشراة وكان ممن شهد صفين مع على من اصحاب بدر سبع وثمانون رجلا منهم سبعة عشر من المهاجرين وسبعون من الانصار وشهد معه من الانصار ممن بايع تحت الشجرة وهى بيعة الرضوان من المهاجرين والانصار من أصحاب رسول الله

أبو جعفر أحمد بن طلحة يعشق علجا من علوج ابن هود ويماشيه في غزواته وفيه يقول

ما أحضر الغزو من صلاح * كلا ولا رغبة الجهاد
لكن لكيما يكون داع * لقرب ناخيرة الجياد

وقد تقدمت حكايته فلتراجع وكان صنوبري الأندلس أبو إسحق بن خفاجة وهو من رجال الذخيرة والقلائد والمسهب والمطرب والمغرب وشهرته تغني عن الإطناب فيه مغرى بوصف الأنهار والأزهار وما يتعلق بهما وأهل الأندلس يسمونه الجنان ومن أكثر من شيء عرف به وتوفي سنة ثلاث أو خمس وثلاثين وخمسمائة وولد سنة خمسين وأربعمائة ومن نظمه قوله

وربما استضحك الحباب حبيب * نفضت لونها عليه المدام
كلما رام قاصرا من خطاه * يتهادى كما تهادى الغمام
سلم الغصن والكثيب علينا * فعلى الغصن والكثيب السلام

وبات مع بعض الرؤساء فكاد ينطفئ السراج ثم تراجع نوره فقال

وأغر ضاحك وجهه مصباحه * فأنار ذا قمرا وذلك فرقدا
ما إن خبا إلا لقاء نور جبينه * حتى ذكا بذ كأنه فتوقدا

وله

كتبت وقلبي في يديك أسير * يقيم كما شاء الهوى ويسير
وفي كل حين من هواك ودمعي * بكل مكان روضة وغدير

وله

كنا بنا ولدينا لبدر ندمان * وعندنا كؤس للراح شهبان
والقضب مائسة والطير ساجعة * والأرض كاسية والجو عريان

ولما سئل أبو بكر محمد بن أحمد الأنصاري المعروف بالأبيض عن لغة فعجز عنها تحضر من خجل منه أقسم أن يقيد رجليه بقيد حديد ولا ينزعه حتى يحفظ الغريب المصنف فاتفق أن دخلت عليه أمه في تلك الحال فارتاعت فقال

ريعت عجوزي أن رأتني لابسا * حلق الحديد ومثل ذاك يروع
قالت جننت فقلت بل هي همة * هي عنصر العلياء والينبوع
سن الفرزدق سنة فتبعتها * إني لما سن الكرام تبوع

وكان شاعرا وشاحا وطاح دمه على يد الزبير أمير قرطبة لما هجاه بمثل قوله

عكف الزبير على الضلالة جاهدا * ووزيره المشهور كلب النار
مازال يأخذ سجدة في سجدة * بين الكؤس ونغمة الأوتار
فإذا اعتراه السهو سبح خلفه * صوت القيان ورنة المزمار

ولما بلغ الزبير عنه ذلك وغيره أمر بإحضاره فقرعه وقال ما دعاك إلى هذا فقال إني لم أر أحق بالهجو منك ولو علمت ما أنت عليه من المخازي لهجوت نفسك انصافا ولم تكلها إلى أحد فلما سمع الزبير ذلك قامت قيامته وأمر بقتله وأنشد له ابن غالب في فرحة الأنفس قوله في حلقة حائط

وحلقة كشعاع الشمس صافية * لو قابلت كوكبا في الجو لالتهبا
تأنق القين في إحكام صنعتها * حتى أفاض على أطرافها الذهبا

صلى الله عليه وسلم تسعمائة وكان جميع من شهد معه من الصحابة ألفين وثمانمائة وفي سنة ثمان وثلاثين كان خروجه مع أهل النهروان من الخوارج وقعد عن بيعته جماعة عثمانية لم يروا إلا الخروج عن الأمر منهم سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وبايع يزيد بعد ذلك والحجاج لعبد الملك بن مروان ومنهم قدامة بن مظعون ووهبان ابن صيفي وعبد الله بن سلام والمغيرة بن شعبة الثقفي وممن اعتزل من الأنصار كعب بن مالك وحسان بن ثابت وكانا شاعرين وأبو سعيد الخدري ومحمد بن مسلمة حليف بني عبد الأشهل وفضالة بن عبيد وكعب بن عجرة ومسلمة ابن خالد في آخرين ممن لم نذكرهم من العثمانية من الأنصار وغيرهم من بني أمية وسواهم وانتزع علي أملاكا كانت لعثمان أقطعها جماعة من المسلمين وقسم ما في بيت المال على الناس ولم يفضل أحدا على أحد وبعث أم حبيبة بنت أبي سفيان إلى أخيها معاوية بقميص عثمان مخضبا بدمائه مع النعمان ابن بشير الأنصاري واتصلت بيعة علي بالكوفة وغيرها من الأمصار وكانت أهل الكوفة أسرع إجابة إلى بيعته وأخذ له البيعة على أهلها أبو موسى الأشعري حتى تكاثر الناس عليه كأنما

كأنها بيضة قد قد قونسها * وكل جنب لها بالطعن قد نقبا

وقال فيمن يحدث نفسه بالخلافه

أمير المؤمنين نداء شيخ * أفادك من اماليه اللطيفه
تحفظ أن يكون الجزع يوما * سريرا من أسرتك المنيفه
واذكر منك مصلوبا فابكي * وتضحكني أمانيك السخيفه

وهاجى ابن سارة فقال فيه ابن سارة

ومن العجائب أن يكون الابيض * بحماره بين السوابق يركض

وقال امام النحاة بالاندلس أبو على عمر الشلوبين فيمن اسمه قاسم

ومما شجا قلبي وفيض مدمعي * هوى قد قلبي اذ كلفت بقاسم
وكنت أظن الميم أصلا فلم تكن * وكانت كميم ألحقت بالزراقم

والزراقم الحيات مشتقة من الزرقة والميم زائدة يريد أن ميم قاسم كميمها فهو قاس وهو منسوب الى حصن شلوبينية على ساحل غرناطة وله من الشهرة والتآليف ما يغني عن الاطناب في وصفه وله التوطئة وشرح الجزولية وغيرهما وكان مغفلا ومع ذلك فهو آية الله تعالى في العربية وكان في لسانه لكنة ولما أراد المأمون بني عبد المؤمن التوجه الى مرسية وقد ثار بها ابن هود وأنشده الشعراء وتكلم في مجلسه الخطباء قام الشلوبين وقال دعاء منه ثلمك الله ونثرك يريد سلمك الله ونصرك لانه بلكنته يبدل السين والصاد ثاء فكان كما قال عاد المأمون وقد ثلم عسكره ونثر * ولما مرض الفقيه الزاهد أبو اسحق ابراهيم الالبيري دخل عليه الوزير أبو خالد هاشم بن رجاء فرأى ضيق مسكنه فقال لو اتخذت غير هذا المسكن لكان أولى بك فقال وهو آخر شعر قاله

قالوا ألا تستجيد بيتا * تعجب من حسنه البيوت
فقلت ما ذالكم صوابا * عش كثير لمن يموت
لولا شتاء ولفح قيظ * وخوف لص وحفظ قوت
ونسوة يبتغين سترا * بنيت بنيان عنكبوت

وقال أبو بكر بن عبادة القزاز الموشح في ابن بسام صاحب الذخيرة

يا منيفا على السماكين سام * حزت خصل السباق عن بسام
ان تحك مدحة فانت زهير * أو تشبب فعروة بن حزام
أو تباكر صيد المها فابن حجر * أو تبكي الديار فابن جذام
أو تذم الزمان وهو حقيق * فأبو الطيب البعيد المرامي

ولما انتثر سلك نظام ملك لمتونة تفرق ملك الاندلس رؤساء البلاد وكان من جملتهم الامير أبو الحسن بن نزار لما له من الاصالة في وادي آش فحسده أهل بلده وقصدوا تأخيره عن تلك المرتبة فخطبوا في بلدهم لملك شرق الاندلس محمد بن مردنيش ووجه لهم عماله وأوصاهم أن يخرج هذا الاسد من غيله ويفرق بينه وبين تأميله ورفعوا له أشعارا كان يستريح بها على كاسه ويبثها بمحضر من يركن اليه من جلاسه ومنها قوله وقد استشعر من نفسه

وكان عليا عاملا لعثمان وأتاه جماعة ممن تخلف عن بيعته من بني أمية منهم سعيد بن العاص ومروان ابن الحكم والوليد بن عقبة ابن أبي معيط فجرى بينه وبينهم خطب طويل وقال له الوليد انا لم نتخلف عنك رغبة عن بيعتك لكنا قوم وترنا الناس وخفنا على نفوسنا فعذرنا فيما نقول واضح أما أنا فقتلت أبي صبرا وضربتني حدا وقال سعيد بن العاص كلاما كثيرا وقال له الوليد أما سعيد فقتلت أباه صبرا وأهنت مثواه وأما مروان فانك شتمت أباه وكبت عثمان في صنعه اياه وقد ذكر أبو مخنف لوط بن يحيي أن حسان بن ثابت وكعب ابن مالك والنعمان بن بشير قبل نفوذه بالقميص أتوا عليا في آخرين من العثمانية فقال كعب بن مالك يا أمير المؤمنين ليس مسيئا من أعتب وخير كف ما محاه عذر في كلام كثير ثم بايع وبايع من ذكرنا جميعا وقد كان عمرو ابن العاص انحرف عن عثمان لانحرافه وتوليته مصر غيره فنزل الشام فلما اتصل به أمر عثمان وما كان من بيعة علي كتب الى معاوية يهزه ويشير عليه بالمطالبة بدم عثمان وكان فيما كتب به اليه ما كنت صانعا اذا قشرت من كل شئ تملكه فاصنع ما أنت صانع فبعث اليه معاوية فسار اليه فقال له معاوية بايعني قال والله

انها أهل للتقديم مستحقة لطلب سلفها القديم

الآن أعرف قدر النفع والضرر * فكيف أصدر ما للملك من صدر
وكيف أطلع في أفق العلا قمرا * ويستهل بكفي واكف الدرر
وكيف أملأ صدر الدهر من رهب * وأستقل بحمل الحادث النكر
وأستعد لما ترمي الخطوب به * وأستطيل على الايام بالفكر
لكنني ربما بادرت منتهزا * لفرصة مرقت كاللمح بالبصر
في أم رأسي ما يعيا الزمان به * شرحا فسل بعدها الايام عن خبري

فعندما وقف ابن مردنيش على هذا القول وجه الى وادي آش من حمله اليه وقيده وقدم به الى مرسية أسيرا بعدما كان مرتقبا أن يقدم أميرا فلما وقعت عين ابن مردنيش عليه قال له امكن الله منك يا فاجر فقال أنت أعزك الله أولى بقول الخير من قول الشر ومن امكنه الله من القدرة على الفعل فبما يليق به ان يستقدر بالقول فاستحيا منه وامر به للسجن فمكث فيه مدة وصدرت عنه اشعار في تشوقه الى بلاده منها قوله

لقد بلغ الشوق فوق الذي * حسبت فهل للتلاقي سبيل
فلو انني مت من شوقكم * غراما لما كان الا قليل
تعللني بالتداني المنى * وينشدني الدهر صبر جميل
فقل كبيننا اذا أصبحت * بعيدا فلم يسل عنها جميل
أغض جفوني عن غيرها * وسمعي عن اللوم فيها ثقيل

ولم يزل على حاله من السجن الى ان تحيل في جارية محسنة للغناء حسنة الصوت وصنع موشحته التي اولها

ما زرع البدر الملياح * بنت الدنان
فلم يدع لك اقتراح * على الزمان

وفيها يقول

يا هل اقول للحسود * والعيس تحدي
بالاثمي على السراح * كانت اماني
أنزحها ذاك السماح * الى العنان

وجعل يلقيها على الجارية حتى حفظتها واحكمت الغناء بها واهداها الى ابن مردنيش بعد ما اوصاها انه متى دعاها الى الغناء وظفرت به في اطرب ساعة واسرها غنته بهذه الموشحة وتلطفت في شأن رغبتها في سراح قائلها فلعل الله تعالى يجعل في ذلك سببا واتفق ان ظفرت بما اوصاها به واحسنت غناء الموشحة فطرب ابن مردنيش لسماع مدحه واعجبه مقاصد قائلها فسألها لمن هي فقالت لمولاي عبدك ابن نزار فقال اعيدي على قوله بالاثمي على السراح فاعادته فداخلته عليه الرقة والاريحية بما اصابه فامر في الحين بحل قيده واستدعى به الى موضعه في ذلك الوقت فلما دخل خلع عليه وادناه وقال له يا ابا الحسن قد امر لك بالسراح على رغم الحسود فارجع الى بلدك مباحا لك ان تطلب الملك بها وبغيرها ان قدرت فانت اهل لان تملك جميع الاندلس لا وادي آش فقال له والله يا سيدي

في ذلك

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل
به منك دنيا فانظرن كيف تصنع
فان تعطني مصرا فأربح صفقة
أخذت بها شيخا يضر وينفع

وأتى المغيرة بن شعبة عليا فقال له ان حق الطاعة النصيحة وان الرأي اليوم تحوز به ما في غد وان التضارع اليوم تضيع به ما في غد أقرر معاوية على عمله واقرر ابن عامر على عمله واقررا العمال على أعمالهم حتى اذا أتتك طاعتهم وطاعة الجنود استبدلت أو تركت قال حتى أنظر فخرج من عنده وعاد اليه من الغد فقال اني أشرت عليك بالامس برأي وتعقبته وانما الرأي أن تعاجلهم بالنزع فتعرف السامع من غيره ويستقل أمرك ثم خرج فتلقاه ابن عباس خارجا وهو داخل فلما انتهى الى علي قال رأيت المغيرة خارجا من عندك ففيم جاءك قال جاءني امس بكيت وكيت وجاءني اليوم بذيت وذيت فقال اما امس فقد نصحك واما اليوم فقد غشك قال فما الرأي قال كان الرأي ان تخرج حين قتل عثمان أو قبل ذلك فتأتي مكة فتدخل دارك فتغلق عليك بابك فان العرب كانت

بل

بل ألتزم طاعتك والاقرار بانك بعثتني من قبر رماني فيه الحساد والوشاة ثم شرباحتى عكنت بينهما المطايبة فقال له يا ابن نزار الآن اريد أن اسألك عن شئ قال وما هو ياسيدى قال عما في ام راسك حين قلت

فى أم راسى مايعيا الزمان به * شرحا فسل بعدها الايام عن خبرى

فقال له ياسيدى لا تسمع الى غرور نفس الفتنة على لسان نشوان لعبت بافكاره الامانى وغطت على عقله الآمال والله لقد بقيت فى دارى أروم الاجتماع بجارية مهينة قدر سنة فما قدرت على ذلك ومنعتنى منها زوجتى فكيف أطلب مادونه قطع الرؤس ونهب النفوس فضحك ابن مردنيش وجدد له الاحسان وجهزه الى بلده وأمر عماله أن يشاركوه فى التدبير ويستأذنوه فى الصغير والكبير فتأثل بمجده وعظم سعده ومن شعره قوله

انظر الى الروض سحيرا وقد * بث به الطل علينا العيون
يرقب منا يقظة للمنى * فقل لها أهلا بداعى المجون
وحثها شمسا الى أن ترى * شمس الضحى تطرق تلك الجفون

وقوله

تنبه لمعشوق وكاس وقينة * وروض ونهر ليس يبرح خفاقا
فقد نبهت هذى الحدائق ورقها * وفتح فيها الصبح بالطل احداقا
ومهما تكن فى ضيقة فأدر لها * كؤس الطلى فالسكر يوسع ماضاقا

وقوله

عطف القضيب مع النسيم تميلا * والنهر موشى الخمائل والحلى
تركته أعطاف الغصون مظللا * ولناعس النهج القويم مضللا
أمسى يغازلنا بمقلة أشهل * والطرف أسحر ماتراه أشهلا

وقال بعضهم استدعانى أبو الحسن بن نزار بمجلس أنس بوادى آش فلما احتفل مجلسنا وطابت لذتنا قال والله ماتمام هذه المسرة الاحضور أبى جعفر بن سعيد وهو الآن بوادى آش فوافقناه على ذلك لما نعلم من طيب حالتنا معهما وانهما لا يأتيان الا بما يأتى به اجتماع النسيم والروض بخلاف موضع وكتب له

ياخير من يدعى لكاس دائر * ووجوه أقمار وروض ناضر
اناحضرنا فى الندى عصابة * معشوقة من ناظم أو ناثر
كل مخلى للذى يختاره * فى الامن من ناه له أو زاجر
ماان لهم شغل بفن واحد * بل كل مايجرى بوفق الخاطر
شدو ورقص واقتطاف فكاهة * وتعانق وتغامز بنواظر
وهم كما تدرى بأفق أنجم * لكن لنا شوق لبدر زاهر

سيدى لازلت متقدما لكل مكرمة هل يحمل التخلف عن ناد قام فيه السرور على ساق وضحك فيه الانس عن فيه وانسدل به ستر الصون وفاء عليه ظل النعيم وسفرت فيه وجوه الطرب وركضت خيل اللهو ثار قتام الند وهطلت سحاب ماء الورد وجليت الكؤس كالعرائس على كراسى العروس المثقلة بالعاج والآبنوس وكأن قطع النهار ممتزجة بقطع الظلام أو بنو حام قد خالطت بنى سام وعلى رؤس الاقداح تيجان نظمها امتزاج الماء بالراح

بحاله مضطرة فى اثرك لا تجد غيرك فاما اليوم فان بنى امية سيحثون الطلب بان يلزموك شعبة من هذا الامر ويشبهون فيك على الناس وقال المغيرة نصحته فلم يقبل فغششته وذكر انه قال واما أنا فنصحته قبلها ولا أنصحه بعدها (قال المسعودى) وجدت فى وجه آخر من الروايات ان ابن عباس قال قدمت من مكة بعد مقتل عثمان بخمس ليال فجئت عليا ادخل عليه فقيل لى عنده المغيرة بن شعبة فجلست بالباب ساعة فخرج المغيرة فسلم على وقال متى قدمت قلت الساعة ودخلت على على وسلمت عليه فقال أين لقيت الزبير وطلحة قلت بالنواصف قال ومن معهما قلت أبو سعيد بن الحرث ابن هشام بن قتيبة من قريش فقال على اما انهم لم يكن لهم بد أن يخرجوا يقولون نطلب بدم عثمان والله يعلم أنهم قتلة عثمان فقلت أخبرنى عن شأن المغيرة ولم خلا بك قال جاءنى بعد مقتل عثمان بيومين فقال أخلنى ففعلت فقال ان النصح رخيص وأنت بقية الناس وأنا لك ناصح وأنا أشير عليك أن لا ترد عمال عثمان عامك هذا فاكتب اليهم باثباتهم على أعمالهم فاذا بايعوا لك واطمأن

أمرك عزلت من أحببت واقررت من أحببت فقلت له والله لا أداهن فى دينى ولا أعطى الرياء فى أمرى قال

فطورا تستخفي فيبدو نجلها وطورا تمتزج فيظهر وجالها والعود ترجمان المسرة قد جعلته أمه فى حجرها كولد ترضعه بدرها وساقى الشرب كالغصن الرطيب أوراقه أردية الشرب وأزهاره الكؤس التى لا تزال تطلع وتغرب كالشموس ساق يفهم بالاشارة حلو الشمائل عذب العبارة ذو طرف سقيم وخد كانه من خفره لطيم ولدينا من أصناف الفواكه والازاهر ما يحار فيه الناظر وهل تكمل لذة دون احضار خدود الورد وعيون النرجس وأصداغ الآس ونهود السفرجل وقدود قصب السكر ومباسم قلوب الجوز وسرر التفاح ورضاب ابنة العنب فقد اكتمل بهذه الاوصاف المختلسة من أوصاف الحبائب الطرب

فطر بجناح الشوق عند وصولها * اليك ولا تجعل سواك جوابها
فلا عين الا وهى ترنو بطرفها * اليك فيسر فى المطال حسابها
فقد أصبحت تعلو عليها غشاوة * لبعدك فاكشف عن سناها ضبابها

قال أبو جعفر فجعلت وصولى جواب ما نظم ونثر وألفيت الحالة يقصر عن خبرها الخبر فانغمسنا فى النعيم انغماس عرف الزهر فى النسيم ومر لنا يوم غض الدهر عنه جفنه حتى حسبناه عنوانا لما وعد الله تعالى به فى الجنه * وشربوا يوما مع أبى جعفر بن سعيد والكتندى الشاعر فى جنة بزاوية غرناطة وفيها صهريج ماء قد أحدق به شجر نارنج وليمون وغير ذلك من الاشجار وعليه انبوب ماء تحرك به صورة جارية راقصة بسيوف وطيفور رخام يصنع فى انبوبة الماء ورق خباء فقالوا انقتسم هذه الاوصاف الثلاثة فقال أبو جعفر يصف الراقصه

وراقصة ليست تحرك دون أن * يحركها سيف من الماء مصلت
يدور بها كرها فتنضى صوارما * عليه فلا تعيا ولا هو يبهت
اذا هى دارت سرعة خلت أنها * الى كل وجه فى الرياض تلفت

وقال ابن نزار فى خباء الماء

رأيت خباء الماء ترسل ماءها * فما زعزعها هب الرياح رداءها
تطاوعه طورا وتعصيه تارة * كراقصة حلت وضمت قباءها
وقد قابلت خير الانام فلم تزل * لديه من العليا تبدى حياءها
اذا أرسلت جودا أمام يمينه * أبى العدل الا ان يرد اباءها

وقد قيل ان هذه الابيات صنعها بحضر الامير أبى عبد الله بن مردنيش ملك شرق الاندلس وانه لما ألجأته الضرورة أن يرتجل فى مثل ذلك شيأ وكانت هذه عنده معدة فزعم انه ارتجلها قال أبو عمر بن سعيد وهذا هو الصحيح فانه ما كانت عادته ان يخاطب عمى أبا جعفر بخير الانام فان كل واحد منهما كفؤ الآخر وقال الكتندى

وصهريج تخال به لجينا * يذاب وقد يذهبه الاصيل
كأن الروض يعشقه فمنه * على ارجائه ظل ظليل
وتمنحه أكف الشمس عشقا * دنانيرا فمنه لها قبول
اذا رفع النسيم القضب عنها * فحينئذ يكون لها سبيل
وللنارنج تحت الماء لما * تبدى عكسها جمر بليل

فان كنت قد أبيت فانزع من شئت واترك معاوية فان له جراءة وهو فى اهل الشام مسموع منه ولك حجة فى اثباته فقد كان عمر ولاه الشام كلها فقلت له لا والله لا أستعمل معاوية يومين أبدا فخرج من عندى على ما أشار به ثم عاد فقال انى أشرت عليك بما أشرت به وأبيت على فنظرت فى الامر واذا انت مضيت لا ينبغى ان تأخذ أمرك بخدعة ولا يكون فيه دلسة قال ابن عباس فقلت له أما اول ما أشار عليك فقد نصحك واما الآخر فقد غشك وانا اشير عليك ان تثبت معاوية فان بايع لك فعلى أن أقلعه من منزله قال لا والله لا أعطيه الا السيف ثم تمثل

فما منة ان متها غير عاجز * بعار اذا ما غالت النفس غالها

فقال يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحرب خدعة فقال على بلى قال أما والله لئن أطعتني لاصدرن بهم بعد ورود ولاتركنهم ينظرون فى آثارهم الامر ولا يدرون ما كان وجهها من غير نقص لك ولا اثم عليك فقال يا ابن عباس لست من هنياتك وهنيات معاوية فى شئ يسير مالك عندى الطاعة والله ولى التوفيق

(ذكر الاخبار عن يوم الجمل وبدئه وما كان فيه من الحرب وغيره) ودخل طلحة والزبير مكة

ولليمون فيه دون سبك * جلاجل زخرفت نصبا لتجول
في روضة به صقلت جفوني * وأرهف متنه الزهر الكليل
تناثر فيك أسلاك الغوادي * وقبل صفح جدولك القبول
ولا برحت تجمع فيك شملا * من الاكياس والكاس الشمول
بدور تستنير بها نجوم * مع الاصباح ليس لها أفول
يهيم بهم نسيم الروض الفا * فمن وجد له جسم عليل

وروى ان الوزير أبا الاصبغ عبد العزيز بن الارقم وزير المعتصم بن صمادح رأى راية خضراء فيها ضيقة ٣ بيضاء في يد علج من علوج المعتصم نشرها على رأسه فقال

نشرت عليك من النعيم جناحا * خضراء صيرت الصباح وشاحا
تحكي بخفق قلب من عاديته * مهما يصافح صفحها الارواحا
ضمنت لك النعمى برأي ظافر * فترقب الفأل المشير نجاحا

وكان هذا الوزير آية الله تعالى في الوفاء وأرسله المعتصم الى المعتمد بن عباد فأعجبت المعتمد محاولته ووقع في قلبه فأراد افساده على صاحبه وأخذ معه في أن يقيم عنده فقال له ما رأيت من صاحبي ما أكره فأوثر عند غيره ما أحب ولو رأيت ما أكره لما كان من الوفاء تركي له في حين فوض الي أمره ووثق بي وجعلني أعباء دولته فاستحسن ذلك ابن عباد وقال له فاكتم علي فلما عاد الى صاحبه ساله عن جميع ما جرى له فقال له في أثناء ذلك وجرى لي معه ما ان أعلمتك به خفت ان تحسب فيه كالامتنان والاستظهار وتظن أن خاطري فسد به وان كتمتك لم أوف النصيحة حقها وخفت أن تطلع عليه من غيري فيغطي ذلك من عينك وتحسب فيه كيدا فحمل عليه في أن يعلمه فأعلمه بعد أن تلطف هذا التلطف وهو من رجال الذخيرة والمسهب وابنه الوزير أبو عامر من رجال القلائد ومن نظم أبي عامر

فتى الخيل يقتادها ذبلا * خفافا تباري القنا الذابلا
ترى كل أجرد سامي التليل * وتحسبه غصنا مائلا

وللوزير الكاتب أبي محمد بن فرسان واسمه عبد البر وهو حسنة وادي آش يخاطب يحيى الميورقي

أنعم بتسريح على فعله * سبب الزيارة للعظيم ويثرب
ولئن تقول كاشح ان الهوى * أرست معالمه وانك مذهبي
فقالتي ما ان ملكت وانما * عمري أبي حمل النجاد بمنكبي
وعجزت عن أن أستثير كمينها * وأشق بالصمصام صدر الموكب

وهذه الابيات كتب بها اليه وقد أسن وملّ من الجهد معه يرغب في سراحه الى الحجاز رحمه الله تعالى وتقبل نيته بمنه ويمنه وقال حاتم بن حاتم بن سعيد العنسي وكان صاحب سيف وقلم وعلم وعمل

يا دانيا مني وما أنا زائر * لا أنت معذور ولا أنا عاذر
ماذا ضرك اذ ظللت بظلمة * ان لا يطالع منك بدر زاهر

وقد كانا استأذنا عليا في العمرة فقال لعلكما تريدان البصرة والشام فاقسما أنهما لا يقصدان غير مكة وقد كانت عائشة رضي الله عنها بمكة وقد كان عبد الله بن عامر عامل عثمان على البصرة هرب عنها حين أخذ البيعة لعلي بها على الناس جارية ابن قدامة السعدي ومصر عثمان بن حنيف الانصاري اليها على خراجها من قبل علي رضي الله عنه وانصرف من اليمن عامل عثمان وأعطى عائشة وطلحة والزبير اربعمائة درهم وكراعا وسلاحا وبعث الى عائشة بالجمل المسمى عسكرا وكان شراؤه عليه باليمن مائتي دينار فارادوا الشام فصدهم ابن عامر وقال ان به معاوية ولا ينقاد اليكم ولا يطيعكم لكن هذه البصرة لي بها صنائع وعدد فجهزهم بالف ألف درهم ومائة من الابل وغير ذلك وسار القوم نحو البصرة في ستمائة راكب فانتهوا في الليل الى ماء لبني كلاب يعرف بالحوأب عليه ناس من بني كلاب فعوت كلابهم على الركب فقالت عائشة ما اسم هذا الموضع فقال لها السائق بجانها الحوأب فاسترجعت وذكرت ما قيل لها في ذلك فقالت ردوني الى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة لي في المسير فقال ابن الزبير بالله ما هذا الحوأب ولقد غلط فيما أخبرك به وكان طلحة في ساقة الناس فلحقها

وتوفى المذكور بغرناطة سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة وقال التطيلى الاعمى فى اسد نحاس يقذف الماء

اسد ولو أنى انا * قشته الحساب لقلت صخره
فكانه اسد السما * ء يمج من فيه المجره

قال ابن ظافر صرنا فى بعض العشايا على البساتين المجاورة للنيل فرأينا فيها بئرا عليها دولابان متحاذيان قد كادت افلاكهما تجوم القواديس ولعبت بقلوب ناظريهما لعب الامانى بالمفاليس وهما يئنان انين الاشواق و يفيضان ماء اغزر من دموع العشاق والروض قد جلا للاعين زبرجده والاصيل قد راقه حسنه فنثر عليه عسجده والزهر قد نظم جواهره فى اجياد الغصون والسواقى قد ذابت من سلاسل فضتها كل مصون والندت قد اخضر شاربه وعارضه وطرف النسيم قد ركضه فى ميادين الزهر راكضه ورضاب الغيث قد استقر من الطين فى لمى وحيات المجارى حائرة تخاف من زمرد النبات أن يدركها العمى والبحر قد صقل النسيم درعه وزعفران العشى قد ألقى فى ذيل الجو ردعه فأوسعنا ذلك المكان حسنا وقلوبنا استحواذا وملأ ابصارنا وأسماعنا مسرة والتذاذا وملنا الى الدولابين شاكين أزراحين شجت قيان المطر بالحانها وشدت على عيدانها أم ذكرا نغما وطابا وكانا أغصانا رطابا فنفيا عنهما لذيذ الهجوع ورجعا النوح وافاضا الدموع طلبا للرجوع وجلسنا نتذاكر مافى تراكيب الدواليب من الاعاجيب ونتناشد ماوصفت به من الاشعار الغالية الاسعار فأفضى بنا الحديث الذى هو شجون الى ذكر قول الاعمى التطيلى فى اسد نحاس يقذف الماء اسد ولو انى الخ فقال القاضى ابو الحسن على بن المؤيد رحمه الله تعالى يتولد من هذا فى الدولاب معنى يأخذ بمجامع المسامع ويطرب الرائى والسامع فتأملت ماقاله بعين بصير فى البصيرة واستمددت مادة غريزتى الغزيرة فظهر لى معنى ملأنى اطرابا واوسعنى اعجابا واطرق كل منا ينظم ما جاش به مذ بحره وانباه به شيطان فكره فلم يكن الا كنقرة العصفور الخائف من الناطور حتى كمل ما اردناه من غير ان يقف واحد منا على ماصنعه الآخر فكان الذى قال

حبذا ساعة العشية والدو * لاب يهدى الى النفوس المسره
ادهم لا يزال يعدو ولكن * ليس يعدو مكانه قدر ذره
نوعيون من القواديس يبكى * كل عين من فائض الدمع ثره
فلك دائر يرينا نجوما * كل نجم يبدى لدينا المجره

وكان الذى قلت

ودولاب يئن أنين ثكلى * ولا فقد اشكاه ولا مضره
ترى الازهار فى ضحك اذا ما * بكى بدموع عين منه ثره
حكى فلكا تدور به نجوم * تؤثر فى سرائرنا المسره
يظل النجم يشرق بعد نجم * و يغرب بعد ما تجرى المجره

فعجبنا من اتفاقنا وقضى العجب منه سائر رفاقنا انتهى (رجع) وكان لابى محمد عبد الله

ابن

فاقسم ان ذلك ليس بالصواب وشهد معهما خمسون رجلا ممن كان معهم فكان ذلك اول شهادة زور اقيمت فى الاسلام فاتوا البصرة فخرج اليهم عثمان بن حنيف فمانعهم وجرى قتال قال ثم انهم اصطلحوا بعد ذلك على كف الحرب الى قدوم على فلما كان فى بعض الليالى بيتوا عثمان ابن حنيف فاسروه وضربوه ونتفوا لحيته ثم ان القوم استرجعوا وخافوا على مخلفيهم بالمدينة من اخيه سهل بن حنيف وغيره من الانصار فخلوا عنه وارادوا بيت المال فمانعهم الخزان والموكلون به وهم السابحون فقتل منهم سبعون رجلا غير من جرح وخمسون من السبعين ضربت رقابهم صبرا من بعد الاسر وهؤلاء اول من قتلوا ظلما فى الاسلام وصبروا وقتلوا حكيم بن جبلة العبدى وكان من سادات عبد القيس وزهاد ربيعة ونساكها وتشاح طلحة والزبير فى الصلاة بالناس ثم اتفقوا على ان يصلى بالناس عبد الله بن الزبير يوما ومحمد بن طلحة يوما فى خطب طويل كان بين طلحة والزبير الى ان اتفقا على ما وصفنا وسار على من المدينة بعد اربعة اشهر وقيل غير ذلك فى سبعمائة راكب منهم أربعمائة من المهاجرين والانصار منهم سبعون بدريا وباقيهم من الصحابة

ابن شعبة الوادي آشي ابن شاعر فعرض عليه شعرا نظمه فاعجبه فقال

شعرك كالبستان في شكله * يجمع بين الآس والورد
فاصنع به ان كنت لي طائعا * ما يصنع الفارس بالبند

وللشاعر الاندلسي أبي عبد الله بن الحداد الوادي آشي وهو من رجال الذخيرة

لزمت قناعتي وقعدت عنهم * فلست أرى الوزير ولا الاميرا
وكنت سمير أشعاري سفاها * فعدت بها الفلسفي سميرا

وله في العروض تاليف مزج فيه بين الانحاء الموسيقية والآراء الخليلية ورد فيه على السرقسطي المنبوز بالحمار وله في المعتصم بن صمادح

لعلك بالوادي المقدس شاطئ * فللمنبر الهندي ما أنا واطئ
واني في ريّاك واجد ريحهم * بخمر الاسى بين الجوانح ناشئ
ولي في السرى من نارهم ومنارهم * هداة حداة والنجوم طوافئ
لذلك ما حنت ركابي وحممت * عرابي وأوحى سيرها المتباطئ
فهل هاجني ما هاجها اولعلها * الى الوجد من نيران قلبي لواجئ
رويدا فذا وادي لبيني وانه * لورد لبانـاتي واني لظامئ
موارد تهيامي ومسرح ناظري * فللشوق غايات بها ومبادئ

واعترض عليه بعضهم بانه همز في هذه القصيدة ما لا يهمز فقال

عجبت لغماز بن علمي بجهلهم * وان قناتي لا تلين من الغمز
تجلت لهم آيات فهمي ومنطقي * مبينة الاعجاز ملزمة العجز
ولاحت لهم همز يه أو حديه * وويل بها وويل لذي الهمز واللمز
رموها بنقص بيدت فيه نقصهم * ومن لمس الافعى شكا الم النكز
فان أنكرت أفهامهم بعض همزها * فقد عرفت أكبادهم صحة الهمز

وله وهو مما يتغنى به بالاندلس

فذر العقيق مجانبا لعقوقه * ودع العذيب عذيب ذات الخال
أفق محلى بالقواضب والقنا * للاغيد المعطار لا المعطال
حجبوك الامن توهم خاطري * وحموك الامن تصور بالي
والقارظان جميل صبري والكرى * فمتى أرجي منك طيف خيال

ومن بدائعه قوله

سامح أخاك اذا أتاك بزلة * فخلوص شئ قلما يتمكن
في كل شئ آفة موجودة * ان السراج على سناه يدخن

وأنشد أحد الادباء هذين البيتين متمثلا فاعجبا المعتصم وسأل عن قائلهما فاخبر فتبسم وقال أتعرف الى من أشار بهذا المعنى قال ما أعرف الا انه مليح فقال المعتصم كنت في الصبا وهو معي ألقب بسراج الدولة فقاتله الله ما أشعره فسلوه فلما باحثوه في ذلك أقر بحسن حدس المعتصم واكتنفته سعايات وكان ممن يغلب لسانه على عقله ففر من المرية

الربذة بين الكوفة ومكة من طريق الجادة وفاته طلحة والزبير وقد كان علي أرادهم فانصرف حين فاتوه الى العراق في طلبهم ولحق بعلي من أهل المدينة جماعة من الانصار فيهم خزيمة ابن ثابت ذو الشهادتين وأتاه من طيئ ستمائة راكب وكاتب علي من الربذة أباموسى الاشعري ليستنفر الناس فثبطهم ابوموسى وقال انما هي فتنة فنمي ذلك الى علي فولى على الكوفة قرظة ابن كعب الانصاري وكتب الى ابي موسى اعتزل عملنا يا ابن الحائك مذموما مدحورا فما هذا أول يومنا منك وان لك فيها لهنات وهنيات وسار علي بمن معه حتى نزل بذي قار وبعث بابنه الحسن وعمار الى الكوفة يستنفر الناس فسارا عنها ومعهما من اهل الكوفة نحو من سبعة آلاف وقيل ستة آلاف وخمسمائة وستون رجلا فانتهى الى البصرة ووراسل القوم وناشدهم الله فأبوا الا قتاله وذكر عن المنذر بن الجارود فيما حدث به ابو حنيفة الفضل بن الحباب الجمحي عن ابن عائشة عن معن بن عيسى عن المنذر بن الجارود قال لما قدم علي رضي الله عنه البصرة دخل مما يلي الطف فأتى الزاوية

وحبس أخوه بها فقال

الدهر لا ينفك من حدثانه * والمرء منقاد لحكم زمانه
وعلمت أن السعد ليس بمنجح * ما لا يكون السعد من أعوانه
والجد دون الجد ليس بنافع * والرمح لا يمضي بغير سنانه

وبلغت الابيات المعتصم فقال شعره أعقل منه صدق فانه لا يتهيأ له صلاح عيش الا باخيه وهو منه بمنزلة السنان من الرمح ثم أمر باطلاقه ولحاقه به ولما قال في المعتصم

يا طالب المعروف دونك فاتركن * دار المرية وارفض ابن صمادح
رجل اذا أعطاك حبة خردل * ألقاك في قيد الاسير الطائح
لو قد مضى لك عمر نوح عنده * لا فرق بينك والبعيد النازح

اغتاظ عليه وأبعده ففر من بلده ومن المنسوب اليه في النساء

خن عهدها مثل ما خانتك منتصفا * وامح هواها بنسيان وسلوان
فالغيد كالروض في خلق وفي خلق * ان مر جان أتى من بعده جاني

وله

حيثما كنت ظاعنا أو مقيما * دم رفيعا وعش منيعا سليما

وقال ابن دحية في المطرب ان من المجيدين في الجد والهزل ورقيق النظم والجزل صاحبنا الوزير أبا بلال وقال لي انه كان ورد شبابه قشيب وغصن اعتداله رطيب بقميص النسك متقمص وبعلم الحديث متخصص فاجتاز يوما وبيده مجلد من صحيح مسلم بقصر بعض الملوك الاكابر ومن بعض مناظره ناظر ومجلسه بخواص ندمائه حال وصوت المثاني والمثالث عال فقال أطلعوا الناهذا الفقيه فلعلنا نضحك منه فلما مثل بين يديه وحيا أمر الساقي بمناولته كاس الحميا فتقبض متأففا وأبدى تمعرا وتقشفا والسلطان يستغرب ضحكا عليهم عليه ويد الساقي ممدودة اليه واتفق أن انشقت من ذاتها الزجاجة فظهر من السلطان التطير من ذلك فأنشد الفقيه مرتجلا

ومجلس بالسرور مشتمل * لم يخل فيه الزجاج من أدب
سرى باعطافه برنحه * فشق أثوابه من الطرب

فسر السلطان وسري عنه واستحسن من الفقيه ما بدا منه وأمر له بجائزة سنية وخلعة رائقة وما أحسن قول ابن البراق

يا سرحة الحي يا مطول * شرح الذي بيننا يطول
ولي ديون عليك حلت * لو انه ينفع الحلول

وقوله

انظر الى الوادي اذا ما غردت * أطياره شق النسيم ثيابه
أتراه أطربه الهديل وزاده * طربا وحقك أن حللت جنابه

وله في غلام على فمه أثر المداد

يا عجبا للمداد أضحى * على فم ضمن الزلالا
كالقار أضحى على الحميا * والليل قد لامس الهلالا

وكتب أبو محمد عبد الله في معذرة الى بعض أصحابه من الاسر في طليطلة

فخرجت انظر اليه فورد موكب نحو الف فارس يقدمهم فارس على فرس اشهب عليه قلنسوة وثياب بيض متقلد سيفا معه راية واذا تيجان القوم الاغلب عليها البياض والصفرة مدججين في الحديد والسلاح فقلت من هذا فقيل ابو ايوب الانصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهؤلاء الانصار وغيرهم ثم تلاهم فارس آخر عليه عمامة صفراء وثياب بيض متقلد سيفا متنكب قوسا معه راية على فرس اشقر في نحو الف فارس فقلت من هذا فقيل هذا خزيمة بن ثابت الانصاري ذو الشهادتين ثم مر بنا فارس آخر على فرس كميت معتم بعمامة صفراء من تحتها قلنسوة بيضاء وعليه قباء أبيض مصقول متقلد سيفا متنكب قوسا في نحو ألف فارس من الناس ومعه راية فقلت من هذا فقيل لي أبو قتادة ابن ربعي ثم مر بنا فارس آخر على فرس أشهب عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سدلها بين يديه ومن خلفه شديد الادمة عليه سكينة ووقار رافع صوته بقراءة القرآن متقلد سيفا متنكب قوسا معه راية بيضاء في ألف من الناس مختلفي التيجان حوله مشيخة وكهول وشباب كأن قد أوقفوا للحساب أثر السجود قد أثر في جباههم فقلت من هذا فقيل عمار بن ياسر في عدة من الصحابة من

لو كنت حيث تجيبني * لأذاب قلبك ما أقول
يكفيك مني أنني * لا أستقل من الكبول
واذا أردت رسالة * لكم فما ألفي رسول
هذا وكم بتناوفي * أيماننا كاس الشمول
والعود يخفق والدخا * ن العنبري به يجول
حال الزمان ولم أزل * مذ كنت أعهده يحول

ولابي الحسن علي بن مهلهل الجلياني في ابي بكر بن سعيد صاحب اعمال غرناطة في دولة الملثمين

لولا النهود لما عراك تنهد * وعلى الخدود القلب منك مخدد
يا نافذا قلبي بسهم جفونه * مالي على سهم رميت به يد

وقال ابو زكريا يحيى بن مطروح في غلام كاتب اطل عذاره

يا حسنه كاتبا قد خط عارضه * في خده خطا كما خط بالقلم
لام العذول عليه حين ابصره * فقلت دعني فزين البرد بالعلم
وانظر الى عجب مما تلوم به * بدر له هالة قدت من الظلم
قولوا عن البحر ما شئتم ولا عجب * من عنبر الشحر او من در مبتسم

وله وقد عزل عن مالقة وال غير مرضي ونزل المطر على اثره وكان الناس في جدب

ورب وال سرنا عزله * فبعضنا هنأه البعض
قد واصلتنا السحب من بعده * ولذ في اجفاننا الغمض
لو لم يكن من نجس شخصه * ما طهرت من بعده الارض

وكان الكاتب ابو بكر محمد بن نصر الاوسي مختصا بوزير عبد المؤمن ابي جعفر بن عطية فقال فيه

ابا جعفر نلت الذي نال جعفر * ولا زلت بالعليا تسر وتحبر
عليك لنا فضل وبر وأنعم * ونحن علينا كل مدح محبر

وحدث من حضر مجلس الوزير ابن عطية وقد احس من عبد المؤمن التغير الذي افضى الى قتله وقد افتتح ابن نصر مطلع هذه القصيدة فتغير وجه ابي جعفر لان جعفر بن يحيى كان آخر امره الصلب فكأن هذا عمم الدعاء والعجب انه قتل مثل جعفر بعد ذلك وهذا الشاعر هو القائل

وما انا عن ذاك الهوى متبدل * وذا الغدر بالاخوان غير كريم
بغيرك اجري ذكر فضلك في الندى * كما قد جرى بالروض هب نسيم
وان كان عندي للجديد لذاذة * فلست بناس حرمة لقديم

ولابي عبد الله محمد بن علي اللوشي يخاطب صاحب المسهب

لي اليكم شوق شديد ولكن * ليس يبقى مع الجفاء اشتياق
ان يغيركم الفراق فودي * لو خبرتم يزيد فيه الفراق

وله

لو أن لي قلبا كقلبك كنت أهجر هجركا

المهاجرين والانصار وابنائهم ثم مر بنا فارس على فرس اشقر عليه ثياب بيض وقلنسوة بيضاء وعمامة صفراء متنكب قوسا متقلد سيفا تخط رجلاه في الارض في الف من الناس الغالب على تيجانهم الصفرة والبياض معه راية صفراء قلت من هذا قيل هذا قيس بن سعد بن عبادة في الانصار وابنائهم وغيرهم من قحطان ثم مر بنا فارس على فرس أشهل فما رأينا أحسن منه عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سدلها بين يديه بلواء قلت من هذا قيل هو عبد الله بن العباس في عده من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تلا موكب آخر فيه فارس أشبه الناس بالاولين قلت من هذا قيل قثم بن العباس او سعيد بن العاص ثم اقبلت المواكب والرايات يقدم بعضها بعضا واشتبكت الرماح ثم ورد موكب فيه خلق من الناس عليهم السلاح والحديد مختلفو الرايات في اوله راية كبيرة يقدمهم رجل كانما كسر وجبر (قال ابن عائشة وهذه صفة رجل شديد الساعدين نظره الى الارض اكثر من نظره الى فوق كذلك تخبر العرب في وصفها اذا أخبرت عن الرجل انه كسر وجبر) كانما على رؤسهم الطير وعن ميسرتهم شاب حسن الوجه قلت من هؤلاء قيل هذا علي بن ابي طالب

يكفيك أنك قد نسيت ولست أنسى ذكركا

ومن العجائب أنني * أفني وأنتم سركا

كن كيفما تختاره * فالحب يبسط عذركا

وله

هل عندكم علم بما فعلت بنا * تلك الجفون الفاتكات بضعفها

نصحا لكم أن تأمنوها إنها * سحر النهى ما تبصرون بطرفها

ولابنه أبي محمد عبد المولى وكان ماجنا فانتهى إليه وهو على الشراب أحد أصحابه مرتجلا

إنما الدنيا أكل * وشراب وتحاب * ثم من بعد صراخ * ووداع وتراب

وله

يا نديم اشرب على أفق صقيل وحديقه

واسقني ثم اسقني * ثم اسقني خمرا وريقه

من غزال تطلع الشمس بخديه أنيقه

لا تفوتك ساعة من * كاس خمر وشقيقه

واجتنب ما سطرت جهلا له هذي الخليقه

رغبوا في باطل زور * وزهد في الحقيقه

ليس إلا ما تراه * أنا أدرى بالطريقه

قال أبو عمران موسى بن سعيد قاتله ما هذا الاعتقاد الفاسد الذي لا ينبغي لأحد أن يحكيه فقال هذا قول لا فعل وقد قال الله تعالى ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون ثم قال ابن سعيد ولولا أن حاكي الكفر ليس بكافر ما ذكرتها وهذا منزع من قال من المجوس

خذ من الدنيا بحظ * قبل أن ترحل عنها

فهي دار لا ترى من * بعدها أحسن منها

وهذا كفر صراح وقائله قد تقمص كفرا اللهم غفرا وطلب منه بعض الأرذال أن يكتب له شفاعة عند أحد العمال فكتب له رسالة فيها هذه الأبيات

كتبته مولاي في طالع * ما طار فيه طائر اليمن

وفكرة جائلة والحشا * ينهب بالهم وبالحزن

كلفنيه ساقط أحمق * مشتهر بالطعن والقرن

أكذب خلق الله أرداهم * أخوفهم في الخوف والأمن

يكفر ما يسدى إليه ولا * يعذر خلفا سيئ الظن

فإن صنعت الخير ألقيته * شرا وأضحى الحمد ذا غبن

وانتقد الناس عليك الذي * تسدي له في أي ما وفن

فافعل به ما هو أهل له * وسمعه تفسيرا ولا أكني

أهنه واصفعه ولا تتركن الـ * بواب يكرمه لدى الإذن

واقطع بفيه القول واحرمه من * رد جواب أنه يدني

وكلما استنبط رأيا فسفهه ودعه مسجن الجفن

عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وهؤلاء ولد عقيل وغيرهم من فتيان بني هاشم وهؤلاء المشايخ أهل بدر من المهاجرين والأنصار فساروا حتى نزلوا الموضع المعروف بالزاوية فصلى أربع ركعات وعفر خديه على التربة وقد خالط ذلك دموعه ثم رفع يديه يدعو اللهم رب السموات وما أظلت والأرضين وما أقلت ورب العرش العظيم هذه البصرة أسألك من خيرها وأعوذ بك من شرها اللهم أنزلنا فيها خير منزل وأنت خير المنزلين اللهم هؤلاء القوم قد خلعوا طاعتي وبغوا علي ونكثوا بيعتي اللهم احقن دماء المسلمين وبعث إليهم من يناشدهم الله في الدماء وقال علام يقاتلوني فأبوا إلا الحرب فبعث رجلا من أصحابه يقال له مسلم معه مصحف يدعو إلى الله فرموه بسهم فقتلوه فحمل إلى علي وقالت أمه

يا رب إن مسلما أتاهم

يتلو كتاب الله لا يخشاهم

فخضبوا من دمه لحاهم

وأمه قائمة تراهم

وأمر علي رضي الله عنه أن يصافوهم ولا يبدؤهم بقتال ولا يرموهم بسهم ولا يضربوهم ولا يطعنوهم برمح حتى جاء عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي

فهو اذا أكرمته فاسد * وصالح بالهون واللعن
شفاعتي في مثله هذه * فلا سقاه هاطل المزن

ودفع اليه الكتاب مختوما فسر به وجاء له الى العامل وسافر اليه أياما فلما دفعه اليه قرأه وضحك ودفعه الى من يشاركه في ذلك من أصحابه فوعده بخير وأخرجه الى شغل لم يرضه فلما عاد منه قال له أخرجتني لأرذل شغل وأخسه فما فائدة الشفاعة اذن فقال له أوتريد أن أفعل معك ما تقتضيه شفاعة صاحبك قال لا أقل من ذلك فأمر ن يأتيه بالابيات فقرئت عليه فانصرف في أسوا حال فلما دخل عليه غرناطة وكان عبد المولى تزوج فيها امرأة اغتبط بها فتزيا هذا الرجل بزي أهل البادية وزور كتابا على لسان زوجة لعبد المولى في بلدة أخرى وقال في الكتاب وقد بلغني انك تزوجت غيري وأردت أن أكتب اليك في أن تطلقني فوصلني كتابك تعرفني فيه أن الزوجة الجديدة لم توافق اختيارك وأنك ناظر في طلاقها فردني ذلك عما عزمت عليه فانظر في تعجيل ما وعدت به من طلاقها فانك ان لم تفعل لم أبق معك أبدا فلما م بدار عبد المولى رأى جارية زوجته فقال لها أنا رجل بدوي أتيت من عند فلانة زوجة أبي محمد عبد المولى فعندما سمعت ذلك أعلمت ستها وأخذت الكتاب فوقفت على ما فيه غير شاكة في صحته فلما دخل عبد المولى وجدها على خلاف ما فارقها عليه فسألها عن حالها فقالت أريد الطلاق فقال ما سبب هذا وأنا أرغب الناس فيك فألقت اليه الكتاب فلما وقف عليه حلف لها أن هذا ليس بصحيح وأن عدوا له اختلقه عليه فلم يفد ذلك عندها شيأ ولم يطب له بعد ذلك معها عيش فطلقها وعلم أن ذلك الرجل هو الذي فعل ذلك فقال له لا جزاك الله خيرا ولا أصلح لك حالا فقال وأنت كذلك فهذه بتلك والبادي أظلم فما كان ذنبي عندك حين كتبت في حقي ما كتبت فقال له مثلك لا يقول ما ذنبي أنت كلك ذنوب

ألست بألأم الثقلين طرا * وأثقلهم وأفحشهم لسانا
فهما تبغ برا عند شخص * تزد منه بما تبغي هوانا

فانصرف عنه عالي اللسان بلعنته وكان أحد بني عبد المؤمن قد ألزمه أن ينسخ له كتابا بموضع منفرد فخطر له يوما جلد عميرة واتفق أن مر السيد بذلك الموضع فنظر اليه في تلك الحال فقال له السيد ما تصنع فقال الدواة جفت ولم أجد ما أسقيها به الا ماء ظهري فضحك السيد وأمر له بجارية فقال

قل للعميرة طلقت بعد طول زواج
قد كان مائي ضياعا * بعرق غير حاج
حتى حباني بحسنا * ء قابل للنتاج
فكان ناقل خمر * من حنتم لزجاج
كانت تمر ضياعا * فأصبحت كالسراج

وقال حاتم بن سعيد

جنبوني عن المدامة الا * عند وقت الصباح أو في الاصيل
واشفعوها بكل وجه مليح * ودعوني من كل قال وقيل

من الميمنة بأخ له مقتول وجاء قوم من الميسرة برجل قد رمى بسهم فقتل فقال علي اللهم اشهد واعذروا الى القوم ثم قام عمار بن ياسر بين الصفين فقال أيها الناس ما أنصفتم نبيكم حيث كشفتم عقائل تلك الخدور وأبرزتم عقيلته للسيوف وعائشة على جمل في هودج من دفوف الخشب قد ألبسوه المسوح وجلود البقر وجعلوا دونه اللبود قد غشي على ذلك بالدروع فدنا عمار من موضعها فنادى الى ماذا تدعينني قالت الى الطلب بدم عثمان فقال قتل الله في هذا اليوم الباغي والطالب بغير الحق ثم قال أيها الناس انكم لتعلمون أينا الممالئ في قتل عثمان ثم أنشأ يقول وقد رشقوه بالنبل

فمنك البكاء ومنك العويل
ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الامام
وقاتله عندنا من أمر

وتواتر عليه الرمي واتصل فحرك فرسه وزال عن موضعه فقال ماذا تنتظر يا أمير المؤمنين وليس لك عند القوم الا الحرب فقام علي رضي الله عنه فقال أيها الناس اذا هزمتموهم فلا تجهزوا على جريح ولا تقتلوا أسيرا ولا تتبعوا موليا ولا تطلبوا مدبرا ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل ولا تهتكوا سترا ولا تقربوا من أموالهم الا ما تجدونه في عسكرهم من

وإذا ما اردتم طيب عيشي * فاهجروني عن كل وجه ثقيل

وقال مالك بن محمد بن سعيد

اتاني زائر فبسطت خدي * له و يقل بسط الخد عندي
فقلت له ايا مولاي أهلا * فقال وانت أهلا عبد عبدي
وعانقني وقبلني ونادى * بلطف منه كيف رايت وعدي

وقال في استهداء مقص

الا قل نعم في مطلب قد حكاه لا * يفصل اذ نبغي الوصال مفصلا
نشق به صدر النهار وقد بدا * ظلاما بامثال النجوم مكللا

وقال سارت كبدر وليل الخدر يسترها * ولو بدا وجهها جاءتك بالغلق
ودونها من صليل اللامعات حمى * فالبرق والرعد دون الشمس في الافق

واجتمع بغرناطة محمد بن غالب الرصافي الشاعر المشهور ومحمد بن عبد الرحمن الكتندي الشاعر وغيرهما من الفضلاء والرؤساء فأخذوا يوما في أن يخرجوا للجد أو للحوز مؤمل وهما منتزهان من أشرف وأظرف منتزهات غرناطة ليتفرجوا ويصقلوا الخواطر بالتطلع في ظاهر البلد وكان الرصافي قد أظهر الزهد وترك الخلاعة فقالوا ما ينبغي عن أبي جعفر بن سعيد اكتبوا اليه فصنعوا هذا الشعر وكتبوه له وجعلوا تحته أسماءهم

بعثنا الى رب السماحة والمجد * ومن ماله في ملة الظرف من ند
ليسعدنا عند الصبيحة في غد * لنسعى الى الحوز المؤمل أو نجد
نسرح منا أنفسا من شجونها * ثوت في شجون هن شر من اللحد
ونظفر من بخل الزمان بساعة * ألذ من العليا وأشهى من الحمد
على جدول ما بين ألفاف دوحة * تهز الصبا فيها لواء من الرند
ومن كان ذا شرب يخلى بشأنه * ومن كان ذا زهد تركناه للزهد
وما ظرفه يأبى الحديث على الطلى * ولا أن يديل الهزل حينا من الجد
تهز معاني الشعر أغصان ظرفه * ويمرح في ثوب الصبابة والوجد
وما نغص العيش المهنأ غير ان * يمازجه تكليف ما ليس بالود
نظمنا من الخلان عقد فرائد * ولما نجد الاك واسطة العقد
فماذا تراه لاعدمناك ساعة * فنحن بما تبديه في جنة الخلد
ورشدك مطلوب وامرك نحوه ار * تقاب وكل منك يهدى الى الرشد

فكان جوابه لهم

هو القول منظوما أو الدر في العقد * هو الزهر نفاحا الصبا ام شذا الود
أتاني وفكري في عقال من الاسى * فحل بنفث السحر ما حل من عقد
ومن قبل علي أين مبعث وجهه * علمت جناب الورد من نفس الورد
وأيقنت ان الدهر ليس براجع * لتقديم عصر أو وقوف على حد
فكل أوان فيه أعلام فضله * ترادف موج البحر ردا الى رد

صلى الله عليه وسلم لا سلاح عليه فنادى ياز بير اخرج الى فخرج شاكي سلاحه فقيل لعائشة فقالت واحرباه باسماه فقيل لها ان عليا حاسر فاطمأنت واعتنق كل واحد منهما صاحبه فقال له على ويحك يا زبير ما الذي أخرجك قال دم عثمان قال قتل الله أولانا بدم عثمان اما تذكر يوم لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني بياضة وهو راكب حماره فضحك الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحكت أنت معه فقلت أنت يا رسول الله ما يدع على زهوه فقال لك ليس به زهو أتحبه يا زبير فقلت اني والله لاحبه فقال لك انك والله ستقاتله وأنت له ظالم فقال الزبير أستغفر الله لو ذكرتها ماخرجت فقال يا زبير ارجع فقال وكيف أرجع الآن وقد التقت حلقتا البطان هذا والله العار الذي لا يغسل فقال يا زبير ارجع بالعار قبل أن تجمع العار والنار فرجع الزبير وهو يقول

اخترت عارا على نار مؤججة * ما ان يقوم لها خلق من الطين
نادى على بامر لست أجهله * عار لعمرك في الدنيا وفي الدين

فقالت حسبك من عدل أبا حسن * فبعض هذا الذى قد قلت يكفينى فقال ابنه عبد الله أين ؟؟ تدعنا فقال يا بنى أذكرنى أبو

فكم طيها من فائت مترقوم * يهز عسا قد ضمرت معطف الصلد
فيا من بهم تزهى المعالى ومن لهم * قياد المعالى ماسوى قصد كم قصدى
فسمعا وطوعا للذى قد أشرتم * به لا أرى عنه مدى الدهر من بد
فقوموا على اسم الله نحو حديقة * مقلدة الاجياد موشية البرد
بها قبة تدعى الكمامة فاطلعوا * بها زهرا أذكى نسيما من الند
وعندى ما يحتاج كل مؤمل * من الراح والمعشوق والكتب والنرد
فكل الى ما شاءه لست ثانيا * عنانا له ان المساعد ذو الود
ولست خليا من تأنس قينة * اذا ما شدت ضل الخلى عن الرشد
لما ولد فى حجرها لا تزيله * أوان غناء ثم ترميه بالبعد
فيا ليتنى قد كنت منها مكانه * تقلبنى ما بين خصر الى نهد
ضمنت لمن قد قال انى زاهد * اذا حل عندى أن يحول عن الزهد
فان كان يرجو جنة الخلد آجلا * فعندى له فى عاجل جنة الخلد

فركبوا الى جنته فسر لهم أحسن يوم على ما اشتهوا وما زالوا بالرصافى الى أن شرب لما غلب عليه الطرب فقال الكتندى

علينا لك عمارته يا ابن غالب * براح وريحان وشدو وكاعب

فقال أبو جعفر

بدا زهده مثل الخضاب فلم يزل * به ناصلا حتى بدا زور كاذب

فلما غربت الشمس قالوا اما رأينا أقصر من هذا اليوم وما ينبغى أن يترك بغير وصف فقال أبو جعفر أناله ثم قال بعد فكرة وهو من عجائبه التى تقدم بها المتقدمين وأعجز المتأخرين

لله يوم مسرة * أضوى وأقصر من ذباله
لما نصبنا للمنى * فيه بأوتار حباله
طار النهار به كر * تاع فأجفلت الغزاله
فكأننا من بعده * بعنا الهداية بالضلاله

والنهار ذكر الحبارى واليه أشار بقوله طار النهار والغزالة الشمس ولا يخفى حسن التورية بين فسلم له الجميع تسليم السامع المطيع وعلى ذكر الغزالة فى هذا الموضع فلابى جعفر أيضا فيها وهو من بدائعه قوله

بدا ذنب السرحان ينبئ أنه * تقدم سبق والغزالة خلفه
ولم ترعينى مثله من متابع * لمن لا يزال الدهر يطلب حتفه

وقوله

اسقنى مثل ما أنار لعينى * شفق ألبس الصباح جلاله
قبل أن تبصر الغزالة تستد * رج منه على السماء غلاله
وتأمل لعسجد سال نهرا * كرعت فيه أو تقضى غزاله

ومن نظم أبى جعفر قوله

لو لم يكن شدو الحمائم فاضلا * شدو القيان لما استخف الاغصنا

حسن بأمر كنت قد أنسيته فقال لا والله ولكنك فررت من سيوف بنى عبد المطلب فانها طوال حداد تحملها فتية أنجاد قال لا والله ولكنى ذكرت ما أنسانيه الدهر فاخترت العار على النار أبالجبن تعيرنى لا أبا لك ثم أمال سنانه وشد فى الميمنة فقال على أفرجوا له فقد هاجوه ثم رجع فشد فى الميسرة ثم رجع فشد فى القلب ثم عاد الى ابنه فقال أيفعل هذا جبان ثم مضى منصرفا حتى أتى وادى السباع والاحنف ابن قيس معتزل فى قومه من بنى تميم فأتاه آت فقال له هذا الزبير مار فقال ما أصنع بالزبير وقد جمع بين فئتين عظيمتين من الناس يقتل بعضهم بعضا وهو مار الى منزله سالما فلحقه نفر من بنى تميم فسبقهم اليه عمرو بن جرموز وقد نزل الزبير الى الصلاة فقال أتؤمنى أو أؤمك فأمه الزبير فقتله عمرو فى الصلاة وقتل الزبير رضى الله عنه وله خمس وسبعون سنة وقد قيل ان الاحنف بن قيس قتله بارسال من أرسل من قومه وقد رثته الشعراء وذكرت غدر ابن

جرموز به وممن رثاه زوجته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل أخت سعيد بن زيد فقالت

طرب ثني حتى الجماد ترنحا * وأفاض من دمع السحائب أعينا

وقوله

في الروض منك مشابه من أجلها * يهفو له طرفي وقلبي المغرم
الغصن قد والأزاهر حلية * والورد خد والأقاحي مبسم

وقوله

ألا حبذا نهر إذا ما لحظته * أبى أن يرد اللحظ عن حسنه الأنس
ترى القمرين الدهر قد عنيا به * يفضضه بدر وتذهبه شمس

وقوله وقدم بقصر من قصور أمير المؤمنين عبد المؤمن وقد رحل عنه

قصر الخلافة لا أخليت من كرم * وإن خلوت من الأعداد والعدد
جزنا عليه فلم تنقص مهابته * والغيل يخلو وتبقى هيبة الأسد

وقوله من أبيات

سرح لحاظك حيث شئت فإنه * في كل موقع لحظة متأمل

وقوله أيضا

ولقد قلت للذي قال حلوا * ههنا سر فإننا ما شئنا
لا تعين لنا مكانا ولكن * حيثما مالت اللواحظ ملنا

وقال

ألا هاتها إن المسرة قربها * وما الحزن إلا في توالي جفائها
مدام بكى الإبريق عند فراقها * فأضحك ثغر الكاس عند لقائها

وقال

عرج على الحوز وخيم به * حيث الأماني ضافيات الجناح
واسبق له قبل ارتحال الندى * ولا تزره دون شاد وراح
وكن مقيما منه حيث الصبا * تنثار مسكا من أريج البطاح
والقضب مال البعض منها على * بعض كما يثني القدود ارتياح
وشق جيب الصبر قصفا إذا * شقت جيوب الطل منه الرياح
لم أحص كم غاديته ثابتا * واسترقصتني الراح عند الرواح

وقوله

ألا حبذا روض بكرنا له ضحى * وفي جنبات الروض للطل أدمع
وقد جعلت بين الغصون نسيمة * تمزق ثوب الطل منها وترقع
ونحن إذا ما ظلت القضب ركعا * نظل لها من هزة السكر نركع

وكان ابن الصابوني في مجلس أحد الفضلاء بإشبيلية فقدم فيما قدم خيار فجعل أحد الأدباء يقشرها بسكين فخطف ابن الصابوني السكين من يده فألح عليه في استرجاعها فقال له ابن الصابوني كف عني وإلا جرحتك بها فقال له صاحب المنزل اكفف عنه لئلا يجرحك ويكون جرحك جبارا تعريضا بقول النبي صلى الله عليه وسلم جرح العجماء جبار فاغتاظ ابن الصابوني وخرج من الاعتدال وأخطأ بلسانه وما كف إلا بعد الرغبة والتضرع ومن نظم ابن الصابوني

بعثت بمرآة إليك بديعة * فأطلع بسامي أفقها قمر السعد
لتنظر فيها حسن وجهك منصفا * وتعذرني فيما أكن من الوجد
فأرسل بذاك الخد لحظك برهة * لتجني منه ما جناه من الورد
مثالك فيها منك أقرب ملمسا * وأكثر إحسانا وأبقى على العهد

وقوله في لابس أحمر

غدر ابن جرموز بفارس بهمة * يوم اللقاء وكان غير معرد
يا عمرو لو نبهته لوجدته * لا طائشا رعش الجنان ولا اليد
هبلتك أمك إن قتلت لمسلما * حلت عليك عقوبة المتعمد
ما إن رأيت ولا سمعت بمثله * فيمن مضى ممن يروح ويغتدي

وأتى عمرو عليا بسيف الزبير وخاتمه ورأسه وقيل إنه لم يأت برأسه فقال علي سيف طال ما جلا الكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنه الحين ومصارع السوء وقاتل ابن صفية في النار ففي ذلك يقول عمرو بن جرموز التميمي

أتيت عليا برأس الزبير
وقد كنت أرجو به الزلفه
فبشر بالنار قبل العيان
وبئس بشارة ذي التحفه
لسيان عندي قتل الزبير
وضرطة عنز بذي الجحفه

ثم نادى علي رضي الله عنه طلحة حين رجع الزبير يا أبا محمد ما الذي أخرجك قال الطلب بدم عثمان قال علي قتل الله أولانا بدم عثمان أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأنت أول من بايعني ثم نكثت وقد قال الله عز وجل فمن نكث فإنما ينكث على نفسه فقال أستغفر الله ثم رجع فقال مروان بن الحكم رجع الزبير ويرجع طلحة ما أبالي رميت ههنا أم ههنا فرماه

أقبل

أقبل فى حلة موردة * كالبدر فى حلة من الشفق
تحسبه كلما أراق دمى * يمسح فى ثوبه ظبا الحدق

ورحل الى القاهرة والاسكندرية فلم يلتفت اليه ولا عوّل عليه وكان شديد الانحراف فانقلب على عقبه بعض يديه على ماجرى عليه فجاءت عندنا بابه الى الاسكندرية كمدا ولم يعرف له بالديار المصرية مقدار وحضر يوما بين يدى المعتضد الباجى ملك اشبيلية وقد نثرت أمامه جملة من دنانير سكت باسمه فأنشد

قد نفر الدينار والدرهم * لما علا ذين لكم ميسم
كلاهما يفصح عن مجدكم * وكل جزء منه فردفم

ومر فيها الى أن قال فى وصف الدنانير

كانها الانجم والبعد قد * حقق عندى انها الارجم

فأشار السلطان الى وزيره فأعطاه منها جملة وقال له بدل هذا البيت لئلا يبقى ذما وكان يلقب بالحمار ولذا قال فيه ابن عتبة الطبيب

يا عير حمص عيرتك الحمير * بأ كلك البرمكان الشعير

وهو أبو بكر محمد ابن الفقيه أبى العباس احمد بن الصابونى شاعر اشبيلية الشهير الذكر والذى أظهره مأمون بنى عبد المؤمن وله فيه قصائد عدة منها قوله فى مطلع

استول سباقا على غاياتها * نجح الامور يبين فى بدآتها

وله الموشحات المشهورة رحمه الله تعالى ومن حكايات الصبيان أن ابن أبى الخصال وهو من شقورة اجتاز ببلدة وهو صبى صغير يطلب الادب فأضافه بها القاضى ابن مالك ثم خرج معه الى حديقة معروشة فقطف لهما منها عنقود أسود فقال القاضى * انظر اليه فى العصا * فقال ابن ابى الخصال * كرأس زنجى عصى * فعلم انه سيكون له شان فى البيان وحدث ابو عبد الله ابن زرقون ان ابابكر بن المنخل وابابكر الملاح الشلبيين كانا متواخيين متصافيين وكان لهما ابنان صغيران قد برعا فى الطلب وحازا قصب السبق فى حلبة الادب فتهاجى الابنان بأقذع الهجاء فركب ابن المنخل فى سحر من الاسحار مع ابنه عبد الله فجعل يعتبه على هجاء بنى الملاح ويقول له قد قطعت ما بينى وبين صديقى وصفيى أبى بكر فى اقذاعك بابنه فقال له ابنه انه بدأنى والبادى اظلم وانما يجب ان يلحى من بالشر تقدم فعذره ابوه فبينما هما على ذلك اذ اقبلا على واد تنق فيه الضفادع فقال ابو بكر لابنه اجز * تنق ضفادع الوادى * فقال ابنه بصوت غير معتاد * فقال الشيخ * كأن نقيق مقولها * فقال ابنه * بنو الملاح فى النادى * فلما أحست الضفادع بهما صمتت فقال ابو بكر * وتصمت مثل صمتهم * فقال ابنه اذا اجتمعوا على زاد * فقال الشيخ * فلا غوث للملهوف * فقال الابن * ولا غيث لمرتاد * ولا خفاء أن هذه الاجازة لو كانت من الكبار لحصلت منها الغرابة فكيف عمن هو فى سن الصبا ومن حكايات النصارى واليهود من أهل الاندلس اعادها الله تعالى الى الاسلام عن قريب انه سميع مجيب ما حكى ان ابن المرغوى النصرانى الاشبيلى اهدى كلبة صيد للمعتمد بن عباد وفيها يقول

فقال انا لله وانا اليه راجعون والله لكنت كارها لهذا أنت والله كما قال القائل

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه
اذا ما هو استغنى ويبعده الفقر
كأن الثريا علقت فى يمينه
وفى خده الشعرى وفى الآخر البدر

وذكر أن طلحة رضى الله عنه لما ولى سمع وهو يقول

ندامة ما ندمت وضل حلمى
ولهفى ثم لهف أبى وأمى
ندمت ندامة الكسعى لما
طلبت رضا بنى حزم برغمى

وهو يمسح عن جبينه الغبار وهو يقول وكان أمر الله قدرا مقدورا وقيل انه سمع وهو يقول هذا الشعر وقد جرحه فى جبهته عبد الملك ورماه مروان فى أكحله وقد وقع صريعا يجود بنفسه وهو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عبيد الله بن عمر ابن كعب بن سعيد بن تيم الله وهو ابن عم أبى بكر الصديق ويكنى أبا محمد * وأمه الصعبة وكانت ابنة أبى سفيان صخر بن حرب كذلك ذكر الزبير بن بكار فى كتابه فى أنساب قريش وقتل وهو ابن أربع وستين سنة وقيل غير ذلك ودفن بالبصرة وقبره ومسجده الى هذه الغاية وقبر

لم ارملسهى لذى اقتناص * ومكسبا مقنع الحريص

كمثل خطار ذات جيد * اتلع فى صفرة القميص

كالقوس فى شكلها ولكن * تنفذ كالسهم للقنيص

ان تخذت انفها دليلا * دل على الكامن العويص

لو انها تستثير برقا * لم يجد البرق من محيص

ومنها فى المديح

يشفع تنويله بود * شفع القياسات بالنصوص

وقال

الله أكبر انت بدر طالع * والنقع دجن والكماة نجوم

والجود افلاك وانت مديرها * وعدوك الغاوى وهن رجوم

وقال

نزلت فى آل مكحول وضيفهم * كنازل بين سمع الارض والبصر

لا تستضىء بضوء فى بيوتهم * مالم يكن لك تطفيل على القمر

وسببهما انه نزل عندهم فلم يوقدوا له سراجا * وقال نسيم الاسرائيلى

ياليتنى كنت طيرا * أطير حتى أراكا

بمن تبدلت غيرا * ولم تحل عن هواكا

وهو شاعر وشاح من أهل اشبيلية وذكره الحجارى فى المسهب * وقال ابراهيم بن سهل الاسرائيلى فى أصفر ارتجالا

كأن محياك له بهجة * حتى اذا جاءك ماحى الجمال

أصبحت كالشمعة لما خبى * منها الضياء اسود فيها الذبال

وهو شاعر اشبيلية ووشاحها وقرأ على أبى على الشلوبين وابن الدباج وغيرهما وقال العزفى حقه وكان أظهر الاسلام ما صورته كان يتظاهر بالاسلام ولا يخلو مع ذلك من قدح واتهام انتهى وسئل بعض المغاربة عن السبب فى رقة نظم ابن سهل فقال لانه اجتمع فيه ذلان ذل العشق وذل اليهودية ولما غرق قال فيه بعض الاكابر عاد الدر الى وطنه ومن نظم ابن سهل المذكور قوله

وألمى بقلبى منه جمر مؤجج * تراه على خديه يندى ويبرد

يسائلنى من أى دين مداعبا * وشمل اعتقادى فى هواه مبدد

فؤادى حنيفى ولكن مقلتى * مجوسية من خده النار تعبد

ومنه قوله

هذا أبو بكر يقود بوجهه * جيش الفتور مطرز الرايات

أهدى ربيع عذاره لقلوبنا * حر المصيف فشبها لفحات

خد جرى ماء النعيم بجمره * فاسود مجرى الماء فى الجمرات

وذكر الحافظ أبو عبدالله محمد بن عمر بن رشيد الفهرى فى رحلته الكبيرة القدر والجرم المسماة بملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة فى الوجهة الوجيهة الى الحرمين مكة وطيبة خلافا فى اسلام ابن سهل باطنا وكتب على هامش هذا الكلام الخطيب العلامة سيدى

وكان يدعى بالسجاد وقد تنوزع فى كنيته فقال الواقدى كان يكنى بابى سليمان وقال الهيثم بن عدى كان يكنى بابى القاسم وفيه يقول قاتله

واشعث سجاد بآيات ربه قليل الاذى فيما ترى العين مسلم

شككت له بالرمح جيب قميصه فخر صريعا لليدين وللفم

على غير شئ غير أن ليس تابعا عليا ومن لا يتبع الحق يندم

يذكرنى حاميم والرمح شارع فهلا تلا حاميم قبل التقدم

وقد كان أصحاب الجمل حملوا على ميمنة على وميسرته فكشفوها فاتاه بعض ولد عقيل وعلى يخفق نعاسا على قربوس سرجه فقال له ياعم قد بلغت ميمنتك وميسرتك حيث ترى وانت تخفق نعاسا قال اسكت يا ابن أخى فان لعمك يوما لا يعدوه والله لا يبالى عمك وقع على الموت اووقع الموت عليه ثم بعث الى ولده محمد بن الحنفية وكان صاحب رايته احمل على القوم فابطأ محمد عليه وكان بازائه قوم من

أبو عبد الله بن مرزوق مانصه صح لنا من أدركناه من أشياخنا انه مات على دين الاسلام انتهى ورأيت في بعض كتب الادب بالمغرب انه اجتمع جماعة مع ابن سهل في مجلس انس فسألوه لما أخذت منه الراح عن اسلامه هل هو في الظاهر والباطن أم لا فأجابهم بقوله للناس ما ظهر ولله ما استتر انتهى واستدل بعضهم على صحة اسلامه بقوله

تسليت عن موسى بحب محمد * هديت ولولا الله ما كنت أهتدى
وما عن قلى قد كان ذاك وانما * شريعة موسى عطلت بمحمد

وله ديوان كبير مشهور بالمغرب حاز به قصب السبق في النظم والتوشيح وما أحسن قوله من قصيدة

تأمل لظى شوقي وموسى يشبها * تجد خير نار عندها خير موقد

وأنشد بعضهم له قوله

لقد كنت أرجو أن تكون مواصلي * فأسقيتني بالبعد فاتحة الرعد
فبالله برد ما بقلبي من الجوى * بفاتحة الاعراف من ريقك الشهد

وقال الراعي رحمه الله تعالى سمعت شيخنا أبا الحسن علي بن سمعة الاندلسي رحمه الله تعالى يقول شيآن لا يصحان اسلام ابراهيم بن سهل وتوبة الزمخشري من الاعتزال ثم قال الراعي قلت وهما من مرويّاتي اما اسلام ابراهيم بن سهل فيغلب على ظني صحته لعلمي بروايته واما الثاني وهو توبة الزمخشري فقد ذكر بعضهم انه راى رسما بالبلاد المشرقية محكوما فيه يتضمن توبة الزمخشري من الاعتزال فقوى جانب الرواية انتهى باختصار وقال الراعي أيضا مانصه وقد نكت الاديب البارع ابراهيم بن سهل الاسرائيلي الاندلسي على الشيخ ابي القاسم في تغزله حيث قال

اموسى ابابعضي وكلي حقيقة * وليس مجازا قولي الكل والبعضا
خفضت مكاني اذ جزمت وسائلي * فكيف جمعت الجزم عندي والخفضا

وفي هذا دليل على ان يهود الاندلس كانوا يشتغلون بعلم العربية فان ابراهيم قال هذين البيتين قبل اسلامه والله تعالى اعلم وقدروينا انه مات مسلما غريقا في البحر فان كان حقا فالله تعالى رزقه الاسلام في آخر عمره والشهادة انتهى ومن نظم ابن سهل في التوجيه باصطلاح النحاة قوله

رقت عوامله واحسب رتبتي * بنيت على خفض فلن تتغيرا

ومنه تنأى وتدنو والتفاتك واحد * كالفعل يعمل ظاهرا ومقدرا

وقوله اذا كان نصر الله وقفا عليكم * فان العدا التنوين يحذفه الوقف

وقوله وقرأنا باب المضاف عناقا * وحذفنا الرقيب كالتنوين

وقوله نبات بناء الحرف خامر طبعه * فصرت لتأثير العوامل جازما

وقوله لك الثناء فان يذكر سواك به * يوما فكالرابع المعهود في البدل

يعني الغلط وقوله

اذا اليأس ناجى النفس منك بلن ولا * اجابت ظنوني ربما وعساى

قال اقرب الناس قرابة وابغضهم اليك انا محمد اخوك يقول لك امير المؤمنين هل أصابك

فسكن بين الرماح والنشاب فوقف فأتاه علي فضربه بقائم سيفه وقال ادركك عرق من امك واخذ الراية وحمل وحمل الناس معه فما كان القوم الا كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف وطافت بنو امية بالجمل واقبلوا يرتجزون ويقولون

نحن بنو ضبة اصحاب الجمل
ننازل الموت اذا الموت نزل
ردوا علينا شيخنا ثم بجل
عثمان ردوه باطراف الاسل
والموت احلى عندنا من العسل

وقطع على خطام الجمل سبعون يدا من بني ضبة معهم كعب بن سور القاضي متقلدا مصحفا كلما قطعت يد واحد منهم قام آخر فاخذ الخطام وقال انا الغلام الضبي ورمى الهودج بالنشاب والنبل حتى صار كانه قنفذ وعرقب الجمل وهو لا يقع وقد قطعت اعضاؤه واخذته السيوف حتى سقط ويقال ان عبد الله بن الزبير قبض على خطام الجمل وهو لا يقع وقد ناشده على ان يخلي عنه ولما سقط الجمل ووقع الهودج جاء محمد بن ابي بكر فادخل يده فقالت من انت شئ قالت ما أصابني الاسهم

وقوله وقلت عساه ان اقت برق لي * وقد سمحت لاعنده ما اقتضت عسى

وقوله ينفي لي الحال ولكنه * يدخل لا في كل مستقبل

وقوله خفضت مقامي اذ جزمت وسائلي * فكيف جمعت الجزم عندي والخفضا

وقوله في غلام شاعر

كيف خلاص القلب من شاعر * رقت معانيه عن النقد
يصغر نثر الدر عن نثره * ونظمه جل عن العقد
وشعره الطائل في حسنه * طال على النابغة الجعدي

وحدث أبو حيان عن قاضي القضاة أبي بكر محمد بن أبي النصر الفتح بن علي الانصاري الاشبيلي بغرناطة أن ابراهيم بن سهل الشاعر الاشبيلي كان يهوديا ثم أسلم ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بقصيدة طويلة بارعة قال أبو حيان وقفت عليها وهي من أبدع ما نظم في معناها وكان سن ابن سهل حين غرق نحو الاربعين سنة وذلك سنة تسع وأربعين وستمائة وقيل انه جاوز الاربعين وكان يقرأ مع المسلمين ويخالطهم وما أحسن قوله

مضى الوصل الا منية تبعث الاسى * أداري بها همي اذا الليل عسعسا
أتاني حديث الوصل زورا على النوى * أعد ذلك الزور اللذيذ المؤنسا
ويا أيها الشوق الذي جاء زائرا * أصبت الاماني خذ قلوبا وأنفسا
كساني موسى من سقام جفونه * رداء وسقاني من الحب أكؤسا

ومن أشهر موشحاته قوله

ليل الهوى يقظان * والحب ترب السهر
والصبر لي خوان * والنوم عن عيني بري

وقد عارضه غير واحد فما شقوا له غبارا * وأما ابراهيم بن الفخار اليهودي فكان قد تمكن عند الادفونش ملك طليطلة النصراني وصيره سفيرا بينه وبين ملوك المغرب وكان عارفا بالمنطق والشعر قال ابن سعيد أنشدني لنفسه يخاطب أديبا مسلما كان يعرفه قبل أن تعلو رتبته ويسفر بين الملوك ولم يزده على ما كان يعامله به من الاذلال فضاق ذرع ابن الفخار وكتب اليه

أيا جاعلا أمر ابن شبهين ماله * من العقل احساس به يتفقد
جعلت الغنى والفقر والذل والعلا * سواء فما تنفك تشقى وتجهد
وهل يستوي في الارض نجد وتلعة * فتطلب تسهيلا وسيرك مصعد
وما كنت ذا ميز لمن كنت طالبا * بما كنت في حال الفراغ تعود
وقد حال ما بيني وبينك شاغل * فلا تطلبني بالذي كنت تعهد
فان كنت تأبى غير اقدام جاهل * فانك لا تنفك تلحى وتطرد
الآفات في أبوابه كل مسلك * ولا تك فلا حيثما قمت تقعد

قال ابن سعيد وأنشدني لنفسه

ولما دجا ليل العذار بخده * تيقنت أن الليل أخفى وأستر

لم يضربني بخاء على حتى وقف عليها فضرب الهودج بقضيب وقال يا حميراء رسول الله أمرك بهذا ألم يأمرك أن تقري في بيتك والله ما انصفك الذين اخرجوك اذ صانوا عقائلهم وابرزوك وامر أخاها محمدا فانزلها في دار صفية بنت الحرث بن ابي طلحة العبدي وهي ام طلحة الطلحات ووقع الهودج والناس مفترقون يقتتلون والتقى الاشتر بن مالك بن الحرث النخعي وعبد الله بن الزبير فاعتركا وسقطا الى الارض عن فرسيهما والناس حولهما يجولون وابن الزبير ينادي

اقتلوني ومالكا * واقتلوا مالكا معي

فلا يسمعهما احد لشدة الجلاد ووقع الحديد ولا يراهما راء لظلمة النقع وترادف العجاج وجاء ذو الشهادتين خزيمة بن ثابت الى علي فقال يا امير المؤمنين لا تنكس اليوم راس محمد واردد اليه الراية فدعا به ورد عليه الراية وقال

اطعنهم طعن ابيك تحمد * لاخير في حرب اذا لم توقد
بالمشرفي والقنا المشرد

ثم استسقى فاتي بعسل وماء فحسا منه حسوة وقال هذا الطائفي وهو غريب البلد فقال له عبد الله بن جعفر ما شغلك ما نحن فيه عن علم هذا قال انه والله يا بني ما ملأ بصدر عمك شيء قط من امر الدنيا ثم دخل البصرة وكانت الوقعة في الموضع المعروف بالخريبة يوم الخميس واصبح

واصبح عذالى يقولون صاحب * فاخلو به جهرا ولا أتستر

وقال يمدح الادفونش لعنهما الله تعالى

حضرة الادفنش لا برحت * غادة ايامها عرس

فاخلع النعلين تكرمة * فى ثراها انها قدس

قال وادخلونى الى بستان الخليفة المستنصر فوجدته فى غاية الحسن كانه الجنة ورأيت على بابه بوابا فى غاية القبح فلما سألنى الوزير عن حال فرجتى قلت رايت الجنة الا انى سمعت ان الجنة يكون على بابها رضوان وهذه على بابها مالك فضحك واخبر الخليفة بما جرى فقال له قل له انا قصدنا ذلك ولو كان رضوان عليها بوابا لخشينا ان يرده عنها ويقول له ليس هذا موضعك ولما كان هنالك مالك ادخله فيها وهو لا يدرى ما وراءه ويخيل انها جهنم قال فلما اعلمنى الوزير بذلك قلت له الله اعلم حيث يجعل رسالاته * وكان فى زمان الياس بن المدور اليهودى الطبيب الرندى طبيب آخر كان يجرى بينهما من المحاسدة ما يجرى بين مشتركين فى صنعة فأصلح الناس بينهما مرارا وظهر لالياس من ذلك الرجل الطبيب ما ينفر الناس منه فكتب اليه

لا تخدعن فما تكون مودة * ما بين مشتركين امرا واحدا

انظر الى القمر بن حين تشاركا * بسناهما كان التلاقى واحدا

يعنى انهما لما اشتركا فى الضياء وجب التحاسد بينهما والتفرقة هذا يطلع ليلا وهذه تطلع نهارا او اعتراضهما يوجب الكسوف * وكتب ايوب بن سليمان المروانى الى بسام بن شمعون اليهودى الوشقى فى يوم مطير لما كنت وصل الله تعالى لى اخاءك وحفظك مطمح نفسى ومنتزع اختيارى من ابناء جنسى على جوانبك اميل وارتع فى رياض خلقك الجميل هزتنى خواطر الطرب والارتياح فى هذا اليوم المطير الداعى بكاؤه الى ابتسام الاقداح واستنطاق البم والزير فلم ارمعينا على ذلك ومبلغا ما هنالك الاحسن نظرك وتحشمك من المكارم ما جرت به عادتك وهذا يوم حرم الطرف فيه الحركة وجعل فى تركها الخير والبركة فهل توصل مكرمتك اخاك الى التخلى معك فى زاوية متكئا على دن مستندا الى خابية ونحن خلال ذلك نتجاذب أهداب الحديث التى لم يبق من اللذات الا هى ونجيل الالحاظ فيما تعودت عندك من المحاسن والاسماع فى أصناف الملاهى وانت على ذلك قدير وكرمك بتكلفه جدير ولا يعيى المرء يوما على راحته الاكريم الطباع وها أنا والسمع منى الى الباب وذو الشوق حليف استماع

فان أتى داع بنيل المنى * ودع أشجانى ونعم الوداع

وهذا المروانى من ذرية عبد العزيز أخى عبد الملك بن مروان وهو من أهل المائة السادسة * وكانت بالاندلس شاعرة من اليهود يقال لها قسمونة بنت اسمعيل اليهودى وكان أبوها شاعرا واعتنى بتأديبها وربما صنع من الموشحة قسما فأتمتها هى بقسم آخر وقال لها أبوها يوما أجيزى

لى صاحب ذو بهجة قد قابلت * منها بظهر واستحلت جرمها

بالبصرة خطبته الطويلة التى يقول فيها يا أهل المسجد يا أهل المؤتفكة ائتفكت بأهلك من الدهر ثلاثا وعلى الله تمام الرابعة يا جند المرأة يا أتباع البهيمة رغا فاجبتم وعقر فانهزمتم أخلاقكم رقاق وأعمالكم نفاق ودينكم زيغ وشقاق وماؤكم اجاج زعاق وقد ذم على أهل البصرة بعد هذا الموقف مرارا كثيرة وبعث بعبد الله ابن عباس الى عائشة يأمرها بالخروج الى المدينة فدخل اليها بغير اذنها واجتذب وسادة فجلس عليها فقالت يا ابن عباس أخطأت السنة المأمور بها دخلت الينا بغير اذننا وجلست على رحلنا بغير أمرنا فقال لها لو كنت فى البيت الذى خلفك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دخلنا الا باذنك وما جلسنا على رحلك الا باذنك ان أمير المؤمنين يأمرك بسرعة الاوبة والتأهب للخروج الى المدينة فقالت أبيت ما قلت وخالفت ما وصفت فمضى الى على فخبره بامتناعها فرده اليها وقال ان أمير المؤمنين يعزم عليك أن ترجعى فانعمت وأجابت الى الخروج

وجهزها على وأتاها فى اليوم الثانى ودخل عليها ومعه الحسن والحسين وباقى أولاده وأولاد اخوته

ففكرت غير كثير وقالت

كالشمس منها البدر يقبس نوره * أبدا ويكسف بعد ذلك جرمها

فقام كالمختبل ووضعها اليه وجعل يقبل رأسها ويقول أنت والعشر كلمات أشعر منى ونظرت فى المرآة فرأت جمالها وقد بلغت أوان التزوج ولم تتزوج فقالت

أرى روضة قد حان منها قطافها * ولست أرى جان يمد لها يدا
فوا أسفا يمضى الشباب مضيعا * ويبقى الذى ما ان اسميه مفردا

فسمعها أبوها فنظر فى تزويجها وقالت فى ظبية عندها

يا ظبيـة ترعى بروض دائما * انى حكيتك فى التوحش والحور
أمسى كلانا مفردا عن صاحب * فلنصطبر أبدا على حكم القدر

واستدعى أبو عبد الله محمد بن وشيق القلعى ثم الغرناطى بعض أصحابه الى انس بقوله

سيدى عندى اترج ونارنج وراح
وجنى آس وزهر * وجمانا لا يباح
ليس الا مطرب يسلى الندامى والملاح
ومكان لا انتهاك * قد نأى عنه اللاح
لا ترى يطلع فيه * دون أكواس صباح
فيه فتيان لهم فى * لذة العيش جماح
طرحوا الدنيا يسارا * فاستراحت واستراحوا
لا كقوم أوجهتهم * لهم فيها نباح

وله

قال العذول الى كم * تدعو لمن لا يجيب
فقلت ليس عجيبا * أن لا يجيب حبيب
هون عليك فانى * من حبه لا أتوب

قال أبو عمران بن سعيد دخلت عليه وهو مسجون بدار الاشراف باشبيلية وقد بقى عليه من مال السلطان اثنا عشر ألف دينار قد أفسدها فى لذات نفسه فلما لحنى أقبل يضحك ويشتغل بالنوادر والحكايات الظريفة فقلت له قالوا انك أفسدت للسلطان اثنى عشر ألف دينار وما أحسبك الا زدت على هذا العدد لما أرى لك فيه من المسرة والاستبشار فزاد ضحكا وقال يا أبا عمران أترانى اذا الزمت الهم والفكر يرجع على ذلك العدد الذى أفسدت ثم فكر ساعة وأنشدنى

ليس عندى من الهموم حديث * كلما ساءنى الزمان سررت
أترانى أكون للدهر عونا * فاذا مسنى بضر ضجرت
غمرة ثم تنجلى فكأنى * عند اقلاعها همها ما ضرت

وقال النحوى اللغوى أبو عيسى لب بن عبد الوارث القلعى

بدا ألف التعريف فى طرس خده * فيا هل تراه بعد ذلك ينكر
وقد كان كافورا فهل أنا تارك * له عند ما حياه مسك وعنبر

وفتيان أهله من بنى هاشم وغيرهم من شيعته من همدان فلما بصرت به النسوان صحن فى وجهه وقلن يا قاتل الاحبة فقال لو كنت قاتل الاحبة لقتلت من فى هذا البيت وأشار الى بيت من تلك البيوت قد اختفى فيه مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عامر وغيرهم فضرب من كان معه بايديهم الى قوائم سيوفهم لما علموا من فى البيت مخافة أن يخرجوا فيغتالوهم فقالت لهم عائشة بعد خطب طويل كان بينهما انى أحب ان أقيم معك فاسير الى قتال عدوك عند سيرك فقال بل ارجعى الى البيت الذى تركك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته أن يؤمن ابن أختها عبد الله ابن الزبير فامنه وتكلم الحسن والحسين فى مروان فأمنه وأمن الوليد بن عقبة وولد عثمان وغيرهم من بنى أمية وأمن الناس جميعا وقد كان نادى يوم الوقعة من ألقى سلاحه فهو آمن ومن دخل داره فهو آمن واشتد حزن على على من قتل من ربيعة قبل ورود البصرة وهم الذين قتلهم طلحة والزبير من عبد القيس وغيرهم من ربيعة وجدد حزنه قتل زيد بن صوحان قتله فى ذلك اليوم عمرو بن سبرة ثم قتل عمار بن ياسر عمرو بن سبرة فى ذلك اليوم أيضا وكان على يكثر من قوله

وماخير روض لا يرف نباته * وهل أفتن الاثواب الا المشهر

وقال أبى لى أن أقول الشعر أنى * أحاول أن يفوق السحر شعرى

وأن يصغى اليه كل سمع * و يعلو ذكره فى كل ذكر

قال الحجارى أخبرنى انه احب أحد أولاد الاعيان ممن كان يقرأ عليه فلما خلا به شكا اليه مايجده فقال له الصبيان يفطنون بنا فاذا أردت أن تقول شيأ فاكتبه لى فى ورقة فلما سمعت ذلك منه تمكن الطمع منى فيه و كتبت له

يامن له حسن يفوق به الورى * صل هائما قد ظل فيك محيرا

وامنن على بقبلة أو غيرها * ان كنت تطمع فى الهوى أن تؤجرا

وكتب بعدها من الكلام ما رأيته فلما حصلت الورقة عنده كتب الى فى غيرها أنا من بيت عادة أهله أن يكونوا اسم فاعل لا اسم مفعول وانما أردت أن يحصل عندى خطك شاهدا على ماقابلتنى به لئلا اشكوك الى أبى فيقول لى حاش لله ان يقع الفقيه فى هذا وانما أنت خبيث رأيته يطالبك بالتزام الحفظ فاختلقت عليه لا خرجك من عنده فأبقى معذبا معك ومعه وان أنا أوقفته على خطك صدقنى واسترحت ولكن لا أفعل هذا ان كففت عنى وان انتهيت فلا اخبر به احدا قال ابن عبد الوارث فلما وقفت على خطه علمت قدر ماوقعت فيه وجعلت ارغب اليه فى ان يرد الرقعة الى فأبى وقال هى عندى رهن على وفائك بأن لا ترجع تتكلم فى ذلك الشان قال فكان والله يبطل القراءة فلا اجسر ا كلمه لانى رايت صبيانتى وناموسى قد حصل فى يده وتبت من ذلك الحين عن هذا وامثاله * وقال جابر بن خلف القفصى وكان فى خدمة عبد الملك بن سعيد وقرا مع ابى جعفر بن سعيد وتهذب معه يخاطبه حين عاثت الذئاب فى غنمه

اباقائدا قد سما فى العلا * وساد علينا بذات وجد

غدا الذئب فى غنمى عائثا * وقد جئت مستعديا بالاسد

و كثر عليه الدين فكتب اليه ايضا

انى ايامك الغر * اموت كذا من الضر

واخبط فى دجاهمى * ووجهك طلعة الفجر

فجهك وادى دينه * ولما خلع اهل المرية طاعة عبد المؤمن وقتلوا نائبه ابن مخلوف قدموا عليهم ابا يحيى بن الرميمى ثم كان عليه من النصارى ماعلم ففر الى مدينة فاس و بقى بها ضائعا خاملا يسكن فى غرفة و يعيش من النسخ فقال

امسيت بعد الملك فى غرفة * ضيقة الساحل والمدخل

تستوحش الارزاق من وجهها * فما تزال الدهر فى معزل

النسخ بالقوت لديها ولا * تقرعها كف اخ مفضل

وانشدها لبعض الادباء فبينما هو ليلة ينسخ بضوء السراج واذا بالباب يقرع ففتحه فاذا شخص متنكر لا يعرفه وقد مد يده اليه بصرة فيها جملة دنانير وقال خذها من كف اخ لا يعرفك ولا تعرفه وانت المفضل بقبولها فأخذها وحسن بها حاله وقال له بعض هذا شعرك

فوجدت ابنين لها قد قتلا وقد كان قتل زوجها وأخوان لها فيمن قتل قبل مجيء على البصرة فانشأت تقول

شهدت الحروب فشيبننى

فلم أر يوما كيوم الجمل

أضر على مؤمن فتنة

وأقتله لشجاع بطل

فليت الظعينة فى بيتها

وليتك عسكر لم ترتحل

وقد ذكر المدائنى أنه رأى بالبصرة رجلا مصطلم الاذن فساله عن قصته فذكر انه خرج يوم الجمل ينظر الى القتلى فنظر الى رجل منهم يخفض رأسه ويرفعه وهو يقول

لقد أوردتنا حومة الموت أمنا

فلم تنصرف الا ونحن رواء

أطعنا بنى تيم لشقوة جدنا

وما تيم الا أعبد واماء

فقلت سبحان الله أتقول هذا عند الموت قل لا اله الا الله فقال يا ابن اللخناء اياى تأمر بالجزع عند الموت فوليت عنه متعجبا منه فصاح بى ادن منى لقنى الشهادة فصرت اليه فلما قربت منه استدنانى ثم التقم اذنى فذهب بها فجعلت ألعنه وادعو عليه فقال اذا صرت الى امك فقالت من فعل هذا بك

ايام خلافتك فهل قلت ايام امرك قال نعم لما قتل اهل المرية ابن مخلوف عامل عبد المؤمن واكرهوني ان اتولى امرهم قلت

اري فتنة تكشف عن لظاها * رماد بالنفاق له انصداع
وآل بها النظام الى انتثار * وساد بها الاسافل والرعاع
سأحمل كل ما جشمت منها * بصدر فيه للهول اتساع

واصل بني الرميمي من بني امية ملوك الاندلس ونسبوا الى رميمه قرية من اعمال قرطبة وقال ابو بحر يوسف بن عبد الصمد

فوصلت اقطار الغير احبة * ومدحت اقواما بغير صلات
اموال اشعاري غنت فتكاثرت * فجعلت مدحي للبخيل زكاتي

وهذا من غريب المعاني وفي بني عبد الصمد يقول بعض اهل عصرهم لما راى من كثرة عددهم والتئامهم بالسلطان

ملأت قلبي هموما مثل ما * ملأ الدنيا بنو عبد الصمد
كاثر الشيخ أبوهم آدما * فغدا أكثر نسلا وولد
كلهم ذئب اذا أمنته * والرعايا بينهم مثل النقد

وكان الوزير الكاتب أبو جعفر أحمد بن عباس وزير زهير الصقلي ملك المرية بذ الناس في وقته باربعة أشياء المال والبخل والعجب والكتابة قال أبو حيان وكان قبل محنته صير هجيراه أوقات لعب الشطرنج أو ما يسنح له هذا البيت

عيون الحوادث عني نيام * وهضمي على الدهر شيء حرام

وذاع هذا البيت في الناس حتى قلب له مصراعه الاخير بعض الادباء فقال

سيوقظها قدر لا ينام

وكان حسن الكتابة جميل الخط مليح الخطاب غزير الادب قوي المعرفة مشاركا في الفقه حاضر الجواب جماعا للدفاتر حتى بلغت أربعمائة ألف مجلد وأما الدفاتر المخرومة فلم يوقف على عددها لكثرتها وبلغ ماله خمسمائة ألف مثقال جعفرية سوى غير ذلك وكان مقتله بيد باديس بن حبوس ملك غرناطة وكفى دليلا على اعجابه قوله

لي نفس لا ترتضي الدهر عمرا * وجميع الانام طرا عبيدا
لو ترقت فوق السماك محلا * لم تزل تبتغي هناك صعودا
أنا من تعلمون شيدت مجدي * في مكاني ما بين قومي وليدا

وكان يتهم بداء أبي جهل فيما ينقل حتى كتب بعض الادباء على برجه بالمرية

خلوت بالبرج فماذا الذي * تصنع فيه يا سخيف الزمان

فلما نظر اليه أمر أن يكتب

أصنع فيه كل ما اشتهي * وحاسدي خارجه في هوان

وكان الاعمى التطيلي شاعرا مشهورا وكان الصبيان يقولون له تحتاج كحلا يا أستاذ فكان ذلك سبب انتقاله من مرسية وقيل له يا أبا بكر كم تقع في الناس فقال أنا أعمى وهم

وقد بعث معها علي اخاها عبد الرحمن بن ابي بكر وثلاثين رجلا وعشرين امرأة من ذوات الدين من عبد القيس وهمدان وغيرهما البسهن العمائم وقلدهن السيوف وقال لهن لا تعلمن عائشة انكن نسوة كانكن رجال وكن اللاتي تلين خدمتها وحملها فلما اتت المدينة قيل لها كيف رايت مسيرك قالت كنت بخير والله لقد اعطى علي بن ابي طالب فاكثر ولكنه بعث معي رجالا فعرفها النسوة امرهن فسجدت وقالت ما ازددت والله يا ابن ابي طالب الا كرما ووددت اني لم اخرج وان اصابتني كيت وكيت من امور ذكرتها وانما قيل لي تخرجين فتصلحين بين الناس فكان ما كان وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ان الذي قتل من اصحاب علي في ذلك اليوم خمسة آلاف ومن اصحاب الجمل وغيرهم من اهل البصرة وغيرهم ثلاثة عشر ألفا وقيل غير ذلك ووقف علي على عبد الرحمن بن عتاب ابن اسيد بن ابي العاص ابن امية وهو قتيل يوم الجمل فقال لهفي عليك يعسوب قريش قتلت الغطاريف من بني عبد مناف شفيت نفسي وجدعت انفي فقال له الاشتر ما اشد جزعك عليهم يا أمير المؤمنين وقد أرادوا بك ما نزل بهم فقال لي انه قامت عني وعنهم نسوة لم يقمن عنك واصيب

لا

لا يبرحون حفرا فاعذرى فى قومى فيهم فقال له السائل والله لا كنت قط حفرة لك وجعل يواليه بره ورفده ومن شعره

وجوه تعز على معشر * ولكن تهون على الشاعر
قرونهم مثل ليل المحب * وليل المحب بلا آخر

وله

زنجيكم بالفسوق دارى * يدلى من الحرص كالحمار
يخلو بنجل الوزير سرا * فيولج الليل فى النهار

ومن شعر أبى جعفر أحمد بن الحيال الاستجى كاتب ابن الاحمر فيمن اسمه فضل الله

من الناس من يؤتى بنقد ومنهم * بكره ومنهم من ينالك اذا انتشى
ومنهم فتى يؤتى على كل حالة * وذلك فضل الله يؤتيه من يشا

ولعبد الملك بن سعيد الخازن

ما حمدناك اذ وقفنا ببابك * للذى كان من طويل حجابك
قد ذممنا الزمان فيك فقلنا * أبعد الله كل دهر أتى بك

وقال فى المسهب كنت بمجلس القاضى ابن حمدين وقد أنشده شعراء قرطبة وغيرها وفى الجملة هلال شاعر غرناطة ومحمد بن الاستجى شاعر استجة الملقب برذكون فقام الاستجى وأنشده قصيدة منها

اليك ابن حمدين انتخلت قصائدا * بها رقصت فى القضب ورق الحمائم
أنا العبد لكن بالمودة أشترى * اذا كان غيرى يشترى بالدراهم

فشكره ابن حمدين ونبه على مكان الاحسان فحسده هلال البيانى على ذلك فلما فرغ من القصيدة قال له هلال أعد على البيت الذى فيه ورق الحمائم فأعاده فقال له لو أزلت النقطة عن الخاء كنت تصدق فقال له فى الحين ولو أزلت أنت النقطة عن العين كنت تحسن وكان على عين هلال نقطة فكان ذلك من الاتفاق العجيب والجواب الغريب وعمل فيه ولما قال المقدم بن المعافى فى رثا سعيد بن جودى

من ذا الذى يطعم أو يكسو * وقد عدا حلف الندى الرمس
لا اخضرت الارض ولا أورق العود ولا اشرقت الشمس
بعد ابن جودى الذى لن ترى * اكرم منه الجن والانس

فقيل له أترثيه وقد ضربك فقال والله انه نفعنى حتى بذنوبه ولقد نهانى ذلك الادب عن مضارجة كنت اقع فيها على راسى افلا أرعى له ذلك والله ماضربنى الا وانا ظالم له افابقى على ظلمى له بعد موته وقيل له لم لا تهجو مؤمن بن سعيد فقال لا اهجو من لو هجا النجوم ما اهتدى احد بها *وقال عبد الملك بن مروان بن نظيف

لا اشرب الراح الا * مع كل خرق كريم
ولست اعشق الا * ساجى الجفون رخيم

ومدح هلال البيانى ابن حمدين بقصيدة اولها

عرج على ذلك الجناب العالى * واحكم على الاموال بالآمال

الكف بعد يوم الجمل بثلاثة أيام ودخل على بيت مال الكوفة فى جماعة من المهاجرين والانصار فنظر الى مافيه من العين والورق فجعل يقول ياصفراء غرى غيرى وادام النظر الى المال مفكرا ثم قال اقسموه بين اصحابى ومن معى خمسمائة خمسمائة ففعلوا فما نقص درهم واحد وعدد الرجال اثنا عشر الفا وقبض ما كان فى عسكرهم من سلاح ودابة ومتاع وآلة وغير ذلك فباعه وقسمه بين اصحابه واخذ لنفسه ما أخذ لكل واحد ممن معه من اصحابه واهله خمسمائة درهم فاتاه رجل من اصحابه فقال ياامير المؤمنين انى لم آخذ شيأ وخلفنى عن الحضور كذا وادلى بعذر فاعطاه الخمسمائة التى كانت له وقيل لابى لبيد الجهمى من الازد تحب عليا قال وكيف أحب رجلا قتل من قومى فى بعض يوم ألفين وخمسمائة وقتل من الناس حتى لم يكن أحد يعزى أحدا واشتغل أهل كل بيت بمن لهم وولى على على البصرة عبد الله بن عباس

وسار الى الكوفة فكان دخوله اليها لاثنتى عشرة ليلة مضت من رجب وبعث الى الاشعث بن

فيه ابن حمدين الذى لنواله * من كل أرض شد كل رحال

فقال له القاضى ماهذا الوثوب على المدح من اول وهلة الاتدرى انهم عابوا ذلك كما عابوا الطول ايضا وان الاولى التوسط فقال له ياسيدى اعذرنى بما لك فى قلبى من الاجلال والمحبة فانى كما ابتدأت فى مدحك لم يتركنى غرامى فى اسمك الاان اتركه عند اول بيت فاستحسن ذلك منه وأحسن اليه ومن هذه القصيدة

قاض موال بره ونواله * فله جميع العالمين موالى

وكان يهوى وسيما من متأدبى قرطبة فصنع فيه شعرا انشده منه

وكانت عينى برعى النجم فى الظلم * وعبرتى قد غدت ممزوجة بدم

فقال له الغلام انت لاتبرح بكوكب من عينك ليلا ولانهارا وعاشقا وغير عاشق فحفل هلال وكان على عينه نقطة *وحكى ابن حيان ان الامير عبد الرحمن عثرت به دابته وهو سائر فى بعض اسفاره وتطأطأت فكاد يكبو لفيه ولحقه جزع وتمثل اثره بقول الشاعر

ومالانرى مما يقى الله أكثر وطلب صدر البيت فعزب عنه وأمر بالسؤال عنه فلم يوجد من يحفظه الا الكاتب محمد بن سعيد الزجالى وكان يلقب بالاصمعى لذكائه وحفظه فانشد الامير * نرى الشمس مما يتقى فنهابه* فاعجب الامير واستحسن شكله فقال له الزم السرادق وأعقب ابنا يسمى حامدا وحضر مع الوزير عبد الواحد بن يزيد الاسكندرانى فى مجلس فيه رؤساء فعرض عليهم فرس مطهم فتمثل فيه عبد الواحد بقول امرئ القيس *بريد السرى بالليل من خيل بربرا* ففهم الزجالى انه عرض بأنه من البربر فلم يحتمل ذلك وأراد الجواب فقال مدججا لما أراده ومعرضا أحسن عندى من ليل يسرى بى فيه على مثل هذا يوم على الحال التى قال فيها القائل

ويوم كظل الرمح قصر طوله * دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

وانما عرض للاسكندرانى بأنه كان يشهد مجالس الراحات فى أول أمره ومعرفة الغناء فقلق الوزير وشكاه الى الحاجب عيسى بن شهيد فاجتمع مع الزجالى وأخذ معه فى ذلك فحكى له الزجالى ماجرى من الاول الى الآخر وأنشد

وما الحر الامن يدين بمثل ما * يدان ومن يخفى القبيح وينصف

هم شرعوا التعريض قذفا فعندما * تبعناهم لاموا عليه وعنفوا

ومن نوادر ابنه حامد انه غلط امامه فى قوله تعالى الزانية والزانى بأن قال فانكحوهما فانشده حامد

أبدع القارئ معنى * لم يكن فى الثقلين

أمر الناس جميعا * بنكاح الزانيين

وقال لبعض أصحابه حينئذ أما سمعت ما أتى به امامنا من تبديل الحدود وتضاحكا *وكتب الوزير أبو عبد الله بن عبد العزيز الى المنصور صاحب بلنسية ويعرف بالمنصور الصغير قطعة أولها

ياأحسن الناس آدابا وأخلاقا * وأكرم الناس أغصانا وأوراقا

من العزل وما خاطبه به حين قدم عليه فيما اقتطع هنالك من الاموال ووجه بجرير بن عبد الله الى معاوية وقد كان جرير قال لعلى ابعثنى اليه فانه لم يزل لى مستنصحا وودادا فآتيه وأدعوه الى أن يسلم هذا الامر وأدعو أهل الشام الى طاعتك فقال الاشتر لاتبعثه ولاتصدقه فوالله انى لاظن هواه هواهم ونيته نيتهم فقال على دعه حتى ننظر مايرجع به الينا فبعث به وكتب الى معاوية معه يعلمه مبايعة المهاجرين والانصار اياه واجتماعهم عليه ونكث الزبير وطلحة وما أوقع الله بهما ويأمره بالدخول فى طاعته ويعلمه أنه من الطلقاء الذين لاتحل لهم الخلافة فلما قدم عليه جرير دافعه وسأله ان ينتظره وكتب الى عمرو بن العاص على ماقدمنا فى صدر هذا الباب فاشار عليه عمرو بالبعثة الى وجوه الشام وان يلزم عليا دم عثمان ويقاتلهم به فقدم جرير على على فاخبره خبرهم واجتماع اهل الشام مع معاوية على قتاله وانهم يبكون على عثمان ويقولون ان عليا قتله وآوى قتلته ومنع منهم وانهم لابد لهم من قتاله حتى يفنوا او يفنيهم فقال الاشتر قد كنت اخبرتك ويا حيا

ويا حيا الارض لم تنكبت عن سنني * وسقت تحوى ارعادا وابراقا
و ياسنى الشمس لم اظلمت فى بصرى * وقد وسعت بلاد الله اشراقا
من أى باب سعت غير الزمان الى * وحسب صدرك حتى قيل قد ضاقا
قد كنت أحسبنى من حسن رأيك لى * أنى أخذت على الايام ميثاقا
فالآن لم يبق لى بعد انحرافك لى * أسى عليه وأبدى منه اشفاقا

فاجابه بهذه القطعة

مازلت أوليك اخلاصا واشفاقا * وانثنى عنك مهما غبت مشتاقا
وكان من أملى ان أقتنيك أخا * فاخفق الامل المأمول اخفاقا
فقلت غرس من الاخوان أكلؤه * حتى أرى منه أثمارا واوراقا
فكان لما زها ازهاره ودنا * اثمارها حنظلا مر المذاقا
فلست اوّل اخوان سقيتهم * صفوى واعلقتهم بالقلب اعلاقا
فما جزونى باحسانى ولا عرفوا * قدرى ولا حفظوا عهدا وميثاقا

والوزير المذكور قال فى حقه فى المطمع انه وزير المنصور بن عبد العزيز ورب السبق فى وده والتبريز ومنقض الامور ومبرمها ومحمد الفتن ومضرمها اعتقل بالرهى واستقل بالامر والنهى على انتهاض بين الاكفاء واعتراض المحول رسومه والاعفاء فاستمر غير مراقب وامر ماشاء غير ممتثل للعواقب ينتضى عزائم تنتضى فان الفت من الايام مظلمة اضا الى ان اودى وغار منه الكوكب الاهدى فانتقل الامر الى ابنه ابى بكر فناهيك من اى عرف ونكر فقد ربى على الدها وماصبا الى الظبية والمها واستقل بالهول يقتحمه والامر يسديه ويلحمه فاى ندى افاض واى اجنحة عدى هاص فانقادت اليه الآمال بغير خطام ووردت من نداه بحر طام ولم يزل بالدولة قائما وموقظا من بهجتها ما كان نائما الى ان صار الامر الى المأمون بن ذى النون اسد الحروب ومسد الثغور والدروب فاعتمد عليه واتكل ووكل الامر الى غير وكل فما تعدى الوزارة الى الرياسة ولا تردى بغير التدبير والسياسة فتركه مستبدا ولم يجد من ذلك بدا وكان ابو بكر هذا ذا رفعة غير متضائلة وآراء لم تكن آفلة ادرك بها ما احب وقطع غارب كل منافس وجب الى ان طلحه العمر وانضاه واغمده الذى انتضاه فخلا الامر الى ابنيه فتبلدا فى التدبير ولم يفرقا بين القبيل والدبير فغلب عليهما القادر بن ذى النون وجلب اليهما كل جلب ما خلا المنون فانجلوا بعدما القوا ما عندهم وتخلوا وكان لابى عبد الله نظم مستبدع يوضع بين الجوانح ويودع انتهى المقصود من الترجمة * وكان للوزير ابى الفرج ابن مكبود قد اعياه علاجه وتهيأ للفساد مزاجه فدل على خمر قديمة فلم يعلم بها الا عند حكم وكان وسيما للعسس قسيما فكتب اليه

ارسل بها مثل ودك * ارق من ماء خدك
شقيقة النفس فانضح * بها جوى ابنى وعبدك

وكتب رحمه الله تعالى معتذرا عما جناه منذرا

ياامير المؤمنين بعداوته وغشه لو بعثنى لكنت خيرا من هذا الذى ارخى خناقه واقام حتى لم يدع بابا نرجو منه الافتحه ولا بابا نخاف منه الا أغلقه فقال جرير لو كنت ثم لقتلوك والله لقد ذكروا انك من قتلة عثمان قال الاشتر لو أتيتهم والله يا جرير لم يعينى جوابهم ولا ثقل على خطابهم ولحملت معاوية على خطة اعجله فيها عن الفكر ولو اطاعنى امير المؤمنين قبل لحبسك واشباهك فى محبس فلا تخرجون منه حتى يستقيم هذا الامر فخرج جرير عند ذلك الى بلاد قرقيسيا والرحبة من شاطئ الفرات وكتب الى معاوية يعلمه ما نزل به وأنه أحب مجاورته والمقام فى داره فكتب اليه معاوية بالمسير اليه وبعث معاوية الى المغيرة بن شعبة الثقفى عند منصرف على من الجمل وقبل مسيره الى صفين بكتاب يقول فيه قد ظهر من رأى ابن أبى طالب ما كان تقدم من وعده لك فى طلحة والزبير فما الذى بقى فى رأيه فينا وذلك أن المغيرة بن شعبة لما قتل عثمان وبايع الناس عليا دخل عليه المغيرة فقال ياأمير المؤمنين ان لك عندى نصيحة فقال وما هى قال ان أردت أن يستقيم لك ما أنت فيه فاستعمل طلحة بن عبيد الله على الكوفة والزبير بن العوام على البصرة وابعث الى معاوية

ماتغيبت عنـك الالعـذر * ودليلى فى ذاك حرصى عليكا
هبك أن الفرار من غير ذنب * اتراه يكون الااليكا

وقال فى المطمح فى حق ابى الفرج من ثنية رياسة وعترة نفاسة مامنهم الامن تحلى بالامارة وتردى بالوزارة واضاء فى آفاق الدول ونهض بين الخيل والخول وهو واحد أمجادهم ومتقلد نجادهم فاقهم أدبا ونبلا وباراهم كرما تخاله وبلا الا انه بقى وذهبوا ولقى من الايام مارهبوا فعاين تنكرها وشرب عكرها وجال فى الآفاق واستدر أخلاف الارزاق وأجال الرجاء قداحا متواليات الاخفاق فاخمل قدره وتوالى عليه جور الزمان وغدره فاندفنت آثاره وعفت أخباره وقد أثبت له بعض ماقاله وحاله قد أدبرت والخطوب اليه قد انبرت أخبرنى الوزير الحكيم أبو محمد المصرى وهو الذى آواه وعنده استقرت نواه وعليه كان قادما وله كان منادما انه رغب اليه فى أحد الايام أن يكون من جملة ندمائه وأن لايحجب عنه وتكون منة من أعظم نعمائه فاجابه بالاسعاف واستساغ منه ما كان يعاف لعلمه بقلته وافراط خلته فلما كان ذلك اليوم كتب اليه

أنا قد أبهت بكم وكلكم هدى * وأحقكم بالشكر منى السابق
فالشمس أنت وقد أظل طلوعها * فاطلع وبين يديك فجر صادق انتهى

وقال الوزير أبو عامر بن مسلمة

حج الحجيج منى ففازوا بالمنى * وتفرقت عن خيفه الاشهاد
ولنا بوجهك حجة مبرورة * فى كل يوم تنقضى وتعاد

وقال الفتح فى حقه ماصورته بيت شرف باذخ ومفخر على ذوائب الجوزاء شامخ وزروا للخلفاء فانتجعتهم الادباء واتبعتهم العظماء وانتسبت لهم النعماء وتنفست عن نور بهجتهم الظلماء وابو عامر هذا هو جوهرهم المنتخل وجوادهم الذى لايبخل وزعيمهم المعظم وسلك مفخرهم المنظم وكان فتى المدام ومستفتى الندام وأكثر من النعت للراح والوصف وآثر الافراح والقصف وارى قينات السرور مجلوة وآيات الحسن متلوة وله كتاب سماه حديقة الارتياح فى وصف حقيقة الراح واختص بالمعتضد اختصاصا جرعه رداه وصرعه فى مداه فقد كان فى المعتضد من عدم تحفظه للارواح وتهاونه باللوام فى ذلك والالواح فاطمان اليه أبو عامر واغتر وأنس الى مابسم من مؤانسته وافتر حتى أمكنته فى اغتياله فرصة لم يعلق بها حصة ولم يضيق عليه الا انه زلت به قدمه فسقط فى البحيرة وانكفا ولم يعلم به الا بعد ما طفا فاخرج وقد قضى وادرج منه فى الكفن حسام المجد منتضى فن محاسنه قوله يصف السوسن وهو مما ابدع فيه واحسن

وسوسن راق مرآه ومخبره * وجل فى اعين النظار منظره
كانها كؤس البلور قد صنعت * مسدسات تعالى الله مظهره
وبينها ألسن قد طوقت ذهبا * من بينها قائم بالملك يؤثره

يعهده على الشام حتى تلزمه طاعتك فاذا استقر قرارها رأيت فيه رأيك قال اما طلحة والزبير فسأرى رأيى فيهما واما معاوية فلا والله لا يرانى الله أستعين به مادام على أبدا ولكنى أدعوه الى ما عرفته فان اجاب والا حاكمته الى الله فانصرف المغيرة وقال

نصحت عليا فى ابن هند مقالة
فردت فلا يسمع لها الدهر ثانيه
وقلت له أرسل اليه بعهده
على الشام حتى يستقر معاويه
ويعلم اهل الشام أن قد ملكته
وام ابن هند عند ذلك هاويه
فلم يقبل النصح الذى جئته به
وكانت له تلك النصيحة كافيه

(قال المسعودى) رحمه الله وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ما كان من المغيرة مع على وما شاربه وهذا احد الوجوه المروية فى ذلك فهذه جوامع ما يحتاج اليه من اخبار يوم الجمل وما كان فيه دون الاكثار والتطويل وتكرار الاسانيد فى ذلك والله ولى التوفيق

(ذكر جوامع مما كان بين اهل العراق واهل الشام بصفين)

الى

الى ان قال واجتمع بجنة بخارج اشبيلية مع اخدان له علية فبينما هم يديرون الراح ويشربون من كاسها الافراح والجو صاح اذ بالافق قد غيم وارسل الديم بعدما كسا الجو بمطارف الرذاذ واشعر الغصون دهر قباذ والشمس منتقبة بالسحاب والرعد يبكيها بالانتحاب فقال

يوم كأن سحابه * لبست عمامات الصوامت
حجبت به شمس الضحى * بمثال اجنحة الفواخت
والغيث يبكي فقدها * والبرق يضحك مثل شامت
والرعد يخطب مفصحا * والجو كالمحزون ساكت

وخرج الى تلك الخميلة والربيع قد نشر رداه ونثر على معاطف الغصون نداه فاقام بها وقال

وخميلة رقم الزمان اديمها * بمفضض ومقسم ومشوب
رشفت قبيل الصبح ريق غمامة * رشف المحب مراشف المحبوب
وطردت في أكنافها ملك الصبا * وقعدت واستوزرت كل أديب
وأدرت فيها الدهر كاس مدامة * مع كل وضاح الجبين مهوب

وقال الوزير الكاتب أبو حفص أحمد بن برد

قلبي وقلبك لامحالة واحد * شهدت بذلك بيننا الالحاظ
فتعال فلنغظ الحسود بوصلنا * ان الحسود بمثل ذاك يغاظ

وقال

يامن حرمت لذاذتي بمسيره * هذي النوى قد صعرت لي خدها
ردوا جفوني من جمالك نظرة * والله يعلم ان رأيتك بعدها

وقال في المطمع في ابن برد المذكور انه غذي بالادب وعلا الى أسمى الرتب وما من أهل بيته الاشاعر كاتب ملازم لباب السلطان مراقب ولم يزل في الدولة العامرية بسبق يذكر وحق لاينكر وهو بديع الاحسان بليغ القلم واللسان مليح الكتابة فصيح الخطابة وله رسالة السيف والقلم وهو أول من قال بالفرق بينهما وشعره منتقف المباني مرهف كالحسام اليماني وقد أثبت منه ماياهيك سماعا ويريك الاحسان لماعا فمن ذلك قوله يصف البهار

تأمل فقد شق البهار كمائما * وأبرز عن نواره الخضل الندى
مداهن تبر في أنامل فضة * على أذرع مخروطة من زبرجد

وله يصف معشوقا اهيف القد ممشوقا أبدى صفحة ورد وبدا في ثوب لازورد

لما بدا في لازورد * دي الحرير وقد بهر
كبرت من فرط الجما * ل وقلت ماهذا بشر
فأجابني لاتنكرن * ثوب السماء على القمر

وقال الوزير الكاتب أبو جعفر بن اللماي

ألما فديتكما نستلم * منازل سلمى على ذي سلم

عنه بالبصرة وما كان يوم الجمل فلنذكر الآن جوامع من سيره الى صفين وما كان فيها من الحروب ثم نعقب ذلك بشأن الحكمين والنهروان ومقتله عليه السلام وكان سير علي من الكوفة الى صفين لخمس خلون من شوال سنة ست وثلاثين واستخلف على الكوفة أبا مسعود عقبة بن عامر الانصاري فاجتاز في مسيره بالمدائن ثم أتى الانبار وسار حتى نزل الرقة فعقد له هناك جسرا فعبر الى جانب الشام وقد تنوزع في مقدار ما كان معه من الجيش فمكثر ومقلل والمتفق عليه من قول الجميع تسعون ألفا وقال رجل من أصحاب علي لما استقروا جميعا بالشام من ابيات كتب بها الى معاوية

اثبت معاوي قد أتاك الحافل
تسعون ألفا كلهم مقاتل
عما قليل يضمحل الباطل

وسار معاوية من الشام وقد تنوزع في مقدار من كان معه فمكثر ومقلل والمتفق عليه من قول الجميع خمس وثمانون ألفا فسبق عليا الى صفين وعسكر في موضع سهل افيح اختاره قبل قدوم علي على شريعة لم يكن على الفرات في ذلك الموضع

منازل كنت بها نازلا * زمان الصبا بين جيد وفم
أما تجدن الثرى عاطرا * اذا ما الرياح تنفسن ثم

وقال فى المطمح فيه امام من أئمة الكتابة ومفجر ينبوعها والظاهر على مصنوعها بطبوعها اذا كتب نثر الدر فى المهارق ونمت فيه أنفاسه كالمسك فى المهارق وانطوى ذكره على انتشار احسانه مع امتداد لسانه فلم تظل لدوحه فروع ولا اتصل لها من نهر الاحسان كروع فاندفنت محاسنه من الاهمال فى قبر وانكسرت الآمال بعدم بدائعه كسرا بعد جبر وكان كاتب على بن حمود العلوى وذكر انه كان يرتجل بين يديه ولا يروى فيأتى على البديه بما يفعله المروى ويبديه فمن ذلك ما كتب به متفننا من ضمن رسالة روض القلم فى فنائك مونق وغصن الادب بفنائك مورق وقد قذف بحر الهند دره وبعث روض نجد زهره فاهدى ذلك على يدى فلان الجارى فى جهده على مبانى قصده * وقال الوزير حسان بن مالك بن أبى عبدة فى المهرجان

أرى المهرجان قد استبشرا * غداة بكى المزن واستعبرا
وسربلت الارض امواهها * وجللت السندس الاخضرا
وهز الرياح صنابيرها * فضوعت المسك والعنبرا
تهادى به الناس الطافه * وسامى المقل به المكثرا

وقال فى حقه فى المطمح من بيت جلالة وفخر أصالة كانوا مع عبد الرحمن الداخل وتوغلوا معه فى متشعبات تلك المداخل وسعوا فى الخلافة حتى حضر مبانيها وكثر مشايعها وجدوا فى المدنة وانعقادها وأخمدوا نار الفتنة عند اتقادها فانبرمت عراها وارتبطت أواخرها وأخراها فظهرت البيعة واتضحت وأعلنت الطاعة وأفصحت وصاروا تاج مفرقها ومنهاج طرقها وهو ممن بلغ الوزارة بعد ذلك وأدركها وحل مطلعها وفلكها مع اشتهار فى اللغة والآداب وانخراط فى سلك الشعراء والكتاب وابداع لما ألف وانتهاض بما تكلف ودخل على المنصور وبين يديه كتاب ابن السرى وهو به كاف وعليه معتكف فخرج وعمل على مثاله كتابا سماه ربيعة وعقيل جرد له من ذهنه أى سيف صقيل وأتى به منتسخا مصورا فى ذلك اليوم من الجمعة الاخرى وأبرزه والحسن يتبسم عنه ويتفرى فسر به المنصور وأعجب ولا غاب عن بصره ساعة ولا حجب وكان له بعد هذه المدة حين أدجت الفتنة ليلها وأزجت ابلها وخيلها اغتراب كاغتراب الحرث بن مضاض واضطراب بين القوافى والمواضى كالحية النضناض ثم اشتهر بعد وافترله السعد وفى تلك المدة يقول يتشوق الى أهله

سقى بلدا أهلى به وأقاربى * غواد بأثقال الحيا وروائح
وهبت عليهم بالعشى وبالضحى * نواسم برد والظلال فوائح
تذكرتهم والنأى قد حال دونهم * ولم أنس لكن أوقد القلب لافح
ومما شجانى هاتف فوق أيكة * ينوح ولم يعلم بما هو نائح
فقلت اتئد يكفيك أنى نازح * وأن الذى أهواه عنى نازح

بالشريعة مع أربعين ألفا وكان على مقدمته وبات على وجيشه فى البر عطاشا قد حيل بينهم وبين الورود الى الماء فقال عمرو بن العاص لمعاوية ان عليا لا يموت عطشا هو وتسعون ألفا من أهل العراق وسيوفهم على عواتقهم ولكن دعهم يشربون ونشرب فقال معاوية لا والله أو يموتوا عطشا كما مات عثمان وعلى يدور فى عسكره بالليل فسمع قائلا وهو يقول

أيمنعنا القوم ماء الفرات وفينا الرماح وفينا الحجف
وفينا على له صولة اذا خوفوه الردى لم يخف
ونحن غداة لقينا الزبير وطلحة خضنا غمار التلف
فما بالنا الامس أسد العرين وما بالنا اليوم شاة النجف

وألقى فى فسطاط الاشعث ابن قيس رقعة فيها

لئن لم يجل الاشعث اليوم كربة من الموت عنا للنفوس تعلت
ونشرب من ماء الفرات بسيفه فهبنا اناسا قبل كانوا فموتت

فلما قرأها حمى وأتى عليا رضى الله عنه فقال له انزوج فى أربعة آلاف من الخيل حتى تهجم فى وسط عسكر معاوية فتشرب

ولى صبية مثل الفراخ بقفرة * متى خاض ساقيها طمتها الطوائح
اذا عصفت ريح أقامت رؤسها * فلم يلقها الا طيور بوارح
فمن لصغار بعد فقد أبيهم * سوى سائح فى الدهر لوعن سائح

واستوزره المستظهر عبد الرحمن بن هشام أيام الفتنة فلم يرض بالحال ولم يمض فى ذلك الانتحال وتثاقل عن الحضور فى كل وقت وتغافل فى ترك الغرور بذلك المقت وكان المستظهر يستبد بأ كثر تلك الامور دونه وينفرد مغيبا عنه شؤنه فكتب اليه

اذا غبت لم أحضر وان جئت لم أسل * فسيان منى مشهد ومغيب
فأصبحت تيميا وما كنت قبلها * لتيم ولكن الشبيه نسيب

وله رأت طالعا للشيب بين ذوائبي * فباحت بأسرار الدموع السواكب
وقالت أشيب قلت صبح تجاربي * انار على أعقاب ليل نوائبي

ولما مات رثاه الوزير أبو عامر بن شهيد بقوله

أفى كل عام مصرع لعظيم * أصاب المنايا حادثى وقديمي
وكيف اهتدائى فى الخطوب اذا دجت * وقد فقدت عيناى ضوء نجوم
مضى السلف الوضاح الا بقية * كغرة مسود القميص بهيم
فان ركبت منى الليالى هضيمة * فقبلى ما كان اهتضام تميم
أبا عبدة انا غدرناك عندما * رجعنا وغادرناك غير ذميم
أنخذل من كنا نروض بأرضه * ونكرع منه فى اناء علوم
ويجلو العمى عنا بأنوار رأيه * اذا أظلمت ظلماء ذات غيوم
كأنك لم تلقح برأيك من الحجا * عقائم افكار بغير عقيم
ولم نعتمد مغناك غدوا ولم نزر * رواحا لفصل الحكم دار حكيم انتهى

وقال الوزير الفقيه ابو ايوب بن امية

أمسك دارين حياك النسيم به * ام عنبر الشحر ام هذى البساتين
بشاطئ الروض حيث الروض مؤتلق * والراح تعبق ام تلك الرياحين

وحلاه فى المطمح بقوله واحد الاندلس الذى طوقها فخارا وطبقها باوانه افتخارا ماشئت من وقار لا تخيل الحركة سكونه ومقدار يتمنى مخبر أن يكونه اذا لاح رايت المجد مجتمعا واذا فاه اضحى كل شئ مستمعا تكتحل منه مقل المجد وتنتحل المعالى افعاله انتحال ذى كلف بها ووجد لو تعرفت فى الخلق سجاياه لجمدت الشيم واستسقيت بمحياه لما استمسكت الديم ودعى للقضاء فارضى واعفى عنه فكانه ما استقضى لديه تثبتت الحقائق وتبينت العلائق وبين يديه يسلك عين الجدد ويدع اللدد اللدد وله ادب اذا خاض به فلا البحر اذا عصف ولا ابو عثمان اذا وصف مع حلاوة فيما شاءه تستهوى تحبيره وانشاءه وقد اثبت له بدعا يفى اليها الاحسان جيدا واخدعا فمن ذلك قوله فى منزل حله متنزها

يامنزل الحسن اهواه وآلفه * حقا لقد جمعت فى صحنك البدع

بعد ما طارت كلانا * طيرة مست لسانا فله المن علينا * وبه درات رحانا

الاشعث وهو يقول مرتجزا
لاوردن خيلى الفراتا
شعث النواصى أو يقال ماتا
ثم دعا على الاشتر فسرحه فى أربعة آلاف من الخيل والرجالة فصار يؤم الاشعث صاحب رايته وهو رجل من النخع يرتجز ويقول
يا أشتر الخيرات ياخير النخع
وصاحب النصر اذا عال الفزع
قد خرج القوم وعالوا بالفزع
ان تسقنا اليوم فما هو بالبدع
ثم سار على رضى الله عنه وراء الاشتر بباقى الجيش ومضى الاشعث فأورد وجهه حتى هجم على عسكر معاوية فازال أبا الاعور عن الشريعة وغرق منهم بشرا وخيلا وأورد خيله الفرات وذلك ان الاشعث داخلته الحمية فى هذا اليوم وكان يقدم رمحه ثم يحث أصحابه فيقول ارجوهم مقدار هذا الرمح فيزيلوهم عن ذلك المكان فبلغ ذلك من فعل الاشعث عليا فقال هذا اليوم نصرنا فيه بالحمية وفى ذلك يقول رجل من أهل العراق
كشف الاشعث عنا
كربة الموت عيانا
وارتحل معاوية عن

لله ما اصطنعت نعماك عندى فى * يوم نعمت به والشمل مجتمع

وحل منية صهره الوزير ابى مروان بن الدب بعدوة اشبيلية المطلة على النهر المشتملة على بدائع الزهر وهو معرس بنته فأقام بها اياما متأنسا وبجذوة السرور مقتبسا واولاه من التحف واهدى اليه من الطرف ما غمر كثره وبهر نفاسة واثره فلما ارتحل وقد اكتحل من حسن ذلك الموضع بما اكتحل كتب اليه

قل للوزير واين الشكر من منن * جاءت على سنن تترى وتتصل
غشيت مغناك والروض الانيق به * يندى وصوب الحيا يهمى و ينهمل
وجال طرفى فى ارجائه مرحا * وقت اجتيازى يستعلى و يستفل
يرنو بلفتته حيث ارتمى زهر * عليه من مثنى أفنانه كلل
محل أنس نعمنا فيه آونة * من الزمان ووا تانا به الأمل

وحل بعد ذلك متنزها بها على عادته فاحتفل فى موالاة ذلك البر واعادته فلما رحل كتب اليه

يا دار أمنك الزما * ن صروفه ونوائبه
ودنت سعودك بالذى * يهوى نزيلك آيبه
فلنعم ماوى الضيف أنت اذا تحاموا جانبه
خطر شأوت به الدنا * روأذعنت لك قاطبه

وصنع له ابن عبد الغفور رسالة سماها بالساجعة حذا بها حذو أبى العلاء المعرى فى الصاهل والساجع وبعث بها اليه فعرضها عليه فأقامت عنده أياما ثم استدعاها منه فصرفها اليه وكتب معها بكر زففتها أعزك الله تعالى نحوك وهززت بعقدها سناك وسروك فلم ألفظها عن شبع ولا جهلت ارتفاعها عما يجتلى من نوعها و يستمع ولكن لما آنست من أنسك بانتجاعها وحرصك على ارتجاعها دفعت فى صدر الولوع وتركت بينها و بين مجاثمها ثلاث الربوع حيث الادب غض وماء البلاغة مرفض فأسعد أعزك الله بكرتها وسلها عن افانين معرتها بما تقطفه من ثمارك وتغرفه من بحارك وترتاح له ولاخوانه من نتائج أفكارك وانها الشنشنة أعرفها فيكم من أخزم وموهبة حزتموها وأحرزتم السبق فيها منذ كم انتهى * وابن عبد الغفور هو الوزير أبو القاسم الذى قال فيه الفتح فتى زكا فرعا وأصلا وأحكم البلاغة معنى وفصلا وجرد من ذهنه على الاغراض نصلا قدها به وفراها وقدح زند المعالى حتى أوراها مع صون يرتديه ولا يكاد يبديه وشيبة ألحقته بالكهول فأقفرت منه ربعها المأهول وشرف ارتداه وسلف اقتدى أثره الكريم واقتداه وله شعر بديع السرد مفوّف البرد وقد اثبت له منه ما الفيت وبالدلالة عليه ما اكتفيت فمن ذلك قوله

تركت التصابى للصواب واهله * و بيض العلى للبيض والسمر للسمر
مدامى مدادى والكؤس محابرى * وندماى اقلامى ومنقلى سفرى

وله

لا تنكروا اننى رحلة أبدا * نحت فى نقف طورا وفى هدف

فدهرنا

الموضع وورد الاشتر وقد كشف الاشعث القوم عن الماء وازالهم عن مواضعهم وورد على فنزل فى الموضع الذى كان فيه معاوية فقال معاوية لعمرو بن العاص يا أبا عبد الله ما ظنك بالرجل اتراه يمنعنا الماء لمنعنا اياه وقد انحاز باهل الشام الى ناحية فى البر نائياء عن الماء فقال له عمرو لا ان الرجل جاء لغير هذا وانه لا يرضى حتى تدخل فى طاعته أو يقطع حبال عاتقك فارسل اليه معاوية يستأذنه فى وروده مشرعته واستقاء الناس من طريقه ودخل رسله عسكره فاباحه على كل ما سال وطلب منه ولما كان أول يوم من ذى الحجة بعد نزول على على هذا الموضع بيومين بعث الى معاوية يدعوه الى اتحاد الكلمة والدخول فى جماعة المسلمين وطالت المراسلة بينهما فاتفقوا على الموادعة الى آخر المحرم سنة سبع وثلاثين وامتنع المسلمون عن الغزو فى البحر والبر لشغلهم بالحروب وقد كان معاوية صالح ملك الروم على مال يحمله اليه لشغله بعلى ولم يتم بين على ومعاوية صلح على غير ما اتفقا عليه من الموادعة فى المحرم وعزم القوم على الحرب بعد انقضاء المحرم ففى ذلك يقول حابس بن سعد الطائى صاحب راية معاوية

فدهـــرنا سدفة ونحن انجمها * وليس ينكر مجرى النجم في السدف
لو اسفر الدهر لي أقصرت عن سفري * وملت عن كلفي بهذه الكلف

وله من قصيدة

رويدك يا بدر التمام فانني * أرى العيس حسري والركاب ظلعا
كأن اديم الصبح قد قد انجما * وغودر درع الليـــل فيها مرقعا
فاني وان كان الشباب محببا * الى وفي قلـبي اجـل واوقعا
لآنف من حسن بشعري مفترى * وآنف من حسن بشعري قنعا انتهى

وقال الوزير ابو الوليد بن حزم

اليـك اباحفص وما عن ملالة * ثنيت عناني والحبيب حبيب
مقالا يطير الجمر عن جنباته * ومن تحته قلب عليك يذوب
مضت لك في أفناء ظلي صولة * لها بين احناء الضلوع دبيب
ولكن ابى الا اليك التفاتة * فزاد عليه من هواك رقيب
وكم بيننا لو كنت تحمد ما مضى * اذ العيش غض والزمان قشيب
وتحت جناح الغيم احشاء روضة * بها لحقوق العاصفات وجيب
وللزهر في ظل الرياض تبسم * وللطير منها في الغصون نحيب

وقال في الزهد

ثلاث وستون قد جزتها * فماذا تؤمل او تنتظر
وحل عليك نذير المشيب * فما ترعوى اوفما تزدجر
تمر لياليك مراحثيثا * وانت على ما ارى مستمر
فلو كنت تعقل ما ينقضي * من العمر لاعتضت خيرا بشر
فمالك لا تستعد اذن * لدار المقام ودار المقر
أترغب عن فجأة للمنون * وتعلم أن ليس منها مفر
فاما الى جنـــة أزلفت * واما الى سقـر تستعر

وقال ابن أبي زمنين

الموت في كل حين ينشر الكفنا * ونحن في غفلة عما يراد بنا
لا تطمئن الى الدنيا وبهجتها * وان توشحت من أثوابها الحسنا
أين الاحبة والجيران ما فعلوا * أين الذين هم كانوا لنا سكنا
سقاهم الموت كأسا غير صافية * فصيرتهم لاطباق الثرى رهنا
تبكي المنازل منهم كل منسجم * بالمكرمات وترثى البر والمننا
حسب الحمام لو ابقاهم وأمهلهم * أن لا يظن على معلومه حسنا

وقال في المطمح الفقيه أبو عبدالله محمد بن أبي زمنين فقيه متبتل وزاهد لا منحرف الى الدنيا ولا منفتل هجرها هجر المنحرف وحل أوطانه فيها محل المعترف لعلمه بارتحاله عنها وتعويضه وابداله منها وتعويضه ينظر بقلبه لا بعينه وانتظر يوم فراقه وبينه ولم

فـادون المنايا غير سبع * بقين من المحرم أو ثمان ولما كان في اليوم الآخر من المحرم قبل غروب الشمس بعث الى أهل الشام اني قد احتججت عليكم بكتاب الله ودعوتكم اليه واني قد نبذت اليكم على سواء ان الله لا يحب الخائنين فلم يردوا عليه جوابا الا السيف بيننا وبينك أو يهلك الاعجز منا وأصبح على يوم الاربعاء وكان أول يوم من صفر فعبأ الجيش وأخرج الاشتر أمام الناس وأخرج اليه معاوية وقد تصاف أهل الشام وأهل العراق حبيب ابن مسلم الفهري وكان بينهم قتال شديد واسفرت عن قتلى من الفريقين جميعا وانصرفوا فلما كان يوم الخميس وهو اليوم الثاني أخرج على هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري المرقال وهو ابن أخي سعد ابن أبي وقاص وانما سمي المرقال لانه كان يرقل في الحرب وكان أعور ذهبت عينه يوم اليرموك وكان من شيعة علي وقد أتينا على خبره في اليوم الذي ذهبت فيه عينه وحسن بلائه في ذلك اليوم في الكتاب الاوسط في فتوح الشام فاخرج اليه معاوية أبا الاعور السلمي وهو سفيان ابن عوف وكان من شيعة معاوية والمنحرفين عن علي وكان بينهم الحرب سجالا وانصرفوا في آخر يومهم عن قتلى كثير واخرج

يكن له بعد ذلك بها اشتغال ولا في شعاب تلك المسالك ايغال وله تآليف في الوعظ والزهد وأخبار الصالحين تدل على تخليته عن الدنيا واتراكه والتفلت من حبائل الاغترار واشراكه والتنقل من حال الى حال والتأهب للارتحال ويستدل به على ذلك الاتصال فمنها قوله الموت في كل حين ينشر الكفنا * فذكر الابيات انتهى وقال خلف بن هرون يمدح الحافظ أبا محمد بن حزم

يخوض الى المجد والمكرمات * بحار الخطوب وأهوالها
وان ذكرت للعلا غاية * ترقى اليها وأهوى لها

وقال في المطمح فيه فقيه مستنبط ونبيه بقياسه مرتبط ما تكلم تقليدا ولا عدا اختراعا وتوليدا ما تمنت به الاندلس أن تكون كالعراق ولا حنت الانفس معه الى تلك الآفاق أقام بوطنه وما برح عن عطنه فلم يشرب ماء الفرات ولم يقف عشية الثمرات ولكنه أربى على من من ذلك غذي وأزرى على من هنالك نعل وحذي تفرد بالقياس واقتبس نار المعارف أي اقتباس فناظر بها أهل فاس وصنف وحبر حتى أفنى الانفاس ونابذ الدنيا وقد تصدت له بأحسن محيا وأهدت اليه أعبق عرف وريا وخلع الوزارة وقد كسته ملاها والبسته حلاها وتجرد للعلم وطلبه وجد في اقتناء نخبه وله تآليف كثيرة وتصانيف أثيرة منها الايصال الى فهم كتاب الخصال وكتاب الاحكام لاصول الاحكام وكتاب القصد في الاهواء والملل والنحل وكتاب مراتب العلوم وغير ذلك عما لم يعطر مثله من هنالك مع سرعة الحفظ وعفاف اللسان واللحظ وفيه يقول خلف بن هرون * يخوض الى المجد والمكرمات * ولابن حزم في الادب سبق لا ينكر وبديهة لا يعلم انه روى فيها ولا فكر وقد أثبت من شعره ما يعلم انه أوحد وما مثله فيه أحد ثم ذكر جملة من نظمه ذكرناها في غير هذا الموضع وكتب أبو عبد الله بن مسرة الى أبي بكر اللؤلؤي يستدعيه في يوم طين ومطر لقضاء أرب من الانس ووطر

أقبل فان اليوم يوم دجن * الى مكان كالضمير مكني
لنا بحكم فيه أشهى فن * فأنت في ذا اليوم أمشى مني

وقال في المطمح ان ابن مسرة كان على طريق من الزهد والعبادة سبق فيها وانتسق في سلك مقتفيها وكانت له اشارات غامضة وعبارة عن منازل الملحدين غير داحضة ووجدت له مقالات رديه واستنباطات مرديه نسب بها اليه رهق وظهر له فيها أنزح عن الرشد وزهق فتتبعت مصنفاته بالحرق واتسع في استباحتها الخرق وغدت مهجورة على التالين محجورة وكان له تعمق في البلاغة وتدقيق لمعانيها وتزويق لاغراضها وتشييد لمبانيها انتهى وهو من غلاة الصوفية الذين تكلم فيهم والتسليم أسلم والله تعالى بأمرهم أعلم * (ومن حكايات أهل الاندلس) في الانقباض عن السلطان والفرار من المناصب مع العذر اللطيف ما حكاه في المطمح في ترجمة الفقيه أبي عبد الله الحسني اذ قال كان فصيح اللسان جزيل البيان وكان أنوفا منقبضا عن السلطان لم يتشبث بدنيا ولم ينكث له مبرم عليا دعاه الامير محمد الى القضاء فلم يجب ولم يظهر رجاءه المحتجب وقال أبيت عن أمانة هذه الديانة كما أبت

على في اليوم الثالث وهو يوم الجمعة أبا اليقظان عمار بن ياسر في عدة من البدريين وغيرهم من المهاجرين والانصار فيمن شرع معهم من الناس وأخرج اليه معاوية عمرو ابن العاص في تنوخ وبهراء وغيرهما من أهل الشام وكانت بينهم سجالا الى الظهر ثم حمل عمار بن ياسر فيمن ذكرنا فازال عمرا عن موضعه والحقه بعسكر معاوية واسفرت عن قتلى كثيرة من أهل الشام ودونهم من أهل العراق وأخرج علي في اليوم الرابع وهو يوم السبت ابنه محمد ابن الحنفية في همدان وغيرها ممن خف معه من الناس فاخرج اليه معاوية عبيد الله بن عمر بن الخطاب في حمير ولخم وجذام وقد كان عبيد الله بن عمر لحق بمعاوية تخوفا من علي أن يقيده بالهرمزان وذلك أن أبا لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة قاتل عمر كان في أرض العجم غلاما للهرمزان فلما قتل عمر شد عبيد الله على الهرمزان فقتله وقال لا أترك بالمدينة فارسيا ولا في غيرها الا قتلته وكان الهرمزان عليلا في الوقت الذي قتل فيه عمر فلما صارت الخلافة الى علي أراد قتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان لقتله اياه ظلما من غير سبب استحقه فلجأ الى معاوية فاقتتلوا في ذلك اليوم وكانت على أهل الشام ونجا ابن عمر

السموات والارض عن حمل الامانة اباية اشفاق لا اباية عصيان ونفاق وكان الامير قد أمر الوزراء باجباره أو حمل السيف ان تمادى على تأبيه واصراره فلما بلغه قوله هذا أعفاه قال وكان الغالب عليه علم النسب واللغة والادب ورواية الحديث وكان مأمونا ثقة وكانت القلوب على حبه متفقة وله رحلة دخل فيها العراق ثم عاد الى هذه الآفاق وعندما اطمأنت داره وبلغ اقصى مناه مداره قال * كأن لم يكن بين ولم تك فرقة * الابيات انتهى وهذه الابيات قدمناها في الباب الخامس في ترجمة القاضي ابن أبي عيسى فأنت ترى كلام الفتح قد اضطرب في نسبتها فمرة نسبها الى هذا ومرة نسبها الى ذاك وهي قطعة عرفها ذاك (ومن دهاة اهل الاندلس وملحهم) ما يحكى عن ابي الحلي وهو علي ابو الحلي الكناني ابو الحسن قال لسان الدين كان شيخا ماجنا الحديث حافظا للمسائل الفقهية قائما على الدولة مضطلعا بمشكلاتها كثير الحكايات يحكى أنه شاهد غرائب ومحافيه نمقها عليه بعض الطلبة ويتعدون ذلك الى الافتعال والمداعبة حتى جمعوا من ذلك جزأ سموه السالك والحلي في اخبار ابن أبي الحلي فمن ذلك أنه كانت له هرة فدخل البيت يوما فوجدها قد دلت احدى يديها وجعلتها في الدقيق حتى علق بها ونصبتها بازاء كوة فأر ورفعت اليد الاخرى لصيده فناداها باسمها فزوت رأسها وجعلت اصبعها على فيها على هيئة المشير بالصمت وأشباه ذلك وتوفي المذكور سنة ٤٠٦ قال في الاحاطة (ومن اجوبة ملوك الاندلس) ان نزارا العبيدي صاحب مصر كتب الى المرواني صاحب الاندلس كتابا يسبه فيه ويهجوه فكتب اليه المرواني أما بعد فانك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لاجبناك والسلام فاشتد ذلك على نزار وأفحمه عن الجواب وحكي انه كتب الى العبيدي ملك مصر مفتخرا

ألسنا بني مروان كيف تبدلت * بنا الحال او دارت علينا الدوائر
اذا ولد المولود منا تهللت * له الارض واهتزت اليه المنابر

(ومن غريب ما يحكى من قوة اهل الاندلس وشجاعتهم) أن الامير حريز بن عكاشة من ذرية عكاشة بن محصن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بساحته اذفونش ملك ملوك الروم فبدأهم بخراب ضياعها وقطع الشجر فكتب اليه حريز ليس من أخلاق القدير الفساد والتدمير فان قدرت على البلاد افسدت ملكك ولو كان الملك في عشرة أمثال عددي لم ينزل لي بساحة ولا تمكن منها براحة فلما وصلته الرسالة عف وأمر بالكف وبعث الملك يرغبه في الاجتماع به فاسترهنه في نفسه عدة من ملوك الروم فأجاب الى ما ارتهن ولما ساروا الى المدينة البيضاء وهي قلعة رباح غربي طليطلة خرج حريز لابسا لأمة حربه يرمق الروم منه شخصا أوتي بسطة في الجسم والبسالة يتحدثون بآلات حربه ويتعجبون من شجاعة قلبه ولما وصل فسطاط الملك تلقته الملوك بالرحب والسعة ولما أراد النزول عن فرسه ركز رمحه فأبصر الملك منه هيئة تشهد له بما عنه حدث وهيئة يجزع للقائها الشجاع ويكترث فدعاه الى البراز عظيم أبطالهم فقال له الملك يا حريز أريد أن أنظر الى مبارزتك هذا البطل فقال له حريز المبارز لا يبارز الا اكفاءه وان لي بينة على صدق قولي أن ليس لي فيهم كفؤ هذا محي قدر كزته فمن ركب واقتلعه بارزته كان واحدا او عشرة

الوليد بن عقبة بن أبي معيط فاقتتلوا وأكثر الوليد من سب بني عبد المطلب بن هاشم فقاتله ابن عباس قتالا شديدا وناداه ابرز الي يا صفوان وكان لقب الوليد وكانت الغلبة لابن عباس وكان يوما صعبا وأخرج علي في اليوم السادس وهو يوم الاثنين سعيد بن قيس الهمداني وهو سيد همدان يومئذ فأخرج اليه معاوية ذا الكلاع وكانت بينهما الى آخر النهار وأسفرت عن قتلى وانصرف الفريقان جميعا وأخرج علي في اليوم السابع وهو يوم الثلاثاء الاشتر في النخع وغيرهم فأخرج اليه معاوية حبيب ابن سلمة الفهري فكانت بينهم سجالا وصبر كلا الفريقين وتكاثروا وتواقفوا للحرب واسفرت عن قتلى منهما والجراح في أهل الشام أعم وخرج في اليوم الثامن وهو يوم الاربعاء علي رضي الله تعالى عنه بنفسه في الصحابة من البدريين وغيرهم من المهاجرين والانصار وربيعة وهمدان قال ابن عباس رأيت في هذا اليوم عليا وعليه عمامة بيضاء وكأن عينيه سراجا سليط وهو يقف على طوائف الناس في مراتبهم يحثهم ويحرضهم حتى انتهى الي وأنا في كثيف من الناس

فركب عظيمهم فلم يهز الرمح من مكانه حين رامه ثم فعل ذلك مرارا فقال له الملك أرني يا حريز كيف تقلعه فركب واشار بيده واقتلعه فعجب القوم ووصله الملك واكرمه انتهى وكان حريز هذا شاعرا ولما اجتاز به كاتب ابن ذي النون الوزير ابو المطرف بن المثنى كتب اليه

يافريدا دون ثانى * وهلالا في العيان
عدم الراح فصارت * مثل دهن البلسان

فجاوبه حريز وهو يومئذ امير قلعته

يافريد الايجاري * بين ابناء الزمان
جاء من شعرك روض * جاده صوب البيان
فبعثناها سلافا * كحميا بابك الحسان

وكان لحريز كاتب يقال له عبد الحميد بن لاطون فيه تغفل شديد فامره ان يكتب الى المأمون ابن ذي النون في شأن حصن دخله النصارى فكتب وقد بلغني ان الحصن الفلاني دخله النصارى ان شاء الله تعالى فهذه الواقعة التي ذكرها الله تعالى في القرآن بل هي الحادثة الشاهدة باشراط الزمان فانا لله على هذه المصيبة التي هدّت قواعد المسلمين وأبقت في قلوبهم حسرة الى يوم الدين فلما وصل الكتاب للمأمون ضحك حتى وقع للارض وكتب لابن عكاشة جوابه وفيه وقد عهدناك منتقيا الامور نقادا لصغيرك وكبيرك فكيف جاز عليك أمر هذا الكاتب الابله الجلف واسندت اليه الكتب عنك دون أن تطلع عليه وقد علمت ان عنوان الرجل كتابه ورائد عقله خطابه وما أدري من أي شئ يتعجب منه هل من تعليقه ان شاء الله تعالى بالماضي أم من حسن تفسيره للقرآن ووضعه مواضعه ام من تورعه عن تأويله الا بتوقيف من سماع عن امام أم من تهويله لما طرأ على من يخاطبه ام من علمه بشأن هذا الحصن الذي لو انه القسطنطينية العظمى مازاد على عظمه وهوله شيأ ولو أن حقيرا يخفى عن علم الله تعالى لخفي عنه هذا الحصن ناهيك من صخرة حيث لا ماء ولا مرعى منقطع عن بلاد الاسلام خارج عن سلك النظام لا يعبره الا لص فاجر أو قاطع طريق غير متظاهر حراسه لا يتجاوزون الخمسين ولا يرون خبز البر عندهم الا في بعض السنين باعه احدهم بعشرين دينارا ولعمري انه لم يغبن في بيعه ولا ربح ارباب ابتياعه واراح من الشين بنسبته والنظر في خداعه فليت شعري ما الذي عظمه في عين هذا الجاهل حتى خطب في امره بما لم يخطب به في حرب وائل فلما وقف حريز على الكتاب كتب لابن ذي النون جوابا منه وان المذكور ممن له حرمة قديمة تغنيه عن ان يمت بسواها وخدمة محمود اولاها واخراها ولسنا ممن اتسعت ممالكه وعظمت حضرته فيحتاج الى انتقاء الكتاب والتحفظ في الخطاب وانما نحن احلاس ثغور وكتاب كتائب لا سطور وان يكن الكاتب المذكور لا يحسن فيما يلقيه على القلم فانه يحسن كيف يصنع في مواطن الكرم وله الوفاء الذي تحدث به فلان وفلان بل سارت بشأنه في اقصى البلاد الركبان وليس ذلك بقادح عندنا فيه بل زاده لكونه دالا على صحة الباطن والسذاجة في الاكرام والتنويه انتهى ولهذا الكاتب شعر سقط فيه سقوط الاغبياء وقد يتنبه

فقال يامعشر المسلمين غضوا الاصوات وأكلوا الملاءمة واستشعروا الخشية واقلقوا السيوف في الاجفان قبل السلة والحظوا الشزر واطعنوا الهبر ونافحوا الصبا وصلوا السيوف بالخطا والنبال بالرماح وطيبوا عن أنفسكم أنفسا فانكم بعين الله ومع ابن عم رسول الله عاودوا الكر واستقبحوا الفر فانه عار في الاحقاب ونار يوم الحساب ودونكم هذا السواد الاعظم والرواق المطنب فاضربوا ثبجه فان الشيطان راكب صعيده معترض ذراعيه قد قدم للوثبة يدا وأخر للنكوص رجلا فصبرا جميلا حتى تنجلي عن وجه الحق وأنتم الاعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم وتقدم على للحرب على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهباء وخرج معاوية في عدد أهل الشام فانصرفوا عند المساء وكل غير ظافر وخرج في اليوم التاسع على وهو يوم الخميس وخرج معاوية فاقتتلوا الى ضحوة من النهار وبرز أمام الناس عبيد الله بن عمر بن الخطاب في أربعة آلاف من المضرية متعممين بشقق الحرير الاخضر متقدمين للموت يطلبون بدم عثمان وابن عمر يقدمهم وهو يقول

انا عبيد الله ينميني عمر
خير قريش من مضى ومن غبر * غير نبي الله والشيخ الاغر
قد ابطأت في نصر عثمان مضر * والربعيون فلا أسقوا المطر

فيه

فيه تنبيه الاذكياء فمنه قوله من قصيدة يمدح حمزة بن المذكور ومطلعها

يذكرني بهم العنبر * وظلم ثناياهم سكر

الى ان قال

ولولا معاليك يا ذا الندى * لما كان في الارض من يشعر

فلا تنكرن زحاما على * ذراك وفي كفك الكوثر

ومشى في موكبه وهم في سفر وكان فصل المطر والطين فعمل فرسه في ذنب فرس ابن عكاشة فلما اثارت يدا فرسه طينا جاء في عنق أميره ففطن لذلك الامير فقال له يا ابا محمد تقدم فقال معاذ الله ان اسيء الادب بالتقدم على اميري فقال فان كان كذلك فتأخر مع الخيل فقال مثلي لا يزال على ركابك في مثل هذه المواضع فقال له فقد والله اهلكتني بما ترمي يدا فرسك على من الطين فقال اعز الله الامير فوالله ما علمت ان يدي فرسي تصل الى عنقك فضحك ابن عكاشة حتى كاد يسقط عن مركوبه وكان بسرقسطة غلام اسمه يحيى بن يطفت من بني يفرن قد نشأ عند ملكها المقتدر بن هود وتخلق بالركوب والادب وكان في غاية الجمال والحلاوة والظرف فعلق بقلب ابن هود وكتم حبه زمانا فلم يمكنه فكتب له

يا ظبي بالله قل لي * متى ترى في حبالي

بعمري وحالي * من خيبتي منك خالي

فكتب له الغلام في ظهر الرقعة

ان كنت ظبيا فأنت الـهزبر يبتغي اغتيالي

وليس يخطر يوما * حلول غيل ببالي

ثم كتب بعدهما هذا ما اقتضاه حكم الجواب في النظم واما بعد فقد جعلت رسني بيد سيدي فعسى ان يقودني الى ما احب لا ما اكره والذي احبه ان يكون بيننا من المحبة ما يقضي بدوام الاخلاص ونأمن في مغبته من العار والقصاص فتركه مدة ثم كتب له يوما على الصورة التي ذكرها

ماذا ترى في يوم أمن طرزت * حلل السحاب به البروق المذهبه

وانا وكأسي لا جليس غيره * ملآن لا يخلو الى ان تشربه

والانس ان يسرته متيسر * ومتى تصعبه فيا ما أصعبه

فاجابه

يا مالك الملوك بعلمه * وخلاله وعلوه في المرتبه

وافى نداك فخرت عند جوابه * اذ ما تضمن ريبة مستغربه

انا اذا تخلو تقول حاسد * وغدا بهذا الامر ينصر مذهبه

هبني الى يوم تطيش به النهى * والبيض تنضى والقنا متناشبه

وهناك فانظرني بعين بصيرة * فالشبل يعرف أصله من جربه

ثم أعلاه الى درجة الوزارة والقيادة الى أن قتل في جيش كان قدمه عليه فقال فيه من قصيدة

يا صار ما أغمدته * عن ناظري الصوارم

أطلب بدم عثمان قال أنت تطلب بدم عثمان والله يطلبك بدم الهرمزان وأمر علي الاشتر النخعي بالخروج اليه فخرج الاشتر اليه وهو يقول

اني أنا الاشتر معروف السير
اني أنا الافعى العراقي الذكر
لست من الحي ربيع أو مضر
لكنني من مذحج البيض الغرر

فانصرف عنه عبيد الله ولم يبارزه وكثرت القتلى يومئذ وقال عمار بن ياسر اني لارى وجوه قوم لا يزالون يقاتلون حتى يرتاب المبطلون والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لكنا على الحق وكانوا على الباطل وتقدم عمار فقاتل ثم رجع الى موضعه فاستسقى فاتته امرأة من نساء بني شيبان من مصافهم بعس فيه لبن فدفعته اليه فقال الله أكبر الله أكبر اليوم ألقى الاحبة تحت الاسنة صدق الصادق وبذلك خبر الناطق وهو اليوم الذي وعدت فيه ثم قال أيها الناس هل من رائح الى الله تحت العوالي والذي نفسي بيده لنقاتلنكم على تأويله كما قاتلناكم على

 تنزيله وتقدم وهو يقول نحن ضربناكم على تنزيله * فاليوم نضربكم على تأويله ضربا يزيل الهام عن مقيله

وزهرة غيبتها * من الطيور كمائم
يا كوكباخرمن أنجمي وأنني راغم
بكت على وشقت * جيوبهن الغمائم
قل للغمائم انى * أصبحت أحكى الحمائم
وأثر الدمع مهما * رأيت للزهر باسم
تالله لالذعيش * لمسترف لك عادم

ولما رحل الوزير عبد البر بن فرسان من وادى آش الى على الميورقى صاحب فتنة افريقية أقبل عليه ثم ولى أخوه يحيى الامارة بعده فأسند جميع أموره اليه فقال يخاطبه

أجبناورمحى ناصرى وحسامى * وعجزاوعزمى قائدى وامامى
ولى منك بطاش اليدين غضنفر * يحارب عن أشباله و يحامى
ألا غنيانى بالصهيل فانه * سماعى ورقراق الدماء مدامى
وحطاعلى الرمضاء رحلى فانها * مهادى وخفاق البنود خيامى

وكان الامير أبو عبد الله بن مردنيش ملك شرق الاندلس من ابطال عصره وكان يدفع فى الموا كب و يشقها يمينا وشمالا منشدا

أكرعلى الكتيبة لا أبالى * أحتفى كان فيهاأم سواها

حتى انه دفع مرة فى موكب من النصارى فصرع منهم وقتل وظهر منه ما أعجبت به نفسه فقال لشخص من خواصه عالم بأمور الحرب كيف رأيت قال لو رآك السلطان لزادفيما لك فى بيت المال وأعلى مرتبتك أمن يكون رأس جيش يقدم هذا الاقدام و يتعرض بهلاك نفسه الى هلاك من معه فقال له دعنى فانى لا أموت مرتين واذامت أنا فلا عاش من بعدى *(ومن حكاياتهم فى الظرف) أن القاضى أبا عبد الله محمد بن عيسى من بنى يحيى بن يحيى خرج الى حضور جنازة وكان لرجل من اخوانه منزل بقرب مقبرة قريش فعزم عليه فى الميل اليه فنزل وأحضر له طعاما وغنت جارية

طابت بطيب لثاتك الاقداح * وزها بحمرة وجهك التفاح
واذا الربيع تنسمت أرواحه * نمت بعرف نسيمك الارواح
واذا الحنادس ألبست ظلماءها * فضياء وجهك فى الدجى مصباح

فكتبها القاضى طر باعلى ظهر يده قال الراوى فلقد رأيته يكبر على الجنازة والابيات على ظهر يده *(ومن حكاياتهم فى البلاغة) ماذكره فى المطمح أن الوليد بن عقال لما انصرف من الحج اجتمع مع أبى الطيب فى مسجد عمرو بن العاص بمصر فقاوضه قليلا ثم قال له أنشدنى لمليح الاندلس يعنى ابن عبد ربه فانشده

يالؤلؤا يسبى العقول أنيقا * ورشا بتعذيب القلوب رفيقا
ماان رأيت ولا سمعت بمثله * دررا يعود من الحياء عقيقا
واذا نظرت الى محاسن وجهه * أبصرت وجهك فى سناه غريقا
يامن تقطع خصره من رقة * ما بال قلبك لا يكون رقيقا

الهادية العاملى وأبو حوّاء السكسكى واختلفا فى سلبه فاحتكما الى عبد الله بن عمرو بن العاص فقال لهما اخرجاعنى فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوعت قريش بعمار مالهم ولعمار يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار وكان قتله عند المساء وله ثلاث وتسعون سنة وقبره بصفين وصلى عليه على عليه السلام ولم يغسله وكان يغير شيبه وقد تنوزع فى نسبه فمن الناس من الحقه ببنى مخزوم ومنهم من رأى أنه من حلفائهم ومنهم من رأى غير ذلك وقد أتينا على خبره فى كتاب مزاهر الاخبار وطرائف الآثار عند ذكرنا الاشتراط الخمسين الذين بايعوا عليا على الموت وفى قتله يقول الحجاج بن عربة الانصارى أبياتا رثاه بها

ياللرجال لعين دمعها جارى
قدهاج حزنى أبو اليقظان عمار
أهوى اليه أبو حوّا فوارسه
يدعو السكون وللجيشين اعصار

الله عن جمعهم لا شك كان عفا * أتت بذلك آيات وآثار   من ينزع الله غلا من صدورهم * على الاسرة لم تمسسهم النار

فلما أكمل انشادها استعادها ثم صفق بيديه وقال يا ابن عبد ربه لقد تأتيك العراق حبوا انتهى * وقال مؤلف كتاب واجب الادب مما يجب حفظه من مخترعات الاندلسيين قول ابن عبد ربه

يا ذا الذي خط العذار بخده * خطين هاجا لوعة وبلابلا
ما كنت أقطع أن لحظك صارم * حتى جعلت من العذار حمائلا   انتهى

وحكى أن الوزير أبا الوليد بن زيدون توفيت ابنته وبعد الفراغ من دفنها وقف للناس عند منصرفهم من الجنازة ليتشكر لهم فقيل انه ما أعاد في ذلك الوقت عبارة قالها لاحد قال الصفدي وهذا من التوسع في العبارة والقدرة على التفنن في أساليب الكلام وهو أمر صعب الى الغاية وأرى انه أشق مما يحكى عن واصل بن عطاء انه ما سمعت منه كلمة فيها راء لانه كان يلثغ بحرف الراء لثغة قبيحة والسبب في تهوين هذا الامر وعدم تهويله أن واصل ابن عطاء كان يعدل الى ما يرادف تلك الكلمة مما ليس فيه راء وهذا كثير في كلام العرب فاذا أراد العدول عن لفظ فرس قال جواد أو ساع أو صافن أو العدول عن رمح قال قناة أو صعدة أو يزني أو غير ذلك أو العدول عن لفظ صارم قال حسام أو لهذم أو غير ذلك وأما ابن زيدون فأقول في حقه أقل ما كان في تلك الجنازة وهو وزير ألف رئيس ممن يتعين عليه أن يتشكر له ويضطر الى ذلك فيحتاج في هذا المقام الى ألف عبارة مضمونها الشكر وهذا كثير الى الغاية لاسيما من محزون فقد قطعة من كبده

ولكنه صوب العقول اذا انبرت * سحائب منه أعقبت بسحائب

وقد استعمل الحريري هذا في مقاماته عندما يذكر طلوع الفجر وهو من القدرة على الكلام وأرى الخطيب بن نباتة ممن لا يلحق في هذا الباب فانه أملى مجلدة معناها من أولها الى آخرها يا أيها الناس اتقوا الله واحذروه فانكم اليه راجعون وهذا أمر بارع معجز والناس يذهلون عن هذه النكتة انتهى كلام الصفدي ملخصا وقال في الوافي بعد ذكره جملة من أحوال ابن زيدون ما نصه وقال بعض الادباء من لبس البياض وتختم بالعقيق وقرأ لابي عمرو وتفقه للشافعي وروى شعر ابن زيدون فقد استكمل الظرف وكان يسمى بحتري المغرب لحسن ديباجة نظمه وسهولة معانيه انتهى (رجع) الى كلام أهل الاندلس * وكان الاديب المحدث أبو الربيع سليمان بن علي الشلبي الشهير بكثير يهوى من يتجنى عليه ويقول انه أبرد من الثلج فخاطبه كثير بقوله

يا حبيبا له كلام خلوب * قلبت في لظى هواه القلوب
كيف تعزو الى محبك بردا * ومن الحب في حشاه لهيب
أنت شمس وقلت اني ثلج * فلهذا اذا طلعت اذوب

وقال ابن مهران مما يشتمل على اربعة امثال

المال زين والحياة شهية * والجود يفقر والشجاعة تقتل
والبخل عيب والجبان مذمم * والقصد احكم والتوسط اجمل

وقال ابن السيد البطليوسي متغزلا

قال النبي له تقتلك شرذمة
سيطت لحومهم بالبغي فجار
فاليوم يعرف أهل الشام أنهم
أصحاب تلك وفيها النار والعار

ولما صرع عمار تقدم سعيد ابن قيس الهمداني في همدان وتقدم سعد بن عبادة الانصاري في الانصار وربيعة وعدي بن حاتم في طيء وسعيد بن قيس الهمداني في أول الناس فخلطوا الجمع بالجمع واشتد القتال وحطمت همدان أهل الشام حتى قذفتهم الى معاوية وقد كان معاوية صمد فيمن كان معه لسعيد بن قيس ومن معه من همدان وأمر علي الاشتر أن يتقدم باللواء الى أهل حمص وغيرهم من أهل قنسرين فأكثر القتل في أهل حمص وقنسرين بمن معه من القراء وأتى المرقال يومئذ بمن معه فلا يقوم له شيء وجعل يرقل كما يرقل الفحل في قيده وعلي وراءه يقول يا أعور لا تكن جبانا تقدم والمرقال يقول

قد أكثر القوم وما أقلا
أعور يبغي أهله محلا
قد عالج الحياة حتى ملا * لا بد أن يفل أو يفلا
أسلهم بذي الكعوب سلا

ثم قصدها هاشم بن عتبة

نفسي الفداء لجؤذر حلو اللمى * مستحسن بصدوده اضناني
في فيه سمطا جوهر بروي الظما * لو علني ببروده احياني

ويخرج من هذه القطعة عدة قطع * وقال ابن صارة مضمنا

الى كم ينقد الدينار مني * ويطلب كف من عنه يحيد
ألم انشده في وادي هيامي * بهلو كان يعطفه النشيد
حبيبي انت تعلم ما أريد * ولكن لاترق ولاتجود
وكم غنيت حين تنكبتني * مني شيطانها ابدا مريد
يريد المرء أن يؤتى مناه * ويأبى الله الاما يريد

وقال ذو الرياستين ابو مروان عبد الملك بن رزين

بالله ان لم تزدجر * يامشبه البدر المنير
لاسرحن نواظري * في ذلك الورد النضير
ولا كلنك بالمنى * ولاشربنك بالضمير

وقال ابن عبد ربه

اشرب على المنظر الانيق * وامزج بريق الحبيب ريقي
واحلل وشاح الكعاب رفقا * خوفا على خصرها الرقيق
وقل لمن لام في التصابي * خذوا قليلا عن الطريق

وسيأتي ان شاء الله تعالى قريبا من بلاغة اهل الاندلس في الجد والهزل مافيه مقنع لمن اقتصر عليه *(ومن حكاياتهم في عدم احتمال الضيم والذل والوصف بالانفة) انه لما ثار ابو ب بن مطروح في المائة الخامسة في الفتنة على ملك غرناطة عبد الله بن بلقين بن حيوس وخاض بحار الفتنة حتى رماه موجها فيمن رمى على الساحل وحصل فيما بث عليهم يوسف ابن تاشفين من الحبائل وكانت له همة وانفة عظيمة وخلع عن اماوته وحصل في حبالته ادخل راسه تحته فانتظر من حضر معه ان يتكلم او يخرج راسه فلم يكن الا قليل حتى وقع ميتا رحمه الله تعالى * ولما ثار الميورقي باقريقية على بني عبد المؤمن الثورة المشهورة وخدمه جلة من أعيان أهل الاندلس وكان من جملتهم مالك بن محمد بن سعيد العنسي كتب عنه من رسالة وبعد فانا لانحتاج لك الى برهان على أمير لسانه الحسام ويده التأييد الرباني الذي لايرام قد نصب خيامه بالبراح ولم يتخذ سورا غير سمر القنا وبيض الصفاح له من العزم ردء ومن الحزم كمين اذا صدق الحسام ومنتضيه * فكل قرارة حصن حصين وهو من القوم الذين لايجورون على جار ولايرحلون بخزية ولايتركون من عار دينهم دين التقوى وان كنت من ذلك في شك فاقدم علينا حتى يصح لك اختبار الذهب بالسبك وأنت بالخيار في الظعن والاقامة فان حللت نزلت خير منزل وان رحلت ودعت أفضل وداع وسرت في كنف السلامة اذ قد شهرنا بانا لانقيد الا بالاحسان وأن ندع لاختياره كل انسان *(ومن حكايات أهل الاندلس في الجود والفضل ومكارم الاخلاق) أن أبا العرب الصقلي حضر مجلس المعتمد بن عباد فأدخلت عليه جملة من دنانير السكة فأمر له

أثبت فاني لست من فزعي مضر
نحن اليمانيون ما فينا مضر
كيف ترى وقع غلام من عذر
ينعى ابن عفان ويلحى من غدر
ياأعور العين رمى فيها العور
سيان عندي من سعى ومن أمر
فاختلفا طعنتين فطعنه هاشم المرقال فقتله وقتل بعده سبعة عشر رجلا وحمل هاشم المرقال وحمل ذو الكلاع ومع المرقال جماعة من أسلم قد آلوا أن لايرجعوا أو يفتحوا أو يقتلوا فاجتلد الناس فقتل هاشم المرقال وقتل ذو الكلاع جميعا فتناول ابن المرقال اللواء حين قتل أبوه في وسط المعركة وكر في العجاج وهو يقول
ياهاشم بن عتبة بن مالك
أعزز بشيخ من قريش هالك
يخبط الخيلين بالسنابك
أبشر بحور العين في الارائك
والروح والريحان عند ذلك
ووقف على رضي الله عنه عنده صرع المرقال ومن صرع حوله من الاسلميين وغيرهم فدعا لهم وترحم عليهم وقال من أبيات جزى الله خيرا عصبة أسلمية * صباح الوجوه صرعوا حول هاشم بخريطتين

بحر يلتطم منها وبين يديه تصاوير عنبر من جملتها صورة جمل مرصع بنفيس الدر فقال أبو العرب ما يحمل هذه الدنانير الا الجمل فتبسم المعتمد وأمر له به فقال

أعطيتنى جملا جونا شفعت به * حملا من الفضة البيضاء لو حملا
نتاج جودك فى أعطان مكرمة * لا قد تصرف من منع ولا عقلا
فاعجب لشأنى فشأنى كله عجب * رفهتنى فحملت الحمل والجملا

ومن نظم أبى العرب المذكور

الام اتباعى للامانى الكواذب * وهذا طريق المجد بادى المذاهب
أهم ولى عزمان عزم مشرق * وآخر يثنى همتى للمغارب
ولا بد لى أن أسأل العيس حاجة * تشق على أخفافها والغوارب
اذا كان أصلى من تراب فكلها * بلادى وكل العالمين أقاربى

وذكر الحافظ الحجارى فى المسهب أنه سأل عمه أبا محمد عبد الله بن ابراهيم عن أفضل من لقى من أجواد تلك الحلبة فقال يا ابن أخى لم يقدر أن يقضى لى الاصطحاب بهم فى شباب أمرهم وعنفوان رغبتهم فى المكارم ولكن اجتمعت بهم وأمرهم قد هرم وساءت بتغير الاحوال ظنونهم وملوا الشكر وضجروا من المروءة وشغلتهم المحن والفتن فلم يبق فيهم فضل للافضال وكانوا كما قال أبو الطيب

أتى الزمان بنوه فى شبيبته * فسرهم وأتيناه على الهرم

فان يكن أتاه على الهرم فانا أتيناه وهو فى سياق الموت ثم قال ومع هذا فان الوزير أبا بكر ابن عبد العزيز رحمه الله تعالى كان يحمل نفسه ما لا يحمله الزمان ويبسم فى موضع القطوب ويظهر الرضا فى حال الغضب ويجهد أن لا ينصرف عنه أحد غير راض فان لم يستطع الفعل عوض عنه القول قلت له فالمعتمد بن عباد كيف رأيته فقال قصدته وهو مع أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فى غزوته للنصارى المشهورة فرفعت له قصيدة منها

لا روع الله سربا فى رحابهم * وان رمونى بترويع وابعاد
ولا سقاهم على ما كان من عطش * الا بعض ندى كف ابن عباد
ذى المكرمات التى مازلت تسمعها * أنس المقيم وفى الاسفار كالزاد
يا ليت شعرى ماذا يرتضيه لمن * ناداه يا موئلى فى محفل النادى

فلما انتهيت الى هذا البيت قال أما ما أرتضيه لك فلست أقدر فى هذا الوقت عليه ولكن خذ ما ارتضى لك الزمان وأمر خادمه له فأعطانى ما أعيش فى فائدته الى الآن فانى انصرفت به الى المرية وكان يجبى سكناها والتجارة بها لكونها مينا لمراكب التجار من مسلم وكافر فتجرت فيها فكان ابقاء ما وجهى على يديه رحمة الله تعالى عليه ثم أخذ البطاقة وجعل يجيل النظر والفكر فى القصيدة وأنا مترقب لنقده لكونه فى هذا الشأن من أئمته وكثيرا ما كان الشعراء يتحامونه لذلك الا من عرف من نفسه التبريز ووثق بها الى ان انتهى الى قولى

ولا سقاهم على ما كان من عطش * الا بعض ندى كف ابن عباد

فقال لاى شئ بخلت عليهم أن يسقوا بكله فقلت اذن كان يلحقنى من النقد ما لحق ذا الرمة

وهو ولا ينفد ثناه وذكره اداسل بالبيض الخفاف الصوارم واستشهد فى ذلك اليوم صفوان وسعد ابنا حذيفة ابن اليمان وقد كان حذيفة عليلا بالكوفة فى سنة ست وثلاثين فبلغه قتل عثمان وبيعة الناس لعلى فقال أخرجونى وادعوا الصلاة جامعة فوضع على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى وعلى آله ثم قال أيها الناس ان الناس قد بايعوا عليا فعليكم بتقوى الله وانصروا عليا ووازروه فوالله انه لعلى الحق آخرا وأولا وانه لخير من مضى بعد نبيكم ومن بقى الى يوم القيامة ثم أطبق يمينه على يساره ثم قال اللهم اشهد انى قد بايعت عليا وقال الحمد لله الذى أبقانى الى هذا اليوم وقال لابنيه صفوان وسعد احملانى وكونا معه فسيكون له حروب كثيرة فيهلك فيها خلق من الناس فاجتهدا ان تستشهدا معه فانه والله على الحق ومن خالفه على الباطل ومات حذيفة بعد هذا اليوم بسبعة أيام وقيل باربعين

يوما واستشهد عبد الله بن الحرث النخعى أخو الاشتر واستشهد فيه عبد الله وعبد الرحمن ابنا بديل بن

في قوله ولا زال منها لا يجبر عائث القطر وكان طوفان نوح أهون عليهم من ذلك فقد ألقت غرته وبدت مسرته وقال انا لله على أن لم يعنا الزمان على مكافأة مثلك قال وكنت ممن زاره بسجنه باغمات وحملتني شدة الحمية له والامتعاض لما حل به أن كتبت على حائط سجنه متمثلا

فان تسجنوا القسري لا تسجنوا اسمه * ولا تسجنوا معروفه في القبائل

ثم تفقدت الكتابة بعد أيام فوجدت تحت البيت لذلك سجناه

ومن يجعل الضرغام في الصيد بازه * تصيده الضرغام فيما تصيدا

فما أدري من جاوب بذلك ثم عدت له ووجدته قد محي وأعلمت بذلك ابن عباد فقال صدق المجاوب وأنا الجاني على نفسه والحافر بيده لرمسه ولما أردت وداعه امر لي باحسان على قدر ما استطاع فارتحلت

آليت لا أقبل احسانكم * والدهر فيما قد عراكم مسي

فغي الذي أسلفتم غنية * وان يكن عندكم قدني

قال وفيه أقول من قصيدة

يا طالب الانصاف من دهره * طلبت أمرا غير معتاد

فلو يكون العدل في طبعه * لما عدا ملك ابن عباد

وللحجاري المذكور كتاب في البديع سماه الحديقة وأنشد لنفسه فيه

وشادن ينصف من نفسه * أمنني من سطوة الدهر

ينام للشرب على جنبه * ويصرف الذنب الى الخمر

وله في فرس

ومستبق يحار الطرف فيه * ويسلم في الكفاح من الجماح

كأن أديمه ليل بهيم * تحجل باليسير من الصباح

اذا احتدم التسابق صار ريحا * تقلب بين اجنحة الرياح

وكتب أبو العلاء ادريس بن أزرق الى ابن رشيق ملك مرسية وقد طالت اقامته عند ابن عبد العزيز

ألا ليت شعري هل أعود الى الذي * عهدت من النعمى لديكم بلا جهد

فوالله مذ فارقتكم ما تخلصت * من الدهر عندي ساعة دون ما كد

فزوا ماذن كي أطير اليكم * فلا عار في شوق الى المال والمجد

ووقف بعض اعدائه على هذه الابيات فوشى بها الى ابن عبد العزيز قاصدا ضرره وكان ذلك في محفل ليكون أبلغ فقال والله لقد ذكرتني أمره ولقد أحسن الدلالة على حاله فان الرجل كريم وعلينا موضع اللوم لا عليه ووالله لا وسعته مالا ووجدا بقدر وسعي ثم أخذ في الاحسان اليه حتى بريعينه رحمه الله تعالى

هكذا هكذا تكون المعالي * طرق الجد غير طرق المزاح

ولنذكر جملة من بني مروان بالاندلس فنقول قال محمد بن هشام المرواني صاحب كتاب

لم يبق الا الصبر والتوكل
وأخذك الترس وسيف مصقل
ثم التمشي في الرعيل الاول

فقتل ثم قتل عبد الرحمن أخوه بعده فيمن ذكرنا من خزاعة ولما رأى معاوية القتل في أهل الشام وكلب أهل العراق عليهم استدعى بالنعمان بن جبلة التنوخي وكان صاحب راية قومه في تنوخ ونهد وقال له لقد هممت أن أولي قومك من هو خير منك مقدما وانصح منك دينا فقال له النعمان انا لو كنا ندعى الى جيش مجموع لكان في لكع بعد الاناة فكيف ونحن ندعوهم الى سيوف قاطعة وردينية شاغرة وقوم ذوي بصائر نافذة والله لقد نصحتك على نفسي وآثرت ملكك على ديني وتركت لهواك الرشد وأنا أعرفه وحدت عن الحق وأنا أبصره وما وفقت لرشد حين أقاتل عن ملكك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول مؤمن به ومهاجر معه ولو أعطيناه ما أعطيناك لكان أرأف بالرعية وأجزل في العطية ولكن قد بذلنا لك الامر

وروضة من رياض الحزن حالفها * طل اطلت به فى افقها الحلل
كأنما الورد فيما بينها ملك * موف ونوّارها من حوله خول

وكان فى مدة الناصر وأدخل عليه يوما ليذاكره فاستحسنه وأمره بالتزام بنيه ليؤدبهم بحسن أدبه ويخلقوا بخلقه فاستعفى من ذلك وقال ان الفتيان لا يتعلمون الا بشدة الضبط والقيد والاغلاظ وأنا أكره أن أعامل بذلك أولاد الخليفة فيكرهونى وقد يحقد لى بعضهم ذلك الى أن يقدر على النفع والضرر قالوا وكان يتعشق المستنصر بالله ولى عهد الناصر وهو غلام وله فيه

متع بوجهك جفنى * ياكوكبا فوق غصن
يامن تحجب حتى * عن كل فكر وأذن
وخامر الخوف فيه * فما يمر بذهن
فليس للطرف والقلب غير دمع وحزن
فانى ذو ذنوب * وانت جنة عدن

وقال أخوه أحمد بن هشام

قطعت الليالى بارتجاء وصالكم * ومانلت منكم غير متصل الهجر
وما كنت أدرى ما التصبر قبلكم * فعلمتمونى كيف أقوى على الصبر
وما كنت ممن يعلق الصبر فكره * ولكن خشيت الصبر يذهب بالعمر

*(ومن حكاياتهم فى علو الهمة) أنه كان سبب قراءته واجتهاده انه حضر مجلسا فيه القائد أحمد بن أبى عبدة وهو غلام فاستخبره القائد فرآه بعيدا من الادب والظرف ورأى له ذهنا قابلا للصلاح فقال أى سيف لو كانت عليه حليه فقامت من هذه الكلمة قيامته وثابت له همة ملوكية عطف بها على الادب والتعلم الى أن صار ابن أبى عبدة عنده كما كان هو عند ابن ابى عبدة اولا لحضر بعد ذلك معه وجالا فى مضمار الادب فرأى ابن ابى عبدة جوادا لا يشق غباره فقال ماهذا اين هذا مما كان فقال ان كلمتك عملت فى فكرى ما اوجب هذا فقال والله ان هذه حلية تليق بهذا السيف فجزاك الله عن همتك خيرا ثم قال له سران لى عليك حقا اذ بعثتك على التأدب والتمييز فاذا حضرنا فى جماعة فلا تتطاول على تقصيرى وحافظ على أن لا أسقط من العيون بار باء غيرى على فقال لك ذلك وزيادة وكان المنذر ابن الامير عبد الرحمن الاوسط سيئ الخلق فى أول أمره كثيرا لاصغاء الى أقوال الوشاة مفرط القلق مما يقال فى جانبه معاقبا على ذلك من يقدر على معاقبته مكثر التشكى ممن لا يقدر عليه لوالده الامير عبد الرحمن فطال ذلك على الامير فقال لو كيل خاص به عارف بالقيام بما يكلفه به الموضع الفلانى الذى بالجبل الفلانى المنقطع عن العمران تبنى فيه الآن بناء أسكن فيه ابنى المنذر وأوصاه بالاجتهاد فيه ففرغ منه وعاد اليه فقال له تعلم المنذر أنى أمرته بالانفراد فيه ولا تترك أحدا من أصحابه ولا أصحاب غيره يزوره ولا يتكلم معه البتة فاذا ضجر من ذلك وسألك عنه فقل له هكذا أمر أبوك فتولى الثقة ذلك على ما أمر به ولما حصل المنذر فى ذلك المكان وبقى

نساؤه فشددن عليه سلاحه ماخلا الشيبانية بنت هانئ بن قبيصة فخرج فى هذا اليوم وأقبل على الشيبانية وقال لها انى قد عبأت اليوم لقومك وايم الله انى لارجو أن أربط بكل طنب من اطناب فسطاطى سيدا منهم فقالت ماأبغض الأن تقاتلهم قال ولم قالت لانه لم يتوجه اليهم صنديد الا أبادوه وأخاف ان يقتلوك وكانى بك قتيلا وقد اتيتهم أسألهم أن يهبوا الى جيفتك فرماها بقوس فشجها وقال لها ستعلمين بمن آتيك من زعماء قومك ثم توجه فحمل عليه حريث بن جابر الجعفى فطعنه فقتله وقيل ان الاشتر النخعى هو الذى قتله وقيل ان عليا ضربه فقطع ماعليه من الحديد حتى خالط سيفه حشوة جوفه وان عليا قال حين هرب فطلبه لاقيد منه بالهرمزان لئن فاتنى فى هذا اليوم لا يفوتنى فى غيره وكلمت نساؤه معاوية فى جيفته فامران يأتين ربيعة فيبذلن فى جيفته عشرة آلاف ففعلن ذلك فاستأمرت ربيعة عليا فقال انما جيفته جيفة كلب لا يحل بيعها

ولكن قد اجبتهم الى ذلك فاجعلوا جيفته لبنت هانئ بن قبيصة الشيبانى زوجته فقالوا النسوة عبيد الله ان شئتن شددناه

بذلك فقال لهن ائتوا الشيبانية فسلوها أن تكلمهم في جيفته ففعلن وأتت القوم وقالت انا بنت هانئ بن قبيصة وهذا زوجي القاطع الظالم قد حذرته فاصار اليه فهبوا لي جيفته ففعلوا وألقت اليهم بمطرف خز فادرجوه فيه ودفعوه اليها فقد شد رجله الى طنب فسطاط من فساطيطهم ولما قتل عمار ومن ذكرنا في هذا اليوم حرض علي عليه السلام الناس وقال لربيعة أنتم درعي ورمحي فانتدب له ما بين عشرة آلاف الى أكثر من ذلك من ربيعة وغيرهم قد جادوا بأنفسهم لله عز وجل وعلي أمامهم على البغلة الشهباء وهو يقول

من أي يومي من الموت أفر
أيوم لم يقدر أم يوم قدر

وحمل وحملوا معه حملة رجل واحد فلم يبق لاهل الشام صف الا انتقض وأهمدوا كل ما أتوا عليه حتى أتوا الى قبة معاوية وعلي لا يمر بفارس الا قده وهو يقول

أضربهم ولا أرى معاويه
الاخزر العين العظيم الحاويه
تهوى به في النار أم هاويه

وحده وفقد خوله ومن كان يستريح معه ونظر الى ما سلبه من الملك ضجر فقال للثقة عسى أن يصلى غلماني وأصحابي اتانس بهم فقال له الثقة ان الامير أمر أن لا يصلك احد وان تبقى وحدك لتستريح مما يرفع لك اصحابك من الوشاية فعلم ان الامير قصد محنته بذلك وتاديبه فاستدعى دواة وكتب الى أبيه اني قد توحشت في هذا الموضع توحشا ما عليه من مزيد وعدمت فيه من كنت آنس اليه وأصبحت مسلوب العز فقيد الامر والنهي فان كان ذلك عقابا بالذنب كبير ارتكبته وعلمه مولاي ولم أعلمه فاني صابر على تأديبه ضارع اليه في عفوه وصفحه

وان أمير المؤمنين وفعله * لكالدهر لا عار بما فعل الدهر

فلما وقف الامير على رقعته وعلم ان الادب بلغ به حقه استدعاه فقال له وصلت رقعتك تشكو ما أصابك من توحش الانفراد في ذلك الموضع وترغب أن تأنس بخولك وعبيدك وأصحابك ان كان لك ذنب يترتب عليه أن تطول سكناك في ذلك المكان وما فعلت ذلك عقابا لك وانما رأيناك تكثر الضجر والتشكي من القال والقيل فأردنا احتسك بأن نحجب عندك سماع كلام من يرفع لك وينم حتى تستريح منهم فقال له سماع ما كنت أضجر منه أخف علي من التوحد والتوحش والتخلي مما أنا فيه من الرفاهية والامر والنهي فقال له فاذ قد عرفت وتأدبت فارجع الى ما اعتدته وعول على أن تسمع كانك لم تسمع وترى كانك لم تر وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لو تكاشفتم ما تدافنتم واعلم انك أقرب الناس الي وأحبهم في وبعد هذا فما يخلو صدرك في وقت من الاوقات عن انكار علي وسخط لما أفعله في جانبك أو جانب غيرك مما لو أطلعني الله تعالى عليه لساءني لكن الحمد لله الذي حفظ ما بين القلوب بستر بعضها عن بعض فيما يجول فيها انك لذو همة ومطمع ومن يكن هكذا يصبر ويغض ويحمل ويبدل العقاب بالثواب ويصير الاعداء من قبيل الاصحاب ويصبر من الشخص على ما يسوء فقد يرى منه بعد ذلك ما يسر ولقد يخف علي اليوم من قاسيت من فعله وقوله ما لو قطعتهم عضوا عضوا لما ارتكبه مني ما شفيت منه غيظي ولكن رأيت الاغضاء والاحتمال لاسيما عند الاقتدار أولى ونظرت الى جميع من حولي ممن يحسن ويسيء فوجدت القلوب متقاربة بعضها من بعض ونظرت الى المسيء يعود محسنا والمحسن يعود مسيئا وصرت أندم على من سبق له مني عقاب ولا أندم على من سبق له مني ثواب فالزم يابني معالي الامور وان جماعها في التغاضي ومن لا يتغاضى لا يسلم له صاحب ولا يقرب منه جانب ولا ينال ما تترقى اليه همته ولا يظفر بأمله ولا يجد مساعدا حين يحتاج اليه فقبل المنذر يده وانصرف ولم يزل يأخذ نفسه بما أوصاه والده حتى تخلق بالخلق الجميل وبلغ ما أوصاه به أبوه ورفع قدره ومن شعره في ابن عم له

ومولى أبي الأاداي وانني * لاحلم عنه وهو بالجهل يقصد
توددته فازداد بعدا وبغضة * وهل نافع عند الحسود التودد

وقوله

خالف عدوك فيما * اماك فيه لينصح
فانما يبتغي أن * تنام عنه فيربح

وقيل ان هذا الشعر لبديل بن ورقاء قاله في ذلك اليوم ثم نادى على ومن

ومن كرم نفسه أن أحد التجار أهدى له جارية بارعة الحسن واسمها طرب ولها صنعة في الغناء حسنة فعندما وقع بصره على حسنها ثم أذنه على غنائها أخذت بمجامع قلبه فقال لاحد خدامه ماترى أن ندفع لهذا التاجر عوضا عن هذه الجارية التي وقعت منا أحسن موقع فقال تقدر ما تساوي من الثمن وتدفع له بقدرها فقومت بخمسمائة دينار فقال المنذر للخديم ما عندك فيما ندفع له فقال الخمسمائة فقال ان هذا الاوم رجل أهدى لنا جارية فوقعت منا موقع استحسان نقابله بثمنها ولو أنه باعها من يهودي لوجد عنده هذا فقال له ان هؤلاء التجار لؤماء بخلاء وأقل القليل يقنعهم فقال وانا كرماء سمحاء فلا يقنعنا القليل لمن نجود عليه فادفع له ألف دينار واشكره على كونه خصنا بها واعلمه بأنها وقعت منا موقع رضا وفيها يقول

ليس يفيد السرور والطرب * ان لم تقابل لواحظي طرب
أبهت في الكاس لست أشربها * والفكر بين الضلوع يلتهب
يعجب مني معاشر جهلوا * ولو رأوا حسنها لما عجبوا

وقال له أبوه يوما ان فيك لتيها مفرطا فقال له حق لفرع أنت أصله أن يعلو فقال له يا بني ان العيون تمج التياه والقلوب تنفر عنه فقال يا أبي لي من العز والنسب وعلو المكان والسلطان ما يحمل عن ذلك واني لم أر العيون الا مقبلة علي ولا الاسماع الا مصغية الي وان لهذا السلطان رونقا يريقه التبذل وعلوا يخفضه الانبساط ولا يصونه ويشرفه الا التيه والانقباض وان هؤلاء الانذال لهم ميزان يسبرون به الرجل منا فان رأوه راجحا عرفوا له قدر رجاحته وان رأوه ناقصا عاملوه بنقصه وصيروا تواضعه صغرا وتخفضه خسة فقال له أبوه لله أنت فابق ومارأيت * وكان له أخ أديب أيضا اسمه المطرف بن عبد الرحمن الاوسط ومن شعره

أفنيت عمري في الشر * ب والوجوه الملاح
ولم أضيع أصيلا * ولا اطلاع صباح
أحيي الليالي سهدا * في نشوة ومراح
ولست أسمع ماذا * يقول داعي الفلاح

والعياذ بالله من هذا الكلام وحاكي الكفر ليس بكافر وعتبه أحد اخوانه على هذا القول فقال اني قلته وأنا لا أعقل ولم أعلم أنه يحفظ عني وأنا أستغفر الله تعالى منه والذي يغفر الفعل أكرم من أن يعاقب على القول ومن جيد شعره قوله

يا أخي فرقت صروف الليالي * بيننا غير زورة الاحلام
فغدونا بعد ائتلاف وقرب * نتناجى بألسن الاقلام

وقال أخوهما الثالث هشام بن عبد الرحمن فيمن اسمه ريحان

أحبك يا ريحان ماعشت دائما * ولو لامني في حبك الانس والجان
ولولاك لم أهو الظلام وسهده * ولا حببت لي في ذرا الدار غربان
وما العشق الريحان الا لانه * شريكك في اسم فيه قلبي هيمان
على انه لم يكمل الظرف مجلس * اذا لم يكن فيه مع الراح ريحان

عمرو قد أنصفك الرجل فقال له معاوية ما أنصفت وانك لتعلم انه لم يبارزه رجل قط الا قتله أو أسره فقال له عمرو وما يحمل بك الا مبارزته فقال له معاوية طمعت فيها بعدي وحقدها عليه وقد قيل في بعض الروايات ان معاوية أقسم على عمرو لما أشار عليه بهذا ان يبرز الى علي فلم يجد عمرو من ذلك بدا فبرز فلما التقيا عرفه علي وشال السيف ليضربه به فكشف عمرو عن عورته وقال مكره أخوك لا بطل فحول علي وجهه وقال قبحت ورجع عمرو الى مصافه وقد ذكر هشام بن محمد الكلبي عن الشرقي بن القطان أن معاوية قال لعمرو بعد انقضاء الحرب هل غششتني منذ نصحتني قال لا قال بلى والله يوم أشرت علي بمبارزة علي وانت تعلم ماهو قال دعاك الى المبارزة فكنت من مبارزته على احدى الحسنيين اما أن تقتله فتكون قد قتلت قاتل الاقران وتزداد شرفا الى شرفك واما أن يقتلك فتكون قد استعجلت مرافقة الشهداء والصالحين

وحسن أولئك رفيقا فقال معاوية يا عمرو الثانية أشر من الاولى وكان في هذا اليوم من القتال مالم يكن

وله فيه

اذا أنا مازحت الحبيب فانما * قصدت شفاء الهم في ذلك المزح
فما العيش الا أن أراه مضاحكا * كما ضحك الليل البهيم عن الصبح

وقال أخوهم الرابع يعقوب بن عبد الرحمن

اذا أنا لم أجد يوما وقومي * لهم في الجود آثار عظام
فمن يرجى لتشييد المعالي * اذا قعدت عن الخير الكرام

ومدحه بعض الشعراء فأمر له بمال جزيل فلما كان مثل ذلك الوقت جاءه بمدح آخر فقال احد خدام يعقوب هذا اللئيم له دين عندنا يقتضيه فقال الامير يا هذا ان كان الله تعالى خلقك مجبولا على كره الصنائع فاجر على ما جبلت عليه في نفسك ولا تكن كالاجرب يعدي غيره وان هذا رجل قصدنا قبل فكان منا ما أشر به وحمله على العودة وقد ظن فينا خيرا فلا نخيب ظنه والحديث أبدا يحفظ القديم وقد جاءنا على جهة التهنئة بالعمر ونحن نسأل الله تعالى أن يطيل عمرنا حتى يكثر ترداده و يديم نعمنا حتى نجد ما ننعم به عليه و يحفظ علينا مروءتنا حتى يعيننا على التجمل معه ولا يبلينا بجليس مثلك يقبض أيدينا عن اسداء الايادي وأمر للشاعر بما كان أمر له به قبل واوصاه بالعود عند حلول ذلك الاوان مادام العمر * وقال اخوهم الخامس الامير محمد ابن الامير عبد الرحمن لاخيهم السادس ابان وقد خلا معه على راحة هل لك امل تبلغك اياه فقال لم يبق لي امل الا ان يديم الله تعالى عمرك و يخلد ملكك فأعجب ذلك الامير وقال ما مالت اليك نفسي من باطل وكان كل واحد منهما يهيم بالآخر وفي ذلك يقول ابان

يا من يلوم ولا يدري بما انا مفتون لو ابصرته ما كنت تلحاني
من مازجت روحه روحي وشاطرني * باحسنه حين اهواه و يهواني

وكان للامير محمد ابن الامير عبد الرحمن ثلاثة اولاد نجباء القاسم والمطرف ومسلمة ولهم اخ رابع اسمه عثمان فمن نظم القاسم في عثمان اخيه وقد زاره فاستسقاه ماء فأبطأ عليه غلامه لعله لم يقبلها القاسم

الماء في دار عثمان له ثمن * والخبز شئ له شان من الشان
فاسلح على كل عثمان مررت به * غير الخليفة عثمان بن عفان

وله

شغلت بالكيمياء دهري * فلم افد غير كل خسر
اتعاب فكر خداع عقل * فساد مال ضياع عمر

وقال شقيقه المطرف و يعرف بابن غزلان وهي امه وكانت مغنية بديعة محسنة عوّادة اديبة

هل أتركي مشرفا على نهر * ارمي بطرفي اليه من قصري
عند اخ لودهته حادثة * اعطيته ما احب من عمري

وقال اخوهما مسلمة

ان شبابا وصبوة لمحال * اولم يأن أن يكون زوال
فدع النفس عن مزاح ولهو * تلك حال مضت وجاءت حال

قبل ووجدت في بعض النسخ من أخبار صفين ان هاشما المرقال لما وقع الى الارض وهو يجود بنفسه رفع رأسه فاذا عبيد الله بن عمر مطروح الى قربه جريحا فجثا حتى دنا منه فلم يزل يعض على ثدييه حتى ثبتت فيه أسنانه لعدم السلاح والقوة لانه أصيب فوقه ميتا هو ورجل من بكر بن وائل قد زحف الى عبيد الله فشأه وانصرف القوم الى مواضعهم وخرج كل فريق منهم يحملون من أمكن من قتلاهم ومر معاوية في خواص من أصحابه في الموضع الذي كان ميمنته فنظر الى عبد الله ابن بديل بن ورقاء الخزاعي معفرا بدمائه وقد كان على ميسرة علي فحمل على ميمنة معاوية فاصيب على ما قدمنا آنفا فاراد معاوية ان يمثل به فقال عبد الله بن عامر وكان صديقا لابن بديل والله لا تركتك واياه فوهبه له فغطاه بعمامته فواراه فقال له معاوية قد والله واريت كبشا من كباش القوم وسيدا من سادات خزاعة غير مدافع لو ظفرت بنا خزاعة لا كلونا ولو انا في جندل دون هذا الكبش وأنشأ يقول متمثلا

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت يوما به الحرب شمرا

وكان

وكان يقول انى لا افارق الامن اختار مفارقتى ومن خادعنى انخدعت له وارته انى غير فطن بخداعه ليعجبه امره وادخل عليه مسرة بنفسه ورايه * وقال محمد ابن الامير المنذر ابن الامير محمد فى جاريته الاراكة

قل للاراكة قد زاد * بالدنو اشتياقى
وهاج مابى اليها * عشق لى للعناق
وانى وبقلبى * جمر جرى فى المآقى
طويت مابى ليوم * يكون فيه التلاقى
فان اعد لاجتماع * حرمت يوم افتراق
لا يعرف الشوق الا * من ذاق طعم الفراق

وقال عبد الله بن الناصر وقد اهدى له سعيد بن فرج ياسمينا ابيض واصفر وكتب معه

مولاى قد ارسلت نحوك تحفة * بمرادما ابغيه منك تذكر
من ياسمين كاللجين تبرجت * بيضا وصفرا والسماح يعبر

فأجابه بما نصه

اتاك تفسيرى ولما يحل * منى على أضغاث احلام
فاجعله رسما دائما زائرا * منى ومنك غرة العام

وبعث اليه بهذين البيتين مع ملء الطبق دنانير ودراهم فقال ابن فرج

قد سمعنا بجود كعب وحاتم * ما سمعنا جودا مدى العمر لازم
فدعائى بأن تدوم دعاء * لى لازال طول ماعشت دائم
ماسمعنا كمثل هذا اختراعا * هكذا هكذا تكون المكارم

وتشبه هذه الحكاية حكاية اتفقت لبعض ملوك افريقية وذلك ان رجلا أهدى له فى قادوس وردا أحمر وأبيض فأمر أن يملأ له دراهم فقالت له جارية من جواريه ان رأى الامير أن يأمر ما أعطاه حتى يوافق ما أهداه فاستحسن ذلك الامير وأمر أن يملأ دنانير ودراهم وكان المروانى المذكور يساير أحد الفقهاء الظرفاء فرأى جميلا فأمال عبد الله بطرفه الى وجهه وظهر ذلك لمسايره فتبسم ففهم عبد الله تبسمه فقال ان هذه الوجوه الحسان خلابة ولكننا لا نتغلغل فى نظرها ولا ندعى العفة عنها بالجملة وفيها اعتبار وتذكار بالحور العين التى وعد الله تعالى فقال له الفقيه احتج لو حك عائشة فقال أو ماهى حجة تقبل فقال الفقيه يقبلها من رق طبعه وكاد يضيق عن الصبر وسعه فقال وأراك شريكالى فقال ولولا ذلك للتك فأطرق عبد الله ساعة ثم أنشد

أفدى الذى مربى فقال له * لحظى ولكن ثنيته غصبا
ماذاك الاخاف منتقد * فالله يعفو ويغفر الذنبا

فقال له الفقيه ان كنت ثنيت لحظك خوف انتقادى فانى أدعوه اليك حتى تملأه منه ولا تنسب الى ما نسبت فتبسم عبد الله وقال ولا هذا كله وقال له ان مثلك فى الفقهاء لمعدوم فقال له ما كنت الا أديبا ولكنى لما رأيت سوق الفقه بقرطبة نافقة اشتغلت به فقال له ومن عقل

أصحابه عليهم وقال ان هؤلاء لن يزولوا عن موقفهم دون طعن يخرج منه النسيم وضرب يفلق الهام ويطفح الطعام وتسقط منه المعاصم والا كف وحتى تشدخ جباههم بعمد الحديد وتنثر حواجبهم على الصدور والاذقان أين أهل الصبر وطلاب الاجر فثاب اليه عصابة من المسلمين من سائر الناس فدعا ابنه محمدا فدفع اليه الراية وقال امش بها نحو هذه الراية مشيا رويدا حتى اذا أشرعت فى صدورهم الرماح فأمسك حتى يأتيك أمرى ففعل واتاه على ومعه الحسن والحسين وشيوخ بدر وغيرهم من الصحابة وقد كردس الخيل فحملوا على غسان ومن يليها فقتلوا منها بشرا كثيرا وعادت الحرب فى آخر النهار كحالها فى أوله وحملت ميمنة معاوية وفيها عشرة آلاف من مذحج وعشرون الفا مقنعون فى الحديد على ميسرة على فاقتطعوا ألف فارس فانتدب من أصحاب على عبد العزيز بن الحرث الجعفى وقال لعلى مرنى بامرك فقال شد الله ركبك سر حتى تنتهى الى

ظليم وهو كبش من كباش اليمن فى أهل الشام وكان على راية هذيل بن سنان وغيرهما من ربيعة الحضين ابن المنذر بن الحرث بن وعلة الذهلى وفيه يقول على فى هذا اليوم

لمن راية سوداء يخفق ظلها اذا قلت قدمها حضين تقدما

فامره بالتقدم واختلط الناس وبطل النبل واستعملت السيوف وجنهم الليل وتنادوا بالشعار وتقصفت الرماح وتصادم القوم وكان يعتنق الفارس الفارس ويقعان جميعا على الارض عن فرسيهما وكانت ليلة الجمعة وهى ليلة الهرير فكان جملة من قتل على بكفه فى يومه وليلته خمسمائة وثلاثة وعشرين رجلا أكثرهم فى اليوم وذلك انه كان اذا قتل رجلا كبر اذا ضرب ولم يكن يضرب الاقتل ذكر ذلك عنه من كان يليه فى حربه ولا يفارقه من ولده وغيرهم وأصبح القوم على قتالهم وكسفت الشمس وارتفع القتام وتقطعت الالوية ولم يعرفوا مواقيت الصلاة وغدا الاشتر يرتجز وهو يقول نحن قتلنا حوشبا * لما غدا قد اعلما وذا الكلاع قبله * ومعبدا اذ قدما وقال

المرء أن لا يفنى عمره فيما لا يفقه عصره وكان عبدالله المذكور يسمى الزاهد فبايع قوما على قتل والده الناصر وأخيه الحكم المستنصر ولى العهد فأخذ يوم عيد الاضحى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة فذبح بين يديه رحمه الله تعالى وقال أخوه أبو الاصبغ عبد العزيز بن الناصر وقد دخل ابن له الكتاب فكتب أول لوح فبعثه الى أخيه الحكم المستنصر ملك الاندلس ومعه

هاك يامولاى خطا * مطه فى اللوح مطا
ابن سبع فى سنيه * لم يطق للوح ضبطا
دمت يامولاى حتى * يلد ابن ابنك سبطا

وله

زارنى من همت فيه سحرا * يتهادى كنسيم السحر
اقبس الصبح ضياء ساطعا * فأضاء والفجر لم ينفجر
واستعار الروض منه نفحة * بثها بين الصبا والزهر
أيها الطالع بدوا نيرا * لاحلت الدهر الابصرى

وكان مغرى مغرما بالخمر والغناء فقطع الخمر فبلغه أن المستنصر لما بلغه تركه للخمر قال الحمد لله الذى أغنانا عن مفاتحته ودله على ما نريد منه ثم قال لو ترك الغناء لكمل خيره فقال والله لا تركته حتى تترك الطيور تغريدها ثم قال

أنا فى صحة وجاه ونعمى * هى تدعو لهذه الالحان
وكذا الطير فى الحدائق تشدو * للذى سرنفسه بالقيان

وقال أخوه محمد بن الناصر لما قدم أخوهما المستنصر من غزوة

قدمت بحمد الله أسعد مقدم * وضدك أضحى لليدين وللفم
لقد حزت فيها السبق اذ كنت اهله * كما حاز بسم الله فضل التقدم

واما اخوهما محمد بن عبد الملك بن الناصر فقال الحجارى فيه انه لم يكن فى ولد الناصر ممن لم يل الملك اشعر منه ومن ابن اخيه وكتب الى العزيز صاحب مصر

ألسنا بنى مروان كيف تبدلت * بنا الحال أو دارت علينا الدوائر
اذا ولد المولود منا تهللت * له الارض واهتزت اليه المنابر

وكان جواب العزيز له اما بعد فانك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لهجوناك وله فى الصنوبر

ان الصنوبر حصن * لديه حرز وباس
حفت مزاجل ارها * ب من عداه تراس
كانما هوضد * لما حواه الرياس

وبعض سيوف الاندلس محفور صدر الرياس على صورة قشور الصنوبر الا ان تلك نانئة وهذه محفورة وقال

اتانى وقد خط العذار بخده * كما خط فى ظهر الصحيفة عنوان
تزاحمت الالحاظ فى وجناته * فشقت عليه للشقائق أردان
وزدت غراما حين لاح كانما * تفتح بين الورد والآس سوسان

وقال لئن كنت خلاع العذار بشادن * وكأس فانى غير نز ر المواهب
وانى لطعان اذا اشتجر القنا * ومقتحم طرفى صدور الكتائب
وانى اذا لم ترض نفسى بمنزل * وجاش بصدرى الفكر جم المذاهب
جليد يود الصخر لو أن صبره * كصبرى على ما نابنى للنوائب
وأسرى الى ان يحسب الليل انى * لطول مسيرى فيه بعض الكواكب

وأما ابن اخيه مروان بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن الناصر فكان فى بنى امية شبه عبد الله بن المعتز فى بنى العباس بملاحة شعره وحسن تشبيهه ومن شعره القصيدة المشهورة

غصن يهتز فى غصن نقا * يجتنى منه فؤادى حرقا
سال لام الصدغ فى صفحته * سيلان التبر وافى الورقا
فتناهى الحسن فيه انما * يحسن الغصن اذا ما أورقا

ومنها أصبحت شمسا وفوه مغربا * ويد الساقى المحيى مشرقا
فاذا ما غربت فى فمه * تركت فى الخد منه شفقا

ومنها وكأن الورد يعلوه الندى * وجنة المحبوب تندى عرقا

قالوا وهذا النمط قد فاق به أهل عصره و يظن انه لا يوجد لاحد منهم أحلى واكثر أخذا بمجامع القلوب من قوله

ودعت من أهوى أصيلا ليتنى * ذقت الحمام ولا أذوق نواه
فوجدت حتى الشمس تشكو وجده * والورق تندب شجوها بهواه
وعلى الاصائل رقة من بعده * فكأنها تلقى الذى ألقاه
وغدا النسيم مبلغا ما بيننا * فلذاك رق هوى وطاب شذاه
ما الروض قد مزجت به أنداؤه * سحرا بأطيب من شذاذ كراه
والزهر مبسمه ونكهته الصبا * والورد أخضله الندى خداه
فلذاك أولع بالرياض لانها * أبدا تذكرنى بمن أهواه

ولله قوله

وعشى كأنه صبح عيد * جامع بين بهجة وشحوب
هب فيه النسيم مثل محب * مستعيرا شمائل المحبوب
ظلت فيه ما بين شمسين هذى * فى طلوع وهذه فى غروب
وتدلت شمس الاصيل ولكن * شمسنا لم تزل بأعلى الجنوب
رب هذا خلقته من بديع * من رأى الشمس أطلعت فى قضيب
أى وقت قد أسعف الدهر فيه * وأجابت به المنى عن قريب
قد قطعناه نشوة ووصالا * وملأناه من كبار الذنوب
حين وجه السعود بالبشر طلق * ليس فيه أمارة للقطوب
ضيع الله من يضيع وقتا * قد خلا من مكدر ورقيب

وبات عند أحد رؤساء بنى مروان فقدم اليه ذلك الرئيس قدحا من فضة فيه راح أصفر وقال

أضحوا بصفين وقد لاقوا انكالا مؤلما وكان الاشتر فى هذا اليوم وهو يوم الجمعة على ميمنة على وقد أشرف على الفتح ونادت مشيخة أهل الشام الله الله فى الحرمات والنساء والبنات وقال معاوية هلم مخبآتك يا ابن العاص فقد هلكنا وتذكر ولاية مصر فقال عمرو أيها الناس من كان معه مصحف فليرفعه على رمحه فكثر فى الجيش رفع المصاحف وارتفعت الضجة ونادوا كتاب الله بيننا وبينكم من لثغور الشام بعد أهل الشام ومن لثغور العراق بعد أهل العراق ومن لجهاد الروم ومن للترك ومن للكفار ورفع فى عسكر معاوية نحو من خمسمائة مصحف وفى ذلك يقول النجاشى بن الحرث

فاصبح أهل الشام قد رفعوا القنا
عليها كتاب الله خير قران
ونادوا عليا يا ابن عم محمد
أما تتقى أن تهلك الثقلان

فلما رأى كثير من أهل العراق ذلك قالوا نجيب الى كتاب الله ونتوب اليه وأحب القوم الموادعة وقيل لعلى قد أعطاك معاوية الحق دعاك الى كتاب الله فاقبل منه وكان أشدهم فى ذلك اليوم الاشعث بن قيس فقال على

اشرب وصف فداك ابن عمك فقام اجلالا وشرب صائحا بسروره ثم قال الدواة والقرطاس فأحضرا وكتب

اشرب هنيئا لا عداك الطرب * شرب كريم في العلا منتخب
وافاك بالراح وقد ألبست * برد أصيل معلما بالحبب
في قدح لم يذ يسقى به * غير أولي المجد وأهل الحسب
ما جار اذ أسقاك من كفه * في جامد الفضة ذوب الذهب
فقم على رأسك برا به * واشرب على ذكراه طول الحقب

ويحكى انه لما قتل أباه وقد وجده مع جارية له كان يهواها سجنه المنصور بن أبي عامر مدة الى أن رأى في منامه النبي صلى الله عليه وسلم يأمره باطلاقه فأطلقه فمن أجل ذلك عرف بالطليق * قال أحمد بن سليمان بن أحمد بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر في ابن حزم لما عاداه علماء عصره

لما تحلى بخلائق * كالمسك أو نشر عود
نجل الكرام ابن حزم * وقام في العلم عودي
فتواه جدد ديني * جدواه أورق عودي

وله في أبي عامر بن المظفر بن أبي عامر من قصيدة يمدحه بها

بأبي عامر وصلت حبالي * فزماني به زمان سعيد
فتى زدت فيه ودا وشكرا * فنداه وقد تناهى يزيد
كيف لي وصفه وفي كل يوم * منه في المكرمات معنى جديد

وقال أبو عبد الله محمد بن محمد بن الناصر يرثي أبا مروان بن سراج

وكم من حديث للنبي أبانه * وألبسه من حسن منطقه وشيا
وكم مصعب للنحو قد راض صعبه * فعاد ذلولا بعدما كان قد أعيا

وقال عبيد الله بن محمد المهدي وهو من حسنات بني مروان ويعرف بالاقرع

أقول لآمالي ستبلغ ان بدا * محيا ابن عطاف ونعم المؤمل
فقالت دعاني كل يوم تعلل * فقلت لها ان لاح يغني التعلل
لئن كان مني كل حين ترحل * فاني ان أحلل به لست أرحل
فتى ترد الآمال في بحر جوده * وليس على نعمى سواه المعول

وقال هذه في الوزير ابن عطاف فضن عليه حتى يرجع الجواب فكتب اليه بقصيدة منها

أيها الممكن من قدرته * لا أراك الله الا محسنا
انما المرء بما قدمه * فتخير بين ذم وثنا
لا تكن بالدهر غرا واذا * كنت فانظر فعله في ملكنا
كل ما خولت منه ذاهب * انما تصحب منه الكفنا
مد كفا نحو كف طالما * أمطرت منه السحاب المتنا
أو أرحني بجواب مؤيس * فطال البر من شر العنا

ايها الناس انه لم يكن من أمركم ما أحب حتى قرحتكم الحرب وقد والله أخذت منكم وتركت واني كنت أمس أميرا فاصبحت اليوم مأمورا وقد أحببتم البقاء فقال الاشتر ان معاوية لا خلف له من رجاله ولك بحمد الله الخلف ولو كان له مثل رجالك لما كان له مثل صبرك ولا نصرك فاقدع الحديد واستعن بالله وتكلم رؤساء أصحاب علي بنحو من كلام الاشتر فقال الاشعث بن قيس انا لك اليوم على ما كنا عليه أمس وليس ندري ما يكون غدا وقد والله فل الحديد وكلت البصائر وتكلم معه غيره بكلام كثير فقال علي ويحكم ما رفعوها الا انكم تعلمونها ولا يعلمون بها وما رفعوها لكم الا خديعة ودهاء ومكيدة فقالوا له انه ما يسعنا ان ندعى الى كتاب الله فنأبى أن نقبله فقال ويحكم انما قاتلتهم ليدينوا بحكم الكتاب فقد عصوا الله فيما أمرهم به ونبذوا كتابه فامضوا على حقكم وقصدكم وخذوا في قتال عدوكم فان معاوية وابن العاص وابن أبي معيط وحبيب بن مسلمة وابن النابغة وعدة غير هؤلاء ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن وأنا أعرف بهم منكم صحبتهم أطفالا ورجالا فهم شر أطفال ورجال وجرى له مع القوم خطب طويل قد أتينا بعضه وتهددوه أن يصنع به ما صنع بعثمان فلم

فلم يعطه شيأ وكان له كاتب فتحيل فى خمسين درهما فأعطاها له فلما سمع الوزير بذلك طرده وقال له من أنت حتى تحمل نفسك هذا وتعطيه قال فوالله ما لبث الا قليلا حتى مات الوزير وتزوج الكاتب بزوجته وسكن فى داره وتحوّل فى نعمته فحملنى ذلك على أن كتبت بالفحم فى حائط داره

أيا دار قولى ابن ساكنك الذى * ابى لؤمه ان يترك الشكر خالدا
تسمى وزيرا والوزارة سبة * لمن قد أبى ان يستفيد المحامدا
وولى ولكن ليس يبرح ذمه * فهاهو فيدار رضى عدوا وناقدا
واضحى وكيل كان يأنف فعله * نزيلك فى الحوص الممنع واردا
جزاه باحسان لذا واساءة * لذاك وساء وورث الحمد قاعدا

والمثل السائر فى هذا رب ساع لقاعد * وقال سليمان بن المرتضى بن محمد بن عبد الملك بن الناصر وكان فى غاية الجمال ويلقب بالغزال

قدم الربيع عليك بعد مغيب * فتلقه بسلافة وحبيب
فصل جديد فلتجدد حالة * يأتى الزمان بها على المرغوب
الجو طلق فالقه بطلاقة * واذا انقطب فالقه بقطوب
لله أيام ظفرت بها ومن * أهواه منقاد بغير رقيب

وله

لى فى كفالات الرماح لوانها * وفت ضمان يبلغ الآمالا
وكلت دهرى فى اقتضاء ضمانها * ضمنا به أن لا يحول فحالا

وكان مولعا بالفكاهة والنادر محبا للظرفاء وكان يلتزم خدمته المضحك المشهور بالزرافة ويحضر معه ولعبوا فى مجلس سليمان لعبة أفضوا فيها الى أن تقسموا اثنين اثنين كل شخص ورفيقه فقال سليمان ومن يكون رفيقى فقال له المضحك يا مولاى وهل يكون رفيق الغزال الا الزرافة فضحك منه على عادته ودخل عليه وهو قاعد فى رحبة قصره وقد أطل عذاره فقال له ما تطلب الزرافة فقال ترعى الحشيش وأشار الى عذاره فقال له اعزب لعنك الله ومر سليمان به يوما وهو سكران وقد أوقفه ذكره وجعل يقول له ماذا رأيت فى القيام فى هذا الزمان أما رأيت كل ملك قام كيف خلع وقتل والله انك سيئ الرأى فقال له سليمان وبم لقبت هذا الثائر فقال يا مولاى بصفته القائم فقال ويحتاج الى خاتم فقال نعم ويكون خاتم سليمان فقال له أخزاك الله ان الكلام معك لفضيحة * وقال سعيد بن محمد المروانى وقد هجره المنصور بن أبى عامر مدة لكلام بلغه عنه فدخل والمجلس غاص وأنشد

مولاى مولاى أما آن أن * تريحنى بالله من هجركا
وكيف بالعمر وأنى به * ولم أزل أسبح فى بحركا

فضحك ابن أبى عامر على ما كان يظهره من الوقار وقام وعانقه وعفا عنه وخلع عليه وله

والبدر فى جو السماء قد انطوى * طرفاه حتى عاد مثل الزورق
فتراه من تحت المحاق كأنما * غرق الكثير وبعضه لم يغرق

وهو مأخوذ من قول ابن المعتز

ان شئت فأتاه الاشعث فسأله فقال له معاوية نرجع نحن وأنتم الى كتاب الله والى ما امر به فى كتابه تبعثون منكم رجلا ترضونه وتختارونه ونبعث برجل ونأخذ عليهما العهد والميثاق ان يعملا بما فى الكتاب ولا يخرجا عنه وننقاد جميعا الى ما اتفقا عليه من حكم الله فصوّب الاشعث قوله وانصرف الى على فاخبره بذلك فقال اكثر الناس رضينا وقبلنا وسمعنا واطعنا فاختار اهل الشام عمرو بن العاص وقال الاشعث ومن ارتد بعد ذلك الى راى الخوارج رضينا نحن بابى موسى الاشعرى فقال على قد عصيتمونى فى اول الامر فلا تعصونى الآن انى لا ارى ان اولى اباموسى الاشعرى فقال الاشعث ومن معه لا نرضى الا بابى موسى الاشعرى قال ويحكم ليس بثقة قد فارقنى وخذل الناس وفعل كذا وكذا وذكر اشياء فعلها ابو موسى ثم انه هرب شهورا حتى امنته لكن هذا عبد الله بن عباس اوليه ذلك فقال الاشعث واصحابه والله لا يحكم فينا مضرى قال على فالاشتر قالوا وقد هاج هذا الامر الا الاشتر قال فاصنعوا الآن ما اردتم وافعلوا ما بدا لكم ان تفعلوه فبعثوا الى ابى موسى وكتبوا اليه القضية

وانظر اليه كزورق من فضة * قد أثقلته حمولة من عنبر

وقال قاسم بن محمد المرواني يستعطف المنصور بن أبي عامر وقد سجنه لقول صدر عنه

ناشدتك الله العظيم وحقه * في عبدك المتوسل المتحرم
بوسائل المدح المعاد نشيدها * في كل مجمع كوكب أو موسم
لا تستبح مني حمى ارعى له * يا من يرى في الله أحمى محتمي

وقال الاصم المرواني يمدح أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي بجبل الفتح معارضا بائية أبي تمام *السيف أصدق انباء من الكتب* بقصيدة طويلة منها

ما للعدا جنة أوقى من الهرب * أين المفر وخيل الله في الطلب
وأين يذهب من في رأس شاهقة * اذا رمته سماء الله بالشهب

ومنها

وطود طارق قد حل الامام به * كالطور كان لموسى أيمن الرتب
لو يعرف الطود ما غشاه من كرم * لم يبسط النور فيه الكف للسحب
ولو تيقن بأساحل ذروته * لصار كالعهن من خوف ومن رهب
منه يعاوده هذا الفتح ثانية * أضعاف ما حدثوا في سالف الحقب
و يلبس الدين غضا ثوب عزته * كأن أيام بدر عنه لم تغب

وقال في نارنجة

وبنت أيك دنا من لثمها قزح * فصار منه على أرجائها اثر
يبدو لعينيك منها منظر عجب * زبرجد ونضار صاغه المطر
كان موسى نبي الله اقبسه * نارا وجر عليها كفه الخضر

وقال

وشادن قلت له صف لنا * بستاننا هذا ونارنجنا
فقال لي بستانكم جنة * ومن جنى النارنج نارا جنى

وقال في زلباني

لله سفاح بدا لي مسحرا * فأفاد علم الكيميا بيمينه
ذهبت فضة خده بلواحظي * وكذاك تفعل ناره بعجينه

وقال وقد نزل في فندق لا يليق عثله

يا هذه لا تعذليني * أن صرت في منزل هجين
فليس قبح المحل مما * يقدح في منصبي وديني
فالشمس علو يقولكن * تغرب في حمأة وطين

وقال احمد المرواني

حلفت عن رمى فأصاب قلبي * وقلبه على جمر الصدود
لقد اودى تذكره بقلبي * ولست أشك أن النفس تودي
فقيد وهو موجود بقلبي * فواعجبا الموجود فقيد

وقال الاصبغ القرشي يرثي ابن شهيد وهو من اصحابه

ايا من به كان السرور مواصلا * واسلم قلبي للصبابة والفكر

(ذكر الحكمين وبدء التحكيم)

كان ابو موسى الاشعري يحدث قبل وقعة صفين ويقول ان الفتن لم تزل في بني اسرائيل ترفعهم وتخفضهم حتى يبعثوا الحكمين يحكمان بما لا يرضى به من اتبعهما فقال سويد بن علقمة اياك ان ادركت ذلك الزمان أن تكون احد الحكمين قال انا قال نعم انت فكان يخلع قميصه و يقول لا جعل الله لي اذا في السماء مصعدا ولا في الارض مقعدا فلقيه سويد بن علقمة بعد ذلك فقال يا ابا موسى اتذكر مقالتك قال سل ربك العافية وكان فيما كتب في الصحيفة أن يحيي الحكمان ما احيا القرآن ولا يتبعان الهوى ولا يداهنان في شيء من ذلك فان فعلا فلا حكم لهما والمسلمون من حكمهما براء وقال علي للحكمين حين اكره على امرهما وورد الاشتر وكان قد اشرف في ذلك اليوم على الفتح فاخبره مخبرعما قالوا في علي وانه لم يرد مسلم الى معاوية وفعل به ما فعل بابن عفان فانصرف الاشتر خوفا على علي علي

ان تحكما في كتاب الله و كتاب الله كله لي فان لم تحكما في كتاب الله فلا حكم لكما وصيروا الاجل ومنها

ومنها لعمرك ما يجدى النعيم اذا نات * وجوههم عنى ولا فسحة العمر

وقال سليمان بن عبد الملك الاموى

وذى جدل اطال القول منه * بلا معنى وقد خفى الصواب
فقلت اجبـه فازداد ردا * فقلت له قد ازدحم الجواب
ولم ارغب برصتى من مريج * اذا ما لم يفد فيـه الخطاب

وقال ابو يزيد بن العاصى

عابه الحاسد الذى لام فيه * أن رأى فوق خده جدريا
انما وجهـه هلال تمام * جعلوا برقعا عليه الثريا

وله اذا شئت ان يصفو صديقك فاطرح * نزاع الذى يبديه فى الهزل والجد
وان كنت من اخلاقه فى جهنم * فأنزله من مثواك فى جنة الخلد
الى ان يتيح الله من لطف صنعه * فراقا جميلا فاجعل العذر فى البعد

وليكن هذا آخر ما نورده من كلام بنى مروان رحمهم الله تعالى * ولنرجع الى اهل الاندلس جملة فنقول امر ابو الحجاج المنصفى ان يكتب على قبره

قالت لى النفس اتاك الردى * وانت فى بحر الخطايا مقيم
هلا ادخرت الزاد قلت اقصرى * لا يحمل الزاد لدار الكريم

وقد ذكرنا هذين البيتين فى غير هذا الموضع * وقال ابن مرج الكحل اجتمعنا فى حانوت بعض الاطباء باشبيلية فاضجرناه بكثرة جلوسنا عنده وتعذرت المنفعة عليه من أجلنا فأنشدنا

خففوا عنا قليـلا * رب ضيق فى براح
هل شكوتم من سقام * أو جلستم للاصحاح

فأضفت اليهما ثالثا وأنشدته اياها على سبيل المداعبة

ان أنتم فقرادى * ذاك حكم المستراح

ودخل محمد بن غانم بن وليد مجلس باديس بن حبوس فوسع له على ضيق كان فيه فقال

صير فؤادك للمحبوب منزلة * سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا فى معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

ودخل على أبى جعفر اللماى بعض أصحابه عائدا فى علته التى مات فيها وجعل يروح عليه بمروحة فقال أبو جعفر على البديهة

روحنى عائدى فقلت له * لا لا تزدنى على الذى أجد
أما ترى النار وهى خامدة * عند هبوب الرياح تتقد

وقال الاعلم ليكن محفوظك من النظم مثل قول ابن القبطرنة

دعاك خليلك واليوم طل * وعارض وجه الثرى قد بقل
لقـدرين فاحا وشمامة * وابريق راح ونعم المحـل
ولو شاء زاد ولكنه * يلام الصديق اذا ما احتفل

وقال أبو عامر بن نيق الشاطبى

وكان الوقت الذى كتبت فيه الصحيفة لايام بقين من صفر سنة سبع وثلاثين وقيل بعد هذا الشهر منها ومر الاشعث بالصحيفة يقرؤها على الناس فرحا مسرورا حتى انتهى الى مجلس لبنى تميم فيه جماعة من زعمائهم منهم عروة ابن الزبير التميمى وهو أخو بلال الخارجى فقرأها عليهم فجرى بين الاشعث وبين أناس منهم خطب طويل وان الاشعث كان بدء هذا الامر والمانع لهم من قتال عدوهم حتى يفيئوا الى أمر الله وقال عروة بن أدية اتحكمون فى دين الله وأمره ونهيه الرجال لا حكم الا لله فكان أول من قالها وحكم بها وقد تنوزع فى ذلك وشد بسيفه على الاشعث فضم فرسه عن الضربة فوقعت فى عجز الفرس ونجا الاشعث وكادت العصبية أن تقع بين النزارية واليمانية لولا اختلاف كلمتهم فى الديانة والتحكيم وفى فعل عروة ابن أدية بالاشعث يقول رجل من بنى تميم فى أبيات

عرو يا عرو كل فتنة قوم * سلفت انما تكون فتيه
ثم تنمى ويعظم الخطب فيها * فاحذرن غب ما أتيت عريه
أعلى الاشعث المعصب بالتا * ج حملت السلاح يا ابن اديه
انها فتنة كفتنة ذى العـ * ـجل يا عروة العصا والعصيه

وانظر اليه كزورق من فضة * قد أثقلته حمولة من عنبر

وقال قاسم بن محمد المرواني يستعطف المنصور بن أبي عامر وقد سجنه لقول صدر عنه

ناشدتك الله العظيم وحقه * في عبدك المتوسل المتحرم
بوسائل المدح المعاد نشيدها * في كل مجمع كوكب أو موسم
لا تستبح مني حمى ارعى له * يا من يرى في الله أحمى محتمي

وقال الاصم المرواني يمدح أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي بجبل الفتح معارضا بائية أبي تمام * السيف أصدق انباء من الكتب * بقصيدة طويلة منها

ما للعدا جنة أوقى من الهرب * أين المفر وخيل الله في الطلب
وأين يذهب من في رأس شاهقة * اذا رمته سماء الله بالشهب

ومنها

وطود طارق قد حل الامام به * كالطور كان لموسى أيمن الرتب
لو يعرف الطود ما غشاه من كرم * لم يبسط النور فيه الكف للسحب
ولو تيقن بأسا حل ذروته * اصار كالعهن من خوف ومن رهب
منه يعاوده ذا الفتح ثانية * أضعاف ما حدثوا في سالف الحقب
و يلبس الدين غضا ثوب عزته * كأن أيام بدر عنه لم تغب

وقال في نارنجة

وبنت أيك دنا من لثمها قزح * فصار منه على أرجائها اثر
يبدو لعينيك منها منظر عجب * زبرجد ونضار صاغه المطر
كأن موسى نبي الله اقتبسه * نارا وجر عليها كفه الخضر

وقال

وشادن قلت اذ صف لنا * بستاننا هذا ونارنجنا
فقال لي بستانكم جنة * ومن جنى النارنج نارا جنى

وقال في زلباني

لله سفاح بدا لي مسحرا * فأفاد علم الكيميا بعينه
ذهبت فضة خده بلواحظي * وكذاك تفعل ناره بعجينه

وقال وقد نزل في فندق لا يليق بمثله

يا هذه لا تهنديني * أن صرت في منزل هجين
فليس قبح المحل مما * يقدح في منصبي وديني
فالشمس علويه ولكن * تغرب في حمأة وطين

وقال احمد المرواني

حلفت بمن رمى فأصاب قلبي * وقلبه على جمر الصدود
لقد اودى تذكره بقلبي * ولست أشك أن النفس تودي
فقيد وهو موجود بقلبي * فوا عجبا لموجود فقيد

وقال الاصبغ القرشي يرثي ابن شهيد وهو من اصحابه

ايا من به كان السرور مواصلا * واسلم قلبي للصبابة والفكر

(ذكر الحكمين وبدء التحكيم)

كان ابو موسى الاشعري يحدث قبل وقعة صفين ويقول ان الفتن لم تزل في بني اسرائيل ترفعهم وتخفضهم حتى بعثوا الحكمين يحكمان بما لا يرضى به من اتبعهما فقال سويد بن علقمة اياك ان ادركت ذلك الزمان أن تكون احد الحكمين قال انا قال نعم انت فكان يخلع قميصه و يقول لا جعل الله لي اذا في السماء مصعدا ولا في الارض مقعدا فلقيه سويد بن علقمة بعد ذلك فقال يا ابا موسى اتذكر مقالتك قال سل ربك العافية وكان فيما كتب في الصحيفة أن يحيي الحكمان ما احيا القرآن ولا يتبعان الهوى ولا يداهنان في شيء من ذلك فان فعلا فلا حكم لهما والمسلمون من حكمهما براء وقال علي للحكمين حين اكره على امرهما وورد الاشتر وكان قد اشرف في ذلك اليوم على الفتح فاخبره مخبر عما قالوا في علي وانه لم يرده سلم الى معاوية وفعل به ما فعل بابن عفان فانصرف الاشتر خوفا على علي على ٢ ان تحكما بما في كتاب الله وكتاب الله كله لي فان لم تحكما بما في كتاب الله فلا حكم لكما وصيروا الاجل

ومنها

ومنها لعمرك ما يجدى النعيم اذا نات * وجوههم عنى ولا فسحة العمر

وقال سليمان بن عبد الملك الاموى

وذى جدل اطال القول منه * بلا معنى وقد خفى الصواب

فقلت اجبه فازداد ردا * فقلت له قد ازدحم الجواب

ولم ارغب بصمتى من مريح * اذا ما لم يفد فيه الخطاب

وقال ابو يزيد بن العاصى

عابه الحاسد الذى لام فيه * أن رأى فوق خده جدريا

انما وجهه هلال تمام * جعلوا برقعا عليه الثريا

وله اذا شئت ان يصفو ودبقك فاطرح * نزاع الذى بيديه فى الهزل والجد

وان كنت من اخلاقه فى جهنم * فأنزله من مثواك فى جنة الخلد

الى ان يتيح الله من لطف صنعه * فراقا جميلا فاجعل العذر فى البعد

وليكن هذا آخر ما نورده من كلام بنى مروان رحمهم الله تعالى * ولنرجع الى اهل الاندلس جملة فنقول امر ابو الحجاج المنصفى ان يكتب على قبره

قالت لى النفس اتاك الردى * وانت فى بحر الخطايا مقيم

هلا ادخرت الزاد قلت اقصرى * لا يحمل الزاد لدار الكريم

وقد ذكرنا هذين البيتين فى غير هذا الموضع * وقال ابن مرج الكحل اجتمعنا فى حانوت بعض الاطباء باشبيلية فاضجرناه بكثرة جلوسنا عنده وتعذرت المنفعة عليه من أجلنا فأنشدنا

خففوا عنا قليلا * رب ضيق فى براح

هل شكوتم من سقام * أو جلستنا للصحاح

فأضفت اليهما ثالثا وأنشدته اياها على سبيل المداعبة

ان أنتم فرادى * ذاك حكم المستراح

ودخل محمد بن غانم بن وليد مجلس باديس بن حيوس فوسع له على ضيق كان فيه فقال

صير فؤادك للمحبوب منزلة * سم الخياط مجال للمحبين

ولا تسامح بغيضا فى معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

ودخل على أبى جعفر اللماى بعض اصحابه عائدا فى علته التى مات فيها وجعل يروح عليه بمروحة فقال أبو جعفر على البديهة

روحنى عائدى فقلت له * لا لا تزدنى على الذى أجد

أما ترى النار وهى خامدة * عند هبوب الرياح تتقد

وقال الاعلم ليكن محفوظك من النظم مثل قول ابن القبطرنة

دعاك خليلك واليوم طل * وعارض وجه الثرى قد بقل

لقدر ين فاحا وشمامة * وابريق راح ونعم المحل

ولو شاء زاد ولكنه * يلام الصديق اذا ما احتفل

وقال أبو عامر بن نيق الشاطبى

وكان الوقت الذى كتبت فيه الصحيفة لايام بقين من صفر سنة سبع وثلاثين وقيل بعد هذا الشهر منها ومر الاشعث بالصحيفة يقرؤها على الناس فرحا مسرورا حتى انتهى الى مجلس لبنى تميم فيه جماعة من زعمائهم منهم عروة ابن الزبير التميمى وهو أخو بلال الخارجى فقرأها عليهم فجرى بين الاشعث و بين أناس منهم خطب طويل وان الاشعث كان بدء هذا الامر والمانع لهم من قتال عدوهم حتى يفيئوا الى أمر الله وقال عروة بن أدية اتحكمون فى دين الله وأمره ونهيه الرجال لا حكم الا لله فكان أول من قالها وحكم بها وقد تنوزع فى ذلك وشد بسيفه على الاشعث فضم فرسه عن الضربة فوقعت فى عجز الفرس ونجا الاشعث وكادت العصبية أن تقع بين النزارية واليمانية لولا اختلاف كلمتهم فى الديانة والتحكيم وفى فعل عروة ابن أدية بالاشعث يقول رجل من بنى تميم فى أبيات

عروبا عرو كل فتنة قوم * سلفت انما تكون فتيه

ثم تنمى و يعظم الخطب فيها

فاحذرن غب ما أتيت عريه

 أعلى الاشعث المعصب بالتاج حلت السلاح يا ابن اديه انها فتنة كفتنة ذى العجل يا عروة العصا والعصيه

ما أحسن العيش لو أن الفتى أبدا * كالبدر يرجو تماما بعد نقصان
اذ لا سبيل الى تخليد مأثرة * اذ لا سبيل الى تخليد جثمان

وقال أبو الحسن الاورقى

عجبا لمن طلب المحا * مد وهو يمنع ما لديه
ولباسط آماله * للخير لم يبسط يديه
لم لا أحب الضيف أو * أرتاح من طرب اليه
والضيف يأكل رزقه * عندى ويحمدنى عليه

وقال أبو عيسى بن لبون وهو من قواد المأمون بن ذى النون

نفضت كفى من الدنيا وقلت لها * اليك عنى فما فى الحق أغتبن
من كسر بيتى لى روض ومن كتبى * جليس صدق على الاسرار مؤتمن
أدرى به ما جرى فى الدهر من خبر * فعنده الحق مسطور ومختزن
وما مصابى سوى موتى ويدفننى * قوم وما لهم علم بمن دفنوا

وقال أبو عامر بن الجنار

ولى صاحب أحنو عليه وانه * ليوجعنى حينا فلا أتوجع
أقيم مكانى ما جفانى وربما * يسائلى الرجعى فلا أتمنع
كأنى فى كفيه غصن أراكة * يميل على حكم النسيم وترجع

وقال أبو العباس بن السعود

تبا لقلب عن الاحباب منصرف * بهوى أحبته ما خالس النظرا
مثل السجنجل فيه الشخص تبصره * حتى اذا غاب لم يترك به أثرا

ومرض أبو الحكم بن علندة فعاده جماعة من أصحابه فيهم فتى صغير السن فوفاه من بره ما أوجب تغيرهم ففطن لذلك وأنشدهم ارتجالا

تكثر من الاخوان للدهر عدة * فكثرة در العقد من شرف العقد
وعظم صغير القوم وابدأ بحقه * فمن خنصرى كفيك تبدأ بالعقد

وقال القاضى أبو موسى بن عمران

ما للتجارب من مدى * والمرء منها فى ازدياد
قد كنت أحسب ذا العلا * من حاز علما واستفاد
فاذا الفقيه بغير ما * ل كالخيام بلا اعماد
شرف الفتى بنضاره * ان الفقير أخو الجماد
ما العلم الا جوهر * قد بيع فى سوق الكساد

وقال أبو بكر بن الجزار السرقسطى

اياك من زلل اللسان فانما * عقل الفتى فى لفظه المسموع
والمرء يختبر الاناء بنقره * ليرى الصحيح به من المصدوع

وقال أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد تناول بعض أصحابنا نرجسة فركبها فى وردة ثم دفعها الى

فانظر اليوم ما يقول على بصفين فذكر احمد بن الدورقى عن يحيى بن معين ان عدة من قتل بها من الفريقين فى مائة يوم وعشرة ايام مائة ألف وعشرة آلاف من الناس من اهل الشام تسعون ألفا ومن اهل العراق عشرون الفا ونحن نذهب الى ان عدد من حضر الحرب من اهل الشام بصفين اكثر مما قيل فى هذا الباب وهو خمسون و مائة الف مقاتل سوى الخدم والاتباع وعلى هذا يجب ان يكون مقدار القوم جميعا من قاتل منهم ومن لم يقاتل من الخدم وغيرهم ثلثمائة الف بل اكثر من ذلك لان اقل من فيهم معه واحد يخدمه وفيهم من معه الخمسة والعشرة من الخدم والاتباع واكثر من ذلك واهل العراق كانوا فى عشرين ومائة الف مقاتل دون الاتباع والخدم واما الهيثم ابن عدى الطائى وغيره مثل الشرقى بن القطامى وابى مخنف لوط بن يحيى فذكروا ما قدمنا وهو أن جملة من قتل من الفريقين جميعا سبعون الفا من اهل الشام خمسة واربعون الفا ومن اهل العراق خمسة وعشرون الفا فيهم خمسة وعشرون بدريا وان العدد كان يقع بالقضيب

الى والى صاعدو قال قولا فأبهمت دوننا ابواب القول فدخل الزبير وكان اميا لايذكر من الكلام الا ما علق بنفسه فى المجالس وينفذ مع هذا فى المطولات من الاشعار فأشعر بأمرنا فجعل يقول دون روية

ماللاديبين قد اعيتهما * مليحة من ملح الجنسه
نرجسة فى وردة ركبت * كمقلة تطرف فى وجنه

وقال ابو محمد بن حزم فى طوق الحمامة

خلوت بها والراح ثالثة لنا * وجنح ظلام الليل قد مد واعتلج
فتاة عدمت العيش الا بقربها * فهل فى ابتغاء العيش ويحك من حرج
كانى وهى والكاس والخمر والدجا * حيا وثرى والدر والتبر والسبج

قال وهذه خمس تشبيهات لا يقدر احد على أكثر منها اذ تضيق الاعاريض عنه قال أبو عامر ابن مسلمة ولا أذكر مثلها الا قول بعض

فأمطرت لؤلؤا من نرجس فسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

الا انه لم يعطف خمسة على خمسة كما صنع ابن حزم بل اكتفى بالاسلم فى التشبيهات قال ومن أغرب ما وقع لى من التشبيهات فى بيت قول ابن برون الاكشونى الاندلسى يصف فرسا وردا اغر محجلا

فكأن غرته وتحجيلاته * خمس من السوسان وسط شقائق

قال وهذا على التحقيق ستة على ستة ولم أسمع بمثله لاحد قال ابن الجلاب وكلام ابى عامر هذا لا يخلو من النقد * وقال ابن صارة

انظر الى البدر واشراقه * على غدير موجه يزهر
كشعذ من حجر أخضر * خط عليه ذهب أحمر

وقال أبو القاسم بن العطار الاشبيلى

ركبنا سماء النهر والجو مشرق * وليس لنا الا الحباب نجوم
وقد ألبسته الايك برد ظلالها * وللشمس فى تلك البرود رقوم

وقال ابن صارة

والنهر قد رقت غلالة صبغه * وعليه من ذهب الاصيل طراز
تترقرق الامواج فيه كانها * عكن الخصور وتضمها الاعجاز

وقال سهل بن مالك

ورب يوم وردنا فيه كل منى * وقل فى مثل ذاك اليوم أن نردا
فى روضتين بشطى سلسل شبم * كما اجتليت من المحبوب منتقدا
يبدد القطر فى أثنائه حلقا * فتنظم الريح منها فوقه زردا

وقال ابن صارة

انظر النهر فى رداء عروس * صبغته بزعفران العشى
ثم لما هب النسيم عليه * هز عطفيه فى دلاص الكمى

يعرف ومن لا يعرف وفيهم من غرق وفيهم من قتل فى البر فاكلته السباع فلم يدركهم الاحصاء وغير ذلك مما يعسر ماوصفنا وسمعت امراة بصفين وقد قتل لها ثلاثة اولاد وهى تقول

اعينى جودا بدمع سرب
على فتية من خيار العرب
وماضرهم غير حين النفوس
باى امرئ من قريش غلب

ولما وقع التحكيم تباغض القوم جميعا يتبرأ الاخ من اخيه والابن من ابيه وامر على بالرحيل لعلمه باختلاف الكلمة وتفاوت الرأى وعدم النظام لامورهم وما لحقه من الخلاف منهم وكثرة التحكيم فى جيش أهل العراق وتضارب القوم بالمقارع ونعال السيوف وتسابوا ولام كل فريق منهم الآخر فى رأيه وسار على يؤم الكوفة ولحق معاوية بدمشق من أرض الشام وفرق عساكره فلحق كل جند منهم ببلده ولما دخل على رضى الله عنه الكوفة انحاز عنه اثنا عشر الفا من القراء وغيرهم فلحقوا بحروراء قرية من قرى الكوفة وجعلوا عليهم شبيب بن ربعى التميمى وعلى صلاتهم عبدالله بن الكواء اليشكرى من بكر بن وائل فخرج على اليهم وكانت له معهم مناظرات فدخلوا جميعا

وهب بن جابر بن حازم عن الصلت بن بهرام قال لما قدم على الكوفة جعلت الحرورية تناديه وهو على المنبر جزعت من البلية ورضيت بالقضية وقبلت الدنية لا حكم الا لله فيقول حكم الله انتظر فيكم فيقولون ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين فيقول على فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون * وفى سنة ثمان وثلاثين كان التقاء الحكمين بدومة الجندل وقيل بغيرها على ما قدمنا فى وصف التنازع فى ذلك وبعث على بعبد الله بن العباس وشريح بن هانئ الهمدانى فى أربعمائة رجل فيهم ابو موسى الاشعرى وبعث معاوية بعمرو بن العاص ومعه شرحبيل ابن الصمة فى اربعمائة فلما تدانى القوم من الموضع الذى كان فيه الاجتماع قال ابن عباس لابى موسى ان عليا لم يرض بك حكما لفضل غيرك والمتقدمون عليك كثيرون الناس أبوا غيرك وانى لاظن ذلك لشر يراد بهم وقد ضم داهية العرب معك ان نسيت فلا تنس أن عليا بايعه الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان وليس فيه خصلة فقد

ولبعضهم فى شكل يرمى الماء مجوفا مثل الخباء وتمزقه الريح أحيانا

ومطنب للماء ما أوتاده * الا انابج فكر رطب حاذق
لعبت به أيدى الصبا فكأنها * أيدى الصبابة بالفؤاد العاشق

وقال صفوان بن ادريس يصف تفاحة فى ماء

ولم أر فيما تشتهى العين منظرا * كتفاحة فى بركة بقرار
يفيض عليها ماؤها فكأنها * بقية خد فى اخضرار عذار

وقال أبو جعفر بن وضاح فى دولاب

وباكية والروض يضحك كلما * ألحت عليه بالدموع السواجم
بروقك منها ان تأملت نحوها * زئير اسود والتفاف أراقم
تخلص من ماء الغدير سبائكا * فتنبتها فى الروض مثل الدراهم

وقال الوزير ابن عمار

يوم تكاثف غيمه فكأنه * دون السماء دخان عود أخضر
والطل مثل برادة من فضة * منثورة فى تربة من عنبر
والشمس احيانا تلوح كأنها * أمة تعرض نفسها للمشترى

وقال أبو الحسن بن سعد الخير

لله دولاب يفيض بسلسل * فى روضة قد اينعت افنانا
قد طارحته بها الحمائم شجوها * فيجيبها ويرجع الالحانا
فكأنه دنف يدور بمعهد * يبكى ويسأل فيه عمن بانا
ضاقت مجارى طرفه عن دمعه * فتفتحت اضلاعه اجفانا

وقال ابن ابى الخصال

ووردجنى طالعتنا خدوده * ببشر ونشر ببعثان على السكر
وحف ترنجان به فكأنه * خدود العذارى فى مقانعها الخضر

وقال ابن صارة

يا رب نارنجة يلهو النديم بها * كأنها كرة من احمر الذهب
اوجذوة حملتها كف قابسها * لكنها جذوة معدومة اللهب

وقال الخفاجى

ومياسة تزهو وقد خلع الحيا * عليها حلى حمرا واردية خضرا
يذوب بها ريق الغمامة فضة * و يجمد فى اعطافها ذهبا نضرا

وقال ابن صارة ايضا

ونارنجة لم يدع حسنها * لعينى فى غيرها مذهبا
فطورا ارى ذهبا مضرما * وطورا ارى سفنا مذهبا

وقال ابن وضاح فى السرو

ايا سرو لا يعطش منابتك الحيا * ولا يدعن اعطافك الخضر النضر

فقد كسيت منك الجذوع عثلما * تلف على الخطى رايانه الخضر

وقال ابو اسحق الخولانى

نيلوفر شكله كشكلى * يعوم فى ابحر الدموع
قد البست عطفه دروعا * خود لريح الصبا شموع
يلوح اذلونه كلونى * من فوق فضفاضة هموع
مثل مسامير مذهبات * فى حلقات من الدروع

وقال ابن الابار

وسوسنات ارت من حسنها بدعا * ولم يزل عصرها ولانا يرى بدعه
شبيهة بالثريا فى تألفها * وفى تألقها تلتاح ملتمعه
هامت بيمناه تبغى أن تقبلها * واستشرفت تجتلى مرآه مطلعه
ثم انثنى بعضها من بعضها غلبا * على البدار فوافت وهى مجتمعه

ورفع هذه الابيات الى الامير ابى يحيى زكريا

وقال حازم

لانور يعدل نور اللوز فى أنق * وبهجة عند ذى عدل وانصاف
نظام زهر يظل الدر منتثرا * عليه من كل هامى القطر وكاف
بينا ترى وهى أصداف لدرحيا * بيض غدت دررا فى خضر أصداف

وقال ابن سعد الخير فى رمانة

وساكنة فى ظلال الغصون * بروض برو قلك أفنانه
تضاحك أترابها فيه اذ * غدا الجو تدمع أجفانه
كما وتح الليث فاه وقد * تضرج بالدم أسنانه

وقال ابن نزار الوادى آشى

ورمانة قد فض عنها ختامها * حبيب أعار البدر بعض صفاته
فكسر منها نهد عذراء كاعب * وناولنى منها شبيه لداته

وقال بعضهم فى القراسيا و يقال له بالمغرب حب الملوك

ودوح تهدل اشطانه * رعى الدهر من حسنه ما اشتهى
فما احمر منه فصوص العقيق * وما اسود منه عيون المها

وقال بعضهم

وأين معاهد العسين فيها * وللانس التقاء البهجتين
وللاوتار والاطيار فيها * لدى الاسحار أطرب ساجعين
فكم بدر تجلى من رباها * ومن بطحائها فى مطلعين
وأغيد يرتعى من تلعتيها * ومن ثمر القلوب بمرتعين
اذا أهوى لسوسنة بعينا * عجبت من التقاء السوسنين
وكم يوم توشح من سناه * ومن زهراتها فى حلتين

حين فارقه وهو يريد الاجتماع بابى موسى فقال يا اباعبد الله ان أهل العراق قد أكرهوا عليا على أبى موسى وأنا وأهل الشام راضون بك وقد ضم اليك رجل طويل اللسان قصير الرأى فأخذ الحد وطبق المفصل ولا تلقه برأيك كله ووافاهم سعد ابن أبى وقاص وعبد الله ابن عمر وعبد الرحمن بن يغوث الزهرى والمغيرة بن شعبة الثقفى وغيرهم وهؤلاء ممن قعد عن بيعة على فى آخرين من الناس وذلك فى شهر رمضان فلما التقى أبو موسى وعمرو وقال عمرو لابى موسى تكلم وقل خيرا فقال أبو موسى بل تكلم انت يا عمرو فقال عمرو وما كنت لافعل واقدم نفسى قبلك ولك حقوق كلها واجبة لسنك وصحبتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت ضيف فحمد الله ابو موسى واثنى عليه وذكر الحديث الذى حل بالاسلام والخلاف الواقع باهله ثم قال يا عمرو هلم الى امر يجمع الله فيه الالفة ويلم الشعث ويصلح ذات البين فجزاه عمرو خيرا وقال ان للكلام اول وآخرا ومتى تنازعنا الكلام خطبا لم نبلغ آخره حتى ننسى اوله فاجعل ما كان من كلام نتصادر عليه فى كتاب يصير اليه امرنا قال فاكتب فدعا

ورواح أصيله مابين نهـــر * ودولاب يدور بمســـمعين
بنهر كالسمـاء يجول فيـــه * سحائب من ظلال الدوحتين
تدرع للنواسم حين هزت * عليه كل غصن كالرديني
ملاعب في غرامي عند ذكرى * صــباه وغضه المتلاعبين

وقال الوزير محمد بن عبد الرحمن بن هانئ

ياحرقة البين كويت الحشا * حتى أذبت القلب في أضلعه
اذ كنت فيه النار حتى غدا * ينساب ذاك الذوب من مدمعه
ياسؤل هذا القلب حتى متى * تؤسى برشف الريق من منبعه
قال في الشهد شفاء الورى * لاسيما ان مص من مكرعه
والله يدني منكم عاجلا * ويبلغ القلب الى مطمعه

ولو لم يكن للاندلسيين غير كتاب شذور الذهب لكفاهم دليلا على البلاغة ومؤلفه هو علي ابن موسى بن علي بن محمد بن خلف أبو الحسن الانصاري الجياني نزيل فاس وولي خطابتها ولم ينظم أحد في الكيمياء مثل نظمه بلاغة معان وفصاحة ألفاظ وعذوبة تراكيب حتى قيل فيه ان لم يعلمك صناعة الذهب علمك الادب وفي عبارة بعضهم ان فاتك ذهبه لم يفتك أدبه وقيل فيه انه شاعر الحكماء وحكيم الشعراء وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة * ولنذكر هنا نبذة من سرعة بديهة أهل الاندلس وان مرت من ذلك جملة وستأتي أيضا زيادة على الجميع فنقول قال في بدائع البدائه ماصورته روى عبد الجبار بن حمديس الصقلي قال صنع عبد الجليل بن وهبون المرسي الشاعر لنا نزهة بوادي اشبيلية فأقمنا فيه يومنا فلما دنت الشمس للغروب هب نسيم ضعيف غضن وجه الماء فقلت للجماعة أجيزوا * حاكت الريح من الماء زرد * فاجازه كل منهم بما تيسر له فقال لي أبو تمام غالب بن رباح الحجاج كيف قلت يا أبا محمد وأعدت القسيم له فقال * أي درع لقتال لو جمد * انتهى وقد ذكرنا في هذا الكتاب ما يخالف هذا فليراجع في محله ثم قال صاحب بدائع البدائه بعد ما سبق ماصورته وقد نقله ابن حمديس الى غير هذا الوصف فقال

نثر الجو على الترب برد * أي در لنحور لو جمد

فتناقض المعنى بذكر البرد وقوله لو جمد اذ ليس البرد الا ماجمد اللهم الا أن يريد بقوله لو جمد دام جوده فيصح وينعقد عن التحقيق * ومثل هذا قول المعتمد بن عباد يصف فوارة

ولربما سلت لنا من مائها * سيفا وكان عن النواظر مغمدا
طبعته لجيا فزانت صفحة * منه ولو جمدت لكان مهندا

وقد أخذت أنا هذا المعنى فقلت أصف روضا

فلو دام ذاك النبت كان زبرجدا * ولو جمدت أنهاره كن بلورا

وهذا المعنى مأخوذ من قول علي التونسي الايادي من قصيدته الطائية المشهورة

ألؤلؤ قطر هذا الجو أم نقط * ما كان أحسنه لو كان يلتقط

وهذا المعنى كثير للقدماء قال ابن الرومي من قطعة في العنب الرازقي

عمرو بصحيفة وكاتب وكان الكاتب غلاما لعمرو فتقدم اليه ليبدأ به اولا دون ابي موسى لما اراد من المكر به ثم قال له بحضرة الجماعة اكتب فانك شاهد علينا ولا تكتب شيأ يأمرك به احدنا حتى تستأمر الآخر فيه فاذا امرك فاكتب واذا نهاك فانته حتى يجتمع راينا اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تقاضى عليه فلان وفلان فكتب وبدا بعمرو فقال له عمرو لا أم لك اتقدمني قبله كانك جاهل بحقه فبدا باسم عبد الله ابن قيس وكتب تقاضيا على انهما يشهدان أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ثم قال عمرو نشهد ان ابا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل بكتاب الله وسنة رسول الله حتى قبضه الله اليه وقد ادى الحق الذي عليه قال ابو موسى اكتب ثم قال في عمر مثل ذلك ثم قال عمرو اكتب وان عثمان ولي هذا الامر بعد عمر على اجماع من المسلمين وشورى من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضا منهم وانه كان مؤمنا فقال ابو موسى الاشعري ليس هذا مما قعدنا له قال عمرو والله لابد من ان يكون مؤمنا او كافرا قال ابو موسى اكتب قال عمرو فظالما قتل عثمان او مظلوما قال ابو موسى بل قتل مظلوما

لو

لوانه يبقى على الدهور * قرط آذان الحسان الحور

قال علي بن ظافر وأخبرني من أثق به قال ركب المعتمد على الله أبو القاسم بن عباد للنزهة بظاهر اشبيلية في جماعة من ندمائه وخواص شعرائه فلما أبعد أخذ في المسابقة بالخيول فجاء فرسه بين البساتين سابقا فرأى شجرة تين قد أبنعت وزهت وبرزت منها تمرة قد بلغت وانتهت فسدد اليها عصا كانت في يده فأصابها وثبتت على أعلاها فأطربه ما رأى من حسنها وثباتها والتفت ليخبر به من لحقه من أصحابه فرأى ابن جامع الصباغ أول من لحق به فقال أجز * كأنها فوق العصا * فقال * هامة زنجي عصى * فزاد طربه وسروره بحسن ارتجاله وأمر له بجائزة سنية * قال علي بن ظافر وأخبرني أيضا أن سبب اشتهار ابن جامع هذا أن الوزير أبا بكر بن عمار كان كثير الوفادة على ملوك الاندلس لا يستقر ببلدة ولا يستقره عن وطره وطن وكان كثير التطلب لما يصدر عن ارباب المهن من الادب الحسن فبلغه خبر ابن جامع هذا قبل اشتهاره فمر على حانوته وهو آخذ في صناعة صباغته والنيل قد جر على يديه ذيلا وأعاد نهاره ما ليلا فأراد أن يعلم سرعة خاطره فأخرج زنده ويده بيضاء من غير سوء وأشار الى يده وقال كم بين زند وزند فقال ما بين وصل وصد فعجب من حسن ارتجاله ومبادرة العمل واستعجاله وجذب بضبعه وبلغ من الاحسان اليه غاية وسعه وبلغني أيضا أنه دخل سرقسطة فبلغه خبر يحيى القصاب السرقسطي فمر عليه ولحم خرفانه بين يديه فأشار ابن عمار الى اللحم وقال * لحم سباط الخرفان مهزول * فقال
* يقول للمفلسين مهزولوا * انتهى وما صنع المتوكل على الله بن الافطس صاحب بطليوس هذا القسيم * الشعر خطة خسف * أرتج عليه فاستدعى أبا محمد عبد المجيد بن عبدون صاحب الرائية التي أولها * الدهر يفجع بعد العين بالاثر * وقد تكرر ذكره في هذا الكتاب وهو أحد وزراء دولته وخواص حضرته فاستجازه اياه فقال
لكل طالب عرف للشيخ عيبة عيب * وللفتى طرف ظرف وذكر ابن بسام في الذخيرة أن قائل القسيم الاول الاستاذ أبو الوليد بن ضابط وأن عبد المجيد أجازه ارتجالا وهو ابن ثلاث عشرة سنة وقد ذكرنا ما يقرب من ذلك في هذا الكتاب وقال ابن الغليظ المالقي قلت يوما للاديب أبي عبد الله بن السراج المالقي ونحن على جرية ماء أجز

شعر بنا على ماء كأن خريره * فقال بديها * بكاء محب بان عنه حبيب

فمن كان مشغوفا كئيبا بالفه * فاني مشغوف به و كئيب

وذكر ابن بسام في الذخيرة أنه اجتمع ابن عبادة وابن القابلة السبتي بالمرية فنظرا الى وسيم يسبح في البحر وقد تعلق بسكان بعض المراكب فقال ابن عبادة أجز

انظر الى البدر الذي لاح لك * فقال ابن القابلة * في وسط اللجة تحت الحلك *

قد جعل الماء سماء له * واتخذ الفلك مكان الفلك

وقال ابو عامر بن شهيد لما قدم زهير الصقلي الى حضرة قرطبة من المرية وجه وزيره أبو جعفر ابن عباس الى لمة من أصحابنا منهم ابن برد وأبو بكر المرواني وابن الخياط والطبني فحضروا اليه وسألهم عني وقال وجهوا اليه فوافاني رسوله مع دابة بسرج حلي ثقيل فسرت اليه ودخلت

قال عمرو افليس قد جعل الله لولي المظلوم سلطانا يطلب بدمه قال ابو موسى نعم قال عمرو فهل تعلم لعثمان وليا اولى من معاوية قال ابو موسى لا قال عمرو افليس لمعاوية ان يطلب قاتله حيثما كان حتى يقتله او يعجز قال ابو موسى بلى قال عمرو للكاتب اكتب وامره ابو موسى فكتب قال عمرو فانا نقيم البينة أن عليا قتل عثمان قال ابو موسى هذا أمر قد حدث في الاسلام وانما اجتمعنا لله فهلم الى أمر يصلح الله به امة محمد قال عمرو وما هو قال ابو موسى قد علمت ان اهل العراق لا يحبون معاوية ابدا وان اهل الشام لا يحبون عليا ابدا فهلم نخلعهما جميعا ونستخلف عبد الله بن عمر وكان عبد الله بن عمر على بنت ابي موسى قال عمرو ايفعل ذلك عبد الله بن عمر قال ابو موسى نعم اذا حمله الناس على ذلك فعل فعمد عمرو الى كل ما مال اليه ابو موسى فصوبه وقال له هل لك في سعد قال له ابو موسى لا وعدد له عمرو جماعة وابو موسى يأبى ذلك الا ابن عمر فاخذ عمرو الصحيفة وطواها وجعلها تحت قدمه بعد أن ختماها جميعا وقال عمرو ارايت ان رضي اهل العراق بعبد الله ابن عمر وابى اهل الشام ايقاتل اهل الشام قال ابو موسى لا قال عمرو فان رضي اهل الشام وابى

المجلس وأبو جعفر غائب فتحرك المجلس لدخولي وقاموا جميعا الى حتى طلع أبو جعفر علينا ساحبا ذيلا لم أر أحدا يسحبه قبله وهو يترنم فسلمت عليه سلام من يعرف قدر الرجال فرده ردا لطيفا فعلمت أن في أنفه نعرة لا تخرج الا بسعوط الكلام ولا تراض الا بمحصد النظام ورأيت أصحابي يصيخون الى ترغه فقال لي ابن الخياط وكان كثير الانحاء على جانبي في المحافل ما يسوءه الى ان الوزير حضره قسيم وهو يسألنا اجازته فعلمت اني المراد فاستنشدته فأنشد * مرض الجفون ولثغة في المنطق * فقلت لمن حضر لا تجهدوا أنفسكم فالمراد غيري ثم أخذت الدواة فكتبت * سبحان من راعشق من لم يعشق *

من لي بألثغ لا يزال حديثه * يذكى على الاحشاء جمرة محرق
ينبي فينبو في الكلام لسانه * فكانه من خمر عينيه سقي
لا ينعش الالفاظ من عثراتها * ولو انها كتبت له في مهرق

ثم قمت منهم فلم ألبث أن وردوا علي وأخبروني أن أبا جعفر لم يرض بما جئت به من البديهة وسألوني أن أجل مكاوي الهجاء على حتاره فقلت

أبو جعفر كاتب محسن * مليح سنا الخط حلو الخطابه
تملأ شحما ولحما وما * يليق تملؤه بالكتابه
له عرق ليس ماء الحياة * ولكنه رشح ماء الجنابه
جرى الماء في سفله جري لين * فأحدث في العلو منه صلابه

وذكر الوزير أبو بكر بن اللبانة الداني في كتابه سقيط الدرر ولقيط الزهر أن المعتمد بن عباد صنع شيما في القبة المعروفة بسعد السعود فوق المجلس المعروف بالزاهي وهو سعد السعود يتيه فوق الزاهي * ثم استجاز الحاضرين فعجزوا واصنع ولده عبد الله الرشيد وكلاهما في حسنه متناهي *

ومن اغتدى سكنا لمثل محمد * قد جل في العليا عن الاشباه
لا زال يطلع فيهما ما شاءه * ودهت عداه من الخطوب دواهي

وخرج القاضي الفقيه أبو الحسن علي بن القاسم بن محمد بن عشرة أحد رؤساء المغرب الاوسط في جماعة من أصحابه منهم محمد بن عيسى بن سوار الاشبوني ورجل يسمى بأبي موسى خفيف الروح ثقيل الجسم فجعل يعبث بالحاضرين بأبيات من الشعر يصنعها فيهم فصنع القاضي أبو الحسن معاتبا له * وشاعر أثقل من جسمه * ثم استجاز ابن سوار فقال * تأتي معانيه على حكمه *

يهجو ولا يهجى فهل عندكم * ظلامة تعدي على ظلمه
لسانه في هجوه حية * منية الحية في سمه
يصيب سر المرء في رميه * كأنما العالم في علمه
أما أبو موسى ففي كفه * عصا ابنه والسحر في نظمه

وفي المقتبس في تاريخ الاندلس أن الامير عبد الرحمن خرج في بعض أسفاره فطرقه خيال جاريته طروب أم ولده عبد الله وكانت أعظم حظايا عنده وأرفعهن لديه لا يزال كلفا بها

أهل العراق أيقاتل أهل العراق قال أبو موسى لا قال عمرو أما اذ رأيت الصلاح في هذا الامر والخير للمسلمين فقم فاخطب الناس واخلع صاحبينا وتكلم باسم هذا الرجل الذي تستخلف فقال أبو موسى بل أنت قم فاخطب فانت أحق بذلك قال عمرو ما أحب ان أتقدمك وما قولي وقولك للناس الا قول واحد فقم راشدا فقام أبو موسى فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس انا قد نظرنا في أمرنا فرأينا أقرب ما يحضرنا من الأمن والصلاح ولم الشعث وحقن الدماء وجمع الالفة خلعنا عليا ومعاوية وقد خلعت عليا كما خلعت عمامتي هذه وأهوى الى عمامته فخلعها واستخلفنا رجلا قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وصحب أبوه النبي صلى الله عليه وسلم فبرز في سابقته وهو عبد الله بن عمر وأطراه ورغب الناس فيه ونزل فقام عمرو فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس ان أبا موسى عبد الله ابن قيس خلع عليا وأخرجه من هذا الامر الذي يطلب وهو أعلم به ألا واني خلعت عليا معه وأثبت معاوية علي وعليكم وان أبا موسى قد كتب في الصحيفة أن عثمان

هاغابحبها فأثنيه وهو يقول

شاقلت من قرطبة الساري * في الليل لم يدر به الداري

ثم أتاه عبد الله بن الشمر نديمه فاستجازه كمال البيت فقال

زارفيا في ظلام الدجا * أحبب به من زائر ساري

وصنع الامير عبد الرحمن المذكور في بعض غزواته قسيما وهو ونرى النبي مما بقي فهابه ثم ارتج عليه وكان عبد الله بن الشمر نديمه وشاعره غائبا عن حضرته فأراد من يجيزه فأحضر بعض قواده محمد بن سعيد الزجالي وكان يكتب له فأنشده القسيم فقال

ومالا نرى مما بقي الله اكثر فاستحسنه وأجازه وجعله استحسانه على أن استوزره وذكر ابن بسام أن المعتمد بن عباد أمر بصياغة غزال وهلال من ذهب فصيغا فجاء وزنهما سبعمائة مثقال فأهدى الغزال الى السيدة ابنة مجاهد والهلال الى ابنه الرشيد فوقع له الى أن قال

بعثنا بالغزال الى الغزال * وللشمس المنيرة بالهلال

ثم أصبح مصطبحا وجاء الرشيد فدخل عليه وجاء الندماء والجلساء وفيهم أبو القاسم بن المرزبان فحكى لهم المعتمد البيت وأمرهم باجازته فبدر ابن المرزبان فقال

فذا سكني أبوثه فؤادي * وذا نجلي أقلده المعالي

شغلت بذا الطلا خلدي ونفسي * ولكني بذاك رخي بال

دفعت الى يديه زمام ملكي * محلى بالصوارم والعوالي

فقام بقرعيني في مضاء * ويسلك مسلكي في كل حال

فدم منا للعلاء ودام فينا * فانا للسماح وللنزال

ولما أنشد أبو القاسم بن الصيرفي قول عبد الله بن السمط

حار طرف تأملك * ملك أنت أم ملك

قال بديها بل تعاليت وتبة * فلك الارض والفلك

وذكر ابن بسام في الذخيرة انه غني يوما بين يدي العالي بالله الادريسي بمالقة بيت لعبد الله ابن المعتز

هل ترين البين يختال * أن غدت للعين أجمال

فأمر الفقيه أبا محمد غانم بن الوليد المالقي باجازته فقال بديهيا

انما العالي امام هدى * حليت في عصره الحال

ملك اقبال دولته * لذوي الافهام اقبال

قل لمن أكدت مطالبه * راحتاه الجاه والمال

وغنى أبو الحسن زرياب يوما بين يدي الامير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بهذين البيتين وهما لابي العتاهية

قالت ظلوم سمية الظلم * مالي رأيتك ناحل الجسم

يامن رمى قلبي فأقصده * أنت الخبير بموقع السهم

فقال عبد الرحمن هذان البيتان منقطعان فلو كان بينهما ما يوصلهما لكان أبدع فصنع

وسلم بنفسه وصحب أبوه النبي صلى الله عليه وسلم وأطراه ورغب الناس فيه وقال هو والخليفة علينا وله طاعتنا وبيعتنا على الطلب بدم عثمان فقال أبو موسى كذب عمرو ولم نستخلف معاوية ولكنا خلعنا معاوية وعليا معا فقال عمرو بل كذب عبد الله بن قيس قد خلع عليا ولم يخلع معاوية (قال المسعودي رحمه الله) ووجدت في وجه آخر من الروايات انهما اتفقا على خلع علي ومعاوية وان يجعلا الامر بعد ذلك شورى يختار الناس رجلا يصلح لها فقدم عمرو أبا موسى فقال أبو موسى اني قد خلعت عليا ومعاوية فاستقبلوا أمركم وتنحى وقام عمرو من مكانه فقال ان هذا قد خلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه كما خلعه واثبت صاحبي معاوية فقال أبو موسى مالك لا وفقك الله غدرت وفجرت انما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا فقال له عمرو بل اياك يلعن الله كذبت وغدرت انما مثلك كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ثم وكز أبا

موسى فألقاه لجنبه فلما رأى ذلك شريح بن هانئ قنع عمرا بالسوط وتحول أبو موسى فاستوى على

عبيد الله بن قرناس بديهيا

فأجبتها والدمع منحدر * مثل الجمان وهى من النظم

فاستحسنه وأمر له بجائزة وذكر ابن بسام أيضا ان المعتمد بن عباد غنى بين يديه بقول ابن المعتز

وجارة من بنات المجوس * ترى الزق فى بيتها شائلا

وزنا لها ذهبا جامدا * فكالت لنا ذهبا سائلا

فقال بديهيا يجيزه

وقلت خذى جوهرا ثابتا * فقالت خذوا عرضا زائلا

وركب المعتمد فى بعض الايام قاصدا الجامع والوزير أبو بكر بن عمار يسايره فسمع أذان مؤذن فقال المعتمد

هذا المؤذن قد بدا بأذانه فقال ابن عمار يرجو بذلك العفو من رحمانه

فقال المعتمد

طوبى له من شاهد بحقيقة فقال ابن عمار ان كان عقد ضميره كلسانه

وقال عبد الجبار بن حمديس الصقلى أقمت باشبيلية لما قدمتها على المعتمد بن عباد مدة لا يلتفت الى ولا يعبأ بى حتى قنطت لخيبتى مع فرط تعبى وهممت بالنكوص على عقبى فانى لكذلك ليلة من الليالى فى منزلى اذ بغلام معه شمعة ومركوب فقال لى أجب السلطان فركبت من فورى ودخلت عليه فأجلسنى على مرتبة فنك وقال لى افتح الطاق التى تليك ففتحتها فاذا بكور زجاج على بعد والنار تلوح من بابيه وواقدة تفتحهما تارة وتسدهما أخرى ثم دام سد أحدهما وفتح الآخر فحين تأملتهما قال لى أجز

أنظرهما فى الظلام قد نجما فقلت كما رنا فى الدجنة الاسد

فقال يفتح عينيه ثم يطبقها فقلت فعل امرئ فى جفونه رمد

فقال فابتزه الدهر نور واحدة فقلت وهل نجا من صروفه احد

فاستحسن ذلك وأمر لى بجائزة سنية وألزمنى خدمته وقد ذكرنا هذه الحكاية فى هذا الكتاب ولكن ماهنا أتم مساقا فلذلك نبهت عليه وذكر صاحب فرحة الانفس فى أخبار أهل الاندلس ان أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر جلس فى جماعة من خواصه ومعهم أبو القاسم لب وكان يعده للمجون والتطايب فقال له اهج عبد الملك بن جهور يعنى أحد وزرائه فقال أخافه فقال لعبد الملك فاهجه أنت فقال أخاف على عرضى منه فقال اهجوه أنا وأنت ثم صنع

لب أبو القاسم ذو لحية * كبيرة فى طولها ميل

فقال عبد الملك

وعرضها ميلان ان كسرت * والعقل أبون ومخبول

فقال الناصر للب اهجه فقد هجاك فقال بديهيا

قال أمين الله فى عصرنا * لى لحية أزرى بها الطول

وابن جهير قال قول الذى * مأكله القرضيل والفول

على ما بقى ومضى ابن عمر وسعد الى بيت المقدس وفى فعل الحكمين يقول ايمن ابن خريم بن فاتك الاسدى

لو كان للقوم رأى يعصمون به * عند الخطوب رموكم بابن عباس

لكن رموكم بوغد من ذوى يمن * لم يدر ما ضرب اخماس باسداس

وفى اختلاف الحكمين والحكمة يقول بعض من حضر ذلك

رضينا بحكم الله لا حكم غيره * وبالله ربا والنبى وبالذكر

وبالاصلع الهادى على امامنا * رضينا بذلك الشيخ فى العسر واليسر

رضيناه حيا وميتا فانه * امام الهدى فى موقف النهى والامر

ولابى موسى يقول ابن عباس

أبا موسى بليت وكنت شيخا * قريب العفو مخزون اللسان

وما عمرو صفاتك يا ابن قيس * فيا لله من شيخ يمانى

فامسيت العشية ذا اعتذار * ضعيف الركن منكوب العنان

تعض الكف من ندم وماذا * يرد عليك عضك للبنان وقيل انه لم يكن بينهما غير ما كتباه فى الصحيفة لولا

لولا حياني من امام الهدى * نخست بالمنخس شو

ثم سكت فقال له الناصر هات تمام البيت فامتنع فقال له قوله يعني تمام البيت كلمة قالها الناصر مسترسلا غير متحفظ من زيادة الواو وابدال الهاء واوا اذ صوابها قله على حكم المشي مع الطبع والراحة من التكلف فقال اب يا مولانا أنت هجوته ففطن الناصر والحاضرون وضحكوا وأمر له بجائزة والقرضيل شوك له ورق عريض تأكله البقر وقوله شو اسم الرجل بالرومية وقولو اسم للاست بها فكأنه قال لولا حياني من امام الهدى نخست بالمنخس الذي هو الذ كراسته * وقال ابن ظافر اخبرني من اثق به قال اجتمع الوزير ابو بكر ابن القبطرنة والاستاذ ابو العباس بن صارة في يوم جلا ذهب برقه واذاب ورق ودقه والارض قد ضحكت لتعبيس السماء واهتزت وربت عند نزول الماء فتراءى في صفتها فقال ابن صارة

هذي البسيطة كاعب ابرادها * حلل الربيع وحليها النوار

فقال ابن القبطرنة

وكأن هذا الجو فيها عاشق * قد شفه التعذيب والاضرار

فقال ابن صارة

فاذا شكا فالبرق قلب خافق * واذا بكى فدموعه الامطار

فقال ابن القبطرنة

فمن اجل عزة ذا وذلة هذه * تبكي الغمام وتضحك الازهار

وقال ابو بكر محمد بن الزبيدي النحوي صاحب الشرطة يخاطب الوزير ابا الحسن جعفر بن عثمان المصحفي لما كتب كتابا له فيه فاضت نفسه بالضاد مبينا له الخطأ دون تصريح

قل للوزير السني محتده * لي ذمة منك انت حافظها
عناية بالعلوم معجزة * قد بهظ الاولين باهظها
يقرلي عمرها ومعمرها * فيها ونظامها وجاحظها
قد كان حقا قبول حرمتها * لكن صرف الزمان لافظها
وفي خطوب الزمان لي عظة * لو كان يثني النفوس واعظها
ان لم تحافظ عصابة نسبت * اليك قدما فمن يحافظها
لاتدعن حاجتي مطرحة * فان نفسي قد فاظ فائظها

فاجابه المصحفي

خفض فواقا فانت أوحدها * علما ونقابها وحافظها
كيف تضيع العلوم في بلد * ابناؤها كلهم يحافظها
الفاظهم كلها معطلة * مالم يعول عليك لافظها
من ذا يساويك ان نطقت وقد * اقر بالعجز عنك جاحظها
علم ثني العالمين عنك كما * ثني عن الشمس من يلاحظها
وقد اتتني فديت شاغلة * للنفس أن قلت فاظ فائظها

يخطبا وذلك ان عمرا قال لابي موسى سم من شئت حتى أنظر معك فسمى أبو موسى ابن عمر وغيره ثم قال لعمرو وقد سميت أنا فسم أنت قال نعم اسمي لك أقوى هذه الامة عليها وأسدها رأيا واعلمها بالسياسة معاوية بن أبي سفيان قال لا والله ماهو لذلك باهل قال فآتيك بآخر ليس هو بدونه قال من هو قال أبو عبد الله عمرو بن العاص قال فلما قالها علم ابو موسى أنه يلعب به فقال فعلتها لعنك الله فتسابا فلحق أبو موسى بمكة فلما انصرف أبو موسى انصرف عمرو بن العاص الى منزله ولم يأت الى معاوية فارسل اليه معاوية يدعوه فقال انما كنت أجيئك اذ كانت لي اليك حاجة فاما اذ كانت الحاجة الينا فانت أحق أن تأتينا فعلم معاوية ماقد وقع اليه فجد الرأي وأعمل الحيلة وأمر معاوية بطعام كثير فصنع ثم دعا بخاصته ومواليه وأهله فقال اني سأغدو الى هذا فاذا دعوته فادعوا مواليه وأهله فليجلسوا قبلكم فاذا شبع رجل وقام فليجلس رجل منكم مكانه فاذا خرجوا ولم يبق في البيت أحد فأغلقوا باب البيت واحذروا أن يدخل أحد منهم الا أن آمركم وغدا اليه معاوية وعمرو جالس

فاوضحها تغز بنادرة * قد بهظ الاوّلين باهظها

فاجابه الزبيدي وضمن شعره الشاهد على ذلك

اتاني كتاب من كريم مكرّم * فنفس عن نفس تكاد تفيظ

فسر جميع الاولياء وروده * وسيء رجال آخرون وغيظوا

لقد حفظ العهد الذي قد اضاعه * لدى سواه والكريم حفيظ

وباحثت عن فاظت وقبلي قالها * رجال لديهم في العلوم حظوظ

روى ذاك عن كيسان سهل وأنشدوا * مقال أبي الغياظ وهو مغيظ

وسميت غياظا ولست بغائظ * عدوّا ولكن الصديق يغيظ

فلا رحم الرحمن روحك حية * ولا هي في الارواح حين تفيظ

قلت وفي خطاب الوزير بهذا البيت وان حكى عن قائله مالايخفى أن اجتنابه المطلوب على أنه قد يقال فاضت نفسه بالضاد كما ذكره ابن السكيت في خلل الالفاظ والله أعلم * وكتب الزبيدي المذكور الى أبي مسلم بن فهد

أبا مسلم ان الفتى بجنانه * ومقوله لا بالمراكب واللبس

وليست ثياب المرء تغني قلامة * اذا كان مقصورا على قصر النفس

وليس يفيد العلم والحلم والحجا * أبا مسلم طول القعود على الكرسي

وقال وقد استأذن الحكم المستنصر في الرجوع الى أهله باشبيلية ولم يأذن له فكتب الى جاريته سلمى

ويحك ياسلم لاتراعي * لابد للبين من زماع

لاتحسبيني صبرت الا * كصبر ميت على النزاع

ماخلق الله من عذاب * أشد من وقفة الوداع

مابينها والحمام فرق * لولا المناحات والنواعي

ان يفترق شملنا وشيكا * من بعد ما كان ذا اجتماع

فكل شمل الى افتراق * وكل شعب الى انصداع

وكل قرب الى بعاد * وكل وصل الى انقطاع

واجتمع جماعة من الادباء فيهم أبو الحسن سهل بن مالك والمهر بن الفرس وغيرهما بمدينة سبتة سنة ٥٨١ فتذاكروا المحبوبالهم يسكن الجزيرة الخضراء أمامهم فقالوا ليقل كل واحد منكم شيأ فيه فقال سهل بن مالك

لما حططت بسبتة قتب النوى * والقلب يرجو أن يحوّل حاله

والجو مصقول الاديم كأنما * يبدي الخفي من الامور صقاله

عاينت من بلد الجزيرة ممكنا * والبحر يمنع أن يصاد غزاله

كالشكل في المرآة تبصره وقد * قربت مسافته وعز مناله

فقال الجماعة والله لايقول أحد منا بعد هذا شيأ * ولما قرأ أبو محمد عبد الله بن معطروح البلنسي صداق املاك وغير فيه حال القراءة لفظة غير برفع ما كان منصوبا أو بالعكس أنشد بديها

على فرشه فلم يقم له عنها كان يحدث نفسه انه قد ملك الامر واليه العهد يضعها فيمن يرى وينذب للخلافة من يشاء فجرى بينهما كلام كثير وكان مما قال له عمرو هذا الكتاب الذي بيني وبينه عليه خاتمي وخاتمه وقد اقربأن عثمان قتل مظلوما فأخرج عليا من هذا الامر وعرض على رجال الامر أرهم أهلا لها وهذا الامر الى أستخلف من شئته قد أعطاني أهل الشام عهودهم ومواثيقهم فحادثه معاوية ساعة وأخرجه عما كانوا عليه وضاحكه وداعبه ثم قال يا أبا عبد الله هل من غداء قال أما والله شيء يشبع من ترى فلا فقال معاوية هلم يا غلام غداءك فجيء بالطعام المستعد فوضع فقال يا أبا عبد الله ادع مواليك وأهلك فدعاهم ثم قال له عمرو وادع أنت أصحابك قال نعم يأكل أصحابك ثم يجلس هؤلاء بعدهم فلما أكلوا قام رجل من حاشية عمرو وقعد موضعه رجل من حاشية معاوية حتى خرج أصحاب عمرو وجلس أصحاب معاوية فقام الذي وكله بغلق الباب فاغلق الباب فقال له عمرو فعلتها فقال اي والله بيني وبينك أمران اختر أيهما شئت البيعة لي أو اقتلك ليس والله غيرهما

بديها بعد الفراغ معتذرا عن لحنه

غيرت غيرا فصرت عيرا * وهكذا من يجد سيرا

فأجابه الحافظ أبو الربيع بن سالم الكلاعي وكان الى جانبه بديهة

ما أنت ممن يظن فيه * بذاك جهل فظن خيرا

ووقف أبو أمية بن حمدون بباب الاستاذ الشلوبين فكتب في ورقة أبو أمية بالباب ودفع الورقة لخادم الاستاذ فلما نظر اليها الاستاذ نون تاء أمية ولم يزد على ذلك وأمر الخادم بدفع الورقة اليه فلما نظر فيها أبو أمية انصرف علما منه أن الاستاذ صرفه فانظر الى فطنة الشيخ والتلميذ مع أن الشيخ منسوب الى التغفل في غير العلم * (ومن حكايات أهل الاندلس في العفو) أن المعتصم بن صمادح كان قد أحسن للنحلي البطليوسي ثم ان النحلي سار الى اشبيلية فمدح المعتضد بن عباد بشعر قال فيه

أبادا بن عباد البربرا * وأفنى ابن معن دجاج القرى

ونسي ما قاله حتى حل بالمرية فأحضره ابن صمادح لمنادمته وأحضر للعشاء موائد ليس فيها غير دجاج فقال النحلي يا مولاي ما عندكم في المرية غير الدجاج فقال انما أردنا أن نكذبك في قولك وأفنى ابن معن دجاج القرى فطار سكر النحلي وجعل يعتذر فقال له خفض عليك انما ينفق مثلك بمثل هذا وانما العتب على من سمعه فاحتمل منك في حق من هو في نصابه ثم أحسن اليه وخاف النحلي ففر من المرية ثم ندم فكتب الى المعتصم

رضا ابن صمادح فارقته * فلم يرضني بعده العالم

وكانت مريته جنة * فخبثت عماجاه آدم

فما زال يتفقده بالاحسان على بعد دياره وخروجه عن اختياره انتهى * وقال في بلنسية أبو عبد الله الرصافي وقد خرج منها صغيرا

بلادي التي ريشت قويدمتي بها * فريخا وآوتني قرارتها وكرا

مهادي ولين العيش في ريق الصبا * أبى الله أن أنسى اعتيادي بها خيرا

وقال أبو بكر محمد بن يحيى الشلطيشي

وفاة المرء سر لم يكاشف * ولم تثبت حقيقته درايه

سيفنى كل ذي شبح ونفس * وتلتحق النهاية بالبدايه

و ينصدع الجميع الى صدوع * تعود به البرية كالبرايه

كأن مصائب الدنيا سهام * لها الايام أغراض الرمايه

فنل ما شئت ان الفقر بدء * وعش ما شئت ان الموت غايه

وقال أبو بكر محمد بن العطار اليابسي وهو من رجال الذخيرة

أمطيت عزمك منه متن سابحة * خلت الحباب على لباتها لببا

تبدو على الموج أحيانا ويضمرها * كالعيس تعتسف الاهضاب والكثبا

وقال محمد بن الجليلي النحوي

وما الانس بالناس الذين عهدتهم * بأنس ولكن فقد رؤيتهم أنس

قلت لك قال فأولني اذا مصر قال هي لك ما عشت فاستوثق كل واحد منهما من صاحبه وأحضر معاوية الخواص من أهل الشام ومنع أن يدخل معهم أحد من حاشية عمرو فقال لهم عمرو قد رأيت أن أبايع معاوية فلم أر أحدا أقوى على هذا الامر منه فبايعه أهل الشام وانصرف الى منزله خليفة ولما بلغ عليا ما كان من أمر أبي موسى وعمرو قال اني كنت تقدمت اليكم في هذه الحكومة ونهيتكم عنها فأبيتم الا عصياني فكيف رأيتم عاقبة أمركم اذ أبيتم على والله اني لأعرف من حملكم على خلافي والترك لامري ولو أشاء أخذه لفعلت ولكن الله من ورائه يريد بذلك الاشعث بن قيس والله أعلم وكنت فيما أمرت به كما قال أخو بني جشم

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغد

من دعا الى هذه الخصومة فاقتلوه قتله الله ولو كان تحت عمامتي هذه الا ان هذين الرجلين الخاطئين اللذين اخترتموهما حكمين قد تركا حكم الله وحكما بهوى أنفسهما بغير حجة ولا حق معروف فأماتا ما أحيا القرآن وأحييا

اذا سلمت نفسي وديني منهم * فحسبي أن العرض مني لم ترس

وقال محمد بن حرب

طوبى لروضة جنة * لك قد نويت ورودها
نظمت على لباتها * أيدي الغمام عقودها
وسقت بماء الورد والمسك الفتيت صعيدها
والطير تشدو في الغصو * ن الماثدات قصيدها
وتعير سمع المستعير تظليمها ونشيدها

وكان في دار محمد بن اليسع شاعر الدولة العامرية وردة وكان يهدي وردها كل عام الى عارض الجيش أحمد بن سعد فغاب العارض سنة فقال

قال لي الورد وقد لا * حظته في روضتيه
وهو قد أينع طيبا * جمع الحسن لديه
أين مولاي الذي قد * كنت تهديني اليه
قلت غاب العام فايأس * أن ترى بين يديه
فبدا يذبل حتى * ظهر الحزن عليه

وقال محمد بن أفلح

ما أستريح الى حال فاحمدها * بالبين قلبي وقبل البين قد ذهبا
ان كان لي أرب في العيش بعدكم * فلا قضيت اذن من حبكم أربا

وقال أحمد بن تليد الكاتب

لم ارض بالذل وان قللا * والحر لا يحتمل الذلا
يارب بخل كان لي خامل * صار الى العزة ما خلا
حرمت المامي على بابه * ووصله لم أره حلا
تأبى على النفس من أن أرى * يوما على مستثقل كلا

وقال اسحق بن المنادم وقد أهدى له من يهواه تفاحة

مجال العين في ورد الخدود * يذكر طيب جنات الخلود
وآرجة من التفاح تزهو * بطيب النشر والحسن الفريد
أقول لها وفحت المسك طيبا * فقالت لي بطيب أبي الوليد

وقال غالب بن عبد الله الثغري

يا راحلا عن سواد المقلتين الى * سواد قلب عن الاضلاع قد رحلا
غدا الجسم وأنت الروح فيه فما * ينفك مرتحلا ما دمت مرتحلا
وللفراق جوى لو مرأبرده * من بعد فرقتكم بالماء لاشتعلا

وقال الوزير أبو الحسن بن الامام الغرناطي يهجو مراكش المحروسة

يا حضرة الملك ما اشهاك لي وطنا * لولا ضروب بلاء فيك مصبوب
ماء زعاق وجو كله كدر * وأكله من بذنجان ابن معيوب

فتأهبوا للجهاد واستعدوا للسير وأصبحوا في عساكرهم ان شاء الله تعالى (قال المسعودي) وقد اختلفت الفرق من أهل ملتنا في الحكمين وقالوا في ذلك أقاويل كثيرة وقد اتينا على ماذهبوا اليه في ذلك في كتاب المقالات وماقاله كل فريق منهم ومن ايد قوله من الخوارج والمعتزلة والشيعة وغيرهم من فرق هذه الامة في كتابنا في المقالات في اصول الديانات وذكرنا في كتاب اخبار الزمان قول علي في مواقفه وخطبه وما قاله في ذلك وما كرهه عليه وماينه لهم بعد الحكومة وماتقدم الحكومة من تحذيره اياهم منها حين الحوا في تحكيم أبي موسى الاشعري وعمرو حيث قال الان القوم قد اختاروا لانفسهم اقرب الناس مما يحبون واخترتم لانفسكم اقرب الناس مما تكرهون اناعهدكم بعبدالله بن قيس بالامس وهو يقول الا انها فتنة فقطعوا فيها اوتاركم وكسروا قسيكم فان يك صادقا فقد اخطأ في مسيره غير مستكره عليه وان يك كاذبا فقد لزمته التهمة وهذا كلام ابي موسى في تخذيله الناس وتحريضه على الجلوس عن امير المؤمنين علي في حروبه ومسيره الى الجمل وغيره ثم ماقاله في بعض وابن

وا بن معيوب هذا كان من خدام أبي العلاء بن زهر يزعم الناس انه سم ابن باجة لعداوته لابن زهر في باذنجان * ولما بنى الفقيه أبو العباس بن القاسم قصره بسلا وشيده ووصفته الشعراء وهنته به ودعت له وكان بالحضرة حينئذ الوزير أبو عامر بن الحمارة ولم يكن أعد شيأ فافكر قليلا ثم قال

يا أوحد الناس قد شيدت واحدة * فحل فيها حلول الشمس في الحمل
فما كدارك في الدنيا لذي أمل * ولا كدارك في الاخرى لذي عمل

وفيهم يقول ابن بقي في موشحته الشهيرة التي آخرها

ان جئت أرض سلا * تلقاك بالمكارم فيدان
هم سطور العلا * ويوسف بن القاسم عنوان

وكان محمد بن عبادة بالمرية ومعه ابن القابلة السبتي فنظرا الى غلام وسيم يسبح وقد تعلق بسفينة فقال ابن عبادة

انظر الى البدر الذي لاح لك فقال ابن القابلة في وسط اللجة تحت الحلك
قد جعل الماء مكان السما * واتخذ الفلك مكان الفلك

وقال ابن خروف ويروى لغيره

أيتها النفس اليه اذهبي * فحبه المشهور من مذهبي
مفضض الثغر له شامة * مسكية في خده المذهب
أيأسني التوبة من حبه * طلوعه شمسا من المغرب

واجتمع في بستان ثلاثة من شعراء الاندلس وهم ابن خفاجة وابن عائشة وابن الزقاق فقال ابن خفاجة يصف الحال هنالك

لله نورية المحيا * تحمل نارية الحميا
درنا بها تحت ظل دوح * قد راق مرأى وطاب ريا
تجسم النور فيه نورا * فكل غصن به ثريا

وقال ابن عائشة

ودوحة قد علت سماء * تطلع أزهارها نجوما
هفا نسيم الصبا علينا * فخلتها أرسلت رجوما
كأنما الأفق غار لما * بدت فأغرى بها النسيما

وقال ابن الزقاق

ورياض من الشقائق أضحت * يتهادى بها نسيم الرياح
زرتها والغمام يجلب منها * زهرات تروق لون الراح
قلت ما ذنبها فقال مجيبا * سرقت حمرة الخدود الملاح

وقال الاديب أبو الحسن بن زنون وقع بيدي وأنا أسير بقيجاطة أعادها الله تعالى دار اسلام كتاب ترجمته كتاب التحف والظرف لابن عفيون فوجدت فيه قال الحسين ابن الضحاك

مقاماته في معاتبته لقريش وقد بلغه عن أناس منهم ممن قعد عن بيعته ونافق في خلافته كلام كثير فقال وقد زعمت قريش أن ابن أبي طالب شجاع ولكن لا علم له بالحروب تربت أيديهم وهل فيهم أشد مراسا لها مني لقد نهضت فيها وما بلغت الثلاثين وها أنا ذا قد أربيت على نيف وستين ولكن لا رأي لمن لا يطاع (قال المسعودي) واذ قد تقدم ذكرنا الجمل من أخبار الجمل وصفين والحكمين فلنذكر الآن جوامع من أخبار يوم النهروان ونعقب ذلك بذكر مقتله عليه السلام وان كنا قد أتينا على مبسوط سائر ما تقدم لنا في هذا الكتاب وما تأخر فيما سلف من كتبنا والله أعلم

(ذكر حروبه رضي الله عنه مع أهل النهروان وما لحق بهذا الباب من مقتل محمد ابن أبي بكر الصديق رضي الله عنه والاشتر النخعي وغير ذلك)

واجتمعت الخوارج في أربعة آلاف فبايعوا عبد الله بن وهب الراسبي ولحقوا بالمدائن وقتلوا عبد الله بن خباب عامل علي عليها ذبحوه ذبحا وبقروا بطن امرأته وكانت حاملا وقتلوا غيرها من النساء وقد كان علي انفصل عن الكوفة في خمسة وثلاثين ألفا وأتاه من البصرة من

ما كان أحوجني يوما الى رجل * في وسطه ألف دينار على فرس
في كفه حربة يفري الدروع بها * وصارم مرهف الحدين كالقبس
فلو جمعت ولم أظفر بجمعته * وقد خضبت ذباب الصارم الشكس
فلا اغتبطت بعيش وابتليت بما * يحول بيني وبين الشادن الانس

ووقف على هذه القطعة أبو نواس فقال

ما كان أحوجني يوما الى خنث * حلو الشمائل في باق من الغلس
في كمه قهوة يسبي النفوس بها * محكم الطرف للالباب مختلس
فلو جمعت ولم أظفر بتكته * وقد رويت من الصهباء كالقبس
فلا هنيت بعيش وابتليت بما * يكون منه صدود الشادن الانس
هذا ألذ وأشهى من منى رجل * في وسطه ألف دينار على فرس

ووقف على ذلك الوزير أبو عامر بن نيق فقال

ما كان أحوجني يوما الى رجل * يردد الذكر في باق من الغلس
في حلقه غنة يشفي النفوس بها * وفي الحشا زفرة مشبوبة القبس
فلو جمعت ولم أوثر تلاوته * على سماع غناء الشادن الانس
فلا حمدت اذن نفسي ولا اعتمدت * بي النجائب قصد البيت ذي القدس
ولا اسلمت لقبر المصطفى مقلا * تبكي عليه بها مى الدمع منبجس

قال ابن زنون فقلت وكل ينفق مما عنده ومن عجائب صنع الله تعالى انه عند فراغي من كتب هذه القطعة وصل الفكاك الى وحل قيودي وأخرجني الى بلاد المسلمين وهي

ما كان أحوجني يوما الى رجل * يأتي فينبهني في خيمة الغلس
يفك قيدي وغلي غير مرتقب * ولا مبال من الحجاب والحرس
وقوله لي تأنيسا وتسلية * هذا الاحي فالبسه وذا فرسي
فلو جبنت ولم أقبل مقالته * وأمتطى الطرف وثبا فعل مفترس
اذن خلعت لباس المجد من عنقي * وصار حظي منه حظ مختلس
وأخلفتني أمانيي التي طمعت * نفسي اليها واحساني لكل مسي

وقال أبو بكر بن جيش وقد زاره بعض أوداته في يوم عيد فطر

أ كل ذا الاجمال في ذا الجمال * لله أستحفظ ذاك الكمال
يا مالكا بالبر في أما * يكفيك أن تملكني بالوصال
سرت الى ربعي زورا كما * سرى الى المهجور طيف الخيال
العيد لي وحدي بين الورى * حقا لاني قد رأيت الهلال
صومي مقبول وبرهانه * أني أدخلت جنان الوصال

وقال أبو بكر بن يوسف اللخمي وقد عاده في شكاية فتى وسيم من الاعيان كان والد خطيب البلد

يا عائدي وهو أصل ما بي * أفديك من ممرض طبيب
أصميت لما رميت قلبي * بسهم الحاظك المصيب

في سنة ثمان وثلاثين فنزل على الانبار والتأمت اليه العسا كر فخطب الناس وحرضهم على الجهاد وقال سيروا الى قتلة المهاجرين والانصار قدما طالما سعوا في اطفاء نور الله وحرضوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه الا ان رسول الله أمرني بقتال القاسطين وهم هؤلاء الذين سرنا اليهم والناكثين وهم هؤلاء الذين فرغنا منهم والمارقين ولم نلقهم بعد فسيروا الى القاسطين فهم أهم علينا من الخوارج سيروا الى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبارين يتخذهم الناس أربابا ويتخذون عباد الله خولا وما لهم دولا فأبوا الا أن يبدؤا بالخوارج فسار على اليهم حتى أتى النهروان فبعث اليهم بالحرث بن مرة العبدي رسولا يدعوهم الى الرجوع فقتلوه وبعثوا الى علي ان تبت من حكومتك وشهدت على نفسك بايعناك وان ابيت فاعتزلنا حتى نختار لانفسنا اماما فانا منك برآء فبعث اليهم على أن ابعثوا الى بقتلة اخواني فأقتلهم ثم أتاركم الى ان

وجنبتني منكر الـقـمي * وتلك من عادة الحبيب
ياساعة قد غفرت فيها * ما كان للدهر من ذنوب
ما كان في فضلها مثال * لولم تكن جلسة الخطيب

وخاطب أبو زيد بن أبي العافية أبا عبد الله بن العطار القرطبي بقصيدة منها هذا البيت

وكيف يفيق ذو صبر قصير * حليف وساوس حول طوال

يعرض له بطوله وحوله ولصاحبه محمد بن بلال بقصره فراجعه أبو عبد الله المذكور بهذه الابيات يعرض له فيها بالتجربه وكان أبو زيد أصابه جرب كثير

أجل يا ناقث السحر الحلال * أتاني منك نظم كاللآلي
بروقك أو لا لفظا ومعنى * ويلدغ آخرا لدغ الصلال
تعرّض فيه أنك ذو مطال * حليف وساوس حول طوال
كأنك لم تجرب قط خلقا * ولم تعرف بتجربة الليالي
أأنسيت التجارب اذ تجاري * بهن الجرب بالمع الشمال
فلا تغفل عن التجريب يوما * ولو أعطيت فيه جراب مال
وجرب جار بيتك واختبره * وجرب رجله ان كان قالي
وجار بنيك لا تستحي منه * ومن تجار بابك لا تبالي
وأجرب الك الجرباء تبصر * نجوم الافق تجرى بانتقال
وجرب أهل جربة تلف قوما * أبوا لبس الجوارب والنعال
تجارا باعة تجروا بزيت * تسموا بالتجار بغير مال
اذا سمعوا بتمر في جريب * جروا بعطالة التمر البوالي
اذا جربت هذا الخلق أبدى * لك التجريب أجربة خوالي
ترى بالنجح دهرا جرّ بؤسا * عليك وجار بالنوب الثقال

[خ]رج ثلاثة أدباء للنزهة خارج مرسية وصلوا خلف امام بمسجد قرية فاحطأ في قراءته وسها [في] صلاته فلما خرج أحدهم كتب على حائط المسجد

ياخالقي لصلاة * صليتها خلف جلف

[و]خرج الثاني كتب تحته

أغض عنها حياء * من المهيمن طرفي

[و]خرج الثالث كتب تحته

فليس تقبل منا * لو أنها ألف ألف

[وقا]ل أبو اسحق بن حنيف في أحدب أخذ مع صبي في خلوة فضربا وطيف بهما والاحدب [في] عنق الصبي

رأيت اليوم محمولا * وأعجب منه من حمله
جمال الناس تحملهم * وهذا حامل جمله

[وقا]ل أبو الصلت الاندلسي

وهذا النهر عليه قنطرة تعرف بقنطرة طبرستان بين حلوان و بغداد من بلاد خراسان فقال علي والله ما عبروه ولا يقطعونه حتى نقتلهم بالرميلة دونه ثم تواترت عليه الاخبار بقطعهم لهذا النهر وعبورهم هذا الجسر وهو يأبى ذلك ويحلف انهم لم يعبروه وان مصارعهم دونه ثم قال سيروا الى القوم فوالله لا يفلت منهم الا عشرة ولا يقتل منكم عشرة فسار على فاشرف عليهم وقد عسكروا بالموضع المعروف بالرميلة على ما قال لاصحابه فلما اشرف عليهم قال الله أكبر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فتصاف القوم ووقف عليهم بنفسه فدعاهم الى الرجوع والتوبة فأبوا ورموا أصحابه فقيل له قد رمونا فقال كفوا فكرروا القول عليه ثلاثا وهو يامرهم بالكف حتى أتى برجل قتيل متشحط بدمه فقال علي الله أكبر الآن حل قتالهم احملوا على القوم فحمل رجل من الخوارج على أصحاب علي فخرج فيهم وجعل يغشى كل ناحية ويقول

أضربهم ولو أرى عليا * ألبسته أبيض مشرفيا فخرج اليه علي رضي الله عنه وهو يقول

وقائلة مابال مثلك خاملا * أأنت ضعيف الرأى أم أنت عاجز
فقلت لها ذنبي الى القوم أنني * لما لم يحوزوه من المجد حائز

وكتب بعض المغاربة لابي العباس بن نصال يذكره بحاله

يا غارسا لى ثمار مجد * سقيتها العذب من زلالك
أخاف من زهرها سقوطا * ان لم يكن سقيها ببالك

وكتب الكاتب أبو عبد الله القرطبي مستنجزا وعدا

أبا عبد الاله وعدت وعدا * فانجز نربح الشكر الجزيلا
ولا تمطل فان المطل يعمو * من الاحسان رونقه الصقيلا
اذا كان الجميل يجىء طبعا * فانى أكره الصبر الجميلا

وكتب ابن هزيل الفزارى للغنى بالله سلطان لسان الدين بن الخطيب

ليس يا مولاى لى من جابر * اذ غدا قلبي من البلوى جذاذا
غير صك أحمر تكتب لى * فيه بمنالك اعتناء صح هذا

وقال أبو الحسن بن الزقاق فى غلام يهودى كان يجلس معه وينادمه يوم سبت

وحبب يوم السبت عندى أننى * ينادمنى فيه الذى أنا أحببت
ومن أعجب الاشياء أنى مسلم * حنيف ولكن خير أيامى السبت

وقال أبو حيان

ويعجبنى رشف تلك الشفاه * وعض الخدود وهصر القوام
محاسن فاقت قضيب الاراك * وورد الرياض وكاس المدام

وكتب أحد الادباء بمرسية الى فتى وسيم من أعيانها كان يلازم حانوت بعض القضاة بها المتفقه عليه بأبيات فى غرض فراجعه عنه أبو العباس بن سعيد بقوله

ما للمحب لدى غير صبابة * تقضى عليه ولوعة وغرام
فدع الطماعة واسترح باليأس من * وصل عليك الى الممات حرام

وقال السميسر

قرابة السوء شر داء * فاحمل أذاهم تعش حميدا
ومن تكن قرحة بفيه * يصبر على مصه الصديدا

وقال ابن خفاجة

ان للجنة بالاندلس * مجتلى عين وريا نفس
فسنى صبحتها من شنب * ودجى ليلتها من لعس
فاذا ما هبت الريح صبا * صحت واشوقى الى الاندلس

وقال بعض الاندلسيين ممن لم يحضرنى اسمه الآن

اذا مال ذو ود بود صديقه * فيا أيها الخل المصاحب لى صل بى
فانى مثل الماء لينا لصاحبي * وناهيك للاعداء من رجل صلب

وقال أبو يحيى بن هشام القرطبي

يا أيها المبتغى عليا وحمل عليه على فقتله ثم خرج منهم آخر فحمل على الناس فقتل فيهم وجعل يكر عليهم وهو يقول أضربهم ولو أرى أبا حسن ألبسته بصارمى ثوب غبن فخرج اليه على وهو يقول يا أيها المبتغى أبا حسن اليك فانظر أينا يلقى الغبن وحمل عليه على وشكه بالرمح وترك الرمح فيه فانصرف على وهو يقول لقد رأيت أبا حسن فرأيت ما تكره وحمل أبو أيوب الانصارى على زيد بن حصن فقتله وقتل عبد الله ابن وهب الذى قتل هانئ ابن حاطب الازدى وزياد ابن حفصة وقتل حرقوص ابن زهير السعدى وكان جملة من قتل من أصحاب على تسعة ولم يفلت من الخوارج الا عشرة وأتى على على القوم وهم أربعة آلاف فيهم المخدج ذو الثدية الا من ذكرنا من هؤلاء العشرة وأمر على بطلب المخدج فطلبوه فلم يقدروا عليه فقام على وعليه أثر الحزن لفقد المخدج فانتهى الى قتلى بعضهم فوق بعض فقال افرجوا ففرجوا يمينا وشمالا واستخرجوه فقال على رضى الله عنه الله أكبر ما كذبت على محمد وانه لناقص اليد ليس فيها عظم طرفها حلمة مثل ثدى المرأة عليها خمس شعرات

وخائط رائع جمالا * وصاله غاية اقتراحي
تنعم منه الخيوط فتلا * بين اقاح و بين راح
تراه في السلم ذا طعان * بنافذات بلا جراح
حلته اشبهت فؤادي * لكثرة الوخز في النواحي
تقطع الثوب راحتاه * كصنع ألحاظه الملاح
فقبله ما رأيت بدرا * مزقا بردة الصباح

وقال أبو جعفر أحمد بن عبد الولي البلنسي

غصبت الثريا في البعاد مكانها * وأودعت في عيني صادق نوئها
وفي كل حال لم تزالي بخيلة * فكيف أعرت الشمس حلة ضوئها

قال ابن الابار أنشد مؤلف قلائد العقيان هذين البيتين لابي جعفر البني اليعمري وأحدهما غالط من قبل اشتباه نسبهما والتفرقة بينهما مستوفاة من تأليفي المسمى بهداية المعتسف في المؤتلف والمختلف انتهى وأبو جعفر بن عبد الولي المذكور أحرقه القنبيطور لعنه الله تعالى حين تغلبه بالروم على بلنسية قال ابن الابار وذلك في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وقيل ان احراقه كان سنة تسعين وأربعمائة انتهى وقال أبو العباس القيجاطي فيما انشده له ابن الطيلسان

ليس الخمول بعار * على امرئ ذي جلال
فليلة القدر تخفى * وتلك خير الليالي

وقال ابو محمد بن الجحاف المعافري البلنسي

اقول وقد خوفوني القران * وما هو من شره كائن
ذنوبي اخاف واما القران * فاني من شره آمن

وابوه ابو احمد هو المحرق ببلنسية كما ذكرناه في غير هذا الموضع وقال ابو العباس

و بين ضلوعي للصبابة لوعة * بحكم الهوى تقضي علي ولا أقضي
جنى ناظري منها على القلب ما جنى * فيا من رأى بعضا يعين على بعض

ودخل ابو القاسم بن عبد المنعم وكان أزرق وسيما ومعه ابو عبد الله الشاطبي وابو عثمان سعيد بن قوشترة على صاحب كتاب مشاحذ الافكار في مآخذ النظار فقال ابن قوشترة

عابوه بالزرق الذي بجفونه * والماء ازرق والسنان كذلكا

فقال الشاطبي

والماء يهدي للنفوس حياتها * والرمح يشرع للمنون مسالكا

فقال ابو بكر بن طاهر صاحب كتاب المشاحذ

وكذاك في اجفانه سبب الردى * لكن أرى طيب الحياة هنالكا

وهذا من بارع الاجازة وكم لاهل الاندلس من مثل هذا الديباج الخسرواني رحمهم الله تعالى وسامحهم وكتب الشيخ الامام العالم العلامة ابو عبد الله محمد بن الصائغ الاندلسي النحوي عند قول الحريري أمنا أن يعز بثالث ما نصه قد جيء لهما بثالث ورابع في قافيتهما

أوسبع رؤسها مقفة ثم قال ائتوني به فنظر الى عضده فاذا لحم مجتمع على منكبه كثدي المرأة عليه شعرات سود اذا مدت اللحمة امتدت حتى تحاذي بطن يده الاخرى ثم تترك فتعود الى منكبه فثنى رجله ونزل وخر لله ساجدا ثم ركب ومر بهم وهم صرعى فقال لقد صرعكم من غركم قيل ومن غرهم قال الشيطان وأنفس السوء فقال أصحابه قد قطع الله دابرهم الى آخر الدهر فقال كلا والذي نفسي بيده انهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء لا تخرج خارجة الا خرجت بعدها امثالها حتى تخرج خارجة بين الفرات ودجلة مع رجل يقال له الاسمط يخرج اليه رجل منا أهل البيت فيقتلهم ولا يخرج بعدها خارجة الى يوم القيامة وجمع علي ما كان في عسكر الخوارج فقسم السلاح والدواب بين المسلمين ورد المتاع والعبيد والاماء الى أهليهم ثم خطب الناس فقال ان الله قد أحسن اليكم وأعز نصركم فتوجهوا من فوركم هذا الى عدوكم فقالوا يا أمير المؤمنين قد كلت سيوفنا ونفدت نبالنا ونصلت أسنة رماحنا فدعنا نستعد باحسن عدتنا وكان الذي كلمه بهذا الاشعث بن قيس فعسكر علي بالنخيلة فجعل أصحابه يتسللون ويلحقون باوطانهم فلم يبق معه الا نفر يسير ومضى الحرث بن

وهو قول بعض الفضلاء

مالامة الشكعاء بين الورى * كسلم راقي سلامه

فيه اذا استجديت من قول لا * فالحر لا يملا منها فمه

ثم قال وبخامس وسادس

انقد مهوى أزره فانثني * مه يا عذولي في الذي انقدمه

مندمة قتل المعنّى فلا * ترسل سهام اللحظ تأمن دمه انتهى

قلت رأيت في المغرب في هذا المعنى ما ينيف على سبعين بيتا كلها ماحلة لبيتي الحريري رحمه الله تعالى وقال أبو بكر بن عبادة الشاعر في أبي بكر والد الوزير أبي الوليد بن زيدون

أي ركن من الرياسة هيضا * وجموم من المكارم غيضا

حملوه من بلدة نحو أخرى * كي يوافوا به ثراه الاريضا

مثل حمل السحاب ماء طبيبا * لتداوى به مكانا مريضا

وكان المذكور توفي في ضيعة له ونقل تابوته الى قرطبة فدفن في الربض سنة ٤٠٥ وولد سنة ٣٠٤ وقال أبو بكر بن قزمان صاحب الموشحات

وعهدي بالشباب وحسن قدّى * حكي ألف ابن مقلة في الكتاب

فصرت اليوم منحنيا كأني * أفتش في التراب على شبابي

وقال

يارب يوم زارني فيه من * أطلع من غرته كوكبا

ذو شفة لمياء معسولة * ينشع من خدّيه ماء الصبا

قلت له هب لي بها قبلة * فقال لي مبتسما مرحبا

فذقت شيأ لم أذق مثله * لله ما أحلى وما أعذبا

أسعدني الله باسعاده * ياشقوتي ياشقوتي لو أبى

قال لسان الدين كان ابن قزمان نسيج وحده أدبا وظرفا ولوذعية وشهرة قال ابن عبد الملك كان أديبا بارعا حلو الكلام مليح التندر مبرزا في نظم الزجل قال لسان الدين وهذه الطريقة الزجلية بديعة تتحكم فيها ألقاب البديع وتنفسح لكثير مما يضيق على الشاعر سلوكه وبلغ فيها أبو بكر رحمه الله تعالى مبلغا حجره الله عمن سواه فهو آيتها المعجزة وحجتها البالغة وفارسها المعلم والمبتدئ فيها والمتمم وقال الفتح في حقه مبرز في البيان ومحرز للسبق عند تسابق الاعيان اشتمل عليه المتوكل على الله فرقاه الى مجالس وكساه ملابس فامتطى أسمى الرتب وتبوّأها ونال أسنى الخطط وما تملأها وقد أثبت له ما يعلم به رفيع قدره ويعرف كيف أساء له الزمان بغدره كقوله

ركبوا السيول من الخيول وركبوا * فوق العوالي السمر زرق نطاف

وتجللوا الغدران من ماذيهم * مرتجة الاعلى على الاكتاف

والماذي العسل والنطاف جمع النطفة وهي الماء الصافي قل أو كثر وقال الفقيه أبو بكر ابن القوطية صاحب الافعال في اللغة والغريب في زمن الربيع

ضحك الثرى وبدالك استبشاره * فاخضر شاربه وطر عذاره

ودنت

راشد الناجي في ثلثمائة من الناس فارتدوا الى دين النصرانية وهم من ولد سامة بن لؤى عند أنفسهم وقد أبى ذلك كثير من الناس وذكروا ان سامة بن لؤى ما أعقب وقد حكي عن علي فيهم ما قد ذكرناه في كتابنا في أخبار الزمان ولست ترى ساميا الا منحرفا عن علي من ذلك ما ظهر من علي بن الجهم الشاعر السامي من التعصب والانحراف وقد أتينا على لمع من شعره وأخباره في الكتاب الاوسط ولقد بلغ من انحرافه ونصبه العداوة لعلي عليه السلام انه كان يلعن أباه فسئل عن ذلك وبم استحق اللعن منه فقال بتسميته اياي عليا فسرح عليهم علي معقل ابن قيس الرياحي فقتل الحرث ومن معه من المرتدين بسيف البحر وسبى عيالهم وذراريهم وذلك بساحل البحرين فنزل معقل بن قيس بعض كور الاهواز بسبي القوم وكان هنالك مصقلة بن هبيرة الشيباني عاملا لعلي فصاح به النسوة امنن علينا فاشتراهم بثلثمائة ألف وأعتقهم وأدى من المال مائتي ألف وهرب الى معاوية فقال علي قبح الله مصقلة فعل فعل السيد وفر فرار العبد لو أقام أخذنا ما قدرنا على أخذه فان أعسر أنظرناه وان عجز لم نؤاخذه بشيء وانفذ العتق وفي ذلك

ودنت حدائقه وزر رنبته * وتعطرت أنواره وثماره
واهتزذابل كل ماء قرارة * لما أتى متطلعا آذاره
وتعممت صلع الربا بنباته * وترنمت من عجبها أطياره

وقال فى المطمح فى حق ابن القوطية المذكور انه ممن له سلف وثنية كلها شرف وهو أحد المجتهدين فى الطلب والمشتهرين بالعلم والادب والمتدبين للعلم والتصنيف والمرتبين له بحسن الترتيب والتأليف وكان له شعر نبيه وأكثره أوصاف وتشبيه انتهى وقال القاضى الاجل يونس بن عبد الله بن مغيث

أتواحسه اذ قيل جد نحوله * فلم يبق من لحم عليه ولا عظم
فعادوا قميصا فى فراش فلم يجد * ولا المسواش يدل على جسم
طواه الهوى فى ثوب سقم من الضنى * وليس بمحسوس بعين ولا وهم

وقال فى المطمح فيه انه قاضى الجماعة بقرطبة فاضل ورع مبرز فى النساك والزهاد دائم الارق فى التخشع والسهاد مع التحقق بالعلم والتميز بحمله والتحيز الى فئة الورع وأهله وله تآليف فى التصوف والزهد منها كتاب المنقطعين الى الله وكتاب المجتهدين وأشعار فى هذا المعنى منها قوله

فررت اليك من ظلمى لنفسى * وأوحشنى العباد وأنت أنسى
قصدت اليك منقطعا غريبا * لتؤنس وحدتى فى قعر رمسى
وللعظمى من الحاجات عندى * قصدت وأنت تعلم سر نفسى

ولما أراد المستنصر بالله غزو الروم تقدم الى أبى محمد والده بالكون فى صحبته ومسايرته فى غزوته فاعتذر بعذر يجده وألم لا يجده فقال له الحكم ان ضمن لى أن يؤلف فى أشعار خلفائنا بالمشرق والاندلس مثل كتاب الصولى فى أشعار خلفاء بنى العباس أعفيته من الغزاة وجازيته أفضل المجازاة فأجابه اليه على أن يؤلفه بالقصر فزعم انه رجل مزور وأن ذلك الموضع ممتنع على من يلم به ويزور فألفه بدار الملك المطلة على النهر وأكمله فيما دون شهر وتوفى المستنصر اذ ذاك انتهى وقال ابن سيده صاحب المحكم يخاطب اقبال الدولة

ألا هل الى تقبيل راحتك اليمنى * سبيل فان الامن فى ذاك واليمنا

قال فى المطمح الفقيه أبو الحسن على بن أحمد المعروف بابن سيده امام فى اللغة والعربية وهمام فى الفئة الادبية وله فى ذلك أوضاع لافهام اخلافها استدرار واسترضاع حررها تحريرا واعاد طرف الذكاء بها قريرا وكان منقطعا الى الموفق صاحب دانية وبها ادرك أمانيه ووجد تجرده للعلم وفراغه وتفرد بتلك الاراغة ولاسيما كتابه المسمى بالمحكم فانه أبدع كتاب واحكم ولما مات الموفق رائش جناحه ومثبت غرره وأوضاحه خاف من ابنه اقبال الدولة وأطاف به مكروها بعض من كان حوله اذ أهل الطلب بحيات مساورة ففر الى بعض الاعمال المجاورة وكتب اليه منها مستعطفا

الا هل الى تقبيل راحتك اليمنى * سبيل فان الامن فى ذاك واليمنا
فتنضى هموم طلحته خطوبها * ولا غار بايقين منه ولا متنا

يقول مصقلة بن هبيرة من أبيات
تركت نساء الحى بكر بن وائل * واعتقت سبيا من لؤى بن غالب
وفارقت خير الناس بعد محمد * لمال قليل لا محالة ذاهب

وفى ذلك يقول الآخر
ومصقلة الذى قد باع بيعا * ربيحا يوم ناجية بن سام
ولمصقلة أفعال أتاها وحيل عملها قد ذكرناها وما قال فى ذلك من الشعر فى الكتاب الاوسط وقال على بن محمد بن جعفر العلوى فيمن انتمى الى سامة بن لؤى بن غالب بن محمد

أسامة منا فاما بنوه * فامرهم عندنا مظلم
اناس أتونا بانسابهم * خرافة مضطجع يحلم
وقلنا لهم مثل قول الوصى * وكل أقاويله محكم
اذا ما سئلت فلم تدر ما * تقول فقل ربنا أعلم

وفى سنة ثمان وثلاثين وجه معاوية عمرو بن العاص الى مصر فى أربعة آلاف ومعه معاوية بن حديج وابو الاعور السلمى واستعمل عمرا عليها حياته ووفى له بما تقدم من ضمانه فالتقوا هم ومحمد بن أبى بكر وكان عامل على عليها بالموضع المعروف بالمنشأة فاقتتلوا فانهزم محمد لاسلام أصحابه اياه وتركهم له وصار الى موضع بمصر فاختفى فيه فأحيط بالدار فخرج اليهم محمد ومن معه

غريب نأى أهلوه عنه وشفه * هواهم فأمسى لا يقر ولا يهنا
فيا ملك الاملاك اني محلأ * عن الورد لا عنه أذاد ولا أدنى
تحققت مكروها فأقبلت شاكيا * لعمري أما أذون اعبدك أن يعنى
وان تتأكد في دمي لك نية * فأني بسيف لا أحب له جفنا
اذا ما غدا من حر سيفك باردا * فقدما غدا من برد نعماك سخنا
وهل هي الا ساعة ثم بعدها * ستقرع ما عمرت من ندم سنا
ومالي من دهري حياة الذها * فتعتاض عنها بالحمام وتهنا
اذا ميتة ارضتك عنا فهاتها * حبيب الينا ما رضيت به عنا

وقال الفقيه أبو محمد غانم بن الوليد الاندلسي المخزومي المالقي

صبر فؤادك للمحبوب منزلة * سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا في معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

وله

الصبر أولى بوقار الفتى * من قلق يهتك ستر الوقار
من لزم الصبر على حالة * كان على أيامه بالخيار

وقال في المطمح فيه انه عالم متفرس وفقيه مدرس وأستاذ مجرد وامام لاهل الاندلس مجوّد وأما الادب فكان جل شرعته وهو رأس بغيته مع فضل وحسن طريقة وجد في جميع الامور وحقيقة انتهى وقال المحدث الحافظ أبو عمر بن عبد البر يوصي ابنه بمقصورة

تجاف عن الدنيا وهوّن لقدرها * ووف سبيل الدين بالعروة الوثقى
وسارع بتقوى الله سرا وجهرة * فلا ذمة أقوى هديت من التقوى
ولا تنس شكر الله في كل نعمة * يمن بها فالشكر مستجلب النعمى
فدع عنك ما لاحظ فيه لعاقل * فان طريق الحق أبلج لا يخفى
وشح بأيام بقين قلائل * وعمر قصير لا يدوم ولا يبقى
ألم تر أن العمر يمضي موليا * فجدته تبلى ومدته تفنى
نخوض ونلهو غفلة وجهالة * وننشر أعمالا وأعمارنا تطوى
تواصلنا فيه الحوادث بالردى * وتنتابنا فيه النوائب بالبلوى
عجبت لنفس تبصر الحق بينا * لديها وتأبى أن تفارق ما تهوى
وتسعى لما فيه عليها مضرة * وقد علمت أن سوف تجزي بما تسعى
ذنوبي أخشاها ولست بآيس * وربي أهل أن يخاف وأن يرجى
وان كان ربي غافرا ذنب من يشا * فاني لا أدري أأكرم أم أخزى

وقال في المطمح الفقيه الامام العالم الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر امام الاندلس وعالمها الذي التاحت به معالمها صحح المتن والسند وميز المرسل من المسند وفرق بين الموصل والقاطع وكسا الملة منه نور ساطع حصر الرواة وأحصى الضعفاء منهم والثقات وجد في تصحيح السقيم وجدد منه ما كان كالكهف والرقيم مع معلنات العلل وارهاف ذلك العلل والتنبيه والتوقيف والاتقان والتثقيف وشرح المقفل

من أصحابه فقاتلهم حتى قتل فأخذه معاوية بن خديج وعمرو بن العاص وغيرهما فجعلوه في جلد حمار وأضرموه بالنار وذلك بموضع في مصر يقال له كوم شريك وقيل انه فعل به ذلك وبه شيء من الحياة وبلغ معاوية قتل محمد وأصحابه فاظهر الفرح والسرور وبلغ عليا قتل محمد وسرور معاوية فقال جزعنا عليه على قدر سرورهم فما جزعت على هالك منذ دخلت هذه الحرب جزعي عليه كان لي ربيبا وكنت أعده ولدا كان بي برا وكان ابن أخي فعلى مثل هذا نحزن وعند الله نحتسبه وولى علي الاشتر مصر وانفذه اليها في جيش فلما بلغ ذلك معاوية دس الى دهقان وكان بالعريش فارغبه وقال أترك خراجك عشرين سنة فاحتل للاشتر بالسم في طعامه فلما نزل الاشتر العريش سأل الدهقان اي الطعام والشراب احب اليه قيل العسل فاهدى له عسلا وقال ان من امره وشانه كذا وكذا ووصفه للاشتر وكان الاشتر صائما فتناول منه شربة فما استقرت في جوفه حتى تلف وأتى من كان معه على الدهقان ومن كان معه وقيل كان ذلك بالقلزم والاول أثبت فبلغ ذلك عليا فقال لليدين وللفم وبلغ ذلك معاوية فقال ان لله جندا من العسل وقبض أصحابه عن علي في هذه السنة ثلاثة واستدرك

واستدراك المغفل وله فنون هي للشريعة رتاج وفي مفرق الملة تاج أشهرت للحديث ظبا وفرعت لمعرفته ربا وهبت لتفهمه شمالا وصبا وشفت منه وصبا وكان ثقة والانفس على تفضيله متفقة وأما أدبه فلا تعبر لجته ولا تدحض حجته وله شعر لم تجد منه الا ما نفث به أنفة وأقصى فيه عن معرفة فمن ذلك قوله وقد دخل اشبيلية فلم يلق فيها مبرة ولم ير من أهلها تهلل أسرة فأقام بها حتى أخلق مقامه وأطبقه اغتمامه فارتحل وقال

تنكر من كنا نسر بقربه * وعاد زعاقا بعدما كان سلسلا
وحق لجار لم يوافقه جاره * ولا لاءمته الدار أن يتحولا
بليت بحمص والمقام ببلدة * طويلا لعمري مخلق يورث البلى
اذا هان حر عند قوم أتاهم * ولم ينأ عنهم كان أعمى وأجهلا
ولم تضرب الامثال الا لعالم * وما عوتب الانسان الا ليعقلا

انتهى

وقال الفقيه أبو بكر بن أبي الدوس

اليك أبا يحيى مددت يد المنى * وقد ما غدت عن جود غيرك تقبض
وكانت كنور العين يلمع بالدجا * فلما دعاه الصبح لباه ينهض

وقال في المطمح انه من أبدع الناس خطا وأصحهم نقلا وضبطا اشتهر بالاقراء واقتصر بذلك على الامراء ولم يحط لسواهم ومطل الناس بذلك ولواهم وكان كثير التحول عظيم التجول لا يستقر في بلد ولا يستظهر على حرمانه بجلد فقذفته النوى وطردته عن كل ثوى ثم استقر آخر عمره بأغمات وبهامات وكان له شعر بديع يصونه ابدا ولا يمد به يدا أخبرني من دخل عليه بالمرية فرآه في غاية الاملاق وهو في ثياب أخلاق وقد توارى في منزله توارى المذنب وقعد عن الناس قعود مجتنب فلما علم ما هو فيه وترفعه عمن يجتديه عاتبه في ذلك الاعتزال وآخذه حتى استنزله بعض الانزال وقال له هلا كتبت الى المعتصم فأنى ذلك ما يصم فكتب اليه اليك أبا يحيى مددت يد المنى البيتين انتهى

* وقال الفقيه القاضي الفاضل أبو الفضل بن الاعلم حين أقلع وأناب وودع ذلك الجناب وتزهد وتنسك وتمسك من طاعة الله بما تمسك وتذكر يوما يتجرد من أهله وينفرد فيه بعمله

الموت يشغل ذكره * عن كل معلوم سواه
فاعمر له ربع ادكا * رك في العشية والغداه
واكحل به طرف اعتبا * رك طول ايام الحياه
قبل ارتكاض النفس ما * بين الترائب واللهاه
فيقال هذا جعفر * رهن بما كسبت يداه
عصفت به ريح المنو * ن فصيرته كما تراه
فضعوه في اكفانه * ودعوه يجنى ما جناه
وتمتعوا بمتاعه الـ * ـمعزون واحووا ما حواه

أرزاق على حسب ما كان يحمل اليه من المال من أعماله ثم ورد عليه مال من أصبهان فخطب الناس وقال اغدوا الى عطاء رابع فوالله ما أنا لكم بخازن وكان في عطائه يأخذ كما يأخذ الواحد منهم ولم يكن بين علي ومعاوية من الحرب الا ما وصفنا بصفين وكان معاوية في بقية أعمال علي يبعث سرايا تغير وكذلك علي كان يبعث من يمنع سرايا معاوية من أذية الناس وقد أتينا على ذكر السرايا والغارات فيما سلف من كتبنا (قال المسعودي رحمه الله) وقد تكلم طوائف من الناس ممن سلف وخلف من أهل الآراء في الخوارج وغيرهم من فعل علي يوم الجمل وصفين وتباين حكمه فيهما وفيمن قتل من أهل صفين مقبلين ومدبرين واجهازه على جرحاهم ويوم الجمل لم يتبع موليا ولا أجهز على جريح ومن ألقى سلاحه أو دخل داره كان آمنا وما أجابهم به شيعة علي في تباين حكم علي في هذين اليومين لاختلاف حكمهما وهو أن أصحاب الجمل لما انكشفوا لم يكن لهم فئة يرجعون اليها وانما رجع القوم الى منازلهم غير محاربين ولا منابذين ولا لامره مخالفين فرضوا بالكف عنهم وكان الحكم فيهم رفع السيف اذ لم يطلبوا عليه أعوانا وأهل صفين كانوا يرجعون

يامنظـرامستبشـرا * بلغ الكتاب به مداه
لقيت فيـه بشارة * تشفى فؤادى من جواه
ولقيت بعدك خيرمن * نساهرنى واجتباه
فى دار خفض ما اشتهت * نفس المقيم بها اتاه

وقال فى المطمح انه كهل الطريقة وفتى الحقيقة تدرع الصيانة وبرع فى الورع والديانة وتماسك عن الدنيا عفافا وما تماسك التماسا بأهلها والتفافا فاعتقل النهى وتنقل فى مراتبها حتى استقر فيها فى السها وعطل ايام الشباب ومطل فيها اسعاد وزينب والرباب الاساعات وقفها على المدام وعطفها الى الندام حتى تخلى من ذلك واترك وأدرك من المعلومات ما ادرك وتعرى من الشبهات وسرى الى الرشد مستيقظا من تلك السنات وله تصرف فى شتى من الفنون وتقدم فى معرفة المعروض والمسنون وأما الادب فلا يجاره فى ميدانه أحد ولا استولى على احسانه فيه حصر ولا حد وجده أبو الحجاج الاعلم وخلد منه ما خلد ومنه تقلد ما تقلد وقد اثبت لابى الفضل هذا ما يسقيك ماء الفضل زلالا ويريك سحر البيان حلالا فمن ذلك ما كتب به الى وقد مررت على شنت مرية بعد ما رحل عنها وانتقل واعتقل من نوانا وبيننا ما اعتقل وشنت مرية هذه داره وبها كمل هلاله وابداره وفيها استقضى وشيم مضاؤه وانتضى فالتقينا بها على ظهر وتعاطينا ذكر ذلك الدهر فجددت من شوقه ما كان قد شب عن طوقه فرامنى على الاقامة وسامنى على ذلك بكل كرامة فأبيت الا النوى وانثنيت عن الثوى فودعنى ودفع الى تلك القطعة حين شيعنى

بشراى أطلعت السعود على * آفاق أنسى بدرها كملا
وكسا أديم الارض منه سنى * فكست بسائطها به حللا
ايه أبا نصر وكم زمن * قصرا دكارك عندى الاملا
هل تذكرن والعهد يخجلنى * هل تذكرن أيامنا الاولا
أيام نعثر فى أعنتنا * ونجر من أبرادنا خيلا
ونحل روض الانس مؤتنفا * ونحل شمس مرادنا الحملا
ونرى ليالينا مساعفة * تدعو رفاقتنا لنا الجفلى
زمن نقول على تذكره * ماتم حتى قيل قد رحلا
عرضت لزورتكم وما عرضت * الا لتمحق كل ما فعلا

ووافيته عشية من العشايا أيام ائتلافنا وعودنا الى مجلس الطلب واختلافنا فرأيته مستثيرا فامتطلما يرتاد موضعا يقيم به لثغور الانس مرتشفا ولثديه مرتضعا فحين مقلنى تقلدنى اليه واعتقلنى وملنا الى روضة قد سندس الربيع فى بساطها ودبج الزهر درانك اوساطها وأشعرت النفوس فيها بسرورها وانبساطها فأقمنا بها نتعاطى كؤس اخبار ونتهادى أحاديث جهابذة واحبار الى ان نثر زعفران العشى وأذهب الانس خوف العالم الوحشى فقمت وقام وتوج الرعب من ألسنتنا ما كان استقام وقال

الى فئة مستعدة وامام منتصب يجمع لهم السلاح ويسنى لهم الاعطية ويقسم لهم الاموال ويجبر كسيره ويحمل راجلهم ويردهم فيرجعون الى الحرب وهم الى امامته منقادون ولرأيه متبعون ولغيره مخالفون ولامامته تاركون ولحقه جاحدون وبانه يطلب ما ليس له قائلون فاختلف الحكم لما وصفنا وتباين حكماهما لما ذكرنا ولكل فريق من السائل والمجيب كلام يطول ذكره ويتسع شرحه قد اتينا على استيعابه وما ذكره كل فريق منهم فيما سلف من كتبنا فأغنى ذلك عن اعادته والله اعلم

(ذكر مقتل على بن ابى طالب رضى الله عنه)

وفى سنة اربعين اجتمع بمكة جماعة من الخوارج فتذاكروا الناس وما هم فيه من الحرب والفتنة وتعاهد ثلاثة منهم على قتل على ومعاوية وعمرو بن العاص وتواعدوا واتفقوا على ان لا ينكص رجل منهم عن صاحبه الذى يتوجه اليه حتى يقتله أو يقتل دونه وهم عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله وكان من تجيب وكان عداده فى مراد فنسب اليهم وحجاج بن عبد الله الصريمى ولقبه البرك وزادويه مولى بنى العنبر فقال ابن ملجم أنا أقتل عليا وقال البرك أنا أقتل معاوية

وعشية كالسيف الاحذه * بسط الربيع بها النعلى خده
عاطيت كاس الانس فيها واحدا * ماضره ان كان جما وحده

وتنزه يوما بحديقة من حدائق الحضرة قد اطرد نهرها وتوقد زهرها والريح يسقطه فينظم بلبة الماء ويتسم به فتخاله كصفحة خضرة السماء فقال

انظر الى الازهار كيف تطلعت * بسماوة الروض المجود نجوما
وتساقطت فكأن مسترقا دنا * للسمع فانقضت عليه رجوما
والى مسيل الماء قد رقت به * صنع الرياح من الحباب رقوما
ترمى الرياح لها نثير ازاهر * فتمده فى شاطئيه رقيما

وله يصف قلم براعة وبرع فى صفته أعظم براعة

ومهفهف ذلق صليب المكسر * سبب لنيل المطلب المتعذر
متألق تنبيك صفرة لونه * بقديم صحبته لآل الاصفر
ماضره أن كان كعب براعة * وبحكمه اطردت كعوب السمهرى

وله عندما شارف الكهولة واستأنف قطع صرة كانت موصولة

أما أنا فقد ارعويت عن الصبا * وعضضت من ندم عليه بنانى
وأطعت نصاحى ورب نصيحة * جاؤا بها فلججت فى العصيان
أيام أسحب من ذيول شبيبتى * مرحا وأعثر فى فضول عنانى
وأجل كاسى أن ترى موضوعة * فعلى يدى أو فى يدى ندمانى
أيام أحيا بالغوانى والغنا * وأموت بين الراح والريحان
فى فتية فرضوا اتصال هواهم * فناهم دن من الادنان
هزت علاهم أريحيات الصبا * فهى النسيم وهم غصون البان
من كل مخلوع الاعنة لم يبل * فى غيه بصارف الازمان

الى أن قال ومن نثره يصف فرسا انظر الى هسابم الاديم كريم القديم كأنما نشأ بين الغبراء والنجوم نجم اذا بدا وهم اذا عدا يستقبل بغزال ويستدبر برال ويتحلى بشيات تقسيمات الجمال *وله يصف سرجا برز جياد ومركب أجواد جميل الظاهر رحيب ما بين القادمة والآخر كأنما قد من الخدود أديمه واختص باتقان الحبك تقويمه *وله فى وصف لجام متناسب الاشلاء صريح الانتماء الى ثر بالسماء فكأنه نكال وسائره جمال *وله فى وصف رمح مطرد الكعوب صحيح اتصال الغالب والمغلوب أخ ينوب كلما استنيبت وصيب *وله فى وصف قيص كافورى الاديم بابلى الرسوم تباشر منه الجسوم ما يباشر الروض من النسيم *وله فى وصف بغل مترف النسب مستخبر الشرف آمن الكبب ان ركب امتنع اعتماله أو ركب استقل به أخواله *وله فى وصف حمار وثيق المفاصل عتيق النهضة اذا ونت المراسل انتهى ببعض اختصار *وقال الاديب الشاعر أبو عمرو يوسف بن هرون الكندى المعروف بالرمادى

أومى لتقبيل البساط خنوعا * فوضعت خدى فى التراب خضوعا

شهر رمضان وقيل ليلة احدى وعشرين فخرج عبد الرحمن بن ملجم المرادى الى على فلما قدم الكوفة أتى قطام بنت عمه وكان على قتل أباها وأخاها يوم النهروان وكانت أجل أهل زمانها فخطبها فقالت لا أتزوج حتى تسمى لى قال لا تسأليني شيأ الا أعطيته فقالت ثلاثة آلاف وعبدا وقينة وقتل على فقال ماسألت هو لك مهر الا قتل على فلا أراك تدركينه قالت فالتمس غرة فان أصبته شفيت نفسى ونفعك العيش معى وان هلكت فما عند الله خير لك من الدنيا فقال والله ما جاء بى الى هذا المصر وقد كنت هاربا منه الا ذلك وقد أعطيتك ماسألت وخرج من عندها وهو يقول

ثلاثة آلاف وعبد وقينة
وقتل على بالحسام المصمم
فلا مهر أعلى من على وان علا
ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

فلقيه رجل من أشجع يقال له شبيب بن بجيرة من الخوارج فقال له هل لك فى شرف الدنيا والآخرة فقال وماذاك قال تساعدنى على قتل على قال ثكلتك أمك لقد جئت شيأ ادا قد عرفت غناءه فى

ما كان مذهبه الخنوع لعبده * الا زيادة قلبه تقطيعا
قولوا لمن أخذ الفؤاد مسلما * يمنن على برده مصدوعا
العبد قد يعصي وأحلف انني * ما كنت الا سامعا ومطيعا
مولاي يحيي في حياة كاسمه * وانا اموت صبابة وولوعا
لا تنكروا غيث الدموع فكل ما * ينحل من جسمي يكون دموعا

والرمادي المذكور عرف به غير واحد منهم الحافظ أبو عبد الله الحميدي في كتابه جذوة المقتبس وقال أظن أن أحد آبائه كان من أهل الرمادة وهي موضع بالمغرب وهو قرطبي كثير الشعر سريع القول مشهور عند الخاصة والعامة هنالك لسلوكه في فنون من المنظوم والمنثور مسالك حتى كان كثير من شيوخ الادب في وقته يقولون فتح الشعر بكندة وختم بكندة يعنون امرأ القيس والمتنبي و يوسف بن هرون على ان في كون المتنبي من كندة القبيلة كلاما مشهورا واخذ ابو عمر بن عبد البر عن الرمادي هذا قطعة من شعره وضمنها بعض تآليفه قال ابن حيان توفي الرمادي سنة ٤٠٣ وذكر ابن سعد في المغرب ان الرمادي اكتسب صناعة الادب من شيخه ابي بكر بن هذيل الكفيف عالم ادباء الاندلس وهو القائل رحمه الله تعالى

لا تلمني على الوقوف بدار * اهلها صيروا السقام ضجيعي
جعلوا لي الى هواهم سبيلا * ثم سدوا علي باب الرجوع

وروى الرمادي عن أبي علي كتاب النوادر ومدح أبا علي بقصيدة كما أشرنا اليه في غير هذا الموضع وقال في المطمح انه شاعر مفلق انفرج له من الصناعة المغلق و ومض له برقها المؤتلق وسال بها طبعه كالماء المندفق فأجمع على تفضيله المختلف والمتفق فتارة يحزن وأخرى يسهل وفي كلتاهما بالبديع يعل وينهل فاشتهر عند الخاصة والعامة بانطباعه في الفريقين وابداعه في الطريقين وكان هو وأبو الطيب متعاصرين وعلى الصناعة متغايرين وكلاهما من كنده وما منهما الا من اقتدح في الاحسان زنده وتمادى بأبي عمرو طلق العمر حتى افرده صاحبه ونديمه وهريق شبابه واستشن اديمه ففارق تلك الايام وبهجتها وادرك الفتنة فخاض لجتها واقام فرقا من هيجانها شرقا باشجانها ولحقته فيها افاقة نهكته و بعدت عنه الافاقة حتى اهلكته وقد اثبت من محاسنه ما يجبك سرده ولا يمكنك نقده فمن ذلك قوله

شطت نواهم بشمس في هوادجهم * لولا تلألؤها في ليلهن عشوا
شكت محاسنها عيني وقد غدرت * لانها بضمير القلب تخمش
شعر ووجه تبارى في اختلافهما * بحسن هذا وذاك الروم والحبش
شككت في سقمي منها الى فرشي * منها تشكت الا الطيف والفرش

الى ان قال وكان كلفا بفتى نصراني استسهل لباس زناره والخلود معه في ناره وخلع بروده لمسوحه وتشرع من صبيحه وراح في بيعته وغدا من شيعته ولم يشرب نصيبه حتى حط عليه صليبه فقال

الاسلام وسابقته مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن ملجم ويحك اما تعلم انه قد حكم الرجال في كتاب الله وقتل اخواننا المسلمين فنقتله ببعض اخواننا فاقبل معه حتى دخل على قطام وهي في المسجد الاعظم وقد ضربت كلة بها وهي معتكفة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة مضت من شهر رمضان واعلمتهما أن مجاشع بن وردان بن علقمة قد انتدب لقتله معهما فدعت لهما بحرير فعصبتهما وأخذوا أسيافهم وقعدوا مقابلين لباب السدة التي يخرج منها علي للمسجد وكان علي يخرج كل غداة أول الاذان للصلاة وقد كان ابن ملجم مر بالاشعث وهو في المسجد فقال له فضحك الصبح فسمعها حجر بن عدي فقال قتلته يا أعور قتلك الله وخرج علي رضي الله عنه ينادي أيها الناس الصلاة فشد عليه ابن ملجم وأصحابه وهم يقولون الحكم لله لا لك وضربه ابن ملجم على رأسه بالسيف في قرنه وأما شبيب فوقعت ضربته بعضادة الباب وأما ابن وردان فهرب وقال علي لا يفوتنكم الرجل وشد الناس على ابن ملجم يرمونه بالحصباء ويتناولونه ويصيحون فضرب ساقه رجل من همدان برجله وضرب المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب وجهه فصرعه وأقبل به

أدرها

أدرها مثل ريقك ثم صلب * كعادتهم على وهمى وكاسى
فيقضى ما أمرت به اجتلابا * اسروري وزادخضوع راسى

وله فى مثله

ورأيت فوق النحر در * عافاقعا من زعفران
فزجرته لو ناسقا * مى بالنوى والزجر شانى
يامن نأى عنى كما * تنأى العيون الفرقدان
فأرى بعينى الفرقديـ * ن ولا أراه ولا يرانى
لاغدرت لك أوبة * حتى يؤب القارظان
هل ثم الا الموت فر * دالا تكون منيتان

وله أيضا

اشرب الكاس يانصير وهات * ان هذا النهار من حسناتى
بأبى غرة ترى الشخص فيها * فى صفاء أصفى من المرآت
تنزح الناس نحوها بازدحام * كازدحام الحجيج فى عرفات
هاتها يانصير انا اجتمعنا * بقلوب فى الدين مختلفات
انما نحن فى مجالس لهو * نشرب الراح ثم انت مواتى
فاذا ما انقضت ديانة ذا اللهـ * ـو اعتمدنا مواضع الصلوات
لومضى الدهر دون راح وقصف * لعددناه ذامن السيئات

وشاعت عنه أشعار فى دولة الخلافة وأهلها سددا اليهم صائبات نبلها وسقاهم كؤس نهلها أوغرت عليه الصدور ونعرت عليه المنايا ولكن لم يساعدها المقدور فسجنه الخليفة دهرا وأسكنه من النكبة وعرا فاستعطفه أثناء ذلك واستلطفه وأجناه كل زهر من الاحسان وأقطفه فما أصغى اليه ولا ألغى موجدته عليه وله فى السجن اشعار صرح فيها ببثه وأفصح فيها عن جل الخطب لفقد صبره ونكثه فمن ذلك قوله

لك الامن من شجو يزيد تشوقى * ومنها

فوا أدوا بنا الزهراء فى حال خالع الأعنة لا استيفائهم فى التوثق
وحولى من أهل التأدب مأتم * ولا جؤذر الا بثوب مشقق
فلو ان فى عينى الحمام كروضها * وان كان فى ألوانه غير مشفق
ونادى حمامى مهجتى لتقلقلت * فهلا أجابت وهو عندى بمخنق
أعينى ان كانت لدمعى فضلة * تثبت صبرى ساعة فتدفقى
فلو ساعدت قالت أمن عدة الاسى * تنفث دمعى أم من البحر تستقى

ومنها

وقالت تظن الدهر يجمع بيننا * فقلت لها من لى بظن محقق
ولكننى فيما زجرت بعقلتى * زجرت اجتماع الشمل بعد التفرق
فقد كانت الاشعار فى مثل بعدنا * فلما التقت بالطيف قالت ستلتقى
أباكية يوما ولم يأت وقته * سينفد قبل اليوم دمعك فارفقى

الى أن قال وله أيضا

على كبرى تهمى السحاب وتذرف * ومن جزعى تبكى الحمام وتهتف

الى الحسن ودخل شبيب بين الناس فنجا بنفسه وهرب حتى أتى رحله فدخل عليه عبدالله بن بجرة وهو أحد بنى أبيه فرآه ينزع الحرير عن صدره فسأله عن ذلك فخبره خبره فانصرف عبدالله الى رحله وأقبل اليه بسيفه فضربه حتى قتله وقيل ان عليا لم ينم تلك الليلة وانه لم يزل يمشى بين الباب والحجرة وهو يقول والله ما كذبت ولا كذبت وانها الليلة التى وعدت فلما صرخ بط كان للصبيان صاح بهن بعض من فى الدار فقال على ويحك دعهن فانهن نوائح وقد ذكر طائفة من الناس أن عليا رضى الله عنه أوصى الى ابنيه الحسن والحسين لانهما شريكاه فى آية التطهير وهذا قول كثير ممن ذهب الى القول بالنص ودخل عليه الناس يسألونه فقالوا يا أمير المؤمنين أرأيت ان فقدناك ولا نفقدك أنبايع الحسن قال لا آمركم ولا انهاكم انتم ابصر ثم دعا الحسن والحسين فقال لهما اوصيكما بتقوى الله وحده ولا تبغيا الدنيا وان بغتكما ولا تأسفا على شئ منها قولا الحق وارحما اليتيم واعينا الضعيف وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا ولا تأخذكما فى الله لومة لائم ثم نظر الى ابن الحنفية فقال هل سمعت ما أوصيت به أخويك قال نعم قال أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك وتزيين أمرهما ولا تقطعن

كأن السحاب الواكفات غواسلي * وتلك على فقدي نوائح هتف
الا انما بعت ليلى وبان قطينها * ولكنني باق فلوموا وعنفوا
وآنست في وجه الصباح لبينها * نحولا كأن الصبح مثلي مدنف
واقرب عهد رشفة بلت الحشا * فعادشتاء باردا وهو صيف
وكانت على خوف فولت كأنها * من الردف في قيد الخلاخل ترسف

وله

قبلته قدام قسيسه * شربت كاسات بتقديسه
يفزع قلبي عندي ذكرى له * من فرط شوقي قرع ناقوسه

وسجن معه غلام من أولاد العبيدي فيه مجال وفي نفس متأمله من لوعته أوجال فكتب يخاطب الموكل بالسجن بقطعة منها

جليسك من اتلف الحب قلبه * ويلذع قلبي حرقة دونها الجمر
هلال وفي غير السماء طلوعه * وريم ولكن ليس مسكنه القفر
تأملت عينيه فخامرني السكر * ولا شك في أن العيون هي الخمر
أناطقه كيما يقول وانما * أناطقه عمدا لينتثر الدر
أنا عبده وهو المليك كاسمه * فلي منه شطر كامل وله شطر

انتهى باختصار وقال محمد بن هانئ

قد مررنا على مغانيك تلك * فرأينا بها مشابه منك
عارضتها المها الجوادل سربا * عند ابراعها فلم نسل عنك
لا يرع للهابذ كركٌ سرب * أشبهتك في الوصف ان لم تكنك
كن عذيري لقد رأيت معاجي * يوم تبكي بالجزع وهي وأبكي
بحنين مرجع وتشك * وأنين موجع كتشكي

وقال صاحب المطمح في حقه الاديب أبو القاسم محمد بن هانئ دخر خطير وروض ادبه مطير غاص في طلب الغريب حتى أخرج دره المكنون وبهرج بافتتانه فيه كل المفنون وله نظم تتمنى الثريا أن تتوج به وتتقلد ويود البدر أن يكتب ما اخترع فيه وولد زهت به الاندلس وتاهت وحاسنت بدائعه الاشمس وباهت فسد المغرب فيه المشرق وغص به من بالعراق وشرق غير أنه نبت به أكنافها وشمخت عليه آنافها وبرئت منه وزويت الخيرات فيها عنه لانه سلك مسلك المعري وتجرد من التدين وعري وأبدى الغلو وتعدى الحق المتلو فمقته الانفس وأزعجته الاندلس فخرج على غير اختيار وما عرج على هذه الديار الى أن وصل الزاب واتصل بجعفر بن الاندلسية مأوى تلك الجنسيه فناهيك من سعد ورد عليه فكرع ومن باب ولج فيه وما قرع فاسترجع عنده شبابه وانتجع وبله ور بابه وتلقاه بتأهيل ورحب وسقاه صوب تلك السحب فافرط في مدحه فيه في الغلو وزاد وقرع عنده تلك المزاد ولم يتورع ولا ثناه ذوورع وله بدائع يتحير فيها ويحار ويخال لرقتها أنها اسحار فانه اعتمد التهذيب والتحرير واتبع في أغراضه الفرزدق مع جرير وأما تشبيهاته فخرق فيها المعتاد وماشاء منها اقتاد وقد أثبت له

امر ادونهما ثم قال لهما أوصيكما بهقانه سيفكما وابن أبيكما فأكرماه واعرفا حقه فقال له رجل من القوم الا تعهد يا أمير المؤمنين قال لا ولكن أتركهم كما تركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما ذا تقول لربك اذا أتيته قال أقول اللهم انك أبقيتني فيهم ماشئت ان تبقيني ثم قبضتني وتركتك فيهم فان شئت أفسدتهم وان شئت أصلحتهم ثم قال أما والله انها الليلة التى ضرب فيها يوشع بن نون ليلة سبع عشرة وقبض ليلة احدى وعشرين وبقي على الجمعة والسبت وقبض ليلة الاحد ودفن بالرحبة عند مسجد الكوفة وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في أخبار تنازع الناس في موضع قبره وما قيل في ذلك وقبض وقد أتى عليه اثنتان وسبعون سنة وقيل اثنتان وستون وقد قدمنا تنازع الناس في مقدار سنه وكان كما قال الحسن والله لقد قبض فيكم الليلة رجل ما سبقه الاولون الا بفضل النبوة ولا يدركه الآخرون وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبعثه المبعث فيكتنفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فلا يرجع حتى يفتح الله عليه وكان الذى صلى عليه الحسن انه فوكبر عليه سبعا وقيل غير ذلك ولم يترك صفراء ولا بيضاء الا سبعمائة

ما

ما تحس له الاسماع ولا تتمكن منه الاطماع فمن ذلك قوله

ألينتنا اذ أرسلت وارداوحفا * وبتنا نرى الجوزاء في أذنها شنفا
وبات لنا ساق يقوم على الدجا * بشمعة صبح لا تقط ولا تطفا
أغن غضيض خفف اللين قده * وثقلت الصهباء أجفانه الوطفا
ولم يبق ارعاش المدام له يدا * ولم يبق اعنات التثني له عطفا
نزيف نضاه السكر الا ارتجاجة * اذا كل عنها الخصر حملها الردفا
يقولون حقف فوقه خيزرانة * أما يعرفون الخيزرانة والحقفا
جعلنا حشايانا ثياب مدامنا * وقدت لنا الازهار من جلدها لحفا
فمن كبد توحي الى كبد هوى * ومن شفة تؤوي الى شفة رشفا

ومنها

كأن السماكين اللذين تراهما * على لبدتيه ضامنان له حتفا
فذا رامح يهوى اليه سنانه * وذا أعزل قد عض أنمله لهفا
كأن سهيلا في مطالع أفقه * مفارق الف لم يجد بعده الفا
كأن بني نعش ونعشا مطافل * بوجرة قد أضللن في مهمه خشفا
كأن سهاها عاشق بين عود * فآونة يبدو وآونة يخفى
كأن قدامى النسر والنسر واقع * قصصن فلم تسم الخوافي له ضعفا
كأن أخاه حين حوم طائر * أتى دون نصف البدر فاختطف النصفا
كأن ظلام الليل اذ مال ميلة * صريع مدام بات يشرب بها صرفا
كأن عمود الصبح خاقان معشر * من الترك نادى بالنجاشي فاستخفى
كأن لواء الشمس غرة جعفر * رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا

وله أيضا

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر * وأمدكم فلق الصباح المسفر
وجنيتم ثمر الوقائع يانعا * بالنصر من ورق الحديد الاخضر
أبني العوالي السمهرية والسيو * ف المشرفية والعديد الاكثر
من منكم الملك المطاع كأنه * تحت السوابغ تبع في حمير
جيش تهدله الليوث وفوقها * كالغيل من قصب الوشيج الاخضر
وكأنما سلب القشاعم ريشها * مما يشق من العجاج الاكدر
لحق القبول مع الدبور وسار في * جمع الهرقل وعزمة الاسكندر
في فتية صدأ الحديد لباسهم * في عبقري البيض جنة عبقر
وكفاه من حب السماحة أنه * منها بموضع مقلة من محجر

ومنها

نعماؤه من رحمة ولباسه * من جنة وعطاؤه من كوثر

وله أيضا من قصيدة في جعفر بن علي

ألا أيها الوادي المقدس بالندى * وأهل الندى قلبي اليك مشوق
ويا أيها القصر المنيف قبابه * على الزاب لا يسدد اليك طريق

درهما ومصحفه وسيفه ولما اراد واقتل ابن ملجم لعنه الله قال عبد الله بن جعفر دعوني حتى أشفي نفسي منه فقطع يديه ورجليه وأحمى له مسمارا حتى اذا صار جمرة كحله به فقال سبحان الذي خلق الانسان انك لتكحل عمك بملمول بصاص ثم ان الناس أخذوه وادرجوه في بواري ثم طلوها بالنفط وأشعلوا فيها النار فاحترق وفيه يقول عمران بن حطان الرقاشي يمدحه في ضربته من شعر له طويل

يا ضربة من تقي ما أراد بها * الا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
اني لاذكره يوما فاحسبه * أوفى البرية عند الله ميزانا

فاجابه القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله الشافعي

اني لأبرأ مما أنت قائله * عن ابن ملجم الملعون بهتانا
يا ضربة من شقي ما أراد بها * الا ليهدم للاسلام أركانا
اني لأذكره يوما فالعنه * دنيا وألعن عمرانا وحطانا
عليه ثم عليه الدهر متصلا * لعائن الله اسرارا واعلانا
فأنتما من كلاب النار جاء به * نص الشريعة برهانا وتبيانا

وزاد بعضهم على هذه الابيات بيتا آخر وهو

ويا ملك الزاب الرفيع عماده * بقيت لجمع المجد وهو فريق
فلم أنس لا أنس الامير اذا غدا * يروع عدوى ملكه و يروق
فللعود مجرى من صفيحة وجهه * اذا كان من ذاك الجبين شروق
وهزته للمدح حتى كأنما * جرت فى ثناياه العذاب رحيق
أما وأبى تلك الشمائل انها * دليل على أن النجار عتيق
فكيف بصبر النفس عنه ودونه * من الارض مغبرا الفجاج عميق
فكن كيف شاء الناس أو شئت دائما * فليس لهذا الملك غيرك فوق
ولا تشكر الدنيا على نيل رتبة * فما نلتها الا وأنت حقيق

وله من أخرى

خليلى أين الزاب منى وجعفر * وجنات عدن بنت عنها وكوثر
فقد بلى نأى عن جنة الخلد آدم * فارقه من جانب الارض منظر
لقد سرنى أنى أمر ببالة * فيخبره عنى بذلك مخبر
وقد ساءنى أنى أراه ببلدة * بها منسك منه عظيم ومشعر
وقد كان لى منه شفيع مشفع * به يمحص الله الذنوب و يغفر
أتى الناس أفواجا اليك كأنما * من الزاب بيت او من الزاب محشر
فانت لمن قد مزق الله شمله * ومعشره والاهل اهل ومعشر

وله أيضا

ألا طرقتنا والنجوم ركود * وفى الحى أيقاظ وهن هجود
وقد اعجل الفجر الملمع خطوها * وفى أخريات الليل منه عمود
سرت عاطلا غضبى على الدهر وحده * ولم يدر نحر ما دهاها وجيد
فما برحت الا ومن سلك ادمعى * قلائد فى لباتها وعقود
ويا حسنها فى يوم نضت سوالفا * تريع الى اترابها وتحيد
الم يأتها انا كبرنا عن الصبا * وانا بلينا والزمان جديد
ولا كالليالى مالهن مواثق * ولا كالغوانى مالهن عهود
ولا كالمعز ابن النبى خليفة * له الله بالفخر المبين شهيد

وله من قصيدة يمدح بها يحيى بن على بن رمان

قفا بى فلا مسرى سرينا ولا نسرى * والانرى مثل القطا الوارد الكدر
قفا نتبين أين ذا البرق منهم * ومن حيث تأتى الريح طيبة النشر
لعل ثرى الوادى الذى كنت مرة * أزورهم فيه تضوع للسفر
والا فما وادى السيل بعنبر * والا فما تدرى الركاب ولا ندرى
اكل كنيس بالصريم تظنه * كناس الظباء الدعج والشدن العفر
وهل عجبوا أنى اسائل عنهم * وهم بين احناء الجوانح والصدر
وهل علموا أنى اهيم ارضهم * ومالى بها غير التعسف من خبر

حطان لعنه الله فى ابن ملجم اخزاه الله

قل لابن ملجم والاقدار غالبة
هدمت ويلك للاسلام اركانا
قتلت افضل من يمشى على قدم
واول الناس اسلاما وايمانا
واعلم الناس بالقرآن ثم بما
سن الرسول لنا شرعا وتبيانا
صهر النبى ومولانا وناصره
اضحت مناقبه نورا وبرهانا
وكان منه على رغم الحسود له
مكان هرون من موسى بن عمرانا
وكان فى الحرب سيفا صارما ذكرا
ليثا اذا ما لقى الاقران اقرانا
ذكرت قاتله والدمع منحدر
فقلت سبحان رب الناس سبحانا
انى لاحسبه ما كان من بشر
يخشى المعاد ولكن كان شيطانا
أشقى مرادا اذا عدت قبائلها
وأخسر الناس عند الله ميزانا

كعاقر الناقة الاولى التى جلبت * على ثمود بارض الحجر خسرانا

ولى

قد كان يخبرهم أن سوف يخضبها * قبل المنية أزمانا فأزمانا فلا عفا الله عنه ما تحمله * ولا سقى قبر عمران بن حطانا

ولي سكن ناتي الحوادث دونه * فيبعد عن عيني و يقرب من فكري
اذا ذكرته النفس جاشت بذكره * كما عثر الساقي بجام من الخمر
فلا تسألاني عن زماني الذي خلا * فو العصر اني بعد يحيي لفي خسر
وآليت لا اعطي الزمان مقادتي * على مثل يحيي ثم اغضي على الوتر
حنيني اليه ظاعنا ومخيما * وليس حنين الطير الا الى الوكر

وله من قصيدة

فتكات طرفك ام سيوف ابيك * وكؤس خمرك ام مراشف فيك
اجلاد مرهفة وفيك محاجر * لا انت راحمة ولا اهلوك
يا بنت ذي السيف الطويل نجاده * اكذا يجوز الحكم في ناديك
عيناي ام مغناك موعدنا على * وادي الكرى القاك ام واديك

وله ايضا

احبب بها تيك القباب قبابا * لا بالحداة ولا الركاب ركابا
فيها قلوب العاشقين تخالها * عنما بايدي البيض ام عنابا
والله لولا ان يعنفني الهوى * و يقول بعض العاذلين تصابى
لكسرت دملجها بضيق عناقها * ورشفت من فيها البرود رضابا
بنتم فلولا ان اغير لمتي * عبثا وقلنا لم على غضابا
لخططت شيبا في مفارق لمتي * ومحوت محو النفس عنه شبابا
وخضبت مبيض الحداد عليكم * لو انني اجد البياض خضابا
واذا اردت على المشيب وفادة * فاحثث مطيك دونه الاحقابا
فلتأخذن من الزمان حمامة * ولتبعثن الى الزمان غرابا

ومنها

قد طبب الاقطار طيب ثنائه * من اجل ذا تجد الثغور عذابا
لم تدنني ارض اليك وانما * جئت السماء ففتحت ابوابا
ورايت حولي وفد كل قبيلة * حتى توهمت العراق الزابا
ارض وطئت الدر من رضراضها * والمسك تربا والرياض جنابا
ورايت اجبل ارضها منقادة * فحسبتها مدت اليك رقابا
سد الامام بها الثغور وقبلها * هزم النبي بقومك الاحزابا

انتهى

وقال ابن هانئ يصف الاسطول

معطفة الاعناق نحو متونها * كما نبهت أيدي الحواة الافاعيا
اذا ما وردنا الماء سوقا لبرده * صدرن ولم يشربن غرقى صواديا
اذا أعملوا فيها المجاذيف سرعة * ترى عقربا منها على الماء ماشيا

وقال الاديب أبو عمر أحمد بن فرج الجياني رحمه الله تعالى

وطائعة الوصال غدوت عنها * وما الشيطان فيها بالمطاع
بدت في الليل سافرة ظلام الدياجي منه سافرة القناع
وما من لحظة الا وفيها * الى فتن القلوب لها دواعي

لقوله في شقي ظل مجترما * ونال ما ناله ظلما وعدوانا
يا ضربة من تقي ما أراد بها * الا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
بل ضربة من غوي أورثته لظى * مخلدا قد اتى الرحمن غضبانا
كانه لم يرد قصدا بضربته * الا ليصلى عذاب الخلد نيرانا
ولعمران بن حطان ولابيه حطان اخبار كثيرة قد اتينا على ذكرها في كتابنا اخبار الزمان في باب اخبار الخوارج من الازارقة والاباضية والحمرية والصفرية والمهربة وغيرهم من فرق الخوارج الى سنة ثمان عشرة وثلثمائة وكان آخر من خرج منهم ربيعة المعروف بفروان فادخل على المقتدر بالله بعث به ابن حمدان من هرمونا وقد كان خرج في ايامه ايضا المعروف بابي شعيب وقد رثى الناس امير المؤمنين عليا رضي الله عنه في ذلك الوقت والى هذه الغاية وذكروا مقتله وممن رثاه في ذلك الوقت ابو الاسود الدؤلي من ابيات

الا ابلغ معاوية بن حرب * فلا قرت عيون الشامتينا
افي شهر الصيام فجعتمونا * بخير الناس طرا اجمعينا

فلكت النهى مهتاج شوقى * لاجرى بالعفاف على طباعى
وبت بها مبيت الطفل يظما * فيمنعه الفطام عن الرضاع
كذاك الروض ليس به لمثلى * سوى نظر وشم من متاع
ولست من السوائم مهملات * فاتخذ الرياض من المراعى

وقال

للروض حسن فقف عليه * واصرف عنان الهوى اليه
أما ترى نرجسا نضيرا * يرنو اليه بمقلتيه
نشر حبيبي على رباه * وصفرتى فوق وجنتيه

وقال

بمهلكة يستهلك الجهد عفوها * ويترك شمل العزم وهو مبدد
ترى عاصف الارواح فيها كانها * من الاين تمشى ظالع أو مقيد

وقال فى المطمح محرز الخصل مبرز فى كل معنى وفصل متميز بالاحسان منتم الى فئة البيان ذكى الخاطر مع قوة العارضة والمنة الناهضة حضر مجلس بعض القضاة وكان مشتهر الضبط مشهورا لمن انبسط فيه بعض البسط حتى ان أهله لا يتكلمون فيه الا رمزا ولا يخاطبون الا ايماء فلا تسمع لهم ركزا فتكلم فيه خصماله كلاما استطار به عليه امضل بيانه وطلاقة لسانه ففارق عادة المجلس فى رفض الانفه وخفض الجة المؤتنفه وهز عطفه وحسر عن ساعده وأشار بيده مادابها لوجه خصمه خارجا عن حد المجلس ورسمه فوسم الاعوان بتقويمه وتثقيفه ووزعهم رهبة منه وخشية حتى تناوله القاضى بنفسه وقال له مهلا عافاك الله اخفض صوتك واقبض يدك ولا تفارق مركزك ولا تعد حقك واقصر عن ادلالك فقال له مهلا يا قاضى أمن المخدرات أنا فاخفض صوتى واستر يدى واغطى معاصمى لديك أم من الانبياء أنت فلا يجهر بالقول عندك وذلك لم يجعله الله تعالى الا لرسوله عليه الصلاة والسلام لقول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى الى قوله لا تشعرون ولست به ولا كرامة وقد ذكر الله تعالى أن النفوس تجادل فى القيامة فى موقف الهول الذى لا يعدله مقام ولا يشبه انتقامه انتقام فقال تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها الى قوله تعالى وهم لا يظلمون لقد تعديت طورك وعلوت فى منزلك وانما البيان بعبارة اللسان وبالنطق يستبين الحق من الباطل ولا بد فى الخصام من افصاح الكلام وقام وانصرف فبهت القاضى ولم يحر جوابا وكان فى الدولة صدرا من اعيانها وساق درر تبيانها نفق فى سوقها وصنف وقرط محاسنها وشنف وله الكتاب الرائق المسمى بالحدائق وادركه فى الدولة سعى وفض له فيها رمى واعتقله الخليفة واوثقه فى مكان اخيه فلم يوض له عفو ولم يشب كدر حاله صفو حتى قضى معتقلا ونعى للنائبات نعيا مشكلا وله فى السجن اشعار كثيره واقوال مبدعات منيره فمن ذلك ما انشده ابن حزم يصف خيالا طرقه بعدما اسهره الوجد وارقه

بأيهما انا فى الشكر بادى * بشكر الطيف ام شكر الرقاد
سرى وازداد فى املى ولكن * عففت فلم اجد منه مرادى

اذا استقبلت وجه ابى حسين * رايت النور فوق الناظرينا
لقد علمت قريش حيث كانت * بانك خيرهم حسبا ودينا

وانطلق البرك الصريمى الى معاوية فطعنه بخنجر فى أليته وهو يصلى فاخذ وأوقف بين يديه فقال له ويلك وما أنت وما خبرك قال لا تقتلنى واخبره قال انا تبايعنا فى هذه الليلة عليك وعلى على وعلى عمرو فان أردت فاحبسنى عندك فان كانا قتلا والا خليت سبيلى فطلبت قتل على ولك على أن اقتله وان آتيك حتى أضع يدى فى يدك فقال بعض الناس قتله يومئذ وقال بعضهم حبسه حتى جاءه خبر قتل على فاطلقه وانطلق زادويه عمرو بن بكر التميمى الى عمرو بن العاص فوجد خارجة قاضى مصر جالسا على السرير يطعم الناس فى مجلس عمرو وقيل بل صلى خارجة بالناس الغداة ذلك اليوم وتخلف عمرو عن الصلاة لعارض فضربه بالسيف فدخل عليه عمرو وبه رمق فقال له خارجة والله ما اراد غيرك فقال عمرو ولكن الله اراد خارجة وأوقف الرجل بين يدى عمرو فسأله عن خبره فقص عليه القصة وأخبره وما

وما في النوم من حرج ولكن * جريت من العفاف على اعتيادي انتهى

وقال الشاعر المشهور ابو عبد الله محمد بن الحدّاد

يا غائبا خطرات القلب محضره * الصبر بعدك شئ لست اقدره
تركت قلبي وأشواقي تفطره * ودمع عيني وأحداقي تحدره
لو كنت تبصر في تدبير حالتنا * اذن لاشفقت مما كنت تبصره
فالعين دونك لاتخلو بلذتها * والدهر بعدك لايصفو تكدره
أخفي اشتياقي وما أطوي به من أسف * عن البرية والانفاس تظهره

قال في المطمح هو شاعر مادح وعلى أيك الندى صادح لم ينطقه الامعن أوصمادح فلم يرم مثواهما ولم ينتجع سواهما واقتصر على المريه واختصر قطع المهامه وخوض البريه فعكف فيها بنثر درره في ذلك المنتدى و يرشف ابدا ثغور ذلك الندى مع تميزه بالعلم وتحيزه الى فئة الوقار والحلم وانتمائه الى آية سلف وعذاهبه مذاهب أهل الشرف وكان له لسن ورواء يشهدان له بالنباهه و يقلدان كاهله ماشاء من الوجاهه وقد أثبت له بعض ماقذفه من درره وفاه به من محاسن غرره فمن ذلك قوله

الى الموت رجعى بعد حين فان أمت * فقد خلدت خلد الزمان مناقبي
وذكراي في الآفاق طيبا كانها * بكل لسان طيب عذراء كاعب
ففي أي علم لم تبرز سوابقي * وفي أي فن لم تبرز كتائبي

وحضر مجلس المعتصم بحضور ابن اللبانة فانشد فيه قصيدا أبرز به من عرا الاحسان مالم ينفصم واستمر فيها يكمل بدائعها وقوافيها فاذا هو قد أغار على قصيد ابن الحداد الذي أوله عج بالحمى حيث الظباء العين فقال ابن الحداد مرتجلا

حاشا لعدلك يا ابن معن أن يرى * في سلك غيري دري المكنون
واليكها تشكو استلاب مطيها * عج بالحمى حيث الظباء العين
فاحكم لها واقطع لسانا لايدا * فلسان من سرق القريض يمين

وله

ان المدامع والزفير * قد أعلنا مافي الضمير
فعلام أخفي ظاهرا * سقمي على به ظهير
هب لي الرضا من ساخط * قاي بساحته الاسير

وله أيضا

ايها الواصل هجري * أناني هجران صبري
ليت شعري اي نفع * لك في ادمان ضري

وله ايضا

يا مشبه الملك الجعدي تسمية * ومخجل القمر البدري انوارا

وله

تطالبني نفسي بما فيه صونها * فاعصي و يعصوشوقها فأطيعها
ووالله ما يخفى على ضلالها * ولكنها تهوى فلا استطيعها

وقال

بخافقة القرطين قلبك خافق * وعن خرس القلبين دمعك ناطق
وفي مشرق الصدغين للبدر مغرب * وللفكر حالات وللعين سارق
وبين حصا الياقوت ماء وسامة * تخلا عنه الظباء السوابق

من الموت مع هذا الاقدام فقال لا والله ولكن غما أن يفوز صاحباي بقتل علي ومعاوية ولا أفوز أنا بقتل عمرو فضرب عنقه وصلب وكان علي رضي الله عنه كثيرا ما يتمثل

تلكم قريش تمناني لتقتلني * فلا وربك مابروا او ماظفروا
فان هلكت فرهن ذمتي لهم * بذات ودقين لايعفو لها أثر

وكان يكثر من ذكر هذين البيتين

أشدد حيازيمك للموت * فان الموت لاقيكا
ولاتجزع من الموت * اذا حل بواديكا

وسمعا منه في الوقت الذي قتل فيه فانه قد خرج الى المسجد وقد عسر عليه فتح باب داره وكان من جذوع النخل فاقتلعه وجعله ناحية وانحل ازاره فشده وجعل ينشد هذين البيتين المتقدمين وقد كان معاوية دس أناسا الى الكوفة يشيعون موته وأكثر الناس القول في ذلك حتى بلغ عليا فقال في مجلسه قد أكثرتم من نعي معاوية والله مامات ولا يموت حتى يملك ماتحت

 قدمي وانما أراد ابن آكلة الاكباد ان يعلم ذلك مني فبعث من يشيع ذلك فيكم ليعلم ويتيقن ماعندي

وحشو قباب الرقم احوى مقرطق * كما آس روض عطفه والقراطق
انتهى باختصار * وقال الاسعد بن بليطة
برامة ريم زارني بعدما شطا * تقنصته بالحلم في الشط فاشتطا
رعى من افانين الهوى ثمر الحشا * جنيا ولم يرع العهود ولا الشرطا
خيال لمسرقوم غـرير برامة * تأوبني بالرقتين لدى الارطى
فأكسبني من خدها روضة الجني * والدغني من صدغها حية رقطا
وبانت ذراعا ها نجاد العاتق * اذا التقيا بالحلي غني لها الغطا
وسل اهتصاري غصنها من مخصر * طواه الضني طي الطوامير فامتطا
وقد غاب كحل الليل في دمع فجره * الى ان تبدى الصبح في الليلة الشمطا
ومنها في وصف الديك
وقام لها ينعي الدجا ذو شقيقة * يدير لنا من عين اجفانه نقطا
اذا صاح اصغى سمعه لاذانه * و بادوضر با من قوادمه الابطا
كأن أنوشروان اعلاه تاجه * وناطت عليه كف مارية القرطا
سبي حلة الطاوس حسن لباسها * ولم يكفه حتى سبي المشية البطا
ومن غزلها
غلامية جاءت وقد جعل الدجا * لخاتم فيها فص غالية خطا
فقلت احاجيها عافي جفونها * وما في الشفاء اللعس من حسنها المعطى
محمرة العينين من غير سكرة * متى شربت الحاظ عينيك اسفنطا
ارى نكهة المسواك في خمرة اللمى * وشاربك المخضر بالمسك قد خطا
عسى قزح قبلته فأخاله * على الشفة اللمياء قد جاء مختطا
وقال في المطمع في تحلية الاسعد انه سرد البدائع احسن السرد وافترس المعاني كالاسد الورد وابرز درر المحاسن من صدفها وحاز من فخر الاجادة وشرفها ومدح ملوكا طوقهم من مدائحه قلائد وزف اليهم منها خرائد وجلاها عليهم كواعب بالالباب لواعب فأسالت العوارف وما تقاص له من الحظوة ظل وارف وقد اثبت له ما يعترف بحقه ويعرف به مقدار سبقه فمن ذلك قوله
لو كنت شاهدنا عشية امسنا * والمزن يبكينا بعيني مذنب
والشمس قد مدت اديم شعاعها * في الارض تجنح غير أن لم تغرب
وقوله وتلذ تعذيبي كانك خلتني * عود الفليس يطيب مالم يحرق
وهو مأخوذ من قول ابن زيدون
تظنونني كالعود حقا وانما * تطيب لكم انفاسه حين يحرق
انتهى ببعض اختصار وقال الاديب أبو بكر عبادة بن ماء السماء وهو كما في المطمع من فحول الشعراء وأعمتهم الكبراء وكان منتجعا بشعره مسترجعا من صرف دهره وكانت له همة أطالت همه وأكثرت كمده وغمه

يزيد ومروان وبنيه وذكر الحجاج وما يسومهم من العذاب فارتفع الضجيج وكثر البكاء والشهيق فقام قائم من الناس فقال يا أمير المؤمنين لقد وصفت أمورا عظيمة آلله ان ذلك كائن قال علي والله ان ذلك لكائن ما كذبت ولا كذبت فقال آخرون متى ذلك يا أمير المؤمنين قال اذا خضبت هذه من هذه ووضع احدى يديه على لحيته والاخرى على رأسه فأكثر الناس من البكاء فقال لا تبكوا في وقتكم هذا فستبكون بعدي طويلا فكاتب أكثر أهل الكوفة معاوية سرا في أمورهم واتخذوا عنده الايادي فوالله ما مضت الأيام قلائل حتى كان ذلك وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب بعد ذكرنا لزهده ولمع من كلامه وجمل من أخباره أيضا أخبار معاوية بن أبي سفيان والله ولي التوفيق
(ذكر لمع من كلامه وأخباره وزهده رضوان الله عليه)
لم يلبس عليه السلام في أيامه ثوبا جديدا ولا اقتنى ضيعة ولا ربعا الا شيأ كان له بينبع مما تصدق به وحبسه والذي حفظ الناس عنه من خطبه في سائر مقاماته أربعمائة خطبة

يورقني الليل الذي أنا نائمه * فتجهل ما ألقى وطرفك عالمه
وفي الموردج المرقوم وجه طوى الغشا * عن الحسن فيه الحسن قد حار واقمه
اذا شاء وقفا أرسل الحسن فرعه * يضلهم عن منهج القصد فاحمه
أظلما أو اتقليده الدر أم زروا * بتلك اللآلي انهن تمائمه

وقال الاديب أبو عبد الله بن عائشة في فتى طرزت غلالة خده وركب من عارضه سنانا على صعدة قده

اذا كنت تهوى خده وهو روضة * به الورد غض والاقاح مفلج
فزد كلفا فيه وفرط صبابة * فقد زيد فيه من عذار بنفسج

وحلاه في المطمع بأن قال اشتهر صونا وعفافا ولم يعقيلة حضره زفافا فا...ثر انقباضا وسكونا واعتمد النهار كونا الى أن أنهضه أمير المسلمين الى بساطه فهب من مرقد خموله وشب لبلوغ مأموله فبدا منه في الحال انزواء في تسنم تلك الرسوم والتواء وقعود عن مراتب الاعلام وجود لا يحمد فيه ولا يلام الا أن أمير المسلمين ألقى عليه منه محبه جلبت اليه مسرى الظهور ومهبه وكان له أدب واسع المدى يانع كالزهر بلله الندى وتظم مشرق الصفحه عبق النفحه الا انه قليلا ما كان يحل ربعه ويذيل له طبعه وقد أثبت له منه ما يدع الالباب حائره والقلوب اليه طائره فمن ذلك قوله في ليلة سمحت له بفتى كان يهواه ونفحت له هبة وصل أبدت جواه

لله ليل بات عندي به * طوع يدي من مهجتي في يديه
وبت أسقيه كؤس الطلا * ولم أزل أسهر شوقا اليه
عاطيته حمراء ممزوجة * كانها تعصر من وجنتيه

وخرج من بلنسية يوما الى منية الوزير الاجل ابي بكر بن عبد العزيز وهي من ابدع منازل الدنيا وقد مدت عليها ادواحها الافيا واهدت اليها ازهارها العرف والريا والنهر قد غص بمائه والروض قد خص بمثل انجم سمائه وكانت لبني عبد العزيز فيها اطراب تهيأ لهم فيها من الايام آراب فلبسوا فيها الانس حتى ابلوه ونشروا فيها الحظ وطووه أيام كانوا بذلك الافق طلوعا لم تضم عليهم النوب ضلوعا فقعد ابو عبد الله مع لمة من الادباء تحت دوحة من ادواحها فهبت ريح انس من ارواحها سطت باعصارها واسقطت لؤلؤها على باسم ازهارها فقال

ودوحة قد علت سماء * تطلع ازهارها نجوما
هفا نسيم الصبا عليها * فأرسلت فوقنا رجوما
كأنما الجو غار لما * بدت فأغرى بها النسيما

وكان في زمان عطلته ووقت اصفراره وعلته ومقاساته من العيش أنكده ومن التخوف اجهده كثيرا ما ينشرح بجزيرة شقر ويستريح ويستطيب تلك الريح ويجول في اجارع واديها وينتقل من نواديها الى بواديها فانها صحيحة الهواء قليلة الادواء خضلة العشب والازاهر قد احاط بها نهرها كما تحيط بالمعاصم الاساور والايك قد نشرت ذوائبها على

قال الذين اذا أحسنوا استبشروا واذا أساؤا استغفروا واذا ابتلوا صبروا واذا غضبوا غفروا (وكان) يقول الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها الدنيا مسجد أحباء الله ومصلى ملائكة الله ومهبط وحيه ومتجر أوليائه اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها وأهلها ومثلت لهم ببلائها البلاء وشوقت بسرورها الى السرور وراحت بفجيعة وابتكرت بعافية تحذيرا وترغيبا وتخويفا فذمها رجال غب الندامة وحمدها آخرون غب المكافأة ذكرتهم فذكروا تصاريفها وصدقتهم فصدقوا حديثها فيا أيها الذام للدنيا المغتر بغرورها متى استذامت لك الدنيا بل متى غرتك من نفسها أبمضاجع آبائك من البلى ام بمصارع امهاتك من الثرى كم قد عللت بكفك ومرضت بيدك من تبغي له الشفاء وتستوصف له الاطباء لم تنفعه بشفاعتك ولم تستعف له بطلبتك قد مثلت لك به الدنيا نفسك وبمصرعه مصرعك غداة لا ينفعك بكاؤك ولا يغني عنك احباؤك ولا تسمع في مدح الدنيا احسن من

صفحة والروض قد عطر جوانبه بريحه وابو اسحق بن خفاجة هو كان منزع نفسه ومصرع انسه نفح له بالمنى عبق وشذا ومسح عن عيون مسراته القذى وغدا على ما كان وراح وجرى متهافتا فى ميدان ذلك المراح قريب عهد بالفطام ودهره ينقاد فى خطام فلما اشتعل رأسه شيبا وزرت عليه الكهول جيبا اقصر عن تلك الهنات واستيقظ من تلك السنات وشب عن ذلك الطوق واقصر عن الهوى والشوق وقنع بأدنى تحيه وما يستشعره فى وصف تلك المعاهد من اريحيه فقال

الا خليانى والاسى والقوافيا * أردّدها شجوى واجهش باكيا
أآسى شخصا للمسرة باديا * واندب رسما للشبيبة باليا
تولى الصبا الا توالى فكرة * قدحت بها زندا وما زلت واريا
وقد بان حلو العيش الا تعلة * تحدثنى عنها الامانى خاليا
ويا برد هذا الماء هل منك قطرة * فهل فاستسقى غمامك صاديا
وهيهات حالت دون حزوى وأهلها * ليال وأيام تحاكى اللياليا
وقل فى كبير عاده صائد الظبا * ٢ اليهن مشتاقا وقد كان ساليا
فيا راكبا يستعمل الخطو قاصدا * ألا عج بشقر رائحا ومغاديا
وقف حيث سال النهر ينساب أرقما * وهب نسيم الايك ينفث راقيا
وقل لاثيلات هناك واجرع * سقيت أثيلات وحييت واديا

انتهى ببعض اختصار وابن عائشة أشهر من أن يسال فى أمره وليس الخبر كالعيان * وقال أبو عمرو يزيد بن عبد الله بن أبى خالد اللخمى الاشبيلى الكاتب فى فتح المهدية سنة ٦٠٢

كم غادر الشعراء من متردم * ذخرت عظائمه لخير معظم
تبعا لمسندخور الفتوح فانه * جاءت له بخوارق لم تعلم
من كل سامية المنال اذا انتمت * رفعت الى اليرموك صوت المنتمى
وتوسطت فى النهروان بنسبة * كرمت ففازت بالمحل الاكرم

قال ابن الابار فى تحفة القادم هو صدر فى نبهائها وأدبائها يعنى اشبيلية وممن له قدر فى منجبيها ونجبائها والى سلفه ينسب العقل المعروف بجحر أبى خالد وتوفى بها سنة ٦١٣ وأورد له قوله

ويا للعوارى المنشآت وحسنها * طوائر بين الماء والجوّ عوّما
اذا نشرت فى الجوّ اجنحة لها * رأيت به روضا ونوّاره كمّما
وان لم تهبه الريح جاء مصافحا * فمدت له كفا خضيبا ومعصما
مجاذف كالحيات مدت رؤسها * على وجل فى الماء كى تروى الظما
كما أسرعت عدا أنامل حاسب * بقبض و بسط يسبق العين والفما
هى الهدب فى أجفان أكحل أوطف * فهل صنعت من عندم أو بكت دما

قال ابن الابار أجاد ما أراد فى هذا الوصف وان نظر الى قول أبى عبد الله بن الحداد يصف اسطول المعتصم بن صمادح

الآخرة قد دنت مقبلة ولهذه ابناء ولهذه أبناء فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا وكونوا من الزاهدين فى الدنيا والراغبين فى الآخرة ان الزاهدين فى الدنيا اتخذوا الارض بساطا والتراب فراشا والماء طيبا وقرضوا الدنيا تقويضا الا ومن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات ومن راقب الخير سارع فى الخيرات الا وان لله عبادا يرون أهل الجنة فى الجنة منعمين مخلدين قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة أنفسهم عفيفة وحاجتهم خفيفة صبروا أياما قليلة فصارت لهم العقبى راحة طويلة أما الليل فصافوا أقدامهم تجرى دموعهم على خدودهم يجارون الى ربهم ويسعون فى فكاك رقابهم وأما النهار فعلماء حكماء بررة أتقياء كأنهم القداح براهم الخوف والعبادة ينظر اليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من مرض أم خولطوا فقد خالطهم أمر عظيم من ذكر النار وما فيها (وقال لابنه الحسن) يا بنى استغن

هام صرف الردى بهام الاعادى * ان سمت نحوهم لها أجياد
وتراءت بشرعها كعيون * دأبها مثل خائفيها سهاد
ذات هدب من المجاذيف حالك * هدب باك لدمعه اسعاد
جسم فوقها من البيض نار * كل من أرسلت عليه رماد
ومن الخط فى يدى كل در * ألف خطها على البحر صاد

قال وما أحسن قول شيخنا أبى الحسن بن حريق فى هذا المعنى من قصيدة أنشدنيه

وكأنما سكن الاراقم جوفها * من عهد نوح خشية الطوفان
فاذا رأين الماء يطفح نضنضت * من كل خرق حية بلسان

قال ولم يسبقهم الى الاحسان وان سبقهم بالزمان على بن محمد الايادى التونسى فى قوله

شرعوا جوانبها مجاذف اتعبت * شادى الرياح لها ولما تتعب
تنصاع من كثب كما نفر القطا * طورا وتجتمع اجتماع الربرب
والبحر يجمع بينها فكأنه * ليل يقرب عقربا من عقرب
وعلى جوانبها أسود خلافة * تختال فى عدد السلاح المذهب
وكأنما البحر استعار بزيهم * ثوب الجمال من الربيع المعجب

من هذه القصيدة الفريدة فى ذكر الشراع

ولها جناح يستعار يطيرها * طوع الرياح وراحة المتطرب
يعلو بها حدب العباب مطاره * فى كل لج زاخر مغلولب
يسمو بآخر ذى اهواء منتصب * عريان منسرح الذؤابة شوذب
يتنزل الملاح منه ذؤابة * لورام يركبها القطا لم يركب
وكأنما رام استراق مقعد * للسمع الا أنه لم يشهب
وكأنما جن ابن داود هم * ركبوا جوانبها بأعنف مركب
سجر واجواهم بينهم فتقاذفوا * منها بألسن مارج متلهب
من كل مسجون الحريق اذا انبرى * من سجنه انصلت انصلات الكوكب
عريان يقدمه الدخان كأنه * صبح يكر على ظلام غيهب

ن أولها
أعجب بأسطول الامام محمد * وبحسنه وزمانه المستغرب
لبست به الامواج أحسن منظر * يبدو لعين الناظر المتعجب
من كل مشرفة على ما قابلت * اشراف صدر الاجدل المتنصب

نها
جوفاء تحمل موكبا فى جوفها * يوم الرهان وتستقل بموكب

ى طويلة من غرر القصائد وقد سرد جملة منها صاحب المناهج وغيره * وقال أبو عمر القسطلى

وحال الموج بين بنى سبيل * يطير بهم الى الصوب ابن ماء
أغر له جناح من صباح * يرفرف فوق جنح من سماء

خذه أبو اسحق بن خفاجة فقال

وجارية ركبت بها ظلاما * يطير من الصباح بها جناح

عمن شئت تكن نظيره وسل من شئت تكن حقيره وأعط من شئت تكن أميره (ودخل) عليه رجل من أصحابه فقال كيف أصبحت يا أمير المؤمنين قال أصبحت ضعيفا مذنبا آكل رزقى وأنتظر أجلى قال وما تقول فى الدنيا قال وما أقول فى دار أولها غم وآخرها موت من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن حلالها حساب وحرامها عقاب قال فأى الخلق أنعم قال أجساد تحت التراب قد أمنت العقاب وهى تنتظر الثواب (ودخل) ضرار بن حمزة وكان من خواص على على معاوية وافدا فقال له صف لى عليا قال اعفنى يا أمير المؤمنين قال معاوية لابد من ذلك فقال اما اذ كان لابد من ذلك فانه كان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يعجبه من الطعام ما خشن ومن اللباس ما قصر وكان والله يجيبنا اذا دعوناه ويعطينا اذا سألناه وكنا والله على تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة له ولا نبتدئه لعظمه فى نفوسنا يبسم عن ثغر كاللؤلؤ المنظوم يعظم أهل الدين ويرحم المساكين م فى المسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة يكسو العريان وينصر اللهفان ويستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس

اذا الماء اطمأن ورق خصرا * علا من موجه ردف رداح
وقد فغر الحمام هناك فاه * وأتلع جيده الاجل المتاح

ولا يخفاك حسن هذه العبارة الصقيلة المرآة فالله تعالى يرحم قائلها * وقال ابن الابار وقد قلت أنا في ذلك

يا حبذا من بنات الماء سابحة * تطفو لما شب أهل النار تطفئه
تطيرها الريح غربانا بأجنحة الـ * ـحمائم البيض للاشراك ترزؤه
من كل أدهم لا يلفى به جرب * فالراكب به بالقار يهنؤه
يدعى غرابا وللفتخاء سرعته * وهو ابن ماء وللشاهين جؤجؤه

واجتمع ابن أبي خالد وأبو الحسن بن الفضل الاديب عند أبي الحجاج بن مرطير الطبيب بحضرة مراكش وجرى ذكر قاضيها حينئذ أبي عمران موسى بن عمران بينهم وما كان عليه من القصور والبعد عما اتيح له وأوثر به فقال أبو الحجاج ليس فيه من أبي موسى شبه فقال أبو الحسن فأبوه فضة وهو شبه فقال ابن أبي خالد

كم دعاه اذرآه عرة * وأباه اذ دعاه يا أبه

انتهى

وقال أبو العباس الاعمى

بهية لو جرى في الخيل أكبرها * لغابت الريح في الاحجال والغرر
تجري فللماء ساقا عائم درب * وللرياح جناحا طائر حذر
قد قسمتها يد التقدير بينهما * على السواء فلم تسبح ولم تطر

وقال عبد الجليل بن وهبون يصف الاسطول

يا حسنها يوما شهدت زفافها * بنت الفضاء الى الخليج الازرق
ورقاء كانت أيكة فتصورت * لك كيف شئت من الحمام الاورق
حيث الغراب يجر شملة عجبه * وكأنه من غرة لم ينعق
من كل لابسة الشباب ملاءة * حسب اقتدار الصانع المتأنق
شهدت لها الاعيان أن شواهنا * أسماؤها فتصحفت في المنطق
من كل ناشرة قوادم أجدل * وعلى معاطفها وهادة سودق
زأرت زئير الاسد وهي صوامت * وزحفن زحف مواكب في مأزق
ومجادف تحكي أراقم ربوة * نزلت لتكرع من غدير مترق

وقال ابن خفاجة

سقيا لها من بطاح خز * ودوح نهر بها مطل
فما ترى غير وجه شمس * أظل فيه عذار ظل

وهو من بديع الشعر وكم لابن خفاجة من مثله * وقال عبيد الله بن جعفر الاشبيلي وقد زار صاحبا له مرات ولم يزره هو فكتب على بابه

يا من يزار على بعد المحل ولا * يزور نادرة من بين مرات
زر من يزورك واحذر قول عاذلة * تقول عنك فتى يؤتى ولا ياتي

السليم ويبكي بكاء الحزين ويقول يا دنيا غري غيري الي تعرضت أم الي تشوقت هيهات هيهات لا حان حينك قد أبنتك ثلاثا لا رجعة لي فيك عمرك قصير وعيشك حقير وخطرك يسير آه من قلة الزاد ووحشة الطريق فقال له معاوية زدني شيأ من كلامه فقال ضرار كان يقول أعجب ما في الانسان قلبه وله مواد من الحكمة واضداد من خلافها فان سنح له الرجاء اماله الطمع وان مال به الطمع أهلكه الحرص وان ملكه القنوط قتله الاسف وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ وان أسعده الرضا نسي التحفظ وان أماله الخوف فضحه الجزع وان أفاد مالا أطغاه الغنى وان عضته فاقة فضحه الفقر وان أجهده الجوع اقعده الضعف وان أفرط به الشبع كظته البطنة فكل تقصير به مضر وكل افراط له مفسد فقال له معاوية زدني كل ما وعيته من كلامه قال هيهات أن آتي على جميع ما سمعته منه ثم قال سمعته يوصي كميل بن زياد يا كميل ذب عن المؤمن فان ظهره حمى الله ونفسه كريمة على الله وظالمه خصم الله وأحذركم ممن ليس له ناصر الا الله

ومن

ومن مجونياته سامحه الله تعالى

وأغيد ليس تعدوه الاماني * ولو حكمت عليه باشتطاط
سقيت الراح حتى مال سكرا * ونام على النمارق والبساط
وأسلم لي على طول التجني * وأمكنني على فرط التعاطي
فأوجت المقادر جيد بكر * ولا كفران في سم الخياط
وغناني بصوت من حشاه * فاطربني وبالغ في نشاطي
فنقر المثالث والمثاني * بأطرب من تلاحين الضراط
ولولا الريق لم أظفر بشئ * على عدم اهتبالي واحتياطي
فلا تسخر بريق بعد هذا * فان الريق مفتاح اللواط

وقال أبو الحسن علي بن محمد الرجال

كيف أصبحت أيهذا الحبيب * نحن مرضى الهوى وأنت الطبيب
كل قلب اليك يهفو غراما * وتجافى على منك القلوب
ان تلج حومت عليك هياما * أو تغب منها عليك الوجيب
غير أني من بينهم مستريب * حين تبدو وليس لي ما يريب
كل ما قد ألقاه منك ومني * دون هذا له تشق الجيوب

وقال أحمد المعروف بالكساد في موسى الذي كان يتغزل فيه شعراء اشبيلية

ما لموسى قد خر لله لما * فاض نور اغشاه ضوء سناه
وأنا قد صعقت من نور موسى * لا أطيق الوقوف حين أراه

ولله دره في رثاء موسى المذكور اذ قال

فر الى الجنة حوريها * وارتفع الحسن من الارض
وأصبح العشاق في مأتم * بعضهم يبكي الى بعض

وقوله فيه هتف الناعي بشجو الابد * اذ نعى موسى بن عبد الصمد
ما عليهم ويحهم لو دفنوا * في فؤادي قطعة من كبدي

ولقب بالكساد لقوله * و بيع الشعر في سوق الكساد * وقال أبو القاسم بن أبي طالب الحضرمي المنيشي

صاغت يمين الرياح محكمة * في نهر واضح الاسارير
فكلما ضاعفت به حلقا * قام لها القطر بالمسامير

قال أبو زيد عبد الرحمن العثماني وهو من بيت امارة

لا تسلي عن حالتي فهي هذي * مثل حالي لا كنت يا من يراني
ملني الاهل والاخلاء لما * أن جفاني بعد الوصال زماني
فاعتبر بي ولا يغرك دهر * ليس منه ذو غبطة في أمان

قال أبو زكريا يحيى بن محمد الاركشي

لا حبذا المال والافضال يتلفه * والبخل يحميه والاقدار تعطيه

سلبتهم محاسن أنفسهم قال وسمعته يقول بطر الغنى يمنع من عز الصبر قال وسمعته يقول ينبغي للمؤمن أن يكون نظره عبرة وسكوته فكره وكلامه حكمة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن قتل جعفر بن أبي طالب الطيار بمؤتة من أرض الشام لا يبعث بعلي في وجهة من الوجوه الا يقول رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين وحمل علي يوم أحد على كردوس من المشركين خشن فكشفهم فقال جبريل يا محمد ان هذه لهي المواساة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان عليا مني قال جبريل وأنا منكم كذلك ذكره اسحق بن ابراهيم وغيره ووقف على علي سائل فقال للحسن قل لامك تدفع اليه درهما فقال انما عندنا ستة دراهم للدقيق فقال علي لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون بما في يد الله أوثق منه بما في يده ثم أمر للسائل بالستة الدراهم كلها فما برح علي رضي الله عنه حتى مر به رجل يقود بعيرا فاشتراه منه بمائة وأربعين درهما وأنسأ أجله ثمانية أيام فحل أجله حتى مر به رجل والبعير معقول فقال بكم هذا فقال بمائتي درهم فقال قد أخذته فوزن له الثمن فدفع علي منه مائة

وقال لا تبكين لاخوان تفارقهم * فانى قبلك استخبرت اخوانى

فما حمدتهم فى حال قربهم * فكيف فى حال ابعاد وهجران

وقال ابو عمران موسى الطريانى لما دخل يوم نيروز الى بعض الاكابر وعادتهم أن يصنعوا فى مثل هذا اليوم مدائن من العجين لها صور مستحسنة فنظر الى صور مدينة فاعجبته فقال له صاحب المجلس صفها وخذها

مدينـة مسوّره * تحار فيها الفكره

لم تبنها الايدا * عذراء أو مخدره

بدت عروسا تجتلى * من درمك مزعفره

وما لها مفاتح * الا البنان العشره

وقال أبو عمرو بن حكم

حاشا لمن أملكم أن يخيب * وينثنى نحو العدا مستريب

هذا وكم أقرأنى بشركم * نصر من الله وفتح قريب

وقال أبو الحسن على بن الجعدى القرمونى

اياك من زلل اللسان فانه * قدر الفتى من لفظه المسموع

فالمرء يختبر الاناء بنقره * ليرى الصحيح به من المصدوع

وقال الفقيه أبو الحسن على بن ليال فى محبرة عاج محلاة بفضة

منعلة بالهلال ملجمة * بالنسر مجدولة من الشفق

كانما حبرها تمع فى * فرضتها سائلا من الغسق

وأنت مهما ترد تشبهها * فى كل حال فانظر الى الافق

وقال فى محبرة آبنوس

وخديعة للعلم فى أحشائها * كلف بجمع حرامه وحلاله

لبست رداء الليل ثم توشحت * بنجومه وتتوجت بهلاله

وقال ابو العباس أحمد بن شكيل الشريشى

تفاحة بت بها ليلتى * أبثها سرى والشكوى

أضمها معتنقا لانها * اذا ذكرت خد من أهوى

وقال تفاحة حامضة عضها * فى مثل من قطب الوجها

ولم أخل من قبلها محسنا * يجرى عليه العض والنجها

وقال أبو جعفر أحمد الشريشى

على حسن نور الباقلاء أدرها * على الصب كاسى خمرة وجفون

يذكرنى بلق الحمام وتارة * يؤكد للاشجان شهل عيون

وقال عمرو بن غياث

وقالوا مشيب قلت واعجبا لكم * أيشكر صبح قد تخلل غيهبا

وليس مشيبا ما ترون وانما * كميت الصبا الماجرى عاد أشهبا

هى فقال هذه تصديق لما جاء به أبوك صلى الله عليه وسلم من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومر ابن عباس بقوم ينالون من على ويسبونه فقال لقائده أدننى منهم فادناه فقال أيكم الساب لله قالوا نعوذ بالله ان نسب الله فقال أيكم الساب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا نعوذ بالله ان نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيكم الساب على بن أبى طالب قالوا أما هذه فنعم قال أشهد لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سبنى فقد سب الله ومن سب عليا فقد سبنى فاطرقوا فلما ولى قال لقائده كيف رأيتهم فقال

نظروا اليك بأعين مزورة * نظر التيوس الى شفار الجازر

فقال زدنى فداك أبى وأمى فقال

خزر العيون منكسى أذقانهم * نظر الذليل الى العزيز القاهر

قال زدنى فداك أبى وأمى قال ما عندى مزيد ولكن عندى

أحياؤهم تجنى على أمواتهم * والميتون فضيحة للغابر وقد ذكر جماعة من أهل النقل عن أبي عبد الله

وقال الوزير أبو بكر محمد بن ذي الوزارتين أبي مروان عبد الملك بن عبد العزيز يخاطب ابن عبدون

في ذمة الفضل والعلياء مرتحل * فارقت صبري اذا فارقت موضعه
ضاعت به برهة أرجاء قرطبة * ثم استقل فسد البين مطلعه
عذرا الى المجد عن حين فارقني * ذاك الجلال فاعيا أن أشيعه
قد كنت أصحبته قلبي وأقعدني * ما كان أودعني عن أن أودعه

وفيهم يقول ابن عبدون

بحور بلاغة ونجوم عز * واطواد رواس من جلال

وقال الوزير الكاتب أبو القاسم بن ابي بكر بن عبد العزيز

نديمي لا عدمتك من نديم * ادرها في دجى الليل البهيم
فخير الانس أنس تحت ستر * يصان عن السفيه او الحليم

وقال الثائر ابو عبد الله الجزيري

في أم رأسي سر * يبدو لكم بعد حين
لابلغن مرادي * ان كان سعدي معيني
أولا فاكتب ممن * ـــــعى لاظهار دين

وسبب قوله هذا أن بني عبد المؤمن لما غيروا رسم مهديهم وصيروا الخلافة ملكا وتوسعوا في الرفاهية وأهملوا حق الرعية جعل يتستر وقال هذه الابيات وشاع سره في مدة ناصر بني عبد المؤمن فطلبه ففر ولم يزل يتنقل مختفيا مع أصحابه الى أن حصل في حصن قولية من عمل مدينة بسطة فبينما هو ذات يوم في جامعها مع أصحابه وهم يأكلون بطيخا ويرمون قشره في صحن الجامع اذ أنكر ذلك رجل من العامة وقال لهم ما تتقون الله تعالى تتهاونون ببيت من بيوته فضحكوا منه واستهزؤا به وأهل تلك الجهة لا تحتمل شيأ من ذلك فصاح بفتية من العامة فاجتمع جمع وحملوا الى الوالي فكان عند الوالي من عرفه فقتلوا جميعا وأمر الناصر أن يرفع عن جميع أرض قولية جميع تكاليف السلطان * ولما عتب المنصور ابن أبي عامر على الكاتب عبد الملك الجزيري وسجنه في الزاهرة ثم صفح عنه قال وكتب به اليه

عجبت من عفو أبي عامر * لابد أن تتبعه منه
كذلك الله اذا ما عفا * عن عبده أدخله الجنه

فاستحسن ذلك وأعاده الى حاله * وقال على لسان بهار العامرية وهو النرجس

حدق الحسان تقر لي وتغار * وتضل في وصفي النهى وتحار
طلعت على قضبي عيون تمائمي * مثل العيون تحفها الاشفار
وأخص شئ بي اذا شبهته * درع تمنطق سلكه دينار
أنا نرجس حقا بهرت عقولهم * ببديع تركيبي فقيل بهار

وقال في بنفسجها

شهدت لنوار البنفسج ألسن * من لونه الاحوى ومن ايناعه

الليلة التي ضرب فيها عبد الرحمن بن ملجم بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم كل امرئ ملاقيه ما يفر منه والاجل تساق النفس اليه والهرب منه موافاته كم اطردت الايام أبحثها عن مكنون هذا الامر فأبى الله عز وجل الا اخفاءه هيهات علم مكنون اما وصيتي فلا تشركوا به شيأ ومحمدا لا تضيعوا سنته اقيموا هذين العمودين حمل كل امرئ منكم مجهوده وخفف عن الجهلة رب رحيم ودين قويم وامام عليم كنا في أعصار وذوي رياح تحت ظل غمامة اضمحل راكدها فحطها من الارض حيا وبقي من بعدي خيرها واستكنه بعد حركة كاظمة بعد نطق ليعظكم هدوئي وخفوت اطرافي انه اوعظ لكم من نطق البليغ ودعتكم وداع امرئ مرصد لتلاق وغدا ترون ويكشف عن ساق عليكم السلام الى يوم المرام كنت بالامس صاحبكم واليوم عظة لكم وغدا افارقكم ان افق فانا ولي دمي وان امت فالقيامة ميعادي والعفو اقرب للتقوى الا تحبون

ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم ومن خطبه قبل هذا وتزهيده في هذه الدنيا قوله في بعض مقاماته

بشابه الشعر الاحم أعاره القمر المنير الطالق نور شعاعه
ولربما جد النجيع من الطلى * فى صارم المنصور يوم قراعه
فكأنه غير مخالف فى لونه * لا فى روائحه وطيب طباعه

وقال فى القمر حين جعل يختفى بالسحاب و يبدو أمام المنصور

أرى بدر السماء يلوح حينا * فيظهر ثم يلتحف السحابا
وذلك انه لما تبدى * وأبصر وجهك استحيا وغابا

وقال الحجارى فى المسهب سألت أبا الحسن على بن حفص الجزيرى أن ينشدنى شيأ من شعره فقال يا أبا محمد اذا لم ينظم الانسان مثل قول شرف

لم يبق للجور فى أيامكم أثر * الا الذى فى عيون الغيد من حور

فالاولى له أن يترك نظم الشعر الى أن خرجت معه يوما الى سيف الجزيرة الخضراء فلقى غلاما قد كدر رونق حسنه السفر وأثر فى وجهه كآثار الكلف فى القمر فصافحه ثم قال

بأبى الذى صافحته فتوردت * وجناته وأنا نحوى قده
قد بدا كلف السرى فى خده * لما توالى فى الترحل جهده
لكن معالم حسنه تمت كما * قد تم فى صدا الحسام فرنده

فحفظتها من سمعه ثم قلت له قد أخذت عنك من نظمك بغير شكرك فضحك وقال فاحفظ هذا وأنشد

لا تقولن فلان * صاحب قبل اختبار
وانتظروا بحك نقد الليل فيه والنهار
أنا جربت فلم ألف صديقا باختيارى

وأنشد

كم قد بكرت الى الرياض وقضبها * قد ذكرتنى موقف العشاق
ياحسنها والريح يلحف بعضها * بعضا كاعناق الى اعناق
والورد خد والاقاحى مبسم * وغدا البهار ينوب عن احداق
لم انفصل عنها بكاس مدامة * حتى حملت محاسن الاخلاق

ولما كتب ابو الحسن بن سعيد الى الاديب القائد ابى العباس احمد بن بلال يستدعيه ليوم انس بقوله

اباالعباس لو ابصرت حولى * ندامى بادروا العيش الهنيا
يبيحون المدام ولا انتقاد * ووقارهم و يزدادون غيا
وهم مع ما بدا لك من عفاف * يحبون الصبية والصبيا
و يهوون المثالث والمثانى * وشرب الراح صبحا او عشيا
على الروض الذى يهدى لطرف * وانف منظرا بهجا وريا
فلا تلم السرى على ارتياح * حكى طيرا بجانبه سريا
وبادر نحو نادمك الامين * نداك فقد عهدتك لوذعيا

اجابه بقوله

ابيت سوى المعالى يا عليا * فما تنفك دهرك اريحيا

وخطبه ان الدنيا قد ادبرت وآذنت بوداع وان الآخرة قد اشرفت واقبلت باطلاع وان المضمار اليوم والسباق غداً ألا وانكم فى ايام امل وراءه اجل فمن اخلص فى ايام امله قبل حضور اجله فقد حسن عمله فاعملوا لله فى الرغبة كما تعملون فى الرهبة الا وانى لم ار كالجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها الا وانه من لم ينفعه الحق يضره الباطل ومن لا يستقيم له الهدى يجر به الضلال وقد امرتم بالظعن ودللتم على الزاد فان اخوف ما اخاف عليكم اتباع الهوى وطول الامل * وفضائل على ومقاماته ومناقبه ووصف زهده ونسكه اكثر من ان يأتى عليه كتابنا هذا او غيره من الكتب او يبلغه اسهاب مسهب او اطناب مطنب وقد اتينا على جمل من اخباره وزهده وسيره وأنواع من كلامه وخطبه فى كتابنا المترجم بكتاب حدائق الاذهان فى أخبار آل محمد عليه الصلاة والسلام وفى كتاب مزاهر الاخبار وطرائف الآثار للصفوة النورية والذرية الزكية أبواب الرحمة وينابيع الحكمة (قال المسعودى) والاشياء التى استحق بها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الفضل هى السبق الى الايمان والهجرة والنصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والقربى منه والقناعة وبذل النفس له

تميل اذا النسيم سرى كغصن * وتسرى للمكارم مشرفيا
وترتاح ارتياحا بالمثانى * وتقتض الصبية والصبيا
وتهوى الروض قلده نداه * والبسه مع الحلل الحليا
وان غنى الحمام فلا اصطبار * وان خفق الخليج فنيت حيا
تذكرنى الشباب فلست ادرى * اصبحا حين تذكر ام عشيا
فلو ادركتنى والغصن غض * لادركت الذى تهوى لديا
ولم اترك وحقك قدر لحظ * وقد ناديتنى ذاك النديا

وقال بعض اهل الاندلس

وفرع كان يوعدنى بأسر * وكان القلب ليس له قرار
فنادى وجهه لا خوف فاسكن * كلام الليل يمحوه النهار

ولست على يقين أن قائلهما أندلسى غير أنى رأيت فى كلام بعض الافاضل نسبتهما لاهل الاندلس والله تعالى أعلم * وقال أبو الوليد القسطلى

وفوق الدوحة الغناء غدير * تلألأ صفحة وصفا قرارا
اذا ما انصب أزرق مستقيما * تدوّر فى البحيرة فاستدارا
يجرده فم الانبوب صلتا * حساما ثم يفلته سوارا

ولابى كثير الطريفى يمدح الناصر بن المنصور

فتوح لها بين شرق ومغرب * كما اطردت فى السمهرية أكعب
تجلت على الدنيا شموس منيرة * فلم يبق فى ليل الكآبة غيهب
أقام بها الاسلام شدو مغرد * وظلت بأرض الشرك بالخطب تخطب
فلا سمع الا وهو قد مال نحوها * ولا قلب الا فى مناها يقلب

وقال أبو عامر بن الجد

لله ليلة مشتاق ظفرت بها * قطعتها بوصال اللثم والقبل
نعمت فيها بأوتار تعللنى * أحلى من المن أو امنية الغزل
أحبب الى بها اذ كلها سحر * أراحت الصب من عذر ومن عذل

وقال الكاتب أبو عبد الله محمد الشبلى كاتب ملك افريقية عبد الواحد بن أبى حفص

مد الى الكاس من لحظه * لا يحوج الشرب الى الكاس
ومنذ حيانى بآس فلم * أيأس ولكن كان لى آسى
وقال لولا الناس قبلته * ما أشأم الناس على الناس

وقال أبو بكر محمد بن المليح وهو من رجال الذخيرة على لسان حال سوار مذهب

أنا من الفضة البيضاء خالصة * لكن دهتنى خطوب غيرت جسدى
علقت غصنا على أحوى فأجسدنى * جرى الوشاح وهذى صفرة الجسد

وما أحسن قوله من قصيدة فى المعتضد والد المعتمد

غرته الشمس والحمائل * بينهما اللجين قوس قزح

والعلم بالكتاب والتنزيل والجهاد فى سبيل الله والورع والزهد والقضاء والحكم والعفة والعلم وكل ذلك لعلى عليه السلام منه النصيب الاوفر والحظ الاكبر الى ما ينفرد به من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين آخى بين أصحابه أنت أخى وهو صلى الله عليه وسلم لا ضد له ولا ند وقوله صلوات الله عليه أنت منى بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبى بعدى وقوله عليه الصلاة والسلام من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ثم دعاؤه عليه السلام وقد قدم اليه أنس الطائر اللهم أدخل الى احب خلقك اليك يأكل معى من هذا الطائر فدخل عليه على الى آخر الحديث فهذا وغيره من فضائله وما اجتمع فيه من الخصال مما تفرق فى غيره وله كل فضائل من تقدم وتأخر وقبض النبى صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم مخبر عن بواطنهم بموافقتها لظواهرهم بالايمان وبذلك نزل التنزيل وتولى بعضهم بعضا فلما قبض الرسول صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحى حدثت أمور تنازع الناس فى صحتها ولا يقطع عليهم بها واليقين من أمورهم ما تقدم وما روى مما كان فى احداثهم بعد نبيهم صلى الله عليه وسلم فغير متيقن بل هو ممكن ونحن نعتقد

وأما ابنه أبو القاسم فهو من رجال المسهب وكان اشتغل أول أمره بالزهد وكتب التصوف فقال له أبوه يا بني هذا الأمر ينبغي أن يكون آخر العمر وأما الآن فينبغي أن تعاشر الأدباء والظرفاء وتأخذ نفسك بقول الشعر ومطالعة كتب الأدب فلما عاشرهم زينوا له الراح فتهتك في الخلاعة وفر الى اشبيلية وتزوج بامرأة لا تليق بحاله وصار يضرب معها بالدف فكتب اليه أبوه

يا محنة الحسين يا بنيا * ليتك ما كنت لي بنيا
أبكيت عيني أطلت حزني * أمتّ ذكرى وكان حيا
حططت قدري وكان أعلى * في كل حال من الثريا
أما كفاك الزنا ارتكابا * وشرب مشمولة الحميا
حتى ضربت الدفوف جهراً * وقلت للشرّ جئ اليا
فاليوم أبكيك ملء عيني * ان كان يغني البكاء شيا

فأجاب أباه بقوله

يا لائم الصب في التصابي * ما عنك يغني البكاء شيا
أوجفت خيل العتاب نحوي * وقبل وتبتها اليا
وقلت هذا قصير عمر * فاربح من الدهر ما تهيا
قد كنت أرجو المتاب عما * فتنت جهلا به وغيا
لولا ثلاث شيوخ سوء * أنت وابليس والحميا

وقال أبو بكر محمد بن عبد القادر الشبلي يستدعي

فديتك يا كرخو قبة روضة * تسجع بها الامواه والطير تهتف
وقد طلعت شمس الدنان بأفقها * ونحن لديها في انتظارك وقف
فلا تتخلف ساعة عن محلة * صدودك عمن حل فيها تخلف

وقال أخو امام نحاة الاندلس أبي محمد عبد الله بن السيد البطليوسي وهو أبو الحسن علي ابن السيد

يا رب ليل قد هتكت حجابه * بزجاجة وقادة كالكوكب
يسعى بها ساق أغن كأنها * من خده ورضابه فيه الاشنب
بدران بدر قد أمنت غروبه * يسعى ببدر جانح للمغرب
فاذا نعمت برشف بدر طالع * فانعم ببدر آخر لم يغرب
حتى ترى زهر النجوم كأنها * حول المجرة ربرب في مسرب
والليل منحفز يطير غرابه * والصبح يطرده ببازٍ أشهب

ولما مدح أبو بكر محمد بن الروح الشلبي الامير ابراهيم الذي خطب به الفتح في القلائد وهو ابن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وكان يدل عليه وينادمه بقصيدته التي أولها

أنا شاعر الدنيا وأنت أميرها * فما لي لا يسري الى سرورها

أشار الامير الى مضحك له كان حاضراً أن يخبق له القول أنا شاعر الدنيا فقال له ابن الروح على

من

فيهم ما تقدم والله أعلم بما حدث والله ولي التوفيق *(ذكر خلافة الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه)*

ثم بويع الحسن بن علي ابن أبي طالب بالكوفة بعد وفاة علي أبيه بيومين في شهر رمضان من سنة اربعين ووجه عماله الى السواد والجبل وقتل الحسن عبد الرحمن بن ملجم على حسب ما ذكرنا ودخل معاوية الكوفة بعد صلح الحسن بن علي لخمس بقين من شهر ربيع في سنة احدى وأربعين وكانت وفاة الحسن وهو يومئذ ابن خمس وخمسين سنة بالسم ودفن بالبقيع مع امه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ولي التوفيق

(ذكر لمع من أخباره وسيره رضي الله عنه)

حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال دخل الحسين على عمي الحسن بن علي لما سقي السم فقام لحاجة الانسان ثم رجع فقال لقد سقيت السم عدة مرار فما سقيت مثل هذه لقد لفظت طائفة من كبدي فرأيتني أقلبه بعود في يدي فقال له الحسين يا أخي من سقاك قال وما تريد بذلك فان كان الذي أظنه فالله حسيبه وان كان غيره فما أحب ان يؤخذ بي بريء فلم يلبث بعد ذلك الا ثلاثا حتى

معاوية دس اليها انك ان احتلت في قتل الحسن وجهت اليك بمائة ألف درهم وزوجتك يزيد فكان ذلك الذي بعثها على سمه فلما مات وفى لها معاوية بالمال وارسل اليها انا نحب حياة يزيد ولولا ذلك لوفينا لك بتزويجه (وذكر) ان الحسن قال عند موته لقد حاقت شربته وبلغ امنيته والله ماوفى بما وعد ولا صدق فيما قال وفي فعل جعدة يقول النجاشي الشاعر وكان من شيعة علي في شعر له طويل

جعدة بكيه ولا تسأمي ... بعد بكاء المعول الثاكل
لم يسبل الستر على مثله ... في الارض من حاف ومن ناعل
كان اذا شبت له ناره ... يرفعها بالسند الغاتل
كيما يراها بائس مرمل ... وفرد قوم ليس بالآهل
يغلي بنيء اللحم حتى اذا ... أنضج لم يغل كل آكل
اعني الذي اسلمنا هلكه ... للزمن المستخرج الماحل

وفي ذلك يقول آخر من شيعة علي رضي الله عنه

تأس فكم لك من سلوة ... تفرج عنك غليل الحزن
بموت النبي وقتل الوصي ... وقتل الحسين وسم الحسن

(قال المسعودي رحمه الله) ووجدت في كتاب الاخبار لابي الحسن علي بن محمد بن سليمان النوفلي

من خبقت يعني انه يحتمل أن يكون ذلك الفعل لقوله أنا شاعر الدنيا أو لقوله وأنت أميرها ففطن الامير لما قصده وضحك وتغافل * وقال أبو بكر بن المنخل الشلبي

كم ليلة دارت علي كواكب * للخمر تطلع ثم تغرب في فمي
قبلتها في كف من يسعى بها * وخلطت قبلتها بقبلة معصم
وكأن حسن بنانه مع كاسه * غيم يشير لنا ببعض الانجم

وقال ذو الوزارتين أبو بكر بن عمار

قرأت كتابك مستشفعا * بوجه أبي الحسن من رده
ومن قبل فض ختام الكتاب * قرأت الشفاعة في خده

وقال

غزا القلوب غزال * حجت اليه العيون
قد خط في الخد نونا * وآخر الحسن نون

قال الحجاري واكثار ابن عمار في المعذرين واحسانه فيهم يدل على انه كما قيل عنه كان مشغوفا بالكاس والاستلقاء من غير نعاس * وكان أبو الفضل بن الاعلم من أجمل الناس وأذكاهم في علم الادب والنحو وأقرأ علم النحو قبل أن يلتحي فقال ابن صارة فيه

أكرم بجعفر المبيب فانه * ما زال يوضح مشكل الايضاح
ماء الجمال بخده مترقرق * فالعين منه تجول في ضحضاح
ماخده جرحته عيني انما * صبغت غلالته دماء جراحي
لله زاي زبرجد في عسجد * في جوهر في كوثر في راح
ذي طرة سبجية ذي غرة * عاجية كالليل والاصباح
رشأ له خد البري ولحظه * ابدا شريك الموت في الارواح

وقال الرمادي

ونور غيث مسبل * وقهوة تسلسل
تدور بين فتية * بخلقهم تمثل
والافق من سحابه * طل ضعيف ينزل
كأنه من فضة * برادة تغربل

وقال

بدر بدا يحمل شمسا بدت * وخدها في الحسن من خده
تغرب في فيه ولكنها * من بعد ذا تطلع في خده

ومن نظم أبي الفضل بن الاعلم السابق الذكر

وعشية كالسيف الاحده * بسط الربيع بها النعلي خده
عاطيت كاس الانس فيها واحدا * ما ضره أن كان جمعا وحده

وهو جعفر ابن الوزير أبي بكر محمد ابن الاستاذ الاعلم من رجال القلائد والمسهب وسمط الجمان وكان قاضي شنتمرية والاستاذ الاعلم هو امام نحاة زمانه ابو الحجاج يوسف بن عيسى من رجال الصلة والمسهب والسمط وهو شارح الاشعار الست ومن نظمه يخاطب المعتمد بن عباد

يامن تملكني بالقول والعمل * ومبلغي في الذي املته أملي

كيف الثناء وقد أعجزتني نعما * مالي بشكري عليها الدهر من قبل
وفعت للعود أعلاما مشهورة * فبابك الدهر منها عامر السبل

وقال أبو علي ادريس بن اليمان العبدري

قبلة كانت على دهش * اذهبت مابي من العطش
ولها في القلب منزلة * لوعدتها النفس لم تعش
طرقتني والدجا لبست * خلعا من جلدة الحنش
وكأن النجم حين بدا * درهم في كف مرتعش

وساله المعتضد أن يمدحه بقصيدة يعارض بها قصيدته السينية التي مدح بها ابن حمود فقال له اشعاري مشهورة و بنات صدري كريمة فمن أراد أن ينكح بكرها فقد عرف مهرها وكانت جائزته مائة دينار ومن مشهور شعره بالمغرب والمشرق قوله

ثقلت زجاجات أتتنا فـــــرغا * حتى اذا ملئت بصرف الراح
خفت فكادت أن تطير بما حوت * وكذا الجسوم تخف بالارواح

وكانت بين الاديب الحسيب أبي عمرو بن طيفور والحافظ ابي الهيثم مهاجاة فقال فيه الحافظ

لابن طيفور قريض * فيه شوك وغموض
عدمت فيه القوافي * والمعاني والعروض

وقال فيه ابن طيفور

انما الهيثم سفر * من كلام الناس ضخم
لا تطالبه بفهم * ليس للديوان فهـــم

وقال أبو عمران بن سعيد اخبرني والدي انه زار ابن حمدين بقرطبة في مدة يحيى بن غانية فوجدته في هالة من العلماء والادباء فقام وتلقاني ثم قال يا أبا عبد الله ما هذا الجفاء فاعتذرت بأني أخشى التثقيل وأعلم أن سيدي مشغول بما هو مكب عليه فأطرق قليلا ثم قال

لو كنت تهوانا طلبت لقاءنا * ليس المحب عن الحبيب بصابر
فدع المعاذر انما هي جنة * لمخادع فيها ولست بعاذر

فقلت تصديق سيدي عندي أحب الي وان ترتبت على فيه الملامة من منازعته منتصر الحق فاستحسن جوابي وقال لي كرره فانه والله ماح لكل ذنب ثم سألته كتب البيتين عنه فقال لي وما تكتب فيهما فقلت لاحد ما أخبر به والدي اذا أبت اليه فأملاهما علي فقلت من قائلهما قال قائلهما فعلمت أنهما له وقنعت بذلك * وقال الحجاري صاحب المسهب في أخبار المغرب

كم بت من أسر السهاد بليلة * ناديت فيها هل لجنحك آخر
اذ قام هذا الصبح يشهر ملة * حكمت بأن ذبح الظلام الكافر

وعلى ذكر المسهب فقد كنت كثيرا ما أستشكل هذه التسمية لما قال غير واحد ان المسهب انما هو بفتح الهاء كقولهم سيل مفعم بفتح العين والفقرة الثانية وهي المغرب تقتضي أن

محمد بن علي بن عبد الله بن العباس عن أبيه عن جده عن العباس بن عبد المطلب قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبل علي بن أبي طالب فلما رآه اسفر في وجهه فقلت يا رسول الله انك لتسفر في وجه هذا الغلام فقال يا عم رسول الله والله لله أشد حبا له مني ولم يكن نبي الا وذريته الباقية بعده من صلبه وان ذريتي بعدي من صلب هذا انه اذا كان يوم القيامة دعي الناس باسمائهم واسماء امهاتهم سترا من الله عليهم الا هذا وشيعته فانهم يدعون باسمائهم وأسماء آبائهم لصحة ولادتهم ولما دفن الحسن رضي الله عنه وقف محمد بن الحنفية اخوه على قبره فقال لئن عزت حياتك لقد هدت وفاتك ولنعم الروح روح تضمنه كفنك ولنعم الكفن كفن تضمن بدنك وكيف لا تكون هكذا وأنت عقبة الهدى وخلف أهل التقوى وخامس أصحاب الكساء غذتك بالتقوى أكف الحق وارضعتك ثدى الايمان وربيت في حجر الاسلام فطبت حيا وميتا وان كانت انفسنا غير سخية بفراقك رحمك الله أبا محمد (ووجدت) في وجه آخر

يكون بكسر الهاء ولم يزل ذلك يتردد فى خاطرى الى أن وقفت على سؤال فى ذلك رفعه المعتمد ابن عباد سلطان الاندلس الى الفقيه الاستاذ أبى الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى النحوى الشنتمرى المشهور بالاعلم ونص السؤال سألك أبقاك الله الوزير الكاتب أبو عمرو بن غطمش سلمه الله عن المسهب وزعم أنك تقول بالفتح والكسر والذى ذكر ابن قتيبة فى ادب الكاتب والزبيدى فى مختصر العين أسهب الرجل فهو مسهب اذا أكثر الكلام بالفتح خاصة فبين لى أبقاك الله تعالى ما تعتقد فيه والى أى كتاب تسند القولين لاقف على صحة من ذلك فأجابه وصل الى أدام الله تعالى توفيقك هذا السؤال العزيز ووقفت على ما تضمنه والذى ذكرته من قول ابن قتيبة والزبيدى فى الكتابين موضوع كما ذكرته والذى احفظه وأعتقده أن المسهب بالفتح المكثر فى غير صواب وأن المسهب بالكسر البليغ المكثر فى الصواب الا أنى لا أسند ذلك الى كتاب بعينه ولكنى أذكره عن أبى على البغدادى عن كتاب البارع أو غيره معلقا فى عدة نسخ من كتاب البيان والتبيين على بيت فى صدره لمكى بن سوادة وهو

حصر مسهب جرى جبان * خير عى الرجال عى السكوت

والمعلقة تقول العرب أسهب الرجل فهو مسهب وأحصن فهو محصن وألفج فهو ملفج اذا افتقر قال الخليل يقال رجل مسهب ومسهب قال أبو على أسهب الرجل فهو مسهب بالفتح اذا أكثر فى غير صواب وأسهب فهو مسهب بالكسر اذا أكثر واصاب قال ابو عبيدة أسهب الرجل فهو مسهب اذا أكثر من خرف وتلف ذهن وقال ابو عبيد عن الاصمعى اسهب الرجل فهو مسهب بالفتح اذا خرف وأهتر فان أكثر من الخطا قيل افند فهو مفند انتهت المعلقة فرأى مولاى أبدك الله تعالى واعتقاده أن المسهب بالفتح لا يوصف به البليغ المحسن ولا المكثر المصيب ألا ترى الى قول الشاعر حصر مسهب انه قرن فيه المسهب بالحصر وذمه بالصفتين وجعل المسهب أحق بالعى من الساكت والحصر فقال

*خير عى الرجال عى السكوت * والدليل على أن المسهب بالكسر يقال للبليغ المكثر فى الصواب أنهم يقولون للجواد من الخيل مسهب بالكسر خاصة لانها بمعنى الاجادة والاحسان وليس قول ابن قتيبة والزبيدى فى المسهب بالفتح هو المكثر من الكلام بموجب أن المكثر هو البليغ المصيب لان الاكثار من الكلام داخل فى معنى الذم لانه من الثرثرة والهذر ألا تراهم قالوا رجل مكثار كما قالوا ثرثار ومهذار وقال الشاعر

*فلا تمارون ان ماروا باكثار * فهذا ما عندى والله تعالى الموفق للصواب قال الاعلم ثم نظمت السؤال العزيز والجواب المذكور فقلت

سلام الاله وريحانه * على الملك المجتبى المنتخل
سلام امرئ ظل من سيبه * خصيب الجناب رحيب المحل
أتانى سؤالك أعزز به * سؤال مبر على من سال
يسائل عن حالتى مسهب * ومسهب المبتلى بالعلل
لما اختلفا فى بنائيهما * وحكمهما واحد فى فعل

من الروايات فى اخبار أهل البيت ان محمدا وقف على قبره فقال ابا محمد لئن طابت حياتك لقد فجع مماتك وكيف لا تكون كذلك وانت خامس أهل الكساء وابن محمد المصطفى وابن على المرتضى وابن فاطمة الزهراء وابن شجرة طوبى ثم انشأ يقول رضى الله عنه

أأدهن رأسى ام تطيب مجالسى * وخدك معفور وانت سليب
أأشرب ماء المزن من غير مائه * وقد ضمن الاحشاء منك لهيب
سأبكيك ما ناحت حمامة ايكة * وما اخضر فى دوح الحجاز قضيب
غريب واكناف الحجاز تحوطه * الا كل من تحت التراب غريب

(ووجدت) فى بعض كتب التواريخ فى اخبار الحسن ومعاوية ان خلافة الحسن صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدى ثلاثون سنة لان ابا بكر الصديق رضى الله عنه تقلدها سنتين وثلاثة اشهر وثمانية أيام وعمر رضى الله عنه عشر سنين وواحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما وعثمان رضى الله عنه احدى عشرة سنة واحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما وعلى رضى الله عنه اربع سنين وتسعة اشهر ويوما والحسن رضى الله

أتى ذاعلى مفعل لم يعل * وذاك على مفعل قد أعل

فقلت مقالا على صدقه * شهيد من العقل لا يستزل

بناء البليغ أتى سالما * سلامته من فضول الخطل

واسهب ذاك مسيئا فزل * ذليلا ثنى متنه فانخذل

وأحسن ذا فخرى وصفه * على سنن المحسن المستقل

فهذا مقالى مستبصرا * ولست كمن قال حدسا فضل

تقلدت فى رأيه مذهبا * يخصك بين الظبا والاسل

سموك فى الروع مستشرفا * الى مهجة المستميت البطل

كانك فيها هلال السما * يزيد بهاء اذا ما أهل

بل أنت مطل كبدر السما * يضئ الظلام اذا ما أطل انتهى

قلت رأيت فى بعض الحواشى الاندلسية أن ابن السكيت ذكر فى بعض كتبه فى بعض ما جعله بعض العرب فاعلا وبعضهم مفعولا رجل مسهب ومسهب لكثير الكلام وهذا يدل على انهما بمعنى واحد انتهى * وسأل بعض الادباء الاستاذ الاعلم المذكور عن المسئلة الزنبورية المقترنة بالشهادة الزورية الجارية بين سيبويه والكسائى أو الفراء والقضاء بينهم فيها وهى ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو هى أو اياها وعن نسب سيبويه هل هو صريح أو مولى وعن سبب لزومه الخليل بعد أن كان طلب الحديث والتفسير وعن علة تعرضه لمناظرة الكسائى والفراء وعن كتابه الجارى بين الناس هو هل أول كتاب أو أنشأه بعد كتاب أول ضاع كما زعم بعض الناس فأجاب أما المسئلة الزنبورية المأثورة بين سيبويه والكسائى أو بينه وبين الفراء على حسب الاختلاف فى ذلك بحضرة الرشيد أو بحضرة يحيى بن خالد البرمكى فيما يروى فقد اختلفت الرواة فيها فمنهم من زعم أن الكسائى أو الفراء قال لسيبويه كيف تقول ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو هى أو اياها فاجاب سيبويه بعد أن اطرق شيأ فاذا هو اياها فى بعض الاقاويل وزعم آخرون انه قال فاذا هو هى ففيها من الاختلاف عنهم ما ترى فان كان أجاب باذا هو هى فقد أصاب لفظا ومعنى ولم تدخل عليه فى جوابه شبهة ولا علقة لمعترض لان اذا فى المسئلة من حروف الابتداء المتضمنة للتعليق بالخبر فاذا اعتبرت المضمرين بعدها بالاسمين المظهرين لزمك أن تقول فاذا الزنبور العقرب أو اللسعة اللسعة أى مثلها سواء فلو قلت فاذا هو اياها بنصب الضمير الاخير للزمك ان تقول فاذا الزنبور العقرب بالنصب وهذا لا وجه له فاذا لم يجز نصب الخبر المظهر فكيف يجوز نصب الخبر المضمر الواقع موقعه ويروى فى المسئلة أن الكسائى أو الفراء قال لسيبويه بعد أن اجاب برفع الضميرين على ما اوجبه القياس كيف تقول يا بصرى خرجت فاذا زيد قائم أو قائما فقال سيبويه أقول قائم ولا يجوز النصب فقال الكسائى أقول قائم وقائما والقائم والقائم بالرفع والنصب فى الخبر مع النكرة والمعرفة فأول الكسائى والفراء فى اختيارهما فاذا هو اياها حمل الخبر المضمر فى النصب على الخبر المظهر مع الاعراب بوجه النصب فكانه قال فاذا الزنبور العقرب كما تقول فاذا زيد قائما

عنه ثمانية اشهر وعشرة ايام فذلك ثلاثون سنة (وحدث) محمد بن جرير الطبرى عن محمد بن حميد الرازى عن على بن مجاهد عن محمد بن اسحق عن الفضل بن العباس بن ربيعة قال وفد عبد الله بن العباس على معاوية قال فوالله انى لفى المسجد اذ كبر معاوية فى الخضراء فكبر أهل الخضراء ثم كبر اهل المسجد بتكبير اهل الخضراء فخرجت فاختة بنت قرظة بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف من خوخة لها فقالت سرك الله يا امير المؤمنين ما هذا الذى بلغك فسررت به قال موت الحسن بن على فقالت انا لله وانا اليه راجعون ثم بكت وقالت مات سيد المسلمين وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاوية نعما والله ما فعلت انه كان كذلك اهلا ان يبكى عليه ثم بلغ الخبر ابن عباس رضى الله عنهما فراح فدخل على معاوية قال علمت يا ابن عباس أن الحسن توفى قال الذلك كبرت قال نعم قال والله ما موته بالذى يؤخر اجلك ولا حفرته بسادة حفرتك ولئن اصبنا به فقد اصبنا بسيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين ثم بعد بسيد الاوصياء فجبر الله تلك المصيبة ورفع تلك العبرة فقال ويحك يا ابن عباس ما كلمتك الا وجدتك معدا

فيجرى

فيجرى المعرفة فى النصب مجرى النكرة وقولهما فى هذا خطأ من جهتين احداهما أن نصب الخبر بعد اذا لا يكون الا بعد تمام الكلام الاول فى الاسم مع حرف المفاجأة ومع كون الخبر نكرة كقولك خرجت فاذا زيد قائم لانك لو قلت خرجت فاذا زيد تم الكلام لتعلق المفاجأة بزيد على معنى حضوره ثم تبين حاله فى المفاجأة المتعلقة به فتقول قائما أى خرجت ففاجأنى زيد فى هذا الحال وقوله فى المسئلة اياها لا يتم الكلام فى الاسم الاول دونها الا ترى أنك لو قلت ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو وسكت لم يتم الكلام أولا ولا أفدت بذكر المفاجأة وتعليقها بالزنبور فائدة وانما المفاجأة للضمير الآخر فلابد من ذكره والاعتماد عليه وهذا يوجب الرفع فى الخبر لان الظرف له لا للمخبر عنه فهذا بين واضح والجهة الاخرى فى غلطهما ان اياها معرفة والحال لا تكون الا نكرة فقد اجتمع فى قولهما أن أتيا بحال لم يتم الكلام دونها معرفة والحال لا تكون الا بعد تمام الكلام ومع التنكير فقد تبين خطؤهما واصابة سيبويه فى لزوم الرفع فى الخبر فقط وأما من زعم عن سيبويه انه قال خرجت فاذا زيد قائم بالرفع لا غير فباطل وكيف ينسب اليه وهو علمنا أن الظرف اذا كان مستقرا للاسم المخبر عنه نصب الخبر واذا كان مستقر اللخبر رفع الخبر ونحن نقول خرجت فاذا زيد فيتم الكلام ونظرت فاذا الهلال طالع فيتبعه الخبر رفعا كما تقول فى الدار زيد قائم وقائما واليوم سيرك سريع وسريعا ولكن الخبر اذا كان الظرف له ولم يتعلق الا به لم يكن الا رفعا كقولك اليوم زيد منطلق وغدا عمرو خارج لان الظرف لا يكون مستقر اللاسم المخبر عنه اذا كان زمانا والمخبر عنه جثة وكذلك المفاجأة اذا كانت للخبر لم يكن الا مرفوعا معرفة كان أو نكرة فاذا كانت للمخبر عنه والخبر نكرة انتصب على الحال فجرى قولك ظننت ان العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو هى وظننت زيدا عالما فاذا هو جاهل فى لزوم الرفع فى الخبر مجرى اليوم زيد منطلق وغدا عمرو خارج كما جرى خرجت فاذا زيد قائم وقائما فى جواز الرفع والنصب مجرى فى الدار زيد جالس وجالسا فتأمل الفرق بينهما وحصله فان النحويين المتقدمين والمتأخرين قد أغفلوا الفرق بين المفاجأتين وأما نصب الخبر المعرفة بعد اذا تم الكلام أو لم يتم فباطل لا تقوله العرب ولا يجيزه الا الكوفيون وان كان سيبويه رحمه الله تعالى اجاب بقوله فاذا هو اياها كما روى بعضهم فظاهر جوابه مدخول لما قدمت جوابه والخطأ فيه بين من جهة القياس كما ذكرنا فان كان قاله والتزمه دون الرفع فقد أخطأ خطأ لا مخرج له منه وان كان قد قاله وهو يرى ان الرفع أولى وأحق الا انه آثر النصب للاعراب حملا على المعنى الخفى دون ما يوجبه القياس واللفظ الجلى فلجوابه عندى وجهان حسنان أحدهما أن يكون الضمير المنصوب وهو اياها كناية عن اللسعة لا عن العقرب والضمير المرفوع كناية عن الزنبور فكانه قال ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا الزنبور لسعة العقرب أى فاذا الزنبور يلسع لسعة العقرب فاختزل الفعل لما تقدم من الدليل عليه بعد أن أضمر اللسعة متصلة بالفعل فكانه قال فاذا الزنبور يلسعها فاتصل الضمير بالفعل لوجوده فلما اختزل الفعل انفصل الضمير لعدم الفعل ونظير هذا من كلام العرب قولهم انما أنت شرب الابل أى انما أنت تشرب شرب الابل فاختزل الفعل وبقى عمله فى المصدر ولم

(وفى نسخة) انه لما صالح الحسن معاوية كبر معاوية فى الخضراء وكبر أهل الخضراء ثم كبر اهل المسجد بتكبير أهل الخضراء فخرجت فاختة بنت قرظة من خوخة لها فقالت سرك الله يا امير المؤمنين ما هذا الذى بلغك قال اتانى البشير بصلح الحسن وانقياده فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابنى هذا سيد أهل الجنة وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين فالحمد لله الذى جعل فئتى احدى الفئتين ولما صالح الحسن معاوية لما ناله من اهل الكوفة وما نزل به أشار عمرو بن العاص على معاوية وذلك بالكوفة أن يأمر الحسن فيقوم فيخطب الناس فكره ذلك معاوية وقال ما أريد أن يخطب قال عمرو لكنى أريد أن يبدو عيه فى الناس بانه يتكلم فى امور لا يدرى ما هى ولم يزل به حتى أطاعه فخرج معاوية فخطب الناس وأمر رجلا أن ينادى بالحسن بن على فقام اليه فقال قم يا حسن فكلم الناس فتشهد فى بديهته ثم قال أما بعد أيها الناس فان الله هدا كم باولنا وحقن دماءكم بآخرنا وان لهذا الامر مدة والدنيا دول قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان أدرى اقريب ام بعيد ماتوعدون

برفع لانه غير الاسم الاول فلو أضمرت شرب الابل لاتصل الضمير بالفعل فلو حذفته لانفصل الضمير فقلت انما أنت اياه فتدبره تجده منقادا صحيحا والوجه الآخر أن يكون قوله فاذا هو اياها محمولا على المعنى الذى اشتمل عليه أصل الكلام من ذكر الظن أولا وآخرا لان الاصل فى تأليف المسئلة ظننت أن العقرب اشد لسعة من الزنبور فلما لسعنى الزنبور ظننته هو اياها فاختصر الكلام لعلم المخاطب وحذف الظن آخرا لما جرى من ذكره أولا ودلت عليه اذا لما فيها من المفاجاة على الفعل الواقع بعدها الدالة على وقوع الشئ لوقوع غيره فاذا جاز حذف الكلام ايثارا للاختصار مع وجود الدليل على المحذوف كان قولنا فاذا هو اياها بمنزلة قولنا فلما لسعنى الزنبور ظننته هو اياها فحذف الظن مع مفعوله الاول وبقى الضمير الذى هو العماد والفصل مؤكدا للضمير المحذوف مع الفعل ودالا على ما يأتى بعده من الخبر المحتاج اليه فيكون فى حذف المخبر عنه لما تقدم من الدليل عليه مع الاتيان بالعماد والفصل المؤكد له المثبت لما بعده من الخبر المحتاج اليه مثل قوله ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم فحذف البخل الذى هو المفعول الاول لقوله يحسبن وبقى الضمير مؤكدا له مثبتا لما بعده من الخبر وجاز حذفه لدلالة يبخلون عليه والمعنى لا يحسبن الذين يبخلون البخل هو خيرا لهم فهو فى المسئلة عماد مؤكد لضمير الزنبور المحمول على الظن المضمر ومثبت لما يجىء بعده من الخبر الذى هو اياها فتفهمه فانه متمكن من جهة المعنى وجار من الاختصار لعلم المخاطب على قياس وأصل وشاهده القرآن فى الحذف واستعمال العرب النظائر وهى أكثر من أن تحصى فمنها قولهم ما أغفله عنك شيأ أى تثبت شيأ ودع الشك وقولهم لمن أنكر عليه ذكر انسان ذكره من أنت زيدا أى من أنت تذكر زيدا وربما قالوا من أنت زيد بالرفع على تقدير من أنت ذكرك زيد فحذفوا الفعل مرة وأبقوا عمله وحذفوا المبتدا أخرى وأبقوا خبره وكل ذلك اختصار لعلم المخاطب بالمعنى وكذلك قولهم هذا ولا زعماتك أى هذا القول والزعم الحق ولا أتوهم زعماتك فحذف هذا العلم السامع مع تحصل المعنى وقيامه عند المخاطب والحمل فى كلامهم على المعنى أكثر من أن يحصى فان كان الضمير الاول فى المسئلة للزنبور والضمير الآخر للعقرب لم يجز البتة الا رفع الضميرين بالابتداء والخبر على حد قولك ظننت زيدا عاقلا فاذا هو أحمق وحسبت عبد الله قاعدا فاذا هو قائم ولو تقدم ذكر الخبر والمخبر عنه لقلت فاذا هو هو ولم يجز فاذا هو اياه البتة ويجوز فى المسئلة أن تقول فاذا هى هو على التقديم والتأخير على حد قولك فاذا العقرب الزنبور أى سواء فى شدة اللسعة كما تقول خرجت فاذا قائم زيد على تقدير فاذا زيد قائم ويجوز أن يكون هو كناية عن اللسع بدلالة اللسعة عليه وتكون هى كناية عن اللسعة على تقدير فاذا اللسع الزنبور لسعة العقرب ويجوز فاذا هى هو على اضمار اللسعة واللسع والتقدير فاذا لسعة الزنبور لسع العقرب وهذا كله لا يجوز فيه الا الرفع عند البصريين لان الآخر هو الاول والخبر معرفة متعلق بالمفاجأة فلا يجوز فيه الحال والكوفيون يجيزون النصب كما تقدم وهو غلط بين وخطأ فاحش لا تقوله العرب ولا تعلق له بقياس فاعلمه ويجوز فى المسئلة فاذا هو هو على تقدير فاذا اللسع اللسع ويجوز فاذا هى هى على تقدير فاذا اللسعة اللسعة وفى هذا كفاية ان شاء الله تعالى * وأما

كلامه ذلك يا أهل الكوفة لم تذهب نفسى عنكم الا لثلاث خصال أذهلت مقتلكم لابى وسلبكم ثقلى وطعنكم فى بطنى وانى قد بايعت معاوية فاسمعوا له وأطيعوا وقد كان أهل الكوفة انتهبوا سرادق الحسن ورحله وطعنوا بالخنجر فى جوفه فلما تيقن ما نزل به انقاد الى الصلح وقد كان على رضى الله عنه وكرم الله وجهه اعتل فأمر ابنه الحسن رضى الله عنه أن يصلى بالناس يوم الجمعة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان الله لم يبعث نبيا الا اختار له نفسا ورهطا وبيتا فوالذى بعث محمدا بالحق لا ينتقص من حقنا أهل البيت أحد الا نقصه الله من عمله مثله ولا يكون علينا دولة الا وتكون لنا العاقبة ولتعلمن نبأه بعد حين * ومن خطب الحسن رضى الله عنه فى أيامه فى بعض مقاماته انه قال نحن حزب الله المفلحون وعترة رسول الله صلى الله عليه وسلم الاقربون وأهل بيته الطاهرون الطيبون وأحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانى كتاب الله فيه تفصيل كل شئ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والمعوّل عليه فى

نسب سيبويه ففارسي مولى لبني الحرث بن كعب بن علة بن خالدة بن مالك وهو مذحج واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر وكنيته أبو بشر ولقبه الذي شهر به سيبويه ومعناه بالفارسية رائحة التفاح وكان من أطيب الناس رائحة وأجملهم وجها وقيل معنى سي ثلاثون ومعنى بويه رائحة فكان معناه الذي ضوعف طيب رائحته ثلاثين مرة وأما سبب تعويله على الخليل في طلب النحو مع ما كان عليه من الميل الى التفسير والحديث فانه سأل يوما حماد بن سلمة فقال له أحدثك هشام بن عروة عن أبيه في رجل رعف في الصلاة بضم العين فقال له حماد أخطأت انما هو رعف بفتح العين فانصرف الى الخليل فشكا اليه ما لقيه من حماد فقال له الخليل صدق حماد ومثل حماد يقول هذا ورعف بضم العين لغة ضعيفة وقيل انه قدم البصرة من البيداء من قرى شيراز من عمل فارس وكان مولده ومنشؤه بها ليكتب الحديث ويرويه فلزم حلقة حماد بن سلمة فبينما هو يستملي على حماد قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس من أصحابي الا من لو شئت لاخذت عليه ليس أبا الدرداء فقال سيبويه ليس أبو الدرداء بالرفع وظنه اسم ليس فقال حماد لحنت يا سيبويه فقال سيبويه سأطلب علما لا تلحنني فيه فلزم الخليل وبرع في العلم * وأما سبب وفوده على الرشيد ببغداد وتعرضه لمناظرة الكسائي والفراء فلما كانا عليه من تمكن الحال والقرب من السلطان وعلو همته وطلبه للظهور ومع ثقته بعلمه لانه كان أعلم أهل زمانه وكان بينه وبين البرامكة أقوى سبب فوفد على يحيي بن خالد بن برمك وابنيه جعفر والفضل فعرض عليهم ماذهب اليه من مناظرة الكسائي فسعوا له في ذلك وأوصلوه الى الرشيد فجرى بينه وبين الكسائي والفراء ما ذكر واشتهر وكان آخر أمره ان الكسائي وأصحابه لما ظهروا عليه بشهادة الاعراب على حسب ما لقنوا أن قال يحيي بن خالد أو الكسائي للرشيد يا أمير المؤمنين ان رأيت أن لا يرجع خائبا فعلت فامر له بعشرة آلاف درهم وانصرف الى الاهواز ولم يعرج على البصرة وأقام هنالك مدة الى ان مات كمدا ويروى انه ذربت معدته فمات فيرون انه مات غما ويروى ان الكسائي لما بلغه موته قال للرشيد دِه يا أمير المؤمنين فاني أخاف ان أكون شاركت في دمه ولما احتضر وضع رأسه في حجر أخيه فقطرت دمعة من دموعه على خده فرفع عينيه وقال

أخيين كنا فرق الدهر بيننا * الى الامد الاقصى ومن يأمن الدهرا

ومات على السنة والجماعة رحمه الله تعالى * وأما كتابه الجاري بين الناس فلم يصح انه أنشأ بعد كتاب آخر قبله على أن ذلك قد ذكر فهذا ما حضر فيما سألت عنه فمن قرأه وأشرف فيه على تقصير فليبسط العذر فانه لساعتين من نهار املاء يوم الثلاثاء عشي النهار لثمان خلون من صفر سنة ٤٧٦ انتهى وقال الالبيري رحمه الله تعالى

لا شئ أخسر صفقة من عالم * لعبت به الدنيا مع الجهال
فغدا يفرق دينه أيدي سبا * ويذيله حرصا لجمع المال
لا خير في كسب الحرام وقلما * يرجى الخلاص لكاسب لحلال
فخذ الكفاف ولا تكن ذا فضلة * فالفضل تسئل عنه اي سؤال

كان أبو الفضل بن الاعلم من أحسن الناس وجها وأذكاهم في علم النحو والادب وأقرأ

كانت بطاعة الله والرسول وأولي الامر مقرونة فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ولو ردوه الى الرسول والى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم واحذروا كم الاصغاء لهتاف الشيطان انه لكم عدو مبين فتكونون كأوليائه الذين قال لهم لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني برئ منكم اني أرى ما لا ترون فتلقون للرماح ازرا وللسيوف جزرا وللعمد خطأ وللسهام غرضا ثم لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا والله أعلم

(ذكر خلافة معاوية ابن أبي سفيان)

بويع معاوية في شوال سنة احدى واربعين ببيت المقدس فكانت أيامه تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وتوفي في رجب سنة احدى وستين وله ثمانون سنة ودفن بدمشق بباب الصغير وقبره يزار في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وعليه بيت مبني يفتح كل يوم اثنين وخميس

(ذكر لمع من أخباره وسيره ونوادر من بعض أفعاله) وفي سنة ثلاث وخمسين قتل معاوية حجر بن عدي

النحو فى صباه وفيه يقول ابن صارة الاندلسى رحمه الله تعالى

أكرم بجعفر اللبيب فانه * مازال يوضح مشكل الايضاح
ماء الجمال بوجهه مترقرق * فالعين منه تجول فى ضحضاح
ماخده جرحته عيني انما * صبغت غلالته دماء جراحى
لله زاى زبرجد فى عسجد * فى جوهر فى كوثر فى راح
ذى طرة سجية ذى غرة * عاجية كالليل والاصباح
رشأ له خد البرىء ولحظه * أبدا شريك الموت فى الارواح

وقال محمد بن هانئ الاندلسى من قصيدة

السافرات كأنهن كواكب * والناعمات كأنهن غصون
ماذا على حلل الشقيق لوانها * عن لابسيها فى الخدود تبين
لأعطشن الروض بعدهم ولا * يرويه لى دمع عليه هتون
أأعير لحظ العين بهجة منظر * وأخونهم انى اذن لخؤن
لا الجو جو مشرق وان اكتسى * زهوا ولا الماء المعين معين
لا يبعدن اذ العبير له ثرى * والبان روح والشموس قطين
الظل لا متنقل والحوض لا * متكدر والأمن لا ممنون

وقال القسطلى فى اسطول أنشأه المنصور بن أبى عامر من قصيدة

تحمل منه البحر بحرا من القنا * يروع بها أمواجه ويهول
بكل ممالات الشراع كانها * وقد حملت أسد الحقائق غيل
اذا سابقت شأو الرياح تخيلت * خيولا مدى فرسانهن خيول
سحائب تزجيها الرياح فان وفت * أطافت بأجياد النعام فيول
ظباء سمام مالهن مفاحص * وورق حمام مالهن هديل
سواكن فى أوطانهن كأن سما * بها الموج حيث الراسيات نزول
كمارفع الآل الهوادج بالضحى * غداة استقلت بالخليط حمول
أراقم تحوى ناقع السم مالها * بما حملت دون العداة مقيل

وقد أطنب الناس فى وصف السفن وأطابوا وقرطسوا القريض وأصابوا وقد ذكرنا نبذة من ذلك فى هذا الكتاب * وقال أبو بحر صفوان بن ادريس التجيبى حدثنى بعض الطلبة بمراكش أن أبا العباس الجراوى كان فى حانوت وراق بتونس وهنالك فتى يميل اليه فتناول الفتى سوسنة صفراء وأومأ بها الى خديه مشيرا وقال أين الشعراء تحريكا للجراوى فقال ارتجالا

وعلوى الجمال اذا تبدى * أراك جبينه بدرا أنارا
أشار بسوسن يحكيه عرفا * ويحكى لون عاشقه اصفرارا

قال أبو بحر ثم سألنى ان أقول فى هذا المعنى فقلت بديها

أومى الى خده بسوسنة * صفراء صيغت من وجنتى عبده

الكندى وهو أول من أهل الكوفة وأربعة من غيرها فلما صار على أميال من الكوفة يراد به دمشق أنشأت ابنته تقول ولا عقب له من غيرها

ترفع أيها القمر المنير
لعلك ان ترى حجرا يسير
يسير الى معاوية بن حرب
ليقتله كذا زعم الامير
ويصلبه على بابى دمشق
وتأكل من محاسنه النسور
تخيرت الخبايا بعد حجر
وطاب لها الخورنق والسدير
ألا يا حجر حجر بنى عدى
تلقتك السلامة والسرور
أخاف عليك ما أردى عليا
وشيخا فى دمشق له زئير
ألا ياليت حجرا مات موتا
ولم ينحر كما نحر البعير
فان تهلك فكل عميد قوم
الى هلك من الدنيا يصير

ولما صار الى مرج عذراء على اثنى عشر ميلا من دمشق تقدم البريد بأخبارهم الى معاوية فبعث برجل أعور فلما أشرف على حجر وأصحابه قال رجل منهم ان صدق الزجر فانه سيقتل منا النصف وينجو الباقون فقيل له وكيف ذلك قال أماترون الرجل المقبل مصابا باحدى عينيه فلما وصل اليهم قال لحجر ان أمير المؤمنين أمرنى بقتلك يارأس الضلال ومعدن الكفر والطغيان والمتولى

لم ترعيني من قبله غصنا * سوسنه نابت ازاورده
أعملت زجري فقلت ربما * قرب خد المشوق من خده

فحدثني المذكور انه اجتمع مع أبي بكر بن مجبر رحمه الله تعالى قبل اجتماعه بي في ذلك الموضع الذي اجتمع فيه بعينه فحدثه بالحكاية كما حدثني وسأله أن يقول في تلك الحال فقال بديها

بي رشأ وسنان مهما انثني * حار قضيب البان في قده
مذ ولي الحسن وسلطانه * صارت قلوب الناس من جنده
أودع في وجنته زهرة * كأنها تجزع من صده
وقد تفاءلت على فعله * أني أرى خدي على خده

فتعجبت من توارد خاطرينا على معنى هذا البيت الاخير قال أبو بحر ثم قلت في تلك الحال

أبرز من وجنته وردة * أودعها سوسنة صفرا
وانما صورته آية * ضمنها من سوسن عشرا

وقال بعضهم في الباذنجان

ومستحسن عند الطعام مدحرج * غذاه غير الماء في كل بستان
تطلع في أفياء فكأنه * قلوب نعاج في مخاليب عقبان

وقال ابن خروف ويقال انها في وصف دمشق

اذا رحلت عرو بقين جماها * تأوه كل أواه حليم
الى سبت حكى فرعون موسى * يجمع كل سحار عليم
فتبصر كل أملود قويم * يميس بكل ثعبان عظيم
اذا انسابت أراقمها عليها * تذكرنا بها السيل السليم
وشاهدنا بها في كل حين * حبالا القيت نحو الكليم

وقال أبو القاسم بن هشام ارتجالا في وسيم عض وردة ثم رمى بها وسئل ذلك منه امتحانا

ومعجز الاوصاف والوصاف في * بردي جمال طرزا بالتيه
سوسان أنمله تناول وردة * فغدا يزفها أقاحي فيه
فكأنني شبهت وجنته بها * فرمى بها غضبا على التشبيه

وقال أيضا فيمن عض كاعب وجنته

وأغيد وضاح المحاسن باسم * اذا قام الاسياف ناظره فر
تعمد كاعب عض وجنته التي * هي الورد ايناعا وأبقى بها أثر
فقلت لشهب الافق كيف صمالكم * وقد أثر العوّاء في صفحة القمر

وقال آخر يصف شجة في خد وسيم

عذيري من ذي صفحة يوسفية * بها شجة جلت عن اللثم واللمس
يقولون من عجب الحسن وصفها * فقلت هلال لاح في شفق الشمس

وقال القاضي أبو الوليد الوقشي فيمن طر شاربه

قد بينت فيه الطبيعة أنها * لبديع أفعال المهندس باهره

كان معه ان الصبر على حد السيف لا يسر علينا مما تدعونا اليه ثم القدوم على الله وعلى نبيه وعلى وصيه أحب الينا من دخول النار وأجاب نصف من كان معه الى البراءة من علي فلما قدم حجر ليقتل قال دعوني أصل ركعتين فجعل يطول في صلاته فقيل له اجزعا من الموت فقال لا ولكني ما تطهرت للصلاة قط الا صليت وما صليت قط أخف من هذه وكيف لا أجزع واني لارى قبرا محفورا وسيفا مشهورا وكفنا منشورا ثم قدم فنحر والحق به من وافقه على قوله من أصحابه وقيل ان قتلهم كان في سنة خمسين وذكر أن عدي بن حاتم الطائي دخل على معاوية فقال له معاوية ما فعلت الطرفات يعني اولاده قال قتلوا مع علي قال ما أنصفك علي قتل أولادك وبقاء أولاده فقال عدي ما أنصفت علي اذ قتل وبقيت بعده فقال معاوية أما انه قد بقي قطرة من دم عثمان ما يمحوها الا دم شريف من أشراف اليمن فقال عدي والله ان قلوبنا التي أبغضناك بها لفي صدورنا وان أسيافنا التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا ولئن أدنيت الينا من الغدر فترا لندنين اليك من الشر شبرا وان حز

عنيت بمبسمه خطت فوقه * بالمسك خطا من محيط الدائره

وقال أبو الحسن بن عيسى

عابوه أسمر ناحلا اذ ازرقة * ومداوظنوا أن ذاك يشينه
جهلوا بأن السمهرى شبيهه * وخضابه بدم القلوب يزينه

وقال الاستاذ أبو ذر الخشنى

أنكر صحبى اذ رأوا طرفه * ذا حمرة يشقى بها المغرم
لا تنكروا ما احمر من طرفه * فالسيف لا ينكر فيه الدم

وقال أبو عبد الله محمد بن أبى خالص الرندى

ياشادنا برز العذار بخده * وازداد حسنا ليته لم يبرز
الآن أعلم حين جد بى الهوى * كم بين مختصر وبين مطرز

وقال أبو الحسين عبد الملك بن مفوز المعافرى

ومعذر من خده ورقيبه * شغلان حلا عقد كل عزيمة
خد وخب عيل صبرى منهما * هذا بنمنمة وذا بنميمة

وقال أبو الوليد بن زيدون فيمن أصابه جدرى

قال لى اعتل من هويت حسود * قلت أنت العليل ويحك لا هو
ما الذى قد أنكرت من بثرات * ضاعفت حسنه وزانت حلاه
جسمه فى الصفاء والرقة الما * ء فلا غرو أن حباب علاه

وقال الهيثم

قالوا به جرب فقلت لهم قفوا * تلك الندوب مواقع الابصار
هو روضة والقد غصن ناعم * أرأيتم غصنا بلا نوار

وقال أبو بكر محمد بن عياض القرطبى فى مخضوبة الانامل

وعلقتها فتانة أعطافها * تزرى بغصن البانة المياد
من للغزالة والغزال بحسنها * فى الخد أو فى العين أو فى المادى
خضبت أناملها السواد وقلما * أبصرت أقلاما بغير مداد

وقال أبو الحسين النقرى

بدا بوسفا وشدا معبدا * فللعين ما تشتهى والاذن
كأن بأعلاه قمرية * تغرد من قده فى غصن

وقال ابن صارة

مقام حر بأرض هون * عجز لعمرى من المقيم
سافر فان لم تجد كريما * فمن لئيم الى لئيم

وقال المعتمد بن عباد رحمه الله تعالى

مولاى أشكو اليك داء * أصبح قلبى به قريحا
سخطك قد زادنى سقاما * فابعث الى الرضا مسيحا

فقال معاوية هذه كلمات حكم فاكتبوها وأقبل على عدى محادثا له كأنه ما خاطبه بشئ (وذكر) أن معاوية ابن أبى سفيان تنازع اليه عمرو بن عثمان بن عفان وأسامة بن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أرض فقال عمرو لاسامة كأنك تنكرنى فقال أسامة ما يسرنى نسبك بولائى فقام مروان ابن الحكم فجلس الى جانب الحسن وقام عبد الله بن عامر فجلس الى جانب أسامة فقام سعيد بن العاص فجلس الى جانب مروان فقام الحسين فجلس الى جانب الحسن وقام عبد الله ابن عامر فجلس الى جانب سعيد فقام عبد الله بن جعفر فجلس الى جانب الحسين وقام عبد الرحمن ابن الحكم فجلس الى جانب ابن عامر فقام عبد الرحمن ابن العباس فجلس الى جانب ابن جعفر فلما رأى ذلك معاوية قال لا تعجلوا انا كنت شاهدا اذ أقطعها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة فقام الهاشميون فخرجوا ظاهرين وأقبل الامويون عليه فقالوا ألا كنت أصلحت بيننا قال دعونى فوالله ما ذكرت

قال بعضهم وقوله مسيحا من القوافى التى يتحدى بها وكتب الى أبيه جوابا عن تحفة

يامالكا قد أصبحت كفه * ساخرة بالعارض الهاطل
قد أفحمتنى منة مثلها * يضيق القول على القائل
وان أكن قصرت فى وصفها * فحسنها عن وصفها شاغلى

وكتب الى وزيره ابن عمار

لما نأت ناى الكرى من ناظرى * ورددته لما انصرفت عليه
طلب البشير بشارة يجزى بها * فوهبت قلبى واعتذرت اليه

وقال فى جارية له كان يحبها وبينما هى تسقيه اذلمع البرق فارتاعت

يروعها البرق وفى كفها * برق من القهوة لماع
ياليت شعرى وهى شمس الضحى * كيف من الانوار ترتاع

ومن توارد الخواطر ان ابن عباد أنشد عبد الجليل بن وهبون البيت الاول وأمره أن يذيله فقال

وان ترى أعجب من آنس من * من مثل مايمسك يرتاع

وقال المعتمد رحمه الله تعالى

داوى ثلاثته بلطف ثلاثة * فثنى بذاك رقيبه لم يشعر
اسراره بتستر واواره * بتصبر وخياله بتوقر

وكانت له جارية اسمها جوهرة وكان يحبها فجرى بينهما عتاب ورأى أن كتب اليها يسترضيها فأجابته برقعة لم تعنونها باسمها فقال

لم تصف لى بعدو الافلم * لم أرفى عنوانها جوهره
درت بأنى عاشق لاسمها * فلم ترد للغيظ أن تذكره
قالت اذا أبصره ثابتا * قبله والله لا أبصره

وقال فى هذه الجارية

سرورنا بعدكم ناقص * والعيش لاصاف ولاخالص
والسعد ان طالعنا نجمه * وغبت فهو الآفل الناكص
سموك بالجوهر مظلومة * مثلك لايدركه غائص

وقال فيها أيضا

جوهرة عذبنى * منك تمادى الغضب
فزفرتى فى صعد * وعبرتى فى صبب
ياكوكب الحسن الذى * زرى بزهر الشهب
مسكنك القلب فلا * ترضى له بالوصب

وقال فى جارية اسمها وداد

اشرب الكاس من ودادو دادك * وتأنس بذكرها فى انفرادك
قمر غاب عن جفونك مرآ * هوسكناه فى سواد فؤادك

قتيبة تدنو بز ينتها لكل جهول ثم قال ما فى القلوب يشب الحروب والامر الكبير يدفعه الامر الصغير وتمثل قد يلحق الصغير بالجليل وانما القرم من الافيل وتسحق النخل من الفسيل (قال المسعودى) ولما هم معاوية بالحاق زياد بابى سفيان ابيه وذلك فى سنة أربعين شهد عنده زياد بن أسماء الحرمازى ومالك ابن ربيعة السلولى والمنذر ابن الزبير بن العوام أن اباسفيان اخبر انه ابنه وان اباسفيان قال لعلى عليه السلام حين ذكر زياد عند عمر بن الخطاب اما والله لولا خوف شخص يرانى ياعلى من الاعادى لبين امره صخر بن حرب ولم يكن المجمجم عن زياد ولكنى اخاف صروف كف لها نقم ونفى عن بلادى فقد طالت محاولتى ثقيفا وتركى فيهم ثمر الفؤاد ثم زاده يقينا الى ذلك شهادة ابى مريم السلولى وكان اخبر الناس ببدء الامر وذلك انه جمع بين ابى سفيان وسمية ام زياد فى الجاهلية على زنا وكانت سمية من ذوات الرايات بالطائف تؤدى الضريبة الى الحرث بن كلدة وكانت تنزل بالموضع الذى ينزل فيه البغايا بالطائف خارجا عن الحضر فى محلة

وقال

لك الله كم أودعت دلي من أسى * وكم لك ما بين الجوانح من كلم

لحاظك طول الدهر حرب لمهجتي * ألا رحمة تثنيك يوما الى سلمي

وقال

قلت متى ترحمني * قال ولا طول الابد

قلت فقد أيأستني * من الحياة قال قد

وأهدى أبو الوليد بن زيدون باكورة تفاح الى المعتضد والد المعتمد وكتب له معها

يا من تزينت الربا * سه حين ألبس ثوبها

جاءتك جامدة المدا * م فخذ عليها ذوبها

وقال المعتمد وقد أمره أبوه المعتضد أن يصف مجنا فيه كواكب فضة

مجن حكى صانعوه السما * لتقصر عنه طوال الرماح

وقد صوروا فيه شبه الثريا * كواكب تقضي له بالنجاح

وقال ابن اللبانة كنت بين يدي الرشيد بن المعتمد في مجلس أنسه فورد الخبر بأخذ يوسف بن تاشفين غرناطة سنة ٤٩٣ فتفجع وتلهف واسترجع وتأسف وذكر قصر غرناطة فدعونا للقصره بالدوام وللملكه بتراخي الايام وأمر عند ذلك أبا بكر الاشبيلي بالغناء فغنى

يا دارمية بالعلياء فالسند * أقوت وطال عليها سالف الامد

فاستحالت مسرته وتجهمت أسرته وأمر بالغناء من ستارته فغنى

ان شئت أن لا ترى صبرا لمصطبر * فانظر على أي حال أصبح الطلل

فتأكد تطيره واشتدار بداد وجهه وتغيره وأمر مغنيه أحرى بالغناء فغنت

يا لهف نفسي على مال أفرقه * على المقلين من أهل المروآت

ان اعتذاري الى من جاء يسألني * ما ليست أملك من احدى المصيبات

قال فقلت لا فيت الحال بأن قلت

محل مكرمة لا هدمبناه * وشمل مأثرة لا شتت الله

البيت كالبيت لكن زاد ذا شرفا * ان الرشيد مع المعتد ركناه

ثاو على أنجم الجوزاء مقعده * وراحل في سبيل السعد مسراه

حتم على الملك أن يقوى وقد وصلت * بالشرق والغرب يمناه ويسراه

باس توقد فاحمرت لواحظه * ونائل شب فاخضرت عذاراه

فلعمري لقد بسطت من نفسه وأعادت عليه بعض أنسه على اني وقعت فيما وقع فيه الكل لقولي البيت كالبيت وأمر اثر ذلك ابا بكر بالغناء فغنى

ولما قضينا من منى كل حاجة * ولم يبق الا أن تزم الركائب

فأيقنا ان هذا التطير بعقبه التغير * وقد كان المعتضد بن عباد حين تصرمت ايامه وتدانى حمامه استحضر مغنيا يغنيه ليجعل ما يبدأ به فالا وكان المغني السوسي فأول شعر قاله

نطوي المنازل علما أن ستطوينا * فشعشعيها بماء المزن واسقينا

فمات

يقال لها جارة البغايا وكان أخرج منها سهل بن حنيف فضرب زياد بعضهم بعضا حتى غلب عليها وما زال يتنقل في كورها حتى صلح أمر فارس ثم ولاه على اصطخر وكان معاوية يتهدده ثم أخذ بسر بن أرطاة عبيد الله وسلمان ولديه وكتب اليه يقسم ليقتلنهما ان لم يرجع ويدخل في طاعة معاوية ويرده على عمله فقدم زياد على معاوية وكان المغيرة بن شعبة قال لزياد قبل قدومه على معاوية ارم الغرض الاقصى ودع عنك الفضول فان هذا الامر لا يمد اليه أحد يدا الا الحسن بن علي وقد بايع لمعاوية فخذ لنفسك قبل التوطين قال زياد فأشر علي قال أرى أن تنقل أصلك الى أصله وتصل حبلك بحبله وتعير الناس منك أذنا صماء فقال زياد يا ابن شعبة أأغرس عودا في غير منبته ولا مدرة فتحييه ولا عرق فيسقيه ثم ان زيادا عزم على قبول الدعوى وأخذ برأي ابن شعبة وارسلت اليه جويرية بنت أبي سفيان عن أمر أخيها فأتاها فأذنت له وكشفت عن شعرها بين يديه وقالت انت اخي اخبرني بذلك أبو مريم ثم أخرجه معاوية الى المسجد وجمع الناس فقام

فمات بعد خمسة ايام وكان الغناء من هذا الشعر فى خمسة ابيات * وقال المعتمد بعدما خلع وسجن

قبح الدهر فماذا صنعا * كلما اعطى نفيسا نزعا
قد هوى ظلما بمن عاداته * أن ينادى كل من يهوى لعا
من اذا قيل الخنا صم وان * نطق العافون همسا سمعا
قل لمن يطمع فى نائله * قد ازال الياس ذاك الطمعا
راح لا يملك الادعوة * جبر الله العفاة الضيعا

وقال ابن اللبانة كنت مع المعتمد باغمات فلما قاربت الصدر وازمعت السفر صرف حيله واستنفد ما قبله وبعث الى مع شرف الدولة ولده وهذا من بنيه احسن الناس سمتا واكثرهم صمتا تخجله اللفظه وتجرحه اللحظه حريص على طلب الادب مسارع فى اقتناء الكتب مثابر على نسخ الدواوين مفتح فيها من خطه زهر الرياحين بعشرين مثقالا مرابطية وثوبين غير مخيطين وكتب معها ابياتا منها

اليك النزر من كف الأسير * وان تقنع تكن عين الشكور
تقبل ما يذوب له حياء * وان عذرته حالات الفقير

فامتنعت من ذلك عليه واجبته بأبيات منها

تركت هواك وهو شقيق دينى * لئن شقت برودى عن غدورى
ولا كنت الطليق من الرزايا * اذا اصبحت اجحف بالاسير
جذيمة انت والزباء خانت * وما انا من يقصر عن قصير
تصرف فى الندى حيل المعالى * فتسمح من قليل بالكثير
واعجب منك أنك فى ظلام * وترفع للعفاة منار نور
رويدك سوف توسعنى سرورا * اذا عاد ارتقاؤك للسرير
وسوف تحلنى رتب المعالى * غداة تحل فى تلك القصور
تزيد على ابن مروان عطاء * بها وازيد ثم على جرير
تأهب أن تعود الى طلوع * فليس الخسف ملتزم البدور

واتبعتها ابياتا منها

حاش لله ان اجيح كريما * يتشكى فقرا وقد سد فقرا
وكفانى كلامك الرطب نيلا * كيف ألقى درا وأطلب تبرا
لم تمت انما المكارم ماتت * لا سقى الله بعدك الارض قطرا

ورأى ابن اللبانة احد ابناء المعتمد وهو غلام وسيم وقد اتخذ الصياغة صناعة وكان يلقب ايام سلطانهم من الالقاب السلطانية بفخر الدولة فنظر اليه وهو ينفخ الفحم بقصبة الصائغ وقد جلس فى السوق يتعلم الصياغة فقال

شكا تنالك يا فخر العلا عظمت * والرزء يعظم ممن قدره عظما
طوقت من نائبات الدهر مخنقة * ضاقت عليك وكم طوقتنا نعما

ابومريم السلولى فقال أشهد أن أباسفيان قدم علينا بالطائف وأنا خمار فى الجاهلية فقال ابغنى بغيا فأتيته وقلت لم أجد الا جارية الحرث بن كلدة سمية فقال ائتنى بها على دفرها وقذرها فقال له زياد مهلا يا أبا مريم انما بعثت شاهدا ولم تبعث شاتما فقال أبو مريم لو كنتم أعفيتمونى لكان احب الى وانما شهدت بما عاينت ورأيت والله لقد اخذ بكم درعها وأغلقت الباب عليهما وقعدت دهشان فلم ألبث أن خرج على يمسح جبينه فقلت مه يا أبا سفيان فقال ما أصبت مثلها يا أبا مريم لولا استرخاء من ثديها ودفر من فيها فقام زياد فقال ايها الناس هذا الشاهد قد ذكر ما سمعتم ولست ادرى حق ذلك من باطله وانما كان عبيد ابيا مبرورا أو وليا مشكورا والشهود اعلم بما قالوا فقام يونس بن عبيد أخو صفية بنت عبيد بن اسد بن علاج الثقفى وكانت صفية مولاة سمية فقال يا معاوية قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الولد للفراش وللعاهر الحجر وقضيت انت ان الولد للعاهر وان الحجر للفراش مخالفة لكتاب الله تعالى وانصرافا عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهادة ابى مريم على زنا ابى سفيان فقال معاوية والله يا يونس لتنتهين أولاطيرن بك طيرة

هـل الا الى الله ثم اقع قال نعم واسـتغفر الله فقـال عبـد الرحمن بن ام الحـكم

وعاد طوقـلـك فى دكان قارعـــة * من بعدما كنت فى قصر حكى ارما
صرفت فى آلة الصوّاغ اغـــلة * لم تدر الا الندى والسيف والقلما
يد عهـــدتك للتقبيل تبسـطها * فتستقل الثريا أن تكـون فما
ياصائغا كانت العليا تصاغ له * حليا وكان عليه الحلى منتظما
للنفخ فى الصور هول ماحكاه سوى * هول رأيتك فيـه تنفخ الفحما
وددت اذ نظرت عيـنى اليـك به * لو أن عينى تشكو قبل ذاك عمى
ماحطك الدهر لمـاحط عن شرف * ولا تحيف من أخلاقك الكرما
لح فى العلا كـوكبا ان لم تلح قمرا * وقم بهـا ربوة ان لم تقـم علما
واصبر فربتمـا أحمـــدت عاقبة * من يلزم الصبر يحمد غب مالزما
والله لو انصفتك الشهب لانكسفت * ولو وفى لك دمع العين لانسجما
أبكى حديثك حتى الدر حين غدا * يحكيك رهطا وألفاظا ومبتسما

وقال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى وقفت على قبر المعتمد بن عباد بمدينة أغمات فى حركة راحة أعملتها الى الجهات المراكشية باعثها لقاء الصالحين ومشاهدة الآثار سنة ٧٦١ وهو بمقبرة أغمات فى نشز من الارض وقد حفت به سدرة والى جانبه قبر اعتماد حظيته مولاة رميك وعليهما هيئة التغرب ومعاناة الخمول من بعد الملك فلا تملك العين دمعها عند رؤيتهما فانشدت فى الحال

قد زرت قبرك عن طوع باغمـات * رأيت ذلك من أولى المهمات
لم لا أزورك يا أندى الملوك يدا * ويا سراج الليالى المدلهمات
وانت من لو تخطى الدهر مصرعه * الى حياتى لجادت فيه أبياتى
اناف قـــبرك فى هضب يميزه * فتنتحيـــه حفيات التحيات
كرمت حيا وميتا واشتهرت عـــلا * فانت سلطان أحياء وأموات
مارىء مثلك فى ماض ومعتقـدى * أن لا يرى الدهر فى حال وفى آتى

انتهى

وقد زرت انا قبر المعتمد بن عباد بمدينة اغمات سنة ١٠١٠ ورأيت فيه مثل ماذكره لسان الدين رحمه الله تعالى فسبحان من لا يبيد ملكه لا اله الا هو واخبار المعتمد كثيرة وقال وزيره ابو الوليد بن زيدون

متى اخف الغرام يصفه جسمى * بألسنة الضنى الخرس الفصاح
فلو ان الثياب نزعن عـــنى * خفيت خفاء خصرك فى الوشاح

وقال يخاطب المعتمد

وطاعة امرك فــــرض ارا * ه من كل مفترض اوكدا
هى الشرع اصبح دين الضمير * فلو قد عصاك لقد الحدا

وقال فيه

يا ندى يمـــــنى ابى القاسم غم * يا سنا بشر المحيا أشمس
وارتشف معسول ثغر اشنب * تحبيب من عجاج ألعس

وقال

مهما امتدحت سواك قبل فانما * مدحى الى مدحى لك استطراد

بطيئا وقوعها فقال يونس فى ذلك ويقال انه ليزيد ابن مفرّغ الحميرى

ألا أبلغ معاوية بن حرب * مغلغلة عن الرجل اليمانى
أتغضب ان يقال أبوك عف * وترضى ان يقال ابوك زانى
فاشهد ان رحمك من زياد * كرحم الفيل من ولد الاتان

وفى زياد واخوته يقول خالد النجارى

ان زيادا ونافعا وابا * بكرة عندى من اعجب العجب
ان رجالا ثلاثة خلقوا * من رحم انثى مخالفى النسب
ذا قرشى فيما يقول وذا * مولى وذا ابن عمه عربى

ولما قتل على كرم الله وجهه كان فى نفس معاوية من يوم صفين على هاشم ابن عتبة بن ابى وقاص المرقال وولده عبد الله بن هاشم احن فلما استعمل معاوية زيادا على العراق كتب اليه اما بعد فانظر عبد الله بن هاشم بن عتبة فشد يده الى عنقه ثم ابعث به الى فحمله زياد من البصرة مقيدا مغلولا الى دمشق وقد كان زياد طرقه بالليل فى منزله بالبصرة فادخل الى معاوية وعنده عمرو ابن العاص فقال معاوية لعمرو بن العاص هل تعرف هذا قال لا قال هذا الذى يقول أبوه يوم صفين

تغشى

تغشى الميادين الفوارس حقبة * كيما يعلمها النزال طراد

وقال يحيينى بريحان التجنى * ويصحبنى معتقة السماح

فها انا قد غلت من الايادى * اذا اتصل اغتباقى باصطباحى

وكتب الى ابى عامر يستدعيه

ابا المعالى نحن فى روضة * فانقل الينا القدم العاليه

انت الذى لو تشترى ساعة * منه بدهر لم تكن غاليه

وتذكرت هنا قول بعض المشارقة فيما اظن

لله ايام مضت مأنوسة * ما كان احسنها وانضرها معا

لو ساعة منها تباع شريتها * ولو انها بيعت بعمرى اجمعا

(رجع) وقال ابو القاسم اسعد من قصيدة فى المعتصم بن صمادح

وقد ذاب كحل الليل فى دمع فجره * الى ان تبدى الليل كاللمة الشمطا

كأن الدجا جيش من الزنج نافذ * وقد ارسل الاصباح فى اثره القبطا

ومنها اذا سار سار الجود تحت لوائه * فليس يحط المجد الا اذا احطا

وقال ابن خلصة المكفوف النحوى من قصيدة

ملك تملك حر المجد لا يده * نالت بظلم ولا مالت الى البخل

مهذب الجد ماضى الحد مضطلع * لما تحمله العلياء من ثقل

اغر لا وعده يخشى له ابدا * خلف ولا رايه يوتى من الزلل

قد جاوزت نطق الجوزاء همته * به وما زحلت عن مرتقى زحل

يأبى له ان يحل الذم ساحته * ما صد من خلل اوسد من خلل

ومنها ان لم تكن بكم حالى مبدلة * فما انتفاعى بعلم الحال والبدل

وقال ابن الحداد يمدح المعتصم بن صمادح

عج بالحمى حيث الغياض العين * فعسى تعن لنا المهاة العين

واستقبلن ارج النسيم فدارهم * تندى به الارجاء لا دارين

افق اذا ما رمت لحظ شموسه * صدتك للنقع المثار دجون

انى اراعى لهم وبين جوانحى * شرق يهون خطبهم فيهون

انى يصاب ضرابهم وطعانهم * صب بألحاظ العيون طعين

فكأنما بيض الصفاح جداول * وكأنما سمر الرماح غصون

ذرنى اسر بين الاسرة والظبا * فالقلب فى تلك القباب رهين

يا ربة القرط المعير خفوقه * قلبى أما لحراكه تسكين

نور يدخدك للصبابة مورد * وفتور طرفك للنفوس فتون

فاذا رنت فوحى حبك منزل * واذا نطقت فانه تلقين

ومنها فى وصف قصر

راس بظهر النون الا انه * سام فقبته بحيث النون

قد عاج الحياة حتى ملا لابد أن يفل او يفلا اسلمهم بذى الكعوب سلا لا خير عندى فى كريم ولى فقال عمرو متمثلا وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا دونك يا امير المؤمنين الضب الضب فاشخب اوداجه على اسباحه ولا ترده الى اهل العراق فانه لا يصبر على النفاق وهم اهل غدر وشقاق وحزب ابليس ليوم هيجانه وان له هوى سيؤديه ورأيا سيطغيه وبطانة ستقويه وجزاء سيئة سيئة مثلها فقال عبد الله يا عمرو ان أقتل رجل اسلمه قومه وادركه يومه أفلا كان هذا منك اذ تحيد عن القتال ونحن ندعوك الى النزال وانت تلوذ بشمال النطاف وعقائق الرصاف كالامة السوداء والنعجة القوداء لا تدفع يد لامس فقال عمرو أما والله لقد وقعت فى لهاذم شذقم للاقران ذى لبد ولا احسبك منفلتا من مخاليب امير المؤمنين فقال عبد الله اما والله يا ابن العاص انك لبطر فى الرخاء جبان عند اللقاء غشوم اذا وليت هياب اذا لقيت تهدر كما يهدر العود المنكوس المقيد بين مجرى الشول

هو جنة الدنيا تبوّأ نزلها * ملك تملكه التقى والدين
فكأنما الرحمن عجلها له * ليرى عيانا قد كان ما سيكون
وكأن بانيه سنمارفا * يعدوه تحسين ولا تحصين
وجزاؤه فيه نقيض جزائه * شتان ما الاحياء والتحيين

ومنها فى المديح

لا تلتقع الاحكام حيفا عنده * فكأنما الافعال والتنوين

ومنها

وبداهلال الافق أحنى ناحلا * عهد الصيام كانه العرجون
فكأن بين الصوم خط نحوه * خطا خفيا بان منه النون

وقال عبد الجليل بن وهبون

زعموا الغزال حكاه قلت لهم نعم * فى صده عن عاشقيه وهجره
وكذا يقولون المدام كريقه * يارب ما علموا مذاقة ثغره

وقال أبو الحسن على بن أحمد بن أبى وهب الاندلسى

قالوا تد انيت من وداعهم * ولم نرالصبر عنك مغلوبا
فقلت للعالم أننى بغد * أسمع لفظ الوداع مقلوبا

وهذا كقول بعض شعراء اليتيمة

اذا دهاك الوداع فاصبر * ولا يروعنك البعاد
وانتظر العود عن قريب * فان قلب الوداع عادوا

وقال ابن اللبانة

ان تكن تبتغى الوداع فدعنى * عنك فى حومة القتال أحامى
خذ جنانى عن جنة ولسانى * عن سنان وخاطرى عن حسام

وقال القزاز يمدح ابن صمادح وخلط النسيب بالمديح

نفى الحب عن مقلتى الكرى * كما قد نفى عن يدى العدم
فقد قرّ حبك فى خاطرى * كما قر فى راحتيك الكرم
وفرسلوك عن فكرتى * كما فر عن عرضه كل ذم
فحسبى ومفخره باقيا * ن لا يذهبان بطول القدم
فابقى لى الحب خال وجد * وأبقى له الفخر خال وعم

وقال أبو الحسن بن الحاج

أذوب اشتياقا يوم يحجب شخصه * وانى على ريب الزمان لقاسى
وأذعر منه هيبة وهو المنى * كما يذعر المخمور أول كاس

وقال

من لى بطرف كاننى أبدا * منه بغير المدام مخمور
ما أصدق القائلين حين بدا * عاشق هذا الجمال معذور

وقال

أباجعفر مات فيك الجمال * فأظهر خدك لبس الحداد
وقد كان ينبت نور الربيع * فقد صار ينبت شوك القتاد

لهم أيد شداد والسنة حداد يدعمون العوج ويذهبون الحرج يكثرون القليل ويشفون الغليل ويعزون الذليل فقال عمرو أما والله لقد رأيت أباك يوم تحقق أحشاؤه وتبق أمعاؤه وتضطرب أصلاؤه كانما انطبق عليه ضمد فقال عبد الله يا عمرو انا قد بلوناك ومقالتك فوجدنا لسانك كذوبا غادرا خلوت باقوام لا يعرفونك وجند لا يسأمونك ولو رمت المنطق فى غير أهل الشام لجحظ اليك عقلك ولتلجلج لسانك ولاضطرب فخذاك اضطراب القعود الذى أثقله حمله فقال معاوية ايها عنكما وأمر باطلاق عبد الله فقال عمرو لمعاوية امرتك امرا حازما فعصيتنى وكان من التوفيق قتل ابن هاشم أليس أبوه يامعاوية الذى أعان عليا يوم حز الغلاصم فلم ينثنى حتى جرت من دمائنا بصفين أمثال البحور الخضارم وهذا ابنه والمرء يشبه شيخه

وهل كنت من عبد شمس فأخشى * عليك ظهور شعار السواد

وقال وما أحكمه

ما عجبي من بائع دينه * بلذة يبلغ فيها هواه
وانما أعجب من خاسر * يبيع أخراه بدنيا سواه

وقال من مخمسة يرثي فيها ابن صمادح ويندب الاندلس زمن الفتنة

من لي بمعسول على ظلم الشر * صحف في أحكامه حاء الحور
مر بنا يسحب أذيال الخفر * ما أحسد الظبي له اذا نفر
وأشبه الغصن به اذا خطر

كافورة قد طر زت بمسك * جوهرة لم تمتهن بسلك
نبذت فيها ورعي ونسكي * بعد تجاحي في التقى ومحكي
فاليوم قد صح رجوعي واشتهر

نهيت قدما ناظري عن نظر * علما بما يجني ركوب الغرر
وقلت عرج عن سبيل الخطر * فاليوم قد عاين صدق الخبر
اذ بات وقفا بين دمع وسهر

سقى الحيا عهدنا بالطاق * معترك الالباب والاحداق
وملتقى الانفس والأشواق * أيأس فيه الدهر عن تلاقي
ور بما ساءك دهر ثم سر

أحسن به مطلعا ما أغربا * قابل من دجلة مرأى معجبا
ان طلعت شمس وقد هبت صبا * حسبته ينشر بردا مذهبا
بمنظر فيه جلاء للبصر

يا رب أرض قد خلت قصورها * وأصبحت آهلة قبورها
يشغل عن زائرها مزورها * لا يامل العودة من يزورها
هيهات ذاك الورد ممنوع الصدر

تنتحب الدنيا على ابن معن * كأنها ثكلى أصيبت بابن
أكرم مأمول ولا أستثني * أثني بنعماه ولا أثني
والروض لا يشكر معروف المطر

يهدي به والملك في ذماره * والنصر فيما شاء من أنصاره
يطلع بدر التم من أزراره * وتكمن العفة في ازرواره
ويحضر السودد أيان حضر

قل للنوى جد بنا انطلاق * ما بعدت مصر ولا العراق
اذا حدا نحوهما اشتياق * ومن دواء الملل الفراق
ومن نأى عن وطن نال وطر

سار بذي بردمن الاصباح * راكب نشوى ذات قصد صاح

على انهم لا يقتلون أسيرهم
اذا منعت منه عهود المسالم
وقد كان منا يوم صفين نفرة
عليك جناها هاشم وابن هاشم
قضى ما انقضى منها وليس الذي مضى
ولا ما جرى الا كاضغاث حالم
فان تعف عني تعف عن ذي قرابة
وان ترقتلي تستحل محارمي
فقال معاوية
أرى العفو عن عليا قريش وسيلة
الى الله في يوم العصيب القماطر
ولست أرى قتل العداة ابن هاشم
بادراك ثاري في لؤي وعامر
بل العفو عنه بعد ما بان جرمه
وزلت به احدى الجدود العواثر
فكان أبوه يوم صفين جمرة
علينا فاردته رماح شهابر
وحضر عبد الله بن هاشم ذات يوم مجلس معاوية
فقال معاوية من يخبرني
عن الجود والنجدة والمروءة
فقال عبد الله يا أمير
المؤمنين أما الجود فابتذال المال والعطية قبل السؤال واما النجدة فالجراءة على الاقدام والصبر عند

مسودة مبيضة الجناح * تسبح بين الماء والرياح

يزورها عن طافح المرج زور

يقدم الهول بها اغترارا * في فتية تحسبها سكارى

قد افترشن المسد المغارا * حتى اذا شارفت المنارا

هب كابل العلل المحتضر

يوم عدل الملك الرضى * الهاشمي الطاهر النقي

والمجتبى من منتضى النبي * من ولد السماح والمهدي

نفر معد ونزار ومضر

حيث ترى العباس يستقي به * والشرف الاعظم في نصابه

والامر موقوفا على أربابه * والدين لا تختلط الدنيا به

وسيرة الصديق تمضى وعمر

وقال ابن خفاجة في صفة قوس

عرجاء تعطف ثم ترسل تارة * فكأنما هي حية تنساب

واذا انحنت والسهم منها خارج * فهى الهلال انقض منه شهاب

وقال وعسى الليالي أن تمن بنظمنا * عقدا كما كنا عليه وأكملا

فلربما نثر الجمان تعمدا * ليعاد أحسن في النظام وأجملا

وهو من قول مهيار

عسى الله يجعلها فرقة * تعود بأكمل مستجمع

وقول المتنبي سألت الله يجعله رحيلا * يعين على الاقامة في ذراكا

وقال اقض على خلك أو ساعد * عشت بجد في العلا صاعد

فقد بكى جفني دما سائلا * حتى لقد ساعده ساعدي

وقال وأسود يسبح في بركة * لا تكتم الحصباء غدرانها

كأنها في صفوها مقلة * زرقاء والاسود انسانها

وقال حيا بها ونسيمها كنسيمه * فشربتها من كفه في ورده

منساغة فكأنها من ريقه * محمرة فكأنها من خده

وقال لعمري لو أوضعت في منهج التقى * لكان لنا في كل صالحة نهج

فما يستقيم الامر والملك جائر * وهل يستقيم الظل والعود معوج

وقال يرثي صديقا من أبيات

تيقن أن الله أكرم جيرة * فأزمع عن دار الحياة رحيلا

فان أقفرت منه العيون فانه * تعوض منها بالقلوب بديلا

ولم أر أنسا قبله عاد وحشة * وبردا على الاكباد عاد غليلا

ومن تلك أيام السرور قصيرة * به كان ليل الحزن فيه طويلا

وقال تفاوت نجلا أبي جعفر * فمن متعال ومن متسفل

ازورار الاقدام وأما المروءة فالصلاح في الدين والاصلاح للمال والمحاماة عن الجار ولما صرف على
رضى الله عنه قيس بن
سعد بن عبادة عن مصر ووجه
مكانه محمد ابن أبي بكر فلما
وصل اليها كتب الى
معاوية كتابا فيه من محمد
ابن أبي بكر الى الغاوي
معاوية بن صخر أما بعد
فان الله بعظمته وسلطانه
خلق خلقه بلا عبث منه
ولا ضعف في قوته ولا حاجة
به الى خلقهم لكنه خلقهم
عبيدا وجعل منهم غويا
ورشيدا وشقيا وسعيدا ثم
اختار على علم واصطفى
وانتخب منهم محمدا صلى الله
عليه وسلم فانتخبه لعلمه
واصطفاه لرسالته وائتمنه
على وحيه وبعثه رسولا
ومبشرا ونذيرا فكان اول
من اجاب واناب وآمن
وصدق وأسلم وسلم أخوه
وابن عمه علي بن ابي طالب
صدقه بالغيب المكتوم
وآثره على كل حميم ووقاه
بنفسه كل هول وحارب
حربه وسالم سلمه فلم يبرح
مبتذلا لنفسه في ساعات
الليل والنهار والخوف
والجوع والخضوع حتى
برز سابقا لا نظير له فيمن
اتبعه ولا مقارب له في فعله
وقد رأيتك تساميه وانت
انت وهو هو أصدق الناس
نية وافضل الناس ذرية
وخير الناس زوجة وافضل الناس ابن عم اخوه الشاري بنفسه يوم مؤته وعمه سيد الشهداء يوم فهذا

فهـذا يمين بهـا أكله * وهذا شمال بهـا يغتسل

وقال ابن الرفاء

ولما رأيت الغرب قد غص بالدجا * وفى الشرق من ضوء الصباح دلائل

توهمت أن الغرب بحر أخوضه * وأن الذى يبدو من الشرق ساحل

وقال أبو محمد بن عبد البر الكاتب

لاتـكثرن تأملا * وامسك عليك عنان طرفك

فلربما أرسلته * فرماك فى ميـدان حتفك

وقال أبو القاسم السميسر

يا آكلا كل ما اشـتهاه * وشاتم الطب والطبيب

ثمار ما قـد غرست تجنى * فانتظر السقم عن قريب

يجتمع الداء كل يوم * أغذية السوء كالذنوب

وكان كثير الهجاء وله كتاب سماه شفاء الامراض فى أخذ الاعراض والعياذ بالله تعالى

ومن قوله خنتم فهنتم وكم أهنتم * زمان كنتم بلا عيون

فانـتم تحت كل تحت * وأنـتم دون كل دون

سكنـتم يا رياح عاد * وكل ريح الى سكون

وقال يا مشفقا من خمول قوم * ليس لهـم عندنا خلاق

ذلوا ويا طالما أذلوا * دعهم يذوقوا الذى أذاقوا

وقال وليتم فما أحسنتم مذوليتم * ولا صنتم عن يصونكم عرضا

وكنتم سماء لا ينال منالها * فصرتم لدى من لا يسائلكم أرضا

ستسترجع الايام ما أقرضتكم * ألا انها تسترجع الدين والقرضا

وقال ابن شاطر السرقسطى

قد كنت لا أدرى لأية علة * صار البياض لباس كل مصاب

حتى كسانى الدهر سحق ملاءة * بيضاء من شيبى لفقد شبابى

فبذا تبين لى اصابة من رأى * لبس البياض على نوى الاحباب

وهذه عادة أهل الاندلس ولهذا قال الحصرى

اذا كان البياض لباس حزن * بأندلس فذاك من الصواب

ألم ترنى لبست بياض شيبى * لانى قد حزنت على الشباب

وما أحسن قوله رحمه الله تعالى

لو كنت زائرتى لراعك منظرى * ورأيت بى ما يصنع التفريق

ولحال من دمعى وحر تنفسى * بينى وبينك لجة وحريق

وقال ابن عبد الصمد يصف فرسا

على سابح فرد يفوت بأربع * له أربعا منها الصبا والشمائل

من الفتح خوان العنان كأنه * مع البرق سار أو مع السيل سائل

اللعين ابن اللعين لم تزل انت وابوك تبغيان لرسول الله صلى الله عليه وسلم الغوائل وتجهدان فى اطفاء نور الله تجمعان على ذلك الجموع وتبذلان فيه المال وتؤلبان عليه القبائل على ذلك مات ابوك وعليه خلفته والشهيد عليك من تدنى ويلجأ اليك من بقية الاحزاب ورؤساء النفاق والشاهد لعلى مع فضله المبين القديم انصاره الذين معه الذين ذكرهم الله بفضلهم واثنى عليهم من المهاجرين والانصار وهم معه كتائب وعصائب يرون الحق فى اتباعه والشقاء فى خلافه فكيف يا لك الويل تعدل نفسك بعلى وهو وارث رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ووصيه وابو ولده اول الناس له اتباعا واقربهم به عهدا يخبره بسره ويطلعه على امره وانت عدوه وابن عدوه فتمتع فى دنياك ما استطعت بباطلك وليمددك ابن العاص فى غوايتك فكأن اجلك قد انقضى وكيدك قد وهى ثم يتبين لك لمن تكون العاقبة العليا واعلم انك انما تكايد ربك الذى آمنك كيده ويئست من روحه فهو لك بالمرصاد وانت منه فى غرور والسلام على من اتبع الهدى (فكتب اليه معاوية) من معاوية بن صخر الى الزارى

وقال ابن عبد الحميد البرجي

أرح متن المهند والجواد * فقد تعبا بجدك في الجهاد
قضيت بعزمة حق العوالي * فقض براحة حق الهوادي

وقال عبادة

انما الفتح هلال طالع * لاح من أزراره في فلك
خده شمس وليل شعره * من رأى الشمس بدت في حلك

وقال ابن المطرف المنجم

يرى العواقب في أثناء فكرته * كأن أفكاره بالغيب كهان
لا طرفة منه الا تحتها عمل * كالدهر لا دورة الا لها شان

وقال أبو الحسن بن البسع

راموا ملامي وكان اغرا * وذم حبي وكان اطرا
لو علم العاذلون ما بي * لانقلبت فيه لامهم را

وقال

لما قدمت وعندي * شطر من الشوق وافى
قدمت قلبي قبلي * فصنه حتى أوافي

ولما خاطب المستنصر ملك افريقية ابن سيد الناس بقوله

ماحال عينيك يا عين الزمان فقد * أورثتني حزنا من أجل عينيكا
وليس لي حيلة غير الدعاء فيا * رب براوي الصحيحين حنانيكا

أجابه الحافظ أبو المطرف بن عميرة المخزومي خدمة عن الحافظ أبي بكر بن سيد الناس

مولاي حالهما والله صالحة * لما سألت فأعلى الله حاليكا
ما كان من سفر أو كان من حضر * حتى تكون الثريا دون نعليكا

وقال الاديب أبو العباس الرصافي وهو من أصحاب أبي حيان

هذا هلال الحسن أطلع بيننا * وجميعنا بحلى محاسنه شغف
لما رأى طل العذار بخده * ماء النعيم أتى اليه ليرتشف
فكأن ذاك الخد أنكر أمره * فاحمر من حنق عليه وقال قف

وقال

وعشية نعمت بها أرواحنا * والخمر قد أخذت هناك حقها
وكأنما ابريقنا الماجنا * ألقى حديثا للكؤوس وقهقها

وقال الامام الحافظ أبو الربيع بن سالم

كأنما ابريقنا عاشق * كل عن الخطو فأعمله
غازل من كاسي حبيبا له * فكلما قبله أخجله

وقال أبو القاسم بن الابرش

رأيت ثلاثة تحكي ثلاثا * اذا ما كنت في التشبيه تنصف
فتجه والنيل منفعة وحسنا * وشنترين مصر وأنت يوسف

وقال في غريق وقيل انه مما تمثل به

الحمد

على ابيه محمد بن ابي بكر اما بعد فقد اتاني كتابك تذكر فيه ما الله اهله في عظمته وقدرته وسلطانه وما اصطفى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله مع كلام كثير لك فيه تضعيف ولا بيك فيه تعنيف ذكرت فيه فضل ابن ابي طالب وقديم سوابقه وقرابته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومواساته اياه في كل هول وخوف فكان احتجاجك علي وعيبك لي بفضل غيرك لا بفضلك فاحمد ربا صرف هذا الفضل عنك وجعله لغيرك فقد كنا وأبوك فينا نعرف فضل ابن أبي طالب وحقه لازما لنا مبرورا علينا فلما اختار الله لنبيه عليه الصلاة والسلام ما عنده واتم له ما وعده واظهر دعوته فابلج حجته وقبضه الله اليه صلوات الله عليه كان ابوك وفاروقه اول من ابتزه حقه وخالفه على أمره على ذلك اتفقا واتسقا ثم انهما دعواه الى بيعتهما فابطأ عنهما وتلكأ عليهما فهما به الهموم وأرادا به العظيم ثم انه بايع لهما وسلم لهما وأقاما لا يشركانه في امرهما ولا يطلعانه على سرهما حتى قبضهما الله ثم قام ثالثهما عثمان فهدى بهديهما وسار بسيرهما فعبته انت وصاحبك حتى طمع فيه الاقاصي من اهل المعاصي فطلبتما له الغوائل واظهرتما عداوتكما حتى بلغتما فيه مناكما

الحمد لله على كل حال * قد أطفأ الماء سراج الجمال
أطفأه ما كان محياله * قد يطفئ الزيت ضياء الذبال

وهو القائل لو لم يكن لي آباء أسود بهم * ولم يؤسس رجال الغرب لي شرفا
ولم أنل عند ملك العصر منزلة * لكان في سيبويه الفخر لي وكفى
فكيف علم ومجد قد جمعتهما * وكل مختلق في مثل ذا وقفا

وقال أبو الحسن بن حريق
أصبحت تدبير مصرا كاسمها * وأبو يوسف فيها يوسفا

وقال أبو القاسم بن العطار الاشبيلي في بعض الموزنيين وقد غرق في نهر طلبيرة عند فتحها
ولما رأوا أن لا مقر لسيفه * سوى هامهم لاذوا بأجرامهم
فكان من النهر المعين معينهم * ومن ثم السد الحسام المثلم
فيا عجبا للبحر غالته نطفة * وللأسد الضرغام أرداه أرقم

وقال أبو العباس اللص
وقائلة والضنا شاملي * علام سهرت ولم ترقد
وقد ذاب جسمك فوق الفرا * ش حتى خفيت على العوّد
فقلت وكيف أرى نائما * ورائي المنية بالمرصد

ولما قرئ عليه ديوان أبي تمام ومر فيه وصف سيف قال أنا أشعر منه حيث أقول
تراه في غداة الغيم شمسا * وفي الظلماء نجما أو ذبالا
يروعهم معاينة ووهما * ولو ناموا لروعهم خيالا

وقال أبو اسحق الالبيري
تمر لداتي واحدا بعد واحد * وأعلم اني بعدهم غير خالد
وأحمل موتاهم وأشهد دفنهم * كأني بعيد عنهم غير شاهد
فها أنا في علمي لهم وجهالتي * كمستيقظ يرنو بمقلة راقد

قيل ولو قال في البيت الثاني كأني عنهم غائب غير شاهد لكان أحسن وأبدع وأبرع في الصناعة الشعرية قاله ابن الابار رحمه الله تعالى * وقال الوزير أبو الوليد بن مسلمة
اذا خانك الرزق في بلدة * ووافاك من همها ما كثر
ففتاح رزقك في بلدة * سواها فردها تنل ما يسر
كذا المبهمات بوسط الكتا * ب مفتاحها أبدا في الطرر

وقال أبو الطاهر اسمعيل الحشني الجياني المعروف بابن أبي راكب وقيل ان أخاه الاستاذ أبا بكر هو المعروف بذلك
يقول الناس في مثل * تذكر غائبا تره فمالي لا أرى سكني * ولا أنسى تذكره

وأنشد أبو المعالي الاشبيلي الواعظ بمسجد رحبة القاضي من بلنسية أبياتا منها
أنا في الغربة أبكي * ما بكت عين غريب
لم أكن يوم خروجي * من بلادي بمصيب

الجبال بحامه لا يلين عن قسر قناته ولا يدرك ذو مقال اناته مهدمهاده وبنى الملك وشاده فان بلغ ما نحن فيه صوابا فأبوك استبد به ونحن شركاؤه ولولا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب ولسلمنا اليه ولكنا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا فأخذنا بمثله فعب اباك بما بدا لك أودع ذلك والسلام على من اناب (ومما كتب به معاوية الى علي) أما بعد فلو علمنا ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض وانا وان كنا قد غلبنا على عقولنا فقد بقي لنا منها ما نرد به ما مضى ونصلح به ما بقي وقد كنت سألتك الشأم على ان لا تلزمني لك طاعة وأنا أدعوك اليوم الى ما دعوتك اليه أمس فانك لا ترجو من البقاء الا ما أرجو ولا تخاف من القتال الا ما أخاف وقد والله رقت الاجناد وذهبت الرجال ونحن بنو عبد مناف وليس لبعضنا على بعض فضل يستذل به عزيز ويسترق به حر والسلام (فكتب اليه علي كرم الله وجهه) من علي بن ابي طالب

 الى معاوية بن ابي سفيان اما بعد فقد جاءني كتابك تذكر فيه انك لو علمت ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت

عجبالى ولتركى * وطنافيه حبيبى

وقال أبو القاسم بن الانقر السرقسطى

احفظ لسانك والجوارح كلها * فلكل جارحة عليك لسان

واخزن لسانك ما استطعت فانه * ليث هصور والكلام سنان

وقال أبو القاسم خلف بن يحيى بن خطاب الزاهد مما نسبه لابى وهب الزاهد

قد تخيرت أن أكون مخفا * ليس لى من مطيهم غير رجلى

فاذا كنت بين ركب فقالوا * قدموا للرحيل قدمت نعلى

حيثما كنت لا أخلف رحلا * من رآنى فقد رآنى ورحلى

وقال أبو عبد الله بن محمد بن فتح الانصارى الثغرى

كم من قوى قوى فى تقلبه * مهذب الرأى عنه الرزق ينحرف

ومن ضعيف ضعيف الرأى مختبل * كأنه من خليج البحر يغترف

وقال أبو القاسم محمد بن نصير الكاتب

مضت أعمارنا ومضت سنونا * فلم تظفر بذى ثقة يدان

وجربنا الزمان فلم يفدنا * سوى التخويف من أهل الزمان

وحكى عن الفقيه الاديب النحوى ابى عبد الله محمد بن ميمون الحسينى قال كانت لى فى صبوتى جارية وكنت مغرى بها وكان أبى رحمه الله تعالى يعذلنى فيها ويعرض لى ببيعها لانها كانت تشغلنى عن الطلب والبحث عليه فكان عذله يزيدنى اغراء بها فرأيت ليلة فى المنام كان رجلا يأتينى فى زى أهل المشرق كل ثيابه بيض وكان يلقى فى نفسى انه الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهما وكان ينشدنى

تصبو الى مى ومى لاتنى * تزهو بسلوك التى لاتنقضى

وخف ارك القوم الا لى مامنهم * الا امام أو وصى أو نبى

فاثن عنانك للهدى عن ذى الهوى * وخف الاله عليك وحدك وارعوى

قال فانتبهت فزعا مفكرا فيما رأيته فسألت الجارية هل كان لها اسم قبل أن تتسمى بالاسم الذى أعرفه فقالت لا ثم عاودتها حتى ذكرت انها كانت تسمى مية فبعتها حينئذ وعلمت انه وعظ وعظنى الله به عز وجل وبشرى * وقال ابن الحداد أول قصيدته حديقة الحقيقة

ذهب الناس فانفرادى أنيسى * وكتابى محدثى وجليسى

صاحب قد أمنت منه ملالا * واختلالا وكل خلق بئيس

ليس فى نوعه بحى ولكن * يلتقى الحى منه بالمرموس

وقال بعض أهل الجزيرة الخضراء

الحاظكم تجرحنا فى الحشا * ولحظنا يجرحكم فى الخدود

جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا * فما الذى أوجب جرح الصدود

وقال ابن النعمة انهما لابن شرف وقد ذكرناهما مع جوابهما فى غير هذا الموضع * وقال المعتمد بن عباد

لم يجبها بعضنا على بعض وانا أعطيك اليوم ما منعتك امس واما استواؤنا فى الخوف والرجاء فلست بأمضى على الشك منى على اليقين وليس أهل الشام على الدنيا باحرص من أهل العراق على الآخرة واما قولك نحن بنو عبد مناف فكذلك نحن وليس امية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا أبو سفيان كابى طالب ولا الطليق كالمهاجر ولا المبطل كالمحق وفى ايدينا فضل النبوة التى قتلنا بها العزيز وبعنا بها الحر والسلام (وحدث) أبو جعفر محمد ابن جرير الطبرى عن محمد ابن حميد الرازى عن أبى مجاهد عن محمد بن اسحق ابن ابى نجيح قال لما حج معاوية طاف بالبيت ومعه سعد فلما فرغ انصرف معاوية الى دار الندوة فأجلسه معه على سريره ووقع معاوية فى على وشرع فى سبه فزحف سعد ثم قال أجلستنى معك على سريرك ثم شرعت فى سب على والله لأن يكون فى خصلة واحدة من خصال كانت لعلى أحب الى من ان يكون لى ما طلعت عليه الشمس والله لأن أكون صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم لى من الولد ما لعلى احب الى من أن يكون لى ما طلعت عليه الشمس

اقنع بحظك في دنياك ما كانا * وعز نفسك ان فارقت أوطانا
في الله من كل مفقود مضى عوض * فأشعر القلب سلوانا وايمانا
أكلما سنحت ذكرى طربت لها * مجت دموعك في خديك طوفانا
أما سمعت بسلطان شبيهك قد * بزته سود خطوب الدهر سلطانا
وطن على الكره وارقب اثره فرجا * واستغنم الله تغنم منه غفرانا

وقال أبو عامر البرياني في الصنم الذي بشاطبة

بقية من بقايا الروم معجبة * أبدى الثبات بها من علمهم حكما
لم أدر ما أضمروا فيه سوى أمم * تتابعت بعد ما سموه لنا صنما
كالبرد الفرد ما أخطا مشبهه * حقا لقد برد الايام والامما
كأنه واعظ طال الوقوف به * مما يحدث عن عاد وعن ارما
فانظر الى حجر صلد يكلمنا * أسمى وأوعظ من قس لمن فهما

قيل لو قال مكان حكما علما لاحسن * وقال السميسر

اذا شئت ابقاء أحوال الكا * فلا تحرجاها على بالكا
وكن كالطريق لمجتازها * يمروا انت على حالكا

وقال

هن اذا ما نلت حظا * فأخو العقل يهون
فبي حطك دهر * فكما كنت تكون

وقال أبو الربيع بن سالم الكلاعي أنشدني أبو محمد الشلبي أنشدني أبو بكر بن مخل لنفسه

مضت لي ست بعد سبعين حجة * ولي حركات بعدها وسكون
فياليت شعري أين أو كيف أو متى * يكون الذي لابد أن سيكون

وقال أبو محمد عبد الحق الاشبيلي

لايخدعنك عن دين الهدى نفر * لم يرزقوا في التماس الحق تأييدا
عمي القلوب عروا عن كل فائدة * لأنهم كفروا بالله تقليدا

وقال أبو محمد بن صارة

بنو الدنيا بجهل عظموها * فعزت عندهم وهي الحقيره
يهارش بعضهم بعضا عليها * مهارشة الكلاب على العقيره

وقال

اسعد بمالك في الحياة ولا تكن * تبقي عليه حذار فقر حادث
فالبخل بين الحادثين وانما * مال البخيل لحادث أو وارث

ودخل أبو محمد الطائي القرطبي على القاضي أبي الوليد بن رشد فأنشده ارتجالا

قد قام لي السيد الهمام * قاضي قضاة الورى الامام
فقلت قم بي ولا تقم لي * فقلما يؤكل القيام

وقال الحافظ أبو محمد بن حزم

لاتلمني لان سبقت لحظ * فات ادراكه ذوي الالباب
يسبق الكلب وثبة الليث في العد * وو يعلو النخال فوق اللباب

ورسوله ويحب الله ورسوله ليس بفرار يفتح الله على يديه احب الي من ان يكون لي ماطلعت عليه الشمس والله لأن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي ما قال له في غزوة تبوك الا ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى الا أنه لانبي بعدي احب الي من ان يكون لي ماطلعت عليه الشمس وايم الله لا دخلت لك دارا ما بقيت ونهض (ووجدت) في وجه آخر من الروايات وذلك في كتاب علي بن محمد بن سليمان النوفلي في الاخبار عن ابن عائشة وغيره أن سعدا لما قال هذه المقالة لمعاوية ونهض ليقوم ضرط له معاوية وقال له اقعد حتى تسمع جواب ما قلت ما كنت عندي قط ألأم منك الآن فهلا نصرته ولم قعدت عن بيعته فاني لو سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم مثل الذي سمعت فيه لكنت خادما لعلي ما عشت فقال سعد والله اني لاحق بموضعك منك فقال معاوية يأبى عليك بنو عذرة وكان سعد فيما يقال لرجل من بني عذرة قال النوفلي وفي ذلك يقول

وقال أبو عبد الله الجبلي الطبيب القرطبي

اشدد يديك على كلب ظفرت به * ولا تدعه فان الناس قد ماتوا

قلت تذكرت بهذا قول الآخر

اشدد يديك بكلب ان ظفرت به * فأكثر الناس قد صاروا خنازيرا

وقال محمد بن عبد الله الحضرمي مولى بني أمية

عاشر الناس بالجميـ ـل وسدد وقارب
واحترس من أذى الكرا * م وجد بالمواهب
لا يسود الجميع من * لم يقم بالنوائب
ويحوط الاذى ويرعى ذمام الاقارب
لا تواصل الا الشريـ ـف الكريم المناصب
من له خير شاهد * وله خير غائب
واجتنب وصل كل وغـ ـد دنيء المكاسب

وقال الكاتب الحافظ أبو عبد الله بن الابار

لله نهر كالحباب * ترقيشه سامي الحباب
يصف السماء صفاوة * فصفاه ليس بذي احتجاب
وكأنما هو رقة * من خالص الذهب المذاب
غارت على شطيه أبـ ـكار المنى عصر الشباب
والطل يبدو فوقه * كالخال في خد الكعاب
لا بل أدار عليه خو * ف الشمس منه كالنقاب
مثل المجرة جر فيـ ـها ذيله جون السحاب

وقال

شتى محاسنه فمن زهر على * نهر تسلسل كالحباب تسلسلا
غربت به شمس الظهيرة لا تني * احراق صفحته فيا مشعلا
حتى كساه الدوح من أفنانه * بردا عزين في الاصيل مسلسلا
وكأنما الظلال بمتنه * قطع الدماء جمدن حين تحللا

وقال يمدح المستنصر صاحب افريقية

ان البشائر كلها جمعت * للدين والدنيا وللأمم
في نعمتين جسيمتين هما * برء الامام وبيعة الحرم

قال ابن الابار واخبرني بعض اصحابنا يعني ابا عمرو بن عبد الغني انه انشدهما الخليفة فسبقه الى عجز البيت الثاني فقلت له على البديهة

فخر لشعري على الاشعار يحفظه * خليفة الله كان الله حافظه

واشار بقوله بيعة الحرم الى ما ذكره ابن خلدون وغير واحد من المؤرخين ان اهل مكة خطبوا للمستنصر صاحب تونس بعرفة وكتبوا له بيعة من انشاء ابن سبعين المتصوف وقد ذكر ابن خلدون نص البيعة في ترجمة المستنصر فليراجعها من أرادها * وقال ابن الابار

من كان اقدمها سلما واكثرها * علما واطهرها اهلا واولادا
من وحد الله اذ كانت مكذبة * تدعو مع الله أوثانا وأندادا
من كان يقدم في الهيجاء ان نكلوا * عنها وان بخلوا في أزمة جادا
من كان أعدلها حكما وأقسطها * حلما وأصدقها وعدا وايعادا
ان يصدقوك فلم يعدوا أبا حسن * ان أنت لم تلق للابرار حسادا
ان أنت لم تلق من تيم أخا صلف * ومن عدي لحق الله جحادا
أو من بني عامر أو من بني أسد * رهط العبيد ذوي جهل وأوغادا
أو رهط سعد وسعد كان قد علموا * عن مستقيم صراط الله صدادا
قوم تداعوا زنيما ثم سادهم * لولا خمول بني زهر لما سادا

وكان سعد واسامة بن زيد وعبد الله بن عمر ومحمد بن سلمة ممن قعد عن علي بن أبي طالب وأبوا أن يبايعوه هم وغيرهم ممن ذكرنا من القعاد عن بيعته وذلك انهم قالوا انها فتنة ومنهم من قال لعلي أعطنا سيوفا نقاتل بها معك فاذا ضربنا بها المؤمنين لم تعمل فيهم ونبت عن أجسامهم واذا

ألا اسمع في الامير مقال صدق * وخذه عن امرئ خدم الاميرا

متى يكتب ترد وشلا اجاجا * وان يركب ترد عذبا غزيرا

وقال مجيبا التجانى

أيها الصاحب الصفى مباح * لك عنى فيما نصصت الروايه

ان عنانى اسعاف قصدك فيها * فلكم لم تزل بها ذا عنايه

ولما شرطها محافظ عليه * ثم كافئ وصيتى بالكفايه

وتمام الاخلال جهدك لاقيت * من الله عصمة وحمايه

ونص استدعاء التجانى

ان رأى سيدى الذى حاز فى العلم مع الحلم والعلا كل غايه

وحوى المجد عن جدود كرام * كلهم فى السماح والفضل آيه

أن أرى عنه بالاجازة أروى * كل ما فيه لى تصح الروايه

من حديث وكل نظم ونثر * وفنون له بهن درايه

فله فى ذاك الثواب من الله ومنا الثناء دون نهايه

دام فى رفعة وعز وسعد * وأمان ومكنة وحمايه

ما تولى جيش الظلام هزيما * وعلت للصباح فى الافق رايه

ولابن الابار ترجمة واسعة ذكرتها فى أزهار الرياض فى أخبار عياض وما يناسبهما يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض فلتراجع فيه * وأما التجانى أبو عبد الله هذا المذكور فقد وصفه قريبه أبو الفضل محمد حفيد عمه فى كتابه الحلى التجانيه قال ابن رشيد وجمعه باسمنا حفظه الله تعالى وشكره وقال فى موضع آخر انه باسمه واسم صاحبه الوزير ابن الحكيم رحمهما الله تعالى انتهى * وقال ابن مفوز أبو الحسين

اذا عرتك عيلة * يعجز عنها ما تجد

فلتقتصد فانه * ما عال قط مقتصد

وقال

حاز دنياه كلها * محرزا أكبر المنن

من حوى قوت يومه * آمنا سالم البدن

وقال

أعن أخاك فى الذى * يأمله ويرتجيه

فالله فى عون الفتى * ما كان فى عون أخيه

وقال

أنفس ما أودعته * قلبك ذكرى موقظه

وخير ما أتلفته * مال أفاد موعظه

وقال أبو البركات القميحى أنشدنا أبو العباس بن مكنون وقد رأى اهتزاز الثمار وتمايلها مرتجلا

حارت عقول الناس فى ابداعها * أسكرها أم شكرها تتأود

فيقول ارباب البطالة تنثنى * ويقول أرباب الحقيقة تسجد

قال الشيخ أبو البركات القميحى قلت لابن مكنون ما الذى يدل على انهما فى وصف الثمار فقال وطىء أنت لهما فقلت

ضربنا بها الكافرين سرت فى أبدانهم فاعرض عنهم على وقال ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون (وذكر) أبو مخنف لوط بن يحيى وغيره من الاخبار بين ان الامر لما أفضى الى معاوية أتاه أبو الطفيل الكنانى فقال له كيف وجدك على خليلك أبى الحسن قال كوجد أم موسى على موسى وأشكو الى الله التقصير فقال معاوية أكنت فيمن حضر قتل عثمان قال لا ولكنى فيمن حضر فلم ينصره قال فما منعك من ذلك وقد كانت نصرته عليك واجبة قال منعنى ما منعك اذ تربص به ريب المنون وأنت بالشام قال أوما ترى طلبى بدمه نصرة له قال بلى ولكنك واياه كما قال الجعدى

لا ألفينك بعد الموت تندبنى وفى حياتى ما زودتنى زادا

ودخل على معاوية ضرار ابن الخطاب فقال له كيف حزنك على أبى الحسن قال حزن من ذبح ولدها على صدرها فما ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها (ومما جرى) بين معاوية وبين قيس بن سعد بن عبادة حين كان عاملا على مصر فكتب اليه معاوية أما بعد فانك يهودى ابن يهودى وان ظفر أحب الفريقين اليك عزلك واستبدل بك وان ظفر أبغضهما اليك

يامن أتى متنزهاً في روضة * ازهارها من حسنها تتوقد
انظر الى الاشجار في دوحاتها * والريح تنسف والطيور تغرد
فترى الغصون تمايلت أطرافها * وترى الطيور على الغصون تعربد

قال ابن رشيد غلط المذكور في نسبته البيتين لابن مكنون وانما هما لابي زيد الفازازي من قصيدة أولها

نعم الاله بشكره تتقيد * فالله يشكر في النوال ويحمد
مدت اليه أكفنا محتاجة * فأنالها من جوده ما تعهد

والبيتان في أثنائها غير أن أولهما في ديوانه هكذا تاهت عقول الناس في حركاتها انتهى ورأيت في روضة التعريف للسان الدين بعدهما بيتا ثالثا وهو

واذا أردت الجمع بينهما فقل * في شكر خالقها تقوم وتقعد انتهى

وحكى أن حافظ الاندلس امام الادباء ورئيس المؤلفين حسنة الزمان نادرة الاحسان أبا محمد عبد الله بن ابراهيم الصنهاجي الحجاري صاحب كتاب المسهب كان سبب اتصاله بعبد الملك بن سعيد جد علي بن موسى صاحب المغرب أنه وفد عليه في قلعته فلما وقف ببابه وهو بزي بدوي ازدراه البوابون فقال لهم استأذنوا لي على القائد فضحكوا به وقالوا له ما كان وجد القائد من يدخل عليه في هذه الساعة الا أنت فمد يده الى دواة في حزامه وسحاءة وكتب بها بباب القائد الاعلى لازال آهلا بأهل الفضل رجل وفد عليه من شلب بقصيدة مطلعها عليك أحالني الذكر الجميل فان رأى سيدي أن يحجب من بلده شلب ومن قصيده هذا فهو أعلم بما يأتي ويذر ولا عتب على القدر ورغب الى احد غلمانه فأوصل الورقة فلما وقف عليها القائد قال من شلب بلده وهذا مطلع قصيدته ما لهذا الا شأن وانه لهو زير ابن عمار وقد نشر الى الدنيا عجلوا بالاذن له فأذن له فدخل وبقي واقفا لم يسلم ولا كلم احدا فاستثقله الحاضرون واستبردوا مقصده ونسبوه للجهل وسوء الادب فقال له احدهم مالك لا تسلم على القائد وتدخل مداخل الادباء والشعراء فقال حتى أخجل جميعكم قدر ما أخجلتموني على الباب مع أقوام أنذال وأعلم أيضا من هو الكثير الفضول من أصحاب القائد أعزه الله تعالى فأكون أتقيه ان قدر لي خدمته فقال له عبد الملك أتأخذنا بما فعل السفهاء منا قال لا والله بل أغفر لك ذنوب الدهر أجمع وانما هي أسباب تقصدها التجاور بها مثلك اعزك الله تعالى وبتمكن التأنيس وبحل قيد الهيبة ثم انشد من راسه ولا ورقة في يده

عليك أحالني الذكر الجميل * فصح العزم واقتصر الرحيل
وودعت الحبيب بغير صبر * ولم اسمع لما قال العذول
واسبلت الظلام على ستر * ونجم الافق ناظره كليل
ولم اشك المسير وقد دعاني * الى ارجائك الظل الظليل

وهي طويلة فأكرمه وقربه رحمه الله تعالى الجميع * واهديت للمعتمد بن عباد شمعة فقال في وصفها ابو القاسم بن مرزقان الاشبيلي وهو ممن قتل في فتنة المعتمد

مدينة في شمعة صورت * قامت حماة فوق اسوارها

تكل بك وقتل اشوقد كان أبوك أوتر قوسه ورمى غرضه فأكثر الجد وأخطأ القصد فخذله قومه وادركه يومه ثم مات بحوران طريدا فكتب اليه قيس بن سعد اما بعد فانما أنت وثني ابن وثني دخلت في الاسلام كرها وخرجت منه طوعا لم يقدم ايمانك ولم يحدث نفاقك وقد كان أبي أوتر قوسه ورمى غرضه فشغب به من لم يبلغ عقبه ولا شق غباره ونحن انصار الدين الذي منه خرجت واعداء الدين الذي فيه دخلت (ودخل) قيس بن سعد بعد وفاة علي ووقوع الصلح في جماعة من الانصار على معاوية فقال لهم معاوية يا معشر الانصار بم تطلبون ما قبلي فوالله لقد كنتم قليلا معي كثيرا علي ولفللتم حدي يوم صفين حتى رأيت المنايا تلظى في أسنتكم وهجوتموني في أسلافي بأشد من وقع الاسنة حتى اذا أقام الله ما حاولتم ميله قلتم ارع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم هيهات يأبى الحقير الغدرة فقال قيس نطلب ما قبلك بالاسلام الكافي به الله لا بما غمت به اليك الاحزاب وأما عداوتنا لك فلو شئت كففتها عنك وأما هجاؤنا اياك فقول يزول باطله ويثبت حقه وأما استقامة الامر

وما

وماراينا قبلها روضة * تتقد النار بنوّارها
تصير الليل نهارا اذا * ما اقبلت ترفل فى نارها
كانها بعض الايادى التى * تحت الدجى تسرى بأنوارها
من ملك معتمد ماجد * بلاده أوطان زوّارها

وقال أبو الاصبغ بن رشيد الاشبيلى لما هطلت باشبيلية سحابة بقطر أحمر يوم السبت الثالث عشر من صفر عام أربعة وستين وخمسمائة

لقد آن للناس أن يقلعوا * ويمشوا على السنن الاقوم
متى عهد الغيث ياغافلا * كلون العقيق أو العندم
اظن الغمائم فى جوها * بكت رحمة للورى بالدم

وفيها ايضا

لاتكن دائم الكآبة مما * قد غدا فى الثرى غيرا نجيعا
لطم البرق صفحة المزن حتى * سال منه على الرياض نجيعا

وله فى دولاب

ومجنون اذا دارت سمعت لها * صوتا اجش وطل الماء ينهمل
كان أقداسها ركب اذا سمعوا * منها حداء بكوا اللبين وارتحلوا

وله فيمن اسمه مالك

غزالى الجفون شقيق بدر * تبسم عن عقيق فوق در
له نفحات مسك أى مسك * له نفثات سحر أى سحر
شكوت له الهوى والهجر منه * فقال عليك باسمى سوف تدرى
تعلمت القساوة من سمى * وأحرقت القلوب بنار هجرى

وقال ابو بكر بن حجاج الغافقى فى موسى وسيم اشبيلية الذى كان شعراؤها يتغزلون فيه

من مبلغ موسى المليح رسالة * بعثت له من كافرى عشاقه
ماكان خلق واغبا عن دينه * لولم تكن توراته من ساقه

وقال

ان الزويلى فتى شاعر * قد اعجب العالم من نظمه
وانت ياموسى قد اخترته * واختار موسى قبل من قومه

وقال

على معاذ قرون لو يعاينها * فرعون ماقال اوقد لى على الطين
قالت له عرسه اذ جاء ينكعها * ماذا دهيت به من كل عنين
هلا استعنت بميمون فقال لها * انى استعنت على نفسى بميمون

وقال ابو وهب عبد الرؤف النحوى وكان له حظ فى قرض الشعر وكان سقاطا

ليس لمن ليست له لحية * باس اذا حصلته ليسا
وصاحب اللحية مستقبح * يشبه فى طلعته التيسا
ان هبت الريح تلاهت به * وماست الريح به ميسا

وقال ابو عبد الله محمد بن يحيى القلفاط

ياغزالا عن لى فابتز قلبى ثم ولى

لله طاعة واما وصية رسول الله بنا فمن آمن به رعاها بعده وأما قولك يا أبى الحقير الغدرة فليس دون الله يد تحجزك منا يامعاوية فقال معاوية يموّا رفعوا حوائجكم وقد كان قيس بن سعد من الزهد والديانة والميل الى على بالموضع العظيم وبلغ من خوفه الله وطاعته اياه انه كان يصلى فلما أهوى للسجود اذا فى موضع سجوده ثعبان عظيم مطرق فمال عن الثعبان برأسه وسجد الى جانبه فتطوّق الثعبان برقبته فلم يقصر من صلاته ولا نقص منها شيأ حتى فرغ ثم أخذ الثعبان فرمى به كذلك ذكر الحسن بن على بن عبد الله بن المغيرة عن معمر ابن خلاد عن أبى الحسن على بن موسى الرضا وقال عمرو بن العاص لمعاوية ذات يوم قد أعيانى ان أعلم أجبان أنت أم شجاع لانى أراك تتقدم حتى أقول أراد القتال ثم تتأخر حتى أقول أراد الفرار فقال له معاوية والله ما أتقدم حتى أرى التقدم غنما ولا أتأخر حتى أرى التأخر حزما كما قال القطامى

شجاع اذا ما أمكنتنى فرصة * والا تكن لى فرصة فجبان

(وذكر أبو مخنف) لوط بن يحيى عن أبى الاغر التميمى

انت مني بفؤادي * يا مني نفسي اولى

وقال احمد بن المبارك الحبيبي فى الناصر قبل ان يلي عهد جدّه

ياعابد الرحمن فقت الورى * بهذه العليا وهذا الكرم
ماجعل الله الندى فى امرئ * الا وقد جنبه كل ذم

واستدعى الوزير عبيد الله بن ادريس أبا بكر أحمد بن عثمان المرواني ونادمه ليلة فلما قرب الصباح قال له أين ما يحدث عندك من حسن الشعر فهذا موضعه فقال الدواة والقرطاس فأمر له باحضارهما فجعل يفكر ويكتب الى أن أنشده هذه الابيات

بتنا ندامى صفاء يستحث لنا * فى جامد الفضة التبر الذى سبكا
كل مصيخ الى ما قال صاحبه * ولا يبالى أصدقا قال أم افكا
موفرون خفاف عند شربهم * ولا يخافون فيما أحد ثوا دركا
لا تعدمن اذا أبصرتهم فرحا * اما ترى الصبح من بشر بهم ضحكا

وقال أبو محمد عبد الله المرواني فى الخيري

عجبت من الخيري يكتم عرفه * نهارا ويسرى بالظلام فيعرب
فتجنى عروس الطيب منه يد الدجا * ويبدو له وجه الصباح فيحجب

وقال ابراهيم بن ادريس العلوي

للبين فى تعذيب نفسي مذهب * ولنائبات الدهر عندي مطلب
أماديون الحادثات فانها * تأتي لوقت صادق لا يكذب

وخرج الاديب النحوي هذيل الاشبيلي يوما من مجلسه فنظر الى سائل عاري الجسم وهو يرعد ويصيح الجوع والبرد فأخذ بيده ونقله الى موضع بلغته الشمس وقال له صح الجوع فقد كفاك الله مؤنة البرد * ومر المعتمد بن عباد ليلة مع وزيره ابن عمار بباب شيخ كثير التندير والتهكم يمزج ذلك بانحراف ويضحك الثكلى فقال لابن عمار تعال نضرب على هذا الشيخ الساقط بابه حتى نضحك معه فضربا عليه الباب فقال من هذا فقال ابن عباد انسان يرغب أن تقدله هذه الفتيلة فقال والله لو ضرب ابن عباد بابي فى هذا الوقت ما فتحته له فقال فاني ابن عباد فقال مصفوع ألف صفعة فضحك ابن عباد حتى سقط الى الارض وقال لوزيره امض بنا قبل أن يتعدى الصفع من القول الى الفعل فهذا شيخ ركيك ولما كان من غد تلك الليلة وجه له ألف درهم وقال لموصلها قل له هذه حق الالف صفعة التي كانت البارحة * وكان فى زمان المعتمد السارق المشهور بالبازي الاشهب وكان له فى السرقة كل غريبة وكان مسلطا على أهل البادية وبلغ من سرقته أنه سرق وهو مصلوب لان ابن عباد أمر بصلبه على ممر أهل البادية لينظروا اليه فبينما هو على خشبته على تلك الحال اذ جاءت اليه زوجته وبناته وجعلن يبكين حوله ويقلن لمن تتركنا نضيع بعدك واذا ببدوي على بغل وتحته حمل ثياب وأسباب فصاح عليه يا سيدي انظر فى أي حالة أنا ولي عندك حاجة فيها فائدة لي ولك قال وما هي قال انظر الى تلك البئر لما أرهقني الشرط رميت فيها مائة دينار فعسى تحتال فى اخراجها وهذه زوجتي وبناتي يمسكن بغلك خلال ما تخرجها فعمد البدوي الى حبل

اذ مر العباس بن ربيعة مغفرا بالسلاح وعيناه يبصان من تحت المغفر قال بينا انا واقف نهق بين كانهما شعلتا نار أو عينا ارقم وبيده صفيحة له يمانية يقلبها والمنايا تلوح فى شفرتها وهو على فرس صعب فبينا هو يعشه ويمنعه ويلين من عريكته اذ هتف به هاتف يقال له غرار بن أدهم من أهل الشام يا عباس هلم الى النزال قال فالنزول اذا فانه اياس من الحياة فنزل اليه الشامي وهو يقول

ان تركبوا فركوب الخيل عادتنا
أو تنزلون فانا معشر نزل

وثنى العباس وركه وهو يقول

الله يعلم أنا لا نحبكم
ولا نلومكم أن لا تحبونا

ثم عصر فضلات درعه فى حجزته يريد منطقته ودفع فرسه الى غلام له أسود كاني والله انظر فلافل شعره ثم زحف كل واحد منهما الى صاحبه وكف الفريقان اعنة الخيول ينظرون ما يكون من الرجلين فتكافحا بسيفيهما مليا نهارهما لا يصل واحد منهما الى صاحبه لكمال لامته الى ان لحظ العباس وهنا فى درع الشامي فاهوى اليه بيده وهتكه الى ثندوته ثم عاد لمجاولته وقد أفرج له مفتق الدرع فضربه العباس ضربة انتظم بها جوانح صدره فخر الشامي لوجهه فكبر الناس

ودلى نفسه فى البئر بعدما اتفق معه على أن يأخذ النصف منها فلما حصل أسفل البئر قطعت زوجة السارق الحبل وبقى حائرا يصيح وأخذت ما كان على البغل مع بناتها وفرت به وكان ذلك فى شدة حر وما سبب الله شخصا يغيثه الا وقد غبن عن العين وخلص فتحيل ذلك الشخص مع غيره على اخراجه وسألوه عن حاله فقال هذا الفاعل الصانع احتال على حتى مضت زوجته وبناته بثيابى وأسبابى ورفعت هذه القصة الى ابن عباد فتعجب منها وأمر باحضار البازى الاشهب وقال له كيف فعلت هذا مع انك فى قبضة الملكة فقال له ياسيدى لو علمت قدر لذتى فى السرقة خليت ملكك واشتغلت بها فلعنه وضحك منه ثم قال له ان سرحتك واحسنت اليك وأجريت عليك رزقا تلك أتتوب من هذه الصنعة الذميمة فقال يامولاى كيف لا أقبل التوبة وهى التى تخلصنى من القتل فعاهده وقدمه على رجال أنجاد وصار من جملة حراس أحواز المدينة* ويحكى ان منصور بنى عبد المؤمن لما أراد بناء صومعة اشبيلية العظيمة القدر احضر لها العرفاء والصناع من مظانهم فعرف بشيخ مغفل صحيح المذهب عارف بالبناء الذى يجهله كثير من الصناع فأحضر فقال له المنصور كم تقدر ان ينفق على هذه الصومعة فضحك وقال ياسيدى البناء ان اعطاه ومثل ذا كراليس يقدر حتى يقوم فكاد المنصور يفتضح من الضحك وصرف وجهه عنه وبقيت حكايته يضحك عليها زمانا* وكان احمد القرينى المعروف بالكساد شاعرا وشاحا زجالا اشبيليا وقال فى موسى الذى تغزل فيه ابن سهل

مالموسى قد خر لله لما * فاض نور أغشاه ضوء سناه
وأنا قد صعقت من نور موسى * لا أطيق الوقوف حين أراه

وقال فى رثائه

فر الى الجنة حوريها * وارتفع الحسن من الارض
وأصبح العشاق فى مأتم * بعضهم يبكى على بعض

وقال فيه

هتف الناعى بشجو الابد * اذنعى موسى بن عبد الصمد
ماعليهم وحدهم لودفنوا * فى فؤادى قطعة من كبدى

ولابن سهل الاسرائيلى فى موسى هذا ما هو مثبت فى ديوانه* وكان محمد بن أحمد بن ابى بكر القرموطى المرسى من أعرف اهل الاندلس بالعلوم القديمة المنطق والهندسة والعدد والموسيقى والطب فيلسوفا طبيبا ماهرا آية الله فى المعرفة بالاندلس يقرى الامم بألسنتهم فنونهم التى يرغبون فيها وفى تعلمها ولما تغلب طاغية الروم على مرسية عرف له حقه فبنى له مدرسة يقرئ فيها المسلمين والنصارى واليهود وقال له يوما وقد ادنى منزلته لو تنصرت وحصلت الكمال كان لك عندى كذا وكنت كذا فأجابه بما اقنعه ولما خرج من عنده قال لاصحابه انا عمرى كله أعبد الها واحدا وقد عجزت عما يجب له فكيف حالى لو كنت اعبد ثلاثة كما طلب الملك منى انتهى* وقال ابو عبد الله محمد بن سالم القيسى الغرناطى يخاطب السلطان على ألسنة اصحابه الاطباء الذين ببابه موريا باسمائهم

قد جمعنا ببابكم سطر علم * لبلوغ المنى ونيل الاراده
ومن اسمائنا لكم حسن فال * سالم ثم غالب وسعاده

تكبيرة رتجت لها الارض من تحتهم وانساب العباس فى الناس فاذا قائل يقول من ورائى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين الآية فالتفت فاذا بعلى رضى الله عنه فقال ياابن الاغر من المبارز لعدونا قلت ابن اخيكم العباس بن ربيعة قال وانه لهو العباس قلت نعم فقال ياعباس ألم أنهك وعبد الله ابن عباس ان تحلا بمركزا أو تبارزا أحدا قال ان ذلك كما قلت قال على فاعدا فيما بدا قال أفادعى الى البراز فلا اجيب قال طاعة امامك أولى بك من اجابة عدوك وتغيظ واستطار ثم تطامن وسكن ورفع يديه مبتهلا فقال اللهم اشكر للعباس مقامه واغفر ذنبه اللهم انى قد غفرت له فاغفر له وتأسف معاوية على غرار بن أدهم وقال متى ينطف فحل بمثله ايطل دمه لاها الله الارجل يشرى نفسه يطلب بدم غرار فانتدب له رجلان من لخم من اهل البأس ومن صناديد الشأم فقال اذهبا فايكما قتل العباس فله مائة أوقية من التبر ومثلها من اللجين وبعدهما من برود اليمن فأتياه فدعواه الى البراز وصاحا بين الصفين يا عباس يا عباس ابرز الى الداعى فقال ان لى سيدا أريد ان أوامره فأتى عليا وهو فى

وقال ابو عبد الله بن عمر الاشبيلي الخطيب

وكل الى طبعه عائد * وان صدّه المنع عن قصده
كذا الماء من بعد اسخانه * يعود سريعا الى برده

وقال الكاتب ابو زيد عبد الرحمن العثماني لما تغير حاله باشبيلية

لا تسلني عن حالتي فهي هذي * مثل حالي لا كنت يا من يراني
ملني الاهل والاخلاء لما * ان جفاني بعد الوصال زماني
فاعتبر بي ولا يغرك دهر * ليس منه ذو غبطة في امان

ودخل الاديب النحوي ابو عمران موسى الطبراني الى بعض الا كابر يوم نيروز وعادتهم ان يصنعوا في مثل هذا اليوم مدائن من العجين لما صور مستحسنة فنظر الى مدينة اعجبته فقال له صاحب المجلس صفها وخذها فقال

مدينة مسوّره * تحار فيها المهره
لم تبنها الايدا * عذراء او مخدره
بدت عروسا تجتلى * من درمك مزعفره
وما لها مفاتح * الا البنان العشره

ورفع الى القائد ابي السمر ورصاحب ديوان سبتة قصيدة يعرض له فيها براد وقد عزم على سفر فانعم عليه بذلك ثم اتبعه بتحف مما يكون في الديوان مما يجلبه الافرنج الى سبتة ولم يكن التمس منه ذلك ولا خطر بخاطره فكتب اليه

أيا سابقا بالذي لم يجل * بفكري ولم يبد لي في خطاب
ويا غائصا في بحار الندى * ويا فاتحا للعلا كل باب
كذا فلتكن نعم الا كرمين * تفاجي بنيل المنى والطلاب
ولم ار اعظم من نعمة * أتتني ولم تك لي في حساب
سأشكرها شكر عهد الرضى * وأذكرها ذكر غض الشباب

وكتب مجاهد صاحب دانية الى المنصور بن ابي عامر الاصغر ملك بلنسية رقعة ولم يضمنها غير بيت الحطيئة

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فانك انت الطاعم الكاسي

فاحرجت المنصور واقامته واقعدته فاحضر وزيره اباعامر بن التاكرني فكتب عنه

شتمت مواليها عبيد نزار * شيم العبيد شتيمة الاحرار

فسلا المنصور عما كان فيه * ومن شعر المذكور في المنصور

انهض على اسمك انه منصور * وارم العدو فانه مقهور
ولو اغتنيت عن النهوض كفيتهم * فبذكر بأسك كلهم مذعور
ولتبلغن مدى مرادك فيهم * ويكون يوم في العدا مشهور

وقال له المنصور يوما والله لقد سئمت من هؤلاء الجند ووددت الراحة منهم فقال له يصبر مولاي ولا بد من السآمة فهي على حالتين اما ان يكون امرك اليه او يكون امره اليك والحمد لله

في بطنه اطفاء لنور الله (ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون) اما والله ليملكنكم منا رجال ورجال يسومونهم سوم الخسف حتى تعفو الآثار ثم قال ياعباس ناقلني سلاحك بسلاحي فناقله ووثب على فرس العباس وقصد اللخميين فلم يشكا انه العباس فقالا له أذن لك صاحبك فتحرج ان يقول نعم فقال (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير) وكان العباس أشبه الناس في جسمه وركوبه بعلي فبرزله احدهما فأخطاه ثم برزله الآخر فالحقه بالاول ثم أقبل وهو يقول (الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) ثم قال ياعباس خذ سلاحك وهات سلاحي فان عاد لك احد فعد لي ونمى الخبر الى معاوية فقال قبح الله اللجاج انه لعقور ما ركبته قط الا خذلت فقال عمرو ابن العاص المخذول والله اللخميان والمغرور من غررته لا انت المخذول قال اسكت ايها الرجل فليس

الذى رفعه عن الحالة الاولى وقال بعض الهجائين فى رندة

قبحا لرندة مثل ما * قبحت مطالعة الذنوب
بالدعاء وحشة * ما ان يفارقه القطوب
ما ان يفارقه احد فينـ ـوى بعد بين أن يؤوب
لم آتها عند الضحى * الا وخيل لى الغروب
أفق أغم وساحة * تملأ القلوب من الكروب

وقال حبلاص الشاعر الرندى

لاتفرحن بولاية سوّغتها * فالثور يعلف أشهرا كى يذبحا

وله فى بعض رؤساء الملثمين من قصيدة

ولو لم تكن كالبدر نورا ورفعة * لما كنت غرابا لسحاب ملثما
وما ذاك الا للنوال علامة * كذا القطر مهما انثم الافق انهمى

فاهتز الملثم وأعجبه وأمر له بكسوة وذهب * ولما ذكر أبو بكر بن عمر الرندى فى مجلس بعض الرؤسا بحضرة أبى الحسن على بن سعيد وأطنب فى الثناء عليه وعمر المجلس بشكره وأخبر بذلك أطرق ساعة ثم قال

لاتذكرن ما غاب عنى من ثنا * أطنبت فيه فليس ذلك يجهل
فتى حضرت بمجلس وجرى به * خبرى فان الذكر فيه يجمل

ولما نفى بنو ذى النون أرقم من نسبهم لانه كان ابن أمة مهينة واقعها أبو الظافر فى حال سكره ولم يكن فيهم من ينظم ويتولع بالادب غيره وولى ابنه يحيى وكان أحسد من طلعت عليه الشمس فمال على أرقم بالاذاية حتى فر عن مملكته وقال مرتجلا

لئن طبتم نفسا بتركى دياركم * فنفسى عنكم بالتفرق أطيب
اذا لم يكن لى جانب فى دياركم * فما العذر لى أن لا يكون تجنب
زعمتم بأنى لست فرعا لاصلكم * فهلا علمتم أنى عنه أرغب
وحسبى اذا ما البيض لم ترع نسبة * بأنى الى سيفى ورمحى أنسب
وان مدت الايام عمرى للعلا * يشرق ذكرى فى الورى ويغرب

وكتب الوزير الكاتب أبو محمد بن سفيان الى أبى أمية بن عصام قاضى القضاة بشرق الاندلس عين زمانه فوقعت نقطة على العين فتوهمها وظن انه أبهمها واعتقدها وعددها وانتقدها فقال

لا تلزمنى ما جنته يراعة * طمست بريقتها عيون ثناء
حقدت على لزامها فتحوّلت * أفعى تمج سمامها بسحاء
غدر الزمان وأهله عرف ولم * أسمع بغدر يراعة واباء

وشرب المأمون بن ذى النون مع أبى بكر محمد بن أرفع رأسه الطليطلى وحفل من رؤساء ندمائه كابن لبون وابن سفيان وابن الفرج وابن المثنى بغرته هذا كره فى ملوك الطوائف فى ذلك العصر فقال كل واحد ما عنده بحسب غرضه فقال ابن أرفع رأسه ارتجالا

لصفقتك قال قد علمت ذلك ولولا مصر وولاية ما لركبت المنجاة منها فانى اعلم أن على بن أبى طالب على الحق وانا على ضده فقال معاوية مصر والله اعمتك ولولا مصر لالفيتك بصيرا ثم ضحك معاوية ضحكا ذهب به كل مذهب قال مم تضحك يا أمير المؤمنين اضحك الله سنك قال اضحك من حضور ذهنك يوم بارزت عليا وابدائك سوأتك اما والله يا عمرو لقد واقعت المنايا ورأيت الموت عيانا ولو شاء لقتلك ولكن أبى ابن أبى طالب فى قتلك الا تكرما فقال عمرو اما والله انى لعن يمينك حين دعاك الى البراز فاحولت عيناك وبدا سحرك وبدا منك ما اكره ذكره لك من نفسك فاضحك أودع (وذكر أبو مخنف) لوط ابن يحيى ان معاوية برز فى بعض أيام صفين أمام الناس وكر على ميسرة على وكان على فيها فى ذلك الوقت يعبى الناس فغير على لامته وجواده وخرج بلامة بعض أصحابه وصمد له معاوية فلما تدانيا انتبه معاوية فغمز برجليه على جواده وعلى وراءه حتى فاته ودخل فى مصاف أهل الشام فاصاب على رجلا من مصافهم دونه ثم رجع وهو يقول

يا لهف نفسى فاتنى معاويه * فوق طمر كالعقاب الضاريه

تخطاك المنايا لا تموت
فاجابه عمرو
فلست بميت مادمت حيا
ولست بميت حتى تموت
(وذكر) ان معاوية لما نظر الى عساكر أهل العراق وقد أشرفت وأخذت الرجال مراتبها من الصفوف ونظر الى علي على فرس أشقر حاسر الرأس يرتب الصفوف كانه يغرسهم في الارض غرسا فيثبتون كانهم بنيان مرصوص قال لعمرو يا أبا عبد الله اما تنظر الى ابن أبي طالب وما هو عليه فقال له عمرو من طلب عظيما خاطر بعظيم وقد كان معاوية في سنة اربعين بعث بشر ابن ارطاة في ثلاثة آلاف حتى قدم المدينة وعليها ابو ايوب الانصاري فتنحى وجاء بشر حتى صعد المنبر وتهدد أهل المدينة بالقتل فاجابوه الى بيعة معاوية وبلغ الخبر عليا فانفذ حارثة ابن قدامة السعدي في ألفين ووهب ابن مسعود في ألفين ومضى بشر الى مكة ثم سار الى اليمن وكان عبد الله بن العباس بها فخرج عنها ولحق بعلي واستخلف عليها عبد الله بن عبد المدان الحرثي وخلف ابنيه عبد الرحمن وقثم عند امهما جويرية بنت قارط الكنانية

دعوا الملوك وأبناء الملوك فمن * أضحى على البحر لم يشتق الى نهر
ما في البسيطة كالمأمون ذو كرم * فانظر لتصديق ما اسمعت من خبر
يا واحدا ما على عليائه مختلف * مذ جاد كفك لم نحتج الى المطر
وقد طلعت لنا شمسا فما نظرت * عين الى كوكب يهدي ولا قمر
وقد بدوت لنا وسطى ملوكهم * فلم تعرج على شذر ولا درر

فدا اخل ابن ذي النون من الارتياح ما ليس عليه مزيد وأمر له باحسان جزيل عتيد وقال ابو أحمد عبد المؤمن الطليطلي

رأيت حياتي قادحا في معيشتي * ويصعب تركي للحياء ويقبح
وقد فسد الناس الذين عهدتهم * وقد طال تأنيبي لمن ليس يصلح

وله
ولما غدوا بالغيد فوق جمالهم * طفقت أنادي لا أطيق بهم همسا
عسى عيس من أهوى تجود بوقفة * ولو كوقوف العين لاحظت الشمسا

وقال الزاهد ابو محمد عبد الله بن الغسال

أعندكم علم بأني متيم * والا فما بال المدامع تسجم
وما بال عيني لا تغمض ساعة * كاني في رعي الدراري منجم

وكان الوزير أبو جعفر الوقشي تياها معجبا بنفسه ومن شعره في غرضه الفاسد

اذا لم أعظم قدر نفسي واني * عليم بما حازته من عظم القدر
فغيري معذور اذا لم يبرني * ولا يكبر الانسان شئ سوى الكبر

وله
يرومون لي غير المكان الذي له * خلقت وبعضي منكر ذاك من بعضي
فقولوا لبدر الافق يترك سماءه * ويحتل من اجل التواضع في الارض

وقال
تكبر وان كنت الصغير تظاهرا * وباعد اخا صدق متى ما اشتهى قربا
وكن تابعا للهر في حفظ أمره * الست تراه عندما يبصر الكلبا

وقال له بعض ندماء مملكة يوما صاحب حيان بن همشك يا ابا جعفر انت جملة محاسن وفيك الادوات العلية التي هي اهل لكل فضيلة غير انك قد قدحت في ذلك كله بكثرة عجبك واذا مشيت على الارض تشمئز منها فقال له كيف لا اشمئز من شئ اشترك معك في الوطء عليه فضحك جميع من حضر من جوابه وله جوابا لمن اعتذر عن غيبته عنه

لك الفضل في ان لا تلوح لناظري * وتبعد عني ما بقيت مدى الدهر
فوجهك في لحظي كما صور الردى * ولفظك في سمعي حديث عن الفقر
ومن حاز ما قد حزته من ركاكة * وغاب فلا يحتاج الى كلفة العذر

وله
لك يومان لم تلح لعياني * ولك الفضل في زيارة شهر
ولك الفضل في زيارة عام * ولك الفضل في زيارة دهر
ولك الفضل أن تغيب عني * ذلك الوجه ما تطاول عمري

وله وقد شرب على صهريج فاختنق الاسد الذي يرمي بالماء فنفخ فيه رجل أبخر فجرى

ليث بديع الشكل لا مثل له * صيغ من الماء له سلسله

يقذف بالماء على جنبه * كأنه عاف الذى قبله

وقال أبو الوليد هشام الوقشى

برح بى أن علوم الورى * اثنان ما ان فيهما من مزيد
حقيقة يعجز تحصيلها * و باطل تحصيله لا يفيد

وقال

وفاره يركبه فاره * مرينا فى يده صعده
سنانها مشتمل لحظه * وقدها متصل قده
يزحف للنسالك فى جحفل * من حسنه وهو يرى وحده
قلت لنفسى حين مدت لها الآمال والآمال ممتده
لا تطمعى فيه كما الشمس لا * يطمع فى تدنيسه حده

وقال

عجبا للمدام ماذا استعارت * من سجايا معذبى وصفاته
طيب أنفاسه وطعم ثنايا * ه وسكر العقول من لحظاته
وسنا وجهه وتوريد خديـ * ـه ولطف الديباج من بشراته
والتداوى منها بها لك التداوى * برضا من هويت من سطواته
وهى من بعد ذا على حرام * مثل تحريمه جنى رشفاته

ومن تآليفه نكت الكامل للمبرد وقد مر ذكر هذا الرجل الفرد قبل هذا وحضر يوما مجلس ابن ذى النون فقدم نوع من الحلوى يعرف بآذان القاضى فتهافت جماعة من خواصه عليها يقصدون التندير فيه وجعلوا يكثرون من أكلها وكان فيما قدم من الفاكهة طبق فيه نوع يسمى عيون البقر فقال له المأمون يا قاضى أرى هؤلاء يأكلون أذنيك فقال وأنا أيضا آكل عيونهم وكشف عن الطبق وجعل يأكل منه وكان هذا من الاتفاق الغريب * وكان الفاضل أبو الحسين ابن الوزير أبى جعفر الوقشى آية الله فى الظرف وكيف لا ووالده الوزير أبو جعفر وصهره أبو الحسين بن جبير وشيخه فى علم الموسيقى والتهذيب والظرف والتدريب أبو الحسين بن الحسن بن الحاسب شيخ هذه الطريقة وقد رزق أبو الحسين المذكور فيها ذوقا مع صوت بديع أشهى من الكاس للخليع قال أبو عمران بن سعيد ما سمعته الا تذكرت قول الرصافى

ومطارح مما تجس بنانه * لحنا أفاض عليه ماء وقاره
يثنى الحمام فلا يروح لوكره * طربا ويرزق بنيه فى منقاره

وكنت أرتاح الى لقائه ارتياح العليل الى شفائه ولم أزل أقرع بابا بابا وأخرق للاتصال حجابا حجابا حتى هجمت مع شفيع لا يرد عليه وجلست بين يديه فحينئذ منحه حسبه على الاكرام وتلقى بما أوسع من البشر والسلام وقال ليعلم سيدى انى كنت أود الناس فى لقائه وأحبهم فى اخائه والحمد لله الذى جعلنى أنشد

وليس الذى يستتبع الوبل رائدا * كمن جاءه فى داره رائد الوبل

ثم قام الى خزانته فأخرج منها عود غناء يطرب دون ان تجس أوتاره وتلحن أشعاره واندفع يغنى دون ان أسأله ذلك ولا أتجشم تكليفه الدخول فى تلك المسالك

فقتلهما بشر وقتل معهما خالا لهما من ثقيف وقد كان بشر بن ارطاة العامرى عامـ
ـر بن لؤى بن غالب قتل بالمدينة و بين المسجدين خلقا كثيرا من خزاعة وغيرهم وكذلك بالجرف قتل بها خلقا كثيرا من رجال همدان وقتل بصنعاء خلقا كثيرا من الابناء ولم يبلغه عن أحد انه يمالئ عليا أو يهواه الا قتله وغزا اليه خبر حارثة بن قدامة السعدى فهرب وظفر حارثة بابن اخى بشر مع أربعين من أهل بيته فقتلهم وكانت جويرية أم ابنى عبد الله بن العباس اللذين قتلهما بشر تدور حول البيت ناشرة شعرها وهى من أجمل الناس وهى تقول ترثيهما

ها من أحس من ابنى اللذين هما * كالدرتين تشظى عنهما الصدف
ها من أحس من ابنى اللذين هما * سمعى وقلبى فعقلى اليوم مختطف
ها من أحس من ابنى اللذين هما * مخ العظام فمخى اليوم مزدهف
نبئت بشرا وما صدقت ما زعموا * من قولهم ومن الافك الذى وصفوا
أنحى على ودجى ابنى مرهفة * مشحوذة وكذاك الاثم يقترف

(وذكر الواقدى) قال دخل عمرو بن العاص يوما على

وما زلت ارجو فى الزمان لقاءكم * فقد يسر الرحمن ما كنت ارتجى
فذكركم ما زلت اتلوه دائبا * اذا ذكروا ما بين سلمى ومنعج

فلما فرغ من استهلاله وعمله قبلت راسه وقلت له لا ادرى علام اشكرك قبل هل على تعجيلك بما لم تدعنى اسالك فى شأنه ام على ما تفردت باحسانه فما هذا الصوت قال هذا نشيد خسروان من تلحينى قال وانشدنى لنفسه

حننت الى صوت النواعير سحرة * فاضحى فؤادى لا يقر ولا يهدا
وفاضت دموعى مثل فيض دموعها * اطارحها تلك الصبابة والوجدا
وزاد غرامى حين اكثر عاذلى * فقلت له اقصر ولا تقدح الزندا
اهيم بهم فى كل واد صبابة * وازداد مع طول البعاد لهم ودا

وانشدنى لنفسه

ولقد مررت على المنازل بعدهم * ابكى واسأل عنهم وانوح
واقول ان سألوا بحالى فى النوى * ما حال جسم فارقته الروح

وقال وكتب الى

ياحسرة ما قضت من لذة وطرا * اين الزمان الذى يرجى به الخلف
ابكيك ملء جفونى ثم يرجعنى * الى التصبر انى سوف انصرف

قال ابو عمران وكنت فى ايام الفتنة اذا ركنت الى الامل هولت على نفسى ما القى من اهوالها بقولى مع خاطرى * اين الزمان الذى يرجى به الخلف * انتهى * وكان ابو الحسين على بن الحمارة ممن برع فى الالحان وعلمها وهو من اهل غرناطة واشتهر عنه انه كان يعمد الى الشعراء فيقطع العود بيده ثم يصنع منه عودا للغناء و ينظم الشعر و يلحنه و يغنى به فيطرب سامعيه ومن شعره قوله

اذا ظن وكرا مقلتى طائر الكرى * راى هدبها فارتاع خوف الحبائل

وقال بعض العلماء فى حقه انه آخر فلاسفة الاندلس قال واعجب ما وقع له فى الشعر انه دخل سلا وقد فرغ ابن عشرة من بناء قصره والشعراء تنشده فى ذلك فارتجل ابن الحمارة هذين البيتين وانشدهما بعدهم

ياواحد الناس قد شيدت واحدة * فحل فيها محل الشمس فى الحمل
فما كدارك فى الدنيا لذى امل * ولا كدارك فى الاخرى لذى عمل

وسيأتى ذكر هذين البيتين * وكان اهل الاندلس فى غاية الاستحضار للمسائل العلمية على البديهة قال ابن مسرى أملى علينا ابن المناصف النحوى بدانية على قول سيبويه هذا باب ما الكلم العربية عشرين كراسا بسط القول فيها فى مائة وثلاثين وجها انتهى وهذا وأشباهه يكفيك فى تبحر أهل الاندلس فى العلوم بما سئل العالم منهم عن المسئلة التى يحتاج فى جوابها الى مطالعة ونظر فلم يحتج الى ذلك ويذكر من فكره ما لا يحتاج معه الى زيادة * (ومن الحكايات فى مثل ذلك أن الاديب البليغ الحافظ أبا بكر بن حبيش لما قال فى تخميسه المشهور بماذا على كل من الحق أوجبت اعترض عليه أبو زكريا اليفرنى

معاوية بعدما كبر ودق ومعه مولاه وردان فأخذا فى الحديث وليس عندهما غير وردان فقال عمرو يا أمير المؤمنين ما بقى مما تستلذه فقال اما النساء فلا أرب لى فيهن وأما الثياب فقد لبست من لينها وجيدها حتى وهى بها جلدى فما ادرى أيها ألين وأما الطعام فقد أكلت من لينه وطيبه حتى ما أدرى ايه الذ واطيب واما الطيب فقد دخل خياشيمى منه حتى ما أدرى ايه اطيب فاشئ الذ عندى من شراب بارد فى يوم صائف ومن أن أنظر الى بنى وبنى بنى يدورون حولى فما بقى منك يا عمرو قال مال أغرسه فاصيب من ثمرته ومن غلته فالتفت معاوية الى وردان فقال ما بقى منك يا وردان قال صنيعة كريمة سنية أعقلها فى اعناق قوم ذوى فضل واخطار لا يكافؤنى بها حتى القى الله تعالى وتكون لعقبى فى اعقابهم بعدى فقال معاوية تبا لمجلسنا سائر اليوم ان هذا العبد غلبنى وغلبك وفى سنة ثلاث واربعين مات عمرو بن العاص بن وائل ابن سهم بن سعيد بن سعد بمصر وله تسعون سنة وكانت ولايته مصر عشر سنين وأربعة أشهر ولما حضرته الوفاة قال اللهم لا براءة لى فأعتذر ولا قوة لى فانتصر امرتنا فعصينا ونهيتنا فركبنا اللهم بما

بما نصه استعمل المخمس ماذا في البيت تكثيرا وخبرا والمعروف من كلام العرب استعمالها استفهاما لخفاؤ به بقوله اما استعمالها استفهاما كما قال فكثير لا يحتاج الى شاهد واما استعمالها في ألسن فصحاء العرب للكثرة فكثير لا يحتاج الى شاهد لو وصل بحث واستعمل مكث فلم يعترض على ولي ولا تشكك في جلي

وليس يصح في الافهام شئ * اذا احتاج النهار الى دليل

قال الله تعالى في سورة يونس قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ووقع في صحيح البخاري في رثاء المقتولين من المشركين يوم بدر

وماذا بالقليب قليب بدر * من الفتيان والشرب الكرام

وماذا بالقليب قليب بدر * من الشيزى تكلل بالسنام

وفي السير في رثاء المذكورين أيضا

ماذا ببدر فالعقنقل من مرازبة جحاجح

وهذا الشعر لأمية بن أبي الصلت الثقفي ووقع في الاغاني للوليد بن يزيد يرثي نديما له يعرف بابن الطويل

لله قبر ضمنت * فيه عظام ابن الطويل

ماذا تضمن اذ ثوى * فيه من الرأي الاصيل

والخبر طويل وأجلى من هذا وأعلى وأحق بكل تقدم وأولى ولكن الواو لا تقدر تبه ولا تتضمن نسبه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا أنزل الليلة من الفتن وهو في الصحاح ووقع في الحماسة وقد أجمعوا على الاستشهاد بكل ما فيها

ماذا أجال وثيرة بن سماك * من دمع باكية عليه وباك

في الحماسة أيضا واظنها لابي دهبل

ماذا رزئنا غداة الخل من زمع * عند التفرق من خيم ومن كرم

وقع في نوادر القالي لكعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه أبا المغوار

هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا * وماذا يرد الليل حين يؤوب

وقع في شعر الخنساء ترثي أخاها صخرا

ألا ثكلت أم الذين غدوا به * الى القبر ماذا يحملون الى القبر

وماذا يواري القبر تحت ترابه * من الجود في بؤسى الحوادث والدهر

بحر يروهو في الحماسة

ان الذين غدوا بلبك غادروا * وشلا بعينك لا يزال معينا

غيضن من عبراتهن وقلن لي * ماذا لقيت من الهوى ولقينا

في الحماسة أيضا * ماذا من البعد بين البخل والجود * ووقع في الحماسة أيضا وهو لامرأة

هوت أمهم ماذا بهم يوم صرعوا * بجيشان من أسباب مجد تصرما

رادت ماذا تصرم لهم يوم صرعوا بجيشان من أسباب مجد تصرما ومما يستظهر به قول أبي الطيب المتنبي

هذه يدي الى ذقني ثم قال خذوا الي في الارض خدا وسنوا على التراب سنا ثم وضع اصبعه في فيه حتى مات وصلى عليه ابنه عبد الله يوم الفطر فبدأ بالصلاة عليه قبل صلاة العيد ثم صلى بالناس بعد ذلك صلاة العيد وكان ابوه من المستهزئين وفيه نزلت ان شانئك هو الابتر (وولى معاوية) ابنه عبد الله بن عمرو وما كان لابيه وخلف عمرو من العين ثلثمائة ألف دينار وخمسة وعشرين ألف دينار ومن الورق ألفي ألف درهم وضيعته المعروفة بالرهط قيمتها عشرة آلاف درهم وفيه يقول ابن الزبير الاسدي الشاعر من أبيات

ألم تران الدهر اخنت صروفه * على عمرو السهمي تجبى له مصر

فلم يغن عنه حزمه واحتياله * ولا جمعه لما اتيح له الدهر

وامسى مقيما بالعراء وضللت * مكايده عنه وامواله الدثر

وفي سنة خمس واربعين ولى معاوية زيادا ابن ابيه البصرة واعمالها وقال لما دخلها

الا رب مسرور بما لا يسره * وآخر محزون بما لا يضره

وقد كان معاوية عزل في هذه السنة شقران بن عوف العامري وأمر أن يبلغ الطوانة فاصيب معه خلق من الناس فعم الناس الحزن بمن أصيب بارض الروم وبلغ معاوية أن

يزيد ابنه لما بلغه خبرهم وهو على شرابه مع ندمائه قال أهون علي بما لاقت جموعهم يوم الطوانة من حمى ومن شوم

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبها * أني بما أنا باك منه محسود

وقوله أيضا

وماذا بمصر من المضحكات * ولكنه ضحك كالبكاء

ومن ملح المتأخرين كان بمرسية أبو جعفر المذكور في المطمع وكان يلقب بالبقيرة فقال فيه بعض أهل عصره

قالوا البقيرة يهجونا فقلت لهم * ماذا دهيت به حتى من البقر

هذا وليس بثور بل هو ابنته * وأين منزلة الأنثى من الذكر

وأنشد صاحب الزهر ولا أذكر قائله

ماذا لقيت من المستعربين ومن * قياس قولهم هذا الذي ابتدعوا

ان قلت قافية بكرا يكون لها * معنى يخالف ما قالوا وما وضعوا

قالوا لحنت وهذا الحرف منتصب * وذاك خفض وهذا ليس يرتفع

وضربوا بين عبد الله واجتهدوا * وبين زيد فطال الضرب والوجع

وقال صاحب الزهر أنشد أبو حاتم ولم يسم قائله

ألا في سبيل الله ماذا تضمنت * بطون الثرى واستودع البلد القفر

هذا ما حضر بفضل الله من الاستشهاد على أن ماذا تستعمل بمعنى الخبر والتكثير ووالله الذي لا إله غيره ما طالعت عليه كتابا ولا وقفت فيه بابا وإنما هو عجالة من حوض التذكار وصبابة مما علق به شرك الأفكار وأثر مما سلك به السمع أيام خلو الذرع وعقدت عليه الحبى في عصر الصبى ورحم الله من تصفح وتلمح فتسمح وصحح ما وقع إليه من الاعتلال وأصلح ما وضح لديه من الاختلال فخير الناس من أخذ بالبر والايناس فبصر من جهله وادكر عن وهله وإنما المؤمنون اخوة وتحابهم في الله رغبة وحظوة ولهم في السلف الكريم ومحافظتهم على الود القديم أسوة كريمة وقدوة انتهى قال ابن الطراح انظر تحصيل هذا الامام والرئيس الاسمى النفيس واستحضاره كلام الأدباء وسير النقاد البلغاء ومساجلته مع فرسان المعاني ووصمه تلك المغاني وقد كان حامل لواء الأدب وفائق أبناء جنسه في مراقب الطلب وهذه الكلمة أعني ماذا جرت بسببها مناظرة بين الأستاذ أبي الحسين بن أبي الربيع النحوي المشهور وبين مالك بن المرحل بسبتة حتى ألف مالك كتاب الرمي بالحصا والضرب بالعصا وفيه هنات لا ينبغي لعاقل أن يذكرها ولا الذي طي في البيان أن ينشرها وفي ذلك قال الأستاذ أبو الحسين رحمه الله تعالى

كان ماذا ليتها عدم * جنبوها قربها ندم

ليتني يا مال لم أرها * انها كالنار تضطرم انتهى

وقوله يا مال ترخيم مالك وحكى الأستاذ ابن غازي انهم اختلفوا هل يقال كان ماذا أم لا وقال ان الأستاذ ابن أبي الربيع تطفل على مالك بن المرحل في الشعر كما أن ابن المرحل تطفل عليه في النحو قال ومن نظم مالك بن المرحل في هذه القضية

اذا اتكأت على الانماط مرتفقا

بدير مروان عندي أم كلثوم

فحلف عليه ليغزون وأردف به شقران فسميت هذه الغزاة غزاة الرادفة وبلغ الناس فيها القسطنطينية وفيها مات أبو أيوب الانصاري ودفن هناك على باب القسطنطينية واسم أبي أيوب خالد بن زيد وقد قيل ان أبا أيوب مات في سنة احدى وخمسين غازيا مع يزيد وقد أتينا على خبر هذه الغزاة وما كان من يزيد فيها في الكتاب الاوسط وفي سنة تسع وأربعين كان الطاعون بالكوفة فهرب منها المغيرة بن شعبة وكان والياً عاد اليها فطعن فمات فمر أعرابي عليه وهو يدفن فقال

أرسم ديار للمغيرة تعرف * عليها دواني الانس والجن تعزف

فان كنت قد لاقيت هامان بعدنا * وفرعون فاعلم أن ذا العرش منصف

(وذكر) أن المغيرة ركب الى هند بنت النعمان بن المنذر وهي في ديرها في الحيرة مترهبة وهو أمير الكوفة يومئذ وقد كانت هند عميت فلما جاء الدير استأذن عليها فأتتها

عاب

عاب قوم كان ماذا * ليت شعري كان ماذا
ان يكن ذلك جهلا * منهم فكان ماذا

انتهى

ومن نظم ابن حبيش المذكور قوله

اذا ماشئت أن تحيا هنيا * رفيع القدر ذا نفس كريمه
فلا تشفع الى رجل كبير * ولا تشهد ولا تحضر وليمه

وله أيضا

لا عمان الى لقياكم قدمي * ولو تجشمت بين الطين والماء
لأن يبل ثيابي الغيث أهون بي * من أن تحرق نار الشوق أحشائي

وأبو زكريا المعترض على ابن حبيش هو الفقيه النحوي الاديب أبو زكريا يحيى بن على بن سلطان اليفرني ولد سنة ٦٤١ وبرع في العربية وكان يلقب في المشرق جبل النحو وكان عند نفسه مجتهدا وكان لا يجيز نكاح الكتابيات خلافا للامام مالك وهو مذهب الامام أحمد ابن حنبل رحمه الله تعالى ويتمسك بقوله تعالى وجعل بينكم مودة ورحمة وكان يرى أن الطلاق لا يكون الامرتين مرة للاستبراء ومرة للانفصال ولا يقول بالثلاث وهو خلاف الاجماع وكان يقول في نهيه عليه الصلاة والسلام عن أكل كل ذي ناب من السباع أي عن أكول كل ذي ناب وتبقى هي على الاباحة ويدل عليه قوله تعالى وما أكل السبع وكان يقول في قوله تعالى ان هذان لساحران اسم ان وذان لساحران جملة خبر لان ولا تحتاج لرابط لانها تفسيرية والمعنى عنده وأسروا النجوى قالوا انها أي نجوانا هذان لساحران أي قولنا هذان لساحران تثبيط الناس عن اتباعهما وخط المصحف يرده لكن في المصحف أشياء كتبت على غير المصطلح مثل ما لهذا ولا اوضعوا ولا اذبحنه قال ابن الطراح ورأيت هذا المعنى لغيره وأظنه ابن النحاس وتوفي اليفرني المذكور سنة ٧٠٠ ومن شعره

ماذا على الغصن المياس لو عطفا * على صبابة صب حالف الدنفا
يا رحمة لفؤادي من معذبه * كم ذا يحمله أن يحمل الكلفا
ويارعى الله دهرا ظل يجمعنا * في ظل عيش صفا من طيبه وضفا
مودة بيننا في الحب كاملة * ونحن لا نعرف الاعراض والصلفا

(رجع) الى كلام الاندلسيين قال صالح بن شريف الرندي رحمه الله تعالى في سكين الكتابة

أنا صمصامة الكتابة مالي * من شبيه في المرهفات الرقاق
فكأني في الحسن يوم وصال * وكأني في القطع يوم فراق

وقال في المقص

ومصطحبين ما اتهما بعشق * وان وصفا بضم واعتناق
لعمر أبيك ما اجتمعا لشئ * سوى معنى القطيعة والفراق

ولبعض الاندلسيين

هلا اقتدى ذو خلة بفعالنا * فيكون واصل خله كوصالنا
مهما يجئ أحد ليقطع بيننا * نقطعه ثم نعد لاحسن حالنا

جاريتها فقالت هذا المغيرة يستأذن عليك فقالت للجارية ألقي اليه أثاثا فألقت اليه وسادة من شعر فلما دخل قعد عليها وقال أنا المغيرة فقالت له قد عرفتك عامل المدرة فما جاء بك قال أتيتك خاطبا اليك نفسك قالت اما والصليب لو أردتني لدين أو جمال ما رجعت الا بحاجتك ولكني أخبرك الذي أردت ذلك له قال وما هو قالت اردت انك تتزوجني حتى تقوم في الموسم في العرب فتقول تزوجت ابنة النعمان قال ذلك اردت ولكن اخبريني ما كان ابوك يقول في هذا الحي من ثقيف قالت كان ينسبهم من اياد وقد افتخر عنده رجلان من ثقيف احدهما من بني سالم والآخر من بني يسار فسألهما عن انسابهما فانتسب احدهما الى هوازن والآخر الى اياد فقال ابي ما لحي معد على اياد فضل بفخر جاوا بي بقول

ان ثقيفا لم تكن هوازنا * ولم تناسب عامرا ومازنا
الا حديثا وانبتوا المحاسنا

فقال المغيرة اما نحن فمن هوازن وابوك اعلم قال فاخبريني اي العرب كان احب الى ابيك قالت اطوعهم له قال ومن اولئك قالت بكر بن وائل قال فأين بنو تميم قالت ما استقتهم في طاعة قال فقيس قالت ما اقتربوا اليه بما يحب الا استعقبوه بما يكره قال فكيف اطاع

وجرح بعض الكتاب يده بالمقص فأنشده أحد جلسائه وغالب ظني انه اندلسي

عداوة لا لكف من قديم * فلا تعجب لمقراض لئيم

لئن أدماك فهو للاشبيه * وقد يعدو اللئيم على الكريم

ولما ألف ابن عصفور كتابه المغرب في النحو انتقده جماعة من أهل قطره الاندلسيين وغيرهم منهم ابن الصائغ وابن هشام والجزيري وله عليه المنهج المعرب في الرد على المغرب وفيه تخليط كثير وتعسف

وفي تعب من يحسد الشمس نورها * ويأمل أن يأتي لها بضريب

ومنهم ابن الحاج وأبو الحسن حازم القرطاجني الخزرجي وسماه شد الزنار على جحفلة الحمار وابن مؤمن القابسي وبهاء الدين بن النحاس * ومن شعر حازم الاندلسي المذكور قوله

لم تدر إذ سألتك ما أسلاكها * أبكت أسى أم قطعت أسلاكها

وعارضه التجاني بقوله

ياساحر الالحاظ يافتاكها * فتيا جواز الصد من أفتاكها

*(ومن حكاياتهم في المجون وما يجري مجراه أن الوزير أبا بكر بن الملح كان له ابن شاب فاسترسل مع الادب الى أن خرج من القول الى الفعل وأتى بأشياء لاتليق بمثله فكتب اليه أبوه

ياسخنة العين يابنيا * ليتك ما كنت لي بنيا

أبكيت عيني أطلت حزني * أمت صيتي وكان حيا

حططت قدري وكان أعلى * في كل حال من الثريا

أما كفاك الزنا ارتكابا * وشرب مشمولة الحميا

حتى ضربت الدفوف جهرا * وقلت للشرجي ءاليا

فاليوم أبكيك ملء عيني * لو كان يغني البكاء شيا

فأجابه ابنه بقوله

يالائم الصب في التصابي * ماعنك يغني البكاء شيا

أوجفت خيل العتاب نحوي * وقبل لي وثبتها اليا

وقلت عمر المنا قصير * فاربح من العيش ماتهيا

قد كنت أرجو المتاب مما * فتنت جهلا به وغيا

لولا ثلاث شيوخ سوء * أنت وابليس والحميا انتهى

وقال أبو جعفر بن صفوان المالقي رحمه الله تعالى

سألته الاتيان نحوي مقبلا * فقال سل نحوي كي تحصلا

قرأت باب الجمع من شوقي له * وهو بالاشتغال عني قد سلا

للاستغاثة ابتدأت تاليا * وهو لافعال التعدي قد تلا

وكلما طلبت منه في الهوى * عطفا غدا يطلب مني بدلا

وان أرم محض اضافة له * أعمل في قطعي عنه الحيلا

فارس قالت كانت طاعتهم اياه فيما يهوى فانصرف المغيرة ولما هلك المغيرة ضم معاوية الكوفة الى زياد فكان اول من جمع له ولاية العراقين البصرة والكوفة وفي سنة ثمان واربعين قبض معاوية فدك من مروان بن الحكم وقد كان وهبها له قبل ذلك فاستردها وقد كان معاوية حج في سنة خمسين وامر بحمل منبر النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة الى الشام فلما حمل كسفت الشمس ورؤيت الكواكب بالنهار فجزع من ذلك واعظمه ورده الى موضعه وزاد فيه ست مراق وفي سنة ثلاث وخمسين هلك زياد ابن ابيه بالكوفة في شهر رمضان وكان يكنى ابا المغيرة وقد كان كتب الى معاوية انه قد ضبط العراق بيمينه وشماله فارغة فجمع له الحجاز مع العراقين واتصلت ولايته باهل المدينة فاجتمع الصغير والكبير بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضجوا الى الله ولاذوا بقبر النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام لعلمهم بما هو عليه من الظلم والعسف فخرجت في كفه بثرة ثم حكها ثم سرت واسودت فصارت آكلة سوداء فهلك بذلك وهو ابن خمس وخمسين سنة وقيل اثنتين وخمسين ودفن بالثوية

في ألف الوصل ظللت باحثا * وهو بباب الفصل قد تكفلا
فلست موصولا وليس عائدا * وليس حالي عن أسى منتقلا
فيا مني نفسي ومن لفهمه * دانت فهوم الاذكياء النبلا
وجدي موقوف عليك لا أرى * عنك مدى الدهر له منتقلا
فما الذي يمنع من تسكينه * والوقف بالتسكين حكم أعملا
والحب مرفوع اليك مفرد * فلم ترى لضمتي مستثقلا
فالضم للرفع غدا علامة * في مفرد مثلي فأوضح مشكلا
لازلت للهيام عني رافعا * للوصل ناصبا القولي معملا
للشوق مسكنا الهجري صارفا * بالقرب من حال البعاد مبدلا
تجزم أمر اقى الاماني ماضيا * وتبتدي بما تشا مستقبلا

وقال محمد بن ادريس القضاعي الاصطبوني

علاه رياض أورقت بمحامد * تنور بالجدوى وتثمر بالامل
تسح عليها من نداه غمامة * تروي ثرى المعروف بالعل والنهل
وهل هو الا الشمس نفعا ورفعة * فيقرب بالجدوى ويبعد بالامل
تعم أياديه البرية كلها * فدان وقاص جود كفيه قد شمل

وقال محمد التطيلي الهذلي من أعيان غرناطة

حارت على لواحظ الآرام * لما رمت أجفانها بسهام
حكمت على بحكمها فتقسمت * الضنى منها لدى أحكام
يا قاتلي عمدا بسيف لحاظه * أغمد ظباه قبل وقع حمام
كم رمت وصلك والصدود يصدني * ويفل عزمي امره ومرامي
اني عدمت النفس يوم فراقكم * والبين اسلمها الى الاعدام
كيف المقام وأصل جسمي ناحل * ان النفوس مقيمة الاجسام
صعب العلاج فليس يمكن برؤها * حتى يعود الشهر مثل العام
قد كنت أفرح بالسلو فها أنا * قد زم قلبي في الهوى بزمام
مالت به نحو الفتون بداشع * من شادن يحكيه بدر تمام
فقوام أنفسنا بلذة وصله * وجميع أعيننا عليه سوام
قد أبرزت خداه روض محاسن * عظمت على الافكار والاوهام
تندى بماء شبيبة وتنعم * فتروق روق الزهر في الاكمام
فكأنما وجناتها في لونها * ورد الرياض ربا بصوب غمام
وكأنما درع الدجا من شعره * قد حاكه منها يد الاظلام
وكأنما ريق حواه ثغره * مسك أذيف بعنبر ومدام
وكأنما سيف نضت ألحاظه * سيف الامير ممهد الاسلام
ذاك الامير محمد بن محمد * ناهيك من ملك أغر همام

عرضه على السيف فذكر عبد الرحمن بن السائب قال حضرت فصرت الى الرحبة ومعي جماعة من الانصار فرأيت شيأ في منامي وأنا جالس في الجماعة وقد خفقت وهواني رأيت شيأ طويلا قد اقبل فقلت ما هذا فقال انا النقاد ذو الرقبة بعثت الى صاحب هذا القصر فانتبهت فزعا فما كان الا مقدار ساعة حتى خرج خارج من القصر فقال انصرفوا فان الامير عنكم مشغول واذا به قد اصابه ما ذكرنا من البلاء وفي ذلك يقول عبد الله بن السائب من ابيات

ما كان منتهيا عما اراد بنا * حتى تأتى له النقاد ذو الرقبه
فاسقط الشق منه ضربة ثبتت * لما تناول ظلما صاحب الرحبه

يعني بصاحب الرحبة علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقد ذهب جماعة الى ان عليا دفن في القصر بالكوفة ويقال ان زياد اطعن في يده وانه شاور شريحا في قطعها فقال له لك رزق مقسوم واجل معلوم واني اكره ان كان لك مدة ان تعيش اجذم وان حم اجلك ان تلقى ربك مقطوع اليد فاذا سألك لم قطعتها قلت بغضا للقائك وفرارا من قضائك فلام الناس شريحا فقال انه استشارني والمستشار مؤتمن ولولا

معاوية وفد الامصار من
العراق وغيرها فكان ممن
وفد من أهل العراق
الاحنف بن قيس فى آخرين
من وجوه الناس فقال
معاوية للضحاك بن قيس
انى جالس من غد للناس
فأتكلم بما شاء الله فاذا
فرغت من كلامى فقل
فى يزيد الذى يحق عليك
وادع الى بيعته فانى قد أمرت
عبد الرحمن بن عثمان
الثقفى وعبد الله بن عمارة
الاشعرى وثور بن معن
السلمى ان يصدقوك فى
كلامك وان يجيبوك الى
الذى دعوتهم اليه فلما كان
من الغد قعد معاوية
فاعلم الناس بما رأى من
حسن رعية يزيد ابنه
وهديه وان ذلك دعاه الى
ان يوليه عهده ثم قام الضحاك
ابن قيس فأجابه الى ذلك
وحض الناس على البيعة
ليزيد وقال لمعاوية اعزم
على ما أردت ثم قام عبد
الرحمن بن عثمان الثقفى
وعبد الله بن عمارة
الاشعرى وثور بن معن
فصدقوا قوله ثم قال
معاوية أين الاحنف بن
قيس فقام الاحنف فقال
ان الناس قد امسوا فى
منكر زمان قد سلف
ومعروف زمان يؤتنف و يزيد حبيب قريب فان توله عهدك فعن غير كبر مفن او مرض مضن

ملك علا فوق السماك علاؤه * وسما فادرك غاية الاعظام
لو كان يمتقل السها لاتاه فى * شكل القناة ملثما بلثام
أو كان يرضى بالمجرة أجردا * لجرت الى الاسراج والالجام
فالسعد يفعل للامانى قولها * والنصر يخدمه مع الايام
واليوم يعشقه ويحسد ليله * فيه كعشق سيوفه للهام
نامت عيون الشرك خوف سنانه * لولاهما اكتحلت بطيف منام
بهر الانام بسيفه وبأسه * فسبى وأنعم أيما انعام
فالمعتفى يجنى جزيل هباته * والمعتدى يصلى الردى بحسام
مهما استغنت به فضيغم معرك * واذا استجرت به فطود شمام
أجرى مياه العدل بعد جفوفها * وأزال نار الظلم بعد ضرام
كم من كتيبة جحفل قد هدها * فى معرك بمهند صمصام
المقتنى الجرد المذاكى عدة * للكر فى الاعداء والاقدام
من كل مبيض كأن أديمه * لون الصباح أتى عقيب ظلام

ومنها

يا خير من ركب الجياد وقادها * تحت اللواء وعمدة الاقوام
لازلتم والسعد يخدم أمركم * فى غبطة موصولة بدوام
حتى يصير الأمن فى أرجائنا * عبدا يقوم لنا على الاقدام
والله ينصركم ويعلى مجدكم * ماسح اثر العجوم وماء غمام

وكان يحيى السرقسطى أديبا فرجع الى الجزار بن قام الحاجب ابن هود أبا الفضل ابن حسداى أن يوبخه على ذلك فكتب اليه

تركت الشعر من عدم الاصابه * وملت الى التجارة والقصابه

فاجابه يحيى

تعيب على مألوف القصابه * ومن لم يدر قدر الشئ عابه
ولو أحكمت منها بعض شئ * لما استبدلت منها بالحجابه
ولو تدرى بها كلفى ووجدى * علمت علام أحتمل الصبابه
وانك لو طلعت على يوما * وحولى من بنى كلب عصابه
لهالك ما رأيت وقلت هذا * هزبر صير الأوضام غابه
وكم شهدت لنا كلب وهر * بأن المجد قد حزنا لبابه
فتكنا فى بنى العنزى فتكا * أقر الذعر فيهم والمهابه
ولم نقلع عن الثورى حتى * مزجنا بالدم القانى لعابه
ومن يغتر منهم بامتناع * فان الى صوار منا ايابه
و يبرز واحد منا لالف * فيغلبهم وذلك من الغرابه

ومنها

أبا الفضل الوزير أجب ندائى * وفضلك ضامن عنك الاجابه
وأصغ الى شكوى شكور * أملت على صناعته عتابه

وحقك ما تركت الشعر حتى * رأيت البخل قد أوصى صحابه
وحتى زرت مشتاقا خليلى * فأبدى لى التحيل والكآبه
وظن زيارتى لطلاب شئ * فنافرنى وغلظ لى حجابه

وقال الاديب أبو الحسن بن الحداد

قالت وأبدت صفحة * كالشمس من تحت القناع
بعت الدفاتر وهى آ * خر ما يباع من المتاع
فأجبتها ويدى على * كبدى وهمت بانصداع
لا تعجبى مما رأيـ * ـت فنحن فى زمن الضياع

وقال الاديب أبو زكريا بن مطروح من أهل مدينة باغة وقد عزل وال فنزل المطر على اثره وهو من أحسن شعر قاله وكان الوالى غير مرضى

ورب وال سرنا عزله * فبعضنا هنأه البعض
قد واصلتنا السحب من بعده * ولذ فى أجفاننا الغمض
لو لم يكن من نجس شخصه * ما طهرت من بعده الارض

وقال القاضى أبو البركات بن الحاج البلفيقى رحمه الله تعالى

وعشية حكمت على من تاب من * أهل الخلاعة أن يعود لما مضى
جمعت لنا شمل السرور بفتية * جمعوا من اللذات شملا مرتضى
ما عاقنى عن أن أسير بسيرهم * الا الرياء مع الخطابة والقضا

وقال أبو الحجاج يوسف الفهرى من أهل دانية

أبى الله الا أن أفارق منزلا * يطالعنى وجه المنى فيه سافرا
كأن على الايام أن لا احله * رويدا فما أغشاه الا مسافرا

وقال بعضهم فى الرثاء

عبرات تفيض حزنا وثكلا * وشجون تعم بعضا وكلا
ليس الاصابة أضرمتها * حسرة تبعث الاسى ليس الا

ولابى جعفر البغيل أحد شعراء المرية وكتابها

عزاء على هذا المصاب الذى دهى * وشتت شمل الانس من بعد ما انتهى
بفرع علاء فى منابت سؤدد * تسامى رقيا فى المعالى الى السها
أصبت به من بعد ما تم مجده * وقد شعشعت منه الشماريخ وازدهى
فأية شمس فيه للعد كورت * وأى بناء للمكارم قد وهى
فصبرا عليه لا رزئت بمثله * فمثلك من يعزى الى الحلم والنهى

وقال الكاتب الماهر أبو جعفر أحمد بن أيوب اللمائى المالقى

طلعت طلائع للربيع فاطلعت * فى الروض وردا قبل حين أوانه
حيا أمير المؤمنين مبشرا * ومؤملا للنيل من احسانه
ضنت سحائبه عليه بمائه * فأتاه يستقيه ماء بنانه

وقد حلبت الدهور. وجربت الامور فاعرف من تسند اليه عهدك ومن توليه الامر من بعدك واعص راى من يامرك ولا يقدر لك ويشير عليك ولا ينظر لك فقام الضحاك بن قيس مغضبا فذكر اهل العراق بالشقاق والنفاق وقال اردد رايهم فى نحورهم وقام عبد الرحمن بن عثمان فتكلم بنحو كلام الضحاك ثم قام رجل من الازد فاشار الى معاوية وقال انت امير المؤمنين فاذا مت فأمير المؤمنين يزيد فمن ابى هذا فهذا واخذ بقائم سيفه فسله فقال له معاوية اقعد فأنت من اخطب الناس فكان معاوية اول من بايع ليزيد ابنه بولاية العهد وفى ذلك يقول عبد الله بن هشام السلولى

فان تاتوا برملة او بهند * نبايعها اميرة مؤمنينا
اذا ما مات كسرى قام كسرى * نعد ثلاثة متناسقينا
فيا لهفا لو ان لنا الوفا * ولكن لا نعود كما عنينا
اذا لضربتمو حتى تعودوا * بمكة تلعقون بها السخينا
خشينا الغيظ حتى لو شربنا * دماء بنى امية ما روينا
لقد ضاعت رعيتكم وانتم * تصيدون الارانب غافلينا

وانفذت الكتب ببيعة يزيد الى الامصار وكتب معاوية الى مروان بن الحكم وكان على المدينة يعلمه باختياره يزيد ومبايعته اياه بولاية العهد ويأمره بمبايعته واخذ البيعة

دامت لنا ايامه موصولة * بالعز والتمكين في سلطانه

وقال ابو جعفر احمد بن طلحة من جزيرة شقر

يا هل ترى اظرف من يومنا * قلد جيد الافق طوق العقيق

وانطق الورق بعيدانها * مطربة كل قضيب وريق

والشمس لا تشرب خمر الندى * في الروض الا بكؤوس الشقيق

وقال ابو جعفر الغساني من اهل وادي آش واستوطن غرناطة ثم مات بالمرية فكتب على جمالة قراب لموطا الامام مالك بعد ما استنجد قرائح ادباء عصره واستصرخ اختراعاتهم لنصره فكلهم قصر عن غرضه واداء مفترضه فقال هو

يا طالبا لكمالك * حفظي اتم كمالك

فما تقلدت مثلي * اذ لم تقلد كمالك

وقال ابو بكر يحيى بن بقي

خذها على وجه الربيع المخصب * لم يقض حق الروض من لم يشرب

هي سماء علاء وهي مارد * فارجمه من تلك الكؤوس بكوكب

وهو رحمه الله تعالى صاحب الابيات المشهورة

زحزحته عن اضلع تشتاقه * كيلا ينام على فراش خافق

وانتقد عليه بعض اللطفاء فقال انه كان جافي الطبع حيث قال زحزحته ولو قال باعدته عن اضلعا تشتاقه لكان احسن *وقال السلطان المتوكل بن الافطس صاحب بطليوس يستدعي

انهض ابا طالب الينا * واسقط سقوط الندى علينا

فنحن عقد بغير وسطى * ما لم تكن حاضرا لدنيا

وتذكرت هنا قول بعض المشارقة فيما اظن والله تعالى اعلم

نحن في مجلس انس * ما به غير محبك

فتصدق بحضور * واجمع الوقت بقربك

وخف الآن عتابي * مثل خوفي عند عتبك

*(رجع) وقال ابو عبد الله بن خلصة الضرير

ولو جاد بالدنيا وثنى بمثلها * لظن من استصغارها انه ضنا

ولا عيب في انعامه غير انه * اذا من لم يتبع مواهبه منا

وله ايضا

يا مالكا حسدت عليه زمانه * امم خلت من قبله وقرون

مالي ارى الآمال بيضا وضحا * ووجوه آمالي حوالك جون

انا آمن فرق وراج آيس * ورد صد ومسرح مسجون

لا تعدني انواء سيبك لاعدا * لك النصر والتأييد والتمكين

وقال ابن اللبانة

كرمت فلا بحر حكاك ولا حيا * وفت فلا عجم شأتك ولا عرب

له على من قبله فلما قرأ مروان ذلك ٢٢٤ خرج مغضبا في اهل بيته واخواله من بني كنانة حتى اتى دمشق فنزلها ودخل على معاوية يمشي بين السماطين حتى اذا كان منه بقدر ما يسمعه صوته سلم وتكلم بكلام كثير يوبخ به معاوية منه اقم الامور يا ابن ابي سفيان واعدل عن تأميرك الصبيان واعلم ان لك من قومك نظراء وان لك على مناوأتهم وزراء فقال له معاوية انت نظير امير المؤمنين وعدته في كل شديدة وعضده والثاني بعد ولي عهده وجعله ولي عهد يزيد ورده الى المدينة ثم انه عزله عنها وولاها الوليد ابن عتبة بن ابي سفيان ولم يف لمروان بما جعل له من ولاية عهد يزيد ابن معاوية

(ذكر جمل من اخلاقه وسياسته وطرائف من عيون اخباره)

قد ذكرنا فيما تقدم جملا من اخباره وسيره فلنذكر الآن في هذا الباب جملا من اخلاقه وسياساته واخباره وغير ذلك مما لحق بهذا المعنى الى وفاته كان من اخلاق معاوية انه كان يأذن في اليوم والليلة خمس مرات كان اذا صلى الفجر جلس للقاص حتى يفرغ من قصصه ثم يدخل فيؤتى بمصحفه فيقرأ جزأه ثم يدخل الى منزله فيأمر وينهى ثم يصلي اربع ركعات ثم يخرج الى مجلسه فيأذن لخاصة الخاصة فيحدثهم ويحدثونه ويدخل عليه

واوليتني

وأوليتني منك الجميل فوالله * عسى السح من نعمائك يتبعه السكب

وقال ابو علي اليماني

ابنات الهديل اسعدن أو عد * ن قليل العزاء بالاسعاد

بيد أني لا أرتضي ما فعلتن * فأطواقكن في الاجياد

وقال ابو جعفر احمد بن الدود من كله

فغدت غوادي الحي عنك غائبا * واسلى الحاظ الرباب ربابا

وقال ابن ابي الخصال في مليحة لها اربع جوار قبيحات

وليلة طولها على سنة * بات بها الجفن ناد باوسنه

بأربع بينهن واحدة * كسيئات وبينها حسنه

وقال غالب بن تمام الملقب بالحجام

صغار الناس اكثرهم قبيحا * وليس لهم بصالحة نهوض

الم ترفي سباع الطير نسرا * يسالماو يؤذينا البعوض

وقال ابن عائشة

وروضة قدعلت سماء * تطلع أزهارها نجوما

هفا نسيم الصبا عليها * فخالتها ارسلت رجوما

كأنما الجو غار لما * بدت فأغرى بها النسيما

وله يصف فرسا وهو من بدائعه

قصرت له تسع وطالت اربع * وزكت ثلاث منه للتأمل

وكأنما سال الظلام بمتنه * وبدا الصباح بوجهه المتهلل

وكأن راكبه على ظهر الصبا * من سرعة أو فوق ظهر الشمأل

وقال تربة مسك وجو عنبرة * وغيم ند وطش ماورد

كأنما جائل الحباب به * يلعب في جانبيه بالنرد

وتروى هذه الابيات لغيره وقال

هم سلبوني حسن صبري اذبانوا * باقمار أطواق مطالعها بان

لئن غادروني باللوا ان مهجتي * مسايرة أظعانهم حيثما كانوا

وقال أبو محمد بن سفيان وهو من أبدع التخلص

فقلت وجفني قد تداعت شؤنه * وحر ضلوعي مقعد ومقيم

لئن دهمت دهم الخطوب وآلمت * فان أبا عيسى أغر كريم

وقال ابن الزقاق

بأبي وغير أبي أغن مهفهف * مهضوم ماتحت الوشاح خميصه

لبس الفؤاد ومزقته جفونه * فاتى كيوسف حين قد قميصه

وقال سلام على أيامكم ما بكى الحيا * وسقيا لذاك العهد ما ابتسم الزهر

كأن لم نبت في ظل أمن تضمنا * من الليلة الظلماء أردية خضر

اوفرخ أو ما يشبهه ثم يتحدث طويلا ثم يدخل منزله لما اراد ثم يخرج فيقول يا غلام اخرج الكرسي فيخرج الى المسجد فيوضع فيسند ظهره الى المقصورة ويجلس على الكرسي ويقوم الاحداث فيتقدم اليه الضعيف والاعرابي والصبي والمراة ومن لا احد له فيقول ظلمت فيقول اعزوه ويقول عدى على فيقول ابعثوا معه ويقول صنع بي فيقول انظروا في امره حتى اذا لم يبق احد دخل فجلس على السرير ثم يقول ائذنوا للناس على قدر منازلهم ولا يشغلني احد عن رد السلام فيقال كيف اصبح امير المؤمنين اطال الله بقاءه فيقول بنعمة من الله فاذا استووا جلوسا قال يا هؤلاء انما سميتم اشرافا لانكم شرفتم من دونكم بهذا المجلس ارفعوا الينا حوائج من لا يصل الينا فيقوم الرجل فيقول استشهد فلان فيقول افرضوا لولده ويقول آخر غاب فلان عن اهله فيقول تعاهدوهم اعطوهم اقضوا حوائجهم اخدموهم ثم يؤتى بالغداء ويحضر الكاتب فيقوم عند

راسه ويقدم الرجل فيقول له اجلس على المائدة فيجلس فيمد يده فيأكل لقمتين او ثلاثا والكاتب يقرأ كتابه فيأمر فيه بامر

الحوائج أربعون او نحوهم على قدر الغداء ثم يرفع الغداء و يقال للناس اجيزوا فينصرفون فيدخل منزله فلا يطمع فيه طامع حتى ينادي بالظهر فيخرج فيصلي ثم يدخل فيصلي اربع ركعات ثم يجلس فيأذن للخاصة الخاصة فان كان الوقت وقت شتاء اتاهم بزاد الحاج من الاخبصة اليابسة والخشكانج والاقراص المعجونة باللبن والسكر من دقيق السميذ والكعك المنضد والفواكه اليابسة وان كان وقت صيف اتاهم بالفواكه الرطبة ويدخل اليه وزراؤه فيؤامرونه فيما احتاجوا اليه بقية يومهم ويجلس الى العصر ثم يخرج فيصلي العصر ثم يدخل منزله فلا يطمع فيه طامع حتى اذا كان في آخر اوقات العصر خرج فجلس على سريره و يؤذن للناس على منازلهم فيؤتى بالعشاء فيفرغ منه بمقدار ما ينادي بالمغرب ولا ينادى له بأصحاب الحوائج ثم يرفع العشاء وينادى بالمغرب فيخرج فيصليها ثم يصلي بعدها اربع ركعات يقرأ في كل ركعة خمسين آية يجهر تارة ويخافت اخرى ثم يدخل منزله فلا يطمع فيه طامع حتى ينادى

ولم تغتبق تلك الاحاديث قهوة * وكم مجلس طيب الحديث به خمر
ألا في ضمان الله في كل ساعة * يجدد لي فيها بشوقي له ذكر
يذكرنيه البرق جذلان باسما * ويذكرني اسفار غرته الفجر
ومارق زهر الروض الا تبسمت * لناظر عيني منه آدابه الزهر

وقال يحيى السرقسطي

هاتها عسجدية كوثريه * بنت كرم وحية عطريه
كلما شفها النحول تقوت * فاعجبوا من ضعيفة وقويه
رب خمارة سريت اليها * والدجا في ثيابه الزنجيه

ومنها

ثم عقار بذلته بعقار * وثياب صبغتها خمريه
ان خير البيوع ما كان نقدا * ليس ما كان آجلا بنسيه

وله

نسيتم الظلم لعمالكم * وغمتم عن قبح أعمالكم
والله لو حكمتم ساعة * ما خطر العدل على بالكم

وقال الرصافي في الدولاب

وذى حنين يكاد شجوا * يختلس الانفس اختلاسا
اذا غدا للرياض جارا * قال لها المحل لا مساسا
يبتسم الروض حين يبكي * بأدمع ما رأين باسا
من كل جفن يسل سيفا * صار له عقده رياسا

وخرج أبو بكر الصابوني لنزهة بوادي اشبيلية وكان يهوى فتى اسمه على فقال

أباحسن أباحسن * بعادك قدنى وسنى
وما أنسى تذكره * فهل أنسى فيذكرني

و يشبه هذا قول الطاهر بن أبي ركب

يقول الناس في مثل * تذكر غائب ناتره
فمالي لا أرى سكني * وما أنسى تذكره

وكتب بعض الادباء الى ابن حزم الاندلسي بقوله

سألت الوزير الفقيه الاجل * سؤال مدل على من سأل
فقلت أيا خير مسترشد * و يا خير من عن امام نقل
أيحرم ان نالني قبلة * غزال ترشف فيه الغزل
وعانقني والدجا خاضب * فبتنا ضجيعين حتى نصل
وجئتك أسأل مسترشدا * فبين فديت لمن قد سأل

فأجابه ابن حزم بقوله

اذا كان ما قلته صادقا * وكنت تحريت جهد المقل
وكان ضجيعك طاوي الحشا * أعار المهاة احورار المقل
قريب الرضا وله غنة * تميت الهموم وتحيي الجذل

ففي

ففي أخذ أشهب عن مالك * عن ابن شهاب عن الغير قل
بترك الخلاف على جمعهم * على أن ذلك حل وبل

ونظر الرصافي يوما الى صبي يبكي ويأخذ من ريقه ويبل عينيه كي يحكي أثر البكاء فارتجل الرصافي

عذيري من جذلان يبدي كآبة * وأضلاعه مما يحاوله صفر
أميلد مياس اذا قاده الصبا * الى ملح الادلال أيده السحر
يبل ماء في مقلتيه بريقه * ليحكي البكا عمدا كما ابتسم الزهر
أبوهم أن الدمع بل جفونه * وهل عصرت يوما من النرجس الخمر

وكان المذكور راعى الرصافي يعمل في شبيبته لبعض فتيان الطلبة واجمع الطلبة على أن يصنعوا نزهة بالوادي الكبير بمالقة فركبوا زورقا للسير الى الوادي فوافق أن اجتمع في الزورق شمل الرصافي بمحبوبه ثم ان الريح الغربية عصفت وهاج البحر ونزل المطر فنزلوا من الزورق وافترق شمل الرصافي من محبوبه فارتجل في ذلك ويقال انها من أول شعره

غاربي الغرب اذ رآني * مجتمع الشمل بالحبيب
فأرسل الماء عن فراق * وأرسل الريح عن رقيب

فلما سمع ذلك استاذه استنبله وقال له انك تكون شاعر زمانك * وحكى ان أبا بكر بن مجبر قال في ابن لابي الحسن بن القطان بحضر والده

جاء وفي يساره * قوس وفي اليمنى قدح
كأنه شمس بدت * وحولها قوس قزح
يا لائمي في حبه * ما كل من لام نصح

فقال ابن عياش الكاتب هذه أبيات لاندلسي استوطن المشرق في تركي فاسم أبو بكر انه لم يسمع شيأ من ذلك وانما ارتجلها وقيل انها لابي الفتح محمد بن عبيد الله من أهل بغداد وأولها جد بقلبي ومزح فالله أعلم بحقيقة الامر * وحج أبو بكر بن طاهر وأبو ذر الخشني والقاضي أبو حفص بن عمر وهو اذذاك وسيم فأثرت الشمس في وجهه فقال أبو ذر

وسمتك الشمس يا قمر * سمة في القلب تنتشر

فقال الآخر

علمت قدر الذي صنعت * فأنت صفراء تعتذر

وقال أبو الحسن بن البلنسي الصوفي كان لي صديق أمي لا يقرأ ولا يكتب فعلق فتى وكان خرج لنزهة فأثرت الشمس في وجهه فأعجبه ذلك وأنشد

رأيت أحمد لما جاء من سفر * والشمس قد أثرت في وجهه أثرا
فانظر لما أثرته الشمس في قمر * والشمس لا ينبغي أن تدرك القمرا

واجتمع أبو الوليد الوقشي وأبو مروان عبد الملك بن سراج القرطبي وكانا فريدي عصرهما حفظا وتقدما فتعارفا وتسالما ثم بادر أبو الوليد بالسؤال وقال كيف يكون قول القائل

ولو أن ما بي بالحصا فعل الحصا * وبالريح لم يسمع لهن هبوب

ما ينبغي أن يكون مكان فعل الحصا فقال أبو مروان فلق الحصا فقال وهمت انما يكون فلق

فيما ارادوا صدرا من ليلتهم ويستمر الى ثلث الليل في اخبار العرب وايامها والعجم وملوكها وسياستها لرعيتها وسائر ملوك الامم وحروبها ومكايدها وسياستها الرعيتها وغير ذلك من اخبار الامم السالفة ثم تأتيه الطرف الغريبة من عند نسائه من الحلوى وغيرها من المآكل اللطيفة ثم يدخل فينام ثلث الليل ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك واخبارها والحروب والمكايد فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون وقد وكلوا بحفظها وقراءتها فتمر بسمعه كل ليلة جمل من الاخبار والسير والآثار وأنواع السياسات ثم يخرج فيصلي الصبح ثم يعود فيفعل ما وصفنا في كل يوم وقد كان هم بأخلاقه جماعة بعده مثل عبد الملك ابن مروان وغيره فلم يدركوا خلقه ولا اتقانه للسياسة ولا التأني للامور ولا مداراته للناس على منازلهم ورفقه بهم على طبقاتهم وبلغ من احكامه للسياسة واتقانه لها واجتذابه قلوب خواصه وعوامه أن رجلا من اهل

 الكوفة دخل على بعير له الى دمشق في حال منصرفهم عن صفين فتعلق به رجل من دمشق فقال هذه ناقتي

الحصا اليكون مطابقا لقوله لم يسمع لهن هبوب يريد أن ما به يحرك ما شأنه السكون و يسكن ما شأنه الحركة فقال أبو مروان ما يريد الشاعر بقوله

ورا كعة فى ظل غصن منوطة * بلؤلؤة نيطت بمنقار طائر

وكان اجتماعهما فى مسجد فأقيمت الصلاة أثر فراغ ابن سراج من انشاد البيت فلما انقضت الصلاة قال له الوقشى ألغز الشاعر باسم أحمد فالراكعة الحاء والغصن كناية عن الالف واللؤلؤ الميم ومنقار الطائر الدال فقال له ابن سراج ينبغى أن تعيد الصلاة اشغل خاطرك بهذا اللغز فقال له الوقشى بين الاقامة وتكبيرة الاحرام فكملته والبيت لعبد الله بن الدمينة وبعده

ولو أنى أستغفر الله كلما * ذكرتك لم تكتب على ذنوب

وقال الوزير أبو الحسن بن أضحى

ومستشفع عندى بخير الورى عندى * واولاهم بالشكر منى و بالحمد
وصلت فلما لم اقم بجزائه * لففت له رأسى حياء من المجد

وكان سبب قوله هذين البيتين انه كتب اليه أحد الوزراء شافعا الاحد الاعيان فلما وصل اليه بره وأنزله واعطاه عطاء استعظمه واستنزله وخلع عليه خلعا وأطلعه من الجمال بدرا لم يكن مطلعا ثم اعتقد انه قد جاء مقصرا فكتب اليه معتذرا بالبيتين هكذا حكاه فى الفتح وقال بعد ذلك ما صورته ومن باهر جلاله وظاهر خلاله انه اعف الناس بواطن واشرفهم فى التقى مواطن ما علمت له صبره ولا حات له الى مستنكر حبوه مع عدل لاشئ يعدله وتحبب عما يتقى عما يرسل عليه حجابه و يسدله وكان لصاحب البلد الذى يتولى القضاء به ابن من احسن الناس صوره وكانت محاسن الاقوال والافعال عليه مقصوره مع ماشئت من لسن وصوت حسن وعفاف واختلاط بالبهاء والتفاف قال الفتح وحللنا لاحدى ضياعه بقرب من حضرة غرناطة بخلالناقرية على ضفة نهر احسن من شاذن مهر تشقها جداول كالصلال ولا ترمقها الشمس من تكاثف الظلال ومعنا جملة من اعيانها فأحضرنا من انواع الطعام وارانا من فرط الاكرام والانعام مالا يطاق ولا يحد و يقصر عن بعضه العد وفى اثناء مقامنا بدا لى من ذلك الفتى المذكور ما انكرته فقابلته بكلام اعتقده وملام احقده فلما كان من الغد لقيت منه اجتنابه ولم ارمنه ما عهدته من الانابه فكتبت اليه مداعبا له فراجعنى بهذه القطعة

اتتنى أبا نصر نتيجة خاطر * سريع كرجع الطرف فى الخطرات
فأعربت عن وجدى كمين طويته * بأهيف طاو فاتر اللحظات
غزال احم المقلتين عرفته * بخيف منى للحسن او عرفات
رماك فأصمى والقلوب رمية * لكل كحيل الطرف ذى فتكات
وظن بأن القلب منك محصب * فلباك من عينيه بالجمرات
تقرب بالنساك فى كل منسك * وضحى غداة النحر بالمهجات
وكانت له جيان مثوى فأصبحت * ضلوعك مثواه بكل فلاة

أخذت منى بصفين فارتفع معاوية على الكوفى وأمره بتسليم البعير اليه فقال الكوفى اصلحك الله انه جمل وليس بناقة فقال معاوية هذا حكم قد مضى ودس الى الكوفى بعد تفرقهم فاحضره وسأله عن ثمن بعيره فدفع اليه ضعفه وبره واحسن اليه وقال له ابلغ عليا انى اقابله بمائة الف ما فيهم من يفرق بين الناقة والجمل ولقد بلغ من أمرهم فى طاعتهم له انه صلى بهم عند مسيرهم الى صفين الجمعة فى يوم الاربعاء وأعاروه رؤسهم عند القتال وحملوه بها وركنوا الى قول عمرو بن العاص ان عليا هو الذى قتل عمار ابن ياسر حين أخرجه لنصرته ثم ارتقى بهم الامر فى طاعته الى أن جعلوا لعن على سنة ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير (قال المسعودى) وذكر بعض الاخبار يين انه قال لرجل من أهل الشام من زعمائهم وأهل الرأى والعقل منهم من أبوتراب هذا الذى يلعنه الامام على المنبر قال أراه لصا من لصوص الفتن (وحكى الجاحظ) قال سمعت رجلا من العامة وهو حاج وقد ذكر له البيت يقول اذا أتيته من يكلمنى منه وانه اخبره صديق له انه قال له رجل منهم وقد سمعه يصلى

يعـــز علينا ان تهـــيم فتنطوى * كئيبا على الاشجان والزفـــرات
فلوقلت للناس فى الحب فـدية * فديناك بالامـــوال والثمرات

ومن ايثارديانتــه وعلامة حفظه للشرع وصيانته وقصده مقصــد المتورعين وجريه مجرى المتشرعين ان احد اعيان بلده كان متصلا به اتصال الناظر بسواده محتفلا فى عينه وفؤاده لايسلمه الى مكروه ولا يفرده فى حادث يعروه وكان من الادب فى منزلة تقتضى اسعافه ولا توردهمن تشفيعه فى مورد قد عافه فكتب اليه ضارعا فى رجل من خواصه اختلط بمرأة طلقها ثم تعلقها وخاطبه فى ذلك بشعر فلم يسعفه وكتب اليه مراجعا

أيا أيهــا الســـيد المجتبى * ويا أيهــا الالمعى العـــــلم
أتتنى ابياتك المحكمات * بما قد حوت من بديع الحكم
ولم ارمن قبلها مثلها * وقد نفثت سحرها فى الكلم
ولكنه الدين لايشترى * بنثرولا بنظام نظـــــــم
وكيف ابيح حمى مانعا * وكيف احال ماقد حرم
الست اخاف عقاب الاله * ونارا مؤججة تضطـــرم
أ أصرفها طالقا بتـة * على أنوك قدطغى واجترم
ولو أن ذاك الغوى الذوى * تثبـــت فى أمره ماندم
ولكنه طاش مستعجلا * فكان أحق الورى بالندم

انتهى كلام الفتح الذى أردت جلبه هنا ولاخفاء أن هذه الحكاية مما يدخل فى حكايات عدل قضاة الاندلس ومن نظم ابن أضحى المذكور ما كتب به الى بعض من يعز عليه

ياساكن القلب رفقا كم تقطعه * الله فى منزل قد ظل مثوا كا
يشيد الناس للتحصين منزلهم * وأنت تهدمه بالعنف عينا كا
والله والله ماحيى لفاحشـــة * أعاذنى الله من هذا وعافاكا

وله فى مثل ذلك

روحى اليك فرديه الى جسدى * من لى على فقده بالصبر والجلد
بالله زورى كئيبا لاعـــزاء له * وشرفيه ومثواه غداة غد
لوتعلمين بما ألقاه يا أملى * بايعتنى الود تصفيه يدا بيد
عليك منى سلام الله مابقيت * آثار عينيك فى قلبى وفى كبدى

واذ وصلت الى هذا الموضع من كلام أهل الاندلس فقد رأيت أن أذكر جملة من نساء أهل الاندلس اللاتى لهن اليد الطولى فى البلاغة كى يعلم أن البراعة فى أهل الاندلس كالغريزة لهم حتى فى نسائهم وصبيانهم * (فمن النساء المشهورات بالاندلس أم السعد بنت عصام الحميرى من أهل قرطبة وتعرف بسعدونة ولها رواية عن أبيها وجدها وغيرهما كما حكاه ابن الابار فى ترجمتها من التكملة وأنشدت لنفسها فى تمثال نعل النبى صلى الله عليه وسلم تكملة لقول غيرها

سألثم التمثال اذلم أجد * للثم نعل المصطفى من سبيل

قال كنت مارا فى السوق ببغداد فاذا أنا برجل عليه الناس مجتمعون فنزلت عن بغلتى وقلت لشئ ماهذا الاجتماع ودخلت بين الناس واذا برجل يصف كحلا معه انه ينجع من كل داء يصيب العين فنظرت اليه فاذا عينه الواحدة برشاء والاخرى مأسوكة فقلت له ياهذا لوكان كحلك كما تقول نفع عينيك فقال لى أهاهنا اشتكت عيناى انما اشتكتا بمصر فقال كلهم صدق وذكر انه ما انفلت من نعالهم الا بعد كد (وذكر) لى بعض اخوانى ان رجلا من العامة بمدينة السلام رفع الى بعض الولاة الطالبين لاصحاب الكلام على جار له انه يتزندق فسأله الوالى عن مذهب الرجل فقال انه مرجئ قدرى أباضى رافضى فلما نص عن ذلك قال انه يبغض معاوية بن الخطاب الذى قاتل على بن العاص فقال له الوالى ما أدرى على أى شئ احسدك على علمك بالمقالات أو على بصرك بالانساب (وأخبرنى) رجل من اخواننا من أهل العلم قال كنا نقعد نتناظر فى أبى بكر وعمر وعلى ومعاوية ونذكر مايذكره أهل العلم وكان قوم من العامة يأتون فيستمعون منا فقال لى ذات يوم بعضهم وكان من اعقلهم وأكبرهم على محمد صلى الله عليه وسلم ماتقول فى محمد هذا أربناهو (وذكر) ثمامة بن أشرس

ماصورته لعلــنى أحظى بتقبيــله * فى جنـة الفردوس أسنى مقيل
فى ظل طوبى ساكنا آمنا * أسقى بأكواس من السلسبيل
وأمسح القلب به عــله * يسكن ماجاش به من غليل
فطالما استشفى باطلال من * يهواه أهـل الحب فى كل جيل

وأنشدنى ابن جابر الوادى آشى عن شيخه المحـدث أبى محمد بن هرون القرطبى لجدته سعدونة وأظنها هذه

آخ الرجال مـن الابا * عد والاقارب لاتقـارب
ان الاقارب كالعـقا * رب أو أشد من العقارب

هكذا نقـله الخطيب ابن مرزوق ورأيت نسبة البيتين لابن العميد فالله اعـلم * ومنهن حسانة التميمية بنت أبى الحسين الشاعر تأدبت وتعلمت الشعر فلما مات ابوها كتبت الى الحكم وهى اذذاك بكر لم تتزوج

انى اليـك أبا العاصى موجعـة * ابا الحسين سقته الواكف الديم
قد كنت أرتع فى نعماه عاكفـة * فاليوم آوى الى نعماك ياحكم
انت الامام الذى انقاد الانام له * وملكته مقاليـد النهى الامم
لاشئ أخشى اذاما كنت لى كنفا * آوى اليـه ولا يعرولى العـدم
لازلت بالعزة القعساء مرتديا * حتى تذل اليك العرب والعجم

فلما وقف الحكم على شعرها استحسـنه وأمر لها باجراء مرتب وكتب الى عامله على البيرة فجهزها بجهاز حسـن ويحكى انها وفدت على ابنه عبد الرحمن بشكية من عامـله جابر بن لبيد والى البيرة وكان الحـكم قد وقع لها بخط يده بتحرير أملاكها فلم يفدهـا فدخلت الى الامام عبـد الرحمن فأقامت بفنائه وتلطفت مع بعض نسائه حتى أوصلتها اليه وهو فى حال طرب وسرور فانتسبت اليه فعرفها وعرف أباها ثم أنشدته

الى ذى الندى والمجد سارت ركائبى * علـى شحط تصـلى بنار الهواجر
ليجبر صدعى انه خـير جابر * ويمنعنى من ذى الظلامة جابر
فانى وأيتـامى بقبضة كفه * كذى ريش أضحى فى مخالب كاسر
جـدير لمثـلى أن يقال مروعـة * لموت أبى العاصى الذى كان ناصرى
سقاه الحيا لوكان حيا لما اعتدى * عــلى زمان باطش بطش قادر
أيمحو الذى خطتـــه يمناه جابر * لقد سام بالاملاك احدى الكبائر

ولما فرغت رفعت اليه خطوالده وحكت جميع أمرهـا فرق لهـا وأخذ خط أبيه فقبله ووضعه على عينيه وقال تعدى ابن لبيـد طوره حتى رام نقض رأى الحكم وحسبنا أن نسلك سبيله بعده ونحفظ بعد موته عهده انصرفى ياحسانة فقد عزلته لك ووقع لها بمثل توقيع أبيه الحكم فقبلت يده وأمر لهـا بجائزة فانصرفت وبعثت اليه بقصيدة منها

ابن الهشـامين خير الناس مأثرة * وخـــير منتجع يوما لرواد
ان هز يوم الوغى أثنـاء صعـدته * روى أنابيبها من صرف فرصاد
قل للامام أيا خير الورى نسـبا * مقابلا بين آباء وأجــداد

فيه قال أليس هو أبو فاطمة قلت ومن كانت فاطمـة قال امرأة النبى عليه السلام بنت عائشة أخت معاوية قلت فما كانت قصـة على قال قتل فى غزاة حنين مع النبى صـلى الله عليه وسلم وقد كان عبد الله بن عـلى حين خرج فى طلب مروان الى الشام وكان من قصة مروان ومقتـله ماقد ذكر ونزل عبد الله بن على الشام ووجـه الى أبى العباس السفاح اشياخا من اهـل الشام من أرباب النعم والرياسـة فحلفوا لابى العباس السفاح انهـم ماعلموا الرسول الله صـلى الله عليه وسلم قرابة ولا أهل بيت يرثونه غير بنى امـية حتى وليتم الخلافة فقال فى ذلك ابراهيم بن المهاجر البجلى

أيها الناس اسمعوا أخبركم
عجبا زاد عـلى كل العجب
عجبا من عبد شمس انهم
فتحوا للناس أبواب الكذب
ورثوا احمـد فيما زعموا
دون عباس بن عبد المطلب
كذبوا والله مانعلمه
يحرز الميراث الا من قرب

وقد كان ببغداد رجـل فى أيام هرون الرشيد متطبب يطبب العامـة بصـفاته وكان دهريا يظهر أنه من أهل السنة والجماعة ويلعن أهل البدع ويعرف بالسنى تنقاد اليه العامة فكان

جوّدت طبعي ولم ترض الظلامة لي * فهاك فضل ثناء رائح غاد
فان أقمت ففي نعماك عاطفة * وان رحلت فقد زوّدتني زادي

*(ومنهن أم العلاء بنت يوسف الحجارية ذكرها صاحب المغرب وقال انها من أهل المائة الخامسة ومن شعرها

كل ما يصدر منكم حسن * وبعلياكم تحلى الزمن
تعطف العين على منظركم * وبذكراكم تلذ الاذن
من يعش دونكم في عمره * فهو في نيل الاماني يغبن

وعشقها رجل أشيب فكتبت اليه

الشيب لا يخدع فيه الصبى * بحيلة فاسمع الى نصحي
فلا تكن أجهل من في الورى * يبيت في الجهل كما يضحي

ولها أيضا

أفهم مطارح أحوالي وما حكمت * به الشواهد واعذرني ولا تلم
ولا تكلني الى عذر أبينه * شر المعاذير ما يحتاج للكلم
وكل ما جئته من زلة فبما * أصبحت في ثقة من ذلك الكرم

والحجارية بالراء المهملة نسبة الى وادي الحجارة *(ومنهن امة العزيز قال الحافظ ابو الخطاب ابن دحية في كتاب المطرب من أشعار المغرب أنشدتني اخت جدي الشريفة الفاضلة امة العزيز الشريفة الحسنية لنفسها

لحاظكم تجرحنا في الحشا * ولحظنا يجرحكم في الخدود
جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا * فما الذي اوجب جرح الصدود   انتهى

قلت هذا السؤال يحتاج الى جواب وقد رأيت لبلدينا القاضي الامام الفاضل ابي الفضل قاسم العقباني التلمساني رحمه الله تعالى جوابه والغالب انه من نظمه وهو قوله

اوجبه مني يا سيدي * جرح بخد ليس فيه الجحود
وأنت فيما قلته مدع * فأين ما قلت وأين الشهود   انتهى

*(ومنهن أم الكرام بنت المعتصم بن صمادح ملك المرية) *قال ابن سعيد في المغرب كانت تنظم الشعر وعشقت الفتى المشهور بالجمال من دانية المعروف بالسمار وعملت فيه الموشحات ومن شعرها فيه

يا معشر الناس ألا فاعجبوا * مما جنته لوعة الحب
لولاه لم ينزل ببدر الدجا * من أفقه العلوي للترب
حسبي بمن أهواه لو أنه * فارقني تابعه قلبي

*(ومنهن الشاعرة الغسانية البجانية) بالنون نسبة الى بجانة وهي كورة عظيمة وتشتهر باقليم المرية وهي من أهل المائة الرابعة فمن نظمها من ابيات

عهدتهم والعيش في ظل وصلهم * انيق وروض الوصل أخضر فينان
ليالي سعد لا يخاف على الهوى * عتاب ولا يخشى على الوصل هجران

يجتمع اليه في كل يوم بقوارير الماء خلق من الناس فاذا اجتمعوا وثب قائما على قدميه فقال لهم معاشر المسلمين قلتم لا ضار ولا نافع الا الله فلاي شئ تسألوني عن مضاركم ومنافعكم الجؤا الى ربكم وتوكلوا على بارئكم حتى يكون فعلكم مثل قولكم فيقبل بعضهم على بعض فيقولون اي والله قد صدقنا فكم من مريض لم يعالج حتى مات ومنهم من كان يتركه حتى يسكن ثم يريه الماء فيصف له الدواء فيقول ايمانك ضعيف ولولا ذلك لتوكلت على الله كما أمرك فهو يه ثك فكان يقتل بقوله هذا خلقا كثيرا لتزهيده اياهم في معالجة مرضاهم ومن اخلاق العامة ان يسودوا غير السيد ويفضلوا غير الفاضل ويقولوا بعلم غير العالم وهم اتباع من سبق اليهم من غير تمييز بين الفاضل والمفضول والفضل والنقصان ولا معرفة للحق من الباطل عندهم ثم انظر هل ترى اذا اعتبرت ما ذكرنا ونظرت في مجالس العلماء هل تشاهدها الا مشحونة بالخاصة من اولي التمييز والمروءة والحجى وتقصد العامة في احتشادها وجموعها فلا تراهم الدهر الا مرقلين الى قائد دب وضارب بدف على سياسة قرد ومتشوقين الى اللهو واللعب أو مختلفين الى مشعبذ متمسخر أو

(ومنهن العروضية مولاة أبي المطرف عبد الرحمن بن غلبون الكاتب تسكنت بلنسية وكانت قد أخذت عن مولاها النحو واللغة لكنها فاقته في ذلك وبرعت في العروض وكانت تحفظ الكامل للمبرد والنوادر للقالي وتشرحهما قال أبو داود سليمان بن نجاح قرأت عليها الكتابين وأخذت عنها العروض توفيت بدانية بعد سيدها في حدود الخمسين والاربعمائة رحمها الله تعالى *(ومنهن حفصة بنت الحاج الركونية الشاعرة الاديبة المشهورة بالجمال والحسب والمال ذكرها الملاحي في تاريخه وأنشد لها مما قالته في أمير المؤمنين عبد المؤمن ابن على ارتجالا بين يديه

يا سيد الناس يامن * يؤمل الناس رفده
امنن على بطرس * يكون للدهر عدة
تخط يمناك فيه * الحمد لله وحده

وأشارت بذلك الى العلامة السلطانية عند الموحدين فانها كانت أن يكتب السلطان بيده بخط غليظ في رأس المنشور الحمد لله وحده وتذكرت بذلك والشئ بالشئ يذكر انه لما قفل السلطان الناصر أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين يعقوب المنصور ابن أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بن على سلطان المغرب والاندلس من افريقية سنة ثلاث وستمائة بعد فتح المهدية هنأته الشعراء بذلك ثم اجتمع أبو عبد الله بن مرج الكحل بالشعراء والكتاب فتذكروا الفتح وعظمه فأنشدهم ابن مرج الكحل في الوقت لنفسه

ولما توالى الفتح من كل وجهة * ولم تبلغ الاوهام في الوصف حده
تركنا أمير المؤمنين لشكره * بما أودع السر الالهى عنده
فلا نعمة الا تؤدى حقوقها * علامته بالحمد لله وحده

فاستحسن الكتاب له ذلك ووقع أحسن موقع *وحكى صاحب كتاب روح الشعر وروح السحر وهو الكاتب أبو عبد الله محمد بن الجلاب الفهري أن أمير المؤمنين يعقوب المنصور لما قفل من غزوة الاراك المشهورة وكانت يوم الاربعاء تاسع شعبان سنة احدى وتسعين وخمسمائة وردعليه الشعراء من كل قطر يهنئونه فلم يمكن لكثرتهم أن ينشد كل انسان قصيدته بل كان يختص منها بالانشاد البيتين او الثلاثة المختارة فدخل أحد الشعراء فأنشده

ما أنت في امراء الناس كلهم * الا كصاحب هذا الدين في الرسل
أحييت بالسيف دين الهاشمي كما * أحياه جدك عبد المؤمن بن على

فأمر له بألفي دينار ولم يصل أحدا غيره لكثرة الشعراء وأخذا بالمثل منع الجميع أرضى للجميع قال وانتهت رقاع القصائد وغيرها الى ان حالت بينه وبين من كان امامه لكثرتها انتهى *(رجع الى أخبار حفصة وأنشد لها أبو الخطاب في المطرب قولها

ثنائى على تلك الثنايا لانني * أقول على علم وأنطق عن خبر
وأنصفها لا أكذب الله انني * رشفت بها ريقا أرق من الخمر

وتولع بها السيد أبو سعيد عبد المؤمن ملك غرناطة وتغير بسببها على أبي جعفر بن سعيد حتى أدى تغيره عليه ان قتله وطلب أبو جعفر منها الاجتماع فمطلته قدر شهرين فكتب لها

لا ينكرون منكرا ولا يعرفون معروفا ولا يبالون ان يلحقوا البار بالفاجر والمؤمن بالكافر وقد بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله فيهم حيث يقول الناس اثنان عالم ومتعلم وما عدا ذلك همج رعاع لا يعبأ الله بهم وكذلك ذكر عن على وقد سئل عن العامة فقال همج رعاع اتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤا الى ركن وثيق واجمع الناس في تسميتهم على انهم غوغاء وهم الذين اذا اجتمعوا غلبوا واذا تفرقوا لم يعرفوا ثم تدبر تفرقهم في احوالهم ومذاهبهم فانظر الى اجماع ملتهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يدعو الخلق الى الله اثنتين وعشرين سنة وهو ينزل عليه الوحي ويمليه على اصحابه فيكتبونه ويدونونه ويلتقطونه لفظة لفظة وكان معاوية في هذه المدة بحيث علم الله ثم كتب له صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهور فاشادوا من ذكره ورفعوا من منزلته بأن جعلوه كاتبا للوحي وعظموه بهذه الكلمة واضافوه اليها وسلبوها عن غيره واسقطوا ذكر سواه واصل ذلك العادة والالف وما ولدوا عليه وما نشؤا فيه فالى او قت التحصيل والبلوغ

يامن اجانب ذكر اسمه وحي علامه
مالي أرى الوعد يقضي * والعمر اخشى انصرامه
اليوم ارجوك لا ان * يكون لي في القيامه
لو قد بصرت بحالي * والليل أرخى ظلامه
أنوح شوقا ووجدا * اذ تستريح الحمامه
صب أطال هواه * على الحبيب غرامه
لمن يتيه عليه * ولا يرد سلامه
ان لم تنيلي أريحي * فاليأس يثني زمامه

فاجابته

يامدعي في هوى الحسن والغرام الامامه
أتى قريضك لكن * لم أرض منه نظامه
امدعي الحب يثني * يأس الحبيب زمامه
ضللت كل ضلال * ولم تفدك الزعامه
مازلت تصحب مذ كنت في السباق السلامه
حتى عثرت وأخجلت بافتضاح السآمه
بالله في كل وقت * يبدي السحاب انسجامه
والزهر في كل حين * يشق عنه كمامه
لو كنت تعرف عذري * كففت غرب الملامه

ووجهت هذه الابيات مع موصل ابياته بعدما لعنته وسبته وقالت له لعن الله المرسل والمرسل فما في جميعكما خير ولا لي برؤيتكما حاجة وانصرف بغاية من الخزي ولما أطل على ابي جعفر وهو في قلق لانتظاره قال له ماوراءك ياعصام قال ما يكون وراء من وجهه خلف الى فاعلة تاركة اقرأ الابيات تعلم فلما قرأ الابيات قال للرسول ما أخف عقلك وأجهلك انها وعدتني للقبة التي في جنتي المعروفة بالكمامة سر بنا فبادروا الى الكمامة فما كان الا قليلا واذا بها قد وصلت وأراد عتبها فانشدت

دعي عد الذنوب اذا التقينا * تعالى لا نعد ولا تعدي

وجلسا على أحسن حالة واذا برقعة الكتندي الشاعر لابي جعفر وفيها

اباجعفر يا ابن الكرام الاماجد * خلوت بمن تهواه رغما لحاسد
فهل لك في خل قنوع مهذب * كتوم عليم باختفاء المراصد
يبيت اذا يخلو المحب بحبه * ممتع لذات بخمس ولائد

فقرأها على حفصة فقالت لعنه الله قد سمعنا بالوارش على الطعام والواغل على الشراب ولم نسمع اسما لمن يعلم باجتماع محبين فيروم الدخول عليهما فقال لها بالله سميه لنكتب له بذلك فقالت اسميه الحائل لانه يحول بيني و بينك ان وقعت عيني عليه فكتب له في ظهر رقعته

يامن اذا ما أتاني * جعلته نصب عيني
ترالك ترضي جلوسا * بين الحبيب وبيني

وقد عملت العادة عملها وبلغت مبالغها وفي العادة قالت الشعراء وتكلم اهل الدراية والادباء قال الشاعر

لا تهني بعد اذ أكرمتني * فشديد عادة منتزعة

وقال آخر معاتبا لصاحبه

ولكن فطام النفس اثقل محملا * من الصخرة الصماء حين ترومها

وقد قالت حكماء العرب العادة املك بالادب وقالت حكماء العجم العادة هي الطبيعة الثانية وقد صنف ابو عقال الكاتب كتابا في أخلاق العوام يصف فيه اخلاقهم وشيمهم ومخاطباتهم وسماه بالملهي ولولا اني اكره التطويل والخروج عما قصدنا اليه في هذا الكتاب من الايجاز لشرحت من نوادر العامة واخلاقها وطرائف اقوالها عجائب ولذكرت مراتب الناس في اخلاقهم وتصرفهم في احوالهم (فلنرجع) الآن الى اخبار معاوية وسياسته وما اوسع الناس من اخلاقه وما افاض عليهم من بره وعطائه وشملهم من احسانه مما اجتذب به القلوب واستدعى به النفوس حتى آثروه على الاهل والقرابات من ذلك أنه وفد عليه عقيل بن ابي طالب منتجعا وزائرا فرحب به معاوية وسر بوروده لاختياره اياه على أخيه وأوسعه حلما واحتمالا فقال له يا أبا زيد كيف تركت عليا فقال

ان كان ذلك فماذا * تبغي سوى قرب حيني
والآن قد حصلت لي * بعد المطال بديني
فان أبيت فدفعا * منها بكلتا اليدين
اوليس تبغي وحاشا * لك ان ترى طير بين
وفي مبيتك بالخمس كل قبح وشين
فليس حقك الا الـ * ـغلو بالقمرين

وكتب له تحت ذلك ما كان منها من الكلام وذيل ذلك بقوله

سمالك من اهواه حائل * ان كنت بعد العتب واصل
مع ان لونك مزعج * لو كنت تحبس بالسلاسل

فلما رجع اليه الرسول وجده قد وقع بطمورة نجاسة وصار هتكة فلما قرأ الابيات قال للرسول اعلمهما بحالي فرجع الرسول وأخبرهما بذلك فكاد أن يغشى عليهما من الضحك وكتبا اليه ارتجالا كل واحد بيتا بيتا وابتدأ أبو جعفر فقال

قل للذي خلصنا * من الوقوع في الخرا
ارجع كما شاء الخرا * يا ابن الخرا الى ورا
وان تعد يوما الى * وصالنا سوف ترى
يا اسقط الناس ويا * انذلهم بلا مرا
هذا مدى الدهر تلا * قي لو أتيت في الكرا
يا لحية تشغف في الـ * ـخرء وتشنا العنبرا
لا قرب الله اجتما * عابك حتى تقبرا

ومن شعرها

سلام يفتح في زهره الكمام ويـنطق ورق الغصون
على نازح قد ثوى في الحشا * وان كان تحرم منه الجفون
فلا تحسبوا البعد ينسا كم * فذلك والله ما لا يكون

وقولها من أبيات

ولو لم يكن نجما لما كان ناظري * وقد غبت عنه مظلما بعد نوره
سلام على تلك المحاسن من شج * تناءت بنعماه وطيب سروره

وقولها

سلوا البارق الخفاق والليل ساكن * اظل بأحبابي يذكرني وهنا
لعمري لقد اهدى لقلبي خفقه * وأمطرني منهل عارضه الجفنا

ونسب بعض اليها البيتين المشهورين

أغار عليك من عيني رقيبي * ومنك ومن زمانك والمكان
ولو اني خبأتك في عيوني * الى يوم القيامة ما كفاني

والله تعالى أعلم وكتبت الى أبي جعفر

رأست فما زال العداة بظلمهم * وعلمهم النامي يقولون لم رأس

تركته على ما يحب الله ورسوله والفيتك على ما يكره الله ورسوله فقال له معاوية لولا انك زائر منتجع جنابنا لرددت عليك أبا يزيد جوابا تألم منه ثم أحب معاوية ان يقطع كلامه مخافة ان يأتي بشيء يخفضه فوثب عن مجلسه وأمر له ان ينزل وحمل اليه مالا عظيما فلما كان من غد جلس وارسل اليه فاتاه فقال له يا ابا يزيد كيف تركت عليا اخاك قال تركته خيرا لنفسه منك وانت خير لي منه فقال له معاوية انت والله كما قال الشاعر

واذا اعددت نفار آل محرق
فالمجد منهم في بني عتاب
فعل المجد من بني هاشم
منوط فيك يا ابا يزيد ما تغيرك
الايام والليالي فقال عقيل

اصبر لحرب انت جانيها
لابد ان تصلى بحاميها

وانت والله يا ابن ابي سفيان كما قال الآخر

واذا هوازن اقبلت بفخارها
يوما فخرتهم بآل مجاشع
بالحاملين على الموالي
غرمهم والضاربين الهام
يوم القارع * ولكن انت

يا معاوية اذا افتخرت بنو امية فبمن تفخر فقال معاوية عزمت عليك ابا يزيد لما امسكت فاني لم اجلس لهذا وانما اردت ان اسألك عن اصحاب علي فانك ذو معرفة بهم فقال عقيل سل عما بدا لك فقال ميز لي اصحاب علي وابدأ بآل صوحان فانهم مخاريق الكلام

وهل

وهل منكر أن ساد أهل زمانه * جموح الى العليا حرون عن الدنس

وقال ابن دحية حفصة من أشراف غرناطة رخيمة الشعر رقيقة النظم والنثر انتهى ومن قولها في السيد أبي سعيد ملك غرناطة تهنئه بيوم عيد وكتبت بذلك اليه

يا ذا العلا وابن الخليفة والامام المرتضى
يهنيك عيد قد جرى * فيه بما تهوى القضا
وأتاك من تهواه في * قيد الانابة والرضا
ليعيد من لذاته * ما قد تصرم وانقضى

وذكر الملاحي في تاريخه انها التها امرأة من أعيان غرناطة أن تكتب لها شيأ بخطها فكتبت اليها

يا ربة الحسن بل يا ربة الكرم * غضي جفونك عما خطه قلمي
تصفحيه بلحظ الود منعمة * لا تحفلي برديء الخط والكلم

واتفق ان بات أبو جعفر بن سعيد معها في بستان بحوزمؤمل على ما يبيت به الروض والنسيم من طيب النفحة ونضارة النعيم فلما حان الانفصال قال أبو جعفر وكان يهواها كما سبق

رعى الله ليلا لم يرح بمذمم * عشية وارانا بحوزمؤمل
وقد خفقت من نحو نجد أريجة * اذا نفحت هبت بريا القرنفل
وغرد قمري على الدوح وانثنى * قضيب من الريحان من فوق جدول
يرى الروض مسرورا بما قد بدا له * عناق وضم وارتشاف مقبل

وكتب بها اليها بعد الافتراق لتجيبه على عادتها في مثل ذلك فكتبت اليه بقولها

لعمرك ما سر الرياض بوصلنا * ولكنه ابدى لنا الغل والحسد
ولا صفق النهر ارتياحا لقربنا * ولا غرد القمري الا لما وجد
فلا تحسن الظن الذي أنت أهله * فما هو في كل المواطن بالرشد
فما خلت هذا الافق أبدى نجومه * لأمر سوى كيما تكون لنا رصد

وقال ابن سعيد في الطالع السعيد كتبت حفصة الركونية الى بعض أصحابها

ازورك ام تزور فان قلبي * الى ما تشتهي أبدا يميل
فثغري مورد عذب زلال * وفرع ذؤابتي ظل ظليل
وقد أملت أن تظما وتضحى * اذا وافى اليك بي المقيل
فعجل بالجواب فما جميل * اباؤك عن بثينة يا جميل

قال التجاني تشبه أبيات حفصة هذه أبيات أنشدها ابن أبي الحسين في تاريخه لسلمى بنت القراطيسي من أهل بغداد وكانت مشهورة بالجمال وهي

عيون مها الصريم فداء عيني * وأجياد الظباء فداء جيدي
أزين بالعقود وان نحري * لأزين للعقود من العقود
ولا أشكو من الأوصاب ثقلا * وتشكو قامتي ثقل النهود

وبلغت هذه الابيات المقتفي أمير المؤمنين فقال اسألوا أهل تصدق صفتها قولها فقالوا

ويفتق مارتق قليل النظير وأما زيد وعبد الله فانهما نهران جاريان يصب فيهما الخلجان ويغاث بهما البلدان رجلا جد لا لعب معه وأما بنو صوحان فكما قال الشاعر

اذا نزل العدو فان عندي * اسود اتخلس الاسد النفوسا

فاتصل كلام عقيل بصعصعة فكتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم ذكر الله أكبر وبه يستفتح المستفتحون وانتم مفاتيح الدنيا والآخرة أما بعد فقد بلغ مولاك كلامك لعدو الله وعدوه فحمدت الله على ذلك وسألته ان يفيء بك الى الدرجة العليا والقضيب الاحمر والعمود الاسود فانه عمود من فارقه الدين الازهر ولئن نزعت بك نفسك الى معاوية طلبا لماله انك لذو علم بجميع خصاله فاحذر أن تعلق بك ناره فيضلك عن الحجة فان الله قد رفع عنكم اهل البيت ما وضعه في غيركم فما كان من فضل او احسان فبكم وصل الينا فأجل الله اقداركم وحمى اخطاركم وكتب آثاركم فان اقداركم مرضية

واخطاركم محمية وآثاركم بدرية وانتم سلم الله الى خلقه ووسيلته الى طرقه ايد عليه ووجوه جليه

مايلون أجزمنها فقال اسألوا عن عفافها فقالوا هي أعف الناس فأرسل اليها مالا جزيلا وقال تستعين به على صيانة جمالها ورونق بهجتها انتهى *(رجع الى حفصة)
وقال أبو جعفر بن سعيد أقسم ما رأيت ولا سمعت بمثل حفصة ومن بعض ما أجعله دليلا على تصديق عزمي وبرقسمي أني كنت يوما في منزلي مع من يجب أن يخلى معه من الاجواد الكرام على راحة سمعت بها غفلات الايام فلم نشعر الا بالباب يضرب فخرجت جارية تنظر من الضارب فوجدت امرأة فقالت لها ما تريدين فقالت ادفعي لسيدك هذه الرقعة فجاءت برقعة فيها

زائر قد أتى بجيد الغزال * مطلع تحت جنحه للهلال
بلحاظ من سحر بابل صيغت * ورضاب يفوق بنت الدوالي
يفضح الورد ما حوى منه خد * وكذا الثغر فاضح للآلي
ما ترى في دخوله بعد اذن * أو تراه لعارض في انفصال

قال فعلمت أنها حفصة وقمت مبادرا للباب وقابلتها بما يقابل به من يشفع له حسنه وآدابه والغرام به وتفضله بالزيارة دون طلب في وقت الرغبة في الانس به انتهى قلت واذ قد جرى ذكر أبي جعفر بن سعيد سابق الحلبة فانلم ببعض أحواله فنقول هو أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي قال قريبه أبو الحسن على بن موسى بن سعيد في المغرب سمعت أبي يقول لا أعلم في بني سعيد أشعر منه بل لا أعلم في بلده وعشق حفصة شاعرة الاندلس وكانا يتجاوبان تجاوب الحمام ولما استبد والده بأمر القلعة حين ثار أهل الاندلس بسبب صولة بني عبد المؤمن على الملثمين اتخذه وزيرا واستنابه في أموره فلم يصبر على ذلك واستعفى فلم يعفه وقال أفي مثل هذا الوقت الشديد تركن الى الراحة فكتب اليه

مولاي في أي وقت * أنال في العيش راحه
ان لم أنلها وعمري * ما ان أنار صباحه
وللملاح عيون * تميل نحو الملاحه
وكاس راحي ما ان * تمل مني راحه
والخطب عني أعمى * لم يقترب لي ساحه
وأنت دوني سور * من العلا والرجاحه
فأعفني وأقلني * مما رأيت صلاحه
ما في الوزارة حظ * لمريد ارتياحه
كل وقال وقيل * مما يطيل نباحه
أنسى أتى مستغيثا * فاترك فديت سراحه

فلما قرأ الابيات قال لا ينفع الله بما لا يكون مركبا في الطبع مائلة له النفس ثم وقع على ظهر ورقته قد تركنا سراح أنسك وألحقنا يومك بامسك ولما رجع ثوار الاندلس الى عبد المؤمن وبايعه عبد الملك بن سعيد فغمره احسانا وبرا وولى السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن غرناطة طلب كاتبا من أهلها فوصف له فضل أبي جعفر وحسبه وأدبه فاستكتبه

وانتم كما قال الشاعر
فما كان من خير أتوه فانما * توارثه آباء آبائهم قبل
وهل ينبت الخطى الا وشيجه * وتغرس الا في منابتها النخل
(وحدث) ابو الهيثم عن ابي سفيان عمرو بن يزيد عن البراء بن يزيد عن محمد بن عبد الله بن الحرث الطائي ثم الاسدي بني عفان قال لما انصرف على من الجمل قال لآذنه من بالباب من وجوه العرب قال محمد بن عمير بن عطارد التميمي والاحنف بن قيس وصعصعة ابن صوحان العبدي رجال سماهم فقال ائذن لهم فدخلوا فسلموا بالخلافة فقال لهم انتم وجوه العرب عندي ورؤساء اصحابي فأشيروا على في امر هذا الغلام المترف يعني معاوية فافتنت بهم المشورة عليه فقال صعصعة ان معاوية ترفه الهوى وحببت اليه الدنيا فهانت عليه مصارع الرجال وابتاع آخرته بدنياهم فان تعمل فيه براي ترشد وتصب ان شاء الله والتوفيق بالله وبرسوله وبك يا امير المؤمنين الراى ان ترسل اليه عينا من عيونك وثقة من ثقاتك بكتاب تدعوه الى بيعتك فان اجاب واناب كان له مالك وعليه ما عليك والا جاهدته وصبرت لقضاء الله حتى يأتيك اليقين فقال على عزمت عليك يا صعصعة الا كتبت الكتاب بيدك وتوجهت به الى معاوية

فطلب أن يعفيه فأبى الى أن شرب أبو جعفر ومامع بعض خواصه وخرج ثاني يوم الى الصيد وكان اليوم ذا غيم وبرد ولما اشتد البرد مالوا الى خيمة ناطور وجعلوا يصطلون ويشربون على ما اصطادوا فحمل أبا جعفر بقية السكر على أن قال يصف يومه ويستطرد بما في نفسه

ويوم تجلى الافق فيه بعنبر * من الغيم لذنا فيه باللهو والقنص
وقد بقيت فينا من الامس فضلة * من السكر تغرينا بمنتهب الفرص
ركبناه صبحا وليلا وبعضنا * اصيلا وكل ان شدا الحجل رقص
وشهب بزاة قد رجنا بشهبها * طيورا يساغ الاهوان شكت الغصص
وعن شفق تغزي الصباح او الدجا * اذا اونقت ما قد تحرك اوقص
وملنا وقد نلنا من الصيد سؤلنا * على قنص اللذات والبرد قد قرص
بخيمة ناطور توسط عذبها * جحيم به من كان عذب قد خلص
أدرنا عليه مشمولة ذهبية * دعته الى الكبرى فلم يحب الرخص
فقل لحريص ان يراني مقيدا * بخدمته لا يجهل البازفي القفص
وما كنت الا طوع نفسي فهل ارى * مطيعا لمن عن شأوه خرى قد نقص

فكان من اصحابه من حفظ هذين البيتين ووشى بهما السيد فعزله اسوأ عزل ثم بلغه بعد ذلك انه قال لحفصة الشاعرة ما تحبين في ذلك الاسود وأنا أقدر أن اشترى لك من سوق العبيد عشرة خيرا منه وكان لونه مائلا الى السواد فاسرها في نفسه الى ان فر عبد الرحمن بن عبد الملك ابن سعيد الى ملك شرق الاندلس محمد بن مردنيش فوجد له بذلك سبيلا فقتله صبرا بمالقة وكان عبد الملك بن سعيد يذكر ابنه ابا جعفر لعبد المؤمن وينشده من شعره رغبة في تشريفه بالحضور بين يديه وانشاده في مجلسه فأمره بحضوره فعندما دخل عليه قبل يده وانشد قصيدة منها قوله

عليك احالني داعي النجاح * وبحولك حثني حادي الفلاح
وكنت كساهر ليلا طويلا * ترنح حين بشر بالصباح
وذي جهل تغلغل في قفار * شكا ظمأ فدل على القراح
دعانا نحو وجهك طيب ذكر * ويذكر للرياض شذا الرياح

وله في غلام اسود ساق ارتجالا

ادار علينا الكاس ظبي مهفهف * غدا نشره واللون للعنبر الشحرى
وزاد انا حسنا بزهر كؤسه * وحسن ظلام الليل بالانجم الزهر

وقوله فيه وقد لبس ابيض

وغصن من الآبنوس ارتدى * بعاج كليل علاه فلق
يحاكي لنا الكاس في كفه * صباح تجمع علاه شفق

وقوله مما كتب به الى اخيه محمد وقد ورد منه كتاب بانعام

وافى كتابك ينبي * عن سابغ الانعام
فقلت در ودر * من زاخر وغمام

واجعل صدر الكتاب تحذيرا وتخويفا وعجزه استتابة واستنابة وليكن فاتحة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي امير المؤمنين الى معاوية سلام عليك أما بعد ثم اكتب ما أشرت به على واجعل عنوان الكتاب ألا الى الله تصير الامور قال اعفني من ذلك قال عزمت عليك لتفعلن قال أفعل فخرج بالكتاب وتجهز وسار حتى ورد دمشق فأتى باب معاوية فقال لآذنه استأذن لرسول أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب وبالباب أردفة من بني أمية فأخذته الايدي والنعال لقوله وهو يقول أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وكثرت الجلبة واللغط فاتصل ذلك بمعاوية فوجه من يكشف الناس عنه فكشف ثم أذن لهم فدخلوا فقال لهم من هذا الرجل قالوا رجل من العرب يقال له صعصعة بن صوحان معه كتاب من علي فقال والله لقد بلغني أمره هذا أحد سهام علي وخطباء العرب ولقد كنت الى لقائه شيقا ائذن له يا غلام فدخل عليه فقال السلام عليك يا ابن أبي سفيان هذا كتاب أمير المؤمنين فقال معاوية أما انه لو كانت الرسل تقتل في جاهلية أو اسلام لقتلتك ثم اعترضه معاوية في الكلام وأراد أن يستخرجه ليعرف

وقوله يذم حماما

يارب حمام لعنا بها * أبدى الينا كل حمام
أفق له قطر حميم كما * أصمت سهام من يدي رامي
يخرق محبا للدخان الذي * لاح كغيم العارض الهامي
وقيم يجذبني جذبة * وتارة يكسر ابهامي
و يجمع الاوساخ من لؤمه * في عضدي قصد الاعلامي
وازدحم الانذال فيه وقد * ضجوا ضجيجا دون افهام
و جملة الامر دخلنا بني * سام وعدنا كبني حام

وله في ضد ذلك والنصف الاخير لابن بقي

لا أنس ماعشت حماما ظفرت به * وكان عندي أحلى من جنى الظفر
نعمت جسمي في ضدين مغتنما * تنعم الغصن بين الشمس والمطر

وقال له السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن صاحب غرناطة ما أنت الاحسن الفراسة وافر العقل فقال

نسبتم لمن هذبتموه فراسة * وعقلا ولولا كم للازمه الجهل
وما هو أهل للثناء وانما * علا كم لتقليد الايادي له أهل
وما أنا الا منكم واليكم * ومافي من خير فأنتم له أصل

وقال

ولما رأيت السعد في صفح وجهه * منيرا دعاني ما رأيت الى الشكر
وأقبل يبدي لي غرائب نطقه * وما كنت أدري قبله منزع السحر
فأصغيت اصغاء الجديب الى الحيا * وكان ثنائي كالرياض على القطر

وله

لا تكثرن عتابي * ان طال عنك فراقي
فما يضر بعاد * يطول والود باقي

وله

ماخدمنا كم لأن تشفعوا فينا بدار الجزاء يوم الحساب
ذاك يوم أنا وأنت سواء * فيه كل يخاف سوء العقاب
انما الشان الذب في هذه الدنيا بسلطانكم عن الاصحاب
واذا ما خذلتموهم بشكوى * و بخلتم عنهم برد الجواب
فاعذروهم ان يطلبوا من سواكم * نصرة وارفعوا حبال العتاب
واذا أرض مجدب لفظته * فله العذر في اتباع السحاب

وله وقد تقدم أمامه في ليلة مظلمة أحد أصحابه فطفئ السراج في يده فقال لوقته

لي من جبينك هادي * في الليل نحو مرادي
فما أريد سراجا * يدلني لرشاد
أنى وكفك سحب * يبدو بها ذا اتقاد

وله في قوادة

قوادة تفخر بالعار * أقود من ليل على سار

قريحته أطبعا أم تكلفا فقال عن الرجل فقال من نزار قال وما كان نزار قال كان اذا غزا انكمش واذا لقي افترس واذا انصرف احترس قال فمن أي أولاده أنت قال من ربيعة قال وما كان ربيعة قال كان يطيل النجاد و يعول العباد ويضرب بيقاع الارض العماد قال فمن أي اولاده أنت قال من جديلة قال وما كان جديلة قال كان في الحرب سيفا قاطعا وفي المكرمات غيثا نافعا وفي اللقاء لهبا ساطعا قال فمن أي أولاده انت قال من عبد القيس قال وما كان عبد القيس قال كان خضرا ياخصيبا أبيض وهابا لضيفه مايجد ولا يسأل عما فقد كثير المرق طيب العرق يقوم للناس مقام الغيث من السماء قال ويحك يا ابن صوحان فما تركت لهذا الحي من قريش مجدا ولا فخرا قال بلى والله يا ابن أبي سفيان تركت لهم مالا يصلح الا بهم ولهم تركت الابيض والاحمر والاصفر والاشقر والسرير والمنبر والملك الى المحشر وأنى لا يكون ذلك كذلك وهم منار الله في الارض ونجومه في السماء ففرح معاوية وظن أن كلامه يشتمل على قريش كلها فقال صدقت يا ابن صوحان ان ذلك لكذلك فعرف صعصعة ما أراد فقال ليس لك ولا لقومك في ذلك اصدار ولا ايراد ولا

ولاجة في كل دار وما * يدري بها من حذقها داري
ظريفة مقبولة الملتقى * خفيفة الوطء على الجار
تخافها الاينطوى دائما * أقلق من راية بيكار
قدر بيت مذعرفت نفعها * ما بين فتاك وشطار
جاهلة حيث ثوى مسجد * عارفة حانة خمار
بسامة مكثرة برها * ذات فكاهات وأخبار
علم الرياضات حونه وسا * ستة بتقويم واسعار
مبتاعة للنعل من كيسها * موسرة في حال اعسار
تكاد من لطف أحاديثها * تجمع بين الماء والنار

وما سمعنا في هذا الباب أحسن من هذا والبيت السائر

تقود من السياسة ألف بغل * اذا حرنت بخيط العنكبوت

وشرب ليلة مع أصحاب له وفيهم وسيم فأعرض بجانبه وقطب فتكدر المجلس فقال أبو جعفر

يا من نأى عنا الى جانب * صدا كميل الشمس عند الغروب
لا تزوعنا وجهك المجتلى * فالشمس لا يعهد منها قطوب
ان دام هذا الحال ما بيننا * فاننا عما قليل نتوب
ما نشتكي الدهر ولا خطبه * لولاك ما دارت علينا خطوب

وله

أيا لائمي في حمل صحبة جاهل * قطوب المحيا سيئ اللفظ والسمع
لمنفعة ترجى لديه صحبته * وان كان ذا طبع يخالفه طبعي
كما احتمل الانسان شرب مرارة الـ * دواء لما يرجو لديه من النفع

وله وقد أحسن ما شاء

تركتكم لا كارها في جنابكم * ولكن أبي ردي الى بابكم دهري
وطاحت بي الاطماع في كل وجهة * تنقلني من كل سهل الى وعر
وما باختيار فارق الخلد آدم * وما عن مراد لاذ أيوب بالصبر
ولكنها الايام ليست مقيمة * على ما اشتهاه مشتهيه أمد العمر
وانك ان فكرت فيما أتيته * تيقنت أن الترك لم يك عن غدر
ولكن لحاج في النفوس اذا انقضى * رجعت كما قد عاد طير الى وكر
واني لمنسوب اليكم وان نأت * بي الدار عنكم والغدير الى القطر
واني لمثن بالذي نلت منكم * مقيم على ما تعلمون من البر
وان خنتكم يوما فخانني المنى * وساء لديكم بعد احمادة ذكرى
على أنني أقررت أني مذنب * وذو المجد من يغني المقر عن العذر

وله يصف نارا

نظرت الى نار تصول على الدجا * اذا ما حسبناها تدانت تبعد
ترفعها أيدي الرياح وتارة * تخفضها مثل المكبر يسجد

بعدتم عن أنف المرعى وعلوتم من عذب الماء قال فلم ذلك ويلك يا ابن صوحان قال الويل لاهل النار وذلك لبني هاشم قال قم فأخرجوه فقال صعصعة الصدق ينبئ عنك لا الوعيد من أراد المشاجرة قبل المحاورة فقال معاوية لشئ ما سوده قومه وددت والله أني من صلبه ثم التفت الى بني أمية فقال هكذا فلتكن الرجال (وحدث) منذور ابن وحشي عن أبي الفياض عبد الله بن محمد الهاشمي عن الوليد بن البختري العبسي عن الحرث بن مسمار البهراني قال حبس معاوية صعصعة بن صوحان العبدي وعبد الله ابن الكواء اليشكري ورجالا من أصحاب علي مع رجال من قريش فدخل عليهم معاوية يوما فقال نشدتكم بالله الا ما قلتم حقا وصدقا أي الخلفاء رأيتموني فقال ابن الكواء لولا انك عزمت علينا ما قلنا لانك جبار عنيد لا تراقب الله في قتل الاخيار ولكنا نقول انك ما علمنا واسع الدنيا ضيق الآخرة قريب الثرى بعيد المرعى تجعل الظلمات نورا والنور ظلمات فقال معاوية ان الله أكرم هذا الامر بأهل الشام الذابين عن بيضته التاركين لمحارمه ولم يكونوا كأمثال أهل العراق المنتهكين لمحارم الله والمحلين ما حرم الله

والآن لا علمت الصبر قلبه * يقوم به غيظ هناك و يقعد
لما ألسن تشكو بها ما أصابها * وقد جعلت من شدة القر ترعد

وله على لسان انسان أخلقت بردته

مولاى هذى بردتى أخلقت * وليس شئ دونها أملك
وصرت من باس ومن فاقة * أبكى اذا أبصرتها تضحك

وله يستدعى أحد أبناء الرؤساء الى يوم اجتماع

تداركنا فانا فى سرور * ومابسواك يكتمل السرور
أهلة انسنا بك فى تمام * أليس تتم بالشمس البدور

وله وقد خطر على منزله من له اليه ميل وقال لولا أخاف التثقيل لدخلت وانصرف فلما علم أبو جعفر كتب اليه

مولاى لم تقصد تعذيب من * يهوى وما قصدك مجهول
طلبت تخفيفا ببعدوفى * تخفيف من تهواه تثقيل
غيرك ان زارجنى ضجرة * وجنى منه القال والقيل
وأنت ان زرت حياة وما العيش اذا ما طال مملول

وله وقد جلس الى جانبه رجل تكلم فأنبأ عن علو قدر فسأله عن بلده فقال اشبيلية ففكر ثم قال

يا سيدا لم أكن من قبل أعرفه * حتى تكلم مثل الروض بالعبق
وزادنى أن غدا فى حمص منشؤه * لقد تشاكل بين البدر والافق

وله وقد حضر مجلسا مع اخوان له فى انبساط ومزاح فدخل عليهم أحد ظرفاء الغرب بوجه طلق و بشاشة فاهتز لما سمع بينهم وجعل يصل ما يحتاج من مزاحهم الى صلة بأحسن منزع وأنبل مقصد فأنشده أبو جعفر ارتجالا

ياسيدا قد ضمه مجلس * حل به للمزح اخوان
لم يلق من بجأنه خجلة * ولا نفاه عنه كتمان
كانه من جمعنا واحد * لم ينب منا عنه انسان
ولم نكن ندريه لكن بدا * فى وجهه للظرف عنوان

وله وقد لقى أحد اخوانه وكان قد أطال الغيبة عنه فدار بينهما ما أوجب ان قال

ان تحت لم تلمع سواك الاعين * أو غبت لم تذكر سواك الالسن
أنت الذى ما ان يمل حضوره * ومغيبه السلوان عنه يؤمن

وله وهو من آياته

انى لاحمد طيفها وألومها * والفرق بينهما الذى كبير
هى ان بدت لى شيبة فى جفوة * والطيف فى حين المشيب يزور
واذا توالى صدها أو بينها * وافى على أن المزار عسير

وله وقد سار بعض الاراذل بعماله فنكب فى سفره وعاد فقيرا بأسوا أحواله

فان كنت تطلق ألسنتنا ذببنا عن أهل العراق بألسنة حداد لا يأخذها فى الله لومة لائم والافانا صابرون حتى يحكم الله و يضعنا على فرجه قال والله لا يطلق لك لسان ثم تكلم صعصعة فقال تكلمت يا ابن أبي سفيان فابلغت ولم تقصر عما أردت وليس الامر على ماذكرت أنى يكون الخليفة من ملك الناس قهرا ودانهم كبرا واستولى بأسباب الباطل كذبا ومكرا أما والله مالك فى يوم بدر مضرب ولا مرمى وما كنت فيه الا كما قال القائل (لاحلى ولا سيرى) ولقد كنت أنت وأبوك فى العير والنفير ممن أجلب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما أنت طليق ابن طليق أطلقكما رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى تصلح الخلافة لطليق فقال معاوية لولا أنى أرجع الى قول أبي طالب حيث يقول

قابلت جهلهم حلما ومغفرة * والعفو عن قدرة ضرب من الكرم

لقتلتكم (وحدث) أبو جعفر محمد بن حبيب قال أخبرنا أبو الهيثم يزيد بن رجاء الغنوى قال أخبرنا الوليد بن البختري عن أبيه عن أبي مزروع الكلبي قال دخل صعصعة ابن صوحان على معاوية فقال

اغدو ولا يغني عنك القيل والقال * فالجود مبتسم والفضل يختال

قالوا فلان رماه الله في سفر * رآه رأيا بما حالت به الحال

فآب منه سليبا مثل مولده * عليه ذل وتفجيع واقلال

فقلت لا نخفف الرحمن عنه فلم * يكن لديه على القصاد اقبال

فقل له دام في ذل ومسغبة * ولا أعيدت له في المال آمال

قد كان حمقك حسن المال يستره * فاليوم أصبحت لا عقل ولا مال

وله وقد سافر أحد الرؤساء من أصحابه

أيا غائبا لم يغب ذكره * ولا حال عن وده حائل

لئن مال دهري بي عنكم * فقلبي نحوكم مائل

فاني شاهدت منكم علا * من العجز قس بها باقل

لئن طال بي البعد عن لحظكم * فما في حياتي اذن طائل

وله وهو من حسناته

شقت جيوب فرحا عندما * آبت وفي البعد تشق القلوب

فقلت هذا موقف ما يشق الجيب فيه غير صب طروب

فابتسمت زهوا وقالت كذا الافق لعود الشمس شق الجيوب

وله وقد اجمع رأيه على أن يفد على أمير المؤمنين عبد المؤمن فأخذ في ذلك مع أصحاب له فجعلوا يثنونه عن ذلك وظهر عليهم الحسد له فقال

سر نحو ما تختار لا تستمع * ما قاله زيد ولا عمرو

كلهم يحسد ما رمته * مهما يساعد رأيك الدهر

عجبت ممن رام صدر العلا * يروم أن يصفو له دهر

فقالوا له اتهمتنا في الود فقال لو لم أتهمكم كنت أتهم عقلي والعياذ بالله تعالى من ذلك وكيف لا أتهمكم وقد غدوتم تثنوني عن زيارة خليفة لو الذي عنده مكان وله علينا احسان ولي شافع عنده مقرب لمجلسه عقلي ولساني ولكني أنا المخطئ الذي عدلت عن العمل بقول القائل

ولم يستشر في أمره غير نفسه * ولم يرض الا قائم النفس صاحبا

وله في شعاع الشمس والقمر على النهر

ألا حبذا نهر اذا ما لحظته * أبى أن يرد اللحظ عن حسنه الانس

ترى القمرين الدهر قد عنيا به * يفضضه بدر وتذهبه شمس

وله في والده وقد شن عليه درعا

أيا قائد الابطال في كل وجهة * تطير قلوب الاسد فيها من الذعر

لقد قلت لما أن رأيتك دارعا * أيا حسن ما لاح الحباب على النهر

وأنشدت والابطال حولك هالة * أيا حسن ما دار النجوم على البدر

وقوله وقد بلغه أن حاسدا شكره

متى سمعت ثناء * عمن غدا لك حاسد

له يا ابن صوحان أنت ذو معرفة بالعرب وبحالها فاخبرني عن أهل البصرة وإياك والجهل على قوم اقوم قال البصرة وواسطة العرب ومنتهى الشرف والسودد وهم أهل الخطط في أول الدهر وآخره وقد دارت بهم سروات العرب كدوران الرحا على قطبها قال فاخبرني عن اهل الكوفة قال قبة الاسلام وذروة الكلام ومصان ذوي الاعلام الا ان بها اجلافا تمنع ذوي الامر الطاعة وتخرجهم عن الجماعة وتلك اخلاق ذوي الهيئة والقناعة قال فاخبرني عن اهل الحجاز قال اسرع الناس الى فتنة واضعفهم عنها واقلهم غناء فيها غير ان لهم ثباتا في الدين وتمسكا بعروة اليقين يتبعون الائمة الابرار ويخلعون الفسقة الفجار فقال معاوية من البررة والفسقة فقال يا ابن أبي سفيان ترك الخداع من كشف القناع علي وأصحابه من الائمة الابرار وأنت وأصحابك من أولئك ثم أحب معاوية أن يمضي صعصعة في كلامه بعدان بان فيه الغضب فقال أخبرني عن القبة الحمراء في ديار مضر قال أسد مضر بلا بين غيلين اذا ارسلتها افترست واذا تركتها احترست فقال معاوية هنالك يا ابن صوحان العز الراسي فهل في قومك مثل هذا قال لاهله دونك يا ابن ابي سفيان

فكان منك الخداع * به فرأيك فاسد
بصدره منك نار * لهيبها غير خامد
وغله للمزد * ت في السعادة زائد
وانما ذاك منه * كالحب في فخ صائد

وله

أبصره من يلوم فيه * فقال ذا في الجمال فائق
أماترى ما دهيت منه * كان عذولا فصار عاشق

وله في أبيه وقد سجنه عبد المؤمن

مولاي ان يحبسك خير خليفة * فبذاك فخرك واعتلاء الشان
فالجفن يحبس نوره من غبطة * والمرهفات تصان في الاجفان
فابشر فنزع الدر من أصدافه * يعليه للاسلاك والتيجان
ولئن غدا من ظل دونك مطلقا * ان القذى ملقى عن الاجفان
والعين تحبس دائما أجفانها * وهداية الانسان بالانسان
والطرس يختم ما حواه نفاسة * و يهان ما يبدو من العنوان
فاهنأ به لكن مليا مكثه * سجنا الغير مذلة وهوان
فلتعلون رغم الاعادي بعده * بذرى الخلافة في ذرى كيوان

مولاي غيرك يعزى بما لم يزل يجري على الكرام و يذكر تأنيساله في الوحشة بما يطرأ من الكسوف والخسوف على الشمس المنيرة والبدر التمام

وأنت تعلم الناس التعزي * وخوض الموت في الحرب السجال

وقد كان مولاي أنشدني لعلي بن الجهم قائلا ان أحدا لم يسل نفسه عما ناله من السجن بمثله

قالوا حبست فقلت ليس بضائري * حبسي وأي مهند لا يغمد

الابيات ماذا نفيدك من العلم وصدرك ينبوعه وبخاطرك لا يزال غرو به وطلوعه وانما هي عادة تبعناها أدبا وقضينا بها في النفس من الاعلام بالتوجع والتفجع أربا ولعل الله تعالى يتبع هذه التسلية بتهنئة و يعقب بالنعمة هذه المرزئة قال فاقام الملك يتسرى بحه اثر ذلك فلما اجتمع وجهه بوجهه جعل يحمد الله تعالى جهرا و يغرد بهذه الابيات وكان سراحه بكرة

طلعت علينا كالغزالة بالضحى * وعزك طماح ووجهك مشرق
فغفر الذنب الدهر أجمع انه * أتى اليوم من حسناه ما هو اليق
فلج في سماء العز بالسعد طالعا * وقدرك سام أفقه ليس يلحق
فقد سرحت لما غدوت مسرحا * قلوب وأفكار وسمع ومنطق

فاهتز أبوه من شدة الطرب وقال له والله انك لتملأ الدلو الى عقد الكرب وله يعتذر وقد دعي الى مجلس أنس سيدي ساعدك سولك لما وصل الى أخيك المعتذر بك رسولك قابله بما يجب من القبول وأبدى له من الشغل ما منع من الوصول

ومن ذا الذي يدعى لعدن فلا يرى * على الرأس اجلالا اليها يبادر

من أحب قوما حشر معهم قال فاخبرني عن ديار ربيعة ولا يستخفنك الجهل وسابقة الحمية بالتعصب لقومك قال والله ما أنا عنهم براض ولكني أقول فيهم وعليهم هم والله أعلام الليل واذناب في الدين والميل ان تغلب رايتها اذا رشحت خوارج الدين برازخ اليقين من نصروه فلج ومن خذلوه زلج قال فاخبرني عن مضر قال كنانة العرب ومعدن العز والحسب يقذف البحر بها أذيه والبر رديه ثم أمسك معاوية فقال له صعصعة سل يا معاوية والا أخبرتك بما تحيد عنه قال وما ذاك يا ابن صوحان قال اهل الشام قال فاخبرني عنهم قال اطوع الناس لمخلوق واعصاهم للخالق عصاة الجبار وخلفة الاشرار فعليهم الدمار ولهم سوء الدار فقال معاوية والله يا ابن صوحان انك لحامل مديتك منذ ازمان الا ان حلم ابن أبي سفيان يردعنك فقال صعصعة بل امر الله وقدرته ان امر الله كان قدرا مقدورا (حدث) ابو الهيثم قال حدثني ابو البشر محمد بن بشر الفزاري عن ابراهيم بن عقيل البصري قال قال معاوية يوما وعنده صعصعة وكان قدم عليه بكتاب علي وعنده وجوه الناس الارض لله وانا خليفة الله فما آخذ من مال الله فهو لي وما تركت منه كان جائزا لي فقال صعصعة ولكن

ولكن الاضطرار لا يكون معه اختيار واني لاشوق الناس الى مشاهدة تلك المكارم واحبهم في محاضرة تلك الآداب المترادفة ترادف العمائم ولكن شغلني عارض قاطع و برغمي اني لدعوتك عاص وله طائع واني بعد ذلك لحامل على تلك السجية الكريمة في الغفران مستجير بالخلاص الذي أعهد من خرق فلان ومكر فلان فاني متى غبت لا أعدم مترصدا قرحة يقع عليها ذبابه ومستجمعا اذا أبصر فرصة سل عليها ذبابه

ولكنني أدري باني نازح * ودان سواء عند من يحفظ العهدا

واني لاقول وقد غبت عن تلك الحضرة العليه وجانبت ذلك الجناب السامي والمثابة السنيه

لئن غبت عمن نوره نور ناظري * فحسبي لديه أن أغيب عقابا
وسوف أوافيه مقر ابزلتي * وفي حلمه أن لا يطيل حسابا

وله في قصر النهار ولو لم يكن له غيره لكفاه

لله يوم مسرة * أضوا وأقصر من ذباله
لما نصبنا للمنى * فيه باوتار حباله
طار النهار به كر * تاع وأجفلت الغزاله

وهذا المعنى لم يسبق اليه ولم يقدر أحد أن ينزعه من يديه * ولما وصل صحبة والده الى اشبيلية افتتن بواديها واعتكف على الخلاعة فيها مصعدا ومنحدرا بين بساتينه ومنازهه فرليلة بطريانة فمال نحو منزه فيه طرب سمعه فاستوقفه هنالك وهو في الزورق متكيء وأصحابه وأصحاب ابيه مظهرون انحطاطهم عنه في المرتبة فأخرج رأسه أحد الانذال المعتادين بالنادر من شرجب والشرجب هو الدرابزين من خشب فيه طاقات وطريانة مقابلة اشبيلية وبها المنازه والابنية الحسنة فضرط له ذلك النذل بغاية ما قدر فرفع رأسه وقد أخذ منه السكر ولم يعتد مثل ذلك في بلده وقال يا سفلة أتقدم على بهذا قبل معرفتي فثنى عليه واحدة أخرى ثم رفع ثوبه عن ذكره وهو منعظ وقال يا وزير اجعل هذا عندك وديعة حتى أعرف من تكون ثم رفع ما على استه من ثيابه وقال واعمل من هذا اغلاقا للعيتك فاذا عرفناك ذهبناه لك فغلبه الضحك على الحرج وجعل أصحابه يقولون له ماسمعت ان من دخل هذا الوادي يعول على هذا وامثاله فسار عن ذلك المنزه قليلا واطرق ساعة وقال

نهر حمص لاعدمنا * لك فامثالك نهر
فيك يلتذ ارتياح * ابد الدهر وسكر
كل عمر قد خلا منك فذاك عمر
خصه الله بمعنى * فيه للالباب سر
يأمن الانسان فيه * وهو يصغي ويسر

ثم سأل بعد ذلك عن رب المنزه فسمي له واعلم ان ابن سعيد الشاعر المشهور باللص كان حاضرا وانه املى على السفلة ما قال وصنع فكتب له ابو جعفر

يا سميي وان افاد اشتراك * غير ما يرتضيه فضل وود
أكذا يزدري الخليل بأفق * أنت فيه ولم يكن منك رد

ومن لا يعلم يجهل قال معاوية ما احوجك الى ان اذيقك وبال امرك قال ليس ذلك بيدك ذلك بيد الذي لا يؤخر نفسا اذا جاء اجلها قال ومن يحول بيني وبينك قال الذي يحول بين المرء وقلبه قال معاوية اتسع بطنك للكلام كما اتسع بطن البعير للشعير قال اتسع بطن من لا يشبع ودعا عليه من لا يجمع (قال المسعودي) ولصعصعة ابن صوحان اخبار حسان وكلام في نهاية البلاغة والفصاحة والايضاح عن المعاني على ايجاز واختصار (ومن ذلك) خبره مع عبد الله بن العباس وهو ما حدث به المدائني عن زيد ابن طالح الذهلي الشيباني قال اخبرني ابي عن مصقلة ابن هبيرة الشيباني قال سمعت صعصعة بن صوحان وقد ساله ابن عباس ما السودد فيكم فقال اطعام الطعام ولين الكلام وبذل النوال وكف المرء نفسه عن السؤال والتودد للصغير والكبير وان يكون الناس عندك شرعا قال فما المروءة قال اخوان اجتمعا فان لقيا قهرا وان كان حارسهما قليل وصاحبهما

جليل لحاجان الى صيانة مع نزاهة وديانة قال فهل تحفظ في ذلك شعرا قال نعم اما سمعت قول مرة بن ذهل

لا أرى من سلطت وغدا ولكن ❊ ليس يخفى عليك من هو وغد

فلما وقف على هذه الابيات كتب له مولاي وسيدي وأجل ذخري للزمان وعضدي الذي أفخر بمشاركة اسمه وتتيه هذه الصناعة بذكره ورسمه

وخير الشعر أشرفه رجالا ❊ وشر الشعر ما قال العبيد

سلام كتسنيم على ذلك المقام الكريم ورحمة الله تعالى وبركاته وان كان مولاي لم يفاتحني بالسلام ولا رآني أهلا لمقاومة الكرام لكن حط قدري عنده ما نسب الي من الذنب المختلق ولا والله ما نطقت بلسان ولا كنت ممن رمق بل الذي زق رالسيدي في هذه الوشاية كان المعين عليها والملم اليها فبادر اليكم قبل أن أسبقه فاتسم باسقاط خطتين النذالة الاولى والوشاية الاخرى ولولا أن المجالس بالامانات وأن الخلاعة بساط يطوى على ما كان فيه لكنت أسبق منه لكني يأبى ذلك خلقي وما تاديت به ومع ذلك فاني أقول

فان كنت ذا ذنب فقد جئت تائبا ❊ ومثلك غفار ومثلك قابل

ولولا ما أخشى من التثقيل وما أتوقع من الخجل اذا التقى الوجهان لأتيت حتى بلغت في الاعتذار بالمشافهة ما لا يسع القرطاس لكنني متكل على حلم سيدي واغضائه متوسل في الغفران اليه بعلائه وكتب تحت ذلك شعرا طويلا منه

ولا غرو أن تعفو وأنت ابن من غدا ❊ تعود عفوا عن كبار الجرائم

لكم آل عمار بيوت رفيعة ❊ تشد من كسب الثنا بدعائم

اذا نحن أذنبنا رجونا ثوابكم ❊ ولم نقتنع بالعفو دون المكارم

وانك فرع من أصول كريمة ❊ ولا تلد الازهار غير الكمائم

واني مظلوم لزورسمعته ❊ وقد جئت أرجو العفو في زي ظالم

فأجابه أبو جعفر بما نصه سيدي الذي أكبر قدره وأجل ذكره وأجزل شكره وصل جوابك الذي لو كان لك من الذنب ما تحمله ابن ملجم لاضربت لك عنه صفحا ونسيت عما تأخر ما تقدم ومعاذ الله أن أنسب لفضلك عيبا فأذم لك حضورا أو غيبا وانما قصدت بالمعاتبة ما تحتها من المطارحة والمداعبة على أن سيدي لو تيقنت أنه ظالم لانشدت

منذ غدا طرفك لي ظالما ❊ آليت لا أدعو على ظالم

لكنني أتيقن خلاف ذلك وأعلم حتى كأني حاضر ما كان هنالك وقد أطلت عليك وبعد هذا فلتعتمد على ان تصل الي أو أصل اليك فهذا يوم كما قال البستي

يوم له فضل على الايام ❊ مزج السحاب ضياءه بظلام

فالبرق يخفق مثل قلب هائم ❊ والغيم يبكي مثل جفن هام

فاختر لنفسك أربعا هن المنى ❊ وبهن تصفو لذة الايام

وجه الحبيب ومنزلا مستشرفا ❊ ومغنيا غردا وكاس مدام

وقد حضرت عند محبك الثلاثة فكن رابعها ونادت بك همم الاماني فكن بفضلك سامعها ومركز أفلاك هذه المسرة حين كتب هذه الرقعة الى مجدك منزه مطل على جزيرة ستنبوس لا أزال أترنم فيه بقول ابن وكيع

واذا تقابل مجريان لغاية عثر المعين وأسلمته الارجل ويجيء الصريح مع العتاق معودا قرب الجياد فلم يجئه الا فكل في ابيات فقال له ابن عباس لو ان رجلا ضرب آباط ابله مشرقا ومغربا للفائدة هذه الابيات ما عنفته انا منك يا ابن صوحان لعلى علم وحلم واستنباط ما قد عفا من اخبار العرب فمن الحليم فيكم قال من ملك غضبه فلم يفعل وسعى اليه بحق أو باطل فلم يقبل ووجد قاتل أبيه وأخيه فصفح ولم يقتل ذلك الحليم يا ابن عباس قال فهل تجد ذلك فيكم كثيرا قال ولا قليلا وانما وصفت لك أقواما لا تجدهم الا خاشعين راهبين لله مريدين ينيلون ولا ينالون فأما الآخرون فانهم سبق جهلهم حلمهم ولا يبالي أحدهم اذا ظفر ببغيته حين الحفيظة من كان بعد أن يدرك زعمه ويقضي بغيته ولو وتره أبوه لقتل أباه أو أخوه لقتل أخاه أما سمعت الى قول زيان بن عمرو بن زيان وذلك ان عمرا أباه قتله مالك بن كومة فاقام

زيان زمانا ثم غزا مالكا فاتاه في مائتي فارس صباحا وهو في اربعين بيتا فقتله وقتل أصحابه وقتل عمه فيمن قم

قم فاسقنى والخليج مضطرب * والريح تثنى ذوائب القضب
كأنها والرياح تعطفها * صف قنا سندسية العذب
والجو فى حلة ممسكة * قد طرزتها البروق بالذهب

فان كان سيدى فى مثل هذا المكان جرينا اليه جرى الحلبة لخصل الرهان وان كان فى كسر بيته فليبادر الى محل تقصر عنه همة قيصر وكسرى وان أبطأ فان الرقاع بالاستدعاء لاتزال عليه تترى وان كان لايجدى هذا الكلام فانقنع من العقوبة المؤلمة بالملام وعلى المودة المرعية الدعية أكمل مايكون من السلام فعندما قرأ الرقعة ركب اليه زورقا وصنع هذه الابيات فى طريقه فعند وصوله أنشده اياها

ركبت اليك النهر بالبحر فالقنا * بما يتلقى جوده كل قادم
بفيض ولكن من مدام وهزة * ولكن الى بذل الندى والمكارم
وكنا نسمى قبل كونك حاتما * ومذ لحت فينا لم نعد ذكر حاتم
بآل سعيد يفخر السعد والعلا * فأيديهم تلفى أيادى الغمائم

فامتلأ أبو جعفر سرورا وخلع عليه ما كان عنده هنالك ووعده بغير ذلك فأطرق لينظم شيأ فى شكره فأقسم عليه أن لايشغل خاطره فى ذلك الوقت عن الارتياح وحث أكؤس الراح فاقبلوا على شأنهم وكان ابن سيد فى ذلك الحين متسترا بشرب الراح وكان عند أبى جعفر خدم كثير النادر والالتفات يخاف أهل التستر من مثله فقال ابن سيد هات دواة وقرطاسا فأعطاه ذلك فكتب

ياسيدى قد علمت انى * بهذه الحال لا أظاهر
أخشى اناسا لهم عيون * نواظر رمق المعاير
احذرهم طاقتى وانى * وثقت بالله فهو غافر
ولاتقس حالتى بحال * منك اعتذار فالفرق ظاهر
فأنت ان كنت ذا جهار * غير مبال فالجاه ساتر
لاتخش من قول ذى اعتراض * ولاحسود عليك قادر
وانى قد رأيت ممن * يكثر القول وهو ساتر
ماقد أراب العفيف منه * ضحك وظن به يجاهر
أخشى اذا قيل كيف كنتم * قال بحال تسر ناظر
واللص مابيننا صريعا * بكل كاس عليه دائر
مطرحا للصلاة يصغى * لصولة الدف والمزامر
فأغتدى سيدى مشارا * الى مهما مررت خاطر
وان أتيت الملوك أبغى * نوالهم قيل أى شاعر
يذكر فى شعره خلافا * وهو لزور المحال ذاكر
بالامس قد كان ذا انتهاك * فماله بعد ذاك عاذر
ان كان هذا فان حظى * وافى لربح فآب خاسر

فلوا مى ثقفت بحيث كانوا لبل ثيابها علق صبيب
ولو كانت أمية أخت عمرو بهذا الماء ظل لها نحيب
شهرت السيف فى الادنين منى ولم تعطف أواصرنا قلوب
فقال ابن عباس فمن الفارس فيكم حده لى حدا أسمعه منك فانك تضع الاشياء مواضعها يا ابن صوحان قال الفارس من قصر أجله فى نفسه وضغم على أمله بضرسه وكانت الحرب أهون عليه من أمسه ذلك الفارس اذا وقدت الحروب واشتدت بالانفس الكروب وتداعوا للنزال وتزاحفوا للقتال وتخالسوا المهج واقتحموا بالسيوف اللجج قال أحسنت والله يا ابن صوحان انك لسليل أقوام كرام خطباء فصحاء ماورثت هذا عن كلالة زدنى قال نعم الفارس كثير الحذر مدير النظر يلتفت بقلبه ولايدير خرزات صلبه قال أحسنت والله يا ابن صوحان الوصف فهل فى مثل هذه الصفة من شعر قال نعم لزهير بن جناب الكلبى يرثى ابنه عمرا حيث يقول

فارس تكلأ العصابة منه * بحسام يرم الحريق
لاتراه لدى الوغى فى مجال * يغفل الضرب لا ولا فى مضيق

فقال له أبو جعفر يا أبا العباس اشرب هنيئا غير مقدر ما قدرت فلو كان هذا المحفل على الصفة التي ذكرت كان الذنب منسوبا الي في كوني أحضر في مجلسي من يهتك ستر المستورين وهما تراه هنا بهذه الخفة والطيش والتسرع للكلام فانه اذا فارقنا أثقل من جبل وأصمت من سمكة متزي بزي خطيب في نهاية من السكون والوقار (وتحت الثياب العار لو كان باديا) فكن في أمن مما شربت معي فاني والله لا أسمع أحدا من أصحابنا تكلم في شأنك بأمر الا عاقبته أشد العقاب والذنب في ذلك راجع الي فسكن ابن سيد وجعل يحث الاقداح ويمرح أشد المراح على ما كان يظهره من الانقباض تقية لما يخشاه من الاعتراض الى أن قاربت الشمس الغروب ومدلها في النهر معصم مخضوب فقال أبو جعفر

انظر الى الشمس قد ألـقت على الارض خدا

فقال ابن سيد

هي المراة لكن * من بعدها الافق يصدا

فقال أبو جعفر

مدت طرازا على النهر عند ما لاح بردا

فقال ابن سيد

أهدت لطرفك منه * ما للاكارم يهدى

فقال أبو جعفر

درع اللجين عليه * سيف من التبر سدا

فقال ابن سيد

فاشرب عليه هنيئا * وزد سرورا وسعدا

ثم لما أظلم الليل نظروا الى منارة سنتبوس قد عكست مصابيحها في النهر والى النجوم قد طلعت فيه فقال ابن سيد

اخلع على النهر ثوب الـسكر فذلك واجب

فقال أبو جعفر

وانظر الى السرج فيه * كالزهر ذات الذوائب

وحين صفق للافـق نقطته الكواكب

فقبل ابن سيد رأسه وقال ما تركت بعد هذا مقالا لقائل ثم جعلوا يشربون فقال أبو جعفر

سقني والافق برد * بنجوم الليل معلم

فقال ابن سيد

وبساط النهر منها * وهو فضي مدرهم

فقال أبو جعفر

ورواق الليل مرخى * والشذا بالروض قد نم

فقال ابن سيد

من يراه يخاله في الحرب يوما * انه أخرق مضل الطريق

في أبيات فقال له ابن عباس فأين أخوالك منك يا ابن صوحان صفهما لا عرف وزنكم قال أما زيد فكما قال أخو غني

فتى لا يبالي أن يكون بوجهه * اذا نال خلان الكرام شحوب

اذا ما ترا آه الرجال تحفظوا * فلم ينطقوا العوراء وهو قريب

حليف الندى يدعو الندى فيجيبه * اليه ويدعوه الندى فيجيب

يبيت الندى يا أم عمرو ضجيعه * اذا لم يكن في المنقيات حلوب

كأن بيوت الحي ما لم يكن بها * بسابس ما يلفى بهن عريب

في أبيات كان والله يا ابن عباس عظيم المروءة شريف الاخوة جليل الخطر بعيد الاثر كميش العروة أليف البدوة سليم جوانح الصدر قليل وساوس الدهر ذاكرا لله طرفي النهار وزلفا من الليل الجوع والشبع عنده سيان لا ينافس في الدنيا وأقل أصحابه من ينافس فيها يطيل السكوت ويحفظ الكلام وان نطق نطق بمقام يهرب منه الدعار الاشرار و يألفه الاحرار الاخيار فقال ابن عباس ما ظننت برجل من أهل الجنة رحم

والندى فى الزهر منثو * ر على عقد منظم

فقال أبو جعفر

والصبا جرت على ميت الطلى كف ابن مريم

فقال ابن سيد

كان مبهوتا فلما * نفخت فيه تكلم

فقال أبو جعفر

وكان الكاس والقهوة دينار ودرهم

فقال ابن سيد

وبدا الدف يشاغي العود والمزمار وهيم

فقال أبو جعفر

فاذاع الانس منا * كل ما كان مكتم

فقال ابن سيد

اى عيش يهتك المستور لو كان ابن أدهم

فقال أبو جعفر

هكذا العيش ودعني * من زمان قد تقدم

فقال ابن سيد

حين لانحر سوى ما * بكؤس البيض من دم

فقال أبو جعفر والله ما تعديت ما جال الساعة فى خاطرى فانى ذكرت أيام الفتنة وما كابدنا فيها من المحن وانا لم نزل فى مصادمة ومقارعة ثم رأيت ما نحن الآن فيه بهذه الدولة السعيدة التى أمنت وسكنت فشكرت الله تعالى ودعوت بدوامها ثم لما طلع الفجر قال أبو جعفر

نثر الطل عقوده * ونضا الليل بروده

فقال ابن سيد

وبدا الصبح بوجه * مطلع فينا سعوده

فقال أبو جعفر

وغدا ينشر لما * فتر الليل بنوده

فقال ابن سيد

فهلم اشرب وقبل * من غدا ينطق عودة

فقال أبو جعفر

ثم صافحه على رغم النوى وافرك نهوده

فقال ابن سيد

واجعل الشكر على ما * نلته منه جحوده

فقال أبو جعفر يا أبا العباس انك أغرت على التهامى فى هذا البيت فى قوله

وشكر أيادى الغانيات جحودها قال فلم لقبت بالاص لولا هذا وأمثاله ما كان ذلك

النحيزة أحوذى الغريزة لا ينهنهه منهنه عما أراه ولا يركب من الامر الا اعتاده سمام عدى وبازل قرى صعب المقاده جزل الرفاده أخو أخوان وفتى فتيان وهو كما قال البرجى عامر ابن سنان

سمام عدى بالنبل يقتل من رمى

وبالسيف والرمح الردينى مشعب

مهيب مفيد للنوال معوّد

بفعل الندى والمكرمات مجرب

فى أبيات فقال له ابن عباس أنت يا ابن صوحان باقر علم العرب (ومن أخبار صعصعة) ما حدث به أبو جعفر محمد بن حبيب الهاشمى عن أبى الهيثم يزيد بن رجاء الغنوى قال وقف رجل من بنى فزارة على صعصعة فاسمعه كلاما (منه) بسطت لسانك يا ابن صوحان على الناس فتهيبوك أما لئن شئت لاكونن لك لصادقا فلا تنطق الا حددت لسانك بأذرب من ظبة السيف بعضب قوى ولسان على ثم لا يكون لك فى ذلك حل ولا ترحال فقال صعصعة لو أجد غرضا

منك لرميت بل أرى شيئا ولا أخاله شيئا الا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا أما لو كنت كفؤا

واللص المذكور اسمه أحمد بن سيد يكنى أبا العباس وهو من مشهوري شعراء الاندلس ولما أنشد أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على بجبل الفتح قوله

غض عن الشمس واستقصر مدى زحل * وانظر الى الجبل الراسى على جبل

قال له أنت شاعر هذه الجزيرة لولا أنك بدأتنا بغمض وزحل والجبل ومن بديع نظم اللص قوله

سلبت قلبي بلحظ * أبا الحسين خلوب

فلم أسمى بلص * وأنت لص القلوب

ولما اجتمع ابو جعفر بن سعيد المترجم به باللص أبي العباس المذكور في جبل الفتح عندما وفد فضلاء الاندلس على عبد المؤمن واستنشده فجعل ينشده ما استجفاه بخروجه عن حلاوة منزع أبي جعفر الى أن أنشده قوله

وما أفنى السؤال لكم نوالا * ولكن جودكم أفنى السؤالا

فقال له أبو جعفر لا جعلك الله فى حل من نفسك يكون فى شعرك مثل هذا وتنشدنى ما كان يحملنى على أن أسأت معك الادب والله لولم يكن لك غيره هذا البيت لكنت به أشعر أهل الاندلس * وكتب لابى جعفر أبو الحكم بن هرون فى يوم بارد بغرناطة

ياسميى فى علم مجدك ما يحتاج فيه هذا النهار المطير

ندف الثلج فيه قطنا علينا * ففررنا بعد لكم نستجير

والذى أبتغيه فى اللفظ منه * ورضاب الذى هويت نظير

يوم قر يودمن حل فيه * لو تبدى لمقلتيه سعير

فوجه بما طلب وجاوبه بما كتب

أيها السيد الاجل الوزير * الذى قدره معلى خطير

قد بعثنا بما أشرت اليه * دمت للانس والسرور تشير

كان لغزا فككته دون فكر * ان فهمى بما تريد خبير

ومن نظم أبي الحكم

اذا ضاقت عليك فول عنها * وسر فى الارض واختبر العبادا

ولا تمسك رحالك فى بلاد * غدوت بأهلها خبرا معادا

ولما مدح أبو القاسم أخيل بن ادريس الرندى عبد المؤمن فى جبل الفتح بقصيدة أولها

ما للعدا الانفر عبد المؤمن * أثنى عليه كل عبد مؤمن

قال أبو جعفر بن سعيد دعاه التجنيس الى الضعف والخروج عن المقصود والاولى أن لو قال شاد الخلافة وهو أول مبتنى ومن هذه القصيدة

أما ابن سعد فهو أول مارق * ياليته بأبيه سعد يكتنى

ما قدر مرسية وحكمك نافذ * ان شئت من عدن لارض المعدن

فلما أكملها قال له عبد المؤمن أجدت فقال ارتجالا

من لى أمير المؤمنين بموقفى * هذا وقولك لى أجدت ولم تنى

فلقد مدحتك خائفا أن لا يفى * لسنى بما يعيى جميع الالسن

لرميت حصائك باذرب من ذلق السنان ولرشقتك بنبال تردعك عن النضال ولخطمتك بخطام يخزم منك موضع الزمام فاتصل الكلام بابن عباس فاستضحك من الفزارى وقال أما لو كلف أخو فزارة نفسه نقل الصخور من جبال شمام الى الهضاب لكان أهون عليه من منازعة أخى عبد القيس خاب أبوه ما أجهله يستجهل أخا عبد القيس وقواه المريرة ثم تمثل

صبت عليه ولم تنصب من أمم * ان الشقاء على الاشقين مصبوب

(وحدث) المبرد عن الرياشى عن ربيعة بن عبد الله النميرى قال أخبرنى رجل من الازد قال نظرت الى أبى ايوب الانصارى فى يوم النهروان وقد علا عبد الله بن وهب الراسبى فضربه ضربة على كتفه فأبان يده وقال بؤ بها الى النار يامارق فقال عبد الله ستعلم اينا اولى بها صليا قال وابيك انى لاعلم اذا قبل صعصعة بن صوحان فوقف وقال اولى بها والله صليا من ضل فى الدنيا عميا وصار الى الآخرة شقيا ابعدك الله وانزحك اما والله لقد انذرتك هذه الصرعة بالامس فأبيت الا نكوصا على عقبيك فذق يامارق وبال امرك وشرك ابا ايوب فى قتله ضربه ضربة

ولابن

ولابن ادريس المذكور

أيها البدر هل علمت بأنى * لم أبت راعيا لمحياك ودا
انا لو بات من حكيت بحضنى * لم يكن عنه ناظرى يتعدى

وله

شتان ما بينى وبينك فى الهوى * أنا أبتغيك وأنت عنى تصدف
واذا عتبتك وارعويت يبين لى * فى الحين منك بأن ذاك تكلف
ياليت شعرى كيف يقضى وصلنا * والعمر يفنى والمواعد تخلف

وقيل له لما هجره عبد المؤمن اكتب له واعتذر وبرهن عن نفسك فقال ما يكون أمير المؤمنين هجرنى الا وقد صح عنده ولا أنسبه فى أمرى لقلة التثبت والجور وانما أرغب فى عفوه ورحمته فكان هذا الكلام الالين عليه قلب عبد المؤمن لما بلغه وكان قد نقل عنه حساده انه قال

كيف تصح له الخلافة وليس بقرشى * ولا بأس أن نزيد من اخبار اللص الذى جرى ذكر ناله مع أبى جعفر بن سعيد فنقول هو النحوى المبرز فى الشعر أبو العباس أحمد بن سعيد الاشبيلى ذكره ابن دحية فى المطرب وأخبر انه شيخه وختم كتاب سيبويه مرتين على النحوى ابى القاسم بن الرماك واجتمع به ابو جعفر بن سعيد بجبل الفتح كما سبق ولقب اللص لاغارته على أشعار الناس وله

شاموا الردى فأشموا الترب أنفهم * ولم يبالوا بما فيها من الشمم

ثم جعل يقول قطع الله لسانى ان كان اليوم على وجه الارض من يعرف يسمعه فضلا عن أن يقوله وله القصيدة الشهيرة

نداك الغيث ان محل توالى * وأنت الليث ان شاؤا القتالا
سلبت الليث شدة ساعديه * نعم وسلبت عينيه الغزالا
وما أفنى السؤال لكم نوالا * ولكن جودكم أفنى السؤالا

وقد تقدم هذا البيت فى حكايته مع ابن سعيد * وقال فى حلقة خياط وهو من محاسنه

كانها بيضة وخز الرماح بها * بادوقونسها بالسيف قد قطعا

وقال

فالليل ان واصلت كالليل ان هجرت * أشكو من الطول ما أشكو من القصر

(رجع الى أخبار أبى جعفر بن سعيد) قال فى الازهار المنثورة فى الاخبار المأثورة ما نصه لما قبض على الوزير أبى جعفر بن عبد الملك بن سعيد العنسى وثقف بمالقة دخل اليه ابن عمه ووصل الى الاجتماع به ريثما استؤذن السيد ابو سعيد ابن الخليفة عبد المؤمن فى أمره قال فدمعت عيناى حين رأيته مكبولا فقال لى أعلى تبكى بعد ما بلغت من الدنيا أطايب لذاتها فأكلت صدور الدجاج وشربت فى الزجاج ولبست الديباج وتمتعت بالسرارى والازواج واستعملت من الشمع السراج الوهاج وركبت كل هملاج وها أنا فى يد الحجاج ومنتظر محنة الحلاج قادم على غافر لا يحتاج الى اعتذار ولا الى احتجاج قال فقلت افلا يؤسف على من ينطق بهذا الكلام ثم يفقد وقت عنه فكان آخر العهد به انتهى * رجع الى أخبار النساء) * ومن أشهرهن بالاندلس ولادة بنت المستكفى بالله محمد بن عبد الرحمن ابن عبيد الله بن الناصر لدين الله وكانت واحدة زمانها المشار اليها فى أوانها حسنة المحاضرة

واتيا به عليا فقال هذا راس الفاسق الناكث المارق عبد الله بن وهب فنظر اليه فقطب وقال شاه هذا الوجه حتى خيل الينا انه يبكى ثم قال قد كان اخو راسب حافظا لكتاب الله تاركا لحدود الله ثم قال لهما اطلبا لى ذا الثدية فطلب فلم يوجد فرجعا اليه وقالا ما أصبنا شيأ فقال والله لقد قتل فى يومه هذا وما كذبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبت عليه قوموا بجمعكم فاطلبوه فقامت جماعة من أصحابه فتفرقوا فى القتلى فأصابوه فى دهاس من الارض فوقه زهاء مائة قتيل فاخرجوه يجر برجله ثم اتى به على فقال اشهدوا أنه ذو الثدية وقد ذكرنا أخبار ذى الثدية فيما سلف من هذا الكتاب ولعلى فى ربيعة كلام كثير يمدحهم فيه ويرثيهم شعرا ومنثورا وقد كانوا انصاره واعوانه والركن المنيع من اركانه فمن بعض ذلك قوله يوم صفين

لمن راية سوداء يخفق ظلها * اذا قيل قدمها حضين تقدما
فيوردها فى الصف حتى يعلها * حياض المنايا تقطر الموت والدما
جزى الله قوما قاتلوا فى لقائه * لدى الموت قدما ما أعز وأكرما

مشكورة المذاكرة كتبت بالذهب على الطراز الايمن

اناوالله أصلح للمعالى * وأمشى مشيتى وأتيه تيها

وكتبت على الطراز الايسر

وأمكن عاشقى من صحن خدى * وأعطى قبلتى من يشتهيها

وكانت مع ذلك مشهورة بالصيانة والعفاف وفيها خلع ابن زيدون عذاره وقال فيها القصائد الطنانة والمقطعات وكانت لها جارية سوداء بديعة المعنى فظهر لولادة أن ابن زيدون مال اليها فكتبت اليه

لو كنت تنصف فى الهوى ما بيننا * لم تهو جاريتى ولم تتخير

وتركت غصنا مثمرا بجماله * وجنحت للغصن الذى لم يثمر

ولقد علمت باننى بدر السما * لكن ولعت لشقوتى بالمشترى

ولقبت ابن زيدون بالمسدس وفيه تقول

ولقبت المسدس وهو نعت * تفارقك الحياة ولا يفارق

فلوطى ومابون وزان * وديوث وقرنان وسارق

وقالت فيه

ان ابن زيدون على فضله * يعشق قضبان السراويل

لوأبصر الايرعلى نخلة * صار من الطير الابابيل

وقالت فيه أيضا

ان ابن زيدون على فضله * يغتابنى ظلما ولا ذنب لى

يلحظنى شزرا اذا جئته * كاننى جئت لاخصى علي

وقالت ولادة تهجو الاصبحى

ياأصبحى اهنأ فكم نعمة * جاءتك من ذى العرش رب المنن

قد نلت باست ابنك مالم ينل * بفرج بوران أبو الحسن

وكتبت اليه لما أولع بها بعد طول تمنع

ترقب اذا جن الظلام زيارتى * فانى رأيت الليل أكتم للسر

وبى منك مالو كان بالشمس لم تلح * وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر

ووفت بما وعدت ولما أرادت الانصراف ودعته بهذه الابيات

ودع الصبر محب ودعك * ذائع من سره ما استودعك

يقرع السن على ان لم يكن * زاد فى تلك الخطا اذ شيعك

ياأخا البدر سناء وسنا * حفظ الله زمانا أطلعك

ان يطل بعدك ليلى فلكم * بت أشكو قصر الليل معك

وكتبت اليه

ألا هل لنا من بعد هذا التفرق * سبيل فيشكو كل صب بما لقى

وقد كنت أوقات التزاور فى الشتا * أبيت على جمر من الشوق محرق

فكيف وقد أمسيت فى حال قطعه * لقد عجل المقدور ما كنت أتقى

ربيعة أعنى انهم اهل نجدة و بأس اذا لاقوا خميسا عرمرما

(وذكر) المدائنى ان معاوية اسر جميل بن كعب الثعلبى وكان من سادات ربيعة وشيعة على وانصاره فلما وقف بين يديه قال الحمد لله الذى أمكننى منك الست القائل يوم الجمل

اصبحت الامة فى امر عجب * والملك مجموع غدا لمن غلب

قد قلت قولا صادقا غير كذب * ان غدا تهلك أعلام العرب

قال لا تقل ذلك فانها مصيبة قال معاوية وأى نعمة أكبر من أن يكون الله قد أظفرنى برجل قد قتل فى ساعة واحدة عدة من حماة أصحابى اضربوا عنقه فقال اللهم اشهد أن معاوية لم يقتلنى فيك ولا لانك ترضى قتلى ولكن قتلنى على حطام الدنيا فان فعل فافعل به ماهو أهله وان لم يفعل فافعل به ما أنت أهله فقال معاوية قاتلك الله لقد سببت فابلغت فى السب ودعوت فبالغت فى الدعاء ثم أمر به فاطلق

وتمثل معاوية بابيات للنعمان بن المنذر لم يقل النعمان غيرها فيما ذكر ابن الكلبى وهى

تمر الليالي لا أرى البين ينقضي * ولا الصبر من رق التشوق معتقي
سقى الله أرضا قد غدت لك منزلا * بكل سكوب هاطل الوبل مغدق

فأجابها بقوله

لحى الله يوما لست فيه بملتقي * محياك من أجل النوى والتفرق
وكيف يطيب العيش دون مسرة * وأى سرور للكئيب المؤرق

وكتبت في أثناء الكلام بعد الشعر وكنت ربما حثثتني على ان أنبهك على ما أجد فيه عليك نقدا واني انتقدت عليك قولك سقى الله أرضا قد غدت لك منزلا فان ذا الرمة قد انتقد عليه قوله مع تقديم الدعاء بالسلامة

ألا يا اسلمي يا دارمي على البلا * ولا زال منهلا بجرعائك القطر

اذ هو أشبه بالدعاء على المحبوب من الدعاء له وأما المستحسن فقول الآخر

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الربيع وديمة تهمي انتهى

وبسببها خاطب ابن عبدوس بالرسالة المشهورة التي شرحها غير واحد من أدباء المشارقة كالجمال بن نباتة والصفدي وغيرهما وفيها من التلميحات والتندرات مالا مزيد عليه وقد ذكر ولادة ابن بشكوال في الصلة فقال كانت أديبة شاعرة جزلة القول حسنة الشعر وكانت تناضل الشعراء وتساجل الادباء وتفوق البرعاء وعمرت عمرا طويلا ولم تتزوج قط وماتت لليلتين خلتا من صفر سنة ثمانين وقيل أربع وثمانين وأربعمائة رحمها الله تعالى * وكان أبوها المستكفي بايعه أهل قرطبة لما خلعوا المستظهر كما أعلمناه في غير هذا الموضع وكان خاملا ساقطا وخرجت هي في نهاية من الادب والظرف حضور شاهد وحرارة اوابد وحسن منظر ومخبر وحلاوة مورد ومصدر وكان مجلسها بقرطبة منتدى لاحرار المصر وفناؤها ملعبا لجياد النظم والنثر يعشو أهل الادب الى ضوء غرتها ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها وعلى سهولة حجابها وكثرة منتابها تخلط ذلك بعلو نصاب وكرم انساب وطهارة أثواب على انها أوجدت للقول فيها السبيل بقلة مبالاتها ومجاهرتها بلذاتها ولما مرت بالوزير أبي عامر بن عبدوس وأمام داره بركة تتولد عن كثرة الامطار وربما استمدت بشيء مما هنالك من الاقذار وقد نشر أبو عامر كميه ونظر في عطفيه وحشر أعوانه اليه فقالت له

أنت الخصيب وهذه مصر * فتدفقا فكلاكما بحر

فتركته لا يحير حرفا ولا يرد طرفا * وقال في المغرب بعد ذكره أباها الغربي كعليه بالشرق الا ان هذه تزيد عليه بالحسن الفائق وأما الادب والشعر والنادر وخفة الروح فلم تكن تقصر عنها وكان لها صنعة في الغناء وكان لها مجلس يغشاه أدباء قرطبة وظرفاؤها فيمر فيه من النادر وانشاد الشعر كثير لما اقتضاه عصرها من مثل ذلك وفيها يقول ابن زيدون

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت مآقينا

وقال أيضا يخاطب ابن عبدوس لاشتراكه معه في هواها

أثرت هزبر الشرى اذ ربض * ونبهته اذ هدا فاغتمض

الا يعرف فضلها
ويخاف شدة نكالها

(وذكر) لوط بن يحيى وابن دأب والهيثم بن عدى وغيرهم من نقلة الاخبار ان معاوية لما احتضر تمثل

هو الموت لا منجى من الموت والذى
نحاذر بعد الموت ادهى وافظع

ثم قال اللهم اقل العثرة واعف عن الزلة وجد بحلمك على جهل من لم يرج غيرك ولم يثق الابك فانك واسع المغفرة وليس لذى خطيئة مهرب فبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال لقد رغب الى من لا مرغوب اليه مثله وانى لأرجو أن لا يعذبه الله (وذكر) محمد بن اسحق وغيره من نقلة الآثار أن معاوية دخل الحمام في بدء علته التي كانت وفاته فيها فرأى نحول جسمه فبكى لفنائه وما قد أشرف عليه من الدثور الواقع بالخليقة وقال متمثلا

أرى الليالي أسرعت في نقضي
أخذن بعضي وتركن بعضي
حنين طولي وحنين عرضي
أقعدنني من بعد طول نهضي

ولما أزف أمره وحان فراقه واشتدت علته وايس من برئه أنشأ يقول

فيا ليتني لم أعن في الملك ساعة * ولم أك في اللذات أعشى النواظر

ومازلت تبسط مسترسلا * اليه يد البغي لما انقبض
حذار حذار فان الكريم * اذا سيم خسفا أبى فامتعض
وان سكون الشجاع النهو * س ليس بمانعه ان يعض
عمدت لشعري ولم تتئد * تعارض جوهره بالعرض
اضاقت أساليب هذا القريـ * ض ام قد عفا رسمه فانقرض
لعمري فوقت سهم النضال * وأرسلته لو اصبت الغرض

ومنها

وغرك من عهد ولادة * سراب تراءى وبرق ومض
هي الماء يعز على قابض * ويمنع زبدته من مخض

*(ومن اخبار ولادة مع ابن زيدون ماقاله الفتح في القلائد ان ابن زيدون كان يكلف بولادة ويهيم ويستضيء بنور محياها في الليل البهيم وكانت من الادب والظرف وتتيم السمع والطرف بحيث تختلس القلوب والالباب وتعيد الشيب الى اخلاق الشباب فلما حل بذلك الغرب وانحل عقدة صبره بيد الكرب فر الى الزهراء ليتوارى في نواحيها ويتسلى برؤية موافيها فوافاها والربيع قد خلع عليها برده ونشر سوسنه ووردة وأترع جداولها وانطق بلابلها فارتاح ارتياح جميد بوادي القرى وراح بين روض يانع وريح طيبة السرى فتشوق الى لقاء ولادة وحن وخاف تلك النوائب والمحن فكتب اليها يصف فرط قلقه وضيق أمده اليها وطلقه ويعلمها انه ماسلا عنها بخمر ولا خبا مافي ضلوعه من ملتهب الجمر ويعاتبها على اغفال تعهده ويصف حسن محضره بها ومشهده

اني ذكرتك بالزهراء مشتاقا * والافق طلق ووجه الارض قد راقا
وللنسيم اعتلال في اصائله * كأنما رق لي فاعتل اشفاقا
والروض عن مائه الفضي مبتسم * كما حللت عن اللبات اطواقا
يوم كأيام لذات لنا انصرمت * بتنا لها حين نام الدهر سراقا
نلهو بما يستميل العين من زهر * جال الندى فيه حتى مال اعناقا
كأن اعينه اذ عاينت ارقي * بكت لما بي فجال الدمع رقراقا
ورد تألق في ضاحي منابته * فازداد منه الضحى في العين اشراقا
سرى ينافحه نيلوفر عبق * وسنان نبه منه الصبح احداقا
كل يهيج لنا ذكرى تشوقنا * اليك لم يعد عنها الصدر ان ضاقا
لو كان وفى المنى في جمعنا بكم * لكان من أكرم الايام اخلاقا
لا سكن الله قلبا عن ذكركم * فلم يطر بجناح الشوق خفاقا
لو شاء حملي نسيم الريح حين هفا * وافاكم بفتى اضناه مالاقى
ياعلقي الاخطر الاسنى الحبيب الى * نفسي اذا ما اقتنى الاحباب اعلاقا
كان التجازي بمحض الود مذ زمن * ميدان أنس جرينا فيه أطلاقا
فالآن أحمد ما كنا لعهدكم * سلوتم وبقينا نحن عشاقا

انتهى

وقال أيضا ان ابن زيدون لم يزل يروم دنو ولادة فيتعذر ويباح دمه دونها ويهدر

وكنت كذي طمرين عاش ببلغة من الدهر حتى زار أهل المقابر

(قال المسعودي) ولمعاوية اخبار كثيرة مع علي وغيره وقد أتينا على الغرر من اخباره وما كان في أيامه في كتابنا اخبار الزمان والاوسط وغيرهما من كتبنا فأفردنا للآثار وهذا باب كبير والكلام فيه وفي غيره مما تقدم وتأخر في هذا الكتاب كثير ومن ضمن الاختصار لم يجز له الاكثار وانما نذكر في كل باب من هذا الكتاب طرفا من كل نوع من العلوم والاخبار وما انتخبناه من طرائف الآثار ليستدل الناظر فيه بما ذكرنا على المراد مما تركنا ذكره وقد تقدم وصفه وبسطه فيما سلف من كتبنا واذ قد تقدم ماذكرنا فلنذكر الآن جملا من فضل الصحابة وغيرهم عليهم السلام اذ كانوا الحجة على من بعدهم وقدوة لمن تأخر عنهم وبالله التأييد *(ذكر الصحابة ومدحهم وعلي والعباس وفضلهما)* دخل عبد الله بن عباس على معاوية وعنده وجوه قريش فلما سلم وجلس قال له معاوية اني أريد ان أسألك عن مسائل قال سل عما بدا لك قال ما تقول في أبي بكر قال

لسوء

اسوء أثره فى ملك قرطبة وواليها وقبائح كان ينسبها اليه ويواليها أحقدت بنى جهور عليه وسددت أسهمهم اليه فلما يئس من لقياها وحجب عنه محياها كتب اليها يستديم عهدها ويؤكد ودها ويعتذر من فراقها بالخطب الذى غشيه والامتحان الذى خشيه ويعلمها انه ما سلا عنها بخمر ولا خبا ما فى ضلوعه من ملتهب الجمر وهى قصيدة ضربت فى الابداع بسهم وطلعت فى كل خاطر ووهم ونزعت منزعا قصر عنه حبيب وابن الجهم وأولها

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت مآقينا
نكاد حين تناجيكم ضمائرنا * يقضى علينا الاسى لولا تأسينا

وأخبار ولادة كثيرة وفيما ذكرناه كفاية *(ومن المشهورات بالاندلس اعتماد جارية المعتمد بن عباد وأم أولاده وتشتهر بالرميكيه وفى المسهب والمغرب انه ركب المعتمد فى النهر ومعه ابن عمار وزيره وقد زردت الريح النهر فقال ابن عباد لابن عمار أجز (صنع الريح من الماء زرد) وأطال ابن عمار الفكرة فقالت امرأة من الغسالات (أى درع لقتال لو جمد) فتعجب ابن عباد من حسن ما أتت به مع عجز ابن عمار ونظر اليها فاذا هى صورة حسنة فأعجبته فسألها أذات زوج هى فقالت لا فتزوجها وولدت له اولاده الملوك النجباء رحمهم الله تعالى وحكى البعض منهم صاحب الهداية بسنده الى السافى بسنده الى بعض أدباء الاندلس وسماه ولم يحضرنى الآن انه هو الذى قال للمعتمد (اى درع لقتال لو جمد) قال فاستحسنه المعتمد وكنت رابعا فى الانشاد فجعلنى ثانيا واجازنى بجائزة سنية قال ابن ظافر وقد أخذت هذا المعنى فقلت اصف روضا فلودام ذاك النبت كان زبرجدا * ولو جمدت انهاره كان بلورا

ولما قال ابن ظافر قد ادكنت الشمس على المالها
قال القاضى الاعز فكسا الفضة منه ذهبا

*(رجع) ولما خلع المعتمد وسجن باغمات قالت له يا سيدى لقد هنا هنا فقال

قالت لقد هننا هنا * مولاى أين جاهنا * قلت لها الهنا * صيرنا الى هنا

*وحكى انها قالت له وقد مرض يا سيدى ما لنا قدرة على مرضاتك فى مرضاتك ولما قال الوزير ابن عمار قصيدته اللامية الشهيرة فى المعتمد والرميكية أغرت المعتمد به حتى قتله وضربه بالطبرزين ففلق رأسه وترك الطبرزين فى رأسه فقالت الرميكية قد بقى ابن عمار هدهدا والقصيدة أولها

ألا حى بالغرب حيا حلالا * أناخوا اجمالا وحازوا جمالا
وعرج بيومين ام القرى * ونم فعسى أن تراها خيالا

ويومين قريه باشبيلية كانت منها أولية بنى عباد وفى هذه القصيدة يقول معرضا بالرميكية

تخيرتها من بنات الهجان * رميكية ما تساوى عقالا
فجاءت بكل قصير العذار * لئيم النجارين عما وخالا
قصار القدود ولكنهم * أقاموا عليها قرونا طوالا
أتذكر أيامنا بالصبا * وأنت اذا لحت كنت الهلالا
اعانق منك القضيب الرطيب * وارشف من فيك ماء زلالا

رحم الله ابا بكر كان والله للقرآن تاليا وعن المنكر ناهيا وبذنبه عارفا ومن الله خائفا وعن الشبهات زاجرا وبالمعروف آمرا وبالليل قائما وبالنهار صائما فاق اصحابه ورعا وكفافا وسادهم زهدا وعفافا فغضب الله على من أبغضه وطعن عليه قال معاوية ايها يا ابن عباس فما تقول فى عمر بن الخطاب قال رحم الله أبا حفص عمر كان والله حليف الاسلام ومأوى الايتام ومنتهى الاحسان ومحل الايمان وكهف الضعفاء ومعقل الحنفاء قام بحق الله عز وجل صابرا محتسبا حتى أوضح الدين وفتح البلاد وأمن العباد فاعقب الله على من ينقصه اللعنة الى يوم الدين قال فما تقول فى عثمان قال رحم الله ابا عمرو كان والله أكرم الحفدة وافضل البررة هجادا بالاسحار كثير الدموع عند ذكر النار نهاضا عند كل مكرمة سباقا الى كل منحة حييا أبيا وفيا صاحب جيش العسرة وختن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله فاعقب الله على من يلعنه لعنة اللاعنين الى يوم الدين قال فما تقول فى على قال رضى الله عن أبى الحسن كان والله علم الهدى وكهف التقى ومحل الحجى وبحر الندى وطود النهى وكهف العلى للورى داعيا الى المحجة

العظمى متمسكا بالعروة الوثقى خير من آمن واتقى وافضل من تقمص وارتدى وأبر من انتعل

وأقنع منك بدون الحرام * فتقسم جهدك أن لا حلالا

سأهتك عرضك شيأ فشيأ * وأكشف سترك حالا فحالا

ومنها

فيا عامر الخيل يا زيدها * منعت القرى وأبحت العيالا

وسبب قول ابن عمار هذه القصيدة ان المعتمد ندد به وذيل على قصيدته الرائية المذكورة في القلائد بعد قوله

كيف التفلت بالخديعة من يدي * رجل الحقيقة من بني عمار

وسخر به في أبيات مشهورة قال الفتح في حق المعتمد بعد كلام وما زالت عقارب تلك الداخلة تدب وريحها العاصفة تهب ونارها تتقد وضلوعها تحنو وتعقد وتضمر الغدر وتعتقد حتى دخل البلد من واديه وبدت من المكروه بواديه وكر عليه الدهر بعوائده وعواديه وهو مستمسك بعرى لذاته منغمس فيها بذاته ملتق بين جواريه مغتر بعوائد ملكه وعواريه التي استرجعت منه في يومه ونبهه فواتها من نومه ولما انتشر الداخلون في البلد وأوهنوا القوى والجلد خرج والموت يسعر في ألحاظه ويتصور من ألفاظه وحسامه يعد بعضائه ويتوقد عند انتضائه فلقيهم برحبة القصر وقد ضاق بهم فضاؤها وتضعضعت من رجتهم أعضاؤها فحمل فيهم حملة صيرتهم فرقا وملأتهم فرقا وما زال يوالي عليهم الكر المعاد حتى أوردهم النهر وما بهم جواد وأودعهم حشاه كأنهم له فؤاد ثم انصرف وقد أيقن بانتهاء حاله وذهاب ملكه وارتحاله وعاد الى قصره واستمسك فيه يومه وليلته مانعا لحوزته دافعا للذل عن عزته وقد عزم على أفظع أمر وقال بيدي لا بيد عمرو ثم صرفه تقاه عما كان نواه فنزل من القصر بالقسر الى قبضة الاسر فقيد للحين وحان له يوم شر ساطن أنه يحين ولما قيدت قدماه وذهبت عنه رقة الكبل ورحماه قال يخاطبه

اليك فلو كانت قيودك أسعرت * تضرم منها كل كف ومعصم

مخافة من كان الرجال بسيبه * ومن سيفه في جنة او جهنم

ولما آلمه عضه ولازمه كسره ورضه وأوهاه ثقله وأعياه نقله قال

تبدلت من ظل عز البنود * بذل الحديد وثقل القيود

وكان حديدي سنانا ذليقا * وعضبا رقيقا صقيل الحديد

فقد صار ذاك وذا أدهما * يعض بساقي عض الاسود

ثم جمع هو وأهله وحملتهم الجواري المنشآت وضمتهم جوانحها كأنهم أموات بعدما ضاق عنهم القصر وراق منهم العصر والناس قد حشروا بضفتي الوادي وبكوا بدموع كالغوادي فساروا والنوح يحدوهم والبرح باللوعة لا يعدوهم وفي ذلك يقول ابن اللبانة

تبكي السماء بمزن رائح غاد * على البهاليل من أبناء عباد

على الجبال التي هدت قواعدها * وكانت الارض منهم ذات أوتاد

عريسة دخلتها النائبات على * أساود لهم فيها وآساد

وكعبة كانت الآمال تخدمها * فاليوم لا عاكف فيها ولا باد

واسعا وافصح من تنفس وقرأوا كثر من شهد النجوى سوى الانبياء والنبي المصطفى صاحب القبلتين فهل يوازيه أحد وأبو السبطين فهل يقارنه بشر وزوج خير النسوان فهل يفوقه قاطن بلد للاسود قتال وفي الحروب ختال لم ترعيني مثله ولن ترى فعلى من انتقصه لعنة الله والعباد الى يوم التناد قال أيها يا ابن عباس لقد أكثرت في ابن عمك قال فما تقول في أبيك العباس قال رحم الله العباس أبا الفضل كان صنو نبي الله صلى الله عليه وسلم وقرة عين صفي الله سيد الاعمام له أخلاق آبائه الاجواد واحلام اجداده الامجاد تباعدت الاسباب في فضيلته صاحب البيت والسقاية والمشاعر والتلاوة ولم لا يكون كذلك وقد ساسه اكرم من دب فقال معاوية يا ابن عباس انا أعلم انك كلماني أهل بيتك قال ولم لا أكون كذلك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ثم قال ابن عباس بعد هذا الكلام يا معاوية ان الله جل ثناؤه وتقدست اسماؤه خص محمدا صلى الله عليه وسلم بصحابة آثروه على الانفس والاموال يا

يا ضيف أقفر بيت المكرمات فخذ * فى ضم رحلك واجمع فضلة الزاد
ويا مؤمل واديهم ليسكنه * جف القطين وجف الزرع بالوادى
وأنت يا فارس الخيل التى جعلت * تختال فى عدد منهم وأعداد
ألق السلاح وخل المشرفى فقد * أصبحت فى لهوات الضيغم العادى
لما دنا الوقت لم تخلف له عدة * وكل شئ بميقات وميعاد
ان يخلعوا فبنو العباس قد خلعوا * وقد خلت قبل حمص أرض بغداد
حموا حريمهم حتى اذا غلبوا * سيقوا على نسق فى حبل مقتاد
وأنزلوا عن متون الشهب واحتملوا * فويق دهم لتلك الخيل انداد
وعيث فى كل طوق من دروعهم * فصيغ منهن أغلال لاجياد
نسيت الاغداة النهر كونهم * فى المنشآت كاموات بالحاد
والناس قد ملؤا البرين واعتبروا * من لؤلؤ طافيات فوق أزباد
حط القناع فلم تستر مخدرة * ومزقت أوجه تمزيق أبراد
حان الوداع فضجت كل صارخة * وصارخ من مفداة ومن فاد
سارت سفائنهم والنوح يصحبها * كأنها ابل يحدو بها الحادى
كم سال فى الماء من دمع وكم حملت * تلك القطائع من قطعات أكباد

انتهى ما قصد جلبه من كلام الفتح رحمه الله تعالى وسامحه * وقال ابن اللبانة فى كتاب نظم السلوك فى مواعظ الملوك فى اخبار الدولة العبادية ان طائفة من اصحاب المعتمد خامرت عليه فأعلم باعتقادها وكشف له عن مرادها وحض على هتك حرمها واغرى بسفك دمها فابى ذلك مجده الاثيل ومذهبه الجميل وما خصه الله تعالى به من حسن اليقين وصحة الدين الى ان امكنتهم الغرة فانتصروا وابتغاث مستنسر وقاموا بجمع غير مستبصر فبرز من قصره متلافيا الامر عليه غلالة ترف على جسده وسيفه يتلظى فى يده

كان السيف راق وراع حتى * كان عليه شيمة منتضيه
كان الموت أودع فيه سرا * ليرفعه الى يوم كريه

فلقى على باب من أبواب المدينة فارسا مشهورا بنجدة فرماه الفارس برمح التوى على غلالته وعصمه الله تعالى منه وصب هو سيفه على عاتق الفارس فشقه الى اضلاعه فخر صريعا سر يعا فرأيت القائمين عندما تسنموا الاسوار تساقطوا منها وبعدما أمسكوا الابواب تخلوا عنها وأخذوا على غير طريق وهوت بهم ريح الهيبة فى مكان سحيق فظننا أن البلد من أقذائه قد صفا وثوب العصمة علينا قد ضفا الى أن كان يوم الاحد الحادى والعشرون من رجب فعظم الخطب فى الامر الواقع واتسع الخرق فيه على الراقع ودخل البلد من جهة واديه وأصيب حاضره بعادية باديه بعد أن ظهر من دفاع المعتمد وبأسه وترامه على الموت بنفسه ما لا مزيد عليه ولا انتهى خلق اليه فشنت الغارة فى البلد ولم يبق فيه على سبد لاحد ولا لبد وخرج الناس عن منازلهم يسترون عوراتهم بأناملهم وكشف وجوه المخدرات العذارى ورأيت الناس سكارى وما هم بسكارى وحل

ونا صحوا الاجتهاد للمسلمين حتى تهذبت طرقه وقويت اسبابه وظهرت آلاء الله واستقر دينه ووضحت اعلامه وأذل الله بهم الشرك وأزال روحه ومحا دعائمه وصارت كلمة الله العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الزاكية والارواح الطاهرة العالية فقد كانوا فى الحياة لله اولياء وكانوا بعد الموت أحياء أصحياء رحلوا الى الآخرة قبل ان يصلوا اليها وخرجوا من الدنيا وهم بعد فيها فقطع عليه معاوية الكلام وقال ايها يا ابن عباس حد يثا فى غير هذا

(ذكر ايام يزيد بن معاوية ابن أبى سفيان)

وبويع يزيد بن معاوية فكانت أيامه ثلاث سنين وثمانية أشهر الا ثمانى ليال وأخذ يزيد لابنه معاوية ابن يزيد البيعة على الناس قبل موته ففى ذلك يقول عبد الله بن همام السلولى تلقفها يزيد عن أبيه

فخذها يا معاوى عن يزيدا
وقد علقت بكم فتلقفوها
ولا ترموا بها الغرض البعيدا

وهلك يزيد بحوارين من أرض دمشق لسبع عشرة ليلة خلت من صفر سنه أربع وستين وهو ابن ثلاث

بالمعتمد وآله بعد استئصال جميع ماله لم يصحب معه بلغة زاد ولا بغية مراد فأمضيت عزيمتى فى اتباعه فوصلت اليه باغمات عقب ثقاف استنقذه الله منه فذكرت به شعرا كان لى فى صديق اتفق له مثل ذلك فى الشهر بعينه من العام الماضى وهو الامير أبو عبد الله بن الصفار وهو

لم تقل فى الثقاف كان ثقافا * كنت قلبا به وكان شغافا
يمكث الزهر فى الكمام ولكن * بعد مكث الكمام يدنو قطافا
واذا ما الهلال غاب لغيم * لم يكن ذلك المغيب انكسافا
انما أنت درة للمعالى * ركب الدهر فوقها أصدافا
حجب البيت منك شخصا كريما * مثل ما تحجب الدنان السلافا
أنت للفضل كعبة ولو انى * كنت أسطيع لاستطعت الطوافا

قال أبو بكر وجرت بينى و بينه مخاطبات ألذ من غفلات الرقيب وأشهى من رشفات الحبيب وأدل على السماح من فجر على صباح انتهى ثم قال ولما خلع المعتمد وذهب الى اغمات طلب من حواء بنت تاشفين خباء عارية فاعتذرت بأنه ليس عندها خباء فقال

هم أوقدوا بين جفنيك نارا * أطالوا بها فى حشاك استعارا
أما يخجل المجد أن زودوك * ولم يصحبوك خباء معارا
فقد قنعوا المجد ان كان ذاك * وحاشاهم منك خزيا وعارا
يقل لعينك أن يجعلوا * سواد العيون عليكم شعارا

ثم انه بقى ماسورا باغمات الى سنة ٤٨٢ فأخذ بالقلعة رجل كبير يعرف بابن خلف فسجن مع أصحاب له فنقبوا السجن وذهبوا الى حصن منت ميور ليلا فأخرجوا قائدها ولم يضروه و بينما هم كذلك اذ طلع عليهم رجل فسألوه فاذا هو عبد الجبار بن المعتمد فولوه على أنفسهم وظن الناس انه الراضى فبقى فى الحصن ثم أقبل مركب من الغرب يعرف بمركب ابن الزرقاء فانكسر بمرسى الشجرة قريبا من الحصن فأخذوا بنوده وطبوله وما فيه من طعام وعدة فاتسعت بذلك حالتهم ثم وصلت أم عبد الجبار اليه ثم خاطبه أهل الجزيرة وأهل أركش فدخلها سنة ٤٨٨ ولما بلغ خبر عبد الجبار الى ابن تاشفين أمر بثقاف المعتمد فى الحديد وفى ذلك يقول

قيدى أما تعلمنى مسلما * أبيت أن تشفق أو ترحما
يبصرنى فيك أبو هاشم * فينثنى القلب وقد هشما

وبقى الى أن توفى رحمه الله سنة ٤٨٨ وقد ساق الفتح قصة ثورة عبد الجبار بن المعتمد بعبارته البارعة فقال وأقام بالعدوة برهة لا يروع له سرب وان لم يكن آمنا ولا يثور له كرب وان كان فى ضلوعه كامنا الى أن ثار أحد بنيه بأركش معقل كان مجاور الاشبيلية مجاورة الانامل للراح ظاهرا على بسائط وبطاح لا يمكن معه عيش ولا يتمكن من منازلته جيش فغدا على أهلها بالمكاره وراح وضيق عليهم المتسع من جهاتها والبراح فسار نحوه الامير سير بن ابى بكر رحمة الله عليه قبل أن يرتد طرف استقامته اليه فوجده

وثلاثين سنة وفى ذلك يقول رجل من عنزة ياايها القبر بحوّارينا * ضممت شر الناس أجمعينا

وقد رثاه الاخطل النصرانى فقال من قصيدة

لعمرى لقد دلى الى الخلد خالد جنازة لا انكس الفؤاد ولا غمر
مقيم بحوّارين ليس يريمها سقته الغوادى من ثوى ومن قبر

فى أبيات

(ذكر مقتل الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام ومن قتل معه من أهل بيته وشيعته)

ولما مات معاوية أرسل أهل الكوفة الى الحسين ابن على انا قد حبسنا انفسنا على بيعتك ونحن نموت دونك ولسنا نحضر جمعة ولا جماعة بسببك وطولب الحسين بالبيعة ليزيد بالمدينة فسام التأخير وخرج يتهادى بين مواليه ويقول

لا ذعرت السوام فى فلق الصبح مغيرا ولا دعيت يزيدا
يوم اعطى مخافة الموت ضيما والمنايا ترصدننى ان احيدا

ولحق بمكة فأرسل بابن عمه مسلم بن عقيل الى الكوفة قال له سر الى اهل الكوفة فان كان حقا ما كتبوا به عرفنى حتى ألحق بك فخرج مسلم من مكة فى النصف من شهر رمضان حتى قدم الكوفة لخمس خلون من شوال والامير عليها النعمان بن بشير الانصارى فنزل على

عشر الف رجل وقيل ثمانية عشر ألفا فكتب بالخبر الى الحسين وسأله القدوم اليه فلما هم الحسين بالخروج الى العراق أتاه ابن عباس فقال له يا ابن عم قد بلغني انك تريد العراق وانهم أهل غدر وانما يدعونك للحرب فلا تعجل وان أبيت الا محاربة هذا الجبار وكرهت المقام بمكة فاشخص الى اليمن فانها في عزلة ولك فيها انصار واخوان فأقم بها وبث دعاتك واكتب الى أهل الكوفة وانصارك بالعراق فيخرجوا اميرهم فان قووا على ذلك ونفوه عنها ولم يكن بها احد يعاديك اتيتهم وما انا بغدرهم بآمن وان لم يفعلوا اقمت بمكانك الى ان يأتي الله بأمره فان فيها حصونا وشعابا فقال الحسين يا ابن عم اني لأعلم انك لي ناصح وعلي شفيق ولكن مسلم بن عقيل كتب الي باجتماع اهل المصر على بيعتي ونصرني وقد اجمعت على المسير قال انهم من جربت وجربت وهم اصحاب ابيك واخيك وقتلتك غدا مع اميرهم انك لو قد خرجت فبلغ ابن زياد خروجك استنفرهم اليك وكان الذين كتبوا اليك اشد من عدوك فان عصيتني وابيت الا الخروج الى الكوفة فلا تخرجن

وشره قد تشمر وصرده قد تنمر وجره متسعر وأمره متوعر فنزل عدوته وحل للعزم حبوته وتدارك داءه قبل اعضاله ونازله وما اعد آلات نضاله وانحشدت اليه الجيوش من كل قطر وأفرغ في مسالكه كل قطر فبقي محصورا الا يشد اليه الاسهم ولا ينفذ عنه الا النفس أووهم وامتسك شهورا حتى عرضه أحد الرماه بسهم فرماه فاصماه فهوى في مطلعه وخر قتيلا في موضعه فدفن الى جانب سريره وأمن عاقبة تغريره وبقي اهله ممتنعين مع طائفة من وزرائه حتى اشتد عليهم الحصر وارتد عنهم النصر وعمهم الجوع وأغب أجفانهم الهجوع فنزلت منهم طائفة متهافته وولت بأنفاس خافته فتبعهم من بقي ورغب في التنعم من شقي فوصلوا الى قبضة الممات وحصلوا في غصة الممات فوسعهم الحيف وتقسمهم السيف ولما زأر الشبل خيفت سورة الاسد ولم يرج صلاح الكل والبعض قد فسد فاعتقل المعتمد خلال تلك الحال واثناءها وأحل ساحة الخطوب وفناءها وحين اركبوه أساودا وأورثوه حزنا بات له معاودا قال

غنتك اعماتية الالحان ✽ ثقلت على الارواح والابدان
قد كان كالثعبان قيدك في الورى ✽ فغدا عليك القيد كالثعبان
متمددا بحذائك كل تمدد ✽ متعطفا لارحمة للعانى
قلبي الى الرحمن يشكو بثه ✽ ماخاب من يشكو الى الرحمن
ياسائلا عن شأنه ومكانه ✽ ماكان أغنى شانه من شان
هاتيك قينته وذلك قصره ✽ من بعد أي مقاصر وقيان

ولما فقد من كان يجالسه وبعد عنه من كان يؤانسه وتمادى كربه ولم تسالمه حربه قال

تؤمل للنفس الشجية فرجة ✽ وتأبى الخطوب السود الاتماديا
لياليك من زاهيك أصفى صحبتها ✽ كذا صحبت قبل الملوك اللياليا
نعيم وبؤس ذا لذلك ناسخ ✽ وبعدهما نسخ المنايا الامانيا

ولما امتدت مدته واشتدت عليه قسوة الكبل وشدته وأقلقته همومه وأطبقته غمومه وتوالت عليه الشجون وطالت لياليه الجون قال

أبناء أسرك قد طبقن آفاقا ✽ بل قد عممن جهات الارض اقلاقا
سرت من الغرب لا يطوى لها قدم ✽ حتى أتت شرقها تنعاك اشراقا
فاحرق الفجع أكبادا وأفئدة ✽ وأغرق الدمع آماقا وأحداقا
قد ضاق صدر المعالي اذ نعيت لها ✽ وقيل ان عليك القيد قد ضاقا
انى غلبت وكنت الدهر ذا غلب ✽ للغالبين وللسباق سباقا
قلت الخطوب أذلتني طوارقها ✽ وكان عزمي الى الاعداء طراقا
متى رأيت صروف الدهر تاركة ✽ اذا انبرت لذوي الاخطار أرماقا

وقال لي من أثق لما ثار ابنه حيث ثار وأثار من حقد أمير المسلمين عليه ما أثار جزع جزعا مفرطا وعلم انه قد صار في أنشوطة الشر متورطا وجعل يتشكى من فعله ويتظلم ويتوجع منه ويتألم ويقول عرض بي للمحن ورضي لي أن امتحن ووالله ما أبكي الا انكشاف من

أتخلفه بعدى ويتحيفه بعدى ثم أطرق ورفع رأسه وقد تهللت أسرته وظللته مسرته ورأيته قد استجمع وتشوف الى السماء وتطلع فعلمت أنه قدرجا عودة الى سلطانه وأوبة الى أوطانه فما كان الا مقدار ما تنداح دائره أو تلتفت مقلة حائره حتى قال

كذا يهلك السيف فى جفنه * الى هز كفى طويل الحنين
كذا يعطش الرمح لم أعتقله * ولم تروه من نجيع يمينى
كذا يمنع الطرف علك الشكيم مرتقبا غرة فى كمين
كأن الفوارس فيه ليوث * تراعى فرائسها فى عرين
ألا شرف برحم المشرفى * عما به من سمات الوتين
ألا كرم ينعش السمهرى * ويشفيه من كل داء دفين
ألا حنة لابن محنية * شديد الحنين ضعيف الأنين
يؤمل من صدرها ضمة * تبوئه صدر كبر معين

وكانت طائفة من أهل فاس قد عاثوا فيها وفسقوا وانتظموا فى سلك الطغيان واتسقوا ومنعوا جفون أهلها السنات وأخذوا البنين من حجور آبائهم والبنات وتلقبوا بالاماره وأركبوا السوء نفوسهم الاماره حتى كادت أن تقفر على أيديهم وتدثر رسومها بافراط تعديهم الى أن تدارك أمير المسلمين رحمه الله تعالى أمرهم وأطفأ جمرهم وأوجعهم ضربا وأقطعهم ما شاء حزنا وكربا وسجنهم باغمات وضمتهم جوانح الملمات والمعتمد اذ ذاك معتقل هنالك وكانت فيهم طائفة شعريه مدنية أو بريه فرغبوا الى سجانهم أن يستريحوا مع المعتمد من أشجانهم فخلى ما بينهم وبينه وغمض لهم فى ذلك عينه فكان المعتمد رحمه الله تعالى يتسلى بمجالستهم ويجد أثر مؤانستهم ويستريح اليهم بجواه ويبوح لهم بسره ونجواه الى أن شفع فيهم وأطلقوا من وثاقهم وانفرج لهم مبهم أغلاقهم وبقى المعتمد يشتكى من ضيق الكبل ويبكى بدمع كالوبل فدخلوا عليه مودعين ومن بثه متوجعين فقال

أما لانسكاب الدمع فى الخد راحة * لقد آن أن يفنى ويفنى به الخد
هبوا دعوة يا آل فاس لمبتلى * بما منه قد عافاكم الصمد الفرد
تخلصتم من سجن اغمات والتوت * على قيود لم يحن فكها بعد
من الدهم أما خلقها فأساود * تلوى وأما الأيد والبطش فالأسد
فهنيتم النعمى ودامت لكم * سعادته ان كان قد خاننى سعد
خرجتم جماعات وخلفت واحدا * ولله فى أمرى وأمركم الحمد

ومر عليه فى موضع اعتقاله سرب قطا لم يعلق لها جناح ولا تعلق بها من الأيام جناح ولا عاقها عن أفراخها الاشراك ولا أعوزها البشام ولا الاراك وهى تمرح فى الجو وتسرح فى مواقع النو فتنكد بما هو فيه من الوثاق وما دون أحبته من الرقباء والاغلاق وما يقاسيه من كبله ويعانيه من وجده وخبله وفكر فى بناته وافتقارهن الى نعيم عهدنه وحبور حضرنه وشهدنه فقال

نساءك وولدك معك فوالله انى لخائف ان تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون اليه فكان الذى رد عليه لأن اقتل والله بمكان كذا احب الى من ان استحل بمكة فيئس ابن عباس منه وخرج من عنده فمر بعبد الله بن الزبير فقال قرت عينك يا ابن الزبير وانشد

يالك من قبرة بمعمر * خلا لك الجو فبيضى واصفرى
ونقرى ما شئت ان تنقرى

هذا حسين يخرج الى العراق ويخليك والحجاز وبلغ ابن الزبير أنه يريد الخروج الى الكوفة وهو أثقل الناس عليه قد غمه مكانه بمكة لان الناس ما كانوا يعدلونه بالحسين فلم يكن شئ يؤتاه أحب اليه من شخوص الحسين عن مكة فأتاه فقال أبا عبد الله ما عندك فوالله لقد خفت الله فى جهاد هؤلاء القوم على ظلمهم واستذلالهم الصالحين من عباد الله فقال حسين قد عزمت على اتيان الكوفة فقال وفقك الله أما لو أن لى مثل انصارك ما عدلت عنها ثم خاف أن يتهمه فقال ولو أقمت بمكانك فدعوتنا وأهل الحجاز الى بيعتك أجبناك وكنا اليك سراعا وكنت أحق بذلك من يزيد وأبى يزيد

(ودخل) أبو بكر بن الحرث بن هشام على الحسين فقال يا ابن عم ان الرحم يظائرنى عليك

بكيت

بكيت الى سرب القطا اذ مررن بى * سوارح لاسجن يعوق ولا كبل
ولم تك والله المعيد حسادة * ولكن حنينا ان شكلى لها شكل
فأسرح لا شملى صديع ولا الحشا * وجيع ولا عيناى يبكيهما ثكل
هنيئا لها اذ لم يفرق جميعها * ولا ذاق منها البعد عن أهلها أهل
واذلم تبت مثلى تطير قلوبها * اذا اهتز باب السجن أو صاصل القفل
وماذاك مما يعتريه وانما * وصفت التى فى جبلة الخلق من قبل
لنفسى أن ألقى الحمام تشوّف * سواى يحب العيش فى ساقه كبل
الا عصم الله القطا فى فراخها * فان فراخى خانها الماء والظل

وفى هذه الحالة زاره الاديب أبو بكر بن اللبانة وهو احد شعراء دولته المرتضعين درها المنتجعين دررها وكان المعتمد رحمه الله تعالى يميزه بالشفوف والاحسان ويجوزه على فرسان هذا الشان فلما رآه وحلقات الكبل قد عضت بساقيه عض الاسود والتوت عليه التواء الاساود السود وهو لا يطيق اعمال قدم ولا يريق دمعا الا ممزوجا بدم بعدما عهده فوق منبر وسرير ووسط جنة وحرير تخفق عليه الالويه وتشرق منه الانديه وتكف الامطار من راحته وتشرف الاقدار بحلول ساحته ويرتاع الدهر من اوامره ونواهيه ويقصر النسر أن يقارنه أو يضاهيه نديه بكل مقال يلهب الاكباد ويثير فيه لوعة الحرث ابن عباد أبدع من أناشيد معبد وأصدع للكبد من مراثى أربد أو بكاء ذى الرمة بالمربد سلك فيها الاحتفاء طريقا لاحبا وغدا فيها الذيول الوفاء ساحبا فمن ذلك قوله

انفض يديك من الدنيا وساكنها * فالارض قد أقفرت والناس قد ماتوا
وقل لعالمها السفلى قد كتمت * سريرة العالم العلوى اغمات
طوت مظلتها الا بل مظلتها * من لم تزل فوقه للعز رايات
من كان بين الندى والبأس انصله * هندية وعطاياه هنيدات
رماه من حيث لم تستره سابغة * دهر مصيباته نبل مصيبات
أنكرت الا التواءات القيود به * وكيف تنكر فى الروضات حيات
غلطت بينهما بين عقدن له * وبينها فاذا الانواع اشتات
وقلت هن ذؤابات فلم عكست * من رأسه نحو رجليه الذؤابات
حسبتها من قناه أو أعنته * اذ بها لثقاف الجد آلات
دروه ليثا فخافوا منه عادية * عذرتهم فلعدو الليث عادات
لو كان يفرج عنه بعض آونة * قامت بدعوته حتى الجمادات
بحر محيط عهدناه تجىء له * كنقطة الدارة السبع المحيطات
لهفى على آل عباد فانهم * أهلة مالها فى الافق هالات
راح الحيا وغدا منهم بمنزلة * كانت لنا بكر فيها وروحات
أرض كأن على أقطارها سرجا * قد أوقدتهن بالادهان أنبات
وفوق شاطئ واديها رياض ربا * قد ظللتها من الانشام دوحات

ولا أدرى كيف أنأى النصيحة لك فقال يا أبا بكر ما أنت ممن يستغش فقال أبو بكر كان أبوك أشد بأسا والناس له أرجى ومنه أسمع وعليه أجمع فسار الى معاويه والناس مجتمعون عليه الا أهل الشام وهو أعز منه فخذلوه وتثاقلوا عنه حرصا على الدنيا وضنا بها فجرعوه الغيظ وخالفوه حتى صار الى ما صار اليه من كرامة الله ورضوانه ثم صنعوا باخيك بعد أبيك ما صنعوا وقد شهدت ذلك كله ورأيته ثم أنت تريد أن تسير الى الذين عدوا على أبيك وأخيك تقاتل بهم أهل الشام وأهل العراق ومن هو أعد منك وأقوى والناس منه أخوف وله أرجى فلو بلغهم مسيرك اليهم لاستطغوا الناس بالاموال وهم عبيد الدنيا فيقاتلك من قد وعدك أن ينصرك ويخذلك من أنت أحب اليه ممن ينصره فاذكر الله فى نفسك فقال الحسين جزاك الله خيرا يا ابن عم فقد أجهدك رأيك ومهما يقض الله يكن فقال وعند الله نحتسب أبا عبد الله ثم دخل على الحرث بن خالد بن العاص ابن هشام المخزومى والى مكة وهو يقول

كم نرى ناصحا يقول فيعصى * وظنين المغيب يلفى نصيحا

فقال وماذاك فأخبره بما قال للحسين فقال نصحت له ورب الكعبة واتصل الخبر بيزيد فكتب الى

كان واديها سلك بلبتها * وغاية الحسن أسلاك ولبات

نهر شربت بعبريه على صور * كانت لها من قبيل الراح سورات

وربما كنت أسمو للخليج به * وفى الخليج لأهل الراح راحات

وبالغروسات لاجفت منابتها * من النعيم غروسات جنيات

ولم تزل كبده تتوقد بالزفرات وخلده يتردد بين النكبات والعثرات ونفسه تتقسم بين الاشجان والحسرات الى أن شفته منيته وجاءته بها أمنيته فدفن باغمات وأريح من تلك الازمات (وعطلت المآثر من حلاها * وافردت المفاخر من علاها) ورفعت مكارم الاخلاق وكسدت نفائس الاعلاق وصار أمره عبرة فى عصره وصاب أندى عبرة فى مصره وبعد ايام وافى أبو بحر بن عبد الصمد شاعره المتصل به المتوصل الى المنى بسببه فلما كان يوم العيد وانتشر الناس ضحى وظهر كل متوار وضحا قام على قبره عند انفصالهم من مصلاهم واختيالهم بزينتهم وحلاهم وقال بعد أن طاف بقبره والتزمه وخر على تربه ولثمه

ملك الملوك أسامع فأنادى * أم قد عدتك عن السماع عوادى

لما خلت منك القصور فلم تكن * فيها كما قد كنت فى الاعياد

قبلت من هذا الثرى لك خاضعا * وتخذت قبرك موضع الانشاد

وهى قصيدة أطال انشادها وبنى بها اللواعج وشادها فانحشر الناس اليه واحفلوا وبكوا لبكائه وأعولوا وأقاموا أكثر نهارهم مطيفين به طواف الحجيج مديمين للبكاء والعجيج ثم انصرفوا وقد نزفوا ماء عيونهم وأقرحوا مآقيهم بفيض شؤنهم وهذه نهاية كل عيش وغاية كل ملك وجيش والايام لاتدع حيا ولا تألو اكل نشر طيا تطرق رزاياها كل سمع وتفرق مناياها كل جمع وتصمى كل ذى أمر ونهى وترمى كل مشيد بوهى ومن قبله طوت النعمان بن الشقيقة ولوت مجازه فى تلك الحقيقة انتهى ماقصدنا جلبه من كلام الفتح مما يدخل فى أخبار المعتمد بن عباد لمناسبة مام وكلام الفتح كله الغاية وليس الخبر كالعيان ولذا قال بعض من عرف به انه أراد أن يفضح الشعراء الذين ذكرهم فى كتبه بنثره سامحه الله تعالى وأخبار المعتمد رحمه الله تعالى تحتمل مجلدات وآثاره الى الآن بالعرب مخلدات وكان من النادر الغريب قولهم فى الدعاء للصلاة على جنازته الصلاة على الغريب بعد اتساع ملكه وانتظام سلكه وحكمه على اشبيلية وانحائها وقرطبة وزهرائها وهكذا شأن الدنيا فى تدويسها نحو ندبتها واغرائها * وقد توجه لسان الدين الوزير بن الخطيب الى أغمات لزيارة قبر المعتمد رحمه الله تعالى ورأى ذلك من المهمات وأنشد على قبره ابياته الشهيرة التى ذكرتها فى جملة نظمه الذى هو أرق من النسيم وابهج من المحيا الوسيم * قلت وقد زرت أنا قبر المعتمد والرميكية ام أولاده حين كنت بمراكش المحروسة عام عشرة والف وعمى على أمر القبر المذكور وسألت عنه من تظن معرفته له حتى هدانى اليه شيخ طعن فى السن وقال لى هذا قبر ملك من ملوك الاندلس وقبر حظيته التى كان قلبه بحبها خفاقا غير مطمئن فرأيته فى ربوة

عبيدالله بن زياد بتوليته الكوفة فخرج من البصرة مسرعا حتى قدم الكوفة على الظهر فدخلها فى أهله وحشمه وعليه عمامة سوداء قد تلثم بها وهو راكب بغلة والناس يتوقعون قدوم الحسين فجعل ابن زياد يسلم على الناس فيقولون وعليك السلام يا ابن رسول الله قدمت خير مقدم حتى انتهى الى القصر وفيه النعمان ابن بشير فتحصن فيه ثم أشرف عليه فقال يا ابن رسول الله مالى ولك وما حملك على قصد بلدى من بين البلدان فقال ابن زياد لقد طال نومك يا نعيم وحسر اللثام عن فيه فعرفه ففتح له وتنادى الناس ابن مرجانه وحصبوه بالحصباء ففاتهم ودخل القصر ولما اتصل خبر ابن زياد بمسلم تحول الى هانئ ابن عروة المرادى ووضع ابن زياد الرصد على مسلم حتى علم بوضعه فوجه محمد ابن الاشعث بن قيس الى هانئ فجاءه فسأله عن مسلم فانكره فاغلظ له ابن زياد القول فقال هانئ ان لزياد أبيك عندى بلاء حسنا وأنا أحب مكافأته به فهل لك فى خير قال ابن زياد وما هو قال تشخص الى أهل الشام أنت وأهل بيتك سالمين باموالكم فانه قد جاء حق من هو أحق من حقك وحق صاحبك فقال ابن زياد ادنوه منى فادنوه منه فضرب وجهه

حســبما وصــفه ابن الخطيب رحـمه الله تعالى فى الابيات وحصلت لى من ذلك المحل خشية وادكار وذهبت بى الافكار فى ضروب الآيات فسبحان من يؤتى ملكه من يشاء لا اله غيره وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين * وما أحسن قول الوزير ابن عبدون فى مطلع رائيته الشهيرة

الدهر يفجع بعد العين بالاثر * فما البكاء على الاشباح والصور

(وهو القائل)

يا نائم الليـل فى فكر الشباب أفق * فصبح شيبك فى أفق النهى بادى
غضت عنانك أيدى الدهر ناصحة * علما بجهل واصلاحا بافساد
وأسلمت للمنايا آل مسلمـــة * وعبـــدت للرزايا آل عباد
لقـد هوت منك خانتها قوادمها * بكوكب فى سماء المجد وقاد
ومنها وما لك كان يحيى شول قرطبـة * أستغفر الله لا بل شول بغداد
شق العلوم نطافا والعـلا زهـرا * فبيـن ما بيـن روّاد وورّاد

وأين هذه القصيدة فى مدحهم من قصيدة الغض منهم وهى قول أبى الحسن جعفر بن ابراهيم ابن الحاج اللورقى

تعزعن الدنيا ومعروف أهلها * اذا عـدم المعـروف فى آل عباد
حللت بهـم ضيفا ثلاثة أشـهر * بغير قـرى ثم ارتحلت بلا زاد

وهـذا يدلك على أن الشعراء لم يسلم من لسانهـم من أحسن فضـلا عمن أساء من العظماء والرؤساء وما أمدح قول أبى محمد بن غانم فيهم

ومن الغريب غروب شمس فى الثرى * وضياؤهـا باق على الآفاق

وقال فى المطمح فى حق بنى عباد وأوليتهم ما صورته الوزير أبو القاسم محمد بن عباد هـذه بقيـة منتماها فى لخم ومرعاها الى مفخر ضخم وجدهم المنذر بن ماء السماء ومطلعهـم فى جوّ تلك السماء وبنو عباد ملوك أنسى بهـم الدهر وتنفس منهـم عن أعبق الزهر وعمروا ربع الملك وأمروا بالحياة والهلاك ومعتضدهـم أحد من أقام وأقعد وتبوّأ كاهـل الارهاب واقتعد وافترش من عريشته وافترس من مكايد فريسته وزاحم بعود وهد كل طود وأخجل كل ذى زى وشاره وختـل بوحى واشاره ومعتمدهـم كان أجود الاملاك وأحد نيرات تلك الافلاك وهو القائل وقد شغـل عن منادمـة خواص دولتـه بمنادمـة العقائل

لقد حننت الى ما اعتـدت من كرم * حنين أرض الى مستأخر المطر
فهاتهـا خلعا أرضى السماح بها * محفوفة فى أكف الشرب بالبدر

وهو القائل وقـد حن فى طريقه الى فريقـه

ادار النوى كم طال فيك تلذذى * وكم عقتنى عن دار أهيف أغيد
حلفت به لو قـد تعـرض دونه * كماة الاعادى فى النسيج المسرد
لجـردت للضرب المهنـد فانقضى * مرادى وعزما مثـل حد المهنـد

على وجهه ورأسه وضرب هانئ بيده الى قائم سـيف شرطى مـن تلك الشرط فجاذبه الرجـل ومنعـه السـيف وصاح اصحـاب هانئ بالباب قتل صاحبنا فخافهم ابن زياد وامر بحبسه فى بيت الى جانب مجلسـه واخرج اليهـم ابن زياد شريحا القاضى فشـهد عندهـم انه حى لم يقتـل فانصرفوا ولما بلغ مسلما مافعـل ابن زياد بهانئ امر منـاديا فنـادى يا منصور وكانت شعارهـم فتنادى اهل الكوفة بها فاجتمع اليه فى وقت واحد ثمانية عشر ألف رجـل فساروا الى ابن زياد فتحصن منه بقصره فى القصر فلم يمس مسلم ومعه غير مائة رجل فلما نظر الى النـاس يتفـرقون عنـه سار نحو ابواب كنده فما بلغ الباب الا ومعه منهم ثـلاثة ثم خرج من الباب فاذا ليس معه منهم أحد فبقى حائرا لا يدرى أين يذهب ولا يجـد أحـدا يدله على الطريق فنزل عن فرسـه ومشى متلـددا فى أزقة الكوفـة لا يدرى أين يتوجـه حتى انتهـى الى باب مـولاة للاشعث بن قيس فاستسقاهـا ماء فسقته ثم سألتـه عن حاله فاعلمها بقضيته فرقت له وآوته فجاء ابنها فعلم بموضعه فلما أصبح غدا الى محمد بن الاشعث فاعلمه فمضى

والقاضي أبو القاسم هذا جدهم وبه سفر مجدهم وهو الذي اقتنص لهم الملك النافر واختصهم منه بالحظ الوافر فانه اخذ الرياسة من ايدي جابر واضحى من ظلالها اعيان اكابر عندما اناخت بها اطماعهم واصاخت اليها اسماعهم وامتدت اليها من مستحقيها اليد واتلعوا اجيادا زانها الجيد وفغر عليها فمه حتى هجا بيت العبدي وتصدى اليها من تحضر وتبدي فاقتعد سنامها وغاربها وابعد عنها عجمها واعاربها وفاز من الملك باوفر حصه وغدت عنه به صفقة مختصه فلم يمح رسم القضاء ولم يتسم بسمة الملك مع ذلك النفوذ والمضاء ومازال يحمي حوزته و يجلو عزته حتى حوته الرجام وخلت منه تلك الآجام وانتقل الملك الى ابنه المعتضد وحل منه في روض غدق له ونضد ولم يعمر فيه ولم يدم ولاه وتسمى بالمعتضد بالله وارتمى الى أبعد غايات الجود بما أناله وأولاه لولا بطش في اقتضا النفوس كدر ذلك المنهل وعكر أثناء ذلك صفو العل والنهل ومازال للارواح قابضا وللوثوب عليها رابضا يخطف اعداءه اختطاف الطائر من الوكر و ينتصف منهم بالدهاء والمكر الى أن أفضى الملك الى ابنه المعتمد فاكتحل منه طرفه الرمد وأحد مجده وتقلد منه أي باس ونجده ونال به الحق مناه وجدد سناه وأقام في الملك ثلاثا وعشرين سنه لم تعدم له فيها حسنة ولا سيرة مستحسنه الى أن غلب على سلطانه وذهب به من اوطانه فنقل الى حيث اعتقل وأقام كذلك الى ان مات ووارته تربة اغمات وكان للقاضي جده أدب غض ومذهب مبيض ونظم يرتجله كل حين و ينفثه أعطر من الرياحين فمن ذلك قوله يصف النيلوفر

يا ناظرين لذا النيلوفر البهج * وطيب مخبره في الفوح والارج
كأنه جام درفي تألقه * قد أحكموا وسطه فصا من السبج

انتهى المقصود منه وهو أعني الفتح يشيد قصور الشرف اذا مدح و يهدم معاقلها اذا هجا وقدح* ومن أغراضه قوله في المطمع في حق الاديب أبي جعفر بن البني رافع رايات القريض وصاحب آيات التصريح والتعريض أقام شرائعه وأظهر بدائعه اذا نظم ازرى بالعقود وأتى بأحسن من رقم البرود وكان أليف غلمان وحليف كفر لا ايمان ما نطق متشرعا ولا رمق متورعا ولا اعتقد حشرا ولا صدق بعثا ولا نشرا تنسك مجونا وفتكا وتمسك باسم التقي وقد هتكه هتكا لا يبالي كيف ذهب ولا بم تمذهب وكانت له أهاج جرع بها صابا ودرع منها أوصابا وقد أثبت له ما يرشف ريقا و يشرب تحقيقا فمن ذلك قوله يتغزل

من لي بغرة فاتن يختال في * حلل الجمال اذا بدا وحليه
لو شمت في وضح النهار شعاعها * ما عاد جنح الليل بعد مضيه
شرقت لآلي الحسن حتى خلصت * ذهبية في الخد من فضيه
في صفحتيه من الجمال ازاهر * غذيت بوسمي الحيا ووليه
سلت محاسنه لقتل محبه * من سحر عينيه حسام سميه
وله فيه

رجلا فاقتحموا على مسلم الدار فثار عليهم بسيفه وشد عليهم فاخرجهم من الدار ثم حملوا عليه الثانية فشد عليهم وأخرجهم أيضا فلما رأوا ذلك علوا ظهر البيوت فرموه بالحجارة وجعلوا يلهبون النار باطراف القصب ثم يلقونها عليه من فوق البيوت فلما رأى ذلك قال أكل ما أرى من الاحلاب لقتل مسلم بن عقيل يا نفس اخرجي الى الموت الذي ليس عنه محيص فخرج اليهم مصلتا سيفه الى السكة فقاتلهم واختلف هو وبكير بن حمران الاحمري ضربتين فضرب بكير فم مسلم فقطع السيف شفته العليا وشرع في السفلى وضربه مسلم ضربة منكرة في رأسه ثم ضربه أخرى على حبل العاتق فكاد يصل الى جوفه وهو يرتجز و يقول
أقسم لا أقتل الا حرا
وان رأيت الموت شيأ مرا
كل امرئ يوما ملاق شرا
أخاف ان أكذب أو اغرا
فلما رأوا ذلك تقدم اليه محمد بن الاشعث فقال له فانك لا تكذب ولا تغر وأعطاه الامان فامكنهم من نفسه وحملوه على بغلة وأتوا به ابن زياد وقد سلبه ابن الاشعث حين أعطاه الامان سيفه وسلاحه وفي ذلك يقول بعض الشعراء

كيف لا يزداد قلبي * من جوى الشوق خبالا
واذا قلت عليّ * بهر الناس جمالا
هو كالغصن وكالبدر * رقواما واعتدالا
اشرق البدر كمالا * وانثنى الغصن اختيالا
ان من رام سلوّى * عنه قد رام محالا
لست اسلو عن هواه * كان رشدا او ضلالا
قل لمن قصر فيه * عذل نفسي او اطالا
دون أن تدرك هذا * تسلب الرقى الهلالا

وكنت بميورقة وقد حلاها متسما بالعباده وهو أسرى الى الفجور من خيال أبى عباده وقد لبس أسمالا ولبس منه أقوالا وأفعالا بجوده هجوده واقراره بالله جوده وكانت له رابطة لم يكن للوازمها مرتبطا ولا بسكناها مغتبطا سماها بالعقيق وسمى فتى كان يتعشقه بالحمى وكان لا يتصرف الا فى صفاته ولا يقف الا بعرفاته ولا يؤرقه الاجواه ولا يشوقه الاهواه فاذا بأحد دعاة حبيبه ورواة تشبيبه قال له كنت البارحة بحماه وذكر له خبرا ورى به عنى وعماه فقال

تنفس بالحمى مطلول أرض * فاودع نشره نشرا شمالا
فصحت العيون الى كسلى * تجرر فيه أردانا خضالا
أقول وقد شممت الترب مسكا * بنفحتها يمينا او شمالا
نسيم جاء يبعث منك طيبا * ويشكو من محبتك اعتلالا

ولما تقرر عند ناصر الدولة من امره ما تقرر وتردد على سمعه انتهاكه وتكرر اخرجه من بلده ونفاه وطمس رسم فسقه وعفاه فأقلع الى المشرق وهو جار فلما صار من ميورقة على ثلاثة مجار نشأت له ريح صرفته عن وجهته الى فقده وهيئته فلما لحق بميورقة اراد ناصر الدولة اماحته واخذ ثار الدين منه واراحته ثم آثر صفحه واخمد ذلك الجمر ولفحه واقام اياما ينتظر ريحا علها تزجيه ويستهديها لتخلصه وتنجيه وفى اثناء تلومه لم يتجاسر احد على اتيانه من اخوته فقال يخاطبهم

احبتنا الالى عتبوا علينا * فأقصرنا وقد أزف الوداع
لقد كنتم لنا جذلا وانسا * فهل فى العيش بعدكم انتفاع
اقول وقد صدرنا بعد يوم * اشوق بالسفينة ام نزاع
اذا طارت بنا حامت عليكم * كأن قلوبنا فيها شراع

وله يتغزل

بنى العرب الصميم الارعينم * مآثركم بآثار السماح
وفعتم ناركم فعشنا اليها * بوهن فارس الحى الوقاح
فهل فى القعب فضل تنفحوه * به من محض البان اللقاح
لعل الرسل شائبة الثنايا * بشهد من ندى نور الاقاح

وله ايضا

وكانما رشأ الحمى لما بدا * لك فى مضاعفة الحديد المعلم

فى كلفيهم وفيها ابن الاشعث وتركت عملك ان تقاتل دونه * فشلا ولولا انت كان منيعا وقتلت وافد آل بيت محمد وسلبت أسيافاله ودروعا فلما صار مسلم الى باب القصر نظر الى قلة مبردة فاستسقاهم منها فمنعهم مسلم بن عمرو الباهلى وهو أبو قتيبة بن مسلم ان يسقوه فوجه عمرو ابن حريث فأتاه بماء فى قدح فلما رفعه الى فيه امتلأ القدح دما فصبه وملأه له الثانية فلما رفعه الى فيه سقطت ثناياه فيه وامتلأ دما فقال الحمد لله لو كان من الرزق المقسوم لشربته ثم أدخل الى ابن زياد فلما انقضى كلامه ومسلم يغلظ له فى الجواب امر به فأصعد الى أعلى القصر ثم دعا الاحمرى الذى ضربه مسلم فقال كن انت الذى تضرب عنقه لتأخذ بثارك من ضربته فأصعدوه الى اعلى القصر فضرب بكير الاحمرى عنقه فأهوى رأسه الى الارض ثم أتبعوا رأسه جسده ثم امر بهانئ بن عروة فاخرج الى السوق فضرب عنقه صبرا وهو يصيح يا آل مراد وهو شيخها وزعيمها وهو يومئذ يركب فى أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل واذا أجابتها أحلافها من كندة وغيرها كان فى ثلاثين ألف دارع فلم يجد زعيمهم منهم أحدا فشلا وخذلانا فقال الشاعر وهو يرثى هانئ بن عروة ومسلم بن عقيل ويذكر ما نالهما

غصب الغمام قسيه فاراكها * من حسن معطفه قويم الاسهم

وله ايضا

نظرت اليه فاتقاني بمقلة * تردالى نحري صدورر ماح
حميت الجفون بارشا الحمى * واظلمت ايامي وانت صباحي

وقال

قالوا تصيب طيور الجو اسهمه * اذا رماها فقلنا عندنا الخبر
تعلمت قوسها من قوس حاجبه * وأيد اسهم من الحاظه الحور
يروح في بردة كالنقس حالكة * كما اضاء بجنح الليلة القمر
وربما راق في خضراء مورقة * كما تفتح في اوراقه الزهر انتهى

وقال في ترجمة ابن اللبانة أبو الحسن شاعر سمع متقلد بالاحسان متشح أم الملوك والرؤساء ويمم تلك السعادة القعساء فانتجع مواقع خيرهم واقتطع ماشاء من ميرهم وتمادت أيامه الى هذا الاوان فحالت به في ميدان الهوان فكسد نفاقه وارتدت آفاقه وتوالى عليه حرمانه واخفاقه وأدركته وقد خبته سنونه وانتظرته منونه ومحاسنه كعهدها في الانتقاد وبعدها من الانتقاد وقد أثبت منها مايعذب جنى وقطافا ويستعذب باستنزالا واستلطافا فمن ذلك قوله يستنجد الامير الاجل أبا اسحق ابن أمير المسلمين

قل للاميرابن الامير بل الذي * أبدى به في المكرمات وفي الندى
والمجتني بالزرق وهي بنفسج * وردالجراح مضعفا ومنضدا
جاءتك آمال العفاة ظواميا * فاجعل لهامن ماءجودك موردا
وانثرعلى المداح سيبك انهم * نثروا المدائح لؤلؤا وزبرجدا
فالناس ان ظلموا فأنت هو الحمى * والناس ان ضلوا فأنت هو الهدى

أخبرني وزير السلطان أن هذه القطعة لما ارتفعت اعتنت بجملة الشعراء وشفعت فأنجز لهم الموعود وأورق لهم ذلك العود وكثر اللغط في تعظيمها واستجادة نظيمها وحصل له بها ذكر وانصقل له بسببها فكر وله من قطعة يصف بها سيفا

كل نهر توقدت شفرتاه * كاتقاد الشهاب في الظلماء
[illegible] كب فوق نار * أوكنار قدركبت فوق ماء

[illegible] المتقي

على [illegible] له من مصاب وجب * على من أصيب به المنتجب
وقلب فروق ولب خفوق * ونفس تشب وهم نصب
فقد خشعت للتقى هضبة * ذؤابتها في صميم العرب
من الحاملات محاريبها * هوادجها أبدا والقتب
من القائمات بظل الدجا * ولامن تسام الاالشهب
فكم ركعت اثرها في الدجا * تناجي بها ربها من كثب
وكم سكبت في أواني السجود * مدامع كالغيث لما انسكب
وقد خلفت ولدا باسلا * فصيحا اذا ماقرا أوخطب

الى بطل قد هشم السيف وجهه
وآخر يهوي في طمار قتيل
أصابهما أمر الامير فاصبحا
أحاديث من يسعى بكل سبيل
ترى جسدا قد غير الموت لونه
ونضح دم قد سال كل مسيل
أيتركُ أسماء المهايج آمنا
وقد طلبته مذحج بذحول
فتى هو أحيا من فتاة حيية
وأقطع من ذي شفرتين صقيل
ثم دعا ابن زياد بكير بن حمران الذي ضرب عنق مسلم فقال أقتلته قال نعم قال فما كان يقول وأنتم تصعدون به لتقتلوه قال كان يكبر ويسبح الله ويهلل ويستغفر الله فلما أدنيناه لنضرب عنقه قال اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وكذبونا ثم خذلونا وقتلونا فقلت الحمد لله الذي أقادني منك وضربته [illegible] أقفال لي [illegible] قال ابن زياد [illegible] الموت قال وضربته الثانية فقتلته ثم اتبعنا رأسه جسده وكان ظهور مسلم بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان ليال مضين من ذي الحجة سنة ستين وهو اليوم الذي ارتحل فيه الحسين من مكة الى الكوفة وقيل يوم الاربعاء يوم عرفة لتسع مضين من ذي الحجة سنة ستين ثم أمر ابن زياد

يفل السيوف بأقلامه * ويكسر صم القنا بالقصب

وكان القائد أبو عمرو عثمان بن يحيى بن ابراهيم أجل من جال في خلد واستطال على جلد رشأ يحيى باحتشامه ويسترد البدر بلثامه ويزري بالغصن تثنيه ويثمر الحسن لودنت قطوفه لمجتنيه مع لوذعية تخال الهاجر بالا وسجية يختال فيها الفضل اختيالا وكان قد بعد عن أسنا بحمص وانتضى من تلك القمص وكان بثغر الاشبونة فسده ولم ينفرج لنا من الانس بعده ما يستمد مده الى أن صدر فأسرع الينا وابتدر فالتقينا وبتنا ليلة نام عنها الدهر وغفل وقام لنا بما شئنا فيها وتكفل فبينا نحن نفض ختامها وننفض عنا غبار الوحشة وقتامها اذا أنا بابن لبان هذا وقد دخل اذنه علينا فأمرناه بالنزول وتلقيناه بالترحيب وأنزلناه بمكان من المسرة رحيب وسقيناه صغارا وكبارا وأريناه اعظاما واكبارا فلما شرب طرب وكلما كرعها التحف السلوة وتدرعها ومازال يشرب أقداحا وينشد فينا أمداحا ويفدي بنفسه ويبدي الاستزادة من أنسه فهتكنا الظلام بما أهداه من البديع واجتلينا محاسنه كالصريع وانفصلت ليلته عن أتم مسره وأعم مبره وارتحل عثمان أعزه الله الى ثغره وأقام به برهة من دهره فشدت بها اليه مجددا عهدا ومتضلعا من مؤانسته شهدا فكتب ابن لبان هذه القطعة من القصيدة يذهب الى شكره ويجتهد في تجديد ذكره

ماشام انسان انسان كعثمان * ولا كبغيته من حسن احسان

بدر السيادة يبدو في مطالعه * من المحاسن محفوفا بشهبان

له التمام وما بالافق من قمر * تم دون أن يرمى بنقصان

به الشبيبة تزهى من نضارتها * كما تساقط طل فوق بستان

معصفر الحسن للابصار ناصعه * كأنه فضة شيبت بعقيان

نبئت عنه بأنباء اذا نعتت * تعطلت نفحات المسك والبان

قامت عليه براهين تصدقها * كالشكل قام عليه كل برهان

قد زادها ابن عبيد الله من وضح * مازادت الشمس [illegible]

بالله بلغه تسليمي اذا بلغت * تلك الركاب و[illegible]

وليت أني لو شاهدت أنسكما * على كؤس و[illegible]

وألفاظ الكلم المنثور بينكما * كأنما هو مز[illegible]

لله درك يا ذا الخطتين لقد * خططت بالمدح فيه كل ديوان

كلا كما البحر في جود وفي كرم * أو الغمامة تسقي كل ظمآن

ان كان فارس هيجاء ومعترك * فانت فارس افصاح وتبيان

فاذكر أبا نصر المعمور منزله * بالرفد ماشئت من مثنى ووحدان

قصائد الاخي ودوان نزحت * بك الركاب الى أقصى خراسان

انتهى * وقال في ترجمة الاديب أبي بكر عبد المعطي بيت شعر ونباهه وأبو بكر ممن انتبه خاطره للبدائع أي انتباهه وله أدب باهر ونظم كما سفرت أزاهر وقد أثبت له جالا يبلغ

من رؤسهم الى دمشق فلما بلغ الحسين القادسية لقيه الحرث بن يزيد التميمي فقال له أين تريد يا ابن رسول الله قال أريد هذا المصر فعرفه بقتل مسلم وما كان من خبره ثم قال ارجع فاني لم أدع خلفي خيرا أرجوه لك فهم بالرجوع فقال له أخو مسلم والله لا نرجع حتى نصيب بثارنا أو نقتل كلنا فقال الحسين لا خير في الحياة بعدكم ثم سار حتى لقي خيل عبيد الله بن زياد عليها عمر بن سعد بن أبي وقاص فعدل الى كربلاء وهو في مقدار خمسمائة فارس من أهل بيته وأصحابه ونحو مائة راجل فلما كثرت العساكر على الحسين أيقن أنه لا محيص له فقال اللهم [illegible]

[illegible] الذي تولى قتله رجل من مذحج واحتز رأسه وانطلق به الى ابن زياد وهو يرتجز

أنا قتلت الملك المحجبا
قتلت خير الناس أما وأبا
وخيرهم اذ ينسبون نسبا

فبعث به زياد الى يزيد بن معاوية ومعه الرأس فدخل الى يزيد وعنده أبو بردة الاسلمي فوضع الرأس بين يديه فأقبل ينكث

آمالا فن ذلك قوله وقد اجتمعنا في ليلة لم يضرب لها وعد ولم يعزب عنها سعد وهو قعدي قد شب عن طوق الانس في الندى وما قال خلا عمرو ولا عدا والكهولة قد قبضته وأقعدته عن ذلك وما أنهضته

امام النثر والمنظوم فتح * جميع الناس ليل وهو صبح
له قلم جليل لايجاري * يقر بفضله سيف ورمح
يباري المزن ماسمحت سماحا * وان شحت فليس لديه شح

وكان مرتسما في عسكر قرطبة وكان ابن سراج يقوم له بكل ماينفي تطلبه خيفة من لسانه ومحافظة على احسانه ولما خرج الى اقليش خرج معه وجعل يساير من شيعه فلما حصلوا بفحص سرادق وهو موضع توديع المفارق للمفارق قرب منه أبو الحسين بن سراج لوداعه وأنشده في تفرق الشمل وانصداعه

هم رحلوا عنا لامر لهم عنا * فما أحد منهم على أحد حنا
وما رحلوا حتى استفادوا نفوسنا * كانهم كانوا أحق بها منا
فيا لكي نجد لتبعد داركم * ظننا بكم ظنا فاخلفتم الظنا
غدرتم ولم أغدر وخنتم ولم أخن * وقلتم ولم أعتب وجرتم وماجرنا
وأقسمتم أن لاتخونون في الهوى * فقد وذمام الحب خنتم وماخنا
ترى تجمع الايام بيني وبينكم * ويجمعنا دهر نعود كما كنا

فلما استتم انشاده لحق بالسلطان واعتذر اليه بمرض خلفه وهو يخاف تلفه فاذن له بالانصراف وكتب الى أبي الحسين بن سراج

أما والهدايا مارحلنا ولاحلنا * وان عزمن دون الترحل ماعنا
تركنا ثواب الفضل والعز للعزا * على مضض منا وعدنا كما كنا
وليس لنا منكم على البين سلوة * وان كان أنتم عندكم سلوة عنا

وجمعتنا عشية بربض الرحال بقرطبة ومعنا لمة من الاخوان وهو في جلتهم مناهض لاعيانهم وجلتهم بفضل أدبه وكثرة نخبه فجعل يرتجل ويروي وينشر محاسن الآداب ويطوي ويمتعنا بتلك الاخبار ويقطعنا منها جانب اعتبار ويطلعنا على اقبال الايام وعلى الادبار

أيا ابن عبد الله يا ابن الاكارم * لقد بخلت عنك صوب الغمائم
لك القلم الاعلى الذي عطل القنا * وفل ظبات المرهفات الصوارم
وأخلاقك الزهر الازاهر بالربا * ترف بشؤبوب الغيوث السواجم
بقيت لتشييد المكارم والعلى * تظاهرها بالسالف المتقادم

واجتمع عند أبيه لمة من أهل الادب وذوي المنازل والرتب في عشية غيم أعقب مطرا وخط فيه البرق أسطرا والبرد يتساقط كدر من نظام ويترآ كثنايا غادة ذات ابتسام وهو غلام ما انضا بردشبابه ولا انتضى مرهف آدابه فقال معرضا بهم ومتعرضا لتحقق أدبهم

كان الهواء غدير جامد * بحيث البرود تذيب البرد

قضيبك فطالما والله مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع فمه على فمه يلثمه وكان جميع من حضر مقتل الحسين من العساكر وحاربه وتولى قتله من أهل الكوفة خاصة لم يحضرهم شامي وكان جميع من قتل مع الحسين في يوم عاشوراء بكربلاء سبعة وثمانين منهم ابنه علي بن الحسين الاكبر وكان يرتجز يقول

انا علي بن الحسين بن علي
نحن وبيت الله أولى بالنبي
تالله لايحكم فينا ابن الدعي

وقتل من ولد أخيه الحسن ابن علي عبد الله بن الحسن والقاسم بن الحسن وابو بكر ابن الحسن ومن اخوته العباس بن علي وعبد الله ابن علي وجعفر بن علي وعثمان بن علي ومحمد بن علي وهو الاصغر ومن ولد جعفر بن ابي طالب محمد ابن عبد الله بن جعفر وعون ابن عبد الله بن جعفر ومن ولد عقيل بن ابي طالب عبد الله بن عقيل وعبد الله ابن مسلم بن عقيل وذلك لعشر خلون من المحرم سنة اربع وستين وقتل الحسين وهو ابن خمس وخمسين سنة وقيل ابن تسع وخمسين سنة وقيل غير ذلك ووجد بالحسين يوم قتل ثلاث وثلاثون طعنة واربع وثلاثون ضربة

خيوط وقد عقدت في الهواء * وراحة ريح تحل العقد

وشرب في دار ابن الاعلم في يوم لم ير الدهر قبله اساءه وليل نسخ نور انسه مساءه ومعهم جملة من الشعراء وجماعة من الوزراء منهم أبناء القبطرنة فوقع بينهم عتاب وتعذال وامتهان في ميدان المشاجرة وابتذال آل به الى تجريد السيف وتكدير ما صفا بذلك الحيف فسكنوه بالاستنزال ونهوه عن ذلك النزال وقال في المطمح في حق أبي بكر يحيى ابن بقي القرطبي صاحب الموشحات البديعة كان نبيل السيرة والنظام كثير الارتباط في سلكه والانتظام أحرز خصالا وطرز بمحاسنه بكرا وآصالا وجرى في ميدان الاحسان الى أبعد أمد وبنى من المعارف أثبت عمد الا أن الايام حرمته وقطعت حبل رعايته وصرمته فلم تتم له وطرا ولم تسجم عليه الحظوة مطرا ولا سوغت من الحرمة نصيبا ولا أنزلته مرعى خصيبا فصار راكب صهوات وقاطع فلوات لا يستقر يوما ولا يستحسن نوما مع توهم لا يظفره بأمان وتقلب ذهن كالزمان الا أن يحيى بن علي بن القاسم نزعه من ذلك الطيش وأقطعه جانبا من العيش ورقاه الى سمائه وسقاه صيب نعمائه وفيأه ظلاله وبوأه اثر النعمة يجوس خلاله فصرف به اقواله وشرف بعواقبه فعاله وأفرده منها بأنفس در وقصده منها بقصائد غر انتهى المقصود من ترجمته في المطمح * وقال في حقه في القلائد رافع راية القريض وصاحب آية التصريح فيه والتعريض أقام شرائعه وأظهر روائعه وصار عصيه طائعه اذا نظم أزرى بنظم العقود وأتى بأحسن من رقم البرود وطعا عليه حرمانه فما صفا له زمانه انتهى * وابن بقي المذكور هو القائل

بأبي غزال غازلته مقلتي * بين العذيب وبين شطي بارق

الابيات المذكورة في غير هذا الموضع ومن موشحاته قوله

عبث الشوق بقلبي فاشتكى * ألم الوجد فلبت أدمعي

أيها الناس فؤادي شغف

وهو من بغي الهوى لا ينصف

كم أداري به ودمعي يكف

أيها الشادن من علمكا * بسهام اللحظ قتل

بدر تم تحت ليل أغطش

طالع في غصن بان منتشي

أهيف القد بخد أرقش

ساحر الطرف وكم ذا فتكا * بقلوب الاسد بين الاضلع

أي ريم رمته فاجتنبا

وانثنى يهتز من سكر الصبا

كقضيب هزه ريح الصبا

قلت هب لي يا حبيبي وصلكا * واطرح أسباب هجري ودع

النخعي ثم نزل فاحتز رأسه وفي ذلك يقول الشاعر

وأي رزية عدلت حسينا
غداة تبيره كفا سنان

وقتل معه من الانصار أربعة وباقي من قتل معه من أصحابه على ما قدمنا من العدة من سائر العرب وفي ذلك يقول مسلم بن قتيبة مولى بني هاشم

عين جودي بعبرة وعويل
واندبي ان ندبت آل الرسول

وابن عم النبي غوثا أخاهم
ليس فيما ينوب بالمخذول

وسمي النبي غودر فيهم
قد علوه بصارم مصقول

واندبي كهلهم فليس اذا ما
عد في الخير كهلهم كالكهول

لعن الله حيث كان زيادا
وابنه والعجوز ذات البعول

وأم عمرو بن سعد أصحابه أن يوطئوا خيلهم الحسين

[illegible]

أهل الغاضرية وهم قوم من بني غامر من بني أسد الحسين وأصحابه بعد قتلهم بيوم وكان عدة من قتل من أصحاب سعد في حرب الحسين عليه السلام ثمانية وثمانين رجلا

 (ذكر أسماء ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه) الحسن والحسين ومحسن وأم كلثوم الكبرى

وزينب الكبرى أمهم الحنفية وقيل ابنة جعفر ابن قيس بن مسلمة الحنفي وعبد الله وأبو بكر أمهما ليلى بنت مسعود النهشلي وعمر ورقية أمهما تغلبية ويحيى وأمه أسماء بنت عميس الخثعمية وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب أن جعفرا الطيار استشهد وخلف عليها عونا ومحمدا وعبد الله وأن عقب جعفر منها من عبد الله ابن جعفر ان أبا بكر الصديق تزوجها بعده وخلف عليها محمدا ثم تزوجها على فخلف عليها يحيى وانها ابنة العجوز الجرسية التي كانت أكرم الناس أصهارا وقد تقدم فيما سلف من هذا الكتاب تسمية أصهار العجوز الجرسية وان أولهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعفر والعباس وعبد الله أمهم أم البنين بنت حرام الوحيدية ورملة وأم الحسن أمهما أم سعد بنت عروة ابن مسعود الثقفي وأم كلثوم الصغرى وزينب وجمانة وميمونة وخديجة وفاطمة أم الكرام ونفيسة وأم سلمة وأم أبيها وقد أتينا على أنساب آل أبي طالب ومن أعقب منهم ومصارعهم وغير ذلك من أخبارهم في كتابنا أخبار الزمان (والعقب) لعلى من خمسة الحسن والحسين ومحمد

قال خدى زهره مذ فوقا
جردت عيناى سفا مرهفا
حذرا منه بأن لا يقطفا
ان من رام جناه هلكا * فأزل عنك علال الطمع
ذاب قلبي في هوى ظبي غرير
وجهه في الدجن صبح مستنير
وفؤادى بين كفيه أسير
لم أجد للصبر عنه مسلكا * فانتصارى بانسكاب الادمع

وقال رحمه الله تعالى

خذ حديث الشوق عن نفسي * وعن الدمع الذى همعا
ماترى شوقى قد اتقدا
وهمى بالدمع واطردا
واغتدى قلبي عليك سدا
آه من ماء ومن قبس * بين طرفي والحشا جمعا
بأبى ريم اذا سفرا
أطلعت أزراره قمرا
فاحذروه كلما نظرا
فبألحاظ الجفون قسى * انا منها بعض من صرعا
أرتضيه جار أو عدلا
قد خلعت العذر والعذلا
انما شوقى اليه جلا
كم وكم أشكو الى اللعس * ظمئ لو أنه نفعا
صال عبد الله بالحور
وبطرف فاتر النظر
حكمه في انفس البشر
مثل حكم الصبح في الغلس * ان تجلى نوره صدعا
شبهته بالرشا الامم
فلعمرى أنهم ظلموا
فتغنى من به السقم
أى ظبي القفر والكنس * من غزال في الحشا رتعا

انتهى وله أيضا

ماردنى لابس * ثوب الضنا الدارس * الاقمر
فى غصن مائس * شعاعه عاكس * ضوء البصر

أسير كالسيل * اليه لاباع * الا وداد
والطيف فى خيل * لهن اسراع * مع الرقاد
يا كوكب الليل * ان كنت ترتاع * فلم فؤادى
كالاسد العابس * لكنه خانس * من الحسود

ومن نظمه قصيدة مدح يحيى بن على بن القاسم المذكور بها منها فى المديح قوله

نوران ليسا يحجبان عن الورى * كرم الطباع ولاجمال المنظر
وكلاهما اجتمعا ليحيى فابدع * كتمان نور علائه المتشهر
فى كل أفق من جمال ثنائه * عرف يزيد على دخان المجمر
ردنى شمائله ورد فى جوده * بين الحديقة والغمام الممطر
يد رعليه من الوقار سكينة * فيها القيطة كل ليث مخدر
مثل الحسام اذا انطوى فى غمده * ألقى المهابة فى نفوس الحضر
أربى على المزن الملث لانه * أعطى كما أعطى ولم يستعبر

ومنها

أقبلت من تاد الجود لك انه * صوب الغمامة بل زلال الكوثر
ورأيت وجه النجع عندك أبيضا * فركبت نحوك كل لج أخضر

وهى طويلة وقوله أربى على المزن الملث البيت هو معنى تلاعب الشعراء بكرته وأورده كل منهم على حسب مقدرته فقال بعض

من قاس جدواك بالغمام فما * أنصف فى الحكم بين شيئين
أنت اذا جدت ضاحك أبدا * وهو اذا جاد دامع العين

وقال آخر

مانوال الغمام يوم ربيع * كنوال الامير يوم سخاء
فنوال الامير بدرة عين * ونوال الغمام قطرة ماء

وهما من شواهد البديع وقال أبو عبد الله الحوضى التلمسانى فى قصيدة مدح بها سلطان تلمسان أبا عبد الله الزيانى

أصبح المزن من عطائك يحكى * يوم الاثنين للانام عطاء
كيف يدعى لك الغمام شبيها * ولقد فقته سناء وسنا
أنت تعطى اذا تقصر مالا * وهو يعطى اذا تطول ما

(رجع) وذكر العماد فى الخريدة ابن بقى المذكور وأورد له جملة من المقصب ومحاسنه كثيرة رحمه الله تعالى وبقى على وزن على (رجع الى بنى عباد رحمهم الله تعالى) وقال ابن اللبانة فى بنى عباد ما نصه عباد أصفهم وأحليهم وأى منقبة من الجلالة أوليهم فهم القوم الذين تجل مناقبهم عن العد والاحصاء ولا يتعرض لها بالاستيفاء والاستقصاء ملوك بهم زينت الدنيا وتحلت وترقت حيث شاءت وحلت ان ذكرت الحروب فعليهم يوقف منها الخبر اليقين او عدت المآثر فهم فى ذلك فى درجة السابقين أصبح الملك بهم مشرق القسام والايام ذات بهجة وابتسام حتى أناخ بهم الحمام وعطل من محاسنهم الوراء والامام فنقل الى العدم وجودهم ولم يرع باسهم وجودهم وكل ملك آدمى ففقود وما نؤخره الا لاجل

وأنساب غيرهم من قريش بنى هاشم وغيرهم الزبير ابن بكار فى كتابه فى أنساب قريش وأحسن من هذا الكتاب فى انساب آل أبى طالب الكتاب الذى سمع من طاهر بن يحيى العلوى الحسينى بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم وقد صنف فى انساب آل ابى طالب كتب كثيرة منها كتاب العباس من ولد العباس بن على وكتاب أبى على الجعفرى وكتاب المهلوى العلوى من ولد موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وفى قتيل الطف يقول سليمان ابن قبة يرثيه على ماذكره الزبير بن بكار فى كتاب أنساب قريش من أبيات

...

فان يتبعوه عائذ البيت يصبحوا
كعاد تعمت عن هداها فضلت
الم تران الارض أضحت مريضة
بقتل حسين والبلاد اقشعرت
فلا يبعد الله الديار واهلها * وان أصبحت منهم برغمى تخلت

(ذكر لمع من أخبار يزيد وسيره ونوادر من بعض أفعاله)

معدود فأول ناشئة ملكهم ومحصل الامر تحت ملكهم عظيمهم الاكبر وسابقة شرفهم الاجل الاشهر وزينهم الذي يعد في الفضائل بالوسطى والمختصر محمد بن عباد ويكنى أبا القاسم واسمه والده اسمعيل ومن شعره قوله

يا حبذا الياسمين اذ يزهر * فوق غصون رطيبة نضر
قد امتطى للجمال ذروتها * فوق بساط من سندس أخضر
كانه والعيون ترمقه * زمرد في خلاله جوهر

انتهى ولنذكر كلام ابن اللبانة وغيره في حقهم فنقول وصف المعتضد رحمه الله تعالى بما صورته المعتضد أبو عمرو عباد رحمه الله تعالى لم تخل أيامه في أعدائه من تقييد قدم ولا عطل سيفه من قبض روح وسفك دم حتى لقد كانت في باب داره حديقة لا تثمر الا روسا ولا تنبت الا رئيسا ومروسا فكان نظره اليها أشهى مقترحاته وفي التلفت اليها استعمل جل بكره وروحاته فبكى وأرق وشتت وفرق ولقد حكى عنه من أوصاف التجبر ما ينبغي أن تصان عنه الاسماع ولا يتعرض له بتصريح ولا الماع ومن نظمه عفا الله عنه

أتتك أم الحسن * تشدو بصوت حسن
تمد في الحانها * من الغناء المدني
تقود مني ساكنا * كأنني في رسن
أوراقها أستارها * اذا شدت في فنن

وقوله شربنا وجفن الليل يغسل كحله * بماء صباح والنسيم رقيق
معتقة كالتبر أما بخارها * فضخم وأما جسمها فرقيق

وقوله قد وجدنا الحبيب يصفي وداده * ووجدنا ضميره واعتقاده
قرب الحب من فؤاد محب * لا يرى هجره ولا ابعاده

وقال عند حصول رندة في ملكه

لقد حصلت يارنده * فصرت لملكنا عقده
افادتناك أرماح * وأسياف لها حده

وقال رحمه الله تعالى

اشرب على وجه الصباح * وانظر الى نور الاقاح
واعلم بأنك جاهل * مالم تقل بالاصطباح
فالدهر شي بارد * مالم تسخنه براح

انتهى ومن حكايات المعتضد عباد ما ذكره غير واحد أن ابن جاخ الشاعر ورد على حضرته فدخل الدار المخصوصة بالشعراء فسألوه فقال اني شاعر فقالوا أنشدنا من شعرك فقال

اني قصدت اليك يا عباد * قصد القليق بالجرى للوادى

فضحكوا منه وازدروه فقال بعض عقلائهم دعوه فان هذا شاعر وما يبعد ان يدخل مع الشعراء ويندرج في سلكهم فلم يبالوا بكلام الرجل وتنادروا على المذكور فبقي معهم وكان لهم في تلك الدولة يوم مخصوص لا يدخل فيه على الملك غيرهم وربما كان يوم الاثنين فقال

البلدان وأمراء الاجناد لتعزيته بأبيه وتهنئته بالامر فلما كان في اليوم الرابع خرج شعثا أغبر فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان معاوية كان حبلا من حبال الله مده الله ما شاء أن يمده ثم قطعه حين شاء أن يقطعه وكان دون من قبله وخير من بعده ان يغفر الله له فهو أهله وان يعذبه فبذنبه وقد وليت الامر بعده ولست أعتذر من جهل ولا أشتغل بطلب علم فعلى رسلكم فان الله اذا أراد شيأ كان اذكروا الله واستغفروه ثم نزل ودخل منزله ثم أذن للناس فدخلوا عليه لا يدرون أيهنئونه أم يعزونه فقام عصام بن أبي صيفي فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته أصبحت قد رزئت خليفة الله وأعطيت خلافة الله ومنحت هبة الله قضى معاوية نحبه فغفر الله له ذنبه وأعطيت بعده الرياسة فاحتسب عند الله أعظم الرزية واحمده على أفضل العطية فقال يزيد ادن مني يا ابن أبي صيفي فدنا حتى جلس قريبا منه ثم قام عبد الله بن مازن فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين رزئت خير

بعض لبعض هذه شنعة بنا ان يكون مثل هذا البادي يقدم علينا ويجترئ على الدخول معنا فاتفقوا على ان يكون هو أول متكلم في اليوم المخصوص بهم عند جلوس السلطان وقدروا أن يقول مثل ذلك الشعر المضحك فيطرده عنهم ويكون ذلك حسما لعلة اقدام مثله عليهم فلما كان اليوم المذكور وقعد السلطان في مجلسه ونصب الكرسي لهم وغبوا منه أن يكون هذا القادم أول متكلم في ذلك اليوم فأمر بذلك فصعد الكرسي وانتظروا أن ينشد مثل الشعر المضحك المتقدم فقال

قطعت يا يوم النوى أكبادي * وحرمت عن عيني لذيذ رقادي
وتركتني أرعى النجوم مسهدا * والنار تضرم في صميم فؤادي
فكأنما آلى الظلام أليته * لا ينجلي الا الى ميعاد
لي بين بين أين تقتاد النوى * ابلى الذين تحملوا بسعاد
ولرب خرق قد قطعت نياطه * والليل يرفل في ثياب حداد
بشملة حرف كأن زميلها * سرح الرياح وكل برق غادي
والنجم يحدوها وقد ناديتها * يا ناقتي عوجي على عباد
ملك اذا ما أضرمت نار الوغى * وتلاقت الاجناد بالاجناد
فترى الجسوم بلا رؤس تنثني * وترى الرؤس لقى بلا أجساد
يا أيها الملك المؤمل والذي * قدما سما شرفا على الانداد
ان القريض لكاسد في أرضنا * وله هنا سوق بغير كساد
فجلبت من شعري اليك قوافيا * يفني الزمان وذكرها متمادي
من شاعر لم يضطلع أدبا ولا * خطت يداه صحيفة بمداد

فقال له الملك أنت ابن جاخ فقال نعم فقال اجلس فقد وليتك رياسة الشعراء وأحسن اليه ولم يأذن في الكلام في ذلك اليوم لاحد بعده انتهى (رجع الى أخبار بقية بني عباد) المعتمد على الله ابو القاسم محمد بن المعتضد ابي عمرو عباد ابن القاضي ابي القاسم بن عباد رحمه الله تعالى ملك مجيد واديب على الحقيقة مجيد وهمام [illegible] افنى الطغاة بسيفه وأباد وأنسى بسيبه ذكر الحرث بن عباد فا[illegible] وغررا ونظم معاليه في اجيادها جواهر ودررا وشيد في كل مع[illegible] مستغربة وبادرة مستظرفة اوقاته وآناءه فنفقت به للعامد [illegible] احسانه اي بسوق منع وقرى وراش وبرى ووصل وفرى وكان له من ابنائه عدة أقمار نظمهم نظم السلك وزين بهم سماء ذلك الملك فكانوا معاقل بلاده وحماة طارفه وتلاده الى أن استدار الزمان كهيئته واخذ البؤس في فيئته واعتز الخلاف وظهر وسل الشتات سيفه وشهر والمعتمد رحمه الله تعالى يطلب نفسه أثناء ذلك بالثبات بين تلك الثبات والمقام في ذلك المقام الى أن بدل القطب بالواقع واتسع الخرق على الراقع فاستعضد بابن تاشفين فورد عليه كتابه يشعره بالوفاء فثاب اليه فكر خاطره وفاء وثبت خلال تلك المدة للنزال ودعا من رام حربه نزال الى أن أصبح والحروب قد نهبته والايام

الآباء وسميت خير الاسماء ومنحت أفضل الاشياء فهنأك الله بالعطية وأعانك على الرعية فقد أصبحت قريش مفجوعة بعد سائسها مسرورة بما احسن الله اليها من الخلافة بك والعقبى من بعده ثم انشأ يقول

الله اعطاك التي لا فوقها
وقد اراد الملحدون عوقها
عنك فيأبى الله الا سوقها
اليك حتى قلدوك طوقها

فقال له يزيد ادن مني يا ابن مازن فدنا منه حتى جلس قريبا منه ثم قام عبد الله بن همام فقال آجرك الله يا أمير المؤمنين على الرزية وصبرك على المصيبة وبارك لك في العطية ومنحك محبة الرعية مضى معاوية لسبيله غفر الله له واورده موارد السرور ووفقك لصالح السياسة أصبت بأعظم المصائب ومنحت أفضل الر[illegible] بك ويحفظك ويحفظ لك وعليك وانشأ يقول

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة
واشكر حباء الذي بالملك أصفاكا
أصبحت لا رزء في الاقوام نعلمه
كما رزئت ولا عقبى كعقباكا
أعطيت طاعة خلق الله كلهم * وانت ترعاهم والله يرعاكا
وفي معاوية الباقي لنا خلف * اذا نعيت ولا نسمع بمنعاكا

تسترجع منه ما وهبته فتل ذلك العرش واعتدت الليالي حين أمنت من الارش فنقل من صهوات الخيول الى بطون الاجفان وهذه الدنيا جميع ما لديها زائل وكل من عليها فان فما اغنت تلك المملكة وما دفعت وليتها ما ضرت اذ لم تكن نفعت وكل يلقى مجله ومؤجله ويبلغ الكتاب أجله * وقال الفقيه القاضي أبو بكر بن خميس رحمه الله تعالى حين ذكر تاريخ بني عباد وقد ذكر الناس للمعتمد من أوصافه ما لا يبلغ مع كثرته الى انصافه وأنا الآن أذكر نبذا من أخباره وأردفها بما وقفت عليه من منظومات أشعاره فانه رحمه الله تعالى جم الادب رائقه عالي النظم فائقه كان يسمى بمحمد ويكنى بابي القاسم على كنية جده القاضي استبد بالامر عند موت أبيه المعتضد وفي ذلك يقول الحصري رحمه الله تعالى

مات عباد ولكن * بقي الفرع الكريم * فكأن الميت حي * غير أن الضاد ميم

قال ابن اللبانة رحمه الله تعالى ولم يزل المعتمد بخير الى أن كانت سنة خمس وسبعين وأربعمائة ووصل اليهودي ابن شاليب لقبض الجزية المعلومة مع قوم من رؤساء النصارى وحلوا بباب من ابواب اشبيلية فوجه لهم المعتمد المال مع جماعة من وجوه دولته فقال اليهودي والله لا اخذت هذا العيار ولا آخذ منه الا مصيرا وبعد هذا العام لا آخذ منه الا أجفان البلاد ردوه اليه فرد المال الى المعتمد وأعلم بالقصة فدعا بالجند وقال ائتوني باليهودي وأصحابه واقطعوا احبال الخباء ففعلوا وجاؤا بهم فقال اسجنوا النصارى واصلبوا اليهودي الملعون فقال اليهودي لا تفعل وأنا أفتدي منك بزنتي مالا فقال والله لو اعطيتني العدوة والاندلس ما قبلتهما منك فصلب فبلغ الخبر النصراني فكتب فيهم فوجه اليه بهم فاقسم النصراني أن يأتي من الجنود بعدد شعر رأسه حتى يصل الى بحر الزقاق وأمير المسلمين يوسف بن تاشفين اذ ذاك محاصر سبتة فجاز المعتمد اليه ووعده بنصرته فرجع وحث ملوك الاندلس على الجهاد ثم وصل الى ابن تاشفين فكانت غزوة الزلاقة المشهورة ورجع ابن تاشفين الى المغرب ثم جاز بعد ذلك الى الاندلس وتوهم ابن عباد انه اذا أخذ البلاد يأخذ أموالها ويترك الاجفان فعزم ابن تاشفين على ان يخلع ملوك الاندلس ودارت اذ ذاك مكايد جمة ثم وجه ابن تاشفين من سبتة الى المعتمد يطلب منه الجزيرة الخضراء وفيها ابنه يزيد فكتب اليه معتذرا منها فلم يكن الا كلمح البصر واذا بمائة شراع قد أطلت على الجزيرة فطير ابنه الحمام اليه فأمره باخلائها فظهر عند ذلك ابن تاشفين وقيل انه لم يجز المرة الاولى حتى طلب من المعتمد الجزيرة لتكون عدة له وكان ذلك بدسيسة بعض أهل الاندلس نصحا لابن تاشفين ثم شرع ابن تاشفين في خلع ملوك الاندلس وقتالهم وأرسل الى كل مملكة جماعة من أهل دولته وأجناده يحاصرونها وأرسل الى حضرة المعتمد اشبيلية وشرع في قتالها والناس قد ملوا الدولة العبادية وسئموها على ما جرت به العادة من حب الجديد لاسيما وقد ظهر من ابن عباد من التهتك في الشرب والملاهي ما لا يخفى أمره فتمنى أكثر الناس الراحة من دولتهم ولما اشتد مخنق المعتمد وجهه عن النصارى فاعلمهم ابن تاشفين من لقيهم في الطريق فهزمهم وجهز ابن تاشفين القطائع لاشبيلية وجد في حصارها والمعتمد مع ذلك منغمس في لذاته

وقد

فقال له يزيد ادن مني يا ابن ارتفع من مجلسه أمر لكل واحد منهم بمال على مقداره في نفسه ومحله في قومه وزاد في اعطائهم ورفع مراتبهم وقد اتينا في كتابنا اخبار الزمان على ما كان من خبر يزيد وغيبته في حال وفاة ابيه معاوية ومسيره من ناحية حمص حتى بلغه ما بابيه من العلة ووروده على ثنية العقاب من ارض دمشق فأغنى ذلك عن اعادة هذا الخبر في هذا الكتاب وذكر عدة من الاخباريين واهل السير ان عبد الملك بن مروان دخل على يزيد فقال ارضا لك الى جانب ارضي لي ولي فيها سعة فأقطعنيها فقال يا عبد الملك انه لا يتعاظمني كبير ولا اخدع من صغير فأخبرني عنها والا سألت غيرك فقال ما بالحجاز أعظم منها قدرا قال قد أقطعتك ... ر عبد الملك ودعا له فلما ولى قال يزيد ان الناس يزعمون ان هذا يصير خليفة فان صدقوا فقد صانعناه وان كذبوا فقد وصلناه وكان يزيد صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب وجلس ذات يوم على شرابه وعن يمينه ابن زياد وذلك بعد قتل الحسين فاقبل على ساقيه فقال

وقد ألقى الامور بيد ابنه الرشيد فلم يشعر ابن عباد الا والعسكر معه فى البلدة فأفاق من نومه
وصحا من سكره وركب فرسه وحسامه فى يده وليس عليه الا ثوب واحد فوافق العسكر قد
دخل من باب الفرج ووافى هنالك طبالا فضربه بسيفه ضربة قسمه بها نصفين ففر الناس أمامه
وترامو من السور ووقف حتى بان الباب وفى ذلك يقول الابيات المذكورة فيما يأتى ان
يسلب القوم العدا الى آخره فلما وصل الى الصباغ بن وجد ابنه مالكا مقتولا فاسترجع له ودخل
القصر وزاد الامر بعد ذلك ودخل البلد من كل جهاته فطلب الامان له ولمن معه فامن وجميع
من له وأعدت له مراكب واجتاز الى طنجة فلقيه الحصرى الشاعر وكان قد ألف له كتاب
المستحسن من الاشعار فلم يقض بوصوله اليه الا وهو على تلك الحالة فلما أخذ المعتمد
الكتاب قال للحصرى ارفع ذلك البساط فخذ ما تحته فوالله ما أملك غيره فوجد تحته جملة مال
فأخذه ثم انتقل حتى وصل أغمات ولم يزل بها الى أن مات رحمه الله تعالى * وقال الفتح
فى ترجمته ما نصه ملك قمع العدا وجمع البأس والندى وطلع على الدنيا بدرا وهدى لم
يتعطل يوما كفه ولا بنانه آونة يراعه وآونة سنانه وكانت أيامه مواسم وثغوره بواسم
ولياليه كلها دررا وللزمان تحجولا وغررا لم يغفلها من سمات عوارف ولم يضحها من ظل
ايناس وارف ولا عطلها من مأثرة بقى أثرها باديا ولقى مقتفيه منها الى الفضل هاديا
وكانت حضرته مطمعا للهمم ومسرحا لآمال الامم ومقذفا لكل كمى وموقفا لكل ذى
أنف حمى لم تخل من وفد ولم يصح جوها من انسجام رفد فاجتمع تحت لوائه من جماهير
الكماة ومشاهير الحماة أعداد يغص بهم الفضاء وأنجاد يزهى بهم النفوذ والمضاء
وطلع فى سمائه كل نجم متقد وكل ذى فهم منتقد فأصبحت حضرته ميدانا لرهان الاذهان
ومضمارا لاحراز الخصل فى كل معنى وفصل فلم يلتحق بزمامه الا كل بطل نجد ولم يتسق
فى نظامه الا ذكاء ومجد فأصبح عصره أجمل عصر وغدا مصره أكمل مصر تسفح فيه ديم
الكرم ويفصح فيه لسان سيف وقلم ويفضح الرضا فى وصفه أيام ذى سلم وكان قومه
وبنوه لتلك الحلبة زينا ولتلك الجملة عينا ان ركبوا خلت الارض فلكا يحمل نجوما
وان وهبوا رأيت الغمام سجوما وان أقدموا أحجم عنترة العبسى وا
الاوسى ثم انحرفت الايام فالوت باشراقه وأذوت يانع ايراقه فلم ي
ولم تنفع تلك المنن الجسام فتملك بعد الملك وحط من فلكه الى الفلك
الرياح وناهضا بجيشه البكاء والصياح قد ضحت عليه أياديه وارتجت جوانب ناديه
وأضحت منازله قد بان عنها الانس والحبور وألوت بهجتها الصبا والدبور فبكت العيون
عليه دما وعاد موجود الحياة عدما وصار أحرار الدهر فيه خدما فسحقا للدنيا ما رعت
حقوقه ولا ابقت شروقه فكم أحياها ابنيها وابداها رائقة لمجتنيها وهى الايام لا يتقى
من تجنيها ولا تبقى على مواليها ومدانيها ادثرت آثار جلق وانهدت نار المحلق وذلت
عزة ابن شداد وهدت القصر ذا الشرفات من سنداد ونعمت ببؤس النعمان وأكنت
غدرها له فى طلب الامان انتهى ثم ذكر الفتح من أخباره وأشعاره ومجالس انسه وغير
ذلك من أمره نبذا ذكرنا بعضها فى هذا الكتاب * وقال فى ترجمة ابنه الراضى بالله أبى خالد

ثم أم المغنين فغنوا
وغلب على اصحاب
يزيد وعماله ما كان يفعله
من الفسوق وفى أيامه
ظهر الغناء بمكة والمدينة
واستعملت الملاهى وأظهر
الناس شرب الشراب
وكان له قرد يكنى بأبى
قيس يحضره مجلس منادمته
ويطرح له متكأ وكان
قردا خبيثا وكان يحمله
على أتان وحشية قد ريضت
وذللت لذلك بسرج ولجام
ويسابق بها الخيل يوم
الحلبة فجاء فى بعض الايام
سابقا فتناول القصبة
ودخل الحجرة قبل الخيل
وعلى أبى قيس قباء من
الحرير الأحمر والاصفر
مشمر وعلى رأسه قلنسوة
من الحرير ذات ألوان
بشقائق وعلى الاتان

بعض
شعراء الشام فى ذلك اليوم
تمسك أبا قيس بفضل
عنانها
فليس عليها ان سقطت ضمان
الا من رأى القرد الذى
سبقت به
جياد أمير المؤمنين أتان
وفى يزيد وتملكه وتجبره

وانقياد الناس الى ملكه يقول الاخوص ملك تدين له الملوك مبارك * كادت لهيبته الجبال تزول

يزيد بن المعتمد ما نصه ملك تفرع من دوحة سناء أصلها ثابت وفرعها فى السماء وتحدر من سلالة أكابر ورقاة أسرة ومنابر وتصرف أثناء شبيبته بين دراسة معارف وافاضة عوارف وكلف بالعلم حتى صار ملهج لسانه وروضة أجفانه لا يستريح منه الا الى فرس سائل الغرة ميمون الاسرة يسابق به الرياح ويحاسن بغرته البدر اللياح عريق فى السناء عتيق الاقتناء سريع الوخد والارقال من آل عوج أو ولد المقال الى أن ولاه أبوه الجزيرة الخضراء وضم اليها رندة الغراء فانتقل من متن الجواد الى ذروة الاعواد واقلع عن الدراسة الى تدبير الرياسة ومازال يدبرها بجوده ونهاه ويورد الآمل فيها مناه حتى غدت عراقا وامتلأت اشراقا الى أن اتفق فى أمر الجزيرة ما اتفق وخاب فيها الرجاء وأخفق واستحالت بهجتها وأحالت عليها من المحال لجتها فانتقل الى رندة معقل أشب ومنزل للسماك منتسب وأقام فيها وهى بين حصار وهو بين حماة وأنصار ولقيت ريحه كل اعصار حتى رمته سهام الخطوب عن قسيها وامكنت منه يدى مسيها فخوى رمسه وطواه عن غداه أمسه حسبما بسطنا القول فيه فيما مر من أخبار أبيه انتهى والذى أشار اليه هنا وأحال عليه فيما تقدم له من أخبار المعتمد هو قوله بعد حكايته قتل المأمون ابن المعتمد بقرطبة وسياقه أخبار ذلك ما نصه ثم انتقلوا الى رندة احدى معاقل الاندلس الممتنعه وقواعدها السامية المرتفعه تطرد منها على بعد مرتقاها ودنو النجوم من ذراها عيون لانصبابها دوى كالرعد القاصف والرياح العواصف ثم تتكون واديا يلتوى بجوانبها التواء الشجاع ويزيدها فى التوعر والامتناع وقد تجوفت نواحيها وأقطارها وتكونت فيها لبانتها وأوطارها لا يتعذر لها مطلب ولا يتصور فيها عدو الا عقله ناب أو مخلب فلما أناخوا منها على بعد وأقاموا من الرجاء فيها على غير وعد وفيها ابنه الراضى لم يحفل بأناختهم بازائه ولا عدها من أرزائه لامتناعه من منازلتهم وارتفاعه عن مطاولتهم الى أن انقضى فى أمر اشبيلية ما انقضى وأفضى أمر أبيه الى ما أفضى فحمل على مخاطبته لينزل عن صياصيه ويمكنهم من نواصيه فنزل برابيه وأبقى على أرماق ذويه بعد أن عاقدهم مستوثقا وأخذ عليهم عهدا من الله وموثقا فلما وصل اليهم وحصل فى يديهم مالوا به عن الحصن وجرعوه الردى وأقطعوه الثرى حين اودى وفى ذلك يقول المعتمد يرثيهما وقد رأى قرية نائحة بشجنها نائحة بفنائها على سكنها وامامها وكرفيه طائران يرددان نغما ويغردان ترحة وترغما

بكت أن رات الفين ضمهما وكر * مساء وقد اخنى على الفها الدهر
وناحت فباحت واستراحت بسرها * وما نطقت حرفا يباح به سر
فمالى لا ابكى ام القلب صخرة * وكم صخرة فى الارض يجرى بها نهر
بكت واحدا لم يشجها غير فقده * وابكى لآلاف عديدهم كثر
بنى صغير اوخليل موافق * يمزق ذا فقر ويغرق ذا بحر
نجمان زين للزمان احتواهما * بقرطبة النكداء أورندة القبر
غدرت اذن ان ضن جفنى بقطرة * وان لؤمت نفسى فصاحبها الصبر

تجرى له بلخ ودجلة كلها وله الفرات وما سقى والنيل وقيل ان الاخوص قال هذا فى معاوية بعد وفاته يرثيه ولما قتل الحسين بن على رضى الله عنهما بكربلاء وحمل رأسه ابن زياد الى يزيد خرجت بنت عقيل بن ابى طالب فى نساء من قومها حواسر لما قد ورد عليهن من قتل السادات وهى تقول

ماذا تقولون ان قال النبى لكم
ماذا فعلتم وأنتم آخر الامم
بعترتى وباهلى بعد مفتقدى
نصف أسارى ونصف ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائى اذ نصحت لكم
أن تخلفونى بشر فى ذوى رحمى

وفى فعل ابن زياد بالحسين يقول ابو الاسود الدؤلى من قصيدة

أقول وذاك من جزع ووجد
أزال الله ملك بنى زياد
وأبعدهم بما غدروا وخانوا
كما بعدت ثمود وقوم عاد

ولما شمل الناس جور يزيد وعماله وعمهم ظلمه وما ظهر من فسقه من قتله ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصاره وما ظهر من شرب الخمور وسيره سيرة فرعون بل كان فرعون أعدل منه فى رعيته وانصف منه لخاصته وعامته أخرج أهل المدينة عامله عليهم وهو عثمان بن محمد بن أبى سفيان فقل

فقل للنجوم الزهر تبكيه سامعي * لمثاهما فالحزن للانجم الزهر

انتهى * وقال في ترجمة الراضي ماصورته وكان المعتمد رحمه الله تعالى كثيرا ما يرميه بملامه ويصميه بسهامه فربما استلطفه بمقال أفصح من دمع المحزون وأملح من روض الحزون فانه كان ينظم من بديع القول لآلئ وعقودا تسل من النفوس سخائم وحقودا وقد أثبت من كلامه في بث آلامه واستجارة عذله وملامه ما تستبدعه وتحله النفوس وتودعه فمن ذلك ما قاله وقد أنهض جماعة من اخوته وأقعده وأدناهم وأبعده

اعيذك أن يكون بنا خمول * ويطلع غيرنا ولنا افول

حنانك ان يكن جرمي قبيحا * فان الصفح عن جرمي جميل

ألست بفرعك الزاكي وماذا * يرجى الفرع خانته الاصول

ثم قال الفتح بعد كلام ومرت عليه يعني الراضي هوادج وقباب فيها حبائب كن له وأحباب الفهن أيام خلائه من دوله وجال معهن في ميدان المنى أعظم جوله ثم انتزعوا منه بعده واودعوا الهوادج من بعده ووجهوا هدايا الى العدوة والمواهب المسام قريش بدار الندوة فقال

مروا بنا أصلا من غير ميعاد * فاوقدوا نار قلبي أي ايقاد

وأذكروني اياما لهوت بهم * فيها ففازوا بايثاري واحمادي

لاغرو ان زاد في وجدي مرورهم * فرؤية الماء تذكي غلة الصادي

ولما وصل العدو لورقة اعلم أن العدو قد جيش لها واحتشد ونهد نحوها وقصد ليتركها خاوية على عروشها طاوية الجوانح على وحوشها فتعرض له العدو دون بغيته وطلع عليه من ثنيته وأمر الراضي بالخروج اليه في عسكر جرده لمحاربته وأعده لمصادمته ومضاربته فاظهر التمرض والتشكي وأضمر التقاعس والتلكي فرارا من المصادمة واجماما عن المساومة وجزعا من منازلة الاقران ومقابلة ذوابل المران ومقاساة الطعان وملاقاة أبطال كالرعان ورأى أن المطالعة أرجح من المقارعة ومعاناة العلوم أربح من مداواة الكلوم فقد كان عاكفا على تلاوة وديوان عارفا باجادة صدر وعنوان فعلم المعتمد ما نواه وتحقق ما لواه فأعرض عنه ونفض يده منه وتوجه المعتمد مع ذلك الجيش الذي لم تنشر بنوده ولا نصرت جنوده فعندما لاقوا العدو لاذوا بالفرار وعاذوا بغط القرار وتفرقوا في تلك الافاريت وفرقوا من تخطف أولئك العفاريت من بقي مع المعتمد واهتضمه وخضم ما في العسكر وهضمه وغدت مضار [illegible] ومجرى مذاكيه وآب اخسر من بائع السدانه ومضيع الامانه فانطبقت سماء المعتمد على أرضه وشغلته عن اقامة نوافله وفرضه فكتب اليه الراضي

لا يكربنك خطب الحادث الجاري * فما عليك بذاك الخطب من عار

ماذا على ضيغم أمضى عزيمته * أن خانه حد أنياب واظفار

لئن أتوك فمن جبن ومن خور * قد ينهض العير نحو الضيغم الضاري

عليك للناس أن تبقى لنصرتهم * وما عليك لهم استعداد أقدار

ثلاث وستين وكان اخراجهم لما ذكرنا من بني أمية وعامل يزيد عن اذن ابن الزبير فاغتنمها مروان منهم اذلم يقبضوا عليهم ويحملوهم الى ابن الزبير فمضوا السير نحو الشام وغزى فعل أهل المدينة ببني امية وعامل يزيد الى يزيد فسير اليهم بالجيوش من أهل الشام عليهم مسلم بن عقبة المري الذي أخاف المدينة ونهبها وقتل أهلها وبايعه أهلها على أنهم عبيد ليزيد وسماها نتنة وقد سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة وقال من اخاف المدينة أخافه الله فسمي مسلم هذا لعنه الله بمجرم ومسرف لما كان من فعله و يقال ان يزيد حين جرد هذا الجيش وعرض عليه

[illegible] وم على وادي القرى

أجمع السكران من قوم ترى

يريد بهذا القول عبد الله ابن الزبير وكان عبد الله يكنى بابي بكر وكان يسمى يزيد السكران

٦٠ ط ني الخمير وكتب الى ابن الزبير ادعو الهك في السماء فانني * أدعو عليك رجال عك وأشعرا

لو يعلم الناس فيما أن تدوم لهم * بكوا لانك من ثوب الصبا عاري

ولو أطاقوا انتقاصا من حياتهم * لم يتحفوك بشئ غير أعمار

فحجب عنه وجه رضاه ولم يستنزله بذلك ولا استرضاه وتمادى على اعراضه وقعد عن اظهاره وانهاضه حتى بسطته سوانح السلو وعطفته عليه جوانح الحنو فكتب اليه بهزل غلب فيه كل منزع جزل وهو

الملك في طي الدفاتر * فتخل عن قود العساكر

طف بالسرير مسلما * وارجع لتوديع المنابر

وازحف الى جيش المعا * رف تقهر الحبر المقاهر

واطعن باطراف اليرا * ع نصرت في ثغر المحابر

واضرب بسكين الدوا * ة مكان ماضي الحد باتر

أولست اسطاليس ان * ذكر الفلاسفة الاكابر

وأبو حنيفة ساقط * في الرأى حين تكون حاضر

وكذاك ان ذكر الخليـ * ـل فأنت نحوي وشاعر

من هرمس من سيبويـ * ـه من ابن فورك اذ تناظر

هذى المكارم قد حويـ * ـت فكن لمن حاباك شاكر

واقعد فانك طاعم * كاس وقل هل من مفاخر

حجبت وجه رضاي عنـ * ـك وكنت قد تلقاه سافر

اولست تذكر وقت لو * رقة وقلبك ثم طائر

لا يستقر مكانه * وأبوك كالضرغام خادر

هلا اقتديت بفعله * واطعته اذ ذاك آمر

قد كان أبصر بالعوا * قب والموارد والمصادر

فكتب اليه الراضي مراجعا بقطعة منها

مولاى قد أصبحت كافر * بجميع ماتحوى الدفاتر

وفللت سكين الدوا * ة وظلت للاقلام كاسر

وعلمت أن الملك ما * بين الاسنة والبواتر

والمجد والعلياء في * ضرب العساكر بالعساكر

لا ضرب أقوال باقـ * ـوال ضعيفات مناكر

قد كنت أحسب من سفا * هتها أصل المفاخر

فاذا بها فرع لها * والجهل للانسان عاذر

لا يدرك الشرف الفتى * الا بعـ * ـال وباتر

وهجرت من سميتهم * وجحدت أنهم أكابر

لو كنت تهوى منيتي * لوجدتني للعيش هاجر

ضحك الموالي بالعبيـ * ـد اذا تؤمل غير ضائر

كيف النجاة أبا خبيب منهم * فاحتل لنفسك قبل آتي العسكرا ولما انتهى الجيش من المدينة الى الموضع المعروف بالحرة وعليهم مسرف خرج الى حربه أهلها عليهم عبد الله ابن مطيع العدوى وعبد الله بن حنظلة الغسيل الانصاري وكانت وقعة عظيمة قتل فيها خلق كثير من الناس من بني هاشم وسائر قريش والانصار وغيرهم من سائر الناس فمن قتل من آل أبي طالب اثنان عبد الله بن جعفر بن ابي طالب وجعفر بن محمد بن على بن ابي طالب ومن بني هاشم من غير آل أبي طالب الفضل بن العباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وحمزة بن عبد الله ابن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب والعباس بن عتبة ابن ابي لهب بن عبد المطلب وبضع وتسعون رجلا من [illegible] قريش ومثلهم من [illegible]صار وأربعة آلاف [illegible] سائر الناس [illegible] الاحصاء دون من لم يعرف وبايع الناس على انهم عبيد ليزيد ومن أبى ذلك أمره مسرف على السيف غير على بن الحسين بن على ابن ابي طالب السجاد وعلى ابن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب وفي وقعة الحرة يقول محمد بن اسلم

فان تقتلونا يوم حرة واقم * فنحن على الاسلام أول من قتل ونحن تركنا كم ببدر أذلة * وأبنا باسياف لنا منكم نفل ان

ان كان لي فضل فنسبته وهل لذاك النور ساتر
أو كان لي نقص ففي غير أن الفضل غامر
ذكرت عبدك ساعة * يبقى لها ما عاش ذاكر
ياليته قد غيبته عندها احدى المقابر
أتريد مني أن أكو * ن كمن غدا في الدهر قادر
هيهات ذلك مطمع * يعيي الاوائل والاواخر
لاتنس يامولاي قو * لة ضارع لا قول فاخر
ضبط الجزيرة عندما * نزلت بقفرتها العساكر
أيام ظلت بها فريـ * ـدا ليس غير الله ناصر
اذ كان يعشي ناظري * لمع الاسنة والبواتر
ويصم اسماعي بها * قرع الجبابرة الحوافر
وهي الحضيض سهولة * لكن نبت بها مخاطر
هبني اسأت كما اسأ * ت أما لهذا العتب آخر
هب زلتي لبنوتي * واغفر فان الله غافر

فقربه وأدناه وصفح عما كان جناه ولم تزل الحال آخذة في البوار والامور مختلة اعتلال حب الفرزدق للنوار حتى مضوا الغير طيه وفضوا بين الصوارم والرماح الخطيه حسبما سردناه وعلى ما اوردناه واذا أراد الله سبحانه انفاذ أمر سبق في علمه فلا مرد له ولا معقب لحكمه لا اله الا هو رب العالمين انتهى كلام الفتح * وعلى الجملة فكانت دولة بني عباد بالاندلس من أبهج الدول في الكرم والفضل والادب حتى قال ابن اللبانة رحمه الله تعالى ان الدولة العبادية بالاندلس أشبه شئ بالدولة العباسية ببغداد سعة مكارم وجمع فضائل ولذلك ألف فيها كتابا مستقلا سماه الاعتماد في اخبار بني عباد ولا يلتفت لكلب عقور نبح بقوله

مما يزهدني في أرض اندلس * اسماء معتضد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة في غير موضعها * كالهر يحكي انتفاخا صورة الاسد

لان هذه مقالة متعسف كافر للنعم ومثل ذلك في حقهم لا يقدح ومازالت الالقاب تمدح * وللمعتمد أولاد ملوك منهم المأمون والرشيد والراضي والمعتمد وغير خبر بعضهم وكان الداني المذكور ماثلا الى بني عباد بطبعه اذ كان المعتمد هو الذي جذب بضبعه وله فيه المدائح الانيقة التي هي أذكى من زهر الحديقة فمن ذلك قوله من قصيدة يمدحه بها ويذكر أولاده الاربعة الذين عمروا من المجد أربعه وهم الرشيد عبيد الله والراضي يزيد والمامون والمؤتمن وكانوا نجوم ذلك الافق وغيوث ذلك الزمن ولقد أجاد في ذلك كل الاجاده وأطال لمجدهم نجاده

يفيئك في محل يعينك في ردى * يروعك في درع يروقك في برد
جمال واجمال وسبق وصولة * كشمس الضحى كالمزن كالبرق كالرعد

به الى مسرف وهو مغتاظ عليه فتبرأ منه ومن آبائه فلما رآه وقد أشرف عليه ارتعد وقام له وأقعده الى جانبه وقال له سلني حوائجك فلم يسأله في أحد ممن قدم الى السيف الا شفعه فيه ثم انصرف عنه فقيل لعلي رأيناك تحرك شفتيك فما الذي قلت قال قلت اللهم رب السموات السبع وما أظللن والارضين السبع وما أقللن رب العرش العظيم رب محمد وآله الطاهرين أعوذ بك من شره وأدرأ بك في نحره أسئلك ان تؤتيني خيره وتكفيني شره وقيل لمسلم رأيناك تسب هذا الغلام وسلفه فلما أتى به اليك رفعت منزلته فقال ما كان ذلك لرأي مني لقد ملئ قلبي منه رعبا وأما علي بن عبد الله فان أخواله ...

أبا العباس قوم من لؤي
وأخوالي الملوك بنو وليعه
منعوا اذ ماري يوم جاءت
كتائب مسرف وبني اللكيعه
أرادني التي لا عز فيها
فحالت دونه أيدي وبيعه
والمنازل بأهل المدينة ما وصفنا من القتل والنهب والرق والسبي وغير ذلك عما عنه أعرضنا من مسرف خرج عنها يريد مكة في جيوشه من أهل الشام ليوقع بابن الزبير وأهل

مكة بامر يزيد وذلك في سنة
على الجيش الحصين بن
نمير فسار الحصين حتى أتى
مكة وأحاط بها وعاذ ابن
الزبير بالبيت الحرام
وكان قد سمى نفسه
العائذ بالبيت وشهر
بهذا حتى ذكرته الشعراء
في أشعارها من ذلك ما
قدمنا من قول سليمان
بن قبة
فان تتبعوه عائذ البيت تصبحوا
كعاد تعمت عن هداها
فضلت
ونصب الحصين فيمن معه
من أهل الشام المجانيق
والعرادات على مكة
والمسجد من الجبال
والفجاج وابن الزبير في
المسجد ومعه المختار بن أبي
عبيد الثقفي داخلا في
جملته منضافا الى بيعته
منقادا الى امامته على
شرائط شرطها عليه لا يخالف
له رأيا ولا يعصي له أمرا
فتواردت أحجار المجانيق
والعرادات على البيت
ورمي مع الاحجار بالنار
والنفط ومشاقات الكتان
وغير ذلك من المحرقات
وانهدمت الكعبة
واحترقت البنية ووقعت
صاعقة فاحرقت من
أصحاب المجانيق أحد عشر
رجلا وقيل أكثر من ذلك

بهجته شاد العلا ثم زادها * بناء بأبناء هناجب ... ة لد
بأربعة مثل الطباع تركبوا * لتعديل ذكر المجد والشرف العد

والمأمون بن المعتمد قتله بقرطبة والراضي يزيد قتلوه برندة كما سقنا خبره آنفا وفي حالتهم هذه يقول الشاعر المشهور عبد الجبار بن حمديس الصقلي

ولما رحلتم بالندى في أكفكم * وقلقل رضوى منكم وثبير
رفعت لساني بالقيامة قد دنت * فهذي الجبال الراسيات تسير

وفي قضية المعتمد يقول الداني المذكور

لكل شيء من الاشياء ميقات * وللمنى في مناياهن غايات
والدهر في صفة الحرباء منغمس * لوان حالاته فيها استحالات
ونحن من لعب الشطرنج في يده * وطالما قمرت بالبيدق الشاة
انفض يديك من الدنيا وزينتها * فالارض قد أقفرت والناس قد ماتوا
وقل لعالمها الارضي قد كتمت * سريرة العالم العلوي اغمات

وهي طويلة ذكرها الفتح وغيره وللداني أيضا قصيدة عملها في المعتمد وهو باغمات سنة ٤٨٦

تنشق بريحان السلام فانما * افض به مسكا عليك مختما
وقل لي مجازا ان عدمت حقيقة * املك في نعمى فقد كنت منعما
أفكر في عصر مضى بك مشرقا * فيرجع ضوء الصبح عندي مظلما
وأعجب من افق المجرة اذ رأى * كسوفك شمسا كيف أطلع أنجما
لئن عظمت فيك الرزية اننا * وجدناك منها في الرزية أعظما
قناة سعت للطعن حتى تقسمت * وسيف اطال الضرب حتى تثلما

ومنها

بكى آل عباد ولا كمحمد * وأولاده صوب الغمامة اذ همى
حبيب الى قلبي حبيب وقومه * عسى طلل يدنو بهم ولعلما
صباحهم كنا به نحمد السرى * فلما عدمناهم سرينا على عمى
وكنا رعينا العز حول حماهم * فقد أجدب المرعى وقد أقفر الحمى
وقد ألبست أيدي الليالي قلوبهم * مناسج سدى الغيث فيها وألحما
قصور خلت من ساكنيها فما بها * سوى الادم تمشي حول واقفة الدمى
تجيب بها الهام الصدى ولطالما * اجاب القيان الطائر المترنما
كأن لم يكن فيها أنيس ولا التقى * بها الوفد جمعا والخميس عرمرما

ومنها

حكيت وقد فارقت ملكك مالكا * ومن ولهي احكي عليك متمما
مصاب هوى بالنيرات من العلا * ولم يبق في أرض المكارم معلما
تضيق على الارض حتى كأنما * خلقت وإياها سوارا ومعصما
ندبتك حتى لم يخل لي الاسى * دموعا بها أبكي عليك ولا دما

يوم السبت لثلاث خلون من شهر ربيع الاول من السنة المذكورة قبل وفاة يزيد بأحد عشر يوما

واني

وانى على رسمى مقيم فان امت * ساجعل للباكين رسمى موسما
بكاك الحيا والريح شقت جيوبها * عليك وناح الرعد باسمك معلما
ومزق ثوب البرق واكتست الضحى * حدادا وقامت انجم الجو مأتما
وحار ابنك الاصباح وجدا فما اهتدى * وغار اخوك البحر غيظا فما طمى
وما حل بدر التم بعدك دارة * ولا اظهرت شمس الظهيرة مبسما
قضى الله ان حطوك عن ظهر اشقر * يشم وان امطوك اشأم ادهما

وكان قد انفكت عنه القيود فاشار الى ذلك بقوله فيها

قيودك ذابت فانطلقت لقد غدت * قيودك منهم بالمكارم ارحما
عجبت لان لان الحديد وان قسوا * لقد كان منهم بالسريرة اعلما
سيحيك من نجى من السجن يوسفا * ويؤويك من آوى المسيح بن مريما

ولابى بكر الدانى المذكور فى البكاء على ايامهم وانتثار نظامهم عدة مقطعات وقصائد هى قرة عين الطالب ونجعة الرائد وقد اشتمل عليها جزء لطيف صدر عنه فى هيئة تصنيف سماه السلوك فى وعظ الملوك ووفد على المعتمد وهو باغمات عدة وفادات لم يخل فى جميعها من افادات وقال فى احداها هذه وفادة وفاء لا وفادة اجتداء قال غير واحد من النادر الغريب انه نودى على جنازته الصلاة على الغريب بعد عظم سلطانه وسعة اوطانه وكثرة صقالبته وحبشانه وعظم امره وشانه فتبارك من له العزة والبقاء والدوام واجتمع عند قبره جماعة من الاقوام الذين لهم فى الادب حصة ولقضية المعتمد فى صدورهم غصة منهم البالغ فى البلاغة الامد شاعره ابو بحر عبد الصمد وكان به مختصا وكم ألبسه من بره حلة وقميصا فقال من قصيدة طويلة اجاد فيها ما شا وجلب بها الى انفس الحاضرين بعد الانس ايحاشا مطلعها

ملك الملوك اسامع فانادى * ام قد عدتك عن السماع عوادى
لما خلت منك القصور ولم تكن * فيها كما قد كنت فى الاعياد
قبلت فى هذا الثرى لك خاضعا * وجعلت قبرك موضع الانشاد

فلما بلغ من انشاده الى مراده قبل الثرى ومرغ جسمه وعفر خده فبكى كل [illegible] وحذفه ذلك عن سرور العيد وصده اذ كانت هذه القصة يوم [illegible]

*ويحكى ان رجلا راى فى منامه اثر الكائنة على المعتمد بن عباد كا[illegible] قرطبة فاستقبل الناس وانشد هذه الابيات متمثلا

رب ركب قد اناخوا عيسهم * فى ذرا مجدهم حين بسق
سكت الدهر زمانا عنهم * ثم ابكاهم دما حين نطق

وعاش ابو بكر بن اللبانة المعروف بالدانى المذكور آنفا بعد المعتمد وقدم ميورقة آخر شعبان سنة ٤٨٩ ومدح ملكها مبشر بن سليمان بقصيدة مطلعها

ملك روعت فى حلى ربعانه * راقت برونقه صفات زمانه

واين هذا من امداحه فى المعتمد وتذكرت هنا من احوال الدانى انه دخل على ابن عمار

واشتد الامر على أهل مكة وابن الزبير واتصل الاذى بالاحجار والنار والسيف ففى ذلك يقول ابو وجزة المدينى

ابن نمير بئس ما تولى
قد احرق المقام والمصلى

وليزيد وغيره اخبار عجيبة ومثالب كثيرة من شرب الخمر وقتل ابن الرسول ولعن الوصي وهدم البيت واحراقه وسفك الدماء والفسق والفجور وغير ذلك مما قد ورد فيه الوعيد باليأس من غفرانه كوروده فيمن جحد توحيده وخالف رسله وقد أتينا على الغرر من ذلك فيما سلف من كتبنا والله ولى التوفيق

(ذكر أيام معاوية بن يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم والمختار بن أبى عبيد الله وعبد الله بن الزبير ولمع من أخبارهم وسيرهم وبعض ما كان فى أيامهم)

(قال المسعودى) وملك معاوية بن يزيد بن معاوية [illegible]

[illegible] وكان يكنى بأبى يزيد وكنى حين ولى الخلافة بأبى ليلى وكانت هذه الكنية للمستضعف من العرب وفيه يقول الشاعر

انى أرى فتنة هاجت مراجلها
والملك بعد أبى ليلى لمن غلبا

ولما حضرته الوفاة اجتمعت اليه بنو أمية فقالوا له اعهد الى من رأيت من أهل بيتك فقال والله ما ذقت حلاوة

في مجلس فأراد أن يندر به وقال له اجلس يا داني بغير الف فقال له نعم يا ابن عمار بغير ميم وهذا هو الغاية في سرعة الجواب والاخذ بالثار في المزاح ونظيره وان كان من باب آخر أن المعتمد مر مع وزيره ابن عمار ببعض ارجاء اشبيلية فلقيتهما امرأة ذات حسن مفرط فكشفت وجهها وتكلمت بكلام لا يقتضيه الحياء وكان ذلك بموضع الجباسين الذين يصنعون الجبس والجيارين الصانعين للجير باشبيلية فالتفت المعتمد الى موضع الجيارين وقال يا ابن عمار الجيارين ففهم مراده وقال في الحال يا مولاي والجباسين فلم يفهم الحاضرون المراد وتحيروا فسألوا ابن عمار فقال له المعتمد لا تبعها منهم الا غالية وتفسيرها ان ابن عباد صحف الجيارين بقوله الجيارين اشارة الى ان تلك المرأة لو كان لها حياء لازدانت فقال له والجباسين وتصحيفه والخناثين اي هي وان كانت جميلة بديعة الحسن لكن الخنا شأنها وهذا شأو لا يلحق * ومن أخبار المعتمد انه جلس يوما والبزاة تعرض عليه فاستحث الشعراء في وصفها فصنع ابن وهبون بديها

للصيد قبلك سنة مأثورة * لكنها بك أبدع الاشياء
تمضي البزاة وكلما أمضيتها * عاطيتها بخواطر الشعراء

فاستحسنهما وأسنى جائزته * وذكر ابن بسام ان أبا العرب الصقلي حضر مجلس المعتمد يوما وقد حمل اليه حمول وافرة من قراريط الفضة فأمر له بكيسين منها وكان بين يديه تماثيل عنبر من جملتها جمل مرصع بالذهب واللآلي فقال له أبو العرب معرضا ما يحمل هذين الكيسين الا جمل فتبسم المعتمد وأمر له به فقال أبو العرب بديها

أجديتني جملا جونا شفعت به * حملا من الفضة البيضاء لو حملا
نتاج جودك في أعطان مكرمة * لا قدت صرف من منع ولا عقلا
فاعجب لشأني فشأني كله عجب * رفهتني فحملت الحمل والجملا

وذكر الحجاري هذه القصة فقال قعد المعتمد في مجلس احتفل في تنضيده واحضار الطرائف الملوكية وكان في الجملة تمثال جمل من بلور وله عينان من ياقوتتين وقد حلي بنفائس الدر فأنشده أبو العرب قصيدة فأمر له بذهب كثير مما كان بيده من السكة الجديدة فقال معرضا بذلك الجمل ما يحمل هذه الصلة الا جمل فقال خذ هذا الجمل فانه حمال أثقال فارتجل شعرا منه * رفهتني فحملت الحمل والجملا * وذكر ان ذلك الجمل بيع بخمسمائة مثقال فسارت بهذا الخبر الركائب وتهادته المشارق والمغارب * وتباحث المعتمد مرة مع الجلساء في بيت المتنبي الذي زعم انه أمير شعره

أزورهم وسواد الليل يشفع لي * وأنثني وبياض الصبح يغري بي

فقال ما قصر في مقابلة كل لفظة بضدها الا أن فيه نقدا خفيا ففكروا فيه فلما فكروا قالوا له ما وقفنا على شيء فقال الليل لا يطابق الا بالنهار ولا يطابق بالصبح لان الليل كلي والصبح جزئي فتعجب الحاضرون وأثنوا على تدقيق انتقاده قال الصفدي قلت ليس هذا بنقد صحيح والصواب مع أبي الطيب لانه قال أزورهم وسواد الليل يشفع لي فهذا اعجب زور وأحبابه في سواد الليل خوفا ممن يشي به فاذا لاح الصبح أغرى به الوشاة ودل عليه أهل النميمة والصبح

خلافتكم فكيف أتقلد وزرها وتتفضلون أنتم حلاوتها وأتعجل مرارتها اللهم انى برىء منها متخل عنها اللهم انى لا أجد نفرا كأهل الشورى فأجعلها اليهم ينصبون من يرونه أهلا لها فقالت له أمه ليت أنك خرقة حيضة ولم أسمع منك هذا الكلام فقال لها وليتني يا أماه خرقة حيضة ولم أتقلد هذا الامر أتفوز بنو أمية بحلاوتها وأبوء بوزرها ومنعها أهلها كلا انى لبرىء منها (وقد تنوزع في سبب وفاته فمنهم من رأى أنه سقي شربة ومنهم من رأى أنه مات حتف أنفه ومنهم من رأى أنه طعن وقبض وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ودفن بدمشق وصلى عليه الوليد ابن عتبة بن أبي سفيان ليكون الامر له من بعده فلما كبر الثانية طعن فسقط ميتا قبل تمام الصلاة فقدم عثمان بن عتبة بن أبي سفيان فقالوا نبايعك قال على أن لا أحارب ولا أباشر قتالا فأبوا ذلك عليه فصار الى مكة ودخل في جملة ابن الزبير وزال الامر عن آل حرب فلم يكن فيهم من يرومها ولا يتشوف نحوها ولا يرتجي أحد منهم لها وبايع أهل العراق عبد الله بن الزبير فاستعمل على الكوفة عبد الله بن مطيع العدوي فقال المختار بن أبي عبيد الثقفي لابن الزبير اني لأعرف قوما لو ان لهم

أولما يغرى به قبل النهار وعادة الزائر المريب أن يزور ليلا وينصرف عند انفجار الصبح خوفا من الرقباء ولم تجر العادة ان الخائف يتلبث الى أن يتوضح النهار ويملئ الافق نورا فذكر الصبح هنا أولى من ذكر النهار والله أعلم انتهى قلت كان يختلج في صدري ضعف ما قال الصفدي حتى وقفت على ما كتبه البدر البشتكي ومن خطه نقلت ما صورته هو ما انتقد عليه المعنى انما انتقد عليه مطابقة الليل بالصبح فان ذلك فاسد انتهى فحمدت الله على الموافقة انتهى * وقال في بدائع البدائه جلس المعتمد للشرب وذلك في وقت مطر أجرى كل وهدة نهرا وحلى جيد كل غصن من الزهر جوهرا وبين يديه جار يه تسقيه وهي تقابل وجهها بنجم الكاس في راحة كالثريا تخجل الزهر بطيب العرف والريا فاتفق أن لعب البرق بحسامه وأجال سوطه المذهب يسوق به ركامه فارتاعت لخطفته وذعرت من خيفته فقال المعتمد بديها

روعها البرق وفي كفها * برق من القهوة لماع
عجبت منها وهي شمس الضحى * كيف من الانوار ترتاع

واستدعى عبد الجليل بن وهبون المرسى وأنشده البيت الاول مستجيزا فقال عبد الجليل

ولن أرى أعجب من آنس * من مثل ما يمسك يرتاع

فاستحسنه وأمر له بجائزة قال ابن ظافر وبيته عندى أحسن من بيت المعتمد انتهى * وقال ابن بسام كان في قصر المعتمد فيل من الفضة على شاطئ بركة يقذف الماء وهو الذى يقول فيه عبد الجليل بن وهبون من بعض قصيدة

ويفرغ فيه مثل النصل بدع * من الافيال لا يشكو ملالا
رعى رطب اللجين فجاء صلدا * تراه قلما يخشى هزالا

فجلس المعتمد يوما على تلك البركة والماء يجرى من ذلك الفيل وقد أوقد شمعتان من جانبيه والوزير أبو بكر بن الملح عنده فصنع الوزير فيهما عدة مقاطيع بديها منها

ومشعلين من الاضواء قد قرنا * بالماء والماء بالدولاب منزوف
لاحا لعينيّ كالنجمين بينهما * خط المجرة ممدود ومعطوف

وقال أيضا كانما النار فوق الشمعتين سنا * والماء من منفذ الانبوب منسكب
غمامة تحت جنح الليل هامعة * في جانبيها خفاق البرق يضطرب

وقال أيضا وانبوب ماء بين نارين ضمنا * هوى [illegible]
كأن اندفاع الماء بالماء حية * يحركها في الماء [illegible]

وقال أيضا كأن سراجى سربهم في التظائها * وأنبوب ماء الفيل [illegible]
كريم تولى كبره من كليهما * لئيمان في انفاقه يعذلانه

ولما مات والد المعتمد واستقل بالملك قال ذو الوزارتين بن زيدون يرثى المعتضد ويمدح المعتمد بقصيدة طويلة أولها

هو الدهر فاصبر للذى أحدث الدهر * فمن شيم الاحرار في مثلها الصبر
ستصبر صبر اليأس أو صبر حسبة * فلا تؤثر الوجه الذى معه الوزر

من هم قال شيعة بني هاشم بالكوفة قال كن أنت ذلك الرجل فبعثه الى الكوفة فنزل ناحية منها وجعل يظهر البكاء على الطالبيين وشيعتهم ويظهر الحنين والجزع لهم ويحث على أخذ الثار لهم والمطالبة بدمائهم فمالت الشيعة اليه وانضافوا الى جملته وسار الى قصر الامارة فأخرج مطيعا منه وغلب على الكوفة وابتنى لنفسه دارا واتخذ بستانا أنفق عليه أموالا عظيمة أخرجها من بيت المال وفرق الاموال على الناس بها تفرقة واسعة وكتب الى ابن الزبير يعلمه انه انما أخرج ابن مطيع عن الكوفة لعجزه عن القيام بها ويسوم ابن الزبير أن يحتسب له بما أنفقه من بيت المال فأبى ابن الزبير ذلك عليه فخلع المختار طاعته وجحد [illegible]

[illegible] يبايع له ويقول بامامته ويظهر دعوته وأنفذ اليه مالا كثيرا فأبى على أن يقبل ذلك منه أو يجيبه عن كتابه وسبه على رؤس الملا في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وأظهر كذبه وفجوره ودخوله على الناس

باظهار الميل الى آل أبي طالب فلما أيس المختار من على بن الحسين كتب الى عمه محمد بن الحنفية يريده على مثل ذلك

حذارك من أن يعقب الرزء فتنة * يضيق بها عن مثل ايمانك العذر
اذا أسف الثكل اللبيب فشغفه * رأى أفدح الثكلين أن يذهب الاجر
مصاب الذي يأسى بموت ثوابه * هو البرح لا الميت الذي أحرز القبر
حياة الورى نهج الى الموت مهيع * لهم فيه ايضاع كما يوضع السفر

ومنها

اذا الموت أضحى قصد كل معمر * فان سواء طال أو قصر العمر
ألم تر أن الدين ضيم ذماره * فلم يغن أنصار عديدهم دثر
بحيث استقل الملك ثانى عطفه * وجررمن أذياله العسكر المجر
هو الضيم لو غير القضاء يرومه * ثناه المرام الصعب والمسلك الوعر
اذا اعترت جرد العناجيج فى القنا * بليل عجاج ليس يصدعه فجر

ومنها

أعاديا أوفى الملوك لقد عدا * عليك زمان من سجيته الغدر

الى أن قال بعد أبيات كثيرة

ألا أيها المولى الوصول عبيده * لقد رابنا أن تلو الصلة الهجر
يعاديك داعينا السلام كعهده * فما يسمع الداعى ولا يرفع الستر
أعتب علينا ذاو عن ذلك الرضا * فتسمع أم بالمسمع المعتلى وقر

ومنها

وكيف بنسيان وقد ملأت يدى * جسام أياد منك أيسرها الوفر
وان كنت لم أشكر لك المنن التى * تملیتها تترى فلا بقى الشكر
فهل علم الشلو المقدس أنى * مسوغ حال حار فى كنهها الدهر
وان مناقى لم يضعه محمد * خليفتك العدل الرضى وابنك البر
هو الظافر الاعلى المؤيد بالذى * له فى الذى وفاه من صنعه سر
له فى اختصاصى ما رأيت وزادنى * مزية زلفى من نتائجها الفقر
وأرغم فى برى أنوف عصابة * لقاؤهم جهم ولحظهم شزر
اذا ما استوى فى الدست عاقد حبوة * وقام سماطا حفله فلى الصدر
وفى نفسه العلياء لى متبوأ * يسابقنى فيه السما كان والنسر

ومنها

لك الخيران الرزء كان غيابة * طلعت لنا فيها كما طلع البدر
فقرت عيون كان أسخنها البكا * وقرت قلوب كان زلزلها الزعر

ومنها

ولما قدمت الجيش بالامر أشرقت * اليك من الآمال آفاقها الغبر
فقضيت من فرض الصلاة لبانة * فشيعها نسك وقارنها طهر
ومن قبل ما قدمت منى نوافل * يلاقى بها من صام من غيره فطر
ورحت الى القصر الذى غض طرفه * بعيد التنامى أن غدا غيره القصر
وأجمل عن التاوى العزاء فان توى * فانك لا الوانى ولا الضرع الغمر
وما أعطت السبعون قبل أولى الحجا * من اللب ما أعطاك عشرون والعمر
ألست الذى ان ضاق ذرع بحادث * تبلج منه الوجه واتسع الصدر
فلا تهض الدنيا جناحك بعده * فمنك لمن هاضت نوائبها جبر

فأشار عليه علي بن الحسين أن لا يجيبه الى شيء من ذلك فان الذي يحمله على ذلك اجتذابه لقلوب الناس بهم وتقربه اليهم بمحبتهم وباطنه مخالف لظاهره فى الميل اليهم والتولى لهم والبراءة من أعدائهم بل هو من أعدائهم لا من أوليائهم والواجب عليه أن يشهر أمره ويظهر كذبه على حسب ما فعل هو وأظهر من القول فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى ابن الحنفية ابن عباس فأخبره بذلك فقال له ابن العباس لا تفعل فانك لا تدرى ما أنت عليه من ابن الزبير فأطاع ابن عباس وسكت عن عيب المختار واشتد أمر المختار بالكوفة وكثر رجاله ومال الناس اليه وأقبل يدعو الناس على طبقاتهم ومقاديرهم فى أنفسهم وعقولهم فمنهم من يخاطبه بامامة محمد بن الحنفية منهم من يرفعه عن هذا ويطمعه بان الملك يأتيه بالوحى ويخبره بالغيب وتتبع قتلة الحسين فقتلهم قتل عمر بن سعد بن أبى وقاص الزهرى وهو الذى تولى حرب الحسين يوم كربلاء وقتله ومن معه فزاد ميل أهل الكوفة اليه ومحبتهم له وأظهر ابن الزبير الزهد فى الدنيا والعبادة مع الحرص على الخلافة وقال انما بطنى شبر فما عسى أن يسع ذلك من الدنيا وأنا العائذ بالبيت والمستجير بالرب ولا

ولازلت موفور العديد بقرة * لعينك مشدود ابها ذلك الازر
فانك شمس في سماء رياسة * تطلع منها حولنا انجم زهر
شككنا فلم نثبت لايام دهرنا * بها وسن أم هز أعطافها سكر
وماان تغشتم أمغازلة الكرى * ومااان تمشت في معاطفها الخمر
سوى نشوات من سجايا مالك * يصدق في علياتها الخبر الخبر
أرى الدهر ان يبطش فانت يمينه * وان تضحك الدنيا فأنت لها ثغر
وكم سائل بالغيب عنك أجبته * هناك الايادي الشفع والسودد الوتر
هناك التقى والعلم والحلم والنهى * وبذل اللها والبأس والنظم والنثر
همام اذا لاقى المنا جز رده * واقبا له خطر واد باره حصر
محاسن ماللروض ساهره الندى * رواه اذا نصت حلاها ولا نشر
متى انتشقت لم تدر دارين مسكها * حياء ولم يفغر بعنبره الشحر
عطاء ولامن وحكم ولاهوى * وحلم ولاعجز وعز ولا كبر
قد استوفت النعماء فيك تمامها * علينا فمنا الحمد لله والشكر

وكتب ابن زيدون المذكور الى المعتمد رحمهما الله تعالى يشوقه الى تعاطي الحميا في قصوره البديعة التي منها المبارك والثريا

فز بالنجاح وأحرز الآمالا * وخذ المنى وتنجز الآمالا
وليهنك التأييد والظفر الذي * صدقا لك في السمة العلية فالا
ياأيها الملك الذي لولاه لم * تجد العقول الناشدات كمالا
أما الثريا فالثريا [illegible] * وافادة وانافة وجمالا
قد شاقها الاقبال [illegible] * [illegible]ت اليك خيالا
رفد ورود كالنعيم [illegible] * [illegible] الا
وتأمل القصر المبارك وجنة * [illegible]
وأدر هناك من المدام كؤسها * وأتمها واسـ[illegible]
قصر يقر العين منه مصنع * بهج الجوانب لو مشى لاختال
لازلت تفترش السرور حدائقا * فيه وتلتحف النعيم ظلالا

وأهدى اليه تفاحا واعتقد أن يكتب معه قطعة فبدأ بها ثم عرض له غيرها فتركها ثم ابتدا

دونك الراح جامده * وفدت خير وافده
وجدت سوق ذوبها * عندك اليوم كاسده
فاستحالت الى الجمود * وجاءت مكايده

وكتب الى المعتمد

ياأيها الظافر نلت المنى * ولا أتانا فيك محذور
ان الخلال الزهر قد ضمها * ثوب عليك الدهر مزرور
لازال للعدا الذي شدته * ربع بتعميرك معمور

ان الموالي أمست وهي عاتبة
على الخليفة تشكو الجوع والحربا
ماذا علينا وماذا كان يرزؤنا
أي الملوك على ماحولنا غلبا
وفيه يقول بعد مفارقته اياه
مازال في سورة الاعراف يقرؤها
حتى فؤادي مثل الخزفي اللين
لو كان بطنك شبرا قد شبعت وقد
أفضلت فضلا كثيرا للمساكين
ان امرأ كنت مولاه فضيعني
يرجو الفلاح لعمري حق مغبون
وفيه يقول أيضا
فيارا كبا اما عرضت فبلغن
كبير بني العوام ان قيل [illegible]
[illegible]

[illegible] يقول الضحاك بن فيروز الديلمي
تخبرنا أن سوف تكفيك قبضة
وبطنك شبر أو أقل من الشبر
وأنت اذا ما نلت شيأ قضمته
كما قضمت نار الغضى حطب السدر

 فلو كنت تجزى أو تثيب بنعمة * قريبا لردتك العطوف على عمرو وذلك أن يزيد بن معاوية كان قد ولى الوليد

المدينة فسرح منها جيشا الى مكة لحرب ابن الزبير عليه عمرو بن الزبير أخوه

وافاك نظم لي في طيه * معنى معمى اللفظ مستور
مرامه يصعب ما لم يجع * بالسرقري وشحرور

وذكر أبياتا فيها أسماء طيور عمي بها من بيت عنيره فيها والبيت المطير فيه

أنت ان تغز ظافر * فليطع من يناقر

ففكه المعتمد وجاوبه

يا خير من يلحظه ناظري * شهادة ماشانها زور
ومن اذا خطب دجا ليله * لاح به من رأيه نور
جاءتني الطير التي سرها * نظم به قلبي مسرور
شعر هو السحر فلا تنكروا * أني به ماعشت مسحور
اللفظ والقرطاس ان شبها * قيل هما مسك وكافور
هوى لحسن الطير من فكرتي * صقر تولى وهو مقهور
ولاح لي بيت فؤادي له * دأبا على ودك مقصور
حظك من شكري ياسيدي * حظ غالي منك موفور
قصرت في نظمي فاعذرفن * ضاهاك في التقصير معذور
فأنت ان تنظم وتنثر فقد * أعوز منظوم ومنثور
لا بعدكم روض من الحفظ في الاكرام والترفيع ممطور

فكتب اليه ابن زيدون

حظي من نعماك موفور * وذنب دهري بك مغفور
وجانبي ان رامه أزمة * جبر لدى ظلك محجور
يا ابن الذي سرب الهدى آمن * منذ انبرى يحميه مخفور
وآمر الدهر الذي لم يزل * يصغي اليه منه مأمور
ألبسني الدهر أسنى الحلى * بظافر معناه منصور
قام وفي المأثور يا من له * مجد مع الايام مأثور
عبدك ان أكثر من شكره * فهو بما توليه مكثور
ان تعف عن تقصيره منعما * فاليسر أن يقبل معسور
ان حلال السحر ان صغته * في صحف الانفس مسطور
نظم زهاني به اذ جاءني * علق عظيم القدر مذخور
لا غرو أن أفتن اذ لاحظت * فكري منه أعين حور
نم عن معناه ألفاظه * كما وشى بالراح بلور
جهلت اذ عارضته غير أن * لا بد أن ينفث مصدور
يا آل عباد موالاتكم * ذالك من الاعمال مبرور
ان الذي يرجو موازاتكم * من المناوين لمغرور
مكانه منكم كما انحط عن * منزلة المرفوع مجرور

ابن عتبة بن أبي سفيان وكان عمرو منحرفا عن عبد الله فلما تصاف القوم انهزم رجال عمرو وأسلموه فظفر به أخوه عبد الله فأقامه للناس بباب المسجد الحرام مجردا ولم يزل يضرب بالسياط حتى مات وحبس عبد الله ابن الزبير الحسن بن محمد ابن الحنفية في الحبس المعروف بحبس عارم وهو حبس موحش مظلم وأراد قتله فعمل الحيلة حتى تخلص من السجن وتعسف الطريق على الجبال حتى أتى منى وبها أبوه محمد بن الحنفية ففي ذلك يقول كثير

تخبر من لاقيت أنك عائذ * بل العائذ المظلوم في سجن عارم
ومن ير هذا الشيخ بالخيف من منى * من الناس يعلم أنه غير ظالم
سمي نبي الله وابن وصيه * وفكاك أغلال وقاضي مغارم

وقد كان ابن الزبير عمد الى من بمكة من بني هاشم فحصرهم في الشعب وجمع لهم حطبا عظيما لو وقعت فيه شرارة من نار لم يسلم من الموت أحد وفي القوم محمد ابن الحنفية وحدث النوفلي علي بن سليمان عن فضيل بن عبد الوهاب السكوني عن أبي عمران الرازي عن

لازلتم في غبطة ما انجلى * عن فلق الاصباح ديجور
ولا تزل يجري بما شئتم * أعماركم لله مقدور

وكتب المعتمد الى ابن زيدون بعد أن فك معمى كتب به اليه ابن زيدون ما صورته

العين بعدك تقذى * بكل شئ تراه
فليجل شخصك عنها * ما بالمغيب جناه

وقد قدمنا من كلام أبي الوليد بن زيدون رحمه الله تعالى ما فيه كفاية (رجع الى بني عباد) قال ابن حديس لما قدمت وافدا على المعتمد بن عباد استدعاني وقال افتح الطاق فاذا بكير زجاج والنار تلوح من بابيه وواقده يفتحهما تارة ويسدهما أخرى ثم أدام سد أحدهما وفتح آخر فحين تأملتهما قال لي أجز

انظرهما في الظلام قد نجما * فقلت * كما رنا في الدجنة الاسد
فقال يفتح عينيه ثم يطبقها * فقلت * فعل امرئ في جفونه رمد
فقال فابتزه الدهر نور واحدة * فقلت * وهل نجا من صروفه أحد

فاستحسن ذلك وأطربه وأمر لي بجائزة وألزمني الخدمة * وعلى ذكر ابن حديس فما أحسن قوله

أراك ركبت في الاهوال بحرا * عظيما ليس يؤمن من خطوبه
تسير فلكه شرقا وغربا * وتدفع من صباه الى جنوبه
واصعب من ركوب البحر عندي * أمور ألجأتك الى ركوبه

ولغيره

ان ابن آدم طين * والبحر ماء يذيبه
لولا الذي فيه يتلى * ما جاز عندي ركوبه

وقال ابن حديس في هذا المعنى

لا أركب البحر أخشى * علي منه المعاطب
طين أنا وهو ماء * والطين في الماء ذائب

(رجع الى بني عباد رحمهم الله تعالى) قال ابن بسام أخبرني الحكيم النديم المطرب أبو بكر الاشبيلي قال حضرت مجلس الرشيد بن المعتمد بن عباد وعنده الوزير أبو بكر بن عمار فلما دارت الكاس وتمكن الانس وغنيت أصواتا ذهب الطرب [illegible] يخاطب الرشيد

ما ضر أن قيل اسحق وموصله * ها أنت أنت و[illegible]
أنت الرشيد فدع من قد سمعت به * وان تشابه أخلاق وأعراق
لله درك داركها مشعشعة * واحضر ساقتك ما قامت بنا ساق

وكان الرشيد هذا أحد أولاد المعتمد النجبا وله أخبار في الكرم يقضي الناظر فيها من أمرها عجبا وكذلك اخوته وقد ألمعنا في هذا الكتاب بجملة من محاسنهم وأمهم اعتماد الملقبة بالرميكية هي التي ترجمناها في هذا الموضع واقتضت المناسبة ذكر أمر بني عباد فلنعد الى ما كنا بصدده من أخبارها رحمها الله تعالى فنقول قال ابن سعيد في بعض مصنفاته كان المعتمد كثيرا ما يأنس بها ويستظرف نوادرها ولم تكن لها معرفة بالغناء وانما كانت مليحة

من الكوفة من قبل المختار فنفرنا معه في أربعة آلاف فارس فقال أبو عبد الله هذه خيل عظيمة وأخاف أن يبلغ ابن الزبير الخبر فيعجل على بني هاشم فيأتي عليهم فانتدبوا معي فانتدبنا معه في ثمانمائة فارس جريدة خيل فما شعر ابن الزبير الا والرايات تخفق على رأسه قال فجئنا الى بني هاشم فاذاهم في الشعب فاستخرجناهم فقال لنا ابن الحنفية لا تقتلوا الا من قاتلكم فلما رأى ابن الزبير ثمرناله وافدامنا عليه لاذ بأستار الكعبة وقال أنا عائذ الله (وحدث) النوفلي في كتابه في الاخبار عن ابن عائشة عن أبيه عن حماد ابن سلمة قال كان عروة بن الزبير يعذر أخاه اذا جرى ذكر بني هاشم وحصره اياهم في الشعب وجمعه [illegible] بنو هاشم وجمع لهم الحطب لاحراقهم اذهم أبوا البيعة فيما سلف وهذا خبر لا يحتمل ذكره هنا وقد أتينا على ذكره في كتابنا في مناقب أهل البيت وأخبارهم المترجم بكتاب حدائق الاذهان وخطب ابن الزبير فقال قد بايعني الناس ولم يتخلف الا هذا الغلام محمد بن الحنفية والموعد بيني وبينه أن تغرب الشمس ثم أضرم

الوجه حسنة الحديث حلوة النادر كثيرة الفكاهة لها في كل ذلك نوادر محكية وكانت في عصرها ولادة بنت محمد بن عبد الرحمن وهي أبدع منها ملحا وأحسن افتنانا وأجل منصبا وكان أبوها أمير قرطبة ويلقب بالمستكفي بالله وأخبار أبي الوليد بن زيدون معها وأشعاره فيها مشهورة انتهى ملخصا * ومن أخبار الرميكية القصة المشهورة في قولها ولا يوم الطين وذلك أنها رأت الناس يمشون في الطين فاشتهت المشي في الطين فأمر المعتمد فسحقت أشياء من الطيب وذرت في ساحة القصر حتى عمته ثم نصبت الغرابيل وصب فيها ماء الورد على أخلاط الطيب وعجنت بالايدي حتى عادت كالطين وخاضتها مع جواريها وغاضبها في بعض الايام فاقسمت أنها لم تر منه خيرا قط فقال ولا يوم الطين فاستحيت واعتذرت وهذا مصداق قول نبينا صلى الله عليه وسلم في حق النساء لو أحسنت الى احداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئا قالت ما رأيت منك خيرا قط قلت ولعل المعتمد أشار في أبياته الرائية الى هذه القضية حيث قال في بناته

يطأن في الطين والاقدام حافية * كأنها لم تطأ مسكا وكافورا

ويحتمل أن يكون أشار بذلك الى ما جرت به عادة الملوك من ذر الطيب في قصورهم حتى يطؤه باقدامهم زيادة في التنعم وسبب قول المعتمد ذلك ما حكاه الفتح فقال وأول عيد أخذه يعني المعتمد باغمات وهو سارح وما غير السجون له مسارح ولازي الاحالة الخمول واستحالة الخمول فدخل اليه من يسليه ويسلم عليه وفيهم بناته وعليهن أطمار كأنها كسوف وهن أقمار يبكين عند التساؤل ويبدين الخشوع بعد التخايل والضياع قد غير صورهن وحير نظرهن وأقدامهن حافيه وآثار نعيمهن عافيه فقال

فيما مضى كنت بالاعياد مسرورا * فساءك العيد في اغمات ماسورا
ترى بناتك في الاطمار جائعة * يغزلن للناس ما يملكن قطميرا
برزن نحوك للتسليم خاشعة * أبصارهن حسيرات مكاسيرا
يطأن في الطين والاقدام حافية * كأنها لم تطأ مسكا وكافورا
لاخد الا تشكي الجدب ظاهرة * وليس الا مع الانفاس ممطورا
افطرت في العيد لا عادت مساءته * فكان فطرك للاكباد تفطيرا
قد كان دهرك ان تأمره ممتثلا * فردك الدهر منهيا ومأمورا
من بات بعدك في ملك يسر به * فانما بات بالاحلام مغرورا

انتهى * وقال الفتح أيضا ولما نقل المعتمد من بلاده واعرى من طارفه وتلاده وحمل في السفين واحل في العدوة محل الدفين تندبه منابره وأعواده ولا يدنو منه زواره ولا عواده بقي أسفا تتصعد زفراته وتطرد اطراد المذانب عبراته لا يخلو بمؤانس ولا يرى الا عرينا بدلا من تلك المكانس ولما لم يجد سلوا ولم يؤمل دنوا ولم ير وجه مسرة مجلوا تذكر منازله فشاقته وتصور بهجتها فراقته وتخيل استيحاشها وطلته واجهاش قصره الى قطانه واظلام جوه من اقماره وخلوه من حراسه وسماره فقال

بكى المبارك في اثر ابن عباد * بكى على اثر غزلان وآساد

ابن العباس لابن الحنفية فقال يا ابن عم انى لا آمنه عليك فبايعه فقال سـ ـتبعه ذاره عليه نارا فدخل في شعاب قوى فجعل ابن عباس ينظر الى الشمس ويفكر في كلام ابن الحنفية وقد كادت الشمس ان تغرب فوافاهم أبو عبد الله الجدلي فيما ذكرنا من الخيل وقالوا لابن الحنفية ائذن لنا فيه فأبى وخرج الى ايلة فأقام بها سنين ثم قتل ابن الزبير كذلك حدث عمر ابن حبة التميمي عن عطاء بن مسلم فيما أخبرنا به أبو الحسن المهراني البصري بمصر وأبو اسحق الجوهري بالبصرة وغيرهما وهؤلاء الذين وردوا الى ابن الحنفية هم الشيعة الكيسانية وهم القائلون بامامة محمد بن الحنفية وقد تنازعت الكيسانية بعد قولهم بامامة محمد بن الحنفية فمنهم من قطع بموته ومنهم من زعم انه لم يمت وانه حي في جبال رضوى وقد تنازع كل فريق من هؤلاء أيضا وانما سموا بالكيسانية لاضافتهم الى المختار بن أبي عبيد الثقفي وكان اسمه كيسان ويكنى أبا عمرة أو هو غير المختار وقد أتينا على أقاويل فرق الكيسانية وغيرهم من فرق الشيعة وطوائف الامة في كتابنا في المقالات في أصول الديانات وذكرنا قول كل فريق منهم وما أيد به مذهبه وقول من ذكر منهم أن ابن الحنفية

بكت ثرياه لا غمت كواكبها * بمثل نوء الثريا الرائح الغادى
بكى الوحيد بكى الزاهى وقبته * والنهر والتاج كل ذله بادى
ماء السماء على افيائه درر * يا لجة البحر دومى ذات ازباد

وفى ذلك يقول ابن اللبانة

أستودع الله أرضا عندما وضحت * بشائر الصبح فيها بدلت حلكا
كان المؤيد بستانا بساحتها * يجنى النعيم وفى علياتها فلكا
فى امه لملوك الدهر معتبر * فليس يغتر ذو ملك بما ملكا
نبكيه من جبل خرت قواعده * فكل من كان فى بطحائه هلكا

وكان القصر الزاهى من اجل المواضع لديه وابهاها واحبها اليه واشهاها لاطلاله على النهر واشرافه على القصر وجماله فى العيون واشتماله بالزهر والزيتون وكان له به من الطرب والعيش المزرى بحلاوة الضرب مالم يكن بحلب لبنى حمدان ولا لسيف بن ذى يزن فى رأس غمدان وكان كثيرا ما يدير به راحه ويجعل فيه انشراحه فلما امتد الزمان اليه بعدوانه وسد عليه ابواب سلوانه لم يحن الا اليه ولم يتمن غير الحلول لديه فقال

غريب بارض المغربين أسير * سيبكى عليه منبر و سرير
وتندبه البيض الصوارم والقنا * وينهل دمع بينهن غزير
مضى زمن والملك مستأنس به * وأصبح منه اليوم وهو نفور
برأى من الدهر المضلل فاسد * متى صلحت للصالحين دهور
أذل بنى ماء السماء زمانهم * وذل بنى ماء السماء كبير
فياليت شعرى هل ابيتن ليلة * أمامى وخلفى روضة وغدير
بمنبتة الزيتون مورثة العلا * تغنى حمام أو ترن طيور
بزاهرها السامى الذى جاده الحيا * تشير الثريا نحونا ونشير
ويلحظنا الزاهى وسعد سعوده * غيورين والصب المحب غيور
تراه عسير الايسير امناله * [illegible]

انتهى * وقال الحجارى فى المسهب ان ا[illegible]
جارية مغنية قد نشات بالعدوة واهل العد[illegible]
اشبيلية وقد كثر الارجاف بان سلطان الملثمين يصرح بقصده [illegible]
خاطر ابن عباد بالفكر فى ذلك فخرج بها الى قصر الزهراء على نهر اشبيلية وقعد على الراح فخطر بفكرها أن غنت عندما انتشى هذه الابيات

حلوا قلوب الاسد بين ضلوعهم * ولووا عمائمهم على الاقمار
وتقلدوا يوم الوغى هندية * امضى اذا انتضيت من الاقدار
ان خوفوك لقيت كل كريهة * أو أمنوك حللت دار قرار

فوقع فى قلبه أنها عرضت بما داتها فلم يملك غضبه ورمى بها فى النهر فهلكت انتهى فقدر الله تعالى أن كان تمزيق ملكه على يدهم تصديقا للجارية فى قولها

من الاخباريين ان كثيرا الشاعر كان كيسانيا ويقول ان محمد بن الحنفية هو المهدى الذى يملؤها عدلا كما ملئت جورا وحكى الزبير بن بكار فى كتابه انساب قريش فى انساب آل أبى طالب وأخبارهم منه قال أخبرنى عمر قال قال كثير أبياتا له يذكر بها ابن الحنفية رضى الله عنه وأولها

هو المهدى خبرناه كعب
أخو الاحبار فى الحقب الخوالى

أقر الله عينى اذ دعانى
أمين الله يلطف فى السؤال
وأثنى فى هواى على خيلا
وساءل عن بنى وكيف حالى

وفيه يقول أيضا كثير

الا ان الائمة من قريش
ولاة الحق أربعة سواء
على والثلاثة من بنيه
[illegible]
وسبط لا تراه العين حتى
يقود الخيل يتبعها اللواء
يغيب لا يرى فيهم زمانا
برضوى عنده عسل وماء

وفيه يقول السيد الحميرى وكان كيسانيا

الا قل للوصى فدتك نفسى
أطلت بذلك الجبل المقاما

أضر بعشر والولاة منا * وسموك الخليفة والاماما وعادوا فيك أهل الارض طرا * مغيبك عنهم سبعين عاما

*ان خوفوك لقيت كل كريهة * وحصر بجيوش لمتونة الملثمين حتى أخذوه قهرا وسيق الى امير المسلمين والقصة مشهورة * وقال الفتح فى شأن حصاره المعتمد ما صورته ولما تم فى الملك أمده واراد الله تعالى أن تخر عمده وتنقرض ايامه وتتقوض عن عراص الملك خيامه نازلته جيوش أمير المسلمين ومحلاته وظاهرته فساطيطه ومظلاته بعد ما نثرت حصونه وقلاعه وسعرت بالنكاية جوانحه واضلاعه واخذت عليه الفروج والمضايق وانثنت اليه الموانع والعوائق وطرقته طوارقها بالاضرار وامطرته من النكاية كل ديمة مدرار وهو ساه بروض ونسيم لاه براح ومحيا وسيم زاه بفتاة تنادمه ناه عن هدم انس هو هادمه لا يصيخ الى نبأ سمعه ولا ينيخ الا على لهو يفرق جوعه جمعه وقد ولى المدامة ملامه وثنى الى ركنها طوافه واستلامه وتلك الجيوش تجوس خلاله وتقلص ظلاله وحين اشتد حصاره وعجز عن المدافعة أنصاره ودلس عليه ولاته وكثرت ادواؤه وعلاته فتح باب الفرج وقد لفح شواظ الهرج فدخلت عليه من المرابطين زمره واشتعلت من التقلب جمره تاجج اضطرامها وسهل بها ايقاد الفتنة واضرامها وعندما سقط الخبر عليه خرج حاسرا عن مفاضته جامحا كالمهر قبل رياضته فلحق اوائلهم عند الباب المذكور وقد انتشروا فى جنباته وظهروا على البلد من اكثر جهاته وسيفه فى يده يتلمظ للطلى والهام ويعد بانفراج ذلك الاستبهام فرماه أحد الداخلين برمح تخطاه وجاوز مطاه فبادره بضربة أذهبت نفسه واغربت شمسه ولقى ثانيا فضربه وقدمه وخاض جيش ذلك الداء وحسمه فاجلوا عنه وولوا فرارا منه فأمر بالباب فسد وبنى منه ما هدم ثم انصرف وقد اراح نفسه وشفاها وابعد الله تعالى عنه الملامة ونفاها وفى ذلك يقول عند ما خلع وودع من المكروه ما اودع

ان يسلب القوم العدا * ملكى وتسلمنى الجموع
فالقلب بين ضلوعه * لم تسلم القلب الضلوع
قد رمت يوم نزالهم * أن لا تحصننى الدروع
وبرزت ليس سوى القميص على الحشا شئ دفوع
أجلى تأخر لم يكن * بهواه ذلى والخضوع
ماسرت قط الى القتال * لو كان من املى الرجوع
شيم الالى انا منهم * والاصل تتبعه الفروع

ومازالت عقارب تلك الداخلة تدب ثم ذكر الفتح تمام هذا الكلام فراجعه فيما نحو ثلاث ورقات * ومن حكايات مجالس انسه أيام ملكه قبل أن ينظمه صرف الدهر فى سلكه ما حكاه الفتح عن ذخر الدولة انه دخل عليه فى دار المزينية والزهر يحسد اشراق مجلسه والدر يحكى اتساق تانسه وقد رددت الطير شدوها وجودت طربها ولهوها وجددت كلفها وشجوها والغصون قد التحفت بسندسها والازهار تحيى بطيب تنفسها والنسيم يلم بها فتضمه بين أجفانها وتودعه أحاديث آذارها ونيسانها وبين يديه فتى من فتيانه يتثنى تثنى القضيب ويحمل الكاس فى راحة أبهى من الكف الخضيب وقد توشح وكأن الثريا وشاحه

وفيه يقول السيد أيضا

يا شعب رضوى مالمن بك لا يرى
وبنا اليه من الصبابة أولق
حتى متى والى متى وكم المدى
يا ابن الرسول وأنت حى ترزق

وللسيد فيه اشعار كثيرة لا يأتى عليها كتابنا هذا (وذكر) على بن محمد بن سليمان النوفلى فى كتابه الاخبار بما اسنده من ابى العباس بن عمار قال حدثنا جعفر بن محمد النوفلى قال حدثنا اسمعيل الساحر وكان راوية السيد الحميرى قال ما مات السيد الاعلى قوله بالكيسانية وأنكر قوله فى القصيدة التى أولها

تجعفرت باسم الله والله أكبر

قال أبو الحسن على بن محمد النوفلى عقيب هذا الخبر وليس يشبه هذا شعر السيد لان السيد مع ... احته وجزالة قوله لا يقول تجعفرت باسم الله وذكر عمر بن شبة النميرى عن مساور بن السائب أن ابن الزبير خطب أربعين يوما لا يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وقال لا يمنعنى أن أصلى عليه الا أن تشمخ رجال بآنافها وذكر سعيد بن جبير أن عبد الله بن عباس دخل على ابن الزبير فقال له ابن الزبير أنت الذى

يقول ليس المسلم الذي يشبع ويجوع جاره فقال ابن الزبير اني لا كتم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة وجرى بينهم خطب طويل فخرج ابن عباس من مكة خوفا على نفسه فنزل الطائف فتوفي هنالك ذكر هذا الخبر عمر بن شبة النميري عن سويد بن سعيد يرفعه الى سعيد بن جبير فيما حدثنا به المهراني بمصر والكلابي بالبصرة وغيرهما عن عمر ابن شبة وحدث النوفلي في كتابه في الاخبار عن الوليد بن هشام المخزومي قال خطب ابن الزبير فنال من علي فبلغ ذلك ابنه محمد ابن الحنفية حتى وضع له كرسي قدامه فعلاه وقال يامعاشر قريش شاهت الوجوه أينتقص علي وأنتم حضور ان عليا كان [illegible]

[illegible]

[illegible] شاو [illegible] بهم فثقل عليهم فرموه بصرفة الاباطيل وانا معشر له على نهج من أمره بنو الحسبة من الانصار فان تكن لنا الايام دولة لنثر عظامهم ونحسر عن أجسادهم والابدان يومئذ بالية وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون فعاد ابن الزبير الى خطبته وقال عذرت بني الفواطم يتكلمون فما بال بني الحنفية فقال

وشاحه وانار فكأن الصبح من محياه كان اتضاحه فلما ناوله الكاس خامرته سوره وتخيل أن الشمس تهديه نوره فقال المعتمد

لله ساق مهفهف غنج * قدقام يسقي فجاء بالعجب
أهدى لنا من لطيف حكمته * في جامد الماء ذائب الذهب

ولما وصل لورقة استدعى ذا الوزارتين القائد أبا الحسن بن اليسع ليلته تلك في وقت لم يخف فيه زائر من مراقب ولم يبد فيه غير نجم ثاقب فوصل وما للامن الى فؤاده وصول وهو يتخيل أن الجو صوارم ونصول بعد أن وصى بما خلف وودع من تخلف فلما مثل بين يديه آنسه وازال توجسه وقال له خرجت من اشبيلية وفي النفس غرام طويته بين ضلوعي وكففت فيه غرب دموعي بفتاة هي الشمس أو كالشمس اخالها لايحول قلبها ولا خلخالها وقد قلت في يوم وداعها عند تفطر كبدي وانصداعها

ولما التقينا للوداع غدية * وقد خفقت في ساحة القصر رايات
بكينا دما حتى كأن عيوننا * لجري الدموع الحمر منها جراحات

وقد زارتني هذه الليلة في مضجعي وأبرأتني من توجعي ومكنتني من رضابها وفتنتني بدلالها وخضابها فقلت

أباح لطيفي طيفها الخد والنهدا * فعض بها تفاحة واجتنى وردا
ولو قدرت زارت على حال يقظة * ولكن حجاب البين مابيننا مدا
أما وجدت عنا الشجون معرجا * ولا وجدت منا خطوب النوى بدا
سقى الله صوب القطر أم عبيدة * كما قد سقت قلبي على حره بردا
هي الظبي جيدا والغزالة مقلة * وروض الربا عرفا وغصن النقا قدا

فكرر استجادته وأكثر استعادته فأمر له بخمسمائة دينار وولاه لورقة من حينه قال الفتح وأخبرني ابن اللبانة انه استدعاه ليلة الى مجلس قد كساه الروض وشيه وامتثل الدهر فيه أمره ونهيه فسقاه الساقي وحياه وسقاه الانس عن مونق محياه فقام للمعتمد مادحا وعلى دوحة تلك النعماء صادحا فاستحسنه [illegible] وقد امتلأت يداه وغمر جوده ونداه فلما حل بمنزله [illegible] العقار ومعهما

جاءتك ليلا في ثياب نهار * من نورها وغلالة البلار
كالمشتري قد لف من مريخه * اذ لفه في الماء جذوة نار
لطف الجمود لذا وذا فتألفا * لم يلق ضد ضده بنفار
يتحير الراؤن في نعتيهما * أصفاء ماء أم صفاء دراري

وقال الفتح أيضا وأخبرني نجم الدولة انه استدعاه في ليلة قد ألبسها البدر رداءه وأوقد فيها اضواءه وهو على البحيرة الكبرى والنجوم قد انعكست فيها تخالها زهرا وقابلتها المجرة فسالت فيها نهرا وقد أرجت نوافح الند وماست معاطف الرند وحسد النسيم الروض فوشى بأسراره وأفشى حديث آسه وعراره ومشى مختالا بين لبات النور وأزراره

وهو وجم ودمعه منسجم وزفراته تترجم عن غرامه وتجهمه عن تعذر مرامه فلما نظر اليه استدناه وقربه وشكا اليه من الهجران ما استغربه وأنشده

أيا نفس لا تجزعى واصبرى * والاف الهوى متلف
حبيب جفاك وقلب عصاك * ولاح لحاك ولا منصف
شجون منعن الجفون الكرى * وعوضنها أدمعا تنزف

فانصرف ولم يعلمه بقصته ولا كشف له عن غصته انتهى *وقال الفتح أيضا أخبرنى ذو الدولة بن المعتضد انه دخل عليه فى ليلة قد امتطى السرور منامها وامتطى الحبور غاربها وسنامها وراع الانس فؤادها وستر بياض الامانى سوادها وغازل نسيم الروض زوارها وعوادها ونور السراج قد قلص اذيالها ومحا من لجين الارض نيالها والمجلس مكتس بالمعالى وصوت المثانى والمثالث عالى والبدر قد كمل والتحف بضوئه القصر واشتمل وتزين بسناه وتجمل فقال المعتمد

ولقد شربت الراح يسطع نورها * والليل قد مد الظلام رداء
حتى تبدى البدر فى جوزائه * ملكا تناهى بهجة وبهاء
وتناهضت زهر النجوم يحفه * لالاؤها فاستكمل اللالاء
لما أراد تنزها فى غربة * جعل المظلة فوقه الجوزاء
وترى الكواكب كالمواكب حوله * رفعت ثرياها عليه لواء
وحكيته فى الارض بين كواكب * وكواعب جمعت سناو سناء
ان نشرت تلك الدروع حنادسا * ملأت لنا هذى الكؤس ضياء
واذا تغنت هذه فى مزهر * لم تأل تلك على التريك غناء

وأخبرنى ابن اقبال الدولة انه كان عنده فى يوم قد نشر من غيمه رداء ند واسكب من قطره ماء ورد وأبدى من برقه لسان نار وأظهر من قزحه حنايا قوس آس حفت بنرجس وجلنار والروض قد بعث رياه وبث الشكر لسقياه فكتب الى الطبيب الاديب أبى محمد المصرى

أيها الصاحب الذى فارقت عينى ونفسى منه السنا والسناء
نحن فى المجلس الذى يهب الرا * حة والمسمع الغنى والغناء
نتعاطى التى تنسى من الرقة واللذة الهوى والهواء
فأته تلف راحة ومحيا * قد أعدالك الحيا والحياء

فوافاه والى مجلسه وقد اتلعت فيه الاباريق أجيادها وأقامت فيه خيل السرور طرادها وأعطته الامانى انطباعها وانقيادها وأهدت الدنيا ليومه مواسمها وأعيادها وخلعت عليه الشمس شعاعها ونشرت فيه الحدائق ايناعها فادبرت الراح وتعوطيت الاقداح وخامر النفوس الابتهاج والارتياح واظهر المعتمد من ايناسه ما استرق به نفوس جلاسه ثم دعا بكبير فشربه كما غربت الشمس فى ثبير وعندما تناولها قام المصرى ينشد أبياتا يمدلها

اشرب هنيأ عليك التاج مرتفعا * بشادمهر ودع غمدان لليمن

ابن هاشم جدتى أوليست فاطمة بنت عمرو بن عائذ جدة أبى أما والله لولا خديجة بنت خويلد ما تركت فى بنى أسد عظما الاهشمته وان نالتنى فيه المصائب صبرت (حدثنا) ابن عمار عن على بن محمد بن سليمان النوفلى قال حدثنى ابن عائشة والعتبى جميعا عن ابويهما والفاظهما متقاربة قال اخطب ابن الزبير فقال ما بال أقوام يفتون فى المتعة وينتقصون حوارى الرسول وأم المؤمنين عائشة ما بالهم أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم يعرض بابن عباس فقال يا غلام أصمدنى صمدة فقال يا ابن الزبير قد أنصف القارة من راماها انا اذا ما فتية نلقاها ترد أولاها على أخراها أما قولك فى المتعة فسل أمك تخبرك فان أول متعة سطع مجمرها لمجمر سطع بين أمك وأبيك يريد متعة الحج وأما قولك حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد لقيت أباك فى الزحف وأنا مع امام هدى فان يكن على ما أقول فقد كفر بقتالنا وان يكن على ما تقول فقد كفر بهربه عنا

فأنت أولى بتاج الملك تلبسه * من هوذة بن علي وابن ذي يزن

فطرب حتى زحف عن مجلسه واسرف في تأنيسه وأمر فخلعت عليه خلع لا تصلح الا للخلفاء وأدناه حتى أجلسه مجلس الاكفاء وأمر له بدنانير عددا وملأ له بالمواهب يدا وقوله في غلام رآه يوم العروبة من ثنيات الوغى طالعا ولطلى الابطال قارعا وفي الدماء والغا واستشع كؤوس المنايا سائغا وهو ظبي قد فارق كناسه وعاد أسدا قد صارت القنا أخياسه ومتكاثف العجاج قد مزق اشراقه وقلوب الدارعين قد شكتها أحداقه فقال

ابصرت طرفك بين مشتجر القنا * فبدا لطرفي انه فلك

أوليس وجهك فوقه قمرا * يجلي بنير نوره الحلك

وقال فيه

ولما اقتحمت الوغى دارعا * وقنعت وجهك بالمغفر

حسبنا محياك شمس الضحى * عليها سحاب من العنبر

وقد جمع بنا القلم في ترجمة المعتمد بن عباد بعض جموح وما ذلك الا لما علمنا أن نفوس الادباء الى أخباره رحمه الله تعالى شديدة الطموح وقد جعل الله تعالى له كما قال ابن الابار في الحلة السيراء رقة في القلوب وخصوصا بالمغرب فان أخباره وأخبار الرميكية الى الآن متداولة بينهم وان فيها الاعظم عبرة رحم الله تعالى الجميع (رجع الى أخبار النساء) *(ومنهن) العبادية جارية المعتضد عباد والد المعتمد أهداها اليه مجاهد العامري من دانية وكانت أديبة ظريفة كاتبة شاعرة ذاكرة لكثير من اللغة قال ابن عليم في شرحه لادب الكاتب لابن قتيبة وذكر الموسعة وهي خشبة بين حمالين يحمل كل واحد منهما طرفها على عنقه ما صورته وبذكر الموسعة اغربت جارية مجاهد أهداها الى عباد كاتبة شاعرة على علماء اشبيلية بالغرمة التي تظهر في أذقان بعض الاحداث وتعتري بعضهم في الخدين عند الضحك فأما التي في الذقن فهي النونة ومنه قول عثمان رضي الله تعالى عنه وسموا نونته لتدفع العين وأما التي في الخدين عند الضحك فهي الفحصة فما كان في ذلك الوقت في اشبيلية من عرف منهما واحدة * وسهر عباد ليلة لامر حزبه وهي نائمة فقال

تنام ومدنفها يسهر * وتصبر عنه ولا يصبر

فاجابته بديهة بقولها

لئن دام هذا وهذا له * سيهلك وجدا ولا يشعر

ويكفيك هذا شاهدا على فضلها رحمها الله تعالى وسامحها *(ومنهن) [illegible] عباد وأمها الرميكية السابقة الذكر وكانت بثينة هذه نحوا من أمها في الجمال [illegible] الشعر ولما أحيط بأبيها ووقع النهب في قصره كانت في جملة من سبي ولم يزل [illegible] عليها في وله دائم لا يعلمان ما آل اليه أمرها الى أن كتبت اليهما بالشعر المشهور المتداول بين الناس بالمغرب وكان أحد تجار اشبيلية اشتراها على انها جارية سرية ووهبها لابنه فنظر من شأنها وهيئت له فلما أراد الدخول عليها امتنعت وأظهرت نسبها وقالت لا أحل لك الا بعقد النكاح ان رضي أبي بذلك وأشارت عليهم بتوجيه كتاب من قبلها لابيها وانتظار جوابه فكان الذي كتبته بخطها من نظمها ما صورته

(قال المسعودي) وفي هذا الخبر زيادات من ذكر البردة والموسعة قد أتينا على الخبر بتمامه وما قاله الناس في متعة النساء ومتعة الحج وتنازعهم في ذلك وما ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم من انه حرمها عام خيبر ولحوم الحمر الاهلية وما ذكر في حديث الربيع ابن سيرة عن أبيه وقول عمر كانتا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو تقدمت بالنهي لفعلت بفاعل ذلك كذا وكذا وما روي عن جابر قال تمتعنا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافة أبي بكر وصدر من خلافة عمر وغير ذلك من أقاويلهم في كتابنا المترجم بكتاب الاستنصار وفي كتاب الصفوة وفي كتابنا المترجم بالكتاب الواجب في الفروض اللوازم وما قال الناس في غسل الرجلين ومسحهما والمسح على الخفين وطلاق الا [illegible] [illegible] ... ابن جريج قال حدثني منصور بن شيبة عن صفية بنت أبي عبيد عن أسماء بنت أبي بكر قالت لما قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع أمر من لم يكن معه هدي ان يحل قالت فأحللت فلبست ثيابي وتطيبت وجئت حتى جلست الى جنب الزبير

اسمع كلامي واستمع لمقالتي * فهي السلوك بدت من الاجياد
لا تنكروا أني سبيت وأنني * بنت لملك من بني عباد
ملك عظيم قد تولى عصره * وكذا الزمان يؤول للافساد
لما أراد الله فرقة شملنا * واذاقنا طعم الاسى من زاد
قام النفاق على أبي في ملكه * فدنا الفراق ولم يكن بمراد
فخرجت هاربة فحازني امرؤ * لم يأت في اعجاله بسداد
اذ باعني بيع العبيد فضمني * من صانني الا من الانكاد
وأرادني لنكاح نجل طاهر * حسن الخلائق من بني الانجاد
ومضى اليك يسوم رأيك في الرضا * ولأنت تنظر في طريق رشادي
فعساك يا أبتي تعرفني به * ان كان ممن يرتجى لوداد
وعسى رميكية الملوك بفضلها * تدعو لنا باليمن والاسعاد

فلما وصل شعرها لابيها وهو باغمات واقع في شراك الكروب والازمات سرهو وأمها بحياتها ورأيا أن ذلك للنفس من أحسن أمنياتها اذ علما مآل أمرها وجبر كسرها اذ ذاك أخف الضررين وان كان الكرب قد ستر القلب منه بحجاب رين وأشهدا على أنفسهما بعقد نكاحها من الصبي المذكور وكتب اليها أثناء كتابه ما يدل على حسن صبره المشكور

بنيتي كوني به برة * فقد قضى الدهر باسعافه

وأخبار المعتمد بن عباد تذيب الاكباد فلنرجع الى ذكر نساء الاندلس فنقول *(ومنهن) حفصة بنت حمدون من وادي الحجارة ذكرها في المغرب وقال انها من أهل المائة الرابعة ومن شعرها

رأى ابن جميل أن يرى الدهر مجملا * فكل الورى قد عمهم سيب نعمته
له خلق كالخمر بعد امتزاجها * وحسن فما أحلاه من حين خلقته
بوجه كمثل الشمس يدعو ببشره * عيونا ويعشيها بافراط هيبته

ولها أيضا

لي حبيب لا ينثني لعتاب * واذا ما تركته زاد تيها
قال لي هل رأيت لي من شبيه * قلت أيضا وهل ترى لي شبيها

ولها تذم عبيدها

يا رب اني من عبيدي على * جمر الغضا ما فيهم من نجيب
اما جهول ابله متعب * أو فطن من كيده لا يجيب

وقال ابن الابار انها كانت أديبة عالمة شاعرة وذكرها ابن فرج صاحب الحدائق وأنشد لها أشعارا منها قولها

يا وحشتي لأحبتي * يا وحشة متماديه
يا ليلة ودعتهم * يا ليلة هي ماهيه

*(ومنهن) زينب المرية كانت أديبة شاعرة وهي القائلة

فقال قومي عني فقلت ما تخاف أتخاف أن أبت عليك فهذا الذي أراد ابن عباس وقد ذكر هذا الحديث عن أبي عاصم غير النوفلي وقد تنازع الناس في ذلك فمنهم من رأى انه عنى متعة النساء ومنهم من رأى انه أراد متعة الحج لان الزبير تزوج أسماء بكرا في الاسلام زوجه أبو بكر معلنا فكيف تكون متعة النساء ولما هلك يزيد بن معاوية وولي معاوية بن يزيد دعى ذلك الى الحصين بن نمير ومن معه في الجيش من أهل الشام وهو على حرب ابن الزبير فهادنوا ابن الزبير ونزلوا مكة فلقي الحصين عبد الله في المسجد فقال له هل لك يا ابن الزبير أن أحملك الى الشام وأبايع لك بالخلافة فقال له عبد الله رافعا صوته أبعد قتل أهل الحرة لا والله حتى أقتل بكل رجل خمسة من أهل الشام فقال الحصين من زعم يا ابن الزبير انك داهية فهو أحمق أكلمك سرا وتكلمني علانية أدعوك أن أستخلفك فترفع الحرب وتزعم انك تقاتلنا فستعلم أينا المقتول وانصرف أهل الشام الى بلادهم مع الحصين فلما صاروا الى المدينة جعل أهلها يتعقبونهم ويتوعدونهم ويذكرون قتلاهم بالحرة فلما أكثروا من ذلك

يا أيها الراكب الغادي مطيته * عرج أنبيك عن بعض الذي أجد
ما عالج الناس من وجد تضمنهم * الا ووجدي بهم فوق الذي وجدوا
حسبي رضاه وأني في مسرته * ووده آخر الايام أجتهد

*(ومنهن) غاية المنى وهي جارية أندلسية متأدبة قدمت الى المعتصم بن صمادح فأراد اختبارها فقال لها ما اسمك فقالت غاية المنى فقال لها أجيزي اسئلوا غاية المنى فقالت من كسا جسمي الضنا وأراني مولها * سيقول الهوى أنا هكذا أورد السالمي هذه الحكاية في تاريخه قال ابن الابار وقرأت بخط الثقة حاكيا عن القاضي أبي القاسم بن حبيش قال سيقت لابن صمادح جارية لبيبة تقول الشعر وتحسن المحاضرة فقال تحمل الى الاستاذ ابن الفراء الخطيب ليختبرها وكان كفيفا فلما وصلته قال ما اسمك فقالت غاية المنى فقال أجيزي

سل هوى غاية المنى * من كسا جسمي الضنا
فقالت تجيزه وأراني متيما * سيقول الهوى أنا

فحكي ذلك لابن صمادح فاشتراها انتهى *(ومنهن) حمدة ويقال حمدونة بنت زياد المؤدب من وادي آش وهي خنساء المغرب وشاعرة الاندلس ذكرها الملاحي وغيره وممن روى عنها أبو القاسم بن البراق ومن عجيب شعرها قولها

ولما أبى الواشون الا افتراقنا * وما لهم عندي وعندك من ثار
وشنوا على أسماعنا كل غارة * وقل حماتي عند ذاك وأنصاري
غزوتهم من مقلتيك وأدمعي * ومن نفسي بالسيف والسيل والنار

وبعض يزعم أن هذه الابيات لمهجة بنت عبد الرزاق الغرناطية وكونها لحمدة أشهر والله سبحانه وتعالى أعلم * وخرجت حمدة مرة للوادي مع صبية فلما نضت عنها ثيابها وعامت قالت

أباح الدمع أسراري بوادي * له للحسن آثار بوادي
فمن نهر يطوف بكل روض * ومن روض يرف بكل وادي
ومن بين الظباء مهاة انس * سبت لبي وقد ملكت فؤادي
لها لحظ ترقده لأمر * وذاك الامر يمنعني رقادي
اذا سدلت ذوائبها عليها * رأيت البدر في أفق [illegible]
كأن الصبح مات له شقيق * فمن حزن تسربل [illegible]

وقال ابن البراق في سوق هذه الحكاية أنشدتنا حمدة العوفية لنفسها [illegible] بالرملة من نواحي وادي آش فرأت ذات وجه وسيم أعجبها فقالت وبين الروايتين خلاف أباح الدمع الى آخره ونسب بعضهم الى حمدة هذه الابيات الشهيرة بهذه البلاد المشرقية وهي

وقانا لفحة الرمضاء واد * سقاه مضاعف الغيث العميم
حللنا دوحه فحنا علينا * حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالا * ألذ من المدامة للنديم

وخافوا الفتنة وهيجها فصعد روح بن زنباع الجذامي على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان في ذلك الجيش فقال يا أهل المدينة ما هذا الايعاد الذي توعدونا انا والله ما دعوناكم الى كلب لمبايعة رجل منهم ولا الى رجل من القين ولا الى رجل من لخم أو جذام ولا غيرهم من العرب ولكن دعوناكم الى هذا الحي من قريش يعني بني أمية ثم الى طاعة يزيد بن معاوية وعلى طاعته قاتلناكم فابانا توعدون أما والله انا لأبناء الطعن والطاعون وفضلات الموت والمنون فاشئتم ومضى القوم الى الشام وجعل الى ابن الزبير من صنعاء الفسيفساء التي كان بناها ابرهة الحبشي في كنيسته التي اتخذها هنالك ومعها ثلاث أساطين من رخام فيها وشي منقوش قد حشي النقش و [illegible] في بناء الكعبة وشهد عنده سبعون شيخا من قريش ان قريشا حين بنت الكعبة عجزت نفقتهم فنقصوا من سعة البيت سبعة أذرع من أساس ابراهيم الخليل الذي أسسه هو واسمعيل عليهما السلام فبناه ابن الزبير وزاد فيه الاذرع المذكورة وجعل فيه الفسيفساء والاساطين وجعل له بابين بابا يدخل منه وبابا

يصد الشمس أنى واجهتنا * فيحجبها ويأذن للنسيم
يروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

ومن جزم بذلك الرعيني وقال ان مؤرخي بلاد الاندلس نسبوها لحمدة من قبل أن يوجد المنازي الذي ينسبها له أهل المشرق وقد رأيت أن أذكر كلامه برمته ونصه كانت من ذوي الالباب وفحول أهل الآداب حتى ان بعض المنتحلين تعلق بهذه الاهداب وادعى نظم هذين البيتين يعني ولما أبى الواشون الى آخر لما فيهما من المعاني والالفاظ العذاب وما غره في ذلك الابعد دارها وخلو هذه البلاد المشرقية من أخبارها وقد تلبس بعضهم أيضا بشعارها وادعى غير هذا من أشعارها وهو قولها وقانا لفحة الرمضاء واد * الى آخره وان هذه الابيات نسبها أهل البلاد للمنازي من شعرائهم وركبوا التعصب في جادة ادعائهم وهي أبيات لم يحلها اسم غير لسانها ولا رقم برديها غير احسانها ولقد رأيت المؤرخين من أهل بلادنا وهي الاندلس أثبتوها لها قبل أن يخرج المنازي من العدم الى الوجود ويتصف بلفظة الموجود انتهى وهو أبو جعفر الاندلسي الغرناطي نزيل حلب وحكى ابن العديم في تاريخ حلب ما نصه وبلغني أن المنازي عمل هذه الابيات ليعرضها على أبي العلاء المعري فلما وصل اليه أنشده الابيات فجعل المنازي كلما أنشده المصراع الاول من كل بيت سبقه أبو العلاء الى المصراع الثاني الذي هو تمام البيت كما نظمه ولما أنشده قوله
نزلنا دوحه فحنا علينا قال أبو العلاء * حنو الوالدات على الفطيم * فقال المنازي انما قلت على اليتيم فقال أبو العلاء الفطيم أحسن انتهى وهذا يدل على أن الرواية عنده حنو الوالدات وقد تقدم المرضعات والله تعالى أعلم * وقال ابن سعيد يقال لنساء غرناطة المشهورات بالحسب والجلالة العربيات لمحافظتهن على المعاني العربية ومن أشهرهن زينب بنت زياد الوادي آشي وأختها حمدة وحمدة هذه هي القائلة وقد خرجت الى نهر منقسم الجداول بين الرياض مع نسائها فسبحن في الماء وتلاعبن * أباح الدمع أسراري بوادي * الابيات انتهى (ومنهن) عائشة بنت أحمد القرطبية قال ابن حيان في المقتبس لم يكن في زمانها من حرائر الاندلس من يعدلها علما وفهما وأدبا وشعرا وفصاحة تمدح ملوك الاندلس وتخاطبهم بما يعرض لها من حاجة وكانت حسنة الخط تكتب المصاحف وماتت عذراء لم تنكح سنة أربعمائة * وقال في المغرب انها من عجائب زمانها وغرائب أوانها وأبو عبد الله الطبيب عمها ولو قيل انها أشعر منه لجاز ودخلت على المظفر بن المنصور بن أبي عامر وبين يديه ولد فارتجلت

أراك الله فيه ما تريد * ولا برحت معاليه تزيد
فقد دلت مخايله على ما * تؤمله وطالعه السعيد
تشوقت الجياد له وهز الحسام هوى وأشرقت البنود
وكيف يخيب شبل قد نمته * الى العليا ضراغمة أسود
فسوف تراه بدرا في سماء * من العليا كواكبه الجنود
فأنتم آل عامر خير آل * زكا الابناء منكم والجدود

يخرج منه فلم يزل البيت على ذلك حتى قتل الحجاج عبد الله بن الزبير وكتب الى عبد الملك يعلمه بما زاده ابن الزبير في البيت فأمره عبد الملك بهدمه ورده الى ما كان عليه آنفا من بناء قريش وعصر الرسول صلى الله عليه وسلم وان يجعل له بابا واحدا ففعل الحجاج ذلك واستوثق الامر لابن الزبير وأخذت له البيعة بالشام وخطب له على سائر منابر الاسلام الا منبر طبرية من بلاد الاردن فان حسان بن مالك بن بحدل أبى أن يبايع لابن الزبير وأرادها لخالد ابن يزيد بن معاوية وكان القيم بأمر بيعة ابن الزبير بمكة عبد الله بن مطيع العدوي ففي ذلك يقول فضاعة الاسدي وكان بايع لابن الزبير ثم نكث
دعا ابن مطيع للبياع فجئته * الى بيعة قلبي لها غير آلف
فناولني خشناء لما لمستها * بكفي ليست من أكف الخلائف
وهلك يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد وعبيد الله بن زياد على البصرة أمير فخطب الناس واعلمهم بموتهما وان الامر شورى لم ينصب له أحد وقال لأرض اليوم أوسع من أرضكم ولا عددا أكثر من عددكم ولا مال أكثر من مالكم في بيت مالكم مائة ألف ألف درهم عطاء مقاتلتكم ستون ألفا وعطاؤهم وليدكم

وليد لكم لدى رأى كشيخ * وشيخكم لدى حرب وليد

وخطبها بعض الشعراء ممن لم ترضه فكتبت اليه

أنا لبوة لكنني لا أرتضى * نفسي مناخا طول دهري من أحد

ولو أنني أختار ذلك لم أجب * كلبا وكم غلقت سمعي عن أسد

*(ومنهن) مريم بنت أبي يعقوب الانصاري سكنت اشبيلية وأصلها والله أعلم من شلب وذكرها ابن دحية في المطرب وقال انها أديبة شاعرة مشهورة وكانت تعلم النساء الادب وتحتشم لدينها وفضلها وعمرت عمرا طويلا سكنت اشبيلية واشتهرت بها بعد الار بعمائة وذكرها الحميدي وأنشد لها جوابها لما بعث المهدي اليها بدنانير وكتب اليها

مالي بشكر الذي أوليت من قبل * لو أنني حزت نطق اللسن في الحلل

يا فذة الظرف في هذا الزمان ويا * وحيدة العصر في الاخلاص في العمل

أشبهت مريما العذراء في ورع * وفقت خنساء في الاشعار والمثل

ونص الجواب منها

من ذا يجاريك في قول وفي عمل * وقد بدرت الى فضل ولم تسل

ما لي بشكر الذي نظمت في عنقي * من اللآلي وما أوليت من قبل

حليتني بحلى أصبحت زاهية * بها على كل أنثى من حلى عطل

لله أخلاقك الغر التي سقيت * ماء الفرات فرقت رقة الغزل

أشبهت مروان من غارت بدائعه * وأنجدت وغدت من أحسن المثل

من كان والده العضب المهند لم * يلد من النسل غير البيض والاسل

ومن شعرها وقد كبرت

وما يرتجى من بنت سبعين حجة * وسبع كنسج العنكبوت المهلهل

تدب دبيب الطفل تسعى الى العصا * وتمشي بها مشي الاسير المكبل

*(ومنهن) أسماء العامرية من أهل اشبيلية كتبت الى عبد المؤمن بن علي رسالة تمت فيها اليه بنسبها العامري وتسأله في رفع الانزال عن دارها والاعتقال عن مالها وفي آخرها قصيدة أولها

عرفنا النصر والفتح المبينا * لسيدنا أمير المؤمنينا

اذا كان الحديث عن المعالي * رأيت حديثكم فينا ...

ومنها رويتم علمه فعلمتموه * وصنتم عهده فغدا مصونا

*(ومنهن) أم الهناء بنت القاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية ... وكانت حاضرة النادرة سريعة التمثل من أهل العلم والفهم والعقل ولها تأليف في القبور ولما ولى أبوها قضاء المرية دخل داره وعيناه تذرفان وجد المفارقة وطنه فأنشدته متمثلة

يا عين صار الدمع عندك عادة * تبكين في فرح وفي أحزان

وهذا البيت من جملة أبيات هي

جاء الكتاب من الحبيب بأنه * سيزورني فاستعبرت أجفاني

عدوكم وينصف مظلومكم من ظالمكم ويوزع بينكم أموالكم فقام اليه أشراف أهلها ومنهم الاحنف بن قيس التميمي وقيس بن الهيثم السلمي ومسمع بن مالك العبدي فقالوا ما نعلم ذلك الرجل غيرك أيها الامير وأنت أحق من قام على أمرنا حتى تجتمع الناس على خليفة فقال ما لو استعملتم غيري لسمعت وأطعت وقد كان على الكوفة عمرو بن حريث الخزاعي عاملا لعبيد الله بن زياد فكتب اليه عبيد الله يعلمه بما دخل فيه أهل البصرة ويأمره أن يأمر أهل الكوفة بما دخل فيه أهل البصرة فقام يزيد بن رويم الشيباني فقال الحمد لله الذي أطلق أيمانا لا حاجة لنا في بني أمية ولا في امارة ابن مرجانة وهي أم عبيد الله وأم ... ... بن الحجاز ... أهل الكوفة ولاية بني أمية وامارة ابن زياد وأرادوا أن ينصبوا لهم أميرا الى أن ينظروا في أمرهم فقال جماعة عمرو بن سعد بن أبي وقاص يصلح لها فلما هموا بتاميره أقبل نساء من همدان وغيرهم من نساء كهلان والانصار وربيعة والنخع حتى دخلن المسجد الجامع صارخات باكيات معولات يندبن الحسين

غلب السرور على حتى انه * من عظم فرط مسرتي أبكاني

و بعده البيت وبعده

فاستقبلي بالبشر يوم لقائه * ودع الدموع لليلة الهجران

*(ومنهن) مهجة القرطبية صاحبة ولادة رحمهما الله تعالى وكانت من أجمل نساء زمانها وعلقت بها ولادة ولازمت تأديبها وكانت من أخف الناس روحا ووقع بينها و بين ولادة ما اقتضى أن قالت

ولادة قد صرت ولادة * من غير بعل فضح الكاتم
حكت لنا مريم لكنه * نخلة هذى ذكر قائم

قال بعض الاكابر لو سمع ابن الرومي هذا الاقر لها بالتقدم ومن شعرها

لئن قد حمى عن ثغرها كل حائم * فما زال يحمي عن مطالبه الثغر
فذلك تحميه القواضب والقنا * وهذا حماه من لواحظها السحر

وأهدى اليها من كان يهيم بها خوخا فكتبت اليه

يا متحفا بالخوخ أحبابه * أهلا به من مثلج للصدور
حكى ثدى الغيد تفليكه * لكنه أخزى رؤس الايور

*(ومنهن) هند جارية أبي محمد عبد الله بن مسلمة الشاطبي وكانت أديبة شاعرة كتب اليها أبو عامر بن ينق يدعوها للحضور عنده بعودها

يا هند هل لك في زيارة فتية * نبذوا المحارم غير شرب السلسل
سمعوا البلابل قد شدوا فتذكروا * نغمات عودك في الثقيل الاول

فكتبت اليه في ظهر رقعته

يا سيدا حاز العلا عن سادة * شم الانوف من الطراز الاول
حسبي من الاسراع نحوك أنني * كنت الجواب مع الرسول المقبل

*(ومنهن) الشلبية قال ابن الابار ولم أقف على اسمها وكتبت الى السلطان يعقوب المنصور تتظلم من ولاة بلدها وصاحب خراجها

قد آن أن تبكي العيون الآبيه * ولقد أرى أن الحجارة باكيه
يا قاصد المصر الذى يرجى به * ان قدر الرحمن رفع كراهيه
ناد الامير اذا وقفت ببابه * يا راعيا ان الرعية فانيه
أرسلتها هملا ولا مرعى لها * وتركتها نهب السباع العاديه
شلب كلا شلب وكانت جنة * فأعادها الطاغون نارا حاميه
حافوا وما خافوا عقوبة ربهم * والله لا تخفى عليه خافيه

فيقال انها ألقيت يوم جمعة على مصلى المنصور فلما قضى الصلاة وتصفحها بحث عن القضية فوقف على حقيقتها وأمر للمرأة بصلة *وحكى ان بعض قضاة لوشة كانت له زوجة فاقت العلماء في معرفة الاحكام والنوازل وكان قبل أن يتزوجها ذكر له وصفها فتزوجها وكان في مجلس قضائه تنزل به النوازل فيقوم اليها فتشير عليه بما يحكم به فكتب اليه بعض

اصحابه

و يقال أما رضى عمر بن سعد بقتل ٤٩٤ الحسين حتى أراد أن يكون أميرا علينا على الكوفة فبكى الناس واعرضوا عن عمر وكان المبرزون في ذلك نساء همدان وقد كان على عليه السلام مائلا الى همدان مؤثرا لهم وهو القائل

فلو كنت بوابا على باب جنة
لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وقال

عبيت همدان وعبوا حميرا

ولم يكن بصفين منهم أحد مع معاوية وأهل الشأم الا ناس كانوا بغوطة دمشق بقرية تعرف بعين ثرما ما فيها منهم قوم الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ولما اتصل خبر أهل الكوفة بابن الزبير أنفذ اليهم عبد الله بن مطيع العدوى على ما قدمنا آنفا فتولى أمرهم حتى وجه المختار في أثره ونظر مروان بن الحكم اطباق الناس على مبايعة ابن الزبير واجابتهم له فأراد أن يلحق به وينضاف الى جملته فمنعه من ذلك عبيد الله بن زياد عند لحاقه بالشأم وقال له انك شيخ بنى عبد مناف فلا تعجل فصار مروان الى الجابية من أرض الجولان بين دمشق والاردن واستمال الضحاك ابن قيس الفهرى الناس ورأسهم وانحاز عن مروان وأراد دمشق فسبقه اليها الاشدق عمرو بن سعيد بن العاص فدخلها وصار

أصحابه مداعبا بقوله

بلوشة قاض له زوجة * وأحكامها فى الورى ماضيه

فياليته لم يكن قاضيا * وياليتها كانت القاضيه

أطلع زوجته عليه حين قرأه فقالت ناولنى القلم فناولها فكتبت بديهة

هو شيخ سوء مزدرى * له شيوب عاصيه

كلا لئن لم ينتـه * لنسفعا بالناصيه

سمعت بعض أشياخنا يحكى القضية عن لسان الدين بن الخطيب وانه هو الذى كتب داعب زوج المرأة فكتبت اليه

ان الامام ابن الخطيب * له شيوب عاصيه   الى آخره فالله أعلم

(ومنهن) نزهون الغرناطية قال فى المغرب من أهل المائة الخامسة ذكرها الحجارى فى المسهب ووصفها بالخفة الروح والانطباع الزائد والحلاوة وحفظ الشعر والمعرفة بضرب الامثال مع جمال فائق وحسن رائق وكان الوزير أبو بكر بن سعيد أولع الناس بمحاضرتها ومذاكرتها ومراسلتها فكتب لها مرة

يامن له ألف خل * من عاشق وصديق

أراك خليت للنـا * س منزلا فى الطريق

فأجابته حللت أبا بكر محلا منعته * سواك وهل غير الحبيب له صدرى

وان كان لى كم من حبيب فانما * يقدم أهل الحق حب أبى بكر

قيل لو قالت وان كان خلانى كثيرا الخ لكان أجود ولما قال فيها المخزومى

على وجه نزهون من الحسن مسحة * وتحت الثياب العار لو كان باديا

قواصد نزهون توارك غيرها * ومن قصد البحر استقل السواقيا

قالت

ان كان ما قلت حقا * من بعض عهد كريم

فصار ذكرى ذميما * يعزى الى كل لوم

وصرت أقبح شئ * فى صورة المخزومى

وقد تقدمت حكايتها فى الباب الاول من هذا فلتراجع * وقال لها بعض الثقلاء ما على من كل معك خمسمائة سوط فقالت

وذى شقوة لما رآنى رأى له * تمنيه يصلى معى جاحم الضرب

فقلت له كلها هنيئا فانما * خلقت الى لبس المطا[illegible]

وقال ابن سعيد فى طالعه لما وصف وصول ابن قزمان الى [illegible] الزاوية من خارجها بنزهون القلاعية الاديبة وما جرى بينه [illegible] رجال بديع وكان يلبس غفارة صفراء على زى الفقهاء حينئذ أحسـ[illegible]ـرة بنى اسرائيل الا أنك لا تسر الناظرين فقال لها ان لم أسر الناظرين فأنا أسر السامعين وانما يطلب سرور الناظرين منك يا فاعلة يا صانعة وتمكن السكر من ابن قزمان وآل الامر الى أن تدافعوا معه حتى رموه فى البركة فما خرج الا وهو قد شرب كثيرا من الماء وثيابه تهطل فقال اسمع

لمروان هل لك فيما أقوله لك فهو خير لى ولك قال مروان وما هو قال أدعو الناس اليك وآخذها لك على أن تكون لى من بعدك فقال مروان لا بل بعد خالد بن يزيد بن معاوية فرضى الاشدق بذلك ودعا الناس الى بيعة مروان فأجابوا ومضى الاشدق الى حسان بن مالك بالاردن فأرغبه فى بيعة مروان فنجح لها وبويع مروان بن الحكم ابن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ويكنى أبا عبد الملك وأمه آمنة بنت علقمة بن صفوان وذلك بالاردن وكان أول من بايعه أهلها وتمت بيعته وكان مروان أول من أخذها بالسيف كرها على ما قيل بغير رضا من عصبة من الناس بل كل خوفه الاعداء [illegible]

[illegible] مروان فانه [illegible]حدها على ما وصفنا وبايع مروان بعده لخالد بن يزيد ولعمرو بن سعيد الاشدق بعد خالد وكان مروان يلقب بخيط باطل وفى ذلك يقول عبد الرحمن بن الحكم

لحا الله قوما أمروا خيط باطل * على الناس يعطى ما يشاء ويمنع واشترط حسان بن مالك وكان رئيس قحطان وسيدها بالشأم

ياوزير ثم أنشد

ايه أبا بكر ولا حول لي * بدفع أعيان وأنذال
وذات فرج واسع دافق * بالماء يحكي حال أذيالي
غرقتني في الماء ياسيدي * كفره بالتغريق في المال

فأمر بتجريد ثيابه وخلع عليه ما يليق به ومر لهم يوم بعد عهدهم بمثله ولم ينتقل ابن قزمان من غرناطة الا من بعد ما أجزل له الاحسان ومدحه بما هو ثابت له في ديوان أجزاله
وحكي عنه فيما أظن أعني ابن قزمان ويحتمل انه غيره انه تبع احدى الماجنات وكان أحول فأطمعته في نفسها وأشارت اليه أن يتبعها فاتبعها حتى أتت به سوق الصاغة باشبيلية فوقفت على صائغ من صياغها وقالت له يا معلم مثل هذا يكون فص الخاتم الذي قلت لك عنه تشير الى عين ذلك الاحول الذي تبعها وكانت قد كلفت ذلك الصائغ أن يعمل لها خاتما يكون فصه عين ابليس فقال لها الصائغ جئتيني بمثال فاني لم أر هذا ولا سمعت به قط وحكاها بعضهم على وجه آخر وانها ذهبت الى الصائغ وقالت له صور لي صورة الشيطان فقال لها ائتيني بمثال فلما تبعها ابن قزمان جاءته به وقالت له مثل هذا فسأل ابن قزمان الصائغ فخجل ولعنها
وكتب ابن قزمان على باب جنته

وقائل يا حسنها جنة * لا يدخل الحزن على بابها
فقلت والحق له صولة * أحسن منها مجد أربابها

وله

كثير المال تمسكه فيفنى * وقد يبقى مع الجود القليل
ومن غرست يداه ثمار جود * ففي ظل الثناء له مقيل

(رجع) الى أخبار نزهون حكي انها كانت تقرأ على أبي بكر المخزومي الاعمى فدخل عليهما أبو بكر الكتندي فقال يخاطب المخزومي * لو كنت تبصر من تجالسه * فأفحم وأطال الفكر فما وجد شيأ فقالت نزهون * لغدوت أخرس من خلاخله

البدر يطلع من أزرته * والغصن يمرح في غلائله

وكانت ناجبة ومن شعرها قولها

لله در الليالي ما أحيسنها * وما أحيسن منها ليلة الاحد
لو كنت حاضرنا فيها وقد غفلت * عين الرقيب فلم تنظر الى أحد
أبصرت شمس الضحى في ساعدي قمر * بل ريم خازمة في ساعدي أسد

وهذا المعنى متفق مع قول ابن الزقاق

ومرتجة الارداف أما قوامها * فلدن وأما ردفها فرداح
ألمت فبات الليل من قصر بها * يطير ولا غير السرور جناح
فبت وقد زارت بأنعم ليلة * يعانقني حتى الصباح صباح
على عاتقي من ساعديها حمائل * وفي خصرها من ساعدي وشاح

وابن الزقاق هذا له في النظم والغوص على المعاني الباع المديد ومن نظمه قوله

رئيس الشرق محمود السجايا * يقصر عن مدائحه البليغ

على مروان ما كان لهم من الشروط على معاوية وابنه يزيد وابنه معاوية بن يزيد منها أن يفرض لهم لألفي رجل ألفين ألفين وان مات قام ابنه أو ابن عمه مكانه وعلى أن يكون لهم الامر والنهي وصدر المجلس وكل ما كان من حل وعقد فعن رأي منه ومشورة فرضي مروان بذلك وانقاد اليه وقال له مالك بن هبيرة السكري انه ليست لك في أعناقنا بيعة وليس نقاتل عن عرض دنيا فان تكن لنا على ما كان لنا معاوية ويزيد نصرناك وان تكن الاخرى فوالله ماقريش عندنا الا سواء فأجابه مروان الى ما سأل وسار مروان نحو الضحاك ابن قيس الفهري وقد انحازت قيس وسائر مضر وغيرهم من نزار الى الضحاك ومعه أناس من قضاعة عليهم وائل بن عمرو العدوي وكانت معه راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم لابيه وأظهر الضحاك ومن معه خلافة ابن الزبير والتقى مروان والضحاك ومن معهما بمرج راهط على أميال من دمشق فكانت بينهم الحروب سجالا وكثرت اليمانية عليهم وبواديها مع مروان فقتل الضحاك ابن قيس رئيس جيش ابن الزبير قتله رجل من تيم اللات وقتل معه نزار وأكثرهم من قيس

نسيمه يحيى وهو ميت * كما ان السليم هو اللديغ
يعاف الوردان ظمئت حشاه * وفي مال اليتيم له ولوغ

وقوله
كتبت ولو انى أستطيع * لاجلال قدرك بين البشر
قددت اليراعة من أغلى * وكان المداد سواد البصر

وقوله
غرير يبارى الصبح اشراق خده * وفي مفرق الظلماء منه نصيب
ترف بفيه ضاحكا اقحوانة * ويهتز في برديه منه قضيب

وقوله
ومهفهف نبت الشقيق بخده * واهتز مثل الاسلود النقا في برده
ماء الشبيبة والغرام أرق من * صقل الحسام المنتقى وفرنده
يحيى الورى بتحية من وصله * من بعد ما وردوا الحمام بصده
ان كنت أهديت الفؤاد له فقل * أى الجوى بجوانح لم يهده

وقوله
أرق نسيم الصبا عرفه * وراق قضيب النقا عطفه
ومر بنا يتهادى وقد * نضى سيف أجفانه طرفه
ومد لمبسمه راحة * ظننت الاقاح دنا قطفه
اشارت بتقبيلها للسلام * فقال فمى ليتنى كفه

وقوله
بأبى من لم يدع لى لحظه * فى الهوى من رمق حين رمق
جمعت نكهته فى ثغره * عبقا فى نسق يسبى الحدق
وبدت خيلانه فى خده * شفقا فى فلق تحت غسق

وقال
وعشية لبست ملاءة شقيق * تزهى بلون للخدود أنيق
أبقت بها الشمس المنيرة مثل ما * أبقى الحياء بوجنتى معشوق
لو أستطيع شربتها كلفا بها * وعدلت فيها عن كؤس رحيق

وقال فى مسامرة كتاب زعماء
لله ليلتنا التى استجدى بها * فلق الصباح لسدفة الاظلام
طرأت على مع النجوم بأنجم * من فتية بيض الوجوه كرام
ان حوربوا فزعوا الى بيض الظبا * أو خوطبوا فزعوا الى الاقلام
فترى البلاغة ان نظرت اليهم * والبأس بين يراعة وحسام

وقال
ومجدين فى السرى قد تعاطوا * غفوات الهوى بغير [illegible]
جهدوا وانحنوا على العيس حتى * خلتهم يعتبون أيدى [illegible]
نبذوا الغمض وهو حلو الى أن * وجدوه سلافة فى الرؤس

وقال
وحبب يوم السبت عندى أننى * ينادمنى فيه الذى أنا أحببت
ومن أعجب الاشياء أنى مسلم * حنيف ولكن خير أيامى السبت

ولنقتصر من نساء الاندلس على هذا المقدار ونعد الى ما كنا فيه من جلب كلام بلغاء الاندلس ذوى الاقدار فنقول قال الخفاجى رحمه الله تعالى

وهاتفة فى البان تملى غرامها * علينا وتتلو من صبابتها صحفا

مقتلة عظيمة لم ير مثلها قط وفى ذلك يقول مروان بن الحكم لما رأيت الناس صاروا حزبا * والمال لا يؤخذ الا غصبا
دعوت غسانا لهم وكلبا
والسكسكيين رجالا غلبا
والقين تمشى فى الحديد نكبا
والاعوجيات يثبن وثبا
يحملن سروات ودينا صلبا
وفى ذلك يقول أخوه عبد الرحمن بن الحكم
أرى أحاديث اهل المجد قد بلغت
أهل الفرات وأهل الفيض والنيل
وكان زفر بن الحرث العامرى ثم الكلابى مع الضحاك فاما أمعن السيف فى قومه ولى ومعه رجلان من بنى سليم فقص فرساهما وغشيتهما اليمانية من خيل مروان فقالا له انج بنفسك فانا مقتولان فولى راكضا ولحق الرجلان فقتلا وفى هذا اليوم يقول زفر بن الحرث الكلابى من أبيات كثيرة
لعمرى لقد أبقت وقيعة راهط
[illegible]
وتبقى حزازات النفوس كما هيا
أرينى سلاحى لا أبا لك اننى
أرى الحرب لا تزداد الا تماديا
أتذهب كلب لم تنلها رماحنا
وتترك قتلى راهط هى ماهيا
فلم يرمنى نبوة بعد هذه * فرارى وتركى صاحبى ورائيا
عشية اغدو فى الفريقين لا أرى

من القوم الامن على ولا ليا * ايذهب يوم واحد ان أسأته بصالح أيامى وحسن بلائيا * أبعد ابن عمرو وابن معن تتابعا ومقتل همام أمنى الامانيا

وتلاحق الناس ممن حضر الوقعة من أجنادهم بارض الشام وكان النعمان بن بشير واليا على حمص قد خطب لابن الزبير ممالئا للضحاك فلما بلغه قتله وهزيمة الزبيرية خرج عن حمص هاربا فسار ليلته جمعاء متحيرا لايدرى أين يأخذ فاتبعه خالد بن عدى الكلاعي فيمن خف معه من أهل حمص فلحقه وقتله وبعث برأسه الى مروان وانتهى زفر بن الحرث الكلابى فى هزيمته الى قرقيسيا فغلب عليها واستقام الشأم لمروان وبث فيه رجاله وعماله وسار مروان فى جنوده من الشأم الى أهل مصر فحاصرها وخندق عليها خندقا مما يلى المقبرة وكانوا زبيرية عليهم لابن الزبير عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم وسيد الفسطاط يومئذ وزعيمها أبو رشد بن كريب بن ابرهة بن الصباح فكان بينهم وبين مروان قتال يسير وتوافقوا على الصلح وقتل مروان أكدر بن الحمام صبرا وكان فارس مصر فقال أبو رشد بن لمروان ان شئت والله أعدناها جذعة يعنى يوم الدار بالمدينة فقال مروان ماأشاء من ذلك شيأ وانصرف عنها وقد استعمل عليها ابنه عبد العزيز

عجبت لما تشكو الفراق جهالة * وقد جاوبت من كل ناحية الفا
و يشجى قلوب العاشقين أنينها * ومافهموا مما تغنت به حرفا
ولو صدقت فيما تقول من الاسى * لما لبست طوقا ولاخضبت كفا

وقال الاستاذ أبو محمد بن صارة

متى تلتقى عيناى بدرمكارم * تود الثريا أنها من مواطئه
ولما أهل المدلجون بذكره * وفاح تراب البيد مسكا لواطئه
عرفنا بحسن الذكر حسن صنيعه * كما عرف الوادى بخضرة شاطئه

وقال يتغزل

يامن تعرض دونه شحط النوى * فاستشرفت لحديثه اسماعى
انى لمن يحظى بقربك حاسد * ونواظرى يحسدن فيك رقاعى
لم تطوك الايام عنى انما * نقلتك من عينى الى أضلاعى

وقال الاديب أبو القاسم بن العطار

عبرنا سماء الجو والنهر مشرق * وليس لنا الا الحباب نجوم
وقد ألبسته الايك برد ظلالها * وللشمس فى تلك البرود رقوم

وله أيضا

لله بهجة نزهة ضربت به * فوق الغدير رواقها الانسام
فمع الاصيل النهر درع سابغ * ومع الضحى يلتاح فيه حسام

وقال أيضا

هبت الريح بالعشى فحاكت * زردا للغدير ناهيك جنه
وانجلى البدر بعد هذا فحاكت * كفه للقتال منه أسنه

وقال أيضا

لله حسن حديقة بسطت لنا * منها النفوس سوالف ومعاطف
تختال فى حلل الربيع وحليه * ومن الربيع قلائد ومطارف

وله

وسنان مان يزال عارضه * يعطف قلبى بعطفة اللام
أسلمنى للهوى فواحزنى * أن سرنى عفتى واسلامى
لحاظه أسهم وحاجبه * قوس وانسان عينه رامى

وارتجل أبو جعفر بن خاتمة رحمه الله تعالى لما بات فى قرية بيش

لله منزلنا بقرية بيش * كادالهوى فيها اذكارابى يشى
رحنا اليها والبطاح كانها * صحف مذهبة بابريز العشى

فأجازه الوزير ابن جزى بقوله

فى فتية هزت حيا الانس من * أعطافهم فالكل منها منتشى
يأتى علاهم بالفصيح ولفظهم * بالمنتقى وجمالهم بالمدهش

وقال السلطان أبو الحجاج الناصر النصرى مرتجلا أيام مقامه بظاهر جبل الفتح سنة ٨٢٥

ولم يتركوا أوطانهم عن مرادهم * ولكن لأحوال أشابت مفارق
أقام بها ليل التهانى تقلبا * وقد سكنت جهلا نفوس الخلائق
فعوضتها ليل الصبابة بالسرى * وأنس التلاقى بالحبيب المفارق

وقدم مروان الشأم فنزل الصبرة على ميلين من طبرية من بلاد الاردن فاحضر حسان بن مالك وأرغبه وأرهبه فقام حسان فى الناس خطيبا ودعاهم الى بيعة عبد الملك بن مروان بعد مروان وبيعة عبد العزيز بن

ولم

ولم يثنني طرف من النور ناعس * ولا معطف للبان وسط الحدائق
ولا منهض الاشبال فى عقر غيرهم * ولا ملعب الغزلان فوق النمارق
وعاطيتها صبح الدياجى مدامة * تميل بها الركبان فوق الايانق
اذا ماقطعنا بالمطى تنوفة * دلجنا الاخرى بالجياد السوابق
بحيث التقى موسى مع الخضر آية * عسى ترجع العقبى كموسى وطارق
من عاذرى من غزال زانه حور * قد هام لما بدا فى حسنه البشر
ألحاظه كسيوف الهند ماضية * لها بقلبى وان سالمتها أثر

وقال القاضى أبو القاسم بن حاتم
شكوت بما دهاك وكان سرا * لمن ليست مودته صحيحه
فتلك مصيبة عادت ثلاثا * لصحبتها الشماتة والفضيحه

وقال الفقيه محمد بن سعيد الاندلسى مخاطبا للغنيه الفقاو
خفف علينا قليلا أيها العلم * فربما كان فينا من به ألم
لا يستطيع نهوضا من تألمه * وان تمادى قليلا خانت القدم
كفى وصية مولانا وسيدنا * محمد فاسمعوا ما قال والتزموا

وقال ابن جبير اليحصبى فيمن أهدى اليه تفاحا
خليل لم يزل قلبى قديما * يميل بفرط صاغية اليه
أتانى مقبلا والبشر يبدى * وسائل برة كرمت لديه
وجاء بعرف تفاح ذكى * فقلت أتى الخليل بسيبويه
فأهدى من جناه بكل شكل * يلوح جمال مهديها عليه

الفقه سيدى ابراهيم البدوى
قطعت ياسى فصنت وجهى * عن الوقوف لذى وجاهه
قصدت ربى فكان حسبى * ألبسنى فضله وجاهه
فلا ترى ينثنى عنانى * مدى حياتى الاتجاهه

وقال ابن خليل السكونى فى فهرسته شاهدت بجامع العديس باشبيلية ربعة مصحف فى أسفار يعنى به لغو خطوط الكوفة الا انه أحسن خطا وابينه وأبرعه [illegible] الاستاذ أبو الحسين بن الطفيل بن عظيمة هذا خط ابن مقلة وأنشد
خط ابن مقلة من ارعاه مقلته * ودت جوارحه لو [illegible]
ثم قسناه وقسناه بالضابط فوجدنا أنواعها تتماثل فى القدر والوضع فالالفات [illegible] واللامات كذلك [illegible] والكافات والواوات وغيرها بهذه النسبة انتهى (قلت) رأيت بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام مصحفا بخط ياقوت المستعصمى بهذه المثابة وهو من الاوقاف الرستمية ورأيت بالحجرة الشريفة على صاحبها الصلاة والسلام مصحفا مكتوبا فى آخره ما صورته كتبته بقلم واحد فقط ما قط الا مرة فقط انتهى (رجع) وقال ابن عبدون رحمه الله تعالى

مروان بعد عبد الملك خوفا لخالفه فى ذلك أحدوهلك مروان بدمشق فى هذه السنة وهى سنة خمس وستين وقد تنازع أهل التواريخ وأصحاب السير ومن عنى باخبارهم فى سبب وفاته فمنهم من رأى أنه مات مطعونا ومنهم من رأى أنه مات حتف أنفه ومنهم من رأى أن فاختة بنت أبى هاشم بن عتبة أم خالد ابن يزيد بن معاوية هى التى قتلته وذلك ان مروان حين أخذ البيعة لنفسه ولخالد بن يزيد بعده وعمرو ابن سعيد بن خالد ثم بدا له غير ذلك فجعلها لابنه عبد الملك بعده ثم لابنه عبد العزيز ودخل عليه خالد بن يزيد فكلمه وأغلظ له فغضب من ذلك وقال أتكلمنى يا ابن الرطبة وكان مروان قد تزوج بأمه فاختة ليذله بذلك ويضع منه فدخل خالد على أمه فقبح لها تزوجها بمروان وشكا اليها ما نزل به منه فقالت لا يعيبك بعدها فمنهم من رأى انها وضعت على نفسه وسادة وقعدت فوقها مع جواريها حتى مات ومنهم من رأى انها أعدت له لبنا مسموما فلما دخل عليها ناولته اياه [illegible] مروان يشير الى أم خالد يخبرهم انها قتلته وأم خالد تقول بأبى أنت حتى عند النزع لم تشتغل عنى انه يوصيكم بى حتى هلك وكانت أيامه تسعة أشهر وأياما قلائل وقيل ثمانية وأشهر وقيل غير ذلك مما سنورده عند ذكرنا المدة التى ملكت فيها بنو أمية

أذهبن من فرق الفراق نفوسا * ونثرن من در الدموع نفيسا
فتبعتها نظر الشجى فحدقت * رقباؤها نحوى عيونا شوسا
وحللن عقد الصبر اذودعننى * فكأن أفلاك الخدور شموسا
حلته اذ حلته حتى خلته * عرشا لها وحسبتها بلقيسا
فازورجانبها وكان جوابها * لو كنت تهوانا صحبت العيسا

وهى طويلة (قلت) ما أظن لسان الدين نسج قصيدته من هذا البحر والروى الاعلى منوال هذه وان كان الحافظ التنسى قال انه نسجها على منوال قصيدة أبى تمام حسبما ذكرناه ذلك فى محله فليراجع * وقال أبو عبد الله بن المناصف قاضى بلنسية ومرسية رحمه الله تعالى

أنزمت نفسى خمولا * عن رتبة الاعلام
لا يخسف البدر الا * ظهوره فى تمام

وتذكرت به قول غيره

ليس الخمول بعار * على امرئ ذى جلال
فليلة القدر تخفى * وتلك خير الليالى

وقال الوزير ابن عمار وقد كتب له أبو المطرف بن الدباغ شافعا لغلام طر له عذار

أتانى كتابك مستشفعا * بوجه أبى الحسن من وده
ومن قبل فضى ختم الكتاب * قرأت الشفاعة فى خده

وقال القاضى الاديب والفيلسوف الاريب أبو الوليد الوقشى قاضى طليطلة

برح بى أن علوم الورى * قسمان ما ان فيهما من مزيد
حقيقة يعجز تحصيلها * وباطل تحصيله لا يفيد

وقال أبو عبد الله بن الصفار وهو من بيت القضاء والعلم بقرطبة

لا تحسب الناس سواء متى * ما اشتبهوا فالناس أطوار
وانظر الى الاحجار فى بعضها * ماء وبعض ضمنه نار

وهذا مثل قول غيره

الناس كالارض ومنهاهم * من خشن الطبع ومن لين
مرو تشكى الرجل منه الوجى * واثمد يجعل فى الاعين

ومن نظم ابن الصفار المذكور

اذا نويت انقطاعا * فاعمل حساب الرجوع

وقال أبو مروان الجزيرى

ومن العجائب والعجائب جمة * أن يلهج الاعمى بعيب الاعور

وقال حسان بن المصيصى كاتب الظافر بن عباد ملك قرطبة

لا تأمنن من العدو لبعده * ان امرأ القيس اشتكى الطماحا

وقال الشيخ الاكبر سيدى محيى الدين بن عربى قدس سره العزيز فى كتابه الاسفار عن نتائج الاسفار أنشدنى الكاتب الاديب أبو عمرو بن مهيب باشبيلية أبياتا عملها فى محمود بن ابراهيم

من الاعوام فيما يرد من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وهلك مروان وهو ابن ثلاث وستين سنة وقد ذكر غير ذلك فى سنه وكان قصيرا أحمر ومولده لسنتين . . خلتا من الهجرة وهلك بعد أخذ البيعة لولده بثلاثة أشهر وقد ذكر ابن أبى خيثمة فى كتابه فى التاريخ أن النبى صلى الله عليه وسلم توفى ومروان له ثمان سنين وكان لمروان عشرون أخا وثمان أخوات وله من الولد أحد عشر ذكرا وثلاث بنات وهم عبد الملك وعبد العزيز وعبد الله وأبان وداود وعمرو وأم عمرو وعبد الرحمن وأم عثمان وعمرو وأم عمرو وبشر ومحمد ومعاوية وقد ذكرنا هؤلاء ومن أعقب منهم ومن لم يعقب وقد كان يزيد بن معاوية تخلف من الولد أكثر مما خلف مروان وذلك أنه خلف معاوية وخالدا وعبد الله الاكبر وأبا سفيان وعبد الله الاصغر وعمرا وعاتكة وعبد الرحمن وعبد الله الذى لقبه الاصغر وعثمان وعتبة الاعور وأبا بكر ومحمدا ويزيد وأم يزيد وأم عبد الرحمن ورملة وصفية

(ذكر أيام عبد الملك بن مروان)

وبويع عبد الملك بن مروان ليلة الاحد غرة شهر رمضان من سنة خمس وستين ثم بعث الحجاج بن يوسف الى عبد الله بن الزبير ومن معه من الناس بمكة فقتل عبد الله يوم الثلاثاء لعشر مضين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين وكانت ولاية ابن الزبير تسع سنين وعشر ليال

ابن

ذكرمقتل ابن الزبير بعد هذا الموضع من هذا الكتاب عند ذكرنا لجامع ملك بني أمية ثم هاجت فتنة ابن الأشعث في شعبان سنة اثنتين وثمانين ثم توفي عبد الملك بن مروان بدمشق يوم السبت لأربع عشرة مضت من شوال سنة ست وثمانين

وكانت ولايته من منذ بويع الى ان توفي احدى وعشرين سنة وشهرا ونصفا وبقي بعد عبد الله بن الزبير واجتماع من اجتمع عليه من الناس ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر الا سبع ليال وسنذكر ما فعله من وقت استقامة من استقام له من الناس وقبض وهو ابن ست وستين سنة وقيل أكثر من ذلك وكان يحب الشعر والفخر والتقريظ والمدح وكان عماله على مثل مذهبه فالحجاج بالعراق والمهلب بخراسان وهشام ابن اسمعيل بالمدينة وغيرهم بغيرها وكان الحجاج من أظلمهم واسفكهم للدماء وسنذكر في هذا الكتاب جوامع من ذكره فيما يلي هذا الباب

(ذكر جمل من افعاله وسيره ولمع مما كان في أيامه ونوادر من اخباره)

ولما أفضى الامر ... [illegible]

... ب أخبار الناس من يصلح للمنادمة غير الشعبي فلما حمل اليه ونادمه قال له يا شعبي لا تساعدني على ما قبح ولا تردن على الخطأ في مجلسي ولا تكلفني جواب التشميت والتهنئة ولا جواب السؤال والتعزية ودع عنك كيف أصبح الامير وكيف أمسى وكلمني بقدر

ن أبي بكر المرعي وكان أجل أهل زمانه رآه عندنا وأثر لو قد خط عذاره فقلت يا أبا عمرو انظر الى حسن هذا الوجه فعمل الابيات في ذلك وهي

وقالوا العذار جناح الهوى * اذا ما استوى طار عن وكره
وليس كذلك خبرهم * قياما بعذرى أو عذره
اذا كمل الحسن في وجنة * فقاعه ويك من شعره

انتهى * قال بعضهم رأيت آخر الكتاب المذكور بعد فراغه شعرا نسبه اليه وهو

أيا حاضرا بجماله في خاطري * ومحجبا بجلاله عن ناظري
ان غبت عن عيني فانك نورها * وضمير سرك سائر في سائري
ومن العجائب أنني أبدا الى * رؤياك ذو شوق مديد وافر
مع انني ما كنت قط بمجلس * الا وكنت منادمي ومسامري

انتهى * وأنشد في الاحاطة لعبد الله الجذامي

أيا سيدي أشكو لمجدك أنني * صددت مرارا عن مثولي بساحتك
شكاة اشتياق أنت حقا طبيبها * وما راحتي الا بتقبيل راحتك

قال وهو عبد الله بن أحمد بن محمد الجذامي فاضل ملازم للقراءة عاكف على الخير مشارك في العربية خاطب للرياسة الادبية اختص بالامير أبي علي المنصور ابن السلطان أيام مقامه بالاندلس ومما خاطبه به معتذرا أيا سيدي البيتين انتهى * وقال في ترجمة عبد الله بن أحمد المالقي قاضي غرناطة وكان فقيها بارع الادب انه كتب الى أبي نصر صاحب القلائد والمطمح أثناء رسالة بقوله

تفتحت الكتابة عن نسيم * نسيم المسك في خلق كريم
أبا نصر رسمت لها رسوما * تخال وسومها وضح النجوم
وقد كانت عفت فأنرت منها * سراجا لاح في الليل البهيم
فتحت من الصناعة كل باب * فصارت في طريق مستقيم
فكتاب الزمان ولست منهم * اذا راموا امتدادك في هموم
فقس بابدع منك لفظا * ولا سحبان مثلك في العلوم

انتهى * وقال الذهبي وقد جرى ذكر محمد بن الحسن المذحجي الاندلسي ابن الكتاني انه أديب شاعر متفنن ذو تصانيف حمل عنه ابن حزم ومن شعره

ألا قد هجرنا الهجر واتصل الوصل * وبانت ليالي ... [illegible]
فمعدي نديمي والمدامة ريقها * ووجنتها ورد ... [illegible]

وقال العلامة محمد بن عبد الرحمن الغرناطي

الشعب ثم قبيلة وعمارة * بطن وفخذ والفصيلة تابعه
فالشعب مجتمع القبيلة كلها * ثم القبيلة للعمارة جامعه
والبطن تجمعه العمائر فاعلمن * والفخذ تجمعه البطون الواسعه
والفخذ يجمع للفصائل ها كما * جاءت على نسق لها متتابعه

نخزيمة شعب وان كنانة * لقبيلة منها الفصائل شائعه

وقريشها تسمى العمارة يافتى * وقصي بطن للاعادى قامعه

ذاهاشم فخذ وذا عباسها * أثر الفصيلة لا تناط بسابعه

وكتبت هذه الابيات وان لم تشتمل على بلاغة لما فيها من الفائدة ولان بعض الناس سألنى فيها لغرابتها والاعمال بالنيات * ولما دخل أبو محمد الكلابي الجياني على القاضي ابن رشد قام له فأنشده أبو محمد بديهة

قام لى السيد الهمام * قاضى قضاة الورى الامام

فقلت قم بى ولا تقم لى * فقلما يؤكل القيام

وقال أبو عبد الرحمن بن جحاف البلنسي

لئن كان الزمان أراد حطى * وحاربنى بانياب وظفر

كفانى أن تصافينى المعالى * وان عاديتنى يا أم دفر

فما اعتز اللئيم وان تسامى * ولا هان الكريم بغير وفر

وقال أبو محمد بن برطلة

ألا انما سيف الفتى صون نفسه * فنافس بأوفى ذمة واخاء

يزينك مرأى أو يعينك حاجة * فيحسن حالى شدة ورخاء

وقال أيضا

أنفسى صبرا لامر وعلك حادث * بارتاجه واستشعرى عاجل الفتح

فرب اشتداد فى الخطوب لفرجة * كما انشق ليل طال عن فلق الصبح

وقال أيضا

متى يدنو لوصلكم انتجاز * ويبعد عن حقيقته المجاز

أيجمل أن يؤمكم رجائى * فيوقف لا يرد ولا يجاز

وجد لم كفيل بالامانى * ومطلوبى قريب مستجاز

اذا ما امكنت فرص المساعى * فعجز أن يطا ولها انتهاز

وها أنا قد هززتكم حساما * ويحسن للمهندة اهتزاز

فما الانصاف أن ينضى كهام * ويودع غمده العضب الجراز

كما نم العراق بعذب بحر * ويشقى بالظما البرح الحجاز

فاعيى الناس فى المقدار حلم * تجاذبه خمول واعتزاز

وأنشد الشيخ أبو بكر بن حبيش لابن وضاح البيت المشهور وهو

اسرى وأسير فى الآفاق من قمر * ومن نسيم ومن طيف ومن مثل

وابن حبيش المذكور هو أبو بكر محمد بن الحسن بن يوسف بن حبيش بفتح الحاء وقد عرف به تلميذه ابن رشيد الفهرى فى رحلته فقال بعد كلام أما النظم فبيده عنانه وأما النثر فان مال اليه توكفه له بنانه مع تواضع زائد على صلة خبره عائد لقيته بمنزله ليوم أو يومين من مقدمى على تونس فتلقى بكل فن يونس وصادفته بحالة مرض من وثء فى رجله عرض وعنده جملة من العواد من الصدور الامجاد فأدنى وقرب وسهل ورحب وتفاوض

— من القوم الا من على ولا ...

ما استطعت واحمل بذل المدح لى صواب الاستماع منى واعلم ان صواب الاستماع أكثر من صواب القول واذا سمعتنى أتحدث فلا يفوتنك منه شئ وأرنى فهمك من طرفك وسمعك ولا تجهد نفسك فى تطرية صوابى ولا تستدع بذلك الزيادة فى كلامى فان اسوأ الناس حالا من استكد الملوك بالباطل وان اسوأ الناس حالا منهم من استخف بحقهم واعلم يا شعبى أن أقل من هذا يذهب بسالف الاحسان ويسقط حق الحرمة فان الصمت فى موضعه ربما كان أبلغ من المنطق فى موضعه وعند اصابته وفرصته وقال عبد الملك للشعبى يوما من أين يهب الريح قال لا علم لى يا أمير المؤمنين قال عبد الملك اما مهب الشمال فمن مطلع بنات نعش وأما مهب الصبا فمن مطلع الشمس الى مطلع سهيل وأما الجنوب فمن مطلع سهيل الى مغرب الشمس واما الدبور فمن مغرب الشمس الى مطلع بنات نعش وفى سنة خمس وستين تحركت الشيعة بالكوفة وتلاقوا بالتلاوم والتنادم حين قتل الحسين فلم يغيثوه ورأوا انهم قد اخطؤا خطأ كبيرا بدعاء الحسين اياهم ولم يجيبوه ولقتله الى جانبهم فلم ينصروه ورأوا انهم لا يغسل عنهم ذلك الجرم

أو لثلث

تلك الصدور في فنون من الادب كأنها الشذور الى أن خاضوا في الاحاجي واستضاؤا بأنوار أفكارهم في تلك الدياجي فخضت معهم في الحديث وأنشدتهم بيتين كنت صنعتهما وأنا حديث لقصة بلغتني عن أبي الحسن سهل بن مالك وهي أنه كان يسائل أصحابه وهو في المكتب و يقول لهم أنحوا اسمي فكل ينطق على تقديره فيقول لهم انكم تصيبوه مع أنه سهل فنظمت هذا المعنى فقلت

وما اسم فكه سهل يسير * يكون مصغر الجسم يسير
مصحفه له في العين حسن * وقلبي عند صاحبه أسير

فكان الشيخ أبو بكر على فراشه فزحف مع ما به من الم الى محبرة وطرس وقلم و كتب البيتين بخطه وقال للحاضرين ارووا هذين البيتين عن قائلهما* ومن شيوخ ابن حبيش المذكور عبد الله بن عسكر المالقي كتب له ولاخيه أبي الحسين بخطه اجازة جميع ما يجوز له وعنه من آخرها هذه الابيات

اجيبكما لكن مقرا بانني * اقصر فيما رمتما عن مداكما
فانكما بدران في العلم أشرقا * فسلم اذعانا وقسرا عداكما
فسيروا على حكم الوداد فانني * أجود بنفسي أن تكون فداكما

قال ابن رشيد وقد جمع صاحبنا أبو العباس الاشعري لابن حبيش فهرسة جامعة ولما وقف عليها ابن حبيش كتب في أولها ما نصه الحمد لله حق حمده أحسن هذا الفاضل فيما صنع أحسن الله اليه وبالغ فيما جمع بلغ الله تعالى به أشرف المراتب لديه غير أني أقول واحده لمن يرقى لها بجاحده وأصرح بمقال لا يسعني كتمه بحال والله ما أنا للاجازة بأهل فيرامها الذي بسهل اذ من شرط المجيز أن يعد فيمن كمل و يعد العلم والعمل اللهم [illegible] كيف ينيل من عدم وفرا أو يجيز من أصبح صدره من المعارف قفرا وصحيفته من الصالحات صفرا وكيف يرتسم في ديوان الجله من يتسم بالافعال المخله ومتى يقترن [illegible] الابريز أو يوصف السكيت بالتبريز ومن ضعف النهى مجانسة الاقمار بالسنها [illegible] لعظم التوبيخ تشيخ من لا يصلح للتشيخ وان هذا المجموع ليروق ويعجب ولكنه [illegible] لايستوجب وان القراءة قد تحصلت ولكن القواعد ما تأصلت وان القارئ [illegible] ولكن المقروء عليه عدم ولقد شكرت لهذا السرى ما جلب وكنت سمعت له عا [illegible] وقرنت الى دره هذا المخشلب قلت وحلي عطل ونطقي عط [illegible] [illegible] الله تعالى ينفع بما أخلص له عند الاعتقاد ويسمح للبهرج [illegible] [illegible] كتب محمد بن الحسن بن يوسف بن حبيش اللخمي حامدا لله تعالى [illegible] [illegible] مصلى وعلى آله أعلام الطهارة والهدى ومسلما تسليما* وكتب أيضا رحمه الله تعالى في [illegible] جواب استجازة المسؤل مبذول ان شاء الله تعالى على التنجيز ولكن شروط الاجازة موجودة في المجاز معدومة في المجيز والله تعالى يصفح بكرمه ومنه و يشكر كل فاضل على تحصيل ظنه وهو المسؤل سبحانه أن يحفظ بعنايته مهجاتهم ويرفع بالعلم والعمل درجاتهم [illegible] يلحقهم بالكمال الرائق المعجب و يقر بالنجيبين عين المنجب كتبه ابن حبيش انتهى

والمسيب بن محمد الفزاري وعبد الله بن سعد بن نفيل الازدي وعبد الله بن وال التميمي ورفاعة بن شداد البجلي فعسكروا بالنخيلة بعد أن كان لهم مع المختار ابن عبيد الثقفي خطب طويل بتثبيطه الناس عنهم عمن أراد الخروج معهم في ذلك يقول عبد الله ابن الاحمر يحرض على الخروج والقتال من أبيات صحوت وقد صحوا الصبي والعواديا
وقلت لاصحابي أجيبوا المناديا
وقولوا له اذ قام يدعو الى الهدى
وقبل الدعا لبيك لبيك داعيا
في شعر طويل يحث فيه على الخروج ويرثي الحسين ومن قتل معه ويلوم شيعته بتخلفهم عنه ويذكر أنهم قد تابوا الى الله وأنابوا اليه من الكبائر التي [illegible]

[illegible] ووالدا
حسينا لاهل الدين ان كنت ناعيا
ليبك حسينا مرمل ذو خصاصة
عديم وأيتام تشكى المواليا
فأضحى حسين للرماح دريئة * وغودر مسلوبا لدى الطف ثاويا

وقال الوزير الكاتب أبو بكر بن القبطرنة يصف بازيا من المنصور بن الأفطس صاحب بطليوس

يا أيها الملك الذى آباؤه * شم الانوف من الطراز الاول
حليت بالنعم الجسام قسيمة * عنقى فحل يدى كذاك بأجدل
وامتن به ضافى الجناح كأنما * جذبت قوادمه بريح شمأل
متلفتا والطل ينثر برده * منه على مثل اليمانى المخمل
أغدو به عجبا أصرف فى يدى * ريحا وآخذ مطلقا بمكبل

وأدخلت على المعتمد يوما باكورة نرجس فكتب الى ابن عمار يستدعيه

قد زارنا النرجس الذكى * وآن من يومنا العشى
وعندنا مجلس أنيق * وقد ظمئنا وفيه رى
ولى خليل غدا سمى * ياليته ساعد السمى

فأجاب ابن عمار

لبيك لبيك من مناد * له الندى الرحب والندى
ها أنا بالباب عبد قن * قبلته وجهك السنى
شرفه والداه باسم * شرفته أنت والنبى

واصطبح المعتمد يوم غيم مع أم الربيع واحتجب عن الندماء فكتب اليه ابن عمار

تجهم وجه الافق واعتلت النفس * لان لم تلح للعين أنت ولا الشمس
فان كان هذا منكما عن توافق * وضمكما أنس فهنيكما الانس

فأجابه المعتمد بقوله

خليلى قولا هل على ملامة * اذا لم أغب الا تحصرنى الشمس
وأهدى بأكواس المدام كواكبا * اذا أبصرتها العين هشت لها النفس
سلام سلام انتما الانس كله * وان غبتما أم الربيع هى الانس

واستدعى جماعة من اخوان ابن عمار منه شرابا فى موضع هو فيه مفقود فبعث لهم به وبرمانتين وتفاحتين وكتب لهم مع ذلك

خذاها مثل ما استدعيتماها * عروسا لا تزف الى اللئام
ودونكم بها ثدين فتاة * أضفت اليهما خدى غلام

وشرب ذو الوزارتين القائد أبو عيسى بن لبون مع الوزراء والكتاب ببطحاء لورقة عند أخيه وابن اليسع غائب فكتب اليه

لو كنت تشهد يا هذا عشيتنا * والمزن يسكن أحيانا وينهدر
والارض مصفرة بالمزن طافية * أبصرت درا عليه التبر ينتثر

وقال الحجارى من القصيدة المشهورة * عليك أحالنى الذكر الجميل * فى وصف زيه البدوى المستثقل وما فى طيه

ومثلى بدن فيه نحسر * يخف به ومنظره ثقيل

فياليتنى اذ ذاك كنت شهدته * فضاربت عنه الشانئين الاعاديا
سقى الله قبرا ضمن المجد والتقى
بغربية الطف الغمام الغواديا
فيا أمة تاهت وضلت سفاهة
انيبوا فأرضوا الواحد المتعاليا
ثم ساروا يقدمهم من سميناه من الرؤساء وعبيد الله ابن الاحمر يقول
خرجن يلمعن بنا ارسالا
عوابسا تحملنا أبطالا
تريد أن تلقى بها الاقيالا
القاسطين الغدر الضلالا
وقد رفضنا الولد والاموالا
والخفرات البيض والحجالا
نرضى به ذا النعم المفضالا
فانتهوا الى قرقيسياء من شاطئ الفرات وبها زفر بن الحرث الكلابى فاخرج اليهم الانزال وساروا من قرقيسياء ليسبقوا الى عين الوردة وقد كان عبيد الله بن زياد توجه من الشام الى حربهم فى ثلاثين الفا واتصل على مقدمته من الرقة خمسة أمراء منهم الحصين بن نمير السلولى وشراحيل بن ذى الكلاع الحميرى وادهم بن محرز الباهلى وربيعة بن المخارق الغنوى وجبلة بن عبد الله الخثعمى حتى اذا صاروا الى عين الوردة التى الاقوا بها وقد كان قبل ذلك لهم مناوشات فى الطلائع فاستشهد سليمان بن صرد الخزاعى

ولما

ولما انصرف ابن سعيد عن ابن هود دعا له ابن هود على تجوله عنه فقال النفس تواقه ومالى بغير التغرب طاقه ثم قال

يقولون لى ماذا الملال تقيم فى * محل فعند الانس تذهب راحلا
فقلت لهم مثل الحمام اذا شدا * على غصن أمسى بآخر نازلا

وقد رأيت أن اكثر ما تقدم ذكره من الهزل الذى أتينا به على سبيل الاحماض عما لابد منه من الحكم والمواعظ وما يناسبها (فنقول) قال أبو العباس بن الخليل

فهموا اشارات الحبيب فهاموا * وأقام أمرهم الرشاد فقاموا
وتوسموا بمدامع منهلة * تحت الدياجى والانام نيام
وتلوا من الذكر الحكيم جوامعا * جمعت لها الالباب والافهام
ياصاح لو أبصرت ليلهم وقد * صفت القلوب وصفت الاقدام
لرأيت نور هداية قد حفهم * فسرى السرور وأشرق الاظلام
فهم العبيد الخادمون مليكهم * نعم العبيد وأفلح الخدام
سلموا من الآفات لما استسلموا * فعليهم حتى الممات سلام

وقال العالم الكبير الشهير صاحب التآليف أبو محمد عبد الحق الاشبيلى رحمه الله تعالى

قالوا صف الموت يا هذا وشدته * فقلت وامتد منى عندها الصوت
يكفيكم منه أن الناس ان وصفوا * أمرا يروعهم قالوا هو الموت

وقال الخطيب الاستاذ أبو عبد الله محمد بن صالح الكنانى الشاطبى نزيل بجاية

جعلت كتاب ربى لى بضاعه * فكيف أخاف فقرا أو اضاعه
وأعددت القناعة رأس مال * وهل شئ أعز من القناعه

وقال القاضى الكبير الاستاذ الشهير أبو العباس أحمد بن الغماز البلنسى نزيل افريقية

هو الموت فاحذر أن يجيئك بغتة * وأنت على سوء من الفعل عاكف
واياك أن تمضى من الدهر ساعة * ولا لحظة الا وقلبك واجف
وبادر باعمال تسرك أن ترى * اذا نشرت يوم الحساب الصحائف
ولا تيأسن من رحمة الله انه * لرب العباد بالعباد لطائف

وقال رحمه الله تعالى

أما آن للنفس أن تخشعا * أما آن للقلب أن يقلعا
أليس الثمانون قد أقبلت * فلم تبق فى لذة مطمعا
تقضى الزمان ولا مطمع * لما قد مضى منه أن يرجعا
تقضى الزمان فواحسرتى * لما فات منه وما ضيعا
ويا ويلتاه لذى شيبة * يطيع هوى النفس فيما دعا
ويا بعدا وسحقا له اذ غدا * يسمع وعظا ولن يسمعا

وقال الاستاذ الزاهد أبو اسحق الالبيرى الغرناطى رحمه الله تعالى

كل امرئ فيما يدين يدان * سبحان من لم يخل منه مكان

الحصين بن نمير بسهم فقتله فأخذ الراية المسيب بن نجبة الفزارى وكان من وجوه أصحاب على رضى الله عنه وكر على القوم وهو يقول

قد علمت ميالة الذوائب
واضحة اللبات والترائب
أنى غداة الروع والمقانب
أشجع من ذى لبدة مواثب

فقاتل حتى قتل فاستقتل التوابون وكسروا أجفان السيوف وسالت عليهم عساكر أهل الشام كالليل ينادون الجنة الجنة الى الثقفية من أصحاب أبى تراب الجنة الجنة الى الترابية وأخذ راية التوابين عبد الله بن سعيد بن نفيل وأتاهم اخوانهم يحثون السير خلفهم من أهل البصرة وأهل المدائن فى نحو من خمسمائة فارس عليهم المثنى بن مخربة وسعيد بن حذيفة وهم يقولون أقلنا ربنا تفريطنا فقد تبنا فقيل لعبد الله بن [illegible]

فقال ذلك لو جاؤا ونحن أحياء فكان أول من استشهد فى ذلك الوقت ممن لحقهم من أهل المدائن كثير بن عمرو المدنى وطعن سعيد بن سعيد الحنفى وعبد الله بن الخطل الطائى وقتل عبد الله بن سعيد بن نفيل فلما علم من بقى

يا عامر الدنيا ليسكنها وما * هي بالتي يبقى بها سكان

تفنى وتبقى الارض بعدك مثل ما * يبقى المناخ و يرحل الركبان

أأسرف في الدنيا بكل زيادة * وزيادتي فيها هي النقصان

وقال أيضا رحمه الله تعالى

وذي غنى أوهمته همته * ان الغنى عنه غير منفصل

يجر أذيال عجبه بطرا * واختال للكبرياء في الحلل

ترته أيدي الخطوب بزته * فاعتاض بعد الجديد بالسمل

فلا تثق بالغنى فآفته الـ * ـفقر وصرف الزمان ذو دول

كفى بنيل الكفاف عنه غنى * فكن به فيه غير محتفل

وقال رحمه الله تعالى

لا شئ أخسر صفقة من عالم * لعبت به الدنيا مع الجهال

فغدا يفرق دينه أيدي سبا * ويذيله حرصا لجمع المال

لا خير في كسب الحرام وقلما * يرجى الخلاص لكاسب لحلال

فخذ الكفاف ولا تكن ذا فضلة * فالفضل تسئل عنه أي سؤال

وقال رحمه الله تعالى

الشيب نبه ذا النهى فتنبها * ونهى الجهول فما استقام ولا انتهى

فالى متى ألهو وأخدع بالمنى * والشيخ أقبح ما يكون اذا لها

ما حسنه الا التقى لا أن يرى * صبا بألحاظ الجآذر والمها

أنى يقاتل وهو مفلول الشبا * كالبي الجواد اذا استقل تأوها

محق الزمان هلاله فكأنما * أبقى له منه على قدر السها

فغدا حسيرا يشتهي أن يشتهي * ولكم جرى طلق الجموح كما اشتهى

ان أن أواه وأجهش بالبكا * لذنوبه ضحك الجهول وقهقها

ليست تنبهه العظات ومثله * في سنه قد آن أن يتنبها

فقد اللدات وزاد غيا بعدهم * هلا تيقظ بعدهم وتنبها

يا ويحه ما باله لا ينتهي * عن غيه والعمر منه قد انتهى

وقال الاستاذ ولي الله سيدي أبو عبد الله بن العريف

من لم يشافه عالما بأصوله * فيقينه في المشكلات ظنون

من أنكر الاشياء دون تيقن * وتثبت فمعاند مفتون

الكتب تذكرة لمن هو عالم * وصوابها بمحالها معجون

والفكر غواص عليها مخرج * والحق فيها لؤلؤ مكنون

وقال أبو القاسم بن الابرش

أيأسوني لما تعاظم ذنبي * أتراهم هم الغفور الرحيم

فذروني وما تعاظم منه * انما يغفر العظيم العظيم

وقال

من التراببين أن لا طاقة لهم بهم الحيل ... ابن ... أبو الحويرث العبدي في جابية الناس وطلب منهم أهل الشام المكافة والمتاركة لما رأوا من بأسهم وصبرهم مع قلتهم فلحق أهل الكوفة بمصرهم وأهل المدائن والبصرة ببلادهم وسمع التراببون في سيرهم ورجوعهم من عين الوردة قائلا يقول رافعا عقيرته

ياعين بكي ابن الصرد

بكي اذا الليل حمد

كان اذا الباس مكد

تخاله فيه أسد

مضى حميدا قد رشد

في طاعة الاعلى الصمد

وقد ذكر أبو مخنف لوط بن يحيى وغيره من أصحاب التواريخ والسير من قتل من التراببين مع سليمان ابن صرد الخزاعي على عين الوردة وأسماءهم فقلاهم وحكى أبو مخنف في كتابه في أخبار التراببين المترجم بعين الوردة قصيدة عزاها الى أعشى همدان طويلة يرثي بها أهل عين وردة من التراببين ويصف ما فعلوه منها

توجه من دون الثنية سائرا * الى ابن زياد في الجموع الكتائب

فساروا وهم من بين ملتمس التقى * وآخر مما جر بالامس تائب

وقال أبو العباس بن صقر الغرناطي أو المري وأصله من سرقسطة

أرض العدوّ بظاهر متصنع * ان كنت مضطرا الى استرضائه
كم من فتى ألقى بوجه باسم * وجوانحي تنقد من بغضائه

وقال الكاتب الشهير الشهيد أبو عبد الله محمد بن الابار القضاعي البلنسي رحمه الله تعالى من أبيات

يا شقيق النفس أوصيك وان * شق في الاخلاص ما تنتهجه
لا تبت في كمد من كيد * رب ضيق عاد رحبا مخرجه
وبلطف الله أصبح واثقا * كل كرب فعليه فرجه

ولابن الابار المذكور ترجمة طويلة استوفيت منها ما أمكنني في أزهار الرياض في أخبار عياض وما يناسبها مما يحصل للنفس به ارتياح وللعقل ارتياض قال الغبريني في عنوان الدراية لو لم يكن له من الشعر الا قصيدته السينية التي رفعها للامير أبي زكريا رحمه الله تعالى يستنجده ويستصرخه لنصرة الاندلس لكان ذيها كفاية وان كان قد نقدها ناقد وطعن عليه فيها طاعن ولكن كما قال أبو العلاء المعري

تكلم بالقول المضلل حاسد * وكل كلام الحاسدين هراء

ولو لم يكن له من التآليف الا كتابه المسمى بمعادن اللجين في مراثي الحسين لكفاه في ارتفاع درجته وعلو منصبه وسمو رتبته ثم قال توفي بتونس ضحوة يوم الثلاثاء الموفي عشرين لمحرم سنة ٦٥٨ ومولده آخر شهر ربيع سنة ٥٩٥ ببلنسية رحمه الله تعالى وسامحه انتهى

وقال ابن علوان انه يتصل سنده به من طرق منها من طريق الراوية أبي عبد الله محمد بن جابر القيسي الوادي آشي عن الشيخ المقري المحدث المتبحر أبي عبد الله محمد بن حيان الاوسي الاندلسي نزيل تونس عنه ومن طريق والدي صاحب عنوان الدراية عن الخطيب أبي عبد الله بن صالح عنه انتهى (قلت) وسندي اليه عن العم عن التنسي عن أبيه عن ابن مرزوق عن جده الخطيب عن ابن جابر الوادي آشي به كما مر * وقال ابن عبد ربه

بادر الى التوبة الخلصاء مجتهدا * والموت ويحك لم يمدد اليك يدا
وارقب من الله وعدا ليس يخلفه * لابد لله من انجاز ما وعدا

وقال الصدر أبو العلاء بن قاسم القيسي

يا واقف الباب في رزق يؤمله * لا تقنطن فان الله فاتحه
ان قدر الله رزقا أنت طالبه * لا تيأسن [illegible]

وقال الاعمى التطيلي

تنافس الناس في الدنيا وقد علموا * أن سوف تق[illegible]
قل للعدث عن لقمان أو لبد * لم يترك الدهر لقمانا ولا لبدا
وللذي همه البنيان يرفعه * ان الردى لم يغادر في الثرى أحدا
ما لابن آدم لا تفنى مطامعه * يرجو غدا وعسى أن لا يعيش غدا

وقال أبو العباس التطيلي

جاءهم جمع من الشام بعده * جموع كموج البحر من كل جانب
فما برحوا حتى أبيرت جموعهم * ولم ينج منهم ثم غير عصائب
وغودر أهل الصبر صرعى فأصبحوا * تعاورهم ريح الصبا والجنائب
وأضحى الخزاعي الرئيس مجدلا * كأن لم يقاتل مرة ويحارب
ورأس بني سمع وفارس قومه * جميعا مع التيمي هادي الكتائب
وعمرو بن عمرو وابن بشر وخالد * وبكر وزيد والحليس بن غالب
أبوا غير ضرب يفلق الهام ضربه * وطعن بأطراف الاسنة صائب
فيا خير جيش للعراق وأهله [illegible]
[illegible]
[illegible] السلواعب
فان تقتلوا فالقتل أكرم ميتة * وكل فتى يوما لاحدى النوائب
وما قتلوا حتى أصابوا عصابة * محلين نورا كالليوث الضوارب

وقيل ان وقعة الوردة كانت في سنة ست وستين وفي أيام عبد الملك

والناس كالناس الا أن تجربهم * وللبصيرة حكم ليس للبصر
كالايك مشتبهات فى منابتها * وانما يقع التفضيل فى الثمر

وقال القاضى أبو العباس بن الغماز البلنسى

من كان يعلم لامحالة انه * لابد أن يودى وان طال المدى
هلا استعد لمشهد يجزى به * من قد أعد من اهتدى ومن اعتدى

وقال أيضا

هو الموت فاحذر أن يجيئك بغتة * وأنت على سوء من الفعل عاكف
واياك أن تمضى من الدهر ساعة * ولا لحظة الا وقلبك واجف
فبادر باعمال يسرك أن ترى * اذا طويت يوم الحساب الصحائف
ولا تيأسن من رحمة الله انه * لرب العباد بالعباد لطائف

ولما استوزر باديس صاحب غرناطة اليهودى الشهير بابن نقولة وأعضل داؤه المسلمين قال زاهد البيرة وغرناطة أبو اسحق الالبيرى قصيدته النونية المشهورة التى منها فى اغراء صنهاجة باليهود

الا قل لصنهاجة أجمعين * بدور الزمان وأسد العرين
مقالة ذى مقة مشفق * صحيح النصيحة دنيا ودين
لقد زل سيدكم زلة * أقر بها أعين الشامتين
تخير كاتبه كافرا * ولو شاء كان من المؤمنين
فعز اليهود به وانتموا * وسادوا وتاهوا على المسلمين

وهى قصيدة طويلة فثارت اذ ذاك صنهاجة على اليهود وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وفيهم الوزير المذكور وعادة أهل الاندلس ان الوزير هو الكاتب فاراح الله العباد والبلاد ببركة هذا الشيخ الذى نور الحق على كلامه باد وقال أبو الطاهر الجيانى المشهور بابن أبى ركب بفتح الراء وسكون الكاف

يقول الناس فى مثل * تذكر غائبا تره
فمالى لا أرى سكنى * ولا أنسى تذكره

وكان أبو الطاهر هذا فى جملة من الطلبة فمر بهم رجل معه محبرة آبنوس تأنق فى حليتها واحتفل فى عملها فأراهم اياها وقال أريد أقصد بها بعض الاكابر وأريد أن تتمموا احتفالى بأن تصنعوا لى بينكم أبيات شعر أقدمها معها فأطرق الجماعة وقال أبو الطاهر

وافتك من عدد العلا زنجية * فى حلة من حلية تتبختر
صفراء سوداء الحلى كأنها * ليل تطرزه نجوم تزهر

فلم يغب الرجل عنهم الا يسيرا واذا به قد عاد اليهم وفى يده قلم نحاس مذهب فقال لهم وهذا أعددته للدفع مع هذه المحبرة فتفضلوا باكمال الصنيعة عندى بذكره فبدر أبو الطاهر وقال

حملت باصفر من نجار حليها * تخفيه احيانا وحينا تظهر
خرسان الا حين يرضع ثديها * فتراه ينطق ما يشاء ويذكر

ابن مروان توفى الحرث الاعور صاحب ٨٠ على عليه السلام وهو الذى دخل على على فقال يا أمير المؤمنين الا ترى الى الناس قد اقبلوا على هذه الاحاديث وتركوا كتاب الله قال وقد فعلوها قال نعم قال أما انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون فتنة قلت فما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن اراد الهدى فى غيره اضله الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم والصراط المستقيم وهو الذى لا تزيغ عنه العقول ولا تلتبس به الالسن ولا تنقضى عجائبه ولا يعلم علم مثله هو الذى لما سمعته الجن قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد من قال به صدق ومن زال عنه عدا ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم خذها اليك يا أعور (ولما كان) و من وقعة عين الوردة ما قدمنا سار عبيد الله بن زياد فى عساكر الشام يؤم العراق فلما انتهى الى الموصل وذلك فى سنة ست وستين التقى هو وابراهيم بن الاشتر النخعى وابراهيم على خيل العراق من قبل المختار بالجازر فكانت بينهم وقعة عظيمة

قال

قتل فيها ابن مرجانة عبيد الله بن زياد والحصين بن نمير وشرحبيل بن ذي

قال ابن الابار في تحفة القادم وحضر يوما في جماعة من أصحابه وفيهم أبو عبد الله بن زرقون في شعبان في مكان فلما تملؤا من الطعام قال أبو الطاهر لابن زرقون أجزيا أبا عبد الله وأنشد

حمدت لشعبان المبارك شبعة * تسهل عندي الجوع في رمضان
كما حمد الصب المتيم زورة * تحمل فيها الهجر طول زمان

فقال

دعوها بشعبانية ولوانهم * دعوها بشبعانية لكفاني

انتهى * وقال أبو عبد الله بن خميس الجزائري

تحفظ من لسانك ليس شيء * أحق بطول سجن من لسان
وكن للصمت ملتزما اذا ما * أردت سلامة في ذا الزمان

وقال أيضا

كن حلس بيتك مهما فتنة ظهرت * تخلص بدينك وافعل دائما حسنا
وان ظلمت فلا تحقد على أحد * ان الضغائن فاعلم تنشئ الفتنا

وقال

بدا لي أن خير الناس عيشا * من امنه الاله من الانام
فليس لخائف عيش لذيذ * ولو ملك العراق مع الشام

وله

جانب جميع الناس تسلم منهم * ان السلامة في مجانبة الورى
واذا رأيت من امرئ يوما أذى * لا تجزه أبدا بما منه ترى

وله

من أدب ابناله صغيرا * قرت به عينه كبيرا
وارغم الانف من عدو * يحسد نعماءه كثيرا

وقال أبو محمد بن هرون القرطبي

بيد الاله مفاتح الرزق الذي * أبوابه مفتوحة لم تغلق
عجبا الذي فقر بكلف مثله * في الوقت شيأ عنده لم يخلق

وقال أيضا

لعمرك ما الانسان يرزق نفسه * ولكنما الرب الكريم يسخره
وما بيد المخلوق في الرزق حيلة * تقدمه عن وقته أو تؤخره

وقال الاديب الاستاذ أبو محمد بن صارة رحمه الله تعالى

يا من يصيخ الى داعي السفاه وقد * نادى به الناعيان الشيب و[illegible]
ان كنت لا تسمع الذكرى ففيم ثوى * في رأسك الواعيان السمع و[illegible]
ليس الاصم ولا الاعمى سوى رجل * لم يهده الهاديان العين و[illegible]
لا الدهر يبقى ولا الدنيا ولا الفلك الاعلى ولا النيران الشمس و[illegible]
ليرحلن عن الدنيا وان كرها * فراقها الثاويان البدو والحضر

وقال رحمه الله تعالى في ابنة ماتت له

ألا يا موت كنت بنا رؤفا * فجددت الحياة لنا بزوره
حمادلفعالك المشكور لما * كفيت مؤنة وسترت عوره
فأنكحنا الضريح بلا صداق * وجهزنا الفتاة بغير شوره

الكلاع وابن حوشب ذي ظليم وعبد الله بن اياس السلمي أبو سد بن وغالب الباهلي وأشراف أهل الشام وذلك أن عمير بن الحباب السلمي كان على ميمنة ابن زياد في ذلك الجيش وكان في نفسه ما فعل بقومه من مضر وغيرهم من نزار يوم مرج راهط فصاح يا لثارات قيس يا لمضر يا لنزار فتمازجت نزار من مضر وربيعة على من كان معهم في جيشهم من أهل الشام من قحطان وقد كان عمير كاتب ابراهيم بن الاشتر سرا قبل ذلك والتقيا فتواطآ على ما ذكرنا وحمل ابراهيم بن الاشتر رأس ابن زياد وغيره الى المختار فبعث به المختار الى عبد الله ابن الزبير بمكة وقد كان عبد الملك بن مروان سار في جيوش أهل الشام فنزل بطنان ينتظر ما يكون من ابن زياد فأتاه خبر مقتله [illegible] جيش بالمدينة لحرب ابن الزبير ثم جاءه خبر دخول نابل بن قيس فلسطين من قبل ابن الزبير ومسير مصعب بن الزبير من المدينة الى فلسطين ثم جاءه مسيرة ملك الروم لاوي بن فلقط ونزوله المصيصة يريد الشام ثم جاءه خبر دمشق وأن عبيدها

وأنشد أبو عبد الله بن الحاج البكرى الغرناطى فى بعض مجالسه قوله

ياغاديا فى غفلة ورائحا * الى متى تستحسن القبائحا
وكم الى كم لاتخاف موقفا * يستنطق الله به الجوارحا
ياعجبا منك وكنت مبصرا * كيف تجنبت الطريق الواضحا
كيف تكون حين تقرا فى غد * صحيفة قد ملئت فضائحا
أم كيف ترضى أن تكون خاسرا * يوم يفوز من يكون رابحا

وممن روى عنه هذه الابيات الكاتب الرئيس أبو الحسن بن الجياب وتوفى ابن الحاج المذكور سنة ٧١٥ رحمه الله تعالى * وقال حافظ الاندلس ومحدثها أبو الربيع سليمان ابن موسى بن سالم الكلاعى رحمه الله تعالى

الهى مضت للعمر سبعون حجة * ولى حركات بعدها وسكون
فياليت شعرى اين أو كيف أومتى * يكون الذى لابد أن سيكون

والصواب انهما لغيره كاذكرته فى غير هذا الموضع وبالجملة فهما من كلام الاندلسيين وان لم يحقق ناظمهما بالتعيين * وقال أبو بكر يحيى التطيلى رحمه الله تعالى

اليك بسطت الكف فى فحمة الدجا * نداء غريق فى الذنوب عريق
رجاك ضميرى كى تخلص جلتى * وكم من فريق شافع لفريق

وحكى ان بعض المغاربة كتب الى الملك الكامل بن العادل بن أيوب رقعة فى ورقة بيضاء ان قرئت فى ضوء السراج كانت فضية وان قرئت فى الشمس كانت ذهبية وان قرئت فى الظل كانت حبرا أسود وفيها هذه الابيات

لئن صدنى البحر عن موطنى * وعيني بأشواقها زاهره
فقد زخرف الله لى مكة * بأنوار كعبته الزاهره
وزخرف لى بالنبى يثربا * وبالملك الكامل القاهره

فقال الملك الكامل قل

وطيب لى بالنبى طيبة * وبالملك الكامل القاهره

وأظن أن المغربى أندلسى لقوله لئن صدنى البحر عن موطنى فلذلك أدخلته فى أخبار الاندلسيين على غير تحقيق فى ذلك والله أعلم * وأنشد أبو الوليد المعروف بابن الخليع قال أنشدنا أبو عمر بن عبد البر النمرى الحافظ

تذكرت من يبكى على مداوما * فلم ألف الا العلم بالدين والخبر
علوم كتاب الله والسنن التى * أتت عن رسول الله مع صحة الاثر
وعلم الالى من ناقديه وفهم ما * له اختلفوا فى العلم بالرأى والنظر

وأنشد له أيضا

مقالة ذى نصح وذات فوائد * اذا من ذوى الالباب كان استماعها
عليكم بآثار النبى فانه * من أفضل أعمال الرشاد اتباعها

وقال أبو الحسن عبد الملك بن عياش الكاتب الازدى اليابرى وسكن أبوه قرطبة

مكابرة وأن خيل الاعراب أغارت على حمص وبعلبك والبقاع وغير ذلك مما ينتمي اليه من المقطعات فى تلك الليلة فلم ير عبد الملك فى ليلة قبلها أشد ضحكا ولا أحسن وجها ولا أبسط لسانا ولا أثبت جنانا منه تلك الليلة تجلدا وسياسة للملوك فترك اظهار الفشل وبعث باموال وهدايا الى ملك الروم فشغله وهادنه وسار الى فلسطين وبها نابل بن قيس على جيش ابن الزبير فالتقوا باجنادين فقتل نابل بن قيس وعامة أصحابه وانهزم الباقون ونعي خبر قتله وهزيمة الجيش الى مصعب بن الزبير وهو فى الطريق فولى راجعا الى المدينة ففى ذلك يقول رجل من كلب من المروانية

قتلنا باجنادين سعدا ونابلا * قصاصا بما لاقى خنيس ومنذر

ورجع عبد الملك الى دمشق فنزلها وسار ابراهيم ابن الاشتر فنزل نصيبين وتحصن منه أهل الجزيرة ثم استخلف على نصيبين ولحق بالمختار بالكوفة وفى سنة سبع وستين سار

عصيت هوى نفسى صغيرا وعندما * رمتنى الليالى بالمشيب وبالكبر
أطعت الهوى عكس القضية ليتنى * خلقت كبيرا وانتقلت الى الصغر

وقيل ان ابنه أبا الحسن على بن عبد الملك قال بيتا مفردا فى معنى ذلك وهو

هنيئاله اذلم يكن كابنه الذى * أطاع الهوى فى حالتيه وما اعتبر

وقيل ان هذا البيت رابع أربعة أبيات * وقال أبو اسحق بن خفاجة لما اجتمع به أبو العرب وسأله عن حاله وقد بلغ فى عمره احدى وثمانين سنة فأنشده لنفسه

أى عيش أو غداء أو سنه * لابن احدى وثمانين سنه
قلص الشيب به ظل امرئ * طالما جر صبا حارسنه
تارة تسطو به سيئة * تسخن العين وأخرى حسنه

وقال أبو محمد عبد الوهاب بن محمد القيسى المالقى

الموت حصاد بلامنجل * يسطو على القاطن والمنجلى
لا يقبل العذر على حالة * ما كان من مشكل أو من جلى

وقال الشيخ عبد الحق الاشبيلى الازدى صاحب كتاب العاقبة والاحكام وغيرهما

ان فى الموت والمعاد لشغلا * وادكار الذى النهى وبلاغا
فاغتنم خطتين قبل المنايا * صحة الجسم يا أخى والفراغا

وقال أبو الفضل عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن حسان الغسانى من أهل جليانة من عمل وادى آش

ألا انما الدنيا بحار تلاطمت * فما أكثر الغرقى على الجنبات
وأكثر من صاحبت يغرق الفه * وقل فتى ينجى من الغمرات

وكان المذكور من أهل العلم والادب رحل وحج وتجول فى البلاد ونزل القاهرة المعزية وكان أحد السياحين فى الارض وله تآليف منها جامع انماط الوسائل فى القريض والخطب والرسائل وأكثره نظمه ونثره رحمه الله تعالى * وقال عبد العليم بن عبد الملك ابن حبيب القضاعى الطرطوشى

وما الناس الا كالصحائف عبرة * وألسنهم الا كشكل التراجم
اذا اشتجر الخصمان فى فطنة الفتى * فقوله فى ذاك أعدل حاكم

وقال أبو الحكم عبد المحسن البلنسى

من كان للدهر خدنا فى تصرفه * أبدت له صفة [illegible]
من كان خلوا من الآداب سربله * من الليالى [illegible]

وقال أبو حاتم عمر بن محمد بن فرج من أهل مبرتلة مدينة [illegible] الدين القضاعى

شهب السماء ضياؤها مستور * عنا اذا أفات توارى النور
فانزع هديت الى شهاب نوره * متألق آماله تبصير
تشفى جواهره القلوب من العمى * ولطالما انشرحت بهن صدور

قتل محمد بن الاشعث

والتقى هو والمختار فكانت بينهم حروب عظيمة وقتل زربيع وانهزم المختار وقد وابنان له ودخل قصر الامارة بالكوفة وتحصن فيه وكان يخرج كل يوم لمحاربة مصعب وأصحابه وأهل الكوفة وغيرهم والمختار معه خلق كثير من الشيعة قد سموا الحسينية من الكيسانية وغيرهم فخرج اليهم ذات يوم وهو على بغلة له شهباء فحمل عليه رجل من بنى حنيفة يقال له عبد الرحمن ابن أسد فقتله واحتز رأسه وتنادوا بقتله فقطعه أهل الكوفة وأصحاب مصعب أعضاء وأبى مصعب أن يعطى الامان لمن بقى فى القصر من أصحابه فحاربوا الى أن أضر بهم الجهد فأمنهم وقتلهم بعد ذلك فكان ممن قتل مع مصعب عبد الله بن الحسين بن على ابن أبى طالب رضى الله عنه وله خبر مع المختار فى تخلصه منه ومضيه الى البصرة وخوفه على نفسه [illegible] الزمان فكان جملة من أدركه الاحصاء ممن قتله مصعب مع المختار سبعة آلاف رجل كل هؤلاء طالبوا بدم الحسين وقتلوا أعداءه فقتلهم مصعب وسماهم الحسينية وتتبع مصعب الشيعة بالقتل بالكوفة وغيرها

فاذا أتى فيه حديث محمد * خذ في الصلاة عليه يا مغرور
وترحمن على القضاعي الذى * وضع الشهاب فسعيه مشكور

وقال الاستاذ أبو محمد غانم بن الوليد المخزومي المالقي

ثلاثة يجهل مقدارها * الأمن والصحة والقوت
فلا تثق بالمال من غيرها * لو أنه در و ياقوت

وتذكرت بهذا قول الآخر

اذا ما القوت يأتي لـك والصحة والأمن
وأصبحت أخا حزن * فلا فارقك الحزن

وكل ذلك أصله الحديث النبوي من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه معه قوت يومه فكأنما سيقت له الدنيا بحذافيرها وأخبرنا شيخنا القصار أبو عبد الله محمد بن قاسم القيسي مفتي مدينة فاس وخطيبها سنة عشر وألف قال حدثنا شيخنا أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل التونسي نزيل فاس الشهير بخروف حدثنا الامام سيدي فرج الشريف الطغطعاني قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم يقول من أصبح آمنا في سربه الحديث *(رجع)* وقال الاستاذ العارف بالله سيدي أبو العباس أحمد بن العريف الاندلسي دفين مراكش وقد زرت قبره بها سنة ١٠١٠

اذا نزلت بساحتك الرزايا * فلا تجزع لها جزع الصبي
فان لكل نازلة عزاء * بما قد كان من فقد النبي

وقال رحمه الله تعالى

شدوا الرحال وقد نالوا المنى بمنى * وكلهم بأليم الشوق قد باحا
راحت ركائبهم تندى روائحها * طيبا بما طاب ذاك الوفد أشباحا
نسيم قبر النبي المصطفى لهم * راح اذا سكروا من أجله فاحا
يا راحلين الى المختار من مضر * زرتم جسوما وزرنا نحن أرواحا
انا أقمنا على شوق وعن قدر * ومن أقام على عذر كمن راحا

وقال أبو محمد المحاربي

داء الزمان وأهله * داء يعز له العلاج
أطلعت في ظلمائه * رأيا كما سطع السراج
لمعاشر أعيانهم * في من قناتهم اعوجاج
كالدر مالم تختبر * فاذا اختبرت فهم زجاج

وقال أبو عبد الله غريب الثقفي القرطبي

تهددني بمخلوق ضعيف * يهاب من المنية ما أهاب
له أجل ولي أجل وكل * سيبلغ حيث يبلغه الكتاب
وما يدري لعل الموت منه * قريب أينا منه المصاب

وله

أيها الآمل ما ليس له * طالما غر جهولا أمله

والثانية ابنة النعمان بن بشير الانصاري وقالتا كيف تتبرأ من رجل يقول ربي الله كان صائم نهاره قائم ليله قد بذل دمه لله ولرسوله في طلب قتلة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله وشيعته فأمكنه الله منهم حتى شفى النفوس فكتب مصعب الى أخيه عبد الله يخبرهما وما قالتاه فكتب اليه أن رجعتا عما هما عليه وتبرأتا منه والا فاقتلهما فعرضهما مصعب على السيف فرجعت بنت سمرة ولعنته وتبرأت منه وقالت لو دعوتني الى الكفر مع السيف لكفرت اشهد أن المختار كافر وأبت ابنة النعمان بن بشير وقالت شهادة أرزقها فأتركها كلا انها موتة ثم الجنة والقدوم على الرسول وأهل بيته والله لا يكون آتي مع ابن هند فأتبعه وأترك ابن أبي طالب اللهم اشهد أني متبعة لنبيك وابن بنته وأهل بيته وشيعته ثم قدمها فقتلت صبرا ففي ذلك يقول الشاعر

ان من أعجب الاعاجيب عندي * قتل بيضاء حرة عطبول

ربما بات يمنى نفسه * خانه دون مناه أجله
وفتى بكر فى حاجاته * عاجلا أعقب ريثا عجله
قل لمن مثل فى أشعاره * يذهب المرء ويبقى مثله
نافس المحسن فى احسانه * فسيكفيك مسيئا عمله

قال ابن الابار وهذا البيت الاخير فى برنامج الطبنى * وقال أبو الحسين بن سليمان بن الطراوة النحوى المالقى

وقائلة اتصبو للغوانى * وقد أضحى بعفرقك النهار
فقلت لها حثثت الى التصابى * أحق الخيل بالركض المعار

وقال الحافظ أبو الربيع بن سالم

اذا برمت نفسى بحال أحلتها * على أمل ناء فقرت به النفس
وأنزل أرجاء الرجاء كأننى * اذا رام الماء ما بساحتى اليأس
وان أوحشتنى من أمانى نبوة * فلى فى الرضا بالله والقدر الانس

وقال أبو الحسن سلام بن عبد الله بن سلام الباهلى الاشبيلى مما أنشده لنفسه فى كتابه الذى سماه بالذخائر والاعلاق فى أدب النفوس ومكارم الاخلاق

اذا تم عقل المرء تمت فضائله * وقامت على الاحسان منه دلائله
فلا تنكر الابصار ما هو فاعله * ولا تنكر الاسماع ما هو قائله

وكان ابو المذكور من وزراء المعتمد بن عباد رحم الله تعالى الجميع * وقال أبو بكر الزبيدى اللغوى

اترك الهم اذا ما طرقك * وكل الامر الى من خلقك
واذا أمل قوم أحدا * فالى ربك فامدد عنقك

وقال القاضى أبو الوليد هشام بن محمد القيسى الشلبى المعروف بابن الطلا فاوضت القاضى أبا محمد عبد الله بن شبرين ما يحذر من فتنة النظر الى الوجوه الحسان فقلت

لا تنظرن الى ذى رونق أبدا * واحذر عقوبة ما يأتى به النظر
فكم صريع رأيناه صريع هوى * من نظرة قادها يوما له القدر

فاجابنى فى المعنى الذى انتحيته

اذا نظرت فلا تولع بتقليب * فربما نظرة عادت بتعذيب

ورب هنا للتكثير * وقال الاستاذ ابن حوط الله

أتدرى انك الخطاء حقا * وأنك بالذى تأتى رده
وتغتاب الأولى فعلوا وقالوا * وذلك الظن والافك ..

قال فى الاحاطة أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن عمر بن حوط الله الانصارى الحارثى كان فقيها جليلا أصوليا كاتبا أديبا شاعرا متفننا فى العلوم ورعا دينا حافظا ثبتا فاضلا درس كتاب سيبويه ومستصفى أبى حامد الغزالى وكان رحمه الله تعالى مشهورا بالعقل والفضل معظما عند الملوك معلوم القدر لديهم يخطب فى مجالس الامراء والمحافل الجمهورية

تنسب اليه الازارقة من الخوارج اذ كنا أتينا فى كتابنا اخبار الزمان على ذكر حروب الخوارج مع المهلب وغيره ممن سلف وخلف وذكرنا شأن مرداس بن عمرو بن بلال التميمى وعطية بن الاسود الحنفى وأبى فديك وسودة الشيبانى ووقعة ابن الماجور الخارجى مع المهلب ومقتله وظفر المهلب بهم فى ذلك اليوم وخبر عبد ربه وأخبار خوارج اليمن كأبى حمزة المختار بن عوف الأزدى وبيهس الهيصمى مع ما تقدم من ذكرنا لفرق الخوارج فى كتابنا المقالات فى أصول الديانات من الاباضية وهم سراة عمان من الازد وغيرهم من الازارقة والنجدات والحمرية والصفرية وغيرهم من فرق الخوارج وبلدانهم من الارض مثل بلاد سجستان وتل أعفر من بلاد ديار ربيعة والسن والبوازيج [illegible]

وهم المعروفون بالسراة منهم وأسلم المعروف بابن سادلويه وقد كان ملك على أعمال ابن أبى الساج من

 بلاد اذربيجان واران والبيلقان وارمينية ومن سكن منهم بلاد سجستان وجبال هراة وهشتاذ

مقدما في ذلك بلاغة وفصاحة الى أبعد مضمار وولى قضاء اشبيلية وقرطبة ومرسية وسبتة وسلا وميورقة فتظاهر بالعدل وعرف بما أبطن من الدين والفضل وكان من العلماء العاملين مجانبا لاهل البدع والاهواء بارع الخط حسن التقييد وسمع الحديث فحصل له سماع لم يشاركه فيه أحد من اهل الغرب وسمع على الجهابذة كابن بشكوال وغيره وقرأ أكثر من ستين تاليفا بين كبار وصغار وكمل له على أبي محمد بن عبد الله بن قراءة وسماع نحو من ستة وثلاثين تأليفا منها الصحيحان وأكثر عن ابن حبيش وابن الفخار والسهيلي وغيرهم ومولده في محرم سنة ٥٤١ ومات بغرناطة سحر يوم الخميس ثاني ربيع الاول سنة ٦١٢ ونقل منها في تابوته الذي ألحد فيه يوم السبت تاسع عشر شعبان من السنة المذكورة الى مالقة فدفن بها رحمه الله تعالى انتهى وبعضه بالمعنى مختصرا والمذكور ترجمة واسعة جدا والمعتمد ما ذكر على وجه التبرك بذكره رحمه الله تعالى ورضي عنه * وقال أبو المتوكل الهيثم ابن أحمد السكوني الاشبيلي

يجفى الفقير ويغشى الناس قاطبة * باب الغني كذا حكم المقادير
وانما الناس أمثال الفراش فهم * يرون حيث مصابيح الدنانير

وقال تلميذه ابن الابار أنشد في بعض أصحابنا عنه هذين البيتين ولم أسمعهما منه انتهى (قلت) وبهذا تعرف وهم من نسب البيتين الى عبد المهيمن الحضرمي وقد انشدهما ايضا ابن الجلاب الفهري في روح الشعر وروح السحر * وقال أبو محمد القاسم بن الفتح الحجاري المعروف بابن افر ولة

ركابي بارجاء الرجاء مناخة * ورائدها علمي بانك لي رب
وانك علام بما أنا قائل * كما أنت علام بما أضمر القلب
لئن آداها ذنب تولت بعيثه * لقد قرعت بابا به يغفر الذنب

وقال أيضا

عجبا لمجبر قد تيقن انه * سيرى اقترافه يديه في ميزانه
ثم امتطى ظهر المعاصي جهرة * لم يثنه التأنيب عن عصيانه
أنى عصى ولكل جزء نعمة * من نفسه وزمانه ومكانه

وقال الشاعر الكبير الشهير أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن مجبر الفهري

ان الشدائد قد تغشى الكريم لأن * تبين فضل سجاياه وتوضحه
كمبرد القين اذ يعلو الحديد به * وليس يأكله الا ليصلحه

وقال

لا تغبط المجدب في علمه * وان رأيت الخصب في حاله
ان الذي ضيع من نفسه * فوق الذي ثمر من ماله

وقال أبو الحجاج يوسف بن احمد الانصاري المنصفي البلنسي

قالت لي النفس أتاك الردى * وأنت في بحر الخطايا مقيم
هل اتخذت الزاد قلت اقصري * هل يحمل الزاد لدار الكريم

وجربة ومنهم ببلاد حران اصطخر وصاهد بين كرمان وفارس ومنهم ببلاد تيهرت المغرب ومنهم ببلاد حضرموت وغيرها من بقاع الارض وفي سلطنة عبد الملك مات أبو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب في سنة ثمان وستين وقيل في سنة تسع وستين بالطائف وأمه لبابة بنت الحرث بن حزن من ولد عامر بن صعصعة وله احدى وسبعون سنة وقيل انه ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وقد ذكر عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس أنه قال قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشر سنين وصلى عليه محمد بن الحنفية وكان قد ذهب بصره لبكائه على علي والحسن والحسين وكانت له وفرة طويلة يخضب شيبه بالحناء وهو الذي يقول

ان يأخذ الله من عيني نورهما
في لساني وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غير مدخل
وفي فمي صارم كالسيف مأثور

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم دعا له حين وضع له الماء للطهر في بيت خالته ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وقيل لابن عباس وكان

وكان المنصف المذكور صالحا وله رحلة حج فيها ومال الى علم التصوف رحمه الله تعالى وله فيه أشعار حملت عنه * وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن الصائغ القرشي الاموي الاندلسي مخمسا أبيات عز الدين بن جماعة قاضي القضاة رحمه الله تعالى

هم الابي على مقدار منصبه * وبسط راحته في طي منصبه
ما أنت والدهر تشكو من تقلبه * يا مبتلى بقضاء قد بليت به
عليك بالصبر واحذر يا أخي جزعك

صبرا فللصبر في حرب العدا عدد * ذو العدو يمسه الغيظ والحسد
ولا يكن لك الا الله معتمد * واعلم بان جميع الخلق لو قصدوا
أذاك لم يقدروا والله قد رفعك

أعلاك في رتب غر معظمة * بالعرف معروفة بالعلم معلمة
ومن يناويك في بهماء مظلمة * فاصرف هواك وجانب كل مظلمة
واصحب فديتك من بالنصح قد نفعك

قد اجتليت من الايام تبصرة * وقد كفاك الهدى والذكر تذكرة
فاشكر وقدم مع الاخلاص معذرة * واسأل الملك في الاسحار مغفرة
منه وكن معه حتى يكون معك

وتوفي المذكور بالقاهرة في الطاعون العام سنة ٧٤٩ * وقال أبو عبد الله الحميدي

الناس نبت وأرباب القلوب لهم * روض واهل الحديث الماء والزهر
من كان قول رسول الله حاكمه * فلا شهود له الا الالى ذكروا

وقال أيضا

من لم يكن للعلم عند فنائه * أرج فان بقاءه كفنائه
بالعلم يحيا المرء طول حياته * فاذا انقضى احياه حسن ثنائه

وقال ايضا

دين الفقيه حديث يستضيء به * عند الحجاج والا كان في الظلم
ان تاه ذو مذهب في قفر مشكلة * لاح الحديث له في الوقت كالعلم

ولما تعرض بعض من لا يبالي بما ارتكب الى اصحاب الحديث بقوله

أرى الخير في الدنيا يقل كثيره * وينقص نقصا والحديث يزيد
فلو كان خيرا كان كالخير كله * ولكن [illegible]
ولابن معين في الرجال مقالة * فيسئل [illegible]
فان يك حقا قوله فهي غيبة * وان يك [illegible]

أجابه الامام أبو عبد الله الحميدي بقصيدة طويلة منها

واني الى ابطال قولك قاصد * ولي من شهادات النصوص جنود
اذا لم يكن خيرا كلام نبينا * لديك فان الخير منك بعيد
واقبح شيء أن جعلت لما أتى * عن الله شيطانا وذاك شديد

رضي الله عنهما ما منع عليا رضي الله عنه ان يبعث مكان أبي موسى يوم الحكمين فقال منهم من ذلك حائل القدر وقصر المدة ومحنة الابتلاء أما والله لو بعثني مكانه لاعترضت مدارج نفسه ناقضا لما أبرم ومبرما لما نقض أسف اذا طار وأطير اذا أسف ولكن مضى قدر وبقي أسف ومع اليوم غدا وللآخرة خير للمتقين وكان لابن عباس من الولد علي وهو أبو الخلفاء من بني العباس والعباس ومحمد والفضل وعبد الرحمن وعبيد الله ولبابة وأمهم زرعة بنت مشرح الكندية فاما عبيد الله ومحمد والفضل فلا اعقاب لهم (وفي سنة سبعين) قتل عبد الملك بن مروان عمرو بن سعيد بن العاص الاشدق وهو عمرو بن سعيد بن العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وكان ذا شهامة وفصاحة وبلاغة واقدام وكان بينه وبين عبد الملك محادثات ومكاتبات وخطب [illegible]

[illegible]

اليه عمرو واستدراج النعم اياك أفادك البغي ورائحة الغدرة أورثتك الغفلة زجرت عما والهت عليه وندبت الى ما تركت سبيله ولو كان ضعف الاسباب يؤيس الطالب ما انتقل سلطان ولا ذل عز يزوعن قريب يتبين

من صريح ابى واسير عقله

وقد كان عبد الملك سار الى زفر بن الحرث الكلابى وهو بقرقيسيا و بلاد الرحبة وخالفه عمرو بن سعيد بدمشق فبلغه أن عمرا قد دعا الى بيعته بدمشق فكر راجعا اليها فامتنع عمرو فيها فناشده عبد الملك الرحم وقال له لا تفسد أهل بيتك وما هم عليه من اجتماع الكلمة وفيما صنعت قوة ارجع الى بيعتك فانى سأجعل لك العهد فرضى وصالح ودخل عبد الملك وعمرو متحيز منه فى نحو خمسمائة يزولون معه حيث زال وقد تنازع أهل السير فى كيفية قتل عبد الملك اياه فمنهم من رأى أن عبد الملك قال لحاجبه ويحك أتستطيع اذا دخل عمرو أن تغلق الباب قال نعم قال فافعل وكان عمرو رجلا عظيم الكبر لا يرى لاحد عليه فضلا ولا يلتفت وراءه اذا مشى الى أحد فلما فتح الحاجب الباب دخل عمرو فاغلق الحاجب الباب دون أصحابه ومضى عمرو لا يلتفت وهو يظن أن أصحابه قد دخلوا معه كما كانوا يدخلون فعاتبه عبد الملك طويلا وقد كان وصى صاحب حرسه أبا الزعيزعة بان يضرب عنقه فكلمه عبد الملك

وما زلت فى ذكر الزيادة معجبا * بها تبتدى التلبيس ثم تعيد
كلام رسول الله وحى ومن يرم * زيادة شئ فهو فيه عنيد

ومنها فى ابن معين

وما هوا لا واحد من جماعة * وكلهم فيما حكوه شهود
فان صد عن حكم الشهادة جاهل * فان كتاب الله فيه عتيد
ولولا رواة الدين ضاع واصبحت * معالمه فى الآخرين تبيد
هم حفظوا الآثار من كل شبهة * وغيرهم عما اقتنوه رقود
وهم هاجروا فى جمعها وتبادروا * الى كل أفق والمرام كؤد
وقاموا بتعديل الرواة وجرحهم * فدام صحيح النقل وهو جديد
بتبليغهم صحت شرائع ديننا * حدود تحروا حفظها وعهود
وصح لاهل النقل منها احتجاجهم * فلم يبق الا عاند وحقود
وحسبهم أن الصحابة بلغوا * وعنهم روو الا يستطاع جحود
فمن حاد عن هذا اليقين فمارق * مريد لاظهار الشكوك مريد
ولكن اذا جاء الهدى ودليله * فليس لموجود الضلال وجود
وان رام أعداء الديانة كيدها * فكيدهم بالمخزيات مكيد

وقال ابو بكر محمد بن محمد بن محرز الزهرى البلنسى والتزم الراء فى كل كلمة

اشكر لربك وانتظر * فى اثر عسر الامر يسرا
واصبر لربك وادخر * فى ستر ضر الفقر أجرا
فالدهر يعثر بالورى * والصبر بالاحرار احرى
والوفر أظهر معشرا * والفقر بالاخيار يغرى

وقال ايضا

اقنع بما أوتيته تنل الغنى * واذا دهتك ملمة فتصبر
واعلم بان الرزق مقسوم فلو * رمنا زيادة ذرة لم نقدر
والله أرحم بالعباد فلا تسل * بشرا تعش عيش الكرام وتوجر
واذا سخطت لضر حالك مرة * ورأيت نفسك قد عدت فاستبصر
وانظر الى من كان دونك تدكر * لعظيم نعمته عليك فتشكر

وقال الحافظ أبو محمد بن حزم أنشدنى والدى أحمد بن سعيد بن حزم

اذا شئت أن تحيا غنيا فلا تكن * على حالة الا رضيت بدونها

وقال القاضى أبو العباس أحمد بن الغماز البلنسى نزيل تونس

وقالوا أما تخشى ذنوبا أتيتها * ولم تك ذا جهل فتعذر بالجهل
فقلت لهم هبنى كما قد ذكرتم * تجاوزت فى قولى واسرفت فى فعلى
أما فى رضا مولى الموالى وصفحه * رجاء وسلا لمقترف مثلى

وانشد رحمه الله تعالى لنفسه فى اليوم الذى مات فيه وهو آخر ما سمع منه ليلة عاشوراء

وأغلظ له القول فقال يا عبد الملك أتستطيل على كأنك ترى لك على فضلا ان شئت والله نقضت

سنة

سنة ٦٩٣

ادعوك يارب مضطرا على ثقة * بما وعدت كما المضطر يدعوكا
دارك بعفوك عبدا لم يزل أبدا * فى كل حال من الاحوال يرجوكا
طالت حياتى ولما أتخذ عملا * الا محبة أقوام أحبوكا

وقال ابن الزقاق ويقال انهما مكتوبة على قبره

أاخواننا والموت قد حال دوننا * وللموت حكم نافذ فى الخلائق
سبقتكم للموت والعمر طية * وأعلم أن الكل لابد لاحق
بعيشكم أو باضطجاعى فى الثرى * ألم نك فى صفو من العيش رائق
فمن مر بى فليمض لى مترحما * ولا يك منسيا وفاء الاصادق

وقال الخطيب أبو عبد الله محمد بن صالح الكنانى الشاطبى ومولده سنة ٦١٤

أرى العمر يفنى والرجاء طويل * وليس الى قرب الحبيب سبيل
حياه اله الخلق أحسن سيرة * فما الصبر عن ذاك الجمال جميل
متى يشتفى قلبى بلثم ترابه * ويسمح دهر بالمزار بخيل
دلالت عليه فى اوائل اسطرى * فذاك نبى مصطفى ورسول

وقال أمين بن محمد الغرناطى نزيل طيبة على ساكنها الصلاة والسلام

أرى حجرات قد أحاطت عراصها * ببحر محيط حصره غير ممكن
بحار المعانى والمعالى وان طمت * لدى لجه تفنى وعن هوله تنى
محمد المحمود فى كل موطن * أبو القاسم المختار من خير معدن
نبى اذا أبصرت غرة وجهه * تيقنت أن العز عز المهيمن
لك الله من بدر اذا الشمس قابلت * محياه قالت ان ذا طالع سنى

وله

كل القلوب مطيعة لك فى الهوى * جانب فديتك من تشا أو والى
الحسن وال والقلوب رعية * وعلى الرعية أن تطيع الوالى

وقال أيضا

الا أيها الباكى على مايفوته * من الحظ فى الدنيا جهلت وماتدرى
على فوت حظ من جوار محمد * حقيق بأن تبكى الى آخر العمر
ستدرى اذا قاما وقد رفع اللوا * وأحمد هاد يننا الى موقف الحشر
من الفائز المغبوط فى يوم حشره * أجار النبى المصطفى أم أخو الوفر

وله

فررت من الدنيا الى ساكن الحمى * فرار محب [illegible]
لجأت الى هذا الجناب وانما * لجأت الى سامى [illegible]
وناديت مولاى الذى عنده الغنى * نداء عليل [illegible]
أمولاى انى قد أتيتك لائذا * وأنت طبيبى يا أجل طبيب
فقال لك البشرى ظفرت من الرضا * بأوفر حظ جزل ونصيب
تناومت فى أطلال ليل شبيبتى * فأدركنى بالفجر صبح مشيبى

اهديني وبينك ثم نصبت لك الحرب فقال عبد الملك قد شئت ذلك فقال وأنا قد فعلت فقال عبد الملك شيئا أبا الزعيزعة شأنك فالتفت عمرو الى أصحابه فلم يرهم فى الدار فدنا من عبد الملك فقال مايدنيك منى قال ليمسنى رحمك وكانت أم عمرو عمة عبد الملك تحت الحكم بن أبى العاص بن وائل فضر به أبو الزعيزعة فقتله فقال له عبد الملك ارم برأسه الى أصحابه فلما رأوا رأسه تفرقوا ثم خرج عبد الملك فصعد المنبر وذكر عمرا فوقع فيه وذكر خلافه وشقاقه ونزل من المنبر وهو يقول

ادنيته منى لتسكن نفرة * فاصول صولة حازم مستمكن
غضبا ومحماة لدينى انه * ليس المسى سبيله كالمحسن

وقيل ان عمرا خرج من منزله يريد عبد الملك فعثر بالبساط فقالت له امرأته نائلة بنت فريض بن وكيع بن مسعود أنشدك الله أن لا تأتيه فقال دعينى عنك فوالله لو كنت نائما ما أيقظت [illegible] عبد الملك وقد أخذت الابواب انى كنت حلفت لئن ملكتك لاشدنك فى جامعة فاتى بجامعة فوضعها فى عنقه وشدها عليه فايقن عمرو أنه قاتله فقال أنشدك الله يا أمير المؤمنين فقال له عبد الملك يا أبا أمية ما لك جئت

وقال أبو بكر الزبيدي اللغوي

لو لم تكن نار ولا جنة * للمرء الا انه يقبر
لكان فيه واعظ زاجر * ناهيك من يسمع أو يبصر

ولقد صدق رحمه الله تعالى ورضي عنه * ولبعض فقهاء طليطلة

رأيت الانقباض أجل شئ * وأدعى في الامور الى السلامه
فهذا الخلق سالمهم ودعهم * فرؤيتهم تؤول الى الندامه
ولا تعنى بشئ غير شئ * يقود الى خلاصك في القيامه

وأمر الكاتب أبو بكر بن مفاوز بكتب هذه الابيات على قبره وهي له

أيها الواقف اعتبارا بقبري * استمع فيه قول عظمي الرميم
أودعوني بطن الضريح وخافوا * من ذنوب كلومها بادي
قلت لا تجزعوا علي فاني * حسن الظن بالرؤف الرحيم
ودعوني بما اكتسبت رهينا * غلق الرهن عند مولى كريم

وقال الخطيب بن صفوان

رأيتك يدنيني اليك تباعدي * فأبعدت نفسي لابتغائي في القرب
هربت له مني اليه فلم يكن * لي البعد في قربي فصح به قربي
فيارب هل نعمى على العبد بالرضا * ينال بها فوزا من القرب بالقرب

وقال الوادي آشي وهذا النظم معناه جليل ونكروا القرب وان قبح عند العروضي فهو عند المحب جميل وهم القوم يسلم لهم في الافعال والاقوال وترتجى بركتهم في كل الاحوال انتهى * وقال بعض قدماء الاندلس

سئمت الحياة على حبها * وحق لذى السقم أن يسأما
فلا عيش الا الذى صحة * تكون له للتقى سلما

وذيله آخر منهم فقال

ولا داء الا لمن لم يزل * يقارب في دينه مأثما
فلست تعالج جرح الهوى * هديت بمثل التقى مرهما

وقال أبو جعفر أحمد السياسي القيسي المرى

اذا ما جنى يوما عليك جناية * ظلوم يدق السمر باسا ويقصف
فلا تنتقم يوما عليه بما جنى * وكل أمره للدهر فالدهر منصف

وقال أيضا

ليس حلم الضعيف حلما ولكن * حلم من لو يشاء صال اقتدارا
من تغاضى عن السفيه بحلم * أصبح الناس دونه أنصارا
من يزوج كريمة الهمة الطـــــاعلوا فقد أجاد الخيارا
ستريه عند الولاد بنيها الـــعلم والحلم والاناة كبارا

وقال الخطيب الصالح أبو اسحق بن أبي العاصي

في الدروع للقتال فابق عمرو بالشر فقال أنشدك الله أن تخرجني الى الناس في الجامعة فقال له عبد الملك وتماكرني أيضا وأنا أمكر منك تريد أن أخرجك الى الناس فيمنعوك ويستنقذوك من يدي وخرج عبد الملك الى الصلاة وأمر أخاه عبد العزيز ثم وقد كان قدم من مصر في ذلك اليوم بقتله اذا خرج وقد قيل أمر ابنه الوليد بذلك فلما دنا منه عبد العزيز ناشده عمرو بالرحم فتركه فلما رجع عبد الملك من الصلاة ورآه حيا قال لعبد العزيز والله ما أردت قتله من أجلكم الا أن لا يجوزها دونكم ثم أضجعه فقال له عمرو أغدرا يا ابن الزرقاء فذبحه ووافى أخو عمرو يحيى بن سعيد الى الباب بمن معه من رجاله ليكسره فخرج اليه الوليد وموالي عبد الملك فاقتتلوا واختلف الوليد ويحيى فضربه يحيى بالسيف على أليته فانصرع وألقي رأس عمرو الى الناس فلما رأوه تفرقوا من بعد أن ألقى عليهم من أعلى الدار بدر الدنانير فاشتغلوا بها عن القتال وقال عبد الملك وأبيك لئن كانوا قتلوا الوليد لقد أصابوا بثأرهم وقد كان الوليد فقد حين ضرب وذلك أن ابراهيم ابن عدي احتمله فادخله بيت القراطيس في المعمعة وأتى عبد الملك بيحيى بن سعيد واجتمعت الكلمة

اعمل بعلمك توت علما انما * جدوى علوم المرء نهج الاقوم
واذا الفتى قد نال علما ثم لم * يعمل به فكأنه لم يعلم

وقال موطئا على البيت الاخير

أمولاي أنت العفو الكريم * ابذل النوال وللمعذره
على ذنوب و تعفيها * ومن عندك الجود والمغفره

وقال الخطيب المتصوف الشهير أبو جعفر أحمد بن الزيات من بلش مالقة

يقال خصال أهل العلم ألف * ومن جمع الخصال الالف سادا
ويجمعها الصلاح فمن تعدى * مذاهبه فقد جمع الفسادا

وقال أيضا

ان شئت فوزا بمطلوب الكرام غدا * فاسلك من العمل المرضي منهاجا
واغلب هوى النفس لا يغررك خادعه * فكل شئ يحط القدر منهاجا

وقال الاديب الكبير الشهير أبو محمد عبد الله بن محمد بن سارة البكري الشنتريني رحمه الله تعالى

بنو الدنيا بجهل عظموها * فجلت عندهم وهي الحقيره
يهارش بعضهم بعضا عليها * مهارشة الكلاب على العقيره
أي عذر يكون لا أي عذر * لابن سبعين مولع بالصبابه
وهو مما لم تبق منه الليالي * في اباه الحياة الاصبابه

وقال أيضا

ولقد طلبت رضا البرية جاهدا * فاذا رضاهم غاية لا تدرك
وأرى القناعة للفتى كنزا له * والبر أفضل ما به يتمسك

وقال أبو محمد بن صاحب الصلاة الداني ويعرف بعبدون

وعجل شيبي أن ذا الفضل مبتلى * بدهر غدا ذو النقص فيه مؤملا
ومن نكد الدنيا على المرء أن يرى * بها الحر يشقى واللئيم مولا
متى ينعم المعتر عينا اذا اعتفى * جوادا مقلا أو غنيا مبخلا

وقال أبو الحكم عبيد الله الاموي مولاهم الاندلسي

اذا كان اصلاحي لجسمي واجبا * فاصلاح نفسي لا محالة أوجب
وان كان ما يفنى الى النفس معجبا * فان الذي يبقى الى العقل أعجب

وقال الفقيه الزاهد أبو اسحق ابراهيم بن مسعود الالبيري رحمه الله تعالى

لله أكياس جفوا أوطانهم * فالارض أجمعها لهم أوطان
جالت عقولهم مجال تفكر * وجلالة فبدا لهم [illegible]
ركبت بحار الفهم في فلك النهى * وجرى بها الاخلا[illegible]
فرست بهم لما اتقوا بجفونهم * مرسى لهم فيه [illegible]

وقال أبو جعفر بن خاتمة رحمه الله تعالى

يا من يغيث الورى من بعد ما قنطوا * ارحم عبادا أكف الفقر قد بسطوا
عودتهم بسط أرزاق بلا سبب * سوى جميل رجا نحوه انبسطوا

أتينا على ذلك في كتابنا أخبار الزمان وقد ذكرنا شعر أخته فيه وكانت تحت الوليد بن عبد الملك فيما يرد من هذا الكتاب في أخبار المنصور اذ هو الموضع المستحق له دون هذا الموضع لما تغلغل بنا الكلام وتسلسل بنا القول نحوه وأقام عبد الملك بدمشق بقية سنة سبعين وقد كان مصعب بن الزبير خرج حين صفا له العراق بعد قتل المختار وأصحابه حتى انتهى الى الموضع المعروف بباجميرا مما يلي الجزيرة يريد الشأم لحرب عبد الملك فبلغه مسير خالد بن عبد الله ابن خالد بن أسيد من مكة الى البصرة في ولده وعدة من مواليه ناكثا لبيعة عبد الله بن الزبير فنزل بعض نواحي البصرة وان قوما قد انضافوا اليه من ربيعة ومنهم عبد الله بن الوليد ومالك بن مسمع البكري وصفوان بن الايهم التم[illegible]

[illegible] عبد الله [illegible] فخرج هاربا بابنيه حتى لحقوا بعبد الملك وانصرف مصعب راجعا الى البصرة وذلك في سنة احدى وسبعين

ثم عاد من العراق الى باجميرا وفي ذلك يقول الشاعر أبيت يا مصعب الا [illegible] في كل يوم للشام باجميرا

وعدت بالفضل في ورد وفي صدر * بالجود ان اقسطوا او الحلم ان قسطوا
عوارف ارتبطت شم الانوف لها * وكل صعب بقيد الجود يرتبط
يا من تعرف بالمعروف فاعترفت * بجم انعامه الاطراف والوسط
وعالما بخفيات الامور فلا * وهم يجوز عليه لا ولا غلط
عبد فقير بباب الجود منكسر * من شأنه أن يوافي حين ينضغط
مهما أتى لعبد الكف أخجله * قبائح وخطايا أمرها فرط
يا واسعا ضاق خطو الخلق عن نعم * منه اذا خطبوا في شكرها خبطوا
وناشرا بيد الاجمال رحمته * فليس يلحق منه مسرفا قنط
ارحم عبادا بضنك العيش قد قنعوا * فانما سقطوا بين الورى لقطوا
اذا توزعت الدنيا فما لهم * غير الدجنة لحف والثرى بسط
لكنهم من ذراعيك في نمط * سام رفيع الذرا ما فوقه نمط
ومن يكن بالذي يهواه مجتمعا * فما يبالي أقام الحي أم شحطوا
نحن العبيد وأنت الملك ليس سوى * وكل شيء يرجى بعد ذا شطط

وقال رحمه الله تعالى

ملاك الامر تقوى الله فاجعل * تقاه عدة لصلاح أمرك
وبادر نحو طاعته بعزم * فما تدري متى يمضي بعمرك

وقال أيضا

اذا كنت تعلم أن الامور * بحكم الاله كما قد قضى
ففيم التفكر والحكم ماض * ولا رد للحكم مهما مضى
فخل الوجود كما شاءه * مدبره وابغ منه الرضا

وقال

اذا ما الدهر نابك منه خطب * وشد عليك من حنق عقاله
فكل لله أمرك لا تفكر * ففكرك فيه خبط في حباله

وقال

عدوك داره ما اسطعت حتى * يعود لديك كالخل الشفيق
فما في الارض أردى من عدو * وما في الارض أجدى من صديق

وقال

ان اعرضت دنياك عنك بوجهها * وغدت ومنها في رضاك نزاع
فاحذر بنيها واحتفظ من شرهم * ان البنين لامهم أتباع

وقال

يا مجيب المضطر عند الدعاء * منك دائي وفي يديك دوائي
جذبتني الدنيا اليها بضبعي * ودعتني لمحنتي وشقائي
يا الهي وأنت تعلم حالي * لا تذرني شماتة الاعداء

وقال الحافظ الكبير الشهير أبو عبد الله الحميدي صاحب الجمع بين الصحيحين رحمه الله تعالى

كتاب الله عز وجل قولي * وما صحت به الآثار ديني
وما اتفق الجميع عليه بدءا * وعودا فهو عن حق مبين
فدع ما صد عن هذي وخذها * تكن منها على عين اليقين

وقال

طريق الزهد أفضل ما طريق * وتقوى الله بادية الحقوق

ونزل عبد الملك بن مروان على قرقيسياء فحاصر بها زفر بن الحرث العامري الكلابي وكان يدعو الى ابن الزبير فنزل على امانته وبايعه وسار عبد الملك فنزل على نصيبين وفيها يزيد والحبشي موليا الحرث في الفي فارس ممن بقي من أصحاب المختار يدعو الى امامة محمد بن الحنفية فحاصرهم فنزلوا على امانته وانضافوا الى جملته وخرج مصعب في أهل العراق وذلك في سنة اثنتين وسبعين يريد عبد الملك وزاحف اليه عبد الملك في عساكر مصر والجزيرة والشأم فالتقوا بمسكن قرية من أرض العراق على شاطئ دجلة وعلى مقدمة عبد الملك الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي وقيل على ساقته وقد جد أمره في قيامه بما أهل له فكاتب عبد الملك رؤساء أهل العراق ممن هو بعسكر مصعب وغيرهم وصار يرغبهم ويرهبهم فكان فيمن كتب اليه ابراهيم ابن الاشتر النخعي فلما أتاه كتابه مع الجاسوس اعتقله في رحله وأتى مصعبا بالكتاب قبل أن يفضه ويعلم ما فيه فقال له مصعب أقرأته فقال أعوذ بالله أن أقرأه حتى يقرأه الامير وآتي يوم القيامة غادرا قد نقضت بيعته وخلعت طاعته فلما تأمل مصعب ما فيه وجده أمانا له وولاية لما شاء من العراق واقطاع

فثق بالله يكفك واستعنه * يعنك وذر بنيات الطريق

وقال ابو بكر مالك بن جبير رحمه الله تعالى

رحلت وانني من غير زاد * وماقدمت شيأ للمعاد
ولكني وثقت بجود ربي * وهل يشقى المقل مع الجواد

وتوفى المذكور بأريولة أعادها الله تعالى الى الاسلام سنة ٥٦١ *وقال ابن جبير اليحصبي وهو الكاتب أبو عبد الله محمد

كلما رمت أن أقدم خيرا * لمعادي ورمت أني أتوب
صرفتني بواعث النفس قسرا * فتقاعست والذنوب ذنوب
رب قلبي لعزمة خير * لمتاب ففي يديك القلوب

ولتعلم أن كلام أهل الاندلس بحر لا ساحل له ويرحم الله تعالى لسان الدين بن الخطيب حيث قال في صدر الاحاطة وهذا الغرض الذي وضعناله هذا التأليف طابنا به ماقصدنا به من المباهاة والافتخار بالاكثار واستيعاب النظام والنثار ويحملنا فيه خوف السآمة على الاختصار والاقتصار وكفى بهذا جلاء في الاعذار والله تعالى مقيل العثار وساتر العيب المثار بفضله انتهى *ولنختم هذا الباب بقول أبي زكريا يحيي بن سعد بن مسعود القلني

عفوك اللهم عنا * خير شئ نتمنى
رب انا قد جهلنا * في الذي قد كان منا
وخطينا وخطلنا * ولهونا ومجنا
ان نكن رب أسأنا * ما أسأنا بك ظنا

وذيلته بقولي

فأنلنا الحسنى وانعاما ومنا آمين

(الباب الثامن)

في ذكر تغلب العدو الكافر على الجزيرة الخضراء بعد صرفه وجوه الكيد اليها وتضريبه بين ملوكها وسائها بمكره واستعماله في أمرها حيل فكره حتى استولى دمره الله تعالى عليها ومحا منها التوحيد واسمه وكتب على مشاهدها ومعاهدها وسمه وقرر مذهب التثليث والرأي الخبيث لديها واستغاث أهلها استغاثة ملهوف بالنظم والنثر أهل ذلك العصر من سائر الاقطار حتى تعذرت بحصارها مع قلة حماتها وأنصارها المآرب والاوطار وجاءها الاعداء من خلفها ومن بين يديها أعاد الله تعالى اليها كلمة الاسلام [illegible] فيها شريعة سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام ورفع يد الكفر [illegible] آمين يامعين (قال) غير واحد من المؤرخين أول من جمع فل النصارى [illegible] غلبة العرب لهم علج يقال له بلاي من أهل اشتوريش من أهل جليقية كان [illegible] أهل بلاده فهرب من قرطبة أيام الحر بن عبد الرحمن الثقفي الثاني من امراء العرب بالاندلس وذلك في السنة السادسة من افتتاحها وهي سنة ثمان وتسعين من الهجرة وثار النصارى معه على نائب الحر بن عبد الرحمن فطردوه وملكوا البلاد وبقي الملك فيهم الى الآن وكان عدة

غير ذلك ثم قال ابراهيم لمصعب هل أتاك أحد من أشراف العساكر بكتاب فقال مصعب لا فقال ابراهيم والله لقد كاتبهم وما كاتبني حتى كاتب غيري ولا امتنعوا من ايصاله اليك الا برضا به والغدر بك فاطعني وابدأ بهم فأمرهم على السيف أو استوثق منهم في الحديد والق هذا الرجل فأبى مصعب ذلك وتحيز ما كان في عسكره من ربيعة لقتاله ابن زياد بن ظبيان البكري وكان من سادات ربيعة وزعماء بكر بن وائل وسار ابراهيم بن الاشتر على مقدمة مصعب في مشرعة الخيل فلقي خيل عبد الملك ومقدمته عليها أخوه محمد ابن مروان وبلغ عبد الملك ورود ابراهيم ومنازلته محمدا أخاه فبعث الى محمد عزمت عليك أن لا تقاتل في هذا اليوم وقد كان مع عبد الملك منجم مقدم وقد أشار على عبد الملك أن لا تحارب له خيل في ذلك اليوم فانه منحوس وليكن حربه بعد ثلاث فانه ينصر [illegible] من الكذبه فقال عبد الملك للمنجم ولمن حضر الا ترون ثم رفع طرفه الى السماء وقال اللهم ان مصعبا أصبح يدعو الى أخيه وأصبحت أدعو لنفسي اللهم فانصر خيرنا لامة محمد صلى الله عليه

من ملك منهم الى آخر أيام الناصر لدين الله اثنين وعشرين ملكا انتهى * وقال عيسى ابن أحمد الرازى فى أيام عنبسة بن سحيم الكلبى قام بأرض جليقية علج خبيث يقال له بلاى من وقعة أخذ النصارى بالاندلس وجد الفرنج فى مدافعة المسلمين عما بقى بأيديهم وقد كانوا لا يطمعون فى ذلك ولقد استولى المسلمون بالاندلس على النصرانية وأجلوهم وافتتحوا بلادهم حتى بلغوا اربونة من أرض الفرنجة وافتتحوا ببلونة من جليقية ولم يبق الا الصخرة فانه لاذ بها ملك يقال له بلاى فدخلها فى ثلثمائة رجل ولم يزل المسلمون يقاتلونه حتى مات أصحابه جوعا وبقى فى ثلاثين رجلا وعشر نسوة ولا طعام لهم الا العسل يشتارونه من خروق بالصخرة فيتقوتون به حتى أعيا المسلمين أمرهم واحتقروا بهم وقالوا ثلاثون علجا ما عسى أن يجىء منهم فبلغ أمرهم بعد ذلك من القوة والكثرة ما لا خفاء به وفى سنة ٣٣ أهلك الله تعالى بلاى المذكور وملك ابنه فاقله بعده وكان ملك بلاى تسع عشرة سنة وابنه سنتين فملك بعدهما اذفونش بن بيطر جد بنى اذفونش هؤلاء الذين اتصل ملكهم الى اليوم وأخذوا ما كان المسلمون أخذوه من بلادهم انتهى باختصار وقال المسعودى بعد ذكره غزوة سمورة أيام الناصر ما صورته وأخذ ما كان بأيدى المسلمين من ثغور الاندلس مما يلى الفرنجة ومدينة اربونة خرجت عن أيدى المسلمين سنة ٣٣٠ مع غيرها مما كان بأيديهم من المدن والحصون وبقى ثغر المسلمين فى هذا الوقت وهو سنة ٣٣٦ من شرق الاندلس طرطوشة وعلى ساحل بحر الروم مما يلى طرطوشة آخذا فى الشمال افراغه على نهر عظيم ثم لارده انتهى * ومن أول ما استرد الافرنج من مدن الاندلس العظيمة مدينة طليطلة من يد ابن ذى النون سنة ٤٧٥ وفى ذلك يقول عبد الله بن فرج اليحصبى المشهور بابن العسال

يا أهل اندلس حثوا مطيكم * فما المقام بها الا من الغلط
الثوب ينسل من أطرافه وأرى * ثوب الجزيرة منسولا من الوسط
ونحن بين عدو لا يفارقنا * كيف الحياة مع الحيات فى سفط

ويروى صدر البيت الثالث هكذا

من جاور الشر لا يأمن بوائقه * كيف الحياة مع الحيات فى سفط

وتروى الابيات هكذا

حثوا رواحلكم يا أهل أندلس * فما المقام بها الا من الغلط
السلك ينثر من أطرافه وأرى * سلك الجزيرة منثورا من الوسط
من جاور الشر لا يأمن عواقبه * كيف الحياة مع الحيات فى سفط

وقال آخر

يا أهل اندلس ردوا المعار فما * فى العرف عارية الا مردات
ألم تروا بيدق الكفار فرزنه * وشاهنا آخر الابيات شهمات

وقال بعض المؤرخين أخذ الاذفونس طليطلة من صاحبها القادر بالله بن المأمون يحيى بن ذى النون بعد أن حاصرها سبع سنين وكان أخذه لها فى منتصف محرم سنة ٤٧٨ انتهى وفيه بعض مخالفة لما قبله فى وقت أخذها وسيأتى قريبا بعد ما يؤيده قال وهى مدينة حصينة قديمة أزلية من بناء العمالقة على ضفة النهر الكبير ولها قصبة حصينة فى غاية المنعة ولها

وسلم فالتقى محمد بن مروان ٢٢ * وابن الاشتر ومحمد يرتجز ويقول * مثلى على مثلك أولى بالسلب * مجول الرجلين أعرب الذنب * فاقتتلوا حتى غشيهم المساء فقال عتاب بن ورقاء التميمى وكان مع ابن الاشتر يا ابراهيم ان الناس قد جهدوا فأمرهم بالانصراف حسدا له لاشرافه على الفتح فقال ابراهيم وكيف ينصرفون وعدوهم بازائهم فقال عتاب فمر الميمنة أن تنصرف فأبى ابراهيم ذلك فمضى اليهم عتاب فأمرهم بالانصراف فلما زالوا عن مصافهم أكبت ميسرة محمد عليهم واختلط الرجال وصمدت الفرسان لابراهيم واشتبكت عليه الاسنة فبرى منها عدة رماح وأسلمه من كان معه فاقتلع من سرجه وداربه الرجال وازدحموا عليه فقتل بعد أن أبلى ونكى فيهم وقد تنوزع فيمن أخذ رأسه فمنهم من زعم أن ثابت بن يزيد مولى الحصين بن نمير السكونى هو الذى أخذ رأسه ومنهم من ذكر أن عبيد ابن ميسرة مولى بنى يشكر ثم من بنى رفاعة هو الذى أخذ رأسه وأتى عبد الملك بجسد ابراهيم فالتى بين يديه فأخذه مولى الحصين ابن نمير وأخذ حطبا وأحرقه بالنار وسار عبد الملك فى صبيحة تلك الليلة من موضعه حتى نزل بدير الجاثليق من أرض السوداء وأقبل عبيد الله بن زياد بن ظبيان وعكرمة بن أبى

قنطرة

قنطرة واحدة عجيبة البنيان على قوس واحد والماء يدخل تحته بعنف وشدة جرى ومع آخر
النهر ناعورة ارتفاعها فى الجو تسعون ذراعا وهى تصعد الماء الى أعلى القنطرة ويجرى الماء
على ظهرها فيدخل المدينة وطليطلة هذه دار مملكة الروم وبها كان البيت المغلق الذى
كانوا يتحامون فتحه حتى فتحه لذريق فوجد فيه صورة العرب انتهى وقد تقدم شئ من
هذا فيما مر من هذا الكتاب (وقد حكى) ابن بدرون فى شرح العبدونية ان المأمون يحيى بن
ذى النون صاحب طليطلة بنى بها قصرا تأنق فى بنائه وأنفق فيه مالا كثيرا وصنع فيه بحيرة
و بنى فى وسطها قبة وسيق الماء الى رأس القبة على تدبير أحكمه المهندسون فكان الماء
ينزل من أعلى القبة حواليها محيطا بها متصلا بعضه ببعض فكانت القبة فى غلالة من ماء
سكب لا يفتر والمأمون بن ذى النون قاعد فيها لا يمسه من الماء شئ ولو شاء أن يوقد فيها الشمع
لفعل فبينما هو فيها اذ سمع منشدا ينشد

أتبنى بناء الخالدين وانما * بقاؤك فيها لو علمت قليل
لقد كان فى ظل الاراك كفاية * لمن كل يوم يعتريه رحيل

فلم يلبث بعد هذا الا يسيرا حتى قضى نحبه انتهى وقال ابن خلكان ان طليطلة أخذت يوم
الثلاثاء مستهل صفر سنة ٤٧٨ بعد حصار شديد انتهى وقال ابن علقمة ان طليطلة
أخذت يوم الاربعاء لعشر خلون من المحرم سنة ٤٧٨ وكانت وقعة الزلاقة التى نشأت
فى السنة بعدها انتهى وقد رأيت أن أذكر هنا وقعة الزلاقة التى نشأت عن أخذ طليطلة
وما ينتظم فى ذلك من كلام صاحب الروض المعطار وغيره فنقول انه لما ملك يوسف بن تاشفين
اللمتونى المغرب و بنى مدينتى مراكش وتلمسان الجديدة وأطاعته البربر مع شكيمتها
الشديدة ومهدت له الاقطار الطويلة المديدة تاقت نفسه الى العبور لجزيرة الاندلس
فهم بذلك وأخذ فى انشاء المراكب والسفن ليعبر فيها فلما علم بذلك ملوك الاندلس كرهوا
المامه بجزيرتهم وأعدوا له العدة والعدد وصعبت عليهم مدافعته وكرهوا أن يكونوا بين
عدوين الفرنج عن شمالهم والمسلمين عن جنوبهم وكانت الفرنج تشتد وطأتها
عليهم وتغير وتنهب وربما يقع بينهم صلح على شئ معلوم كل سنة يأخذونه من المسلمين
والفرنج ترهب ملك المغرب يوسف بن تاشفين اذ كان له اسم كبير وصيت عظيم لنفاذ أمره
وسرعة تملكه بلاد المغرب وانتقال الامر اليه فى أسرع وقت مع ما ظهر لابطال الملثمين
مشايخ صنهاجة فى المعارك من ضربات السيوف التى تقد الفارس والطعنات التى تنظم الكلى
فكان له بسبب ذلك ناموس ورعب فى قلوب المنتدبين لقتاله وكان ملوك الاندلس يفيئون
الى ظله ويحذرونه خوفا على ملكهم مهما عبر اليهم وعاين بلادهم فلما رأوا ما دلهم
عبوره اليهم وعلموا ذلك راسل بعضهم بعضا يستنجدون آراءهم فى أمره وكان مفزعهم فى ذلك
الى المعتمد بن عباد لانه أشجع القوم وأكبرهم مملكة فوقع اتفاقهم على مكاتبته لما تحققوا
انه يقصدهم يسألونه الاعراض عنهم وانهم تحت طاعته فكتب عنهم كاتب من أهل
الاندلس كتابا (وهو) أما بعد فانك ان أعرضت عنا نسبت الى كرم ولم تنسب الى عجز وان
أجبنا داعيك نسبنا الى عقل ولم ننسب الى وهن وقد اخترنا لانفسنا أجمل نسبتينا فاختر

الى رايات ربيعة فاضافوها الى عسكر عبد الملك ودخلوا فى طاعته ثم تصاف القوم فافرد مصعب
وتخلى عنه من كان معه من
مضر واليمن وبقى فى سبعة
نفر منهم اسمعيل بن طلحة
ابن عبيد الله التيمى
وابنه عيسى بن مصعب
فقال لابنه عيسى يا بنى
اركب فانج فالحق بمكة
بعمك فاخبره بما صنع بى
أهل العراق ودعنى فانى
مقتول فقال له لا والله لا يحدث
بنا قريش أنى فررت عنك
ولا أحد منهم عنك أبدا فقال
له مصعب اما اذ أبيت
فتقدم أمامى حتى أحتسبك
فتقدم عيسى فقاتل حتى
قتل وسأل محمد بن مروان
أخاه عبد الملك أن يؤمن
مصعبا فاستشار عبد الملك
من حضره فقال له على بن
عبد الله بن العباس بن
عبد المطلب لا تؤمنه وقال
خالد بن يزيد بن معاوية بن
أبى سفيان بل أمنه وارتفع
الكلام بين على وخالد
حتى تسابا على مصافهما
فأمر عبد الملك أخاه محمدا
[illegible]
امصعب امير المؤمنين على
نفسك ومالك وكل
ما احدثت وان تنزل أى
البلاد شئت ولو أراد بك غير
ذلك لانزل بك فأنشدك
الله فى نفسك وأقبل رجل من أهل الشأم الى عيسى بن مصعب ليحتز رأسه فعطف عليه مصعب والرجل غافل

لنفسك أكرم نسبتيك فانك بالمحل الذى لايجب أن تسبق فيه الى مكرمة وان فى استبقائك ذوى البيوت ماشئت من دوام لامرك وثبوت والسلام فلماوصل له الكتاب مع تحف وهدايا وكان يوسف بن تاشفين لا يعرف باللسان العربى لكنه ذكى الطبع يجيد فهم المقاصد وكان له كاتب يعرف اللغتين العربية والمرابطية فقال له أيها الملك هذا الكتاب من ملوك الاندلس يعظمونك فيه ويعرفونك انهم أهل دعوتك وتحت طاعتك ويلتمسون منك أن لاتجعلهم فى منزلة الاعادى فانهم مسلمون وذوو بيوتات فلا تغير بهم وكفى بهم من وراءهم من الاعادى الكفار وبلدهم ضيق لايحتمل العساكر فأعرض عنهم اعراضك عمن أطاعك من أهل المغرب فقال يوسف بن تاشفين لكاتبه فما ترى أنت فقال أيها الملك اعلم أن تاج الملك وبهجته شاهده الذى لا يرد فانه خليق بما حصل فى يده من الملك والمال أن يعفو اذا استعفى وأن يهب اذا استوهب وكلما وهب جزيلا كان لقدره أعظم فاذا عظم قدره تأصل ملكه واذا تأصل ملكه تشرف الناس بطاعته واذا كانت طاعته شرفا جاءه الناس ولم يتجشم المشقة اليهم وكان وارث الملك من غير اهلاكه لا آخرته واعلم أن بعض الملوك الحكماء الاكابر البصراء بطريق تحصيل الملك قال من جاد ساد ومن ساد قاد ومن قاد ملك البلاد فلما ألقى الكاتب هذا الكلام على السلطان يوسف بلغته فهمه وعلم صحته فقال للكاتب أجب القوم واكتب بما يجب فى ذلك واقرأ على كتابك فكتب الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم من يوسف بن تاشفين سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته تحية من سالمكم وسلم عليكم وانكم مما فى أيديكم من الملك فى أوسع اباحه مخصوصين منا بأكرم ايثار وسماحه فاستديموا وفاءنا بوفائكم واستصلحوا أخاءنا باصلاح اخائكم والله ولى التوفيق لنا ولكم والسلام فلما فرغ من كتابه قرأه على يوسف بن تاشفين بلسانه فاستحسنه وقرن به ما يصلح لهم من التحف ودرق اللمط التى لاتوجد الا ببلاده وأنفذ ذلك اليهم فلما وصلهم ذلك وقرؤا كتابه فرحوا به وعظموه وسروا بولايته وتقوت نفوسهم على دفع الفرنج عنهم وأزمعوا ان رأوا من الفرنج ما يريبهم انهم يرسلون الى يوسف بن تاشفين يعبر اليهم أو يمدهم باعانة منه وكان ملك الافرنج الاذفونش لما وقعت الفتنة بالاندلس وثار الخلاف وكان كل من حاز بلدا وتقوى فيه ملكه وادعى الملك وصاروا مثل ملوك الطوائف فطمع فيهم الاذفونش بسبب ذلك وأخذ كثيرا من ثغورهم فقوى شأنه وعظم سلطانه وكثرت عساكره وأخذ طليطلة من صاحبها القادر بالله بن المأمون يحيى بن ذى النون بعد أن حاصرها سبع سنين وكان أخذه لها فى منتصف محرم سنة ثمان وسبعين وأربعمائة فزاد لعنه الله تعالى بملكه طليطلة قوة الى قوته وأخذ يجوس خلال الديار ويستفتح المعاقل والحصون (قال) ابن الاثير فى الكامل وكان المعتمد بن عباد أعظم ملوك الاندلس ومتملك أكثر بلادها مثل قرطبة واشبيلية وكان مع ذلك يؤدى الضريبة الى الاذفونش كل سنة فلما تملك الاذفونش طليطلة أرسل اليه المعتمد الضريبة المعتادة فلم يقبلها منه وأرسل اليه يهدده ويتوعده بالمسير الى قرطبة ليفتحها الا أن يسلم اليه جميع الحصون المنيعة ويبقى السهل للمسلمين وكان الرسول فى جمع كثير نحو خمسمائة فارس فأنزله المعتمد

فناداه أهل الشام ويلك يافلان الاشدق أقبل نحوك ولحقه مصعب فقده وعرقب فرس مصعب وبقى راجلا فاقبل عليه عبدالله بن زياد بن ظبيان فاختلفا ضربتين بسبق مصعب بالضربة الى رأسه وكان مصعب قد أثخن بالجراح وضربه عبدالله فقتله واحتز رأسه وأتى به عبدالملك فسجد عبد الملك وقبض عبيد الله بن زياد على قائم سيفه فاجتذبه من غمده حتى أتى على آخره بالايضرب عبد الملك فى حال سجوده ثم ندم واسترجع فكان يقول بعد ذلك ذهب الفتك من الناس اذ هممت ولم أفعل فاكون قد قتلت عبد الملك ومصعبا ملكى العرب فى ساعة واحدة وتمثل عبيدالله عند مجيئه برأس مصعب

نعاطى الملوك الحق ما قسطوا لنا
وليس علينا قتلهم بمحرم

وقال عبد الملك متى تغذو قريش مثل مصعب وكان قد قتل مصعب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعين وأمر عبد الملك بمصعب وابنه عيسى فدفنا بدير الجاثليق ودعا عبد الملك أهل العراق الى بيعته فبايعوه وقد كان مسلم بن عمرو الباهلى من صنائع معاوية وابنه يزيد وكان فى ذلك اليوم فى جيش وفرق.

وفرق أصحابه على قواد عسكره ثم أمر قواده أن يقتل كل منهم من عنده من الكفرة وأحضر الرسول وصفعه حتى خرجت عيناه وسلم من الجماعة ثلاثة نفر فعادوا الى الاذفونش وأخبروه الخبر وكان متوجها الى قرطبة ليحاصرها فرجع الى طليطلة ليجمع آلات الحصار ويكثر العدد والعدة انتهى * وقال الفقيه أبو عبد الله عبد الله بن عبد المنعم الحميري في كتابه الروض المعطار في ذكر المدن والاقطار ما ملخصه انه لما اشتغل المعتمد بغزو ابن صمادح صاحب المرية تحين تأخر الوقت الذي كان يدفع فيه الضريبة للاذفونش وأرسلها اليه بعد ذلك استشاط الطاغية غضبا وتشطط وطلب بعض الحصون زيادة على الضريبة وأمعن في التجني وسأل في دخول امرأته القمجيطة الى جامع قرطبة لتلد فيه اذ كانت حاملا لما أشار عليه بذلك القسيسون والاساقفة لمكان كنيسة كانت في الجانب الغربي منه معظمة عندهم عمل عليها المسلمون الجامع الاعظم وسأل أن تنزل امرأته المذكورة بالمدينة الزهراء غربي مدينة قرطبة وهي التي أنشأ بناءها الناصر لدين الله وأمعن في بنائها وأغرب في حسنها وجلب اليها الرخام الملون والمرمر الصافي والحوض المشهور من البلاد والاقطار وكان يثيب على السارية بكذا وكذا غير الثمن وأجرة الحمل وأنفق فيها الاموال العظيمة واشتغل بها وكان يباشر الصناع بنفسه حتى تخلف عن حضور الجمعة ثلاث مرات متواليات وحضر في الرابعة وكان الخطيب يومئذ الفقيه الزاهد منذر بن سعيد البلوطي فعرض به في الخطبة ووبخه على رؤس الملا وقصته في ذلك مشهورة وبناء الزاهرا أيضا من أعظم مباني الاسلام فمن أراد الوقوف على ذلك فعليه بتاريخ ابن حيان (ولترجع) الى الاذفونش فان الاطباء والقسوس لما أشاروا ان تكون المرأة المذكورة ساكنة بالزهراء وتتردد الى الجامع المذكور حتى تكون ولادتها بين طيب نسيم الزهراء وفضيلة موضع الكنيسة من الجامع المذكور وكان السفير في ذلك يهوديا كان وزير الاذفونش فامتنع ابن عباد من ذلك فراجعه فاباه وأيأسه من ذلك فراجعه اليهودي في ذلك وأغلظ له في القول وواجهه بما لم يحتمله ابن عباد فأخذ ابن عباد محبرة كانت بين يديه وضرب بها رأس اليهودي فأنزل دماغه في حلقه وأمر به فصلب منكوسا بقرطبة ولستفتى لما سكن غضبه الفقهاء عن حكم ما فعله باليهودي فبادره الفقيه محمد بن الطلاع بالرخصة في ذلك لتعدي الرسول حدود الرسالة الى ما استوجب به القتل اذ ليس له ذلك وقال للفقهاء انما بادرت بالفتوى خوفا أن يكسل الرجل عما عزم عليه من منابذة العدو وعسى الله أن يجعل في عزيمته للمسلمين فرجا وبلغ الاذفونش ما صنعه ابن عباد فأقسم بآلهته ليغزونه باشبيلية وليحاصرنه في قصره فجرد جيشين جعل على أحدهما كلبا من مساعير كلابه وأمره أن يسير على كورة باجة من غرب الاندلس ويغير على تلك التخوم والجهات ثم يمر على لبلة الى اشبيلية وجعل موعده أمام طريانة للاجتماع معه ثم زحف الاذفونش بنفسه في جيش آخر عرمرم فسلك طريقا غير الطريق التي سلكها الآخر وكلاهما عاث في البلاد وخرب ودمر حتى اجتمعا لموعدهما بضفة النهر الاعظم قبالة قصر ابن عباد وفي أيام مقامه هنالك كتب الى ابن عباد زاريا عليه كثر بطول مقامي في مجلسي الذباب واشتد على الحر فأتحفني من قصرك بمروحة

بيه عبد الملك وقد أخذ له منه الامان فقيل له أنت ميت لا ترجو الحياة لما بك من الجراح فما تصنع بالامان قال ليسلم مالي ويأمن ولدي بعدي فلما وضع بين يدي عبد الملك قال قطع الله يد ضاربك كيف لم يحجز عليك أكفرت صنائع آل حرب معك فأمنه على ماله وولده ومات من ساعته وفي مصرع مصعب بدير الجاثليق من أرض العراق يقول عبد الله بن قيس الرقيات

لقد أورث المصرين عارا وذلة
قتيل بدير الجاثليق مقيم

فما نصحت لله بكر بن وائل
ولا صبرت عند اللقاء تميم

جزى الله بصريا بذاك ملامة
ولو فيهم ان المليم مليم

وفي ذلك يقول شاعر اهل الشام من ابيات

لعمري لقد أصحرت خيلنا
بأكناف دجلة للمصعب

يهزون كل طويل القنا
ة معتدل النصل والثعلب

اذا ما منافق أهل العرا
ق عوتب يوما فلم يعتب

[illegible]

حسن وجمال وهيئة وكمال في الصورة وفيه يقول ابن قيس الرقيات من كلمة

انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء وقد أتينا على اخبار مصعب وسكينة بنت

أر وّح بها على نفسي وأطرد بها الذباب عن وجهي فوقع له ابن عباد بخط يده في ظهر الرقعة قرأت كتابك وفهمت خيلاءك واعجابك وسأنظر لك في مراوح من الجلود اللمطية تروح منك لا تروح عليك ان شاء الله تعالى فلما وصلت الاذفونش رسالة ابن عباد وقرئت عليه وعلم مقتضاها أطرق اطراق من لم يخطر له ذلك ببال وفشا في الاندلس توقيع ابن عباد وما أظهر من العزيمة على جواز يوسف بن تاشفين والاستظهار به على العدو فاستبشر الناس وفرحوا بذلك وفتحت لهم أبواب الآمال وأما ملوك طوائف الاندلس فلما تحققوا عزم ابن عباد وانفراده برأيه في ذلك اهتموا امنه ومنهم من كاتبه ومنهم من كلمه مواجهة وحذروه عاقبة ذلك وقالوا له الملك عقيم والسيفان لا يجتمعان في غمد واحد فاجابهم ابن عباد بكلمته السائرة مثلا رعي الجمال خير من رعي الخنازير ومعناه أن كونه مأكولا ليوسف بن تاشفين اسيرا يرعى جماله في الصحراء خير من كونه ممزقا للاذفونش أسيرا له يرعى خنازيره في قشتالة وقال لعذاله ولوامه يا قوم اني من أمري على حالين حالة يقين وحالة شك ولا بد لي من احداهما اما حالة الشك فاني ان استندت الى ابن تاشفين او الى الاذفونش ففي الممكن أن يفي لي ويبقى على وفائه ويمكن ان لا يفعل فهذه حالة شك وأما حالة اليقين فاني ان استندت الى ابن تاشفين فاني ارضي الله وان استندت الى الاذفونش اسخطت الله تعالى فاذا كانت حالة الشك فيها عارضة فلأي شيء أدع ما يرضي الله وآتي ما يسخطه فحينئذ قصر أصحابه عن لومه ولما عزم أمر صاحب بطليوس المتوكل عمر بن محمد وعبد الله بن حبوس الصنهاجي صاحب غرناطة أن يبعث اليه كل منهما قاضي حضرته ففعلا واستحضر قاضي الجماعة بقرطبة أبا بكر عبيد الله بن أدهم وكان أعقل اهل زمانه فلما اجتمع عنده القضاة باشبيلية اضاف اليهم وزيره أبا بكر بن زيدون وعرفهم أربعتهم انهم رسله الى يوسف بن تاشفين وأسند الى القضاة ما يليق بهم من وعظ يوسف بن تاشفين وترغيبه في الجهاد وأسند الى وزيره ما لا بد منه في تلك السفارة من ابرام العقود السلطانية وكان يوسف بن تاشفين لا تزال تفد عليه وفود ثغور الاندلس مستعطفين مجهشين بالبكاء ناشدين بالله والاسلام مستنجدين بفقهاء حضرته ووزراء دولته فيسمع اليهم ويصغي لقولهم وترق نفسه لهم فما عبرت رسل ابن عباد البحر الا ورسل يوسف بالمرصاد ولما انتهت الرسل الى ابن تاشفين أقبل عليهم وأكرم مثواهم واتصل ذلك بابن عباد فوجه من اشبيلية اسطولا نحو صاحب سبتة فانتظمت في سلك يوسف ثم جرت بينه وبين الرسل مراوضات ثم انصرفت الى مرسلها ثم عبر يوسف البحر عبورا سهلا حتى أتى الجزيرة الخضراء ففتحوا له وخرج اليه أهلها بما عندهم من الاقوات والضيافات وأقاموا له سوقا جلبوا اليه ما عندهم من سائر المرافق واذنوا للغزاة في دخول البلد والتصرف فيها فامتلأت المساجد والرحبات بالمتطوعين وتواصوا بهم خيرا هذا ما ساق صاحب الروض المعطار * وأما ابن الاثير فانه لما ذكر وقعة الزلاقة ذكر ما تقدم من فعل المعتمد بالارسال وقتلهم وتخوف أكابر الاندلس من الاذفونش وانه اجتمع منهم قوم وساروا الى القاضي عبد الله بن محمد وقالوا له ألا تنظر ما فيه المسلمون من الصغار والذلة واعطائهم الجزية بعد أن كانوا يأخذونها وقد غلب على البلاد الفرنج ولم يبق الا القليل

الحسين زوجته وعائشة بنت طلحة وليلى من نسائه وغير ذلك من أخباره في الكتاب الاوسط (وحدثت) المقرى قال حدثني سويد ابن سعيد قال حدثنا مروان ابن معاوية الفزاري عن محمد بن عبد الرحمن عن ابي مسلم النخعي قال رأيت رأس الحسين جيء به فوضع في دار الامارة بالكوفة بين يدي عبيد الله بن زياد ثم رأيت رأس عبيد الله ابن زياد قد جيء به فوضع في ذلك الموضع بين يدي مصعب بن الزبير ثم رأيت رأس مصعب بن الزبير قد جيء به فوضع في ذلك الموضع بين يدي عبد الملك وقد قيل في وجه آخر من الروايات فرأى عبد الملك مني اضطرابا فسألني فقلت يا أمير المؤمنين دخلت هذه الدار فرأيت رأس الحسين بين يدي ابن زياد في هذا الموضع ثم دخلتها فرأيت رأس ابن زياد بين يدي المختار فيه ثم دخلتها فرأيت رأس المختار بين يدي مصعب بن الزبير وهذا رأس مصعب بين يديك فوقاك الله يا أمير المؤمنين قال فوثب عبد الملك ابن مروان وامر بهدم الطاق الذي على المجلس ذكر هذا الحديث عن الوليد ابن خباب وغيره وسار عبد الملك من دير الجاثليق حتى نزل النخيلة بظهر الكوفة فخرج اليه اهل الكوفة فبايعوه ووفى الناس بما كان وعدهم به في وان

وان دام هذا الامر عادت نصرانية كما كانت أولا وقد رأينا رأيا نعرضه عليك قال وما هو قالوا نكتب الى عرب أفريقية ونبذل لهم اذا وصلوا الينا شطر أموالنا ونخرج معهم مجاهدين فى سبيل الله فقال لهم انا نخشى ان وصلوا الينا أن يخربوا بلادنا كما فعلوا بافريقية ويتركوا الافرنج و يبدؤا بنا والمرابطون أصلح منهم وأقرب الينا فقالوا له فكاتب أمير المسلمين واسأله العبور الينا أو اعانتنا بما يتيسر من الجند فبينما هم فى ذلك يتراوضون اذ قدم عليهم المعتمد بن عباد قرطبة فعرض عليه القاضى بن أدهم ما كانوا فيه فقال له المعتمد ابن عباد أنت رسولى اليه فى ذلك فامتنع وانما أراد أن يبرئ نفسه من ذلك فألح عليه المعتمد فسار الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فوجده بسبتة وأبلغه الرسالة وأعلمه بما فيه المسلمون من الخوف من الاذفونش ففى الحال أمر بعبور العساكر الى الاندلس وأرسل الى مراكش فى طلب من بقى من العساكر فاقبلت اليه يتلو بعضها بعضا فلما تكاملت عنده عبر البحر واجتمع بالمعتمد بن عباد باشبيلية وكان المعتمد قد جمع عساكره أيضا وخرج من أهل قرطبة عسكر كثير وقصده المطوعة من سائر بلاد الاندلس و وصلت الاخبار الى الاذفونش فجمع عساكره وحشد جنوده وسار من طليطلة و كتب الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين كتابا كتبه له بعض غواة أدباء المسلمين يغلظ له فى القول و يصف ما معه من القوة والعدد والعدد و بالغ فى ذلك فلما وصل وقرأه يوسف أمر كاتبه أبا بكر بن القصيرة أن يجيبه وكان كاتبا مفلقا فكتب وأجاد فلما قرأه على أمير المسلمين قال هذا كتاب طويل وأحضر كتاب الاذفونش وكتب فى ظهره الذى يكون ستراه وأرسله اليه فلما وقف عليه الاذفونش ارتاع وعلم انه بلى برجل لا طاقة له به وذكر ابن خلكان أن يوسف بن تاشفين أمر بعبور الجمال فعبر منها ما أغص الجزيرة وارتفع رغاؤها الى عنان السماء ولم يكن أهل الجزيرة رأوا جملا قط ولا خيلهم فصارت الخيل تجمح من رؤية الجمال ومن رغائها وكان ليوسف فى عبور الجمال أى مصيب فكان يحدق بها عسكره ويحضرها للعرب فكانت خيل الفرنج تجمح منها وقدم يوسف بين يديه كتابا للاذفونش يعرض عليه فيه الدخول فى الاسلام أو الجزية أو الحرب كما هى السنة ومن جملة ما فى الكتاب بلغنا يا اذفونش انك دعوت الى الاجتماع بنا وتمنيت أن تكون لك سفن تعبر فيها البحر الينا فقد عبرنا اليك وقد جمع الله تعالى فى هذه الساحة بيننا وبينك وسترى عاقبة دعائك وما دعاء الكافرين الا فى ضلال انتهى بمعناه وأكثره بلفظه لنرجع الى كلام صاحب الروض المعطار فانه أقعد بتاريخ الاندلس اذ هو منهم وصاحب البيت أدرى بالذى فيه قال رحمه الله تعالى فلما عبر يوسف وجميع جيوشه الى الجزيرة الخضراء انزعج الى اشبيلية على أحسن الهيئات جيشا بعد جيش وأميرا بعد أمير وقبيلا بعد قبيل و بعث المعتمد ابنه الى لقاء يوسف وأمر عمال البلاد بجلب الاقوات وا[illegible]

يوسف ما سره من ذلك ونشطه وتواردت الجيوش مع أمرائها الى اشبيلية وخرج [illegible]

يوسف من اشبيلية فى مائة فارس و وجوه أصحابه فلما أتى محلة يوسف [illegible]

ركضوا نحوه فبرز اليه يوسف وحده والتقيا منفردين وتصافحا وتعانقا وأظ[illegible]

صاحبه المودة والخلوص وشكرا نعم الله تعالى وتواصيا بالصبر والرحمة و بشرا أنفسهما بما

مكاتبته اياهم سرا وخلع واجاز واقطع ورتب الناس على قدر مراتبهم وعمهم ترغيبه وترهيبه وولى على البصرة خالد بن عبد الله ابن خالد بن اسد وعلى الكوفة بشر بن مروان أخاه وخلف معه جماعة من أهل الرأى والمشورة من أهل الشام منهم روح ابن زنباع الجذامى وبعث بالحجاج بن يوسف لحرب ابن الزبير بمكة وسار فى بقية أهل الشام الى دار مملكته دمشق وكان بشر ابن مروان أديبا ظريفا يحب الشعر والسمر والسماع والمعاقرة وقد كان أخوه عبد الملك قال له ان روحا عمك الذى لا ينبغى أن تقطع أمرا دونه لصدقه وعفافه ومناصحته ومحبته لنا أهل البيت فاحتشم بشر منه وقال لندمائه أخاف ان انبسطنا ان يكتب روح الى أمير المؤمنين بذلك فيشوانى لاحب من الانس والاجتماع ما يحبه مثلى فقال له بعض ندمائه من أهل العراق بحسن مساعدته ولطيف حملته أنا أ[illegible]

الجائزة وحسن المكافأة ان هو أتى له ما وعد به وكان روح شديد الغيرة وله جارية اذا خرج من منزله الى المسجد أو غيره ختم بابه حتى يعود بعد أن يقفله فأخذ الفتى

استقبلالامن غزو أهل الكفر وتضرعا الى الله تعالى فى أن يجعل ذلك خالصا لوجهه مقربا اليه
وافترقا فعاد يوسف لمحلته وابن عباد الى جهته وألحق ابن عباد ما كان أعده من هدايا وتحف
وضيافات أوسع بها على محلة يوسف بن تاشفين وباتوا تلك الليلة فلما أصبحوا وصلوا الصبح
ركب الجميع وأشار ابن عباد على يوسف بالتقدم نحو اشبيلية ففعل ورأى الناس من عزة
سلطانهم ما سرهم ولم يبق من ملوك الطوائف بالاندلس الا من بادر وأعان وخرج او اخرج
وكذلك فعل الصحراويون مع يوسف كل صقع من اصقاعه رابطوا وكابدوا وكان الاذفونش
لما تحقق الحركة والحرب استنفر جميع أهل بلاده وما يليها وما وراءها ورفع القسيسون
والرهبان والاساقفة صلبانهم ونشروا أناجيلهم فاجتمع له من الجلالقة والافرنجة ما لا
يحصى عدده وجواسيس كل فريق تتردد بين الجميع وبعث الاذفونش الى ابن عباد ان
صاحبكم يوسف قد تعنى من بلاده وخاض البحار وانا اكفيه العناء فيما بقي ولا اكلفكم تعبا
امضي اليكم والقاكم فى بلادكم رفقا بكم وتوفيرا عليكم وقال لخاصته واهل مشورته انى رأيت
انى ان مكنتهم من الدخول الى بلادي فناجزوني فيها وبين جدرها وربما كانت الدائرة
علي يتحكمون البلاد ويحصدون من فيها غداة واحدة ولكني أجعل يومهم معي فى حوز
بلادهم فان كانت علي اكتفوا بما نالوه ولم يجعلوا الدروب وراءهم الا بعد أهبة أخرى فيكون
فى ذلك صون لبلادي وجبر لمكاسري وان كانت الدائرة عليهم كان مني فيهم وفى بلادهم
ما خفت أنا أن يكون فى وفى بلادي اذا ناجزوني فى وسطها ثم برز بالمختار من جنوده وأنجاد
جموعه على باب دربه وترك بقية جموعه خلفه وقال حين نظر الى ما اختاره منهم بهؤلاء اقاتل
الجن والانس وملائكة السماء فالمقلل يقول المختارون اربعون ألف دارع ولكل واحد
اتباع وأما النصارى فيعجبون ممن يزعم ذلك ويرون انهم أكثر من ذلك كله واتفق الكل
ان عدد المسلمين أقل من الكفرة ورأى الاذفونش فى نومه كانه راكب فيلا يضرب نقيرة
طبل فهالته الرؤيا وسأل عنها القسوس والرهبان فلم يجبه أحد فدس يهوديا عمن يعلم تأويلها
من المسلمين فدل على معبر فقصها عليه ونسبها لنفسه فقال له المعبر كذبت ما هذه الرؤيا لك
ولا أعبرها لك الا ان صدقتني بصاحب الرؤيا فقال له اكتم على الرؤيا للاذفونش فقال
المعبر صدقت ولا يراها غيره والرؤيا تدل على بلاء عظيم ومصيبة فادحة فيه وفى عسكره
وتفسيرها قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل وأما ضربه النقيرة فتأويلها فاذا نقر
فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير الآية فانصرف اليهودي وذكر للاذفونش ما وافق خاطره
ثم خرج من بلاد الاندلس وتقدم السلطان يوسف فقصده وتأخر ابن عباد لبعض مهماته ثم
انزعج يقفو أثره بجيش فيه حماة الثغور ورؤساء الاندلس وجعل ابنه عبد الله على مقدمته
وسار وهو ينشد لنفسه متفائلا مكملا البيت المشهور

لابد من فرج قريب * يأتيك بالعجب العجيب
غزو عليك مبارك * سيعود بالفتح القريب
لله سعدك انه * نكس على دين الصليب
لابد من يوم يكو * ن له أخا يوم القليب

وخرج روح للصلاة فتوصل الفتى الى دخول الدهليز فى حال خروج روح وكمن تحت
دواته وأتى منزل روح عشيا الدرجة ولم يزل يحتال ليلته حتى توصل الى بيت روح فكتب على حائط فى أقرب المواضع من مرقد روح

يا روح من لبنيات وأرملة * اذا نعاك لاهل المغرب الناعي
ان ابن مروان قد حانت منيته * فاحتل لنفسك يا روح بن زنباع
ولا يغرنك ابكار ومنعمة * واسمع هديت مقال الناصح الداعي

ورجع الى مكانه بالدهليز فبات فيه فلما أصبح روح خرج الى الصلاة فتبعه غلمانه والفتى متنكر فى جملتهم مختلط بهم فلما عاد روح وافتتح باب حجرته تبين الكتابة وقرأها قراءة ذلك وانكره وقال ما هذا فوالله ما يدخل حجرتي انسي سواي ولا حظ لي فى المقام ثم نهض الى بشر فقال يا ابن أخي أوصني بما أحببت من حاجة وسبب عند أمير المؤمنين قال أو تريد الشخوص يا عم قال نعم قال ولم هل أنكرت شيأ أو رأيت قبيحا لا يسعك المقام عليه قال لا والله بل جزاك الله عن نفسك وعن
سلطانك خيرا ولكن أمر حدث ولا بد لي من الانصراف الى أمير المؤمنين فأقسم عليه أن يخبره فقال له

وو افت الجيوش كلها بطليوس فاتلوا بظاهرها وخرج اليهم صاحبها المتوكل عمر بن محمد بن
الأفطس فلقيهم بما يجب من الضيافات والاقوات و بذل المجهود وجاءهم الخبر بشخوص
الاذفونش ولما تزادف بعضهم الى بعض أذكى المعتمد عيونه فى محلات الصحراويين خوفا
عليهم من مكايد الاذفونش اذهم غرباء لاعلم لهم بالبلاد وجعل يتولى ذلك بنفسه حتى قيل
ان الرجل من الصحراويين لايخرج على طرف المحلة لقضاء أمر أو حاجة الاويجد ابن عباد
بنفسه مطيفا بالمحلة بعد ترتيب الخيل والرجال على أبواب المحلات وقد تقدم كتاب السلطان
يوسف الى الاذفونش يدعوه الى احدى الثلاث المأمور بها شرعا فامتلأ الكافر غيظا
وعتا وطغا وراجعه بما يدل على شقائه وقامت الاساقفة والرهبان ورفعوا صلبانهم
ونشروا أناجيلهم وتبايعوا على الموت ووعظ يوسف وابن عباد أصحابهما وقام الفقهاء
والصالحون مقام الوعظ وحضوهم على الصبر والثبات وحذروهم من الفشل والفرار
وجاءت الطلائع تخبر أن العدو مشرف عليهم صبيحة يومهم وهو يوم الاربعاء فأصبح
المسلمون وقد أخذوا مصافهم فكع الاذفونش ورجع الى اعمال المكر والخديعة فعاد
الناس الى محلاتهم و باتوا ليلتهم ثم أصبح يوم الخميس فبعث الاذفونش الى ابن عباد يقول
غدا يوم الجمعة وهو عيدكم والاحد عيدنا فليكن لقاؤنا بينهما وهو يوم السبت فعرف
المعتمد بذلك السلطان يوسف وأعلمه انها حيلة منه وخديعة وانما قصده الفتك بنا يوم
الجمعة فليكن الناس على استعداد له يوم الجمعة كل النهار و بات الناس ليلتهم على أهبة
واحتراس و بعد مضى جزء من الليل انتبه الفقيه الناسك أبو العباس أحمد بن رميلة القرطبى
وكان فى محلة ابن عباد فرحا مسرورا يقول انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة فى النوم
فبشره بالفتح والموت على الشهادة فى صبيحة تلك الليلة فتأهب ودعا وتضرع ودهن رأسه
وتطيب وانتهى ذلك الى ابن عباد فبعث الى يوسف يخبره بها تحققا لما توقعه من غدر
الكافر بالله تعالى ثم جاء بالليل فارسان من طلائع المعتمد يخبران انهما أشرفا على محلة
الاذفونش وسمعا ضوضاء الجيوش واضطراب الاسلحة ثم تلاحق بقية الطلائع محققين
بتحرك الاذفونش ثم جاءت الجواسيس من داخل محلتهم تقول استرقنا السمع فسمعنا
الاذفونش يقول لاصحابه ابن عباد مسعر هذه الحروب وهؤلاء الصحراويون وان كانوا
أهل حفاظ وذوى بصائر فى الحروب فهم غير عارفين بهذه البلاد وانما قادهم ابن عباد
فاقصدوه واهجموا عليه واصبروا فان انكشف لكم هان عليكم الصحراويون بعده ولا أرى
ابن عباد يصبر لكم ان صدقتموه الحملة وعند ذلك بعث ابن عباد الكاتب أبا [illegible] القصيرة
الى السلطان يوسف يعرفه باقبال الاذفونش و يستحث نصرته فمضى ابن القصيرة [illegible]
المحلات حتى جاء يوسف بن تاشفين فعرفه بجلية الامر فقال له قل له انى سأقرب [illegible]
تعالى وأمر يوسف بعض قواده أن يمضى بكتيبة رسمها له حتى يدخل محلة النصارى [illegible]
نارا مادام الاذفونش مشتغلا مع ابن عباد وانصرف ابن القصيرة الى المعتمد فلم يصلها الا وقد
غشيته جنود الطاغية فصدم ابن عباد صدمة قطعت آماله ومال الاذفونش عليه بجموعه
وأحاطوا بهم من كل جهة فهاجت الحرب وحمى الوطيس واستحر القتل فى أصحاب ابن

بخبر الكتاب فقال ليس
يدخل حجرتى غيرى وغير
جاريتى فلانة وما كتب
ذلك الا الجن أو الملائكة
وقال له بشر أقم فانى أرجو
أن لا يكون لهذا حقيقة فلم
يثنه شئ وسار الى الشام
فاقبل بشر على الشراب
والطرب فلما التقى روح
عبد الملك انكر أمره وقال
ما اقدمك الحادثة
حدثت أو لأمر كرهته
فاتنى على بشر وحمد سيرته
وقال لا بل لأمر لا يمكننى
ذكره حتى نخلو فقال عبد الملك
لجلسائه انصرفوا وخلا
بروح فاخبره بقصته
وأنشده الابيات فضحك
عبد الملك حتى استغرب
وقال ثقلت على بشر وأصحابه
حتى احتالوا لك بما رأيت
فلا ترع ولما اتصل قتل
مصعب باخيه عبد الله
أضرب عن ذكره حتى
تحدثت بذلك العبيد
والاماء فى سكك المدينة
ومكة فصعد المنبر وجبينه
يرشح فقال الحمد لله مالك
الدنيا والآخرة تؤتى الملك
[illegible]
كل شئ قدير الا انه لن يذل
الله من كان الحق معه ولن
يعز من كان أولياء
الشيطان حزبه انه أتانا خبر من العراق أحزننا وأفرحنا قتل مصعب فاما الذى احزننا من ذلك فان لفراق

عباد وصبر ابن عباد صبرا لم يعهد مثله لاحد واستبطأ السلطان يوسف وهو يلاحظ طريقه
وعضته الحروب واشتد عليه وعلى من معه البلاء وأبطأ عليه الصحراويون وساءت الظنون
وانكشف بعض أصحاب ابن عباد وفيهم ابنه عبد الله وأثخن ابن عباد جراحات وضرب على
رأسه ضربة فلقت هامته حتى وصلت الى صدغه وجرحت يمنى يديه وطعن فى أحد جانبيه
وعقرت تحته ثلاثة افراس كلما هلك واحد قدم له آخر وهو يقاسى حياض الموت ويضرب
يمينا وشمالا وتذكر فى تلك الحالة ابنا له صغيرا كان مغرما به تركه فى اشبيلية عليلا وكنيته
أبو هاشم فقال

أباهاشم هشمتنى الشفار * فلله صبرى لذاك الاوار
ذكرت شخيصك تحت العجاج * فلم يثننى ذكره للفرار

ثم كان أول من وافى ابن عباد من قواد ابن تاشفين داود بن عائشة وكان بطلا شجاعا شهما
فنفس بمجيئه عن ابن عباد ثم أقبل يوسف بعد ذلك وطبوله تصعد أصواتها الى الجو فلما
أبصره الاذفونش وجه حملته اليه وقصده بمعظم جنوده فبادر اليهم السلطان يوسف وصدمهم
بجمعه فردهم الى مركزهم وانتظم به شمل ابن عباد واستنشق ريح الظفر وتباشر بالنصر
ثم صدقوا جميعا الحملة فتزلزلت الارض بحوافر خيولهم وأظلم النهار بالعجاج والغبار
وخاضت الخيل فى الدماء وصبر الفريقان صبرا عظيما ثم تراجع ابن عباد الى يوسف
وحمل معه حملة جاء معها النصر وتراجع المنهزمون من أصحاب ابن عباد حين علموا بالتحام
الفئتين وصدقوا الحملة فانكشفت الطاغية وفر هاربا منهزما وقد طعن فى احدى ركبتيه
طعنة بقى يخمع بها بقية عمره وعلى سياق ابن خلكان أن ابن تاشفين نزل على أقل من فرسخ
من عسكر العدو فى يوم الاربعاء وكان الموعد فى المناجزة فى يوم السبت فغدر الاذفونش
ومكر فلما كان سحر يوم الجمعة منتصف رجب أقبلت طلائع ابن عباد والروم على اثرها
والناس على طمأنينة فبادر ابن عباد للركوب وبث الخبر فى العساكر فماجت بأهلها ووقع
البهت ورجفت الارض وصار الناس فوضى على غير تعبية ولا أهبة ودهمتهم خيل العدو
فأحاطت بابن عباد وحطمت ما تعرض لها وتركت الارض حصيدا خلفها وجرح ابن
عباد جرحا أشواه وفر رؤساء الاندلس وتركوا محلاتهم وأسلموها وظنوا انه وهى لا يرقع
ونازلة لا تدفع وظن الاذفونش أن السلطان يوسف فى المنهزمين ولم يعلم أن العاقبة للمتقين
فركب أمير المسلمين وأحدق به جياد خيله ورجله من صنهاجة رؤساء القبائل وقصدوا
محلة الاذفونش فاقتحموها ودخلوها وفتكوا فيها وقتلوا وضربت الطبول وزعقت البوقات
فاهتزت الارض وتجاوبت الجبال والآفاق وتراجع الروم الى محلاتهم بعد أن علموا أن
أمير المسلمين فيها فصدموا أمير المسلمين فخرج لهم عنها ثم كر عليهم فأخرجهم منها ثم
كروا عليه فخرج لهم عنها ولم تزل الكرات بينهم تتوالى الى أن أمر أمير المسلمين حشمه
السودان فترجل منهم زهاء أربعة آلاف ودخلوا المعترك بدرق اللمط وسيوف الهند
ومزاريق الزان فطعنوا الخيل فرمحت بفرسانها وأحجمت عن أقرانها وتلاحق الاذفونش
بأسود نفذت مزاريقه فأهوى ليضربه بالسيف فلصق به الاسود وقبض على عنانه وانتضى
خنجرا

عند المصيبة ثم يرعوى من بعد ذلك الى كريم الصبر وجميل العزاء وأما الذى الجحيم لذعة تجدها حميمه أفرحنا أن القتل له شهادة وجعل الله لنا فى ذلك الخيرة أما والله انا لا نموت حتفا كميتة آل أبى العاص وانما نموت قعصا بالرماح وقتلا تحت ظلال السيوف الا ان الدنيا عارية من الملك القهار الذى لا يزول سلطانه ولا يتبدل فان تقبل الدنيا على لا آخذها أخذ الاشر البطر وان تدبر عنى لا أبكى عليها بكاء الحزين المهين فأتى الحجاج الطائف فأقام بها شهورا ثم زحف الى مكة فحاصر ابن الزبير بها وكتب الى عبد الملك انى قد ظفرت بأبى قبيس فلما ورد كتابه على عبد الملك بحصار ابن الزبير بمكة والظفر بأبى قبيس كبر عبد الملك فكبر من فى داره واتصل التكبير بمن فى جامع دمشق فكبروا واتصل ذلك بأهل الاسواق ثم سألوا عن الخبر فقيل لهم ان الحجاج حاصر ابن الزبير بمكة وظفر بأبى قبيس فقالوا لا نرضى حتى يحمله الينا مكبلا على رأسه برنس على جمل يمر بنا فى الاسواق التراب الملعون وكان حصار الحجاج لابن الزبير بمكة هلال ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين وفيها قتل مصعب ومنع ابن الزبير الحجاج أن يطوف بالبيت ووقف الحجاج بالناس محرما

خنجرا كان متمنطقا به فاثبته في فخذه فهتك حلق درعه ونفذ من فخذه مع بداد سرجه وكان وقت الزوال وهبت ريح النصر فانزل الله سكينته على المسلمين ونصر دينه القويم وصدقوا الحملة على الاذفونش وأصحابه فأخرجوهم عن محلتهم فولوا ظهورهم وأعطوا أعناقهم والسيوف تصفعهم والرماح تطعنهم الى أن لحقوا بربوة لجؤا اليها واعتصموا بها وأحدقت بهم الخيل فلما أظلم الليل انساب الاذفونش وأصحابه من الربوة وافلتوا بعدما نشبت بهم أظفار المنية واستولى المسلمون على ما كان في محلتهم من الآلات والسلاح والمضارب والاوانى وغير ذلك وأمر ابن عباد بضم رؤس قتلى المشركين فاجتمع من ذلك تل عظيم انتهى و بعضه بالمعنى (رجع) الى كلام صاحب الروض المعطار قال ولجأ الاذفونش الى تل كان يلي محلته في نحو خمسمائة فارس كل واحد منهم مكلوم وأباد القتل والاسر من عداهم من أصحابهم وعمل المسلمون من رؤسهم مآذن يؤذنون عليها والمخذول ينظر الى موضع الوقيعة ومكان الهزيمة فلا يرى الا نكالا محيطا به و بأصحابه وأقبل ابن عباد على السلطان يوسف وصافحه وهناه وشكره وأثنى عليه وشكر يوسف صبر ابن عباد ومقامه وحسن بلائه وجميل صبره وسأله عن حاله عندما أسلمته رجاله بانهزامهم عنه فقال له هم هؤلاء قد حضروا بين يديك فليخبروك وكتب ابن عباد الى ابنه باشبيلية كتابا مضمونه كتابي هذا من المحلة المنصورة يوم الجمعة الموفى عشرين من رجب وقد أعز الله الدين ونصر المسلمين وفتح لهم الفتح المبين وهزم الكفرة المشركين وأذاقهم العذاب الاليم والخطب الجسيم فالحمد لله على ما يسره وسناه من هذه المسرة العظيمة والنعمة الجسيمة في تشتيت شمل الاذفونش والاحتواء على جميع عساكره أصلاه الله نكال الجحيم ولا أعدمه الوبال العظيم المقيم بعد اتيان النهب على محلاته واستئصال القتل في جميع أبطاله وحماته حتى اتخذ المسلمون من هاماتهم صوامع يؤذنون عليها فلله الحمد على جميع صنعه ولم يصبني والحمد لله الا جراحات يسيرة آلمت لكنها فرجت بعد ذلك فلله الحمد والمنة والسلام واستشهد في ذلك اليوم جماعة من الفضلاء والعلماء وأعيان الناس مثل ابن رميلة صاحب الرؤيا المذكورة وقاضي مراكش أبي مروان عبد الملك المصمودي وغيرهما رحمهم الله تعالى (وحكى) أن موضع المعترك كان على اتساعه ما كان فيه موضع قدم الا على ميت أو دم وأقامت العساكر بالموضع أربعة أيام حتى جمعت الغنائم واستؤذن في ذلك السلطان يوسف فعف عنها وآثر بها ملوك الاندلس وعرفهم أن مقصده الجهاد والاجر العظيم وما عند الله في ذلك من الثواب المقيم فلما رأت ملوك الاندلس ايثار يوسف لهم بالغنائم استكرموه وأحبوه وشكروا له ذلك ولما بلغ الاذفونش الى بلاده وسأل عن أبطاله وشجعانه وأصحابه ففقدهم ولم يسمع الا النواح الشكالى عليهم اهتم ولم يأكل ولم يشرب حتى هلك غما و[illegible] الهاوية ولم يخلف الا بنتا واحدة جعل الامر اليها فتحصنت بطليطلة ور[illegible] اشبيلية ومعه السلطان يوسف بن تاشفين فأقام السلطان يوسف بن تاشف[illegible] ثلاثة أيام ووردت عليه من المغرب أخبار تقتضي العزم فسافر وذهب معه ابن عباد يوما وليلة فحلف ابن تاشفين وعزم عليه في الرجوع وكانت جراحاته تورمت عليه فسير معه ولده

في درع ومغفر وهو من أبناء احدى وثلاثين سنة ونحر ابن الزبير بمكة ولم يخرج الى عرفة بسبب الحجاج فكانت مدة حصار الحجاج لابن الزبير بمكة خمسين ليلة ودخل ابن الزبير على أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقد بلغت مائة سنة لم تقع لها سن ولا ابيض لها شعر ولم ينكر لها عقل على حسب ما قدمنا من خبرها في هذا الكتاب فقال يا امه كيف تجدين نفسك قالت اني لشاكية يا بني فقال لها ان في الموت راحة قالت لعلك تمنيه لي وما أحب أن أموت حتى يأتي على أحد طرفيك اما قتلت فأحتسبك واما ظفرت فقرت عيني بك وأوصى عبد الله بما يحتاج من أمره وأمر نسائه اذا بلغن الواعية عليه ان يضمن أمه أسماء اليمن وكان عروة ابن الزبير على رأي عبد الملك بن مروان وكان كتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج يأمره بتعاهد عروة وأن لا يسوءه في نفسه وماله فخرج عروة الى الحجاج ورجع الى أخيه فقال هذا [illegible] الملك على ما احدثت أنت ومن معك وأن تنزل أي البلاد شئت لك بذلك عهد الله وميثاقه وغير ذلك من الكلام فأبى عبد الله قبول ذلك وقالت له أمه أسماء أي بني لا تقبل خطة تخاف على نفسك

عبد الله الى أن وصل البحر وعبر الى المغرب ولما رجع ابن عباد الى اشبيلية جلس للناس وهنئ بالفتح وقرأت القراء وقامت على رأسه الشعراء فأنشدوه قال عبد الجليل بن وهبون حضرت ذلك اليوم وأعددت قصيدة أنشدها بين يديه فقرأ القارئ الا تنصروه فقد نصره الله فقلت بعدا لى ولشعرى والله ما أبقت لى هذه الآية معنى أحضره وأقوم به ولما عزم السلطان يوسف بن تاشفين الى بلاده ترك الامير سيرى بن أبى بكر أحد قواده المشاهير وترك معه جيشا برسم غزو الفرنج فاستراح الامير المذكور أياما قلائل ودخل بلاد الاذفونس وأطلق الغارة ونهب وسبى وفتح الحصون المنيعة والمعاقل الصعبة العويصة وتوغل فى البلاد وحصل أموالا وذخائر عظيمة ورتب رجالا وفرسانا فى جميع ما أخذه وأرسل للسلطان يوسف جميع ما حصله وكتب له يعرفه أن الجيوش بالثغور مقيمة على مكابدة العدو وملازمة الحرب والقتال فى أضيق العيش وأنكده وملوك الاندلس فى بلادهم وأهليهم فى أرغد عيش وأطيبه وسأله مرسومه فكتب اليه أن يأمرهم بالنقلة والرحيل الى أرض العدوة فمن فعل فذاك ومن أبى فحاصره وقاتله ولا تنفس عليه ولتبدأ بمن والى الثغور ولا تتعرض للمعتمد بن عباد الا بعد استيلائك على البلاد وكل بلد أخذته فول فيه أميرا من عساكرك فأول من ابتدأ به من ملوك الاندلس بنو هود وكانوا بروطه بضم الراء المهملة وبعدها واو ساكنة وطاء مهملة مفتوحة وبعدها هاء ساكنة وهى قلعة منيعة من عاصمات الذرى وماؤها ينبع من أعلاها وفيها من الاقوات والذخائر المختلفات ما لا تفنيه الازمان فحاصرها فلم يقدر عليها ورحل عنها وجند أجنادا على هيئة الفرنج وزيهم وأمرهم أن يقصدوها ويغيروا عليها وكمن هو وأصحابه بقرب منها فلما رآهم أهل القلعة استضعفوهم فنزلوا اليهم ومعهم صاحب القلعة فخرج عليه سيرى المذكور وقبضه باليد وتسلم الحصن ثم نازل بنى طاهر بشرق الاندلس فأسلموا اليه البلاد ولحقوا ببر العدوة ثم نازل بنى صمادح بالمرية ولها قلعة حصينة فحاصرهم وضيق بهم ولما علم ابن صمادح الغلب أسف ومات غبنا فأخذ القلعة واستولى على المرية وجميع أعمالها ثم قصد بطليوس وكان بها المتوكل عمر بن محمد بن الافطس المتقدم ذكره فحاصره وأخذه واستولى على جميع أعماله وماله ولم يبق له الا المعتمد ابن عباد فكتب للسلطان يوسف يعرفه بما فعل ويسأله مرسومه فى ابن عباد فكتب اليه يأمره أنه يعرض عليه النقلة لبر العدوة بجميع الاهل والعشيرة فان رضى والا فحاصره وخذه وأرسل به كسائر أصحابه فواجهه وعرفه بما رسم به السلطان يوسف وسأله الجواب فلم يجب بنفى ولا اثبات ثم انه نازل اشبيلية وحاصره بها وألح عليه فأقام الحصار شهرا ودخل البلد قهرا واستخرجه من قصره فحمل وجميع أهله وولده الى العدوة فانزل باغمات وأقام بها الى أن مات رحمه الله تعالى وعفا عنه * وأما ابن الاثير ففى كلامه تقديم وتأخير وبعض خلاف لما تم أخبار المعتمد بن عباد وما رآه من الملك والعز فى كل حاضر وباد وما قاساه فى الاسر من الضيق والعسر وسوء العيش أمر عجيب يتعظ به العاقل الاريب وأما ما مدحته به الشعراء وأجو بتهم فى حالى يسره وعسره وملكه وأسره وطيه ونشره وتجهمه وبشره فهو كثير وفى كتب التواريخ منه نظيم ونثير وقد قدمنا منه فى هذا الكتاب ما يبعث الاعتبار

منها مخافة القتل مت كريما واياك ان تؤسر أو تعطى بيديك فقال يا أمه انى أخاف ان يمثل بى بعد القتل فقالت يا بنى وهل تتألم الشاة من السلخ بعد الذبح ودخلوا على ابن الزبير فى المسجد وقت الصلاة وقد التجأ الى البيت وهم ينادون يا ابن ذات النطاقين فقال ابن الزبير متمثلا

وعيرها الواشون أنى أحبها * وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

ونظر الى طائفة منهم قد اقبلوا نحوه بالسيوف فقال لاصحابه من هؤلاء قالوا أهل مصر قال قتلة عثمان أمير المؤمنين ورب الكعبة فحمل عليهم فضرب رجلا منهم به أدمة فقده وقال صبرا يا ابن حام وتكاثر عليه الرجال من أهل الشام ومصر فلم يزل يضرب فيهم حتى أخرجهم عن المسجد ورجع الى البيت وهو يقول

ولست بمبتاع الحياة بسبة * ولا ابتغى من رهبة الموت سلما

فاستلم الحجر ثم تكاثروا عليه فحمل عليهم وهو يقول

قد سن أصحابك ضرب الاعناق * وقامت الحرب بنا على ساق

فأتاه حجر فصك جبينه فأدماه وأوضحه فقال

ولسنا على الاعقاب تدمى كلومنا * ولكن على أقدامنا تقطر الدما

ويشير وخصوصا في الباب السابع من هذا التأليف الذي هو عند المصنف أثير وفي المعتمد وأبيه المعتضد يقول بعض الشعراء

من بني منذر وذاك انتساب * زاد في فخرهم بنو عباد

فتية لم تلد سواها المعالي * والمعالي قليلة الاولاد

وقال ابن القطاع في كتابه لمح الملح في حق المعتمد انه اندى ملوك الاندلس راحه وأرحبهم ساحه وأعظمهم عمادا وأرفعهم عمادا ولذلك كانت حضرته ملقى الرحال وموسم الشعراء وقبلة الآمال ومألف الفضلاء حتى انه لم يجتمع بباب أحد من الملوك من اعيان الشعراء وأفاضل الادباء ما كان يجتمع ببابه وتشتمل عليه حاشيتا جنابه * وقال ابن بسام في الذخيرة للمعتمد شعر كما انشق الكمام عن الزهر لو صار مثله ممن جعل الشعر صناعه واتخذه بضاعه لكان رائقا معجبا ونادرا مستغربا فمنه قوله

أكثرت هجرك غير أنك ربما * عطفتك أحيانا علي أمور

فكأنما زمن التهاجر بيننا * ليل وساعات الوصال بدور

قال وهذا المعنى ينظر الى قول بعضهم من أبيات

أسفر ضوء الصبح عن وجهه * فقام ذاك الخال فيه بلال

كأنما الخال على خده * ساعات هجر في زمان الوصال

وعزم على ارسال حظاياه من قرطبة الى اشبيلية فخرج معهن يشيعهن فسايرهن من أول الليل الى الصبح فودعهن ورجع وأنشد أبياتا منها

سايرتهم والليل عقد ثوبه * حتى تبدى للنواظر معلما

فوقفت ثم مودعا وتسلمت * مني يد الاصباح تلك الانجما

وهذا المعنى في نهاية الحسن ثم ذكر من كلامه جملة (عود وانعطاف) ولما جاء أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الى ناحية غرناطة بعد ما حصر بعض حصون الفرنج فلم يقدر عليه خرج الى لقائه صاحب غرناطة عبد الله بن بلكين فسلم عليه ثم عاد الى بلده ليخرج له التقادم فغدر به ودخل البلد وأخرج عبد الله ودخل قصره فوجد فيه من الذخائر والاموال ما لا يحد ولا يحصى ثم رجع الى مراكش وقد أعجبه حسن بلاد الاندلس وبهجتها وما بها من المباني والبساتين والمطاعم وسائر الاصناف التي لا توجد في سائر بلاد العدوة اذ هي بلاد بربر وأجلاف عربان فجعل خواص يوسف يعظمون عنده بلاد الاندلس ويحسنون له أخذها ويوغرون قلبه على المعتمد بأشياء نقلوها عنه فتغير على المعتمد وقصد مشارفة الاندلس (وحكى) ابن خلدون أن علماء الاندلس أفتوا ابن تاشفين بجواز خلع المعتمد وغيره من ملوك الطوائف وبقتالهم ان امتنعوا فجهز يوسف العساكر الى الاندلس وحاصر سيري بن أبي بكر أحد عظماء دولة يوسف اشبيلية وبها المعتمد فكان من دفاعه وشدة ثباته ما هو معلوم ثم أخذ أسيرا وصار طرف الملك بعده حسيرا * وفي وصف ذلك يقول صاحب القلائد بعد كلام ثم جمع هو وأهله وحملتهم الجواري المنشآت وضمتهم كأنهم أموات بعد ما ضاق عنهم القصر وراق منهم المصر والناس قد حشروا بضفتي الوادي يبكون بدموع كالغوادي فساروا

فسكتهم من المسجد ورجع الى من بقي من أصحابه عند البيت فقال لهم القوا أغماد السيوف وليصن كل منكم سيفه كما يصون وجهه لا ينكسر سيف أحدكم فيقعد كالمرأة ولا يسأل رجل منكم أين عبد الله من يسأل عني فانني في الرعيل الاول ثم أنشأ يقول

يارب ان جنود الشأم قد كثروا * وهتكوا من حجاب البيت أستارا

يارب اني ضعيف الركن مضطهد * فابعث الى جنودا منك أنصارا

وتكاثر أهل الشأم عليه ألوفا من كل باب فحمل عليهم فشدخ بالحجارة فانصرع وأكب عليه موليان له وأحدهما يقول العبد يحمي ربه ويحتمي حتى قتلوا جميعا وتفرق من كان معه من أصحابه وأمر به الحجاج فصلب بمكة وكان مقتله يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ثلاث وسبعين [illegible]

وسمع [illegible] يقول يخرج من ثقيف كذاب ومبير فاما الكذاب فهو المختار وأما المبير فما أظنك الا هو وسنذكر لمعا من أخبار الحجاج فيما يرد من هذا الكتاب وان كنا

والنوح يعدوهم والبوح باللوعة لا يعدوهم انتهى * ولما فرغ أمير المسلمين يوسف
ابن تاشفين من أمر غزوة الزلاقة المتقدم ذكرها ورجع تكرم له ابن عباد وسأله أن ينزل
عنده فعرج الى بلاده اذ أجابه الى ما طلب فلما انتهى ابن تاشفين الى اشبيلية مدينة المعتمد
وهي من أجل المدن وأحسنها منظرا وأمعن يوسف النظر فيها وفي محلها وهي على نهر عظيم
متبحر تجري فيه السفن بالبضائع جالبة من بر المغرب وحاملة اليه وفي غربيها رستاق عظيم
مسيرة عشرين فرسخا يشتمل على آلاف من الضياع كلها تين وعنب وزيتون وهذا هو
المسمى بشرف اشبيلية وتمتار بلاد المغرب كلها بهذه الاصناف منه وفي جانب المدينة قصور
المعتمد وأبيه المعتضد في غاية الحسن والبهاء وفيها أنواع ما يحتاج اليه من المطعوم
والمشروب والملبوس والمفروش وغير ذلك فأنزل المعتمد يوسف بن تاشفين في أحدها وتولى
من اكرامه وخدمته ما أوسع شكر ابن تاشفين له وكان مع ابن تاشفين أصحاب له ينبهونه على
حسن تلك الحال وتأملها وما هي عليه من النعمة والاتراف ويغرونه باتخاذ مثلها ويقولون
له ان فائدة الملك قطع العيش فيه بالتنعم واللذة كما هو المعتمد وأصحابه وكان ابن تاشفين
عاقلا مقتصدا في أموره غير متطاول ولا مبذر غير سالك نهج الترف والتأنق في اللذة والنعيم
اذ ذهب صدر عمره في بلاده بالصحراء في شظف العيش فأنكر على من أغراه بذلك الاسراف
وقال له الذي يلوح لي من أمر هذا الرجل يعني المعتمد انه مضيع لما في يده من الملك لان
هذه الاموال الكثيرة التي تصرف في هذه الاحوال لابد أن يكون لها أرباب لا يمكن أخذ
هذا القدر منهم على وجه العدل أبدا فأخذه بالظلم واخراجه في هذه الترهات من أفحش
الاستهتار ومن كانت همته في هذا الحد من التصرف فيما لا يعدو الاجوفين متى يستجد همة
في ضبط بلاده وحفظها وصون رعيته والتوفير لمصالحها ولعمري لقد صدق في كل ذلك
ثم ان يوسف بن تاشفين سأل عن أحوال المعتمد في لذاته هل تختلف فتنقص عما عليه في
بعض الاوقات فقيل له بل كل زمانه على هذا فقال أفكل أصحابه وأنصاره على عدوه ومنجديه
على الملك ينال حظا من ذلك فقالوا لا قال فكيف ترون رضاهم عنه فقالوا لا رضا لهم عنه
فأطرق وسكت وأقام عند المعتمد على تلك الحال أياما وفي أثنائها استأذن رجل على المعتمد
فدخل وهو ذو هيئة رثة وكان من أهل البصائر فلما مثل بين يديه قال أصلحك الله أيها
السلطان وان من أوجب الواجبات شكر النعمة وان من شكر النعمة اهداء النصائح واني رجل
من رعيتك حالي في دولتك الى الاختلال أقرب منها الى الاعتدال ولكنني مع ذلك
مستوجب لك من النصيحة ما للملك على رعيته فمن ذلك خبر وقع في أذني من بعض أصحاب
ضيفك هذا يوسف بن تاشفين يدل على انهم يرون أنفسهم وملكهم أحق بهذه النعمة منك
وقد رأيت رأيا فان آثرت الاصغاء اليه قلته فقال المعتمد قله فقال له رأيت أن هذا الرجل
الذي أطلعته على ملكك مستأسد على الملوك قد حكم على رفقائه ببر العدوة وانتزع الملك
من أيديهم ولم يبق على واحد منهم ولا يؤمن أن يطمع الى المطامع في ملكك بل في ملك جزيرة
الاندلس كلها لما قد عاينه من هناءة عيشك واني لمتخيل مثل ذلك لسائر ملوك الاندلس وان له
من الاقارب وغيرهم من يود الحلول بما أنت فيه من خصب الجناب وقد أردى الاذفونش

ثلاث سنين ثم جمع له
العراق بعد موت بشر بن
مروان بالبصرة ومات جابر
ابن عبد الله الانصاري في
أيام عبد الملك بالمدينة
وذلك في سنة ثمان وسبعين
وقد ذهب بصره وهو ابن
نيف وتسعين سنة وقد كان
قدم الى معاوية بدمشق
فلم يأذن له أياما فلما أذن
له قال يا معاوية أما سمعت
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول من حجب ذا فاقة
وحاجة حجبه الله يوم فاقته
وحاجته فغضب معاوية
وقال له لقد سمعته يقول
انكم ستلقون بعدي أثرة
فاصبروا حتى تردوا على
الحوض أفلا صبرت قال
ذكرتني ما نسيت وخرج
فاستوى على راحلته
ومضى فوجه اليه معاوية
بستمائة دينار فردها
وكتب اليه
واني لاختار القنوع على
الغنى
اذا اجتمعا والماء بالبارد
المحض
وأقضي على نفسي اذا الامر
نابني
وفي الناس من يقضي عليه
ولا يقضي
وألبس أثواب الحياء وقد أرى مكان الغنى أن لا أهين له عرضي وقال لرسوله قل له والله
وبحبشه

و جيشه واستأصل شأفتهم واعد ملك منه أقوى ناصر عليه لو احتجت اليه فقد كان لك منه أقوى عضد وأوقى مجن وبعد فانه ان فات الامر في الاذفونش فلا يفتك الحزم فيما هو ممكن اليوم فقال له المعتمد وما هو الحزم اليوم فقال أن تجمع أمرك على قبض ضيفك هذا واعتقاله في قصرك وتجزم انك لا تطلقه حتى يأمر كل من بجزيرة الاندلس من عسكره أن يرجع من حيث جاء حتى لا يبقى منهم احد بالجزيرة طفل فما فوقه ثم تتفق أنت وملوك الجزيرة على حراسة هذا البحر من سفينة تجري فيه له ثم بعد ذلك تستحلفه باغلظ الايمان أن لا يضمر في نفسه عودا الى هذه الجزيرة الا باتفاق منكم ومنه وتأخذ منه على ذلك رهائن فانه يعطيك من ذلك ما تشاء فنفسه أعز عليه من جميع ما يلتمس منه فعند ذلك يقتنع هذا الرجل ببلاده التي لا تصلح الا له وتكون قد استرحت منه بعد ما استرحت من الاذفونش وتقيم في موضعك على خير حال ويرتفع ذكرك عند ملوك الجزيرة ويشيع ملكك وينسب هذا الاتفاق لك الى سعادة وحزم وتهابك الملوك ثم أعمل بعد هذا ما يقتضيه حزمك في مجاورة من عاملته هذه المعاملة واعلم أنه قد تهيأ لك من هذا أمر سماوي تتفانى الامم وتجري بحار الدم دون حصول مثله فلما سمع المعتمد كلام الرجل استصوبه وجعل يفكر في انتهاز الفرصة وكان للمعتمد ندماء قد انهمكوا معه في اللذات فقال احدهم لهذا الرجل الناصح ما كان المعتمد على الله وهو امام أهل المكرمات ممن يعامل بالحيف ويغدر بالضيف فقال الرجل انما الغدر أخذ الحق من يد صاحبه لا دفع الرجل عن نفسه المحذور اذا ضاق به فقال ذلك النديم ضيم مع وفاء خير من حزم مع جفاء ثم ان ذلك الناصح استدرك الامر وتلافاه فشكره المعتمد ووصله بصلة واتصل هذا الخبر بيوسف فاصبح غاديا فقدم له المعتمد الهدايا السنية والتحف الفاخرة فقبلها ثم رحل انتهى خبر وقعة الزلاقة وما يتبعه ملخصا من كتب التاريخ (ولما) انقرض بالاندلس ملك ملوك الطوائف بني عباد وبني ذي النون وبني الافطس وبني صمادح وغيرهم انتظمت في سلك اللمتونيين وكانت لهم فيها وقعات بالاعداء مشهورة في كتب التواريخ (ولما) مات يوسف بن تاشفين سنة خمسمائة قام بالملك بعده ابنه أمير المسلمين علي بن يوسف وسلك سنن أبيه وان قصر عنه في بعض الامور ودفع العدو عن الاندلس مدة الى أن قيض الله تعالى للثورة عليه محمد بن تومرت الملقب بالمهدي الذي اسس دولة الموحدين فلم يزل يسعى في هدم بنيان لمتونة الى أن مات ولم يملك حضرة سلطنتهم مراكش ولكنه ملك كثيرا من البلاد فاستخلف عبد المؤمن بن علي فكان من استيلائه [illegible] اللمتونيين ما هو معروف ثم جاز الى الاندلس وملك كثيرا منها ثم [illegible] مهدية أفريقية وملك بلاد افريقية وضخم ملكه وتسمى بامير المؤمنين و[illegible] [illegible]ذفونش صاحب طليطلة وبلاد الجلالقة الى قرطبة ومعه أربعون [illegible] [illegible]ها وكان أهلها في غلاء شديد فبلغ الخبر عبد المؤمن فجهز اليهم جيشا يحتوي على اثني [illegible]ف فارس فلما اشرفوا على الاذفونش رحل عنها وكان فيها القائد أبو الغمر السائب الى صاحب جيش عبد المؤمن يحيى بن ميمون فبات فيها فلما اصبح رأى الفرنج عادوا اليهم ونزلوا في المكان الذي كانوا فيه فلما عاين ذلك رتب هنالك ناسا وعاد الى عبد

الحنفية في سنة احدى وثمانين في أيامه بالمدينة ودفن بالبقيع وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان باذن ابنه أبي هاشم وكان محمد يكنى بأبي القاسم وقبض وهو ابن خمس وستين وقيل انه خرج الى الطائف هاربا من ابن الزبير فمات بها وقيل انه مات ببلاد أيلة وقد تنوزع في موضع قبره وقدمنا قول الكيسانية ومن قال منهم انه بجبل رضوى وكان له من الولد الحسن وأبو هاشم والقاسم وابراهيم (حدثنا) نصر بن علي قال حدثنا أبو أحمد الزبيري عن يونس بن أبي اسحق قال حدثنا سهيل بن عبيد ابن عمر الخابوري قال كتب ابن الحنفية الى عبد الملك ان الحجاج قد قدم بلدنا فقد خفته فأحب أن لا تجعل له علي سلطانا بيد ولا لسان فكتب عبد الملك الى الحجاج ان محمد بن علي [illegible] تعفيه منك [illegible]

[illegible] فلقيه في الطواف فعض على شفته ثم قال لم يأذن لي فيك أمير المؤمنين فقال له محمد ويحك أوما علمت [أن لله تبارك] وتعالى في كل يوم وليلة ثلثمائة وستين لحظة أو قال نظرة لعله أن ينظر الي منها بنظرة أو قال بلحظة فيرحمني

المؤمن ثم رحل الفرنج الى ديارهم وفى السنة بعدها دخل جيش عبد المؤمن الى الاندلس فى عشر ين ألفا عليهم الحنتاتى فصار اليه صاحب غرناطة ميمون وابن همشك وغيرهما فدخلوا تحت طاعة الموحدين وحرصوا على قصد ابن مردنيش ملك شرق الاندلس و بلغ ذلك ابن مردنيش فخاف وارسل الى صاحب برشلونة من الافرنج يستنجده فجهز اليه فى عشرة آلاف من الافرنج عليهم فارس وسار صاحب جيش عبد المؤمن الى أن قارب ابن مردنيش فبلغه أم البرشلونى الافرنجى فرجع ونازل مدينة المرية وهى بايدى الروم فحاصرها فاشتد الغلاء فى عسكره فرجع الى اشبيلية فاقام فيها وسار عبد المؤمن الى سبتة فجهز الاساطيل وجمع العساكر ثم سار عبد المؤمن سنة ٥٤٧ الى المهدية فملكها وملك أفريقية وضخم ملكه كما قدمناه ولما مات بويع بعده ولده يوسف بن عبد المؤمن ولما تمهدت له الامور واستقرت قواعد ملكه رحل الى جزيرة الاندلس لكشف مصالح دولته وتفقد احوالها وكان ذلك سنة ست وستين وخمسمائة وفى صحبته مائة ألف فارس من الموحدين والعرب فنزل بحضرة اشبيلية وخافه ملك شرق الاندلس مرسية وما انضاف اليها الامير الشهير أبو عبد الله محمد بن سعد المعروف بابن مردنيش وحمل على قلب ابن مردنيش فرض مرضا شديدا ومات وقيل انه سم ولما مات جاء أولاده وأهله الى أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن وهو باشبيلية فدخلوا تحت حكمه وسلموا الاحكام البلاد فصاهرهم واحسن اليهم واصبحوا عنده فى أعز مكان ثم شرع فى استرجاع البلاد التى استولى عليها الافرنج فاتسعت مملكته بالاندلس وصارت سراياه تعبر الى باب طلطلة وقيل انه حاصرها فاجتمع الفرنج كافة عليه واشتد الغلاء فى عسكره فرجع عنها الى مراكش حضرة ملكه ثم ذهب الى أفريقية فمهدها ثم رجع الى حضرته مراكش ثم جاز البحر الى الاندلس سنة ثمانين وخمسمائة ومعه جمع كثيف وقصد غربى بلادها فحاصر مدينة شنترين وهى من اعظم بلاد العدو وبقى محاصرا لها شهرا فاصابه المرض فمات فى السنة المذكورة وحمل فى تابوت الى اشبيلية وقيل أصابه سهم من قبل الافرنج والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة الحال * وفى ابنه السيد اسحق يقول مطرف التجيبي رحمه الله تعالى

سعد كما شاء العلا والفخار * تصرف الليل به والنهار

مادانت الارض لكم عنوة * وانما دانت لامر كبار

مهدتموها فصفا عيشها * واتصل الابن فنعم القرار

ومنها

فالشاة لا يختلها ذئبها * وان اقامت معه فى وجار

ولما مات يوسف قام بالامر بعده ابنه الشهير أمير المؤمنين يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن فقام بالامر أحسن قيام ولما مات يوسف المذكور رثاه أديب الاندلس أبو بكر يحيى ابن مجبر بقصيدة طويلة أجاد فيها واولها

جل الاسى فأسل دم الاجفان * ماء الشؤن لغير هذا الشان

ويعقوب المنصور وهو الذى أظهر أبهة ملك الموحدين ورفع راية الجهاد ونصب ميزان العدل وبسط الاحكام الشرعية وأظهر الدين وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأقام الحدود

الروم وقد كان توعده فكتب اليه ملك الروم ليست هذه من سجيتك ولا من سجية آبائك ما قالها الا نبي أو رجل من أهل بيت نبي (وذكر) الشعبي قال أنفذنى عبد الملك الى ملك الروم فلما وصلت اليه جعل لا يسألنى عن شيء الا أجبته وكانت الرسل لا تطيل الاقامة عنده فحبسنى أياما كثيرة حتى استحثثت خروجى فلما أردت الانصراف قال لى من أهل بيت المملكة أنت قلت لا ولكنى رجل من العرب فى الجملة فهمس بشيء فدفعت الى رقعة وقيل لى اذا أديت الرسائل عند وصولك الى صاحبك أوصل اليه هذه الرقعة قال فأديت الرسائل عند وصولى الى عبد الملك ونسيت الرقعة فلما صرت فى بعض الدار اذ بدالت بالخروج تذكرتها فرجعت فأوصلتها اليه فلما قرأها قال لى أقال لك شيأ قبل أن يدفعها اليك قلت نعم قال لى من أهل بيت المملكة انت قلت لا ولكنى رجل من العرب فى الجملة ثم خرجت من عنده فلما بلغت الباب رددت فلما مثلت بين يديه قال لى اتدرى ما فى الرقعة قلت لا قال اقرأها فلما قرأتها فاذا فيها عجبت من قوم فيهم مثل هذا

القريب والبعيد وله في ذلك أخبار وفيه يقول الاديب أبو اسحق ابراهيم بن يعقوب الكانمي الاسود الشاعر المشهور

أزال حجابه عني وعيني * تراه من المهابة في حجاب
وقربني تفضله ولكن * بعدت مهابة عند اقترابي

وكثرت الفتوحات في أيامه وأول ما نظر فيه عند صيرورة الامر اليه بلاد الاندلس فنظر في شأنها ورتب مصالحها وقرر المقاتلين في مراكزهم ورجع الى كرسي مملكته مراكش المحروسة وفي سنة ٥٨٦ بلغه أن الافرنج ملكوا مدينة شلب وهي من غرب الاندلس فتوجه اليها بنفسه وحاصرها وأخذها وأنفذ في الوقت جيشا من الموحدين والعرب ففتح أربع مدن مما بأيدي الافرنج من البلاد التي كانوا أخذوها من المسلمين قبل ذلك بأربعين سنة وخافه صاحب طليطلة وسأله الهدنة والصلح فهادنه خمس سنين وعاد الى مراكش وأنشد القائد أبو عبد الله بن وزير الشلبي وهو من أمراء كتاب اشبيلية قصيدة يخاطب بها يعقوب المنصور فيما جرى في وقعة مع الفرنج كان الشلبي المذكور مقدما فيها

ولما تلاقينا جرى الطعن بيننا * فمنا ومنهم طائحون عديد
وجال غرار الهند فينا وفيهم * فمنا ومنهم قائم وحصيد
فلا صدر الا فيه صدر مثقف * وحول الوريد للحسام ورود
صبرنا ولا كهف سوى البيض والقنا * كلانا على حر الجلاد جليد
ولكن شددنا شدة فتبلدوا * ومن يتبلد لا يزال يحيد
فولوا وللسمر الطوال بهامهم * ركوع وللبيض الرقاق سجود

(رجع) الى أخبار المنصور بعد هدنة الافرنج ولما انقضت مدة الهدنة ولم يبق منها الا القليل خرج طائفة من الافرنج في جيش كثيف الى بلاد المسلمين فنهبوا وسبوا وعاثوا عيثا فظيعا فانتهى الخبر اليه فتجهز لقصدهم في جيوش موفرة وعساكر مكتبة واحتفل في ذلك وجاز الى الاندلس سنة ٥٩١ فعلم به الافرنج فجمعوا جمعا كثيرا من أقاصي بلادهم وأدانيها وأقبلوا نحوه وقيل انه لما أراد الجواز من مدينة سلا مرض مرضا شديدا ويئس منه أطباؤه فعاث الاذفونش في بلاد المسلمين بالاندلس وانتهز الفرصة وتفرقت جيوش المسلمين بسبب مرض السلطان فأرسل الاذفونش يتهدد ويتوعد ويرعد ويبرق وطلب بعض الحصون المتاخمة له من بلاد الاندلس وخلاصة الامر أن المنصور توجه بعد ذلك الى لقاء النصارى وتزاحف الفريقان فكان المصاف شمالي قرطبة على قرب قلعة رباح في يوم الخميس تاسع شعبان سنة ٥٩١ فكانت بينهم وقعة عظيمة استشهد فيها جمع كبير من المسلمين (وحكي) أن يعقوب المنصور جعل مكانه تحت الاعلام السلطانية الشيخ أبا يحيى ابن أبي حفص عم السلطان أبي زكريا الحفصي الذي ملك بعد ذلك افريقية وخطب له [illegible] الاندلس فقصد الافرنج الاعلام ظنا أن السلطان تحتها فأثر وافى المسلمين أثرا قبيحا [illegible] والسلطان يعقوب قد أشرف عليهم بعد كسر شوكتهم فهزمهم شر هزيمة وهرب [illegible] الى [illegible] طائفة يسيرة وهذه وقعة الارك الشهيرة الذكر (وحكي) أن الذي حصل [illegible]

كيف ملكوا ضيره فقلت له والله لو علمت ما حلتها وانما قال هذا لانه لم يرك قال أفتدري لم كتبها ٥٣٧ قلت لا قال حسدني عليك وأراد ان يغريني بقتلك قال فتأدى ذلك الى ملك الروم فقال ما أردت الا ما قال وذكر عند معاوية عبد الملك فقال هو آخذ بثلاث وتارك لثلاث آخذ بقلب الناس اذا حدث وبحسن الاستماع اذا حدث وبايسر الامرين اذا خولف تارك للمماراة تارك للغيبة تارك لما يعتذر منه وقال لعبد الملك بعض جلسائه يوما أريد الخلوة بك فلما خلا به قال له عبد الملك بشرط ثلاث خصال لا تطر نفسي عندك فانا أعلم بها منك ولا تغتب عندي أحدا فلست أسمع منك ولا تكذبني فلا رأي لمكذب قال أتأذن في الانصراف قال اذا شئت وذكر الهيثم وغيره من الاخباريين أن عبد الملك بلغه عن عامل من عماله أنه قبل الهدايا فاشخصه اليه فلما دخل عليه قال له أقبلت هدية منذ وليت قال يا أمير المؤمنين بلادك عامرة وخراجك موفور ورعيتك على أفضل حال قال أجب فيما سألتك عنه أقبلت هدية منذ وليتك قال نعم قال ان كنت قبلت ولم تعوض انك للئيم ولئن كنت أنلت مهديها من غير مالك أو استكفيته ما لم يكن مثله مستكفاه انك لخائن جائر وفيما أتيت أمر [illegible] الله تبارك [illegible]

لبيت المال من دروع الافرنج ستون الفا واما الدواب على اختلاف أنواعها فلم يحصر لها عدد ولم يسمع بعد وقعة الزلاقة بمثل وقعة الارك هذه وربما صرح بعض المؤرخين بأنها أعظم من وقعة الزلاقة وقيل ان فل الافرنج هربوا الى قلعة رباح فتحصنوا بها فحاصرها السلطان يعقوب حتى أخذها وكانت قبل للمسلمين فأخذها العدو فردت فى هذه المرة ثم حاصر طليطلة وقاتلها أشد قتال وقطع أشجارها وشن الغارات على ارجائها وأخذ من أعمالها حصونا وقتل رجالها وسبى حريمها وخرب منازلها وهدم أسوارها وترك الافرنج فى أسوإ حال ولم يبرز اليه أحد من المقاتلة ثم رجع الى اشبيلية وأقام الى سنة ٥٩٣ فعاد الى بلاد الافرنج وفعل فيها الافاعيل فلم يقدر العدو على لقائه وضاقت على الافرنج الارض بما رحبت فطلبوا الصلح فأجابهم اليه لما بلغه من ثورة الميرقى عليه بافريقية مع قراقوش مملوك بنى أيوب سلاطين مصر والشام ثم توفى السلطان يعقوب سنة ٥٩٥ وما يقال انه ساح فى الارض وتخلى عن الملك ووصل الى الشام ودفن بالبقاع لا أصل له وان حكى ابن خلكان بعضه وممن صرح ببطلان هذا القول الشريف الغرناطى فى شرح مقصورة حازم وقال ان ذلك من هذيان العامة لولوعهم بالسلطان المذكور ٭ وتولى بعده ولده محمد الناصر المشؤم على المسلمين وعلى جزيرة الاندلس بالخصوص فانه جمع جموعا اشتملت على ستمائة ألف مقاتل فيما حكاه صاحب الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية ودخله الاعجاب بكثرة من معه من الجيوش فصادف الافرنج فكانت عليه وعلى المسلمين وقعة العقاب المشهورة التى خلا بسببها أكثر المغرب واستولى الافرنج على أكثر الاندلس بعدها ولم ينج من الستمائة ألف مقاتل غير عدد يسير جدا لم يبلغ الالف فيما قيل وهذه الوقعة هى الطامة على الاندلس بل المغرب جميعا وما ذاك الا لسوء التدبير فان رجال الاندلس العارفين بقتال الافرنج استخف بهم الناصر ووزيره فشنق بعضهم ففسدت النيات فكان ذلك من بخت الافرنج والله غالب على أمره وكانت وقعة العقاب هذه المشؤمة سنة ٦٠٩ ولم تقم بعدها للمسلمين قائمة تحمد ٭ ولما مات الناصر سنة عشرين وستمائة ولى بعده ابنه يوسف المستنصر وكان مولعا بالراحة فضعفت الدولة فى أيامه ٭ وتوفى سنة ٦٢٠ فتولى عم أبيه عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن فلم يحسن التدبير وكان اذ ذاك بالاندلس العادل بن المنصور فرأى أنه أحق بالامر فاستولى على ما بقى فى أيدى المسلمين من الاندلس بغير كلفة ولما خلع عبد الواحد وخنق بمراكش ثارت الافرنج على العادل بالاندلس وتصاف معهم فانهزم ومن معه من المسلمين هزيمة شنعاء فكانت الاندلس قرحا على قرح فهرب العادل وركب البحر يروم مراكش وترك باشبيلية أخاه أبا العلاء ادريس ودخل العادل مراكش بعد خطوب ثم قبض عليه الموحدون و[illegible] يحيى بن الناصر صغير السن غير مجرب للامور فادعى حينئذ الخلافة أبو العلاء ادريس باشبيلية وبايعه أهل الاندلس ثم بايعه أهل مراكش وهو مقيم بالاندلس فثار على أبى العلاء بالاندلس الامير المتوكل محمد بن يوسف الجذامى ودعا الى بنى العباس فمال الناس اليه ورجعوا عن أبى العلاء فخرج عن الاندلس أعنى أبا العلاء وترك ماوراء البحر لابن هود ولم يزل أبو العلاء يحاربه يحيى بن الناصر الى ان قتل يحيى وصفا الامر لابى

العلاء

لاتخلو فيه من دناءة أو خيانة أو جهل مصطنع وأمر يصرفه عن عمله (حدث) المغربى عن الضبى قال قال الوليد بن اسحق قال قال ابن عباس كانت عاتكة بنت يزيد بن معاوية وأمها أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر تحت عبد الملك بن مروان فغضبت عليه فطلب رضاها بكل شئ فأبت عليه وكانت أحب الناس اليه فشكا ذلك الى خاصته فقال له عمرو بن بلال رجل من بنى أسد كان قد تزوج بنت زنباع الجذامى مالى عليك ان أرضيتها قال أحكمك فخرج وجلس ببابها يبكى فقالت خاصتها مالك أبا حفص قال فزعت الى ابنة عمى فاستأذنوا لى عليها فأذنت له وبينهما ستر فقال قد عرفت حالى مع أمراء المؤمنين معاوية ويزيد ومروان وعبد الملك ولم يكن لى غير ابنين فعدا أحدهما على الآخر فقتله فقال أمير المؤمنين انا قاتل المتعدى قلت له انا ولى الدم وقد عفوت فأبى على وقال ما أحب أن أعود و[illegible] هذا وهو قاتله [illegible] الله الا ما طلبته منه فقالت لا أكلمه قال ما أظنك تكسبين شيأ هو أفضل من احياء نفس ولم يزل خواصها وخدمها وحاشيتها حتى قالت على بثيابى فلبست وكان بينها وبين عبد الملك باب وكانت قد

العلاء بالمغرب دون الاندلس ثم مات سنة ٦٣٠ * و بويع ابنه الرشيد وبايعه بعض أهل الاندلس ثم توفي سنة ٦٤٠ * وولي بعده أخوه السعيد وقتل على حصن بينه وبين تلمسان سنة ٦٤٦ * وولي بعده المرتضى عمر بن ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن وفي سنة ٦٦٥ دخل عليه الواثق المعروف بابي دبوس ففر ثم قبض وسيق الى الواثق فقتله ثم قتل الواثق بنو مرين سنة ٦٦٨ وبه انقرضت دولة بني عبد المؤمن وكانت من أعظم الدول الاسلامية فاستولى بنو مرين على المغرب وأما المتوكل بن هود فملك معظم الاندلس ثم كثرت عليه الخوارج قريب موته وقتله غدرا وزيره ابن الرميمي بالمرية واغتنم الافرنج الفرصة بافتراق الكلمة فاستولوا على كثير مما بقي بايدي المسلمين من البلاد والحصون ثم آل الامر الى أن ملك بنو الاحمر وخطب ببعض الاندلس لابي زكريا الحفصي صاحب افريقية وقد سبق الكلام على أكثر المذكور هنا وأعدناه لتناسق الحديث ولما في بعضه من زيادة الفائدة على البعض الآخر وذلك لايخفى على المتأمل وقد بسطنا في الباب الثالث أحوال ابن هود وابن الاحمر وغيرهما رحم الله تعالى الجميع * ثم استفحل ملك يعقوب بن عبد الحق صاحب المغرب وحضرة ملك فاس فانتصر به أهل الاندلس على الافرنج الذين تكالبوا عليهم فاجتاز الى الاندلس وهزم الافرنج أشد هزيمة حتى قال بعضهم ما نصر المسلمون من العقاب حتى دخل يعقوب المريني وقتل في بعض غزواته علجا من النصارى يقال له ذونند ويقال انه قتل من جيشه أربعين ألفا وهزمهم اشد هزيمة ثم تتابعت غزواته بالاندلس وجوازه للجهاد وكان له من بلاد الاندلس رندة والجزيرة الخضراء وطريف وجبل طارق وغير ذلك وأعز الله تعالى به الدين بعد تمرد الفرنج المعتدين * ولما مات ولي بعده ابنه يوسف بن يعقوب ففر اليه الاذفونش ملك النصارى لائذا به وقبل يده ورهن عنده تاجه فأعانه على استرجاع ملكه ولم يزل ملوك بني مرين يعينون أهل الاندلس بالمال والرجال وتركوا منهم حصة معتبرة من أقارب السلطان بالاندلس غزاة فكانت لهم وقائع في العدو مذكورة ومواقف مشهورة وكان عند ابن الاحمر منهم جماعة بغرناطة وعليهم رئيس من بيت ملك بني مرين يسمونه شيخ الغزاة (ولما) أفضى الملك الى السلطان الكبير الشهير أبي الحسن المريني وخلص له المغرب وبعض بلاد الاندلس أمر بانشاء الاساطيل الكثيرة برسم الجهاد بالاندلس واهتم بذلك غاية الاهتمام فقضى الله تعالى أن استولى الافرنج على كثير من تلك المراكب بعد أخذهم الجزيرة الخضراء وكان الافرنج جمعوا جموعا كثيرة برسم الاستيلاء على ما بقي للمسلمين بالاندلس فاستنفر أهل الاندلس السلطان أبا الحسن المذكور فجاء بنفسه الى سبتة فرضة المجاز وحل أساطيل المسلمين فاذا بالافرنج جاؤا بالسفن التي لاتحصى ومنعوه العبور وأعانه أهل الاندلس حتى استولوا على الجزيرة الخضراء وأنكوه في مراكبه أعظم نكاية ولله الامر وقد أفصح عن ذلك كتاب صدر من السلطان أبي الحسن المذكور الى سلطان مصر والشام والحجاز الملك الصالح ابن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحي الالفي رحم الله تعالى الجميع وهذه نسخة الكتاب المذكور الذي خاطبه به أمير المسلمين السلطان أبو الحسن المريني المذكور ملك المغرب رحمه الله تعالى السلطان الملك

ردمته فقارت بفحه ثم دخلت ثم أقبل الخصي يشتد فقال يا أمير المؤمنين هذه عاتكة قال ويلك ورأيتها قال نعم اذ طلعت وعبد الملك على سريره فسلمت فسكت فقالت أما والله لولا مكان عمرو بن بلال ما أتيتك آالله أن عدا أحدابنيه على الآخر فقتله وهو ولي الدم وقد عفا أعزمت لتقتلنه قال اي والله وهو راغم فأخذت بيده فاعرض عنها فاخذت برجله فقبلتها فقال هو لك وتراضيا بعد أن نكعها ثلاثا وراح عبد الملك فجلس مجلسه للعامة فدخل عمرو بن بلال فقال له يا أبا حفص ألطفت الحيلة في القيادة ولك الحكم فقال يا أمير المؤمنين ألف دينار ومزرعة بما فيها من الآلات والرقيق قال هي لك قال وفرائض لولدي وأهل بيتي قال وذلك كله وبلغ عاتكة الخبر فقالت ويلي على القواد انما خدعني وكتب عبد الملك الى الحجاج أن صف لي الفتنة فكتب اليه ان الفتنة تستن بالنجوى وتخص بالشكوى وتنتج بالخطب فكتب اليه انك قد أصبت وأحسنت الصفة فان أردت أن يستقيم لك من قبلك فخذهم بالجماعة وأعطهم عطاء الفرقة وألصق بهم الحاجة (وحدثنا) المنقري قال حدثنا أبو الوليد الصباح بن الوليد قال حدثنا أبو رياش عتبة بن نجامسة عن

مقلس بن سابق الدمشقي ثم السكسكي أن عبد الملك لما بلغه خلع ابن الاشعث صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم
قال ان أهل العراق
استعجلوا قدري قبل
انقضاء أجلي اللهم
لا تسلطنا على من هو خير
منا ولا تسلط علينا من
نحن خير منه اللهم سلط
سيف أهل الشام على أهل
العراق حتى يبلغ رضاك
فاذا بلغه فلا تجاوز سخطك
وكتب عبد الملك الى الحجاج
أنت سالم فلم يعرف ما أراد
بذلك فكتب الى قتيبة
يسأله عن ذلك وبعث
الكتاب مع رسول فلما
ورد الى [illegible] ناوله
[illegible] رسول
فعل واستحيا فقرأ قتيبة
وأراد أن يقول له اقعد
فقال اضرط قال قد فعلت
فاستحيا قتيبة وقال ما أردت
الا أن أقول لك اقعد
فغلطت فقال قد غلطت أنا
وغلطت أنت قال قتيبة
ولا سواء أغلط أنا من فمي
وتغلط أنت من استك أعلم
أمير المؤمنين أن سالما
كان لعبد الرجل وكان
عنده أسرا وكان يسعى به
[illegible]
[illegible]
وجلدة بين العين والانف
سالم
فأراد عبد الملك انك عندي
بمنزلة سالم فلما أتى الحجاج
بالرسالة كتب له عهدا على خراسان وقد حكى نحو هذا الخبر عن رجل كان في مجلس خالد بن عبد الله ونبه

الصالح ابن السلطان الملك الشهير الكبير الناصر محمد بن قلاوون ووصل الى مصر في النصف
وقيل في العشر الاواخر من شعبان المكرم سنة ٧٤٥ بعد البسملة والصلاة من عند أمير
المسلمين المجاهد في سبيل الله رب العالمين المنصور بفضل الله المتوكل عليه المعتمد في
جميع أموره لديه سلطان البرين حامي العدوتين مؤثر المرابطة والمثاغره موازر حزب
الاسلام حق الموازره ناصر الاسلام مظاهر دين الملك العلام ابن مولانا امير المسلمين
المجاهد في سبيل رب العالمين فخر السلاطين حامي حوزة الدين ملك البرين امام
العدوتين ممهد البلاد مبدد شمل الاعاد مجند الجنود للنصور الرايات والبنود محط
الرحال مبلغ الآمال أبي سعيد ابن مولانا امير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين
حسنة الايام حسام الاسلام أبي الاملاك مشجي أهل العناد والاشراك مانع البلاد
رافع علم الجهاد مدوخ أقطار الكفار مصرخ من ناداه للانتصار القائم لله باعلاء دين
الحق أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق أخلص الله لوجهه جهاده ويسر في قهر عداة
الدين مراده الى محل ولدنا الذي طلع في أفق العلا بدرا تما وصدع بانواع الفخار ظلاما
وظلما وجمع شمل المملكة الناصرية فاعلى منها أعلاما واحيا لها رسما حائط الحرمين
القائم بحفظ القبلتين باسط الامان قابض كف العدوان الجزيل النوال الكفيل
تأمينه بحياطة النفوس والاموال قطب المجد وسماكه حسب المجد وملاكه السلطان
الجليل الرفيع الاصيل الحافل العادل الفاضل الكامل الشهير الخطير الاضخم
الافخم المعان المؤزر المؤيد المظفر الملك الصالح أبو الوليد اسمعيل ابن محل أخينا الشهير
علاؤه المستطير في الآفاق ثناؤه زين الايام والليال كمال عين انسان المجد وانسان عين
الكمال وارث الدول النافث بصحيح رأيه في عقود أهل الملل والنحل حامي القبلتين بعدله
وحسامه النامي في حفظ الحرمين أجر اضطلاعه بذلك وقيامه هازم احزاب المعاندين
وجيوشها هادم الكنائس والبيع فهي خاوية على عروشها السلطان الاجل الهمام
الاحفل الافخم الاضخم الفاضل العادل الشهير الكبير الرفيع الخطير المجاهد المرابط
المقسط عدله في الجائر والقاسط المؤيد المظفر المنعم المقدس المطهر زين السلاطين ناصر
الدنيا والدين أبي المعالي محمد ابن الملك الارضى الهمام الامضى والد السلاطين
الاخيار عاقد لواء النصر في قهر الارمن والفرنج والتتار محيي رسوم الجهاد معلي كلمة
الاسلام في البلاد جمال الايام ثمال الاسلام فاتح الاقاليم صالح ملوك عصره المتقادم
الامام المؤيد المنصور المسدد قسيم أمير المؤمنين فيما تقلد الملك المنصور سيف الدنيا
والدين قلاوون مكن الله له تمكين أوليائه ونمى دولته التي أطلع لها السعد شمسا في
سمائه واحسن ايزاعه للشكر أن جعله وارث آبائه سلام كريم يفاوح زهر الربا سراه
ويناقع نسيم الصبا مجراه يصحبه رضوان يدوم مادامت تقل الفلك حركاته ويتولاه
روح وريحان تحييه به رحمة الله وبركاته (أما بعد) حمد الله مالك الملك جاعل
العاقبة للتقوى صدعا باليقين ودفعا للشك وخاذل من أسرف في النفاق الغوي فاصر على
النكث والافك والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله الذي محا بانوار الهدى ظلم الشرك

ونبيه الذي ختم به الانبياء وهو واسطة ذلك السلك ودحا به حجة الحق فبادت بالدائرة مجهولة الافلاك وماجت بهم حاملة الفلك والرضا عن آله وصحبه الذين سلكوا سبيل هداه فسلك في قلوبهم أجل السلك وملكوا أعنة هواهم فلزموا من محجة الصواب أنجح السلك وصابروا في جهاد الاعداء فزاد خلوصهم مع الابتلاء والذهب يزيد خلوصا على السبك والدعاء لأولياء الاسلام وحماته الاعلام بنصر لمضائه في العدا أعظم الفتك ويسر بقضائه درك آمال الظهور وأحفل بذلك الدرك فكتبناه اليكم كتب الله لكم رسوخ القدم وسبوغ النعم من حضرتنا بمدينة فاس المحروسة وصنع الله سبحانه يعرف مذاهب الطاف ويكيف مواهب تلهج الالسنة في القصور عن شكرها بالاعتراف ويصرف ن أمره العظيم وقضائه المتلقى بالتسليم ما يتكون بين النون والكاف ومكانكم شد سلطانه وسلطانكم المجيد مكانه وولاؤكم الصحيح برهانه وعلاؤكم الفسيح في مجال الال ميدانه والى هذا زاد الله سلطانكم تمكينا وأفاد مقامكم تحصينا وتحسينا وسلك بكم ن سنن من خلفتموه سبيلا مبينا فلا خفاء بما كانت عقدته أيدي التقوى ومهدته ساثل التي على الصفاء تطوى بيننا وبين والدكم نعم الله روحه وقدسه وبقربه مع الابرار علين آنسه من مواخاة احكمت منها العهود تالية الكتب والفاتحة وحفظ عليها كم الاخلاص معوذتاها المحبة والنية الصالحه فانعقدت على التقوى والرضوان واعتضدت ارف الارواح عند تنازح الابدان حتى استحكمت وصلة الولاء والتأمت كلمة نسب لحمة الاخاء فما كان الا وشيكا من الزمان ولا عجب قصر زمن الوصلة أن يشكوه فلان وردوارد أورد رنق المشارب وحقق قول من يسأل الركبان عن كل غائب أنبا تئثا رالله تعالى بنفسه الزكيه واكنان درته السنيه وانقلابه الى ما أعدله من ازل الرضوانيه بحليل ماوقر افتقده في الصدور وعظيم ما تأثرت له النفوس لوقوع ث المقدور حناما للاسلام بتلك الاقطار واشفاقا من أن يعتور قاصدي بيت الله الحرام جراء الفتن عارض الاضرار ومساهمة في مصاب الملك الكريم والولي الحميم ثم عميت خبار وطويت على السجل الا ~ ثار فلم نر مخبرا صدقا ولا علما عن استقرله ذلكم الملك نا وفي أثناء ذلك حفزنا للعركة عن حضرتنا استصراخ أهل الاندلس وسلطانها وتواتر خبار بان النصارى أجمعوا على خراب أوطانها ونحن اثناء ذلكم الشان نستخبر الوراد تلكم البلدان عما أجلى عنه ليل الفتن بتلكم الاوطان فبعد لأي وقعنا منها على ير وجاءنا بوقاية حرم الله بكم البشير وتعرفنا أن الملك استقر منكم في نصابه وتداركه تعالى منكم بفاتح الخير من أبوابه فاطفأ بكم نار الفتنة وأخمدها وأرأمن أدواء النفاق ل البلاد وأفسدها فقام سبيل الحج سابلا وتعبر طريقه لمن جاء قاصدا وقافلا ولما ت بهذا الخبر القرائن وتواتر بنقل الحاضر المعاين آثار حفظ الاعتقاد البواعث الصحيح تجر محققا الموارث فاصدرنا لكم هذه المخاطبة المتفننة الاطوار الجامعة بين الاستبشار الملبس العزاء والهناء ثوبي الشعار والدثار ومثل ذلكم الملك رضوان عليه من تحمل المصائب لفقدانه وتحل عرا الاصطبار بموته ولا تستبين أوانه لكن الصبر

القسري فضرط فلما حضر الغداء قام ذلك الرجل فقال له خالد اقعد فأبى فقال أقسمت عليك لتضرطن قال قد ضرطت فجعل خالد واعتذر اليه وأمر له بمال وأهدى الى عبد الملك أترنسة مكللة بالدر والياقوت فاعجبته وعنده جماعة من خاصته وأهل خلوته فقال لرجل من جلسائه اسمه خالد اغمز منها ترسا وأراد ان يمتحن صلابته فقام فغمزه فضرط فاستضحك عبد الملك فضحك جلساؤه فقال كم دية الضرطة فقال بعضهم اربعمائة درهم وقطيفة فأمر له بذلك فأنشأ يقول رجل من القوم

أيضرط خالد من غمز ترس
ويحبوه الامير بها ايدورا
فيالك ضرطة جلبت غناه
ويالك ضرطة أغنت فقيرا
يود الناس لو ضرطوا فنالوا
من المال الذي أعطى عشيرا
ولو نعلم بان الضرط يغني
ضرطنا أصلح الله الاميرا

فقال عبد الملك أعطوه اربعة آلاف درهم ولا حاجة لنا في ضراطك (وحدث) أحمد بن سعيد الدمشقي والطوسي وغيرهما في كتاب الاخبار المعروف بالموفقيات عن الزبير بن بكار قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن يزيد بن عتبة بن ابي لهب قال حج عبد الملك في بعض اعوامه فامر للناس بالعطاء فخرجت بدرة مكتوب عليها من

أجل ما ارتداه ذو عقل حصين والاجر أولى ما اقتناه ذو دين متين ومثلكم من لا يخف وقاره ولا يشف عن ظهور الجزع الحادث اصطباره ومن خلفكم فما مات ذكره ومن قام بأمره فما زال بل زاد فخره وقد طالت والحمد لله العيشة الراضية بالعقب وطاب بين مبداه ومحتضره هنيأ عام من الاجر اكتسب وصار حميدا الى خير المنقلب ووفد من كرم الله على أفضل ما منح موفقا ووهب فقد ارتضاكم الله بعده لحياطة أرضه المقدسة وحماية زوار بيته مقبلة أو معرسة ونحن بعد بسط هذه التعزيه نهنكم بما خولكم الله أجل التهنية وفي ذات الله الايراد والاصدار وفي مرضاته سبحانه الاضمار والاظهار فاستقبلوا دولة التي العز عليها رواقه وعقد الظهور عليها نطاقه وأعطاها أمان الزمان عقده وميثاقه ونحن على ما عاهدنا عليه الملك الناصر رضوان الله عليه من عهود موثقه ومولاة محققه وثناء كائعة عن أذكى من الزهر غب القطر مفتقه ولم يغب عنكم ما كان من بعثنا المصحفين الاكرمين اللذين خطتهما منا اليمين وأوتيهما الرغبة من الحرمين الشريفين الى قرار مكين وانه كان لوالدكم الملك الناصر تولاه الله برضوانه وأورده موارد احسانه في ذلكم من الفعل الجميل والصنع الجليل ما ناسب مكانه الرفيع وشاكلة فضله من البر الذي لا يضيع حتى طبق فعله الآفاق ذكرا وطوق أعناق الوراد والقصاد برا وكان من أجل ما به تحفى وأتحف وأعظم ما بعرفه الى رضا الملك العلام في ذلك تعرف اذنه للمتوجهين اذ ذاك في شراء رباع توقف على المصحفين ورسم المراسم المباركة بتحرير ذلك الوقف مع اختلاف الجديدين فجرت أحوال القراء فيهما بذلك الخراج المستفاد ربما يصلحهم من خراج ما وقفناه عليهم بهذه البلاد على ما رسمه رحمة الله عليه من عناية بهم متصله واحترام في تلك الاوقاف فوائدها به متوفرة متحصله وقد أمرنا مؤدى هذا الكتاب لكم وموفده على جلالكم كاتبنا الاسنى الفقيه الاجل الاحظى الاكمل أبا المجد ابن كاتبنا الشيخ الفقيه الاجل الحاج الاتقى الارضى الافضل الاحظى الاكمل المرحوم ابى عبد الله بن ابى مدين حفظ الله عليه رتبته ويسر في قصد البيت الحرام بغيته بأن يتفقد احوال تلك الاوقاف ويتعرف تصرف الناظر عليها وما فعله من سداد واسراف وان يتخير لها من يرتضى لذلك ويحمد تصرفه فيما هنالك وخاطبنا سلطانكم في هذا الشان جريا على الود الثابت الاركان واعلاما بما لوالدكم رحمه الله تعالى في ذلك من الافعال الحسان وكمالكم يقتضى تخليد ذلكم البر الجميل وتجديد عمل ذلكم الملك الجليل وتشييد ما اشتمل عليه من الشراء الاصيل والاجر الجزيل والتقدم بالاذن السلطاني في اعانة هذا الوافد بهذا الكتاب على ما يتوخاه في ذلك الشان من طرق الصواب وثناؤنا عليكم الثناء الذي يفاوح زهر الربا ويطارح نغم حمام الايك مطربا ويحسب المصافاه ومقتضى الموالاه نشرح لكم المتزايدات بهذه الجهات وننبئكم بموجب ابطاء انفاذ هذا الخطاب على ذلكم الجناب وذلك انه لما وصلنا من الاندلس الصريخ ونادى منادى الجهاد عز المتسل نداته يصيخ أنبأنا أن الكفار قد جمعوا احزابهم من كل صوب وحتم عليهم باباهم اللعين التناصر من كل أوب وأن تقصد طوائفهم البلاد الاندلسية باجحافها وتنقص بالمنازلة أرضها من أطرافها

قريش مثلنا ومثلكم أن أخوين في الجاهلية خرجا مسافرين فنزلا في ظل شجرة تحت صفاة فلما دنا الرواح خرجت اليهما من تحت الصفاة حية تحمل دينارا فألقته اليهما فقالا ان هذا لمن كنز فأقاما عليها ثلاثة أيام كل يوم تخرج اليهما دينارا فقال أحدهما لصاحبه الى متى ننتظر هذه الحية ألا نقتلها ونحفر هذا الكنز فنأخذه فنهاه [illegible]

[illegible]

ورصد الحية حتى خرجت فضربها ضربة جرحت [illegible] فثارت [illegible] ورجعت الى جحرها [illegible] فدفنه وأقام حتى اذا كان من الغد خرجت الحية معصوبا رأسها ليس معها شيء فقال لها يا هذه اني والله ما رضيت ما أصابك ولقد نهيت أخي عن ذلك فهل لك أن تجعلي [illegible]

قال ولم ذلك قالت اني لأعلم أن نفسك لا تطيب لي أبدا وأنت ترى قبر أخيك ونفسي لا تطيب لك أبدا وأنا أذكر هذه الشجة وأنشدهم شعر النابغة

ليمسوا

لجمعوا كلمة الاسلام منها و يقلصوا ظل الايمان عنها فقدمنا من يشتغل بالاساطيل من
القواد وسرنا على اثرهم الى سبتة منتهى الغرب الاقصى وباب الجهاد فاوزلناها
الا وقد أخذه العدو الكفور وسدت أجفان الطواغيت على التعاون مجازا لعبوره
من أجفانهم ما لا يحصى عددا وأرصدوها بجمع البحر حيث المجاز الى دفع العدا
وتقلصوا عن الانبساط فى البلاد واجتمعوا الى الجزيرة الخضراء أعادها الله بكل
من جمعوه من الاعاد لكنا مع انسداد تلك السبيل وعدم أمور نستعين بها فى ذلكم
العمل الجليل حاولنا امداد تلكم البلاد بحسب الجهد وأصرخناهم بمن أمكن من الجند
وجهزنا أجفانا مختلسين فرصة الاجازة تتردد على خطر بمن جهز للجهاد جهازه وأمرنا لصاحب
الاندلس من المال بما يجهز به حركته لمداناة محلة حزب الضلال وأجرينا له ولجيشه العطاء
الجزل مشاهرة وأرضخنا لهم فى النوال ما نرجو به ثواب الآخرة وجعلت أجفاننا تتردد
فى مينا السواحل وتلج أبواب الخوف العاجل لاحراز الامن الآجل مشحونة بالعدد
الموفورة والابطال المشهورة والخيل المسومة والاقوات المقومة فمن ناج حارب دونه
الاجل وشهيد مضى لما عند الله عز وجل ومازالت الاجفان تتردد على ذلك الخطر
حتى تلف منها سبع وستون قطعة غزوية أجرها عند الله يدخر ثم لم نقنع بهذا العمل فى
الامداد فبعثنا أحد أولادنا أسعدهم الله تعالى مساهمة به لاهل تلك البلاد فلقى من هول
البحر وارتجاجه والحاح العدو ولجاجه ما به الامثال تضرب وبمثله يحدث ويستغرب
ولما خلص لتلك العدوة بن أبقته الشدائد نزل بازاء الكافر الجاحد حتى كان منه
بفرسخين أو أدنى وقد ضرب بعطن يصابح العدو و يماسيه بحرب بها يفنى وقد كان من
مددنا بالجزيرة جيش شريت شرارته وقويت فى الحرب ادارته يبلون البلاء الاصدق
ولا يبالون بالعدو وهم منه كالشامة البيضاء فى البعير الاورق الا ان المطاولة بحصرها
فى البحر مدة ثلاثة أعوام ونصف ومنازلتها فى البر نحو عامين معقودا عليها الصف بالصف
أدى الى فناء الاقوات فى البلد حتى لم يبق لاهله قوت شهر مع انقطاع المدد وبه من الخلق
ما يربى على عشرة آلاف دون الحرم والولد فكتب الينا سلطان الاندلس يرغب فى الاذن
له فى عقد الصلح ووقع الاتفاق على انه لاستخلاص المسلمين من وجوه التبع فاذنا له فيه
الاذن العام ادفى اصراخه واصراخ من بقطره من المسلمين توخينا ذلك المرام هنالك
دعى النصارى الى السلم فاستجابوا وقد كانوا علموا افناء القوت وما اشترابوا فتم الصلح الى
عشر سنين وخرج من بها من فرسان ورجال وأهل و بنين ولم يرزؤا مالا ولا عدة ولا لقوا
فى خروجهم غير الخروج عن أول أرض مس الجلد ترابها شده ووصلوا الينا فاجزلنا لهم العطاء
وأسلينا هم عما جرى بالحباء فمن خيل تزيد على الالف عتاقها وخلع تربى على عشرة آلاف
أطواقها وأموال عمت الغنى والفقير ورعاية شملت الجميع بالعيش النضير وكف الله
ضرا لطواغيت عما عداها وما انقلبوا بغير مدرة عفا رسمها وصم صداها وقد كان من لطف
الله حين قضى باخذ هذا الثغر أن قدر لنا فتح جبل طارق من أيدى الكفر وهو المطل
على هذه المدرة والفرصة منها ان شاء الله تعالى متيسره حتى يفرق عقد الكفار ويفرج

فقالت أرى قبر امرأ مقابلى ووضربه فأس فوق رأسى فاغره فيا معشر قريش وليكم
عمر بن الخطاب فكان فظا
غليظا مضيقا عليكم فسمعتم
له وأطعتم ثم وليكم عثمان
فكان سهلا فعدوتم عليه
فقتلتموه و بعثنا عليكم
مسلما يوم الحرة فقتلنا كم
فنحن نعلم يا معشر قريش
أنكم لا تحبوننا أبدا وأنتم
تذكرون يوم الحرة ونحن
لا نحبكم أبدا ونحن نذكر
قتل عثمان (وحدث)
المدينى وابن دأب أن
روح بن زنباع جليس
عبد الملك رأى منه اعراضا
وجفوة فقال للوليد بن
عبد الملك أما ترى ما أنا فيه
من أمير المؤمنين باعراضه
عنى بوجهه حتى لقد فغرت
السباع بأفواهها نحوى
وأهوت بها اليها الى وجهى
فقال له الوليد احتل له فى
حديث تضحكه به كما
احتال مرزبان نديم سابور
ابن ملك فارس قال روح
وما كان من خبره مع الملك
قال الوليد كان مرزبان هذا
من سمار سابور فظهرت
له من سابور جفوة فلما علم
ذلك تعلم نباح الكلاب
وعى الذئاب ونهيق الحمير
وزقاء الديوك وشحيج البغل
وصهيل الخيل ومثل هذا
ثم توصل الى موضع يقرب
من مجلس خلوة الملك
وفراشه وأخفى أثره فلما خلا الملك نبح نباح الكلاب فلم يشك الملك أنه كلب فقال الملك ما هذا فعوى عى الذئاب فنزل

بهذه الجهة منهم بحا وروهذه الاقطار فلولا احلابهم من كل جانب و كونهم سدوا مسالك
العبور عما لجيهم من الاجفان والمراكب لما بالينا باصعاقهم ولحللنا بعون الله عقد
اتفاقهم ولكن للموانع أحكام ولا رادالما يرد به الاقلام وقد أمرنا لذلك الثغر بمزيد المدد
وتخسيرنا له ولسائر تلك البلاد العدد والعدد وعدنا لحضرتنا فاس لنستريح الجيوش من
وعثاء السفر وترتبط الجياد وتنتخب العدد لوقت الظهور والمنتظر وتكون على أهبة
الجهاد وعلى مرقبة الفرصة عند تمكنها في الاعاد وعند عودنا من تلك المحاولة تيسر
الركب الحجازي موجها الى هنالكم رواحله فاصدرنا اليكم هذا الخطاب اصدار الود
الخالص والحب اللباب وعندنا لكم ما عند أحنى الآباء واعتقادنا فيكم في ذات الله لا يخشى
جديده من البلاء ومالكم من غرض بهذه الانحاء فوفق قصده على أكمل الاهواء موالى
تعيمه على أجل الآراء والبلاد باتحاد الود متحده والقلوب والايدي على ما فيه مرضاة الله
عز وجل منعقده جعل الله ذلكم خالصا لرب العباد مذخورا ليوم التناد مسطورا في
الاعمال الصالحة يوم المعاد بمنه وفضله وهو سبحانه يصل لكم سعدا تتفاخر به سعود
الكواكب وتتضافر على الانقياد له صدور المواكب وتتقاصر عن نيل مجده متطاولات
المناكب والسلام الاتم يخصكم كثيرا أثيرا ورحمة الله وبركاته وكتب في يوم الخميس
السادس والعشرين لشهر صفر المبارك من عام خمسة وأربعين وسبعمائة وصورة العلامة
وكتب في التاريخ المؤرخ ٭ ونسخة الجواب عن ذلك من انشاء خليل الصفدي شارح لامية
العجم في سادس شهر رمضان سنة خمس وأربعين وسبعمائة بعد البسملة في قطع النصف بقلم
الثلث عبد الله ووليه صورة العلامة ولده اسمعيل بن محمد السلطان الملك الصالح السيد
العالم العادل المؤيد المجاهد المرابط المظفر المنصور عماد الدنيا والدين سلطان الاسلام
والمسلمين محيي العدل في العالمين منصف المظلومين من الظالمين وارث الملك ملك
العرب والعجم والترك فاتح الاقطار واهب الممالك والامصار اسكندر الزمان مملك
أصحاب المنابر والاسرة والتخوت والتيجان ظل الله في أرضه القائم بسنته وفرضه مالك
البحرين خادم الحرمين الشريفين سيد الملوك والسلاطين جامع كلمة الموحدين ولي
أمير المؤمنين أبو الفداء اسمعيل ابن السلطان الشهيد السعيد الملك الناصر ناصر الدنيا
والدين أبي الفتح محمد ابن السلطان الشهيد السعيد الملك المنصور سيف الدنيا والدين
قلاوون خلد الله تعالى سلطانه وجعل الملائكة أنصاره وأعوانه يخص المقام العالي
الملك الاجل الكبير المجاهد المؤيد المرابط المثاغر المعظم المكرم المظفر المعمر الاسعد الاصعد
الاوحد الامجد الانجد السني السري المنصور أبا الحسن علي ابن أمير المسلمين أبي يوسف
يعقوب بن عبد الحق أمده الله بالظفر وقرن عزمه بالتأييد في الآصال والبكر سلام
وشت البروق وشائعه وادخرت الكواكب ودائعه واستوعب الزمان ماضيه ومستقبله
ومضارعه وثناء اتخذ النفحات المسكية طلائعه ونبه للتغريد في الروض سواجعه وجلى
في كاسه من الشفق الخمر مدامه ومن النجوم فواقعه أما بعد حمد الله على نعم أدت لنا
الامانة في عود سلطنة والدنا الموروثة وأجلستنا على سرير مملكة زرابيها بين النجوم مبثوثة

الملك عن شربه فتق نهيق الحمير فمضى الملك هاربا ومضى الغلمان يتبعون الصوت فكلما دنوا منه ترك ذلك
الصوت وأحدث صوتا
آخر من أصوات البهائم
فاجمعوا عنه ثم اجتمعوا
فاقتحموا عليه فأخرجوه
فلما نظروا اليه قالوا الا لك
هذا مرزبان المفضل فضحك
الملك ضحكا شديدا وقال
له ويلك ما حملك على هذا
قال ان الله مسخني كلبا
وحمارا وكل خلق لما
غضبت على قام الملك
بالخلع عليه ورده الى مرتبته
التي كان فيها وتجدد للملك
به سرور

عبد الله بن عمر هل كان
يمزح أو يسمع المزاح قال
عمر
ولا

بعدم الوليد وسبقه بالدخول
فتبعه روح فلما اطمأن
بهما مجلس عبد الملك قال
الوليد يا أبا زرعة هل كان ابن
عمر يمزح أو يسمع المزاح
قال روح حدثني ابن أبي
عتيق ان امرأته عاتكة بنت

ذهب الاله بما تعيش به
وقمرت عشك أيما قمر
أنفقت مالك غير محتشم
في كل زانية وفي خمر
وكان ابن أبي عتيق صاحب غزل وفكاهة فأخذ هذين البيتين في رقعة وخرج فاذا هو بابن عمر فقال وأحسنت

وأحسنت بها الخلف عن سلف معهود في الاعناق غير منكورة ولا منكوثة وصلاته على سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه الذين بلغ جهادهم في الكفرة غاية أمله وسوله صلاة تحط بالرضوان سيولها وتجر بالغفران ذيولها ما تراسل أصحاب وتواصل أحباب ويوضح للعلم الكريم ورود كتابكم العظيم وخطابكم الفائق على الدر النظيم تفاخر الخمائل سطوره ويصبغ خد الورد بالخجل منثوره ويحكي الرياض اليانعة فالالفات غصونه والهمزات عليها طيوره ويخلع على الآفاق حلل الايام والليالي فالطرس صباحه والنقس ديجوره لفظه يطرب ومعناه يعرب فيغرب وبلاغته تدل على أنه آية لان شمس بيانها طلعت من المغرب فاتخذنا سطوره ريحانا ورجعنا ألفاظه ألحانا ورجعنا الى الجد فشبهنا ألفاته بظلال الرماح وورقه بصقال الصفاح وحروفه المفرقة بافواه الجراح وسطوره المنتظمة بالفرسان المزدحمة في يوم الكفاح وانتهينا الى ما أودعتموه من اللفظ المسجوع والمعنى الذي يطرب طائره المسموع والبلاغة التي فضح المتطبع بيانها المطبوع فاما العزاء باخيكم الوالد قدس الله روحه وسقى عهده وأحسن لسلفه خلفا بعده فلنا برسول الله أسوة حسنة ولولا الوثوق بأنه في عدة الشهداء ما رأى القلب قراره ولا الطرف وسنه عاش سعيدا يملك الارض ومات شهيدا يفوز بالجنة يوم العرض قد خلد الله ذكره يسير مسير الشمس في الآفاق ويوقف على نضارة حدائقه نظرات الاحداق وورثنا منه حسن الاخاء لكم والوفاء بعهود مودة تشبه في اللطف شمائلكم وأما الهناء بوراثة ملكه والانخراط مع الملوك في سلكه فقد شكرنا لكم منحى هذه المنحه وقابلناها بثناء يعطر النسيم في كل نفحه ووقفنا عليها حمدا جعل الود علينا ايراده وعلى أنفاس سرحة الروض شرحه وتحققنا به حسن ودكم الجميل وكريم اخائكم الذي لا يميد طود رسوخه ولا يميل وأما ما ذكرتموه من أمر المصحفين الشريفين اللذين وقفتموهما على الحرمين المنيفين وانكم جهزتم كاتبكم الفقيه الاجل الاسنى الاسمى أبا الحمد ابن كاتبكم أبي عبد الله بن أبي مدين أعزه الله تعالى لتفقد أحوالهما والنظر في أمر أوقافهما فقد وصل المذكور بمن معه في حرز السلامة وأكرمنا نزلهم وسهلنا بالترحيب سبلهم وجمعنا على بذل الاحسان اليهم شملهم وحضر المذكور بين أيدينا وقربناه وسمعنا كلامه وخاطبناه وأمرنا في أمر المصحفين الشريفين بما أشرتم ورسمنا لنوابنا في نواحي أوقافهما بما ذكرتم وهذا الوقف المبرور جار على أحسن عادة ألفها وأثبت قاعدة عرفها مرعى الجوانب محمي المنازل والمضارب آمن من ازالة رسمه أو اذالة حكمه بدره أبدا في مطالع تمه وزهره دائما يرقص في كمه لا يزداد الا تخليدا ولا اطلاق ثبوته الا تقييدا ولا عتق اجتهاده الا تقليدا جريا على قاعدة أوقاف ممالكنا وعادة تصرفاتنا في مسالكنا ولا مزيد الرعايه وافادة الحمايه ووفادة العنايه وأما ما وصفتموه من أمر الجزيرة الخضراء وما لاقاه أهلها ومني به من الكفار حزنها وسهلها فانه شق علينا سماعه الذي أنكى أهل الايمان وعدد به نوب الزمان كل قلب بأنامل الخفقان وطالما فزتم بالظفر ورزقتم النصر على عدوكم بجر ذيل الهزيمة وفر لكن الحروب سجال وكل زمان لدوائه دولة ولرجاله رجال ولو أمكنت المساعدة لطارت

يا أبا عبد الله انظر في هذه الرقعة وأشر علي برأيك * فيها فلما قرأها عبد الله استرجع فقال له ما ترى فيمن هجاني بهذا الشعر قال أرى أن تعفو وتصفح قال والله يا أبا عبد الرحمن لئن لقيته بناحية لأنيكنه نيكا جيدا فأخذ ابن عمر خذلة ورعدة واربد لونه وقال مالك غضب الله عليك قال ما هو الا ما قلت لك وافترقا فلما كان بعد أيام لقيه فاعرض عنه ابن عمر فقال يا أبا عبد الرحمن اني لقيت صاحب البيتين ونكته فصعق عبد الله بن عمر فلما رأى ما حل به دنا منه وقال له في أذنه انها امرأتي فقبل ما بين عينيه وضحك وقال أحسنت فزدها فضحك عبد الملك حتى فحص برجله وقال له قاتلك الله يا روح ما أطيب حديثك ومد يده اليه فقام اليه روح فاكب عليه وقبل أطرافه وقال يا أمير المؤمنين الذنب فاعتذر ام الملالة فاصبر وارجو عاقبتها قال لا والله ما ذاك لشيء نكرهه ثم عاد الى أحسن حالاته (وقد حكي) مثل هذا عن عبد الملك بن مهلهل الهمداني وكان سمير السليمان بن المنصور وكان سليمان قد جفاه فاتاه يوما في قائم الظهيرة واحتدام الهجير فاستأذن

فقال له الحاجب ليس هذا بوقت اذن على الامير فقال أعلمه بمكاني فدخل فاستأذن له فقال له سليمان مه بسلم

بنا اليكم عقبان الجياد المسومه وسالت على عدو كم أباطحهم بقسينا المعوجة وسهامنا المقومه وكحلنا عيون النجوم بمراود الرماح وجعلنا ليل العجاج عرقا ببروق الصفاح واتخذنا رؤسهم لصوالج القوائم كرات وفرجنا مضايق الحرب بشوالى السكرات وعطفنا عليهم الاعنه وخضنا جداول السيوف ودسنا شوك الاسنه وفلقنا العثرات بالصرخات وأسلنا العبرات بالرعبات ولكن أين الغاية من هذا المدى المتطاول وأين الثريا من يد المتناول ومالنا غير امدادكم بجنود الدعاء الذى نرفعه نحن ورعايانا والتوجه الصادق الذى تعرفه ملائكة القبول من سجايانا وأما ما تقدموه من الاجفان التى طرقها طيف التلاف وأم حوم فناتها الفناء وطاف به بعد الالطاف فقد روع هذا الخبر قلب الاسلام ونوع له الحزن على اختلاف الاصباح والاظلام وهذه الدار ما يخلو صفوها من كدر القدر وطالما أنامت بالامن أول الليل وخاطبت بالخطب فى السحر ولكن فى بقائكم ما يسلى من خطب العطب ومع سلامة نفسكم الكريمة فالامر هين لان الدر يفدى بالذهب وأما ما رأيتموه من الصلح فرأى عقده مبارك وأمر ما فيه فارط عزم وان كان فيتدارك والامر يجيء كما يحب لا كما نحب والحروب يزورها نصرها تارة ويغب ومع اليوم غدا وقد يرد الله الردى ويعيد الظفر بالعدا وأما عودكم الى فاس المحروسة طلبا لاراحة من عند كم من الجنود وتجهيز من يصل من عندكم الى الحجاز الشريف من الوفود فهذا أمر ضرورى التدبير سرورى التمييز لان النفوس تمل وثير المهاد فكيف ملازمة صهوات الجياد وتسأم من مجالسة الشرب فكيف بممارسة الحرب وتعرض عن دوام اللذه فكيف بمباشرة المنايا الفذة وهذا جبل طارق الذى فتح الله به عليكم وساق هديته اليكم لعله يكون سببا الى ارتجاع ما شرد وحسما لهذا الطاغية الذى مرد وردا لهذا النازل الذى قدم وردا الصبر لما ورد فعادة الالطاف الالهية بكم معروفه وعزماتكم الى جهات الجهاد مصروفه وقد تفاءلنا لكم من هذا الجبل بانه طارق خير من الرحمن يطرق وجبل يعصم من سهم يمرق من قسى الكفار ويرق وأما ما تحتمونه من الخيل العتاق والملابس التى تطلع بدور الوجوه من مشارق الاطواق والاموال التى زكت عند الله تعالى ونمت على الانفاق فعلى الله عز وجل خلفها ولكم فى منازل الدنيا والآخرة سرفها وشرفها واليكم تساق هدايا أثنيتها وتحفكم تحفها واذا وصل وفد كم الحاج وأنار له بوجه اقبالنا عليهم ليلهم الداج كانوا مقيمين تحت ظل اكرامنا وشمول اسعافنا لهم وانعامنا يتحولون تحفا أنتم سببها ويتناولون طرفا فى كؤسا لاعتنائهم تنضدحبها واذا كان أوان الرحيل الى الحج فسحنا لهم الطريق وسهلنا لهم الرفيق وبلغناهم بحول الله تعالى مناهم من منى وسؤلهم من اذا زاروا حجرته الشريفة حازوا الراحة من العناء وفازوا بالغنى واذا عادوا اطلناهم بكل جميل نسيم مشقة ذلك الدرب ويخيل اليهم أن لا مسافة لمسافر بين الشرق والغرب وغمرناهم بالاحسان فى العود اليكم وأمرناهم بما ينهونه شفاها لديكم وعناية الله تعالى تحوط ذاتكم وتوفر لاخذ الثار حماتكم وتخصكم بتاييد تنزلون روضه الانضر وتجنون به ثمر النصر اليانع من ورق الحديد الاخضر وتحفكم بسعد لا يبلى قشيبه وعز لا يعود شبابه مشيبه

فاذن له وأمر بالتخفيف فدخل فسلم قاعدا ثم قال أصلح الله الأمير انى انصرفت بالامس الى نحو منزلى وقد أمسيت فبينا أنا فى طريقى اذ اذن مؤذن فدنوت ثم صعدت الى مسجد مغلق فصعدت ثم صعدت ثم صعدت قال سليمان فبلغت السماء فكان ماذا قال فتقدم انسان اما كردى أو طمطانى فأم القوم بكلام ما أفهمه ولغة ما أعرفها فقال ويل لكل ومة وما مالا وعدده قال يريد ويل لكل همزة لمزة الذى جمع مالا وعدده فاذا خلفه سكران ما يعقل سكرا فلما سمع قراءته ضرب بيديه ورجليه وجعل يقول أيرعنكى در ليلكى فى حرام قارئك ومصليك فضحك سليمان حتى فرغ على فراشه وقال ادن منى يا أبا محمد فانت أطيب أمة محمد ثم دعا بخلعة وقال الزم الباب واغد فى كل يوم وعاد الى أحسن حالاته عنده

(ذكر جمل من أخبار الحجاج وخطبه وما كان منه فى بعض أفعاله)

كانت أم الحجاج عند الحرث ابن كلدة فدخل عليها فى السحر فوجدها تتخلل فبعث اليها بطلاقها فقالت لم بعثت الى بطلاقى الشئ رابك منى قال نعم دخلت عليك السحر وأنت تتخللين فان كنت بادرت الغداء فانت شرهة وان كنت بت والطعام بين اسنانك فانت قذرة فقالت كل ... واحسنت

وتحية المباركة تغاديكم وتراوحكم وتفاوحكم انفاسها العطرة وتناغيكم بمنه وكرمه انتهى (ورأيت) بخط منشئ هذا الجواب الصلاح الصفدي رحمه الله تعالى اثر ذكره ما نصه أما بعد حمد الله تعالى على نعمائه وصلاته على سيدنا محمد عبده ورسوله خاتم أنبيائه فقد قرأ الشيخ الامام العالم العامل العلامة المفيد القدوة عز الدين أبو يعلى حمزة ابن الرئيس الكبير الفاضل القاضي قطب الدين موسى بن أحمد بن شيخ السلامية الاحمدي أمتع الله بفوائده الكتاب الوارد من سلطان المغرب الملك المجاهد المرابط أبي الحسن المريني صاحب مراكش تغمده الله تعالى برحمته والجواب عنه عن السلطان الشهيد الملك الصالح عماد الدين اسمعيل ابن السلطان الشهيد الملك الناصر محمد قدس الله تعالى روحهما من انشائي وأنا أسمع ذلك جميعا من أولهما الى آخرهما قراءة اطربت السمع لفصاحتها وأمالت العطف لرجاحتها

وأخجلت ورق الحمى بالسوا * ن صدحت في ذروة الغصن
تكاد من لطف ومن رقة * تدخل في الاذن بلا اذن

وذلك في مجلس واحد في ذي القعدة سنة ٧٥٠ بالجامع الاموي بدمشق المحروسة فان رأى رواية ذلك عني فله علو الرأي في تشريفي بذلك وكتبه خليل بن ايبك الصفدي الشافعي عفا الله عنه انتهى وكان السلطان أبو الحسن المريني المذكور كتب ثلاثة مصاحف شريفة بخطه وأرسلها الى المساجد الثلاثة التي تشد اليها الرحال ووقف عليها أوقافا جليلة كتب ترقيمه سلطان مصر والشام بمساحتها من انشاء الاديب الشهير جمال الدين بن نباتة المصري ونص ما يتعلق به الغرض منه هنا قوله وهو الذي مد يمينه بالسيف والقلم فكتب في أصحابها وسطر الختمات الشريفة فأيد الله حزبه بما سطر من أحزابها واتصلت ملائكة النصر بلوائه تغدو وتروح وكثرت فتوحه لامليناء الغرب فقالت أوقاف الشرق لابد للفقراء من فتوح ثم وصلت ختمات شريفة كتبها بقلمه المجيد المجدي وخط سطورها بالعربي وطالما خط في صفوف الاعداء بالهندي ورتب عليها أوقافا تجري اقلام الحساب في اطلاقها وطلقها وحبس املاكا شامية تحدث بنعم الأملاك التي سرت من مغرب الارض الى مشرقها والله تعالى يمتع من وقف هذه الختمات بما سطر له في أكرم الصحائف وينفع المجالس من ولاة الامور في تقريرها ويتقبل من الواقف انتهى * قلت وقد رأيت أحد المصاحف المذكورة وهو الذي ببيت المقدس وربعته في غاية الصنعة * وقال بعض المشارقة في حق السلطان أبي الحسن ما صورته ملك أضاء المغرب بأنوار هلاله وجرت الى المشرق أنواء نواله وطابت نسماته واشتهرت عزماته كان حسن الكتابة كثير الانابة ذا بلاغة وبراعة وشهامة وشجاعة كتب بخطه ثلاثة مصاحف ووقفها على المساجد الثلاثة أقام في الملك عشرين سنة وتسعة أيام ثم صرف بولده أبي عنان بعد حروب يطول شرحها انتهى من كتاب نزهة الانام * ولما ذكر الامام الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق في كتابه المسند الصحيح الحسن من أخبار السلطان أبي الحسن أمر الربعة التي أرسلها السلطان أبو الحسن بخطه قال ما ملخصه وأرسل معها السلطان الملك الناصر بن قلاوون صاحب الديار المصرية من أحجار الياقوت العظيم القدر والثمن ثمانمائة وخمسة وعشرين ومن الزمرد مائة وثمانية وعشرين

الحجاج بن يوسف مشوها لا دبر له فنقب عن دبره وأبى أن يقبل ثدي أمه وغيرها فأعياهم أمره فيقال ان الشيطان تصور لهم في صورة الحرث بن كلدة فقال ما خبركم فقالوا بني ولد ليوسف من الفارعة وكان اسمها وقد أبى ان يقبل ثدي أمه فقال اذبحوا جديا أسود وأولغوه دمه فاذا كان في اليوم الثاني فافعلوا به كذلك فاذا كان في اليوم الثالث فاذبحوا له تيسا أسود وأولغوه دمه ثم اذبحوا له أسود سالخا فأولغوه دمه واطلوا به وجهه فانه يقبل الثدي في اليوم الرابع قال ففعلوا به ذلك فكان بعد لا يصبر عن سفك الدماء لما كان منه في بدء أمره هذا وكان الحجاج يخبر عن نفسه ان أكبر لذاته سفك الدماء وارتكاب أمور لا يقدم عليها غيره ولا سبق اليها سواه (حدثنا) أبو جعفر محمد بن سليمان بن داود البصري المنقري قال حدثني ابن عائشة وغيره قال سمعت أبي يقول لما غلبت الخوارج على البصرة بعث اليهم عبد الملك جيشا فهزموه ثم بعث اليهم آخر فهزموه الخوارج فقيل له ليس لهم الا المهلب بن أبي صفرة فبعث الى المهلب فقال على أن لي خراج ما أجليتهم

ومن الزبرجد مائة وثمانية وعشرين ومن الجوهر النفيس الملوكي ثلثمائة وأربعة وستين وأرسال حلال كثيرة منها مذهبة ثلاثة عشر ومن الاناق عشرين مذهبة ومن الخلادي ستة وأربعين ومن القنوع ستة وعشرين مذهبة ومن المحررات المختمة ثمانمائة ومن الرصان عشرين شقة والاكسية المحررة أربعة وعشرين والبرانس المحررة ثمانية عشر والمشقفات مائة وخمسين واحارم الصوف المحررة عشرين ومن شقق الملف الرفيع ستة عشر ومن الفضالي المتوسطة والفرش والمخاد المنبوق والحلال ثمانمائة وأوجه اللحف المذهبة عشرين وحائطان حلة وحنابل مائة واثني عشر كلها حرير وفرش جلد مخروز بالذهب والفضة ومن السيوف المحلاة بالذهب المنظم بالجوهر عشرة والسروج عشرة بركب ذهب والمهاميز الذهب كذلك وثلاث ركب فضة وستة مزججة مذهبة ومضمتان من ذهب مما يليق بالملوك وشاشية حديد بذهب مكلل بالجوهر ومن لزمات الفضة عشرة وسرج مخروزة بالفضة عشرة وعشرة لامات مشبثة مذهبة وعشر رايات مذهبة وعشر براقع مذهبة وعشر أمثلة مرقومة وثلاثين جلدا شرك وأربعة آلاف درقة لمط منها مائتان بنهود الذهب وثمانية عشر بنهود الفضة وخباء قبة كبيرة من مائة بنيقة لها أربعة أبواب وقبة أخرى مضربة من ست وثلاثين بنيقة مبطنة بحلة مذهبة وهي حرير أبيض ومرابطها حرير ملون وعموده اعاج وآبنوس وأكبارها من فضة مذهبة ومن البزاة الاحرار المنتقاة أربعة وثلاثين ومن عتاق الخيل العراب ثلثمائة وخمسا وثلاثين ومن البغال الذكور والاناث مائة وعشرين ومن الجمال سبعمائة وتوجهت مع هذه الهدية أم برسم الحج مع الربعة المكرمة وأعطى الحرة أم أخته أم ولد أبيه مريم ثلاثة آلاف وخمسمائة ذهبا ولقاضي الركب ثلثمائة وكسوة ولقائد الركب أربعمائة وكساوي متعددة وبغلات وللرسول المعين للهدية ألفا ولشيخ الركب أحمد بن يوسف بن أبي محمد صالح خمسمائة ولجماعة الضعفاء من الحجاج ستمائة وبرسم العطاء للعرب ثلاثة آلاف وثمانمائة ولشراء ربع ستة عشر ألفا وخمسمائة ذهبا انتهى * وذكر في الكتاب المذكور أن السلطان أبا الحسن الموصوف اهدى هدايا غير هذه لكثير من الملوك ومنها لصاحب الاندلس صلة وصدقة وهدية في مرات ومنها الملوك النصارى بعد هداياهم ومنها سلاطين السودان كصاحب مالي ومنها لصاحب افريقية ومنها لصاحب تلمسان انتهى * وقال مؤرخ مصر المقريزي في كتاب السلوك في سنة ٧٣٨ ما نصه وفي ثاني عشرين من رمضان قدمت الحرة من عند السلطان أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب المريني صاحب فاس تريد الحج ومعها هدية جليلة الى الغاية نزل لحملها من الاصطبل السلطاني ثلاثون قطارا من بغال النقل سوى الجمال وكان من جملتها أربعمائة فرس منها مائة حجرة ومائة فحل ومائتا بغل وجميعها بسرج ولجم مسقطة بالذهب والفضة وبعضها سروجها وركبها كلها ذهب وكذلك لجمها وعدتها اثنان وأربعون رأسا منها سرجان من ذهب مرصع بجوهر وفيها اثنان وثلاثون بازا وفيها سيف قرابه ذهب مرصع وحياصة ذهب مرصع وفيها مائة كساء وغير ذلك من القماش العالي وكان قد خرج المهمندار الى لقائهم وأنزلهم بالقرافة قريب مسجد الفتح

عنه قال اذن تشركني في ملكي قال فقلت ادقال لا قال فتصدقه واقه لا انقص منه شيأ على ان تصدق بالرجال فاذا أحالت فلاحق للشعلي فجعلوا يقولون ولي عبد الملك على العراق رجلا ضعيفا وجعل يقول بعثت المهلب حتى يحارب الخوارج فركب دجلة ثم كتب المهلب الى عبد الملك انه ليس عندي رجال أقاتل بهم فاما بعثت الي بالرجال واما خليت بينهم وبين البصرة فخرج عبد الملك الى أصحابه فقال ويلكم من للعراق فسكت الناس وقام الحجاج فقال أنا لها قال اجلس ثم قال ويلكم من للعراق فصمتوا وقام الحجاج وقال انا لها قال اجلس ثم قال ويلكم من للعراق فصمتوا وقام الحجاج الثالثة فقال والله أنا لها يا أمير المؤمنين قال أنت زنبورها فكتب اليه عهده فلما بلغ القادسية أمر الجيش أن يقيلوا وان يروحوا وراءه ودعا بجمل عليه قتب فجلس عليه بغير خشبة ولا وطاء وأخذ الكتاب بيده ولبس ثياب السفر وتعمم بعمامته حتى دخل الكوفة وحده فجعل ينادي الصلاة جامعة وما منهم رجل جالس في مجلسه الا ومعه العشرون والثلاثون وأكثر ذلك من أهله ومواليه وصعد المنبر متلثما متنكبا قوسه فجلس واضعا ابهامه على فيه فقال بعضهم لبعض قوموا حتى نحصبه قال له بعض أهل

وهم جمع كثير احد وكان يوم طلوع الهدية من الايام المذكورة شق السلطان الهدية على الامراء بأسرهم على قدر رتبهم حتى نفدت كلها سوى الجواهر واللؤلؤ فانه اختص به فقدرت قيمة هذه الهدية بما يزيد على مائة ألف دينار ثم نقلت الحرة الى الميدان بمن معها ورتب لها من الغنم والدجاج والسكر والحلوى والفاكهة في كل يوم بكرة وعشية ما عمهم وفضل عنهم فكان مرتبهم كل يوم عدة ثلاثين رأسا من الغنم ونصف أردب أرز وقنطار حب رمان وربع قنطار سكر وثمان فانوسيات شمع وتوابل الطعام وحمل اليها برسم النفقة مبلغ خمسة وسبعين ألف درهم وأجرة حمل أثقالهم مبلغ ستين ألف درهم ثم خلع على جميع من قدم مع الحرة فكانت عدة الخلع مائتين وعشرين خلعة على قدر طبقاتهم حتى خلع على الرجال الذين قادوا الخيول وحمل الى الحرة من الكسوة ما يجل قدره وقيل لها ان عمل على ما تحتاج اليه ولا يعوزها شيء وانما تريد عناية السلطان باكرامها واكرام من معها حيث كانوا فتقدم السلطان الى النشو والى الامير أحمد أقبغا بتجهيزها اللائق بها فقاما بذلك واستخدما لها السقائين والضوية وهيآ كل ما تحتاج اليه في سفرها من أصناف الحلاوات والسكر والدقيق والبقسماط وطلبا الجمالة لحمل جهازها وازودتها وندب السلطان للسفر معها جمال الدين متولي الجيزة وأمره أن يرحل بها في ركب لها بمفردها قدام المحمل ويمتثل كل ما تأمر به وكتب لأميري مكة والمدينة بخدمتها أتم خدمة انتهى * وقال في سنة خمس وأربعين وسبعمائة ما نصه وفي نصف شعبان قدمت الحرة أخت صاحب المغرب في جماعة كثيرة وعلى يدها كتاب السلطان أبي الحسن يتضمن السلام وأن يدعو له الخطباء في يوم الجمعة ومشايخ الصلاح وأهل الخير بالنصر على عدوه ويكتب الى أهل الحرمين بذلك وذلك أن في السنة الخالية كانت بينه وبين الفرنج وقعة عظيمة قتل فيها ولده ونصره الله تعالى عنه على العدو وقتل كثيرا منهم وملكوا منهم الجزيرة الخضراء فعمر الفرنج مائتي شيني وجمعوا طوائفهم وقصدوا المسلمين وأوقعوا بهم على حين غفلة فاستشهد عالم كثير ونجا أبو الحسن في طائفة من الزامه بعد شدائد وملك الفرنج الجزيرة وأسروا وسبوا وغنموا شيئا يجل وصفه ثم مضوا الى جهة غرناطة ونصبوا عليها مائة منجنيق حتى صالحهم أهلها على قطيعة يقومون بها وتهادنوا مدة عشر سنين اهـ كلامه وقد تقدم نص هذا الكتاب الموجه من السلطان أبي الحسن فليراجع قريبا * وقال ابن مرزوق في المسند الصحيح بعد كلام ما ملخصه وكان يعني السلطان أبا الحسن مجتهدا في الجهاد بنفسه وحرصه وجاز للأندلس برسم ذلك بنفسه وأظهر آثاره الجميلة ومنها ارتجاع جبل الفتح ليد المسلمين بعد أن انفق عليه الاموال وصرف اليه الجنود والحشود اذ كان من عمالته هو والجزيرة ورندة ونازلته جيوشه مع ولده وخواصه وضيقوا به الى أن استرجعوه ليد المسلمين وأنفق على بنائه احمال مال واعتنى بتحصينه وبنى حصنه وأبراجه وسوره وجامعه ودوره ومخازنه ولما كاد يتم ذلك نازله العدو برا وبحرا فصبر المسلمون صبر الكرام فخيب الله تعالى أمل العدو وعاد خاسرا والمنة لله فرأى أن يحصن سفح الجبل بسور يحيط به من جميع جهاته حتى لا يطمع عدو في منازلته ولا يجد سبيلا للتضييق عند محاصرته اذ رأى الناس ذلك من المحال فأنفق الاموال وأنصف العمال فأحاط بجميعه احاطة الهالة

تيه أصلحك الله أكفف عن الرجل حتى نسمع ما نقول فمن قائل يقول حصر الرجل فما قدر على الكلام ومن قائل يقول أعرابي ما أعرف حجته فلما غص المجلس بأهله حسر اللثام عن وجهه ثم قام ونحى العمامة عن رأسه فوالله ما حمد الله ولا أثنى عليه ولا صلى على نبيه وكان أول ما بدأهم به أن قال

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ... متى أضع العمامة تعرفوني

اني والله لأرى أبصارا طامحة وأعناقا متطاولة ورؤسا قد أينعت وحان قطافها واني أنا صاحبها كأني أنظر الى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى

هذا أوان الحرب فاشتدي زيم ... قد لفها الليل بسواق حطم

ليس براعي ابل ولا غنم ... ولا بجزار على ظهر وضم

وقال

قد لفها الليل بعصلبي ... أروع خراج من الدوي

مهاجر ليس بأعرابي

وقال

قد شمرت عن ساقها فشدوا ... وجدت الحرب بكم فجدوا

والقوس فيها وتر عرد ... مثل ذراع البكر أو أشد

ان أمير المؤمنين نثر كنانته فوجدني أمرها طعما وأحدها سنانا وأقواها قدا فان تستقيموا تستقم [illegible] والله لا أقبل لكم عثرة ولا أقبل منكم [illegible]

بالهلال وأما بناؤه للمحاسن والطوائح فأمر غير مجهول اهـ (وقد رأيت) أن أذكر هنا بعض إنشاء لسان الدين بن الخطيب في شأن ما يتعلق بجبل الفتح وغيره من بلاد الأندلس وحال العدو الكافر وما يخرط في هذا السلك فمن ذلك على لسان سلطانه يخاطب به أحد السلاطين من أولاد السلطان أبي الحسن المريني (ونصه) المقام الذي يصرخ ويجد ويتهم في الفضل وينجد ويسعف ويسعد ويبرق في سبيل الله ويرعد فيأخذ الكفر من عزماته المقيم المقعد حتى ينجز من نصر الله تعالى الموعد مقام محل أخينا الذي حسن الظن بمجده جميل وحد الكفر بسعده كليل وللإسلام فيه رجاء وتأميل ليس للقلوب عنه عميل السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى وعزمه الماضي لصولة الكفر قامعا وتدبيره الناجح لشمل الإسلام جامعا وملكه الموفق لنداء الله مطيعا سامعا معظم مقداره وملتزم إجلاله وإكباره المعتد في الله بكرم شيمته وطيب نجاره المستظهر على عدو الله بإسراعه إلى تدمير الكافر وبداره سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله مجيب دعوة السائل ومتقبل الوسائل ومتيح النعم الجلائل مربح من عامله في هذا الوجود الزائف الزائل والأيام القلائل بالمتاع الدائم الطائل والنعيم غير الحائل ومقيم أود الإسلام المائل بأولي المكارم من أوليائه والفضائل والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله المنقذ من الغوائل المنجي من الروع الهائل الصادع بدعوة الحق الصائل بين العشائر والفصائل الذي ختم به وبرسالته ديوان الرسل والرسائل وجعله في الأواخر شرف الأوائل فخبه كنز العائل والصلاة عليه زكاة القائل والرضا عن آله وصحبه وعترته وحزبه تيجان الأحياء والقبائل المتميزين بكرم السجايا وطيب الشمائل والدعاء لمقام أخوتكم في البكر والأصائل بالسعد الصادق المخايل والصنع الذي تتبرج مواهبه تبرج العقائل والنصر الذي تهز له الصعاد الملد معاطف المتراح المتمايل فإنا كتبناه إليكم كتب الله لكم عزا يانع الخمائل ونصرا يتكفل للكتائب المدونة في الجهاد ومرضاة رب العباد بسرد المسائل وإقناع السائل من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ولا زائد بفضل الله سبحانه إلا استبصار في التوكل على من بيده الأمور وتسبب مشروع تتعلق به بإذن الله تعالى أحكام القدر المقدور ورجاء فيما وعد به من الظهور يتضاعف على توالي الأيام وترادف الشهور والحمد لله كثيرا كما هو أهله فلا فضل إلا فضله ومقامكم المعروف محله الكفيل بالأرواء نهله وعله وإلى هذا وصل الله تعالى سعدكم وحرس مجدكم ووالى النعم عندنا وعندكم فإنا في هذه الأيام أهمنا من أمر الإسلام ما رنق الشراب ونغص الطعام وذاد المنام لما تحققنا من عمل الكفر على مكايدته وسعي الضلال والله الواقي في استئصال بقيته وعقد النوادي للاستشارة في شأنه وشروع الحيل في هد أركانه ومن يؤمل من المسلمين لدفع الردى وكشف البلوى وبث الشكوى وإهماله طمهم الله تعالى وتولاهم وتمم عوائد لطفه الذي أولاهم فهم مولاهم في غفلة ساهون وعن المغبة فيه لاهون قد شغلتهم دنياهم عن دينهم وعاجلهم عن آجلهم وطول الأمل عن نافع العمل إلا من نور الله تعالى قلبه بنور الإيمان وعلمل بنا صحة الله تعالى والإسلام تململ السليم

فررت من ذكاء وفتشت عن تجربة والله لأحونكم لحو العود ولأعصبنكم عصب السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل ولأقرعنكم قرع المروة يا أهل العراق طالما سعيتم في الضلالة وسلكتم سبيل الغواية وسننتم سنن السوء وتماديتم في الجهالة يا عبيد العصا وأولاد الإماء أنا الحجاج بن يوسف أنا والله لا أعد إلا وفيت ولا أحلف إلا بررت فإياكم وهذه الزرافات والجماعات وقال وقيل وما يكون وما هو كائن وما أنتم وذاك يا بني اللكيعة لينظر الرجل في أمر نفسه وليحذر أن يكون من فرائسي يا أهل العراق إنما مثلكم كما قال الله عز وجل مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف الآية فأسرعوا واستقيموا واعتدلوا ولا تميلوا وتابعوا وبايعوا واصفقوا واعلموا أنه ليس مني الإكثار والإهذار ولا منكم الفرار والنفار إنما هو انتضاء السيف ثم لا أغمده في شتاء ولا صيف حتى يقيم الله لأمير المؤمنين أودكم ويذل به صعبكم إني نظرت فوجدت الصدق مع البر ووجدت البر في الجنة ووجدت واستدل

واستدل بالشاهد على الغائب وصرف الكفر الى مطالب الامم الرواتب فلما رأينا أن الدولة المرينية التى هى على ممر الايام شجا العدا ومتوطد من بكيد الهدى وفئة الاسلام التى اليها تحيز وكهفه الذى اليه يلجا قد أذن الله تعالى فى صلاح امورها ولم شعثها واقامة صفاها بان صرف الله تعالى عنها عادیات الغدر واراحها من مس الضر وردقوسها الى باريها وصير حقها الى وارثها وأقام لرعى مصالحها من حسن الظن بحميد ديته ورجى الخير من ثمرات همه ومن لم يعلم الا الخير من سعيه والسداد من سيرته ومن لا يسترب المسلمون بصحة عقده واستقامة قصده أردنا أن نخرج لكم عن العهدة فى هذا الدين الحنيف الذى وسمت دعوته وجوه أحبابكم شملهم الله تعالى بالعافية وتشتت به أنفس من صار الى الله تعالى من السلف تغمدهم الله بالرحمة والمغفرة وفى هذا القطر الذى بلاده ما بين مكفول يجب رعيه طبعا وشرعا وجار يلزم حقه دينا ودنيا وحمية وفضلا وعلى الحالين فعدلكم بعد الله المعوّل وفيكم المؤمل فارعونا اسماعكم المباركة نقص عليكم ما فيه رضا الله والمنجاة من نكيره والفخر والاجر وحفظ النعم والخلف فى الذرية بهذا وعدت الكتب المنزلة والرسل المرسلة وهو أن هذا القطر الذى تعددت فيه المحاريب والمنابر والراكع والساجد والذاكر والعابد والعالم والالفيف والارملة والضعيف قد انقطع عنه ارفاد الاسلام وشحت الايدى به منذ أعوام وسلم الى عبدة الاصنام وقوبلت ضرائره بالاعذار والمواعيد المستغرقة للاعمار وان عرضت شواغل وفتن وشواغب واحن فقد كانت بحيث لا يقطع السبب بجملته ولا يذهب المعروف بكليته

ولا بد من شكوى الى ذى مروءة * يواسيك أو يسليك أو يتوجع

ولو كانت الاشغاب تقطع المعروف وتصرف عن الواجب لم يفتح المقدس والدكم جبل الفتح وهو منازل أخاه بسجلماسة ولا امده ولده السلطان أبو عنان وهو بمراكش وبالامس بعثنا الى الجبل وسماته فى جملة ما أهمنا مبلغ جهد وسداد من عوز وقد فضلت عن ضرائرنا .وال فرضت من احل الله على عباده وطعام سمحنا به على الاحتياج اليه فى سبيل جهاده .سهم المتغلب منها لجانب الله بحبة ولا أقطعه منها ذرة مستخفا بمحل وعلامتها وتهاونا بنكيره .ى هو أحق أن يخشى فضاعت الامور واختلت الثغور وتشذبت الحامية وتبددت .ـدد وخلت المخازن وهلكت بها الجراذن وعظمت بها حسرة الاسلام أضعاف .عظمت حسرته أيام ما كانت تكلفها همم الملوك الكرام والخلفاء العظام والوزراء .والنصحاء والاشياخ الامجاد قدس الله تعالى أرواحهم وضاعف أنوارهم ولا كالحسرة .ى الجبل باب الاندلس وركاب الجهاد وحسنة بنى مرين وما ثر آل يعقوب وكرامة الله .لسلطان المقدس أبى الحسن والد الملوك وكبير الخلفاء والمجاهدين والدكم الذى تردعلى قبره .ع الساعات والاناء من وفود الرحمة وهدايا الزلفة وريحان الجنة فلولا انكم على علم من .حوالدكم لشرحنا المجمل وشكانا المهمل اغاهو اليوم شبح مائد وطلل بائد لولا أن الله تعالى .شغل العدو عنه بفتنة لم يصرف وجهه الا اليه ولا حوّم طيره الا عليه ولكن بعد ان

الكتب مع النحور وجدت الفجور فى النار الان أمير المؤمنين أمرنى باعطائكم واقتصاصكم الى محاربة عدوكم مع المهلب وقد أمرتكم بذلك واجلت لكم ثلاثا واعطيت الله عهدا يؤاخذنى به ويستوفيه منى أن لا أجد أحدا من بعث المهلب بعدها الا ضربت عنقه وانتهبت ماله يا غلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين فقال الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين الى من بالعراق من المؤمنين والمسلمين سلام عليكم فانى أحمد الله اليكم فقال الحجاج اسكت يا غلام ثم قال مغضبا يا أهل العراق والنفاق والشقاق ومساوى الاخلاق يا أهل الفرقة والضلال يسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون عليه السلام أما والله لئن بقيت لكم لألحونكم لحو العود ولأؤدبنكم أدبا سوى هذا الادب هذا ادب ابن سمية وهو صاحب شرطة كان بالعراق اقرأ يا غلام الكتاب فلما بلغ السلام قال أهل المسجد وعلى أمير المؤمنين السلام ورحمة الله وبركاته ثم نزل وأمر الناس باعطياتهم والمهلب يومئذ بمهرجان يقاتل الازارقة فلما كان اليوم الثالث سمع الحجاج بنفسه يعرض الناس فقربه عمير بن ضابئ البرجمى ثم أحد بنى الحدادية وكان من اشراف أهل الكوفة وكان

يتخذه الصليب دارا وان يقربه عينا والعدوة فضلا عن الاندلس قد لوسعها شرا وارهق ما يجاوره عسرا نسأل الله تعالى بنور وجهه أن لا يسود الوجوه بالفجع فيه ولا يسمع المسلمين الثكلة وما دونه فهو وان أعنش بالتعليل عليله ووقع بالجهد خلقه لحم على وضم الا ان يصل الله تعالى وقايته ويوالي دفاعه وعصمته لا اله الا هو الولي النصير وما زلنا نشكو الى غير المصمت ونمد اليد الى المدبر عن الله المعرض ونخطب له زكاة الاموال من المباني الضخمة والخزائن الثرة والاهراء الطامية والحظ النافه من المفترض برسمه فتمضي الايام لا تزيد الضرائر فيها الا ضيقا ولا الاحوال الا شدة ولا الثغر الا ضيعة ولا نعلم أن نظرا وقع له ولا فكرا أعمل فيه الا ما كان من تسخير رعيته الضعيفه وبلاء تجباه السخيفه في بناء قصر بمنت ميورمن جباله

شاده مرمرا وجلله كلسا فللطير في ذاره وكور

جلب اليه الزليج واختلفت فيه الاوضاع في رأس نيق لا نزوة وسوء فكرة فلما تم أقطع المعران فهو اليوم ممتنع اليوم وحظ الخراب فلا حول ولا قوة الا بالله حتى جاء أمر الله تعالى الصحيفة من البر فرا اليد من العمل الصالح نعوذ بالله من ذلك ونسأله الالهام والسداد والتوفيق والرشاد وقد بذلنا جهدنا قولا وفعلا وموعظة ونصحا واستدعينا لتلك الجهة صدقة المسلمين محمولة على أكتاد العباد الصعفاء الذين كانت صدقات فاتحيه رضي الله تعالى عنهم ترفدهم ونوافلهم تتعهدهم فما حرك ذلك الجؤار حلوبا ولا استدعى مطلوبا ولا رفدا مجلوبا فالى متى تنضى ركاب الصبر وقد بلغ الغاية واستنفد البلالة بعد أن أعاد الله تعالى العهد وجبر المال واصلح السعي واجرى ينابيع الخير وأنشق رياح الاقالة وجملة ما نريد أن نقرره فهو الباب الجامع والقصد الشامل والداعي والباعث أن صاحب قشتالة لما عاد الى ملكه ورجع الى قطره جرت بيننا وبينه المراسلة التي استقرت بعدم رضاه عن كدح النصره ومظاهرتنا اياه على أمره وان كنا قد بلغنا جهدا وأبعدنا وسعا واجلت عن شروط ثقيلة لم نقبلها واغراض صعبة لم نكملها ونحن نتحقق انه اما أن تهيج حفيظته وتثور احنته فيكشف وجه المطالبة مستكثرا بالامة التي داس بها أهل قشتالة فراجع أمره غلابا وحقه ابتزازا واستلابا أو يصرفها ويهادن المسلمين بخلال ما لا يدع جهة من جهات دينه الغريب الا عقد معها صلحا وأخذ عليها ما عانتها اياه عهدا ثم تفرغ الى شفاء غليله وبلوغ جهده ولا شك انها تجيبه صرفا البأسه عن نحورها ومقارضة كما وقع باطريرة من مضيق صدورها ومؤسف جمهورها وكل من له دين مما هو يحرص على التقرب الى من دانه به وكلفه وظائف تكاليف رجاء لوعده وخوفا من وعيده وبالله ندفع ما لا نطيق من جموع تداعت من الجزر ووراء البحور والبر المتصل الذي لا تقطعه الرفاق ولا تحصي ذرعه الحذاق وقد أصبحنا بدار غربة ومحل روعة ومفترس نبوة ومظنة فتنة والاسلام عدده قليل ومنتجعه في هذه البقعة جديب وعهده بالارفاد والامداد من المسلمين بعيد ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا الى آخر السورة واذا تداعت أمم الكفر نصرة لدينها المكذوب وحمية لصليبها المنصوب فمن يستدعي لنصر دين الله وحقا أمانة نبيه الا أهل ذلك الوطن

من بعث المهلب فقال أصلح الله الامير اني شيخ كبير زمن عليل ضعيف ولي عدة أولاد فليختر الامير أيهم شاء مكاني أشدهم ظهرا وأكرمهم فرسا وأتمهم أداة قال الحجاج لا بأس بشاب مكان شيخ فلما ولى قال له عنبسة بن سعيد ومالك بن أسماء أصلح الله الامير أتعرف هذا قال لا قال هو عمير بن ضابئ التميمي الذي وثب على أمير المؤمنين عثمان وهو مقتول فكسر ضلعا من أضلاعه فقال انه كان حبس أبي شيخا كبيرا ضعيفا فلم يطلقه حتى مات في سجنه فقال الحجاج أما أمير المؤمنين عثمان فتغزوه بنفسك وأما الازارقة فتبعث اليهم بالبدل أوليس أبوك الذي يقول

هممت ولم أفعل وكدت وليتني

فعلت وأوليت البكاء حلائله

أما والله ان في قتلك أيها الشيخ لصلاح المصرين ثم أقبل يصعد بصره اليه ويعض على لحيته مرة ويسرحها أخرى ثم أقبل عليه فقال يا عمير سمعت مقالتي على المنبر فقال نعم قال والله انه لقبيح على أن يكون كذابا قم اليه يا غلام فاضرب عنقه ففعل فلما قتل ركب الناس كل صعب وذلول وخرجوا على وجوههم يريدون المهلب فازدحموا على الجسر حتى سقط

حيث لنا أن يذكر الله تعالى علا الا فاق وكلمة الاسلام قد همت الرباو الوهاد اغا الاسلام غريق قد تشبث باهدابكم ينشدكم الله في بقية الرمق وقبل الرمى تراش السهام وهذا أوان الاهتمام واختيار الحماة واعداد الاقوات قبل أن يضيق المجال وتمنع الموانع وقد وجهنا هذا الوفد المبارك للعضو بين يديكم مقررا الضرورة منهيا الرغبة مذكرا بما يقرب عند الله مذكر الذمام الاسلام جالبا على من وراءهم بحول الله تعالى من المسلمين البشرى التى تشرح الصدور وتستى الآمال وتستدعى الدعاء والثناء فالمؤمن كثير باخيه ويد الله مع الجماعة والمسلمون يدعلى من سواهم والمؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا والتعاون على البر والتقوى مشروع وفى الذكر الحكيم مذكور وحق الجار مشهور وما كان جبريل يوصى به فى الصحيح مكتوب وكآراء المسلمين اجتماع كلمة الكفر فنرجو أن يروع الكفر من العز بالله وشد الحيازيم فى سبيل الله ونفير النفرة لدين الله والشعور لحماية الثغور وعمراتها وازاحة عللها وجلب الاقوات اليها وانشاء الاساطيل وجبر ما تلف من عدة البحر أمور تدل على ماوراءها وتخبر عشيئة الله تعالى عما بعدها وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى ومن خطب على رضى الله تعالى عنه أما بعد فان الجهاد باب من أبواب الجنة فمن تركه رهبة ألبسه الله تعالى سيما الخسف ووسمه بالصغار وما بعد الدنيا الا الآخرة وما بعد الآخرة الا احدى دارى البقاء أفى الله شك ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون والاعتناء بالجبل عنوان هذا الكتاب ومقدمة هذا الباب والغفلة عنه منذ أعوام قد صيرتنا الاتقنع باليسير وقد أبرمته المواعيد وغير رسومه الانتظار ومن المنقول ارحموا السائل ولو جاء على فرس والاسراف فى الخير أرجح فى هذا المحل من عكسه وكان بعض الاجواد يقول وقد أقترا اللهم هب لى الكثير فان حالى لا تقوم على القليل وعسى أن يكون النظر له بنسبة الغفلة عنه والامتعاض مكافئا للازراء به وخلو البحر يغتنم لامداده وارفاده قبل أن يثوب نظر الكفر الى قطع المدد وسد البحر ومن ضيع الحزم ندم ولا عذر لمن علم والله عز وجل يطلع من قبلكم على ما فيه شفاء الصدور وجبر القلوب وشعب الصدوع وما نقص مال من صدقة وطعام الواحد كافى الاثنين والدين دينكم والبلاد بلادكم ومحل رباطكم وجهادكم وسوق حسناتكم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقد قلدنا العهد فيما علينا المصروف العناية بفضل الله تعالى الينا والله المستعان وعليه التكلان والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى ۞ وفى اعتقادى أن هذا المكتوب للسلطان أبى فارس عبد العزيز ابن السلطان أبى الحسن المرينى وأن المراد بالمتغلب الوزير عمر بن عبد الله الذى ظفر به أبو فارس المذكور واستقل بالملك بعد محو اثره حسبما ذكرناه فى غير هذا المحل والله سبحانه أعلم (ومن انشاء لسان الدين) على لسان سلطانه فى استنهاض عزم صاحب المغرب السلطان المرينى لنصرة الاندلس (ما نصه) المقام الذى يؤثر حظ الله اذا اختلفت الحظوظ وتعددت المقاصد ويشرع الادنى منه اذا تفاضلت المشارع وتمايزت الموارد ويحمل عادة حلمه وفضله الشارد ويسع ولرف ظله الصادر والوارد والغائب والشاهد ويعيد من نصر الله للاسلام العوائد ويسد الذرائع ويدر الفوائد مقام محل أخينا الذى

بعض الناس فى الغدرات فأتاه صاحب الجسر فقال أصلح الله الامير قد سقط بعض الناس فى الغرات قال ويحك وم ذلك قال أهل هذا البعث ازدحموا على الجسر حتى ضاق بهم قال اطلق فاعقد لهم جسرين وخرج عبد الله ابن الزبير الاسدى مذعورا حتى اذا كان عند الجبانين لقيه رجل من قومه يقال له ابراهيم فقال له ما الخبر فقال ابن الزبير الشر الشر قتل عمير من بعث المهلب وأنشأ يقول

أقول لابراهيم لما لقيته أرى الامر أمسى مهلكا متصعبا
تجهز فاما أن تزور ابن ضابئ عميرا واما أن تزور المهلبا
هما خطتا خسف نجاؤك منهما ركوبك حيرانا من البلج اشهبا
فاضحى ولو كانت خراسان دونه رآها مكان السوق أو هو أقربا
والا فما الحجاج مغمد سيفه مدى الدهر حتى يترك الطفل أشيبا

وخرج الناس هربا الى السواد وأرسلوا الى أهاليهم أن زودونا ونحن بمكاننا وقال الحجاج لصاحب الجسر افتحوا ولا تحل بين أحد وبين الخروج ووجه العراض الى المهلب فأتت على المهلب عاشرة حتى ازدحموا عليه فقال من هذا الذى يستعمل

ذكر الرجال فويل والله للعدو ان شاء الله تعالى

حسنت فى الملك سيره وتعاضد فى الفضل خبره وخبره ودلت شواهد مداركه للعقول وتعمده للعقوق على أن الله تعالى لا يهمله ولا يذره فسلك نخره منسقة درره ووجه ملك شادخة غرره السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله رفيعة علاؤه هامية لديه من الله تعالى وآلاؤه مزدانة بكواكب السعد سماؤه محروسة بمن النصر أرجاؤه مكملا من فضل الله تعالى فى نصر الاسلام وكبت عبدة الاصنام أمله ورجاؤه معظم قدره الذى يحق له التعظيم موقر سلطانه الذى له الحسب الاصيل والمجد الصميم الداعى الى الله تعالى باتصال سعادته حتى ينتصف من عدو الاسلام الغريم ويتاح على يد سلطانه الفتح الجسيم فلان سلام كريم طيب عميم ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله الذى لا يضيع اجر من أحسن عملا ولا يخيب لمن اخلص الرغبة اليه أملا وموفى من ترك له حقه أجره المكتوب متمما مكملا وجاعل الجنة لمن اتقاه حق تقاته نزلا ملك الملوك الذى جل وعلا وجبار الجبابرة الذى لا يجدون عن قدره محيصا ولا من دونه موئلا والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذى أنزل الله تعالى عليه الكتاب مفصلا وأوضح طريق الرشد وكان مغفلا وفتح باب السعادة ولولاه كان مقفلا والرضا عن آله وأصحابه وعترته وأحزابه الذين ساهموه فيما مر وماحلا وخلفوه من بعد بالسير التى راقت مجتلى ورفعوا عماد دينه فاستقام لا يعرف ميلا وكانوا فى الحلم والعفو مثلا والدعاء لمقامكم الاسمى بالنصر الذى يلفى نصه صريحا لا متأوّلا والصنع الذى يبهر حالا ومستقبلا والعز الذى يرسو جبلا والسعد الذى لا يبلغ أمدا ولا أجلا فانا كتبناه اليكم أصحب الله تعالى ركابكم حلف التوفيق حلا ومرتحلا وعرّفكم عوارف اليمن الذى يثير جذلا ويدعو وافد الفتح المبين فيرد مستعجلا من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ولا زائد بفضل الله سبحانه ثم بما عندنا من التشيع لمقامكم حرس الله تعالى سلطانه ومهد أوطانه الا الخير الذى نسأل بعده تحسين العقبى وتوالى عادة الرحمى والحمد لله على التى هى أزكى وسدل جناح الستر الاضفى وصلة اللطائف التى هى أكفل وأكفى وأبر وأوفى ومقامكم عندنا العدة التى بها نصول ونرهب والعمدة التى نطيل فى ذكرها ونسهب وقد أوفدنا عليكم كل ما زاد لدينا أو فتح الله تعالى به علينا ونحن مهما اشتد المختنق بكم نستنصر أو تراخى ففى ودكم نستبصر أوفتح الله تعالى فابوابكم نهنى ونبشر وقررنا عندكم أن العدو فى هذه الايام توقف عن بلاد المسلمين فلم تصل منه اليها سريه ولا بطشت له يد جريه ولا افترعت من ثلاقاته ثنيه ولا ندرى المكيدة تدبر أم آراء تنقض بحول الله وتتبر أو لشاغل فى الباطن لا يظهر وبعد ذلك وردت على بابنا من بعض كبارهم وزعماء أقطارهم مخاطبات يندبون فيها الى جنوحها السلم فى سبيل النصح لايادسلفت منا لهم قررها ورسائل ذكرها فلم يخف عنا أنه أمر دبر بليل وخبيئة تحت ذيل فظهر لنا أن نسبر الغور ونستفسر الامر فوجهنا اليه على عادتنا مع سلفه لتعتبر ما لديه وننظر الى بواطن أمره ونبحث عن زيد قومه وعمره فتأتى ذلك وجر مفاوضة فى الصلح أعدنا لاجلها الرساله واستشعرنا الساله ووازنا الاحوال واختبرنا واعتززنا فى الشروط ما قدرنا ونحن نرتقب ما يخلق الله تعالى من مهادنة

وقد كان الحجاج استعمل على العراق من هذا الذى عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث على سجستان وبست والرخج فحارب من هنالك من امم الترك وهم أنواع من الترك يقال لهم الطاغرغر والخلج وحارب من يلى تلك البلاد من ملوك الهند مثل زنبيل وغيره وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب مراتب ملوك الهند وغيرهم من ملوك العالم وذكرنا مملكة كل واحد منهم والصقع الذى هو به وذوى السياسات منهم وبينا أن كل ملك يلى هذا الصقع من بلاد الهند يقال له زنبيل فخلع ابن الاشعث طاعة الحجاج وصار الى بلاد كرمان فثنى بخلع عبد الملك وانقاد الى طاعته أهل الرى والجبال ما بين الكوفة والبصرة وغيرهما وسار الحجاج الى البصرة وسار الاشعث اليه فكانت له حروب عظيمة وفى عبد الرحمن بن الاشعث يقول

خلع الملوك وسار تحت لوائه

شجر العرا وعراعر الاقدام

وكتب الحجاج بن يوسف الى عبد الملك يعلمه بخبر ابن الاشعث فكتب اليه عبد الملك لعمرى لقد خلع طاعة الله بيمينه وسلا بانه بشماله وخرج من الدين

تحصل بها الاقوات المهيأة للانتساف وتسكن ماساء البلاد المسلمة من هذا الارجاف ونفرغ الوقت لمناوءة هذه الامال الهاف أو حرب يبلغ الاستبصار فيه غايته حتى يظهر الله تعالى فى نصر الفئة القليلة آيته ولم نجعل سبب الاعتزاز فيما أردناه وشموخ الانف فيما أصدرناه الا ما أشعنا من عزمكم على نصرة الاسلام وارتقاب خفوق الاعلام والنهوض الى دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام وان الارض حمية لله تعالى قد اهتزت والنفرة قد غلبت النفوس واستفزت واستظهرنا بكتبكم التى تضمنت ضرب المواعد وشمرت عن السواعد وأن الخيل قد اطلقت الى الجهاد فى سبيل الله الاعنة والثنايا سدتها بروق الاسنة وفرض الجهاد قد قام به المؤمنون والاموال قد سمح بها المسلمون وهذه الامور التى تمنت بقريبها أو بعيدها أحوال الاسلام والامانى المعدة لتزجية الايام ثم اتصل بنا الخبر الكارث بما كان من حور العزائم المؤمنة بعد كورها وتسويف مواعد النصرة بعد استشعار فورها وان الحركة معملة الى مراكش الجهة التى فى يديكم زمامها واليكم وان تراخى الطول ترجع أحكامها والقطر الذى لا يفوتكم مع الغفلة ولا يعجزكم عن الصولة ولا يطلكم ان تركتموه ولا يمنعكم ان طرقتموه وعركتموه فسقط فى الايدى الممدودة واختلفت المواعد المحدودة وخسئت الابصار المرتقبة ورجفت المعاقل الاشبه وساءت الظنون وذرفت العيون وأكذب الفضلاء الخبر ونفوا أن يعتبر وقالوا هذا لا يمكن حيث الدين الحنيف والملك المنيف والعلماء الذين أخذ الله تعالى ميثاقهم وحمل النصيحة أعناقهم هذا المفترض الذى يبعد والقائم الذى يقعد يأباه الله تعالى والاسلام وتأباه العلماء الاعلام وتأباه المآذن والمنابر وتأباه الهمم والاكابر فبادرنا نستطلع طلع هذا النبا الذى اذا كان باطلا فهو الظن ولله المن وان كان خلافه لرأى ترجح وتنفق بقرب الملك وتبجح فنحن نوفد كل من يقدم الى الله تعالى بهذا القطر فى شفاعة ويمد اليه كف ضراعه ومن يوسم بصلاح وعبادة ويقصد فى الدين بشافادة يتطارحون عليكم فى نقض ما أبرم ونسخ ما أحكم فانكم تجنون به على من استنصركم عكس ما قصد وتحلون عليه ما عقد وهب العذر يقبل فى عدم الاعانة وضرورة الاستعانة والاستكانة أى عذر يقبل فى الاطراح والاعراض الصراح كأن الدين غير واحد كأن هذا القطر لكلمة الاسلام جاحد كأن ذمام الاسلام غير جامع كأن الله غير راء ولا سامع فنحن نسألكم بالله الذى تساءلون به والارحام وننفد لكم من هذا الاحجام وتتطارح عليكم أن تتركوا حظكم فى أهل تلك الجهة حتى يحكم الله بيننا وبين العدو والذى يتكالب علينا بادباركم بعدما تضاءل لاستنفاركم ولا نكلفكم غير اقتراب داركم وما سامكم المسلمون بها شططا ولولا علوكم الاقصد اوسطا وما ذهبتم اليه لا يفوت ولا يبعد وقد تجاورت البيوت انما الفائت وراءكم من حديث تأنف من سماعه أوداؤكم ودين يشمت به أعداؤكم فأسعفوا شفاعة فيمن بتلك الجهة المراكشية قصدنا وحاشى احسانكم أن يرى فيه ردنا وأنتم أدبا لخيار فيما يجريه الله على يديكم من قدره أو يلهمكم اليه من نصره وجوابكم ترتقب عنا يليق بكم ويجمل بحسبكم والله سبحانه يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام

سريانا وانى لأرجو أن يكون هلاكه وهلاك أهل بيته واستئصالهم فى ذلك على يد أمير المؤمنين وما جوابه عندى فى خلع الطاعة الا قول القائل

أناة وحلما وانتظارا بهم غدا ... فما أنا بالفانى ولا الضرع الغمر
أظن صروف الدهر بينى وبينكم ... ستحملكم منى على مركب وعر
ألم تعلموا أنى تخاف عزائمى ... وان قناتى لا تلين على الكسر

ودخل ابن الاشعث الكوفة وكتب الحجاج كتابا الى عبد الملك يذكر فيه جيوش ابن الاشعث وكثرتها ويستنجد عبد الملك ويسأله الامداد وقال فى كتابه واغوثاه يا الله واغوثاه يا الله واغوثاه يا الله فأمده بالجيوش وكتب اليه يا لبيك يا لبيك يا لبيك فالتقى الحجاج وابن الاشعث بالموضع المعروف بدير الجماجم فكانت بينهم وقائع نيف وثمانون وقعة تفانى فيها الخلق وذلك فى سنة اثنتين وثمانين وكانت على ابن الاشعث فمضى حتى انتهى الى ملوك الهند ولم يزل الحجاج يحتال فى قتله حتى قتل وأتى برأسه فعلا الحجاج منبر الكوفة فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا أهل العراق ان الشيطان استبطنكم فخالط اللحم منكم والعظم والاطراف

الكريم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى (ومن انشاء لسان الدين) أيضا في مخاطبة سلطان فاس والمغرب على لسان سلطان غرناطة فيما يقرب من الانحاء السابقة (ما نصه) المقام الذي أقمار سعده في انتظام واتساق وجياده جزء الى الغاية القصوى ذات استباق والقلوب على حبه ذات اتفاق وعناية الله تعالى عليه مديدة الرواق وأياديه الجمة في الاعناق ألزم من الاطواق وأحاديث مجده سمر النوادي وحديث الرفاق مقام محل أبينا الذي شأن قلوبنا الاهتمام بشانه وأعظم مطلوبنا من الله تعالى سعادة سلطانه السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى والصنائع الالهية تحط ببابه والالطاف الخفية تعرس في جنابه والنصر العزيز يحف بركابه وأسباب التوفيق متصلة بأسبابه والقلوب الشجية افراقه مسرورة باقترابه معظم سلطانه الذي له الحقوق المحتومة والفواضل المشهورة المعلومه والمكارم المسطورة المرسومه والمفاخر المنسوقة المنظومه الداعي الى الله تعالى في وقاية ذاته المعصومه وحفظها على هذه الامة المرحومه الامير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبي الوليد اسمعيل بن فرج بن نصر سلام كريم طيب عمم كما سطعت في غيوب الشدة أنوار الفرج وهبت نواسم ألطاف الله عاطرة الارج يخص مقامكم الاعلى ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله تعالى الظلم بعد اعتكارها ومقيل الايام من عثارها ومزين سماء الملك بشموسها المحتجبة وأقمارها ومريح القلوب من وحشة أفكارها ومنشئ سحاب الرحمة على هذه الامة بعد افتقارها وشدة اضطرابها واضطرارها ومتداركها باللطف الكفيل بتمهيد أوطانها وتيسير أوطارها والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله صفوة النبوة ومختارها ولباب مجدها السامي ونجارها نبي الملاحم وخائض تيارها ومذهب رسوم الفتن ومطفئ نارها الذي لم ترعه الشدائد باضطراب بحارها حتى بلغت كلمة الله ماشاءت من سطوع أنوارها ووضوح آثارها والرضا عن آله وأصحابه الذين تمسكوا بعهده على أحلاء الحوادث وأمرارها وباعوا نفوسهم في اعلاء دعوته الحنيفية واظهارها والدعاء لمقامكم الاعلى باتصال السعادة واستمرارها وانسحاب العناية الالهية واسدال أستارها حتى تقف الايام ببابكم موقف اعتذارها وتعرض على مثابتكم ذنوبها راغبة في اغتفارها فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم أوفى ما كتب لصالحي الملوك من مواهب اسعاده وعرفكم عوارف الآلاء في اصدار أمركم الرفيع وايراده وأجرى الفلك الدوار بحكم مراده وجعل لكم العاقبة الحسنى كما وعد به في محكم كتابه المبين للصالحين من عباده من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى وليس بفضل الله الذي عليه في الشدائد الاعتماد والى كنف فضله الاستناد ثم ببركة جاه نبينا الذي وضح بهدايته الرشاد الا الصنائع التي تشام بوارق اللطف من خلالها وتخبر سيماها بطلوع السعود واستقبالها وتدل مخايل يمنها على حسن مآلها فلله الحمد على نعمه التي نرغب في كمالها ونستدرء عنا زوالها وعندنا من الاستبشار باتساق أمركم وانتظامه والسرور بسعادة ايامه والدعاء الى الله تعالى في اظهاره واتمامه ما لا تفي العبارة باحكامه ولا تتعاطى حصر أحكامه والى هذا

فصل

والأعضاء وجرى منكم مجرى الدم ٠٠٠ وأفضى الى الاضلاع والامخاخ فحشى ماهنالك شقاقا واختلافا ونفاقا ثم أربع فيه وعشش وباض فيه فغرخ واتخذتموه دليلا لا تتابعونه وقائدا تطاوعونه ومآمرا تستأمرونه ألستم أصحابي بالاهواز حين سعيتم بالغدر في فاستجمعتم على وحيث ظننتم أن الله سيخذل دينه وخلافته وأقسم بالله اني لأراكم بطرفي وأنتم تتسللون لواذا منهزمين سراعا مفترقين كل امرئ منكم على عنقه السيف رعبا وجبنا ويوم الزاوية وما يوم الزاوية بها كان فشلكم وتخاذلكم وبراءة الله منكم وتوليكم على أكتافكم السيوف هاربين لا يسأل الرجل عن بنيه ولا يلوي امرؤ على أخيه حين عض لكم السلاح وقصفتكم الرماح ويوم دير الجماجم بها كانت الملاحم والمعارك العظائم ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله فالذي أرجوه منكم يا أهل العراق أم ما الذي أتوقعه ولماذا أستبقيكم ولاي شئ أدخركم ألاهرات بعد الهدوات أم النزوة بعد النزوات وما الذي أراقب بكم وما الذي انتظر فيكم ان بعثتم الى ثغوركم جبنتم وان أمنتم أو خفتم نافقتم لا تجزون بحسنة ولا تشكرون نعمة يا أهل العراق هل استنبطكم ناجع أو استفلكم فاق

الله تعالى أمركم وملاه وصان سلطانكم وتولاه فقد علم الحاضر والغائب وخلص الخلوص الذي لا تغيره الشوائب ما عندنا من الحب الذي وضحت منه المذاهب وانما لما اتصل بنا ما جرت به الاحكام من الامور التي صحبت مقامكم فيها العناية من الله والعصمه وجعل على العباد والبلاد الوقاية والنعمه لا يستقر بقلوبنا القرار ولا تتاتى باوطاننا الاوطار تشوقا لما تتيحه لكم الاقدار ويبرزه من سعادتكم الليل والنهار ورجاؤنا في استئناف سعادتكم يشتد في الاوقات ويقوى علما بان العاقبة للتقوى وفي هذه الايام عميت الانباء وتكالبت في البر والبحر الاعداء واختلفت الفصول والاهواء وعاقت الوارد الانواء وعلى ذلك من فضل الله الرجاء ولو كنا نجد للاتصال بكم سببا أو نلقى لاعاتكم مذهبا لما شغلنا البعد الذي بيننا اعترض والعدو بساحتنا في هذه الايام ربض وكان خديمكم الذي رفع من الوفاء راية خافقه واتقى منه في سوق الكساد بضاعة نافقه الشيخ الاجل الاوفى الاود الاخلص الاصفى أبو محمد بن احيانا سنى الله مأموله وبلغه من سعادة أمركم سوله وقد ورد على بابنا وتحيز الى اللحاق بجنابنا ليتيسر له من جهتنا القدوم ويتأتى له باعانتنا الغرض المروم فبينما نحن ننظر في تتميم غرضه واعانته على الوفاء الذي قام بمفترضه اذ اتصل بنا خبر قرقورتين من الاجفان التي استعنتم بها على الحركه والعزمة المقترنة بالبركه حطت احداهما بمرسى المنكب والاخرى بمرسى المريه في كنف العناية الالهيه تلقينا من الواصلين فيها الانباء المحققة بعد التباسها والاخبار التي يغني نصها عن قياسها وتعرفنا ما كان من عزمكم على السفر وحركتكم المعروفة باليمن والظفر وانكم استخرتم الله تعالى في اللحاق بالاوطان التي يؤمن قدومكم خائفها ويؤلف طوائفها ويسكن راجفها ويصلح احوالها ويسكن اهوالها وانكم سبقتم حركتها بعشرة أيام مستظهرين بالعزم المبرور والسعد الموفور واليمن الرائق والسفور والاسطول المنصور فلا تسألوا عن انبعاث الآمال بعد سكونها ونهوض طيور الرجاء من وكونها واستبشار الامة المحمدية منكم بقرة عيونها وتحقق ظنونها وارتياح البلاد الى دعوتكم التي ألبستها ملابس العدل والاحسان وقلدتها قلائد أسير الحسان وما منها الا من باح بما يخفيه من وجده وجهر بشكر الله تعالى وحمده وابتهل اليه في تيسير غرض مقامكم الشهير وتتميم قصده واستئناس نور سعده وكم مطل الانتظار بديوان آمالها والمطاولة من اعتلالها وأما نحن فلا تسألوا عمن استشعر توجيهه بعد طول مغيبه اغماه وصدر راجعه فؤاده وطرف ألفه رقاده وفكر ساعده مراده فلما بلغنا هذا الخبر بادرنا الى انجاز ما بذلنا لخديمكم المذكور من الوعد واغتنمنا ميقات هذا السعد يصل سببه باسبابكم ويسرع لحاقه بجنابكم فعنده خدم نرجو أن ييسر الله تعالى أسبابها ويفتح بنيتكم الصالحة أبوابها وقد شاهد من امتعاضنا لذلك المقام الذي ندين له بالتشيع وكريم الوداد ونصل له على بعد المزار ونزوح الاقطار سبب الاعتداد ما يغني عن القلم والمداد وقد ألقينا اليه من ذلك كله ما يلقيه الى مقامكم الرفيع العماد وكتبنا الى من بالاندلس ما يكون عليه عملهم في بر من يرد عليهم من جهة أبوتكم الكريمه

أو استضعفكم ناكث أو استنفركم عاص الا نابذتموه وباينتموه وآويتموه وكنفتموه يا أهل العراق هل شغب شاغب أو نعب ناعب أو دعي كاذب الا كنتم أنصاره وأشياعه يا أهل العراق لم تنفعكم التجارب وتحفظكم المواعظ أو تعظكم الوقائع هل يجمع في صدوركم ما أوقع الله بكم عند مصادر الامور ومواردها يا أهل الشام انا لكم كالظليم الرامح عن فراخه ينفي عنهن القذى ويكنهن من المطر ويحفظهن من الذباب ويحميهن من سائر الدواب لا يخلص اليهن معه قذى ولا يفضي اليهن بذا ولا يمسهن أذى يا أهل الشام أنتم العدة والعدد والجند والحرب ان حارب محارب أو جانب مجانب وما أنتم وأهل العراق الا كما قال نابغة بني جعدة

وان تداعيكم حقهم ولم ترزقوه ولم نكذب
كقول اليهود قتلنا المسيح ولم يقتلوه ولم يصلب

في أبيات ولما أسرف الحجاج في قتل أساري دير الجماجم وأعطى الاموال بلغ ذلك عبد الملك فكتب اليه أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين سرفك في الدماء وتبذيرك في الاموال ولا يحتمل أمير المؤمنين هاتين الخصلتين لاحد من الناس وقد حكم عليك أمير المؤمنين في الدماء في الخطأ الدية وفي

ذات الحقوق العظيمه والايادي الحديثه والقديمه وهم يعملون في ذلك بحسب المراد وعلى شاكلة جميل الاعتقاد ويعلم الله تعالى أننا لو لم تعق العوائق الكبيره والموانع الكثيره والاعداء الذين ذهبت بهم في الوقت هذه الجزيره ما قدمنا عملا على اللحاق بكم والاتصال بسببكم حتى نوفي لابوتكم الكريمة حقها ونوضح من المسرة طرقها لكن الاعذار واضحة وضوح المثل السائر والله العالم بالسرائر والى الله تعالى نبتهل في أن يوضح لكم من التيسير طريقا ويجعل السعد لكم مصاحبا ورفيقا ولا يعدمكم عناية منه وتوفيقا ويتم سرورنا عن قريب بتعريف أنبائكم الساره وسعودكم الداره فذلك منه سبحانه غاية آمالنا وفيه اعمال ضراعتنا وابتهالنا هذا ما عندنا بادرنا لاعلامكم به اسرع البدار والله تعالى يوفد علينا أكرم الاخبار بسعادة ملككم السامي المقدار وييسر ماله من الاوطار ويصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى * وكان طاغية النصارى الملعون لكثرة ما مارس من أمور ملوك الاندلس وسلاطين فاس كثيرا ما يدس لاقارب الملوك القيام على صاحب الامر ويزين له الثورة ويعده بالامداد بالمال والعدة وقصده بذلك كله توهين المسلمين وافساد تدبيرهم ونسخ الدول بعضها ببعض لما له في ذلك من المصلحة حتى بلغ أبعده الله تعالى من أمله الغاية (ومن انشاء لسان الدين بن الخطيب) رحمه الله تعالى عن سلطان الاندلس الى سلطان فاس المريني يعتذر عن فرار الامير أبي الفضل المريني الذي كان معتقلا بغرناطة فتحيل الطاغية في أمره حتى خرج طالبا الملك (ما نصه) المقام الذي شهد الليل والنهار باصالة سعادته وجرى الفلك الدوار بحكم ارادته وتعود الظفر بمن يناوبه فاطرد والحمد لله جريان عادته فوليه محقق لافادته وعدوه مرتقب لابادته وحلل الصنائع الالهية تضفو على أعطاف مجادته مقام محل أخينا الذي سهم سعده صائب وأمل من كاده خاسر خائب وسير الفلك المدار في مرضاته دائب وصنائع الله تعالى له تصحبها الالطاف العجائب فبيان شاهد منه في عصمة وغائب السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى مسدد السهم ماضي العزم تجل سعوده عن تصور الوهم ولا زال مرهوب الحد ممتثل الرسم موفور الحظ من نعمة الله تعالى عند تعدد القسم فائزا بفلج الخصام عند لدد الخصم معظم قدره وملتزم بره مبتهج بما يسببه الله تعالى له من اعزاز نصره واظهار أمره فلان سلام كريم طيب برعميم يخص مقامكم الاعلى ومثابتكم الفضلى التي حازت في الفخر الامد البعيد وفازت من التأييد والنصر بالحظ السعيد ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله الذي فسح لملككم الرفيع في العز مدى وعرفه عوارف آلائه وعوائد النصر على أعدائه يوما وغدا وحرس سماء علائه بشهب من قدره وقضائه فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وجعل نجح آماله وحسن مآله قياسا مطردا فرب مريد ضره ضر نفسه وهاد اليه اهدى وما هدى والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد نبيه ورسوله الذي ملأ الكون نورا وهدى وأحيا مراسم الحق وقد صارت طرائق قددا أعلى الانام يدا وأشرفهم محتدا الذي بجاهه نلبس أثواب السعادة جددا ونظفر بالنعيم الذي لا ينقطع

ردها الى مواضعها ثم العمل فيها برأيه فانما أمير المؤمنين أمين الله وسيان العمد القوي فوق الاموال عند منع حق واعطاء باطل فان كنت أردت الناس له فما أغناهم عنك وان كنت أردتهم لنفسك فما أغناك عنهم وسيأتيك من أمير المؤمنين أمران لين وشدة فلا يؤنسنك الا الطاعة ولا يوحشنك الا المعصية وظن بامير المؤمنين كل شئ الا احتمالك على الخطا واذا أعطاك الظفر على قوم فلا تقتلن جانحا ولا أسيرا وكتب في أسفل كتابه

اذا أنت لم تطلب أمورا كرهتها
وتطلب رضائي بالذي أنت طالبه
وتخشى الذي يخشاه مثلي هاربا
الى الله منه ضيع الدر حالبه
فان ترمني غفلة قرشية
فيا ربما قد غص بالماء شاربه
وان ترمني وثبة أموية
فهذا وهذا كل ذا أنا صاحبه
فلا تمني والحوادث جمة
فانك تجزى بما أنت كاسبه
ولا تعد ما يأتيك مني وان تعد
يقوم بها يوما عليك نوادبه
ولا تمنعن للناس حقا علمته
ولا تعطين ما ليس لله جانبه

وهي أبيات من جيد ما اخترناه من قول عبد الملك فلما قرأ الحجاج كتابه كتب أما بعد فقد أتاني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه سرفي في الدماء وتبذيري أبدا

أبدا والرضا عن آله وأصحابه الذين رفعوا السماء سنته عمدا وأوضحوا من سبيل اتباعه مقصدا وتقبلوا شيمه الطاهرة ركعا وسجدا سيوفا على من اعتدى ونجوما لمن اهتدى حتى علت فروع ملته صعدا وأصبح بناؤها مديدا مخلدا والدعاء لمقامكم الاسمى بالنصر الذي يتوالى مثنى وموحدا كما جمع الملك لكم ما تفرق من الالقاب على توالى الاحقاب فجعل سيفكم سفاحا وعلمكم منصورا ورأيكم رشيدا وعزمكم مؤيدا فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم صنعا يشرح للاسلام خلدا ونصرا يقيم للدين الحنيف أودا وعزما يملأ أفئدة الكفر كمدا وجعلكم ممن هيأ له من أمره رشدا ويسر لكم العاقبة الحسنى كما وعد به في كتابه العزيز والله أصدق موعدا من حمراء غرناطة حرسها ولا زائد بفضل الله سبحانه الا استطلاع سعودكم في آفاق العناية واعتقاد جميل صنع الله في البداية والنهاية والعلم بان ملككم تحدى من الظهور على أعدائه بآية وأجرى جياد السعد في ميدان لا يحد بغاية وخرق حجاب المعتاد بما لم يظهر الا لاصحاب الكرامة والولاية ونحن على ما علمتم من السرور بما يهز لملككم المنصور عطفا ويسدل عليه من العصمة سجفا فقاسمه الارتياح لمواقع نعم الله تعالى نصفا ونصفا ونعقد بين أنباء مسرته وبين الشكر لله حلفا ونعد التشيع له مما يقربنا الى الله زلفى ونؤمل من امداده ونرتقب من جهاده وقتا يكفل به الدين ويكفي وتروى غلل النفوس وتشفى والى هذا وصل الله سعدكم ووالى نصركم وعضدكم فانا من لدن صدر عن أخيكم أبي الفضل ما صدر من الانقياد لخدع الآمال والاغترار بعوارد الآل وفال رأيه في اقتحام الاهوال وتورط في هفوة حار فيها حيرة أهل الكلام في الاحوال وناصب من أمركم السعيد جبلا قضى الله له بالاستقرار والاستقبال ومن ذا يزاحم الاطواد ويزحزح الجبال وأخلف الظن مناقب وفائه وأضمر عملا استأثر عنا باخفائه واستعان من عدو الدين بعين قلما يورى لمن استنصر به زند ولا خفق لمن تولاه بالنصر بند وان الطاغية أعانه وأنجده ورأى انه سهم على المسلمين سدده وعضب للفتنة جرده فسخر له الفلك وأمل أن يستخدمه بسبب ذلك الملك فأورده المهلك والظلم الحالك علمنا أن طرف سعادته كاب وسحاب آماله غير ذات انسكاب وقدم عزته لم تستقر من السداد في غرز ركاب فان نجاح أعمال النفوس مرتبط بنياتها وغايات الامور تظهر في بداياتها وعوائد الله تعالى فيمن نازع قدرته لا تجهل ومن غالب أمر الله خاب منه المؤمل فبينما نحن نرتقب خسار تلك الصفقة المعقودة وخمود تلك الشعلة الموقودة وصلنا كتابكم يشرح الصدور ويشرح الاخبار ويهدي طرف المسرات ملء كف الاستبشار ويعرب بلسان حال المسارعة والابتدار عن الود الواضح وضوح النهار والتحقق بخلوصنا الذي يعلمه عالم الاسرار فأعاد في الافادة وأبدى وأسدى من الفضائل الجلائل ما أسدى وعلم منه مآل من رام يقدح زند الشتات من بعد الالتئام ويثير عجاجة المنازعة من بعد ركود القتام هيهات تلك قلادة الله تعالى التي ما كان يتركها بغير نظام ولم يدر أنكم نصبتم له من الحزم حبالة لا يفلتها قنيص وسددتم له من السعد سهما ماله عنه من محيص بما كان من ارسال جوارح الاسطول السعيد في مطاره حائلة بينه

في الاموال ولعمري ما بلغت في عقوبة أهل المعصية ما هم أهله وما قضيت حق أهل الطاعة بما استحقوه فان كان قتلي أولئك العصاة سرفا واعطائي أولئك المطيعين تبذيرا فليسوغني أمير المؤمنين ما سلف وليحد لي فيه حدا أنتهي اليه ان شاء الله تعالى ولا قوة الا بالله والله ما علي من عقل ولا قود ما أصبت القوم خطأ فأفديهم ولا أعطيتهم الا لك ولا قتلت الا فيك واما ما أنا منتظره من أمريك فاليهما عدة وأعظمهما محنة فقد عبأت للعدة الجلاد وللمحنة الصبر وكتب في أسفل كتابه

اذا أنا لم أتبع رضاك وأتقي أذاك فيومي لا تزول كواكبه
وما لامرئ بعد الخليفة جنة تقيه من الامر الذي هو كاسبه
أسالم من سالمت من ذي قرابة ومن لم تسالمه فاني محاربه
اذا قارف الحجاج منك خطيئة فقامت عليه في الصباح نوادبه
اذا أنا لم أدن الشفيق لنصحه وأقص الذي تسري الي عقاربه
فمن ذا الذي يرجو نوالي ويتقي مصاولتي والدهر جم نوائبه
فقف بي على حد الرضا لا أجوزه مدى الدهر حتى يرجع الدر حالبه
والا فدعني والامور فانني شفيق رفيق أحكمتني تجاربه

وبين أوطاره فما كان الا التسمية والارسال ثم الامساك والقتال ثم الاقتيات والاستعمال فيالهمن زجر استنطق لسان الوجود بحمده واستنصر البحر فمده وصارع القدر بقدره المجدله وان خدامكم استولوا على ما كان فيه من مؤمل غاية بعيده ومنتسب الى نسبة غير سعيده وشانئ غمرته من الكفار خدام الماء وأولياء النار تحكمت فيهم أطراف العوالي وصدور الشفار وتحصل منهم من تخطاه الحمام في قبضة الاسار فعجبنا من تيسير هذا المرام واتحاد الله لهذا الضرام وقلنا كيف لا يحصل في الاوهام وتسديد لا تستطيع اصابته السهام كما قدح الخلاف زندا اطفأ سعدكم شعلته أو اظهر الشتات الماابراين طائر كم علته ماذاك الا النية صدقت معاملتها في جنب الله تعالى وصحت واسترسلت بركتها وسحت وجهاد نذرتموه اذا فرغت شواغلكم وتمت واهتمام بالاسلام يكفيه الخطوب التى أهمت فنحن نهنيكم بنعم الله ومننه ونسأله أن يلبسكم من اعانته أوقى جننه فاملنا أن تطرد آمالكم وتنجح في مرضاة الله أعمالكم فمقامكم هو العمدة التى يدافع العدو بسلاحها وتنبلج ظلمات صفاحها وكيف لا نهنيكم بصنع على جهتنا يعود وبآفاقنا تطلع منه السعود فتيقنوا ما عندناه من الاعتقاد الذى رسومه قد استقلت وا كفت وديمه بساحة الود قد وكفت والله عز وجل يجعل لكم الفتوح عادة ولا يعدمكم عناية وسعادة وهو سبحانه يعلى مقامكم وينصر أعلامكم ويهنى الاسلام أيامكم والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته (وكان) سلطان الاندلس فى الازمان المتأخرة كثيرا ما يشم أرج الفرج فى سلم الكفار ومهادنتهم حيث لم يقدر فى الغالب على مقاومتهم ولذلك لما قتل السلطان أبو الحجاج الذى كان لسان الدين كاتبه ووزيره وقام بالامر بعده ابنه محمد الغنى بالله الذى ألقى مقاليده للسان الدين أكد أمر السلم وانتظم ما يبرمه القضاء الجزم والقدر الحتم (ومن انشاء لسان الدين) فى ذلك على لسان الغنى مخاطبا سلطان فاس والمغرب أبى عنان (ما صورته) المقام الذى يغنى عن كل مفقود بوجوده ويهز الى جميل العوائد أعطاف باسه وجوده ونستضيء عند اظلام الخطوب بنور سعوده ونرث من الاعتماد عليه اسنى ذخر يرثه الولد عن آبائه وجدوده مقام محل أبينا الذى يرعى الاذمة شانه وصلة الراعى سجية انفرد بها سلطانه ومواعد النصر ينجزها زمانه والقول والفعل فى ذات الله تعالى تكفلت بهما يده الكريمة ولسانه وتطابق فيهما اسراره واعلانه السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى محروسا من غير الايام جنابه موصولة بالوقاية الالهية أسبابه مسدولا على ذاته الكريمة ستر الله تعالى وحجابه مصروفا عنه من صروف القدر ما يعجز عن رده بوابه ولازال ملجأ تنفق لديه الوسائل التى تدخرها الاولادها أولياؤه وأحبابه ويسطر فى صحف الفخر ثوابه وتشتمل على مكارم الدين والدنيا أثوابه وتتكفل بنصر الاسلام وجبر القلوب عند طوارق الايام كتائبه وكتابه معظم ما أعظم من السائر من اجلاله وشكر خلاله على لاحب طرقه المستضيء فى ظلمة الخطب بنور أفقه الامير عبد الله محمد ابن أمير المسلمين أبى الحجاج ابن أمير المسلمين أبى الوليد بن فرج بن نصر سلام كريم طيب برعميم يخص مقامكم الاعلى ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله

الذى

وهي أبيات من جيد ما اخترناه من شعر الحجاج فلما انتهى كتابه الى عبد الملك قال الخاف أبو محمد صولتي ولن اعود لشئ يكرهه (وحدث) حماد الراوية أن الحجاج سهر ليلة بالكوفة فقال لحرسي ائتني بمحدث من المسجد فاعترض رجلا جسيما عظيما فقال اجب الامير فانطلق به حتى أدخله اليه فلم يسلم ولا نطق حتى قال له الحجاج ايه ما عندك فقال له الرجل ايه ما عندك فقال للحرسي أخرجه أخرج الله نفسك أمرتك أن تأتيني بمحدث فاتيتني بمرعوب قد ذهب فؤاده فخرج الحجاج ومعه صرة دراهم الى المسجد فجعل يتناول الناس فيأخذونها حتى انتهى الى الشيخ فاعطاه فنبذها فاعادها الحجاج فردها ففعل ذلك الحجاج ثلاثا فدنا منه الحجاج وقال أنا الحجاج ودخل القصر وقال للحرسي الحقني به فدخل فسلم بلسان ذلق وقلب شديد فقال له الحجاج ممن الرجل فقال من بني شيبان قال ما اسمك قال سبرة بن الجعد قال ياسبرة هل قرأت القرآن قال جمعته فى صدري وان عملت به فقد حفظته وان لم أعمل به فقد ضيعته قال فهل تفرض قال انى لافرض الصلب وأعرف الاختلاف فى الجد قال فهل تبصر الثقه قال انى لا ابصر ما اقوم به أهلي وأرشد الاعمى من قومي قال فهل تعرف

ى لاراد لامره ولامعارض لفعله مصرف الامر بقدرته وحكمته وعدله الملك الحق
ى بيده ملاك الامر كله مقدر الآجال والاعمار فلا يتأخر شئ عن ميقاته ولا يبرح عن محله
ل الدنيا مناخ قلعة لا يغتبط العاقل بمائه ولا بظله وسبيل رحلة فما أكثب ظعنه من
والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد صفوته من خلقه وخيرة أنبيائه وسيد رسله الذى
تم بسببه الاقوى وتمسك بحبله ونجدد الافتقار الى فضله ونجاهد فى سبيله من
به أوجاد عن سبله ونصل اليه ابتغاء مرضاته ومن أجله والرضا عن آله وأحزابه
ار وأهله المستولين من ميدان الكمال على خصله والدعاء لمقامكم الاعلى بعز نصره
اء فضله فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم وقاية لا تطرق الخطوب حماها وعصمة
ح عنها سهام النوائب كلما فوقها الدهر ورماها وعناية لا تغير الحوادث اسمها ولا
ماها وعزا يزاحم أجرام الكواكب منتماها من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ونعم
سبحانه تتواتر لدينا دفعا ونفعا والطافه تتعرفها وتراوشفعا ومقامكم الابوى هو المستند
الاقوى والمورد الذى ترده آمال الاسلام فتروى وتهوى اليه أفئدتهم فتجد ما تهوى
منا بكم العدة التى تأسست مبانيها على البر والتقوى والى هذا وصل الله تعالى سعدكم
أبقى مجدكم فاننا لما نلم من مساهمة مجدكم التى تقتضيها كرام الطباع وطباع الكرم
وتدعو اليها ذمم الرعى ورعى الذمم نعرفكم بعد الدعاء لملككم بدفاع الله تعالى عن ارتقائه
امتاع المسلمين ببقائه بما كان من وفاة مولانا الوالد نفعه الله تعالى بالسعادة التى ألبسه
حلتها والشهادة التى فى أعماله الزكية كتبها والدرجة العالية التى حتمها له وأوجبها
ما تصير الينا من أمره وضم بنا من نشره وسدل على من خلفه من ستره وانها العبرة لمن ألقى
السمع وموعظة تهز الجمع وترسل الدمع وحادثة أجمل الله سبحانه فيها الدفع وشرح
لها وان أخرس اللسان هولها وأسلم العبارة قوتها وحولها انه رضى الله تعالى عنه لما برز
ة سنة هذا العيد مستشعرا شعار كلمة التوحيد مظهرا سمة الخضوع للولى الذى
ع بين يديه رقاب العبيد آمنا بين قومه وأهله متسربلا فى حلل نعم الله تعالى وفضله
ر العين باكتمال عزه واجتماع شمله قد احترس بأقصى استطاعته واستظهر
ان طاعته والاجل المكتوب قد حضر والارادة الالهية قد أنفذت القضاء والقدر
بعد الركعة الثانية من صلاته أتاه أمر الله لميقاته على حين الشباب غض جلبابه
والسلاح زاخر عبابه والدين بهذا القطر قد اينع بالامن جنابه وأمر من يقول للشئ كن
فيكون قد بلغ كتابه ولم يرعه وقد اطمأنت بذكر الله تعالى القلوب وخلصت الرغبات
الى فضله المطلوب الاشقى قيضه الله لسعادته غير معروف ولا منسوب وخبيث لم يكن بمعتبر
ولا محسوب تخلل الصفوف المعقوده وتجاوز الابواب المسدوده وخاض الجموع
المشهوده والامم المحشورة الى طاعة الله المحشوده لا تدل العين عليه شارة ولا بزه ولا تحمل
على الحذر منه انفة ولا عزه وانما هو خبيث ممرور وكلب عقور وحية سمها وحى
محذور وآلة مصرفة لينفذ بها قدر مقدور فلما طعنه وأثبته وأعلق به شرك الحين فما
أفلته قبض عليه من الخلصان الاولياء من خبر ضميره وأحكم تقريره فلم يجب عند

الشعر قال انى لاروى
المثل والشاهد قال المثل
قد عرفناه فما الشاهد قال
اليوم يكون للعرب من
أيامها عليه شاهد من
الشعر فانى أروى ذلك
الشاهد فاتخذه الحجاج
سميرا فلم يك يطلب شيأ
من الحديث الا وجد عنده
منه علما وكان يرى رأى
الخوارج من أصحاب
قطرى بن الفجاءة التميمى
والفجاءة أمه وكانت من
بنى شيبان وانما هو رجل
من تميم وكان قطرى يومئذ
يحارب المهلب فبلغ قطريا
مكان سبرة من الحجاج
فكتب اليه بابيات منها
لشتان ما بين ابن جعد
وبيننا
اذا نحن رحنا فى الحديد
المظاهر
نجاهد فرسان المهلب كلنا
صبور على وقع السيوف
البواتر
وراح يجر الخز عند أميره
أمير بتقوى ربه غير آمر
أبا الجعد أين العلم والحلم
والنهى
وميراث آباء كرام العناصر
ألم تر أن الموت لا شك نازل
ولابد من بعث الالى فى
المقابر
حفاة عراة والتراب لديهم
فمن بين ذى ربح وآخر خاسر

فان الذى قد نلت يغنى وانما * حياتك فى الدنيا كرقعة طائر

الاستفهام جوابا يعقل ولا عثر على شئ عنه ينقل لما فامن الله أفادرات الذم وتعاورته للعين أيدى التمزيق وأتبع شلوه بالتحريق واحتمل مولانا الوالد رحمه الله تعالى الى القصر وبه ذماء لم يلبث بعد الفتكة العمرية الا أيسر من اليسير وتخاف الملك ينظر من الطرف الحسير وينهض بالجناح الكسير وقد عاد جمع السلامة الى التكسير الا أن الله تعالى تدارك هذا القطر الغريب بأن أقامنا مقامه لوقته وحينه ورفع بناء عماد ملكه ولم شعث دينه وكان جميع من حضر المشهد من شريف الناس ومشروفهم وأعلامهم ولفيفهم قد جمعه ذلك الميقات وحضر الاولياء الثقات فلم تختلف علينا كلمة ولا شذت منهم عن بيعتنا نفس مسلمة ولا أخيف برى ولا حذر جرى ولا فرى فرى ولا وقع لبس ولا استوحشت نفس ولا نبض للفتنة عرق ولا أغفل للدين حق فاستنفد النقل الى نصه ولم يعدم من فقيدنا غير شخصه وبادرنا الى مخاطبة البلاد فمهدها وسكنها وتقرر الطاعة فى النفوس وتمكنها وأمرنا الناس بها بكف الايدى ورفع التعدى والعمل من حفظ شروط المسالمة المعقودة بما يجدى ومن شره منهم للفرار عاجلناه بالانكار وصرفنا على النصارى ما أوصاه مصحبا بالاعتذار وخاطبنا صاحب قشتالة نرى ما عنده فى صلة السلم الى امدها من الاخبار واتصلت بنا البيعات من جميع الاقطار وعفى على حزن المسلمين بوالدنا ما ظهر عليهم بولايتنا من الاستبشار واستبقوا وتطير بهم أجنحة الابتدار جعلنا الله تعالى ممن قابل الحوادث بالاعتبار وكان على حذر من تصاريف الاقدار واختلاف الليل والنهار واعاننا على اقامة دينه فى هذا الوطن الغريب المنقطع بين العدو الطاغى والبحر الزخار والهمنا من شكره ما يتكفل بالمزيد من نعمه ولا قطع عنا عوائد كرمه وان فقدنا والدنا فانتم لنا من بعده الوالد والذخر الذى تكرم منه العوائد والحب يتوارث كما ورد فى الاخبار التى صحت منها الشواهد ومن أعد مثلكم لبنيه فقد تيسرت من بعد الممات أمانيه وتأسست قواعد ملكه وتشيدت مبانيه فالاعتقاد الجميل موصول والفروع لما فى التشيع اليكم أصول وفى تقرير فخركم محصول وأنتم ردء المسلمين بهذه البلاد المسلمة الذى يعينها بارفاده وينصرهم بانجاده ويعامل الله تعالى فيها بصدق جهاده وعند ما استقر هذا الامر الذى تبعت المحنة فيه المنحة ورافت من فضل الله تعالى ولطفه فيه الصفحة وأخذنا البيعة من أهل حضرتنا بعد استدعاء خواصهم وأعيانهم وتزاحمت على رقها المنشور خطوط أيمانهم وتأصلت قواعد ألفاظها ومعانيها فى قلوبهم وآذانهم وضمنوا الوفاء بما عاهدوا الله عليه وقد خبر سلفنا والحمد لله وفاء ضمانهم بادرنا تعريف مقامكم الذى نعلم مساهمته فيما ساء وسر واحلى وأمر عملا بمقتضى الخلوص الذى ثبت واستقر والحب الذى ما مال يوما ولا ازور وما أحق تعريف مقامكم بوقوع هذا الامر المحذور وانجلاء ليله عن صبح الصنع البادى السفور وان كنا قد خاطبنا من خدامكم من يادر اعلامكم بالامور الا انه امر له ما بعده وحادث يأخذ حده ونبعث الى بابكم من شاهد الحال ما بين وقوعها الى استقرارها رأى العيان وتولى تسديد الامور باعماله الكريمة ومقاصده الحسان ليكون أبلغ فى البر واشرح للصدر وأوعب للبيان فوجهنا اليكم وزيرا

فراجع أبا جعد ولا تك مغضيا
على ظلمة أعشت جميع النواظر
وتب توبة تهدى اليك شهادة
فانك ذو ذنب ولست بكافر
وسر نحونا تلق الجهاد غنيمة
تفدك ابتياعا رابحا غير خاسر
هى الغاية القصوى الرغيب ثوابها
اذا نال فى الدنيا الغنى كل تاجر
فلما قرأ كتابه بكى وركب فرسه وأخذ سلاحه ولحق بقطرى وطلبه الحجاج فلم يقدر عليه ولم يرع الحجاج الا وكتاب قد بدر منه فيه شعر قطرى الذى كان كتب به اليه وفى أسفل الكتاب الى الحجاج ابيات منها
فمن مبلغ الحجاج أن سميره
قلا كل دين غير دين الخوارج
رأى الناس الا من رأى مثل رأيه
ملاعين تراكين قصد المخارج
فاقبلت نحو الله بالله واثقا
وما كربتى غير الاله بفارج
الى عصبة أما النهار فانهم
هم الاسد أسد الغيل عند التهايج
وأما اذا ما الليل جن فانهم
قيام باتواح النساء النواشج
ينادون للتحكيم تالله انهم
رأوا حكم عمرو كالرياح الهوائج
وحكم ابن قيس مثل ذلك فاعصموا
بحبل شديد المتن ليس بناهج
فطرح الحجاج هذا الكتاب الى عنبسة بن سعيد فقال أمرنا

وكاتب سرنا الكذا ابن فلان والقيناه اليه من تقرير تعويلنا على ذلك المقام الاسنى
تنادنا من التشييع اليه الى الركن الوثيق المبنى ما نرجو ان يكون له فيه المقام الاحمى
ثمرة العذبة المجنى فلاهتمامه بهذا الغرض الاكيد الذى هو أساس بنائنا وقامع
اثنا آثرنا توجيهه على توفر الاحتياج اليه ومدار المحال عليه والمرغوب من أبوتكم
ملة أن يتلقاه قبولها بما يليق بالملك العالى والخلافة السامية المعالى والله عز وجل يديم
كم اصلة الفضل المتوالى ويحفظ مجدكم من غير الايام والليالى وهو سبحانه يصل سعدكم
يحرس مجدكم ويوالى نصركم وعضدكم والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته
ى * وقوله فى هذه الرسالة توجهنا اليكم وزير امرنا الى آخره هو لسان الدين
ه الله تعالى اذ هو كان الوزير اذ ذاك والسفير فى هذه القضية ومن صفحات هذا الكلام
ضح لك ما نال لسان الدين رحمه الله تعالى من الرياسة والجاه ونفوذ الكلمة بالاندلس
المغرب رحمه الله تعالى وقد اكرمه السلطان أبو عنان فى هذه الوفادة وغيرها غاية الاكرام
كان المقصود الاعظم من هذه الوفادة استعانة سلطان الاندلس الغنى بالله بالسلطان أبى
نان على طاغية النصارى كما المعنا بذلك فى الباب الثانى من القسم الثانى الذى يتعلق بلسان
دين وكان السلطان أبو عنان ابن السلطان أبى الحسن معتنيا بالاندلس غاية الاعتناء
خصوصا بجبل الفتح حتى انه بلغ من اعتنائه به أن أمر عليه ولده أبا بكر السعيد وهو الذى
لى الملك بعده (ومن انشاء لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى) على لسان سلطانه
اخاطب به الامير السعيد المذكور اذ قلده والده جبل الفتح وهو الامارة التى أشرق فى
ماء الملك شهابها واتصلت باسباب العز أسبابها واشتملت على الفضل والطهارة
ثوابها وأجيلت قداح المفاخر فكان الى جهة الله تعالى انتدابها امارة محل أخينا الذى
اسس على مرضاة الله تعالى أصيل فخره واتسم بالمرابط المجاهد على اقتبال سنه
جدة عمره وبدأ بفضل الجهاد صحيفة أجره وافتتح بالرباط والصلاح ديوان نهيه وأمره
يا سره من سعادة نصبته وحباه من عز نصره الامير الاجل الاعز الارفع الاسنى الاطهر
الاظهر الامنع الاصعد الاسمى الاوفق الارضى محل أخينا العزيز علينا المهداة أنباء
مأمول جواره الينا أبى بكر السعيد ابن محل والدنا الذى مقاصده للاسلام وأهله على
مرضاة الله تعالى جاريه وعزائمه على نصر الملة الحنيفية متباريه السلطان الكذا أبو عنان
ابن السلطان الكذا أبى الحسن ابن السلطان الكذا أبى سعيد ابن السلطان يعقوب بن عبد
الحق أبقاه الله تعالى سديدة آراؤه ناجحة أعماله ميسرة أغراضه من فضل الله تعالى متممة
آماله رحيبا فى السعد مجاله يكنفه من الله تعالى ومحل أبيه انعام وارفة ظلاله هام
نواله حتى يرضى الله تعالى مساعيه بين يديه ومصاله وتمضى فى الاعداء أمام رايته المنصورة
نصاله أخوه المسرور بقربه المنطوى على مضمر حبه أمير المسلمين محمد ابن أمير المسلمين
أبى الحجاج ابن أمير المسلمين أبى الوليد بن فرج بن نصر سلام كريم طيب برعميم يخص اخوتكم
الفضلى وامارتكم التى آثار فضلها بحول الله تتلى ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد
الله على ما كيف من الطاف المشرقة الانوار ويسره لهذه الاوطان بنصرته من الاوطار

من سميرنا الشيبانى وهو من الخوارج ولا نعلم به ولاى الجعد سهرة بن

[illegible]
اشعار كثيرة منها قوله من
أبيات
عجبت لحالات البلاء وللدهر
وللعين يأتى المرء من حيث
لا يدرى
وللناس يأتون الضلالة
بعدما
أتاهم من الرحمن نور من
البدر
ولله لا يخفى عليه صنيعنا
حفيظ علينا فى المقام وفى
السفر
علا فوق عرش فوق سبع
ودونه
سماء يرى الارواح من
دونها تجرى
وقد قيل ان هذا الشعر
لغيره من الخوارج ولاصناف
الخوارج أخبار حسان
من الازارقة والاباضية
وغيرهما قد أتينا على
ذكرها فى كتابنا أخبار
الزمان والاوسط وذكرنا
ما اتفقت عليه الخوارج
واجتمعت عليه من
الاصول من اكفارهم
عثمان وعليا والخروج
على الامام الجائر وتكفير
من ركب الكبائر والبراءة
من الحكمين أبى موسى
عبد الله بن قيس الاشعرى
وعمرو بن العاص السهمى
وحكمهما والبراءة ممن
صوب حكمهما أو رضى
به واكفار معاوية وناصريه ومقلده ومحبيه فهذا ما اتفقت عليه الخوارج من الشراة والحرورية ثم اختلفوا بعد ذلك

فكلما دجت بها شدة طلع الفرج عليها طلوع النهار وكلما اضطرب منها جانب أعاده بفضل
الله تعالى من أقامه لذلك واختاره الى حال السكون والقرار والصلاة والسلام على سيدنا
ومولانا محمد رسوله المصطفى المختار الذى أكد عليه جبريل صلوات الله عليه حق الجوار
حتى كاد يلحقه بالوسائل والقرب الكبار الذى وهانا بالالتئام واتصال اليد فى نصرة
الاسلام فنحن نقابل وصاته بالبدار ونجرى على نهجه الواضح الآثار ونرتجى باتباعه
الجمع بين سعادة هذه الدار وتلك الدار والرضا عن آله وأصحابه وأنصاره واحزابه أكرم
الآل والاصحاب والاحزاب والانصار الذين كانوا كما أخبر الله تعالى عنهم على لسان
الصادق الاخبار رحماء بينهم أشداء على الكفار والدعاء لامارتكم السعيدة بالتوفيق
الذى تجرى به الامور على حسب الاختيار والعز المنيع الذمار والسعد القويم المدار
والوقاية التى يامن بها اهلها من الشرار فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم أسنى
ما كتب للامراء الارضياء الاخيار ومتعكم من بقاء والدكم بالعدة العظمى والسيرة
الرضى والجلال الرفيع المقدار من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ولا زائد بفضل الله
سبحانه ثم ببركة سيدنا ومولانا محمد رسوله صلى الله عليه وسلم الذى أوضح برهانه الا ألطاف
باهره وعناية من الله تعالى باطنة وظاهره وبشارة بالقبول وارده وبالشكر صادره
والله تعالى يصل لدينا نعمه ويوالى فضله وكرمه والى هذا فاننا اتصل بنا فى هذه الايام
ما كان من عناية والدكم محل أبينا أبقاه الله تعالى بهذه البلاد المستندة الى تاميل مجده
واقطاعها الغاية التى لا فوقها من حسن نظره وجميل قصده وتعيينكم الى المقام بجبل الفتح
ابلاغا فى اجتهاده الدينى وجده فقلنا هذا خبر ان صدق مخبره وتحصل منتظره فهو
نغر تجددت أثوابه واعتناء تفتحت أبوابه وعمل عند الله تعالى ثوابه فان الاندلس عصمها
الله تعالى وان أنجدته عدده وامواله ونجحت فى نصرها مقاصده الكريمة وأعماله
لا تدرى موقع النظر لها من نفسه وزيادة يومه فى العناية على أمسه حتى يسمح لها بولده
ويخصها بقرة عينه وفلذة كبده فلما ورد الخبر الذى راقت منه الحبر ووضحت من سعادته
الغرر باجازتكم البحر واختياركم فى حال الشبيبة الفخر وصدق مخيلة الدين فيكم
واستقراركم فى الثغر الشهير الذى افتتحه سيف جدكم واستنقذه سعد أبيكم سررنا
بقرب المزار ودنو الدار وقابلنا صنع الله تعالى بالاستبشار ووثقنا وان لم نزل على ثقة من
عناية الله تعالى وعناية محل والدنا بهذه الاقطار وحمدنا الله تعالى على هذه الآلاء
المشرقه والنعم المغدقه والصنائع المتألقه بادرنا بهنى اخوتكم أولا بما يسره الله تعالى
لكم من سلامة المجاز ثم بما منحكم الله تعالى من فضل الاختصاص بهذا الغرض
والامتياز فامارتكم الامارة التى أخذت باسباب السماء وركبت الى الجهاد فى سبيل الله
تعالى جياد الخيل والماء وأصبحت على حال الشبيبة شجا فى حلوق الاعداء ونحن أحق
بهذا الهناء ولكنها عادة الود وسنة الاخاء فالله عز وجل يجعله مقدما ميمون الطائر
متهلل البشائر تتهلل بصنع الله تعالى بعده وجوه القبائل والعشائر ويجرى خبر سعادتكم
مجرى المثل السائر ويشكر محل والدنا فيما كان من اختياره ويزيد ايثاره ويجازيه

فى مواضع العبارة عن التوحيد والوعد والوعيد والامامة وغير ذلك من آرائهم وقد قدمنا فيما سلف من هذا
الكتاب فى باب ذكر
الحكمين أن أول من حكم
بصفين عروة بن أدية
التميمى وقيل ان أول من
حكم بصفين يزيد بن عاصم
المحاربى وقيل ان أول
من حكم رجل من بنى
سعد بن زيد مناة بن تميم
وكان أول من شرى بصفين
من المحكمة رجل من بنى
يشكر وكان من وجوه
ربيعة ممن كان مع على
فانه حكم فى ذلك اليوم قال
لا حكم الا لله ولا طاعة لمن
عصى الله وخرج عن
الصف فحمل على أصحاب
على فقتل منهم رجلا ثم
حمل على أصحاب معاوية
فقتل منهم ولم يقدر على قتل
أحد منهم وكر على أصحاب
على فقتله رجل من
همدان وقد أتى الهيثم
ابن عدى وأبو الحسن
المدائنى وأبو البخترى
القاضى وغيرهم على أخبار
الخوارج وأصنافهم فيما
أفردوه من كتبهم وذكر
أصحاب المقالات فى الآراء
والديانات ما تنازعوا فيه
من مذاهبهم وذلك فى
كتابنا فى المقالات فى
أصول الديانات وذكرنا
من خرج منهم من وقت
التحكيم فى عصر عصر الى
آخر من خرج منهم بديار ربيعة على بنى حمدان وذلك فى سنة ثمان عشرة وثلثمائة وهو المعروف

را من سمع في ذاته عظلته ادخاره ومذ رأينا ان هذا الغرض لا يجتري فيه بالكتابه دون
لاستنابه وجهنا لكم من يقوم بحقه ويجري من تقريرها لنا بناء على أوضح طرقه وهو
لقائد الكذا أبد كم يصغي لما يلقيه ويقابل بالقبول ما من ذلك يؤديه والله تعالى
يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام انتهى * وكان الطاغية الملعون أيام
السلطان أبي عنان رحمه الله تعالى نازل جبل الفتح ثم كفى الله تعالى شره في ذلك التاريخ
من انشاء لسان الدين) على لسان سلطانه أبي الحجاج يخاطب أبا عنان سلطان فاس والمغرب
مه المقام الذي رمى له الملك الاصيل بافلاذه وأدى منه الاسلام الى ملجئه الاحمى
لاذه وكفلت السعود باه ضاء أمره المطاع وانفاذه وشأى حلبة الكرم فكان وحيد
ادهو فذا افذاذه وابتدع غرائب الجود فقال لسان الوجود نعمت البدعة هذه مقام
ل أخينا الذي أركان مجده راسية راسخة وغرر عزه بادية باذخة وأعلام فخره سامية
باذخه وآيات سعده محكمة ناسخه السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان
الكذا أبقاه الله تعالى يجري بسعده الفلك ويجلي نور هديه الحلك ويسطر حسنات ملكه
الملك ويشهد بفضل بأسه وبداه النادي والمعترك معظم حقوقه التي تأكد فرضها المتق
على مكارمه التي أعيا الاوصاف البليغة بعضها أمير المسلمين يوسف ابن أمير المسلمين أبي
الوليد اسمعيل بن فرج بن نصر سلام كريم طيب برعميم يخص اخوتكم الفضلى ورحمة الله
وبركاته أما بعد حمد الله الذي هيأ لملة الاسلام بمظاهرة ملككم المنصور الاعلام اظهارا
واعزازا وجعل لها العاقبة الحسنى بيمن مقامكم الاسنى تصديقا لدعوة الحق وانجازا
وسهل لها بسعدكم كل صعب المرام وقد سامتها صروف الايام لياوا عوازا وأتاح لها
شكم وليا يسوم أعداءها ابتلاء وابتزازا ويسكن آمالها وقد استشعرت انحفازا حمدا
يكون على حلل النعم العميمة والآلاء الكريمة طرازا والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا
محمد رسوله الذي بهرت آياته وضوحا واعجازا واستحقت الكمال صفاته حقيقة لا مجازا
نبيه الذي بين للخلق أحكام دينه الحق امتناعا وجوازا ويسر لهم وقد ضلوا في مفاوز الشك
مجازا والرضا عن آله وأصحابه المستولين على ميادين فضائل الدنيا والدين اختصاصا
وامتيازا فكانوا غيوثا ان وجدوا محلا وليوثا ان شهدوا برازا والدعاء لمقام اخوتكم
الاسمى بنصر على أعدائه تبدي له الجياد الجرد ارتياحا والرماح الملد اهتزازا وعز يطأ
من أكناف البسيطة وأرجائها المحيطة سهلا وعزازا ويمن يشمل من بلاد الايمان أقطارا
نازحة ويمم أحوازا وسعد تجول في ميدان ذكره المذاع أطراف ألسنة اليراع اسهابا
وايجازا ونفر يجوب جيوب الاقطار جوب المثل السيار عراقا وحجازا ولا زالت
كتائب سعده تنتهز فرص الدهر انتهازا وتوسع ممالكات الكفر انتهابا واحتيازا فانا
كتبناه الى مقامكم كتب الله تعالى لكم سعدا ثابت المراكز وعزا لا تلين قناته في يد
الغامز وثناء لا يثني عنان سراه عرض المفاوز وصنعا رحيب الجوانب رغيب الجوائز
من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى وفضله عز وجل قد أدال العسر يسرا وأحال القبض
بسطا وقرب نوازح الآمال بعد أن تناءت ديارها شحطا وراض مركب الدهر الذي كان

ون وتوخرج ببلاد كفربيوتى ونورد الى نصيبين فكانت له مع أهلها حرب أسر فيها وقتل منهم خلق عظيم والمعروف بأبي شبيب خرج في بني مالك وغيرهم من ربيعة وقد كان أدخل على المقتدر بالله وقد كان بعد العشرين والثلثمائة للاباضية ببلاد عمان مما يلي بلاد بروى وغيرها حروب وتحكيم وخروج وامام نصبوه فقتل وقتل من كان معه وفي سنة سبع وسبعين كانت للحجاج حروب مع شبيب الخارجي وولى عنه الحجاج بعد قتل ذريع كان في أصحابه حتى أحصى عددهم بالقضيب فدخل الكوفة وتحصن في دار الامارة ودخل شبيب وأمه وزوجته غزالة الكوفة عند الصباح وقد كانت غزالة نذرت أن تدخل مسجد الكوفة فتصلي فيه ركعتين تقرأ فيهما سورة البقرة وآل عمران فاتوا الجامع في سبعين رجلا فصلوا به الغداة وخرجت غزالة مما كانت أوجبته على نفسها فقال الناس بالكوفة في تلك السنة

وفت الغزالة نذرها

يارب لا تغفر لها

وكانت الغزالة من الشجاعة والفروسية بالموضع العظيم وكذلك أم شبيب وقد كان عبد الملك حين بلغه خبر هرب الحجاج وتحصنه في دار الامارة بالكوفة من شبيب بعث من الشام

لايلين لمن استعلى وقرب غريم الرجاء في هذه الارجاء وكان مشتطا والتوكل عليه سبحانه وتعالى قد احكم منه اليقين والاستبصار المبين ربطا ومشروط المزيد من نعمه قد لزم من الشكر شرطا ومقامكم هو عدة الاسلام اذا جد حفاظه وظله الظليل اذا اتقى للكفر شواظه وملجؤه الذى تنام فى كنف أمنه إيقاظه ووزره الذى الى نصره تمد أيديه وتشير الحاظه ففي أرجاء ثنائه تسرح معانيه وألفاظه ولخطب تمهيده وتحميده يقول قسه وتحتفل عكاظه وتشيعنا الى ذلك الجناب الكريم طويل عريض ومقدمات ودنا اياه لايعترضها نقيض وأفلاك تعظيمنا له ليس لأوجها الرفيع حضيض وأنوار اعتقادنا الجميل فيه يشف سواد الحبر عن أوجهها البيض والى هذا أبسكم الله تعالى ثوبا لسعادة المعادة فضفاضا كما صرف بركة ايالتكم الكريمة على ربوع الاسلام ووجوه الليالى والايام وقد ازورت اعراضا وبسطت آمالها وقد استشعرت انقباضا فانه اورد علينا كتابكم الذى كرم انحاء وأغراضا وجالت البلاغة من طرسه الفصيح المقال رياضا ووردت الافكار من معانيه الغرائب والفاظه المزرية بدرر النحور والترائب بحورا صافية وحياضا فاجتلينا منه حلة من حلل الود سابغة وحجة من حجج المجد بالغة وشمسا فى فلك السعد بازغة الذى بين المقاصد الكريمة وشرحها وجلا الفضائل العميمة وأوضحها فما أكرم شيم ذلك الجلال وأسمعها وأفضل خلال ذلك الكمال وأرجحها حثثتم فيه على احكام السلم التى تحوط الانفس والحريم بسياج ويداوى القطر العليل منها بأنجع علاج والحال ذات احتياج وساحة الجبل عصمه الله تعالى ميدان هياج ومتبوأ اعلاج ومظنة اختلاف للظنون الموحشة واختلاج فحضر لدينا محتمله وزيركم الشيخ الاجل الاعظم الموقر الاسمى الخاصة الاحظى أبو على ابن الشيخ الوزير الاجل الحافل الفاضل المجاهد الكامل أبى عبد الله بن محلى والشيخ الفقيه الاستاذ الاعرف الفاضل الكامل أبو عبد الله ابن الشيخ الفقيه الاجل العارف الفاضل الصالح المبارك المبرور المرحوم أبى عبد الله القشتالى وصل الله سبحانه سعادتهما وحرس مجادتهما حالين من مراتب ترفيعنا أعلى محل الاعزاز ووارد ين على أحلى القبول الذى لاتشاب حقيقته بالمجاز عملا بما يجب علينا لمن يصل الينا من تلك الانحاء الكريمة والاحواز فتلقينا ما اشتملت عليه الاحالة السلطانية من الود الذى كرم مفهوما ونصا والبر الذى ذهب من مذاهب الفضل والكمال الامد الاقصى وقد كان سبقهما صنع الله جل جلاله بما اخلف الظنون وشرح الصدور وأقر العيون فلم يصلا الينا الا وقد أهلك الله تعالى الطاغيه ومزق أحزابه الباغيه نعمة منه سبحانه وتعالى ومنة ملأت الصدور انشراحا وعمت الارجاء افراحا وعنوانا على سعد مقامكم الذى راق غررا فى المكرمات وأوضاحا ومد يده الى سهام المواهب الالهية فحاز أعلاها قداحا فتشوفت نفوس المسلمين الى ما كانت تؤمله من فضل الله تعالى وترجوه وبدت فى القضية التى أشرتم باعمالها الوجوه وانبعثت الآمال الى ما آلت اليه هذه الحال انبعاثا والتاثت أمور العدو قصمه الله تعالى التياثا وانتقض غزله من بعد قوته بفضل الله تعالى أنكاثا واحتملت المسئلة التى تفضلتم بعرضها وأشرتم الى غرضها مأخذا

وابعاثا

بعث ثم سيره عليه الى شبيب فحاربوه فانهزم شبيب وقتلت الغزالة وأمه ومضى شبيب فى فوارس من أصحابه واتبعه سفيان من أهل الشام فلحقه بالاهواز فولى شبيب فلما حصل على جسر دجيل نفر به فرسه وعليه الحديد الثقيل من درع ومغفر فالقاه فى الماء فقال له بعض أصحابه أغرقا يا أمير المؤمنين قال ذلك تقدير العزيز العليم فألقاه دجيل ميتا بشطه فحمل على البريد الى الحجاج فامر الحجاج بشق بطنه واستخراج قلبه فاستخرج فاذا هو كالحجر اذا ضربت به الارض نبا عنها فشق فاذا فى داخله قلب صغير كالكرة فشق فاصيب علقة الدم فى داخله وفى سنة اثنتين وثمانين قتل الحجاج ابن القرية لخروجه مع ابن الاشعث وانشائه الكتب له ووضعه الصدور والخطب وكان ابن القرية من البلاغة والعلم والفصاحة بالموضع الموصوف وقد أتينا على خبر مقتله وما كان من كلامه مع الحجاج وقد كان قتله صبرا فى الكتاب الاوسط وان قتله اياه كان بالسيف وقيل بل قدم اليه فضربه الحجاج بحربة فى نحره فاتى عليه وابن القرية القائل الناس ثلاثة عاقل واحمق وفاجر فاما

صاتا فالقيناف هذه الحال الى رسوليكم أعزهما الله تعالى ما يلقيانه الى مقامكم الاعلى
مثابتكم الفضلى وما تزيد عندنا من الامور فر كاتب التعريف بها اليكم محتوته
جزئياتها بين يدى مقامكم الرفيع بمنوته وقد اضطربت أحوال الكفر وفالت آراؤه
استحكم بالشتات داؤه وارتجت بزلزال الفتن أرجاؤه وتيسرت آمال الاسلام بفضل الله
تعالى ورجاؤه وما هو الا السعد يذلل لكم صعب العدو وبروضه والله سبحانه يهيئ لكم
ل الجهاد حتى تقضي بكم فروضه وأما الذى لكم عندنا من الخلوص الصافية شرائعه
الذى هو الروض تارج ذائعه فأوضح من فلق الصبح اذ أشرقت طلائعه جعله
تعالى فى ذاته ووسيلة الى مرضاته ورسولا كم يشرحان لكم الحال بجزئياته ويقرران
دنا من الود الذى سطع نور آياته وهو سبحانه وتعالى يصل لكم سعدا سامى المراتب
راق ويجمع لكم بعد بعد المدى وتمهيد دين الهدى بين نعيم الدنيا والنعيم الباقى
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى * وأبين من هذا فى القضية كتاب آخر من
ساء لسان الدين رحمه الله تعالى (صورته) من أمير المسلمين عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين
الوليد اسمعيل بن فرج بن نصر الى محل أخينا الذى نثنى على مجادته أكرم الثناء
يجدد له ما سلف بين الاسلاف الكرام من الولاء وتحفه من سعادة الاسلام وأهله بالاخبار
سارة والانباء السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه
تعالى رفيع المقدار كريم المآثر والآثار وعرفه من عوارف فضله كل مشرق
الانوار كفيل بالحسنى وعقبى الدار سلام كريم بر عميم يخص جلالكم الارفع
رحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله على عميم آلائه وجزيل نعمائه ميسر الصعب بعد
ائه والكفيل بتقريب الفرج وادنائه له الحمد والشكر ملء أرضه وسمائه والصلاة
السلام على سيدنا محمد خاتم رسله الكرام وأنبيائه الهادى الى سبيل الرشد وسوائه مطلع
الحق يجلو ظلم الشك بضيائه والرضا عن آله وأصحابه وأنصاره وأحزابه وخلفائه
الغر بن فى الدنيا والآخرة تحت لوائه الباذلين نفوسهم فى اظهار دينه القويم واعلائه
والدعاء لمقامكم بتيسير أمله من فضل الله سبحانه ورجائه واختصاصه بأوفر الحظوظ من
آلائه فانا كتبناه اليكم كتبكم الله تعالى فيمن ارتضى قوله وعمله من أوليائه
وعرفكم عوارف السعادة المعادة فى نهاية كل أمر وابتدائه من حمراء غرناطة حرسها الله
تعالى ولا زائد بفضل الله سبحانه ثم ببركة سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم الذى أوضح
برهانه وعظم أمره ورفع شانه ثم بما عندنا من الود الكريم وتجديد العهد القديم لمقامكم
أعلى الله تعالى سلطانه الا الخير الهامى السحاب والتيسير المتين الاسباب واليمن المفتح
الابواب والسعد الجديد الاثواب ومقامكم معتمد بترفيع الجناب متعمد بالود
الخالص والاعتقاد اللباب معلوم له فضل الدين وأصالة الاحساب والى هذا وصل الله
تعالى سعدكم مديد الاطناب ثاقب الشهاب وأطلع عليكم وجوه البشائر سافرة النقاب
فانه قد كان بلغكم ما آلت الحال اليه بطاغية قشتالة الذى كلب على هذه الاقطار الغربية
من وراء البحار وما سامها من الاوصاب والاضرار وانه جرى فى ميدان الاملاء والاغترار

ن قال الدين شريعته والحلم طبيعته والرأى الحسن سجيته ان نطق
أصاب وان كلم أجاب وان
سمع العلم وعى وان سمع
الفقه روى وأما الاحمق
فان تكلم عجل وان حدث
ذهل وان حمل على القبيح
حمل وأما الفاجر فان
استأمنته خانك وان
صاحبته شانك وان استكتم
لم يكتم وان علم لم يعلم
وان حدث لم يصدق وان
فقه لم يفقه (وذكر المدائنى)
أن الحجاج لم يكن يظهر
لندمائه منه بشاشة ولا
سماحة فى الخلق الا فى يوم
دخلت عليه ليلى الاخيلية
فقال لها بلغنى أنك مررت
بقبر توبة بن الحمير وعدلت
عنه فوالله ما وفيت له ولو
كان هو مكانك وأنت مكانه
ما عدل عنك قالت أصلح
الله الامير لى عذر قال وما
هو قال سمعته وهو يقول
ولو أن ليلى الاخيلية سلمت
على وفوقى جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة
أوزقا
اليها صدى من جانب القبر
صائح
وكان معى نسوة قد سمعن
قوله فكرهت أن أكذبه
فاستحسن الحجاج قولها
وقضى حوائجها وانبسط
فى مجادثتها فلم ير منه بشاشة
وأريحية داخلته مثل ذلك
اليوم (وذكر) حماد
الراوية غير هذا الوجه وهو أن زوج ليلى حلف عليها وقد اجتاز بقبر توبة ليلا أن تنزل وتأتى وتسلم

وعص المسلمون على يده بالوقائع العظيمة الكبار وانه نكث العهد الذي عقده وحل الميثاق الذي أكده وحمله الطمع الفاضح على أن اجاب على بلاد المسلمين بخيله ورجله ودهمها بتيار سيله وقطع ليله وأمل أن يستولي على جبل الفتح الذي يدعي منه فتحها وطلع للبلدة المحمدية صبحها فضيقه حصارا واتخذه دارا وعندما عظم الاشفاق وأظلمت الآفاق ظهر فينا لقدرة الله تعالى الصنع العجيب ونزل الفرج القريب وقبل الدعاء السميع المجيب وطرق الطاغية جند من جنود الله تعالى أخذه أخذة رابيه ولم يبق له من باقيه فهلك على الجبل حتف انفه وغالته غوائل حتفه فتفرقت جموعه وأحزابه وانقطعت أسبابه وتعجل لنار الله تعالى مآبه وأصبحت البلاد مستبشرة ورأينا أن هذه البشارة التي يأخذ منها كل مسلم بالنصيب الموفور ويشارك فيما جلبته من السرور أنتم أولى من تتحفه بطيب رياها ونطلع عليه جميل محياها لما تقرر عندنا من دينكم المتين وفضلكم المبين وعملكم في المساهمة على شاكلة صالحي السلاطين فذلك الافضل نيتكم للسلمين في هذه البلاد وأثر ما عندكم من جميل الاعتقاد وقد ورد علينا رسولكم القائد أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح أعزه الله تعالى مقررا ما لديكم من الود الراسخ القواعد والخلوص الصافي الموارد الواضح الشواهد وأثنى على مكارمكم الاصيله وألقى ما عندكم من المذاهب الجميله فقابلنا ذلك بالشكر الذي يتصل سببه ويتضح مذهبه وسألنا الله تعالى أن يجعله ودا في ذاته ووسيلة الى مرضاته وتعرفنا ما كان من تفضلكم بالطريدة المفتوحة المؤخر وما صدر عن الرئيس المعروف بالناظر من خدام دار الصنعة بالمرية من قبح محاولته وسوء معاملته فأمرنا بقطع جرايته وثقافه بمطمورة القصبة جزاء لجنايته ولولا اننا توقفنا أن يكون عظيم عقابه مما لا يقع من مقامكم بوفقه لشهور عفافه ورفقه لجعلناه نكالا لامثاله وعبرة لاشكاله وقد وجهنا اجفانا سفريا لا بساق الخيل التي ذكرتم وايصال ما اليه من ذلك أشرتم ويكمل القصد ان شاء الله تعالى تحت حفظ اعتنائكم وفضل ولائكم هذا ما تزيد عندنا عرفنا كم به علاء على شاكلة الود الجميل والولاء الكريم الجملة والتفصيل فعرفونا بما يتزيد عندكم يكن من جملة أعمالكم الفاضله ومكارمكم الحافله والله تعالى يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى (ومن انشاء لسان الدين) فيما يتعلق بالاندلس وانقطاعها وانه الاغى لما من العدو وغير ذلك ما صورته المقام الذي بنور سعادته تنجلي الغماء وتتصل النعماء من نيته قد حصل منها الجانب الله تعالى الانتماء واتفقت منه المسميات والاسماء مقام محل أبينا الذي تتفيأ هذه الجزيرة الغريبة أفياء نيته الصالحة وعمله وتثق بحسن العاقبة اعتمادا على وعد الله تعالى المنزل على خيرة رسله وتجتني ثمار الفتح من أفنان آرائه الآلفة تألق الصبح حالي ريثه وعجله وتتعرف حالي المودود والمكروه عارفة الخير والخيرة من قبله أبقاه الله تعالى يحسم الادواء كلما استشرت ويجلي موارد العاقبة كلما أمرت ويعفي على آثار الاطماع الكاذبة مهما خدعت بخلبها وغرت ويضمن سعده عودة الامور الى أفضل

عليه وتكذبه حيث يقول وذكر البيتين المتقدمين قال وأبت أن تفعل فأقسم عليها زوجها فنزلت حتى جاءت الى القبر ودموعها على صدرها كقطر السحاب فقالت السلام عليك يا توبة فلم تستتم النداء حتى انفرج القبر عن طائر كالحمامة البيضاء فضربت صدرها فوقعت ميتة فأخذوا في جهازها وكفنها ودفنت الى جانب قبره وللعرب فيما ذكرنا كلام كثير على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في آرائهم ومذاهبهم في الهام والصدى والصفر وقد كانت العرب تعقل الى جانب قبر الميت اذا دفن ناقة وتجعل عليه برذعة وحشية يسمونها البلية وقد ضربوا لذلك أمثالهم وذكرها خطباؤهم في خطبهم فقالوا البلايا على الولايا وقد كان بعضهم يتطير بالسانح ويتيامن بالبارح وبعضهم يضاد هذا فيتطير بالبارح ويتيامن بالسانح فأهل نجد يتيامنون بالسانح وأهل التهائم بالضد من ذلك على حسب ما قدمنا من قول عبيد الراعي فيما سلف من هذا الكتاب (حدثنا) المنقري قال حدثنا عبد العزيز بن الخطاب الكوفي قال حدثنا فضيل بن مرزوق قال لما غلب بشر بن أرطاة على اليمن وكان من قتله لابني عبيد الله بن العباس وأهل مكة والمدينة ما كان

ما

ما عليه استقرت معظم مقامه الذي هو بالتعظيم حقيق وموقر ملكه الذي لا يلتبس منه في الفخر والعز طريق ولا يختلف في فضله العميم وجده الكريم فريق أما بعد فحمد الله المثيب المعاقب الكفيل لاهل التقوى بحسن العواقب المثيب بالعمل الصالح الى أرفع المرافق والمراقب يهدي من يشاء ويضل من يشاء فبقضائه وقدره اختلاف المسالك والمذاهب والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله الحاشر العاقب ونبيه الكريم الرؤوف الرحيم ذي المفاخر السامية والمناقب والرضا عن آله وأصحابه وأنصاره وأحزابه الذين ظاهروه في حياته بأعمال السمر العوالي والبيض القواضب وخلفوه في أمته بخلوص الضمائر عن شوب الشوائب فكانوا في سماء ملته كالنجوم الثواقب والدعاء لمقامكم الاسمى بالسعادة المعادة في الشاهد من الزمن والغائب والنصر الذي يقضي بعز الكتائب والصنع الذي تطلع من ثناياه غرر الصنائع العجائب من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ولا زائد بفضل الله سبحانه ثم بما عندنا من الاعتداد بمقامكم أعلى الله تعالى سلطانه وشمل بالتمهيد أوطانه الا تشيع ثابت ويزيد واخلاص ما عليه في ميدان الاستطاعة مزيد وتعظيم أشرق منه جيد وثناء راق فوق رياضه تحميد وتمجيد والى هذا وصل الله تعالى سعدكم وحرس الطاهر الكريم مجدكم فقد وصلنا كتابكم الذي هو على الخلوص والاعتقاد عنوان وفي الاحتجاج على الرضا والقبول برهان تنطق بالفضل أصوله وتشير الى كرم العقد روعة الزكية وأصوله ويحق أن ينسب الى ذلك الفخر الاصيل محصوله عرفتمونا بما ذهب اليه عيسى بن الحسين من الخلاف الذي ارتكبه وسبيل الصواب الذي انتكبه وتنبهون على ما حده الحق في مثل ذلك وأوجبه حتى لا يصل أحد من جهتنا سببه ولا يظاهر مهمه سماندنه ولا يسعف في الاتواء طلبه فاستوفينا ما استدعاه ذلك البيان الصريح وجلبه وخطه القلم الفصيح وكتبه وليعلم مقامكم وهو من اصالة النظر غني عن الاعلام ولكن لابد من الاستراحة بالكلام والتنفث بنفثات الاقلام أننا انما نجري أمورنا مع هذا العدو الكافر الذي رمينا بمجاوره وبلينا والحمد لله بصادمة تياره على تعداد أقطاره واتساع براريه وبحاره بأن تكون الامة المحمدية بالعدوتين تحت وفاق وأسواق النفاق غير ذات نفاق والجماهير تحت عهد من الله تعالى وميثاق فهما عرفنا ان اثنين اختلف منهما بالعدوتين عقد ووقع بينهما في قبول الطاعة رد ساءنا واقعه وعظمت لدينا مواقعه وسألنا أن يتدارك الخرق راقعه لما نتوقعه من التشاغل عن نصرنا وتفرغ العدو الى ضرنا فكيف اذا وقعت الفتنة في صقعنا وقطرنا اغاهي شعلة في بعض بيوتنا وقعت وحادثة الى جهتنا أشرعت وان كان لسوانا لفظها فلنا معناها وعلى وطننا يعود جناها فنحن أحرص الناس على اطفائها واخمادها وأسعى في اصلاح فسادها والمثابرة على كفها واستئصالها وما الظن بدار فدبابها وآمال رثت أسبابها وجزيرة لا تستقيم أحوال من بها الا بالسكون وسلم العدو المغرور المفتون حتى تقضي منه باعاتكم المنون وان اضطرابها انما هو داء نستنصر من رأيكم فيه بطبيب وهدف خطب نرميه من عزمكم بسهم مصيب وأمر نضرع في تداركه الى سميع للدعاء مجيب ونحن فيه يد أمام

محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال ان بشر بن أرطاة قد غلب على اليمن والله ما أرى هؤلاء القوم الا سيغلبون على ما في أيديهم وما ذلك بحق في أيديهم ولكن بطاعتهم واستقامتهم ومعصيتكم لي وتناصرهم وتخاذلكم واصلاح بلادهم وافساد بلادكم وتالله يا أهل الكوفة لوددت أني صرفتكم صرف الدنانير العشرة بواحد ثم رفع يديه فقال اللهم اني قد مللتهم وملوني وسئمتهم وسئموني فأبدلني بهم خيرا منهم وأبدلهم بي شرا مني اللهم عجل عليهم بالغلام الثقفي الذيال الميال يأكل خضرتها ويلبس فروتها ويحكم فيها بحكم الجاهلية لا يقبل من محسنها ولا يتجاوز عن مسيئها قال وما كان ولد الحجاج يومئذ (حدثنا) الجوهري عن سليمان بن أبي شيخ الواسطي عن محمد بن يزيد عن سفيان بن حسين قال سأل الحجاج الجوهري ما النعمة قال الامن فاني رأيت الخائف لا ينتفع بعيش قال زدني قال الصحة فاني رأيت السقيم لا ينتفع بعيش قال زدني قال الشباب فاني رأيت الشيخ لا ينتفع بعيش قال زدني قال الغنى فاني رأيت الفقير لا ينتفع بعيش قال زدني قال لا أجد مزيدا (حدثنا) الجوهري

يد كم ومقصدنا فيه تبع لقصدكم وتصرفنا على حد اشارتكم جار وعزمنا الكلي في مرضاتكم متبار وعقدنا في متابعة أمركم غير متوار وقد كنا اول اتصال هذا الخبر العين والاثر بادرنا تعريفكم بجميع ما اتصل بنا في شانه ولم نطو عنكم شيأ من اسراره واعلانه وبعثنا رسولنا الى بابكم العلى نستعد بسلطانه ونرتجي تمهيد هذا الوطر بتمهيد أوطانه وبادرنا بالمخاطبة من وجبت مخاطبته من أهل مربلة واسطبونة تثبت بصائرهم في الطاعة وتقويها ونعدهم بتوجيه من يحفظ جهاتهم ويحميها وعجلنا الى بعضها مددا من الرماة والسلاح ليكون ذلك عدة فيها وعملنا ما أوجب الله تعالى من الاعمال التي يزلف بها ويرتضيها وكيف لا نظاهر أمركم الذي هو العدة المذخوره والفئة الناصرة المنصوره والباطل سراب يخدع والحق اليه يرجع والبغي يردي ويصرع وكم تقدم في الدهر من ترشذ عن الطاعه وخرج عن الجماعه ومخالف على الدول في العصور الاول بهرج الحق زائفه ورجم بشهب الاسنة طائفه وأخذت عليه الضيعة وهاده وتنائفه فتقلص ظله ونبا به عن الحق محله وكما قال يذهب الباطل وأهله لاسيما وسعادة ملككم قد وطأت المسالك ومهدتها وقهرت الاعداء وتعبدتها وأطفأت جداول سيوفكم النار التي أوقدتها وكأن بالامور اذا أعملتم فيها رأيكم السديد وقد عادت الى خير أحوالها والبلاد بين تدبيركم قد تبرئ ما ظهر من اعتلالها وعلى كل حال فانما نحن الى تكميل مرضاتكم مبادرون وفي أغراضكم الدينية واردون وصادرون ولاشاراتكم التي تتضمن الخير والخيرة منتظرون عندنا من ذلك عقائد لا يحتمل نصها التأويل ولا يقبل صحيحها التعليل فلتكن أبوتكم من ذلك على أوضح سبيل فشمس النهار لا تحتاج الى دليل والله تعالى يسنى لكم عوائد الصنع الجميل حتى لا يدع عزمكم مغصوبا الارده ولا ثلما في ثغر الدين الاسده ولا هدفا متعاصيا الاهده ولا عرقا من الخلاف الاجده وهو سبحانه يبقى ملككم ويصل سعده ويعلى أمره ويحرس مجده والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته انتهى (ومن انشائه رحمه الله تعالى) من جملة رسالة على لسان سلطانه أبي الحجاج يخاطب الرعايا ما نص محل الحاجة منه والى هذا فقد علمتم ما كانت الحال آلت اليه من ضيقة البلاد والعباد بهذا الطاغية الذي جرى في ميدان الامل جرى الجموح ودارت عليه خمرة النخوة والخيلاء مع الغبوق والصبوح حتى طمع بسكر اغتراره ومحص المسلمون على يده بالوقائع التي تجاوز منتهى مقداره وتوجهت الى استئصال الكلمة مطامح أفكاره ووثق بانه يطفئ نور الله بناره ونازل جبل الفتح فشد مخنق حصاره وادار أشياعه في البر والبحر دور السوار على أسواره وانتهز الفرصة بانقطاع الاسباب وانبهام الابواب والامور التي لم تجر للسامعين بالعدوتين على مألوف الحساب وتكالب التثليث على التوحيد وساءت الظنون في هذا القطر الوحيد المنقطع بين الامة الكافره والبحور الزاخره والمرام البعيد وانتاصرنا بالله تعالى تيار سيله واستضأنا بنور التوكل عليه في جنح هذا الخطب وجنة ليله ولجأنا الى من بيده نواصي الخلائق واعتلقنا من حبله المتين بأوثق العلائق وفسحنا مجال الامل في ذلك الميدان المتضايق وأخلصنا لله

عن مسلم بن ابراهيم أبي عمرو الفراهيدي عن الصلت بن دينار قال مرض الحجاج فارجف أهل الكوفة فلما تماثل من علته صعد المنبر وهو يتثنى على أعواده فقال ان أهل الشقاق والنفاق نفخ الشيطان في مناخرهم فقالوا مات الحجاج ومات الحجاج فمه والله ما أرجو الخير كله الا بعد الموت وما رضي الله الخلود لاحد من خلقه في الدنيا الا لاهونهم عليه ابليس والله لقد قال العبد الصالح سليمان بن داود رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فكان ذلك ثم اضمحل فكأن لم يكن يا أيها الرجل وكلكم ذلك الرجل كأني بكل حي ميت وبكل رطب يابس وقد نقل كل امرئ بثياب طهره الى حفرته فخد له في الارض ثلاث أذرع طولا في ذراعين عرضا فأكلت الارض لحمه ومصت من صديده ودمه وانقلب الحبيبان يقتسم أحدهما أحبه حبيبه من ولده يقتسم حبيبه من ماله أما الذين يعلمون فسيعلمون ما أقول والسلام (حدثنا) المنقري عن مسلم بن ابراهيم أبي عمرو الفراهيدي عن الصلت ابن دينار قال سمعت الحجاج يقول قال الله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم فهذه لله وفيها مثنوية وقال واسمعوا واطيعوا وهذه

قيل العثار ومتوى أولى الاضطرار قلوبنا ورفعنا اليه أمرنا ووقفنا عليه مطلوبنا ولم نصرح في ذلك ابرام العزم واستشعار الحزم واعداد الثغور بأقصى الامكان وبعث الجيوش الى ما يليها من بلاده في الاحيان فرحم الله تعالى انقطاعنا الى كرمه والتجاءنا الى حرمه وتجلى بفضله سبحانه ظلم الشده ومد على الحريم والاطفال ظلال رحمته الممتده وعرفناعوارف الصنع الذى قدم به العهد على طول المده ورماه بجيش من جيوش قدرته أغنى من اكتاف الركاب واحتشاد الاحزاب وأظهر فينا قدرة ملكه عند انقطاع الاسباب واستخلاص العباد والبلاد من بين الظفر والناب فقد كان جمع على الحق بأباطيله وسد المجاز بأساطيله ورمى الجزيرة الاندلسية بشؤبوب شره وصيرها فريسة بين غربان بحره وعقبان بره فلم يخلص الى المسلمين من اخوانهم مرقبة الا على الخطر الشديد والافلات من يد العدو العنيد مع توفر العزائم والحمد لله على العمل الحميد والسعى فيما يعود على الدين بالتأييد وبينما شفقتنا على جبل الفتح تقيم وتقعد وكلب الاعداء عليه يبرق ويرعد واليأس والرجاء خصمان هذا يقرب وهذا يبعد اذ طلع علينا البشير بانفراج الازمه وحل تلك العزمه وموت شاه تلك الرقعه وأبقاه الله تعالى على تلك البقعه وانه سبحانه أخذ الطاغية أكمل ما كان اغترارا وأعظم انصارا وزلزلت أرض عزه وقد أصابت قرارا وان شهاب سعده قد أصبح آفلا وعلم كبره انقلب سافلا وان من بيده ملكوت السموات والارض طرقه بحتفه وأهلكه برغم أنفه وان محلته عاجلها التباب والتبار وعاثت في منازلها النار وتمخض عن سوء عاقبتها الليل والنهار وان حماتها يخربون بيوتهم بايديهم وينادى بشتات الشمل لسان مناديهم وتلاحق الفرسان من جبل الفتح المعقل الذى عليه من عناية الله تعالى رواق مضروب والرباط الذى من حاربه فهو المحروب فأخبرت بانفراج الضيق وارتفاع العائد عن الطريق وبرء الداء الذى أشرق بالريق وان النصارى دمرها الله تعالى جدت في ارتحالها وأسرعت بجيفة طاغيتها الى سوء مآلها واوجالها وسمحت للنار والنهب باسلابها وأموالها فبهرنا هذا الصنع الالهى الذى مهد الاقطار بعد رجفانها وأنام العيون بعد سهاد أجفانها وسألنا الله تعالى أن يعيننا على شكر هذه النعمة التى ان سلطت عليها قوى البشر فضحتها ورجحتها ورأينا سر اللطائف الخفية كيف سريانه فى الوجود وشاهدنا بالعيان أنوار الالطاف الالهية والوجود وقلنا انما هو الفتح الاول شفع بثان وقواعد الدين الحنيف أيدت من صنع الله تعالى ببنيان اللهم لك الحمد على نعمك الباطنة والظاهرة ومننك الوافره انك ولينا فى الدنيا والآخرة انتهى (ومن انشاء لسان الدين رحمه الله تعالى) من أخرى مما يتعلق بضيق حال المسلمين بالاندلس ماصورته وان تشوفتم الى أحوال هذا القطر ومن به من المسلمين بمقتضى الدين المتين والفضل المبين فاعلموا اننا فى هذه الايام ندافع من العدو تيارا ونكابر بحرا زخارا ونتوقع الا ان وقى الله تعالى خطوبا كبارا ونمد اليد الى الله تعالى انتصارا ونلجأ اليه اضطرارا ونستمد دعاء المسلمين بكل قطر استعدادا به واستظهارا ونستثير من خواطر الفضلاء ما يحفظ أخطارا وينشئ ريح روح الله علينا معطارا فان القومس الاعظم قيوم دين النصرانية الذى يأمرها فتطيع وتخالفه

عبدالله ونحايقه أنه وتجيب ابنه عبد الملك أنا والله لو أمرت الناس أن يدخلوا في هذا الشعب فدخلوا في غيره لكانت دماؤهم لى حلالا عذيرى من أهل هذه الحمراء يلقى أحدهم الحجر الى الارض ويقول الى أن يبلغها يكون فرج الله لا جعلهم كالرسم الداثر وكالامس الغابر عذيرى من عبد هذيل يقرأ القرآن كأنه رجز الاعراب أما والله لو أدركته لضربت عنقه يعنى عبد الله بن مسعود عذيرى من سليمان بن داود يقول لربه رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى كان والله فيما علمت عبدا حسودا بخيلا (وحدثنا) المنقرى عن عبيد بن أبى السرى عن محمد بن هشام بن السائب عن أبيه عن عبد الرحمن ابن السائب قال قال الحجاج يوما لعبد الله بن هانئ وهو رجل من أود حى من اليمن وكان شريفا فى قومه وقد شهد مع الحجاج مشاهده كلها وشهد معه تحريق البيت وكان من أنصاره وشيعته والله ما كافأتك بعد ثم أرسل الى اسماء بن خارجة وكان من فزارة أن زوج عبد الله ابن هانئ ابنتك فقال لا ولا كرامة فقال بالسياط فقال أنا أزوجه فزوجه ثم بعث الى سعيد بن قيس الهمدانى رئيس اليمانية أن زوج عبد الله بن هانئ ابنتك

لا تستطيع رمي هذه الامة الغريبة المنقطعة منهم بحر ادلا يسد طريقها ولا يحصى فريقها التفت على أخي صاحب قشتالة وعزمها أن تملكه بلده وتبلغه أمله ويكون الكل يدا واحدة على المسلمين ومناصبة هذا الدين واستئصال شأفة المؤمنين وهي شدة ليس لاهل هذا الوطن بها عهد ولا عرفها جدود ولا وهد وقد اقتحموا الحدود القريبة والله تعالى ولي هذه الامة الغريبة وقد جعلنا مقاليد أمورنا بيد من يقوي الضعيف ويدرأ الخطب المخيف ورجونا أن نكون ممن قال الله تعالى فيهم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وهو سبحانه المرجو في حسن العقبى والمآل ونصر فئة الهدى على فئة الضلال وما قل من كان الحق كنزه ولا ذل من استمد من الله عزه قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين الآية ودعاء من قبلكم من المسلمين مدد موفور والله سبحانه على كل حال محمود مشكور انتهى (ومن أخرى) طويلة من جملتها ما صورته وقد اتصل بنا الخبر الذي يوجب نصح الاسلام ورعي الجوار والذمام وما جعل الله تعالى للمأموم على الامام ايقاظكم من مراقدكم المستغرقه وجمع أهوائكم المتفرقه وتهييئكم الى مصادمة الشدائد المرعدة المبرقه وهو أن كبير دين النصرانيه الذي اليه ينقادون وفي مرضاته يصادقون ويعادون وعند رؤية صليبه يكبرون ويسجدون لما رأى الفتن قد أكلتهم خضما وقضما وأوسعتهم هضما فلم تبق عصبا ولا عظما ونثرت ما كان نظما أعمل نظره فيما يجمع منهم ما افترق ويرقع ما طرق ويرفو ما مزق الشتات وخرق فرمى الاسلام بامة عددها القطر المثال وأمرهم وشأنهم الامتثال أن يدمنوا لمن ارتضاه من أمته الطاعة ويجمعوا في ملته الجماعة ويطلع الكل على هذه الفئة القليلة الغريبة بغتة كقيام الساعه وأقطعهم قطع الله تعالى بهم العباد والبلاد والطارف والتلاد وسوغهم الحريم والاولاد وبالله تعالى نستدفع ما لا نطيقه ومنه نسأل عادة الفرج فاسدت طريقه الا أنا رأينا غفلة الناس مؤذنة البوار وأشفقنا للدين المنقطع من وراء البحار وقد أصبح مضغة في لهوات الكفار وأردنا أن نهزكم بالموعظة التي تكحل البصائر بميل الاستبصار فان جبر الله تعالى الخواطر بالضراعة اليه والانكسار ونسخ الاعسار بالايسار وأنجد اليمين باختها اليسار والا فقد تعين في الدنيا والآخرة حظ الخسار فان من ظهر عليه عدو دين الله تعالى وهو من الله مصروف وبالباطل مشغوف وبغير العرف معروف وعلى الحطام المسلوب عنه ملهوف فقد تله الشيطان للجبين وقد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ومن نفذ فيه أوله قدر الله في أداء الواجب وبذل المجهود وأفرد بالعبودية وجه الواحد الاحد المعبود ووطن النفس على الشهادة المبوئة دار الخلود العائدة بالحياة الدائمة والوجود أو الظهور على عدو الله المشور اليه المحشود صبرا على المقام المحمود وبيعا من الله تعالى تكون الملائكة فيه الشهود حتى تعين يد الله في ذلك البناء المهدوم بقوة الله والمهدود والسواد الاعظم الممدود كان على أمريه بالخيار الموجود قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين الآية انتهى ه (وقال) صاحب مناهج الفكر بعد وصفه لجزيرة الاندلس وأقطارها ما صورته ولم تزل هذه الجزيرة منتظمة لمالكها في

قال ومن أدد والله لا أزوجه ولا كرامة قال هاتوا السيف قال دعني حتى أشاور أهلي فشاورهم فقالوا زوجه لا يتحدث عنا الفاسق فزوجه فقال له الحجاج يا عبد الله قد زوجتك بنت سيد فزارة وابنة سيد همدان وعظيم كهلان وما أدد هناك فقال لا تقل أصلح الله الامير ذلك فان لنا مناقب ما هي لاحد من العرب قال وما هذه المناقب قال ما سب أمير المؤمنين عثمان في نادلنا قط قال هذه والله منقبة قال وشهد منا صفين مع أمير المؤمنين معاويه سبعون رجلا وما شهد مع أبي تراب منا الا رجل واحد كان والله ما علمته امرأ سوء قال وهذه والله منقبة قال وما منا أحد تزوج امرأة تحت أبي تراب ولا تولاه قال وهذه والله منقبة قال وما منا امرأة الا نذرت ان قتل الحسين أن تنحر عشر جزائر لها ففعلت قال وهذه والله منقبة قال وما منا رجل علم من أبيه شتم أبي تراب ولعنه الا فعل وقال وأزيدكم ابنيه الحسن والحسين وأمهما قال وهذه والله منقبة قال وما أحد من العرب له من الملاحة والصباحة ما لنا وضحك وكان دميما شديد الادمة مجدورا في رأسه عجر مائل الشدق أحول قبيح الوجه مائل الحولة (المقري) عن جعفر بن عمرو الحرمي سلك

سلك الانقياد والوفاق الى ان طما بعثرتهما سيل العناد والنفاق فامتاز كل رئيس منهم بصقع كان مسقط رأسه وجعله معقلا يعتصم فيه من المخاوف بافراسه فصار كل منهم يشن الغارة على جاره ويحاربه فى عقر داره الى أن ضعفوا عن لقاء عدو فى الدين يعادى ويراوح معاقلهم بالعيث ويغادى حتى لم يبق فى أيديهم منها الا ما هو فى ضمان هدنة مقدره وأتاوة فى كل عام على الكبير والصغير مقرره كان ذلك فى الكتاب مسطورا وقدرا فى سابق علم الله مقدورا انتهى * وهذا قاله قبل أن يستولى العدو على جميعها والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين (ولنرجع) الى ما كنا بصدده من أخذ النصارى قواعد الاندلس فنقول قد قدمنا أوائل هذا الباب أن طليطلة أعادها الله تعالى من أول ما أخذ الكفار من المدن العظام بالاندلس (قال) ابن بسام لما توالت على أهل طليطلة الفتن المظلمة والحوادث المصطلمة وترادف عليهم البلاء والجلاء واستباح الفرنج لعنهم الله تعالى أموالهم وأرواحهم كان من أعجب ما جرى من النوادر الدالة على الخذلان أن الحنطة كانت تقيم عندهم مخزونة خمسين سنة لا تتغير ولا يؤثر فيها طول المدة بما يمنع من أكلها فلما كانت السنة التى استولى عليها العدو فيها لم ترفع الغلة من الاندر حتى أسرع فيها الفساد فعلم الناس أن ذلك بمشيئة الله تعالى لامر أراده من شمول البلوى وعموم الضراء فاستولى العدو على طليطلة وأنزل من بها على حكمه وخرج ابن ذى النون منها على أقبح صورة وأفظع سيرة ورآه الناس وبيده اصطرلاب يأخذ به وقتا يرحل فيه فتعجب منه المسلمون وضحك عليه الكافرون وبسط الكافر العدل على أهل المدينة وحبب التنصر الى عامة طغامها فوجد المسلمون من ذلك ما لا يطاق حمله وشرع فى تغيير الجامع كنيسة فى ربيع الاول سنة ست وسبعين وأربعمائة ومما جرى فى ذلك اليوم أن الشيخ الاستاذ المغامى رحمه الله تعالى صار الى الجامع وصلى فيه وأمر مريداله بالقراءة ووافاه الفرنج لعنهم الله تعالى وتكاثروا لتغيير القبلة فما جسر أحد منهم على ازعاج الشيخ ولا معارضته وعصمه الله تعالى منهم الى أن أكمل القراءة وسجد سجدة ورفع رأسه وبكى على الجامع بكاء شديدا وخرج ولم يعرض أحد له بمكروه وقيل لملك النصارى ينبغى أن تلبس التاج كمن كان قبلك فى هذا الملك فقال حتى أخذ قرطبتهم وأعد لذلك ناقوسا تأنق فيه وفيما رصع به من الجواهر فأكذبه الله وأزعجه وورد أمير المسلمين وناصر الدين يوسف بن تاشفين فما قصر فيما أثر من اذلال المشركين وارغام الكافرين واستدراك أمور المسلمين انتهى ملخصا وقدم مطولا * وكانت قبلها وقعة بطرنة سنة ست وخمسين وأربعمائة وذلك أن الفرنج خذلهم الله تعالى انتدبت منهم قطعة كثيفة ونزلت على بلنسية فى السنة المذكورة وأهلها جاهلون بالحرب معرضون عن أمر الطعن والضرب مقبلون على لذات اللذات من الاكل والشرب وأظهر الفرنج الندم على منازلتها والضعف عن مقاومة من فيها وخدعوهم بذلك فانخدعوا وأطمعوهم فطمعوا وكمن فى عدة أماكن جماعة من الفرسان وخرج أهل البلد بثياب زينتهم وخرج معهم أميرهم عبد العزيز بن أبى عامر فاستدرجهم العدو لعنهم الله تعالى ثم عطفوا عليهم فاستأصلوهم بالقتل والاسر وما نجا منهم الا من حصنه أجله وخلص الامير نفسه ومما حفظ عنه انه

عن عبد الملك بن وجاه قال سمعت عمران بن مسلم بن أبى بكر الهذلى يقول سمعت الشعبى يقول لقى بى الحجاج موثقا فلما دخلت عليه استقبلنى يزيد بن مسلم فقال انا لله يا شعبى على ما بين دفتيك من العلم وليس بيوم شفاعة بؤ للامير بالشرك وبالنفاق على نفسك فبالحرى أن تنجو منه فلما دخلت استقبلنى محمد بن الحجاج فقال لى مثل مقالة يزيد فلما مثلت بين يدى الحجاج فقال وأنت يا شعبى فيمن خرج علينا وكثر قلت نعم أصلح الله الامير أحزن بنا المنزل وأجدب الجناب وضاق المسلك واكتحلنا السهاد واستحلسنا الخوف ووقعنا فى فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء قال صدق والله ما بروا بخروجهم علينا ولا قووا اذ فجروا أطلقوا عنه قال الشعبى ثم احتاج الى فريضة فقال ما تقول فى أخت وأم وجد قلت اختلف فيها خمسة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وزيد وعلى وعثمان وابن عباس قال فما قال فيها ابن عباس فلقد كان متقنا قلت جعل الجد أبا وأعطى الام الثلث ولم يعط الاخت شيأ قال فما قال فيها عبد الله قلت جعلها من ستة فأعطى الاخت النصف وأعطى الام السدس وأعطى الجد الثلث قال فما قال فيها زيد قلت جعلها تسعة فأعطى

أنشدنا ما أعياه الأمر

خليلي ليس الرأي في صدر واحد * أشيرا على اليوم ما تريان

وفي أهل بلنسية يقول بعض الشعراء حين توجوا في ثياب الزينة والترفه

لبسوا الحديد الى الوغى ولبستم * حلل الحرير عليكم ألوانا

ما كان أقبحهم وأحسنكم بها * لو لم يكن ببطرنة ما كانا

قال ابن بسام وهكذا جرى لأهل طليطلة فان العدو خذله الله تعالى استظهر عليهم وقتل جماهيرهم وكان من جملة ما غنمه الفرنج من أهلها لما خرجوا اليهم في ثياب الترفه ألف غفارة خارجا عما سواها انتهى (وقال) ابن حيان وكان تغلب العدو خذله الله تعالى على بربشتر قصبة بلاد برطانية وهي تقرب من سرقسطة سنة ست وخمسين وأربعمائة وذلك أن جيش الاردمليش نازلها وحاصرها وقصر يوسف بن سليمان بن هود في حمايتها ووكل أهلها الى نفوسهم فأقام العدو عليها أربعين يوما ووقع فيما بين أهلها تنازع في القوت لقلته واتصل ذلك بالعدو فشدد القتال عليها والحصر لها حتى دخل المدينة الاولى في خمسة آلاف مدرع فدهش الناس وتحصنوا بالمدينة الداخلة وجرت بينهم حروب شديدة قتل فيها خمسمائة افرنجي ثم اتفق أن القناة التي كان الماء يجري فيها من النهر الى المدينة تحت الارض في سرب موزون انهارت وفسدت ووقعت فيها صخرة عظيمة سدت السرب بأسره فانقطع الماء عن المدينة ويئس من بها من الحياة فلاذوا بطلب الامان على أنفسهم خاصة دون مال وعيال فأعطاهم العدو الامان فلما خرجوا نكث بهم وغدر وقتل الجميع الا القائد ابن الطويل والقاضي ابن عيسى في نفر من الوجوه وحصل للعدو من الاموال والامتعة ما لا يحصى حتى ان الذي خص بعض مقدمي العدو لحصنه وهو قائد خيل رومة نحو ألف وخمسمائة جارية أبكارا ومن أوقار الامتعة والحلي والكسوة خمسمائة جمل وقدر من قتل وأسر مائة ألف نفس وقيل خمسون ألف نفس (ومن نوادر) ما جرى على هذه المدينة لما فسدت القناة وانقطعت المياه أن المرأة كانت تقف على السور وتنادي من يقرب منها أن يعطيها جرعة ماء لنفسها أو لولدها فيقول لها اعطيني ما معك فتعطيه ما معها من كسوة وحلي وغيره قال وكان السبب في قتلهم انه خاف من يصل لنجدتهم وشاهد من كثرتهم ما هاله فشرع في القتل لعنه الله تعالى حتى قتل منهم نيفا على ستة آلاف قتيل ثم نادى الملك بتأمين من بقي وأمر أن يخرجوا فازدحموا في الباب الى أن مات منهم خلق عظيم ونزلوا من الاسوار في الحبال للخشية من الازدحام في الابواب ومبادرة الى شرب الماء وكان قد تحيز في وسط المدينة قدر سبعمائة نفس من الوجوه وحاروا في نفوسهم وانتظروا ما ينزل بهم فلما خلت ممن أسر وقتل وأخرج من الابواب والاسوار وهلك في الزحمة نودي في تلك البقية بأن يبادر كل منهم الى داره بأهله وله الامان وأرهقوا وأزعجوا فلما حصل كل واحد منهم بمن معه من أهله في منزله اقتسمهم الافرنج لعنهم الله تعالى بأمر الملك وأخذ كل واحد منهم دارا بمن فيها من أهلها نعوذ بالله تعالى وكان من أهل المدينة جماعة قد عاذوا برؤس الجبال وتحصنوا بموضع منيعة وكادوا يهلكون من العطش فأمنهم الملك على نفوسهم وبرزوا في وقت ... من العطش فأطلق

الام ثلاثة وأعطى الاخت سهمين وأعطى الجد أربعة قال فما قال فيها أمير المؤمنين عثمان جعلها أثلاثا قال فما قال فيها أبو تراب قلت جعلها ستة أعطى الأخت النصف وأعطى الام الثلث وأعطى الجد السدس قال فضرب بيده على أنفه وقال انه المرء يرغب عن قوله (المنقري) عن أبي عبد الرحمن العتبي عن أبيه قال أراد الحجاج الحج فخطب الناس وقال يا أهل العراق اني قد استعملت عليكم محمدا ولده الرغبة عنكم أما انكم لا تستأهلونه وقد أوصيته فيكم خلاف وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالانصار فانه أوصى أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وقد أوصيته أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم أما اني اذا وليت عنكم انكم تقولون لا أحسن الله له الصحابة ومامنعكم من تعجيله الا الفراق وأنا أعجل لكم الجواب لا أحسن الله عليكم الخلافة ثم نزل (العتبي) عن عبد الغني بن محمد بن جعفر عن الهيثم بن عدي عن أبي عبد الرحمن الكناني عن ابن عباس الهمداني عن عبيد بن أبي المخارق قال استعملني الحجاج على الفلوجة فقلت أههنا دهقان يستعان برأيه فقالوا جميل بن بصهبري فأرسلت اليه فجاءني شيخ سيلهم

سبيلهم فبينما هم في الطريق اذ لقيتهم خيل الكفر ممن لم يشهد الحادثة فقتلوهم الا القليل ممن نجا باجله قال وكان الفرنج لعنهم الله تعالى لما استولوا على أهل المدينة يفتضون البكر بحضرة أبيها والثيب بعين زوجها وأهلها وجرى من هذه الاحوال ما لم يشهد المسلمون مثله قط فيما مضى من الزمان ومن لم يرض منهم أن يفعل ذلك في خادم أو ذات مهنة أو وخش اعطاهن خوله وغلمانه يعيثون فيهن عيثه وبلغ الكفرة منهم يومئذ ما لا تلحقه الصفة على الحقيقة ولما عزم ملك الروم على القفول الى بلده تخير من بنات المسلمين الجواري الابكار والثيبات ذوات الجمال ومن صبيانهم الحسان الوفا عدة حملهم معه ليهديهم الى من فوقه وترك من رابطة خيله ببربشتر الفا وخمسمائة ومن الرجالة ألفين (قال) ابن حيان وأختم هذه الاخبار الموقظة لقلوب أولي الالباب بنادرة منها يكتفى باعتبارها عما سواها وهي أن بعض تجار اليهود جاء بربشتر بعد الحادثة ملتمسا فدية بنات بعض الوجوه ممن نجا من أهلها حصلن في سهم قومس من الرابطة فيها كان يعرفه قال فهديت الى منزله فيها واستأذنت عليه فوجدته جالسا مكان رب الدار مستويا على فراشه رافلا في نفيس ثيابه والمجلس والسرير كما خلفهما ربهما يوم محنته لم يغير شيأ من رياشهما وزينتهما ووصائفه مضمومات الشعور قائمات على رأسه ساعيات في خدمته فرحب بي وسألني عن قصدي فعرفته وجهه واشرت الى وفور ما أبذله في بعض اللواتي على رأسه وفيهن كانت حاجتي فتبسم وقال بلسانه ما أسرع ما طمعت فيمن عرضناه لك أعرض عمن هنا وتعرض لمن شئت ممن صيرته لحصني من سبيي واسراي من أقاربك فيمن شئت منهم فقلت له أما الدخول الى الحصن فلا رأي لي فيه وبقربك انست وفي كنفك اطمأننت فسمني ببعض من هنا فاني أصير الى رغبتك فقال وما عندك قلت العين الكثير الطيب والبز الرفيع الغريب فقال كأنك تشهيني ما ليس عندي يا ماجه ينادي بعض أولئك الوصائف يريد يا بهجة فغيره بعجمته قومي فاعرضي عليه ما في ذلك الصندوق فقامت اليه وأقبلت ببدر الدنانير وأكياس الدراهم واسفاط الحلي فكشف وجعل بين يدي العلج حتى كادت توارى شخصه ثم قال لها أدني الينا من تلك التخوت فأدنت منه عدة من قطع الوشي والخز والديباج الفاخر مما حار له ناظري وبهت واسترذلت ما عندي ثم قال لي لقد كثر هذا عندي حتى ما ألذ به ثم حلف بالله انه لو لم يكن عنده شيء من هذا ثم بذل له بأجمعه في ثمن تلك ما سمحت بها يدي فهي ابنة صاحب المنزل وله حسب في قومه اصطفيتها لمزيد جمالها لولادتي حسبما كان قومها يصنعون بنسائنا نحن أيام دولتهم وقد ردلنا الكرة عليهم فصرنا فيما تراه وأزيدك بأن تلك الخودة الناعمة وأشار الى جارية أخرى قائمة الى ناحية مغنية والدها التي كانت تشدوله على نشواته الى أن أيقظناه من نوماته يا فلانة يناديها بلكنته خذي عودك فغني زائرنا بشجوك قال فأخذت العود وقعدت تسويه واني لأتأمل دمعها يقطر على خدها فسارق العلج مسحه واندفعت تغني بشعر ما فهمته أنا فضلا من العلج فصار من الغريب أن حثشربه هو عليه وأظهر الطرب منه فلما يئست مما عنده قمت منطلقا عنه وارتدت لتجارتي سواه واطلعت لكثرة ما لدى القوم من السبي والمغنم على ما طال عجبي به فهذا فيه مقنع لمن تدبره وتذكر لمن تذكره (قال ابن حيان) قد أشفينا

كبير قد سقط حاجباه على عينيه فقال ازعجتني وانا شيخ كبير قلت اردت عنك وبركتك ومشورتك فامر بحاجبيه فرفعا بخرقة حرير وقال ما حاجتك قلت استعملني الحجاج على الفلوجة وهو ممن لا يؤمن شره فاشر علي قال أيما أحب اليك رضا الحجاج أو رضا بيت المال أو رضا نفسك قلت اني أحب رضا كل هؤلاء وأخاف الحجاج فانه جبار عنيد قال فاحفظ عني أربع خلال افتح بابك ولا يكن لك حاجب فيأتيك الرجل وهو على ثقة من لقائك وهو أجدر أن يخافك عمالك وأطل الجلوس لاهل عملك فانه قلما أطال عامل الجلوس الاهيب مكانه ولا تخالف حكمك بين الناس وليكن حكمك على الشريف والوضيع سواء فلا يطمع فيك أحد من أهل عملك ولا تقبل من أهل عملك هدية فان مهديها لا يرضى من ثوابها الا باضعافها فهاسمع ما في ذلك من المقالة القبيحة ثم اسلخ ما بين اقفيتهم الى عجوب اذنابهم فيرضوا عنك ولا يكون للحجاج عليك سبيل (المنقري) عن يوسف بن موسى القطان عن جرير عن المغيرة عن الربيع بن خالد قال سمعت الحجاج يخطب على المنبر وهو يقول ان ليفة احدكم في أهله أكرم عليه أم رسوله في حاجته فقلت لله علي أن لا أصلي

بشرح هذه الحالة العادية مصائب جليلة مؤذنة بوشك القاعة طالما حذر أسلافنا لحاقها بما احتملوه عمن قبلهم من اثارة ولا شك عند ذوى الالباب أن ذلك عاداتها من داء التقاطع وقد أمرنا بالتواصل والالفة فأصبحنا من استشعار ذلك والتمادى عليه على شفا جرف يؤدى الى الملكة لامحالة انتهى ببعض اختصار وذكر بعده كلاما في ذم أهل ذلك الزمان من أهل الاندلس وانهم يعللون أنفسهم بالباطل وأن من أدل الدلائل على جهلهم اغترارهم بزمانهم وبعدهم عن طاعة خالقهم ورفضهم وصية نبيهم وغفلتهم عن سد ثغورهم حتى أطل عدوهم الساعى لاطفاء نورهم يجوس خلال ديارهم ويستقرى بسائط بقاعهم ويقطع كل يوم طرفا ويبيد أمة ومن لدينا وحوالينا من أهل كلمتنا صموت عن ذكرهم لهاة عن بثهم ما أن يسمع عندنا بمسجد من مساجدنا أو محفل من محافلنا مذكر لهم أو داع فضلا عن نافر اليهم أو ماش لهم حتى كأنهم ليسوا منا أو كأن بثقهم ليس بمفض الينا وقد بخلنا عليهم بالدعاء بخلنا بالغناء عجائب فاتت التقدير وعرضت للتغيير ولله عاقبة الامور واليه المصير انتهى ولقد صدق رحمه الله تعالى فان البثق سرى اليهم جميعا كما تراه ولا حول ولا قوة الا بالله (وقال) قبله ان بربشتر هذه تناسختها قرون المسلمين منذ ثلثمائة وثلاث وستين سنة من عهد الفتوح الاسلامية بجزيرة الاندلس فرسخ فيها الايمان وتدورس القرآن الى أن طرق الناعى بها قرطبتنا صدر رمضان من العام فصك الاسماع واطار الافئدة وزلزل أرض الاندلس قاطبة وصير لكل شغلا يشغل الناس فى التحدث به والتساؤل عنه والتصور لحلول مثله اياما لم يفارقوا فيها عادتهم من استبعاد الوجل والاغترار بالامل والاستناد الى امراء الفرقة الهمل الذين هم منهم ما بين فشل ووكل يصدونهم عن سواء السبيل ويلبسون عليهم وضوح الدليل ولم ترل آفة الناس منذ خلقوا فى صنفين هم كالملح فيهم الامراء والفقهاء بصلاحهم يصلحون وبفسادهم يفسدون فقد خص الله تعالى هذا القرن الذى نحن فيه من اعوجاج صنفيهم لدينا بما لا كفاية له ولا مخلص منه فالامراء القاسطون قد نكبوا عن نهج الطريق ذيادا عن الجماعة وجريا الى الفرقة والفقهاء أئمتهم صموت عنهم صدوف عما أكده الله تعالى عليهم من التبيين لهم قد أصبحوا ما بين آكل من حلوائهم وخابط فى أهوائهم وبين مستشعر مخافتهم آخذ فى التقية من صدقهم وأولئك هم الاقلون فيهم فما القول فى أرض فسد ملحها الذى هو المصلح لجميع أغذيتها وما هى الا مشفية من بوارها ولقد طما العجب من افعال هؤلاء الامراء لم يكن عندهم لهذه الحادثة الا الفزع لحفر الخنادق وتعلية الاسوار وشد الاركان وتوثيق البنيان كاشفين لعدوهم عن السوأة السوأى من القائهم يومئذ بأيديهم اليه امورا قبيحات الصور مؤذنات الصدور باعجاز الغير

أمور لو تدبرها حكيم * اذا لنهى وهيب ما استطاعا

انتهى باختصار * ثم قال ابن حيان فلما كان عقب جمادى الاولى سنة ٤٥٧ شاع الخبر بقرطبة برجوع المسلمين اليها وذلك أن أحمد المقتدر بن هود المفرط فيها والمتهم على أهلها لانحرافهم الى أخيه صهره لما سمع امداد الخليفة عباد وسعى لاصحابه سوء المقالة عنه وقد كتب الله تعالى عليه منها ما لا يمحوه الا عفوه فتأهب لقصد بربشتر فى جموع من المسلمين فنالوا

خلفت ابنة يوسف رأيت المتى عن أبيه أن الحجاج وجه الغضبان بن القبعثرى الى بلاد كرمان ليأتيه بخبر ابن الاشعث عند خلعه فوصل من عنده فلما صار ببلاد كرمان ضرب خباءه ونزل فاذا هو باعرابى قد أقبل عليه فقال السلام عليك فقال له الغضبان كلمة مقولة قال له الاعرابى من أين جئت قال من ورائى قال وأين تريد قال امامى قال وعلام جئت قال على فرسى قال وفيم جئت قال فى ثيابى قال أتاذن لى أن أدنو اليك قال وراءك أوسع لك قال والله ما أريد طعامك ولا شرابك قال لا تعرض بهما فوالله لا تذوقهما قال أوليس عندك الا ما أرى قال بل هراوة من ارزن أضرب بها رأسك قال ان الرمضاء قد أحرقت قدمى قال بل عليهما يبردان قال فكيف ترى فرسى هذا قال أراه خيرا من شر منه وأرى آخر أفره منه قال قد علمت هذا قال لو علمته ما سألتنى عنه فتركه الاعرابى وولى ثم دخل على عبد الرحمن بن الاشعث فقال ما وراءك يا غضبان قال الشر تغد بالحجاج قبل ان يتعشى بك ثم صعد المنبر فخطب فعاب الحجاج والبراءة منه ونكل ابن الاشعث فى امره طويلا ثم اسر ابن الاشعث قوما يجاهدونك لاقاتلنك معهم فقاتل فدير الجماجم حتى قتل من

الكفار بها جلادا ارتاب منه كل جبان وأعز الله سبحانه أهل الحفيظة والشممان وحمى الوطيس بينهم الى أن نصر الله تعالى أولياءه وخذل أعداءه وولوا الادبار مقتحمين أبواب المدينة فاقتحمها المسلمون عليهم وملكوهم أجمعين الامن فر من مكان الوقعة ولم يدخل المدينة فأجيل السيف في الكافرين واستؤصلوا أجمعين الامن استرق من أصاغرهم وفدى من أعاظمهم وسبوا جميع من كان فيها من عيالهم وأبنائهم وملكوا المدينة بقدرة الخالق البارئ وأصيب في محنة النصر المتاح طائفة من حماة المسلمين المجادين في نصر الدين نحو الخمسين كتب الله تعالى شهادتهم وقتل فئة من أعداء الله الكافرين نحو ألف فارس وخمسة آلاف راجل فغسلها المسلمون من رجس الشرك وجلوها من صدا الافك انتهى وليت طليطلة البائسة استرجعت كهذه ومع هذا فقد غلب العدو بعد على الكل والله سبحانه المرجو في الادالة (وقال) ابن اليسع أخذ العدو مدينة تطيلة وأختها طرشونة سنة أربع وعشرين وخمسمائة ولما صار أمر بلنسية الى الفقيه القاضي أبي أحمد بن جحاف قاضيها صيرها لامير المسلمين يوسف بن تاشفين حصر بها القادر بن ذي النون الذي مكن اذفونش من طليطلة فهجم عليه القاضي في لمة من المرابطين وقتله ودفع ابن جحاف لما لم يعهد من تدبير السلطان ورجعت عنه طائفة الملثمين الذين كان يعتد بهم وجعل يستصرخ الى أمير المسلمين فيبطئ عليه وفي أثناء ذلك انهض يوسف بن احمد بن هود صاحب سرقسطة لذريق الطاغية للاستيلاء على بلنسية فدخلها وعاهده القاضي بن جحاف واشترط عليه احضار ذخيرة كانت للقادر بن ذي النون فأقسم انها ليست عنده فاشترط عليه انه ان وجدها عنده قتله فاتفق انه وجدها عنده فاحرقه بالنار وعاث في بلنسية وفيها يقول ابن خفاجة حينئذ

عاثت بساحتك الظبا يادار * ومحا محاسنك البلى والنار
فاذا تردد في جنابك ناظر * طال اعتبار فيك واستعبار
أرض تقاذفت الخطوب بأهلها * وتمخضت بخرابها الاقدار
كتبت يد الحدثان في عرصاتها * لا أنت أنت ولا الديار ديار

وكان استيلاء القنبيطور لعنه الله تعالى عليها سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وقيل في التي قبلها وبه جزم ابن الابار قائلا افتتح حصار القنبيطور اياها عشرين شهرا وذكر انه دخلها صلحا وقال غيره انه دخلها وحرقها وعاث فيها وممن أحرق فيها الاديب أبو جعفر بن البناء الشاعر المشهور رحمه الله تعالى وعفا عنه فوجه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الامير أبا محمد مزدلي ففتحها الله تعالى على يديه سنة خمس وتسعين وأربعمائة وتوالى عليها أمراء الملثمين ثم صارت ليحيى بن غانية الملثم حين ولي جميع شرق الاندلس فقدم عليها أخاه عبد الله بن غانية ولما ثارت الفتنة في المائة السادسة أخرجه منها مروان بن عبد العزيز الى أن قام عليه جيش بلنسية سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وبايعوا الابن عياض ملك شرق الاندلس ففر مروان الى المرية ثم رجعت بلنسية الى أبي عبد الله بن مردنيش ملك شرق الاندلس بعد ابن عياض وقدم عليه أخاه أبا الحجاج يوسف بن سعد بن مردنيش الى أن رجع أبو الحجاج الى جهة بني عبد المؤمن الى أن ولي عليها السيد أبو زيد عبد الرحمن ابن السيد أبي عبد الله بن أبي حفص ابن أمير المسلمين

فأخذ الغضبان فيمن أسر فلما أدخل على الحجاج قال يا غضبان كيف رأيت بلاد كرمان قال أصلح الله الامير بلاد ماؤها وشل وتمرها دقل ولصها بطل والخيل بها ضعاف وان كثر الجند بها جاعوا وان قلوا ضاعوا قال الست صاحب الكلمة الخبيثة تغد بالحجاج قبل أن يتعشى بك قال أصلح الله الامير ما نفعت من قيلت له ولا ضرت من قيلت فيه قال لأقطعن يديك ورجليك من خلاف ثم لاصلبنك قال لا أرى الامير أصلحه الله يفعل ذلك فأمر به فقيد وألقي في السجن فأقام به حتى بنى الحجاج خضراء واسط فلما استتم بناؤها جلس في صحنها وقال كيف ترون قبتي هذه قالوا ما بنى لخلق قبلك مثلها قال فان فيها مع ذلك عيبا فهل فيكم مخبري به قالوا والله ما نرى بها عيبا فأمر باحضار الغضبان فأتي به يرسف في قيوده فلما دخل عليه قال له الحجاج أراك يا غضبان سمينا قال أيها الامير القيد والرتعة ومن يكن ضيف الامير يسمن قال فكيف ترى قبتي هذه قال أرى قبة ما بني لاحد مثلها الا ان بها عيبا فان أمنني الامير أخبرته به قال قل آمنا قال بنيت في غير بلدك لغير ولدك لا تتمتع به ولا تنعم فالما لا يتمتع فيه من طيب ولا لذة قال ردوه فانه صاحب الكلمة الخبيثة قال أصلح الله الامير ان

عبد المؤمن بن علي فلما ثار العادل بمرسية تمنع واعتزوا أظهر طاعة في باطنها معصية ودام على ذلك مع أبي العلاء المأمون وكان قائد الاعنة المشار اليه في الدفاع عن بلنسية الامير زيان ابن أبي الحملات بن أبي الحجاج بن مردنيش فأنزعجه من بلنسية وملكها وفر السيد الى النصارى ولم يزل أمر بلنسية يضعف باستيلاء العدو على أعمالها الى أن حصرها ملك برشلونة النصراني فاستغاث زيان بصاحب افريقية أبي زكريا بن أبي حفص وأوفد عليه في هذه الرسالة كاتبه الشهير أبا عبد الله بن الابار القضاعي صاحب كتاب التكملة واعتاب الكتاب وغيرهما فقام بين يدي السلطان منشدا قصيدته السينية الفريدة التي فضحت من باراها وكبا دونها من جاراها وهي

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا * ان السبيل الى منجاتها درسا
وهب لها من عزيز النصر ما التمست * فلم يزل منك عز النصر ملتمسا
وحاش مما تعانيه حشاشتها * فطالما ذاقت البلوى صباح مسا
يا للجزيرة أضحى أهلها جزرا * للحادثات وأمسى جدها تعسا
في كل شارقة المام بارقة * يعود مأتمها عند العدا عرسا
وكل غاربة اجحاف نائبة * تثني الامان حذارا والسرور أسى
تقاسم الروم لا نالت مقاسمهم * الا عقائلها المحجوبة الانسا
وفي بلنسية منها وقرطبة * ما ينسف النفس أو ما ينزف النفسا
مدائن حلها الاشراك مبتسما * جذلان وارتحل الايمان منبئسا
وصيرتها العوادي العابثات بها * يستوحش الطرف منها ضعف ما أنسا
فمن دساكر كانت دونها حرسا * ومن كنائس كانت قبلها كنسا
يا للمساجد عادت للعدا بيعا * وللنداء غدا أثناءها جرسا
لهفي عليها الى استرجاع فائتها * مدارسا للمثاني أصبحت درسا
وأربعا نمنمت أيدي الربيع لها * ما شئت من خلع موشية وكسا
كانت حدائق للاحداق مونقة * فصوح النضر من أدواحها وعسا
وحال ما حولها من منظر عجب * يستجلس الركب أو يستركب الجلسا
سرعان ما عاث جيش الكفر واحربا * عيث الدبا في مغانيها التي كبسا
وابتز بزتها مما تحيفها * تحيف الأسد الضاري لما افترسا
فأين عيش جنيناه بها خضرا * وأين عصر جليناه بها سلسا
محا محاسنها طاغ أتيح لها * ما نام عن هضمها حينا ولا نعسا
ورج أرجاءها لما أحاط بها * فغادر الشم من أعلامها خنسا
خلا له الجو فامتدت يداه الى * ادراك ما لم تطأ رجلاه مختلسا
وأكثر الزعم بالتثليث منفردا * ولو رأى راية التوحيد ما نبسا
صل حبلها أيها المولى الرحيم فما * أبقى المراس لها حبلا ولا مرسا
وأحي ما طمست منها العداة كما * أحييت من دعوة المهدي ما طمسا

كنا له مقرنين قال أنزلوه فلما استوى على الارض قال اللهم أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين قال جروه فلما جروه قال بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم قال أطلقوا عنه (المنقري) عن عبد الله بن محمد بن حفص التميمي عن الحسين بن عيسى الحنفي قال لما هلك بشر بن مروان وولي الحجاج العراق بلغ ذلك أهل العراق فقام الغضبان بن القبعثرى الشيباني بالمسجد الجامع بالكوفة خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أهل العراق ويا أهل الكوفة ان عبد الملك قد ولى عليكم من لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم الظلوم الغشوم الحجاج ألا وان لكم من عبد الملك منزلة بما كان منكم من خذلان مصعب وقتله فاعترضوا هذا الخبيث في الطريق فاقتلوه فان ذلك لا يعد منكم خلعا فانه متى يعلوكم على منبركم وصدر سريركم وقاعة قصركم ثم قتلتموه عد خلعا فاطيعوني وتغدوا به قبل أن يتعشى بكم فقال له أهل الكوفة جبنت يا غضبان بل ننتظر سيرته فان رأينا منكرا غيرناه قال ستعلمون فلما قدم الحجاج الكوفة أيام

أيام صرت لنصر الحق مستبقا * وبت من نور ذاك الهدى مقتبسا
وقمت فيها بأمر الله منتصرا * كالصارم اهتز أو كالعارض انبجسا
تمحو الذي كتب التجسيم من ظلم * والصبح ماحية أنواره الغلسا
وتقتضي الملك الجبار مهجته * يوم الوغى جهرة لا ترقب الخلسا
هذي رسائلها تدعوك من كثب * وأنت أفضل مرجو لمن يئسا
وافتك جارية بالنجح راجية * منك الأمير الرضا والسيد الندسا
خاضت خضارة يعليها ويخفضها * عبابه فتعانى اللين والشرسا
وربما سبحت والريح عاتية * كما طلبت بأقصى شده الفرسا
تؤم يحيى بن عبد الواحد بن أبي * حفص مقبلة من تربه القدسا
ملك تقلدت الأملاك طاعته * دينا ودنيا فغشاها الرضا لبسا
من كل غاد على يمناه مستلما * وكل صاد الى نعماه ملتمسا
مؤيد لو رمى نجما لأثبته * ولو دعا أفقا لبى وما احتبسا
تالله ان الذي ترجى السعود له * ما جال في خلد يوما ولا هجسا
امارة يحمل المقدار رايتها * ودولة عزها يستصحب القعسا
يبدي النهار بها من ضوئه شنبا * ويطلع الليل من ظلمائه لعسا
ماضي العزيمة والأيام قد نكلت * طلق المحيا ووجه الدهر قد عبسا
كأنه البدر والعلياء هالته * تحف من حوله شهب القنا حرسا
تدبيره وسع الدنيا وما وسعت * وعرف معروفه واسى الورى وأسا
قامت على العدل والاحسان دولته * وأنشرت من وجود الجود ما رمسا
مبارك هديه باد سكينته * ما قام الا الى حسنى وما جلسا
قد نور الله بالتقوى بصيرته * فما يبالي طروق الخطب ملتبسا
برى العصاة وراش الطائعين فقل * في الليث مفترسا والغيث مرتجسا
ولم يغادر على سهل ولا جبل * حيا لقاحا اذا وافيته بخسا
فرب أصيد لا تلفي به صيدا * ورب أشوس لا تلقى له شوسا
الى الملائك ينمي والملوك معا * في نبعة أثمرت للمجد ما غرسا
من ساطع النور صاغ الله جوهره * وصان صيقله أن يقرب الدنسا
له الثرى والثريا خطتان فلا * أعز من خطتيه ما سما ورسا
حسب الذي باع في الاخطار يركبها * اليه محياه ان البيع ما وكسا
ان السعيد امرؤ ألقى بحضرته * عصاه محتزما بالعدل محترسا
فظل يوطن من أرجائها حرما * وبات يوقد من أضوائها قبسا
بشرى لعبد الى الباب الكريم حدا * آماله ومن العذب المعين حسا
كأنما يمتطي واليمن يصحبه * من البحار طريقا نحوه يبسا
فاستقبل السعد وضاحا أسرته * من صفحة فاض منها النور وانعكسا

بلغته مقالته وأمر به فأقام في حبسه ثلاث سنين حتى ورد على الحجاج كتاب من عبد الملك يأمره أن يبعث اليه بثلاثين جارية عشرا من النجائب وعشرا من قعد النكاح وعشرا من ذوات الاحلام فلما نظر الى الكتاب لم يدر ما وصفه من الجوارى فعرضه على أصحابه فلم يعرفوه فقال له بعضهم أصلح الله الامير ينبغي أن يعرف هذا من كان في أوليته بدويا فله معرفة أهل البدو ثم غزا فله معرفة أهل الغزو ثم شرب الشراب فله بذاء أهل الشراب قال وأين هذا قيل في حبسك قال ومن هو قيل الغضبان الشيباني فأحضر فلما مثل بين يديه قال أنت القائل لاهل الكوفة يتغدون بي قبل أن أتعشى بهم قال أصلح الله الامير ما نفعت من قالها ولا ضرت من قيلت فيه قال ان أمير المؤمنين كتب الى كتابا لم أدر ما فيه فهل عندك شئ منه قال يقرأ على فقرئ عليه فقال هذا بين قال وما هو قال أما النجيبة من النساء فالتي عظمت هامتها وطال عنقها وبعد ما بين منكبيها وثدييها واتسعت راحتها وثخنت ركبتها فهذه اذا جاءت بالولد جاءت به كالليث وأما قعد النكاح فهن ذوات الاعجاز منكسرات الثدي كثيرات اللحم يقرب بعضهن من بعض فأولئك يشفين

وقبل الجود طفاما غوار به * من راحة غاص فيها البحر وانغمسا
يا أيها الملك المنصور أنت لها * علياء توسع أعداء الهدى تعسا
وقد تواترت الانباء أنك من * يحيي بقتل ملوك الصفر اندلسا
طهر بلادك منهم انهم نجس * ولا طهارة مالم تغسل النجسا
وأوطئ الفيلق الجرار أرضهم * حتى يطأطئ رأسا كل من رأسا
وانصر عبيدا بأقصى شرقها شرقت * عيونهم أدمعا تهمي زكا وخسا
هم شيعة الامر وهي الدار قد نهكت * داء متى لم تباشر حسمها انتكسا
فاملأ هنيئا لك التأييد ساحتها * جردا سلاهب أو خطية دعسا
واضرب لها موعدا بالفتح ترقبه * لعل يوم الأعادي قد أتى وعسا

فبادر السلطان باعانتهم وشحن الاساطيل بالمدد اليهم من المال والاقوات والكسى فوجدوهم في هوة الحصار الى أن تغلب الطاغية على بلنسية ورجع ابن الابار بأهله الى تونس وكان تغلب العدو على بلنسية صلحا يوم الثلاثاء السابع عشر لصفر من سنة ست وثلاثين وستمائة فهزت هذه القصيدة من الملك عطف ارتياح وحركت من جنانه أخفض جناح ولشغفه بها وحسن موقعها منه أمر شعراء حضرته بمعارضتها غير واحد وحال العدو بين بلنسية وبينه وتعاهد أهلها مع النصراني على أن يسلمهم في أنفسهم وذلك سنة سبع وثلاثين وستمائة أعادها الله تعالى للاسلام * وكانت وقعة كتندة على المسلمين قبل هذا التاريخ بمدة وكتندة ويقال قتندة بالقاف من حيز دورقة من عمل سرقسطة من الثغر الاعلى وكانت الهزيمة على المسلمين جبرهم الله تعالى قتل فيها من المطوعة نحو من عشرين ألفا ولم يقتل فيها من العسكر أحد وكان على المسلمين الامير ابراهيم بن يوسف بن تاشفين الذى ألف الفتح باسمه قلائد العقيان وكانت سنة أربع عشرة وخمسمائة وممن حضرها الشيخ أبو علي الصدفي السابق الذكر وقرينه في الفضل أبو عبد الله بن الفراء خرجا غازيين فكانا ممن فقد فيها * وقال غير واحد ان العسكر انصرف مفلولا الى بلنسية وان القاضي أبا بكر بن العربي كان ممن حضرها وسئل مخلصه منها عن حاله فقال حال من ترك الخباء والعباء وهذا مثل عند المغاربة معروف يقال لمن ذهبت ثيابه وخيامه يعني انه ذهب جميع مالديه * ودخل العدو لوشة سنة اثنتين وعشرين وستمائة مع السيد أبي محمد البياسي في الفتنة التي كانت بينه وبين العادل فعاثوا فيها أشد العيث ثم ردها المسلمون الى أن أخذت بعد ذلك كما يأتي * ودخل العدو مدينة المرية يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الاولى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة عنوة (وحكى) أبو زكريا الجعيدي عن أبي عبد الله بن سعادة الشاطبي المعمر أن أبا مروان بن ورد أتاه في النوم شيخ عظيم الهيئة فرمى يديه في عضديه من خلفه وهزه هزا عنيفا حتى أرعبه وقال له قل

الا أيها المغرور ويحك لا تنم * فلله في ذا الخلق أمر قد انبهم
فلابد أن يرزوا بأمر يسوءهم * فقد أحدثوا جرما على حاكم الامم

قال وكان هذا في سنة أربعين وخمسمائة فلم يمض الا يسير حتى تغلب الروم على المرية في سنة اثنتين

القرم ويروين الظما نوأما ذوات الاحلام فبنات خمس وثلاثين الى الاربعين فتلك التي تبه

كأبس الكالب الناقة فتخرجه من كل شعر وظفر وعرق قال الحجاج أخبرني بشر النساء قال أصلح الله الامير شرهن الصغيرة النقبة الحديدة الركبة السريعة الوثبة الواسطة في نساء الحي التي اذا غضبت غضب لها مائة واذا سمعت كلمة قالت لا والله لا انتهي حتى أقرها قرارها التي في بطنها جارية ويتبعها جارية وفي حجرها جارية قال الحجاج على هذه لعنة الله ثم قال ويحك فاخبرني بخير النساء قال خيرهن القريبة القامة من السماء الكثيرة الاخذ من الارض الودود الولود التي في بطنها غلام وفي حجرها غلام ويتبعها غلام قال ويحك فاخبرني بشر الرجال قال شرهم السبوط الربوط المحمود في جرم الحي الذي اذا سقط لاحداهن دلو في بئر انحط عليه حتى يخرجه فهن يحزينه الخير ويقلن عافاك الله فلانا قال على هذا لعنة الله فاخبرني بخير الرجال قال خيرهم الذي يقول فيه الشماخ التغلبي

فتى ليس بالراضي بادنى معيشة * ولا في بيوت الحي بالمتولج

اثنتين وأربعين وخمسمائة بعد تملك الروم لها بعامين أو نحوهما انتهى * وهو مما حكاه ابن الابار الحافظ في كتاب التكملة له * وفي وقعة المرية هذه استشهد الرشاطي الامام المشهور وهو أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن خلف بن أحمد بن عمر اللخمي الرشاطي المربي وكانت له عناية كبيرة بالحديث والرجال والرواة والتواريخ وهو صاحب كتاب اقتباس الانوار والتماس الازهار في نسب الصحابة ورواة الآثار أخذه الناس عنه واحسن فيه وجمع وماقصر وهو على اسلوب كتاب ابي سعد بن السمعاني الحافظ المسمى بالانساب * وولد الرشاطي سنة ٤٦٦ بقرية من اعمال مرسية يقال لها اوريولة بفتح الهمزة وسكون الواو وكسر الراء وضم المثناة التحتية وبعد الالف لام مفتوحة وبعدها هاء وتوفي شهيدا بالمرية عند تغلب العدو عليها صبيحة الجمعة ٢٠ جمادى الاولى سنة ٥٤٢ والرشاطي بضم الراء وفتح الشين المخففة وذكر هو أن احد اجداده كان في جسمه شامة كبيرة وكانت حاضنته عجمية فاذا لاعبته قالت رشاطة وكثر ذلك منها فقيل له الرشاطي انتهى ملخصا من وفيات الاعيان وبعضه بالمعنى * وبعد اخذ النصارى المرية هذه المرة رجعت الى ملك المسلمين واستنقذها الله تعالى على يد الموحدين وبقيت بأيدي اهل الاسلام سنين وكان اول الولاة عليها حين استولى عليها امير المسلمين عبد المؤمن بن علي رجلا يقال له يوسف ابن مخلوف فثار عليه اهل المرية وقتلوه وقدموا على انفسهم الرميمي فأخذها النصارى منه عنوة كما ذكرنا واحصى عدد من سبي من ابكارها فكان اربعة عشر الفا * وقال ابن حبيش آخر الحفاظ بالاندلس كنت في قلعة المرية لما وقع الاستيلاء عليها اعادها الله تعالى للاسلام فتقدمت الى زعيم الروم السليطين وهو ابن بنت الاذفونش وقلت له اني أحفظ نسبك منك الى هرقل فقال لي قل فذكرته له فقال لي اخرج أنت واهلك ومن معك طلقاء بلا شيء وابن حبيش شيخ ابن دحية وابن حوط الله وأبي الربيع الكلاعي رحمهم الله تعالى ولما أخذت المرية أقبل اليها السيدان أبو حفص وأبو سعيد ابنا أمير المؤمنين عبد المؤمن فحصرا النصارى بها وزحف اليهما أبو عبد الله بن مردنيش ملك شرق الاندلس محاربا لهما فكانا يقاتلان النصارى والمسلمين داخلا وخارجا ثم رأى ابن مردنيش العار على نفسه في قتالهم مع كونهم يقاتلون النصارى فارتحل فقال النصارى ما رحل ابن مردنيش الا وقد جاءهم مدد فاصطلحوا ودخل الموحدون المدينة وقد خربت وضعفت الى أن أحيا رمقها الرئيس أبو العباس أحمد بن كمال وذلك ان أخته أخذت سبية في دخلة عبد المؤمن لبجاية فاختلت بقصره واعتنت باخيها فولاه بلده فصلح به حالها وكان جوادا حسن المحاولة كثير الرفق واشتهر من ولاتها في مدة بني عبد المؤمن في المائة السابعة الامير أبو عمران بن أبي حفص عم ملك افريقية أبي زكريا * ولما كانت سنة خمس وعشرين وستمائة وثارت الاندلس على مأموني بني عبد المؤمن بسبب قيام ابن هود بمرسية قام في المرية بدعوة ابن هود أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي يحيى بن الرميمي وجده ابو يحيى هو الذي أخذها النصارى من يده ولما قام بدعوة ابن هود وفد عليه بمرسية وولاه وزارته وصرف اليه سياسته وآل امره معه الى ان اغراه بان يحصن قلعة المرية ويجعلها له عدة وهو يبغي ذلك عدة

فقال له حسبك كم حبسنا عطاءك قال ثلاث سنين فامر له بها وخلى سبيله (المنقري) عن محمد بن السري عن هشام بن محمد ابن السائب عن أبي عبد الله النخعي قال لما فرغ الحجاج من دير الجماجم وقدم على عبد الملك ومعه أشراف اهل المصرين أدخلهم عليه فبينما هم عنده اذ تذاكروا البلدان فقال محمد بن عمير ابن عطارد أصلح الله الامير ان الكوفة أرض ارتفعت عن البصرة وحرها وعمقها وسفلت عن الشام ووبائها وجاورها الفرات فعذب ماؤها وطاب ثمرها فقال خالد بن صفوان الاهتمي أصلح الله الامير نحن أوسع منهم برية وأسرع منهم في السرية وأكثر منهم قندا وعاجا وساجا وياسا ماؤنا صفو وخيرنا عفو لايخرج من عندنا الا قائد وسائق وناعق فقال الحجاج أصلح الله أمير المؤمنين اني بالبلدين خبير وقد وطئتهما جميعا فقال له قل فانت عندنا مصدق فقال أما البصرة فعجوز شمطاء دفراء بخراء أوتيت من كل حلي وزينة وأما الكوفة فشابة حسناء جميلة لاحلي لها ولا زينة فقال عبد الملك فضلت الكوفة على البصرة (المنقري) عن عمر بن الحباب الباهلي عن اسمعيل

لنفسه وترك ابن هود فيها جارية تعلق ابن الرميمي بها واجتمع معها فبلغ ذلك ابن هود فبادر الى المرية وهو مضمر الايقاع بابن الرميمي فتغدى به قبل ان يتعشى به واخرج من قصره ميتا و وجه في تابوت الى مرسية في البحر واستبد ابن الرميمي بملك المرية ثم ثار عليه ولده وآل الامر بعد احوال الى ان تملكها ابن الاحمر صاحب غرناطة و بقيت في يده ويد اولاده بعده الى ان اخذها العدو الكافر عند ما طوى بساط بلاد الاندلس كما سننبه عليه والله غالب على امره * وما احسن قول ابي اسحق ابراهيم بن الدباغ الاشبيلي في هزيمة العقاب باشبيلية

وقائلة اراك تطيل فكرا * كانك قد وقفت لدى الحساب
فقلت لها أفكر في عقاب * غدا سببا لمعركة العقاب
فما في ارض اندلس مقام * وقد دخل البلا من كل باب

وقول القائد ابي بكر ابن الامير ملك شلب ابي محمد عبد الله ابن وزير ها يخاطب منصور بني عبد المؤمن وقد التقى هو واصحابه مع جماعة من الفرنج فتناصفوا ثم كان الظفر للمسلمين

ولما تلاقينا جرى الطعن بيننا * فمنا ومنهم طائحون عديد
وجال غرار الهند فينا وفيهم * فمنا ومنهم قائم وحصيد
فلا صدر الا فيه صدر مثقف * وحول الوريد للحسام ورود
صبرنا ولا كهف سوى البيض والقنا * كلانا على حد الجلاد جليد
ولكن شددنا شدة فتبلدوا * ومن يتبلد لا يزال يحيد
فولوا وللسمر الطوال بهامهم * ركوع وللبيض الرقاق سجود

وكان المذكور من فرسان الاندلس وكان ابنه الفاضل أبو محمد غير مقصر عنه فروسية وقدرا وأدبا وشعرا وولاه ناصر بني عبد المؤمن مدينة قصر أبي دانس في الجهة الغربية وقتله ابن هود باشبيلية وزعم أنه يروم القيام عليه ومن شعره قوله في ابن صاحب أعمال اشبيلية

لا تيأسن من الخلافة بعدما * ولي ابن عمر وخطة الاشراف
تبا لدهر هذه أفعاله * يضع النوافج في يدي كناف

(رجع) ودخل العدو كورة ماردة من محمد بن هود سنة ست وعشرين وستمائة وكان مفتتح المصائب على يده أعادها الله تعالى للاسلام وهي قاعدة بلاد الجوف في مدة العرب والعجم والحضرة المستجدة بعدها هي مدينة بطليوس وبين ماردة وقرطبة خمسة أيام * وملك بطليوس وماردة وما اليها المظفر محمد بن المنصور بن الافطس مشهور وهو من رجال القلائد والذخيرة وهو أديب ملوك عصره بلا مدافع ولا منازع وله التصنيف الرائق والتأليف الفائق المترجم بالتذكرة المظفرى خمسون مجلدا اشتمل على فنون وعلوم من مغاز وسير ومثل وخبر وجميع علوم الادب وقال يوما والله ما يمنعني من اظهار الشعر الا كوني لا أقول مثل قول أبي العشائر بن حمدان

أقرأت منه ما تخط يد الوغى * والبيض تشكل والاسنة تنقط

وقول أبي فراس ابن عمه

ابن خالد قال سمعت الشعبي يقول سمعت الحجاج يقول بكلام ما سبقه اليه أحد سمعته يقول أما بعد فان الله عز وجل كتب على الدنيا الفناء وعلى الآخرة البقاء فلا فناء لما كتب عليه البقاء ولا بقاء لما كتب عليه الفناء فلا يغرنكم شاهد الدنيا من غائب الآخرة فطول الامل يقصر الاجل (المنقرى) عن سهل بن تمام بن بزيع عن عباد بن حبيب بن المهلب عن أبيه قال لما قتل المهلب بن عبد ربه بن الصغير كرمان قال ائتوني برجل له بيان وعقل ومعرفة اوجهه الى الحجاج برؤس من قتلنا فدلوه على بشر بن مالك الجرشي فلما دخل على الحجاج قال ما اسمك قال بشر بن مالك الجرشي قال كيف تركت المهلب قال تركته صالحا نال مارجا وأمن ما خاف قال فكيف فاتكم قطرى قال كادنا من حيث كدناه قال أفلا طلبتموه قال كان الحد أهم علينا من القتل قال أصبتم قال فكيف كان بنو المهلب قال كانوا أعداء البيات حتى يأمنوا وأصحاب السرج حتى يردوا قال أجل فايهم أفضل قال ذاك الى أبيهم أيهم شاء ان يستكفيه أمرا كفاه قال اني ارى لك عقلا فقل قال هم كالحلقة المستوية لا يدرى أين طرفاها قال ان هم من ابيهم قال فضله عليهم * وحدثنا

وجدنا العوالى فى مقام * تحدث عنه ربات الحجال
كأن الخيل تعلم من عليها * ففى بعض على بعض تعالى

فأين هذا من قولى

أنفت من المدام لان عقلى * أعز على من أنس المدام
ولم ارتح الى روض وزهر * ولكن للعمائل والحسام
اذا لم أملك الشهوات قهرا * فلم أبغى الشفوف على الانام

وله رحمه الله تعالى

يا لحظه زد فتورا * تزد على اقتدارا
فاللحظ كالسيف أمضا * ه مارق غرارا

وابنه المتوكل من رجال القلائد والمسهب وكان فى حضرة بطليوس كالمعتمد بن عباد باشبيلية قد أناخت الآمال بحضرتهما وشدت رجال الآداب الى ساحتهما يتردد أهل الفضائل بينهما كتردد النواسم بين جنتين وينظر الادب منهما عن مقلتين والمعتمد أشعر والمتوكل أكتب (رجع) وقال الفاضل الكاتب أبو عبد الله محمد الفازازى وقيل انها وجدت برقعة فى جيبه يوم موته

الروم تضرب فى البلاد وتغنم * والجور يأخذ ما بقى والمغرم
والمال يورد كله قشتالة * والجند تسقط والرعية تسلم
وذوو التعين ليس فيهم مسلم * الا معين فى الفساد مسلم
أسفى على تلك البلاد وأهلها * الله يلطف بالجميع و يرحم

وقيل ان هذه الابيات رفعت الى سلطان بلده فلما وقف عليها قال بعد ما بكى صدق رحمه الله تعالى ولو كان حاضرا ضربت عنقه * وهذا الفازازى أخو الشاعر الشهير الكاتب الكبير أبى زيد عبد الرحمن الفازازى صاحب الامداح فى سيد الوجود محمد صلى الله عليه وسلم وهو كما قال فيه بعضهم صاحب القلم الاعلى والقدح المعلى أبرع من ألف وصنف وأبدع من قرط وشنف فقد طاع القلم لبنانه والنظم والنثر لبيانه كان نسيج وحده رواية وأخبارا ووحيد نسجه روية وابتكارا وفريد وقته خبرا وأخبارا وصدر عصره ايرادا واصدارا صاحب فهوم ورافع ألوية علوم أما الادب فلا يسبق فيه مضماره ولا يشق غباره ان شاء انشا أنشا ووشى سائل الطبع عذب النبع له فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم بدائع قد خضع البيان لها وسلم أعجز بتلك المعجزات نظما ونثرا وأوجز فى تحبير تلك الآيات البينات فلا حصرا ورفع للقوافى راية استظهار تخيرفيها الاظهر فجمع وعشر وشفع وأوتر وأما الاصول فهى من فروعه فى متفرق منظومه ومنثور مجموعه وأما النسب فالى حفظه انتسب وأما الايام والدول ففى تاريخه الاواخر والاول وقد سبك من هذه العلوم فى منثوره وموزونه ما يشهد باضافتها الى فنونه وله سماع فى الحديث رواية وفهم بقوانينه ودراية سمع من أبى الوليد اليزيد بن عبد الرحمن بن بقى القاضى ومن أبى الحسن جابر بن أحمد القرشى التاريخى وهو آخر من حدث عنه ومن أبى عبد الله

كفضلهم على سائر الناس قال كيف كان الجند قال اردتهم الحق واتبعهم الفضل وكانوا مع والى يقاتل بهم مقاتلة الصعلوك ويسوسهم سياسة الملوك فله منهم بر الاولاد ولهم منه شفقة الوالد قال هل كنت هيأت ما ارى قال لا يعلم الغيب الا الله قال فالتفت الحجاج الى عنبسة فقال هذا الكلام المخلوق لا الكلام المصنوع (وأخذ الحجاج) جرير ابن الخطفى فأراد قتله فمشى اليه قومه من مضر فقالوا أصلح الله الامير لسان مضر وشاعرها هبه لنا فوهبه لهم (وكانت هند) بنت اسماء زوج الحجاج ممن طالبه فقالت للحجاج أتأذن لجرير على يوما أستنشده من وراء حجاب فقال لها نعم فأمرت بمجلس لها فهيئ فجلست فيه والحجاج معها ثم بعثت الى جرير فدخل عليها يسمع كلامها ولا يراها فقالت يا ابن الخطفى أنشدنى ما شببت به فى النساء فقال لها ما شببت بامرأة قط ولا خلق الله شيأ هو أبغض الى من النساء قالت يا عدو الله وأين قولك

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعى بسلام

تجرى السواك على أغر كأنه * برد تحدر من متون غمام
لو كنت صادقة بما حدثتنا * لوصلت ذاك فكان غير لمام

التجيبي كثيرا وهو أوّل من حدث عنه في حياة الحافظ أبي الطاهر السلفي اذ قدم عليهم تلمسان وأجازه الحافظ السهيلي وابن خلف الحافظ وغيرهما وولد بعد الخمسين والخمسمائة وتوفي بمراكش سنة ٦٣٧ رحمه الله تعالى انتهى ملخصا (رجع) ولما ثارت الاندلس على طائفة عبد المؤمن كان الوالي بجزيرة ميورقة أبو يحيى بن أبي عمران التينملي فأخذها الفرنج منه كذا قال ابن سعيد وقال ابن الابار انها أخذت يوم الاثنين الرابع عشر من صفر سنة سبع وعشرين وستمائة انتهى وقال المخزومي في تاريخ ميورقة ان سبب أخذها من المسلمين ان أميرها في ذلك الوقت محمد بن علي بن موسى كان في الدولة الماضية أحد أعيانها ووليها سنة ست وستمائة واحتاج الى الخشب المجلوب من يابسة فأنفذ طريدة بحرية وقطعة حربية فعلم بها والي طرطوشة فجهز اليها من أخذها فعظم ذلك على الوالي وحدّث نفسه بالغزو لبلاد الروم وكان ذلك رأيا مشؤما ووقع بينه وبين الروم وفي آخر ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وستمائة بلغه ان مسطحا من برشلونة ظهر على يابسة ومركبا آخر من طرطوشة انضم اليه فبعث ولده في عدة قطع اليه حتى نزل في مرسى يابسة ووجد فيه لاهل جنوة مركبا كبيرا فأخذه وسار حتى أشرف على المسطح فقاتله وأخذه وظن أنه غالب الملوك وغاب عنه انه أشأم من عاقر الناقة وأن الروم لما بلغهم الخبر قالوا لملكهم وهو من ذرية اذفونش كيف يرضى الملك بهذا الامر ونحن نقاتل بنفوسنا وأموالنا فأخذ عليهم العهد بذلك وجمع عشرين ألفا من اهل البلاد وجهز في البحر ستة عشر ألفا وشرط عليها حمل السلاح * وفي سنة ست وعشرين وستمائة اشتهر أمر هذه الغزوة فاستعد لها الوالي وميز نيفا على ألف فارس ومن فرسان الحضر والرعية مثلهم ومن الرجالة ثمانية عشر ألفا وذلك في شهر ربيع الاوّل من السنة ومن سوء الاتفاق أن الوالي أمر صاحب شرطته أن يأتيه باربعة من كبراء المصر فساقهم وضرب أعناقهم وكان فيهم ابنا خاله وخالهما أبو حفص بن سيرى ذو المكانة الوجيهة فاجتمعت الرعية الى ابن سيرى فأخبروه بما نزل وعزّوه فيمن قتل وقالوا هذا أمر لا يطاق ونحن كل يوم الى الموت نساق وعاهدوه على طلب الثار وأصبح الوالي يوم الجمعة منتصف شوّال والناس من خوفه في أهوال ومن أمر العدو في اهمال فأمر صاحب شرطته باحضار خمسين من أهل الوجاهة والنعمة فأحضرهم واذا بفارس على هيئة النذير دخل الى الوالي وأخبره بان الروم قد أقبلت وانه عد فوق الاربعين من القلوع وما فرغ من اعلامه حتى ورد آخر من جانب آخر وقال ان اسطول العدوّ قد تظاهر وقال انه عد سبعين شراعا فصح الامر عنده فسمح لهم بالصفح والعفو وعرفهم بخبر العدوّ وأمرهم بالتجهز فخرجوا الى دورهم كانما نشروا من قبورهم ثم ورد الخبر بان العدوّ قرب من البلد فانهم عدوا مائة وخمسين قلعا ولما عبر وقصد المرسى أخرج الوالي جماعة تمنعهم النزول فباتوا على المرسى في الرجل والخيل وفي الثامن عشر من شوّال وهو يوم الاثنين وقع المصاف وانهزم المسلمون وارتحل النصارى الى المدينة ونزلوا منها على الحربية الحزنية من جهة باب الكحل ولم يزل الامر في شدة وقد أشرفوا على أخذ البلد ولما رأى ابن سيرى أن العدوّ قد استولى على البلد خرج الى البادية ولما كان يوم الجمعة الحادي عشر من صفر

سرت الهموم فبتن غير نيام * وأخو الهموم يروم كل مرام قال ما قلت هذا ولكني أنا الذي أقول

لقد جرد الحجاج للحق سيفه
ألا فاستقيموا لا يميلن مائل
وما يستوي داعي الضلالة والهدى
ولا حجة الخصمين حق وباطل
قالت دع عنك هذا فأين قولك
خليلي لا تستغزرا الدمع في هند
أعيذكما بالله أن تجدا وجدي
ظمئت الى شرب الشراب وحسنه
كذي فرية يرجو هداها وما يجدي
قال فما ما قلت هذا ولكني أنا الذي أقول
ومن يأمن الحجاج أما عقابه
فمر وأما عقده فوثيق
يسر لك البغضاء كل منافق
كما كل ذي بر عليك شفيق
قالت دع عنك هذا فاين قولك
يا عاذلي دعا الملامة واقصرا
طال الهوى وأطلتما التفنيدا
اني وجدت ولو أردت زيادة
في الحب عندي ما وجدت مزيدا
فقال باطل أصلحك الله ولكني أنا الذي أقول
من سد مطلع النفاق عليهم * أم من يصول كصولة الحجاج قاتلوا

قاتلوا البلد قتالا شديدا ولما كان يوم الاحد أخذ البلد وأخذ منه أربعة وعشرون ألفا
وقتلوا على دم واحد وأخذ الوالي وعذب وعاش بعد ذلك خمسة وأربعين يوما ومات تحت
العذاب وأما ابن سيري فانه صعد الى الجبل وهو منيع لا ينال من تحصن فيه وجمع عنده
ستة عشر ألف مقاتل وما زال يقاتل الى أن قتل يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر سنة ثمان
وعشرين وستمائة ووجده من آل جبلة بن الايهم الغساني وأما الحصون فأخذت في آخر
رجب سنة ثمان وعشرين وستمائة وفي شهر شعبان لحق من نجا من المسلمين الى بلاد
الاسلام انتهى ما ذكره ابن عميرة المخزومي ملخصا * وكان بميورقة جماعة أعلام وشعراء
ومن شعر ابن عبد الولي الميورقي

هل أمان من لحظك الفتان * وقوام يميل كالخيزران
مهجتي منك في جحيم ولكن * جفوني قد متعت في جنان
فتنتني لواحظ ساحرات * است أخشى من فتنة الشيطان

ولما استولى النصارى على ميورقة في التاريخ المتقدم ثار بجزيرة منورقة وهي قريبة
منها الجواد العادل العالم أبو عثمان سعيد بن حكم القرشي وكان واليها من قبل الوالي أبي يحيى
المقتول وتصالح مع النصارى على ضريبة معلومة واشترط أن لا يدخل جزيرته أحد من
النصارى وضبطها أحسن ضبط قال أبو الحسن علي بن سعيد أخبرني أحد من اجتمع به أنه
لقي منه راحب اليه الاقامة في تلك الجزيرة المنقطعة وذكر أنه ركب معه فنظر الى حمالة
سيف ضيقة قد أثرت في عنقه فأمر له باحسان وغنباز وكتب معه

حمالة السيف توهي جيد حاملها * لا سيما يوم اسراع وانجاز
وخير ما استعمل الانسان يومئذ * لحسم علتها الباس غنباز

والغنباز عند أهل المغرب صنف من الملبوس غليظ يستر العنق * وأصل أبي عثمان من مدينة
طابيرة من غرب الاندلس وقد ألف باسمه التآليف المشهورة بالمغرب ككتاب روح
الشعر وروح الشعر وغيره * وأخذ العدو ميورقة بعد مدة * وأخذ العدو جزيرة شقر صلحا
سنة تسع وثلاثين وستمائة في آخرها * وأخذ العدو دمره الله تعالى مدينة سرقسطة يوم الاربعاء
لاربع خلون من رمضان سنة اثنتي عشرة وخمسمائة * وكان استيلاء الافرنج على شرق
الاندلس شاطبة وغيرها واجلاؤهم من يشاركهم من المسلمين فيما تغلبوا عليه منها في شهر
رمضان سنة خمس وأربعين وستمائة * وكان استيلاء العدو دمره الله تعالى على مدينة قرطبة
يوم الاحد الثالث والعشرين من شوال سنة ست وثلاثين وستمائة * وكان تملك العدو مرسية
صلحا ظهر يوم الخميس العاشر من شوال قدم أحمد بن محمد بن هود ولد والي مرسية بجماعة
من وجوه النصارى فملكهم اياها صلحا ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم * وحصر العدو
اشبيلية سنة خمس وأربعين وستمائة * وفي يوم الاثنين الخامس من شعبان للسنة بعدها
ملكها الطاغية صاحب قشتالة صلحا بعد منازلتها حولا كاملا وخمسة أشهر أو نحوها * وقال
ابن الابار في ترجمة أبي علي الشلوبين من التكملة محصورته وتوفي بين يدي منازلة الروم
اشبيلية ليلة الخميس منتصف صفر سنة خمس وأربعين وستمائة وفي العام القابل ملكها الروم

أم من يغار على النساء حفيظة
اذ لا يثقن بغيرة الازواج
هذا ابن يوسف فافهموا وتفهموا
برح الخفاء وليس حيث يفاجي
فلرب نار كنت بعتين تركته
ونضاب لحيته دم الاوداج
فقال الحجاج يا عدو الله تحرض على النساء فقال لا والذي أكرمك أيها الامير ما فطنت لهذا البيت قبل ساعتي هذه وما علمت بمكانك فاقلني جعلني الله فداك فأقد فعلت فأمرت له هند بجارية وكسوة وأوفده الحجاج على عبد الملك ولما انهزم ابن الاشعث بدير الجماجم حلف الحجاج أن لا يؤتى بأسير الا ضرب عنقه فأتى بأسرى كثيرة وكان أول من أتى به أعشى همدان الشاعر وهو أول من خلع عبد الملك والحجاج بين يدي ابن الاشعث بسجستان فقال له الحجاج ايه أنت القائل
من مبلغ الحجاج أني قد جنيت عليه حربا
ووضعت في كف امرئ جلدا اذا ما لا مرعى

انتهى * وكانت وقعة أنيجة التي قتل فيها الحافظ أبو الربيع الكلاعي رحمه الله تعالى يوم الخميس لعشرين بقين من ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وستمائة ولم يزل رحمه الله تعالى متقدما أمام الصفوف زحفا الى الكفار مقبلا على العدو ينادي بالمنهزمين أعن الجنة تفرون حتى قتل صابرا محتسبا برد الله تعالى مضجعه وكان دائما يقول ان منتهى عمره سبعون سنة لرؤيا رآها في صغره فكان كذلك ورثاه تلميذه الحافظ أبو عبد الله بن الابار بقصيدته الميمية الشهيرة التي أولها

ألما بأشلاء العلا والمكارم * تقد بأطراف القنا والصوارم
وعوجا عليها مأربا ومفازة * مصارع غصت بالطلى والجماجم
نحيي وجوها في الجنان وجيهة * مجاسد من نسج الظبا واللهاذم

وهي طويلة ومن شعر الحافظ أبي الربيع المذكور

توالت ليال للغواية جون * ووافى صباح للرشاد مبين
ركاب شباب أزمعت عنك رحلة * وجيش مشيب جهزته منون
ولا أكذب الرحمن فيما أجنه * وكيف ولا يخفى عليه جنين
ومن لم يخل أن الرياء يشينه * فمن مذهبي أن الرياء يشين
لقد ريع قلبي للشباب وفقده * كما ريع بالعلق الفقيد ضنين
وآلمني وخط المشيب بلمتي * فخطت بقلبي للشجون فنون
وليل شبابي كان أنضر منظرا * وآنق مهما لاحظته عيون
فآها على عيش تكدر صفوه * وأنس خلا منه صفا وحجون
وياويح فودي أو فؤادي كلما * تزيد شيبي كيف بعد يكون
حرام على قلبي سكون بغرة * وكيف مع الشيب الممض سكون
وقالوا شباب المرء شعبة جنة * فما لي عراني للمشيب جنون
وقالوا شعاع الشيب حدثان ما أتى * ولم يعلموا أن الحديث شجون

وقال أيضا

أمولى الموالي ليس غيرك لي مولى * وما أحد يا رب منك بذا أولى
تبارك وجه وجهت نحوه المنى * فأوزعها شكرا وأوسعها طولا
وما هو الا وجهك الدائم الذي * أقل حلى علياه يخرس القولا
تبرأت من حولي اليك وقوتي * فكن قوتي في مطلبي وكن الحولا
وهب لي الرضا ما لي سوى ذاك مبتغى * ولو لقيت نفسي على نيله الهولا

وكان رحمه الله تعالى حافظا للحديث مبرزا في نقده تام المعرفة بطرقه ضابطا لاحكام أسانيده ذاكرا لرجاله ريان من الادب خطب ببلنسية واستقضي وكان مع ذلك من أولي الحزم والبسالة والاقدام والجزالة حضر الغزوات وباشر القتال بنفسه وأبلى بلاء حسنا وروى عن أبي القاسم بن حبيش وطبقته وصنف كتبا منها مصباح الظلم في الحديث والاربعون عن أربعين شيخا والاربعين من الصحابة والاربعون السباعية والسباعيات من حديث

ولذا نهضت هديت لعله
يجلي بك الرحمن كربا
نبئت أن بني يو
سف خر من زلق قتبا
وهي أبيات وأنت القائل
شطت نوى من داره الايوان
ايوان كسرى ذي القرى والريحان
من عاشق أمسى بزابلستان
ان ثقيفا منهم الكذابان
كذابها الماضي وكذاب ثان
أمكن ربي من ثقيف همدان
يوما الى الليل يسلي ما كان
وأنت القائل
وسائلتماني المجد أين محله
فالمجد بين محمد وسعيد
بين الاشج وبين قيس باذخ
بخ لوالده وللمولود
قال لا ولكني الذي أقول
أبى الله الا أن يتمم نوره
ويطفئ نور الفاسقين فيخمدا
وينزل ذلا بالعراق وأهله
بما نقضوا العهد الوثيق المؤكدا
وما أحدثوا من بدعة وضلالة
من القول لم يصعد الى ذروة العدا
قال لسنا نحمدك على
هذا القول انما قلته
تأسفا على أن لا يكون ظفرت وظهرت وتحريضا لاصحابك ولست عن هذا سألتك أنبئني عن قولك

يمكن همدان من ثقيف وعن قولك بين الاشج و بين قيس باذخ

بخ لوالدة وللمولود

والله لا تبخبخ لاحد بعدها وأمر به فضربت عنقه ولم يزل يؤتى برجل رجل حتى أتى برجل من بني عامر وكان من فرسان الجماجم مع ابن الاشعث فقال له والله لاقتلنك شر قتلة قال والله ما ذلك لك قال ولم قال لان الله يقول في كتابه العزيز فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها وأنت قد قتلت فأثخنت وأسرت فأثخنت فاما أن تمن علينا أو تفدينا عشائرنا فقال له الحجاج أكفرت قال نعم وغيرت وبدلت قال خلوا سبيله ثم أتى برجل من ثقيف فقال له الحجاج أكفرت قال نعم قال الحجاج لكن هذا الذي خلفك لم يكفر وخلفه رجل من السكون قال السكوني أعن نفسي تخادعني بل والله لو كان شئ اشد من الكفر لبؤت به فخلى سبيله مافيه سنه تسهل

من أخبار عبد الملك والحجاج وقد أتينا على مبسوط هذه الاخبار مما لم نورده في هذا الكتاب ، كتابنا أخبار الزمان

الصدق وحلية الامالي في الموافقات والعوالي وتحفة الوارد ونجعة الرواد والمسلسلات والانشادات وكتاب الاكتفاء في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازي الثلاثة الخلفاء وميدان السابقين وحلبة الصادقين المصدقين في غرض كتاب الاستيعاب ولم يكمله والمعجم فيمن وافقت كنيته زوجه من الصحابة والاعلام باخبار البخاري الامام والمعجم في مشيخة أبي القاسم بن حبيش وبرنامج رواياته وجنى الرطب في سني الخطب ونكتة الامثال ونفثة السحر الحلال وجهد النصيح في معارضة المعري في خطبة الفصيح والامتثال لمثال المبهج في ابتداع الحكم واختراع الامثال ومفاوضة القلب العليل ومنابذة الامل الطويل بطريقة المعري في ملقى السبيل ومجازة اللعن للاحن الممتحن مائة مسئلة ملغزة ونتيجة الحب الصميم وزكاة المنثور والمنظوم في مثال النعل النبوية على لابسها الصلاة والسلام قال ابن رشيد لو قال وزكاة النثير والنظيم لكان احسن وله كتاب الصحف المنشره في القطع المعشره وديوان رسائله سفر وديوان شعره سفر وكتب الى الاديب الشهير أبي بحر صفوان بن ادريس المرسي عقب انفصاله من بلنسية

٥٨٧ نه

أحن الى نجد ومن حل في نجد * وماذا الذي يغني حنيني أو يجدي
وقد أوطنوها وادعين وخلفوا * محبهم رهن الصبابة والوجد
تبين بالبين اشتياقي اليهم * ووجدي فساوى ما أجن الذي أبدي
وضاقت على الارض حتى كأنها * وشاح بخصر أو سوار على زند
الى الله أشكو ما ألاقي من الجوى * وبعض الذي لاقيته من جوى يردي
فراق أخلاء وصد أحبة * كأن صروف الدهر كانت على وعد
فياسر حتى نجد نداء متيم * له ابدا شوق الى سرحتي نجد
ظمئت فهل طل يبرد لوعتي * ضحيت فهل ظل يسكن من وجدي
ويا زمنا قد بان غير مذمم * لعل لانس قد تصرم من رد
ليالي نجنى الانس من شجر المنى * ونقطف زهر الوصل من شجر الصد
وسقيا لاخوان باكناف حاجر * كرام السجايا لا يحولون عن عهد
وكم لي بنجد من سري ممجد * ولا كابن ادريس أخي الشرو المجد
أخو همة كالزهر في بعد نيلها * وذو خلق كالزهر غب الحيا العد
تجمعت الاضداد فيه حميدة * فمن خلق سبط ومن حسب جعد
أبا راحلا أودى بصبري رحيله * وفل من عزمي وثلم من حدي
أتعلم ما يلقى الفؤاد لبعدكم * ألا مذ نأيتم ما يعيد ولا يبدي
فياليت شعري هل تعود لنا المنى * وعيشا كما نمت حاشيتي برد
عسى الله أن يدني السرور بقربكم * فيبدو ومنا الشمل منتظم العقد

انتهى * وقال الحافظ القاضي أبو بكر بن العربي في أحكام القرآن عند تفسير قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا ما صورته ولقد نزل بنا العدو قصمه الله تعالى سنة سبع وعشرين

ماقدمنا من الشرط فيما سلف من هذا الكتاب وبالله العون والقوة

(ذكر أيام الوليد بن عبد الملك)

بويع الوليد بن عبد الملك بدمشق فى اليوم الذى توفى فيه عبد الملك وتوفى الوليد بدمشق للنصف من جمادى الآخرة من سنة ست وتسعين فكانت ولايته تسع سنين وثمانية أشهر وليلتين وهلك وهو ابن ثلاث وأربعين سنة وكان يكنى بابى العباس

(ذكر لمع من أخباره وسيره وما كان من الحجاج فى أيامه)

كان الوليد جبارا عنيدا ظلوما غشوما وخلف من الولد أربعة عشر ذكرا منهم يزيد وعمرو وبشر والعالم والعباس وكان يدعى فارس بنى مروان لشهامته فعدل الوليد بالامر عن ولده بعده اتباعا لوصية عبد الملك على حسب ما رتبها وكان نقش خاتمه يا وليد انك ميت فكان كلما هم أن يجعل الامر فى ولده قلب الفص فقرأ انك ميت فيقول لا ها الله لا خالفت فيما أمر به انى لميت وفى سنة تسع وثمانين ابتدأ الوليد ببناء المسجد الجامع بدمشق ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فأنفق عليهما

وتجسما ثة فاس ديارنا وأسر حيرتنا وتوسط بلادنا فى عدد حذ الناس عدده فكان كثيرا وان لم يبلغ ماحدوده فقلت للوالى والمولى عليه هذا عدو الله قد حصل فى الشرك والشبكه فلتكن عندكم بركه ولتكن منكم الى نصرة الدين المتعينة عليكم حركه فليخرج اليه جميع الناس حتى لا يبقى منهم أحد فى جميع الاقطار فيحاط بهم فانه هالك لا محالة وان يسركم الله فغلبت الذنوب ورجفت بالمعاصى القلوب وصار كل أحد من الناس ثعلبا ياوى الى وجاره وان رأى المكيدة بجاره فانا لله وانا اليه راجعون وحسبنا الله ونعم الوكيل انتهى

*ولا خفاء أن هذا كان قبل أخذ العدو الجزيرة وشرق الاندلس وسرقسطة وميورقة وغيرها عما قدمنا ذكره والبدايات عنوان النهايات * وقال أبو جعفر الوقشى البلنسى نزيل مالقة يمدح أمير المؤمنين يوسف ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على

أبت غير ماء بالنخيل ورودا * وهامت به عذب الجمام برودا
وقالت لحاديها أتم زيارة * على العشر فى وردى له فازيدا
غلبتك ما هذا القنوع وبابا * عهدتك لا تنثنين عنه وريدا
أتونا اذا ما كنت منه قريبة * وضبا اذا ما كان عنك بعيدا
ردى حضرة الملك الظليل رواقه * لعمرى ففيها تحمدين ورودا
بحيث امام الدين يوسع فضله * جميع البرايا مبدئا ومعيدا
أعاد اليها الانس بعد شروده * وأحيا لنا ما كان منه أبيدا
ولين أيام الزمان بعدله * وكانت حديدا فى الخطوب حديدا
فلا ليلة الا بروقك حسنها * ولا يوم الاعاد يفضل عيدا

ومنها يصف حال الاندلس ويبعث على الجهاد

ألا ليت شعرى هل يمد لى المدى * فابصر شمل المشركين طريدا
وهل بعد يقضى فى النصارى بنصرة * تغادرهم للمرهفات حصيدا
ويغزو أبو يعقوب فى شنت ياقب * بعيد عميد الكافرين عميدا
ويلقى على افرنجهم عبء كلكل * فيتركهم فوق الصعيد همودا
يغادرهم جرحى وقتلى مبرحا * ركوعا على وجه الفلا وسجودا
ويقتسك من أيدى الطغاة نواعما * تبدلن من نظم الحجول قيودا
وأقبلن فى خشن المسوح وطالما * سحبن من الوشى الرقيق برودا
وغبر منهن التراب ترائبا * وخدد منهن العبير خدودا
فحق لدمعى أن يفيض لازرق * تملكها دعج المدامع سودا
ويالهف نفسى من معاصم طفلة * تجاور بالقد الاليم نهودا
وياأسفى مالن يزال مرددا * على شمل أعياد أعيد بديدا
وآها عند الصوت منتحبا على * خلو ديار لو يكون مفيدا

وقال فى آخرها وهو مما استحسنه الناس

حملت اليه من نظامى قلادة * يلقبها أهل الكلام قصيدا

خمدت يوم أشادالقريض وحيدة * كما قصدت فى المعلوات وحيدا

ولما تمهدت الاندلس لعبد المؤمن و بنيه كان لهم فيها وقائع مع عدو الدين واجتاز اليها عبد المؤمن ثم لما ولى بعده ملكه ابنه يوسف دخل الاندلس سنة ٥٦٦ وفى صحبته مائة ألف فارس من المغرب والموحدين فنزل باشبيلية فخافه الامير أبو عبدالله محمد بن سعد بن مردنيش صاحب شرق الاندلس مرسية وأعمالها وما انضاف اليها فحمل على قلبه فمرض فمات وشرع السلطان يوسف فى استرجاع بلاد المسلمين من أيدى الفرنج فاتسعت مملكته بالاندلس وأغارت سراياه على طليطلة أذهى قاعدة ملكهم ثم انه حاصرها فاجتمعت طائفة الفرنج عليه واشتد الغلاء فى عسكره فرحل عنها وعاد الى حضرة ملكه مراكش المحروسة ٭ ولم يزل أهل الاندلس بعد ظهور النصارى دمرهم الله تعالى على كثير منها يستنهضون عزائم الملوك والسوقة لاخذ الثار بالنظم والنثار فلم ينفعهم ذلك حتى اتسع الخرق واعضل الداء أهل الغرب والشرق فمن القصائد الموجهة فى ذلك قول بعضهم لما أخذت بلنسية يخاطب صاحب افريقية أبازكريا عبد الواحد بن أبي حفص

نادتك أندلس فلب نداءها * واجعل طواغيت الصليب فداءها
صرخت بدعوتك العلية فاحبها * من عاطفاتك ما يقى حوباءها
واشدد بجلبك جرد خيلك أزرها * تردد على أعقابها أرزاءها
هى دارك القصوى أوت لا يالة * ضمنت لها مع نصرها ايواءها
وبها عبيدك لا بقاء لهم سوى * سبل الضراعة يسلكون سواءها
خلعت قلوبهم هناك عزاءها * لما رأت أبصارهم ما ساءها
دفعوا الابكار الخطوب وعونها * فهم الغداة يصابرون عناءها
وتنكرت لهم الليالى فاقتضت * سراءها وقضتهم ضراءها
تلك الجزيرة لا بقاء لها اذا * لم يضمن الفتح القريب بقاءها
رش أيها المولى الرحيم جناحها * واعقد بأرشية النجاة رشاءها
أشفى على طرف الحياة ذماؤها * فاستبق للدين الحنيف ذماءها
حاشاك أن تفنى حشاشتها وقد * قصرت عليك نداءها ورجاءها
طافت بطائفة الهدى آمالها * ترجو بيحيى المرتضى احياءها
واستشرفت أمصارها لامارة * عقدت لنصر المستضام لواءها
ياحسرتى لعقائل معقولة * سئم الهدى نحو الضلال هداءها
ايه بلنسية وفى ذكراك ما * يمرى الشؤن دماءها لا ماءها
كيف السبيل الى احتلال معاهد * شب الاعاجم دونها هيجاءها
والى ربا وأباطح لم تعر من * حلل الربيع مصيفها وشتاءها
طاب المعرس والمقيل خلالها * وتطلعت غرر المنى أثناءها
بأبى مدارس كالطلول دوارس * نسخت نواقيس الصليب نداءها
ومصانع كسف الضلال صباحها * فيخاله الرائى اليه مساءها

الاموال الجليلة وكان المتوفى للنفقة على ذلك عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى

وحكى عثمان بن مرة الخولانى قال لما ابتدأ الوليد بناء مسجد دمشق وجد فى حائط المسجد لوح من حجارة فيه كتابة باليونانية فعرض على جماعة من أهل الكتاب فلم يقدروا على قراءته فوجه به الى وهب بن منبه فقال هذا مكتوب فى أيام سليمان بن داود عليهما السلام فقرأه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم يا ابن آدم لو عاينت ما بقى من يسير أجلك لزهدت فيما بقى من طول أملك وقصرت من رغبتك وحيلك وانما تلقى ندمك اذا زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وانصرف عنك الحبيب وودعك القريب ثم صرت تدعى فلا تجيب فلا أنت الى أهلك عائد ولا فى عملك زائد فاغتنم الحياة قبل الموت والقوة قبل الفوت وقبل أن يؤخذ منك بالكظم ويحال بينك وبين العمل وكتب زمن سليمان بن داود فأمر الوليد أن يكتب بالذهب على اللازورد فى حائط المسجد ربنا الله لا نعبد الا الله أمر ببناء هذا المسجد وهدم الكنيسة التى كانت فيه عبد الله الوليد أمير المؤمنين فى ذى الحجة سنة سبع وثمانين وهذا الكلام مكتوب بالذهب فى مسجد دمشق الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ووفد الحجاج

ناحت بها الورقاء تسمع شدوها * وغدت ترجع نوحها وبكاءها

عجباً لاهل النار حلوا جنة * منها تمد عليهم أفياءها

أملت لهم فتمهلوا اما أملوا * أيامهم لا سوغوا املاءها

بعد النفس أبصرت اسلامها * فتوكفت من حزبها اسلاءها

أما العلوج فقد أحالوا حالها * فمن المطيق علاجها وشفاءها

أهدى اليها بالمكاره جارح * للكفر كره ماءها وهواءها

وكفى أسى أن الفواجع جمة * فمتى يقاوم أسوها أسواءها

هيهات فى قطر الامارة كفءما * تخشاه ليت الشرك كان كفاءها

مولاى هالك معادة أبناءها * لتنيل منك معادة أبناءها

جرد ظباك لمحو آثار العدا * تقتل ضراغمها وتسب ظباءها

واستدع طائفة الامام لغزوها * تسبق الى أمثالها استدعاءها

لاغرو أن يعزى الظهور لملة * لم يبرحوا دون الورى ظهراءها

ان الاعاجم للاعارب نهبة * مهما أمرت بغزوها أحياءها

تالله لو دبت لها أدبابها * لطوت عليها أرضها وسماءها

ولو استقلت عوفها القالها * لاستقبلت بالمقربات عفاءها

أرسل جوارحها تجئك بصيدها * صيدا وناد لطعنها أرحاءها

هبوا لها يا معشر التوحيد قد * آن الهبوب وأحرزوا علياءها

ان الحفائظ من خلالكم التى * لا يرهب الداعى بهن خلاءها

هى نكتة المحيا فحيهلابها * تجدوا سناها فى غد وسناءها

أولوا الجزيرة نصرة ان العدا * تبغى على أقطارها استيلاءها

نقصت بأهل الشرك من أطرافها * فاستحفظوا بالمؤمنين نماءها

حاشاكم أن تضمروا الغاءها * فى أزمة أو تضمروا اقصاءها

خوضوا اليها بحرها يصبح لكم * رهوا وجوبوا نحوها بيداءها

وافى الصريخ مثوبا يدعو لها * فلتحملوا قصد الثواب نداءها

دار الجهاد فلاتفتكم ساحة * ساوت بها أحياؤها شهداءها

هذى رسائلها تناجى بالتى * وقفت عليها رينها ونجاءها

ولربما أبهت سوالب للنهى * من كائنات حملت انهاءها

وفدت على الدار العزيزة تجتلى * آلاءها أو تجتلى آراءها

مستقيات من غيوث غياثها * ماوقعه يتقدم استقاءها

قد أمنت فى سبلها أهواءها * اذسوغت فى ظلها أهواءها

وبحسبها أن الامير المرتضى * مترقب بفتوحها آناءها

فى الله ماينويه من ادراكها * بكلاءة يغنى الى اكلاءها

بشرى لاندلس تحب لقاءه * ويحب فى ذلك الاله لقاءها

ابن يوسف على الوليد فوجده في بعض نزهه فاستقبله فلما رآه ترجل له وقبل يده وجعل يمشي وعليه درع وكـ وقوس عربية فقال له الوليد اركب يا أبا محمد فقال دعنى يا أمير المؤمنين استكثر من الجهاد فان ابن الزبير وابن الاشعث شغلانى عنك فعزم عليه الوليد حتى ركب ودخل الوليد داره وتفضل فى غلالة ثم أذن للحجاج فدخل عليه فى حاله تلك وأطال الجلوس عنده فبينما هو يحادثه اذ جاءت جارية فسارت الوليد ومضت ثم عادت فسارته ثم انصرفت فقال الوليد للحجاج أتدرى ماقالت هذه يا أبا محمد قال لا والله قال بعثتها الى ابنة عمى أم البنين بنت عبد العزيز تقول ما مجالستك لهذا الاعرابى المتسلح فى السلاح وأنت فى غلالة فارسلت اليها انه الحجاج فراعها ذلك وقالت والله ما أحب أن يخلو بك وقد قتل الخلق فقال الحجاج يا أمير المؤمنين دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول فانما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة فلا تطلعهن على سرك ولا مكايدة عدوك ولا تطمعهن فى غير أنفسهن ولا تشغلهن بأكثر من زينتهن واياك ومشاورتهن فى الامور فان رأيهن الى أفن وعزمهن الى وهن واكفف عليهن من أبصارهن بحجبك ولا تملك الواحدة منهن من

صدق الرواة المخبرون بأنه * يشفى ضناها أو يعيد رواءها
ان دوّخ العرب الصعاب مقادة * وأبى عليها أن تطيع اباءها
فكأن بغاقه العرمرم فالقا * هام الاعاجم ناسفا أرجاءها
أنذرهم بالبطشة الكبرى فقد * نذرت صوارمه الرقاق دماءها
لا ينعدم الزمن انتصار مؤيد * تتسوّغ الدنيا به سراءها
ملك أمدّ النيرين بنوره * وأفاده لألاءه لألاءها
خضعت جبابرة الملوك لعزه * ونضت بكف صغارها خيلاءها
أبقى أبو حفص امارته له * فسما اليها حاملا أعباءها
سل دعوة المهدى عن آثاره * تنبيك أن ظباه فقن ازاءها
فغزا عداها واسترق رقابها * وحمى حماها واسترد بهاءها
قبضت يداه على البسيطة قبضة * قادت له فى قيده امراءها
فعلى المشارق والمغارب ميسم * لهداه شرف وسمه أسماءها
تطمو بتونس ابحار جيوشه * فيزور زاخر موجها زوراءها
وسع الزمان فضاق منه جلالة * والارض طرا ضنكها وفضاءها
ما أزمع الايغال فى اكنافها * الا تصيد عزمه زعماءها
دانت له الدنيا وشم ملوكها * فاحتل من رتب العلاء شماءها
ردت سعادته على أدراجها * ليل الزمان ونبهت علداءها
ان يعتم الدول العزيزة بأسه * فالآن يولى جوده اعطاءها
تقع الجلائل وهو راس راسخ * فيها يوقع للسعود جلاءها
كالطود فى عصف الرياح وقصفها * لا زهوها يخشى ولا هوجاءها
سامى الذوائب فى أعز ذؤابة * أعلت على قمم النجوم بناءها
بركت بكل محلة بركاته * شفعا يبادر بذلها شفعاءها
كالغيث صب على البسيطة صوبه * فسقى عمائرها وجاد قواءها
يمنه عبد الواحد الارضى الى * عليا فخيم بأسها وسخاءها
فى نبعة كرمت وطابت مغرسا * وسمت وطالت نضرة نظراءها
ظهرت لمحتدها السماء وجاوزت * لسرادقات فخارها جوزاءها
فئة كرام لا تكف عن الوغى * حتى تصرع حولها أكفاءها
وتكب فى نار القرى فوق الذرا * من عزة الويها وكباءها
فتخلقوا الايام طيب خلائق * فثنت اليهم حمدها وثناءها
يمضون فى طلب النفائس أنفسا * حبسوا على احرازها امضاءها
واذا انتضوا يوم الكريهة بيضهم * أبصرت فيهم قطعها ومضاءها
لاعذر عند المكرمات لمهمتى * لم يستبن لعفاتكم عذراءها
قوم الامير فمن يقوم بحالهم * من صالحات أفحمت شعراءها

لامور ما يجاوز نفسها ولا تطمعها أن تشفع عندك لغيرها ولا تطل الجلوس معهن فان ذلك أوفر لعقلك وأبين لفضلك ثم نهض الحجاج فخرج ودخل الوليد على أم البنين فأخبرها بمقالة الحجاج فقالت يا أمير المؤمنين أحب ان تأمره غدا بالتسليم على فقال أفعل فلما غدا الحجاج على الوليد قال له يا أبا محمد سر الى أم البنين فسلم عليها فقال اعفنى من ذلك يا امير المؤمنين فقال لابد من ذلك فمضى الحجاج اليها فحجبته طويلا ثم أذنت له فاقرته قائما ولم تأذن له فى الجلوس ثم قالت ايه يا حجاج أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتل ابن الزبير وابن الاشعث أما والله لولا أن الله جعلك أهون خلقه ما ابتلاك برمى الكعبة ولا بقتل ابن ذات النطاقين وأول مولود ولد فى الاسلام وأما ابن الاشعث فقد والله والى عليك الهزائم حتى لذت بامير المؤمنين عبد الملك فأغاثك بأهل الشام وأنت فى أضيق من القرن فأظلتك رماحهم وانجاك كفاحهم ولولا ذلك لكنت أذل من النقد وأما ما اشرت به على أمير المؤمنين من ترك لذاته والامتناع من بلوغ أوطاره من نسائه فان كن ينفرجن عن مثل ما انفرجت به عنك أمك فما احقه بالاخذ عنك والقبول منك وان كن ينفرجن عن مثل أمير المؤمنين فانه غير قابل منك ولا مصغ

صفحا جميلا أيها الملك الرضى * عن محكمات لم نطق احصاءها
تقف القوافي دونهن حسيرة * لاعيها تخفى ولاعياءها
فلعل عليا كم تسامح راجيا * اصفاءها ومؤملا اغضاءها

ومن ذلك قول بعضهم يندب طليطلة أعادها الله تعالى للاسلام

اتكلك كيف تبتسم الثغور * سرورا بعدما يئست ثغور
اما وأبي مصاب هدّ منه * ثبير الدين فاتصل الثبور
لقد قصمت ظهور حين قالوا * أمير الكافرين له ظهور
ترى في الدهر مسرورا بعيش * مضى عنا لطيته السرور
أليس بها أبيّ النفس شهم * يدير على الدوائر اذ تدور
لقد خضعت رقاب كنّ غلبا * وزال عتوّها ومضى النفور
وهان على عزيز القوم ذل * وسامح في الحريم فتى غيور
طليطلة أباح الكفر منها * حماها ان ذا نبأ كبير
فليس مثالها ايوان كسرى * ولا منها الخورنق والسدير
محصنة محسنة بعيد * تناولها ومطلبها عسير
ألم تك معقلا للدين صعبا * فذلله كما شاء القدير
وأخرج أهلها منها جميعا * فصاروا حيث شاء بهم مصير
وكانت دار ايمان وعلم * معالمها التي طمست تنير
فعادت دار كفر مصطفاة * قد اضطربت بأهليها الامور
مساجدها كنائس أي قلب * على هذا يقر ولا يطير
فيا أسفاه يا أسفاه حزنا * يكرر ما تكررت الدهور
وينشر كل حسن ليس يطوى * الى يوم يكون به النشور
اديلت قاصرات الطرف كانت * مصونات مساكنها القصور
وأدركها فتور في انتظار * لسرب في لواحظه فتور
وكان بنا وبالقينات أولى * لو انضمت على الكل القبور
لقد سخنت بحالتهن عين * وكيف يصح مغلوب قرير
لئن غبنا عن الاخوان انا * باحزان وأشجان حضور
نذور كان للايام فيهم * بمهلكهم فقد وفت النذور
فان قلنا العقوبة أدركتهم * وجاءهم من الله النكير
فانا مثلهم وأشد منهم * نجور وكيف يسلم من يجور
أنامن أن يحل بنا انتقام * وفينا الفسق أجمع والفجور
وأكل للحرام ولا اضطرار * اليه فيسهل الامر العسير
ولكن جرأة في عقر دار * كذلك يفعل الكلب العقور
يزول الستر عن قوم اذا ما * على العصيان أرخيت الستور

الى نصيحتك قاتل الله الشاعر وقد نظر اليك وسنان غزالة الحرورية بين كتفيك حيث يقول

أسد علي وفي الحروب نعامة
فتخاء تفزع من صفير الصافر
هلا برزت الى غزالة في الوغى
بل كان قلبك في جناحي طائر

أخرجته عنى فدخل الى الوليد من فوره فقال يا أبا محمد ما كنت فيه فقال والله يا أمير المؤمنين ما سكتت حتى كان بطن الارض أحب الى من ظاهرها فضحك الوليد حتى فحص برجله ثم قال يا أبا محمد انها بنت عبد العزيز ولام البنين هذه أخبار كثيرة في الجود وغيره وقد أتينا على ذكرها في غير هذا الكتاب وفي سنة خمس وتسعين قبض علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب في ملك الوليد ودفن بالمدينة في بقيع الغرقد مع عمه الحسن ابن علي وهو ابن سبع وخمسين سنة ويقال انه قبض سنة أربع وتسعين وكان عقب الحسين من علي بن الحسين وهو السجاد على ما ذكرنا وذو الثفنات وزين العابدين (وذكر المدائني) قال دخل الوليد على أبيه عبد الملك عند وفاته فجعل يبكي عليه وقال كيف أصبح أمير المؤمنين فقال عبد الملك

يطول

يطول على ليلى رب خطب ※ يطول لهوله الليل القصير
خذوا ثار الديانة وانصروها ※ فقد حامت على القتلى النسور
ولا تهنوا وسلوا كل عضب ※ تهاب مضاربا عنه النحور
وموتوا كلكم فالموت أولى ※ بكم من أن تجاروا أو تجوروا
أصبرا بعد سبي وامتحان ※ يلام عليهما القلب الصبور
فأم الصبر مذكار ولود ※ وأم الصقر مقلات نزور
نخور اذا دهينا بالرزايا ※ وليس بعجب بقر يخور
ونجبن ليس نزأر لو شجعنا ※ ولم نجبن لكان لنا زئير
لقد ساءت بنا الاخبار حتى ※ أمات المخبرين بها الخبير
أتتنا الكتب فيها كل شر ※ وبشرنا بأحسننا البشير
وقيل تجمعوا لفراق شمل ※ طليطلة تملكها الكفور
فقل في خطة فيها صغار ※ يشيب لكربها الطفل الصغير
لقد صم السميع فلم يعول ※ على نبأ كما عمى البصير
تجاذبنا الاعادي باصطناع ※ فينجذب المخول والفقير
فباق في الديانة تحت خزي ※ تثبطه الشويهة والبعير
وآخر مارق هانت عليه ※ مصائب دينه فله السعير
كفى حزنا بأن الناس قالوا ※ الى أين التحول والمسير
أنترك دورنا ونفر عنها ※ وليس لنا وراء البحر دور
ولا ثم الضياع تروق حسنا ※ نباكرها فيعجبنا البكور
وظل وارف وخرير ماء ※ فلا قر هناك ولا حرور
ويؤكل من فواكهها طري ※ ويشرب من جداولها نمير
يؤدى مغرم في كل شهر ※ ويؤخذ كل صائفة عشور
فهم أحمى لحوزتنا وأولى ※ بنا وهم الموالي والعشير
لقد ذهب اليقين فلا يقين ※ وغر القوم بالله الغرور
فلا دين ولا دنيا ولكن ※ غرور بالمعيشة ما غرور
رضوا بالرق يالله ماذا ※ رآه وما أشار به مشير
مضى الاسلام فابك دما عليه ※ فما ينفي الجوى الدمع الغزير
ونح واندب رفاقا في فلاة ※ حيارى لا تحط ولا تسير
ولا تجنح الى سلم وحارب ※ عسى أن يجبر العظم الكسير
أنعمى عن مراشدنا جميعا ※ وما أن منهم الا بصير
ونلقى واحدا ويفر جمع ※ كما عن قانص فرت حمير
ولو أنا ثبتنا كان خيرا ※ ولكن ما لنا كرم وخير
اذا ما لم يكن صبر جميل ※ فليس بنافع عدد كثير

وأشار بالمصراع الثاني الى نسائه وهي المستعبرات (وذكر العتبي) وغيره من الاخباريين أن عبد الملك لما ساله الوليد عن خبره وهو يجود بنفسه انشأ يقول كم عائد رجلا وليس يعوده الا لينظر هل يراه يموت وقيل أن عبد الملك نظر الى الوليد وهو يبكي عليه عند رأسه فقال يا هذا أحنين الحمامة اذا أنا مت فشمر واتزر والبس جلد نمر وضع سيفك على عاتقك فمن أبدى ذات نفسه لك فاضرب عنقه ومن سكت مات بدائه ثم أقبل عبد الملك يذم الدنيا فقال ان طويلك لقصير وان كثيرك لقليل وان كنا منك لفي غرور ثم أقبل على جميع ولده فقال أوصيكم بتقوى الله فانها عصمة باقية وجنة واقية فالتقوى خير زاد وأفضل في المعاد وهي أحصن كهف وليعطف الكبير منكم على الصغير وليعرف الصغير حق الكبير مع سلامة الصدور والاخذ بجميل الامور واياكم والبغي والتحاسد فبهما هلك الملوك الماضون وذوو العز المكين يا بني أخوكم مسلمة نابكم الذي تفترون عنه

١ ط نى ومجنكم الذي تستجنون به اصدروا عن رأيه وأكرموا الحجاج فانه الذي وطأ لكم هذا الامر كونوا أولادا

الا رجل له رأي أصيل * به مما نحاذر نستجير
يكر اذا السيوف تناولته * وأين بنا اذا ولت كرور
ويطعن بالقنا الخطار حتى * يقول الرمح ما هذا الخطير
عظيم أن يكون الناس طرا * باندلس قتيل أو أسير
أذكر بالقراع الليث حرصا * على أن يقرع البيض الذكور
يبادر خرقها قبل اتساع * لخطب منه تنخسف البدور
يوسع للذي يلقاه صدرا * فقد ضاقت بما تلقى صدور
تنغصت الحياة فلا حياة * وودع جيرة اذ لا مجير
قليل فيه هم مستكن * ويوم فيه شر مستطير
ونرجو أن يتيح الله نصرا * عليهم انه نعم النصير

ومن مشهور ما قيل في ذلك قول الاديب الشهير أبي البقاء صالح بن شريف الرندي رحمه الله تعالى

لكل شئ اذا ما تم نقصان * فلا يغر بطيب العيش انسان
هي الامور كما شاهدتها دول * من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقي على أحد * ولا يدوم على حال لها شان
يمزق الدهر حتما كل سابغة * اذا نبت مشرفيات وخرصان
وينتضي كل سيف للفناء ولو * كان ابن ذي يزن والغمد غمدان
أين الملوك ذوو التيجان من يمن * وأين منهم أكاليل وتيجان
وأين ما شاده شداد في ارم * وأين ما ساسه في الفرس ساسان
وأين ما حازه قارون من ذهب * وأين عاد وشداد وقحطان
أتى على الكل أمر لا مرد له * حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا
وصار ما كان من ملك ومن ملك * كما حكى عن خيال الطيف وسنان
دار الزمان على كسرى وقاتله * وأم كسرى فما آواه ايوان
كأنما الصعب لم يسهل له سبب * يوما ولا ملك الدنيا سليمان
فجائع الدهر أنواع منوعة * وللزمان مسرات وأحزان
وللحوادث سلوان يسهلها * وما لما حل بالاسلام سلوان
دهى الجزيرة أمر لا عزاء له * هوى له أحد وانهد ثهلان
أصابها العين في الاسلام فارتزأت * حتى خلت منه أقطار وبلدان
فاسأل بلنسية ما شأن مرسية * وأين شاطبة أم أين جيان
وأين قرطبة دار العلوم فكم * من عالم قد سما فيها له شان
وأين حمص وما تحويه من نزه * ونهرها العذب فياض وملآن
قواعد كن أركان البلاد فما * عسى البقاء اذا لم تبق أركان
تبكي الحنيفية البيضاء من أسف * كما بكى لفراق الالف هيمان

أبرارا وفي الحروب أحرارا وللمعروف منارا وعليكم السلام وسأله بعض شيوخ بني أمية وقد فرغ من وصية أولاده هذه كيف تجدك يا أمير المؤمنين قال كما قال الله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم الى قوله ما كنتم تزعمون فكان هذا آخر كلام سمع منه فلما قضى نعاه الوليد ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال لم أر مثلها مصيبة ولا مثلها نعمة فقدت الخليفة وتقلدت الخلافة فانا لله وانا اليه راجعون على المصيبة والحمد لله رب العالمين على النعمة ثم دعا الناس الى بيعته فبايعوا ولم يختلف عليه أحد ومات في أيام الوليد عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وذلك في سنة سبع وثمانين وكان جوادا كريما وذكر أن سائلا وقف عليه فقال تصدق علي رزقك الله فاني نبئت أن عبيد الله بن العباس أعطى سائلا ألف درهم واعتذر اليه فقال وأين أنا من عبيد الله قال له أين أنت في الحسب أو في كثرة المال قال فيهما جميعا قال ان الحسب في الرجل مروءته وحسن فعله فاذا فعلت ذلك كنت حسيبا فأعطاه ألفي درهم واعتذر اليه فقال له السائل ان لم تكن عبيد الله فأنت خير منه وان كنت هو فأنت اليوم خير منك

على ديار من الاسلام خالية * قد أقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد صارت كنائس ما * فيهن الا نواقيس وصلبان
حتى المحاريب تبكي وهي جامدة * حتى المنابر ترثي وهي عيدان
يا غافلا وله في الدهر موعظة * ان كنت في سنة فالدهر يقظان
وماشيا مرحا يلهيه موطنه * أبعد حمص تغر المرء أوطان
تلك المصيبة أنست ما تقدمها * ومالها مع طول الدهر نسيان
يا راكبين عتاق الخيل ضامرة * كأنها في مجال السبق عقبان
وحاملين سيوف الهند مرهفة * كأنها في ظلام النقع نيران
و راتعين وراء البحر في دعة * لهم بأوطانهم عز وسلطان
أعندكم نبأ من أهل اندلس * فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم * قتلى وأسرى فما يهتز انسان
ماذا التقاطع في الاسلام بينكم * وأنتم يا عباد الله اخوان
ألا نفوس أبيات لها همم * أما على الخير أنصار وأعوان
يا من لذلة قوم بعد عزهم * أحال حالهم كفر وطغيان
بالامس كانوا ملوكا في منازلهم * واليوم هم في بلاد الكفر عبدان
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم * عليهم من ثياب الذل ألوان
ولو رأيت بكاهم عند بيعهم * لهالك الامر واستهوتك أحزان
يا رب أم وطفل حيل بينهما * كما تفرق أرواح وأبدان
وطفلة مثل حسن الشمس اذ طلعت * كأنما هي ياقوت ومرجان
يقودها العلج للمكروه مكرهة * والعين باكية والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كمد * ان كان في القلب اسلام وايمان

انتهت القصيدة الغريبة ويوجد بايدي بعض الناس زيادات فيها ذكر غرناطة وبسطة وغيرهما مما أخذ من البلاد بعد موت صالح بن شريف وما اعتمدته منها نقلته من خط من يوثق به على ما كتبته ومن له أدنى ذوق علم أن ما يزيدون فيها من الابيات ليست تقاربها في البلاغة وغالب ظني أن تلك الزيادة لما أخذت غرناطة وجميع بلاد الاندلس اذ كان أهلها يستنهضون همم الملوك بالمشرق والمغرب فكأن بعضهم لما أعجبته قصيدة صالح بن شريف زاد فيها تلك الزيادات وقد بينت ذلك في أزهار الرياض فليراجع وصالح بن شريف الرندي صاحب القصيدة من أشهر أدباء الاندلس ومن بديع نظمه قوله

سلم على الحي بذات العرار * وحي من أجل الحبيب الديار
وخل من لام على حبهم * فما على العشاق في الذل عار
ولا تقصر في اغتنام المنى * فما ليالي الانس الا قصار
وانما العيش لمن رامه * نفس تداري وكؤوس تدار
ووجه الراح وريحانه * في طيبه بالوصل أو بالعقار

محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسألك بالله أنت هو قال نعم قال والله ما أخطأت الآباء عتراض الشك بين جوانحي والا فهذه الصورة الجميلة والهيئة المنيرة لا تكون الا في نبي أو عترة نبي وذكر أن معاوية وصله بخمسمائة ألف درهم ثم وجه له من يتعرف له خبره فانصرف اليه فاعلمه انه قسمها في سماره واخوانه حصصا بالسوية وأبقى لنفسه مثل نصيب أحدهم فقال معاوية ان ذلك ليسوءني ويسرني فاما الذي يسرني فان عبد مناف والده وأما الذي يسوءني فقرابته من أبي تراب (قال المسعودي) وقد قدمنا خبر مقتل ابني عبيد الله فيما سلف من هذا الكتاب وهما عبد الرحمن وقثم وما رثتهما به أمهما أم حكيم جويرية بنت قارط بن خالد الكنانية وقد كان عبيد الله بن العباس دخل يوما على معاوية وعنده قاتلهما بسر بن أرطاة العامري فقال له عبيد الله أيها الشيخ أنت قاتل الصبيين قال نعم قال والله لوددت أن الارض أنبتتني عندك يومئذ فقال له بسر فقد انبتتك الساعة فقال عبيد الله ألا سيف فقال بسر هاك سيفي فلما هوى عبيد الله الى السيف ليتناوله قبض

لا صبر للشئ على ضده * والخمر والهم كماء ونار
مدامة مدنية للمنى * في رقة الدمع ولون النضار
ومعا أبو ريق أباريقها * تنافست فيها النفوس الكبار
معلق والبرء من علتي * ما أطيب الخمرة لولا الخمار
ما أحسن النار التي شكلها * كالماء لو كف شرار الشرار
وبي وان عذبت في حبه * ببعده على اقتراب المزار
ظبي غرير نام عن لوعتي * ولا أذوق النوم الا غرار
ذو وجنة كانها روضة * قد بهر الورد بها والبهار
وجدت للصبوة في حبه * وطاعة اللهو وخلع العذار
يا قوم قولوا بذمام الهوى * أهكذا يفعل حب الصغار
وليلة نبهت أجفانها * والفجر قد فجر نهر النهار
والليل كالمهزوم يوم الوغى * والشهب مثل الشهب عند الفرار
كانما استخفى السها خيفة * وطولب النجم بثار فثار
كذالثما شابت نواصي الدجا * وطير النسر أخاه فطار
وفي الثريا قمر سافر * عن غرة غيرها السفار
كأن عنقودا تثنى به * اذ صار كالعرجون عند السرار
كانها تبلك دينار * وكفها يفتل منه السوار
كأنما الظلماء مظلومة * تحكم الفجر عليها فجار
كأنما الصبح لمشتاقه * عز غني من بعد ذل افتقار
كأنما الشمس وقد أشرقت * وجه أبي عبد الاله استنار
محمد محمد كاسمه * شخص له في كل معنى يشار
أما المعالي فهو قطب لها * والقطب لا شك عليه المدار
مؤثل المجد صريح العلا * مهذب الطبع كريم النجار
تزهى به لخم وساداتها * وتنتمي قيس له في الفخار
يفيض من جود يديه على * عافيه ما منه تحار البحار
اليمن من يمناه حكم جرى * اليسر من شيمة تلك اليسار
أخ صفا منه لنا واحد * فالدهر عما قد جنى في اعتذار
فان شكرنا فضله مرة * فقد سكرنا من نداه مرار
ونحن منه في جوار العلا * تدور للسعد بنا منه دار
الحافظ الله واسماؤه * لذلك الجار وذاك الجوار

(رجع) وقد رأيت أن أثبت هنا رسالة خاطب بها الكاتب البارع القاضي أبو المطرف ابن عميرة المخزومي الشيخ الحافظ أبا عبد الله بن الابار يذكر له أخذ العدو مدينة بلنسية وهي

معاوية ومن حضر معه على يد عبيد الله قبل ان يقبض على السيف ثم اقبل معاوية على بشر فقال أخزاك الله من شيخ قد كبرت وذهل عقلك تعمد الى رجل موتور من بني هاشم فتدفع اليه سيفك انك لغافل عن قلوب بني هاشم والله لو تمكن من السيف لبدأ بنا قبلك قال عبيد الله ذلك والله أردت (وكان علي عليه السلام) حين أتاه خبر قتل بشر لابني عبيد الله قثم وعبد الرحمن دعا على بشر فقال اللهم اسلبه دينه وعقله فخرف الشيخ حتى ذهل عقله واشتهر بالسيف فكان لا يفارقه فجعل له سيف من خشب وجعل في يديه زق منفوخ كلما تخرق أبدل فلم يزل يضرب ذلك الزق بذلك السيف حتى مات ذاهل العقل يلعب بخرئه وربما كان يتناول منه ثم يقبل على من يراه فيقول انظروا كيف يطعمني هذان الغلامان ابنا عبيد الله وكان ربما شدت يداه الى وراء منعا من ذلك فأنجى ذات يوم في مكانه ثم أهوى بفيه فتناول منه فبادروا الى منعه فقال أنتم تمنعوني وعبد الرحمن وقثم يطعماني ومات بشر في أيام الوليد ابن عبد الملك سنة ست وثمانين وفيها مات عبد الله ابن عتبة بن مسعود الهذلي وعتبة مهاجر وهو أخو عبد الله بن مسعود بن غافل

الا

الا فتة للدهر تنوعن تأى * ويقيارى منها خلاف الذى رأى
ويامن عذيرى منه يعذرمن أوى * اليه ولايدرى سوى خلف من وأى
ذخائر مافى البر والبحر صيده * فلا لؤلؤا يبقى عليه ولا وأى

أيها الاخ الذى دهش ناظرى لكتابه بعد أن ادهش خاطرى من اغبابه وسرنى من بشره ايماض بعد أن ساءنى من جهته اعراض جرت على ذكره الصلة فقوم قدح نبعتها وروى أكناف قلتها وأحدث ذكرا من عهدنا الماضى فنقط وجه عروسه وشعشع خمر كؤسه وسقى بماء الشبيبة ثراه وأبرز مثال مرآة الغريبة مرآه فبورك فيه أحوذيا وصل رحمه وكسا منظره من البهجة ما كان حرمه وحيا الله تعالى منه وليا على سالف عهدى تمادى وبشعار ودى نادى وبين والاحسان شيمته وأبان والبيان لاتحجب عنه ديمته ولا تغلو بغير قلمه قيمته واعتذر عن كلمة تمنى تبديلها ودعوة ذكر وجوم النادى لها ثم أرسلها ترجف بوادرها من خيفه وتوغر زعم صدور قلم وصحيفه وتندر من ريحانة قريش أن تمنعه عرفها وتحدق اليه طرفها واتقى غارة على غره من الناجى برأس طمره ولم يأمن هجران المهاجر بعد وصله وعكر عكرمة المغطى بحلمه على أبى جهله وعند ذكر كتيبة خالد أحجم وذكر يوم أحاطت به فارس فاستلحم فاعتذر عما قال واضمر الحذر الا أن يقال فهلا أيها الموفى على علمه النافث بسحر قلمه أتظن منزلتك فى البلاغة ومهيعها لاحب ومنزعها بالعقول لاعب تسفل وقد ترفعت أوتخفى وان تلفعت عرفناك ياسوده وشهرت حلة عطارد الملاحة والجوده فلم حين تهيب الاخ الاوحد من قصى غطارفها ولو استثار من حقائقها تالدها وطارفها لم يذكر يد قومه عند أبيها وقد رام خطة أشرف على تأبيها حين أهاب بكم لهمه ودعا منكم أخاه لامه ولولا ذلك لما خلا له وجه الكعبه ولا خلص من تلك المضايق الصعبه وبأن أعزتموه نجدتكم الموصوفه غلب على ما كان بايدى صوفه فكيف نجحد اليد عند عمنا أو نشحذ أسنة الالسنة لذمنا أو كيف نلقاكم بجحدنا وأبوكم بكر معدنا ومايأمنكم الى سبأ بن يشجب وان أطلنا فيه التعجب بالذى يقطع أرحامنا ويمنع اشتباكنا والتحامنا بعد أن شددنا فعال النابغة لكم ورأينا أقدامنا فى نعالكم ولو شئتم توعدتم بأسود سؤدد كم عند الاقدام والحاح الحاف كم فى ضرب الهام لكن نقول ان قومنا الكرام ولو شاؤا كان لنا فيكم شره وعرام وأعود من حيث بدأ الاخ الذى أبثه شوقى واتطعم حلاوة عشرته باقية فى حاسة ذوقى طارحنى حديث مورد جف وقطين خف فالله لأتراب درجوا وأصحاب عن الاوطان خرجوا قصت الاجنحة وقيل طيروا وانما هو القتل أو الاسر أو تسيروا فتفرقوا أيدى سبا وانتشروا ملء الوهاد والربا ففى كل جانب عويل وزفره وبكل صدر غليل وحسره ولكل عين عبره لاترقأ من أجلها عبره داء خامر بلادنا حين أتاها ومازال بها حتى سجى على موتاها وشعا بيومها الاطول كهلها وفتاها وانذر بها فى القوم بحران أنجيه يوم أثاروا اسدها المهيجه فكانت تلك الحطمة طل الشؤبوب وباكورة البلاء المصبوب أشكلتنا اخواننا أبكانا نعيهم ولله أحوذيهم والمعيهم ذلك أبو ربيعنا

بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار وكانت الرياسة فى الجاهلية فى صبح بن كاهل ابن الحرث بن تميم بن سعد ابن هذيل وكان ولد عبد الله بن عتبة عبيد الله من كبار أهل العلم ذكر ابن أبى خيثمة قال سمعت ابن الاصبهانى يقول قال سف[...] قال الزهرى كنت [...] انى نلت من العـ[...]ن جالست عبيدا عبد الله فكا[...]يت
وفى سنة أربع وتسعين قتل الحجاج سعيد بن جبير قال الدهر فذكر عون العبدى قال لما أتى الوليد ما بسعيد بن جبير ذرت به اليه قال له ما [...] وأنت اسمى سعيد بن جبير قال بل شقى بن كسير قال [...] كان أعلم باسمى منك قال لقد شقيت وشقى أبوك قال له الغيب انما يعلمه غيرك قال لابدلنك بالدنيا نارا تلظى قال لو علمت أن ذلك بيدك ما اتخذت الها غيرك قال فما قولك فى الخلفاء قال لست عليهم بوكيل قال فاختر أى قتلة تريد أن أقتلك قال بل اختر ياشقى لنفسك فوالله ما تقتلنى اليوم بقتلة الا قتلتك فى الآخرة بمثلها فأمر به الحجاج فاخرج ليقتل فلما ولى ضحك فامر الحجاج برده وساله عن ضحكه فقال عجبت من جراءتك على الله وحلم الله عنك فامر

وشيخ جيعنا سعد بشهادة يومه ولم ير ما يسوءه في أهله وقومه وبعد ذلك أخذ من الام بالمخنق وهي بلنسية ذات الحسن والبهجة والرونق وما لبث أن أخرس من مسجدها لسان الاذان وأخرج من جسدها روح الايمان فبرح الخفاء وقيل على آثار من ذهب العفاء وانعطفت النوائب مفردة ومركبة كما تعطف الفاء فأودت الحفة والحصافة وذهب الجسر والرصافة ومزقت الحلة والشملة وأوحشت الحرف والرملة ونزلت بالحارة وقعة الحرة وحصلت الكنيسة من جآزرها وظبائها على طول الحسرة فأين تلك الخمائل ونضرتها والجداول وخضرتها والاندية وأرجها والاودية ومنعرجها والنواسم وهبوب مبتلها والاصائل وشحوب معتلها دارة احكت الشمس بحرها وبحيرتها وازهار ترى من ادمع الطل في أعينها ترددها وحيرتها ثم زحفت كتيبة الكفر بزرقها وشقرها حتى احاطت بجزيرة شقرها فآها لمسقط الرأس هوى نجمه ولقادح الخطب سرى كلمه وبالجنة أجرى الله تعالى النهر تحتها وروضة أجاد أبو اسحق نعتها وانما كانت داره التي فيها دب وعلى أوصاف محاسنها أكب وفيها أتته منيته كما شاء وأحب ولم تعدم بعده محبين قتيبهم اليها اشواقه ودمهم عليها أراقوه وقد أثبت من النظم ما يليق بهذا الموضع وان لم يكن له ذلك الموقع

أقلوا ملامي أو فقولوا وأكثروا * ملومكم عما به ليس يقصر
وهل غير صب ماتني عبراته * اذا صعدت أنفاسه تتحدر
يحن وما يجدي عليه حنينه * الى أربع معروفها متنكر
ويندب عهدا بالمشقر فاللوى * وأين اللوى منه وأين المشقر
تغير ذاك العهد بعدي وأهله * ومن ذا على الايام لا يتغير
وأقفر رسم الدار الا بقية * لسائلها عن مثل حالي تخبر
فلم تبق الا زفرة اثر زفرة * ضلوعي لها تنقد أو تتفطر
والا اشتياق لا يزال يهزني * فلا غاية تدنو ولا هو يفتر
أقول لساري البرق في جنح ليلة * كلانا بها قد بات يبكي ويسهر
تعرض مجتازا فكان مذكرا * بعهد اللوى والشيء بالشيء يذكر
أتأوي لقلب مثل قلبك خافق * ودمع سفوح مثل دمعك يقطر
وتحمل أنفاسا كومضك نارها * اذا رفعت تبدو لمن يتنور
يقر لعيني أن أعاين من نأى * لما أبصرته منك عيناي تبصر
وأن يتراآك الخليط الذين هم * بقلبي وان غابوا عن العين حضر
كفى حزنا أنا كأهل محصب * بكل طريق قد نفرنا وتنفر
وأن كلينا من مشوق وشائق * بنار اغتراب في حشاه تسعر
ألا ليت شعري والاماني ضلة * وقولي ألا يا ليت شعري تحير
هل النهر عقد للجزيرة مثل ما * عهدنا وهل حصباؤه وهي جوهر
وهل للصبا ذيل عليه تجره * فيزور عنه موجه المتكسر

به فذبح فلما كب لوجهه قال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن الحجاج غير مؤمن بالله ثم قال اللهم لا تسلط الحجاج على أحد يقتله من بعدي فذبح واحتز رأسه ولم يعش الحجاج بعده الا خمس عشرة ليلة حتى وقعت في جوفه الاكلة فمات من ذلك ويروى انه كان يقول بعد قتل سعيد يا قوم مالي ولسعيد بن جبير كلما قمت الى النوم أخذ قتم وعبا اشتكى الوليد فبلغه بشرفقاله سليمان عن وعقله نفره من العهد بعده ذهل عقله واذا الوليد يعتب فكان لا يفارقه وكتب في سيف من خشبيات

بدية زق منهن أموت وان تخرق أبد
ذلك السبيل لست فيها بأوحد
لعل الذي يرجو فنائي ويدعي
به قبل موتي أن يكون هو الردى
فما موت من قد مات قبلي بضائري
ولا عيش من قد عاش بعدي بمخلدي
فقل للذي يرجو خلاف الذي مضى
تزودوا لأخرى غيرها فكأن قد
منيته تجري لوقت وحتفه
سيلحقه يوما على غير موعد

فاجابه سليمان فهمت ما قال أمير المؤمنين ووالله اني كنت تمنيت ذلك لما يخطر بالبال في الاول وتلك

وتلك المغانى هل عليها طلاوة * بمارا ق منها أو بمارق تسحر
ملاعب أفراس الصبابة والصبا * تروح اليها تارة وتبكر
وقبلى ذاك النهر كانت معاهد * بها العيش مطلول الخميلة أخضر
بحيث بياض الصبح أزرار جيبه * تطيب وأردان النسيم تعطر
ليال بماء الورد ينضح ثوبها * وطيب هواء فيه مسك وعنبر
وبالجبل الادنى هناك خطا لنا * الى اللهو لانكبو ولا نتعثر
جناب بأعلاه بهار ونرجس * فأبيض مفتر الثنايا وأصفر
وموردنا فى قات قلب كمقلة * حذارا علينا من قذى العين تستر
وكم قد هبطنا القاع نذعر وحشه * وياحسنه مستقبلا حين يذعر
نقود اليه طائعا كل جارح * له مخر رحب وخصر مضمر
اذا ما رمينا به عيثت به * مدللة الاطراف عنهن تكشر
تضم لاروى النيق حزان سهلها * وقد فقدت فيها مهاة وجؤذر
كذلك الى أن صاح بالقوم صائح * وأنذر بالبين المشتت منذر
وفرقهم أيدى سبا وأصابهم * على غرة منهم قضاء مقدر

ونعود الى حيث كنا من تبدد شمل الجيره وطى بساط الجزيره أما شاطبة فكانت من قصبتها شوساء الطرف ويطماتها عروسا فى نهاية الظرف فتخلى عن الذروة من أخلاها وقيل للكافر شأنك وأعلاها فقيل أن تضع الحرب أوزارها كشط عنها ازارها فاستحل الحرمة أو تأولها وما انتظر أقصر المدة ولا أطولها وأما تدمير فاده ودهاء على المصر وأمكنت عدوها من القصر فداجى الكفر الايمان وناجى الناقوس الاذان وما وراءها من الاصقاع التى باض الكفر فيها وفرخ وأنزل بها ما أنسى التاريخ ومن أرخ فوصفكم على الحادثة فيها أتى وفى ضمان القدرة الانتصاف من عدونا وعدوتنا وانا لنرجوها كرة تفك البلاد من أسرها وتجبرها بعد كسرها وان كانت الدولة العامرية منعت بالقراع ذمارها ورفعت على اليفاع نارها فهذه العمرية بتلك المنقبة أخلق والعدو لها أهيب ومنها أفرق وما يستوى نسب مع البقل نبت وبالمستفيض من النقل ما ثبت وآخر علت سماؤه على الاس ورسا ركنه فى الاسلام رسو قواعده الخمس وكان كما قال أبو حنيفة فى خبر المسح جاء نا مثل الشمس والايام العمرية هى أم الوقائع المحكية ومن شاء عدها من البرموكية الى الاركيه وهذه الايام الزاهرة هى زبدة حلاوتها وسجدة تلاوتها وامامتها العظمى أيدها الله تعالى تمهل الكافر مدة املائه ثم تشفى الاسلام من دائه وتطهر الارض بنجس دمائه بفضل الله تعالى المرجو زيادة نعمه قبلها وآلائه راجعت سيدى مؤديا ما يجب أداؤه ومقتديا وما كل أحد يحسن اقتداؤه وانما ناضلت ثعليا وعهدى بالنضال قديم وناظرت جدليا وما عندى للقال تقديم وأطعته فى الجواب ولقريحتى يعلم الله تعالى نكول وروية لولا حق المسئلة بطيرالحوادث المرسلة عصف ما كول أتم الله تعالى عليه آلاءه وحفظ مودته وولاءه ومتع بحلته الكريمة أخلاءه بمنه والسلام انتهت الرسالة * ورأيت فى

لاحق به ومنسى الى أهله فسلام أنى زوال مدة لايلبث متمنيها الا بقدر ما تحل السفر عنزل ثم يظعنون عنه وقد بلغ أمير المؤمنين مالم يظهر من لفظى ولا يرى من لحظى ومتى سمع أمير المؤمنين من أهل النميمة ومن ليست له روية أوشك أن يسرع فى فساد النيات وقطع بين ذوى الارحام والقرابات وكتب فى أسفل الكتاب

ومن لايغمض عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتتبع جاهدا كل عثرة * يجدها ولم يسلم له الدهر صاحب

فكتب اليه الوليد ما أحسن ما اعتذرت به وحذوت عليه وأنت الصادق فى المقال والكامل فى الفعال وما شئ أشبه بك من اعتذارك ولا أبعد مما قيل فيك والسلام وكان الوليد متحننا على اخوته مراعيا لسائر ما أوصاه به عبد الملك وكان كثير الانشاد لابيات قالها عبد الملك حين كتب وصيته منها

انفوا الضغائن عنكم وعليكم * عند المغيب وفى حضور المشهد
بصلاح ذات البين طول بقائكم * ان مد فى عمرى وان لم يمدد
فلمثل ريب الدهر ألف بينكم * بتواصل وتراحم وتودد
حتى تلين جلودكم وقلوبكم * بمسود منكم وغير مسود

ان القداح اذا اجتمعن فرامها . . . بالكسر ذو حنق وبطش باليد عزت فلم تكسر وان هي بددت فالوهن والتكسير للمتبدد

رحلة ابن رشيد لما ذكر أبا المطرف ما صورته وأما الكتابة فقد كان حامل لوائها كما قال بعض أصحابنا الان الله تعالى له الكلام كما الان الحديد لداود عليه السلام وأخبرني شيخنا أبو بكر ان شيخه ابا المطرف رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فاعطاه حزمة اقلام وقال استعن بهذه على كتابتك او كما قال صلى الله عليه وسلم * وبعد كتبي لهذه الرسالة رأيت أن اذكر رسالة الحافظ ابن الابار التي هذه جواب عنها وهي من غرض ما نحن فيه فلنقتبس نور البلاغة منها وهي سيدي وان وجم لها النادي وجمجم بها المنادي ذلك لصغرها عن كبره في المعارف الاعلام وصدرها وغر صدور الصحائف والاقلام واعيذ بحانة قريش ان تروح من حفيظتها في جيش قدها بتها مغاوير كل حي واجابتها الغطاريف من قصي تدلف بين يديها كتيبة خالد وتحلف لاقدحت نار الهيجاء بزند صالد أو تنصف من غامطها وتقذف به وسط غطامطها لاجرم اني من جريتي حذر وعما وضحت به قيمتي للعدم معتذر الا أن يصوح من الروض نبته وجناته ويصرح بالقبول حلمه وأناته الحديث عن القديم شجون والشان بتقاضي الغريم شؤن «لاغرو أن أطارحه اياه وأفاتحه الامل في لقياه ومن لي بعقالة مستقله أواخالة غير مخله أبت البلاغة الاعمادها ومع ذلك فسأنبئ عما دهى درجت اللدات والاتراب وخرجت الروم بنا الحثيث الاعراب أيام دفعنا الاعظم الاخطار وفجعنا بالاوطان والاوطار فالام نداري برح الالم وحتام نساري النجم في الظلم جمع أوصاب ماله من انفضاض ومضض اغتراب شذ عن ابن مضاض فلو سمع الاول بهذا الحادث ماضرب المثل بالحارث يالله من جلاء ليس به يدان وتناء قلما يسفر عن تدان وعد الجد العاثر لقاءه فأنجز ورام الجلد الصابر انقضاءه فأعجز هؤلاء الاخوان مكنهم لايمتع به أوان وبينهم كنبت الارض ألوان بين هائم بالسرى ونائم في الثرى من كل صنديد بطل أومنطيق غير ذي خطل ولاخطل قامت عليه النوادب لما قعدت به النوائب وهمت بيوتها المفناء الجماجم والذوائب وأما الاوطان المحبب عهدها بحكم الشباب المشبب فيها بمعاسن الاحباب فقد ودعنا معاهدها وداع الابد وأخنى عليها الذي أخنى على لبد أسلمها الاسلام وانتظمها الانتثار والاصطلام حين وقعت أنسرها الطائره وطلعت أنحسها الغائره فغلب على الجذل الحزن وذهب مع المسكن السكن

كزعزع الريح صك الدوح عاصفها * فلم يدع من جنى فيها ولاغصن
وأهاووا ها يموت الصبر بينهما * موت المحامد بين البخل والجبن

أين بلنسية ومغانيها وأغاريد ورقها وأغانيها أين حلى رصافتها وجسرها ومنزلا عطائها ونصرها أين أفياؤها تندى غضاره وركاؤها تبدو من خضاره أين جداولها الطافحة وخمائلها أين جنابها النفاحة وشمائلها شذما عطل من قلائد أزهارها نحرها وخلعت شعشعانية ضحاها بحيرتها وبحرها فأية حيلة لاحيلة في صرفهما مع صرف الزمان وهل كانت حتى بانت الا رونق الحق وبشاشة الايمان ثم لم يلبث داء عقرها أن دب الى جزيرة شقرها فامر عذبها النمير وذوى غصنها النضير وخرست حمائم أدواحها وركدت

وكان عبد الملك مواظبا على حث أولاده على اصطناع المعروف وبعثهم على مكارم الاخلاق وقال لهم يابني عبد الملك أحسابكم صونوها ببذل أموالكم فما يبالى رجل ما قيل فيه من الهجو بعد قول الاعشى

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم
وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

وما يبالى قوم ما قيل فيهم من المدح بعد قول زهير

على مكثريهم حق من يعتريهم
وعند المقلين السماحة والبذل

(حدث) عبد الله بن اسحق ابن سلام عن محمد بن حبيب قال صعد الوليد المنبر فسمع صوت ناقوس فقال ما هذا قيل البيعة فأمر بهدمها وتولى بعض ذلك بيده فتتابع الناس يهدمون فكتب اليه الاسوم ملك الروم ان هذه البيعة قد أقرها من كان قبلك فان يكونوا أصابوا فقد أخطأت وان تكن أصبت فقد أخطؤا فقال من يجيبه فقال الفرزدق يكتب اليه وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين

نواسم

نواسم أرواحها ومع ذلك اقتحمت دانيه فنزحت قطوفها وهي دانية وبالشاطبة وبطحائها من حيف الايام واحداثها ولمفاءتم لمفاء على تدميرو تلاعها وجيان وقلاعها وقرطبة ونواديها وحمص وواديها كلها رعى كلؤها ودهى بالتفريق والتمزيق ملؤها عض الحصار أكثرها وطمس الكفر عينها واثرها وتلك البيرة بصدد البوار وريةفي مثل حلقة السوار ولامرية في المرية وخفضها على الجوار الى بنيات لواحق بالامهات ونواطق بها الاول ناطق بهات ماهذا النفخ بالممرور اهو النفخ في الصور ام النفر عاريا من الحج المبرور ومالاندلس اصيبت باشرافها ونقصت من اطرافها قوض عن صوامعها الاذان وصمت بالنواقيس فيها الآذان اجنت ما تجن الاصقاع اعقت الحق محاق بها الايقاع كلا بل دانت للسنه وكانت من البدع في احصن جنه هذه المروانية مع اشتداد اركانها وامتداد سلطانها القت حب آل النبوة في حبات القلوب والوت ماظفرت من خلعة ولا قلعة بمطلوب الى المرابطة باقاصي الثغور والمحافظة على معالى الامور والركون الى الهضبة المنيعه والروضة المريعه من معاداة الشيعه وموالاة الشريعه فليت شعري بم استوثق تمحيصها ولم تعلق بعموم البلوى تخصيصها اللهم غفرا طالما ضحضر ومن الانباء ما فيه مزدجر جرى بما تقدره المقدور فاعسى ان ينفث به المصدور وربنا الحكيم العليم فحسبنا التفويض له والتسليم ويا عجبا لبني الاصفر أنسيت مرج الصفر ورميها يوم اليرموك بكل أغلب غضنفر دع ذا فالعهد به بعيد ومن اتعظ بغيره فهو سعيد هلا تذكرت العامرية وغزواتها وهابت العامرية وهبواتها أما الجزيرة بخيلها محدقه وباحاديث فتحها مصدقه هذا الوقت المرتقب والزمان الذي زجيت له الشهور والحقب وهذه الامامة أيدها الله تعالى هي المتقذة من أسرها والمفذة لسلطانها مر اسم نصرها فيتاح الاخذ بالنار ويزاح عن الجنة أهل النار ويعلم الكافر لمن عقبى الدار حاورت سيدي بثار افاجي الفاجع وحاولت برء الجوى من جوابه بالعلاج الناجع وبودي لو تقع في الارجاء مصاقبه فترفع من الازراء معاقبه ألبس لديه اسواء المكلوم وتدارك المظلوم وبيديه أزمة المنثور والمنظوم خيال يخترق اقناع اياد وصوغ مالم يخطر على قلب زيد ولا بخاطر زياد بست الجبال الطوامح ما بستوا بوتحها وغيضت البحار الطوافح هن يعبأ بالر كايا ومحها أين أبو الفضل بن العميد من العماد الفاضل وصمصامة عمرو من قلمه الفاضل هذا مدرهها الذي فعل الافاعيل وأحدها الذي سما على ابراهيم واسمعيل وهما اماما الصناعه وهما ما البراعة واليراعة بهما نفر من نطق بالضاد وبسببهما حسدت الحروف الصاد لكن دفعهم بالراح وأعرى مدرعهم من المراح وشرف دونهم ضعيف القصب على صم الرماح أبقاه الله تعالى وبيانه صادق الانواء وزمانه كاذب الاسواء ولازال مكانه مجاوز الذؤابة الجوزاء واحسانه مكافأ باحسن الجزاء والسلام ‧‧ وقد عرفت بابن الابار في أزهار الرياض بما لامزيد عليه غيراني رأيت هنا أن أذكر فصولا مجموعة من كلامه في كتابه المسمى بدرر السمط في خبر السبط قال رحمه الله تعالى رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت فروع النبوة والرساله وينابيع

ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما ومات الحجاج في سنة خمس وتسعين وهو ابن أربع وخمسين سنة بواسط العراق وكان تأمره على الناس عشرين سنة وأحصى من قتله صبرا سوى من قتل في عساكره وحروبه فوجد مائة وعشرين ألفا ومات وفي حبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة منهن ستة عشر ألفا مجردة وكان يحبس النساء والرجال في موضع واحد ولم يكن للحبس ستر يستر الناس من الشمس في الصيف ولا من المطر والبرد في الشتاء وكان له غير ذلك من العذاب ما أتينا على وصفه في الكتاب الاوسط وذكر انه ركب يوما يريد الجمعة فسمع ضجة فقال ما هذا فقيل له المحبوسون يضجون ويشكون ما هم فيه من البلاء فالتفت الى ناحيتهم وقال اخسؤا فيها ولا تكلمون فيقال انه مات في تلك الجمعة ولم يركب بعد تلك الركبة (قال المسعودي) ووجدت في كتاب عنوان البلاغات مما اختير من كلام الحجاج قوله ما سلبت نعمة الا بكفرها ولا نمت الا بشكرها وقد كان الحجاج تزوج الى عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب

حين أطلق عبد الله وافتقر وقد ذكرنا في كتابنا أخبار الزمان الخبر في ذلك وتهتك ابن القرية الحجاج

السماحة والبسالة صفوة آل أبي طالب وسر القبي لؤي بن غالب الذين جاءهم الروح الامين وحلاهم الكتاب المبين فقل في قوم شرعوا الدين القيم ومنعوا اليتيم ان يقهر والايم ماتقدمن اديم آدم أطيب من أديم طينه ولا أخذت الارض أجمل من سمائهم زينه لولاهم ماعبد الرحمن ولا عهد الايمان وعقد الامان ذوابة غير اشابه فضلهم ماشانه نقص ولاشابه سراة محلتهم سر المطلوب وقرارة محبتهم حبات القلوب أذهب الله عنهم الرجس وشرف بخلقهم الجنس فان غيروا فشريعتهم البيضاء أوتخيروا فعشيرتهم الجراء من كل يعسوب الكتيبة منسوب لنجيب ونجيبه نجار الكرم ودارة الحرم ذئة العرانين من هاشم إلى النسب الاصرح الاوضح الى نبعة فرعها في السماء ومغرسها سرة الابطح أولئك السادة أحيي وافدى والشهادة بحبهم اوفى وأودى ومن يكتمها فانه آثم قلبه انتهى (فصل) ما كانت خديجة لتاتي بخداج ولا الزهراء لتلد إلا ازاهر كالسراج مثل النحلة لا تاكل الا طيبا ولا تضع الا طيبا خلدت بنت خويلد ليزكو عقبها من الحاشر العاقب ويسمو قبها على النجم الثاقب لم تجد مثلها المهارى ولم يلد له غيرها من المهارى آمت من بعولتها قبله لتصل السعادة بحبلها حبله ملاك العمل خواتمه رب ربات حجال أنفذ من فحول رجال

وما التأنيث لاسم الشمس عيب * ولا التذكير فخر للهلال

هذه خديجة من أخيها حزام أحزم ولشعار الصدق من شعارات القص الزم ركنت الى الركن الشديد وسددت للهدى كما هديت للتسديد يوم نبئ خاتم الانبياء وأنبئ بالنور المنزل عليه والضياء (فصل) وكان قبيل المبعث وبين يدي لم الشعث يثابر على كل حسنى وحسنه ويجاور شهرا من كل سنه يتحرى حراء بالتعهد ويزجي تلك المدة في التعبد وذلك الشهر المقصور على التبرر المقدور فيه رفع التضرر شهر رمضان المنزل فيه القرآن فبيناه لا ينام قلبه وان نامت عيناه جاءه الملك مبشرا بالنجح وقد كان لا يرى رؤيا الا جاءت كفلق الصبح فغمره بالكلاءه وأمره بالقراءه وكلما تحبس له غطه ثم أرسله واذا أراد الله بعبد خيرا عسله

تريدون ادراك المعالي رخيصة * ولا بد دون الشهد من ابر النحل

كذلك حتى عاد بالارق من الفرق وقد عاق فاتحة العلق فلا يجري غيرها على لسانه وكانما كتبت كتابا في جنانه (فصل) ولما أصبح يوم الاهل وتوسط الجبل يريد السهل وقد قضى الاجل ومانضا الوجل نوجي بما في الكتاب المسطور ونودي كما نودي موسى من جانب الطور فعرض له في طريقه ماشغله عن فريقه فرفع رأسه متأملا فأبصر الملك في صورة رجل متمثلا يشرفه بالنداء ويعرفه بالاجتباء وانما صدق خبر الليلة بعيان اليوم وأرى في اليقظة مصداق ما سمع في النوم ليحق الله الحق بكلماته وعلى ماورد في الاثر وسرد رواة السير فذلك اليوم كان عيد فطرنا الآن وغير بدع ولا بعيد أن يبدأ الوحي بعيد كما ختم بعيد اليوم أكملت لكم دينكم فثبت عليه السلام لما سمع نداءه وراءه وثبت لا يتقدم أمامه ولا يرجع وراءه

بذلك وقد كان عبد الله بن جعفر بن أبي طالب من الجود بالموضع المعروف ولما قيل ماله مبيع يوم الجمعة في المسجد الجامع وهو يقول اللهم انك عودتني عادة فعودتها عبادك فان قطعتها عني فلا تبقني فمات في تلك الجمعة وذلك في أيام عبد الملك ابن مروان وصلى عليه أبان بن عثمان بمكة وقيل بالمدينة وهي السنة التي كان بها السيل الجحاف الذي بلغ الركن وذهب بكثير من الحجاج وفي هذه السنة كان الطاعون العام بالعراق والشأم ومصر والجزيرة والحجاز وهي سنة ثمانين وقبض عبد الله بن جعفر وهو ابن سبع وستين وولد بالحبشة حين هاجر جعفر الى هنالك وقيل ان مولده كان في السنة التي قبض فيها النبي صلى الله عليه وسلم وقيل غير ذلك وذكر المبرد والمدائني والعتبي وغيرهم من الاخباريين ان عبد الله عوتب على كثرة افضاله فقال ان الله تعالى عودني أن يتفضل على وعودته أن أتفضل على عباده فاكره ان أقطع العادة عنهم فيقطع العادة عني ووفد عبد الله على معاوية بدمشق فعلم به عمرو ابن العاص قبل دخوله دمشق أخبره بذلك مولى له كان قد سارع ابن جعفر من الحجاز فتقدمه بمرحلتين وقف

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي * متقدم عنه ولا متأخر

ثم جعل في الخوف والرجاء لا يقلب وجهه في السماء . الا تعرض لمتى تلك الصوره وعرض عليهما أعطاه الله سبحانه من السوره فيقف موقف التوكل ويمسك حتى عن التأمل

تتوق اليك النفس ثم أردها * حياء ومثلي بالحياء حقيق

أذود سواد الطرف عنك وماله * الى أحد الا اليك طريق

(فصل) وفطنت خديجة لاحتباسه فامعنت في التماسه تزوجوا الودود الولود لفورها بل لفوزها بعثت في طلبه رسلها وانبعثت تأخذ عليه شعاب مكة وسبلها وان المحب اذا لم يستزر زارا * طال عليها الامد فطار اليها الكمد والمحب حقيقه من يفيق فيقه بالنفس النفيسة سماحه وجوده وفي وجود المحبوب الاشرف وجوده

كأن بلاد الله ما لم تكن بها * وان كان فيها الخلق طرا بلاقع

أقضي نهاري بالحديث وبالمنى * ويجمعني والهم بالليل جامع

نهاري نهار الناس حتى اذا دجى * لي الليل هزتني اليك المضاجع

لقد ثبتت في القلب منك محبة * كما ثبتت في الراحتين الاصابع

(فصل) وبعد لأي ما ورد عليها وقعد مضيفا اليها فطفقت بحكم الاجلال تمسح ركابه وتفسح مجال السؤال عما خلف له مكانه فباح لها بالسر المغيب وقد لاح وسم الكرامة على الطيب المطيب فعلمت انه الصادق المصدوق وحكمت بانه السابق لا المسبوق اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ومازالت حتى أزالت ما به من الغمه قالت اني لارجو أن تكون نبي هذه الامة

اني تفرست فيك الخير أعرفه * والله يعلم أن ما خانني البصر

أنت النبي ومن يحرم شفاعته * يوم الحساب فقد أزرى به القدر

ترهب فسوف تبهر وسيبدو أمر الله تعالى ويظهر أنت الذي سمعت به الكهان ونزلت من صوامعها الرهبان وسارت بخبر كرامته الركبان أنت الذي ما جلت أنف منه حامل درت ببركته الشاة فاذا هي حافل

وأنت لما ولدت أشرقت الارض وضاءت بنورك الافق

فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق

(فصل) * وما لبثت أن غلقت أبوابها وجمعت عليها أثوابها وانطلقت الى ورقة بن نوفل تطالبه بتفسير ذلك المجمل وكان يرجع الى عقل حصيف ويبحث عمن يبعث بالدين الحنيف فاستبشر به ناموسا وأخبر أنه الذي كان يأتي موسى فازدادت ايمانا وأقامت الى ذلك زمانا ثم رأت أن خبر الواحد قد يلحقه التفنيد ودرت أن المجتهد لا يجوز له التقليد وطلب العلم فريضة على كل مسلم فرجعت أدراجها في ارتياد الاقناع والسبق في روعها الخمار والقناع فهنالك وضح لها البرهان وصح لها أن الآتي ملك لا شيطان

تولى عليه الروح من عند ربه * ينزل من جو السماء ويرفع

تشاوره فيما نريد وقصدنا * اذا ما اشتهى انا نطيع ونسمع

وغيرهم منهم عبد الله بن الحرث بن عبد المطلب فقال عمرو وقد أتاكم رجل كثير الخلوات بالتمني والطرفات بالتغني آخذ للسلف منقاد بالسرف فغضب عبد الله ابن الحرث وقال لعمرو كذبت وأهل ذلك أنت ليس عبد الله كما ذكرت ولكنه لله ذكور ولبلائه شكور وللخنا نفور ماجد مهذب كريم سيد حليم ان ابتدأ أصاب وان سئل أجاب غير حصر ولا هياب ولا فحاش ولا سباب كالهزبر الضرغام الجريء المقدام والسيف الصمصام والحسيب القمقام وليس كمن اختصم فيه من قريش شرارها فغلب عليه جزارها فاصبح ألأمها حسبا وأدناها منصبا يلوذ منها بذليل ويأوي الى قليل ليت شعري بأي حسب تتناول أو بأي قدم تتعرض غير انك تعلو بغير اركانك وتتكلم بغير لسانك ولقد كان أبرأ في الحكم وأبين في الفضل أن يكفك ابن أبي سفيان عن ولوغك بأعراض قريش وان يكعمك كعام الضبع في وجارها فلست لاعراضها بوفي ولا لاحسابها بكفي وقد أتيح لك ضيغم شرس ن مختلس وللارواح مفترس فهم عمرو أن يتكلم فمنعه معاوية من ذلك وقال عبد الله بن الحرث لا يبقى المرء الا على نفسه

*(فصل) سبقت لها من الله تعالى الحسنى فصدقت حسنا وقالت حسنا ومن يؤمن بالله يهد قلبه مافتر الوحي بعدها ولا مطل الحق الحي وعدها وعد الله لا يخلف الله وعده دانت لحب ذي الاسلام فحياها الملك بالسلام من الملك السلام من كان لله كان الله له أغنت غناء الابطال فغناها لسان الحال

. هل تذكرين فدتك النفس مجلسنا * يوم التقينا فلم أنطق من الحصر

لا ارفع الطرف حولي من مراقبة * بقي على وبعض الحزم في الحذر

يسرت لاحتمال الاذى والنصب فبشرت ببيت في الجنة من قصب هل امنت اذ آمنت من الرعب حتى غنيت عن الشبع بما في الشعب

لا تحسب المجد تمرا انت آكله * لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

واهالها احتملت عض الحصار وما طاقت فقد النبي المختار

يطول اليوم لا القاك فيه * وشهر نلتقي فيه قصير

والحبيب سمع المحب وبصره وله طول محياه وقصره

أنت كل الناس عندي فاذا * غبت عن عيني لم الق أحد

مكنت للرياسة مواسية وآسيه فثلثت في بحبوحة الجنة مريم وآسيه ثم ربعت البتول فبعت نطقت بذلك الآثار وصدعت خير نساء العالمين أربع *(فصل)* الى البتول سير بالشرف التالد وسبق الفخر بالام الكريمة والوالد حلت في الجيل الجليل وتحلت بالمجد الاثيل ثم تولت الى الظل الظليل

وليس يصح في الافهام شئ * اذا احتاج النهار الى دليل

وأبيها ان أم أبيها لا تجد لها شبيها ثمرة النبي وطلبة الوصي وذات الشرف المستوى على الامد القصي كل ولد الرسول درج في حياته وحملت هي ما حملت من آياته ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء لا فرع للشجرة المباركة من سواها فهل جدوى أوفر من جدواها الله أعلم حيث يجعل رسالاته حفت بالتطهير والتكريم و زفت الى الكفؤ الكريم فوردا صفوا لمارفة والمنه وولدا سيدي شباب أهل الجنه عوضت من الامتعة الفاخره بسيدي الدنيا والآخره ما أثقل نحوها ظهرا ولا بذل غير درعه مهرا كان صفر اليدين من البيضاء والصفراء وبحالة لاحيلة معها في اهداء الحلة السيراء فصاهره الشارع ونحاله وقال في بعض صعلوك لا مال له نرفع درجات من نشاء *(فصل)*

أتنتهب الايام افلاذ أحمد * وافلاذ من عاداهم تتودد

و يضحى و يظما أحمد و بناته * وبنت زياد وردها لا يصرد

أفي دينه في أمنه في بلاده * تضيق عليهم فسحة تتورد

وما الدين الا دين جدهم الذى * به أصدروا في العالمين وأوردوا

انتهى ما سنح لي ذكره من درر السمط وهو كتاب غاية في بابه ولم أورد منه غير ما ذكرته لان في الباقي ما تشم منه رائحة التشيع والله سبحانه يسامحه بمنه وكرمه ولطفه (رجع) الى ما كنا بصدده فنقول قد ذكرنا في الباب الثاني رسالة أبي المطرف بن عميرة الى أبي جعفر بن أمية وهى مشتملة

والله ان لساني لحديد وان جوابي لعتيد وان أنصاري لشهود فقام مطرفة وتفرق القوم ولعبد الله بن جعفر بن أبي طالب أخبار حسان في الجود والكرم وغير ذلك من المناقب و قد أتينا على مبسوط ذلك في كتابنا أخبار الزمان والاوسط وانما كان تزوج الحجاج اليه يتذلل بذلك الى أبي طالب وكتب الحجاج الى عبد الملك يغلظ له أمر الخوارج مع قطري فكتب اليه أما بعد فاني أحمد اليك السيف وأوصيك بما أوصى به البكري زيدا فلم يفهم الحجاج ما عناه عبد الملك وقال من جاء بتفسير ما أوصى به البكري زيدا فله عشرة آلاف درهم فورد رجل من الحجاز يتظلم من بعض عماله فقيل له أتعلم ما أوصى به البكري زيدا قال نعم قال فأت الحجاج به ولك عشرة آلاف درهم فأتاه فاحضره فقال أوصاه بان قال

أقول لزيد لا تبر فانهم يرون المنايا دون قتلك اوقتلى

فان وضعوا حربا فضعها وان أبوا فشب وقود الحرب بالحطب الجزل

وان عضت الحرب الضروس بنابها * فعرضة حد السيف مثلك ومثلى

فقال الحجاج صدق أمير المؤمنين

مشتملة على التلهف على الجزيرة الاندلسية حين أخذ العدو بلنسية وظهرت له مخايل الاستيلاء على ما بقى من الاندلس فراجعها فيما سبق وان كان التناسب التام فى ذكرها هنا المناسبة هنالك حاصلة أيضا والله سبحانه الموفق وذكرنا هنالك أيضا جملة غيرها من كلامه رحمه الله تعالى تتعلق بهذا المعنى وغيره فلتراجع ثمة * ورأيت أن أثبت هنا ما رأيته بخط الاديب الكاتب الحافظ المؤرخ أبى عبد الله محمد بن الحداد الوادى آشى نزيل تلمسان رحمه الله تعالى ما صورته حدثنى الفقيه العدل سيدى حسن بن القائد الزعيم الافضل سيدى ابراهيم العراف انه حضر مرة لانزال الطلسم المعروف بفروج الرواح من العلية بالقصبة القديمة من غرناطة بسبب البناء والاصلاح وانه عاينه من سبعة معادن مكتوبا فيه

ايوان غرناطة الغراء معتبر * طلسمه ولاة الحال دوار
وفارس روحه ريح تدبره * من الجماد ولكن فيه أسرار
فسوف يبقى قليلا ثم تطرقه * دهياء يخرب منها الملك والدار

انتهى * وقد صدق قائل هذه الابيات فانه طرقت الدهياء ذلك القطر الذى ليس له فى الحسن مثال ونسل الخطب اليه من كل حدب واتثال وكل ذلك من اختلاف رؤسائه وكبرائه ومقدميه وقضاته وأمرائه ووزرائه فكل يروم الرياسة لنفسه ويجر نارها القرصه والنصارى اهلكهم الله تعالى يضربون بينهم بالخداع والمكر والكيد ويضربون عمرا منهم بزيد حتى تمكنوا من أخذ البلاد والاستيلاء على الطارف والتلاد قال الرئيس القاضى العلامة الكاتب الوزير أبو يحيى بن عاصم رحمه الله تعالى فى كتابه جنة الرضا فى التسليم لما قدر الله تعالى وقضى ما صورته محل الحاجة منه ومن استقرا التواريخ المنصوصه وأخبار الملوك المقصوصه علم أن النصارى دمرهم الله تعالى لم يدركوا فى المسلمين ثارا ولم يرحضوا عن أنفسهم عارا ولم يخربوا من الجزيرة منازل وديارا ولم يستولوا عليها بلادا جامعة وامصارا الا بعد تمكينهم لاسباب الخلاف واجتهادهم فى وقوع الافتراق بين المسلمين والاختلاف وتضريبهم بالمكر والخديعة بين ملوك الجزيره وتحريشهم بالكيد والخلابة بين حماتها فى الفتن المبيره ومهما كانت الكلمة مؤتلفه والآراء لا مفترقة ولا مختلفه والعلماء بمعاناة اتفاق القلوب الى الله مزدلفه فالحرب اذ ذاك سجال ولله تعالى فى اقامة الجهاد فى سبيله رجال وللممانعة فى غرض المدافعة ميدان رحب ومجال ودرو بتوارتجال الى أن قال وتطاولت الايام ما بين مهادنة ومقاطعه ومضاربة ومقارعه ومنازلة ومنازعه وموافقة وممانعه ومحاربة وموادعه ولا أمل للطاغية الا فى التمرس بالاسلام والمسلمين واعمال الحيلة على المؤمنين واضمار المكيدة للموحدين واستبطان الخديعة للمعاهدين وهو يظهر انه ساع للوطن فى العاقبة الحسنى وانه منطو لاهله على المقصد الاسنى ومهتم بمراعاة أمورهم وناظر بنظر المصلحة لخاصتهم وجمهورهم وهو يسر حسوا فى ارتغائه ويعمل الحيلة فى التماس هلاك الوطن وابتغائه فتبا لعقول تقبل مثل هذا المحال وتصدق هذا الكذب بوجه او بحال وليت المغرور الذى يقبل هذا او فكر فى نفسه وعرض هذا المسموع على

صدق البكرى وكتب الى المهلب ان أمير المؤمنين أوصانى بما أوصى به البكرى ٦٠٠ زيدا وأنا أوصيك به وبما أوصى به الحرث بن كعب بنيه فأتى المهلب بوصيته فاذا فيها يا بنى كونوا جميعا ولا تكونوا شتى فتفرقوا وبروا قبل أن تبروا فموت فى قوة وعز خير من ذل وعجز فقال المهلب صدق البكرى والحرث بن كعب وكتب عبد الملك الى الحجاج جنبنى دماء آل أبى طالب فانى رأيت الموت استوحش من آل حرب حين سفكوا دماءهم فكان الحجاج يتجنبها خوفا من زوال الملك عنهم لا خوفا من الخالق عز وجل ودخلت ليلى الاخيلية على الحجاج فقالت أصلح الله الامير أتيت اخلاف النجوم وقلة الغيوم وكلب البرد وشدة الجهد قال فاخبرينى عن الارض قالت مقشعرة والفجاج مغبرة والمقتر مقل وذو الغنى مجل والبائس مقل والناس مستنتون رحمة الله يرجون قال أى النساء تختارين تنزلين عندها قالت سمهن لى قال عندى هند بنت المهلب وهند بنت أسماء بن خارجة فاختارتها فدخلت عليها فصبت حليها عليها حتى أثقلتها الاختيارها اياها وخذولها عليها دون من سواها (حدثنا) المنقرى قال حدثنا العتبى عن أبيه قال قدم على الحجاج ابن عم له من البادية فنظر اليه يولى الناس

مدركات حسه وراجع أوليات عقله وتجربيات حدسه وقاس عدوه الذي لا ترجى مودته على أبناء جنسه فأنا أناشده الله هل بات قط بمصالح النصارى وسلطانهم مهتما وأصبح من خطب طرقهم مغتما ونظر لهم نظر المفكر في العاقبة الحسنه أو قصد لهم قصد المدبر في المعيشة المستحسنه أو خطر على قلبه أن يحفظ في سبيل القربة أربابهم وصلبانهم أو عمر ضميره من تمكين عزهم بما ترضاه أحبارهم ورهبانهم فان لم يكن ممن يدين بدينهم الخبيث ولم يشرب قلبه حب التثليث ويكون صادق اللهجه منصفا عند قيام الحجه فسيعترف أن ذلك لم يخطر له قط على خاطر ولا مر له ببال وان عكس ذلك هو الذي كان بهذا اغتباط ويفعله ذا احتبال وان نسب لذلك المعنى فهو عليه أثقل من الجبال وأشد على قلبه من وقع النبال هذا وعقده التوحيد وصلاته التحميد وملته الغراء وشريعته البيضاء ودينه الحنيف القويم ونبيه الرؤف الرحيم وكتابه القرآن الحكيم ومطلوبه بالهداية الصراط المستقيم فكيف نعتقد هذه المريبة الكبرى والمنقبة الشهرى لمن عقده التثليث ودينه المليث ومعبوده الصليب وتسميته التصليب وملته المنسوخة وقضيته المفسوخة وختامه التغطيس وقافر ذنبه القسيس وربه عيسى المسيح ورأيه ليس البين ولا الصحيح وأن ذلك الرب قد ضرج بالدماء وسقى الخل عوض الماء وأن اليهود قتلته مصلوبا وأدركته مطلوبا وقهرته مغلوبا وأنه جزع من الموت وخاف الى سوى ذلك مما يناسب هذه الاقاويل السخاف فكيف يرجى من هؤلاء الكفرة من الخير مقدار الذره أو يطمع منهم في جلب المنفعة أو دفع المضره اللهم احفظ علينا العقل والدين واسلك بنا سبيل المهتدين ثم قال بعد كلام ما صورته كانت خزانة هذه الدار النصرية مشتملة على كل نفيسة من الياقوت ويتيمة من الجوهر وفريدة من الزمرد وثمينة من الفيروزج وعلى كل واق من الدروع وسام من العدة وماض من الاسلحة وفاخر من الآلة ونادر من الامتعة فمن عقود دفنة وسلوك جمة وأقراط تفضل على قرطي مارية نفاسة فائقة وحسنا رائقا ومن سيوف شواذ بالابداع غرائب في الاعجاب منسوبات الصفائح في الطبع خالصات الحلى من التبر ومن دروع مقدرة السرد متلاحمة النسج واقية للناس في يوم الحرب مشهورة النسبة الى داود نبي الله ومن جواشن سابغة اللبسة ذهبية الحلية هندية الضرب ديباجية الثوب ومن بيضات عسجدية الطرق جوهرية التنضيد زبرجدية التقسيم ياقوتية المركز ومن مناطق لجينية الصوغ عريضة الشكل مزججة الصفح ومن درق لمطية مصمتة المسام لينة الجسة معروفة المنتصافية الاديم ومن قسي ناصعة الصبغة هلالية الخلقة منعطفة الجوانب زارية بالحواجب الى آلات فاخرة من أوتار نحاسية ومناير بلورية وطيافير دمشقية وسبحات زجاجية وصحاف صينية وأكواب عراقية وأقداح طباشيرية وسوى ذلك مما لا يحيط به الوصف ولا يستوفيه العد وكل ذلك انتهبه شواظ الفتنة والتقمه تيار الخلاف والفرقة فرزئت الدار منه بما يتعذر اتيان الدهور بمثله وتقصر ديار الملوك المؤثلة النعمة عن بعضه فضلا عن كله . انتهى كلامه رحمه الله تعالى (رجع)

ولما أخذت قواعد الاندلس مثل قرطبة واشبيلية وطليطلة ومرسية وغيرها انحاز أهل

فقال له أيها الامير لا تولني بعض هذا الحضر فقال الحجاج هؤلاء يكتبون ويحسبون وأنت لا تحسب ولا تكتب فغضب الاعرابي وقال بلى انى والله لاحسب منهم حسبا وأكتب منهم كتبا فقال له الحجاج فان كان كما تزعم فاقسم ثلاثة دراهم بين أربعة أنفس فما زال يقول ثلاثة دراهم بين أربعة ثلاثة بين أربعة لكل واحد منهم درهم يبقى الرابع بلا شئ كم هم أيها الامير قال هم أربعة قال نعم أيها الامير قد وقفت على الحساب لكل واحد منهم درهم وأنا أعطى الرابع منهم درهما من عندى وضرب بيده الى تكته فاستخرج منها درهما وقال أيكم الرابع فلا ها الله ما رأيت كاليوم ذا أمثل حساب هؤلاء الحضر بين فضحك الحجاج ومن معه فذهب بهم الضحك كل مذهب ثم قال الحجاج ان أهل أصبهان كسروا خراجهم ثلاث سنين كلما أتاهم وال عجزوه فلأرمينهم ببدويه هذا وعجرفيته فأخلق به أن ينجب فكتب له عهده على أصبهان فلما خرج استقبله أهل أصبهان واستبشروا به وأقبلوا عليه يقبلون يده ورجله وقد استغمروه وقالوا اعرابى بدوى ما يكون منه طمعا كثيرا وأقبلوا عليه فقال اصنعوا على أنفسكم وتهيأ لكم أطرافي وأخرجوا عني هذه الهيآت أما يشغلكم

الاسلام

الاسلام الى غرناطة والمرية ومالقة ونحوها وضاق الملك بعد اتساعه وصار تنين العدو يلتقم كل وقت بلدا أو حصنا ويهصر من دوح تلك البلاد غصنا وملك هذا النزر اليسير الباقى من الجزيرة ملوك بنى الاحمر فلم يزل الوامع العدو فى تعب وممارسة كما ذكره ابن عاصم وربما ورعا اقتحموا فى الكفار كما علم فى أخبارهم وانتصروا بملوك فاس بنى مرين فى بعض الاحايين ولما قصد ملوك الافرنج السبعة فى المائة الثامنة غرناطة ليأخذوها اتفق أهلها على أن يبعثوا لصاحب المغرب من بنى مرين يستنجدونه وعينوا للرسالة الشيخ أبا اسحق بن أبى العاصى والشيخ أبا عبد الله الطنجالى والشيخ ابن الزيات البلشى نفع الله تعالى بهم ثم بعد سفرهم نازل الافرنج غرناطة بخمسة وثلاثين ألف فارس ونحو مائة ألف راجل مقاتل ولم يوافقهم سلطان المغرب فقضى الله تعالى ببركة المشايخ الثلاثة أن كسر النصارى فى الساعة التى كسر خواطرهم فيها صاحب المغرب وظهرت فى ذلك كرامة لسيدى أبى عبد الله الطنجالى رحمه الله تعالى ثم ان بنى الاحمر ملوك الاندلس الباقية بعد استيلاء الكفار على الجل كانوا فى جهاد وجلاد فى غالب أوقاتهم ولم يزل ذلك شأنهم حتى أدرك دولتهم الهرم الذى يلحق الدول فلما كان زمان السلطان أبى الحسن على بن سعد النصرى الغالبى الاحمرى واجتمعت الكلمة عليه بعد أن كان أخوه أبو عبد الله محمد بن سعد المدعو بالزغل قد بويع بمالقة بعد أن جاء به بعض القواد من عند النصارى وبقى بمالقة برهة من الزمان ثم ذهب الى أخيه وبقى من بمالقة من القواد والرؤساء فوضى وآل الحال الى أن قامت مالقة بدعوة السلطان أبى الحسن وانقضت الفتنة واستقل السلطان أبو الحسن بملك ما بقى بيد المسلمين من بلاد الاندلس وجاهد المشركين وافتتح عدة أماكن ولاحت له بارقة الكرة على العدو الكافر وخافوه وطلبوا هدنته وكثرت جيوشه فأجمع على عرضها كلها بين يديه وأعد لذلك مجلسا أقيم له بناؤه خارج الحمراء قلعة غرناطة وكان ابتداء هذا العرض يوم الثلاثاء تاسع عشر الحجة عام اثنين وثمانين وثمانمائة ولم تزل الجنود تعرض عليه كل يوم الى الثانى والعشرين من محرم السنة التى تليها وهو يوم ختام العرض وكان معظم المتنزهين والمتفرجين بالسبيكة وما قارب ذلك فبعث الله تعالى سيلا عرما على وادى حدره بحجارة وماء غزير كأفواه القرب عقابا من الله سبحانه وتأديبا لهم لمجاهرتهم بالفسق والمنكر واحتمل الوادى ما على حافتيه من المدينة من حوانيت ودور ومعاصر وفنادق وأسواق وقناطر وحدائق وبلغ تيار السيل الى رحبة الجامع الاعظم ولم يسمع بمثل هذا السيل فى تلك البلاد وكان بين رؤساء الافرنج فى ذلك الوقت اختلاف فبعضهم استقل بملك قرطبة وبعض باشبيلية وبعض بشريش وعلى ذلك كان صاحب غرناطة السلطان أبو الحسن قد استرسل فى اللذات وركن الى الراحات وأضاع الاجناد وأسند الامر الى بعض وزرائه واحتجب عن الناس ورفض الجهاد والنظر فى الملك ليقضى الله تعالى ما شاء وكثرت المظالم والمغارم فانكر الخاصة والعامة ذلك منه وكان أيضا قد قتل كبار القواد وهو يظن أن النصارى لا يغزون بعد البلاد ولا تنقضى بينهم الفتنة ولا ينقطع الفساد واتفق أن صاحب قشتالة تغلب على بلادها بعد حروب وانقاد له رؤساء الشرك المخالفون ووجدت النصارى السبيل الى الافساد والطريق الى

ما أخرجنى له الامير فلما استقر فى داره باصبهان جمع أهلها فقال مالكم تعصون ربكم وتغضبون أميركم وتنقصون خراجكم فقال قائلهم جور من كان قبلك وظلم من ظلم قال فما الامر الذى فيه صلاحكم فقالوا تؤخرنا بالخراج ثمانية أشهر ونجمعه لك قال لكم عشرة وتأتونى بعشرة ضمناء يضمنون فأتوه بهم فلما توثق منهم أمهلهم فلما قرب الوقت رآهم غير مكترثين لما ندبوا من الاجل فقال لهم فلم ينتفع بقوله فلما طال به ذلك جمع الضمناء وقال لهم المال فقالوا أصابنا من الآفة ما نقص ذلك فلما رأى ذلك منهم آلى أن لا يفطر وكان فى شهر رمضان حتى يجمع ماله أو يضرب أعناقهم ثم قدم أحدهم فضرب عنقه وكتب عليه فلان ابن فلان أدى ما عليه وجعل رأسه فى بدرة وختم عليها ثم قدم الثانى ففعل به مثل ذلك فلما رأى القوم الرؤس تبدر وتجعل فى الاكياس بدلا من البدر قالوا أيها الامير توقف علينا حتى نحضر لك المال ففعل فأحضروه فى أسرع وقت فبلغ ذلك الحجاج فقال انا معاشر آل محمد يعنى جده ولدنا نجيب فكيف رأيتم فراستى فى الاعرابى ولم يزل عليها واليا حتى مات الحجاج وحبس الحجاج ابراهيم التيمى بواسط فلما دخل السجن وقف على مكان مشرف ونادى بأعلى صوته

الاستيلاء على البلاد وذلك انه كان للسلطان أبي الحسن ولدان محمد ويوسف وهما من بنت عمه السلطان أبي عبد الله الايسر وكان قد اصطفى على امهما روميه كان لها منه بعض ذريه وكانت حظيه عنده مقدمة في كل قضيه فخيف أن تقدم أولاد الروميه على أولاد بنت عمه السنيه وحدث بين خدام الدولة التنافر والتعصب لميل بعضهم الى أولاد الحرة وبعض الى أولاد الروميه وكان النصارى أيام الفتنة بينهم هادنوا السلطان لامد حدوه وضربوه ولما تم أمد الصلح وافق وقته هذا الشان بين أولياء الدولة بسبب الاولاد وتشكى الناس مع ذلك بالوزراء والعمال لسوء ما عاملوا به الناس من الحيف والجور فلم يصغ اليهم وكثر الخلاف واشتد الخطب وطلب الناس تأخير الوزير وتفاقم الامر وصح عند النصارى لعنهم الله تعالى ضعف الدولة واختلاف القلوب فبادروا الى الحامة فأخذوها غدرا آخر أيام الصلح على يد صاحب قادس سنة سبع وثمانين وثمانمائة وعدوا القلعة وتحصنوا بها ثم شرعوا في أخذ البلد فملؤا الطرق خيلا ورجالا وبذلوا السيف فيمن ظهر من المسلمين ونهبوا الحريم والناس في غفلة نيام من غير استعداد كالسكارى فقتل من قضى الله تعالى بتمام أجله وهرب البعض وترك أولاده وحريمه واحتوى العدو على البلد بما فيه وخرج العامة والخاصة من أهل غرناطة عندما بلغهم العلم وكان النصارى عشرة آلاف بين ماش وفارس وكانوا عازمين على الخروج بما غنموه واذا بالسرعان من اهل غرناطة وصلوا فرجع العدو الى البلد فحاصرهم المسلمون وشددوا في ذلك ثم تكاثر المسلمون خيلا ورجالا من جميع بلاد الاندلس ونازلوا الحامة وطمعوا في منع الماء عن العدو وتبين للعامة أن الجند لم ينصحوا فأطلقوا ألسنتهم بأقبح الكلام فيهم وفي الوزير وبينما هم كذلك واذا بالنذير جاء ان النصارى أقبلوا في جمع عظيم لاغاثة من بالحامة من النصارى فاقلع جند المسلمين من الحامة وقصدوا ملاقاة الواردين من بلاد العدو ولما علم بهم العدو ولوا الادبار من غير ملاقاة محتجين بقلتهم وكان رئيسهم صاحب قرطبة * ثم ان صاحب اشبيلية جمع جندا عظيما من جيش النصارى الفرسان والرجال وأتى لنصرة من في الحامة من النصارى وعندما صح هذا عند العسكر اجتمعوا وأشاعوا عند الناس أنهم خرجوا بغير زاد ولا استعدادوا لصلاح الرجوع الى غرناطة ليستعد الناس ويأخذوا ما يحتاج اليه الحصار من العدة والعدد فعندما أقلع المسلمون عنها دخلتها النصارى الواردون وتشاوروا في اخلائها أو سكناها واتفقوا على الاقامة بها وحصنوها وجعلوا فيها جميع ما يحتاج اليه وانصرف صاحب اشبيلية وترك اجناده وفرق فيهم الاموال ثم عاد المسلمون لحصارها وضيقوا عليها وطمعوا فيها من جهة موضع كان النصارى في غفلة عنه ودخل على النصارى جملة وافرة من المسلمين وخاب السعد بذلك بأن شعر بهم النصارى فعادوا عليهم وتردى بعضهم من أعلى الجبل وقتل أكثرهم وكانوا من أهل بسطة ووادي آش فانقطع أمل الناس من الحامة ووقع الاياس من ردها وفي جمادى الاولى من السنة تواترت الاخبار أن صاحب قشتالة أتى في جنود لا تحصى ولا تحصر فاجتمع الناس بغرناطة وتكلموا في ذلك واذا به قد قصد لوشة ونازلها قاصدا أن يضيفها الى الحامة وجاء بالعدة والعدد واغارت على النصارى جملة من المسلمين فقتلوا من لحقوه وأخذوا جملة من

يا أهل بلاء الله في عافيته ويا أهل عافية الله في بلائه اصبروا وافنادوه جميعا لبيك لبيك ومات في حبس الحجاج وانما كان الحجاج طلب ابراهيم النخعي فنجا ووقع ابراهيم التيمي (وحكي) عن الاعمش قال قلت لابراهيم النخعي أين كنت حين طلبك الحجاج فقال بحيث يقول الشاعر

عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذ عوى ... وصوت انسان فكدت أطير

حدثنا الدمشقي الاموي أحمد بن سعيد وغيره عن الزبير بن بكار عن محمد بن سلام الجمحي وحدثنا الفضل بن الحباب الجمحي عن محمد بن سلام قال سأل الحجاج ابن القرية أي النساء أحمد قال التي في بطنها غلام وفي حجرها غلام ويسعى لها مع الغلمان غلام قال فأي النساء شر قال الشديدة الاذى الكثيرة الشكوى المخالفة لما تهوى فقال أي النساء أعجب اليك قال الشقاء العطبول المنعاج الكسول التي لم يشنها قصر ولا طول قال فأي النساء أبغض اليك قال الرعينة القصيرة الباهق الشريرة قال فأخبرني عن أفضل النساء قال الغضة البضة التي أعلاها قضيب وأسفلها كثيب العفاء الوجعاء التي لم تذهب طولا ولا تفتق قصرا في افراط الجعدة الغدائر الجثمة الظفائر

المدافع

المدافع الكبار ثم جاءت جماعة أخرى من أهل غرناطة وناوشوا النصارى فألجؤهم الى الخروج عن الخيام وأخذوها وغيرها فهرب النصارى وتركوا طعاما كثيرا وآلة ثقيلة وذلك في السابع والعشرين من جمادى الاولى من السنة المذكورة * وفي هذا اليوم بعينه هرب الاميران أبو عبد الله محمد وأبو الحجاج يوسف خوفا من أبيهما أن يفتك بهما باشارة حظيته الرومية ثريا واستقر بوادي آش وقامت بدعوتهما ثم بايعتهما تلك البلاد المرية وبسطة وغرناطة وهرب أبوهما السلطان أبو الحسن الى مالقة * وفي صفر سنة ثمان وثمانين وثمانمائة اجتمع جميع رؤساء النصارى وقصدوا قرى مالقة وبلش في نحو الثمانية آلاف وفيهم صاحب اشبيلية وصاحب شريش وصاحب استجة وصاحب النقيرة وغيرهم فلم يتمكنوا من أخذ حصن ونشبوا في أوعار ومضايق وخنادق وجبال واجتمع عليهم أهل بلش ومالقة وصار المسلمون ينالون منهم في كل محل حتى بلغوا مالقة ففر كبيرهم ومن بقي أسر أو قتل وكان السلطان أبو الحسن في ذلك الوقت قد تحرك لنواحي المنكب وبقي أخوه أبو عبد الله بمالقة ومعه بعض الجند وقتل من النصارى في هذه الوقعة نحو ثلاثة آلاف وأسر نحو ألفين من جملتها خال السلطان وصاحب اشبيلية وصاحب شريش وصاحب النقيرة وغيرهم وهم نحو الثلاثين من الاكابر وغنم المسلمون غنيمة وافرة من الانفس والاموال والعدة والذهب والفضة وبعقب ذلك سافر أهل مالقة لبلاد النصارى فكسروا هنالك كسرة شنيعة قتل فيها أكثر قواد غرب الاندلس * ولما استقر السلطان أبو عبد الله ابن السلطان أبي الحسن بغرناطة وطاعت له البلاد غير مالقة والغربية تحرك السلطان أبو الحسن على المنكب ونواحيها وأتى ابنه السلطان أبو عبد الله في جند غرناطة والجهة الشرقية والتقوا في موضع يعرف بالدب فكسر السلطان أبو عبد الله * ولما سمع السلطان أبو عبد الله صاحب غرناطة بأن عمه بمالقة غنم من النصارى أعمل السفر للغزو بأهل بلاده من غرناطة والشرقية وذلك في ربيع الاول من السنة الى أن بلغ نواحي لشانة وقتل وأسر وغنم فتجمعت عليه النصارى من جميع تلك النواحي ومعه كبير قبرة وحالوا بين المسلمين وبلادهم في جبال وأوعار فانكسر الجند وأسر من الناس كثير وقتل آخرون وكان في جملة من اسر السلطان أبو عبد الله ولم يعرف ثم علم به صاحب لشانة وأراد صاحب قبرة أن يأخذه منه فهرب به ليلا وبلغه الى صاحب قشتالة ونال بذلك عنده رفعة على جميع القواد وتفاءل به فقلما توجه لجهة أو بعث سرية الا وبعثه فيها * ولما اسر السلطان أبو عبد الله اجتمع كبراء غرناطة وأعيان الاندلس وذهبوا الى مالقة للسلطان أبي الحسن وذهبوا به لغرناطة وبايعوه مع انه كان أصابه مثل الصرع الى أن ذهب بصره وأصابه ضرر ولما تعذر أمره قدم أخاه أبا عبد الله وخلع له نفسه ونزل بالمنكب فأقام بها الى أن مات واستقل أخوه أبو عبد الله المعروف بالزغل بالملك بعده * وأما أبو عبد الله ابن السلطان أبي الحسن فهو في اسر العدو * وفي شهر ربيع الآخر من سنة تسعين وثمانمائة خرج العدو في قوة الى نواحي مالقة بعد أن كان في السنة قبلها استولى على حصون فاستولى هذه السنة على بعض الحصون وقصد ذكوان فهدم أسوارها وكان بها جملة من أهل الغربية ورندة ودخل القمدرع ذكوان عنوة فاظفر الله تعالى بهم أهل ذكوان

خلتها سارية من السوارئ فتلك تهيج المشتاق وتحيي العاشق بالعناق (قال المسعودي) وللوليد بن عبد الملك أخبار حسان لما كان في أيامه من الكوائن والحروب وكذلك الحجاج وقد أتينا على كثير من مبسوطها في كتابينا أخبار الزمان والاوسط وانما نذكر في هذا الكتاب مالم نورده في ذينك الكتابين كما أن ما ذكرناه في الكتاب الاوسط لم نورده في كتاب أخبار الزمان والله أعلم

(ذكر أيام سليمان بن عبد الملك)

بويع سليمان بن عبد الملك بدمشق في اليوم الذي كانت فيه وفاة الوليد وذلك يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين من الهجرة وتوفي سليمان بمرج دابق من أعمال جبل قنسرين يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة تسع وتسعين فكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر وخمس ليال وهلك وهو ابن تسع وثلاثين سنة وعهد الى عمر بن عبد العزيز وقيل ان وفاة سليمان كانت يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين وولايته سنتان وتسعة أشهر وثمانية عشر يوما على حسب ما وجدنا من

فقتلوهم جميعا ثم طلبوا الامان وخرجوا * ثم انتقل في جمادى الاولى الى رندة وحاصرها وكان
أهلها خرجوا الى نصرة ذكوان وشنوا اغارة فحاصر رندة وهدّ أسوارها وخرج أهلها على الامان
وطاعت له جميع تلك البلاد ولم يبق بغربي مالقة الا من دخل في طاعة الكافر وتحت ذمته
وضيق بمالقة وفرق حصصه على بعض الحصون ليحاصر مالقة وعاد الى بلاده * وفي تاسع
عشر شعبان من العام سافر صاحب غرناطة لتحصين بعض البلاد وبينما هو كذلك اذا بالخبر
جاءه ان محلة العدو خارجة لذلك الحصن * وفي صبيحة الثاني والعشرين من شعبان أصبحت
جنود النصارى على الحصن كانوا قد سروا اليه ليلا وأصبحوا عند الفجر مع جند المسلمين
فقاتلهم المسلمون من غير تعبية فاختل نظام المسلمين ووصل النصارى الى خباء السلطان ثم
التحم القتال واشتد وقوى الله تعالى المسلمين فهزموا النصارى شر هزيمة وقتل منهم خلائق
وقصر المسلمون خوفا من محلة سلطان النصارى اذ كانت قادمة في اثر هذه ولما جمعت اليهم
الفلول رجعوا القهقرى واستولى المسلمون على غنائم كثيرة وآلات وجعلوا ذلك كله
بالحصن ولم يحدث شئ بعد الى رمضان فتوجه الكافر لحصن قبيل ونازله وهدّ أسواره
ولما رأى المسلمون أن الحصن قد دخل طلبوا الامان وخرجوا بأموالهم وأولادهم مؤمنين
وفر الناس من تلك المواضع من البراجلة هاربين واستولى العدو على عدة حصون مثل
مشاقر وحصن اللوز وضيق العدو بجميع بلاد المسلمين ولم يتوجه لناحية الا استأصلها ولا
قصد جهة الا أطاعته ووصلها ثم أن العدو دبر الحيلة مع ما هو عليه من القوة فبعث الى
السلطان أبي عبد الله الذي تحت أسره وكساه ووعده بكل ما يتمناه وصرفه لشرقي بسطة
وأعطاه المال والرجال ووعده أن من دخل تحت حكمه من المسلمين وبايعه من أهل البلاد
فانه في الهدنة والصلح والعهد والميثاق الواقع بين السلاطين وخرج لبلش فأطاعه أهلها
ودخلت بلش في طاعته ونودي بالصلح في الاسواق وصرخت به في تلك البلاد الشياطين
وسرى هذا الامر حتى بلغ أرض البيازين من غرناطة وكانوا من التعصب وحمية الجاهلية
والجهل بالمقام الذي لا يخفى وتبعهم بعض المفسدين المحبين تفريق كلمة المسلمين وممن مال
الى الصلح عامة غرناطة لضعف الدولة ووسوس للناس شياطين الفتنة وسماسرتها بتقبيح
وتحسين الى أن قام ربض البيازين بدعوة السلطان الذي كان مأسورا عند المشركين
ووقعت فتنة عظيمة في غرناطة نفسها بين المسلمين لما أراده الله تعالى من استيلاء العدو على
تلك الاقطار ورجموا البيازين بالحجارة من القلعة وعظم الخطب وكانت الثورة ثالث شهر
ربيع الاول عام أحد وتسعين وثمانمائة ودامت الفتنة الى منتصف جمادى الاولى من العام
وبلغ الخبر أن السلطان الذي قاموا بدعوته قدم على لوشة ودخلها على وجه رجاء الصلح بينه
وبين عمه الزغل صاحب قاعدة غرناطة بأن العم يكون له الملك وابن أخيه تحت ايالته بلوشة
أو بأي المواضع أحب ويكونون يدا واحدة على عدو الدين وبينما هم كذلك اذا بصاحب
قشتالة قد خرج بجند عظيم ومحلة قوية وعدد وعدد ونازل لوشة حيث السلطان أبو عبد الله
الذي كان أسيرا وضيق عليها الحصار وقد كان دخلها جماعة من أهل البيازين بنية الجهاد
والمعاضدة واليهم وخاف أهل غرناطة وسواها من أن يكون ذلك حيلة فلم يأت لنصرتهم غير

البيازين

ثبا بن ما في كتب التواريخ والسير وسنذكر جل أيامهم في باب نفرده فيما يرد من هذا الكتاب وقد تنوزع في مقدار سن سليمان فذكر بعضهم أنه قبض وهو ابن خمس وأربعين ومنهم من زعم انه كان ابن ثلاث وخمسين وقد قدمنا قول من قال أنه قبض وهو ابن تسع وثلاثين ووجدت أكثر شيوخ بني مروان من ولده وولد غيره بدمشق وغيرها يذهبون الى انه كان ابن تسع وثلاثين والله أعلم

(ذكر لمع من أخباره وسيره)

لما أفضى الامر الى سليمان صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال الحمد لله الذي ما شاء صنع وما شاء أعطى وما شاء منع وما شاء رفع وما شاء وضع أيها الناس ان الدنيا غرور وباطل وزينة وتقلب بأهلها تضحك باكيها وتبكي ضاحكها وتخيف آمنها وتؤمن خائفها وتثري فقيرها وتفقر مثريها ميالة بأهلها عباد الله اتخذوا كتاب الله اماما وارضوا به حكما واجعلوه لكم هاديا ودليلا فانه ناسخ ما قبله ولا ينسخه ما بعده واعلموا عباد الله أنه ينفي عنكم كيد الشيطان ومطامعه كما يجلو ضوء الشمس الصبح اذا أسفر وادبار الليل اذا عسعس ثم نزل وأذن للناس بالدخول عليه وأقر عمال من كان قبله

البيازين واشتد عليهم الحصار وكثرت الاقاويل وصرحت الالسن بان ذلك باتفاق بين السلطان المذكور وصاحب قشتالة ودخل على أهل لوشة فى ربضهم وخافوا من الاستئصال فطلبوا الامان فى أموالهم وأنفسهم وأهليهم فوفى لهم صاحب قشتالة بذلك وأخذ البلد فى السادس والعشرين لجمادى الاولى سنة احدى وتسعين وهى أعنى لوشة كانت بلد سلف الوزير لسان الدين بن الخطيب كما ذكرناه مستوفى فى غير هذا الموضع وهاجر أهل لوشة الى غرناطة وبقى السلطان أبو عبد الله الذى كان مأسورا مع النصرانى بلوشة فصرح عند ذلك أهل غرناطة بانه ما جاء للوشة الا ليدخل اليها العدو الكافر ويجعلها فداء له وقيل انه سرح له حينئذ ابنه اذ كان مرهونا فى الفداء وكثر القيل والقال بينهم وبين أهل البيازين فى ذلك وظهر بذلك ما كان كامنا فى القلوب ثم رجع صاحب قشتالة الى بلاده ومعه السلطان المذكور وفى نصف جمادى الثانية خرج الى البيرة فهدم بعض الاسوار وتوعد الناس فاعطاه أهله الحصن على الامان فخرجوا وقدموا على غرناطة ثم فعل بحصن التلين مثل ذلك وقاتلوا قتالا شديدا ولما ضاقوا ذرعا أعطوه بالمقادة على الامان فخرجوا الى غرناطة وأطاع أهل قلنبيرة من غير قتال فخرجوا الى غرناطة ثم وصل العدو الى منت فريد فرمى عليهم بالمحرقات وغيرها وأحرق دار العدة فطلبوا الامان وخرجوا الى غرناطة وانتقل للصخرة فاخذها وحصن هذه الحصون كلها وشحنها بالرجال والعدة ورتب فيها الخيل لمحاصرة غرناطة ثم عاد الكافر لبلاده وتعاهد مع السلطان الذى فى أسره بأن من دخل فى حكمه وتحت أمره فهو فى الامان التام وأشاعوا أن ذلك بسبب فتنة وقعت بينه وبين صاحب افرنسية فخرج لبلش وأطاعته ثم بعث لمن والاه من البلاد انه أتى بصلح صحيح وعقد وثيق وأن من دخل تحت أمره امن من حركة النصارى عليه وأن معه وثائق بخطوط السلاطين فلم يقبل الناس ذلك الا القليل منهم مثل أهل البيازين فلهجوا بهذا الصلح وأقاموا على صحته الدلائل وتكلموا فى أهل غرناطة بالكلام القبيح مع تمكن الفتنة والعداوة فى القلوب فبعث له أهل البيازين انه اذا قدم بهذه الحجج لتلك الجهات اتبعه الناس وقاموا بدعوته من غير التباس فاتى على حين غفلة ولم يكن يظن اتيانه بنفسه فاتى البيازين ودخلها ونادى فى أسواقها بالصلح التام الصحيح فلم يقبل ذلك منه أهل غرناطة وقالوا ما بعهد لوشة من قدم ودخل ربض البيازين بالرجال سادس عشر شوال سنة احدى وتسعين وثمانمائة وعمه بالحمراء وانتقل للقلعة واشتد أمر الفتنة ثم ان صاحب قشتالة أمد صاحب البيازين بالرجال والعدة والمال والقمح والبارود وغيرها واشتد أمره بذلك وعظمت أسباب الفتنة وفشا فى الناس القتل والنهب ولم يزل الامر كذلك الى السابع والعشرين من محرم سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة فعزم أهل غرناطة مع سلطانهم على الدخول على البيازين عنوة وتكلم أهل العلم فيمن انتصر بالنصارى ووجوب مدافعته ومن أطاعه عصى الله ورسوله ودخلوا على أهل البيازين دخول فشل ثم ان صاحب غرناطة بعث الى الاجناد والقواد من أهل بسطة ووادى آش والمرية والمنكب وبلش ومالقة وجميع الاقطار وتجمعوا بغرناطة وتعاهدوا وتحالفوا على ان يدهم واحدة على أعداء الدين ونصرة من قصده العدو من المسلمين وخاف صاحب البيازين فبعث لصاحب قشتالة فى

على أعمالهم وأمر خالد بن عبد الله القسرى على مكة وقد كان خالد أحدث بمكة أحداثا منها انه أدار الصفوف حول الكعبة وقد كان قبل ذلك صفوف الناس فى الصلاة بخلاف ذلك وبلغه قول الشاعر

يا حبذا الموسم من موقف
وحبذا الكعبة من مسجد
وحبذا اللاتى تزاحمنا
عند استلام الحجر الاسود

فقال خالد أما انهن لا يزاحمنك بعدها أبدا ثم أمر بالتفريق بين الرجال والنساء فى الطواف وكان سليمان صاحب أكل كثير يجوز المقدار وكان يلبس الثياب الرقاق وثياب الوشى وفى أيامه عمل الوشى الجيد باليمن والكوفة والاسكندرية ولبس الناس جميعا الوشى جبابا واردية وسراويل وعمائم وقلانس وكان لا يدخل عليه رجل من أهل بيته الا فى الوشى وكذلك عماله وأصحابه ومن فى داره وكان لباسه فى ركوبه وجلوسه وعلى المنبر وكان لا يدخل عليه أحد من خدامه الا فى الوشى حتى الطباخ فانه كان يدخل اليه فى صدره وشى وعلى رأسه طويلة وشى وامر أن يكفن فى الوشى المثقلة وكان شبعه فى كل يوم من الطعام مائة رطل بالعراقى وكان ربما أتاه الطباخون بالسفافيد التى فيها الدجاج المشوية وعليه الوشى المثقلة فلتهمه وسوسه

ذلك فخرج بمحلته قاصدا نواحي بلش وكان صاحب البيازين بعث وزيره الى ناحية مالقة والى حصن المنشأة يذكر ويخوف ومعه النسخة من عقود الصلح فقامت مالقة وحصن المنشأة بدعوته ودخلوا في ايالته خوفا من صاحب قشتالة وصولته وطمعا في الصلح وصحته ثم اجتمع كبار مالقة مع أهل بلش وذكروا لهم سبب دخولهم في هذه الدعوة والسبب الحامل لهم على ذلك فلم يرجع أهل بلش عما عاهدوا عليه أهل غرناطة وسائر الاندلس من العهود والمواثيق وخرج صاحب قشتالة قاصدا بلش مالقة ونزل عليها في ربيع الثاني سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة وحاصرها ولما صح عند صاحب غرناطة ذلك اجتمع بالناس فاشاروا بالمسير لاغاثة بلش للعهد الذي عقدوه وأتى أهل وادي آش وغيرها وحشود البشرات وخرج صاحب غرناطة منها في الرابع والعشرين لربيع الثاني من السنة ووصل بلش فوجد العدو نازلا عليها برا وبحرا فنزل بجبل هنالك وكثر لغط الناس وحملوا على النصارى من غير تعبية وحين حركتهم للحملة بلغ السلطان الزغل أن غرناطة بايعت صاحب البيازين فالتقوا مع النصارى فشلين وقبل الالتحام انهزموا وتبددت جموعهم مع كون النصارى خائفين وجلين منهم ولا حول ولا قوة الا بالله فرجعوا منهزمين وقد شاع عند الخواص ثورة غرناطة على السلطان فقصدوا وادي آش وعاد النصارى الى بلش بعد أن كانوا رتبوا جيوشهم للقاء السلطان وأهل غرناطة فلما عادوا الى بلش دخلوا عنوة ربضها وضيقوا بها وكانت ثورة غرناطة خامس جمادى الاولى ولما رأى أهل بلش تكالب العدو عليهم وادبار جيوش المسلمين عنهم طلبوا الامان فخرجوا يوم الجمعة عاشر جمادى الاولى من السنة وأطاعت النصارى جميع البلاد التي بشرقي مالقة وحصن قارش ثم انتقل العدو الى حصار مالقة وكان أهل مالقة قد دخلوا في الصلح وأطاعوا صاحب البيازين وأتى اليها النصارى بالميرة ولما نزل بلش بعثوا هدية لصاحب قشتالة مع قائدهم وزير صاحب البيازين وقائد شريش الذي كان مأسورا عندهم فلم يلتفت اليهم صاحب قشتالة لقيام جبل فاره وهو حصن مالقة بدعوة صاحب وادي آش وارتحل صاحب قشتالة الى مالقة ونازلها برا وبحرا وقاتله أهلها قتالا عظيما بعدافعهم وعدتهم وخيلهم ورجلهم وطال الحصار حتى أداروا على مالقة من البر الخنادق والسور والاجفان من البحر ومنع الداخل اليها ولم يدخلها غير جماعة من المرابطين حال الحصار وحاربوا حربا شديدا وقربوا المدافع ودخلوا الارباض وضيقوا عليهم بالحصار الى أن فني ما عندهم من الطعام فاكلوا المواشي والخيل والحمير وبعثوا الكتب للعدوتين وهم طامعون في الاغاثة فلم يأت اليهم أحد وأثر فيهم الجوع وفشا في أهل نجدتهم القتل ولم يظهر وامع ذلك هلعا ولا ضعفا الى أن ضعف حالهم ويئسوا من ناصر أو مغيث من البر والبحر فتكلموا مع النصارى في الامان كما وقع ممن سواهم فعوتبوا على ما صدر منهم وما وقع من الجفاء وقيل لهم لما تحقق العدو التياثهم تؤمنون من الموت وتعطون مفتاح القلعة والحصن والسلطان ما يعامكم الا بالخير اذا فعلتم وهذا خداع من الكفار فلما تمكن العدو منهم أخذهم أسرى وذلك أواخر شعبان سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة ولم يبق في تلك النواحي موضع الا وملكه النصارى وفي عام ثلاثة وتسعين وثمانمائة

على الاكل يدخل يده في كمه حتى يقبض على الدجاجة وهي حارة فيفصلها وذكر الاصمعي قال ذكرت الرشيد نهم سليمان وتناوله الفراريج بكمه من السفافيد فقال قاتلك الله فما أعلمك بأخبارهم انه عرضت على جباب بني أمية فنظرت الى جباب سليمان واذا كل جبة منها في كمها أثر دهن فلم أدر ما ذلك حتى حدثني بالحديث ثم قال على بجباب سليمان فأتى بها فنظرنا فاذا تلك الآثار فيها ظاهرة فكساني منها جبة فكان الاصمعي ربما يخرج أحيانا فيها فيقول هذه جبة سليمان التي كسانيها الرشيد وذكر ان سليمان خرج من الحمام ذات يوم وقد اشتد جوعه فاستعجل الطعام ولم يكن فرغ منه فأمر أن يقدم ما لحق من الشواء فقدم اليه عشرون خروفا فأكل أجوافها كلها مع أربعين رقاقة ثم قرب بعد ذلك الطعام فأكل مع ندمائه كأنه لم يأكل شيأ وحكي انه كان يتخذ سلال الحلوى ويجعل ذلك حول مرقده فكان اذا قام من نومه يمد يده فلا تقع الا على سلة يأكل منها (حدث) المنقري عن العتبي عن اسحق بن ابراهيم بن الصباح بن مروان وكان مولى لبني أمية من أرض البلقاء من أعمال دمشق وكان حافظا لاخبار بني أمية قال لبس سليمان يوم الجمعة في ولايته

لباسا شهر بعو تعطر ودعا بعض ... بواحدة بعد

وثمانمائة خرج العدوّ الكافر الى الشرقية وبلش التى كانت فى الصلح فاستولى عليهما واحتجوا بالصلح فلم يلتفت اليهم وأخذ تلك البلاد كلها صلحا ثم رجع لبلاده * وفى عام أربعة وتسعين خرج لبعض حصون بسطة فأخذها بعد حرب واستولى على ماهنالك من الحصون ثم نازل بسطة وكان صاحب وادى آش لما تعين العدوّ بمحلاته بعث جميع جنده وقوّاده وحشد أهل نجدة تلك البلاد من وادى آش والمرية والمنكب والبشرات فلما نزل العدوّ بسطة أتت الحشود المذكورة ودخلوها ووقعت بين المسلمين والنصارى حروب عظيمة حتى تقهقر العدوّ عن قرب بسطة ولم يقدر على منع الداخل والخارج وبقى الامر كذلك رجب وشعبان ورمضان ومحلات المسلمين نازلة خارج البلد ثم ان العدوّ شدّ الحصار وجد فى القتال وقرب المدافع والآلات من الاسوار حتى منع الداخل والخارج بعض منع واشتد الحال فى القعدة والحجة وقل الطعام وفى آخر الحجة اختبروا الطعام فى خفية فلم يجدوا الا القليل وكانوا طامعين فى اقلاع العدوّ عند دخول فصل الشتاء واذا بالعدوّ بنى وعزم على الاقامة وقوى اليأس على المسلمين فتكلموا فى الصلح على مافعل غيرهم من الاماكن وظن العدوّ أن الطعام لم يبق منه شئ وان ذلك هو الملجئ لهم للكلام وفهم واعنه ذلك فاحتالوا فى اظهار جميع أنواع الطعام بالاسواق وأبدوا للعدوّ القوّة مع كونهم فى غاية الضعف والحرب خدعة فدخل بعض كبار النصارى للتكلم معهم وهو عين ليرى ماعليه البلد وماصفة الناس وعند تحققهم بقاء الطعام والقوّة أعطوهم الامان على أنفسهم دون من أعانهم من اهل وادى آش والمنكب والمرية والبشرات فان دفعوا هؤلاء عنهم صح لهم الامان والافلا فلم يوافق أهل البلد على هذا وطال الكلام وخاف أهل البلد من كشف الستر فاتفقوا على أن تكون العقدة على بسطة ووادى آش والمرية والمنكب والبشرات ففعلوا ذلك ودخل جميع هؤلاء فى طاعة العدوّ على شروط شرطوها وأمور اظهروا بعضها للناس وبعضها مكتوم وقبض الخواص مالا وحصلت لهم فوائد * وفى يوم الجمعة عاشر محرم سنة خمس وتسعين وثمانمائة دخل النصارى قلعة بسطة وملكوها ولم يعلم العوام كيفية ماوقع عليه الشرط والالتزام وقالوا لهم من بقى بوضعه فهو آمن ومن انصرف خرج بماله وسلاحه سالما ثم أخرج العدوّ المسلمين من البلد وأسكنهم بالربض خوف الثورة ثم ارتحل العدوّ للمرية وأطاعته جميع تلك البلاد ونزل صاحب وادى آش للمرية ليلقاه بها فلقيه وأخذ الحصون والقلاع والبروج وبايع له السلطان أبو عبد الله على أن يبقى تحت طاعته فى البلاد التى تحت حكمه كما أحب فوعده بذلك وانصرف معه الى وادى آش ومكنه من قلعتها أوائل صفر من العام المذكور وأطاعته جميع البلاد ولم يبق غير غرناطة وقراها وجميع ما كان فى حكم صاحب وادى آش صار للنصارى فى طرفة عين وجعل فى كل قلعة قائدا نصرانيا وكان قائد من المسلمين أصحاب هذه البلاد دفع لهم الكفار مالا من عند صاحب قشتالة اكراما منه لهم بزعمهم فتبا لعقولهم وما ذلك منه الا توفير لرجاله وعدته ودفع بالتى هى أحسن ثم أخذ برج الملاحة وغيره وبناه وحصنه وشحن الجميع بالرجال والذخيرة وأظهر العصبة والصلح مع صاحب وادى آش وأباح الكلام بالسوء فى حق

أخرى حتى رضى منها بواحدة فأرخى من سدولها وأخذ بيده مخصرة وعلا المنبر ناظرا فى عطفيه وجمع جمه وخطب خطبته التى أرادها فأعجبته نفسه فقال أنا الملك الشاب السيد المهاب الكريم الوهاب فتمثلت له جارية من بعض جواريه كان يحظاها فقال لها كيف ترين أمير المؤمنين قالت أراه منى النفس وقرة العين لولا ماقال الشاعر قال وماقال الشاعر قالت قال

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى
غير أن لا بقاء للانسان
أنت من لا يريبنا منك شئ
علم الله غير أنك فانى
ليس فيما بدا لنا منك عيب
ياسليمان غير أنك فانى

فدمعت عيناه وخرج على الناس باكيا فلما فرغ من خطبته وصلاته دعا بالجارية فقال لها مادعاك الى ماقلت لأمير المؤمنين قالت والله مارأيت أمير المؤمنين اليوم ولادخلت عليه فأكبر ذلك ودعا بقيمة جواريه فصدقتها فى قولها فراع ذلك سليمان ولم ينتفع بنفسه ولم يمكث بعد ذلك الا مدة حتى توفى وكان سليمان يقول قد أكلنا الطيب ولبسنا اللين وركبنا الفاره ولم يبق لذة الا صديق أطرح معه فيما بينى وبينه مؤنة التحفظ ودخل عليه يزيد

صاحب غرناطة مكرا منه وخداعا ودهاء ثم بعث في السنة نفسها رسلا لصاحب غرناطة
أن يمكنه من الحمراء كما مكنه عمه من القلاع والحصون ويكون تحت ايالته ويعطيه مالا
جزيلا على ذلك وأي بلاد شاء من الاندلس يكون فيها تحت حكمه قالوا وأطمعه صاحب
غرناطة في ذلك فخرج العدو في محلاته لقبض الحمراء والاستيلاء على غرناطة وهذا في سر بين
السلطانين فجمع صاحب غرناطة الاعيان والكبراء والاجناد والفقهاء والخاصة والعامة
وأخبرهم بما طلب منه العدو وأن عمه أفسد عليه الصلح الذي كان بينه وبين صاحب قشتالة
بدخوله تحت حكمه وليس لنا الا احدى خصلتين الدخول في طاعته أو القتال فاتفق
الرأي على الجهاد والوفاء بما عقده من صلح وخرج بمحلته ان صاحب قشتالة نزل على مرج
غرناطة وطلب من اهل غرناطة الدخول في طاعته والا أفسد عليهم زرعهم
فاعلنوا بالمخالفة فأفسد الزرع وذلك في رجب سنة خمس وتسعين ووقعت بين المسلمين والعدو
حروب كثيرة ثم ارتحل العدو عند الاياس منهم ذلك الوقت وهدم بعض حصون واصلح برج
همدان والملاحة وشحنهما بما ينبغي ثم رجع الى بلاده وعند انصرافه نزل صاحب غرناطة
بمن معه الى بعض الحصون التي في يد النصارى ففتحها عنوة وقتل من فيها من النصارى
وأسكنها المسلمين ورجع لغرناطة ثم أعمل الرحلة الى البشرات في رجب المذكور فأخذ
بعض القرى وهرب من بها من النصارى والمرتدين أصحابهم ثم أتى حصن اندرش فتمكن
منه وأطاعته البشرات وقامت دعوة الاسلام بها وخرجوا عن ذمة النصارى وهنالك عمه
أبو عبد الله محمد بن سعد بمحلة وافرة فقصدهم في شعبان من غرناطة واستقر عمه بالمرية
واطاعت صاحب غرناطة جميع البشرات الى برجة ثم تحرك عمه مع النصارى الى اندرش
فأخذوها في رمضان وخرج صاحب غرناطة لقرية همدان وكان برجها العظيم مشحونا
بالرجال والعدة والطعام فحاصره أهل غرناطة ونصبوا عليه أنواعا من الحرب ومات فيه خلق
كثير منهم ونقبوا البرج الاول والثاني والثالث وألجؤهم للبرج الكبير وهو القلعة
فنقبوها ثم أسروا من كان بها وهم ثمانون ومائة واحتووا على ما هنالك من عدة وآلات
حرب * وفي آخر رمضان خرج صاحب غرناطة بقصد المنكب فلما وصل حصن شلوبانية نزله
وأخذه عنوة بعد حصاره وامتنعت القلعة وجاءتهم الامداد من مالقة بحرا فلم تقدر على شئ
وضيقوا بالقلعة فوصلهم الخبر أن صاحب قشتالة خرج بمحلته لمرج غرناطة فارتحل صاحب
غرناطة عن قلعة شلوبانية وجاء غرناطة ثالث شوال وبعد وصوله لغرناطة وصل العدو الى
المرج ومعه المرتدون والمدجنون وبعد ثمانية أيام ارتحل العدو لبلاده بعد هدم برج
الملاحة واخلائه وبرج آخر وتوجه الى وادي آش فأخرج المسلمين منها ولم يبق بها مسلم في
المدينة ولا الربض وهدم قلعة اندرش وخاف على البلاد ولما رأى ذلك السلطان الزغل
وهو أبو عبد الله محمد بن سعد عم سلطان غرناطة بادر بالجواز لبر العدوة فجاز لوهران ثم
لتلمسان واستقر بها وبها نسله الى الآن يعرفون ببني سلطان الاندلس ودخل صاحب
قشتالة لاقاصي مملكته بسبب فتنة بينه وبين الافرنج ثم تحرك صاحب غرناطة على برشانة
وحاصرها وأخذها وأسر من كان بها من النصارى وأرادت فتيانه القيام على النصارى بغاء

صاحب

ابن أبي مسلم كاتب الحجاج والمستولي عليه وهو مكبل بالحديد فلما رآه ازدراه فقال ما رأيت كاليوم قط
لعن الله رجلا أجرك رسنه
وحكمك في أمره فقال له
يزيد لا تفعل يا أمير المؤمنين
فانك رأيتني والامر عني
مدبر وعليك مقبل ولو
رأيتني والامر مقبل علي
لاستعظمت مني ما استصغرت
ولاستجللت مني ما استحقرت
قال صدقت فاجلس لا أم
لك فلما استقر به المجلس
قال له سليمان عزمت
عليك لتخبرني عن الحجاج
ما ظننك به أتراه يهوي بعد
في جهنم أم قد استقر فيها قال
يا أمير المؤمنين لا تقل هذا
في الحجاج فقد بذل لكم نصحه
وأحقن دونكم دمه وأمن
وليكم وأخاف عدوكم وانه
يوم القيامة لعن يمين أبيك
عبد الملك ويسار أخيك
الوليد فاجعله حيث شئت
فصاح سليمان اخرج عني
الى لعنة الله ثم التفت الى
جلسائه فقال قبحه الله
ما كان أحسن ترتيبه لنفسه
ولصاحبه ولقد أحسن
المكافأة أطلقوا سبيله
(ودخل) عليه أبو حازم
الاعرج فقال يا أبا حازم
ما لنا نكره الموت قال
لانكم عمرتم دنياكم
وأخربتم آخرتكم فانتم
تكرهون النقلة من العمران
الى الخراب قال فاخبرني
كيف القدوم على الله قال أما المحسن فكالغائب يأتي أهله مسرورا وأما المسيء

صاحب وادى آش فقتل فيهم * وفى القعدة من السنة رفع صاحب غرناطة من السند وخلت تلك الاوطان من الانس * وفى ثانى عشرى جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وثمانمائة خرج العدوّ بمحلاته الى مرج غرناطة وأفسد الزرع ودوّخ الارض وهدم القرى وأمر ببناء موضع بالسور والحفير وأحكم بناءه وكانوا يذكرون انه عزم على الانصراف فاذا به صرف الهمة الى الحصار والاقامة وصار يضيق على غرناطة كل يوم ودام القتال سبعة أشهر واشتد الحصار بالمسلمين غير أن النصارى على بعد والطريق بين غرناطة والبشرات متصلة بالمرافق والطعام من ناحية جبل شلير الى أن تمكن فصل الشتاء وكلب البرد ونزل الثلج فانسد باب المرافق وانقطع الجالب وقل الطعام واشتد الغلاء وعظم البلاء واستولى العدوّ على أكثر الاماكن خارج البلد ومنع المسلمين من الحرث والسبب وضاق الحال وبان الاختلال وعظم الخطب وذلك أوّل عام سبعة وتسعين وثمانمائة وطمع العدوّ فى الاستيلاء على غرناطة بسبب الجوع والغلاء دون الحرب ففر ناس كثيرون من الجوع الى البشرات ثم اشتد الامر فى شهر صفر من السنة وقل الطعام وتفاقم الخطب فاجتمع ناس مع من يشار اليه من أهل العلم وقالوا انظروا فى أنفسكم وتكلموا مع سلطانكم فاحضر السلطان أهل الدولة وأرباب المشورة وتكلموا فى هذا المعنى وان العدوّ يزداد مدده كل يوم ونحن لا مدد لنا وكان ظننا انه يقلع عنا فى فصل الشتاء فخاب الظن وبنى وأسس وأقام وقرب منا فانظروا لانفسكم وأولادكم فاتفق الرأى على ارتكاب أخف الضررين وشاع أن الكلام وقع بين النصارى ورؤساء الاجناد قبل ذلك فى اسلام البلد خوفا على نفوسهم وعلى الناس ثم عددوا مطالب وشروطا أرادوها وزادوا أشياء على ما كان فى صلح وادى آش منها ان صاحب رومة يوافق على الالتزام والوفاء بالشرط اذا مكنوه من حمراء غرناطة والمعاقل والحصون ويحلف على عادة النصارى فى العهود وتكلم الناس فى ذلك وذكروا أن رؤساء أجناد المسلمين لما خرجوا للكلام فى ذلك امتن عليهم النصارى بمال جزيل وذخائر ثم عقدت بينهم الوثائق على شروط قرئت على أهل غرناطة فانقادوا اليها ووافقوا عليها وكتبوا البيعة لصاحب قشتالة فقبلها منهم ونزل سلطان غرناطة من الحمراء * وفى ثانى ربيع الاول من السنة أعنى سنة سبع وتسعين وثمانمائة استولى النصارى على الحمراء ودخلوها بعد أن استوثقوا من أهل غرناطة بنحو خمسمائة من الاعيان رهنا خوف الغدر وكانت الشروط سبعة وستين منها تأمين الصغير والكبير فى النفس والاهل والمال وابقاء الناس فى أماكنهم ودورهم ورباعهم وعقارهم ومنها اقامة شريعتهم على ما كانت ولا يحكم على أحد منهم الا بشريعتهم وان تبقى المساجد كما كانت والاوقاف كذلك وأن لا يدخل النصارى دار مسلم ولا يغصبوا أحدا وأن لا يولى على المسلمين نصرانى أو يهودى ممن يتولى عليهم من قبل سلطانهم قبل وأن يفتك جميع من أسر فى غرناطة من حيث كانوا وخصوصا أعيانا نص عليهم ومن هرب من أسارى المسلمين ودخل غرناطة لا سبيل عليه لمالكه ولا سواه والسلطان يدفع ثمنه لمالكه ومن أراد الجواز للعدوة لا يمنع ويجوزون فى مدة عينت فى مراكب السلطان لا يلزمهم الا الكراء ثم بعد تلك المدة يعطون عشر مالهم والكراء وأن لا يؤخذ أحد بذنب غيره وأن

فكالعبد الآبق يأتى مولاه محزونا قال فأى الاعمال أفضل قال أداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال فأى القول أعدل قال كلمة حق عند من تخاف وترجو قال فاى الناس أعقل قال من عمل بطاعة الله قال فأى الناس أجهل قال من باع آخرته بدنيا غيره قال عظنى وأوجز قال يا أمير المؤمنين نزه ربك وعظمه أن يراك بحيث مانهاك عنه أو يفقدك من حيث أمرك به فبكى سليمان بكاء شديدا فقال له بعض جلسائه أسرفت ويحك على أمير المؤمنين فقال له أبو حازم اسكت فان الله عز وجل أخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه ثم خرج فلما صار الى منزله بعث اليه سليمان بمال فرده وقال للرسول قل له والله يا أمير المؤمنين ما أرضاه لك فكيف أرضاه لنفسى وذكر اسحق بن ابراهيم الموصلى قال حدثنى الاصمعى عن شيخ من المهالبة قال دخل اعرابى على سليمان فقال له يا أمير المؤمنين انى أريد أن أكلمك بكلام فافهمه فقال له سليمان انا نجود بسعة الاحتمال على من لا نرجو نصحه ولا نأمن غشه وارجو ان تكون الناصح جيبا المأمون غيبا فهات قال يا أمير المؤمنين أما اذا أمنت بادرة غضبك فسأطلق لسانى بما خرست به الالسن من عظمتك تأدية لحق الله وحق أمانتك

لا يقهر من أسلم على الرجوع للنصارى ودينهم وان من تنصر من المسلمين يوقف أياما حتى يظهر حاله ويحضر له حاكم من المسلمين وآخر من النصارى فان أبى الرجوع الى الاسلام تمادى على ما أراد ولا يعاتب على من قتل نصرانيا أيام الحرب ولا يؤخذ منه ما سلب من النصارى أيام العداوة ولا يكلف المسلم بضيافة أجناد النصارى ولا يسفر لجهة من الجهات ولا يزيدون على المغارم المعتادة وترفع عنهم جميع المظالم والمغارم المحدثة ولا يطلع نصرانى للسور ولا يتطلع على دور المسلمين ولا يدخل مسجدا من مساجدهم ويسير المسلم فى بلاد النصارى آمنا فى نفسه وماله ولا يجعل علامة كما يجعل اليهود وأهل الدجن ولا يمنع مؤذن ولا مصل ولا صائم ولا غيره من أمور دينه ومن ضحك منهم يعاقب ويتركون من المغارم سنين معلومة وأن يوافق على كل الشروط صاحب رومة ويضع خط يده وأمثال هذا مما تركنا ذكره وبعد انبرام ذلك ودخول النصارى للحمراء والمدينة جعلوا قائدا بالحمراء وحكاما ومقدمين بالبلد ولما علم ذلك أهل البشرات دخلوا فى هذا الصلح وشملهم حكمه على هذه الشروط ثم أمر العدو الكافر ببناء ما يحتاج اليه فى الحمراء وتحصينها وتجديد بناء قصورها واصلاح سورها وصار الطاغية يختلف الى الحمراء نهارا ويبيت بمحلته ليلا الى أن اطمأن من خوف الغدر فدخل المدينة وتطوف بها وأحاط خبرا بما يرومه ثم أمر سلطان المسلمين أن ينتقل لسكنى البشرات وانها تكون له فى سكناه باندرش فانصرف اليها وأخرج الاجناد منها ثم احتال فى ارتحاله لبر العدوة وأظهر ان ذلك طلب منه المذكور فكتب لصاحب المرية انه ساعة وصول كتابى هذا الاسبيل لاحد أن يمنع مولاى أبا عبد الله من السفر حيث أراد من بر العدوة ومن وقف على هذا الكتاب فليصرفه ويقف معه وفاء بما عهد له فانصرف فى الحين بنص هذا الكتاب وركب البحر ونزل بمليلة واستوطن فاسا وكان قبل طلب الجواز لناحية مراكش فلم يسعف بذلك وحين جوازه لبر العدوة لقى شدة وغلاء وبلاء ثم ان النصارى نكثوا العهد ونقضوا الشروط عروة عروة الى أن آل الحال لحملهم المسلمين على التنصر سنة أربع وتسعمائة بعد أمور وأسباب أعظمها وأقواها عليهم أنهم قالوا ان القسيسين كتبوا على جميع من كان أسلم من النصارى أن يرجعوا قهرا للكفر ففعلوا ذلك وتكلم الناس ولا جهد لهم ولا قوة ثم تعدوا الى أمر آخر وهو ان يقولوا للرجل المسلم ان جدك كان نصرانيا فأسلم فترجع نصرانيا ولما فحش هذا الأمر قام أهل البيازين على الحكام وقتلوهم وهذا كان السبب للتنصر قالوا الان الحكم خرج من السلطان ان من قام على الحاكم فليس الا الموت الا أن يتنصر فينجو من الموت وبالجملة فانهم تنصروا عن آخرهم بادية وحاضرة وامتنع قوم من التنصر واعتزلوا النصارى فلم ينفعهم ذلك وامتنعت قرى وأماكن كذلك منها بلفيق واندرش وغيرهما فجمع لهم العدو الجموع واستأصلهم عن آخرهم قتلا وسبيا الا ما كان من جبل بللنقة فان الله تعالى أعانهم على عدوهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة مات فيها صاحب قرطبة وأخرجوا على الامان الى فاس بعيالهم وما خف من أموالهم دون الذخائر ثم بعد هذا كله كان من أظهر التنصر من المسلمين يعبد الله فى خفية ويصلى فشدد عليهم النصارى فى البحث حتى انهم أحرقوا منهم كثيرا بسبب ذلك ومنعوهم من

يا أمير المؤمنين انه قد تكنفك رجال أساؤا الاحسان لانفسهم ابتاعوا دنياهم بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك فى الله ولم يخافوا الله فيك حرب للآخرة سلم للدنيا فلا تأمنهم على ما يأمنك الله عليه فانهم لم يأتوا الا ما فيه تضييع وللامة خسف وعسف وانت مسؤل عما اجترموا وليسوا مسؤلين عما اجترمت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان أعظم الناس غبنا بائع آخرته بدنيا غيره فقال له سليمان أما أنت يا اعرابى فقد سللت لسانك وهو أقطع من سيفك فقال أجل يا أمير المؤمنين لك لا عليك فقال سليمان أما وأبيك يا اعرابى لا تزال العرب بسلطاننا لا كناف العز متبوئه ولا تزال أيام دولتنا بكل خير مقبله ولئن ساسكم ولاة غيرنا ليعمدن منا ما أصبحتم تذمون فقال الاعرابى أما اذا رجع الامر الى ولد العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم وصنو أبيه ووارث ما جعله الله له أهلا فلا فتغافل سليمان كأن لم يسمع شيأ وخرج الاعرابى فكان آخر العهد بهذا الخبر أخبرنى به بعض شيوخ ولد العباس بمدينة السلام مدينة أبى جعفر المنصور وهو ابن بريهة المنصورى عن أبيه عن على بن جعفر الدوفلى

حمل السكين الصغيرة فضلا عن غيرها من الحديد وقاموا في بعض الجبال على النصارى مرارا ولم يقيض الله تعالى لهم ناصرا الى أن كان اخراج النصارى اياهم بهذا العصر القريب أعوام سبعة عشر وألف فخرجت ألوف بفاس وألوف أخر بتلمسان من وهران وجمهورهم خرج بتونس فتسلط عليهم الاعراب ومن لا يخشى الله تعالى في الطرقات ونهبوا أموالهم وهذا ببلاد تلمسان وفاس ونجا القليل من هذه المضرة وأما الذين خرجوا بنواحي تونس فسلم أكثرهم وهم لهذا العهد عمروا قراها الخالية وبلادها وكذلك بتطاون وسلا وفيجة الجزائر ولما استخدم سلطان المغرب الاقصى منهم عسكرا جرارا وسكنوا سلا كان منهم من الجهاد في البحر ما هو مشهور الآن وحصنوا قلعة سلا وبنوا بها القصور والحمامات والدور وهم الآن بهذا الحال ووصل جماعة الى القسطنطينية العظمى والى مصر والشام وغيرها من بلاد الاسلام وهم لهذا العهد على ما وصف والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين والسلطان المذكور الذي أخذت على يده غرناطة هو أبو عبد الله محمد الذي انقرضت بدولته مملكة الاسلام بالاندلس ومحيت رسومها ابن السلطان أبي الحسن ابن السلطان سعد ابن الامير علي ابن السلطان يوسف ابن السلطان محمد الغني بالله واسطة عقدهم ومشيد مبانيهم الانيقة وسلطان دولتهم على الحقيقة وهو المخلوع الوافد على الاصقاع المرينية بفاس العائد منها الملكه في أرفع الصنائع الرحمانية العاطرة الانفاس وهو سلطان لسان الدين ابن الخطيب وقد ذكرنا جملة من أخباره في غير هذا الموضع ابن السلطان أبي الحجاج يوسف بن السلطان اسمعيل قاتل سلطان النصارى دون بطرة بمرج غرناطة ابن فرج بن اسمعيل بن يوسف بن نصر بن قيس الانصاري الخزرجي رحمهم الله تعالى جميعا وانتهى السلطان المذكور بعد نزوله بمليلة الى مدينة فاس بأهله وأولاده معتذرا عما أسلفه متلهفا على ما خلفه وبنى بفاس بعض قصور على طريق بنيان الاندلس رأيتها ودخلتها وتوفي رحمه الله تعالى بفاس عام أربعين وتسعمائة ودفن بازاء المصلى خارج باب الشريعة وخلف ولدين اسم أحدهما يوسف والآخر أحمد وعقب هذا السلطان الى الآن بفاس وعهدي بذريته بفاس الى الآن سنة ١٠٣٧ يأخذون من أوقاف الفقراء والمساكين ويعدون من جملة الشحاذين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم * وقد رأيت أن أذكر هنا الرسالة التي كتب بها المخلوع المذكور الى سلطان فاس الشيخ الوطاسي وهي من انشاء الكاتب المجيد البارع البليغ أبي عبد الله محمد بن عبد الله العربي العقيلي رحمه الله تعالى وسماها بالروض العاطر الانفاس في التوسل الى المولى الامام سلطان فاس ونصها بعد الافتتاح

مولى الملوك ملوك العرب والعجم * رعيا لما مثله يرعى من الذمم
بك استجرنا ونعم الجار أنت لمن * جار الزمان عليه جور منتقم
حتى غدا ملكه بالرغم مستلبا * وأفظع الخطب ما يأتي على الرغم
حكم من الله حتم لا مرد له * وهل مرد لحكم منه منحتم
وهي الليالي وقاك الله صولتها * تصول حتى على الآساد في الاجم
كنا ملوكا لنا في أرضنا دول * نمنا بها تحت أفنان من النعم

على وجهه وأرواح من سلف من آبائه وقال كان والله هزله جدا وجده علما والله ما رؤي مثل معاوية كان والله غضبه حلما وحلمه حكما وقيل ان هذا الكلام لعبد الملك وكتب سليمان الى خالد بن عبد الله القسري وهو على العراق في رجل استجار به من قريش وكان هرب من خالد أن لا يعرض له فأتاه بالكتاب فلم يفضه حتى ضربه مائة سوط ثم قرأه فقال هذه نقمة أراد الله أن ينتقم بها منك لتركي قراءة الكتاب ولو كنت قرأته لانفذت ما فيه فخرج القرشي راجعا الى سليمان فسأله الفرزدق وأناس ممن كان بالباب عما صنع خالد فأخبرهم فقال الفرزدق في ذلك

سلوا خالدا لا قدس الله خالدا
متى وليت قسرا قريشا تدينها
أقبل رسول الله أم بعد عهده
فأصبحت قريش قد أغث سمينها
رجونا هداه لا هدى الله سعيه
وما أمه بالام يهدى جنينها

فلما بلغ سليمان ذلك توجه الى خالد من ضربه مائة سوط فقال الفرزدق في ذلك من أبيات

لعمري لقد صبت على ظهر خالد * شآبيب ليست من سحاب ولا قطر

أتضرب في العصيان من ليس عاصيا * ٦٢٨ وتعصى أمير المؤمنين أخا فهم

فلولا يزيد بن المهلب حلقت
بكفك فتخاء الى الفرخ في الوكر

لعمرى لقد سار ابن سيبة سيرة
أرتك نجوم الليل مظاهرة تجرى

فخذ بيديك الخزى حقا فانما
جزيت قصاصا بالمرجرجة السمر

وقال سليمان لعمر بن عبد العزيز يوما وقد أعجبه سلطانه كيف ترى ما نحن فيه قال سرور لولا أنه غرور وحياة لولا أنه موت وملك لولا أنه هلك وحسن لولا أنه حزن ونعيم لولا أنه عذاب أليم فبكى سليمان من كلامه وكان سليمان بخلاف الوليد وعلى الضد منه في الفصاحة والبلاغة وقد كان الوليد أفسد في أرض لعبد الله بن يزيد بن معاوية فشكا ذلك أخوه خالد بن يزيد الى عبد الملك فقال ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها الآية فقال له خالد واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها الآية فقال عبد الملك أفى عبد الله يتكلم وبالامس دخل على فغير في لسانه ولحن في كلامه فقال أفعلى الوليد يقول قال ان كان الوليد يلحن فسليمان أخوه قال خالد وان كان عبد الله وما

فايقظتنا سهام للردى صيب * يرمى بأفجع حتف من بهن رمى
فلا تنم تحت ظل الملك نومتنا * وأى ملك بظل الملك لم ينم
يبكى عليه الذى قد كان يعرفه * بأدمع مزجت أمواهها بدم
كذلك الدهر لم يبرح كما زعموا * يشم بنو الصغار الانف ذا الشمم
وصل أواصر قد كانت لنا اشتبكت * فالملك بين ملوك الارض كالرحم
وابسط لنا الخلق المرجو باسطه * واعطف ولا تصرف واعذر ولا تلم
لا تأخذونا بأقوال الوشاة ولم * تذنب ولو كثرت أقوال ذى الوخم
فما أطقنا دفاعا للقضاء ولا * أرادت انفسنا ما حل من نقم
ولا ركوبا بأزعاج لسابحة * فى زاخر بأكف الموج ملتطم
والمرء ما لم يعنه الله أضيع من * طفل تشكى بفقد الام فى اليتم
وكل ما كان غير الله يحرسه * فان محروسه لحم على وضم
كن كالسموأل اذ سار الهمام له * فى جحفل كسواد الليل مرتكم
فلم يهم أدرع الكندى وهو يرى * ان ابنه البر قد أشفى على الرجم
أو كالمعلى مع الضليل الاروع اذ * أجاره من أعاريب ومن عجم
وصار يشكره شكرا يكافئ ما * أسدى اليه من الآلاء والنعم
ولا تعاتب على أشياء قد قدرت * وخط مسطورها فى اللوح بالقلم
وعد عما مضى اذ لا ارتجاع له * وعد أحرارنا فى جملة الخدم
ايه حنانيك يا ابن الاكرمين على * ضيف ألم بفاس غير محتشم
فأنت أنت ولولا أنت ما نهضت * بنا اليها خطا الوخادة الرسم
رحماك يا راحما ينمى الى رحما * فى النفس والاهل والاتباع والحشم
فكم مواقف صدق فى الجهاد لنا * والخيل عالكة الاشداق للجم
والسيف يخضب بالمحمر من علق * ما ابيض من سبل واسود من لمم
ولا ترى صدر عضب غير منقصف * ولا ترى متن لدن غير منحطم
حتى دهينا بدهيا الاقتدار بها * سوى على الصون للاطفال والحرم
فقال من لم يشاهدها فرنتما * بخال جاحمها يقتاد بالخطم
هيهات لو زبنته الحرب كان بها * أعيى يدا من يد جالت على رحم
تالله ما أضمرت غشا ضمائرنا * ولا طوت صحة منها على سقم
لكن طلبنا من الامر الذى طلبت * ولا تناقلنا فى الاعصر الدهم
فقاتنا عنده الجد الحرون ومن * تقعد به نكبات الدهر لم يقم
فاسود ما اخضر من عيش دهته عدا * بالاسمر اللدن أو بالابيض الخذم
وشتت البين شملا كان منتظما * والبين أقطع للوصول من جلم
فرب مبنى شديد قد أناخ به * ركب البلا فقرته أدمع الديم
فنالديه أصيلانا نسائله * أعيا جوابا وما بالربع من أرم

وما ظننا بأن تبقى الى زمن * نرى به غرور الاحباب كالحلم
لكن رضا بالقضا الجاري وان طويت * منا الضلوع على برح من الالم
لبيك يامن دعانا نحو حضرته * دعاء ابراهيم الحجاج للحرم
واعط الامان الذى رصت قواعده * على أساس وفاء غير منهدم
خليفة الله واقاك العبيد فكن * في كل فضل وطول عند ظنهم
وبين أسلافنا ماقد علمت به * من اعتقاد بحكم الارث مقتسم
وأنت منهم كأصل مطلع غصنا * أوكالثمر الذى قد قدم من أدم
وقد خطوت خطاهم في مآثرهم * فلم يذموا اذن فيها ولم تذم
وصيت مولى الورى الشيخ الامام غدا * في الناس أشهر من نار على علم
سلالة الامراء الجلة الكبرا * العلية الطهراء القادة البهم
بنو مرين ليوث في عرين أبوا * رؤيا قرين لهم في الباس والكرم
النازلين من البيضاء وسط حمى * أحمى من الابلق السامي ومن ارم
والجائسين بدهم الخيل كل ذرا * والداعسين بسمر الخط كل كمي
من يلق فارسهم ان هز عامله * في مارق بلظى الهيجاء مضطرم
ليثا على أجدل عار من اجنحة * يسطو بارقم لذاغ بغير فم
في اللام يدغم من عساله ألفا * ولم نجد ألفا أصلا بمدغم
أهل الحفيظة يوم الروع يحفظهم * من عصمة الله ماير بي على العصم
يامن تطير شرار منه محرقة * لكل مدرع بالحزم محتزم
هم وطائفة التثليث قد فتكوا * كمثل مايفتك السرحان بالغنم
وان يلمهم يوم الوغى رهج * أنسوك ماذكروه من ذوى اللثم
تضىء آراؤهم في كل معضلة * اضاءة السرج في داج من الظلم
هذا ولو من حياء ذاب محتشم * لذاب منهم حياء كل محتشم
طابت مدائحهم اذ طابت انفسهم * فاشتقت النسمات اسما من النسم
لله درهم والسحب باخلة * يدرهن على الانعام والنعم
بحيث الافق يرى من لون حمرته * كالشيب يخضب بالحناء والكتم
هنالك تنهل أيديهم بصوب حيا * يحيا بالاجداث مافيها من الرمم
وان يبقى زياد طالما ذكروا * اذا ألمت أحاديث بذكرهم
أحلام عادوا جسام مطهرة * من المعقة والآفات والاثم
يرون حقا عليهم حفظ جارهم * فلم يضر نازل فيهم ولم يضم
فروعهم بالدواهي لايراع ولا * يغم منها بما يعروه من الغمم
هم البحار سماحا غير أن بها * ماقد أناف على الاطواد من همم
وليس يسلم من حتف محاربهم * حتى يكون اليهم ملتقى السلم
كم فيهم من أمير أوحد ندس * يقرطس الغرض المقصود بالفهم

محاناقأخو خالد فقال الوليد أتتكلم ولست في العير ولا في النفير قال خالد ألم تسمع ما يقول أمير المؤمنين أنا والله ابن العير والنفير ولو قلت حبيلات وغنيمات والطائف قلنا صدقت أراد بذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفى الحكم بن أبي العاص الى الطائف فصار راعيا حتى رده عثمان وغضب سليمان على خالد القسري فلما دخل عليه قال ياأمير المؤمنين ان القدرة تذهب الحفيظة وانك تجل عن العقوبة فان تعف فاهل لذلك أنت وان تعاقب فاهل ذلك أنا فعفا عنه وذم رجل في مجلس سليمان الكلام فقال سليمان انه من تكلم فاحسن قدر على أن يصمت فيحسن ووقف سليمان على قبر ولده أيوب وبه كان يكنى فقال اللهم انى أرجوك له وأخافك عليه فحقق رجائي وآمن خوفي (قال المسعودي) ولما دفن سليمان سمع بعض كتابه وهو يقول أبياتا منها

وما سالم عما قليل بسالم * وان كثرت أحراسه وكتائبه
ومن يك ذا باس شديد ومنعة * فعما قليل يهجر الباب حاجبه
ويصبح بعد الحجب للناس مقصيا * رهينة بيت لم تستر جوانبه
فما كان الا الدفن حتى تفرقت * الى غيره أحراسه وكتائبه

واصبح مسرورا به كل كاشح ٭ ٦٢ وأسلمه أحبابه وأقاربه ٭ فنفسك أكسبها السعادة جاهدا ٭ فكل امرئ رهن بما هو كاسبه

ولا كبسط أبي حسون من حسنت ٭ أمداحه حسن ما فيه من الشيم
هذا كما ابن أبي ذكرى الهمام فقل ٭ في أصله المنتقى من مجده العمم
خليفة الله حقا في خليقته ٭ كنائب ناب في حكم عن الحكم
مهما انبرت سمات منه نيرة ٭ تنل بشأوه ما جل من نعم
فوجهه بدا أو كفه يجدى ٭ أبهى من الزهر وأندى من الديم
وفضله وله الفضل المبين جرى ٭ بجرى الامثال في الاقطار والامم
وجوده المتوالى للبرية ما ٭ وجوده بينها طرا بمنهدم
اذا ابتغت نعما منه العفاة له ٭ لم يسمعوا كلمة منه سوى نعم
وان يعبس زمان في وجوههم ٭ لم يبصروا غير وجه منه مبتسم
وجه تبين سمات المكرمات به ٭ كما تبين سمات الصدق في الكلم
وراحة لم تزل في كل آونة ٭ في نيلها راحة الشاكى من العدم
لله ما التزمته من نوافله ٭ أيام لا فرض مفروض بملتزم
انسى الخلائف في حلم وفي شرف ٭ وفي سخاء وفي علم وفي فهم
فحاز معتمدا منهم ومعتضدا ٭ وامتاز عن واثق منهم ومعتصم
وناصر الدين في الاقبال فاق وفي ٭ محبة العلم ازرى بابنه الحكم
افعال أعدائه معتلة أبدا ٭ متى يرم جزمها بالحذف تنجزم
فويل أهل القلى من حيث ذكر ٭ للؤتلب اللهام الجسر ملتقم
راموا عداوة من ان شاء غادرهم ٭ مثل الاحاديث عن عاد وعن ارم
فسوف يأ كلهم من جيشه لجب ٭ بكل قرم الى لحمانهم قرم
وان الاعراب اذ ساروا الغابته ٭ لسائرون الى لقم على لقم
وهم كما قاله ماض أرى قدمى ٭ بسعيه نحو حتفي قد أراق دمى
فقل اذن للناوى الناولان أذى ٭ يا غرغرك ما أبصرت في الحلم
له صوارم لو ناجتك ألسنها ٭ لبشرتك بعمر منك منصرم
وان رحلت عن قرب سيقبضه ٭ قبض المسلم ما قد حاز من سلم
فهو الذى ما له ند يشابهه ٭ من كل متصف بالدهى متسم
يدبر الامر تدبيرا يخلصه ٭ مما عسى أن يرى فيه من الوهم
ويبصر الغيب لحظ الذهن منه اذا ٭ تعمى عن ادراكه ألحاظ كل عمى
وينعم النظر المفضى بناظره ٭ لصوب وجه صواب واضح اللقم
ذو منطق لم تزل تجلو تنائجه ٭ عن مبطل بخصام المبطل الخصم
ومسمع ليس يصغى للوشاة فلم ٭ ينفق لديه الذى عنهم اليه نمى
فعقله لا توازيه العقول وهل ٭ يوازن الطود ما قد طال من أكم
٢ أيد جميع الورى من بدو وحضر ٭ فداء مرتبط بالنصر مرتسم
شدوا وجدوا ولا تعنوا ولا تهنوا ٭ قد لفها الليل بالسواقة الحطم

(قال المسعودى) ولسليمان أخبار حسان لما كان في مدة ملكه من الكوائن وقد أتينا على مبسوط ذلك في كتابنا أخبار الزمان والاوسط وانما نذكر في هذا الكتاب لمعا طلبا للايجاز وميلا الى الاختصار وبالله التوفيق

٭(ذكر خلافة عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم)٭

واستخلف عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة تسع وتسعين وهو اليوم الذى مات فيه سليمان وتوفى بدير سمعان من أعمال حمص مما يلى بلاد قنسرين يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة احدى ومائة فكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام وقبض وهو ابن تسع وثلاثين سنة وقبره مشهور في هذا الموضع الى هذه الغاية معظم يغشاه كثير من الناس من الحاضرة والبادية لم يتعرض لنبشه فيما سلف من الزمان كما تعرض لقبور غيره من بنى أمية وأمه بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل انه قبض وهو ابن أربعين سنة وقيل ابن احدى وأربعين سنة وقد تنوزع أيضا في مقدار مدته في الخلافة وقد أتينا على المحصل من ذلك في باب

هذا

هذا الامام المريني السعيد له * سعد يؤيده في كل مصطدم
قد اقسمت أنه المنصور السنة * من نخبة الاولياء مبرورة القسم
فشيعوه ووالوه تروا عجبا * وتظفروا معه بالاجر والغنم
والحمد لله اذ أبقى خلافته * كهفا للناس من يخيم فيه لم يرم
حرز حريز وعز قائم وندى * غمر دراك بلا من ولا سأم
دامت ودام لها سعد يساعدها * في كل مبتدأ منه ومختتم
فالله عز اسمه قد زانه بحلى * من غر أمداحه كالدر في النظم
الواهب الالف بعد الالف من ذهب * كالجمر يلمع في مستوقد الضرم
والفاعل الفعل لم يهمم به أحد * والقائل القول فيه حكمة الحكم
ذاكم هو الشيخ فاعجب انه هرم * جودا وحاشاه أن يعزى الى هرم
وحسبنا أن ايدينا به اعتصمت * من حبله بوثيق غير منفصم
فما مخالفه يوما بمضطهد * ولا مؤالفه يوما بمهتضم
ولا موافيه في جهد بمطرح * ولا مصافيه في ود بمتهم
ولا محيا محييه بمنكسف * ولا رجاء مرجيه بمنخرم
وما تكرمه سرا بمنكشف * ولا تنكره جهرا بمكتتم
وليس لامح مرآه بمكتئب * وليس راضع جدواه بمنفطم
ولا مقبل يمناه الكريمة في * محل ممتهن بل دست محترم
وما وسيلتنا العظمى اليه سوى * ما ليس ينكر ما فيها من العظم
وانما هي وما أدراك ما هي من * وسيلة ردها أدهى من الوخم
نبينا المصطفى الهادي بخير هدى * محمد خير خلق الله كلهم
داعي الورى من أولي خيم وأهل قرى * الى طريق رشاد لاحب أمم
عليه منا صلاة الله ما ذكرت * أمن تذكر جيران بذي سلم
وما تشفع فيها بالشفيع له * دخيل حرمته العليا في الحرم

ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم نعم المولى ونعم النصير أما بعد حمد الله الذي لا يحمد على السراء والضراء سواه والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذي طلع طلوع الفجر بل البدر فلاح يدعو الى سبيل كل فلاح أولي قلوب غافلة ونفوس سواه والرضا عن آله وأصحابه وعترته الاكرمين وأحزابه الذين تلقوا بالقبول ما أورده عليهم من أوامر ونواه وعزروه ونصروه في حال قربه ونواه فيا مولانا الذي اولانا من النعم ما أولانا لا حط الله تعالى لكم من العزة أرواقا ولا أذوى لدوحة دولتكم أغصانا ولا أوراقا ولا زالت مخضرة العود مبتسمة عن زهرات البشائر متحفة بثمرات السعود ممطورة بسحائب البركات المتداركات دون برق ولا رعود هذا مقام العائذ بمقامكم المتعلق بأسباب ذمامكم المترجي

(ذكر لمع من أخباره وسيره وزهده)

لم تكن خلافة عمر في عهد تقدم وكان السبب فيها ان سليمان لما حضرته الوفاة بمرج دابق دعا رجاء بن حيوة ومحمد بن شهاب الزهري ومكحولا وغيرهم من العلماء ممن كان في عسكره غازيا ونافرا فكتب وصيته وأشهدهم عليها وقال اذا أنا مت فاذنوا بالصلاة جامعة ثم اقرؤا هذا الكتاب على الناس فلما فرغ من دفنه نودي الصلاة جامعة فاجتمع الناس وحضر بنو مروان فاشرأبوا للخلافة وتشوفوا نحوها فقام الزهري فقال أيها الناس ارضيتم من سماه أمير المؤمنين سليمان في وصيته فقالوا نعم فقرأ الكتاب فاذا اسم عمر بن عبد العزيز ومن بعده يزيد بن عبد الملك فقام مكحول فقال أين عمر وكان عمر في أواخر الناس فاسترجع حين دعي باسمه مرتين او ثلاثا فأتاه قوم فأخذوا بيده وعضديه فأقاموه وذهبوا به الى المنبر فصعد وجلس على المرقاة الثانية وللمنبر خمس مراق فكان أول من بايعه من الناس يزيد بن عبد الملك وقام سعيد وهشام فانصرفا ولم يبايعا وبايع الناس جميعا ثم بايع سعيد

لعواطف قلوبكم وعوارف انعامكم المقبل الارض تحت أقدامكم المتلجلج اللسان عند
محاولة مفاتحة كلامكم وما الذي يقول من وجهه خجل وفؤاده وجل وقضيته المقضية
عن التنصل والاعتذار تعجل بيد أني اقول لكم ما اقوله لربي واجترائي عليه اكثر
واجترامي اليه اكبر اللهم لابرئ فأعتذر ولا قوي فأنتصر لكني مستقيل مستنيل
مستعتب مستغفر وما ابرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء هذا على طريق التنزل والانصاف
بما تقتضيه الحال من تحيز الى حيز الانصاف واما على جهة التحقيق فأقول ما قالته الام
ابنة الصديق والله اني لأعلم اني ان اقررت بما يقوله الناس والله يعلم أني منه بريئة لاقول
مالم يكن ولئن انكرت ما تقولون لاتصدقوني فاقول ما قاله أبو يوسف صبر جميل والله
المستعان على ماتصفون على اني لا انكر عيوبي فانا معدن العيوب ولا أجحد ذنوبي
فانا جبل الذنوب الى الله اشكو عجري وبجري وسقطاتي وغلطاتي نعم كل شئ ولا
مايقوله المتقول المشنع المهول الناطق بفم الشيطان المسول ومن أمثالهم سبني
واصدق ولا تفتر ولا تختلق افتلى كان يفعل امثالها ويحتمل من الاوزار المضاعفة
احمالها ويهلك نفسه ويحبط أعمالها عياذا بالله من خسران الدين وايثار الجاحدين
والمعتدين قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين وايم الله لو علمت شعرة في فودي تميل الى
تلك الجهة لقطعتها بل لقطفت ما تحت عمامتي من هامتي وقطعتها غير أن الرعاع في كل
وقت وأوان للملك أعداء وعليه أحزاب وأعوان كان أحمق أو أجهل من أبي ثروان أو
اعقل او أعلم من أشجع بني مروان رب متهم بري ومسربل بسربال وهو منه عري وفي
الاحاديث صحيح وسقيم ومن التراكيب المنطقية منتج وعقيم ولكن ثم ميزان عقل
تعتبر به أوزان النقل وعلى الراجح الاعتماد ثم اساغة الآحاد المتصل المتماد وللمرجوح
الاطراح ثم التزام الصراح بعد النفض من الراح وأكثر ما تسمعه الكذب وطبع
جمهور الخلق الامن عصمه الله تعالى اليه منجذب ولقد قذفنا من الاباطيل بأحجار ورمينا
بما لايرمى به الكفار فضلا عن الفجار وجرى من الامر المنقول على لسان زيد وعمرو ما لديكم
منه حفظ الجار واذا عظم الانكاء فعلى تكأة التجلد الاتكاء أكثر المكثرون وجهد في
تغييرنا المتعثرون ورمونا عن قوس واحده ونظمونا في سلك الملاحده اكفرا أيضا كفرا
غفرا اللهم غفرا أعد نظرا يا عبد قيس فليس الامر على ماخيل للشالس وهل زدنا على أن
طلبنا حقنا ممن رام محقه ومحقنا فطاردنا في سبيله عداة كانوا لنا غائظين فانفتق علينا
فتق لم يمكنا رتقه وما كنا للغيب حافظين وبعد فاسأل أهل الحل والعقد والتمييز
والنقد فعند جهينتهم تلقى الخبر يقينا وقد رضينا بحكمهم يؤثمنا فيوبقنا او يبرئنا فيقينا
ايه يامن اشرأب الى ملامنا وقدح حتى في اسلامنا رويدا رويدا فقد وجدت قوة وأيدا
ويحك انما طال لسانك علينا وامتد بالسوء الينا لان الزمان لنا مصغر ولك مكبر والامر
عليك مقبل وعنا مدبر كما قاله كاتب الحجاج الوبر وعلى الجملة فهبنا صرنا الى تسليم مقالك
جدلا وذهبنا فأقررنا بالخطا في كل ورد وصدر فلله در القائل * ان كنت أخطأت فما أخطأ
القدر * وكأني بمتعسف اذا وصل الى هنا وعدم انصافه يعلمه العنا فهذا زور ومقباتها ثم

وهشام بعد ذلك بيومين وكان عمر في نهاية النسك والتواضع فصرف عمال من كان قبله من بني امية واستعمل
أصلح من قدر عليه فسلك
عماله طريقته وترك لعن
علي عليه السلام على المنابر
وجعل مكانه ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان ولا تجعل في قلوبنا
غلا للذين آمنوا ربنا انك
رؤف رحيم وقيل بل جعل
مكان ذلك ان الله يأمر
بالعدل والاحسان وايتاء
ذي القربى وينهى عن
الفحشاء والمنكر والبغي
الآية وقيل بل جعلهما
جميعا فاستعمل الناس
ذلك في الخطبة الى هذه
الغاية ولما استخلف عمر
ودخل عليه سالم السدي
وكان من خاصته فقال له
عمر أسرك ما وليت أم
ساءك فقال سرني للناس
وساءني لك قال اني أخاف
ان أكون أوبقت نفسي
قال ما أحسن حالك ان
كنت تخاف اني أخاف
عليك أن لا تخاف قال عظني
قال أبونا آدم أخرج من
الجنة بخطيئة واحدة
وكتب طاوس الى عمر ان
أردت أن يكون عملك خيرا
كله فاستعمل أهل الخير
فقال عمر كفى بها موعظة
ولما أفضى اليه الأمر
كان أول خطبة خطب
الناس بها أن قال أيها الناس انما نحن من أصول قد مضت فروعها فما بقاء فرع بعد أصله

اقتر

أفتر متهافتا وجعل يتمثل بقولهم اذا عيروا قالوا مقادير قدرت وبقولهم المرء يعجزه المحال
فيعارض الحق بالباطل والحالي بالعاطل ومنزع بقول القائل رب مسمع هائل
وليس تحته طائل وقد فرغنا أول أمس من جوابه وتركنا الضغن يلصق حرارة الجوى به
وسئلم الآن بما يوسعه تسكيتا ويقطعه تبكيتا فنقول له ناشدناك الله تعالى هل اتفق لك
قط وعرض خروج أمر ما عن القصد منك فيه والغرض مع اجتهادك أثناءه في اصدارك
وايرادك في وقوعه على وفق اقتراحك ومرادك أو جميع ماتزاوله بادارتك لا يقع الا
مطابقا لارادتك أو كل ماتقصده وتنويه تحرزه كما تشاء وتحويه فلابد أن يقر اضطرارا
بأن مطلوبه يشذ عنه مرارا بل كثيرا ما يفلت صيده من أشراكه ويطلبه فيعجز عن
ادراكه فنقول ومسئلتنا من هذا القبيل أيها النبيه النبيل ثم نسرد له من الاحاديث
النبوية ماشينا مما يسايرنا في غرضنا منه ويماشينا كقوله صلى الله عليه وسلم كل شئ
بقضاء وقدر حتى العجز والكيس وقوله أيضا لو اجتمع أهل السموات والارض على أن
ينفعوك بشئ لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يقضه الله
عليك لم يقدروا عليه أو كما قال صلى الله عليه وسلم فأخلق به أن يلوذ باكناف الاحجام
ويزم على نفثه فيه كاغ الجم بلجام حينئذ نقول له والحق قد أبان وجهه وجلاه وقهره
بحجته وعلاه ليس لك من الامر شئ قل ان الامر كله لله وفي محاجة آدم وموسى ما يقطع
لسان الخصم ويرحض عن أثواب أعراضنا ماعسى أن يعلق بها من درن الوصم وكيفما
كانت الحال وان ساء الرأي والانتحال ووقعنا في أوجال وأوحال فثل عرشنا وطويت
فرشنا ونكس لوانا وملك مثوانا فنحن أمثل من سوانا وفي الشر خيار ويد اللطائف
تكسر من صولة الاغيار حتى الآن لم نفقد من اللطيف تعالى لطفا ولا عدمنا أدوات
أدعية تعطف بلامهلة على جملتنا المقطوعة جمل النعم الموصولة عطفا والافتلك بغداد دار
السلام ومتبوأ الاسلام المحفوف بفرسان السيوف والاقلام مثابة الخلافة العباسيه
ومقر العلماء والفضلاء أولي السير الاويسيه والعقول الاياسيه قد نوزلت بالجيوش
ونزلت وزوولت بالزحوف وزلزلت وتحيف جوانبها الحيف ودخلها كفار التتار
عنوة بالسيف ولاتسل اذ ذاك عن كيف أيام تجلت عروس المنية كاشفة عن ساقها
مبديه وجرت الدماء في الشوارع والطرق كالانهار والاوديه وقيد الائمة والقضاة تحت
ظلال السيوف المنتضاة بالعمائم في رقابهم والارديه وللنجيع سيول تخوضها الخيول
فتقضيها الى ارساغها وتهم ظماءها بورودها فتشكل عن تجرعها ومساغها فطاح عاصمها
ومستعصمها وراح ولم يغد ظالمها ومتظالمها وخربت مساجدها وديارها واصطلم
بالحسام أشرارها وخيارها فلم يبق من جمهور أهلها عين تطرف حسبما عرفت أوحسبما
تعرف فلاتك متشككا متوقفا فحديث تلك الواقعة الشنعاء أشهر عند المؤرخين من
نفسا فأين تلك المحافل والآراء المدارة في المحافل حين أراد الله تعالى بادالة الكفر
لم تجدو لاقلامة ظفر اذن ممن سلمت له نفسه التي هي رأس ماله وعياله وأطفاله اللذان
هما من أعظم آماله وكل أوجل أوأقل رياشه وأسباب معاشه الكفيلة بانتعاشه

شرق وفي كل أكلة غصص
لاينالون نعمة الابفراق
أخرى ولايعمر معمر منكم
يوما من عمره الابهدم آخر
من أجله وكتب الى عامله
بالمدينة أن اقسم في ولد
علي بن أبي طالب عشرة
آلاف دينار فكتب اليه
ان عليا قد ولد له في عدة
قبائل من قريش ففي أي
ولده فكتب اليه لو كتبت
اليك في شاة تذبحها لكتبت
الى سوداء أو بيضاء اذا أتاك
كتابي هذا فاقسم في ولد
علي من فاطمة رضوان الله
عليهم عشرة آلاف دينار
فطالما تخطتهم حقوقهم
والسلام (وخطب) في
بعض مقاماته فقال بعد
حمد الله تعالى والثناء عليه
أيها الناس انه لا كتاب
بعد القرآن ولانبي بعد
محمد صلى الله عليه وسلم الا
واني لست بقاض ولكني
منفذ الا واني لست بمبتدع
ولكني متبع ان الرجل
الهارب من الامام الظالم هو
العاصي الا لاطاعة لمخلوق
في معصية الخالق (وبعث)
عمرو فدا الى ملك الروم
في أمر من مصالح المسلمين
وحق يدعوه اليه فلما
دخلوا اذا ترجمان يفسر
عليه وهو جالس على سرير
ملكه والتاج على رأسه والبطارقة عن يمينه وشماله والناس على مراتبهم بين يديه فأدى اليه ماقصدوا له

وانتعاشه ثم وجد مع ذلك سبيلا الى الخلاص في حال مياسرة ومساهلة دون تصعب واعتياص بعد ماظن كل الظن أن لا محيد ولا مناص فالحمد لله حينئذ وأولاه أن يحمد خالقه ورازقه ومولاه على ما أسداه اليه من رفده وخيره ومعافاته مما ابتلى به كثيرا من غيره ويرضى بكل ايراد واصدار تتصرف فيهما الاحكام الالهية والاقدار فالدهر غدار والدنيا دار مشحونة بالاكدار والقضاء لا يرد ولا يصد ولا يغالب ولا يطالب والدائرات تدور ولا بد من نقص وكمال للبدور والعبد مطيع لا مطاع وليس يطاع الا المستطاع وللخالق القدير جلت قدرته في خليقته علم غيب للاذهان عن مداه انقطاع ومالي والتكلف لما لا احتاج اليه من هذا القول بين يدي ذي الجلال والمجادة والفضل والطول فله من العقل الارجح ومن الخلق الاسجح ما لا تلتاط معه تهمتي بصفره ولا تنفق عنده وشاية الواشي لا عدم من نفره ولا فاز قدحه بظفره والمولى يعلم أن الدنيا تلعب باللاعب وتجر براحتها الى المتاعب وقديما للاكياس من الناس خدعت وانحرفت عن وصالهم اعقل ما كانوا وقطعت وفعلت بهم مافعلت بسار الكواعب التي جبت وجدعت ولئن رمصت وهصرت فقد نبهت وبصرت ولئن قرعت ومعضت لقد أرشدت ووعظت وياويلنا من تنكرها الناعره ورميها النافي غمرة أي غمره أيام قلبت لنا ظهر المجن وغيم افقها المصحى وأدجن فسرعان ساعاينا حبالها منبته ورأينا منها مالم نحتسب كما تقوم الساعة بغته فمن استعاذ من شئ فليستعذ مما صرنا اليه من الحور بعد الكور والانحطاط من النجد الى الغور

فبينا نسوس الناس والامر أمرنا * اذا نحن فيهم سوقة نتنصف

فتبا الدنيا لا يدوم نعيمها * تقلب تارات بنا وتصرف

وأيم الله لقد أرهقتنا ارهاقا وجرعتنا من صاب الاوصاب كأسا دهاقا ولم نفزع الى غير بابكم المنيع الجناب المنفتح حين سدت الابواب ولم نلبس غير لباس نعمائكم حين خلعنا ما ألبسنا الملك من الاثواب والى امه يلجأ الطفل لجأ اللهفان وعند الشدائد تمتاز السيوف من الاجفان ووجه الله تعالى يبقى وكل من عليها فان والى هنا ينتهي القائل ثم يقول حسبي هذا وكفان ولاريب في اشتمال العلم الكريم على ما تعارفته الملوك بينها في الحديث والقديم من الاخذ باليد عند زلة القدم وقرع الاسنان وعض البنان من الندم دينا تدينت مع اختلاف الاديان وعادة اطردت على تعاقب الازمان والاحيان ولقد عرض علينا صاحب قشتالة مواضع معتبرة خيرفيها وأعطى من امانه المؤكد في خطه بأيمانه ما يقنع النفوس ويكفيها فلم نر ونحن من سلالة الاحمر مجاورة الصفر ولا سوغ لنا الايمان الاقامة بين ظهراني الكفر ما وجدنا عن ذلك مندوحة ولو شاسعه وأمنا من المطالب المشاغب جهة شرلنا الا سعه وادكرنا اي ادكار قول الله تعالى المنكر لذلك غاية الانكار ألم تكن أرض الله واسعه وقول الرسول عليه الصلاة والسلام المبالغ في ذلك بابلغ الكلام أنا بريء من مؤمن مع كافر لا تترا آى ناراهما وقول الشاعر الحاث على حث المطيه المتثاقلة عن السير في طريق منجاتها البطيه

فتلقاهم بتجميل وأجابهم بأحسن الجواب وانصرفوا عنه في ذلك اليوم فلما كان في غد اتاهم رسوله فدخلوا عليه فاذا هو قد نزل عن سريره ووضع التاج عن رأسه وقد تغيرت صفاته التي شاهدوه عليها كأنه في مصيبة فقال هل تدرون لماذا دعوتكم قالوا لا قال ان صاحب مصلحتي التي تلي العرب جاءني كتابه في هذا الوقت أن ملك العرب الرجل الصالح قد مات فاملكوا أنفسهم أن بكوا فقال لا تبكوا له وابكوا لانفسكم ما بدا لكم فانه خرج الى خير مما خاف قد كان يخاف أن يدع طاعة الله فلم يكن الله ليجمع عليه مخافة الدنيا ومخافة الآخرة لقد بلغني من بره وفضله وصدقه ما لو كان أحد بعد عيسى يحيي الموتى لظننت أنه يحيي الموتى ولقد كانت تأتيني أخباره باطنا وظاهرا فلا اجد أمره مع ربه الا واحدا بل باطنه أشد حين خلوته بطاعة مولاه ولم أعجب لهذا الراهب الذي قد ترك الدنيا وعبد ربه على رأس صومعته ولكني عجبت من هذا الذي صارت الدنيا تحت قدمه فزهد فيها حتى صار مثل الراهب ان أهل الخير لا يبقون مع أهل الشر الا قليلا (وكتب عمر) الى أبي حازم المدني الاعرج أن أوصني وأوجز

وما

وما أنا والتلذذ نحو نجد * وقد غصت تهامة بالرجال

ووصلت أيضا من الشرق الينا كتب كريمة المقاصد لدينا تستدعى الانحياز الى تلك الجنبات وتتضمن ما الامر يدعليه من الرغبات فلم نختر الادارنا التى كانت دار آبائنا من قبلنا ولم نرتض الانضواء الالمن بحبله وصل حبلنا و بريش نبله ريش نبلنا ادلالا على محل اخاء متوارث لاعن كلاله وامتثالا لوصاة اجداد لانظارهم وأقدارهم أصالة وجلاله اذقدرويناعمن سلف من أسلافنا فى الايصاء لمن يخلف بعدهم من أخلافنا أن لا يبتغوا اذا دهمهم داهم بالحضرة المرينية بدلا ولا يجدوا عن طريقها فى التوجه الى فريقها معدلا فاخترقنا الى الرياض الاريضة الفجاج وركبنا الى البحر الفرات ظهر البحر الاجاج فلاغر وأن نرده منه على ما يقر العين و يشفى النفس الشاكية من ألم البين ومن توصل هذا التوصل وتوسل بمثل ذلك التوسل تطارحا على سدة أمير المؤمنين المحارب للعاربين والمؤمن للمستأمنين فهو الخليق المحقيق بان يسوغ اصفى مشاربه و يبلغ أوفى مآربه على توالى الايام والشهور والسنين و يخلص من الثبور الى الحبور ويخرج من الظلمات الى النور خروج الجنين ولعل شعاع سعادته يفيض علينا ونفحة قبول اقباله تسرى الينا فتخام نار يحيبة تحملنا على أن نبادر لانشاد قول الشريف الرضى فى الخليفة القادر

عطفا أمير المؤمنين فاننا * فى دوحة العلياء لا نتفرق

ما بيننا يوم الفخار تفاوت * أبدا كلانا فى المعالى معرق

الا الخلافة ميزتك فاننى * أنا عاطل منها وأنت مطوق

لا بل الاحرى بنا والاحجى والانجع لسعينا والارجى أن نعدل عن هذا المنهاج و يقوم وافدنا بين يدى علاه مقام الخاضع المتواضع الضعيف المحتاج و ينشد ما قال فى الشيرازى ابن حجاج

الناس يفدونك اضطرارا * منهم وافديك باختيارى

وبعضهم فى جوار بعض * وأنت حتى أموت جارى

فعش لخبزى وعش لمائى * وعش لدارى وأهل دارى

ونستوهب من الوهاب تعالى جلت أسماؤه وتعاظمت نعماؤه رحمة تجعل فى يد الهداية أعنتنا وعصمة تكون فى مواقف المخاوف جنتنا وقبولا يعطف علينا نوافر القلوب وصنعا يسنى لنا كل مرغوب ومطلوب ونسأله وطالما بلغ السائل سؤلا ومأمولا متابا صادقا على موضوع الندم محمولا ثم عزاحسنا وصبرا جميلا عن أرض أورثها من شاء من عباده معقبا لهم ومديلا وسادلا عليهم من ستور الاملاء الطويلة سدولا سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا فليطر طائر الوسواس المرفرف مطيرا كان ذلك فى الكتاب مسطورا لم نستطع عن مورده صدورا وكان أمر الله قدرا مقدورا الا وان لله سبحانه فى مقامكم العلى الذى أيده واعانه سرا من النصر يترجم عنه لسان من النصل وترجيع فروع البشائر الصادقه بالفتوحات المتلاحقه من قاعدته المتاصلة الى أصل

فكتب اليه كأنك يا أمير المؤمنين بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل والسلام ووقع الى عامل من عماله قد كثر شاكوك وقل شاكروك فاما عدلت واما اعتزلت والسلام وذكر المدائنى قال كان يشترى لعمر قبل خلافته الحلة بألف دينار فاذا لبسها استخشنها ولم يستحسنها فلما أتته الخلافة كان يشترى له قميص بعشرة دراهم فاذا لبسه استلانه وخرج مع جماعة من أصحابه فربالمقبرة فقال لهم قفوا حتى آتى قبور الاحبة فاسلم عليهم فلما توسطها وقف فسلم وتكلم وانصرف الى أصحابه فقال ألا تسألونى ماذا قلت لهم وما قيل لى فقالوا وماذا قلت يا أمير المؤمنين وما قيل لك قال مررت بقبور الاحبة فسلمت فلم يردوا ودعوت فلم يجيبوا فبينا أنا كذلك اذنوديت يا عمر أتعرفنى أنا الذى غيرت محاسن وجوههم ومزقت الاكفان عن جلودهم وقطعت أيديهم وأبنت أكفهم من سواعدهم ثم بكى حتى كادت نفسه أن تطفا فوالله ما مضى بعد ذلك الا أيام حتى لحق بهم (وذكر المدائنى) قال كتب مطرف الى عمر أما بعد فأن الدنيا دار عقوبة لها يجمع من لا عقل له وبها يغتر من لا علم له فكن بها كالمداوى جرحه واصبر على شدة الدواء لما تخاف من عاقبة الداء (وذكر بعض الاخباريين) أن عمر

فمنه له يجب اللياذ والعياذ ولشبهه يحق الالتجاء والارتجاء ولامر ما آثرناه واخترناه بعد أن استرشدنا الله سبحانه واستخرناه ومنه جل جلاله نرغب أن يخير لنا ولجميع المسلمين ويثوب بنا من حمايته ووقايته الى معقل منيع وجناب رفيع آمين آمين آمين ونرجو أن يكون ربنا الذي هو في جميع الامور حسبنا قد خار لنا حيث أرشدنا وهدانا وساقنا توفيقه وحدانا الى الاستجارة بالشجى كريم وفي أعز جار من أبي دواد وأحمى انفا من الحرث بن عباد يشهد بذلك الداني والقاصي والحاضر والباد ان أغاث ملهوفا فالاسود بن قنان يذكر وان انعش حشاشة هالك فما كعب بن مامة على فعله وحده يشكر جليسه كجليس القعقاع بن شور ومذاكره كذا كرسفيان المنتسب من الرباب الى ثور الى التحلي بأمهات الفضائل التي أضدادها أمهات الرذائل وهي الثلاث الحكمة والعدل والعفة التي تشملها الثلاثة الاقوال والافعال والشمائل وينشأ منها ما شئت من عزم وحزم وعلم وحلم وتيقظ وتحفظ واتقاء وارتقاء وصول وطول وسماح نائل فبنور حلاه المشرق يفتخر المغرب على المشرق وبعده السامي خطره في الاخطار وبيته الذي ذكره في النباهة والنباهة قد طار يباهي جميع ملوك الجهات والاقطار وكيف لا وهو الرفيع المنتمي والنجار الراضع من الطهارة صفو ألبان الناشئ من السراة وسط أحجار في ضنضئ المجد وبحبوحة الكرم وسراوة أسرة المملكة التي أكنافها حرم وذؤابة الشرف التي مجاذ بتهالم ترم من معشر أي معشر بخلوا ان وهبوا مادون أعمارهم وجبنوا أن لم يحموا سوى ذمارهم بنو مرين وما أدراك ما بنو مرين

*سم العداة وآفة الجزر * النازلون بكل معترك * والطيبون معاقد الازر

لهم من الهفوات انتفاء وعندهم من السير النبوية اكتفاء انتسبوا الى بر بن قيس فخرجوا في البر عن القيس مالهم القديم المعروف قد نفد في سبيل المعروف وحديثهم الذي نقلته الرجال الزحوف من طريق القنا والسيوف على الحسن من المقاصد موقوف تحمد من صغيرهم وكبيرهم ذابلهم ولدنهم فلله آباء أنجبوهم وأمهات ولدنهم شم الانوف من الطراز الاول اليهم في الشدائد الاسناد وعليهم في الازمات المعول ولهم في الوفاء والصفاء والاحتفاء والعناية والحماية والرعاية الخطو الواسع والباع الاطول كأنما عناهم بقوله جرول

أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنا * وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا شدوا
وان كانت النعماء فيهم جزوا بها * وان انعموا لا كدروها ولا كدوا
وتعذلني ابناء سعد عليهم * وما قلت الا بالتي علمت سعد

وبقوله الوثيق مبناه البليغ معناه

قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم * شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

يرتجون عن التنزيل كل نازح فاصم وليس له منهم عائب ولا واصم فهو احق بما قاله في منقر قيس ابن عاصم

لا يفطنون لعيب جارهم * وهم لحفظ جوارهم فطن

قال لانك جنيت كذا وكذا قال فهل جنيت أنت جناية قط غضب بها عليك مولاك قال عمر نعم قال فهل عجل عليك العقوبة قال اللهم لا قال العبد فلم تعجل علي ولم يعجل عليك فقال له قم فانت حر لوجه الله وكان ذلك سبب توبته وكان عمر يكثر هذا الكلام في دعائه فيقول يا حليما لا يعجل على من عصاه (وذكر جماعة من الاخباريين) أن عمر لما ولي الخلافة وفد عليه وفود العرب ووفد عليه وفد الحجاز فاختار الوفد غلاما منهم فقدموه عليهم ليبدأ بالكلام فلما ابتدأ الغلام بالكلام وهو أصغر القوم سنا قال عمر مهلا يا غلام ليتكلم من هو أسن منك فقال مهلا يا أمير المؤمنين انما المرء بأصغريه لسانه وقلبه فاذا منح الله العبد لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد استجاد له الحلية يا أمير المؤمنين ولو كان التقدم بالسن لكان في هذه الامة من هو أسن منك قال تكلم يا غلام قال نعم يا أمير المؤمنين نحن وفود التهنئة لا وفود المرزئة قدمنا اليك من بلدنا نحمد الله الذي من بك علينا لم يخرجنا اليك رغبة ولا رهبة أما حلاهم

ـلاهم هذه الغريزة التي ليست باستكراه ولا جعل وامير المؤمنين دام نصره قسيمهم فيها
ذو النعل بالنعل ثم هو عليهم وعلى من سواهم بالاوصاف الملوكية مستعل ارفض
يهم منه عن غيث ملث يمحو آثار اللزبه وانشق عليهم منه عن ليث ضار منقبض على
أثنه للوثبه فقل لسكان الفلا لا تغرنكم اعدادكم وامدادكم فلا يبالى السرحان المواشى
وامشى اليها النقرى او الجفلى بل يصدمهم صدمة تحطم منهم كل عرنين ثم يبتلع بعد
ـلاءهم المعفرة ابتلاع التنين فهو هو كما عرفوه وعهدوه والفوه اخو المنايا وابن
لاوطلاع الثنايا مجتمع اشده قد احتنكت سنه وبان رشده جاد مجد محترم بحزام
حزم مشمر عن ساعد الجد

لا يشرب الماء الا من قليب دم * ولا يبيت له جار على وجل

سدى القاب آدمى الروا لابس جلد النمر يزدى العناد والنوا

وليس بشارى عليه دمامة * اذا ما سعى يسعى بقوس وأسهم

ولكنه يسعى عليه مفاضة * دلاص كأعيان الجراد المنظم

فالنجاء النجاء سامعين له طائعين والوجل الوجل لاحقين به خاضعين قبل أن تساقوا اليه مقرنين فى الاصفاد ويعيا الفداء بنفائس النفوس والاموال على الفاد حينئذ يعض ذو الجهل والفدامه على يديه حسرة وندامه اذا رأى أبطال الجنود تحت خوافق الرايات والبنود قد لفحتهم نار ليست بذات خمود وأخذتهم صاعقة مثل صاعقة الذين من قبلهم عاد وثمود زعقات تؤزال كتائب أزا وهمزاء حققا للخيل بعد المد المشبع للاعنة همزا وسلا للهندية سلا وهزا للخطية هزا حتى يقول النسر للذئب هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ثق خليفة الله بذالك فى كل من رام أذى رعيتك أو أذاك فتلك عادة الله سبحانه وتعالى فى ذوى الشقاق والنفاق الذين يشقون عصا المسلمين ويقطعون طريق الرفاق وينصبون حبائل البغى والفساد فى جميع النواحى والآفاق فلن يجعلهم الله عز وجل من الآمنين أنى وكيف وقد أفسدوا وخانوا وهو سبحانه لا يصلح عمل المفسدين ولا يهدى كيد الخائنين وها نحن قد وجهنا الى كعبة مجدكم وجوه صلوات التقديس والتعظيم ومدسازينا معاطفها باستعطافكم بدر ثناء أبهى من در العقد النظيم منتظمين فى سلك أوليائكم متشرفين بخدمة عليائكم ولا فقد عزة ولا عدمها من قصد مثابتكم العزيزة وخدمها وان المترامى على سيائكم لجدير بحرمتكم واعتنائكم وكل ملهوف تبوأ من كنفكم حصنا حصينا عاش بقية عمره محروسا من الضيم مصونا وقد قيل فى بعض الكلام من قعدت به نكاية الايام اقامته اغاثة الكرام ومولانا أيده الله تعالى ولى ما يزفه الينا من مكرمة بكر ويصطنعه لنا من صنيع حافل يخلد فى صحائف حسن الذكر ويروى معنعن حديث حمده وشكره طرس عن قلم عن بنان عن لسان عن فكر وضميره من ينام عن ذلك فيوقظ ويسترسل مع الغفلة حتى يذكر و يوعظ وما عهد منذ وجد الاسر يعالى داعى الندى والتكرم بريئا من الضجر بالمطالبة والتبرم حافظا للجار الذى أوصى النبى صلى الله عليه وسلم بحفظه مستفرغا وسعه فى رعيه المستمر ولحظه آخذا من حسن الثناء

الرغبة فقد أتانا منك الى بلدنا وأما الرهبة فقد أمننا الله بعدلك من جورك فقال عظنا يا غلام وأوجز قال نعم يا أمير المؤمنين ان أناسا من الناس غرهم حلم الله عنهم وطول أملهم وحسن ثناء الناس عليهم فلا يغرنك حلم الله عنك وطول أملك وحسن ثناء الناس عليك فتزل قدمك فنظر عمر فى سن الغلام فاذا هو قد أتت عليه بضع عشرة سنة فأنشأ عمر رحمه الله يقول

تعلم فليس المرء يولد عالما
وليس أخو علم كمن هو جاهل
وان كبير القوم لا علم عنده
صغير اذا التفت عليه المحافل

وقد كان رجل من أهل العراق أتى المدينة فى طلب جارية وصفت له قارئة قوالة فسأل عنها فوجدها عند قاضى المدينة فأتاه وسأله أن يعرضها عليه فقال يا عبد الله لقد أبعدت الشقة فى طلب هذه الجارية فما رغبتك فيها لما رأى من شدة اعجابه بها قال انها تغنى فتجيد فقال القاضى ما علمت بهذا فالح عليه فى عرضها فعرضت بحضرة مولاها القاضى فقال لها الفتى هات فغنت

الى خالد حتى أنخن بخالد
فنعم الفتى يرجى ونعم المؤمل

ففرح القاضى بجاريته وسر بغنائها وغشيه من الطرب أمر عظيم حتى أقعدها على فخذه وقال

في جميع الاوقات والآناء بحظه

فهو من دوحة المنافرع عز * ليس يحتاج مجتنيه لهز
كمه في الامحال أغزر وبل * وذراه في الخوف أمنع حرز
حلمه يسفر اسمه لك عنه * فتفهم يامدعى الفهم لغزى
لاتسله شيأ ولا تستنله * قطرة منه فيك تغنى وتجزى
فنداه هو الفرات الذي قد * عام فيه الانام عوم الاوز
وحماه هو المنيع الذي تر * جع عنه الخطوب مرجع عجز
فادعوا اذهنه بزاول قولي * فهو أدرى بما تضمن رمزى
دام يحيي بكل صنع ومن * ويعافي من كل بؤس ورجز

وكأنابه قد عمل على شاكة جلاله من مدظلاله وتمهيد خلاله وتلقى وروده بالحسن تهلله واستهلاله وتأنيسنا بجميل قبوله واقباله وايرادنا على حوض كوثره المترع بزلاله والله سبحانه يسعد مقامه العلي ويسعدنا به في حله وارتحاله ومآله وحاله ويؤيد جنده المظفر ويؤيدنا بتأييده على نزال عدوه واستنزاله وهز الذوابل لاطفاء ذباله وهو سبحانه وتعالى المسؤل أن يريه قرة العين في نفسه وأهله وخدامه وأمواله وأنظاره وأعماله وكافة شؤنه وأحواله وأحق ما نصل بالسلام وأولى على المقام الجليل مقام الخليفة المولى أزكى الصلاة والسلام على خاتمة أنبيائه وارساله سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع أصحابه وآله صلاة وسلاما دائمين أبدا موصولين بدوام الابد واتصاله ضامنين لمجددهما ومرددهما صلاح فساد أعماله وبلوغ غاية آماله وذلك عشيئة الله تعالى واذنه وفضله وافضاله انتهى * وكاتب هذه الرسالة على لسان السلطان المخلوع قال الوادي آشي في حقه انه امام هذه الصناعه وفارس حلبة القرطاس واليراعه وواسطة عقد البلاغة والبراعه الذي قطف الكمال المأثور ورتب محاسن البديع في درر فقره وطوّر وغرف من بحر عجاج واقتطف من خاطر وهاج أبو عبد الله محمد بن عبد الله العربي العقيلي وما أحسن قوله فيمن قد ظفر به المسلمون

ألا رب مغرور تنصر ضلة * فحاق به شؤم الضلال وشره
فان يرتفع عند النصارى بالابتدا * فكم عندنا من حرف خفض يجره

وقال الوادي آشي أيضا في موضع آخر مانصه وشاعر العصر الآن مالك زمامي النظم والنثر الفقيه العالم المتقن المتفنن العارف الاوحد النبيه النبيل سيدي محمد العربي وصل الله تعالى رفعة قدره وحرس من غير الايام أشعة بدره

الحب في جمهور أنواره * فاين الاخوان والاحباب
وأين أين الاجتماعات قد * تهيأت لمن في الاسباب
وأين بنت الجبن لما بدت * طارت اليها شوقا الباب
وأين الالبان لا كوابها * في برم الارز تسكاب
واللحم بالبسباس قد ألفت * لطبخه في القدر الاحطاب

ذراد الطرب على القاضي ولم يدر ما يصنع فأخذ نعله فعلقها في أذنه وجثا على ركبتيه وجعل يأخذ بطرف أذنه والنعل معلقة فيها ويقول أهدوني الى البيت الحرام فاني بدنة حتى أدمى أذنه فلما أمسكت أقبل على الفتى فقال ياحبيبي انصرف قد كنا فيها راغبين قبل أن نعلم أنها تقول فنحن الآن فيها أرغب فانصرف الفتى وبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فقال قاتله الله لقد استرقه الطرب وأمر بصرفه عن عمله فلما صرف قال نساؤه طوالق لو سمعها عمر لقال اركبوني فاني مطية فبلغ ذلك عمر فاشخصه وأشخص الجارية فلما دخلا على عمر قال له أعد ما قلت قال نعم فاعاد ماقال فقال للجارية قولي فغنت

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فابادنا
صروف الليالي والجدود العواثر

فما فرغت من هذا الشعر حتى طرب عمر طربا بينا وأقبل يستعيدها ثلاثا وقد بلت دموعه لحيته ثم أقبل على القاضي فقال

والعود ذو نغمة يطبي * آثارها للطار دبداب
وملح الاصوات قد طورحت * وجاء معبد وزرياب
وفض للهوى ختامولم * يسق فى وجهه المودة باب
وقيل للوقار قم قبل أن * تساب عنك الآن الاثواب
وكل انسان وما يشتهى * ليس على مشاهد حجاب
مسترسلا ليس له عذل * كلا ولا عليه رقاب
فى راحة خلعت أربابها * لمثلها تعصر الاعناب
فكل بستان قد ابتأسدت * فيه النواوير والاعشاب
وأطلع التراب أدواحه * كأنما العرب الاتراب
لما تحلت حلى زهرها * دانلها بالحسن الاعجاب
عرائس ليس لها سوى * مائه اذ يبسه خطاب
أمام تبدى ثمرات بدا * فى جنباتهن الارطاب
كأنه فى العين ياقوت او * كأنه فى الفم جلاب
هيهات هيهات أمان لها * خلب برق لك خلاب
ماحوت الرؤس أمثالها * فكيف تحوين الاذناب
قد عاق عن ذلك دهر به * تعدم الافراح والاطراب
يروم الانسان غلابه * والدهر للانسان غلاب

وقال رحمه الله تعالى لما نزل النصارى بحاضرة غرناطة

بالطبل فى كل يوم * وبالنفير نراع وليس من بعد هذا * وذلك الا القراع
يارب خيرك نرجو * ممن هيض منه الذراع لا تسلبنى صبرا * منه لقلبى ادراع

وله رحمه الله تعالى فى الموشحات اليد الطولى فمن ذلك قوله

بدر أهل الزمان الرفيع القدر * لا تزل فى أمان من كسوف البدر

وله من اخرى

هل يصح الامان من شبيه البدر * وهو مثل الزمان منتم للغدر
لم يغير الاغر غير غر ياهل * عيشه الكلوم وهو فيه ناهل
والصبا الغض مر وهو عنه ذاهل
رشف البهرمان فوق ثغر الدر * مطمع للامان باقتراب البدر
...مه الله تعالى بها تين الموشحتين الموشحة المشهورة
يا ...حلت عن بهان سافر عن بدر * ضاق عنه الزمان وحواه صدرى
...هذه الموشحة ابن ارقم اذ قال
مبسم البهرمان فى الحبا الدرى * صاد قلبى وبان وأنا لم أدر
أن معارضة العربى أحسن من هذه وله أيضا معارضتان غير ما تقدم الاولى
يا رلى ثم بان ذا قد ونحر * يثنى مثل بان فى ثياب خضر

وغيرهما عن الزبير بن
بكار عن عبدالله بن أحمد
المدنى قال كان بالمدينة
فتى من بنى أمية من ولد
عثمان وكان ظريفا
يختلف الى قينة لبعض
قريش وكانت الجارية
تحبه ولا يعلم ويحبها ولا تعلم
ولم يكن محبة القوم اذ
ذاك لريبة ولا فاحشة
فأراد يوما أن يبلو ذلك
فقال لبعض من عنده
امض بنا اليها فانطلقا
ووافاهما وجوه أهل
المدينة من قريش
والانصار وغيرهما وما
كان فيهم فتى يحبها وجده
ولا يجد واحد منهم وجدها
بالاموى فلما أخذ الناس
مواضعهم قال لها الفتى
اتحسنين أن تقولين
أحبكم حبا بكل جوارحى
فهل عندكم علم بما لكم
عندى
أتجزون بالود المضاعف
مثله
فان كريما من يجزى الود
بالود
قالت نعم وأحسن أحسن
منه وقالت
للذى ودنا المودة بالضعف
وفضل البادى به
لا يجزى
لو بدا ما ... الكم ملأ الارض
... اشتاقا ...

والثانية قوله

هل قرآ ... في ... ... * ... من هواها المذوى
يا مليحا ... من حياه ... * ... من طيلالى من ايلثيرا
عاشق ... كاتم السر * ... في صميم الصدر

ومن نظم العرب المذكور لما عرض على السلطان رياسة كتابه من قصيدة

أوجه ... اطعنه اللثام * أم بدر أفق فض عنه الغمام
أم ... * ... لاح في المنام
بالسحر ... من رأى حسنه * هاج لعاشقه غراما وهيام
... أقبس نور البها * من وجه مولانا الامام الهمام
... الاسرى الذى * قد كان للاملاك ... ختام
رعام قد أنجب ... * في ... ذو باس ومضا ...
حامى وساعى ... * ... أبناء سام وحام
دام له النصر الذى جاءه * والسيف من طى أغاده دام
... أمير المؤمنين الذى * له ... سام
أبشر بجد مقبل لم يزل * الى انصراف لا ولا لانصرام
وعز لم ينقص ... * الى انهداد ولا ولا ... دام
لله ... ملك ... * زهر النجوم ... بدر التمام

ومنها

يطرب من ... * يطرب ... سجع الحمام
... الشعر بأعطافه * ما ... بين الندام
وان حكى في مدحه يوسفا * ... زهر الكلام

ومنها

... ليست ... * مع أنها تدعى بدار السلام

ومنها

... الاعفاء من كل ما * ... والزام

ومنها

... * ... أزكى السلام

ومنها

وكل ... * ... ذى عذر قد اضحى بدام

وآخرها

فالحمد ... أن ندا * للشمل بعد الانصداع التئام

واختتم هذا الشرح بقوله

خذ بالسانية ... * ... رثيها واحلاه
واعجب بها الليالي ... * أسفله ناظرا وأعلاه
وقدس الله ... * سبحانه لا اله الا هو

سبحان وارث الارض ومن عليها وهو خير
الوارثين والحمد لله رب العالمين

(تم الجزء الثاني ... الثاني)